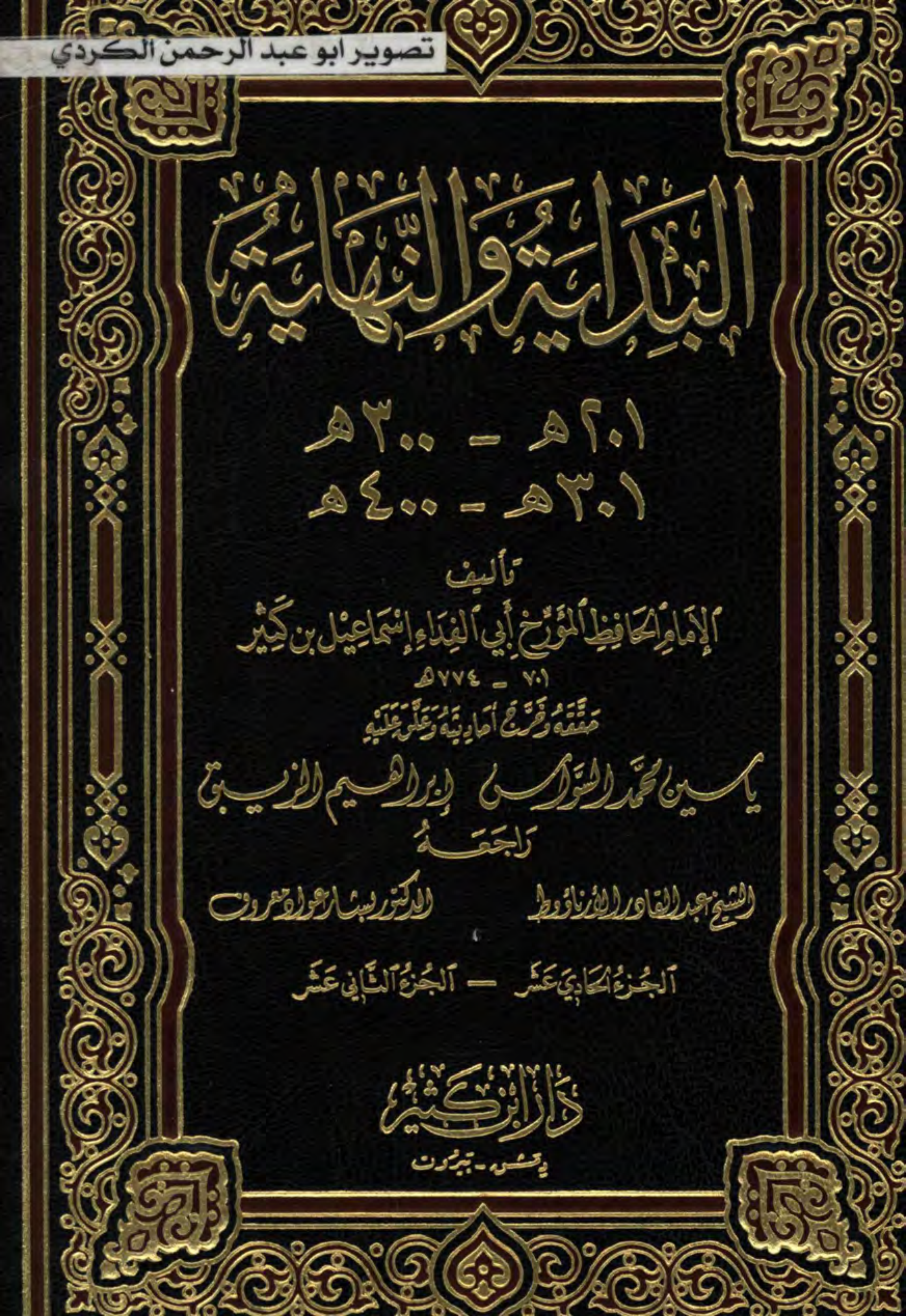


تصوير ابو عبد الرحمن الكردي
البداية والنهاية
٢٠١هـ - ٣٠٠هـ
٣٠١هـ - ٤٠٠هـ
تأليف
الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير
٧٠١ - ٧٧٤هـ
حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه
ياسين محمد السواس
إبراهيم الزيبق
راجعه
الشيخ عبد القادر الأرناؤوط
الدكتور بشار عواد معروف
الجزء الحادي عشر - الجزء الثاني عشر
دار ابن كثير
دمشق - بيروت



الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2007 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : البداية و النهاية 20/1

التأليف : الإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير

نوع الورق : شاموا

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 10128

القياس : 17×24

نوع التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 16 كغ

التنفيذ الطباعي : مطبعة ايبكس

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد

دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com





٢٠١هـ - ٣٠٠هـ

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

ياسين محمد السواس

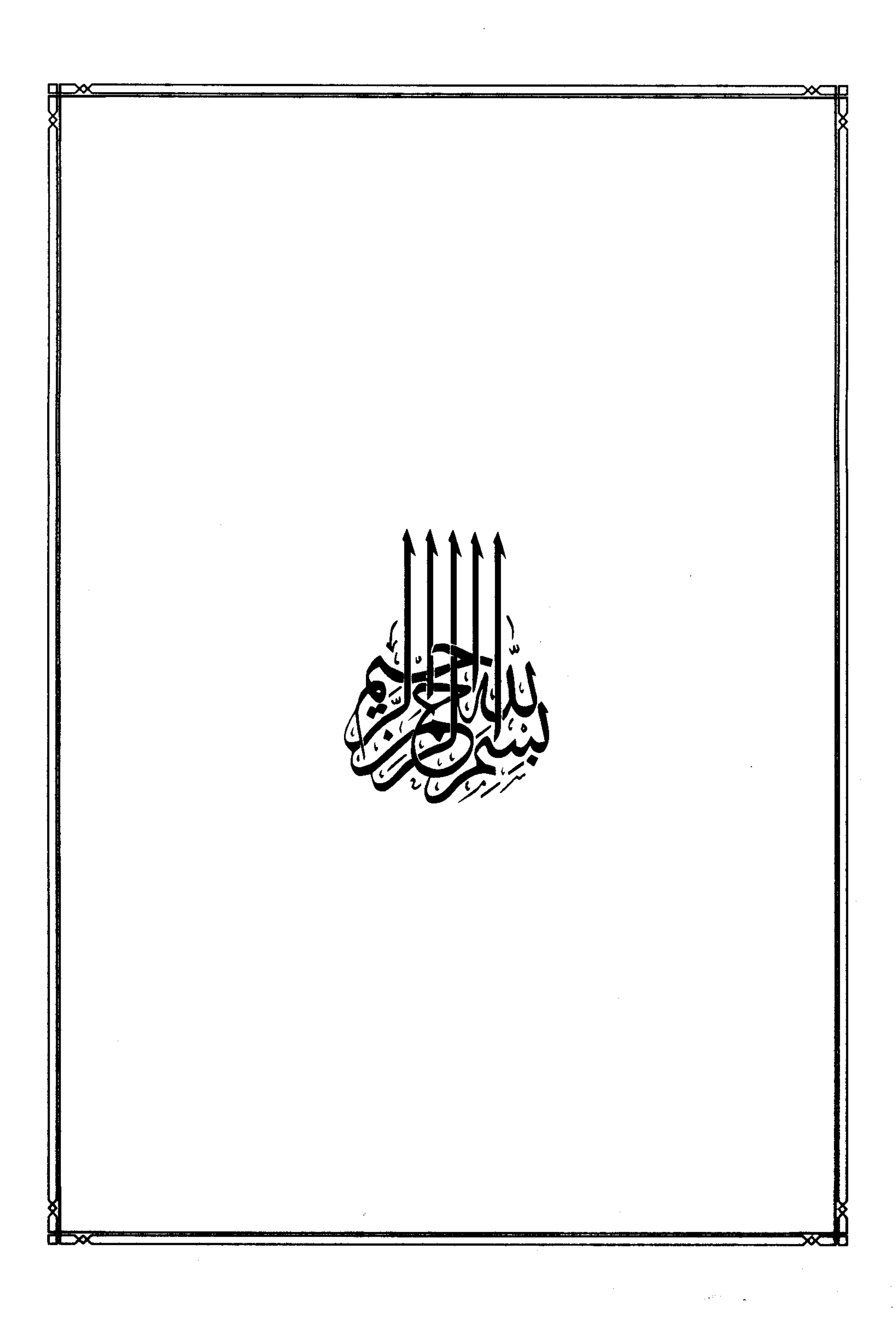
راجعه

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط　　الدكتور بشار عواد معروف

الجزء الحادي عشر

دار ابن كثير

دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة إحدى ومئتين

فيها : راود أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فامتنع من ذلك ، فراودوه على أن يكون نائباً للمأمون يدعو له في الخطبة ، فأجابهم إلى ذلك ، وذلك بعد إخراج أهل بغداد عليَّ بن هشام نائب الحسن بن سهل من بين أظهرهم ، فجرت حروب كثيرة بسبب ذلك .

وفي هذه السنة عمَّ البلاء بالعيّارين ، والشطّار والفسّاق ببغداد وما حولها من القرى ، فكانوا يأتون الرجل يسألونه مالاً يقرضهم أو يصلهم به ، فيمتنع عليهم فيأخذون جميع ما في منزله ، وربما تعرَّضوا للغلمان والنسوان ، ويأتون أهل القرية فيستاقون من الأنعام والمواشي ، ويأخذون ما شاؤوا من الغلمان والنسوان ، وانتهبوا أهلَ قُطْرُبُّل[١] ولم يَدعوا لهم شيئاً أصلاً ، فانتُدِب رجلٌ يقال له : خالد الدريوش ، وآخر يقال له : سهل بن سلامة ، أبو حاتم الأنصاري ، من أهل خراسان . والتفَّ عليهما جماعة من العامة[٢] فردُّوا شرهم وقاتلوهم وقووا عليهم ومنعوهم من العيث في الأرض فساداً ، واستقرَّت الأمور كما كانت ، وذلك في شعبان ورمضان ، ولله الحمد والمنَّة[٣] .

وفي هذه السنة في شوال منها رجَعَ الحسنُ بن سهل إلى بغداد وصالَحَ الجندَ ، وانفصل منصور بن المهدي ومن التفَّ معه من الأمراء .

وفي هذه السنة بايع المأمون لعلي الرِّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أن يكون وليَّ العهد من بعده ، وسمَّاه الرِّضا من آل محمد ﷺ ، وطَرَحَ لبسَ السواد ولبِسَ الخُضْرَةَ ، وألزم جنده بذلك ، وكتب به إلى الآفاق والأقاليم . وكانت مبايعتُه له يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان من سنة إحدى ومئتين ، وذلك أن المأمون رأى أنَّ علياً الرِّضا خيرُ أهلِ البيتِ ، وليس في بني العباس مثلُه في علمه[٤] ودينه ، فجعله وليَّ عهدِهِ من بعده .

---

(١) في آ : قرطبل ، والمثبت من ظا ، ط . و« قُطْرُبُّل » : اسم قرية بين بغداد وعُكْبَرا ، ينسب إليها الخمر ، وما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها . ياقوت .

(٢) في آ : من الأعيان .

(٣) الخبر في تاريخ الطبري (٨/ ٥٥١) والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٢٤) .

(٤) في آ ، ط : عمله ، والمثبت من ظا ، ب .

بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي

لما جاء الخبر إلى بغداد : أنَّ المأمون بايع لعلي الرِّضا بن موسى بولاية العهد من بعده اختلفوا فيما بينهم ؛ فمن مجيبٍ ، ومن مانعٍ ، وجمهور العباسيين على الامتناع . وكان الباعث لهم والقائم في ذلك إبراهيم ومنصور ابنا المهدي .

فلما كان يوم الثلاثاء لخمسٍ بقين من ذي الحجة أظهر العباسيون البيعة لإبراهيم بن المهدي ولقبوه : المبارك ـ وكان أسود اللون ـ ومِن بعده لابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي ، وخلعوا المأمون .

فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة أرادوا أن يدعوا للمأمون ثم من بعده لإبراهيم فقالت العامة : لا نرضى إلا بإبراهيم فقط ، واختلف الناس واضطربوا فيما بينهم ، ولم يصلّوا الجمعةَ ، وصلَّى الناس فُرَادى أربع ركعاتٍ[١] .

وفي هذه السنة افتتح نائبُ طَبَرِسْتان جبالَها وبلادَ اللارز[٢] والشَّيزر . وذكر ابن جرير[٣] : أن سَلْماً الخاسِرَ قال في ذلك شعراً .

وقد ذكر ابنُ الجوزي وغيرُه أن سَلْماً[٤] توفي قبل ذلك بسنين[٥] ، فالله أعلم .

وفي هذه السنة أصاب أهلَ خراسان والرَّيِّ وأصبهان مجاعةٌ شديدة ، وعزَّ الطعام جداً .

وفي هذه السنة تحرَّك بابَكُ الخُرَّمِيُّ واتَّبعه طوائفُ من السَّفَلة والجهلة ، وكان يقول بالتناسخ قبَّحه الله ولعنه . وسيأتي[٦] ما آل أمره إليه .

---

(١) الخبر في الطبري (٨/ ٥٥٥) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٢٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥٧) .

(٢) في آ ، ظا : البلاذر . وأثبت ما جاء في ط والطبري .

(٣) في آ ، ط : ابن حزم ، تحريف . والخبر في تاريخ الطبري (٩/ ٥٥٦) .

(٤) في آ : سالماً ، وفي ظا سليمان . وعند الطبري : سلام ، وهو سَلْم بن عمرو بن حماد ، شاعر ، خليع ، ماجن ، من أهل البصرة ، من الموالي ، سكن بغداد . له مدائح في المهدي والرشيد ، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية . قيل : سمي الخاسر ؛ لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً ، توفي سنة ١٨٦هـ ، أي قبل هذا الفتح بسنين ، كما قال ابن الجوزي . الأعلام (٣/ ١١٠) . وذكر الطبري (٨/ ٥٥٦) أن والي طبرستان كان عبد الله بن خُرْداذبه ، وفيه قال سَلْم الخاسر :

إنـا لنـأمُـلُ فتـح الـروم والصِّيـن — بمـن أدال لنـا مـن مُلـك شَـرْويـنِ
فـاشْـدُدْ يـديـكَ بعبـد الله إنَّ لـه — مـع الأمـانـةِ رأيٌ غيـرُ مَـوْهُـونِ

(٥) ذكره ابن كثير فيمن توفي سنة ١٦هـ .

(٦) سيأتي في حوادث سنة ٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٣هـ .

وفيها : حجَّ بالناس إسحاقُ بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

وفيها توفي من الأعيان :

أبو أسامة حمّاد بن أسامة[١] .

وحمّاد بن مَسْعَدَة[٢] .

وحَرَميّ بن عُمارة[٣] .

وعلي بن عاصم[٤] .

ومحمد بن محمد صاحب أبي السَّرايا ، الذي كان قد بايعه أهلُ الكوفة بعد ابن طباطبا[٥] .

ثم دخلت سنة ثنتين ومئتين

في أوّل يوم منها بُويع لإبراهيمَ بن المهديّ بالخلافة ببغداد وخُلع المأمون ، فلمّا كان يوم الجمعة خامسُ المحرم صعِدَ إبراهيمُ بن المهدي المنبرَ فبايعه الناسُ ولُقِّب بالمبارك ، وغلب على الكوفة وأرض السَّواد ، وطلب منه الجندُ أرزاقهم فماطلهم ، ثم أعطاهم مئتي درهم لكل واحدٍ ، وكتب لهم بتعويضٍ من أرض السَّواد ، فخرجوا لا يمرُّون بشيء إلا انتهبوه ، وأخذوا حاصل الفلاح والسلطان ، واستناب إبراهيمُ على الجانب الشرقيِّ العبَّاسَ بن موسى الهادي ، وعلى [الجانب][٦] الغربيِّ إسحاقَ بن موسى الهادي .

[وفيها][٧] : خرج خارجيٌّ يقال له : مَهدي بن عُلوان ، فبعث إليه إبراهيمُ جيشاً عليهم أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد في جماعة من القُوَّاد ، فكسره وردَّ كيده ، ولله الحمد .

---

(١) أبو أسامة ، حماد بن أسامة بن زيد ، الكوفي . الحافظ الثبت . كان من أئمة العلم . مات وله نحو ثمانين سنة . طبقات خليفة (ترجمة ١٣١٥) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٧٧) .

(٢) حمَّاد بن مَسْعَدَة ، أبو سعيد التميمي ، ويقال : الباهلي ، مولاهم البصري . الحافظ الحجة . طبقات ابن سعد (٧/ ٢٩٤) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٥٦) .

(٣) في آ : محمري بن عمارة ، وفي ظا : حماد بن عمارة ، وفي ط حرسي بن عمارة ، وما أثبته من تهذيب التهذيب (٢/ ٢٣٢) . وهو حَرَمي بن عمارة بن أبي حفصة ، أبو روح البصري .

(٤) هو علي بن عاصم بن صُهيب ، أبو الحسن الواسطيّ القرشي التيمي . الإمام العالم ، شيخ المحدثين ، مسند العراق . ولد سنة ٢٠٧هـ ، وكان من ذوي الأموال والاتساع في الدنيا ، ولم يزل ينفق في طلب العلم ويُفضل على أهله قديماً وحديثاً . طبقات ابن سعد (٧/ ٣١٣) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٤٩) .

(٥) حوادث سنة ١٩٩ وتاريخ الطبري (٨/ ٥٢٨) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٠٢) .

(٦) زيادة من ط .

(٧) زيادة من ط .

وفي هذه السنة خرج[(١)] أخو أبي السَّرايا بالكوفة ، فبيّض[(٢)] ، فأرسل إليه إبراهيمُ بن المهدي مَن قاتله فقتل أخو أبي السرايا وأرسل برأسه إلى إبراهيم .

ولما كان ليلة أربعَ عشرةَ من ربيع الآخر من هذه السنة ظهرت في السماء حُمرةٌ ثم ذهبت ، وبقي بعدها عمودان أحمران في السماء إلى آخر الليل . وجرت بالكوفة حروب بين أصحاب إبراهيم وأصحاب المأمون ، واقتتلوا قتالاً شديداً . وعلى أصحاب إبراهيمَ السَّوادُ ، وعلى أصحاب المأمون الخُضْرَةُ ، واستمرَّ القتالُ بينهم إلى أواخر رجب .

وفي هذه السنة ظفر إبراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطّوّعي فسجنه ، وذلك لأنه التف عليه جماعةٌ من الناس يقومون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن [كانوا][(٣)] قد جاوزوا الحدَّ ، وأنكروا على السلطان ، ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنة ، وصار بابُ داره كأنَّه بابُ سلطان ، عليه السلاح والرجال وغيرُ ذلك من أُبَّهة الملك ، فقاتله الجند فكسروا أصحابه ، فألقى السلاح وصار بين النساء والنظارة ، ثم اختفى في بعض الدروب ، فأُخذ وجِيء به إلى إبراهيم فسجنه سنة كاملة .

وفي هذه السنة أقبل المأمون من خراسان قاصداً العراق ، وذلك أنَّ عليَّ بن موسى بن جعفر العلوي أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتن والاختلاف بأرض العراق ، وأنَّ الهاشميين يتهمون المأمون بأنه مسحور ومجنون[(٤)] ، وأنهم قد ينقمون عليك ببيعتك إليَّ من بعدك ، وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وبين إبراهيم بن المهدي . فاستدعى المأمون بجماعة من أمرائه وقراباته[(٥)] فسألهم عما أخبره[(٦)] به علي الرِّضا ، فصدَقوه الأمرَ بعد أخذهم الأمان منه ، وقالوا له : إنَّ الفضلَ بن سهل حسَّن لك قتل هَرْثَمَة[(٧)] ، وقد كان ناصحاً لك ، فعاجله بقتله ، وإن طاهرَ بن الحسين مهَّد لك الأمور حتى قاد لك

---

(١) في آ ، ظا : خروج أبو السرايا وأثبت ما جاء في ط ، وقد قتل أبو السرايا في سنة ١٩٩هـ .
(٢) « بيّض » : أي أمر بلبس الخضرة ، مخالفاً بذلك ما عليه بنو العباس من لبس السواد ، وهو شعارهم .
(٣) زيادة من ط .
(٤) كذا في ظا والطبري : مجنون ، وفي ط مسجون ، تحريف .
(٥) في ط : وأقربائه . وقرابة الرجل ، على المصدر .
(٦) في آ ، ط : أخبرهم ، وأثبت ما جاء في ظا .
(٧) هو هَرْثَمَة بن أعْيَن ، أمير ، من القادة الشجعان ، ولاه الرشيد مصر ، ووجهه إلى إفريقية ، وعقد له على خراسان . ولما بدأت الفتنة بين الأمين والمأمون انحاز إلى المأمون ، فقاد جيوشه وأخلص له الخدمة حتى سكنت الفتنة بمقتل الأمين . ونقم المأمون عليه أمراً ، قيل : اتهمه بممالأة إبراهيم بن المهدي أو بالتراخي في قتال الطالبيين وأبي السرايا ، فدعاه إليه وشتمه وضربه وحبسه . وكان الفضل بن سهل (الوزير) يبغضه ، فدس إليه من قتله في الحبس سراً . ترجمته في الأعلام (٨/ ٨١) .

الخلافة بزمامها فطردْتَه إلى الرقة ، وقعد لا عَمَل له ولا تستنهضه في أمرٍ ، وإنَّ الأرض قد تفتَّقت من أقطارها ، وكثرت الفتن ، وانتشرت الشرور بين الناس .

فلما تحقَّق ذلك المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد ، وقد فطِنَ الفضلُ بن سهل بما تمالأ عليه أولئك الناصحون للمأمون ، فضرب قوماً ونتف لحى بعضهم . وسار المأمون ، فلمَّا كان بسَرَخْس[1] عدا قومٌ على الفضل بن سهل وزير المأمون وهو في الحمام بالسيوف فقتلوه ، وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان وله ستون سنةً[2] . فبعث المأمون في آثارهم فجيء بهم وهم أربعة من المماليك فقتلهم ، وكتب إلى أخيه الحسن بن سهل يعزِّيه فيه ، وولاه مكانه الوزارة ، وارتحل المأمون من سَرَخْس يوم عيد الفطر نحو العراق وإبراهيمُ بن المهدي بالمدائن ، وفي مقابلته جيش يقاتلونه من جهة المأمون .

وفي هذه السنة تزوج المأمون بُوران[3] بنتَ الحسن بن سهل ، وزوَّج عليَّ بن موسى الرِّضا بابنته أُمَّ حبيب ، وزوَّج ابنه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بابنته الأخرى أمَّ الفضل .

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيمُ بن موسى بن جعفر أخو علي الرِّضا ، ودعا لأخيه بعد المأمون . ثم انصرف من بعد الحج إلى اليمن ، وقد كان تغلب عليها حَمْدَوَيْه بن علي بن موسى بن ماهان[4] .

وفيها توفي من الأعيان :

أيّوبُ بن سُوَيد[5] .

وضَمْرَةُ[6] .

وعمر بن حبيب[7] .

---

(١) « سَرَخْس »: مدينة قديمة من نواحي خراسان، كبيرة واسعة ، وهي بين نيسابور ومَرْو ، في وسط الطريق . ياقوت.

(٢) قتل الفضل بن سهل عن ثمان وأربعين سنة ، فقد ولد سنة ١٥٤هـ . وقيل : إن المأمون قد دسَّ إليه من قتله بعد أن ثقل عليه أمره .
وهو الفضل بن سهل السَّرَخسي ، أبو العباس ، وكان مجوسياً ، اتصل بالمأمون في صباه ، وأسلم على يديه سنة ١٩٠ وقبل أن يلي الخلافة ، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً ، فكان لقب بذي الرياستين ، الحرب والسياسة . وخبر مقتله عن ستين سنة غير صحيح ، وقع فيه الطبري وتابعه في ذلك المؤلف وابن الأثير في كامله . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٩٩) وشذرات الذهب (٢/ ٤) ، والأعلام (٥/ ١٤٩) .

(٣) بنى المأمون على بوران سنة ٢١٠هـ وسيورد ابن كثير خبر عرسها في تلك السنة .

(٤) ينظر تاريخ الطبري (٨/ ٥٦٦ـ٥٦٧) .

(٥) أيوب بن سُوَيد الرَّمْليّ ، أبو مسعود الحِمْيَري السَّيباني ، نسبة إلى سيبان ، بطن من حمير . كان سيء الحفظ ، ليِّن الحديث . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٣٠) .

(٦) هو ضَمْرَةُ بن ربيعة ، أبو عبد الله الرَّمْلي . الإمام الحافظ القدوة ، محدِّث فلسطين . سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٢٥) .

(٧) في ط : عمرو بن حبيب . وهو عمر بن حبيب العَدَوي البصري ، القاضي ، ضعيف الحديث . نقل غير واحد أنه=

والفضلُ بن سهل الوزير[١] .

وأبو يحيى الحِمّاني[٢] .

ثم دخلت سنة ثلاث ومئتين

فيها : وصل المأمون في سيره من خراسان إلى العراق إلى مدينة طُوس[٣] ، فأقام [بها][٤] عند قبر أبيه أياماً من شهر صفر . فلما كان في أواخر الشهر أكل عليُّ بنُ موسى الرِّضا عنباً فمات فجأة ، فصلَّى عليه المأمون ودفنه إلى جانب أبيه الرشيد ، وأسف عليه أسفاً كبيراً فيما ظهر ، والله أعلم . وكتب إلى الحسن بن سهل يعزِّيه في عليٍّ الرِّضا ويخبره بما حصل له من الحزن عليه ، وكتب إلى بني العباس ببغداد يقول لهم : إنَّكم إنما نقَمْتُم عليَّ بسبب توليتي العهدَ مِن بعدي لعليٍّ الرِّضا ، وهاهو قد مات فارجعوا إلى السمع والطاعة . فأجابوه بأغلظِ جوابٍ كُتب به إلى أحدٍ .

وفي هذه السنة غلبت السوداءُ[٥] على الحسن بن سهل حتى قُيِّد بالحديد وأُودع في بيتٍ ، فكتب الأمراء بذلك إلى المأمون ، فكتب إليهم : إنِّي واصلٌ على إثر كتابي هذا .

ثم جرت حروب كثيرة بين إبراهيم وأهل بغداد ، وتنكَّروا عليه وأبغضوه . وظهرت الفتنُ والشطَّار والفسّاق ببغداد ، وتفاقم الحال ، وصلَّوا يومَ الجمعة ظهراً ، أمَّهم المؤذنون من غير خطبة ، بأربع ركعات ، واشتدَّ الأمرُ ، واختلف الناسُ فيما بينهم في إبراهيمَ والمأمون ، ثم غلبت المأمونية عليهم .

ذكر خلع أهل بغداد إبراهيم [بن المهدي][٦] ودعائهم للمأمون

لمَّا كان يومُ الجمعة المقبلة دعا الناس للمأمون وخلعوا إبراهيم ، وأقبل حُمَيد بن عبد الحميد في

= مات بالبصرة سنة سبع ومئتين . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩٠) .

(١) مضت ترجمته قبل قليل .

(٢) أبو يحيى الحِمَّاني ، أصله من خوارزم ، ولقبه بشَمْين . من علماء الحديث . قال أبو داود : كان داعية إلى الإرجاء .

(٣) « طُوس » : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ . ياقوت .

(٤) زيادة من ظا .

(٥) في ظا ، ب : غلبت السواد . وفي ط : تغلبت الثوار وهو تحريف . وقد أصيب الحسن بن سهل بمرض السوداء بعد مقتل أخيه الفضل ، فتغيَّر عقله حتى شُدَّ في الحديد . ثم شفي منه قبل زواج المأمون بابنته بوران سنة ٢١٠ ، وعاش إلى أن توفي سنة ٢٣٦هـ .

(٦) زيادة من ط .

جيشٍ من جهة المأمون فحاصر بغداد ، وأطمع[١] جندها في العطاء فطاوعوه على السمع والطاعة [للمأمون][٢] .

وقد قاتل عيسى بن محمد بن أبي خالد في جماعة من جهة إبراهيمَ بن المهدي ، ثم احتال عيسى حتى صار في أيدي المأمونية أسيراً ، ثم آل الحال إلى أن اختفى إبراهيمُ بنُ المهدي في آخر هذه السنة .

وكانت أيامه سنةً وأحدَ عشرَ شهراً واثني عشرَ يوماً . وقد وصل في هذا الوقت المأمون إلى همذان ، وجيوشُه قد استعادوا بغداد إلى طاعته .

وحجَّ بالناس في هذه السنة سليمانُ بنُ عبد الملك بن سليمان بن علي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عليّ بن موسى[٣] : ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي العلوي ، الملقب بالرِّضَا ، كان المأمون قد همَّ أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك ، فجعله وليَّ العهد من بعده كما قدمنا ذلك ، فتوفي في صفر من هذه السنة بطوس .

وقد رَوى الحديثَ عن أبيه وغيره .

وعنه : جماعةٌ ، منهم المأمون ، وأبو الصلت الهرويّ ، وأبو عثمان المازني النحوي .

قد[٤] سمعته يقول : اللهُ أعدلُ من أن يكلِّف العباد ما لا يطيقون ، وهم أعجز من أن يفعلوا ما يريدون . ومن شعره :

كُلُّنا يأمُلُ مدّاً في الأجَلْ[٥] والمنايا هي[٦] آفاتُ الأملْ
لا تغرّنْكَ أباطيلُ المُنى والزَمِ القَصْدَ ودَعْ عنكَ العللْ[٧]
إنَّما الدُّنيا كظلٍّ زائلٍ حَلَّ فيهِ راكبٌ ثمَّ ارْتَحَلْ

---

(١) في آ : وطمع ، والمثبت من ظا ، ب .
(٢) زيادة من ظا ، ب ، ط .
(٣) تاريخ الطبري (٨/ ٥٥٤ ، ٥٦٨) ، الكامل لابن الأثير (٦/ ٣٢٦ ، ٣٥١) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٩) ، سير اعلام النبلاء (٩/ ٣٨٧) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٨٧) ، خلاصة تذهيب الكمال (٢٧٨) ، شذرات الذهب (٢/ ٦٥٢) .
(٤) في ظا ، ب : قال .
(٥) في آ : كلنا نأمل بتداني الأجل ، والمثبت من ظا ، ب ، ط .
(٦) في ط : هُنَّ .
(٧) « القَصْدُ » : استقامة الطريق ، وهو خلاف الإفراط .

ثم دخلت سنة أربع ومئتين

فيها : كان قدومُ المأمون أرضَ العراق ، وذلك أنه مرَّ بجرجان فأقام بها شهراً، ثم سار منها [وكان][1] ينزل في المنزلة يوماً أو يومين ، ثم جاء إلى النّهروان فأقام بها ثمانية أيام ، وقد كان كتب إلى طاهر بن الحسين وهو بالرقّة أن يوافيه إلى النّهروان ، فوافاه بها ، وتلقاه رؤوس أهل بيته والقُوّادُ وجمهورُ الجيشِ، فلما كان السبت الآخر دخل بغداد ارتفاعَ النهار لأربعَ عشرة ليلةً بقيت من صفر ، في أُبَهة عظيمةٍ، وجيشٍ عظيم ، وعليه وعلى جميع أصحابه وفتيانهم وجميع لباسهم الخُضْرَةُ ، فلبس أهلُ بغداد وبنو هاشم أجمعون الخُضْرَةَ .

ونزل المأمون بالرَّصافة ، ثم تحوَّل إلى قصره على دجلة ، وجعل الأمراءُ ووجوه الدولة يترددون إلى داره على العادة ، وقد تحوَّل لباسُ البغاددة إلى الخُضْرَة ، وجعلوا يحرقون كلَّ ما يجدونه من السواد ، فمكث بذلك ثمانية أيام . ثم استعرض حوائجَ طاهر بن الحسين فكان أوّل حاجةٍ سألها أن يرجع إلى لباس السَّواد ، فإنَّه لباسُ آبائه من دولةِ ورثة الأنبياء .

فلما كان السبت الآخر ، وهو الثالث والعشرون من صفر ، جلس المأمون للناس وعليه الخُضْرَةُ ، ثم إنَّه أمر بخِلْعةٍ[2] سوداء وَألبسها طاهر بن الحسين ، ثم ألبس[3] بعده جماعةً من الأمراء السواد ، فلبس الناسُ السواد وعادوا إلى ذلك ، بعدما علم منهم الطاعة والموافقة . وقد قيل : إنَّ المأمون مكث يلبَسُ الخُضْرة بعد قدومه بغداد تسعاً وعشرين ليلة ، والله أعلم .

ولما جاء إليه عمُّه إبراهيمُ بنُ المهدي بعد اختفائه ست سنين وشهوراً ، قال له المأمون : أنت الخليفةُ الأسود، فأخذ في الاعتذار والاستغفار، وقال له : أنا الذي مننتَ عليه بالعفو ، وأنشد المأمونَ عند ذلك :

ليسَ يُزْري السَّوادُ بالرَّجُلِ الشَّهْـ ـمِ ولا بـالفتـى الأديـبِ الأريـبِ
إن يكنْ للسَّوادِ منكَ نصيبٌ[4] فبيـاضُ الأخـلاقِ منـكَ نصيبـي

قال القاضي ابن خلكان[5] : وقد نظم هذا المعنى بعضُ المتأخرين وهو نصر الله[6] بن قلاقس الإسكندري فقال :

---

(١) زيادة من ط .
(٢) « الخِلْعَةُ » : ما تخعله من الثِّياب ونحوها . ويقال : خَلَعَ عليه خِلْعَة : أعطاه أو ألبسه إياها .
(٣) في ظ ، ب : لبس .
(٤) في آ : إن يكن السواد منك نصيباً ، وما أثبته من : ظا ، ب ، ط .
(٥) وفيات الأعيان (١/ ٤١) والأبيات جميعاً فيه .
(٦) هو نصر بن عبد الله بن مخلوف اللخمي ، أبو الفتوح ، المعروف بابن قلاقس الإسكندري . شاعر ، نبيل ، من كبار الكتاب المترسلين ، وديوانه مشهور . مات سنة ٥٦٧هـ .

ربَّ سوداءَ وهي بيضاءُ فِعْلٍ ... حَسَدَ المسكَ عندها الكافُورُ

مثلُ حبِّ العيونِ يحسَبُهُ النَّا ... سُ سَواداً وإنَّما هُوَ نورُ

وكان المأمون قد شاور في قتل عمه إبراهيم بن المهدي ، فقال له أحمد بن أبي خالد ، الوزير الأحول : يا أمير المؤمنين ، إنْ قتلْتَه فَلَكَ نُظراء ، وإنْ عفوْتَ عنه فما لَكَ نظيرٌ .

ثمَّ شرع المأمون في بناء قصورٍ على دجلة إلى جانب قصره بها ، وسكنت الفتن وانزاحت الشرور ، وأمر بمقاسمة أهل سواد العراق على الخُمسين ، وكانوا يقاسَمون على النصف . واتخذ القفيز[١] الملحم ، وهو عشرة مكاكي بالمَكُّوك[٢] الهاروني ، ووضَعَ شيئاً كثيراً من خَراجات بلاد شتى ، ورفق بالناس في مواضعَ كثيرةٍ ، وولَّى أخاه أبا عيسى بنَ الرشيد الكوفةَ ، وولَّى أخاه صالحاً البصرةَ ، وولَّى عبيد الله بنَ الحسن بن عُبيد الله[٣] بن العباس بن علي بن أبي طالب نيابةَ الحرَمين ، وهو الذي حجَّ بالناس في هذه السنة .

وفيها : واقع يحيى بن معاذ بابَك الخُرَّمي فلم يظفر به .

فيها : توفي جماعة من الأعيان ، منهم :

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي[٤] : وقد أفردنا له ترجمةً مطولة في أوَّل كتابنا « طبقات الشافعيين » ، ولنذكر هاهنا ملخصاً من ذلك ، وبالله المستعان .

هو الإمام العالم أبو عبد الله بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السَّائب بن عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المُطَّلب بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ ، القرشي المطلبي ، والسَّائب بن يزيد أسلم يوم بدر ، وابنه شافع بن السَّائب من صغار الصحابة ، وأمُّه أزدية . وقد رأت حين حملت بالشافعي كأنَّ المشتري خرج من فرجها حتى انقضَّ بمصر ، ثم وقع في كل بلدٍ [منه][٥] شَظِيَّةٌ .

= معجم الأدباء (١٩/ ٢٢٦) ، وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٤٦) ، حوادث سنة ٥٦٧ والأعلام (٨/ ٢٤) ، وفي الأخير ترجمة مطولة له .

(١) « القَفيز » : مكيال ، وهو ثمانية مكاكيك عند أهل العراق ، والجمع أقفزة .

(٢) « المَكُّوك » : مكيال ، صاع ونصف ، والجمع مكاكيك ، وربَّما قيل : مَكَاكِيُّ ، على البدل كراهية التضعيف ، ومنعه ابن الأنباري . المصباح المنير ، واللسان .

(٣) في ط : « عبيد الله بن الحسين بن عبد الله » ، تحريف ، وما أثبتناه كما في تاريخ الطبري (٨/ ٥٧٦) .

(٤) ترجمته ومصادرها في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥-٩٩) . وترجمه الفاسي في العقد الثمين مرتين (٥/ ٣٠٥) فسمى أباه « الحسن » مرة ، و« الحسين » مرة أخرى ، وهو ينقل من تاريخ الطبري ، وسيأتي اسم أبيه « الحسن » في أحداث سنة ٢٠٥هـ .

(٥) زيادة في ب ، ظا .

وقد ولد الشافعي بغزة ، وقيل : بعَسْقَلان ، وقيل : باليمن سنة خمسين ومئة ، ومات أبوه وهو صغير ، فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين لئلا يضيع نسبُه ، فنشأ بها ، وقرأ القرآن وهو ابنُ سبع [سنين][١] ، وحفظ « الموطأ » وهو ابنُ عشر ، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة . وقيل : ابن ثماني عشرة سنة ، أذِنَ له شيخهُ مسلم بن خالد الزَّنجيُّ[٢] ، وعُني باللغة والشعر ، وأقام في هذيل نحواً من عشر سنين ، وقيل : عشرين سنة ، فتعلَّم منهم لغاتِ العربِ وفصاحتها ، وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة ، وقرأ بنفسه « الموطَّأ » على مالك من حفظه ، وأعجبته قراءته وهِمَّته ، [وأخذ عنه علم الحجاز من بعد أخذه عن مسلم بن خالد][٣] .

وأخذ عنه خلقٌ كثيرٌ قد ذكرنا[٤] أسماءهم مرتبين على حروف المعجم .

وقرأ القرآن على إسماعيل بن قُسْطَنطين ، عن شِبْلٍ ، عن ابن كثير ، عن مجاهدٍ ، عن ابن عبّاس ، عن أُبيّ بن كعبٍ ، عن رسول الله ﷺ ، عن جبريلَ ، عن الله عز وجل .

وأخذ الشافعيُّ الفقه عن مسلم بن خالد ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء ، عن ابن عباس وابن الزبير وغيرهما ، عن جماعة من الصحابة ؛ منهم : عمر وعلي[٥] وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم . وكلُّهم عن رسول الله ﷺ . وتفقَّه أيضاً على مالك عن مشايخه .

وتفقَّه به جماعةٌ قد ذكرناهم ومَن بعدهم إلى زماننا في تصنيفٍ مفردٍ ، ولله الحمد والمنَّة .

وقد روى ابنُ أبي حاتم ، عن أبي بشر الدولابي ، عن محمد بن إدريس ورَّاقِ الحُميدي ، عن الحُميدي ، عن الشافعيِّ : أنَّه ولي الحكم بنجران من أرض اليمن ، ثم تعصَّبوا عليه ووشَوْا به إلى الرشيد هارون أنه يَرُومُ الخلافة ، فحُمِلَ على بغلٍ في قيدٍ إلى بغداد ، فدخلها في سنة أربعٍ وثمانين وعمرُه ثلاثون سنةً ، فاجتمع بالرشيد ، فتناظر هو ومحمد بن الحسن[٦] بين يديه ، وأحسن القولَ فيه محمد بن

---

(١) زيادة في ب ، ظا .

(٢) مسلم بن خالد بن مسلم بن سعيد ، المخزوميّ مولاهم ، الزَّنجيّ ، المكّي ، فقيه صدوق ، كثير الأوهام في الحديث . كان أبيض بحمرة ، ولقب بالزَّنجي لحبه للتمر . قالت له جاريته : ما أنت إلا زنجيّ . وبه تفقه الإمام الشافعي قبل أن يلقى مالكاً ، وقد أذِن له بالإفتاء . توفي سنة ١٧٩هـ . سير أعلام النبلاء (٨/ ١٥٨) ، والأعلام (٧/ ٢٢٢) .

(٣) زيادة في ب ، ظا .

(٤) في ظا ، ب : سردنا .

(٥) في ط : عمرو بن علي وهو تصحيف .

(٦) هو محمد بن الحسن بن فرقد ، أبو عبد الله الشيباني ، فقيه العراق ، صاحب أبي حنيفة . ترجم له المؤلف في حوادث سنة ١٨٩ .

الحسن ، وتبين للرشيد براءته مما نُسب إليه ، وأنزله محمد بن الحسن عنده . وكان أبو يوسف[١] قد مات قبل ذلك بسنة ، وقيل : بسنتين . وأكرمه[٢] محمد بن الحسن وكتب عنه الشافعيُّ وِقْرَ بعيرٍ ، ثم أطلق له الرشيدُ ألفي دينارٍ ، وقيل : خمسة آلاف دينار .

وعاد الشافعيُّ إلى مكَّةَ ، ففرَّق عامة ما حصل له في أهله وذوي رَحِمِهِ من بني عمِّه .

ثم عاد الشافعيُّ إلى بغداد في سنة خمس وتسعين ومئة ، فاجتمع به جماعةٌ من العلماء هذه المرة ، منهم : أحمد بن حنبل ، وأبو ثور[٣] ، والحسين بن علي الكَرابيسي ، والحارث بن سُريج النَّقَّال[٤] ، وأبو عبد الرحمن الشافعي ، والزَّعفراني ، وغيرهم .

ثم رجع إلى مكة ، ورجع إلى بغداد أيضاً ، سنة ثمان وتسعين ومئة ، ثم انتقل منها إلى مصر فأقام بها إلى أن مات في سنة أربع ومئتين ، كما سيأتي .

وصنف بها كتابه « الأم » فهو من كتبه الجديدة ؛ لأنَّها من رواية الرَّبيع بن سليمان ، وهو مصري . وقد زعم إمام الحرمين[٥] وغيرُه أنَّها من القديم ، وهذا بعيدٌ وعجيب من مثله ، والله أعلم .

وقد أثنى على الشافعي غيرُ واحدٍ من كبار الأئمة ، منهم : عبدُ الرحمن بن مهدي[٦] ، وسأله أن يكتب له كتاباً في الأصول فكتب له « الرسالة »[٧] ، فكان يدعو له في صلاته دائماً ، وشيخُه مالك بن

---

(١) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري ، الكوفي ، القاضي أبو يوسف ، صاحب الإمام أبي حنيفة . ترجم له المؤلف في حوادث سنة ١٨٢ .

(٢) في آ وأدبه .

(٣) هو إبراهيم بن خالد الكلبي ، أبو ثور ، الفقيه المشهور ، ت٢٤٠هـ .

(٤) في آ : الحارث بن شريح القفال وفي ظا ، ط البقال ، وهو الحارث بن سريج النقّال ، أبو عمر ، خوارزمي الأصل ، أحد الفقهاء ، متهم في الحديث . تاريخ بغداد (١٨/ ٢٠٩) ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٣٣) .

(٥) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، الملقب بإمام الحرمين ؛ لمجاورته بمكة أربع سنين . أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، توفي سنة ٤٧٨هـ .

(٦) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ، أبو سعيد العنبري ، اللؤلؤي . من كبار حفاظ الحديث ؛ قال الشافعي : لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن . توفي سنة ١٩٨هـ . سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢ـ٢٠٩) .

(٧) في الأصول : بالرسالة ، وأثبت ما في ط . وكتاب « الرسالة » في أصول الفقه ، مطبوع . وكتب الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٤) ما نصه : كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي ، وهو شاب ، أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ، ويجمع قبول الأخبار ، وحُجّة الإجماع ، وبيان الناسخ والمنسوخ ، فوضع له كتاب الرسالة .
وفي هامش التحقيق : وهي الرسالة القديمة التي كتبت عنه بالعراق ، وأرسلها إلى عبد الرحمن بن مهدي مع الحارث بن سُريج النقّال الخوارزمي ، ثم البغدادي ، وبسبب ذلك سمي النقّال . وهذه الرسالة القديمة غير معروفة ، وليس في أيدي الناس الآن غير الرسالة الجديدة المطبوعة طبعة جيدة بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله .

أنس ، وقتيبةُ بن سعيد[١] ؛ وقال : هو إمام [سنّة][٢] ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطّان ، وكان يدعو له في صلاته ، وأبو عُبَيد[٣] ؛ وقال : ما رأيت أفصحَ ولا أعقلَ ، ولا أورَعَ من الشافعي ، ويحيى بن أكثم القاضي ، وإسحاق بن رَاهَوَيه ، ومحمد بن الحسن ، وغيرُ واحد ممن يطولُ ذِكرهم وشرح أقوالهم[٤] .

وكان أحمدُ بن حنبل يدعو له في صلاته نحواً من أربعين سنة ، وكان أحمدُ يقولُ في الحديث الذي رواه أبو داودُ[٥] من طريق عبد الله بن وَهْب ، عن سعيد بن أبي أيوب ، عن شراحيل بن يزيد ، عن أبي علقمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « إنَّ اللهَ يبعَثُ لهذه الأُمَّةِ على رأسِ كُلِّ مئة سَنَةٍ من يُجدِّدُ لها أَمْرَ دِينِها »[٦] . قال : فعُمَرُ بنُ عبد العزيز على رأسِ المئة ، والشافعيُّ على رأس المئتين .

وقال أبو داود الطيالسيُّ[٧] : حدثنا جعفرُ بن سليمان ، عن النَّضر بن معبد[٨] الكندي ـ أو العبدي ـ عن الجارودُ[٩] ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا تَسُبُّوا قُريشاً ، فإنَّ عالِمَها يملأ الأرضَ علماً ، اللهم إنَّك أذقْتَ أوَّلَها عَذَاباً ، أو وبالاً ، فأذِقْ آخرَها نَوالاً » . هذا غريبٌ من هذا الوجه[١٠] .

(١) قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي أبو رجاء البغلاني . شيخ الإسلام ، المحدث الإمام ، الثقة ، مات سنة ٢٤٠هـ . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣ـ٢٤) .
(٢) زيادة من ظا ، ب .
(٣) أبو عبيد ، القاسم بن سلام الهروي ، أحد أئمة اللغة والفقه والحديث والقرآن وغيرها . مات سنة ٢٢٤هـ .
(٤) كثيرون هم الذين ترجموا للإمام الشافعي وكتبوا عنه ذاكرين مناقبه وسيرته رحمه الله ؛ منهم على سبيل المثال : البيهقي وله « مناقب الشافعي » ، والرازي وله أيضاً « مناقب الشافعي » ، والسبكي في « طبقات الشافعية » وابن الجوزي في « صفة الصفوة » ، ولابن حجر العسقلاني « توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس » . وغير ذلك .
(٥) سنن أبي داود (٤٢٩١) في الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المئة ، وهو حديث صحيح .
(٦) وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل (١/ ١٢٣) ، والحاكم (٤/ ٥٢٢) ، والبيهقي في المعرفة ٥٢ ، والخطيب في تاريخ مدينة السلام (ط . د . بشار) من طريق سعيد بن أبي أيوب ، به . وإسناده حسن ، وشرح معناه في جامع الأصول (١١/ ٣٢٠) (بشار) .
(٧) مسند الطيالسي (٣١٠) .
(٨) هكذا في النسخ ، وهو كذلك في مسند الطيالسي ، وحلية الأولياء ، وتاريخ الخطيب ، وتاريخ دمشق ، وتهذيب الكمال . ووقع في ضعفاء العقيلي (٤/ ٢٨٩) والجرح والتعديل (٨/ الترجمة ٢١٨٤) ، وميزان الاعتدال (٤/ الترجمة ٩٠٦٠) « حميد » ، ومهما يكن فهو متروك لا يفرح به (بشار) .
(٩) هكذا ورد اسمه في النسخ كافة ، وفي عدد من مصادر التخريج ، وهو وهم من بعض رواة الحديث حيث أسقط لفظة « أبي » منه ، والصواب « أبو الجارود » وهو زياد بن المنذر الكوفي ، كذبه يحيى بن معين ، كما في التقريب لابن حجر .
(١٠) وأخرجه أيضاً العقيلي في الضعفاء (٤/ ٢٨٩)؛ وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٥٩)؛ و(٩/ ٦٥) والخطيب البغدادي في=

وقد رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه[١] .

قال أبو نُعيم عبد الملك بن محمد الإسفراييني : لا ينطبق هذا إلا على محمد بن إدريس الشافعيِّ ؛ حكاه الخطيب .

وقال يحيى بن مُعين : صدوقٌ لا بأس به[٢] .

وقال مرَّةً : لو كان الكذبُ له مطلقاً لكانت مروءته تمنعه من أن يكذبَ[٣] .

وقال[٤] ابنُ أبي حاتم : سمعتُ أبي يقولُ : الشافعيُّ فقيه البدن ، صدوقُ اللسان .

وحكى بعضُهم عن أبي زُرْعَة ، أنَّه قال : ما عندَ الشافعيِّ حديثٌ غَلِطَ فيه[٥] .

وحُكي عن أبي داود نحوه[٦] .

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خُزَيمة ـ وقد سئل : هل سنة لم تبلغ الشافعيَّ؟ ـ فقال لا[٧] .

ومعنى هذا : أنها تبلغه تارة بسندها ، وتارة مرسلةً ، وتارة منقطعةً ، كما هو الموجود في كتبه ، والله أعلم .

وقال حَرْمَلَةُ : سمعتُ الشافعيَّ يقول : سُمِّيتُ ببغداد ناصِرَ السنة[٨] .

= تاريخه (٢/ ٣٩٨) (ط . د . بشار) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/ ٣٢٦) ، والمزي في تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٦٣) من طريق النضر الكندي ، به وإسناده ضعيف جداً ، لكن قوله في آخر الحديث : « اللهم ، إنك أذقت أولها عذاباً أو وبالا ، فأذق آخرها نوالا » رواه الترمذي رقم (٣٩٠٨) وأحمد في المسند (١/ ٢٤٢) من حديث ابن عباس . وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وله شاهد من حديث ابن عمر في مسند الشهاب للقضاعي (٢/ ٣٤١) ، فهذه الزيادة ثابتة ، ولكن أول الحديث « لا تسبوا قريشاً ، فإن عالمها يملأ الأرض علماً » ضعيف جداً كما تقدم .

(١) لم أجده عند الحاكم .

(٢) الحلية (٩/ ٩٧) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧) .

(٣) في آ: من الكذب . معجم الأدباء (١٧/ ٣١٤) .

(٤) من هنا حتى قوله: صدوق اللسان لم يرد في ظا ، ب .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧) .

(٦) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧)

(٧) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤) أن يحيى بن منصور القاضي ، قال: سمعت إمامَ الأئمة ابنَ خزيمة يقول ، وقلت له: هل تعرف سنةً لرسول الله ﷺ في الحلال والحرام لم يُودعها الشافعيُّ كتبَه ؟ قال: لا .

(٨) تاريخ بغداد (٢/ ٦٨) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧) .

وقال أبو ثَوْرٍ : ما رأينا مثلَ الشافعيِّ ، ولا رأى هو مثلَ نفسِهِ[١] . وكذا قال الزَّعْفَرَانيُّ وغيرُ واحد .

وقال داود بن علي الظاهريُّ[٢] في كتابٍ جَمعه في فضائل الشافعي : للشافعيِّ من الفضائل ما لم يجتمع لغيره ؛ من شرفِ نسبِهِ ، وصحة دِينه ومعتقده[٣] ، وسخاوةِ نفسِه ، ومعرفته بصحة الحديث وسقمه ، وناسخه ومنسوخه ، وحفظِه الكتابَ والسنَّةَ وسيرةَ الخلفاءِ ، وحسنِ التصنيف ، وجودةِ الأصحابِ والتلامذة ، مثلِ أحمد بن حنبل في زهده وورعه ، وإقامته على السنة . ثم سَرَد أعيانَ أصحابه من البغاددة والمصريين . وكذا عدَّ أبو داود في جملة تلامذته في الفقه : أحمد بن حنبل .

وقد كان الشافعيُّ ـ رحمه الله ـ من أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة ، وأشدِّ النَّاس انتزاعاً للدلائل منهما .

وكان من أحسن النَّاس قصداً وإخلاصاً ، كان يقولُ : وددْتُ : أنَّ النَّاس تعلموا هذا العلمَ ولا يُنسبُ إليَّ منه شيءٌ أبداً ، فأُوْجَرُ عليه ولا يَحمدوني[٤] .

وقد قال غيرُ واحدٍ عنه : إذا صحَّ عندكم الحديثُ عن رسول الله ﷺ فقولوا به ودعوا قولي ، فإني أقولُ به ، وإن لم تسمعوه منِّي[٥] .

وفي رواية : فلا تقلِّدُوني .

وفي رواية : فلا تلتفتوا إلى قولي .

[وفي رواية : فاضرِبُوا بقولي عُرْضَ الحائطِ ، فلا قولَ لي مع رسول الله ﷺ][٦] .

وقال : لأنْ يَلقى اللهَ المرْءُ[٧] بكل ذنبٍ ما خلا الشرك باللهِ ، خيرٌ له من أن يَلْقَاه بشيءٍ من الأهواء .

وفي رواية : خيرٌ له من أن يلقاه بعلمِ الكلام .

وقال : لو علِمَ النَّاس ما في الكلام من الأهواء لفرُّوا منه كما يُفَرُّ مِنَ الأسدِ .

---

(١) تاريخ ابن عساكر (١٤/ ٤١١) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦) .
(٢) أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام ، تنسب إليه الطائفة الظاهرية ، سميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة ، وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس . توفي سنة ٢٧٠هـ ، وسيترجم له المؤلف في تلك السنة .
(٣) في ب ، ظا: ومعرفته . والخبر في معجم الأدباء (١٧/ ٣١٥) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥)
(٥) المصدر السابق .
(٦) ما بين قوسين زيادة من ط فقط . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣ـ٣٥) .
(٧) في ط وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦): العبد .

وقال أيضاً : حكمي في أهلِ الكلام أن [يُضربوا بالجَريد](١) ، ويُطافَ بهم في القبائل ، ويُنادى عليهم : هذا جزاءُ من ترك الكتاب والسنة ، وأقبلَ على الكلام .

وقال البُوَيْطيُّ : سمعت الشافعيَّ يقولُ : عليكم بأصحاب الحديث فإنَّهم أكثرُ الناس صواباً .

وكان يقول : إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث فكأنَّما رأيتُ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ وجزاهم الله خيراً ، حفظوا لنا الأصلَ ، فلهم علينا الفضل(٢) . ومن شعره في هذا المعنى قولُه(٣) :

كُلُّ العُلومِ سِوَى القرآنِ مَشغلةٌ ... إلا الحديثَ وإلا الفقهَ في الدِّينِ
العلمُ ما كانَ فيهِ قالَ حدَّثنا ... وما سِوى ذاكَ وَسواسُ الشَّياطينِ

وكان يقول : القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ ، ومَن قال مخلوقٌ فهو كافر(٤) . وقد روى عنه الربيعُ وغيرُ واحدٍ من رؤوس أصحابه ما يدُلُّ على أنه كان يُمرُّ آياتِ الصِّفات وأحاديثَها كما جاءت من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ، ولا تحريف ، على طريقة السَّلف .

وقال ابنُ خُزيمة : أنشدني المُزنيُّ ، قال : أنشدنا الشافعيُّ لنفسه(٥) :

فما شئتَ كانَ وإنْ لم أشأْ ... وما شئتُ إنْ لم تَشأْ لم يكنْ
خَلَقْتَ العِبادَ على ما علمْتَ ... ففي العلم يجري الفتَى والمُسِنّ
فمنهم شقيٌّ ومنهمْ سعيدٌ ... ومنهمْ قبيحٌ ومنهمْ حَسَنْ
على ذا مَنَنْتَ وهذا خذَلْتَ ... وهذا أعنْتَ وذا لم تُعِنْ

وقال الربيعُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : أفضلُ الناس بعدَ رسولِ الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي .

وعن الربيع ، قال : أنشدنا الشافعيُّ(٦) :

قد نفَّرَ(٧) الناس حتَّى أحدثوا بِدَعاً ... في الدِّينِ بالرأي لم تُبعَثْ بها الرُّسُلُ

---

(١) زيادة من ط وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩) . و« الجَريد » : جمع جريدة ، وهي السَّعَفَة التي تقشر من خوصها .
(٢) حلية الأولياء (٩/ ١٠٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٠) .
(٣) طبقات الشافعية للسبكي (١/ ٢٩٧) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨ـ٣٠) .
(٥) طبقات الشافعية للسبكي (١/ ٢٩٥) ، وابن عساكر (١٤/ ٤٠٦ـ٤٠٧) ، ومناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤١٢ و٢/ ١٠٩) .
(٦) ابن عساكر (١٠/ ١٩٠) ، ومناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٧١) وفي الأخير : لم يبرح الناس .
(٧) في ط : عوج .

حتَّـى استخَـفَّ بحـقِّ اللهِ أكثـرُهـمْ وفـي الـذي حُمِّلُـوا مـن حقِّـهِ شُغُـلُ

وقد ذكرنا من شعره في السُّنّة وكلامه فيها وفي الحِكم والمواعظ طرفاً صالحاً في الذي كتبناه في أول « طبقات الشافعية » .

وقد كانت وفاتُه بمصرَ يومَ الخميس ، وقيل : يوم الجمعة ، في آخر يومٍ من رجبَ سنة أربعٍ ومئتين ، عن أربع وخمسين سنة .

وكان أبيضَ جميلاً ، طويلاً ، مَهيباً ، يخضِبُ بالحِنَّاء ، مخالفاً للشيعة ، رحمه الله ، وأكرَمَ مثواه[١] .

وممن توفي فيها أيضاً :

إسحاق بن الفُرات[٢] .

وأشْهَبُ بن عبد العزيز المصريُّ المالكيُّ[٣] .

والحسنُ بن زياد اللؤلؤي الكوفي الحنفي[٤] .

وأبو داود سليمان بن داود الطَّيالسي صاحبُ المسند[٥] ، أحد الحفاظ .

وأبو بدر شُجاع بن الوليد[٦] .

وأبو بكر الحنفي ، عبدُ الكبير[٧] .

---

(١) وفيات الأعيان (٤/ ١٦٥) .

(٢) إسحاق بن الفُرات بن الجَعْد ، أبو نُعَيم التُّجيبيُّ ، فقيه الديار المصرية وقاضيها ، تلميذ الإمام مالك . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٣) .

(٣) أشهب بن عبد العزيز بن داود ، أبو عمرو القيسي ، يقال : اسمه ، مِسكين ، وأشهب لقبٌ له . مفتي مصر ، فقيه ، ثقة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٠) .

(٤) هو أبو علي الأنصاري ، صاحب أبي حنيفة ، فقيه العراق ، أحد الأذكياء البارعين في الرأي . تاريخ بغداد (٧/ ٣١٤) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٤٣) .

(٥) سليمان بن داود بن الجارود ، أبو داود الطيالسي البصري ، ثقة حافظ ، غلط في أحاديث . سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٧٨) ، وتقريب التهذيب (١/ ٣٢٣) .

(٦) شجاع بن الوليد بن قيس السَّكوني ، أبو بدر الكوفي ، نزيل بغداد ، كثير الصلاة والورع ، صدوق ، له أوهام .

(٧) في ط وعبد الكريم ، خطأ . وهو عبد الكبير بن عبد المجيد البصري ، من أئمة الحديث . وثقه أحمد بن حنبل وغيره .
سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٨٩) .

وعبد الوهَّاب بن عطاء الخفَّاف[١] .

والنَّضْر بن شُمَيل ، أحدُ أئمة اللغة[٢] .

وهشامُ بن محمد بن السَّائب الكلبي ، أحدُ علماء التاريخ[٣] .

ثم دخلت سنة خمس ومئتين

فيها : ولَّى المأمون طاهر بن الحسين بن مصعب نيابةَ بغداد والعراق وخراسان إلى أقصى عملِ المشرق ، ورضي عنه ، ورفَعَ منزلته جداً ، وذلك لمرض الحسن بن سهل بالسَّوداء . وولَّى المأمون مكان طاهر على الرقة والجزيرة يحيى بن معاذ .

فقد عبدُ الله[٤] بن طاهر بن الحسين إلى بغداد في هذه السنة ، وكان أبوه قد استخلفه على الرقة وأمره بمقاتلة نَصْر بن شَبَث[٥] .

وولَّى عيسى بن محمد بن أبي خالد أذربيجان وأرمينية ، وأمره بمحاربة بابَك الخرّمي .

وولَّى عيسى بن يزيد الجُلوديَّ مقاتلة الزُّطّ .

ومات نائبُ مصر السَّريُّ بن الحكم بها ، ونائبُ السند داودُ بن يزيد ، فولَّى مكانه بشرَ بن داود ، على أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم .

---

(١) هو أبو نصر البصري الخفَّاف ، مولى بني عجل ، إمام ، صدوق ، عابد ، محدِّث ، ربما أخطأ . سكن بغداد . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٥١) ، تقريب التهذيب (١/ ٥٢٨) .

(٢) النَّضْر بن شُمَيْل بن خَرَشَة بن يزيد المازني التميمي ، أبو الحسن . أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة ، اتصل بالمأمون العبَّاسي فأكرمه ، وقرَّبه ، توفي بمرو . إنباه الرواة (٣/ ٣٤٨) ، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣٢٨) .

(٣) هو هشام بن محمد بن السَّائب بن بشر الكلبي ، أبو المنذر . مؤرخ ، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها ، كأبيه محمد بن السّائب . وتصانيفه جمّة ، يقال : بلغت مئة وخمسين مصنفاً ، ذكر منها ابن النديم في فهرسه مئة وأربعة وأربعين كتاباً . من كتبه : جمهرة الأنساب ، والأصنام ، ونسب الخيل ، وغير ذلك .
الفهرست (١٠٨) ، وتاريخ بغداد (١٤/ ٤٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠١) .

(٤) في آ : طاهر بن عبد الله بن الحسين ، وهو تحريف .

(٥) في آ : ظا : شيب ، خطأ . وهو نصر بن شَبَث العقيلي ، ثائر للعصبية العربية ، من بني عقيل ، وكانت إقامته في كَيْسوم بشمالي حلب ، وحاصره عبد الله بن طاهر ، وانتهى أمره بالاستسلام ، وسير إلى بغداد سنة ٢١٠هـ ، ولا يعلم ما آل إليه أمره بعد ذلك . الطبري (٨/ ٥٨٠ ، ٥٩٨) والأعلام (٨/ ٢٣) .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبيدُ الله بن الحسن[١] ، نائب الحرمين الشريفين .

وتوفي فيها من الأعيان :

إسحاق بن منصور السَّلُوليُّ[٢] .

وَبِشْرُ بن بكر الدِّمشقيُّ[٣] .

وأبو عامر العَقَديّ[٤] .

ومحمد بن عُبيد الطَّنافسيّ[٥] .

ويعقوب الحضرميُّ[٦] .

وأبو سليمان الدَّاراني[٧] : عبد الرحمن بن أحمد بن عطية ، وقيل : عبد الرحمن بن عَطِيَّة ، وقيل : عبد الرحمن بن عَسْكَر ، أبو سليمان الدَّارانيُّ ، أحدُ أئمة العلماء العاملين ، أصله من واسط ، وسكن قرية غربي دمشق يُقال لها : داريَّا .

وقد سمع الحديثَ من سفيان الثوريِّ وغيره ، ورَوى عنه أحمدُ بن أبي الحواري وجماعة .

وأسند الحافظُ ابنُ عساكر من طريقه ، قال : سمعت عليَّ بن الحسن بن أبي الربيع الزاهد ، يقول : سمعت إبراهيمَ بنَ أدهم ، يقول : سمعت ابنَ عجلانَ يذكُرُ عن القَعْقَاع بن حكيم ، [عن أبي صالح][٨]

---

(١) في آ : الحسين ، وأثبت ما جاء في ظا ، ب والطبري .

(٢) إسحاق بن منصور السَّلُوليُّ ، أبو عبد الرحمن الكوفيُّ . صدوق ، تكلم فيه للتشيع . تهذيب الكمال (٢/ ٤٧٨) وتقريب التهذيب (١/ ٦١) .

(٣) بِشر بن بكر ، أبو عبد الله البَجَليّ الدِّمشقي ، التِّنِّيسي ، الإمام الحجّة ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٧) .

(٤) هو عبد الملك بن عمرو القيسي العَقَديّ ، البصري ، أبو عامر . محدِّث البصرة ، الحافظ ، ثقة مأمون . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٦٩) .

(٥) محمد بن عبيد بن أبي أُميَّة الطَّنافِسيّ ، الكوفي ، الأحدب ، ثقة ، يحفظ . تقريب التهذيب (٢/ ١٨٨) .

(٦) في ط : يعقوب الحضري ، تحريف . وهو يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي ، أبو محمد المقرىء ، صدوق . تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٥) .

(٧) له ترجمة في تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني ص٥١ وطبقات الصوفية (ص٧٥) ، وحلية الأولياء (٩/ ٢٥٤) ، وتاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٨) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢) ، وشذرات الذهب (٢/ ١٣) ، وقد اختلف في سنة وفاته ، فقيل : سنة ٢١٥ ، وقيل : سنة ٢٠٥ ، وقيل غير ذلك .

(٨) ما بين قوسين لم يرد في آ ، ط وأثبت من ظا ، ب و« ابن عساكر » ، وهو أبو صالح السمَّان ، واسمه ذكوان ، المدني ، الزيات ، ثقة ، ثبت مات سنة ١٠١هـ . تقريب التهذيب (١/ ٢٣٨) . ابن عساكر المجلد الأربعون (ص٧٧) .

عن أنسِ بن مالك ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ صلَّى قبلَ الظهر أربعاً غُفِرَت ذنوبُه يومَه ذلكَ »[(١)] .

وقال أبو القاسم القشيريُّ : حُكي عن أبي سليمان الداراني ، قال : اختلفْتُ إلى مجلسِ قاصٍّ ، فأثَّر كلامُه في قلبي ، فلمَّا قمتُ لم يبقَ في قلبي شيءٌ ، فعدت إليه ثانيةً ، فأثَّر كلامُه في قلبي بعدما قُمْتُ وفي الطريق ؛ ثم عُدْت ثالثةً ، فبقي أثرُ كلامِه في قلبي حتَّى رجعت إلى منزلي ، فكسرْتُ آلات المخالفات ، ولزمت الطريق[(٢)] .

فحُكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ ، فقال : عصفورٌ اصطادَ كُرْكِياً[(٣)] ، يعني بالعصفور : القاصَّ ، وبالكُرْكيِّ : أبا سليمان الداراني[(٤)] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان ، يقول : ليس لمن أُلهمَ شيئاً من الخير أن يعملَ به حتى يسمَعَهُ من الأثَرَ ، فإذا سمعه من الأثر عمِل به ، وحمدَ اللهَ حين وافق ما في قلبه[(٥)] .

وقال الجُنَيْد : قال أبو سليمان الدّارانيُّ : ربَّما يَقَعُ في قلبي النُّكْتةُ مِن نُكَتِ القومِ أياماً ، فلا أَقْبَلُ منه إلا بشاهدين عَدْلين : الكتابِ والسُّنَّة[(٦)] .

قال : وقال أبو سليمان : أفضلُ الأعمال خلافُ هوى النَّفْس[(٧)] .

وقال : لِكُلِّ شيء عَلَمٌ ، وَعَلَمُ الخِذْلانِ تركُ البكاء[(٨)] .

وقال : لِكُلِّ شيءٍ صَدَأٌ ، وصَدَأُ نورِ القلب شِبَعُ البَطْنِ[(٩)] .

---

(١) وأخرجه أيضاً الخطيب البغدادي (١٠/ ٢٤٨) .
وفي سنده (محمد بن عمر بن الفضل) قال الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » (٣/ ٦٧١) عنه : اتهم بالكذب ، قال : وقال ابن أبي الفوارس : وكان كذاباً وانظر « زوائد تاريخ بغداد » رقم (١٥٢٥) ويغني عنه حديث « من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر ، وأربع بعدها ، حرَّمه الله على النار » رواه أبو داود رقم (١٢٦٩) والترمذي (٤٢٨) من حديث أم حبيبة وقال الترمذي : حديث صحيح .

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، المجلد الأربعون (ص٨٠) وطبقات الأولياء (٣٨٨) .

(٣) « الكُرْكيّ » طائر كبير ، أغبر اللون ، طويل العنق والرجلين ، أبتر الذنَب ، قليل اللحم ، يأوي إلى الماء أحياناً . جمع كَراكيّ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، المجلد الأربعون ص(٨٠) ، وطبقات الأولياء (٣٨٨) .

(٥) في ط عمل به ، فكان نوراً على نور . والخبر في تاريخ ابن عساكر المجلد الأربعون (ص٨٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٣) .

(٦) تاريخ ابن عساكر المجلد الأربعون (ص٨٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٣) ، والحاشية (٣) .

(٧) ابن عساكر المجلد ٤٠(ص٨٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٣) .

(٨) ابن عساكر المجلد ٤٠ (ص٨٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٣) .

(٩) المصدر السابق .

وقال : كُلُّ ما شَغَلَكَ عن الله من أهلٍ ، أو مالٍ ، أو ولدٍ ، فهو عليك مشؤوم[(١)] .

وقال : كنتُ ليلةً في المحراب أدعو ويداي ممدودتان ، فغلبني البَرْدُ ، فضممْتُ إحداهما وبقيت الأخرى مبسوطةً أدعو بها ، وغلبتْني عيني فنمت ، فهَتَفَ بي هاتفٌ : يا أبا سليمان : قد وضَعْنا في هذه ما أصَابَها ، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها . قال : فآلَيْتُ على نفسي ألا أدعوَ إلا ويداي خارجتان ، حَرّاً كان أو برداً[(٢)] .

وقال أبو سليمان : نمت ليلةً عن وِرْدِي ، فإذا أنا بحوراءَ تقولُ لي : تنام وأنا أُرَبَّى لكَ في الخُدورِ منذ خمسمئة عام[(٣)] ؟

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان ، يقول : إنَّ في الجنة أنهاراً على شاطئيها خيامٌ فيهن الحُور ، ينشىء الله خلق إحداهن[(٤)] إنشاءً فإذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهن الخيامَ ، جالسة[(٥)] على كرسي ميل في ميل ، قد خرج[(٦)] عَجيزتُها من جوانب الكرسيّ ، فيجيء أهلُ الجنة من قصورهم يتنزهون ما شاؤوا ، ثم يخلو كلُّ رجلٍ منهم بواحدة منهن . قال أبو سليمان : كيف يكونُ في الدنيا حالُ منْ يُريد يفتضُّ[(٧)] الأبكار على شاطئ الأنهار في الجنة[(٨)] ؟ .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : ربَّما مكثت خمس ليالٍ لا أقرأ بعد الفاتحة إلا بآيةٍ واحدةٍ أتفكَّر في معانيها ، ولربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل ، فسبحان مَن يردُّه بعد[(٩)] .

وسمعته يقول : أصلُ كُلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرة الخوفُ من الله عز وجلَّ ، ومفتاحُ الدنيا الشِّبَعُ ، ومفتاحُ الآخرة الجوع[(١٠)] .

---

(١) ابن عساكر المجلد ٤٠ (ص٨٢ ، ٨٥) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٤) ، حلية الأولياء (٩/ ٢٦٤) .
(٢) حلية الأولياء (٩/ ٢٥٩) ، وتاريخ ابن عساكر المجلد ٤٠ (ص٨٣) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٤) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) في ط : الحوراء .
(٥) في ط : الواحدة منهن جالسة .
(٦) في ط : وابن عساكر : خرجت .
(٧) في ط : افتضاض .
(٨) تاريخ ابن عساكر ، المجلد ٤٠ ، (ص٩٢) .
(٩) حلية الأولياء (٩/ ٢٦٢) . وتاريخ ابن عساكر (المجلد ٤٠) ، (ص٨٣) .
(١٠) تاريخ ابن عساكر ، المجلد ٤٠ (ص٨٤) .

وقال لي يوماً : يا أحمدُ ، جوعٌ قليلٌ ، وذلٌ قليلٌ ، وعُرْيٌ قليلٌ ، وفقرٌ قليلٌ ، وصبرٌ قليلٌ ، وقد انقضت عنك أيامُ الدنيا[١] .

قال : واشتهى يوماً[٢] رغيفاً حارّاً بملحٍ . قال : فجئته به ، فعضَّ منه عضَّةً ثم طرَحَه ، وأقبل يبكي ، ويقولُ : يا ربّ ، عجّلتَ لي شهوتي ، لقدْ أطلت جهدي وشِقْوتي ، وأنا تائب [فاقبل توبتي][٣] . فلم يذق الملح حتّى لحق بالله عزَّ وجلّ[٤] .

قال : وسمعته يقول : ما رضيتُ عن نفسي طرفة عينٍ ، ولو أنَّ أهلَ الأرض اجتمعوا على أن يَضَعوني كاتِّضاعي[٥] عند نفسي ما أحسنوا[٦] .

وسمعته يقول : مَن رأى لنفسه قيمةً لم يَذُقْ حلاوةَ الخِدْمة[٧] .

[وسمعته يقول : إذا تكلَّفَ المتعبِّدون ألا يتكلموا إلا بالإعراب ذهب الخشوع من قلوبهم][٨] .

[وسمعته يقول : مَنْ حَسُنَ ظنُّه بالله ثم لا يخافُ ، فهو مَخْدوعٌ[٩] .

وقال : ينبغي للخوف أن يكونَ أغلبَ من الرجاء ، فإذا غلب الرجاء على الخوف فَسَدَ القلب[١٠] .

وقال لي يوماً : هل فوقَ الصبر منزلة ؟ فقلت : نعم - يعني : الرضا - فصرخ صرخةً غشي عليه ، ثم أفاق ، فقال : إذا كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب ، فما ظنك بالأخرى[١١] ، وهم الذين رضي عنهم .

وقال أبو سليمان : ما يسرّني أن لي الدنيا من أولها إلى آخرها أنفقه في وجوه البِرِّ ، وأنّي أغفلُ عن الله طرفة عين[١٢] .

---

(١) في آ: جوّع قلبك ، وذلل قلبك ، وعز قلبك ، وفقر قلبك ، وصبر قلبك ، واثبت ما جاء في ظا ، ب ، وابن عساكر المجلد ٤٠ ، (ص٨٦) .
(٢) في ظا ، ب: مرة .
(٣) زيادة من ظا ، ب وابن عساكر .
(٤) تاريخ ابن عساكر ، المجلد الأربعون (ص٨٦) .
(٥) وَضُعَ الرجل يَوْضُع ضَعة بفتح الضاد وكسرها: صار وضيعاً .
(٦) تاريخ ابن عساكر ، المجلد ٤٠ (ص٨٧) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٩) .
(٧) تاريخ ابن عساكر المجلد ٤٠ (ص٨٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٤) .
(٨) زيادة من ظا ، ب وابن عساكر (ص٨٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٤) .
(٩) تاريخ ابن عساكر ، المجلد ٤٠ (ص٨٨) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٦) .
(١٠) ابن عساكر المجلد ٤٠ (ص٩١) .
(١١) تاريخ ابن عساكر ، المجلد ٤٠ (ص٨٨) .
(١٢) ذكره ابن عساكر في تاريخه ، المجلد ٤٠ (ص٨٩) من طريق ابن أبي الدنيا ، عن موسى بن عمران ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٥) .

وقال أبو سليمان : قال زاهدٌ لزاهدٍ : أوْصِني ، فقال : لا يراكَ اللهُ حيثُ نهاكَ ، ولا يفقِدُكَ حيث أمرَكَ . فقال : زِدْني . فقال : ما عندي زيادة[١] .

وقال أيضاً : مَنْ أحسَنَ في نهاره كوفيء في ليله ، ومَنْ أحسَنَ في ليله كوفيء في نهاره ، ومَنْ صَدَقَ في ترك شَهْوةٍ ذَهب[٢] اللهُ بها من قلبه ، والله أكرمُ من أن يعذِّب قلباً في[٣] شهوةٍ تُركت له[٤] .

وقال : إذا سكنت الدنيا القلبَ ترحَّلَتْ منه الآخرة[٥] .

وقال : إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تَزْحَمُها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تَزْحَمْها الآخرة ؛ إنَّ الآخرة كريمةٌ ، والدنيا لئيمة[٦] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : بِتُّ ليلةً عند أبي سليمان ، فسمعته يقول : وعزَّتِك وجلالِك ، لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنَّك بعفوك ، ولئن طالبتني بلؤمي لأطالبنك بسخائك ، ولئن أمرتَ بي إلى النار لأخبرنَّهم أنِّي كنت أحبُّك[٧] .

وكان أبو سليمان يقول : لو شكَّ النَّاسُ كلُّهم في الحق ما شككتُ فيه وحدي[٨] .

وكان يقول : ما خَلق اللهُ خَلْقاً أهونَ عليَّ[٩] من إبليس ، ولولا أنَّ الله أمرني أن أتعوَّذ منه ما تعوذت منه أبداً ، ولو بدا لي ما لطمت إلا صفحةَ وجهه[١٠] .

وكان يقول : إنَّ اللص لا يجيء إلى خربة ينقب حيطانها وهو قادر على الدخول إليها من أي مكان شاء ، وإنما يجيء إلى بيت معمورٍ ، وكذلك إبليسُ لا يجيء إلا إلى كُلِّ قلبٍ عامر ليستنزله[١١] عن شيء[١٢] .

---

(١) ابن عساكر ، المجلد ٤٠ (ص٨٩) .
(٢) في آ ، ب : ذهب بها من قلبه ، وأثبت ما جاء في ظا وابن عساكر .
(٣) في ط وابن عساكر : بشهوة .
(٤) ابن عساكر ، المجلد (٤٠/ ٩١) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٩) .
(٥) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٢) .
(٦) بعدها في ط : وما ينبغي لكريم أن يزاحم لئيماً .
ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٢) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٥) .
(٧) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٥) . وفي ط : لأخبرن أهل النار أني أحبك .
(٨) ابن عساكر (المجلد ٥٠/ ٩٥) .
(٩) في آ : عليه .
(١٠) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٦) .
(١١) في ط : ليستنزله وينزله عن كرسيه ويسلبه أعزَّ شيء .
(١٢) الحلية (٩/ ٢٥٧) ، وابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٦) .

وكان يقول : إذا أخلص العبدُ انقطع عنه كثرةُ الوسواس والرّياء ، أو الرؤيا[١] .

قال : ومكثت عشرين سنةً لم أحتلم ، فدخلْتُ مكة ففاتتني صلاةُ العشاء في جماعة ، فاحتلمت تلك الليلة[٢] .

وقال : إن من خلق الله قوماً لا يَشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه ، فكيف يُشغلون بالدنيا[٣] ؟ .

وقال : الدنيا عند الله ِأقلُّ من جناح بعوضةٍ ، فما الزهد فيها ، إنَّما الزهد في الجنان والحور العين ، حتَّى لا يرى اللهُ في قلبكَ غيرَهُ[٤] .

وقال الجُنيد : شيء يُروى عن أبي سليمان أنا استحسنْتُه كثيراً ، قوله : من اشتغل بنفسه شُغل عن الناس ، ومن اشتغل بربِّه شُغل عن نفسه وعن الناس[٥] .

وقال غيره : كان أبو سليمان يقول : خيرُ السَّخاء ما وافق الحاجة[٦] .

وقال أبو سليمان : من طلب الدنيا حلالاً واستعفافاً عن المسألة ، واستغناءً عن الناس ، لقي الله عزَّ وجلَّ يومَ يلقاه ووجهُهُ كالقمر ليلةَ البدر ، ومن طلب الدنيا حلالاً مكاثِراً مفاخراً لقي الله عز وجل يوم يلقاه وهو عليه غضبان[٧] .

وقال أبو سليمان : إنَّ قوماً طلبوا الغنى فحسبوا أنَّه في جمع المال ، ألا وإنَّما الغنى في القناعة . وطلبوا الراحة في الكَثْرة ، ألا وإنَّما الراحةُ في القِلَّة . وطلبوا الكرامة من الخلق ، ألا وإنَّما هي في التقوى . وطلبوا النعمة في اللباس الرقيق اللين ، وفي طعامٍ طيبٍ ، والنعمة في الإسلام والسِّترِ والعافيةِ[٨] .

وكان يقول : لولا قيامُ الليل ما أحببت البقاء في الدنيا ، وما أحبُّ البقاء لتشقيق الأنهار ولا لغرس الأشجار[٩] .

---

(١) بعدها في ط : يعني الجنابة ، ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٦ ، ٩٧) .
(٢) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٧) .
(٣) تاريخ داريا (١١٧) ، وابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٩) .
(٤) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٩) .
(٥) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٨) .
(٦) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ٩٨) .
(٧) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٠) .
(٨) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠١) .
(٩) بعدها في ط : وإنما أحبها لصيام الهواجر وقيام الليل .
ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٣) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٣) .

وقال : أهلُ الطاعة في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو بلهوهم ، وربَّما استقبلني الفرح في جوف الليل ، وربَّما رأيت القلْبَ يضحك ضحكاً[١] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان يقول : بينا أنا ساجد إذ ذَهب بي النَّوْمُ[٢] ، فإذا أنا بها - يعني : الحوراء - قد ركَضَتْني برجلها ، فقالت : حبيبي ، أترقدُ عيناك والمَلِكُ يَقْظَان ينظر إلى المتهجّدين في تهجُدِهم ؟ بؤساً لعين آثرت لَذَّةَ نومةٍ على لَذَّةِ مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ ، ولقي المحبون بعضُهم بعضاً ، فما هذا الرُّقاد ؟! حبيبي وقرَّةَ عيني ، أترقدُ عيناك وأنا أُربَّىٰ لك في الخُدور منذ كذا وكذا ؟ فوثبْتُ فزِعاً وقد عَرِقْتُ استحياءً من توبيخها إيَّاي ، وإنَّ حلاوة منطِقها لفي سمعي وقلبي[٣] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : دخلت على أبي سليمان فإذا هو يبكي ، فقلت : ما لك ؟ فقال : زُجِرْتُ البارحةَ في منامي . قلت : ما الذي حلَّ بك[٤] ؟ قال : بينا أنا قد غفوت في محرابي إذ وقفْتُ على جاريةٍ تفوق الدنيا حسناً ، وبيدها ورقة ، وهي تقول : أتنام يا شيخ؟ فقلت : من غلبته عينُه نام . فقالت : كلا ، إنَّ طالب الجنة لا ينام ، فقالت : أتقرأ ؟ فأخذت الورقة من يدها ، فإذا فيها مكتوب[٥] :

لَهَتْ بكَ لَذَّةٌ عنْ حسنِ عيشٍ مـعَ الخيـراتِ فـي غُـرفِ الجنـانِ
تعيـشُ مخلّـداً لا مـوتَ فيهـا وتنعـمُ فـي الجنـانِ مـعَ الحسـانِ
تيقَّـظْ مـن منـامِـكَ إنَّ خيـراً مـنَ النـومِ التهجّـد بـالقـرانِ

وقال أبو سليمان : أما يستحي أحدهم أن يلبَسَ عباءةً بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم[٦] ؟!

وقال أيضاً : لا يجوز لأحدٍ أن يُظهر للناس الزهدَ والشهواتُ في قلبه ، فإذا لم يبقَ في قلبه شيءٌ من شهواتِ الدنيا جاز له أن يظهر للناس الزُّهدَ بلبس العَبَاء[٧] ، فإنَّها عَلَمٌ من أعلام الزُّهاد ، ولو لبس ثوبين أبيضين ليسترَ بها أبصار الناس عنه كان أسلم لزهده[٨] .

---

(١) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٣) .
وبعدها في ط : وقال : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً ، فأقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيشٍ طيبٍ .
(٢) في آ : الليل .
(٣) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٤) ، وصفة الصفوة (٤/ ٢٢٥) .
(٤) في ظا ، ب : رأيت ، وفي ط : زجرك .
(٥) الخبر والأبيات في ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٤) .
(٦) حلية الأولياء (٩/ ٢٦٨) ، وابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٤) .
(٧) « العَبَاء » : ضرب من الأكسية ، الواحدة عباءة وعباية ، وقد تقع على الواحد؛ لأنه جنس . وقد تكرّر في الحديث . النهاية لابن الأثير (٣/ ١٧٥) .
(٨) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٥) .

وكان يقول : إذا رأيتَ الصوفيَّ يتنوَّق[١] في الصوف فليس بصوفيٍّ[٢] .

وخيارُ هذه الأمة أصحابُ القُطنِ ؛ أبو بكر الصدِّيق وأصحابه[٣] .

وقال أبو سليمان : إنَّما الأخ الذي يعظك برؤيته قبلَ كلامِهِ ، وقد كنتُ أنظر إلى الأخ من أصحابي بالعراق فأنتفع[٤] برؤيته شهراً .

وقال أبو سليمان : قال الله تعالى : عبدي ، إنك ما استحييتَ مني أنسيْتُ الناسَ عيوبَكَ ، وأنسيْتُ بقاعَ الأرض ذنوبَك ، ومحوْتُ زلاتِك من أُمِّ الكتاب ، ولا أناقشك في الحساب يومَ القيامة[٥] .

وقال أحمد بن أبي الحواري : سألت أبا سليمان عن الصبر ، فقال : والله إنَّك لا تقدرُ عليه في الذي تحبُّ ، فكيفَ فيما تكره[٦] ؟ .

وقال أحمد : تنهدْتُ عنده يوماً ، فقال : إنَّك مسؤولٌ عنها يوم القيامة ، فإنْ كانت على ذنبٍ سَلَفَ فطُوبى لك ، وإن كانت على الدنيا فويلٌ لك[٧] .

وقال : إنَّما رَجَعَ مَن رَجَع من الطريق قبلَ الوصول ، ولو وصلوا إلى الله ما رَجَعوا[٨] .

وقال : إنَّما عَصَى اللهَ من عصاه لهوانهم عليه ، ولو كرموا [عليه][٩] لحجزهم عن معاصيه[١٠] .

وقال : جُلَسَاءُ الرحمن يومَ القيامة مَنْ جعل فيهم خصالاً : الكرَم ، والحلم ، والحكمة ، والرَّحمة ، والرِّقَّة ، والفضل ، والصفح ، والإحسان ، والبرَّ ، والعفو ، واللطف[١١] .

وذكر أبو عبد الرحمن السُّلَميُّ في كتاب « محن المشايخ » : أنَّ أبا سليمان الداراني أُخرج من

---

(١) « تنوَّق في الأمر »: أي تأنَّق فيه .
(٢) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٥) .
(٣) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٦) وبعدها في ط ، وقال غيره: إذا رأيت ضوء الفقير في لباسه فاغسل يديك من لافحه .
(٤) في ابن عساكر: فأعمل على رؤيته شهراً ، وكذا في صفة الصفوة (٥/ ٢٢٦) .
(٥) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٦) .
(٦) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٦) .
(٧) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٧) .
(٨) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٧) .
(٩) من ظا ، ب .
(١٠) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٨) .
(١١) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١٠٩) .

دمشق ، وقالوا : إنه يزعم أنَّه يرى الملائكة ويكلّمونه ، فخرج إلى بعض الثغور ، فرأى بعضُ أهل دمشق : أنه إن لم يرجع إليكم هلكتم . فخرجوا في طلبه وتشفَّعُوا إليه حتَّى ردُّوه[١] .

وقد اختلف الناس في وفاته على أقوال ، فقيل : سنة أربع ومئتين ، وقيل : سنة خمس ومئتين ، وقيل : سنة خمس عشرة ، وقيل : سنة خمس وثلاثين ، والله أعلم .

وقد قال مروان الطَّاطَرِيُّ[٢] يوم مات أبو سليمان : لقد أصيبَ به أهلُ الإسلام كلُّهم[٣] .

قلت : وقد دفن في قرية داريَّا ، وقبره بها مشهور وعليه بناءٌ ، وقبلته مسجد بناه الأمير ناهض الدين عمر المهراني ، ووقف على المقيمين عنده وقفاً يدخل عليهم منه غلة ، وقد جُدد مزارُه في زماننا هذا ، ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرَّض لموضع دفنه بالكلية ، وهذا عجيب منه .

وروى ابنُ عساكر ، عن أحمد بن أبي الحواري ، قال : كنت أشتهي ان أرى أبا سليمان في المنام ، فرأيتُه بعد سنة ، فقلت : ما فعلَ اللهُ بك يا معلّم ؟ فقال : يا أحمدُ ، دخلت يوماً من باب الصَّغير فرأيت حِمْلَ شِيحٍ[٤] ، فأخذتُ منه عوداً ، فما أدري تخلَّلتُ به أو رميته ، فأنا في حسابه إلى الآن[٥] .

وقد توفي ابنه سليمان بعده بنحوٍ من سنتين ، رحمهما الله تعالى .

ثم دخلت سنة ست ومئتين

فيها : ولَّى المأمون داودَ بن ماسجور بلاد البصرة ، وكُور[٦] دِجْلَة ، واليمامة ، والبحرين ، وأمره بمحاربة الزُّطّ .

وفيها : جاء مدٌّ كثير فغرق بلاد أرض السواد ، وأهلك للناس شيئاً كثيراً .

وفيها : ولَّى المأمون عبدَ الله بن طاهر بن الحسين الرَّقَّة ، وأمره بمحاربة نَصْر بن شَبَثٍ ، وذلك أن

---

(١) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١١٠) .

(٢) يقال لمن يبيع الثياب البيض بدمشق ومصر : طاطري .
وهو مروان بن محمد بن حسَّان ، أبو بكر ، الإمام القدوة الحافظ ، مات سنة ٢١٠هـ .
اللباب (٢/ ٢٦٨) ، وسير اعلام النبلاء (٩/ ٥١٠) .

(٣) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١١٢)

(٤) في ظا ، ط : حمل شيخ . وفي ابن عساكر وسير أعلام النبلاء: وَسْقَ شيح . و« الوَسْق »: حمل بعير . و« الشِّيح »: نبتٌ سهلي رائحته طيّبة قوية . و« باب الصغير »: مقبرة في دمشق .

(٥) ابن عساكر (المجلد ٤٠/ ١١٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٥) .

(٦) قال ياقوت : إذا أطلق هذا الاسم فإنما يراد به أعمال البصرة ما بين مَيْسان إلى البحر ، كلمة يقال له: كُور دِجْلَة .

نائبها يحيى بن معاذ مات ، وقد كان استخلَفَ مكانه ابنَه أحمد ، فلم يمض ذلك المأمون ، واستناب عليها عبدَ الله بن طاهر ، لشهامته وبصَرِه بالأمور ، وحثَّه على قتال نَصْر بن شَبَث ، وقد كَتَبَ إليه أبوه من خراسان بكتابٍ فيه الأمر له بالمعروف والنهي عن المنكر ، واتباع الكتاب والسنة .

وقد ذكره ابنُ جرير[١] بطوله ، وقد تداوله الناسُ بينهم واستحسنوه وتهادَوه بينهم ، حتى بلغ أمرُه إلى المأمون ، فأمر فقرىء بين يديه ، فاستجاده جداً ، وأمر أن يكتب به نسخٌ إلى سائر العمال في الأقاليم .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين .

وفيها توفي من الأعيان :

إسحاق بن بشر الكاهلي أبو حذيفة صاحب كتاب « المبتدأ »[٢] .

وحجَّاج بن محمد الأعور[٣] .

وداود بن المُحَبَّر الذي وضع « كتاب العقل »[٤] .

وشَبَابة بن سَوَّار[٥] .

ومحاضر بن المُوَرِّع[٦] .

وقُطْرُب صاحب « المثلَّث » في اللغة[٧] .

---

(١) أي ذكر كتاب طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله . تاريخ الطبري (٨/ ٥٨٢ ـ ٥٩١) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٧٧) .

(٢) هو إسحاق بن بشر بن محمد القرشي البخاري ، أبو حذيفة . اشتغل بالحديث فوصم بالكذب . وقد خلط ابن حبان ترجمة هذا بترجمة إسحاق بن بشر الكاهلي الكوفي . وكتابه المبتدأ مخطوط ، منه الجزء الرابع ، في المجموع ٧١ بالظاهرية .
سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٧٧) ، والأعلام (١/ ٢٩٤) .

(٣) حجَّاج بن محمد الأعور ، أبو محمد المِصِّيصي ، ثقة ، ثبت ، مات في بغداد .

(٤) داود بن المُحَبَّر ، ابن قَحْذَم الثقفي ، البَكراوي ، أبو سليمان البصري ، نزيل بغداد ، متروك الحديث ، وأكثر كتاب العقل الذي صنفه موضوعات ، كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب (١/ ٢٣٤) .

(٥) شَبَابة بن سَوَّار المدائني ، أبو عمرو الفزاريّ ، الإمام الحافظ الحجّة . ثقة ، حافظ ، رمي بالإرجاء . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٣) ، وتقريب التهذيب (١/ ٣٤٥) .

(٦) في ط : المورد ، خطأ . وهو محاضر بن المُوَرِّع الكوفي ، صدوق ، له أوهام . التقريب (٢/ ٢٣٠) .

(٧) هو محمد بن المُسْتَنير بن أحمد ، أبو علي ، الشهير بقُطرب ، وهو لقب دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه . وهو أول من وضع « المثلث » في اللغة ، وهو أحد أئمة النحو واللغة .
معجم الأدباء (١٩/ ٥٢) ، وبغية الوعاة (١٠٤) ، والأعلام (٧/ ٩٥) .

ووَهْب بن جَرير[١] .

ويزيد بن هارون شيخ الإمام أحمد[٢] .

ثم دخلت سنة سبع ومئتين

فيها خَرَجَ عبدُ الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب ببلاد عَكّ ، في اليمن ، يدعو إلى الرِّضا من آل محمد ﷺ . وذلك أنَّ العمال باليمن أساؤوا السيرة إلى الرعايا ، فلما ظهر عبد الرحمن هذا بايعه الناس ، فلمّا بلغ أمره إلى المأمون بعث إليه دينارَ بنَ عبد الله في جيشٍ كثيفٍ ، ومعه كتابُ أمانٍ لعبد الرحمن إن هو سمعَ وأطاع ، فحضروا الموسمَ ، ثمَّ ساروا إلى اليمن ، فلمّا انتهَوا إلى عبد الرحمن بعث إليه دينار بكتاب الأمان ، فقبله وسمع وأطاع ، وجاء حتَّى وَضَعَ يدَه في يد دينار ، فسار معه إلى بغداد ولَبِسَ السَّوادَ .

وفيها : توفي طاهر بن الحسين بن مصعب نائب العراق بكمالها وخراسان ، وُجد في فراشه ميتاً بعدَما صلَّى عشاءَ الآخرة ، والتفَّ في الفراش ، فاستبطأ أهلُه خروجَه لصلاة الفجر ، فدخل عليه أخوه وعمُّه فوجداه ميتاً ، فلمَّا بلغ موتُه المأمونَ قال : لليدين وللفم ، [الحمدُ الله الذي قدَّمه وأخَّرنا][٣] .

وذلك أنَّه بلَغه أنَّه خطب يوماً فلم يدعُ له فوق المنبر ، ومع هذا ولَّى ولدَه عبدَ الله مكانَه ، مع إضافة الجزيرة والشام إلى نيابته ، فاستخلف عبدُ الله على خراسان أخاه طلحة بن طاهر سبعَ سنين ، ثم توفي طلحة فاستقلَّ عبدُ الله بجميع تلك البلاد . وكان نائب عبد الله بن طاهر على بغداد إسحاق بن إبراهيم .

وقد كان طاهر بن الحسين هذا هو الذي انتزع بغداد وأرض العراق بكمالها من يد الأمين بن الرشيد وقتله أيضاً . واستوسق الأمر للمأمون كما ذكرنا في سنة خمس وتسعين ، وقد دخل يوماً طاهر هذا على المأمون فسأله حاجة فقضاها له ، ثم نظر إليه المأمونُ واغرورقت عيناه ، فقال له : ما يبكيك يا أميرَ المؤمنين ؟! فلم يخبره ، فأعطَى طاهرٌ حسيناً الخادمَ مئتي ألف درهم حتَّى استعلَم له ما كان خبر بكائه ، فقال له : لا تخبر به أحداً ، أقتلك ، ذكرت مقتل أخي وما ناله من الإهانة على يدي طاهر ، ووالله لا يفوته مني ما يكره .

---

(١) وَهْب بن جرير بن حازم بن زيد ، أبو العباس الأزدي البصري ، الحافظ ، الصدوق . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٢) ، والتقريب (٢/ ٣٣٨) .

(٢) يزيد بن هارون بن زاذي (أو زاذان) ، أبو خالد السُّلمي الواسطي ، الإمام القدوة ، شيخ الإسلام ، كان رأساً في العلم والعمل ، ثقة حجّة ، كبير الشأن . سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٥٨) .

(٣) زيادة من ط والطبري .

فلما تحقق طاهر ذلك سعَى في النقلة من بين يديه ، ولم يزل حتَّى ولاه المأمون خراسان ، وأطلق له خادماً من خدامه ، وعهد إلى الخادم إن رأى منه شيئاً يريبه أن يسمَّهُ[١] .

فلما خطب يوم الجمعة ولم يَدْعُ للمأمون سمَّه الخادمُ في كامَخٍ[٢] فمات من ليلته .

وقد كان طاهرٌ هذا يقال له : ذو اليمينين ، وكان بفرد عين . فقال فيه عمرو بن بانة[٣] .

يـا ذا اليمينيـنِ وعَيـنٍ واحِـدَهْ ... نُقْصَـانُ عَيْـنٍ ويَميـنٌ زائـدَهْ

واختلف في معنى كونه ذا اليمينين ، فقيل : لأنه ضَرَبَ رجلاً بشماله فقدَّه نصفين ، ويحتمل أنَّه لُقِّبَ بذلك ؛ لأنَّه وُلِّي العراقَ وخراسانَ . وقد كان كريماً ممدّحاً ، يحبُّ الشعر[٤] ويجزي عليه الجزيلَ ؛ ركب يوماً في حرَّاقةٍ ، فقال فيه شاعرٌ[٥] :

عجبتُ لحرَّاقةِ[٦] ابنِ الحسينِ ... لا غـرقَـتْ كيـفَ لا تَغْـرَقُ

وبَحْـرانِ مـن فـوقهـا واحـدٌ ... وآخَـرُ مِـن تحتِهـا مُطبِـقُ

وأعجـبُ مِـن ذاك أعْـوادُهـا ... وقـد مسَّهـا كيـفَ لا تُـورِقُ

فأجازَهُ بثلاثة آلاف دينار . وقال : إن زدتنا زدناك . قال ابن خلّكان[٧] : وما أحسَنَ ما قاله بعضُ الشعراء في بعضِ الرؤساء وقد ركب البحرَ :

ولمَّا امْتَطَى البَحْرَ ابْتَهَلْتُ تضرُّعاً ... إلى اللهِ يا مُجرِي الرِّياحِ بلطفِهِ

جعلْتَ النَّدَى مِنْ كفِّهِ مثلَ مَوْجِهِ ... فسلِّمْـه واجْعَـلْ مَـوْجَـهُ مثـلَ كَفِّـهِ

---

(١) بعده في ط : ودفع إليه سماً لا يطاق .

(٢) « الكامَخُ » : ما يؤتدم به ، أو المُخَلَّلات المُشَهِّيَة ، جمع كوامخ ، معرّب .

(٣) في ط : عمرو بن نباتة ، تحريف . وهو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، وبانة أمه ، نسب إليها . نديم ، من الشعراء العلماء بالغناء ، وكان خصيصاً بالمتوكل العباسي ، توفي سنة ٢٧٨هـ .
الأغاني (١٥/ ٢٦٩) (دار الكتب) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٧٩) ، الأعلام (٥/ ٨٥) ، والشعر في وفيات الأعيان (٢/ ٥٢٠) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٨٢) .

(٤) في آ ، ط : الشعراء ، وأثبت ما جاء في ظا ، ب .

(٥) الأبيات في وفيات الأعيان (٢/ ٥١٩) قالها مُقدَّس من صيفي الخلوقي الشاعر . وهي في طبقات الشعراء (١٨٩) منسوبة إلى عوف بن ملحم .

(٦) « الحَرَّاقة » : ضرب من السفن فيها مرامي نيران يُرمى بها العدوُّ في البحر . وسفينة خفيفة المرِّ .

(٧) وفيات الأعيان (٢/ ٥١٩) وقد ذكر البيتين .

قال القاضي ابن خلكان : مات طاهر بن الحسين هذا يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع[١] ومئتين ، وكان مولده سنة تسع[٢] وخمسين ومئة . وكان الذي سار إلى عبد الله بن طاهر وهو بأرض الرقّة يعزِّيه في أبيه ويهنِّئه بولاية تلك البلاد ، القاضي يحيى بن أكثم عن أمر المأمون .

وفي هذه السنة غلا السعر ببغداد والكوفة والبصرة ، حتَّى بلغ سعرُ القفيز من الحنطة أربعين درهماً[٣] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو علي[٤] بن الرشيد هارون أخو المأمون .

وفيها توفي من الأعيان :

بِشْر بن عمر الزهراني[٥] .

وجعفر بن عَوْن[٦] .

وعبد الصَّمد بن عبد الوارث[٧] .

وقُرَاد أبو نوح[٨] .

وكثير بن هشام[٩] .

ومحمد بن كُنَاسَة[١٠] .

---

(١) في آ ، ظا : تسع ومئتين ، وأثبت ما جاء في ط وكذلك وفيات الأعيان (٢/ ٥٢١) .

(٢) في آ ، ظا ، ط : سبع ، وأثبت ما جاء في ب ، وابن خلكان .

(٣) بعدها في ب : إلى خمسين درهماً .

(٤) في الطبري وابن الأثير : أبو عيسى بن الرشيد . وقد ذكر الطبري جميع ولده في تاريخه (٨/ ٣٦٠) ، وابن الأثير في كامله (٦/ ٢١٦) ، وابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٢٢٢) .

(٥) بشر بن عمر الزّهراني البصري ، أبو محمد . الإمام الحافظ الثَّبْت . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤١٧) .

(٦) جعفر بن عَوْن بن جعفر بن عمرو ، أبو عَوْن المخزومي العَمْريّ ، نسبة إلى عمرو بن حُريث الصحابي . الإمام الحافظ ، محدِّث الكوفة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٣٩) .

(٧) عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذَكْوان ، أبو سهل التَّميميّ العَنْبري ، الإمام الحافظ الثقة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٦) .

(٨) في آ ، ظا : قراد بن نوح ، وأثبت ما جاء في ب ومصادر ترجمته . وهو عبد الرحمن بن غَزْوان الخزاعي . ويقال : الضبيّ ، أبو نوح ، الملقب بقُراد . نزيل بغداد ، ومن علماء الحديث ، له ما يُنكر . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٨) .

(٩) كثير بن هشام الكلابي ، أبو سهل الرّقيّ ، نزيل بغداد ، ثقة . تقريب التهذيب (٢/ ١٣٤) .

(١٠) محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى ، الأسدي الكوفي ، أبو عبد الله وأبو يحيى ، وكُناسة لقبٌ لجدِّه عبد الأعلى ، وقيل : لأبيه ، ثقة ، صالح الحديث ، له علم بالعربية والشعر وأيام الناس . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٨) .

ومحمد بن عمر الواقِديّ قاضي بغداد وصاحبُ السير والمغازي[١] .

وأبو النَّضْر هاشم بن القاسم[٢] .

والهيثم بن عَديّ صاحب التصانيف[٣] .

ويحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور[٤] : أبو زكريا الكوفيُّ ، نزيل بغداد ، مولى بني سعد المشهور بالفرَّاء ، شيخُ النحاة واللغويين والقرَّاء ، وكان يقال له : أميرُ المؤمنين في النحو .

روى الحديث عن خازم بن الحسين[٥] البصري ، عن مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك ، قال : « قرأ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعثمان : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحمد : ٤] بالألف »[٦] . رواه الخطيبُ ، قال وكان ثقةً إماماً .

وذكر[٧] أنَّ المأمون أمره بوضع كتابٍ في النحو ، فأملاه ، وكتبَهُ الناسُ عنه ، وأمر المأمونُ بكَتْبه في الخزائن . وأنَّه كان يؤدِّبُ ولديه وليي العهد ، فقام يوماً ، فابتدراه أيُّهما يقدِّم نعليه ، فتنازعا في ذلك ، ثم اصطلحا على أن يقدِّمَ كلُّ واحدٍ نعلاً ، فأطلق لهما أبوهما عشرين ألفَ دينارٍ ، وللفرَّاء عشرةَ آلافِ درهم . وقال له : لا أعزَّ منك إذ يقدِّم نعليك وليّا العهدِ[٨] .

ورُوي أنَّ بِشراً المَرِيسيَّ ، أو محمد بن الحسن ، سألَ الفرَّاء عن رجلٍ سَهَا في سجدتي السهو ، فقال : لا شيءَ عليه . قال : ولم ؟ قال : لأنَّ أصحابنا قالوا : المصغَّر لا يُصغَّر . فقال : ما ظننتُ أنَّ

---

(١) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله . من أقدم المؤرخين في الإسلام ، ومن أشهرهم ، ومن حفاظ الحديث . ولد بالمدينة ، وانتقل إلى بغداد . وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبير . المجروحين والضعفاء (٢/ ٢٩٠) ، تاريخ بغداد (٣/ ٣) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٥٤) ، الأعلام (٦/ ٣١١) .

(٢) هو هاشم بن القاسم اللَّيثي الخراساني البغدادي ، أبو النَّضْر ، يلقب بقيصر ، شيخ المحدثين ، ثقة ، ثبت ، أملى ببغداد أربعة آلاف حديث . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٤٥) ، تهذيب التهذيب (١١/ ١٨) .

(٣) الهيثم بن عديّ بن عبد الرحمن الثعلي ، الطائي الكوفي ، أبو عبد الرحمن : مؤرخ ، عالم بالأدب والنسب ، وهو من غير الثقات في الحديث . معجم الأدباء (١٩/ ٣٠٤) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٣) ، الأعلام (٨/ ١٠٤) .

(٤) له ترجمة في طبقات الزبيدي (١٤٣) ، أخبار النحويين البصريين للسيرافي (٥١) ، تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩) ، نزهة الألباء (٩٨) ، معجم الأدباء (٢٠/ ٩) ، وفيات الأعيان (٦/ ١٧٦) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ١١٨) وغير ذلك .

(٥) في الأصل « حازم بن الحسن » ، مصحف في اسمه ومحرف في اسم أبيه وصوابه « خازم ـ بالخاء المعجمة ـ بن الحسين » ، وهو من رجال التهذيب ، وخازم قيده الحافظ ابن حجر في التقريب وقال : ضعيف .

(٦) وقد قرأ بالألف من ﴿ مالك ﴾ : عاصم والكسائي ويعقوب وخلف ، وقرأ الباقون بغير ألف . النشر في القراءات العشر (١/ ٢٧١) ، ومشكل إعراب القرآن (١/ ٩) ، تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩) .

(٧) تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩) .

(٨) المصدر السابق .

امرأةً تلِدُ مثلَك[١] . والمشهور : أنَّ محمداً [هو الذي][٢] سأله عن ذلك ، كان ابنَ خالة الفرَّاء[٣] .

وقال أبو بكر محمد بن يحيى الصُّوليُّ : توفي الفرَّاءُ سنة سبع ومئتين[٤] .

قال الخطيب[٥] : وكانت وفاته ببغداد ، وقيل : بطريق مكة ، وقد امتدحوه وأثنوا عليه في مصنّفاته .

ثم دخلت سنة ثمانٍ ومئتين

فيها : ذَهَبَ الحسنُ بن الحسين بن مُصْعَب أخو طاهرٍ فارّاً من خُراسان إلى كَرْمان ، فعصَى بها ، فسار إليه أحمدُ بن أبي خالد ، فحاصره حتَّى نزَل قهراً ، فذهب به إلى المأمون فعفا عنه ، فاستحسن ذلك منه[٦] .

وفيها : استعفَى محمد بن سَماعَة من القضاء ، فأعفاه المأمونُ وولَّى مكانه إسماعيلَ بنَ حَمَّاد بن أبي حنيفة[٧] .

وفيها : ولَّى المأمون محمد بن عبد الرحمن المخزوميَّ القضاءَ بعسكر المهدي في شهر المحرم ، ثم عزله عن قريب ، وولَّى مكانه بِشرَ بن الوليد[٨] الكنديّ في شهر ربيع الأول منها[٩] . فقال المخزوميُّ في ذلك[١٠] :

يا أيُّها[١١] الملِكُ المُوحِّدُ رَبَّهُ ... قَاضِيكَ بِشْرُ بنُ الوليدِ حِمارُ
يَنفي شَهادَةَ مَنْ يَدينُ بما بِهِ ... نَطَقَ الكِتابُ وجاءَتِ الآثارُ[١٢]

---

(١) تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٢) .
(٢) زيادة من ط .
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ١٥٢) .
(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ١٥٥) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) تاريخ الطبري (٨/ ٥٩٧) ، وتاريخ بغداد (٥/ ٣٤٢) .
(٧) المصدر السابق .
(٨) في ط : « بشر بن سعيد بن الوليد » ، خطأ . وتنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٣) .
(٩) تاريخ الطبري (٨/ ٥٩٧) .
(١٠) تاريخ الطبري (٨/ ٥٩٧) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٣٨٦) .
(١١) في آ ، ظا : أيها ، وفي ط : ألا يا أيها ، وأثبت ما جاء في ب والطبري وابن الأثير .
(١٢) في ط والطبري : الأخبار .

وَيَعُدُّ عَدْلًا مَنْ يَقُولُ بأَنَّهُ شيخٌ تحيطُ بجسمِهِ الأقطارُ

وحجَّ بالناس في هذه السنة صالح بن هارون الرشيد عن أمر أخيه المأمون .

وتوفي فيها من الأعيان :

الأسود بن عامر[١] .

وسعيد بن عامر[٢] .

وعبد الله بن بكر أحد مشايخ الحديث[٣] .

والفضل بن الربيع الحاجب[٤] .

ومحمد بن مُصْعَب[٥] .

وموسى بن محمد الأمين ، الذي كان قد ولَّاه العهدَ من بعده ، ولقَّبه بالناطق بالحقِّ ، ولم يتمّ له أمره حتَّى قتل أبوه وكان ما كان .

ويحيى بن أبي بُكَيْر[٦] .

ويحيى بن حَسَّان[٧] .

ويعقوب بن إبراهيم الزُّهريّ[٨] .

---

(١) أسود بن عامر شاذان ، الشّامي ، أبو عبد الرحمن ، نزيل بغداد ، ثقة ، روى له الجماعة . تهذيب الكمال (٣/ ٢٢٦) .

(٢) سعيد بن عامر الضُّبعي البصري الزَّاهد ، أبو محمد . ثقة ، صالح . وقال أبو حاتم: ربما وهم . تقريب التهذيب (١/ ٢٩٩) .

(٣) عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي ، أبو وَهْب البصري ، نزيل بغداد . وثَّقه أحمد بن حنبل وجماعة ، وكان أحد الفقهاء وأصحاب الحديث . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٥٠) .

(٤) سيترجم له المؤلف بعد قليل .

(٥) محمد بن مصعب بن صَدَقة القَرْقَساني ، أبو عبد الله ، وقيل: أبو الحسن . نزيل بغداد ، صدوق ، كثير الغلط . تهذيب التهذيب (٩/ ٤٥٨) ، والتقريب (٢/ ٢٠٨) .

(٦) في الأصول والمطبوع: يحيى بن أبي بكر ، وصحح من سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩٧) ومصادر ترجمته . وهو يحيى بن أبي بُكَير بن نَسْر العَبْديّ القيسيّ مولاهم ، الكوفي ، ثقة ، روى له الجماعة .

(٧) يحيى بن حسَّان بن حيَّان ، أبو زكريا البكري ، البصري ، نزيل تِنِّيس ، حافظ ، قدوة ، ثقة ، عالم بالحديث . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٢٧) .

(٨) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم ، ابن صاحب رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف ، أبو يوسف الزُّهريّ المدني ، نزيل بغداد ، ثقة ، فاضل . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩١) ، تقريب التهذيب (٢/ ٣٧٤) .

ويونس بن محمد المؤدِّب[١] .

وفاة السيدة نَفيسَة[٢] : فيها : كانت وفاة السيّدة نَفيسة بنت أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، القرشية الهاشمية ، كان أبوها نائباً للمنصور على المدينة النبويّة خمس سنين ، ثم غضب أبو جعفر المنصور [عليه] فعزله عنها ، وأخذ منه كُلَّ ما كان جمعه منها ، وأودَعَه السّجنَ ببغداد . فلم يزل به حتَّى توفي المنصور ، فأطلقه المهديُّ ، وأطلَقَ له كُلَّ ما كان أُخذ منه ، وخرج معه إلى الحج في سنة ثمان وستين ومئة ، فلمَّا كان بالحاجِر[٣] توفي الحسن بن زيد عن خمس وثمانين سنة .

وقد روى له النسائي حديثاً عن عِكْرمة ، عن ابن عباس : « أنَّ رسولَ الله ﷺ احتجَمَ وهو مُحرِمٌ »[٤] .

وقد ضعَّفَه ابنُ معين وابن عدي ، ووثَّقه ابنُ حبان . وذكره الزبيرُ بنُ بكار وأثنى عليه في رِياسته وشهامته[٥] .

والمقصود أنَّ ابنته الست نَفيسةَ دخلت إلى الديار المصرية مع زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر [الصادق][٦] ، فأقامت بها ، وكانت ذاتَ مالٍ وإحسان إلى الجذمى[٧] والزَّمْنى[٨] والمَرْضَى وعمومِ الناس ، وكانت عابدةً زاهدةً كثيرةَ الخير .

ولمَّا وَرَدَ الشافعيُّ الدّيار المصريّة كانت تحسن إليه ، وربَّما صلَّى بها في شهر رمضان . وحين توفي أمرت بجنازته فأُدخلت إليها المنزلَ فصلّت عليه .

---

(١) أبو محمد البغداديّ ، واسم جده مُسلم . إمام حافظ ثقة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٧٣) .

(٢) فوات الوفيات (٢/ ٣١٠) ، وفيات الأعيان (٥/ ٤٢٣) ، العبر (١/ ٣٥٥) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٦) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١) ، الأعلام (٨/ ٤٤) .

(٣) « الحاجِر »: موضع قبل معدِن النَّقرة ، على طريق مكة ، منزل للحاج . ياقوت والقاموس .

(٤) رواه في السنن الكبرى (٣٢١٥) من طريق الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن عكرمة عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ احتجم وهو صائم ، وينظر تحفة الأشراف للمزي (٥/ ١٢٠) رقم (٦٠٢٠) وهو حديث صحيح؛ وقد جاء الحديث برواية « احتجم وهو محرم » و« احتجم وهو صائم » . وقد رواه بلفظ: « احتجم وهو محرم » أيضاً البخاري (٤/ ٤٣) في الحج ، باب الحجامة للمحرم؛ ومسلم رقم (٨٣٩)؛ والنسائي في المجتبى (٥/ ١٩٣)؛ وابن ماجه رقم (٣٠٨١)؛ والدارمي (٢/ ٣٧)؛ وأحمد في المسند ، وغيرهم من طريق طاووس وعطاء عن عكرمة عن ابن عباس .

(٥) قال ابن حجر في تقريب التهذيب (١/ ١٦٦): صدوق ، يهم . قال بشار: هو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد ، كما بيناه في تحرير التقريب (١/ ٢٧٣) .

(٦) زيادة من ظا ، ب .

(٧) « الأجذم »: المقطوع اليد . وقيل: الذي ذهبت أنامله .

(٨) « الزَّمْنَى »: مفردها زَمين ، وهو المصاب بالزَّمانة .

ولمَّا توفيت عزم زوجُها إسحاق بن جعفر أن ينقلَها إلى المدينة النبويّة ، فمنعه أهلُ مصر من ذلك ، وسألوه أن يتركها[١] عندهم ، فدُفنت في المنزل الذي كانت تسكنه في محلةٍ كانت تُعرف قديماً بدَرْبِ السّباع ، بين مصر والقاهرة اليوم ، وقد بادت تلك المحلة فلم يبق هناك سوى قبرها .

وكانت وفاتُها في شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكره القاضي شمس الدين ابن خلكان في « وفيات الأعيان »[٢] . قال : ولأهل مصر فيها اعتقاد ، وإلى الآن ، وقد بالغ العامة في أمرها كثيراً جداً ، ويطلقون فيها عبارات فيها مجازفة وألفاظ كثيرة ينبغي أن يعرفوا بأنَّها لا يجوز إطلاقها في مثل أمرها .

وربَّما نسبَها بعضُهم إلى زَيْن العابدين[٣] ، وليست من سلالته .

والذي ينبغي أن يعتقد فيها من الصلاح ما يليق بأمثالها من النساء الصالحات[٤] ، رحمها الله وأكرمها ، وجعل الجنَّة منزلها .

الفَضْلُ بنُ الرَّبيع[٥] : ابن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فَرْوة كيسان ، ولي عثمان بن عفان ، الذي كان زوال دولة البرامكة على يديه ، وقد وُزِّر [بعدهم][٦] للرشيد ، وقد كان متمكِّناً من الرشيد ، وكان شديدَ التشبُّه بالبرامكة ، وكانوا يتشبَّهون[٧] به ، فلم يزل يعمل جهده فيهم حتى هلكوا كما تقدَّم[٨] .

وذكر القاضي ابنُ خلكان[٩] أنَّه دخل يوماً على يحيى بن خَالدٍ وابنُهُ جعفر يوقِّعُ بين يديه ، ومع الفضل بن الربيع عَشرُ قِصَصٍ ، فلم يقضِ له [منها][١٠] واحدة ، بل يتعلل عليه في كلِّ واحدةٍ منها ، فجمعهنَّ الفضلُ بن الرَّبيع ، وقال : ارجِعْنَ خائباتٍ خاسئات ، ثم نهض وهو يقول :

---

(١) في ط : أن يدفنها .

(٢) وفيات الأعيان (٥/ ٤٢٤) .

(٣) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، الملقب بزين العابدين ، رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، يضرب به المثل في الحلم والورع . توفي سنة ٩٤هـ . وترجم له المؤلف مطولاً في حوادث سنة ٩٤هـ .

(٤) بعدها في ط : وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمِّها ، والمغالاة في البشر حرام . ومن زعم أنها تفك من الخشب أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك .

(٥) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٤٣) ، الكامل لابن الأثير (٦/ ٣٨٦) ، وفيات الأعيان (٤/ ٣٧) ، العبر (١/ ٣٥٥) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٩) ، النجوم الزاهرة (٢/ ١٨٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٠) .

(٦) زيادة من ب .

(٧) في ط : يتشبون به ، وفي ب : يستهينون به .

(٨) في سنة ١٨٧هـ .

(٩) وفيات الأعيان (٤/ ٣٧) ، والفرج بعد الشدة (١/ ٣٠٧ـ٣٠٩) .

(١٠) زيادة من ظا ، ب .

عَسَى وعَسَى يَثني الزمانُ عِنانَهُ ... بتصريفِ حالٍ والزمانُ عَثُورُ
فتُقضَى لُبانَاتٌ وتشفى حسائفٌ[١] ... وتَحدُثُ مِن بعدِ الأمورِ أمورُ

فسمعه الوزير يحيى بن خالد ، فقال له : أقسمْتُ عليك لمَا رجعتَ ، وأخذ من يده القِصَص فوقَّع عليها .

ثم لم يزل يحفِرُ خلفهم حتَّى تمكَّن منهم ، وتولَّى الوزارةَ بعدهم ، وفي ذلك يقول أبو نواس[٢] :

مارعَى الدّهرُ آلَ بَرْمَكَ لمَّا ... أنْ رَمَى مُلكَهُمْ بأمرٍ فظيعِ
إنَّ دهراً لم يَرْعَ عهداً لِيحيى ... غيرُ راعٍ ذِمَامَ آلِ الرَّبيعِ

ثم وُزِّر من بعد الرشيد لابنه الأمين ، فلمَّا دخل المأمونُ بغدادَ اختَفَى ، فأرسل له ذِماماً[٣] . فخرج ، ولم يزل خاملاً حتَّى مات في هذه السنة ، وله ثمان وستون سنة ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة تسع ومئتين

فيها : حصر عبدُ الله بن طاهر نَصْرَ بنَ شَبَثٍ[٤] بعدما حاربَه خمسَ سنين ، فلمَّا حصره في هذه السنة ، ضيَّق عليه جداً حتى ألجأه إلى أن طلب من عبد الله بن طاهر الأمانَ ، فكتبَ ابنُ طاهر إلى المأمون يعلمه بذلك ، فبعث إليه المأمون يأمره بكتابة أمانٍ لنَصْر بن شَبَث عن أمير المؤمنين . فكتب له عبد الله بن طاهر كتابَ أمانٍ ، فنزل فأمر عبدُ الله بتخريب المدينة التي كان متحصّناً بها ، وذَهَبَ شرُّه .

وفيها : جرت حروبٌ مع بَابَكَ الخُرَّمِي فأسرَ بابك بعضَ أمراء الإسلام ، أحد مقدَّمي العساكر ، فكان ذلك شديداً على المسلمين .

وحجَّ بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو والي مكة .

وفيها توفي ملك الروم ميخائيل بن نقفور (جورجيس) وكان له عليهم تسع سنين ، فملَّكوا عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل .

---

(١) في ظا، ب: حشاشة. يقال: رجع بحسيفة نفسه: أي رجع ولم يقض حاجة نفسه، جمع حسائف. واللُّبانة: الحاجة.
(٢) وفيات الأعيان (٤/ ٣٨) .
(٣) في ط : فأرسل له المأمون أماناً ، فخرج فدخل على المأمون بعد اختفاء مدة فأمنه ، ثم لم يزل . . . و« الذِّمام »: العهد والأمان .
(٤) نَصْر بن شَبَث العُقيلي ، ثائر للعصبية العربية ، امتنع عن البيعة للمأمون ، وثار في كيسوم ، وانتهى أمره بالاستسلام إلى عبد الله بن طاهر ، فسيره إلى المأمون في سنة ٢١٠ ، ولم يعرف خبره بعد ذلك .
الكامل لابن الأثير (٦/ ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٢) .

وفيها توفي من مشايخ الحديث :

الحسن بن موسى الأشْيَبُ[١] .

وأبو علي الحنفي[٢] .

وحفص بن عبد الله ، قاضي نيسابور[٣] .

وعثمان بن عُمر بن فارس[٤] .

ويَعْلى بن عُبَيد الطَّنافِسي[٥] .

[ثم دخلت] سنة عشر ومئتين

في صفر منها دخل نَصْر بن شَبَث إلى بغداد ، بعثه عبد الله بن طاهر من الرقة ، فدخلها ولم يتلقَّاه أحدٌ من الجند ، بل دخل وحدَه ، فأنزل في مدينة أبي جعفر ، ثم حوِّل إلى موضعٍ آخر .

وفي هذا الشهر ظفر المأمونُ بجماعةٍ من كبراء مَن كان بايع إبراهيمَ بنَ المهدِيّ ، فعاقبهم وحبسهم في المطبق .

ظهور إبراهيم بن المهدي بعد اختفائه : لمَّا كان ليلة الأحد لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر منها ، اجتاز إبراهيم بن المهديّ ـ وله مدّة ست سنين وشهور مختفٍ من المأمون ، وهو متنقِّبٌ في زي امرأة ، ومعه امرأتان ـ في بعض الدروب في أثناء الليل ، فقام الحارسُ ، فقال : إلى أين هذه الساعة ؟ ومن أين ؟ ثم أراد أن يمسكهنَّ ، فأعطاه إبراهيمُ خاتماً كان في يده من ياقوت ، فلمَّا نظر إليه الحارس استراب ، وقال : إنَّما هذا خاتم رجلٍ كبير الشأن ، فذهب بهنَّ إلى متولي الليل ، فأمرهُنَّ أن يُسفرن عن وجوههن ، فتمنَّع إبراهيمُ ، فكشفوا عن وجهه فإذا هو هو ، فعرفه ، فذهب به إلى صاحب الجسر ، فسلَّمه إليه ،

---

(١) الحسن بن موسى البغدادي ، الأشيب ، أبو علي . حافظ ، ثقة ، قاضي الموصل ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٥٩) .

(٢) هو عُبيد الله بن عبد المجيد ، الإمام الصدوق ، أخو أبي بكر الحنفي . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٨٧) .

(٣) حفص بن عبد الله بن راشد السُّلمي ، أبو عمرو النيسابوري ، قاضيها ، صدوق . تقريب التهذيب (١/ ١٨٦) .

(٤) عثمان بن عمر بن فارس العَبْديّ ، البصري . أصله من بُخارى . ثقة . كان يحيى بن سعيد لا يرضاه . تقريب التهذيب (٢/ ١٣) .

(٥) يَعْلَى بن عُبيد بن أبي أميّة ، أبو يوسف الطَّنافِسيّ الكوفيّ . الحافظ ، الثقة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٧٦) .

فرفعه الآخر إلى نائب[١] المأمون ، فأصبح في دار الخلافة ونقابُه على رأسه ، والمِلْحَفَةُ[٢] في صدره ، ليراه الناسُ ، وليعلموا كيفَ أُخِذ . فأمر المأمون بالاحتفاظ به والاحتراسِ عليه مدَّةً ، ثم أطلقه ورضي عنه[٣] .

هذا وقد صلب جماعة ممن كان سجنهم بسببه ، لكنَّهم أرادوا الفَتْكَ بالموكّلين بالسجن ، ويهربون منه ، فصلَبَ منهم أربعةً .

وقد ذكروا : أنَّ إبراهيم بن المهدي لمَّا أُوقف بين يدي المأمون شرع في تأنيبه ، فترقَّق له عمُّه إبراهيمُ كثيراً ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ! إنْ تعاقبْ فبحقِّك ، وإن تعفُ فبفضلِكَ . فقال : بل أعفو يا إبراهيمُ ! إنَّ القدرة تذهب بالحفيظة[٤] ، والندم توبة ، وبينهما عفو الله عزَّ وجلَّ ، وهو أكبر ما تسأله ، فكبَّر إبراهيمُ وسجَدَ شكراً لله عزَّ وجلَّ .

وقد امتدح إبراهيمُ بنُ المهدي ابن أخيه المأمون بقصيدة بالَغَ فيها ، فلمَّا سمعها المأمونُ ، قال : أقولُ كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٩٢] .

وذكر الحافظ ابنُ عساكر[٥] : أنَّ المأمون لمَّا عفا عنه أَمَرَه أن يغنّيه شيئاً ، فقال : إنِّي تركته . فأَمَرَه ، فأخَذَ العُودَ في حجره ، وقال :

هـــذا مقـــام مشـــرَّدٍ خـربَـتْ منـازلُـهُ ودورُهْ
نمَّــتْ عليــه عــداتُــهُ كــذِبــاً فعــاقَبَــهُ أميــرُهْ

ثم عاد فقال[٦] :

ذهبْتُ مِن الدُّنيا وقد ذهبَتْ منِّي لَوى الدَّهْرُ بي عنها ووَلَّى بها عَنِّي
فإنْ أبكِ نفسِي أبْكِ نَفساً عَزيزةً وإنْ أحتقِرْها أحتقِرْها على رَضْنِ[٧]

---

(١) في ط والطبري : باب المأمون .
(٢) « المِلْحَفة » : الملاءة التي تلتحف بها المرأة .
(٣) تاريخ الطبري (٨/ ٦٠٣) .
(٤) « الحفيظة » : الغضب .
(٥) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٢٦٢أ) .
(٦) الأول والثاني في الأغاني (١٠/ ١٣٦) ، وأشعار أولاد الخلفاء (ص٢٢) .
(٧) في ط : على ضفن . وفي الأغاني : وأشعار أولاد الخلفاء : وإن احتسِبْها أحتسِبْها على ضَنِّ .

وإنِّي وإنْ كنتُ المسيءَ[١] بِعَيْنِهِ فإنِّي بربِّي مُوقنٌ حَسَنُ الظنِّ[٢]
عَدَوْتُ على نفسي فعادَ بعفوِهِ عليَّ فعادَ العفوُ مَنّاً على مَنِّ

فقال المأمون : أحسنتَ يا أميرَ المؤمنين حقّاً . فرمَى العودَ من حجره ووثَبَ قائماً فزعاً من هذا الكلام ، فقال له المأمون : اقعد واسكن ، مرحباً بك ، لم يكن ذلك لشيءٍ تتوهّمه ، ووالله لا رأيتَ[٣] طولَ أيامي شيئاً تكرهه وتغتمُّ به . ثم أمر له بردِّ جميع ما كان له من الأموال والضياع والدُّور ، فردَّت إليه ، وأمر له بعشرة آلاف دينار وخلَع عليه ، وخرج مِن عنده مكرَّماً معظّماً .

عرس بُوران[٤] : وفي رمضان منها بنى المأمونُ ببوران بنت الحسن بن سهل ، وقيل : إنه خرج من بغداد في رمضان إلى معسكر الحسن بن سهل بفَم الصِّلْح[٥] ، وكان [الحسن] قد عوفي من مرضه ذلك ، فنزل المأمون عنده بمن معه من وجوه الأمراء والرؤساء وأكابر بني هاشم ، فدخل ببوران في شوّال من هذه السنة في ليلةٍ عظيمة ، وقد أُشعلت بين يديه شموع العنبر ، ونُثر على رأسه الدرُّ والجوهر ، فوق حصر منسوجة بالذهب الأحمر . وقد كان عددُ الجوهر منه ألفَ درّةٍ ، فأمر به فجمع في صينيته التي كان فيها من الذهب ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّما نثرناه لتلتقطه الجواري ، فقال : لا أنا أعوّض من ذلك ، فجمع ذلك كله .

فلمَّا جاءت العروسُ ومعها جَدّتها[٦] ، وزُبيدة أمّ الأمين ـ من جملة من جاء معها ـ فأُجلست إلى جانبه ، فصبَّ في حِجْرها ذلك الجوهرَ ، وقال : هذا نِحْلةٌ منّي لك ، وسلي حاجتكِ ، فأطرقت حياءً . فقالت جدَّتُها : تكلمي وسلي من سيدك ما أمرك به . فقالت : يا أمير المؤمنين ، أسألك أنْ ترضَى عن عمّك إبراهيمَ بنِ المهدي . وأن تردَّه إلى منزلته التي كان فيها قبل ذلك . فقال : نعم ! قالت : وأمّ جعفر ـ تعني : زُبيدة ـ تأذن لها في الحجّ . قال : نعم ! فخلعت عليها زبيدة بذلتها[٧] الأميرية ، وأطلقت لها قرية مقوَّرة .

وأمَّا والدُ العروس الحسنُ بن سهل فإنَّه كتب أسماء قُراه[٨] وضياعه وأملاكه في رقاع ونثرها على

(١) في آ ، ظا: المسمّى وأثبت ما جاء في ب ، ط .
(٢) في الأصول المخطوطة: فإني بربي تعالى جدّه حسن الظن ، وهو تحريف .
(٣) ابن عساكر: لا رأيت مني .
(٤) ترجم لها المؤلف في حوادث سنة ٢٧١هـ .
(٥) « فمُ الصِّلْح » نهر كبير فوق واسط ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون . (ياقوت) .
(٦) في آ ، ب: جدّته ، وأثبت ما جاء في ظا والطبري .
(٧) في الطبري: البَدَنة الأموية ، ولعله الصواب . و« البَدَنة »: الثوب يُشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كُمَّيْن .
(٨) في الأصول: قراياه ، وأثبت ما جاء في ط . وجمع القرية: القُرى ، على غير قياس .

الأمراء ووجوه الناس ، فمن وقعت في يده منها رقعة بعث إلى القرية التي فيها نوابه ، فتسلَّمها[١] ملكاً خالصاً . وأنفق على المأمون ، ومن معه من الجيشِ في مدة مقامه عنده سبعة عشر يوماً ما يعادل خمسين ألفَ ألفِ درهمٍ .

ولمَّا أراد المأمونُ الانصراف من عنده أطلق له عشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعه البلده التي هو نازل بها ، وهو إقليم فم الصِّلْح ، مضافاً إلى ما بيده من الإقطاعات . ورجع المأمون إلى بغداد في أواخر شوال من هذه السنة .

وفي هذه السنة ركبَ عبدُ الله بن طاهر إلى الديار المصرية فاستنقذها بأمر المأمون من يدي عُبَيْد[٢] الله بن السَّرِي بن الحكم المتغلب بها[٣] ، واستعادها منه بعد حروب يطول ذكرها[٤] .

وفيها : توفي من الأعيان :

أبو عمرو الشَّيْباني اللغوي ، واسمُه إسحاق بن مِرار[٥] .

ومَروان بن محمد الطَّاطَرِيُّ[٦] .

ويحيى بن إسحاق[٧] .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومئتين

وفيها توفي من الأعيان :

أبو الجوَّاب[٨] .

---

(١) في آ ، ب : فسلموها ، وأثبت ما جاء في ظا .

(٢) في الأصول : عبد الله ، وصححت من الطبري .

(٣) في ط : عليها .

(٤) تاريخ الطبري (٨/ ٦١٠ـ٦١٧) .

(٥) في ظا ، ب : نزار . وهو إسحاق بن مرار الشيباني بالولاء ، أبو عمرو . أديب ، لغوي . من رمادة الكوفة ، سكن بغداد ومات بها . واختلف في سنة وفاته ، فقيل : سنة ٢٠٦ ، وقيل : سنة ٢١٠ . وقيل : سنة ٢١٣هـ . وفيات الأعيان (١/ ٦٥) ، والأعلام (١/ ٢٩٦) .

(٦) مروان بن محمد بن حسّان ، أبو بكر ، ويقال : أبو عبد الرحمن الأسدّي الدمشقي الطَّاطريّ . الإمام القدوة ، الحافظ . ثقة . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٠) .

(٧) يحيى بن إسحاق ، أبو زكريا السَّيْلَحِيني . و« السَّالِحين » : من قرى العراق . صدوق . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٠٥) .

(٨) هو أحْوَصُ بن جَوَّاب الضَّبِّيُّ ، أبو الجَوَّاب الكوفيُّ . صدوق . تهذيب الكمال (٢/ ٢٨٨) .

وطَلْقُ بنُ غَنَّام[١] .

وعبد الرزاق بن همَّام الصَّنْعاني صاحب « المصنَّف » و« المسند »[٢] .

وعبد الله بن صالح العِجلي[٣] .

وأبو العتاهية الشاهر المُفْلِق المشهور[٤] : واسمه إسماعيل بن القاسم بن سُويد بن كيسان ، أصلُه من الحجاز ، وسكن بغداد ، وكان يبيع الجرار أولاً ، ثم حظي عند الخلفاء[٥] ، لا سيما المهدي . وقد كان مع هذا يتعشّق جارية للمهدي اسمها عُتْبةُ ، وقد طلبها من الخليفة غير مرة ، فإذا سمح بها لا تريده الجاريةُ ، وتقول للخليفة : أتعطيني لرجلٍ دميم الخلق كان يبيع الجِرار ؟ فكان يُكثر التغزّل فيها ، وشاع أمره واشتهر بها ، وكان المهديُّ يفهم ذلك . وقد اتفق في بعض الأحيان أن استدعى الخليفة المهدي الشعراء إلى مجلسه فاجتمعوا ، وكان فيهم بشار بن برد الأعمى ، فسمع صوتَ أبي العتاهية ، فقال لجليسه : أثَمَّ هاهنا أبو العتاهية ؟ [قال : نعم][٦] . فانطلق ينشده قصيدته فيها التي أولها[٧] :

ألا مـا لِسَيِّـدَتـي مـا لَهـا ... أدَلَّـتْ فـأحْمِـلَ إدْلالَهـا

فقال بشار لجليسه : ما رأيتُ أجسَرَ من هذا ، حتى انتهى أبو العتاهية إلى قوله :

أتَتْـهُ الخِـلافَـةُ مُنْقَـادَةً ... إليـهِ تُجَـرِّرُ أذْيـالَهـا

فَلَـمْ تَـكُ تَصْلُـحُ إلا لَـهُ ... وَلَـمْ يَـكُ يَصْلُـحُ إلا لَها

ولـو رامَهـا أحَـدٌ غَيْـرُهُ ... لَـزُلْـزِلَـتِ الأرْضُ زِلْـزَالَها

وَلَوْ لَمْ تُطِعْهُ بَناتُ القُلُوبِ ... لَمـا قَبِـلَ اللهُ أعمـالَهـا

فقال بشارٌ لجليسه : انظر ويحك ! أطارَ الخليفةُ عن فراشه ؟ قال : فوالله ما خَرَجَ أحدٌ من الشعراء يومئذٍ بجائزةٍ غيره .

---

(١) طَلْق بن غَنَّام بن طَلْق بن معاوية ، المحدِّث الحافظ . ثقة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤٠) .

(٢) عبد الرزاق بن همَّام بن نافع الحِميَري ، أبو بكر الصَّنعاني . الحافظ الكبير ، عالم اليمن . من حفاظ الحديث الثقات . مصنف ، شهير ، كان يتشيع . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣ـ٥٨٠) ومصادر ترجمته فيه .

(٣) عبد الله بن صالح بن مسلم بن صالح ، أبو أحمد العِجلي ، الكوفي . صدوق . نزل بغداد ، وأقرأ بها القرآن . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٠٣) .

(٤) له ترجمة في الشعر والشعراء (٢/ ٤٩١ ـ ٧٩٥) ، الأغاني (٤/ ١ ـ ١١٢) ، تاريخ بغداد (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٦٠) ، وفيات الأعيان (١/ ٢١٩ ـ ٢٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٥) وغير ذلك .

(٥) في آ: الخليفة .

(٦) زيادة من ظا ، ب ، ط .

(٧) ديوان أبي العتاهية (٦٠٩) ، ووفيات الأعيان (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) .

قال ابنُ خلكان[١] : اجتمع أبو العتاهية بأبي نواس ـ وكان في طبقته وطبقةِ بشار بن برد ـ فقال أبو العتاهية لأبي نواس : كم تعملُ في اليوم من الشعر؟ قال : بيتاً أو بيتين . فقال : لكنّي أعمَلُ المئة والمئتين . فقال أبو نواس : لأنك تعملُ[٢] مثلَ قولك[٣] :

يـا عُتْبُ مـالـي ولَـكِ   يـا لَيْتَنِـي لَـمْ أرَكِ

ولو أردْتُ مثلَ هذا الألفَ والألفين لقدرتُ عليه وأنا أعمل مثل قولي[٤] :

من كفِّ ذاتِ حِرٍ في زِيِّ ذي ذَكَرٍ   لهـا مُحِبَّـانِ : لـوطـيٌّ وَزَنَّـاءُ

ولو أردْتَ مثلَ هذا لأعجزكَ الدَّهْرَ .

قال ابنُ خلكان[٥] : ومن لطيف شعر أبي العتاهية[٦] :

وَلَقَدْ[٧] صَبَوْتُ إليكِ حتّى   صـارَ مِـن فَـرْطِ التَّصـابـي
يَجِـدُ الجَلِيـسُ إذا دَنـا   رِيحَ التَّصـابـي فـي ثِيـابـي

قال ابن خلكان[٨] : وأشعاره كثيرة ومولده سنة ثلاثين ومئة . وتوفي يوم الإثنين ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ، وقيل : سنة ثلاثَ عشرة [ومئتين] ، وأوصى أن يكتب على قبره ببغداد[٩] :

إنَّ عَيْشاً يكـونُ آخـرَهُ المَـوْ   تُ لَعَيْـشٌ مُعَجَّـلُ التَّنْغِيـصِ

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة ومئتين

فيها : وجَّه المأمونُ محمد بن حُميد الطوسيَّ على طريق الموصل لمحاربة بابك الخُرّميّ في أرض أذْرَبيجان ، فأخذ جماعة من المتغلبين فيها ، فبعث بهم إلى المأمون أسراء إلى بغداد .

وفي ربيع الأول من هذه السنة أظهر المأمون في الناس بدعتين فظيعتين ، إحداهما أطَمُّ من الأخرى ،

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٢) .
(٢) قوله : لأنك تعمل ، لم يرد في ظا ، ب . وفي ط : لعلك تعمل . وما أثبته موافق لما جاء في وفيات الأعيان ونسخة (آ) .
(٣) ديوانه (٥٩٥) .
(٤) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٣) .
(٥) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٣) .
(٦) ديوانه (٤٩٠) .
(٧) في آ ، ب : ولو . وأثبت ما جاء في ظا والديوان وابن خلكان .
(٨) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٢) .
(٩) البيت في هامش الديوان (ص١٩٩) ، وابن خلكان (١/ ٢٢٢) .

وهي : القولُ بخلق القرآن ، والأخرى : تفضيل عليّ بن أبي طالب على الناس بعد رسولِ الله ﷺ . وقد أخطأ في كلٍّ من هذين المذهبين خطأً كبيراً ، وأثم إثماً عظيماً ، [ومن العلماء من يكفّر من يقول بخلق القرآن ، كما سيأتي ذلك في موضعه][1] .

وحجَّ بالناس عبدُ الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

وفيها توفي من الأعيان :

أسد بن موسى ، الذي يقال له أسدُ السُّنَّة[2] .

والحسين بن حَفص[3] .

وأبو عاصم النَّبيل ، الضَّحّاك بن مَخْلَد[4] .

وأبو المُغيرة ، عبدُ القُدُّوس بن الحجَّاج الشامي الحمصي[5] .

ومحمد بن يوسف[6] الفِريابيّ ، شيخ البخاري .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومئتين

فيها : ثار رجلان بمصر ، وهما : عبدُ السلام ، وابن جَليس ، فخلعا المأمون واستحوذا على الديار المصرية ، وتابعها طائفة من القيسيّة واليمانية ، فولّى المأمون أخاه أبا إسحاق نيابة الشام [ومصر][7] ،

---

(١) زيادة من ظا ، ب .

(٢) هو أسد بن موسى بن إبراهيم بن الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان ، القرشي ، الأموي ، أبو سعيد ، الحافظ الثقة ، ذو التصانيف . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦٢) .

(٣) في ط : الحسن بن جعفر ، تحريف . وهو الحسين بن حَفص بن الفضل بن يحيى بن ذكوان الهَمْداني ، أبو محمد الأصبهاني . الإمام الثقة الجليل الفقيه . كانت إليه رئاسة أصبهان وقضاؤها وأمر الفتاوى . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥٦) .

(٤) الضَّحّاك بن مَخْلَد بن الضَّحّاك بن مسلم ، أبو عاصم النبيل الشيباني ، البصري . شيخ حفّاظ الحديث في عصره . صدوق . تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٠) .

(٥) عبد القُدُّوس بن الحجّاج الخَوْلاني الحمصي ، أبو المغيرة ، المحدّث الصادق ، مسند حمص . روى له جماعة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٣) .

(٦) في آ ، ط : يونس . وهو محمد بن يوسف بن واقد الفِريابيّ ، أبو عبد الله الضَّبّي ، الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام ، ثقة صدوق . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٤) .

(٧) زيادة من ب ، ظا .

وولّى ابنَه العبّاس نيابةَ الجزيرة والثغور والعواصم ، وأطلق لكلٍّ منهما ولعبد الله بن طاهر في ذلك اليوم خمسمئة ألف دينار . فلم يُرَ يومٌ أكثر إطلاقاً منه ، أطلق فيه لهؤلاء الأمراء الثلاثة ألفَ ألف دينارٍ وخمسمئة ألف دينار .

وفيها : ولّى السند غسّان بن عباد .

وحجَّ بالناس فيها أميرُ السنة الماضية .

وفيها توفي من الأعيان :

عبد الله بن داود الخُرَيبي[1] .

وعبدُ الله بن يزيد المُقرىء البصريّ[2] .

وعُبيد الله بن موسى العَبْسيّ[3] .

وعمرو بن أبي سَلَمة الدِّمشقي[4] .

وحكى ابنُ خلكان[5] في « الوفيات » عن بعضهم : أنَّ في هذه السنة توفي إبراهيم بن مَاهان المَوْصِلي النَّديم[6] . وأبو العتاهية[7] . وأبو عمرو الشيباني النحوي[8] ، في يوم واحدٍ ببغداد ، ولكنه صحَّح أن إبراهيم النَّديم توفي سنة ثمان وثمانين ومئة .

قال السُّهيلي : وفي هذه السنة تُوفي عبدُ الملك بن هشام راوي السيرة ، حكاه ابن خلّكان[9] عنه .

---

(١) عبد الله بن داود بن عامر ، أبو عبد الرحمن الهمداني ، الشعبي ، الكوفي ، ثم البصري . المشهور بالخُرَيبي لنزوله محلَّة الخُرَيْبَة بالبصرة . إمام ، حافظ ، قدوة . كان ثقة عابداً ناسكاً . سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٤٦) .

(٢) في الأصول: « المصري » ، وأثبت ما جاء في المصادر . وهو : عبد الله بن يزيد بن عبد الرحمن الأهوازي الأصل ، البصري ، ثم المكي . إمام كبير في الحديث ، ثقة ، مشهور في القراءات ، لقن القرآن سبعين سنة؛ أقرأ القرآن بالبصرة ستاً وثلاثين سنة ، وبمكة خمساً وثلاثين سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦٦) ، طبقات القراء (١/ ٤٦٣) .

(٣) عُبيد الله بن موسى بن أبي المختار ، بأذام ، أبو محمد العَبْسيّ مولاهم ، الكوفي . الإمام الحافظ العابد ، أول من صنّف المسند على ترتيب الصّحابة بالكوفة . ثقة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٥٣) .

(٤) عمرو بن أبي سَلَمة ، أبو حفص التِّنّيسي ، من موالي بني هاشم ، الدمشقي ، إمام ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٣) .

(٥) وفيات الأعيان (١/ ٤٣) .

(٦) ترجم له المؤلف في حوادث سنة ١٨٨ .

(٧) ذكره المؤلف في حوادث سنة ٢١١ .

(٨) هو إسحاق بن مرار الشيباني ، أبو عمرو ، ذكره المؤلف فيمن توفي سنة ٢١٠هـ .

(٩) وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧) .

والصحيح أنَّه توفي في سنة ثماني عشرة ، كما نص عليه أبو سعيد بن يونس في « تاريخ مصر »[١] .

والعَكَوَّك الشاعر[٢] : أبو الحسن علي بن جبلة بن المسلم بن عبد الرحمن ، الخراساني ، ويلقَّب بالعَكَوَّك ؛ لقصره وسمنه ، وكان من الموالي ، وولد أعمى ، وقيل : بل أصابَه جدري وهو ابنُ سبع سنين ، فعمي ، وكان أسودَ أبرصَ ، وكان شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً ، وقد أثنى عليه في الشعر الجاحظُ فمن بعده . قال الجاحظُ : ما رأيت بدوياً ولا حضرياً أحسنَ إنشاداً منه[٣] . فمن ذلك قوله[٤] :

بِأبي مَنْ زارَني مُتكتِّماً خائفاً مِنْ كُلِّ شيءٍ جَزِعا
زَائِرٌ نَمَّ عليهِ حُسْنُهُ كَيْفَ يُخفي اللَّيْلُ بَدْراً طَلَعا
رَصَدَ الغَفْلَةَ حتَّى أمكَنَتْ وَرَعَى السَّامِرَ حتَّى هَجَعا[٥]
رَكِبَ الأهوالَ في زَوْرَتِهِ ثُمَّ ما سَلَّم حتَّى وَدَّعا

وهو القائلُ في أبي دُلف القاسم بن عيسى العجلي يمتدحه[٦] :

إنَّما الدُّنيا أبُو دُلَفٍ بَيْنَ مَغْزَاهُ وَمُحْتَضَرِهْ
فإذا وَلَّى أبُو دُلَفٍ وَلَّتِ الدُّنيا عَلَى أثَرِهْ
كلُّ مَنْ في الأرض من عَرَبٍ بينَ بَادِيهِ إلى حَضَرِهْ
مستعيرٌ منكَ مَكْرُمَةً يَلْبَسُها[٧] يَوْمَ مُفْتَخَرِهْ

ولما بلغت المأمون هذه الأبياتُ ـ وهي في قصيدة طويلةٍ عارض فيها أبا نواس[٨] الحسنَ بن هانىء ـ فتطلَّبه المأمونُ فهَرب منه كلَّ مهرب ، ثم أحضر بين يديه ، فقال له : ويحك ! فضَّلْت القاسمَ بن عيسى

---

(١) انظر وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧) .
وهو: عبد الملك بن هشام بن أيوب ، أبو محمد الذُّهلي السَّدوسي ، العلامة النحوي الأخباري ، نزيل مصر . هذَّب السيرة النبوية ، رواها عن ابن إسحاق ، وتعرف بسيرة ابن هشام .

(٢) ترجمته في الشعر والشعراء (٨٦٤ ـ ٨٦٨) ، الأغاني (٢٠/ ١٤ـ٤٣) ، تاريخ بغداد (١١/ ٣٥٩) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٠) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٢) ، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٦٨) . و« العَكَوَّك »: القصير السمين مع صلابة .

(٣) وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٢) .

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٠) .

(٥) « السّمر » المتسامرون . و« هجع »: نام .

(٦) الأغاني (٢٠/ ١٥) ، الشعر والشعراء (٨٦٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٥١) .

(٧) في ط : يأتيها ، وفي رواية : يكتسيها .

(٨) قصيدة أبي نواس في ديوانه (٣٠٨ـ٣١١) ، وأخبار أبي نواس لابن منظور (١٣٤) وهي:
أيها المُنْتابُ عن عُفُرِهِ لستَ مِن لَيْلي ولا سَمَرِهِ

علينا . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنتم أهلُ بيتٍ اصطفاكم اللهُ من بين عباده ، وآتاكم ملكاً عظيماً ، وإنَّما مدحته[١] على أشكاله وأقرانه . فقال : والله ما أبقيت أحداً ولا تركت ، وقد أدخلتنا في الكلّ ، حيث تقول :

كـلُّ مـنْ فـي الأرضِ مِـنْ عَـرَبٍ .... البيتين

ومع هذا فلا أستحِلُّ قتلك بهذا ، ولكن بكُفْرِكَ وشِرْكِكَ ، حيثُ تقولُ في عبدٍ ذليل :

أنْـتَ الـذي تُنْـزِلُ الأيَّـامَ مَنْـزِلَهـا وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إلى حالِ
وَمَا مَدَدْتُ مَدَى طَرْفٍ إلى أحَدٍ إلا قَضَيْـتَ بـأرْزَاقٍ وآجـالِ

ذاك اللهُ يفعلُه ، أخرجوا لِسانَه مِنْ قَفاه . فأخرَجُوا لسانه مِن قفاه ، فمات في هذه السنة ، سامحه الله[٢] .

ومن قوله يمتدح حُمَيْدَ بن عبد الحميد الطُّوسيَّ[٣] :

إنَّمـا الـدُّنيـا حُمَيْـدٌ وأيـادِيـهِ الجسـامُ[٤]
فـإذا وَلَّـى حُمَيْـدٌ فعلَـى الـدُّنيـا السَّـلامُ

وقوله[٥] :

تكفَّلَ ساكِني الدُّنيا حُمَيد فقد أضحَوْا له فيها عِيالا
كأن أباه آدمَ كان أوْصَى إليـه أن يَعُـولَهُـمُ فَعَـالا

ولما مات حُمَيْد هذا في سنة عشر مع المأمون ، بِفَم الصِّلح ، قال العَكَوَّك يرثيه ، قصيدة ، منها قوله[٦] :

فـأدَّبَنـا مـا أدَّب النَّـاسَ قبلنـا ولكنَّه لم يَبْقَ للصَّبر موضِعُ

---

(١) في ط : فضَّلته .
(٢) الأبيات والخبر في الشعر والشعراء (٨٦٦) ، وطبقات الشعراء لابن المعتز (١٧٢) ، والأغاني (٢٠/ ٤١ ـ ٤٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٣ ـ ١٩٤) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٣) .
(٣) الأغاني (٢٠/ ٣٧) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٢) .
(٤) في الأصول بغير إعجام ، وأثبت ما جاء في الأغاني .
(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٣) .
(٦) الأغاني (٢٠/ ٢٧) من قصيدة مطولة مشهورة ، أولها:
أَلِلدهر تبكي أم على الدهر تجزع ؟ ومـا صـاحـبُ الأيـام إلا مفجّـعُ
البيت والخبر في وفيات الأعيان (٧/ ٣٥٤) .

وقال أبو العتاهية يرثي حُميداً هذا[١] :

أبـا غـانِـم أمَّـا ذراكَ فـواسِـعٌ وَقَبْرُكَ مَعْمُورُ الْجَوَانِبِ مُحْكَمُ
ومـا يَنْفَـعُ المَقْبُـورَ عُمْـرانُ قَبْـرِهِ إذا كـانَ فيـهِ جِسْمُـهُ يَتَهَـدَّمُ

وقد أورد ابنُ خلكان[٢] لِعَكَوَّك هذا أشعاراً جيدة تركناها اختصاراً .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومئتين

في يوم السبت لخمسٍ بقين من ربيع الأول منها التقى محمد بن حُمَيد وبابَك الخُرّمي ، لعنه الله ، فقتَلَ الخُرَّمِيُّ خلقاً كثيراً من جيشه ، وقتلَه أيضاً ، وانهزم بقيَّةُ أصحاب ابنِ حُمَيْد ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . فبعث المأمون إسحاق بنَ إبراهيمَ ويحيى بن أكثم إلى عبد الله بن طاهر ، يخيّرانه بين خراسان ، ونيابة الجبال وأذربيجان وأرمينية ؛ لمحاربة[٣] بابك الخُرّمي ، فاختار الإقامة بخراسان ، لكثرة احتياجها إلى الضبط ، وللخوف من ظهور الخوارج بها .

وفيها : دخل أبو إسحاق بن الرشيد الدِّيارَ المصرية ، فافتتحها ، واستعادها إلى السمع والطاعة ، وظفر بعبد السلام ، وبابن جليس فقتلهما .

وفيها : خرج رجلٌ يقال له : بلال الضَّبابيّ الشّاري ، فبعث إليه المأمون ابنَه العبَّاسَ في جماعةٍ من الأمراء ، فقتلوا بلالاً وعادوا سالمين .

وفيها : ولّى المأمون عليَّ بن هشام الجَبَل ، وقُمَّ ، وأصبهان ، وأذربيجان .

وفيها : حجَّ بالناس إسحاق بن العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمدُ بن خالد الوَهْبيُّ[٤] .

وأحمد بن يوسف بن القاسم بن صَبيح[٥] : أبو جعفر الكاتب ، وَلي ديوان الرسائل للمأمون .

---

(١) ديوانه (ص٦٣٥) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٤) .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٠ـ٣٥٤) .

(٣) في ط والطبري : ومحاربة بابك .

(٤) هو أحمد بن خالد بن موسى ، الوَهْبي ، الكِنْديّ ، ويقال له : الذهبي أيضاً ، أبو سعيد . صدوق . رَاوي المغازي عن ابن إسحاق ، وكان مكثراً ، حسن الحديث . العبر (١/ ٢٨٨) ، وتهذيب الكمال (١/ ٢٩٩) .

(٥) ترجمته في تاريخ بغداد (٥/ ٢١٦) ، ومعجم الأدباء (٥/ ١٦١) ، والنجوم الزاهرة (٢/ ٢٠٦) ، وتاريخ ابن عساكر =

ترجمه ابنُ عساكر وأورد من شعره قوله[١] :

قد يُرْزَقُ المرءُ لا مِن حسن[٢] حيلتِهِ ويُصْرَفُ الرِّزْقُ عن ذي الحيلةِ الدَّاهي
ما مَسَّني مِن غنى يوماً ولا عدمٍ إلا وقولي عليهِ الحمدُ للهِ

وله[٣] :

إذا قلتَ في شيءٍ نَعَمْ فأتمَّهُ فإنَّ نَعَمْ دَيْنٌ على الحرِّ واجبُ
وإلا فَقُلْ : لا ، فاسْتَرِحْ وأرحْ بها لئلا يَقُولَ النَّاسُ إنَّكَ كاذِبُ

وله[٤] :

إذا المرءُ أفْشَى سِرَّهُ بلسانِهِ فَلامَ عَلَيْهِ غيرَهُ فهوَ أحْمَقُ
إذا ضاقَ صَدْرُ المرءِ عن سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذي اسْتَوْدَعْتَهُ السِّرَّ أضْيَقُ

وحسين[٥] بن محمد المرُّوذيّ ، شيخُ الإمام أحمد .

وعبدُ الله بن عبد الحكم المصريّ[٦] .

ومعاوية بن عمرو[٧] .

أبو محمد عبد الله بن [عبد الحكم بن][٨] أعْيَن بن لَيْث بن رافع المصريّ[٩] : أحدُ من قرأ « الموطأ » على الإمام مالك ، وتفقَّه لمذهبه ، وكان معظَّماً ببلاد مصرَ ، له بها ثَروةٌ وأموالٌ وافرةٌ . وحين قدِمَ الشافعيُّ مصرَ أعطاه ألفَ دينار ، وجمع له من أصحابه ألفي دينارٍ أخرى .

= (نسخة كامبرج) (١/ ٩٧) ، ومختصره لابن منظور (٣/ ٣٣٠-٣٣٢) .

(١) تاريخ ابن عساكر (٩٧/ أ) ، ومختصره (٣/ ٣٣١) .

(٢) لفظة حسن سقطت من آ .

(٣) تاريخ ابن عساكر (٩٧/ أ) ومختصره (٣/ ٣٣١) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) في آ ، ط : حسن . وهو حسين بن محمد بن بَهْرام التَّميمي المرُّوذي ، أبو أحمد المؤدِّب ، نزيل بغداد . إمام حافظ ثقة . روى له الجماعة . تهذيب الكمال (٦/ ٤٧١) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٦) .

(٦) سيفرده بالترجمة بعد قليل ، ولعل الاسمين قد اختلطا عنده .

(٧) معاوية بن عمرو بنِ المهلَّب بن عمرو ، أبو عمرو الأزديّ البغدادي . الإمام ، الحافظ ، الصادق . حدث عنه الجماعة . كان بطلاً مقداماً ، معروفاً بالإقدام والرباط . العبر (١/ ٢٨٨) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٤) .

(٨) ما بين الحاصرتين سقط من ط ، ولا يصح إلا بها .

(٩) التاريخ الكبير (٥/ ١٤٢) ، الجرح والتعديل (٥/ ١٠٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٤) ، العبر (١/ ٣٦٨) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٠) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٨٩) .

وهو والد محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، الذي صحبَ الشافعيَّ .

ولمَّا توفي في هذه السنة دُفِنَ إلى جانب قبر الشافعي . وحين تُوفي ابنُه عبدُ الرحمن دُفِنَ إلى جانب أبيه من القبلة[١] .

قال ابنُ خلكان[٢] : فهي ثلاثةُ أقبرٍ ؛ الشافعيُّ شاميها ، وهما قبلتُه ، رحمهم الله .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومئتين

في أواخر المحرم من هذه السنة ركب المأمونُ في العساكر من بغدادَ قاصداً بلاد الروم لغزوهم . واستخلف على بغداد وأعمالها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فلمَّا كان بتكريتَ تلقَّاه محمدُ بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من المدينة النبوية ، فأذِنَ له المأمونُ في الدخول على ابنته أمِّ الفضل بنت المأمون ؛ وكان معقودَ العقد عليها في حياة أبيه [علي بن موسى][٣] ، فدخل بها ، وأخذها معه إلى بلاد الحجاز .

وتلقَّاه أخوه أبو إسحاق بن الرشيد من الديار المصرية قبل وصوله إلى الموصل .

وسار المأمون في جحافل كثيرةٍ إلى بلاد طَرَسُوسَ في جمادى الأولى منها ، وفتح حصناً[٤] هناك عَنْوَةً ، وأمر بهدمِهِ .

ثم رجع المأمون من بلاد الروم إلى دمشق، فنزلها، وعمَّر دَير مُرَّان[٥] بسفح قاسيون ، وأقام بها مدَّة .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الله بنُ عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أبو زيد الأنصاريّ .

ومحمد بن عبد الله الأنصاريّ[٦] .

---

(١) في آ: من القبلي .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣٥) .

(٣) زيادة من ط .

(٤) في الكامل: حصن قُرَّة .

(٥) هذا الدير بالقرب من دمشق ، على تل مشرف على مزارع الزَّعفران ، ورياض حسنة ، وبناؤه بالجصّ ، وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن ، وهو دير كبير ، وفيه رهبان كثيرة ، في هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني . ياقوت .

(٦) أبو عبد الله ، قاضي البصرة وعالمها ومسندها . عاش سبعاً وتسعين سنة ، وهو من كبار شيوخ البخاري . العبر (١/ ٣٦٨) .

ومحمد بن المبارك الصُّوريُّ[١] .

وقَبيصَةُ بنُ عُقْبَة[٢] .

وعليُّ بن الحسن بن شقيق[٣] .

ومكِّيّ بن إبراهيم[٤] .

فأمّا أبو زيد الأنصاري[٥] : فهو سعيدُ بنُ أوس بن ثابت البصريُّ اللغويُّ ، أحدُ الثِّقات الأثبات ، ويقال : إنه كان يَرَى ليلة القَدْر .

قال أبو عثمان المازنيُّ : رأيت الأصمعيَّ جاء إلى مجلس أبي زَيْد الأنصاريِّ ، فقبَّلَ رأسَه ، وجلَس بين يديه ، وقال : رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة[٦] .

قال القاضي ابنُ خلكان[٧] : وله مصنفات كثيرة ؛ منها : « خلق الإنسان » ، و« كتاب الإبل » ، و« كتاب المياه » ، وكتاب « القوس والترس » ، وغير ذلك .

وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل : في التي قبلها أو التي بعدها ، وقد جاوز التسعين ، وقيل : إنه قارب المئة[٨] .

= وقبلها في آ : وأبو سليمان الداراني ، وقد ترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٠٥هـ .

(١) أبو عبد الله ، الحافظ ، صاحب سعيد بن عبد العزيز . فقيه ، مفتي دمشق . ثقة . خرّجوا له في الدواوين الستة . العبر (١/ ٣٦٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٩٠) .

(٢) قَبيصة بن عقبة السُّوائي الكوفي العابد ، أبو عامر . أحد الحفّاظ ، كان يقال له : زاهد الكوفة ، والرجل الصالح . العبر (١/ ٢٩٠) ط . بيروت .

(٣) علي بن الحسن بن شقيق بن دينار بن مِشْعب ، أبو عبد الرحمن العبدي مولاهم ، المروزي ، وكان جدّه شقيق بصرياً ، فقدِم خراسان . كان حافظاً ، كثير العلم ، من كبار الأئمة بخراسان . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٤٩) ، والعبر (١/ ٣٦٨) .

(٤) مَكّي بن إبراهيم بن بشير بن فَرْقد ، التّميمي ، الحنظليّ ، البَلْخي ، أبو السَّكن ، الإمام الحافظ . ، مسند خراسان ، صدوق . سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٤٩) .

(٥) تاريخ خليفة (٩٧) ، الجرح والتعديل (٤/ ٤) ، تاريخ بغداد (٩/ ٧٧) ، نزهة الألباء (١٧٣) ، معجم الأدباء (١١/ ٢١٢) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٨) ، سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩٤) ، طبقات القراء (١/ ٣٠٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٣٤) .

(٦) في تاريخ بغداد (٩/ ٧٧) ، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٤٩٥) : منذ ثلاثين سنة . وفي معجم الأدباء (١١/ ٢١٦) : منذ عشرين سنة ، وفي وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٩) : منذ خمسين سنة .

(٧) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٩) .

(٨) بعدها في ط : وأما أبو سليمان فقد قدمنا ترجمته .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومئتين

في هذه السنة عدا ملك الروم ، وهو توفيل بن ميخائيل ، فقتل جماعة من المسلمين في أرض طَرَسُوس نحواً من ألف وستمئة إنسان . ويقال : إنه كتب أيضاً إلى المأمون فبدأ بنفسه ، فلمَّا قرأ المأمون ذلك نهض من فوره ، فركب في الجيوش إلى بلاد الروم عَوداً على بدء ، وصحبته أخوه أبو إسحاق بن الرشيد نائب الشام ومصر ، فافتتح بلداناً كثيرة ، صلحاً وعَنْوَةً ، وافتتح أخوه ثلاثين حصناً ، وبعث المأمون يحيى بن أكثم في سَرِيَّة إلى طُوانة[1] فافتتح بلاداً كثيرة ، وأسر خلقاً من الذراري وغيرهم . وقتل خلقاً من الروم ، وحَرَق حصوناً عدة ، ثم عاد سالماً مؤيداً منصوراً إلى العسكر . وأقام المأمون ببلاد الروم من منتصف جمادى الآخرة إلى النصف من شعبان ، ثم عاد إلى دمشق . وقد وثب رجلٌ يقال له : عَبْدُوس الفِهريّ في شعبان من هذه السنة ببلاد مصر ، فتغلب على نواب أبي إسحاق بن الرشيد ، وقويت شوكته ، واتَّبَعه خلقٌ كثيرٌ منهم ، فركب المأمون من دمشق يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة منها إلى الديار المصرية ، فكان من أمره بها ما سنذكره .

وفي هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد وماوالاها من البلاد ، يأمره أن يأمرَ الناسَ بالتكبير عقب الصّلوات ، فكان أول شيء بُدىء به في جامع المدينة والرّصافة يوم الجمعة لأربعَ عشرَة ليلة خلت من شهر رمضان من هذه السنة ، أنهم لمَّا قضوا الصَّلاةَ قام الناس قياماً ، فكبَّروا ثلاث تكبيراتٍ ، ثم استمروا على ذلك بقيةَ الصّلوات .

وهذه بِدْعَة أحدثها المأمونُ بلا مستندٍ ولا دليلٍ ، ولا معتمدٍ ، فإنَّ هذا لم يفعله من قبله أحدٌ .

ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنَّ رَفْعَ الصَّوت بالذكرِ كان على عهد رسول الله ﷺ ، حين ينصرفُ الناسُ من المكتوبة[2] ، وقد استحبَّ هذا طائفةٌ من العلماء ، كابن حزم وغيره .

وقال أبو الحسن بن بَطَّال[3] : المذاهبُ الأربعة وغيرهم على عدم استحباب ذلك .

---

(١) « طُوَانة » : بلد بثغور المَصِّيصة ، بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . ياقوت .

(٢) روى البخاري في صحيحه (٢/ ٢٦٩) في الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة ، ومسلم رقم (٥٨٣) في المساجد ومواضع الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ . أقول : ولكن لم يكن جماعياً ، بل كان فردياً (ع) .

(٣) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بَطَّال ، أبو الحسن . من أهل قرطبة ، عالم بالحديث . توفي سنة ٤٤٩هـ . شذرات الذهب (٣/ ٢٨٣) ، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٥) .

قال النووي : وقد رُوي عن الشافعي أنَّه قال : إنما كان ذلك ليعلَم النَّاسُ أنَّ الذِّكرَ بعد الصَّلوات مشروعٌ ، فلمَّا عُلم ذلك لم يبقَ للجهر معنىً .

وهذا كما رُوي عن ابن عباس أنه كان يجهر بالفاتحة في صلاة الجنازة ، ليعلم الناس أنها سنة ، ولهذا نظائر ، والله أعلم .

[وأما هذه البِدْعَةُ التي أمر بها المأمونُ فإنَّها بِدْعَةٌ محدثة لم يعملْ بها أحدٌ من السَّلف .

وفيها : وَقَعَ بَرْدٌ شديدٌ جداً .

وفيها : حجَّ بالناس الذي حَجَّ بهم في العام الماضي ، وقيل : غيرُه ، والله أعلم][1] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

حَبَّان بن هِلال[2] .

وعبد الملك بن قُرَيب الأصْمَعيّ ، صاحبُ اللغة والنحو والشعر وغير ذلك[3] .

ومحمد بن بكَّار بن هلال[4] .

وهَوْذَة بنُ خَليفة[5] .

وَزُبَيْدَة امرأة هارون الرشيد وابنةُ عمّه[6] : وهي أم جَعْفَر أَمَةُ العزيز ، الملقَّبة زُبَيْدَة بنت جَعْفَر بن المنصور ، أبي جعفر ، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، القرشية

---

(١) ما بين قوسين زيادة من ط فقط ، ولم ترد في الأصول المعتمدة .

(٢) حَبَّان بن هِلال ، الباهلي ، أبو حبيب البصريّ . ثقة ، ثبت ، حجة ، امتنع من التحديث قبل موته . تهذيب الكمال (٥/ ٣٢٨) .

(٣) عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد الأصمعي . أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان والأخبار . كان كثير التطواف في البوادي ، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ، ويتحف بها الخلفاء ، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة . وكان الأصمعي يقول : أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة . وله تصانيف كثيرة .
أخبار النحويين البصريين ص٥٨ ، تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٠) ، تاريخ ابن عساكر (١٠/ ورقة ٢٣٩/ أـ٢٤٧/ أ) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٥) ، الأعلام للزركلي (٤/ ١٦٢) .

(٤) كذا في الأصول والمطبوع . والصحيح : بلال . وهو محمد بن بكَّار بن بلال العامليّ ، أبو عبد الله الدمشقي ، القاضي . صدوق . مات في هذه السنة وله أربع وسبعون سنة .
انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ١١٤) ، وتقريب التهذيب (٢/ ١٤٧) .

(٥) هَوْذة بن خليفة بن عبد الله الثقفي البَكْراوي ، أبو الأشهب البصري ، الأصمّ ، نزيل بغداد ، صدوق .
تقريب التهذيب (٢/ ٣٢٢) .

(٦) تاريخ بغداد (١/ ٤٣٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤١) ، النجوم الزاهرة (٢/ ٢١٣) ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور (٢١٥) .

الهاشمية ، العباسية . امرأة هارون الرشيد ، وأحبُّ الناس إليه في زمانها ، مع ما كان معها من الحظايا والزوجات ، كما ذكرنا في ترجمته[١] .

وإنما لقِّبت بزُبَيْدَة ؛ لأنَّ جدَّها أبا جعفر المنصور كان يلاعبها ، ويرقصها وهي صغيرة ، ويقول لها : إنما أنت زُبْدَ زُبَيْدَة ، فغلب ذلك عليها ، فلا تعرف إلا به . وأصلُ اسمها أمة العزيز . وكانت من الجمال والمال والخير والديانة على جانب ، ولها من الصدقات والأوقاف ووجوه القربات شيء كثير جداً .

وروى الخطيب البغدادي : أنها حجَّت فبلَغت نفقتُها في ستين يوماً أربعةً وخمسين ألف ألف درهم[٢] .

وأنَّها لمَّا هنَّأت المأمون بالخلافة حين دخل بغداد قالت له : لقد هنَّأت نفسي بها عنك[٣] قبلَ أن أراك ، ولئن كنتُ فقدْتُ ابناً خليفةً ، لقد عُوِّضت ابناً خليفةً لم ألده ، وما خسِرَ من اعْتَاضَ مثلك ، ولا ثُكلت أمٌّ ملأت يدَها منك ، وأنا أسأل الله أجراً على ما أخَذ ، وإمتاعاً بما عوَّض[٤] . وذكر[٥] أنها تُوفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومئتين .

ثم قال الخطيب : حدّثني الحسن[٦] بن محمد الخلال لفظاً ، قال : وجدت[٧] بخط أبي الفتح القواس ، [قال] : حدثنا صدقة بن هبيرة الموصلي ، حدثنا محمد بن عبد الله الواسطي ، قال : قال عبدُ الله بن المبارك : رأيت زُبَيْدَة في المنام ، فقلت : ما فعل الله بكِ ؟ فقالت : غفَر لي في أوَّل معْوَلٍ ضربت في طريق مكة . قلت : فما هذه الصُّفرة ؟ قالت : دُفن بين ظهرانينا رجلٌ يقال له : بِشْر المَرِيسي[٨] زفَرت عليه جهنّم زفرة ، فاقشعرَّ لها جسدي ، فهذه الصُّفْرة من تلك الزَّفرة[٩] .

وذكر القاضي ابن خلكان أنه كان لها مئة جارية ، كلهن يحفظْن القرآن العظيم ، وَوِرْدُ كُلِّ واحدةٍ عُشْرُ القرآن ، وكان يُسمَعُ لهنَّ في القصر دويٌّ كدويّ النحل[١٠] .

---

(١) ترجم له المؤلف في حوادث سنة ١٩٣ .
(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٣) .
(٣) في ظا ، ب : بك عنها .
(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٤) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) في آ ، ط : الحسين . وهو الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الخلال ، أبو محمد ، فاضل ، من أهل بغداد ، توفي سنة ٤٣٩هـ . تاريخ بغداد (٧/ ٤٢٥) .
(٧) في آ : وجدت أبا الفتح القواس .
(٨) من كبار المعتزلة ، وسترد ترجمته في حوادث سنة ٢١٨هـ .
(٩) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٤) .
(١٠) وفيات الأعيان (٢/ ٣١٤) . وبعدها في ط ما نصه : وورد أنها رؤيت في المنام ، فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات ، وما عملته في طريق الحج ، فقالت : ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله ، وما نفعنا إلا ركعات=

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومئتين

في المحرم منها دخل المأمونُ الديار المصرية ، ظفر بعَبْدُوس الفِهْري ، فأمر فضربتْ عنقه . ثم كرَّ المأمون راجعاً إلى الشام .

وفي هذه السنة ركب المأمون إلى بلاد الروم أيضاً ، فحاصر لؤلؤة[1] مئةَ يوم ، ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها عُجَيفاً ، فخدعته الروم ، فأسروه ، فأقام في أيديهم ثمانية أيام ، ثم انفلت من أيديهم ، واستمر محاصِراً لهم ، فجاء ملك الروم بنفسه فأحاط بجيشه من ورائه ، فبلغ المأمون فسار إليه ، فلما أحسَّ توفيل بقدومه انصرف هارباً من وجهه ، وبعث إليه الوزير ، الذي يقال له : الصنفل ، فسأله الأمان والمصالحة والمهادنة ، لكنه بدأ بنفسه في كتابه إلى المأمون ، فردَّ عليه المأمون كتاباً بليغاً ، مضمونُه التقريعُ والتوبيخ ، وإني إنَّما أقبلُ منك الدخول في الحنيفيّة ، وإلا فالسيفُ والقتل . والسلام على من اتبع الهدى[2] .

وحجَّ بالناس فيها سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

حَجَّاج بن مِنْهال[3] .

وسُرَيْج بن النُّعمان[4] .

وموسى بن داود الضَّبِّي[5] .

= كنت أركعهن في السحر . وفيها جرت حوادث وأمور يطول ذكرها .

(١) « لؤلؤة » : قلعة قرب طَرَسوس . ياقوت .

(٢) راجع نص الرسالتين المتبادلتين بين توفيل والمأمون في تاريخ الطبري (٨/ ٦٢٩) .

(٣) حجَّاج بن مِنهال البصريّ ، أبو محمد الأنماطي . كان دلالاً في الأنماط . ثقة ، صاحب سنّة . العبر (١/ ٣٧١) .

(٤) سُرَيْج بن النُّعمان الجوهريّ البغدادي الحافظ ، كان ثقة مبرّزاً . تهذيب الكمال (١٠/ ٢١٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١٩) .

(٥) أبو عبد الله الكوفيّ الطّرسوسي ، نزيل بغداد . كان مصنفاً مكثراً مأموناً ، وكان ثقة زاهداً صاحب حديث . ولي قضاء طرسوس حتى مات . العبر (١/ ٣٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٣٦) .

ثم دخلت سنة ثمان[(١)] عشرة ومئتين

في أول يوم من جمادى الأولى منها وجَّه المأمونُ ابنَه العبَّاسَ إلى بلاد الروم لبناء الطُّوانة ، وتجديد عمارتها . وبعث إلى سائر الأقاليم والآفاق في تجهيز الفَعَلَةِ[(٢)] من كلّ بلدٍ إليها ، من مصر والشام والعراق وغير ذلك ، فاجتمع خلقٌ كثير لا يعلمهم إلا الله عزَّ وجلَّ . وأمره أن يجعلها ميلاً في ميلٍ ، وأن يجعل سورَها ثلاثة فراسِخَ ، وأن يجعل لها ثلاثة أبواب ، عند كُلِّ بابٍ حِصْنٌ .

ذكر أوَّل المحنة[(٣)] :

في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والمحدّثين بالقول بخلق القرآن ، وأن يرسل إليه جماعة منهم إلى الرّقة . ونسخة كتاب المأمون إلى نائبه مطولة ، قد سردها ابنُ جرير[(٤)] ؛ ومضمونها الاحتجاجُ على أنَّ القرآن محدث وليس بقديم ، وعنده أن كلَّ محدث فهو مخلوق ، وهذا أمرٌ لا يوافقه عليه كثيرٌ من المتكلمين ولا المحدثين ، فإنَّ القائلين بأنه تعالى تقوم به الأفعال الاختيارية ، لا يقولون بأنَّ فعله تعالى القائم بذاته المقدسة[(٥)] بعد أن لم يكن مخلوقاً[(٦)] ، بل يقولون : هو محدَثٌ وليس بمخلوق ، بل هو كلام الله تعالى القائم بذاته المقدسة ، وما كان قائماً بالذات لا يكون مخلوقاً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢][(٧)] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ [الأعراف : ١١] . فالأمر منه بالسجود صدرَ منه تعالى بعد خلقه آدم ، فالكلام القائم بالذات ليس بمخلوق ، وهذا له موضع آخر .

وقد صنف البخاريُّ كتاباً في هذا المعنى سمَّاه « خلق أفعال العباد » .

والمقصود أن الكتاب[(٨)] لمَّا ورد بغداد قُرِىء على الناس . وقد عيَّن المأمونُ جماعةً من المحدّثين

---

(١) في الأصول : ثماني عشرة بإثبات الياء ، كالاسم المنقوص المضاف . وأثبت ما جاء في ط .
(٢) « الفَعَلَة » : صفة غالبة على عَمَلةِ الطين والحفر ونحوهما ؛ لأنَّهم يفعلون . اللسان : فعل .
(٣) في ط : ذكر أوَّل المحنة والفتنة .
(٤) تاريخ الطبري (٨/ ٦٣١) .
(٥) في ط : المقدسة مخلوق ، بل لم يكن مخلوقاً .
(٦) في ظا ، ب : محدثاً .
(٧) وفي الأصول : من الرحمن محدث وهي الآية (٥) من سورة الشعراء . وقد أثبت ما جاء في ط .
(٨) في ط : أن كتاب المأمون .

ليحضرهم إليه ؛ وهم : محمد بن سعد كاتب الواقديّ ، وأبو مسلم ، مستملي يزيد بن هارون[(١)] ، ويحيى بن معين ، وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن الدّورقيّ[(٢)] .

فبعث بهم إلى المأمون ، إلى الرقة ، فامتحنهم بالقول بخلق القرآن ، فأجابوه إلى ذلك ، وأظهروا موافقتَه وهم كارهون . فردَّهم إلى بغداد ، وأمرَ بإشهار أمرهم بين الفقهاء ، ففعل إسحاق بن إبراهيم ذلك .

وأحضر خلقاً من مشايخ الحديث والفقهاء والقضاة وأئمة المساجد وغيرهم ، فدعاهم إلى ذلك عن أمر المأمون ، وذكر لهم موافقة أولئك المحدّثين في ذلك ، فأجابوا بمثل جواب أولئك . ووقعت بين الناس فتنةٌ عظيمةٌ ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

ثم كتب المأمون كتاباً ثانياً إلى إسحاق بن إبراهيم يستدلّ فيه على القول بخلق القرآن بشُبهٍ من الدلائل لا تحقيق فيها ، ولا حاصلَ لها ، بل هي من المتشابهات ، وأورد من القرآن آياتٍ هي حجة عليه لا له ؛ أورده ابنُ جرير[(٣)] بطوله . وأمره[(٤)] أن يقرأ ذلك على أناس وأن يدعوهم إليه والقول به . فأحضر إسحاق بن إبراهيم جماعةً من الأئمة ، وهم : أحمد بن حنبل ، وقُتَيْبة ، وأبو حسّان الزِّياديُّ ، وبشر بن الوليد الكِندي ، وعليّ بن أبي مُقاتل ، وسَعْدُويه الواسطيّ ، وعليّ بن الجَعْد ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وابن الهِرْش ، وابن عُلَيَّة الأكبر ، ويحيى بن عبد الرحمن[(٥)] العمري ، وشيخ آخر من سلالة عمر ، كان قاضياً على الرقة ، وأبو نَصر التَّمَّار ، وأبو مَعْمَر القَطيعيّ ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، ومحمد بن نوح الجنديسابوري المضروب ، وابن الفَرُّخان ، [والنَّضْر بن شميل ، وأبو علي بن عاصم ، وأبو العوام الجزَّار[(٦)] ، وابن شجاع][(٧)] ، وعبد الرحمن بن إسحاق ، وجماعة[(٨)] .

فلمَّا دخلوا على إسحاق بن إبراهيم قرأ عليهم كتاب المأمون ، فلما فهموه قال لبشر بن الوليد : ما تقولُ في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله . قال : ليس عن هذا أسألك ، إنما أسألك أهو مخلوقٌ ؟ قال :

---

(١) في ط وأبو مسلم المستملي ، ويزيد بن هارون ، وهو تحريف .
(٢) الطبري (٨/ ٦٣٤) .
(٣) تاريخ الطبري (٨/ ٦٣٢) .
(٤) في ط : وأمر نائبه .
(٥) في ط : « عبد الحميد » محرف .
(٦) تحرفت نسبته في النسخ التي بين أيدينا على وجوه مختلفة ، وما أثبتناه من كتب الرجال ، وهو فائد بن كيسان الباهلي أبو العوام الجزار (ع) .
(٧) ما بين قوسين من ظا ، ب . وابن شجاع : هو محمد بن شجاع المرُّوذي ، من رجال التهذيب .
(٨) تاريخ الطبري (٨/ ٦٣٧) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٤٢٣) .

ليس بخالق . قال : ولا عن هذا أسألك . فقال : ما أُحسن غيرَ هذا . وصمَّم على ذلك . فقال : أتشهد أن لا إلَه إلا الله أحداً فرداً ، لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ، ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجهٍ من الوجوه ؟ قال : نعم ! فقال للكاتب : اكتب بما قال . فكتب .

ثم امتحنهم رجلاً رجلاً ، فأكثرُهم امتنَعَ من القول بخلق القرآن ، وإذا مانع الرجل منهم يمتحنه بالرقعة[1] التي وافق عليها بِشْرُ بن الوليد الكِنديّ ؛ من أنه تعالى لا يشبهه شيء من خلقه في معنىً من المعاني ولا وجهٍ من الوجوه ، فيقول : نعم ، كما قال [بِشر] .

ولما انتهت النوبةُ إلى امتحان أحمد بن حنبل ، قال له : أتقولُ إن القرآن مخلوق ؟ فقال : القرآن كلامُ الله ، لا أزيد على هذا . قال : فما تقول في هذه الرقعة ؟ فقال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] . فقال رجلٌ من المعتزلة : إنه يقول : سميع بأُذن ، بصير بعين . فقال له [إسحاق] : ما أردْتَ بقولك : سميع بصيرٌ ؟ فقال : أردت منها ما أرادَه اللهُ منها ، وهو كما وَصَفَ نفسَه ، ولا أزيدُ على ذلك .

فكُتبتْ جواباتُ القوم ، رجل[2] رجل ، وبعث بها إلى المأمون .

فصـــل

قد تقدَّم : أن إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد لمَّا امتحن الجماعة في القول بخلق القرآن ، ونفي التشبيه ، فأجابوا كلُّهم إلى نفي المماثلة . وأما القولُ بخلق القرآن فامتنعوا من ذلك ، وقالوا كلهم : القرآن كلام الله . قال الإمام أحمد : ولا أزيدُ على هذا حَرْفاً أبداً ، وقرأ في نفي المماثلة : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، فقالوا : ما أردْتَ بقولك : السَّميع البصير ؟ فقال : أردْتُ منها ما أراد الله منها .

وكان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القرآن مُصانعة مكرهاً ؛ لأنَّهم كانوا يعزِلون مَن لا يجيبُ عن وظائفه ، وإن كان له رِزقٌ على بيت المال قُطِعَ ، وإن كان مفتياً مُنع من الإفتاء ، وإن كان شيخَ حديثٍ ، رُدِعَ عن الإسماع والأداء . ووقعت فتنة صمَّاء ، ومحنة شنعاء ، وداهية دهياء ، فلا حولَ ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم ، العزيز الحكيم .

وأمر النائبُ إسحاق بن إبراهيم للكاتب فكتب عن كُلِّ واحدٍ منهم جوابه بعينه ، وبعث به إلى

---

(١) ظا ، ب : بما في الرقعة .
(٢) في ط : رجلاً رجلاً .

المأمون ، فجاء الجواب يمدح النائب على ما فعل ، والرد على كل فردٍ فردٍ فيما قال . وأمر نائبه أن يمتحنهم أيضاً ، فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس ، ومن لم يجب منهم إلى القول بخلق القرآن فابعث به إلى عسكر أمير المؤمنين مقيَّداً محتفظاً به حتَّى يصل إلى أمير المؤمنين ، فيرى به رأيه ، ومن مذهبه[1] أن يضرب عنق من لم يقل بخلق القرآن . فعقد الأميرُ ببغداد مجلساً آخر ، وأحضر أولئك وفيهم إبراهيم بن المهديّ ، وكان صاحباً لبشر بن الوليد الكِنديّ ، وقد نصَّ المأمون على قتلهما إن لم يجيبا على الفور ، فلمَّا امتحنهم إسحاق بن إبراهيم ثانياً بعد قراءة كتاب الخليفة أجابوا كلهم مكرهين متأوِّلين قولَه تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : ١٠٦] ، إلَّا أربعةً ، [وهم] : أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، والحسن بن حمّاد سَجَّادة ، وعُبَيد الله بن عمر القَوَاريري . فقيَّدهم وأرصدهم ليبعث بهم إلى الخليفة ، ثم استدعَى بهم في اليوم الثاني فامتحنهم ، فأجاب سَجَّادة إلى القول بخلق القرآن ، فأطلق قيده وأطلقه . ثم امتحنهم في اليوم الثالث ، فأجاب القَواريريُّ إلى ذلك أيضاً فأطلق قيدَه أيضاً وأطلقه . وأصرَّ أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح الجنديسابوري على الامتناع من ذلك ، فأكَّد قيودَهما ، وجمعهما في الحديد ، وبعث بهما إلى الخليفة وهو بطَرَسُوسَ ، وكتب معهما كتاباً بإرسالهما إليه فسارا مقيَّدين في محارة على جمل متعادلين ، رضي الله عنهما .

وجعل الإمام أحمد يدعو الله عزَّ وجلَّ ألا يجمعَ بينهم[2] وبين المأمون ، وألا يرياه ولا يراهما . وجاء كتاب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم ، وفيه : أنه قد بلغني أن القوم إنما أجابوا مكرَهين متأوِّلين قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [النحل : ١٠٦] . وقد أخطؤوا في ذلك خطأً كبيراً ، فأرسلهم كلهم إلى أمير المؤمنين .

فاستدعاهم إسحاق بن إبراهيم ، وألزمهم بالمسير إلى طَرَسُوس ، فساروا إليها ، فلمَّا كانوا ببعض الطريق بلغهم وفاة المأمون ، فرُدُّوا إلى الرَّقَّة ، ثم أذن لهم بالرجوع إلى بغداد . وكان أحمد بن حنبل ، وصاحبه محمد بن نوح قد سبقا الناس ، ولكن لم يجتمعا به حتى مات ، واستجاب الله من عبده ووليه أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، فلم يجتمعوا بالمأمون ، ورُدُّوا إلى بغداد .

وسيأتي تمام ما وقع من الأمر الفظيع في أول ولاية المعتصم بن الرشيد ، وتمام الكلام فيها في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومئتين ، وبالله المستعان .

---

(١) في ط : ومن رأيه .
(٢) في ط : بينهما .

وهذه ترجمة المأمون[١] :

هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي العباسي ، أبو جعفر أمير المؤمنين [المأمون][٢] ، وأمُّه أمُّ ولدٍ اسمها : مَراجل الباذغيسيّة[٣] ، وكان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومئة ليلةَ توفي عمُّه الهادي ، وولي أبوه هارون الرشيد ، وكان ذلك ليلة جمعة كما تقدَّم .

قال ابن عساكر[٤] : رَوَى الحديث عن أبيه ، وهُشَيم بن بشير ، وأبي مُعاوية الضَّرير ، ويوسف بن عطيّة ، وعبَّاد بن العوام ، وإسماعيل بن عُلية ، وحجاج بن محمد الأعور .

وروى عنه : أبو حذيفة إسحاق بن بشر ـ وهو أسن منه ـ ويحيى بن أكثم القاضي ، وابنه الفضل بن المأمون ، ومعمر بن شبيب ، وأبو يوسف القاضي ، وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي ، وأحمد بن الحارث الشيعي ، واليزيدي ، وعمرو بن مسعدة ، وعبد الله بن طاهر بن الحسين ، ومحمد بن إبراهيم السُّلَميّ ، ودِعْبِل بن عليّ الخُزَاعيُّ . قال[٥] : وقدِمَ دمشقَ دفعات ، وأقام بها مدة .

ثم روى [ابنُ عساكر][٦] من طريق أبي القاسم البَغوي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي ، قال : سمعت المأمون في الشَّمَّاسِيَّة[٧] وقد أجرى الحَلْبة[٨] ، فجعل ينظر إلى كثرة الناس ، فقال ليحيى بن أكثم : أما ترى ؟ ثم قال : حدثنا يوسف بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس ، أن النبيَّ ﷺ قال : « الخَلْقُ كلُّهم عيال الله فأحبُّهم إليه[٩] أنفعُهم لعياله »[١٠] .

---

(١) المعارف ، لابن قتيبة (ص٣٨٧) ، وتاريخ الطبري (٨/ ٤٢٨ و٦٤٥) ، تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٣) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩ ، ٢٢٢) ، الكامل لابن الأثير (٦/ ٢٨٢ و٤٢٨) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٢) ، شذرات الذهب (٢/ ٣٩) .

(٢) زيادة من ب ، ظا .

(٣) نسبة إلى باذَغِيس ، وهي بليدات وقُرى كثيرة ومزارع بنواحي هراة . اللباب (١/ ١٠٥) .

(٤) ابن عساكر الجزء (٣٩/ ٢٢٢) .

(٥) أي ابن عساكر .

(٦) زيادة من ط .

(٧) « الشَّمَّاسِيَّة » : بفتح أوله وتشديد ثانيه ، ثم سين مهملة ، منسوبة إلى بعض شمَّاسي النصارى ، وهي مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد . ياقوت .

(٨) « الحَلْبة » : خيل تجمع للسباق من كل أوْب ، جمع حلائب .

(٩) تاريخ ابن عساكر : في رواية : فأحب خلقه إليه ، وفي الجزء ٣٩/ ٢٢٤ .

(١٠) وفي سنده يوسف بن عطية بن ثابت الصفار البصري ، أبو سهل ، وهو متروك ، كما قال الحافظ في التقريب .
ورواه أيضاً من حديث أنس أبو يعلى والبزار ، كما في مجمع الزوائد (٨/ ١٩١) ، وقال الحافظ الهيثمي : وفيه =

ومن حديث أبي بكر المَيَانَجِيّ[1] عن الحسين بن أحمد المالكي ، عن يحيى بن أكثم القاضي ، عن المأمون ، عن هُشَيم ، عن منصور عن الحسن ، عن أبي بكرة : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « الحياء من الإيمان »[2] .

ومن حديث جعفر [بن محمد] بن أبي عثمان الطيالسي ، أنه صلَّى العصر يوم عرفة خلف المأمون بالرصافة ، فلمَّا سلَّم كبَّر النَّاسُ ، فجعل يقول : لا يا غوغاء ، لا يا غوغاء ، غداً سنة أبي القاسم ﷺ . فلما كان الغدُ صعِدَ المنبرَ ، فكبَّر . ثم قال : أنبأ هُشَيم بن بشير ، حدَّثنا ابن شُبْرُمة ، عن الشَّعبيّ ، عن البَراء بن عازب ، عن أبي بُرْدَة بن نيار ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ ذَبَح قَبْلَ أنْ يُصَلِّي فإنَّما هو لحمٌ قدَّمه لأهله ، ومَنْ ذَبَح بعد أن يُصَلِّي الغداة فقد أصاب السُّنَّة »[3] . الله أكبر كبيراً . والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بُكرةً وأصيلاً ، اللهم أصلحني واسْتَصْلِحني ، وأصلحْ على يديّ .

وكان مولد المأمون ليلة مات عمه الهادي ، وولي أبوه الرشيد ، وذلك ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومئة ، وولي الخلافة في المحرم لخمس بقين منه بعد مقتل أخيه سنة ثمان وتسعين ومئة ، واستمرَّ في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر .

وقد كان فيه تشيّع واعتزالٌ وجهلٌ بالسُّنَّة الصحيحة ، وقد بايع في سنة إحدى ومئتين بولاية العهد من

= يوسف بن عطية الصفار ، وهو متروك . وذكره الهيثمي من حديث ابن مسعود ، وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه عمير ، وهو أبو هارون القرشي ، متروك .

وقد رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بلفظ : « أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجلَّ سرورٌ تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً . . » .

وإسناده ضعيف ، ولكن له طريق آخر ، رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » عن بعض أصحاب النبي ﷺ ، وابن عساكر من طرقٍ عن ابن عمر ، فهو حديث حسن (ع) .

وفي رواية : أحب العباد إلى الله أنفعهم لعياله . رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد لأبيه ، عن الحسن مرسلاً ، وهو ضعيف ، لكن له شواهد ، يكون بها حسناً لغيره .

(١) انظر غرائب حديث الميانجي (خ حديث ٢٧٩ ق ١٢٣ ظاهرية) ، وتاريخ ابن عساكر ، الجزء٣٩ ، ص٢٢٥ .

(٢) وإسناده ضعيف ، ولكن رواه البخاري (١٠/ ٤٣٣) في الأدب ، باب الحياء ؛ ومسلم رقم (٣٦) في الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان ، وفضيلة الحياء ؛ وأبو داود رقم (٤٧٩٥) في الأدب ، باب في الحياء ؛ والترمذي رقم (٢٦١٥) في الإيمان ، باب ما جاء أن الحياء من الإيمان ؛ وابن ماجه رقم (٥٨) في المقدمة ، باب في الإيمان ، كلهم من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . ورواه الترمذي رقم (٢٠٠٩) في البر والصلة ، باب ما جاء في الحياء ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . فالحديث صحيح .

(٣) وهو في صحيح البخاري (١٠/ ٢ و٣) في الأضاحي ، باب سنة الأضحية ؛ ومسلم رقم (١٩٦١) (٧) ؛ والنسائي (٣/ ١٨٢) في العيدين ؛ والبيهقي في سننه (١٠/ ٢٧٦) في الأضاحي ؛ باب وقت الأضحية ؛ من حديث البراء بن عازب ، رضي الله عنه .

بعده لعلي الرِّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب ، وخلَع السّوادَ ولبس الخُضْرَةَ كما قدَّمنا[١] ، فأعظَمَ ذلك العبّاسيون من البغاددة وغيرهم ، وخلعوا المأمون وولّوا عليهم إبراهيم بن المهدي ، كما تقدَّم ، ثم ظفر المأمون بهم واستقام أمره في الخلافة ، وذلك بعد موت عليّ الرِّضا بطُوس ، وعفا عن عمِّه إبراهيم بن المهدي ، كما تقدّم بسطُ ذلك في موضعه[٢] .

وأمَّا كونه على مذهب الاعتزال فإنَّه اجتمع بجماعة ؛ منهم : بِشْرُ بن غياث المَريسي ، فأخذ عنهم هذا المذهب الباطل . وكان يحبُّ العلم ، ولم يكن له بصيرةٌ نافذة فيه ، فدخل عليه بسبب ذلك الداخلُ ، وراج عنده الباطلُ ؛ ودعا إليه وحَمَل الناس قهراً عليه ؛ وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : كان المأمون أبيضَ ربعةً ، حسنَ الوجه ، قد وخَطَهُ الشَّيبُ ، تعلُوه صُفْرَةٌ ، أعينَ، طويلَ اللّحية ، رقيقَها ، ضيِّقَ الجَبينِ ، على خَدِّه خالٌ ؛ أمُّه أمُّ ولدٍ يقالُ لها : مَراجل[٣] .

وروى الخطيب البغدادي عن القاسم بن محمد بن عباد ، قال : لم يحفظ القرآنَ أحدٌ مِن الخلفاء غيرُ عثمانَ بن عفان والمأمون[٤] ؛ وهذا غريبٌ جدّاً[٥] .

قالوا : وكان يتلو في شهر رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمةً ، وجلس يوماً لإملاء الحديث فاجتمع حوله القاضي ابن أكثم وجماعة ، فأملى عليهم من حفظه ثلاثين حديثاً . وكانت له بصيرة بعلوم متعددة ، من فقهٍ ، وطبٍّ ، وشعرٍ ، وفرائضَ ، وكلامٍ ، ونحوٍ ، وعربية ، وغريبٍ ، وعلم النجوم ؛ وإليه يُنسب الزِّيج[٦] المأموني . وقد اختبر مقدار الدرجة في وطأة سنجار ، فاختلف عملُه وعمل الأوائل من القدماء .

وروى ابن عساكر[٧] أنَّ المأمون جلس يوماً للناس ، وفي مجلسه الأمراء والعلماء ، فجاءت امرأة تتظلَّم إليه ، فذكرت أن أخاها توفي وترك ستمئة دينار ، فلم يحصل لها سوى دينار واحد . فقال لها على البديهة : قد وصل إليك حقُّكِ ، كأن أخاك قد ترك بنتين[٨] ، وأمّاً ، وزوجة ، واثني عشر أخاً ، وأختاً

---

(١) تقدَّم في حوادث سنة ٢٠٤هـ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٤) ، تاريخ ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٣) .

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٩٠) ، وتاريخ ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٤) .

(٥) بعدها في ط : لا يوافق عليه ، فقد كان يحفظ القرآن عدة من الخلفاء .

(٦) « الزِّيج » : كتاب أو جدول يعرف منه سير الكواكب ، ومنه يستخرج التقويم . فارسي معرب .

(٧) تاريخ ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٦) . والخبر في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٧) ، والوافي بالوفيات (١٧/ ٦٥٧) ، وفوات الوفيات (١/ ٢٤٠) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٣١) .

(٨) في ابن عساكر : أربع بنات .

واحدة وهي أنت ؟ قالت : نعم يا أميرَ المؤمنين . فقال : للبنتين الثلثان أربعمئة دينار ، وللأم السدسُ مئةُ دينار ، وللزوجة الثمن خمسة وسبعون ديناراً ، ويبقى خمسة وعشرون ديناراً ، لكلّ أخٍ ديناران [ديناران][1] ، ولك دينار واحدٌ .

فعجب الناس من فطنته [وحِدَّةِ ذِهنه][2] وسرعة جوابه . وقد رُويت هذه الحكاية عن علي بن أبي طالب .

ودخل بعضُ الشعراء على المأمون وقد قال فيه بيتاً يراه عظيماً ، فلما أنشده إياه لم يقع منه موقعاً طائلاً ، فخرج من عنده ، فلقيه شاعر آخر فقال : ألا أعجبك ؟ أنشدْتُ المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأساً . فقال : وما هو ؟ قال : قلت فيه[3] :

أضحى إمامُ الهُدَى المأمونُ مُشْتَغلاً بالدِّينِ والنَّاسُ بالدنيا مَشَاغِيلُ

فقال له ذلك الشاعر : ما زِدْتَ على أن جعلْتَه عجوزاً في محرابها . فهلا قلت كما قال جريرٌ في عبد العزيز بن الوليد[4] :

فَلا هُوَ في الدُّنيا مُضيعٌ نَصِيبَهُ ولا عَرَضُ الدُّنيا عن الدِّينِ شاغِلُهْ

وقال المأمون يوماً لبعض جلسائه : بيتان لاثنين ما لحقهما أحدٌ ، قولُ أبي نواس[5] :

إذا اختبَرَ الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفَتْ لَهُ عن عَدوٍّ في ثيابِ صديقِ

وقولُ شريح[6] :

تهونُ على الدُّنيا الملامةُ إنَّهُ حريصٌ على اسْتِصْلاحها مَنْ يَلُومُها

قال [المأمون][7] : وقد ألجأني الزّحام يوماً وأنا في الموكب حتى خالطت السوق[8] فرأيت رجلاً

---

(١) زيادة من ابن عساكر وط .
(٢) ما بين حاصرتين زيادة من ط (ع) .
(٣) البيت في الطبري (٨/ ٦٦٣) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٨) ، والصناعتين (١١٩) ، وسر الفصاحة (٢٤٨) ، وشعر مروان بن أبي حفصة (ص١١٧ ، ١٣٣) .
(٤) الطبري (٨/ ٦٦٣) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٩) وديوان جرير (٤٣٥) وفي ط (عبد العزيز بن مروان) (ع) .
(٥) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٩) وديوان أبي نواس (٢٨٧) .
(٦) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٩) .
(٧) زيادة من ط .
(٨) في ط : السوقة .

في دكان عليه أثواب خَلِقَة[١] ، فنظر إليَّ نظرَ مَن يرحمُني أو يتعجَّبُ من أمري ، فقال[٢] :

أَرَى كُـلَّ مَغْـرُورٍ تُمَنِّيـهِ نفسُـهُ   إذا مـا مَضَـى عـامٌ سـلامةَ قـابِـلِ

وقال يحيى بن أكثم : سمعت المأمون يوم عيد خطب الناس ؛ حمد الله وأثنى عليه ، وصلَّى على رسول الله ﷺ ثم قال : عبادَ الله ! عظم أمرُ الدارين ، وارتفع جزاءُ العاملين ، وطالت مدَّة الفريقين ، فوالله إنه للجِدُّ لا اللعبُ ، وإنَّه للحَقُّ لا الكذِب ، وما هو إلَّا الموت ، والبعث ، والحساب ، والفَصْل ، والصّراط ، ثم العقاب ، والثواب . فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هَوَى يومئذ فقد خاب . الخيرُ كُلُّه في الجنة ، والشرُّ كلُّه في النار[٣] .

وروى ابن عساكر[٤] من طريق النَّضْر بن شُميل ، قال : دخلْتُ على المأمون ، فقال : كيف أصبحْتَ يا نَضْر ؟! قلت : بخير يا أمير المؤمنين ! فقال : ما الإرجاء[٥] ؟ فقلْتُ : دين يوافق الملوكَ ؛ يصيبون به من دنياهم وينقصون من دينهم . قال : صدقْتَ . ثم قال : يا نَضْر ! أتدري ما قلْتُ في صبيحة هذا اليوم ؟ قلت : إني لم أعلم الغيب . فقال : قلت[٦] :

أَصْبَـحَ دينـي الَّـذي أَدِيـنُ بـهِ   وَلَسْـتُ منـهُ الغَـدَاةَ مُعْتَـذِرا
حُـبُّ علـيٍّ بعـدَ النَّبـيِّ ولا   أشتِـمُ صِـدِّيقنـا ولا عُمَـرا
ثـم ابـن عفَّـان فـي الجِنَـانِ مَعَ الـ   أبْـرارِ ذاكَ القتيـلُ مُصْطَبِـرا
لا ، لا ، ولا أشتـمُ الـزُّبيـرَ ولا   طلحـةَ إنْ قـالَ قـائـلٌ غـدرَا
وعـائـشُ الأمُّ لسـتُ أشتِمُهـا   مَـن يَفْتَـرِيهـا فنَحْـنُ منـهُ بـرا

وهذا المذهب ثاني مراتب التشيّع ، وفيه[٧] تفضيل عليٍّ على عثمان[٨] . وقد قال بعضُ السَّلف والدارقطني : مَن فضَّل علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ـ يعني في اجتهادهم ثلاثة أيام ، ثم اتفقوا على تقديم عثمان على عليٍّ بعد مقتل عُمَرَ ، رضي الله عنهم ـ وبعد ذلك ستَّ عشرةَ مرتبةً في التشيّع ، على ما ذكره صاحبُ كتاب « البلاغ الأكبر ، والناموس الأعظم » ، ينتهي إلى أكفر الكفر .

---

(١) يقال : ثوب خَلَق : بالٍ ، والجمع خُلْقان وأخْلاق .
(٢) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٣٩) .
(٣) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٤٨) .
(٤) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩) .
(٥) في ابن عساكر : أتدري بالإرجاء؟ .
(٦) الأبيات في ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٤٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٨٢) ، ووفيات الأعيان (٢/ ٢٣٨) .
(٧) في ب ، ظا : وقبله .
(٨) في ط : الصحابة .

وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه قال : لا أُوتى بأحدٍ فضَّلني على أبي بكرٍ وعُمَر إلا جَلَدتُه جَلْدَ المُفْتَرِي . وتواتر عنه أنه قال : خيرُ الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان[(١)] .

فقد خالف المأمون بن الرشيد في مذهبه الصحابة كلَّهم حتى عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنهم .

وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين والأنصار ، وخالفهم في ذلك ، البدعةَ الأخرى والطَّامة العظمى ، وهي القولُ بِخَلْقِ القرآن ، مع ما فيه من الانهماك على تعاطي المسكِر وغير ذلك من الأفعال التي يعذر فيها المنكِر .

ولكن كان فيه شهامة عظيمة ، وقوة جسيمة ، وله همة في القتال ، وحصار الأعداء ، ومصابرة الروم وحصرهم في بلدانهم ، وقتل فرسانهم ، وأسر ذراريهم وولدانهم .

وكان يقول : [معاوية] بعَمْرِه ، وعبد الملك بحجَّاجِهِ ، وأنا بنفسي[(٢)] .

وكان يقصد العدل ، ويتوَّلى بنفسه بين الناس الفصلَ ؛ جاءته امرأة ضعيفة فتظلَّمت على ابنه العباسِ وهو واقف على رأسه ، فأمرَ الحاجبَ فأخذ بيده فأجلَسَه معها بين يديه ، فادَّعَتْ عليه أنه أخذ ضيعةً لها واستحوذ عليها ، فتناظرا ساعةً فجعل صوتُها يعلو على صوته ، فزجرها بعضُ الحاضرين ، فقال له المأمون : اسكت ، فإنَّ الحقَّ أنطقها والباطلَ أسكته ، ثم حكم لها بحقها ، وأغرم لها ولَدَه بعشرة آلاف درهم[(٣)] .

وكتب إلى بعض الأمراء : ليس من المروءة أن تكون آنيتك من ذهب وفضَّة ، وغريمك عارٍ ، وجارك طاوٍ[(٤)] .

ووقف رجلٌ بين يدي المأمون ، فقال له المأمون : والله لأقتلنَّك ! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، تأنَّ عَليَّ ، فإنَّ الرِّفْقَ نِصفُ العَفْو ، فقال : ويحك ! وقد حلفت لأقتلنَّكَ ! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لأنْ تلقى الله عزَّ وجلَّ حانِثاً خيرٌ لك من أن تلقاه قاتلاً . فعفا عنه[(٥)] .

وكان يقول : ليت أهلَ الجرائم يعرفون مذهبي في العفو حتى يذهبَ الخوفُ عنهم ، ويدخلَ السُّرورُ إلى قلوبهم[(٦)] .

---

(١) قوله : ثم عثمان لم يرد في ب ، ط .
(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٩٠) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٥٥) ، والوافي بالوفيات (١٧/ ٦٥٦) .
(٣) العقد الفريد (١/ ٢٢) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٥٦) .
(٤) العقد الفريد (٤/ ٣٠٣) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٥٨) .
(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ١٩١) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٥٩) .
(٦) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٥٩) ، والوافي بالوفيات (١٧/ ٦٥٧) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٣٢٥) .

وركبَ يوماً في حرَّاقة ، فسمع ملاحاً يقول : أترون هذا المأمونَ ينبُلُ في عيني ، وقد قتلَ أخاه الأمين ؟ وهو لا يشعر بمكان الخليفة ، فجعَلَ المأمون يتبَّسم ويقولُ : كيف ترون الحيلةَ حتَّى أنبُلَ في عينِ هذا الرجل الجَلِيل[1] ؟ وحضر عنده هُدْبَةُ بن خالد يوماً ، فتغدَّى عنده ، فلمَّا رُفعت المائدة جعلَ هُدَبَةُ يلتقطُ ما تناثر منها ، فقال له المأمون : أما شبعْتَ يا شيخُ ؟! فقال : بلى ، ولكن حدَّثني حمَّاد بنُ سلمة ، عن ثابتٍ ، عن أنس ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ أكَلَ ما تحتَ مائدتِهِ أمِنَ منَ الفقر »[2] قال : فأمر له المأمون بألف دينارٍ[3] .

وروى ابن عساكر[4] أن المأمون قال يوماً لمحمد بن عبَّاد بن المهلب : يا أبا عبد الله ! قد أعطيتُكَ ألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ ، وإنَّ عليك ديناً ! فقال : يا أميرَ المؤمنين : إنَّ منع الموجود سوءُ ظَنٍّ بالمعبود . فقال : أحسنت يا أبا عبد الله ! أعطوه ألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ ، وألفَ ألفٍ .

ولمَّا أراد المأمون أن يدخلَ ببوران[5] بنت الحسن بن سهل جعل الناس يهدون لأبيها الأشياء النفيسة ، وكان من جملة من يعتزُّ به رجلٌ من الأدباء ؛ فأهدى إليه مِزْوَداً[6] فيه ملح طيب ، ومِزْوداً فيه أشنان[7] جيد ، وكتب إليه : إني كرهت أن تُطوى صحيفة أهل البرّ ولا أذكر فيها ، فوجَّهت إليك بالمبتدأ به لِيُمنه وبركته ، وبالمختوم به لطيبه ونظافته . وكتب إليه[8] :

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٩) ، ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٦٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٩) ، الوافي بالوفيات (١٧/ ٦٥٧) ، فوات الوفيات (٢/ ٢٣٦) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٢٦) .

(٢) ذكره الحافظ السيوطي في تاريخ الخلفاء صفحة (٣٢٢) فقال : وأخرج الخطيب ، أي البغدادي ، عن هدبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ: « من أكل ما تحت مائدة أمن من الفقر » .
وذكر الحديث أيضاً المتقي الهندي في كنز العمال (١٥/ ٢٥٢) رقم (٤٠٨٢١) من حديث هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، وقال : قال ابن حجر في أطراف المختارة : سنده من هدبة على شرط مسلم ، والمتن منكر . فلينظر فيمن دون هدبة .
وفي رواية : « من أكل ما يسقط من المائدة لم يزل في سعة من رزق » رواه الدارقطني في الغرائب من حديث أبي هريرة .
قال ابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة (٢/ ٢٦٢) وفيه أحمد بن سليمان الحراني . قال الذهبي : ليس بعمدة .
وفي رواية من حديث ابن عباس : « من أكل ما يسقط من المائدة نفي عنه الفقر » عند الديلمي ، وفيه يوسف بن أبي يوسف القاضي ، وهو مجهول .

(٣) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٦٦) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٢٧) .

(٤) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٦٧) ، وعيون الأخبار (٣/ ١٧٥) ، والعقد الفريد (١/ ١٧٢) ، والمستجاد (١٧٩) .

(٥) تقدم الحديث عن عرس بوران في حوادث سنة ٢١٠هـ .

(٦) « المِزْوَد »: وعاء الزاد ، جمع مَزاود .

(٧) « الأشنان والإشنان »: شجر ينبت في الأرض الرملية ، يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي .

(٨) البيتان والخبر في ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) .

بِضاعتي تقصُرُ عن هِمَّتي وهِمَّتي تقصُرُ عن مالي
فالمِلْحُ والأشْنانُ يا سيدي أحسَنُ ما يُهديهِ أمثالي

قال : فدخل بهما الحسنُ بن سهل على المأمون فأعجبَهُ ذلك ، وأمر بالمِزْوَدَين ففرّغا وملئا دنانيرَ ، وبعث بهما إلى ذلك الأديب .

وولد للمأمون ابنُه جعفر ، فدخل الناس عليه يهنّئونه بصنوفِ التهاني ، ودخل بعضُ الشعراء[١] ، فقال : يهنّيه بولده :

مدَّ لكَ اللهُ الحياةَ مَدَّاً حتى ترى ابنَكَ هذا جَدَّا
ثمَّ يُفدَى مثلَ ما تُفدَّى كأنَّهُ أنتَ إذا تَبدَّى
أشبهُ منكَ قامةً وقَدَّاً مؤزَّراً بمجدِه مُردَّا[٢]

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وقدِمَ عليه وهو بدمشق مالٌ جزيل بعدما كان قد أفْلَسَ ، وشكا إلى أخيه المعتصم ذلك ، فورد عليه خزائن من خراسان ثلاثون ألف ألف درهم ، فخرج يستعرضها وقد زينت الجمال والأحمال ، ومعه يحيى بن أكثم القاضي ، فلما دخلت البلد قال : ليس من المروءة أن نحوزَ نحن هذا كلَّه والناسُ ينظرون ، ثم فرَّق منه أربعة وعشرين ألفَ ألفِ درهم ، ورِجلُه في الركاب لم ينزل عن فرسه[٣] .

ومن لطيف شعره قوله[٤] :

لِساني كَتُومٌ لأسرارِكمْ ودمعِي نَمومٌ لِسرِّي مُذِيعُ
فلولا دُموعي كَتَمْتُ الهوَى ولولا الهوى لَمْ تَكُنْ لي دُموعُ

وقد بَعث خادماً ليلة من الليالي ليأتيه بجارية ، فأطال [الخادم][٥] عندها المُكْث ، وتمنَّعت الجارية من المجيء إليه حتى يأتي إليها الخليفة بنفسه ، فأنشأ المأمون يقول[٦] :

---

(١) هو العباس بن الأحنف ، تاريخ بغداد (١٠/ ١٨٩) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٧٦) والأبيات أيضاً في الأغاني (٥/ ٣٢٣) (دار الكتب) منسوبة إلى إسحاق بن إبراهيم برواية ومناسبة مختلفتين .
(٢) « مؤزر »: من الإزار؛ و« مردّى »: من الرداء .
(٣) تاريخ الطبري (٨/ ٦٥٢) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٤٣٣) .
(٤) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٠) ، والمحاسن والمساوىء (٣٧٧) ، والوافي (١٧/ ٦٥٩) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٣٣) .
(٥) زيادة من ط .
(٦) الطبري (٨/ ٦٥٨) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٧٩ ، ٢٨٠) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٤٣٦) .

بعثتــكَ مُشْتــاقــاً ففُــزْتَ بنَظْــرةٍ　　وأغفَلْتَنــي حتَّــى أســأْتُ بــكَ الظَّنَّــا
وناجيْتَ مَنْ أهْوَى فَكُنْتَ مُقَرَّباً　　فياليتَ شعري عن دُنوِّك ما أغْنَى
وردَّدْتَ طَرفاً في محاسِنِ وجْهها　　ومَتَّعْــتَ بــاستمتــاع نغْمَتِهــا أذْنــا
أرى أثراً في صحن خدِّك لم يكن[1]　　لقد سرقَتْ عيناكَ من حُسْنِها حُسْنا

ولما ابتدَعَ المأمونُ ما ابتدع من التشيُّع والاعتزال ، فرح بذلك بِشْر المَرِيسيّ[2] ـ وكان شيخَ المأمون في ذلك ـ فأنشأ المَرِيسيّ يقول[3] :

قــد قــالَ مــأمُــونُنــا وسيِّــدُنــا　　قَــولًا لــه فــي الكتــابِ تَصــديــقُ
إنَّ عليّـــاً أعنـــي أبـــا حَسَـــنٍ　　أفضــلُ مــن أرقلَــتْ بــه النُّــوقُ[4]
بَعْـــدَ نبـــيِّ الهُـــدَى وإنَّ لنـــا　　أعمـــالَنـــا ، والقـــرانُ مخلـــوقُ

فأجابه بعضُ الشعراء من أهل السنة فقال[5] :

يــا أيُّهــا النَّــاسُ لا قــولٌ ولا عمــلٌ　　لِمَــنْ يقــولُ : كــلامُ الله مخلــوقُ
مــا قــالَ ذاكَ أبــو بكــرٍ ولا عُمَــرٌ　　ولا النبــيُّ ولــم يــذكــرْهُ صِــدّيــقُ
ولــم يقــلْ ذاكَ إلا كُــلُّ مبتــدِعٍ　　علــى الإلــه وعنــدَ اللهِ زنــديــقُ
عَمْــداً أرادَ بــهِ إمحــاقَ دينكــمُ　　لأنَّ دينهُـــــم واللهِ ممحـــــوقُ
أصبَحَ يــا قــوم عقــلاً مــن خليفتكــمْ　　يُمسي ويُصبح في الأغلالِ موثوقُ[6]

وقد سأل بشر من المأمون أن يطلب قائلَ هذا فيؤدِّبه على ذلك ، فقال : ويحك ! لو كان فقيهاً لأدَّبته ، ولكنه شاعر فلست أعرِضُ له .

ولما تجهز المأمون للغزو في آخر سفرة سافرها إلى طَرَسُوسَ ، استَدْعَى بجاريةٍ كان يحبُّها وقد

---

(١) في ط والطبري وابن الأثير : أرى أثراً منه بعينك بيناً .
(٢) من كبار الفقهاء ، قال بخلق القرآن ، ودعا إليه . وسيورد المؤلف ترجمته بعد قليل .
(٣) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٢) .
(٤) « أرْقلت به النوق » : أسرعت .
(٥) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٢) .
(٦) روايته في ط :

يا قوم أصبح عقل من خليفتكم　　مقيَّداً وهو في الأغلال موثوق

اشتراها في آخر عمره ، فضمَّها إليه ، فبكت الجارية وقالت : قتلْتَنِي يا أميرَ المؤمنين بسفرك ! ثم أنشأت تقول[١] :

سـأدعـو دَعْـوَةَ المضطـرِّ ربّـاً ... يُثيـبُ علـى الـدُّعـاءِ ويستجيـبُ
لعـلَّ اللهَ أن يكفيـكَ حَـرْبـاً ... ويَجْمَعَنـا كمـا تهـوى القُلـوبُ

فضمَّها إليه وأنشأ يقول : متمثِّلاً[٢] :

فيا حُسْنَهَا إذ يغسِلُ الدَّمْعُ كُحْلَهَا ... وإذ هي تَذْري الدمعَ منها الأناملُ
صبيحةَ قالت في العتابِ قتلْتَني ... وقتلي بما قالتْ هناكَ تحاوِلُ

ثم أمر الخادم مسروراً بالإحسان إليها ، والاحتفاظ عليها حتَّى يرجعَ ، ثم قال : نحنُ كما قال الأخطلُ[٣] :

قـومٌ إذا حـارَبـوا شَـدُّوا مـآزِرَهـم ... دُونَ النساءِ ولـو بـاتَـتْ بـأطهـارِ

ثم ودَّعها وسار فمرضت الجارية في غيبته هذه ، ومات المأمون أيضاً ، فلمَّا جاء نعيُه إليها تنفَّست الصُّعَداء وحضرتها الوفاة ، وأنشأت تقول وهي[٤] في السِّياق[٥] :

إنَّ الـزَّمـانَ سقـانـا مِـنْ مَـرارَتِـهِ ... بعـدَ الحـلاوةِ أنفـاسـاً فـأروانـا
أبـدَى لنـا تـارةً منـه فـأضحكنـا ... ثـمَّ انثنـى تـارةً أُخـرى فـأبْكـانـا
إنَّـا إلـى اللهِ فيمـا لا يـزالُ لنـا ... مـن القضـاءِ ومـن تلـوينِ دنيـانـا
دنيـا نـراهـا تُـرينـا مِـنْ تصرُّفهـا ... مـا لا يـدومُ مصـافـاةً وأحـزانـا
ونحـنُ فيهـا كـأنَّـا لا يُـزايلنـا ... للعيشِ أحياؤنـا[٦] يبكـونَ مـوتـانـا

كانت وفاة المأمون بطَرَسُوس في يوم الخميس وقتَ الظهر ، وقيل : بعد العصر ، لثلاث عشرة بقيت من رجب من سنة ثماني عشرة ومئتين ، وله نحو من ثمان وأربعين سنة . وكانت مدَّة خلافته[٧] عشرين سنة وأشهراً ، وصلَّى عليه أخوه المعتصم وهو وليُّ العهد من بعده ، ودُفن بطَرَسُوس في دار خاقان

---

(١) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٣) ، وشذرات الذهب (٢/ ٣٩) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) ديوانه (١٢٠) ، وابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٤) .
(٤) هي في السِّياق : أي في النَّزْع . و« السِّياق » : نزع الروح .
(٥) ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٨٤) .
(٦) في آ ، ط : أحيا وما : وأثبت ما جاء في ب وابن عساكر .
(٧) في ابن عساكر : وكانت ولايته التي استقامت له عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً .

الخادم . وقيل : كانت وفاته يوم الثلاثاء . وقيل : يوم الأربعاء ، لثمان بقين من رجب من هذه السنة . وقيل : إنه مات خارج طَرَسُوسَ بأربع مراحل ، فحُمِلَ إليها حتى دُفن بها . وقيل : إنه نُقِلَ بعد ذلك في رمضان إلى أذَنَة ، فدفن بها ، والله أعلم .

وقد قال أبو سعيد المخزومي[1] :

ما رأيتُ[2] النُّجومَ أغنَتْ عن المأ مونِ في عزِّ مُلْكِهِ[3] المأسُوسِ

خَلَّفوهُ بِعَرْصَتَيْ طَرَسُوسِ مثلما خلَّفوا أباهُ بطُوسِ

وقد كان أوصى إلى أخيه المعتصم ، وكتبَ وصيتَه بحضرة ابنه العباس وجماعة القضاة والأمراء والوزراء والكُتَّاب .

وفيها القولُ بخلق القرآن ، ولم يتبْ من ذلك حتَّى أدركه أجلُه ، وانقضى عَملُه ، وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتبْ منه . وأوْصَى أن يكبّر عليه الذي يصلّي عليه خمساً . وأوْصَى أخاه أبا إسحاق المعتصم بتقوى الله عزَّ وجلَّ والرِّفقِ بالرعيَّة ، وأن يعتقدَ ما كان يعتقده أخوه في القرآن ، والدعاء إلى ذلك . وأوصاه بعبد الله بن طاهر ، وإسحاق[4] بن إبراهيم ، وأحمد بن أبي دواد[5] ، قال : شاوره في أمورك ولا تفارقه ، وحذَّره من يحيى بن أكثم ، ونهاه عنه وذمَّه ، وقال : خانني ونفَّر الناسَ عنِّي ، ففارقته غيرَ راضٍ عنه . ثم أوصاه بالعلويين خيراً ؛ أن يقبلَ من محسنهم ، ويتجاوزَ عن مسيئهم ، وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة .

وقد ذكر ابن جرير[6] للمأمون ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة لم يذكرها الحافظ ابن عساكر مع كثرة ما يورده ، وفوق كلِّ ذي علم عليم .

---

(١) تاريخ الطبري (٨/ ٦٥٥) ، ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٩٢) ، معجم البلدان (طرسوس) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣١٩) .

(٢) في ب ، ط ، والطبري ، ومعجم البلدان وتاريخ الخلفاء: هل رأيتَ .

(٣) في ط والطبري: شيئاً أو ملكه .

(٤) في آ ، ط: أحمد بن إبراهيم ، واثبت ما جاء في ظا ، ب . وهو إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب الخزاعي الأمير ، ابن عم طاهر بن الحسين ، ولي بغداد أكثر من عشرين سنة ، وكان صارماً سائساً حازماً ، وهو الذي كان يطلب الفقهاء ويمتحنهم بأمر المأمون . مات في بغداد سنة ٢٣٥هـ . وسيترجم له المؤلف في أحداث سنة ٢٣٥هـ ، وترجمته أيضاً في العبر (١/ ٤٢٠) ، وشذرات الذهب (٢/ ٨٤) .

(٥) في آ ، ب: أحمد بن داود ، وأثبت ما جاء في ظ ، ط ، وهو: أحمد بن أبي دواد الإيادي ، أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ، ورأس فتنة القول بخلق القرآن ، وسيترجم له المؤلف في أحداث سنة ٢٤٠هـ .

(٦) تاريخ الطبري (٨/ ٤٧٨ـ٦٦٦) ، وتاريخ ابن عساكر (الجزء ٣٩/ ٢٢٢ـ٢٩٣) .

خلافة المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد :

بُويع له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطَرَسُوس يوم الخميس الثاني عشر من رجب من سنة ثماني عشرة ومئتين ، وكان إذ ذاك مريضاً ، وهو الذي صلَّى على أخيه المأمون ، وقد شغب بعض الجند ، فأرادوا أن يولّوا العباس بن المأمون ، فخرج عليهم العباس بن المأمون ، فقال لهم : ما هذا الحبّ البارد ؟ أنا قد بايعتُ عمِّي المعتصم ، فسكن الناس ، وخمدت الفتن وركبت البرد بالبيعة إلى الآفاق ، وبالتعزية بالمأمون ، وولاية المعتصم .

فأمر المعتصم بهدم ما كان بناه المأمون في مدينة طُوَانة ، وأمر بإبطال ذلك ، ونقل ما كان حوِّل إليها من السلاح وغير ذلك ، وأذن للفعول[١] بالانصراف إلى بلدانهم وأقاليمهم ، ثم ركب المعتصم في الجنود قاصداً بغداد وصحبتُه العباس بن المأمون ، فدخلها يوم السبت مستهل رمضان في أبَّهة عظيمة وتجمّل تام .

وفي هذه السنة دخل خلق كثير من أهل هَمَذان ، وأصْبَهَان ، وماسَبَذان ، ومِهْرِجَان في دين الخُرَّمية ، فتجمَّع منهم بشر كثير ، فجهز إليهم المعتصمُ جيوشاً كثيرة ، آخر من جهَّز إليهم إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب في جيش عظيم ، وعقد له على الجبال ، فخرج من بغداد في ذي القعدة ، وقرىء كتابه بالفتح يوم التَّروية ، وأنَّه قهر الخرَّمية ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وهرب بقيتهم إلى بلاد الروم ، ولله الحمد والمنَّة .

وعلى يديه[٢] جرت فتنة الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله ، وضُرب بين يديه ، كما سيأتي بسطُ ذلك في ترجمة أحمد عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومئتين .

وممن توفي فيها من المشاهير والأعيان :

[بِشْر المَرِيسيّ][٣] : [وهو] بِشْرُ بن غِياث بن أبي كريمة ، أبو عبد الرحمن المَرِيسيّ المتكلم ، شيخُ المعتزلة ، وأحدُ مَن أضلَّ المأمون .

وقد كان هذا الرجل نظَرَ في شيء من الفقه ، وأخذ عن القاضي أبي يوسُف ، ورَوَى الحديث عنه ، وعن حمَّاد بن سَلَمة ، وسُفيان بن عُيينة ، وغيرهم .

---

(١) كذا في الأصول ، وفي ط : الفَعَلَة ، وهي صفة غالبة على عَمَلَة الطين والحفر ونحوهما ، لأنهم يفعلون .

(٢) في ط : وعلى يدي هذا .

(٣) ترجمته في الفَرق بين الفِرَق (١٩٢) ، وتاريخ العبر (٧/ ٥٦) ، ووفيات الأعيان (١/ ٢٧٧) ، والعبر (١/ ٣٧٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩) ، وشذرات الذهب (٢/ ٤٤) .

ثم غَلَبَ عليه علمُ الكلام ، وقد نهاه الشافعيُّ عن تعاطي ذلك فلم يقبل منه ، وقال الشافعيُّ : لأن يلقى اللهَ العبدُ بكلِّ ذنبٍ ما عدا الشرك أحبُّ إليَّ[١] من أن يلقاه بعلم الكلام .

وقد اجتمع بِشْرٌ بالشافعي عندما قدِمَ الشافعيُّ بغداد .

قال القاضي ابن خلكان[٢] : جرّد القَوْلَ بخلق القرآن ، وحُكي عنه أقوالٌ شنيعة ، وكان مرجئاً ، وإليه تُنْسب الطائفة المَرِيسيَّةُ من المرجئة ، وكان يقول : إنَّ السُّجود للشمس والقمر ليس بكفر ، وإنَّما هو علامة الكفر ، وكان يناظر الإمام الشافعي ، وكان لا يحسن النَّحو ، وكان يَلحنُ لحناً فاحشاً .

قال[٣] : ويقال : إنَّ أباه كان يهودياً صبّاغاً بالكوفة ، وكان يسكن درب المَرِيس[٤] ببغداد . والمَريسُ عندهم هو الخبزُ الرّقاق يُمرس بالسمن والتمر . قال : ومَرِيس[٥] ناحية ببلاد النوبة تأتي من نحوها في الشتاء ريحٌ باردة .

قلت[٦] : ثم راج بِشْر المَرِيسيّ عند المأمون ، وحظي عنده ، وقدّم في حضرته ، ونفق سوقه الكاسد ، واستجيد ذهنه البارد .

ولمّا توفي في ذي الحجة من هذا العام ، أو الذي قبله في قولٍ[٧] ، صلَّى عليه رجلٌ من المحدّثين يقال له : عبيد الشُّونيزي ، فلامه بعضُ المحدّثين ، فقال لهم : ألا تسمعون كيف دعوت له في صلاتي عليه ؛ قلت : اللهم ، إنَّ عبدك هذا كان ينكر عذاب القبر ، اللهم ! فأذقه من عذاب القبر ؛ وكان ينكر شفاعة نبيّك ، فلا تجعله من أهلها ؛ وكان ينكر رؤيتك في الدار الآخرة ، فاحجبْ وجهك الكريمَ عنه . فقالوا له : أصبت .

وهذا الذي نطق به بعض السَّلف ، حيث قالوا : من كذَّب بكرامة لم ينلها .

وتوفي في هذا العام :

عبدُ الله بن يوسُف التِّنِّيسي[٨] .

---

(١) في ب ، ظا : إليه .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٢٧٧) .
(٣) في اللباب (٣/ ٢٠٠) : المَريسي : نسبة إلى مَرِيس ، وهي قرية بمصر .
(٤) المصدر السابق .
(٥) في معجم البلدان (٥/ ١١٨) ؛ المَرِيسة : جزيرة في بلاد النوبة كبيرة يُجلب منها الرقيق .
(٦) لفظة : قلت : لم ترد في ب ، ظا . ومن هنا حتى قوله : من كذب بكرامة لم ينلها ساقط في ط .
(٧) لفظة قول لم ترد في آ .
(٨) أبو محمد الكلاعي الدمشقي ، ثقة متقن ، من أثبت الناس في الموطأ . إمام حافظ . =

وأبو مُسْهِر عبدُ الأعلى بن مُسْهِر الغسَّاني الدمشقيّ[١] .

ويحيى بن عبد الله البَابْلُتّي[٢] .

وأبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحِمْيَري المَعَافِريّ[٣] : راوي السِّيرة عن زياد بن عبد الله البَكَّائي ، عن محمد بن إسحاق مصنفها ، وإنما نسبت إليه فيقال : « سيرة ابن هشام » ؛ لأنه هذَّبها وزاد فيها ونقص منها ، وحرَّر أماكن واستدرك أشياء .

وقد كان إماماً في اللغة والنحو والعربية . وكان مقيماً بديار مصر ، واجتمع به الشافعيُّ حين وردها ، وتناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة .

وكانت وفاته بمصر لثلاثَ عشرة خلَتْ من ربيع الآخر من هذه السنة ؛ قاله ابن يونُس في « تاريخ مصر »[٤] . وزعم السُّهَيلي[٥] أنه توفي في سنة ثلاث عشرة ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومئتين

فيها : ظهر محمد بن القاسم بن عليّ[٦] بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطَّالَقان[٧] من خراسان ، يدعو إلى الرِّضا من آل محمد ، واجتمَعَ عليه خلقٌ كثير ، وقاتلَه قوَّادُ عبد الله بن طاهر مرات متعددة ، ثم ظهروا عليه وهرب ، فأُخذ ثم بعث به إلى عبد الله بن طاهر ، فبعثه إلى المعتصم ، فدخل عليه في المنتصف من ربيع الآخر [من هذه السنة][٨] فأمر به فحُبِس في مكان

= سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥٧) ، وتقريب التهذيب (١/ ٤٦٣) .

(١) أحد شيوخ دمشق ، روى القراءة عنه أبو عبيد القاسم بن سلام ، وسمع منه أبو زرعة الدمشقي . مات محبوساً بسبب الفتنة بخلق القرآن بالعراق ، ثقة فاضل ، روى له الجماعة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٨) ، وطبقات القراء لابن الجزري (١/ ٣٥٥) .

(٢) يحيى بن عبد الله بن الضَّحَّاك بن بابْلُت الأموي ، مولاهم البَابْلُتّي ، نسبة إلى بَابْلُت موضع بالجزيرة ، أبو سعيد الحراني . ضعيف في الحديث . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٨) ، واللباب (١/ ١٠١) .

(٣) وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٢٨) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٦) ، بغية الوعاة (٢/ ١١٥) .

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ١٧٧) .

(٥) الروض الأنف (١/ ٧) .

(٦) في ط : « محمد » بدل « علي » ، وهو تحريف . وينظر ترجمته في مقاتل الطالبين (ص٥٧٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩١) .

(٧) بلدتان ، إحداهما بخراسان ، بين مرو الرّوذ وبلخ . ياقوت .

(٨) زيادة من ظا ، ب .

ضيِّق ، طولُه[١] ثلاثة أذرع في ذراعين ، فمكث فيه ثلاثاً ، ثم حُوِّلَ إلى أوسَعَ منه ، وأُجري عليه رزقٌ ، ومن يخدمُه ، فلم يَزَلْ محبوساً هنالك إلى ليلة عيد الفطر ، فاشتغل الناسُ بالعيد ، فدُلِّيَ له حبلٌ من كُوَّة كان يأتيه الضّوء منها ، فذهَبَ فلم يدر كيف ذهب ، ولا إلى أين صار من الأرض[٢] .

وفي يوم الأحد لإحدى عشرة ليلةً خلَتْ من جمادى الأولى دخل إسحاق بن إبراهيمَ إلى بغداد راجعاً من قتال الخُرَّميَّة ، ومعه الأسْرى منهم ، وقد قتل في حربه هذا من الخرَّميَّة مئة ألف مقاتل منهم[٣] ، ولله الحمد والمنَّة .

وفيها : بعث المعتصم عُجَيْفاً في جيشٍ كثيفٍ لقتال الزُّطِّ الذين عاثوا في بلاد البصرة ، وقطعوا الطريق ، ونهبُوا الغلات ، فمكث في قتالهم تسعةَ أشهرٍ ، فقهرهم ، وقمعَ شرَّهم ، وأباد خضراءهم . وكان القائم بأمرهم رجلٌ يقال له : محمد بن عثمان ، ومعه إنسان يقال له : سملق ، هو داهيتهم وشيطانهم ، فأراح الله المسلمين منهم ومن شرهم[٤] .

وفيها توفي من الأعيان :

سليمان بن داود الهاشمي[٥] ، شيخ الإمام أحمد .

وعبد الله بن الزُّبير الحُمَيديّ[٦] ، صاحب « المسند »[٧] ، وتلميذ الشافعيّ .

وعلي بن عَيَّاش[٨] .

وأبو نُعَيْم الفضلُ بن دُكَيْن ، شيخ البخاري[٩] .

---

(١) في آ ، ب : طول .
(٢) الطبري (٩/ ٧) ، وابن الأثير (٦/ ٤٤٢) .
(٣) الطبري (٩/ ٨) ، وابن الأثير (٦/ ٤٤٥) .
(٤) الطبري (٩/ ٨) ، وابن الأثير (٦/ ٤٤٣) .
(٥) سليمان بن داود بن الأمير داود بن علي الهاشمي العباسي ، أبو أيوب ، من كبار الأئمة ، روي أن الإمام أحمد بن حنبل أثنى عليه وقال : يصلح للخلافة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٥) ، تهذيب التهذيب (٤/ ١٨٧) .
(٦) عبد الله بن الزبير بن عيسى ، أبو بكر القرشي الأسدي الحُميدي المكي ، شيخ الحرم ، إمام في الحديث ، ثقة حافظ فقيه . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١٦) ، والعبر (١/ ٣٧٧) .
(٧) طبع في جزأين بتحقيق المحدث حبيب الله الأعظمي، ثم طبع مرة أخرى بدمشق بتحقيق الأستاذ حسين الأسد (ع).
(٨) علي بن عيَّاش بن مسلم ، أبو الحسن الألْهانيُّ الحمصي ، محدّث حمص وعابدها ، ثقة ، ثبت . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣٨) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٤٢) .
(٩) الفَضْل بن دُكَين الكوفي ، واسم دُكَيْن : عمرو بن حماد بن زهير ، التيمي مولاهم ، الأحول ، أبو نُعيم المُلائي ، ثقة، ثبت، من كبار شيوخ البخاري، الحافظ الكبير . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٤٢)، وتقريب التهذيب (٢/ ١١٠) .

وأبو غسّان النَّهْدِي[١] .

[ثم دخلت[٢] سنة عشرين ومئتين من الهجرة

في يوم عاشوراء دخل عُجَيْف في السُّفن إلى بغدادَ ومعه من الزُّطّ سبعة وعشرون ألفاً قد جاؤوا بالأمان إلى الخليفة ، فأُنزلوا في الجانب الشرقي ، ثم نفاهم الخليفة إلى عَين زَرْبة[٣] ، فأغارت الرّوم فاجتاحوهم عن آخرهم ، فلم يفلت منهم أحدٌ ، وكان آخر العهد بهم[٤] .

وفيها : عقد المعتصمُ للأفشين ، واسمُه : حَيْدر بن كاوس ، على جيشٍ عظيمٍ ؛ لقتال بابَك الخُرَّمي ، لعنه الله . وكان قد استفحَلَ أمره جداً ، وقويت شوكته ، وانتشرت أتباعه في بلاد أذْرَبيجان وما والاها ، وكان أوَّل ظهوره في سنة إحدى ومئتين ، وكان زنديقاً كبيراً ، وشيطاناً رَجيماً[٥] . فسار الأفشين ، وأحكم صناعة الحرب في الأرصاد ، وعمارة الحصون ، واتصال[٦] المَدَدِ . وأرسل إليه المعصتم مع بُغا الكبير أموالاً جزيلة نفقةً لمن معه من الجند والأتباع ، وقد التقى هو وبابَك في هذه السنة ، فاقتتلا قتالاً عظيماً ، فقتل الأفشين من أصحاب بَابَك خلقاً كثيراً أزيدَ[٧] من ألف ، وانهزم هو إلى مدينته ، فأوى إليها مكسوراً ، فكان هذا أول ما تضعضع من أمر بابَك ، لعنه الله . وجرت بينهما حروبٌ يطول ذكرها وبسطها ، وقد استقصاها الإمام أبو جعفر بن جرير[٨] ، رحمه الله .

وفي هذه السنة خرج المعتصم من بغداد ، فنزل القَاطُولَ فأقام بها .

وفيها : غضب المعتصم على الفضل بن مروان بعد المكانة العظيمة ، وعزله عن الوزارة وحبسَه وأخذ أمواله ، وجعل مكانه محمد بن عبد الملك الزيّات .

---

(١) في آ : أبو محمار النهدي ، وفي ط : أبو بحار الهندي . واثبت ما جاء في ب ، ظا .
وهو مالك بن إسماعيل بن دِرْهم ، أبو غسّان النَّهدي مولاهم ، الكوفي . ثقة ، متقن ، عابد ، صحيح الكتاب . روى له الجماعة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٣٠) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٢٢٣) .

(٢) زيادة من ط .

(٣) بلد بالثغر من نواحي المصيصة . ياقوت .

(٤) الطبري (٩/ ١٠) ، وابن الأثير (٦/ ٤٤٦) .

(٥) في ب ، ظا : شيطاناً مَريداً .

(٦) في ب ، ظا : وإيصال المدد .

(٧) في ط : أزيد من مئة ألف ، وما هنا من النسخ وتاريخ الطبري .

(٨) الطبري (٩/ ١١ ـ ٥٥) ، وابن الأثير (٦/ ٤٤٧ ـ ٤٧٨) .

وحجَّ بالناس في هذه السنة صالح بن عباس[١] بن محمد أمير السنة الماضية .

وفيها : توفي من الأعيان :

آدم بن أبي إياس[٢] .

وعبد الله بن رَجاء[٣] .

وعَفَّان بن مُسلم[٤] .

وقَالُون[٥] ، أحد مشاهير القرّاء .

وأبو حُذَيْفة النَّهْدِيّ[٦] .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومئتين

فيها : كانت وقعة هائلة بين بُغا الكبير وبابَك الخُرَّميّ ، فهزم بَابَك بُغَا ، وقَتَلَ خَلْقاً من أصحابه ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

ثم اقتتل الأفشين وبابَك فهزَمَه أفشين وقَتَل خَلْقاً من أصحابه بعدَ حروبٍ طويلةٍ قد استقصاها ابنُ جرير[٧] في « تاريخه » .

وحجَّ بالناس نائبُ مكَّة محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

---

(١) في النسخ والمطبوع: « صالح بن علي بن محمد » ، ولعله سهو من النساخ ، وقد صححت من الطبري وابن الأثير . وهو صالح بن عباس بن محمد بن علي ، أمير مكة .

(٢) أبو الحسن الخراساني البغدادي نزيل عَسْقلان ومحدِّثها ، واسم أبيه ناهية بن شعيب ، وقيل: عبد الرحمن شيخ الشام ، روى الكثير ، وكان صالحاً قانتاً . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣٥) ، العبر (١/ ٣٧٩) .

(٣) أبو عمر الغُدّانيّ البصري ، ويقال: كنيته: أبو عمرو ، صدوق ، يهم قليلاً . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٧٦) ، وتقريب التهذيب (١/ ٤١٤) .

(٤) عَفَّان بن مسلم بن عبد الله الصفَّار ، أبو عثمان ، الحافظ البصري ، أحد أركان الحديث . نزل بغداد ونشر بها علمه . روى له الجماعة ، وهو من حفاظ الحديث الثقات . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٤٢) ، والعبر (١/ ٣٨٠) .

(٥) هو عيسى بن مِينا بن وردان ، أبو موسى ، الملقب بقالون ، قارىء المدينة ونحويُّها ، الإمام المجوِّد ، تلميذ نافع . وكان أصمّ يُقرأ عليه القرآن ، وكان ينظر إلى شفتي القارىء ، فيرد عليه اللحن والخطأ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٢٦) ، وطبقات القراء لابن الجزري (١/ ٦١٥) .

(٦) هو موسى بن مسعود النَّهديّ البصري ، أبو حُذَيْفَة ، المحدّث الحافظ . صدوق ، سيء الحفظ . مات في هذه السنة ، أو بعدها ، وقد جاوز التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٣٧) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٢٨٨) .

(٧) في آ : أبو جعفر رحمه الله في تاريخه . وانظر الطبري (٩/ ٢٣ وما بعدها) .

وفيها توفي من الأعيان :

عاصم بن عليّ[١] .

وعبد الله بن مَسْلَمَة[٢] القَعْنَبِيّ .

وعَبْدَانُ[٣] .

وهشام بن عُبيد الله الرازيّ[٤] .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومئتين

فيها : وجّه المعتصم جيشاً كثيفاً مدداً للأفشين على محاربة الخُرَّمِيّة ، وبعث إليه ثلاثين ألف ألف درهم نفقةً للجند والأتباع .

وفيها : اقتتل الأفشين والخرَّميَّة قتالاً عظيماً ، وافتتح الأفشين البَذّ[٥] ، مدينة بابَك ، واستباحَ ما فيها ، ولله الحمد . وذلك يوم الجمعة لعشرٍ بقين من رمضان . وذلك بعد محاصرةٍ عظيمة ، وحروبٍ هائلة ، وقتالٍ شديد ، وجهدٍ جهيد ، وقد أطال أبو جعفر[٦] بسطه جداً . وحاصلُ الأمر أنه افتتح البلد ، وأخذ جميع ما احتوى عليه من الأموال .

ذكرُ مسك بابَك الخُرَّميّ وأَسْره وقتله

لما احتوى المسلمون على بلده المُسمَّى بالبَذّ ، وهي دارُ ملكه ، ومَقرُّ سلطانه هَرَبَ بمن معه من أهله وولده ، ومعه أمُّه وامرأته ، فانفرد في شِرْذِمَةٍ قليلة من خدمِهِ ، ولم يبقَ معهم طعام ، فاجتاز بحَرَّاثٍ ،

---

(١) عاصم بن علي بن عاصم الواسطيّ ، أبو الحسين ، أو أبو الحسن التيمي . حافظ صدوق ، من أصحاب شعبة ، قدم بغداد فازدحموا عليه من كل مكان ، حتى حُزر مجلسُه بمئة ألف .
سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٦٢) ، وتهذيب التهذيب (٥/ ٤٩) .

(٢) في الأصول والمطبوع : مسلم ، وأثبت ما جاء في المصادر . وهو عبد الله بن مَسْلَمة بن قَعْنَب الحارثي المدنيّ القَعْنَبِيّ ، أبو عبد الرحمن ، الإمام الثبت القدوة ، شيخ الإسلام ، نزيل البصرة ، ثم مكة ، وهو أوثق من روى الموطّأ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٥٧) ، والعبر (١/ ٣٨٢) ، وتقريب التهذيب (١/ ٤٥١) .

(٣) هو عبد الله بن عثمان بن جَبَلة بن أبي رَوّاد ، العَتَكي ، أبو عبد الرحمن المَروزي ، الملقب عَبْدان ، الإمام الحافظ ، محدّث مرو ، ثقة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٠) ، وتقريب التهذيب (١/ ٤٣٢) .

(٤) الفقيه السُّنِّي ، أحد أئمة السُّنَّة . كان من بحور العلم ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٤٦) .

(٥) « البَذّ » : كورة بين أذربيجان وأرّان ، بها كان مخرج بابَك الخُرَّمي في أيام المعتصم . ياقوت .

(٦) ابن جرير الطبري في تاريخه (٩/ ٢٩ـ٥١) .

فبعث غلامَه إليه ومعه ذهب ، فقال : أعطِه الذهب ، وخذ ما معه من الخبز ، [فجاء إليه ، فدفع إليه الدنانير ، وناوله الحَرَّاث ما معه من الخبز][١] ، فنظر شَريكُ الحَرَّاث إليه من بعيد وهو يأخذ من الخبز ، فظنَّ أنه قد اغتصبه منه ، فذهب إلى حصنٍ هناك فيه نائبٌ للخليفة يقال له : سهل بن سنباط ، ليستعدي على ذلك الغلام ، فركب بنفسه وجاء فوجد الغلام ، فقال : ما خبرُك ؟ فقال : لا شيء ، إنما أعطيته دنانير وأخذت منه هذا الخبز . فقال : ومن أنت؟ فأراد أن يعمِّي عليه الخبر ، فألَحَّ عليه ، فقال : من غلمان بابَك ، فقال : وأين هو ؟ فقال : هاهو ذا جالس يريد الغداء . فسار إليه سهل بن سنباط ، فلمَّا رآه ترجَّل وجاءه فقبَّل يده ، وقال : يا سيديّ أين تريد ؟ قال : أريدُ أن أدخلَ بلاد الروم ، فقال : إلى عند مَن تذهب أحرز من حصني وأنا غلامُك وفي خدمتك ؟ وما زال به حتى خدَعه وأخذه معه إلى الحصن ، فأنزله عنده ، وأجرى عليه النفقاتِ الكثيرةَ والتّحفَ وغير ذلك ، وكتب إلى الأفشين يعلمه بذلك ، فأرسل إليه أميرين لقبضه ، فنزلا قريباً من الحصن ، وكتبا إلى ابن سنباط ، فقال : أقيما مكانكما حتى يأتيكما أمري . وقال لبابك : إنَّك قد حصل لك غمّ وضِيق من هذا الحصن ، وقد عزمْتُ على الخروج اليومَ إلى الصَّيد ومعنا بُزاةٌ وكلاب ، فإنْ أحببت أن تخرج معنا لتنشرح ؟ قال : نعم ! فخرجوا وبعثَ ابنُ سنباط إلى الأميرين : أن كونا بمكان كذا وكذا ، في وقت كذا وكذا من النهار ، فلما كانوا بذلك الموضع أقبلَ الأميران بِمَنْ معهما من الجنود ، فأحاطوا ببابَك[٢] وبابن سنباط ، فلما رأوه جاؤوا إليه فقالوا : ترجَّلْ عن دابتك ، فقال : ومن أنتما ؟ فذكرا له أنهما من عند الأفشين ، فترجَّل حينئذ عن دابته وعليه دُرَّاعة بيضاء ، وعمامة بيضاء[٣] ، وخُفّ قصير ، وفي يده باز ، فنظر إلى ابن سنباط ، وقال : قبَّحك الله ! فهلا طلبْتَ منِّي من المال فكنت أعطيتك أكثرَ ممَّا يعطيك هؤلاء ! ثم أركبوه وأخذوه معهما إلى الأفشين ، فلما اقتربوا من بلد الأفشين فرح[٤] ، فتلقاه وأمَر الناس أن يصطفُّوا صفين ، وأن يترجَّل بَابَك : فيدخل بين الناس وهو ماشٍ ، ففعل ذلك ، وكان يوماً مشهوداً جداً . وكان ذلك في شوال من هذه السنة ، ثم احتفظ به وهو في السجن عنده .

ثم كتب الأفشين إلى المعتصم يخبره بأنَّ بابَك في أسره ، وقد استحضره وأخاه عبد الله أيضاً . فكتب إليه المعتصم يأمره أن يقدم بهما عليه إلى بغداد ، فتجهَّز بهما إلى بغداد في تمام هذه السنة .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن داود المتقدِّم ذكره .

---

(١) ما بين قوسين زيادة من ظا ، ب .

(٢) في آ ، ط : ببابك ، وهرب ابن سنباط ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا والطبري (٩/ ٤٩) .

(٣) قوله : وعمامة بيضاء لم ترد في آ ، ط ، وأثبت من ب ، ظا والطبري . . و« الدُّرَّاعة » : ثوب من صوف .

(٤) في ط : خرج .

وفيها توفي :

أبو اليَمَان ، الحَكَمُ بن نافع[١] .

وعُمَر بن حَفْص بن غِياث[٢] .

ومُسلم بن إبراهيم[٣] .

ويحيى بن صالح الوُحَاظي[٤] .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومئتين

في يوم الخميس ثالث صفر من هذه السنة دخل الأفشين على المعتصم سامَرّاء ، ومعه بابَك الخُرَّميّ وأخوه عبد الله ، في تجمّل عظيم ، وقد أمر المعتصم ابنَه هارون الواثق أن يتلقَّى الأفشين ، وكانت أخباره تَفِدُ إلى المعتصم في كلِّ يومٍ من شدَّة اعتناء المعتصم بأمر بابَك ، وقد ركب المعتصم قبل وصول بابَك بيومين على البريد حتَّى دخل إلى بابَك وهو لا يعرفه ، فنظر إليه ثم رجع ، فلما كان يوم دخوله عليه تأهَّب المعتصم ، واصطفَّ الناس سِماطين[٥] ، وأمر ببابَك أن يركبَ على فيل ليشهر أمره ويعرفوه ، وعليه قَبَاء ديباجٍ وقَلَنْسَوة سمّور مدوَّرة ، وقد هيىء الفيل ، وخضّبت أطرافه ، وألبس من الحرير والأمتعة التي تليق به شيئاً كثيراً ، وقد قال فيه بعضُهم[٦] :

قـد خُضِـبَ الفيـلُ كعـاداتِـهِ يَحمِـلُ شَيْطـانَ خُـراسـانِ

والفيـلُ لا تُخْضَـبُ أعضـاؤه إلا لـذِي شـأنٍ مِـنَ الشـان

ولما أحضر بين يدي الخليفة أمر بقطع يديه ورجليه، وحزّ رأسه، وشقّ بطنه ، ثم أمر بحمل رأسه إلى

---

(١) الحكم بن نافع البَهْراني ، أبو اليَمَان الحمصي ، مشهور بكنيته ، ثقة ثبت . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٩) ، وتقريب التهذيب (١/ ١٩٣) .

(٢) يكنى أبا حفص الكوفي ، من العلماء الأثبات . ثقة ، ربما وهم . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٣٩) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٥٣) .

(٣) مسلم بن إبراهيم الفراهيدي ، أبو عمرو البصري ، القَصَّاب . محدّث البصرة . وكان ثقة حجّة . أضرَّ بأخرة . وكان يقول : ما أتيت حراماً ولا حلالاً قطّ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٤) ، والعبر (١/ ٣٨٥) .

(٤) أبو زكريا الوُحَاظي ، الدمشقي ، وقيل : الحمصي ، صدوق ، من أهل الري . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٥٣) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٤٩) .

(٥) في آ : صفين ، وهما بمعنى .

(٦) قالهما محمد بن عبد الملك الزيات ، كما في الطبري (٩/ ٥٣) ، وابن الأثير (٦/ ٤٧٧) .

خراسان ، وصلب جثته على خشبة بسامَرّا . وكان بابَك ـ لعنه الله ـ قد شرب الخمر في ليلة أسفَرَ صباحها عن قتله ، وذلك ليلة الخميس لثلاث عشرة خلَتْ من ربيع الآخر من هذه السنة .

وكان هذا الملعون قد قتل من المسلمين في مدة ظهوره ، لعنه الله ـ وهي عشرون سنة ـ مئتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمئة [إنسان][(١)] ؛ قاله ابنُ جرير[(٢)] ، وأَسَرَ خَلْقاً لا يُحصون[(٣)] كثرةً ، وكان من جملة من استنقذه الأفشين من أسره نحو من سبعة آلاف وستمئة إنسان ، وأسر من أولاده سبعةَ عشَرَ رجلاً ، ومن حلائله وحلائل أبنائه ثلاثاً وعشرين امرأة من الخواتين[(٤)] . وقد كان أصلُ بابَك ـ لعنه الله ـ ابن جارية زريّة الشكل جدّاً ، فآل به الحالُ إلى هذه الحال ، ثم أراح الله المسلمين من شرِّه بعدما افتَتَن به خَلْقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ من الطَّغام[(٥)] .

ولما قتله المعتصم[(٦)] توَّج الأفشين وقلَّده وِشاحين من جوهر ، وأطلَق له عشرين ألف ألف درهم ، وكتب له بولاية السِّند ، وأمر الشعراء أن يدخلوا عليه فيمدحوه على ما فعل من الخير إلى المسلمين ، وعلى تخريبه بلد بابَك التي يقال لها البَذّ ، وتركه إياها يباباً[(٧)] خراباً . فقالوا في ذلك فأحسنوا ، وكان من جملتهم أبو تمام الطائيّ ، وقد أورد قصيدته بتمامها الإمام أبو جعفر بن جرير ـ رحمه الله ـ في « تاريخه »[(٨)] ، وهي قوله :

بَذَّ الجِلادُ البَذَّ[(٩)] وهي[(١٠)] قَطِينُ ... ما إنْ بها[(١١)] إلا الوُحُوشَ دَفينُ[(١٢)]

لم يُقْرَ هذا السيفُ هَذا الصَّبرَ في ... هَيْجَاءَ إلا عَزَّ هذا الدِّينُ

---

(١) زيادة من ط والطبري .

(٢) الطبري (٩/ ٥٤) .

(٣) في آ : لا يحصرون .

(٤) الخواتين : جمع خاتون ، وهي لفظة تركية معناها السيدة العريقة الأصل ، وهي مستعملة في العراق إلى عهد قريب (بشار) .

(٥) « الطَّغام » : أوغاد الناس ، الواحد والجمع فيه سواء .

(٦) لفظة : المعتصم سقطت من آ .

(٧) ليس بها ساكن ، في جوف الليل . وفي ط : قيعاناً .

(٨) الطبري (٩/ ٥٥) ولم ترد القصيدة فيه بتمامها كما أشار المؤلف رحمه الله ، وإنما وردت الأبيات نفسها في البداية . وهي مطلع قصيدة طويلة بلغت ستة وثلاثين بيتاً في ديوانه (٣/ ٣١٦ ـ ٣٢٢) .

(٩) في آ : إليك .

(١٠) في ط والديوان والطبري : فهو دفين .

(١١) الديوان : به ، والطبري : بها .

(١٢) في ط والديوان والطبري : قطين . و« بَذَّ » : سَبَقَ وغَلَب . و« القطين » : أهل الدار ، أي غلب الضِّراب هذا المكان ، وهو موضع بابَك الخُرَّميّ .

قـد كـان عُـذْرَةَ سُـودِدٍ فـافْتَضَّهـا بـالسّيـفِ فَحْلُ المَشْرِقِ الأفشِيـنُ[١]
فـأعـادَهـا تَعْـوي الثَّعَـالِـبُ وسْطَهـا ولَقَـدْ تُـرى بـالأمـسِ وَهْـيَ عَـرِيـنُ
هَطَلَتْ عليها من جَمَاجِمِ أهلِها[٢] دِيَـمٌ أَمَـارَتُهـا طُلَـى وشُـؤونُ
كَـانـتْ مِـنَ الهَيْجـاء قبـلُ مفـازةً[٣] عشـراً فـأضحَـتْ وهـي منـهُ مَعِيـنُ

وفي هذه السنة ، أعني سنة ثلاث وعشرين ومئتين ، أوقَعَ ملك الروم توفيل بن ميخائيل ـ لعنه الله ـ بأهل مَلَطْيَة[٤] من المسلمين وما والاها ملحمةً عظيمةً ، قتل فيها منهم خلقاً كثيراً ، وأسر ما لا يحصون كثرةً ، وكان من جملة من أسر ألفُ امرأة من المسلمات . ومثَّل بمن وقَعَ في أسره من المسلمين ، فقطع آذانهم وآنافهم ، وسَمَلَ أعينهم ، قبّحه الله[٥] .

وكان سبب ذلك أن بَابَك ـ لعنه الله ـ لمَّا أحيط به في مدينة البَذّ ، واستوسقت الجنود حوله ، كتب إلى ملك الروم يقولُ له : إنَّ ملك العرب قد جهَّز إليَّ جمهور جيشه ، ولم يبقَ في أطراف بلاده من يحفظها ، فإن كنتَ تريدُ الغنيمة فانهَضْ سريعاً إلى ما حولك من بلاده فخذها ، فإنَّك لا تجد أحداً يمانعك عنها[٦] .

فركب توفيل ـ لعنه الله ـ في مئة ألف ، وانضافَ إليه المحمّرة الذين كانوا قد خرجوا في الجبال ، وقاتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فلم يقدر عليهم ، وتحصَّنوا بتلك الجبال ، فلمَّا قدِمَ ملك الروم صاروا معه على المسلمين ، فوصلوا إلى زِبَطْرَة ، فقتلوا من رجالها خلقاً ، وأسروا من حريمها أمَّةً كثيرة ، فبلغ ذلك المعتصم فانزعج لذلك جدّاً ، وصرخ في قصره بالنفير ، ونهض من فوره فأمر بتعبئة الجيوش ، واستدعى بالقاضي والعدول ، فأشهدهم أن ما يملكه من الضّياع ثلثه لله[٧] ، وثلثه لولده ، وثلثه لمواليه[٨] .

وخرج من بغداد ، فعسكر غربيّ دجلة يوم الإثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى ، ووجَّه بين يديه عُجَيْفاً وطائفةً من الأمراء ، ومعهم[٩] خَلْق من الجيش إعانةً لأهل زِبَطْرَة . فأسرعوا السيرَ ، فوجدوا ملك

---

(١) أي كان محصَّناً محروساً ففتحه الأفشين .
(٢) في الديوان : جادت عليها .
(٣) في الطبري وط : كانت من المهجات ، وفي الديوان : كانت من الدَّم قبلَ ذاك مفازةً .
(٤) بلدة من بلاد الروم مشهورة ، تتاخم الشام .
(٥) الطبري (٩/ ٥٥) .
(٦) الطبري (٩/ ٥٦) ، وابن الأثير (٦/ ٤٧٩) .
(٧) في ط : صدقة .
(٨) الطبري (٩/ ٥٦) .
(٩) في آ : معه ، وفي ب ، ظا : معهم ، بلا واو ، وأثبت ما جاء في ط .

الروم قد فَعَلَ ما فَعَلَ ، وانْشَمَرَ[١] راجعاً إلى بلاده ، وتفارطَ الحالُ ولم يمكن الاستدراك فيه ، فرجعوا إلى الخليفة لإعلامه بما وقع من الأمر ، فقال للأمراء : أيُّ بلاد الروم أمنعُ؟ قالوا : عَمّورية ، لم يعرِض لها أحدٌ منذ كان الإسلام ، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية[٢] .

ذكر فتح عَمُّوريَّـة على يَدِ المعتصم

لما تفرَّغ المعتصم من شأن بابَك ، لعنه الله ، وقتَلَه ، وأخَذَ بلادَه ، استدعى بالجيوش إلى بين يديه ، وتجهَّز جَهازاً لم يتجهَّزهُ أحدٌ كان قبله من الخلفاء ، وأخذ معه من آلات الحرب والأحمال والجمال والقِرَبِ والدّوابِّ والنفط والخيل والبغال شيئاً لم يُسمع بمثله ، وسار إليها[٣] في جحافلَ كالجبال ، وبعث الأفشينَ حيدرَ بن كاوس[٤] من ناحية سَرُوج ، وعَبّى الخليفة جيشه تعبئة لم يسمع بمثلها ، وقدَّم بين يديه الأمراء المعروفين بالحرب وخبرته ، فانتهى في سيره إلى نهر اللس[٥] ، وهو قريب من طرَسوس ، وذلك في رجب من هذه السنة المباركة .

وقد ركب ملك الروم في جيشه ، فقصد نحو المعتصم ، فتقاربا حتى كان بين الجيشين نحو من أربعة فراسخ ، ودخل الأفشين بلاد الروم من ناحية أخرى [فجاء من وراء ملك الروم][٦] فحار في أمره ، وضاق ذرعه بسبب ذلك ، إن هو ناجز الخليفةَ جاءه الأفشين من خلفه فالتقيا عليه فيهلك ، وإن سار إلى أحدهما وترك الآخر أخذه من ورائه . ثم اقترب منه الأفشين فسار[٧] في شِرْذِمَةٍ من الجيش إليه ، واستخلف على بقيته قريباً له ، فالتقى هو والأفشين في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان من هذه السنة ، فثبت الأفشين في ثاني الحال وقَتَل من الروم خلقاً وجرح آخرين ، وتغلب فيه[٨] ملك الروم ، وبلغه أن بقيَّة الجيش قد شردوا عن قرابته وذهبوا عنه وتفرقوا عليه ، فأسرع الأوبةَ فإذا نظام الجيش قد انحلَّ ، فغضب على قرابته وضرب عنقه .

وجاءت الأخبار بذلك كلِّه إلى المعتصم فسرَّه ذلك جداً ، فركب من فوره وجاء إلى أنقرة ، ووافاه الأفشين بمن معه إلى هنالك ، فوجدوا أهلها قد هربوا منها وتفرَّقوا عنها ، فتقوّوا منها بطعام وعلوفةٍ

---

(١) « انشمر للأمر وتشمَّر » : أي تهيَّأ .
(٢) الطبري (٩/ ٥٧) .
(٣) في ط : إلى عَمُّوريَّة .
(٤) في آ ، ظا : داوس ، والمثبت من الطبري ، وفي هذا الأخير : خَيْذَر بن كاوس .
(٥) في الكامل لابن الأثير (٦/ ٤٨١) : نهر السنّ .
(٦) زيادة في ب ، ظا .
(٧) في ط : فسار إليه ملك الروم في شرذمة .
(٨) في ط : على .

كثيرةٍ . ثم فرَّق المعتصم جيشَه ثلاث فرق ؛ فالميمنة عليها الأفشين ، والميسرة عليها أشناس ، والمعتصم في القلب ، وبين كل عسكرين فرسخان ، وأمر كلَّ أميرٍ من الأفشين وأشناس أن يجعل لجيشه ميمنةً وميسرةً وقلباً ومقدِّمة وساقة ، وأنهم مهما مرُّوا عليه من القُرى حرقوا وخرَّبوا وأسروا وغنموا ، وسار بهم كذلك قاصداً إلى عمُّوريَّة ، وكان بينها وبين أنقرة سبعُ مراحلَ ، فأوّل من وصل إليها من الجيوش أشناس أمير الميسرة ضَحْوة يوم الخميس لخمس خلون من رمضان من هذه السنة ، فدار حولها دَوْرَةً ، ثم نزل على ميلين منها . ثم جاء المعتصم صبيحة يوم الجمعة بعدَه ، فدار حولَها دَوْرَةً ، ثم نزل قريباً منها . ثم قدم الأفشين يوم السبت ، فدار حولها دَوْرَةً ، ثم نزل قريباً منها . وقد تحصَّن أهلها وملؤوا أبراجها بالرجال والسّلاح ، وهي مدينة عظيمة جدّاً ، ذاتُ سور منيعٍ وأبراجٍ عالية كبيرةٍ .

وقسَّم المعتصم الأبراج على الأمراء ، فنزل كلُّ أميرٍ تجاه الموضع الذي أقطعه وعيَّنه له ، ونزل المعتصم قبالة مكان هناك قد أرشده إليه بعضُ مَن كان فيها من المسلمين الأسراء ، وكان قد تنصَّر عندهم وتزوج منهم ، فلما رأى أميرَ المؤمنين ، والمسلمين معه ، رجع إلى الإسلام وخرج إلى الخليفة فأسلَم وأعلَمه بمكانٍ في السور كان قد هدمه السيلُ ، وبُني بناءً فاسداً بلا أساس ، فنصب المعتصمُ المجانيقَ حول عَمُّوريَّة ، فكان أوّل موضعٍ انهدَم [من سورها][1] ذلك الموضع الذي نصح فيه ذلك الأسير ، فبادر أهل البلد فسدّوه بالخشب الكبار المتلاصقة ، فألَحَّ عليها المنجنيق فكسرها ، فجعلوا فوقها البراذع[2] ليردُّوا حدَّة الحجر .

فلمَّا ألحَّ عليها المنجنيق لم تغنِ شيئاً ، وانهدَمَ السّور من ذلك الجانب وتفسَّخ فكتب نائب البَلَد[3] إلى ملك الروم يعلمه بذلك ، وبعث ذلك مع غلامين من قومهم ، فلمَّا اجتازوا بالجيش في طريقهم أنكروا[4] أمرهما ، فسألوهما : من أنتما؟ فقالا : من أصحاب فلان ؛ لرجلٍ من المسلمين ، فحملا إلى المعتصم ، فقررهما فإذا معهما كتابُ ياطس نائب عَمُّوريَّة إلى ملك الروم يعلمه بما حصل لهم من الحصار ، وأنَّه عازم على الخروج من أبواب البلد بمن معه بغتةً ، فيناجز المسلمين بمن معه ، كائناً في ذلك[5] ما كان .

فلما وقف المعتصم على ذلك أمَرَ بالغلامين فخُلع عليهما ، وأن يُعطى كلُّ واحدٍ منهما بَدْرَةً[6] ،

---

(١) زيادة في ط .
(٢) « البَرْذَعة » أو « البَرْدَعة » : ما يوضع على الحمار أو البغل ليركب عليه ، كالسرج للفرس . جمع بَرَاذِع أو بَرَادع .
(٣) في آ : البَلْدة ، وهما بمعنى .
(٤) في ط : أنكر المسلمون .
(٥) في آ : في ذلك الوقت ما كان .
(٦) « البَدْرَة » : عشرة آلاف درهم .

فأسلما من فورهما ، فأمر بهما الخليفة أن يطاف بهما حول البَلَد وعليهما الخِلَعُ ، وأن يوقفا تحت الحِصن الذي فيه ياطس[١] فينثرَ عليهما الدراهم والخِلَع ، ومعهما الكتاب الذي كتب به ياطس إلى ملك الروم ، فجعلت الروم تلعنهما وتسبُّهما .

وأمر المعتصم عند ذلك بتجديد الحرس والاحتفاظ فيه من خروج الروم بغتةً ، فضاقت الروم ذَرْعاً بذلك ، وألحَّ عليهم المسلمون في الحصار ، وقد أعد المعتصم عليها المجانيق الكثيرة والدبابات وغير ذلك من الآلات الحربية .

ولمَّا رأى المعتصم عمقَ خندقها وارتفاع سورها ، عمل المجانيق في مقاومة سورها ، وكان قد غنم من الطريق غَنَماً كثيراً جدّاً ، ففرقها في الناس ، وقال : ليأكل الرجل الرأس وليجيء بملء جلده تراباً فيطرحه في الخندق ، ففعل الناس ذلك ، فتساوى الخندقُ بوجه الأرض من كثرة ما طُرح فيه من جلود الأغنام ، ثم أمر بالتراب فوضع فوق ذلك حتى صار طريقاً ممهداً ، وأمر بالدبابات أن توضع فوقه فلم يحوج اللهُ إلى ذلك . وبينما الناس في الجسر [المردوم][٢] إذ هدم المنجنيق ذلك الموضع المعيب من السور ، فلما سقط ما بين البرجين سمع الناس هدَّةً عظيمة ، فظنَّها من لم يرها أنَّ الروم قد خرجوا على الناس بغتةً ، فبعث المعتصم من ينادي في الناس : إنما ذلك سقوطُ السور . ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، لكن لم يتسع أن يدخل منه الجيش لضيقه عنهم ، فأمر المعتصم بالمجانيق المتفرقة ، فجمعت هنالك ونصب حول ذلك الموضع الذي سقط ؛ ليضرب بها ما حوله ؛ ليتسع لدخول الخيل والرجال .

وقوي الحصار هنالك ، وقد وكلت الروم بكل برجٍ من أبراج السور أميراً يحفظه ، واتفق أن ذلك الأمير الذي انهدم ما عنده من السور ، ضعف عن مقاومة ما يلقاه من المسلمين ، فذهب إلى ياطس فسأله النجدة فامتنع أحدٌ من الروم أن ينجده ، وقالوا : لا نترك ما نحن بصدده من حفظ أماكننا التي قد عيِّنت لنا .

فلمَّا يئس منهم خرج إلى المعتصم ليجتمع به ، فلمَّا وصل إليه ، أمر الخليفة المسلمين أن يدخلوا البلد من تلك الثغرة التي قد انهدمت وخلت من المقاتلة ، فركب المسلمون نحوها ، فجعلت الروم يشيرون إليهم ؛ لا يجيؤون ، ولا يقدرون على دفاعهم ، فلم يلتفت إليهم المسلمون ، ثم تكاثروا عليهم ودخلوا البلد قهراً ، وتتابع المسلمون إليها يكبِّرون ، وتفرَّقت الروم عن أماكنها فجعلوا[٣] يقتلونهم في كل مكان حيث وجدوهم وأين ثقفوهم ، وقد حشروهم في كنيسة لهم هائلةٍ ففتحوها قَسْراً ، وقتلوا من

---

(١) في الكامل لابن الأثير : ناطس ، وما أثبتناه كما في تاريخ الطبري .
(٢) زيادة من ط .
(٣) في ط : فجعل المسلمون .

فيها ، وأحرقوا عليهم باب الكنيسة فأحرقوا عن آخرهم ، ولم يبق فيها موضعٌ محصَّن سوى المكان الذي فيه النائب ، وهو ياطس في حصن منيع ، فركب المعتصم فرسه وجاء حتى وقف بحذاء الحصن الذي فيه ياطس فناداه المنادي : ويحك يا ياطس ! هذا أمير المؤمنين واقف تجاهك . فقال : ليس ياطس هاهنا ، مرتين . فغضب المعتصم من ذلك وولى ، فنادى[1] ياطس : هذا ياطس ، هذا ياطس ! فرجع الخليفة ونصبَ السلالم على الحصن ، وطلعت الرسل إليه ، فقالوا له : ويحك ! انزل على حكم أمير المؤمنين . فتمنَّع ، ثم نزل متقلِّداً سيفاً ، فوضع السيف من عنقه ، ثم جيء به حتى أوقف بين يدي المعتصم فضربَ[2] بالسوط على رأسه ، ثم أمر به أن يمشي إلى مِضْرَب الخليفة ، فمشى مهاناً إلى الوطاق الذي فيه الخليفة نازل ، فأوثق هناك .

وأخذ المسلمون من عَمُّوريَّة أموالاً عظيمة وغنائم لا تحدُّ ولا تُوصف ، فحملوا ما أمكن حمله ، وأمر المعتصم بإحراق ما بقي من ذلك ، وبإحراق ما هنالك من المجانيق والدبابات وآلات الحرب ، لئلا يتقوَّى بها الروم على شيء من حرب المسلمين . وانصرف [المعتصم][3] راجعاً إلى ناحية طَرَسوس في آخر شوال من هذه السنة . وكانت إقامته على عَمُّوريَّة خمسةً[4] وخمسين يوماً[5] .

ذكر مقتل العباس بن المأمون

كان العباس بن المأمون مع عمِّه المعتصم في غَزاة عَمُّوريَّة ، وكان عُجَيف بن عَنبسة قد ندَّمه إذ لم يأخذ الخلافة بعد أبيه المأمون حين مات بطَرَسُوس ، ولامه على مبايعته عمه المعتصم ، ولم يزل به حتى أجابه إلى الفتك بعمِّه المعتصم وأخذ البيعة من الأمراء له ، وجهَّز رجلاً يقال له : الحارث السمرقندي ، كان نديماً للعباس ، فأخذ له البيعة من جماعة من الأمراء في الباطن ، واستوثق منهم ، وتقدَّم إليهم أنَّه متى[6] ما فتك بعمِّه فليقتل كلُّ واحد منهم من يقدر عليه من رؤوس أصحاب المعتصم ، كالأفشين وأشناس وغيرهم من الكبار . فلمَّا كانوا بدرب الروم وهم قاصدون إلى أنقرة ومنها إلى عَمُّوريَّة ، أشار عُجَيْف على العباس أن يقتلَ عمَّه في هذا المضيق ويأخذَ له البيعة ويرجعَ إلى بغداد ، فقال العباس : إنِّي أكره أن أعطِّل على الناس هذه الغزوةَ ، فلمَّا فتحوا عَمُّوريَّة ، واشتغل الناس بالمغانم ، أشار عليه أن يفتك

---

(١) في الطبري : صاح الروم .
(٢) في ك : فضربه ، وفي الطبري : فقنَّعه سوطاً .
(٣) زيادة من ط .
(٤) في آ ، ط : خمسة وعشرين يوماً ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا ، والطبري ، وابن الأثير .
(٥) أخبار فتح عَمُّورية في تاريخ الطبري (٩/ ٥٧ ـ ٧٠) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٤٨٠ ـ ٤٨٨) .
(٦) في آ : أنه يلي ما قبل عمِّه ، فليسل ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا .

به ، فوعده مضِيق الدّرب إذا رجعوا ، فلما رجعوا فطن المعتصم بالخبر ، فأمر بالاحتفاظ وقوّةِ الحرس ، وأخذ بالحزم ، واجتهد في العزم ، واستدعى بالحارث السمرقنديّ فاستقره فأقرّ له بجليّة الأمر ، وأنّه أخذ البيعة للعباس بن المأمون من جماعةٍ من الأمراء سمّاهم له ، فاستكثرهم المعتصم ، واستدعى بابن أخيه العباس بن المأمون فقيَّده وغضب عليه وأهانه ، ثم أظهر له أنه قد رضي عنه وعفا عنه ، فأرسلَه من القيد وأطلق سراحه ، فلمّا كان من الليل استدعاه إلى حضرته في مجلسِ شرابه واستخلاه حتّى سقاه ، واستحكاه عن الذي كان قد دبّره من الأمر ، فشرح له القضية ، وأنهى له القصة ، فإذا الأمرُ كما ذكَرَ الحارثُ السمرقنديّ .

فلمّا أصبح استدعى بالحارث فأخلاه وسأله عن القضية ثانياً ، فذكرها له كما ذكرها أول مرة ، فقال له : ويحك ! إنِّي كنت حريصاً على ذلك ، فلم أجد إلى ذلك سبيلاً بصدقك إياي في هذه القصة . ثم أمر المعتصم حينئذ بابن أخيه العباس فقيِّد وسُلِّم إلى الأفشين ، وأمر بعُجَيْف وبقيّة من ذكر من الأمراء فاحتيط عليهم ، فأحيط بهم ، ثم أخذ في أنواع النقمات يقترحها لهم ، فقتل كلَّ إنسانٍ منهم بنوعٍ من القتلات ، ومات العباس بن المأمون بمَنْبج فدفن هناك ، وكان سبب موته أنه جاع جوعاً شديداً ، ثم جيء بأكل كثير فأكل ، وطلب الماء ، فمنع منه حتى مات . وأمر المعتصم بلعنه على المنابر وسمَّاه اللعين . وقتل جماعةً من ولد المأمون أيضاً[1] .

وفتحت فيها عَمُّوريَّة كما تقدَّم .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

بابَك الخُرَّمي ، قُتِلَ وصُلِبَ كما قدَّمنا ذلك مبسوطاً .

وخالد بن خِدَاش[2] .

وعبد الله بن صالح ، كاتب الليث [بن سعد][3] .

---

(١) خبر خروج العباس بن المأمون وموته في الطبري (٩/ ٧١ ـ ٧٩) ، وابن الأثير (٦/ ٤٨٩ ـ ٤٩٣) .

(٢) خالد بن خِدَاش بن عَجلان ، أبو الهيثم المُهلَّبي البصريّ ، الإمام الحافظ الصدوق ، نزيل بغداد ، عالم أهل مرو ومحدِّثهم . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٨٨) ، العبر (١/ ٣٨٦) .

(٣) زيادة من ط . وهو عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم ، أبو صالح الجُهنيّ المصري ، المحدّث ، شيخ المصريين ، كاتب الليث بن سعد . صدوق ، وكانت فيه غفلة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٠٥) تقريب التهذيب (١/ ٤٢٣) .

ومحمد بن سِنان العَوَقِيّ[١] .

وموسى بن إسماعيل[٢] .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومئتين

فيها : خرج رجل بآمُل[٣] طَبَرِستان يقال له : مازيار بن قارن بن وندا هُرْمُز ، وكان لا يرضى أن يرفع الحمل[٤] إلى نائب خراسان عبد الله بن طاهر بن الحسين ، بل يبعثه إلى الخليفة ليقبضه منه ، فبعث الخليفة من يتلقى الحمل إلى بعض البلاد فيقبضه منه ، ثم يدفعه إلى عبد الله بن طاهر ، ثم وثب[٥] على تلك البلاد وأظهر المخالفة للمعتصم .

وقد كان المازيار هذا ممن يكاتب بابَك الخُرَّمِيّ ويعِدُه بالنصر . ويقال : إن الذي قوّى رأس المازيار هو الأفشين ، ليعجز عبدُ الله بن طاهر فيولِّيه المعتصم بلادَ خراسان مكانه ، فبعث إليه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مُصْعَب ، أخا إسحاق بن إبراهيم ، في جيشٍ كثيف ، فجرَتْ بينهم حروبٌ طويلة استقصاها ابن جرير[٦] ، وكان آخر ذلك أسر المازيار ، وحمل إلى عبد الله بن طاهر ، فاستقرَّه عن الكتب التي بعثها إليه الأفشين فأقرَّ بها ، فأرسله نحو أمير المؤمنين ومعه من أمواله التي اصطفيت أشياء كثيرة جداً ؛ من الذهب والجواهر والثياب . فلما أوقف بين يدي الخليفة سأله عن كتب الأفشين إليه فأنكرها ، فأمر به فضرب بالسّياط حتَّى مات ، وصلب إلى جانب بابَك الخُرَّميّ على جسر بغداد ، وقتل عيون أصحابه وأتباعه .

وفي هذه السنة تزوّج الحسن بن الأفشين بأتْرُجَّة بنت أشناس ودخل بها في قصر المعتصم بسامرّاء في جمادى ، وكان عرساً عظيماً ، وليه أمير المؤمنين المعتصم بنفسه ، حتى قيل : إنهم كانوا يخضِبُون لحى العامة بالغالية[٧] .

---

(١) محمد بن سنان العَوَقي ، أبو بكر البصري . و« العَوَقة » : حيٌّ نزل فيهم ، وهم بطن من الأزد . أحد الأثبات . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٨٥) ، العبر (١/ ٣٨٨) .

(٢) أبو سَلَمة التَّبُوذكِيُّ ، المِنْقَريّ ، الإمام الحجّة ، كان من بحور العلم ، ثقة ثبت ، كثير الحديث . قال عباس الدوري : كتبت عنه خمسة وثلاثين ألف حديث . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٦٠) ، العبر (١/ ٣٨٨) .

(٣) في الأصول : من بابل ، وأثبت ما جاء في ط . و« آمُلُ » : اسم أكبر مدينة بطبرستان في السهل ، ومنها المؤرخ أبو جعفر الطبري ، رحمه الله . ياقوت .

(٤) في ط : الخراج .

(٥) في ط : ثم آل أمره إلى أن وثب .

(٦) الطبري (٩/ ٨٠ـ١٠١) .

(٧) « الغالية » : نوع من الطيب .

وفيها خرج مَنكجور قرابة الأفشين بأرض أذْرَبيجان ، وخلع الطاعة ، وذلك أنه كان الأفشين قد استنابه على بلاد أذْرَبيجان حين فَرَغَ من أمر بابَك ، فظفر مَنكجور بمالٍ عظيم مخزون لبابَك في بعض البلدان ، فاحتجبه لنفسه وأخفاه عن الخليفة ، وظهر على ذلك رجلٌ يقال له : عبد الله بن عبد الرحمن ، فكاتب الخليفة بذلك ، فكتب مَنكجور يكذِّبه في ذلك ، وهمَّ به ليقتله فامتنع منه أهل أرْدَبيل . فلمَّا تحقَّق الخليفة كذب مَنكجور بعث إليه بُغا الكبير فحاربه وأخذه بالأمان وجاء به إلى الخليفة .

وفي هذه السنة مات ياطس الرومي الذي كان نائباً على عَمُّوريَّة حين فتحها المعتصم ، ونزل من حصنه على حكم المعتصم ، فأخذه معه أسيراً فاعتقله بسامرّاء حتى توفي في هذا العام .

وفي رمضان منها توفي :

إبراهيم بن المهديّ بن المنصور : عم الخليفة ، ويعرف بابن شَكْلَة[1] ، وكان أسودَ اللون ضخماً فصيحاً فاضلاً ، قال ابن ماكولا[2] : وكان يقال له : التِّنِّين ، يعني لسواده ، وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[3] ترجمة حافلةً ، وذكر أنه ولي إمرة دمشق نيابة عن أخيه الرشيد مدة سنتين ، ثم عزل عنها ثم أعيد إليها الثانية فأقام بها أربع سنين . وذكر من عدله وصرامته أشياءً حسنةً ، وأنَّه أقام للناس الحجَّ سنة أربع وثمانين ، ثم عاد إلى دمشق ، وكان قد بايعه أهل بغداد في أول خلافة المأمون سنة ثنتين ومئتين كما ذكرنا ، وقد قاتله الحسن بن سهل نائبُ بغداد ، فهزمه إبراهيمُ هذا ، فقصده حُمَيد الطُّوسيّ فهزم إبراهيم ، واختفى إبراهيمُ ببغداد حين قدمها المأمون مدة طويلة ، ثم ظفر به المأمون سنة عشر فعفا عنه وأكرمه .

وكانت مدة ولايته على بغداد ومعاملتها سنة وأحَدَ عشرَ شهراً واثني عشر يوماً [وقيل : وخمسة أيام][4] . وكان بدء اختفائه في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث ومئتين ، وكانت مدة اختفائه ست سنين وأربعة أشهر وعشراً ، وكان الظفر به في ثالث عشر ربيع الأول من سنة عشر ومئتين . وقد جرت له في اختفائه هذا أمور عجيبة يطول بسطها .

---

(١) بالفتح والكسر ، وهي أمُّه ، مولَّدة ، كان أبوها من أصحاب المازيار ، فقتل معه ، سُبيت بنته شَكْلَة ، فحملت إلى المنصور ، فوهبها إلى محيَّاة أم ولده فربَّتها . فلما كبرت رآها المهدي فأعجبته ، فطلبها من مُحَيَّاة فأعطته إيَّاها فولدت منه إبراهيم . وترجمة إبراهيم بن المهدي في الأغاني (١٠/ ٩٥ ـ ١٥٠) ، وتاريخ بغداد (٦/ ١٤٢) ، ووفيات الأعيان (١/ ٣٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥٧) .

(٢) الإكمال (١/ ٥١٨) .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨) ومختصره (٤/ ١٢٦ ـ ١٤٨) .

(٤) زيادة في ب ، ظا .

قال الخطيب البغدادي[١] : وقد كان إبراهيم بن المهدي وافرَ الفَضْل ، غزيرَ الأدبِ ، واسعَ النفس ، سخيَّ الكفِّ ، وكان معروفاً بصنعة الغناء ، حاذقاً بها .

وذكر الخطيب[٢] أنَّه قلَّ المال على إبراهيم بن المهدي في أيام خلافته ببغداد ، فألحَّ الأعرابُ عليه في أخذ أعطياتهم ، فجعل يُسَوِّف بهم ، فخرج إليهم رسوله يقول : إنه لا مالَ عنده اليومَ ، فقال بعضهم : فَلْيَخرج الخليفةُ إلينا فَلْيُغَنِّ لأهل هذا الجانب ثلاثة أصواتٍ ، وللجانب الآخر ثلاثة أصوات . فقال في ذلك دِعْبِلُ بن عليٍّ شاعرُ المأمون يذمُّ إبراهيمَ بن المهدي في ذلك[٣] :

يـا مَعْشَـرَ الأعـرابِ لا تغلَطـوا   خُـذُوا عَطـايـاكُـمْ ولا تَسْخَطُـوا
فَسَـوْفَ يُعطيكُـمْ حُنَيْنِيَّـةً[٤]   لا تَـدْخُـلُ الكِيـسَ ولا تُـرْبَـطُ
والمَعْبَـدِيَّـاتُ لِقُـوَّادكُـمْ   ومـا بهـذا أحـدٌ يُغبَـطُ[٥]
فهكـذا يَـرْزُقُ أصحـابَـهُ   خَليفَـةٌ مُصْحَفُـه البَـرْبَـطُ[٦]

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى ابن أخيه المأمون حين طال عليه الاختفاء : وليُّ الثَّأْرِ مُحَكَّمٌ في القصاص ، والعفو أقربُ للتقوى ، وقد جعل اللهُ أميرَ المؤمنين فوقَ كُلِّ ذي عفوٍ ، كما جَعَلَ كلَّ ذي ذَنْبٍ دونه ، فإن عفا فبفضله ، وإن عاقب فبحقِّه[٧] .

فوقَّع المأمون في جواب ذلك : القدرةُ تُذهِبُ الحفيظةَ ، وكفَى بالنَّدم إنابةً ، وعفو اللهِ أوسَعُ من كُلِّ شيءٍ[٨] .

ولمَّا دخل إبراهيم عليه ، أنشأ يقول[٩] :

إن أكـن مُـذْنِبـاً فحظِّـيَ أخطـأ   تُ فَـدَعْ عَنْـكَ كَثْـرَةَ التَّـأنِيـبِ
قـلْ كمـا قـالَ يُـوسف لِبَنـي يَعْـ   ـقُـوبَ لمَّـا أتَـوْهُ : لا تَثْـرِيـب

فقال المأمون : لا تثريب .

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ١٤٤) .
(٢) تاريخ بغداد (٦/ ١٤٤) .
(٣) ديوانه (ص١٧٥) مع اختلاف يسير في الرواية .
(٤) « حنينيّة » : نسبة إلى حُنين الحيري المغنِّي .
(٥) « المَعبديات » : نسبة إلى معبد اليقطني المغنِّي . و« يُغبط » : يُسَرُّ .
(٦) « البَربط » : العُودُ ، معرب . والعرب تسميه : المِزهر .
(٧) تاريخ بغداد (٦/ ١٤٤) ، ومختصر ابن عساكر (٤/ ١٢٦) .
(٨) المصدر السابق .
(٩) البيتان في تاريخ بغداد (٦/ ١٤٥) ، ومختصر ابن عساكر (٤/ ١٣٣) .

وروى الخطيب[١] البغدادي : أنَّ إبراهيم بن المهديّ لمَّا أُوقف بين يدي المأمون شرَعَ يؤنِّبُه على ما فعل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حضرْتُ أبي ، وهو جدُّك ، وقد أُتي برجلٍ ذنبُه أعظمُ من ذنبي ، فأمر بقتله ، فقال مُبارك بن فَضَالة[٢] : يا أميرَ المؤمنين ، إنْ رأيتَ أن تؤخِّرَ قَتْلَ هذا الرجل حتى أحدِّثك حديثاً ، فقال : قل . قال : حدثني الحسن البصريُّ ، عن عمران بن حُصَين : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة نادَى منادٍ من بُطْنَانِ[٣] العَرْشِ : ألا لِيَقُم العافون من الخُلفاء إلى أكرم الجزاء ، فلا يقوم إلا مَنْ عَفَا »[٤] .

فقال المأمون : قد قبلت هذا الحديث بقبوله ، وعفَوْتُ عنكَ يا عم .

وقد ذكرنا في سنة أربع ومئتين زيادة على هذا . وقد كانت له أشعار جيدة بليغة ، سامحه الله . وقد ساق من ذلك الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » أشياء حسنة كثيرة[٥] .

كان مولد إبراهيم بن المهدي في مستهل ذي القعدة سنة ثنتين وستين ومئة ، وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من رمضان من هذه السنة عن ثنتين وستين سنة ، رحمه الله .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان أيضاً :

سعيد بن أبي مَريم المصريّ[٦] .

وسليمان بن حرب[٧] .

وأبو مَعْمَر المُقْعَد[٨] .

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ١٤٥) .

(٢) مبارك بن فَضَالة بن أبي أميّة ، أبو فَضَالة القرشي العدوي ، من كبار علماء البصرة ، ولد في أيام الصحابة ، وصحب الحسن البصري . صدوق ، فيه ضعف . توفي سنة ١٦٥هـ . سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٨١) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٨) .

(٣) « بُطْنان العرش » : وسَطه ، وقيل : أصْله . وقيل : البُطنان : جمع بَطْن ، وهو الغامض من الأرض؛ يريد : من دواخل العرش . النهاية (١/ ١٣٧) .

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٦/ ١٤٥) ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ، وهو في مختصر تاريخ ابن عساكر (٤/ ١٢٦) من حديث مبارك بن فضالة عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف .

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر (٤/ ١٢٦ ـ ١٤٨) .

(٦) هو سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم الجمحي المصري ، أبو محمد . حافظ فقيه ، من أئمة الحديث ، خرج له أصحاب الكتب الستة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٢٧) .

(٧) سليمان بن حرب بن بَجيل ، أبو أيوب الواشحيّ الأزدي البصري ، إمام حافظ ثقة ، قاضي مكة ، وتوفي في البصرة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٣٠) .

(٨) هو عبد الله بن عمرو بن أبي الحَجّاج ، أبو مَعْمَر المِنْقَري البصري ، المُقْعَد ، واسم جدّه أبي الحجّاج ميسرة . حافظ ، مجوّد ، ثقة ، رمي بالقَدَر . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٢٢) ، تقريب التهذيب (١/ ٤٣٦) .

وعليّ بن محمد المَدَائنيّ الأخباري[١] ، أحد أئمة هذا الشأن في زمانه .

وعمرو بن مَرزُوق ، شيخ البخاري[٢] ، وقد تزوج هذا الرجل ألف امرأةٍ .

وأبو عبيد القاسم بن سلاَّم البغدادي[٣] : أحد أئمة اللغة والفقه والحديث والقراءات والأخبار وأيام الناس . وله المصنَّفات المشهورة المنتشرة بين العلماء ، حتى يقال : إن الإمام أحمد كتب كتابه في « الغريب » بيده ، ولمَّا وقف عليه عبدُ الله بن طاهر رتَّب له في كُلِّ شهر خمسمئة درهم ، وأجراها على ذريته من بعده[٤] .

وذكر ابن خلكان أن ابن طاهر[٥] استحسنه ، وقال : ما ينبغي لعقل بعثَ[٦] صاحبه على تصنيف هذا الكتاب ، حقيق ألا يُحْوَج صاحبه إلى طلبِ المعاش ، وأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر[٧] .

وقال محمد بن وهب المسعري : سمعت أبا عبيد يقول : مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة[٨] .

وقال هِلال بنُ العلاء الرَّقِّي : مَنَّ الله على المسلمين بهؤلاء الأربعة : بالشَّافعي ، تفقَّه في الحديث ؛ وبأحمد بن حنبل ، ثَبَت في المحنة ؛ وبيحيى بن مَعين . نَفَى الكَذِبَ عن الحديث ؛ وبأبي عُبَيد ، فسَّرَ غريبَ الحديث . ولولا ذلك لاقتحم الناسُ في الخطأ[٩] .

---

(١) أبو الحسن ، نزل بغداد ، وصنَّف التصانيف ، وكان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب ، مصدَّقاً فيما ينقله ، عالي الإسناد . مات في دار إسحاق الموصلي ، وكان منقطعاً إليه . وذكر كتبه ابن النديم في الفهرست (١١٣ـ١١٧) ، وياقوت في معجم الأدباء (١/ ١٢٩ـ١٣٩) . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٠٠) ، والأعلام (٤/ ٣٢٣) .

(٢) أبو عثمان الباهلي ، مسند البصرة ، ثقه له أوهام ، حدث عنه البخاري في صحيحه مقروناً بآخر . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤١٧) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٧٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٥٥) ، المعارف لابن قتيبة (٥٤٩) ، الفهرست لابن النديم (٧٨) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٣) ، معجم الأدباء (١٦/ ٢٥٤) ، وفيات الأعيان (٤/ ٦٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠) ، معرفة القراء (١/ ١٤١) ، بغية الوعاة (٢/ ٢٥٣) ، شذرات الذهب (٢/ ٥٤) وغيرها .

(٤) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٦) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٥) .

(٥) في آ : ابن طاهر بن الحسين .

(٦) في آ ، ب : تعب ، وأثبت ما جاء في ظا ، ط . وفي معجم الأدباء : إن عقلاً بعث صاحبه . . لحقيق .

(٧) وفيات الأعيان (٤/ ٦١) ، ومعجم الأدباء (١٦/ ٢٥٥) .

(٨) وفيات الأعيان (٤/ ٦١) .

(٩) تاريخ بغداد (١٢/ ٤١٠) ، ووفيات الأعيان (٤/ ٦١) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٩) .

وذكر ابن خلكان أنَّه ولي القضاءَ بطَرَسُوسَ ثماني عشرة سنة ، وذكر له من العبادة والاجتهاد في العبادة شيئاً كثيراً[١] .

وقد روى العربية عن أبي زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وأبي عُبَيدة [مَعْمَر بن المثنى][٢] ، وابن الأعرابي ، والفرَّاء والكسائي وغيرهم[٣] .

وقال إسحاق بن راهويه : نحن نحتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا[٤] .

وقدم بغداد وسمع الناس منه ، من تصانيفه[٥] .

وقال إبراهيم الحَرْبيُّ : كان كأنه جبلٌ نُفخ فيه روحٌ ، يُحسِنُ كُلَّ شيءٍ[٦] .

وقال أحمدُ بن كامل القاضي : كان أبو عُبَيد فاضِلاً ، ديِّناً ، رَبَّانياً ، متقناً في أصناف علوم الإسلام : من القرآن والفقه والعربية والأخبار ، حَسَنَ الرِّوايةِ ، صَحيح النَّقْلِ ، لا أعلمُ أحداً طَعَنَ عليه في شيءٍ من علمه وكتبه[٧] .

وله : كتاب « الأموال » ، وكتاب « فضائل القرآن » و« معانيه » وغير ذلك من الكتب المنتفع بها ، رحمه الله[٨] .

توفي في هذه السنة قاله البخاري[٩] . وقيل : في التي قبلها بمكة وقيل : بالمدينة ، وله سبع وستون سنة[١٠] ، رحمه الله . وقيل : جاوز السبعين ، والله أعلم .

محمد بن عثمان أبو الجُماهر الدمشقي الكَفْرسُوسي[١١] ، أحد مشايخ الحديث[١٢] .

---

(١) وفيات الأعيان (٤/ ٦١ـ٦٢) .
(٢) زيادة من ط .
(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٩٣) ، ووفيات الأعيان (٤/ ٦١) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٣) .
(٤) تاريخ بغداد (١٢/ ٤١١) ، ووفيات الأعيان (٤/ ٦١) .
(٥) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٢) .
(٦) تاريخ بغداد (١٢/ ٤١٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠١) .
(٧) تاريخ بغداد (١٢/ ٤١١) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٠١) .
(٨) معجم الأدباء (١٦/ ٢٦٠) ، والأعلام للزركلي (٥/ ١٧٦) .
(٩) التاريخ الكبير (٧/ ١٧٢) .
(١٠) تاريخ بغداد (١٠/ ٥٠٧) .
(١١) نسبة إلى كَفْرسُوسية ، قرية بغوطة دمشق . اللباب (٣/ ١٠٣)..
(١٢) إمام محدّث حافظ ثبت . قال أبو حاتم : ما رأيت أحداً أفصح منه . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٤٨) .

ومحمد بن الفضل ، أبو النُّعمان السَّدُوسي ، الملقب بعارِم ، شيخ البخاري[١] .

ومحمد بن عيسى بن الطبَّاع[٢] .

ويزيد بن عَبد رَبّه الجُرْجُسيّ الحمصيّ ، شيخها في زمانه[٣] .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومئتين

فيها : دخل بُغا الكبير ومعه مَنكجور قد أعْطَى الطاعةَ بالأمان .

وفيها : عزل المعتصم جعفر بن دينار عن نيابة اليمن وتغضَّبَ[٤] عليه وولَّى على اليمن إيتاخ .

وفيها : وجَّه عبد الله بن طاهر بالمازيار ، فدخل بغداد على بغلٍ بإكاف[٥] لخمس خلون من ذي القعدة ؛ فضربه المعتصم بين يديه أربعمئة وخمسين سوطاً ، ثم سُقيَ الماء حتى مات[٦] . وأمر بصلبه إلى جانب بابَك الخُرَّميّ ، وأقرَّ في ضربه أن الأفشين كان يكاتبه ويحسِّنُ له خَلْعَ الطاعة ، فغضب المعتصم على الأفشين وأمر بسجنه ، فبني له مكان كالمنارة من دار الخلافة تسمَّى لؤلؤة ، إنَّما يسع مكانه فقط . وذلك حين تحقق الخليفةُ أنه كان يريد مخالفته والخروجَ عليه ، وأنه يعزمُ على الذهاب إلى بلاد الخَزَر[٧] ليستجيش بهم على المسلمين ، فعاجلَه الخليفةُ بالقبض عليه قبل ذلك كلِّه ، وعقد له المعتصم مجلساً فيه قاضيه أحمد بن دُوَاد[٨] المعتزلي ، ووزيره محمد بن عبد الملك بن الزيَّات ، ونائبه إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فاتّهم الأفشين في هذا المجلس بأشياءَ تدلُّ على أنَّه باقٍ على دين أجداده من الفرس ؛ وذلك أنَّه غيرُ مختون ، فاعتذر بأنه يخافُ من ألم ذلك ، فقال له الوزير ، وهو الذي كان يتولَّى مناظرته من بين القوم : فأنت تطاعنُ بالرماح في الحروب ولا تخاف من وقعها ، وأنت تزعم أنك تخاف من قطع قلفة

---

(١) إمام حافظ ثقة ثبت ، تغيّر في آخر عمره . قال الذهلي : كان بعيداً من العَرَامة . و« العرامة » : الشدة والقوة والشراسة . سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٦٥) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٢٠٠) .

(٢) محمد بن عيسى بن نَجيح ، أبو جعفر بن الطبَّاع ، البغدادي ، تحوَّل إلى الشام ، ورابط بأذَنَة من بلاد الثغور ، ثقة ، فقيه ، ذكره أحمد بن حنبل ، فقال : لبيب كَيِّس . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٨٦) ، وتقريب التهذيب (٢/ ١٩٨) .

(٣) أبو الفضل الزُّبَيدي المؤذِّن ، كان سكن عند كنيسة جُرجس بحمص ، فغلبت عليه النِّسبة إليها . إمام حافظ ثبت ، ثقة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٦٧) .

(٤) في ط : وغضِب ، وهما بمعنى .

(٥) « الإكاف » : البَرْذَعَة ، جمع أُكُف .

(٦) في الطبري (٩/ ١٠٤) : وطلب ماء فسُقي ، فمات من ساعته .

(٧) أي بلاد الترك .

(٨) في الأصول وط : داود ، وأثبت ما جاء في الطبري وابن الأثير . وسيترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٤٠هـ .

ببدنك ؟! وأنه ضرب رجلين ؛ إماماً ومؤذناً ، كلّ واحدٍ ألفَ سوطٍ ؛ لكونهما هدما بيتَ أصنامٍ ، فاتخذاه مسجداً . وأنّه عنده كتاب « كليلة ودمنة » ، وفيه الكفر ، وهو محلّى بالجواهر والذهب ، فاعتذر بأنه ورثه من أبيه . واتُّهم بأنَّ الأعاجم يكاتبونه[١] فتقول : إلى إلّه الآلهة من عبيده ، وأنَّه يقرُّهم على ذلك . فجعل يعتذر بأنه إنما أجراهم على ما كانوا يكاتبون به آباءه وأجداده ، وخاف أن يأمرهم بترك ذلك فيتَّضع عندهم .

فقال له الوزير : ويحك ! فماذا أبقيتَ لفرعون[٢] حين قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] وأنه كان يكاتب المازيار بأن يخرجَ عن الطاعة وأنه حنَّقه حتى ينصر دينَ المجوس الذي كان قديماً ، ويظهره على العرب والمغاربة والأتراك ، وأنه كان يستطيب المخنوقة على المذبوحة ، وأنه كان في كلِّ يوم أربعاء يستدعي بشاة سوداء فيضربها بالسيف نصفين ، ويمشي بينهما ، ثم يأكلهما . فعند ذلك كُلِّه أمر المعتصم بُغا الكبير فسحبه[٣] إلى سجنه مهاناً ذليلاً ، فجعل يقول : أما[٤] كنتُ أتوقع منكم ذلك .

وفي هذه السنة حمل عبد الله بن طاهر الحسن بن الأفشين وزوجته أُتْرجَّة بنت أشناس إلى سامرَّاء .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن داود .

وفيها توفي من الأعيان :

أَصْبَغُ بن الفَرَج[٥] .

وسَعْدُويَه[٦] .

ومحمد بن سَلام البيكَنْديّ[٧] .

---

(١) في ط : يكاتبونه ، وتكتب إليه في كتبها : أنت إلّه الآلهة . .

(٢) في آ : لقارون .

(٣) تقرأ في الأصول : فسجنه ، ولعل ما أثبته الصواب .

(٤) في ب ، ظا : ما كنت ، وفي ط : إني كنت .

(٥) أَصْبَغ بن الفَرَج بن سعيد بن نافع ، أبو عبد الله الأموي المصري المالكي ، الإمام الكبير ، مفتي الديار المصرية وعالمها . ذكر ابن معين أنه كان من أعلم خلق الله برأي مالك . طلبه المعتصم في المحنة ، فهرب واختفى بحُلوان . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٨) .

(٦) « وهو سعيد بن سليمان ، أبو عثمان الضَّبِّيُّ الواسطيُّ البزَّاز ، الملقب بسعدويه . سكن بغداد ، ونشر بها العلم . وكان من أهل السنة ، وقد أجاب في المحنة ، وحين سئل قال : كفرنا ورجعنا . ثقة . حافظ . مات وله مئة سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٨١) ، وتقريب التهذيب(١/ ٢٩٨) .

(٧) محمد بن سَلام بن الفَرَج ، أبو عبد الله السُّلمي البخاري البِيكَنْدي . كان من أوعية العلم ، وأئمة الأثر . ثقة ، ثبت . سير أعلا النبلاء (١٠/ ٦٢٨) ، وتقريب التهذيب (٢/ ١٦٨) .

وأبو عُمَر الجَرْمي[١] .

[وأبو عمر الحَوْضيّ][٢] .

[وأبو دُلَف العِجْلي التّميميّ ، الأميرُ ، أحدُ الأجواد][٣] .

وسعيد بن مَسْعَدَة[٤] : أبو الحسن الأخْفَش الأوسط البلخيُّ ، ثم البصريّ النَّحويُّ ، أخذ النحو عن سِيبويه ، وصنَّف كتباً كثيرة ؛ منها كتاب في « معاني القرآن » ، وكتاب « الأوسط » في النحو ، وغير ذلك . وله كتاب في العَروض زاد فيه بحرَ « الخَبب » على الخليل[٥] .

وسُمِّيَ « الأخفش » لصغر عينيه وضعف بصره ، وكان أيضاً أجْلَعَ ، وهو الذي لا يضم[٦] شفتيه على أسنانه ، وكان أولاً يقال له : « الأخفش الصغير » بالنسبة إلى الأخفش الكبير ، أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الهَجري ، شيخ سيبويه وأبي عبيدة ، فلمَّا ظهر عليُّ بنُ سليمان ولُقِّب بالأخفش أيضاً ، صار سعيدُ بن مَسْعَدَة هو الأوسط ، والهَجري الأكبر ، وعليُّ بن سليمان الأصغر .

وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل : سنة إحدى وعشرين ومئتين[٧] .

الجَرْميّ النَّحويّ[٨] : هو صالحُ بن إسحاق البَصْريّ ، قدِمَ بغداد وناظر بها الفرَّاء[٩] .

وكان قد أخذ النَّحو عن أبي عُبَيدة ، وأبي زيدٍ ، والأصمعي[١٠] . وصنف كتباً منها : « الفرخ » ،

---

(١) هو صالح بن إسحاق الجَرْمي البصريّ النحوي ، إمام العربية ، صاحب التصانيف ، عالم بالنحو واللغة ، من أهل البصرة ، سكن بغداد . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٦١) ، وبغية الوعاة (٢/ ٨) .

(٢) ما بين قوسين زيادة من ظا فقط ، وهو حفص بن عمر بن الحارث بن سَخْبَرة ، أبو عمر الأزدي ، المشهور بالحَوضي ، إمام حافظ ، متقن ، صدوق ، أعرابي فصيح . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٥٤) .

(٣) ما بين قوسين لم يرد في ظا ، ب ، وسيترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٢٦هـ .

(٤) المعارف (٥٤٥) ، أخبار النحويين البصريين (٥٠) ، الفهرست (٥٨) ، معجم الأدباء (١١/ ٢٢٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٨٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٦) ، بغية الوعاة (١/ ٥٩٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٣٦) وغيرها .

(٥) كان الخليل بن أحمد الفراهيدي قد جعل البحور خمسة عشر ، فأصبحت ببحر الخبب ستة عشر .

(٦) في ب ، ظا : لا تنضم شفتاه .

(٧) وفيات الأعيان (٢/ ٣٨١) .

(٨) طبقات الزبيدي (٤٦) ، أخبار البصريين (٧٢) ، تاريخ بغداد (٩/ ٣١٣) ، معجم الأدباء (١٢/ ٥) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٨٥) ، سير أعلام النبلاء (١/ ٥٦١) ، طبقات القراء (١/ ٣٣٢) ، بغية الوعاة (٢/ ٨) ، شذرات الذهب (٢/ ٥٧) .

(٩) معجم الأدباء (١٢/ ٦) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٦٣) .

(١٠) معجم الأدباء (١٢/ ٥) وفيه : أخذ عن هؤلاء اللغة ، وأخذ عن يونس بن حبيب العربية ، وعن أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ، وقرأ عليه كتاب سيبويه . وفيات الأعيان (٢/ ٤٨٥) .

يعني فرخ كتاب سيبويه ، وكان فقيهاً ، فاضلاً ، نحوياً ، بارعاً ، عالماً باللغة ، حافظاً لها ، ديناً ورعاً حسَنَ المذهب ، صحيحَ الاعتقاد ، روى الحديث . قاله كلَّه ابنُ خلكان[١] .

وروى عنه المبرّد[٢] .

وذكره أبو نُعيم في « تاريخ أصبهان »[٣] .

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومئتين

في شعبان منها توفي الأفشين في الحبس ، فأمر به المعتصم فصُلِبَ ، ثم أحرق وذُرِّي رماده في دجلة ، واحتيط على أمواله وحواصله ، فَوُجِدَ[٤] فيها أصنام مكللة بذهبٍ وجواهر ، وكتب عن دين المجوس ، وأشياء كثيرة مما يتَّهم بها ، ويتحقَّق بسببها ما ذكر عنه من الانتماء إلى دين آبائه المجوس ، لعنهم الله .

وفيها توفي : محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين .

وحجَّ بالناس محمد بن داود .

وفيها توفي من سادات المحدّثين :

إسحاق الفَرْوي[٥] ،

وإسماعيل بن أبي أُوَيْس[٦] .

وسُنَيد بن داود ، صاحبُ التفسير[٧] .

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٨٥ـ٤٨٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٦٢) .

(٣) تاريخ أصبهان (١/ ٣٤٦) .

(٤) في آ : فوجدوا فيها أصناماً . . . وأثبت ما جاء في ب ، ظا .

(٥) إسحاق بن محمد بن إسماعيل الأموي الفَروي المَدني ، أبو يعقوب . الإمام المحدّث العالم . صدوق ، كُفَّ ، فَسَاء حفظه . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٤٩) ، وتقريب التهذيب (١/ ٦٠) .

(٦) إسماعيل بن أبي أُوَيْس عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر ، أبو عبد الله الأصبحي المدني . صدوق ، أخطأ في أحاديث من حفظه . قرأ القرآن وجوَّده على نافع . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٩١) ، وتقريب التهذيب (١/ ٧١) .

(٧) في آ ، ظ : محمد بن داود . وأثبت ما جاء في ب ، ظا . وهو حسين بن داود ، أبو علي ، ولقبه سُنَيْد ، المصيصي ، المحتسب ، صاحب التفسير الكبير ، الإمام الحافظ ، محدِّث الثَّغر . ضعيف مع إمامته ومعرفته . خرج له ابن ماجه حديثاً واحداً . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٢٧) ، وتقريب التهذيب (١/ ٣٣٥) .

وغسان بن الرّبيع[١] .

ويحيى بن يحيى التَّمِيميّ ، شيخُ مسلم بن الحجاج[٢] .

أبو دُلَف العِجْلِيّ[٣] : القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزّى[٤] بن دُلَف بن جشم بن قيس بن سعد بن عِجْل بن لجيم ، الأمير ، أبو دُلَف العِجْلِي . أحدُ قواد المأمون والمعتصم ، وإليه يُنسب الأميرُ أبو نصر بن ماكولا ، صاحب كتاب « الإكمال » .

وكان القاضي جلال الدين القزويني [خطيب دمشق][٥] يزعم أنه من سلالته ، ويذكر نسبه إليه . وكان أبو دُلَف هذا كريماً جواداً ممدّحاً ، قصده الشعراء من كُلِّ أوب ، وكان أبو تمام الطائيّ من جملة من يَغشاه ويستمنحُ نداه ، وكانت لديه فضيلة في الأدب والغناء ، وصنَّف كتباً منها « سياسة الملوك » ، ومنها في الصيد والبزاة ، وفي السلاح ، وغير ذلك . وما أحسَنَ ما قال فيه بَكْر بن النَّطَّاح[٦] الشاعر :

يـا طـالبـاً لِلْكِيميـاءِ وعِلْمِـهِ مَدْحُ ابنِ عيسى الكيمياءُ الأعْظَمُ

لو لم يكُنْ في الأرضِ إلا دِرهَمٌ ومـدحْتَـهُ لأتَـاكَ ذاكَ الـدِّرْهَـمُ

فيقال : إنَّه أعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم .

وكان شجاعاً فاتكاً ، ومعطاءً لا يملُّ من العطاء ، ويستدين على ذمته ويعطي ، وكان أبوه قد شرع في بناء مدينة الكَرَج[٧] فمات ولم يتمها ، فأتمها أبو دُلَف هذا .

وكان فيه تشيّعٌ ، وكان يقول : من لم يكن مغالياً في التشيّع فهو ولد زِنَى . فقال له ابنه دُلَف :

---

(١) غسّان بن الربيع الأزدي ، محدّث الموصل ، كان ورعاً ، كبير القدر ، لكن ليس بحجّة . العبر (١/ ٣١١) .

(٢) هو يحيى بن بكر بن عبد الرحمن ، أبو زكريا التَّميمي المِنْقَريّ النيسابوري ، شيخ الإسلام ، عالم خراسان . وكان يشبَّه بابن المبارك في وقته . ثقة ، ثبت . قال ابن راهويه : مات وهو إمام أهل الدنيا . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥١٢) ، والعبر (١/ ٣٩٧) .

(٣) مروج الذهب (٤/ ٥) ، الأغاني (٨/ ٢٤٨) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٤١٦) ، وفيات الأعيان (٤/ ٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٦٣) ، شذرات الذهب (٢/ ٥٧) .

(٤) في ط : « عبد العزيز » ، وهو تحريف .

(٥) تكملة من ب ، ظا ، ط .

(٦) في آ ، ط : النَّطَّاع ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا . وهو بكر بن النَّطَّاح الحنفي ، أبو وائل . اتصل بأبي دُلَف العجلي ، فجعل له رزقاً إلى أن توفي . مات سنة ١٩٢هـ . ترجم له المؤلف في (حوادث سنة ١٩٢) . والبيتان في وفيات الأعيان (٤/ ٧٤) .

(٧) جاء في معجم البلدان (٤/ ٤٤٦) : الكَرَج : مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق ، وإلى همذان أقرب ، وأول من مصَّرها أبو دُلَف القاسم بن عيسى العِجلي ، وجعلها وطنه . ووقع في الأصول وط : « الكرخ » وهو خطأ .

لست على مذهبك يا أبت ! فقال له : والله لقد وطئت أمَّك قبل أن أشتريها ، فهذا من ذاك[١] .

فذكر القاضي ابنُ خلكان[٢] : أنَّ ولده رأى في المنام بعد وفاة أبيه أن آتياً أتاه ، فقال : أجب الأمير! قال : فقمت معه ، فأدخلني داراً وَحْشَةً ، وَعْرَةً ، سوداءَ الحيطان ، مغلَّقة السقوف والأبواب ، وأصعدني في درجٍ منها ، ثم أدخلني غرفة ، في حيطانها أثرُ النيران ، وفي أرضها أثرُ الرّماد ، وإذا بأبي فيها وهو عُرْيان ، واضعٌ رأسَه بين ركبتيه ، فقال لي كالمستفهم : دُلَف ؟ فقلت : دُلَف . فأنشأ يقول :

أبْلِغَـنْ أهْلَنـا ولا تُخْـفِ عَنْهُـمْ   مـا لَقِينـا فـي البَـرْزَخِ الخَنّـاقِ
قد سُئِلْنا عن كلِّ ما قدْ فَعَلْنا   فَارْحَمُوا وَحْشَتي وَمَا قَدْ ألاقِي

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ! فأنشَدَ :

فَلَـوْ أنَّـا إذا متنـا تُـرِكْنَـا   لَكَـانَ المَـوْتُ راحَـةَ كُـلِّ حَـيِّ
ولكنَّـا إذا متْنـا بُعِثْنَـا   ونُسْـألُ بَعْـدَهُ عَـنْ كُـلِّ شَـيِّ

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم . وانتبهت .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومئتين

فيها : خرَج رجلٌ من أهل الغَور بالشام يقال له : أبو حَرْب المُبَرْقَع اليمانيّ ، فخلع الطاعة ، ودعا إلى نفسه ، [وسُمِّي السفياني][٣] .

وكان سبب خروجه أن رجلاً من الجند أراد أن ينزلَ في منزله ، وذلك في غيبة أبي حَرْب ، فمانَعَتْه المرأة ، فضربَها الجنديّ في يدها ، فأثَّرت الضربة في معصمها .

فلمَّا جاء بعلها أخبرته ، فذهب إلى الجندي وهو غافل فضربه ، فقتله ، ثم تحصَّن في رؤوس الجبال وهو مُبَرْقَعٌ ، فإذا جاء أحدٌ دعاه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويذمُّ من السلطان ، فاتبعه خلق كثير من الحرَّاثين وغيرهم ، وقالوا : هذا هو السُّفياني المذكور أنه يملك الشامَ ، واستفحل أمره جداً ، واتبعه نحو من مئة ألف مقاتل ، فنفذ إليه الخليفةُ المعتصم وهو في مرض موته جيشاً نحواً من ألفِ مقاتل .

فلمَّا قدم الأميرُ وجَدَ أمَّةً كثيرةً قد اجتمعوا حوله ، فخشي أن يناجزه والحالة هذه ، فانتظر حتى جاء وقت حَرْث الأراضي فتصرَّم عنه الناس إلى أراضيهم ، وبقي في شِرْذمةٍ قليلة من أصحابه ، فناهضه فأسره

---

(١) وفيات الأعيان (٤/ ٧٨) .
(٢) وفيات الأعيان (٤/ ٧٨) وفيه الأبيات .
(٣) زيادة من ب ، ظا .

جيش الخليفة ، وتفرَّق عنه أصحابه ، وحمله أمير السرية ، وهو رَجَاء بنُ أيُّوبَ ، حتَّى قدِمَ به على المعتصم ، فلامه المعتصم في تأخُّره ، فاعتذر بأنَّه كان معه مئة ألف أو يزيدون ، فلم يزل يطاوله حتى أمكنه ذلك منه ، فشكره على ذلك[١] .

[وقد ذكر قصته مبسوطة الحافظ ابن عساكر في ترجمته من الكنى][٢] .

ذكر وفاة المعتصم

وفي يوم الخميس لساعتين مضتا منه ، الثامن عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، كانت وفاة أبي إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور .

وهذه ترجمة **الخليفة المعتصم**[٣] : هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المعتصم بن أمير المؤمنين هارون الرشيد بن أمير المؤمنين محمد بن أمير المؤمنين أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ويقال له : المثمَّن ؛ لوجوهٍ ، منها : أنه ثامن ولد العباس ؛ ومنها : أنه ثامن الخلفاء من ذريته ؛ ومنها : أنه فتح ثمان فتوحات ؛ [بلاد بابك ، على يدي الأفشين ، وعَمُّوريَّة بنفسه ، والزُّطّ بعُجَيف ، وبَحر البصرة ، وقلعة الأجراف ، وأعراب ديار ربيعة ، والشارك ، وفتح مصر بعد عصيانها . وقيل : ثمانية أعداء ؛ بابك ، ومازيار ، وياطى الرومي ، والأفشين ، ورئيس الزنادقة ، وعُجَيف ، وقارن ، وقائد الرافضة][٤] : ومنها : أنه أقام في الخلافة ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وقيل : ويومين ؛ وأنه ولد سنة ثمانين ومئة في شعبان ، وهو الشهر الثامن ؛ ومنها : أنه توفي وله من العمر ثمانية[٥] وأربعون سنة ؛ ومنها : أنه خلف ثمانية بنين وثماني بنات ؛ ومنها : أنه دخل بغداد من الشام وهو خليفة في مستهل رمضان سنة ثماني عشرة ومئتين ، بعد استكمال ثمانية أشهر من السنة ، بعد موت أخيه المأمون بطَرَطُوس ، كما تقدَّم .

قالوا : وكان أُمِّياً لا يحسن الكتابة ، وكان سبب ذلك أنه كان يتردد معه إلى الكتَّاب غلامٌ ، فمات ، فقال لأبيه : مات فلان واستراح من الكتّاب ، فقال له أبوه الرشيد : لا تذهب إلى الكتَّاب

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١١٦ ـ ١١٨) وابن الأثير (٦/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) .

(٢) زيادة من ب ، ظا . تاريخ ابن عساكر (ج١٩/ ورقة ١٥/ ب) .

(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١١٨ ـ ١٢٣) ، تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٢) ، الكامل لابن الأثير (٦/ ٤٣٩ و٥٢٣) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩٠) ، فوات الوفيات (٤/ ٤٨) ، الوافي بالوفيات (٥/ ١٣٩) ، تاريخ الخلفاء (٣٣٩ ـ ٣٤٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٦٣) .

(٤) ما بين قوسين زيادة من (ب ، ظا) والخبر في تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٣) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٢) .

(٥) كذا في الأصول ، وحقها : ثمان وأربعون .

بعدها ، فتركوه فكان أميّاً . وقيل : بل كان يكتب كتابةً ضعيفةً[١] .

وقد أسند الخطيبُ[٢] البغداديّ من طريقه عن آبائه حديثين منكرين ؛

أحدهما : في ذم بني أمية ومدح بني العباس من الخلفاء .

والثاني : في النهي عن الحِجامة يومَ الخميس .

وذكر بسنده[٣] عن المعتصم : أنَّ ملك الروم كتب إليه كتاباً يتهدَّدُه فيه ، فقال للكاتب : اكْتُبْ : « قد قرأتُ كتابَك وسمعت خطابَكَ ، والجوابُ ما تَرى لا ما تسمَعُ ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد : ٤٢] » .

قال الخطيب[٤] : غزا المعتصم بلاد الروم في سنة ثلاث وعشرين ومئتين ، فأنْكَى نكايةً عظيمة في العدوِّ ، ونصب على عَمُّوريّة المجانيق ، وأقام عليها حتى فتحها ودخلها ، فقتل فيها : ثلاثين ألفاً ، وسبَى مثلهم ، وكان في سبيه ستون بطريقاً ، وطرح النار في عَمُّوريَّة من سائر نواحيها ، فأحرقها ، وجاء ببابها إلى العراق ، وهو باقٍ حتى الآن ، منصوب على أحد أبواب دار الخلافة مما يلي المسجد الجامع في القصر .

وروى عن أحمد بن أبي دُواد القاضي أنه قال : ربَّما أخرج المعتصمُ ساعدَه إليَّ ، وقال لي : عضَّ يا أبا عبد الله بكل ما تقدر عليه ، فأقول : إنه لا تطيبُ نفسي يا أميرَ المؤمنين ! فيقول : إنه لا يضرُّني . فأكْدِمُ[٥] بكلِّ ما أقدرُ عليه فلا يؤثِّر ذلك في يده[٦] .

وقال : مَرَّ يوماً في خلافة أخيه بمخيَّم الجندِ ، فإذا امرأة تقول : ابني ابني فقال: ما شأنُكِ ؟ فقالت : أخذه صاحبُ هذه الخيمة ، فجاء إليه المعتصم ، فقال له : أطلق هذا الصبي ! فامتنع عليه ، فقبض على

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٣) ، وتاريخ الخلفاء (٣٣٩) .

(٢) ذكر حديث ذم بني أميّة الخطيب البغدادي في تاريخه (٣/ ٣٤٣) والحافظ السيوطي في تاريخ الخلفاء (ص٣٣٩) في ترجمة المعتصم ، وقال في آخره : قلت : الحديث موضوع ، وآفته الغلابي . في تاريخ الخلفاء العلائي ، وهو تصحيف . والغلابي هذا هو : محمد بن زكريا الغلابي البصري الأخباري ، وهو ضعيف وقال الدارقطني : يضع الحديث . والحديث الآخر : من احتجم يوم الخميس ، فمرض فيه مات فيه . ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير من رواية ابن عساكر عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء صفحة (٣٣٩) عن ابن عساكر بسنده ، وإسناده ضعيف .

(٣) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٤) .

(٤) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٤) .

(٥) الكدم : العضُّ ، وفي تاريخ بغداد : فأروم ذلك .

(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٣) .

جسده بيده ، فسُمع صوتُ عظامه من تحت يده ، ثم أرسلَه ، فسقَطَ ميتاً ، وأمر بإخراج الصبيّ إلى أمه[١] .

ولمَّا ولي الخلافة كان شَهْماً في أيامه ، له همة عالية ، ومهابة عظيمة جداً . وقال بعضهم : إنما كانت همته [في الإنفاق][٢] في الحرب لا في البناء ولا في غيره .

وقال القاضي أحمد بن أبي دُواد : تصدَّقَ المعتصم على يديَّ ، وهب ما قيمته مئة ألف ألف درهم[٣] .

وقال غيره : كان المعتصم إذا غضبَ لا يبالي مَنْ قَتَل ولا ما فعل[٤] .

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : دخلتُ يوماً على المعتصم وعنده قَيْنةٌ له تغنِّيه ، فقال لي : كيف تراها ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ! أراها تقهَرُه بحِذْقٍ ، وتختله برِفْقٍ ، ولا تخرُجُ من شيء إلا إلى أحسنَ منه ، وفي صوتها قطع شُذُور أحسنُ من نظم الدُّرِّ على النُّحور . فقال : والله لَصِفَتُكَ لها أحسنُ منها ومن غنائها ، ثم قال لابنه هارون الواثق وليّ عهده من بعده : اسمع هذا الكلام[٥] .

وقد استخدم من الأتراك خَلْقاً عظيماً ، كان له من المماليك قريبٌ من عشرين ألفاً . وتمَّ له من آلات الحرب والدواب ما لم يتفق لغيره .

ولمَّا حضرته الوفاةُ جعل يقول : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً ﴾ [الأنعام : ٤٤] . وقال : لو علمت أن عمري قصيرٌ ما فعلْتُ ما فعلْتُ . وقال : إني أوخذ من بين هذا الخلق . وجعل يقول : ذهبَت الحيل ، فليست حيلة .

ورُوي عنه أنه قال في مرض موته : اللّهُمَّ إنّي أخافُكَ مِنْ قِبَلي ولا أخافُكَ مِن قِبَلِك ، وأرجوكَ من قِبَلِك ، ولا أرجُوكَ مِن قِبَلِي[٦] .

وكانت وفاته « بسرَّ مَنْ رأى » في يوم الخميس ضحًى لسبعَ عشرةَ خَلَتْ من ربيع الأول من هذه السنة ، أعني سنة سبعٍ وعشرين ومئتين ، وكان مولده يوم الإثنين لعشر خلون من شعبان سنة ثمانين ومئة ، وولي الخلافة في رجب سنة ثماني عشرة ومئتين .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) زيادة في ب ، ظا ، ط .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٣) .
(٤) الطبري (٩/ ١٢١) ، وابن الأثير (٦/ ٥٢٦) .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٣) .
(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٦) .

وكان المعتصم أبيضَ ، أصهبَ[١] اللحية طويلها ، مربوعاً ، مُشْرَبَ اللون .

أمُّه أمُّ ولد اسمُها ماردة . وهو أحدُ أولاد ستةٍ من أولاد الرشيد ، كلٌّ منهم اسمُه محمد ، وهم : أبو إسحاق المعتصم ، وأبو العباس الأمين ، وأبو عيسى ، وأبو أحمد ، وأبو يعقوب ، وأبو أيوب ؛ قاله هشام بن الكلبي[٢] .

وقد قام بالخلافة بعدَه ولدُه هارون الواثق .

ذكر ابن جرير أن وزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات رثاه ، فقال[٣] :

قَد قُلتُ إذْ غَيَّبُوكَ واصْطَفَقَتْ ... عَلَيْكَ أيدي[٤] التُّراب والطِّينِ

اذهَبْ فنِعمَ الحفيظُ كنْتَ على الـ ... ـدُّنْيا ونِعْمَ الظهيرُ للدِّينِ

لا جَبَرَ اللهُ أُمَّةً فَقَدَتْ ... مِثلَكَ إلا بمِثْلِ هارُونِ

وقال مَرْوان بن أبي الجنوب ، وهو ابن أخي مروان ابن أبي حَفْصة[٥] :

أبو إسحاقَ ماتَ ضُحىً فمِتْنا ... وأمْسَيْنا بهارُونٍ حَيينا

لئنْ جاءَ الخميسُ بما كرهنا ... لقَدْ جَاءَ الخميسُ بما هَوِينا

خلافة هارون الواثق بالله بن المعتصم

بُويع له بالخلافة قبل أن يموت أبوه المعتصم يوم الأربعاء لثمانٍ خلَوْن من ربيع الأول من هذه السنة ، أعني سنة سبع وعشرين ومئتين . ويكنى بأبي جعفر ، وأُمُّه أمُّ ولدٍ رُوميَّة ، يقال لها : قراطيس ، وقد خرجَتْ في هذه السنة قاصدةً الحجَّ ، فماتت بالحيرة ، ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى ، وذلك لأربع خَلَوْن من ذي القعدة من هذه السنة[٦] .

وكان الذي أقام للناس الحجَّ في هذه السنة جعفر بن المعتصم[٧] .

---

(١) « الأصْهَب » : ذو اللون الأصفر الضارب إلى شيء من الحمرة والبياض .
(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢٣) .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١١٩) ، والكامل لابن الأثير (٦/ ٥٢٥) .
(٤) في الطبري وابن الأثير : أيْدِ بالتُّرب .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٠) .
(٦) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٣) .
(٧) المصدر السابق .

وممن توفي في هذه السنة من المشاهير :

ملك الروم توفيل بن ميخائيل ، وكانت مدَّة ملكه ثنتي عشرة سنة ، فملكَتْ بعده امرأته تدورة ، وكان ابنها ميخائيل بن توفيل صغيراً[١] .

وفيها توفي :

بِشْر الحافِي الزَّاهد المشهور[٢] : وهو بِشْر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المَرْوَزيّ ، أبو نَصْر الزاهد ، المعروف بالحَافي ، نزيلُ بغداد .

قال ابن خلكان[٣] : وكان اسمُ جدِّه عبد الله الغيور ، أسلم على يدي عليّ بن أبي طالب .

قلت : وكان مولدُه ببغداد سنة خمسين ومئة ، وسمع بها شيئاً كثيراً من حمَّاد بن زيد ، وعبد الله بن المُبَارك ، وابن مهدِيّ ، ومالكٍ ، وأبي بكر بن عياش ، وغيرهم .

وعنه جماعة ، منهم : أبو خَيْثمة زهير بن حرب ، وسَرِيٌّ السَّقَطِيُّ ، والعباس بن عبد العظيم ، ومحمد بن حاتِم .

قال محمد بن سعد[٤] : سمع كثيراً ، ثم اشتغل بالعبادة ، واعتزل الناس ، ولم يُحدِّث .

وأثنى عليه غيرُ واحدٍ من الأئمة في عبادته وزهده وورعه ونسكه وتقشُّفه .

قال [الإمام] أحمد يوم بلغه موتُه : لم يكن له نظيرٌ إلا عامر بن عبد قيس ، ولو تزوَّج لكان قد تمَّ أمرُه[٥] .

وقال إبراهيم الحربيُّ : ما أخرجَتْ بغدادُ أتمَّ عقلاً ، ولا أحفَظَ للسانه منه ، ما عُرِفَ له غِيبةٌ لمسلمٍ ، وكان في كل شعرةٍ[٦] منه عقل . ولو قُسم عقلُه على أهل بغدادَ لصاروا عقلاءَ وما نقص من عقله شيءٌ[٧] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) حلية الأولياء (٨/ ٣٣٦) ، تاريخ بغداد (٧/ ٦٧) ، تهذيب ابن عساكر (٣/ ٢٣١) ، مختصر ابن عساكر (٥/ ١٩١) ، صفة الصفوة (٢/ ٣٢٥) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٧٤) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩) ، تهذيب الكمال (٤/ ٩٩) ، طبقات الأولياء (١٠٩) شذرات الذهب (٢/ ٦٠) .

(٣) وفيات الأعيان (١/ ٢٧٤) ، واسم جدِّه فيه : بعبور . وفي تاريخ بغداد : يعفور ، ولم ترد في ب ، ظا .

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٤٢) .

(٥) تاريخ بغداد (٧/ ٧٣) ، تاريخ ابن عساكر ، المجلدة العاشرة ، صفحة (٤٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤) ، تهذيب الكمال (٤/ ١٠٥) ، وبعدها في المطبوع؛ وفي رواية عنه أنه قال : ما ترك بعده مثله .

(٦) في النسخ : شعره عقل ، والمثبت من ط .

(٧) تاريخ بغداد (٧/ ٧٣) ، وابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٥١) ، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٧٢ ، ٤٧٥) .

وذُكِر عن غير واحدٍ أنَّه كان شاطراً[١] في بدء أمره ، وأنَّ سبب توبته أنه وجد رُقْعَةً فيها اسمُ الله عزَّ وجلَّ في أتُونِ حمَّامٍ ، فرفعها ، ورفَعَ طَرْفَه إلى السّماء ، وقال : سيّدي ! اسمُك هاهنا ملقًى ! ثم ذَهَبَ إلى عطّار فاشترى بدرهم غاليةً[٢] وضمَّخ تلك الرُّقْعَة منها ، ووضعها حيث لا تُنال ، فأحْيَى اللهُ قلبَه ، وألهمه رشدَه ، وصار إلى ما صار إليه من العبادة والزهادة[٣] .

ومن كلامه : مَنْ أحبَّ الدنيا فليتهيَّأ للذُّلّ . وكان يأكلُ الخبزَ وحدَهُ ، فقيل له : بماذا تأتدم ؟ فقال : أذكر العافيةَ فأجعلها أُدْماً .

وكان لا يلبَسُ نعلاً بل يمشي حافياً ، طرق يوماً باباً ، فقيل : من ؟ فقال : بِشر الحافي . فقالت جارية أما وجَدَ دانقين[٤] يشتري له بها نعلاً ويستريح من هذا الاسم ؟ قالوا : وكان سببُ تركه النعلَ : أنَّه جاء إلى حَذَّاء فطلب منه شِراكاً[٥] لنعله ، فقال له : ما أكثرَ كلفتكم[٦] على الناس ؟ فطرح النَّعلَ من يده ، وخَلَعَ الأخرى من رجله ، وحلَفَ لا يلبَسُ نعلاً أبداً[٧] .

قال ابن خلكان[٨] : وكانت وفاته يومَ عاشوراء ، وقيل : في رمضان ببغداد ، وقيل : بمرو . قلت : الصحيح ببغداد في هذه السنة ، وقيل : في سنة ست وعشرين ، والأول أصحُّ ، والله أعلم .

وحين مات اجتمع في جنازته أهل بغداد على[٩] بَكْرَةِ أبيهم ، فأُخرج من بعد صلاة الفجر ، فلم يستقرَّ في قبره إلا بعدَ العَتَمَةِ ؛ وكان عليّ بن المدينيّ وغيرُه من أئمة الحديث يصيح بأعلى صوته في الجنازة : هذا والله شرفُ الدنيا قبل شَرَفِ الآخرة[١٠] .

ورُوي : أنَّ الجِنَّ كانت تنوحُ عليه في بيته الذي كان يسكن فيه . وأنَّه رآه بعضهم في المنام ، فقال له : ما فَعَلَ اللهُ بك ؟ فقال : غفَرَ لي ولكلِّ من شهد جنازتي ، ولكلِّ مَن أحبَّني إلى يوم القيامة[١١] .

---

(١) « الشاطر » : الخبيث الفاجر ، وجمعها شُطَّار .
(٢) « الغالية » : الطيب .
(٣) تاريخ ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٣٩) ، ومختصره (٥/ ١٩١) ، وتهذيب الكمال (٤/ ١٠٣) .
(٤) في آ : دانقاً . و« الدَّانق » : سُدُسُ دِرْهم ، معرَّب .
(٥) « شِراك النعل » : سيرُها الذي على ظهر القدم .
(٦) بعد هذا في ط : « يافقراء » ، وليست في النسخ ولا وفيات الأعيان (١/ ٢٧٥) .
(٧) تاريخ بغداد (٧/ ٦٩) ، وتاريخ ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٤١) ، ومختصره لابن منظور (٥/ ١٩٢) ، وتهذيب الكمال (٤/ ١٠٢) .
(٨) وفيات الأعيان (١/ ٢٧٦) .
(٩) في النسخ : عن بكرة .
(١٠) ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٧٩) ، ومختصره (٥/ ٢٠٤) ، وتهذيب الكمال (٤/ ١٠٨) .
(١١) ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٨٠ ، ٨٢) ، ومختصره (٥/ ٢٠٤ ، ٢٠٦) ، وتهذيب الكمال (٤/ ١٠٩) .

وذكر الخطيبُ البغداديّ[١] أنه كان له أخواتٌ ثلاثٌ ، وهنَّ : مُخَّة ، ومُضْغة ، وزُبْدة ؛ وكلهنَّ عابدة زاهدة مثله ، وأشدّ ورعاً أيضاً ؛ ذهبت إحداهن فاستأذنَتْ على أحمد بن حنبل رحمه الله ، فقالت : إنِّي ربَّما طُفىء السّراج عليَّ وأنا أغزلُ ، فإذا كان ضوء قمرٍ غزلْتُ فيه ، فعليَّ عند البيع أن أميزَ بين هذا وهذا ؟ فقال لها : إنْ كان بينهما فرقٌ فأعلمي به المشتري . وقالت[٢] له : مرَّ الحرَسُ ليلةً بمشعلٍ ، فغَزَلْتُ في ضوئه طاقات ، فخلّصني من ذلك . فأمرَها أن تتصدَّق بذلك الغَزْلِ كلِّه لِما اشْتبه عليه معرفةُ [عين] ذلك المقدار . وسألته عن أنين المريض : أفيه شكْوَى؟ قال : لا ، إنَّما هو شكوى إلى الله عزَّ وجلَّ . ثم خرجت ، فقال [لابنه عبد الله][٣] : يا بني ، اذهبْ فاعلم لي مَن هذه المرأة ؟ قال عبدُ الله : فذهبتُ وراءها ، فإذا هي قد دخلَتْ دارَ بِشْر الحافي ، وإذا هي أخته ، وفي رواية : مُخَّة .

وروى الخطيب[٤] البغدادي عن زُبْدَة ، قالت : جاء ليلة أخي بِشْر ، فدخل برجلِه في الدار ، وبقيت الأخرَى من خارج ، فاستمرَّ كذلك ليلَته حتَّى أصبَحَ ، فقيل له : فيمَ تفكَّرْتَ ليلتَكَ ؟ قال : تفكَّرْتُ في بِشْر النصرانيّ ، وبِشْر اليهوديّ ، وبِشر المجوسيّ ، وفي نفسي ، واسمي بِشْرٌ ، فقلْتُ في نفسي : ما الذي سبَقَ منك [إليه] حتى خصَّكَ بالإسلام من بينهم ؟ فتفكَّرْتُ في تَفضُّلِه عليَّ ، وحمِدْتُه على أن جعلني من خاصته ، وألبَسَني لباسَ أحبابه .

وقد ترجمه ابنُ عساكر[٥] فأطنب ، وأطيب ، وأطال من غير مَلال . وقد ذكر ابن عساكر أشعاراً حسنة ، وذكر أنه كان يتمثل بهذه الأبيات[٦] :

تعافُ القَذَى في الماءِ لا تستطيعُهُ ... وتكرَعُ في حَوْضِ الذنوب فتشربُ
وتـؤثـرُ مـن أكـلِ الطَّعـامِ ألَـذَّهُ ... ولا تذكرُ المختارَ من أينَ يُكسبُ[٧]
وتـرقُـدُ يـا مسكيـن فـوقَ نَمـارِقٍ[٨] ... وفـي حشـوهـا نـارٌ عليـك تَلَهَّـبُ
فحتـى متـى لا تَستفِيـقُ جهـالـةً ... وأنـتَ ابـنُ سبعيـنَ بـدينـكَ تلعَـبُ

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٦) .
(٢) في ط : وقالت له مرة إحداهن : ربما تمرّ بنا مشاعل بني طاهر في الليل ونحن نغزل ، فنغزل الطاق والطاقين والطاقات ، فخلصني . .
(٣) زيادة من ط .
(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٨) ، تاريخ ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٦١) ، ومختصره (٥/ ١٩٧) ، وصفة الصفوة (٢/ ٣٣١) ، وما بين قوسين زيادة من تاريخ بغداد .
(٥) تاريخ ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٣٥ ـ ٨٦) ، ومختصره لابن منظور (٥/ ١٩١ ـ ٢٠٧) .
(٦) تاريخ ابن عساكر (المجلدة العاشرة/ ٧٥) .
(٧) في ب ، ظا : ولا تذكر المجنى ومن أين تكسب .
(٨) « النَّمارق » : مفردها نُمْرُق ، وهي الوسادة الصغيرة .

وممن توفي فيها :

أحمد بن يونُس اليَربوعي[١] .

وإسماعيل بن عَمرو البَجَلي[٢] .

وسعيد بن منصور ، صاحب « السُّنن » المشهورة التي لا يشاركه في مثلها إلا القليل[٣] .

ومحمد بن الصَّبَّاح الدُّولابي ، وله « سُنن » أيضاً[٤] .

وأبو الوليد الطَّيالسي[٥] .

وأبو الهُذَيل العلاف ، المتكلِّم المعتزليّ[٦] .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومئتين

في رمضانها خلَعَ الخليفة الواثق على أشناس الأمير ، وتوجَّه ، وألبَسَهُ وِشاحَين من جوهرٍ .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود الأمير .

وغَلا السعر على الناس في طريق مكة جداً ، وأصابهم حرٌّ شديد وهم بعرفة ، ثم برد شديد ومطر عظيم في ساعةٍ واحدةٍ ، ونزل عليهم وهم بمِنًى مطرٌ لم يُرَ مثله ، وسقطت قطعةٌ من الجبل عند جمرة العقبة فقتلَتْ جماعةً من الحجَّاج .

---

(١) هو أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي اليَربُوعيّ الكوفي ، أبو عبد الله . ينسب إلى جدّه تخفيفاً . إمام ، حجّة ، ثقة ، متقن . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٥٧) .

(٢) إسماعيل بن عمرو بن نَجيح البَجَلي الكوفيّ ، شيخ أصبهان ومسندها . ذكره ابن عدي في الضعفاء ، وهو من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٣٥) .

(٣) سعيد بن منصور بن شعبة ، أبو عثمان الخراسانيّ المروزيّ ، ويقال : الطالقاني ، ثم البلخي ، ثم المكي المجاور ، ثقة ، متقن ، وهو ممن جمع وصنَّف ، شيخ الحرم . وهو من أبناء الثمانين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٨٦) .

(٤) هو أبو جعفر المزني ، البغدادي . ثقة ، صاحب حديث . كان أحمد بن حنبل يجلُّه ويعظِّمه . مات بالكَرْخ عن سبع وسبعين سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٠) .

(٥) هو هشام بن عبد الملك ، أبو الوليد الباهلي ، البصري ، الطيالسي ، الإمام الحافظ الناقد ، شيخ الإسلام ، أمير المحدثين، ثقة، ثبت. مات عن أربع وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٤١) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٣١٩).

(٦) هو محمد بن الهُذيل البصري العلاف ، أبو الهُذيل ، صاحب التصانيف ، ورأس المعتزلة . لم يكن بالتَّقيّ ، وكان قد أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء . وقد طال عمره ، وجاوز التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٢) .

قال ابنُ جرير[١] : وفيها مات أبو الحسن المدائنيّ في منزل إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، وحَبيب بن أوس الطائيّ أبو تمام الشاعر .

قلت : أمَّا أبو الحسن ، عليّ بن محمد المدائنيّ ، أحدُ أئمة هذا الشأن ، وإمام الأخباريين في زمانه ، فتقدَّم[٢] ذكرُ وفاته قبل هذه السنة ، والله أعلم .

وأمَّا أبو تمَّام الطائي الشاعر[٣] : صاحبُ الحماسة التي جمعها في فصل الشتاء بهَمَذان ، في دار وزيرها ، فهو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشَج بن يحيى بن مرينا بن سهم بن خلجان بن مروان بن دُفافة بن مرّ بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عَدي بن عمرو بن الحارث بن طيِّىء ، وهو جُلْهُمة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان[٤] ، أبو تمَّام الطائي الشاعر الأديب المشهور .

ونقل الخطيب[٥] عن محمد بن يحيى الصولي : أنه حكي عن بعض الناس أنهم قالوا : أبو تمَّام حبيب بن تدوس النصراني ، فسماه أبو تمام[٦] أوس بدل تدوس .

قال ابن خلكان[٧] : وأصله من قرية جاسم من عمل الجَيْدور بالقرب من طَبَرِيَّةَ . وكان بدمشق يعمل عند حائك . ثم صار[٨] إلى مصر في شبيبته .

وابن خلكان أخذ ذلك من تاريخ الحافظ ابن عساكر[٩] ، وقد ترجم أبا تمام ترجمة حسنة .

وقال الخطيب[١٠] البغدادي : وهو شامي الأصل ، وكان بمصر في حداثته يسقي الماء في المسجد الجامع ، ثم جالس الأدباء فأخذ عنهم ، وتعلَّم منهم . وكان فطناً فهماً ، وكان يحبُّ الشعر ، فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر فأجاد ، وشاع ذكره ، وسار شعره ، وبلغ المعتصم خبره ، فحمله إليه ، وهو بسرَّ مَن رأى ، فعمل فيه قصائدَ ، فأجازه المعتصم ، وقدَّمه على شعراء وقته ، فقدم بغدادَ فجالس الأدباءَ ،

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٤) .
(٢) تقدم في وفيات سنة (٢٢٤هـ) .
(٣) الأغاني (١٦/ ٣٨٣) ، تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٨) ، مختصر ابن عساكر (٦/ ١٧٨) ، وفيات الأعيان (٢/ ١١) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٦٣) ، شذرات الذهب (٢/ ٧٢) ، تهذيب ابن عساكر (٤/ ١٨) ، معاهد التنصيص (١/ ٣٨) .
(٤) الجمهرة لابن حزم (ص٣٩٩) ، ووفيات الأعيان (٢/ ١١) .
(٥) تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٩) وفيه : حبيب بن بدوس .
(٦) في آ : أبو حبيب ، وما أثبته من ب ، ظا .
(٧) وفيات الأعيان (٢/ ١١ ، ١٧) مع اختلاف في العبارة .
(٨) في آ : سار ، وفي ط : سار به ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا . وفي الوفيات : ونشأ بمصر .
(٩) تاريخ ابن عساكر (٤/ ٧٧أ) وما بعدها (نسخة الظاهرية) ، ومختصره لابن منظور (٦/ ١٧٨ ـ ١٨٢) .
(١٠) تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٨) ، ومختصر ابن عساكر (٦/ ١٧٨) .

وعاشر العلماء ، وكان موصوفاً بالظَّرْف ، وحسن الأخلاق ، وكرم النفس . وقد روى عنه أحمد بن أبي طاهر وغيره أخباراً مسندة .

قال القاضي ابن خلكان[١] : كان يحفظ أربعة[٢] عشر ألف أرجوزة للعرب ، غير القصائد والمقاطيع وغير ذلك .

وكان يقال : في طيّىء ثلاثة : حاتِمٌ في كرمه ، وداود الطائيُّ[٣] في زهده ، وأبو تمَّام في شعره .

قلْتُ : وقد كان الشعراء في زمانه جماعةً ، فمن مشاهيرهم : أبو الشِّيص[٤] ، ودِعْبِل بن علي ، وابن أبي فنن[٥] ، وقد كان أبو تمام من خيارهم ديناً وأدباً وأخلاقاً . ومن رقيق شعره[٦] :

يا حَليفَ النَّدى ويا مَعدِنَ[٧] الجُو ... دِ ويا خَيْرَ مَن حَويتَ[٨] القَريضا

ليتَ حُمَّاكَ بي وكانَ لكَ الأجْـ ... ـرُ فلا تشتكي وكنتُ المريضا

وقد ذكر الخطيبُ[٩] عن إبراهيم بن محمد بن عرفة : أنَّ أبا تمام توفي سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين ، وكذا قال ابن جرير[١٠] .

وحكي عن بعضهم أنه قال : توفي في سنة إحدى وثلاثين[١١] .

وقيل : سنة ثنتين وثلاثين[١٢] ومئتين ، الله أعلم .

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ١٢) .
(٢) في النسخ ووفيات الأعيان : أربع عشرة .
(٣) هو داود بن نُصير الطائي الكوفي ، أبو سليمان . الإمام الفقيه ، القدوة الزاهد ، أحد الأولياء ، من أئمة المتصوفة . مات سنة ١٦٥هـ . حلية الأولياء (٧/ ٣٣٥) ، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٢) .
(٤) وهو محمد بن علي بن عبد الله بن رَزين الخزاعي ، ابن عم دعبل ، شاعر مطبوع ، من أهل الكوفة ، غلبه على الشهرة صاحباه صريع الغواني وأبو نواس ، قتله خادم عقبة بن جعفر في الرقة سنة ١٩٦هـ . طبقات الشعراء لابن المعتز (٧٢) ، والأعلام (٧/ ١٥٤) .
(٥) أبو عبد الله ، أحمد بن صالح ، شاعر مفلق مطبوع ، اتصل بمحمد بن عبد الله بن طاهر ومدحه . طبقات ابن المعتز (٣٩٦) .
(٦) ابن عساكر (٤/ ٨٠) ، تاريخ بغداد (٨/ ٢٥٢) .
(٧) في تاريخ بغداد وابن عساكر : يا توْم .
(٨) في تاريخ بغداد وابن عساكر : حبوتُ .
(٩) تاريخ بغداد (٨/ ٢٥٢) .
(١٠) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٤) .
(١١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٦٧) .
(١٢) قاله مَخلد الموصلي ، كما في سير أعلام النبلاء (١١/ ٦٧) .

وكانت وفاته بالموصل ، وبنيت على قبره قبة . وحكى الصولي عن الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيّات أنّه قال يرثيه[١] :

نَبَــأٌ أتَــى مِــن أعظــم الأنبــاءِ ... لمَّـــا ألَـــمَّ مُقَلْقِـــل الأحْشَـــاءِ
قَـالُـوا حَبيـبٌ قَـدْ ثَـوَى فـأَجَبْتُهـم ... نَـاشَـدْتُكُـم لا تَجْعَلُـوهُ الطَّـائـي

وقال غيره[٢] :

فُجِـعَ القَـريـضُ بخَـاتَـمِ الشُّعَـراءِ ... وَغَـديـرِ رَوْضتِهـا حَبيـبِ الطـائـي
مَـاتـا مَعـاً فَتجـاوَرا فـي حُفْـرَةٍ ... وكـذاكَ كـانـا قَبْـل فـي الأحْيـاءِ

وقد جمع الصُّولي شعرَ أبي تمام على حروف المعجم . قال القاضي ابن خلكان[٣] : وقد امتدح أحمدَ بن المعتصم ، ويقال : أبْنَ المأمون ، بقصيدته التي يقول فيها :

إقْـدامُ عَمْـرٍو فـي سَمَـاحَـةِ حَـاتِـمٍ ... فـي حِلْـمِ أحنَـفَ فـي ذَكـاءِ إيـاسِ

فقال له بعضُ الحاضرين[٤] : أتقول هذا للأمير وهو أكبرُ قدراً من هؤلاء[٥] ؟ فأطرق ساعةً ، ثم قال :

لا تُنْكـروا ضَـرْبـي لَـهُ مَـنْ دُونَـهُ ... مَثَـلاً شَـرُوداً فـي النَّـدى والبَـاسِ
فـاللهُ قَـدْ ضَـرَبَ الأقَـلَّ لِنُـورِهِ ... مَثَـلاً مِـنَ المِشْكَـاةِ والنِّبْـرَاسِ

فلمَّا أخذوا منه القصيدة لم يجدوا فيها هذين البيتين ، وإنَّما قالهما ارتجالاً . فقال [بعضهم] : لا يعيش هذا بعد هذا إلا قليلاً ، فكان كذلك .

قال القاضي ابن خلكان[٦] : وقد زعم بعضهم أنَّ هذه القصيدة امتدح بها بعضَ الخلفاء ، فأقطعه الموصل ، فأقام بها أربعين يوماً ، وليس هذا بصحيح ، ولا أصلَ له ، وإن كان قد لهِج به بعضُ الناس ، كالزمخشري وغيره .

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٢٥٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ١٨) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٦٧) ونسبا أيضاً لغيره .
(٢) هو الحسن بن وهب الوزير ، والبيتان في وفيات الأعيان (٢/ ١٨) ، ومختصر ابن عساكر (٦/ ١٨٢) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٦٧) .
(٣) وفيات الأعيان (٢/ ١٥) ، وفيه الأبيات الثلاثة ، وهي في ديوانه (٢/ ٢٤٩) .
(٤) هو يعقوب بن إسحاق الكندي ، كما في ديوانه (٢/ ٢٥٠) .
(٥) بعدها في ط : فإنك ما زدت على أن شبهته بأجلافٍ من العرب البوادي .
(٦) وفيات الأعيان (٢/ ١٥) .

وقد أورد له الحافظ ابن عساكر[١] أشياء مستظرفة من شعره الرائق ونظمه الفائق ، فمن ذلك قوله[٢] :

وَلَوْ كانَتِ الأَرْزَاقُ تُجْرَى على الحِجَا ... هَلَكْـنَ إذاً مـن جَهْلِهـنَّ البَهَـائِـمُ
ولَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وغَرْبٌ لِقَاصِدٍ ... ولا المَجْدُ في كفِّ امرىءٍ والدَّراهِمُ

ومنه قوله[٣] :

وما أنا بالعراقِ مِن دُونِ عُرْسِهِ[٤] ... إذا أنا لم أُصْبِحْ غَيُوراً على العِلْمِ
طَبيبُ فؤادي مُذْ ثلاثون حجَّةٌ[٥] ... ومُـذهِـبُ همِّـي والمُفـرِّجُ للغَـمِّ[٦]

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو نَصر التَّمَّار[٧] .

والعَيْشي[٨] .

وأبو الجَهْم[٩] .

ومُسَدَّدٌ[١٠] .

وداودُ بن عَمرو الضَّبِّي[١١] .

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٤/ ٨٠/ أ) نسخة الظاهرية .
(٢) ديوانه (٣/ ١٧٨) .
(٣) ديوانه (٤/ ٤٩٥) من قصيدة يعاتب فيها أبا القاسم بن الحسن بن سهل .
(٤) في الديوان : وما أنا بالغيران من دُون جاره ، وفي ط وابن عساكر : وما أنا بالغيران من دون عرسه .
(٥) في الديوان : لصيق فؤادي مُذْ ثلاثون حجّة ، وفي ط : طبيب فؤادي مذ ثلاثين حجة .
(٦) في الديوان : وصَيقل ذهني والمروِّحُ عن همِّي .
(٧) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن ذكوان . إمام ثقة زاهد . نزيل بغداد . امتحن بمسألة خلق القرآن فأجاب تقية وخوفاً من النَّكال ، وهو ثقة بحاله . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٧١) .
(٨) في النسخ بغير إعجام ، وفي ط : العبسي ، وهو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر ، أبو عبد الرحمن القرشي التيمي البصري ، ويعرف بابن عائشة ، وبالعَيْشي ، لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله . وهو إمام ثقة ، أخباري صادق ، كان طلاباً للحديث ، عالماً بالعربية وأيام الناس ، كريماً سخياً .
تاريخ بغداد (١٠/ ٣١٤) ، اللباب (٢/ ٣٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٦٤) .
(٩) هو العلاء بن موسى بن عطية الباهليّ البغدادي ، أبو الجَهم . الشيخ المحدث الثقة . صدوق ، من أبناء الثمانين . تاريخ بغداد (١٢/ ٢٤٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٢٥) .
(١٠) هو مُسَدَّد بن مُسَرْهَد بن مُسَرْبَل ، السدي ، البصري ، أبو الحسن . أحد أعلام الحديث . ثقة ، حافظ . يقال : إنه أول من صنّف المسند بالبصرة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩١) ، تقريب التهذيب (٢/ ٢٤٢) .
(١١) داود بن عَمرو بن زهير بن عمرو ، أبو سليمان الضَّبِّي البغدادي ، ثقة ، من كبار شيوخ مسلم .
سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٠) ، تقريب التهذيب (١/ ٢٣٣) .

ويحيى بن عبد الحَميد الحِمَّاني[١] .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومئتين

في هذه السنة أمر الواثق بالله بضرب الدَّوَاوين[٢] واستخلاص الأموال منهم[٣] ، فمنهم مَن ضُرب ألف سوط ، ومنهم من أخذ منه ألف ألف دينار ، ودون ذلك . وجاهر الوزير محمد بن عبد الملك لسائر ولاة الشُّرَط بالعَداوة ، فكُشفوا وحُبسوا ولقوا جهداً عظيماً . وجلس إسحاق بن إبراهيم للنظر في أمرهم ، وأقيموا للناس ، وافتضحوا فضيحة بليغة .

وكان سببُ ذلك أنَّ الواثق جلس ليلةً في دار الخلافة يُسمَر عنده ، فقال : هل منكم أحدٌ يعلم سبب عقوبة جدّي الرشيد للبرامكة ؟ فقال بعض الحاضرين : نعم يا أميرَ المؤمنين ! كان سبب ذلك : أنَّ الرشيد عُرضت عليه جارية ، فأعجبه جمالُها ، فساوم سيدَها فيها ، فقال : يا أميرَ ألمؤمنين ! إني أقسمت [بكل يمين][٤] ألا أبيعَها بأقلَّ من مئة ألف دينار ، فاشتراها منه بها ، وبعث إلى يحيى بن خالد الوزير ليبعث بها إليه من بيت المال ، فاعتلَّ بأنها ليست عنده ، فأرسل الرشيد يؤنِّبه ، ويقولُ : أليس في بيت مالي مئة ألف دينار ؟ وألحَّ في طلبها ، فقال يحيى بن خالد : أرسلوها إليه دراهِمَ ليستكثر ذلك ، ولعلَّه يردُّ الجارية ، فبعثوا بمئة ألف دينار دراهمَ ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ثمن الجارية ، فاستكثر ذلك ، وأمرَ بخزنها عند بعض خدمه في دار الخلافة ، وأعجبَه جمعُ المال في حواصله .

ثم شَرَعَ في تتبُّع أموال بيت المال ، فإذا البرامكة قد استهلكوه ، فجعل يهمُّ بأخذهم تارة ، ويحجم أخرى ، حتى كان في بعض الليالي سمر عنده رجلٌ يقال له : أبو العود ، فأطلق له ثلاثين ألف درهم ،فذهب إلى الوزير يحيى بن خالد بن برمك ، فماطله بها مدة طويلة . فلمَّا كان في بعض الليالي عرض أبو العود ذلك للرشيد بقول عمر بن أبي ربيعة[٥] :

وَعَدَتْ هِنْدٌ وما كانتْ تَعِدْ ... لَيْتَ هِنْداً أنْجَزَتْنا ما تَعِدْ
واسْتَبَدَّتْ مَرَّةً واحِدَةً ... إنَّما العاجِزُ مَن لا يَسْتَبِدّ

---

(١) يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون بن عبد الرحمن ، أبو زكريا الحِمَّاني الكوفي . حافظ ، إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٢٦) ، تقريب التهذيب (٢/ ٣٥٢) .

(٢) في الطبري وابن الأثير : الكتَّاب .

(٣) بعده في ط : لظهور خيانتهم وإسرافهم في أمورهم .

(٤) زيادة في ب ، ظا ، ط .

(٥) ديوانه (ص١٠١) ط . صادر ، مع خلاف في الرواية .

فجعل الرشيدُ يكرِّر قولَه : إنَّما العاجزُ من لا يستبدّ ، ويعجبُه ذلك . فلما كان الصباح دخل عليه يحيى بن خالد فأنشده الرشيدُ هذين البيتين وهو يستحسنهما ، ففهم ذلك يحيى بنُ خالد وخافَ وسأل عمن أنشد ذلك للرشيد ؟ فقيل له : أبو العود . فبعث إليه فأنجز له الثلاثين ألفاً ، وأعطاه من عنده عشرين ألفاً ، وكذلك ولداه الفضل وجعفر ، فما كان عن قريبٍ حتى أخذ الرشيدُ البرامكة ، وكان من أمره وأمرهم ما كان .

فلمَّا سمِعَ ذلك كلّه الواثقُ أعجبه ذلك وجعلَ يكرِّر قولَ الشاعر : إنَّما العاجزُ من لا يستبدّ ، ثم بطش بالكتَّاب على إثر ذلك ، وأخذ منهم أموالاً عظيمة جداً[١] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود أمير الحجيج في السنين الماضية .

وممن توفي فيها من الأعيان :

خلف بن هشام البزَّار ، أحد مشاهير القرَّاء[٢] .

وعبد الله بن محمد المُسْنَديّ[٣] .

ونُعَيْم بن حمَّاد الخُزاعيّ ، أحد أئمة السُّنَّة بعدَ أن كان من أكابر الجَهْمية ، وله المصنَّفات المشهورة في الفتن وغيرها[٤] .

وممن توفي في هذه السنة دينار بن عبد الله[٥] ، المنسوب إليه النسخة المكذوبة عنه أو منه ، ولكنها عالية الإسناد إليه ، ولكنها موضوعة .

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٢٥ ـ ١٢٨) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١٠ ـ ١١) .

(٢) خلف بن هشام بن ثعلب ، أبو محمد البغدادي البزَّار ، المقرىء ، الحافظ ، الحجة ، شيخ الإسلام ، أحد القراء العشرة ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين . كان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٧٦) ، غاية النهاية (١/ ٢٧٢) .

(٣) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن يمان الجُعفي ، أبو جعفر ، المعروف بالمُسندي ، لكثره اعتنائه بالأحاديث المسندة . قال الحاكم : إمام الحديث في عصره بما وراء النهر ، وهو أستاذ البخاري . وهو من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٨) .

(٤) وهو أحد علماء الأثر ، وله غلطات ومناكير مغمورة في كثرة ما روى ، وامتحن بخلق القرآن فلم يجب ، فحبس وقيِّد ومات في الحبس . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩٥) ، العبر (١/ ٤٠٥) .

(٥) هو دينار بن عبد الله ، أبو مِكْيَس الحبشي الأسود المعمّر . منكر الحديث . كان يزعم أنه خادم أنس بن مالك . كتاب المجروحين والضعفاء (١/ ٢٩٥) ، وتاريخ بغداد (٨/ ٣٨١) ، وميزان الاعتدال (٢/ ٣٠) .

سنة ثلاثين ومئتين

في جمادى[١] منها خرجت بنو سُليم حول المدينة النبوية، فعاثوا في الأرض فَسَاداً، وأخافوا السبيل، وقاتلهم أهلُ المدينة، فهزموا أهلَها، واستحوذوا على ما بين المدينة ومكّة وتلك المناهل والقُرى.

فبعث إليهم الواثقُ بُغا الكبيرَ أبا موسى التركيّ في جيشٍ، فقاتلهم في شعبان، فقتَلَ منهم خمسين فارساً، وأسر مثلهم، وانهزم بقيتُهم، فدعاهم إلى الأمان وأن يكونوا على حكم أميرِ المؤمنين، فاجتمع إليه منهم خلقٌ كثيرٌ، فدخل بهم المدينة، وسجن رؤوسهم في دار يزيد بن معاوية. وخرج إلى الحجِّ في هذه السنة، وشهد معه الموسم إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب نائبُ العراق.

وحجَّ بالناس محمد بن داود الأمير.

وفي هذه السنة توفي :

عبد الله بن طاهر بن الحسين[٢] : نائبُ خراسان وما والاها من البلدان. وكان خراج ما تحت يده ثمانية وأربعين ألفَ ألف درهم، فولَّى الخليفةُ ابنه طاهراً مكانه. وكانت وفاة عبد الله بن طاهر الأمير بعد موت أشناس التركي بتسعة أيام، وذلك يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلَتْ من شهر ربيع الأول من هذه السنة.

وقد حكى القاضي ابن خلكان[٣] : أنه توفي سنة ثمان وعشرين بمَرْو، وقيل: بنيسابور. وكان كريماً جواداً ممدَّحاً، له شعر حسنٌ، أورد له منه.

قال[٤] : وقد ولي نيابة مصرَ بعد العشرين ومئتين.

وذكر الوزير أبو القاسم بن المغربي : أن البطيخ العَبْدَلاوي الذي بمصرَ منسوبٌ إلى عبد الله بن طاهر هذا.

قال القاضي ابن خلكان[٥] : إما أنه كان يستطيبه، أو لأنَّه أوَّلُ مَن زرعه هناك، والله أعلم. ومن شعره[٦] :

اغتفِـرْ زَلَّتـي لِتُحْـرِزَ فَضْـلَ الشُّـ ـكْـرِ مِنِّـي ولا يفـوتَـكَ أجْـرِي

---

(١) الطبري : في جمادى الآخرة.

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٤٨٣)، ابن عساكر (٣/ ٢٠٥ ـ ٢٢٧)، الكامل لابن الأثير (٧/ ١٤)، وفيات الأعيان (٣/ ٨٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٤)، النجوم الزاهرة (٢/ ٢٥٨).

(٣) وفيات الأعيان (٣/ ٨٨) وحكى أيضاً أنه توفي سنة ثلاثين ومئتين ورجح ذلك، ولذلك ذكره المصنف هنا.

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٨٧) وفيه : كان دخوله إليها سنة إحدى عشرة ومئتين.

(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٨٨).

(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٨٦).

لا تَكِلْنِي إلى التَّوسُّلِ بالعُذْ رِ لَعَلِّي ألَّا أقُومَ[١] بِعُذْرِي

ومن شعره أيضاً[٢] :

نحنُ قومٌ تُلِينُنا الحَدَقُ النُّجْـ ـلُ علَى أنّا نُلينُ الحَدِيدا

طَوعَ أيدي الظِّبا تَصَيَّدنا[٣] العِيـ ـنُ ونقتادُ بالطِّعانِ الأسودا[٤]

نملِكُ الصَّيدَ ثم تملِكُنا البِيـ ـضُ المضيئاتُ[٥] أعيُناً وخُدودا

تتَّقي سُخْطنا الأسودُ ونخشى سَخَطَ الخِشْفِ[٦] حين تُبدي الصُّدودا

فترانا يومَ الكريهةِ أحرا راً وفي السِّلم للغواني عَبيدا

قال ابن خلكان[٧] : وكان خُزاعياً من موالي طَلْحة الطَّلَحات الخُزَاعيّ[٨] ، وقد كان أبو تمام يمدحه ، فرحل مرةً إليه ، فأضافه الثلج بهَمَذَان ، فصنَّف كتاب « الحماسة » عند بعض رؤسائها . وروى الحافظ ابن عساكر[٩] أنَّه لمَّا ولاه المأمونُ نيابة بلاد الشام وديار مصر ، سار إليها ، وقد رسم له بما في ديار مصر من الحواصل ، فحمل إليه وهو في أثناء الطريق ثلاثة آلاف ألف دينار ، ففرَّقها كلَّها في مجلس واحد . وأنه لمَّا واجه مصرَ نظرَ إليها فاحتقَرَها ، وقال : قبَّحَ اللهُ فرعون ! ما كان أخسَّه وأضعفَ همَّته حين مَلَكَ هذه القريةَ ، وقال : أنا ربُّكُم الأعْلَى ! [ثم قال عبد الله بن طاهر : والله لا أدخلها[١٠]][١١] .

ومِمن توفي فيها :

عليُّ بن الجَعْد الجوهريّ[١٢] .

---

(١) في النسخ : لا أقوم ، وأثبت ما جاء في (ط) والوفيات .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٨٥ ـ ٨٦) وفيه : وقيل : إنها لأصرم بن حميد ، ممدوح أبي تمام ؛ وكذلك في الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٢٠) .

(٣) في الوفيات : تقتادنا .

(٤) في ط : ومن شأننا نصيد الأسودا .

(٥) في الوفيات : المصونات .

(٦) الخِشف : الظبي التي نفرت من أولادها وتشرَّدت . القاموس .

(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٨٨) .

(٨) هو طَلْحَة بن عبد الله بن خلف الخزاعي ، أحد الأجواد المقدَّمين ، كان أجود أهل البصرة في زمانه . مات نحو ٦٥هـ . الأعلام (٣/ ٢٢٩) .

(٩) تاريخ ابن عساكر (٣٤/ ٢٠٨) ، تاريخ بغداد (٩/ ٤٨٣) .

(١٠) في ب : لأدخلها ، وابن عساكر : لادخلتها .

(١١) زيادة من نسختي ب ، ظا .

(١٢) علي بن الجعد بن عبيد ، أبو الحسن البغدادي الجوهريّ ، مولى بني هاشم . شيخ بغداد في عصره . ثقة ، ثبت ، رمي بالتشيع . مات عن ست وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٥٩) ، تقريب التهذيب (٢/ ٣٣) .

ومحمد بن سعد[١] ، كاتبُ الواقديّ ، وله كتاب « الطبقات » وغيرها من المصنفات .

وسعيد بن محمد الجَرْمي[٢] .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومئتين

فيها : وقعت مفاداةٌ لجماعةٍ من المسلمين كانوا بأيدي الروم ، على يدي الأمير خاقان الخادم ، وذلك في المحرّم من هذه السنة ، وكان عدة الأسارى الذين استُنقذوا من أيدي الكفار أربعة آلاف وثلاثمئة واثنين وستين أسيراً ، ولله الحمد والمنة .

وفيها كان مقتل :

أحمد بن نَصْر الخُزَاعي[٣] : رحمه الله وأكرم مثواه .

وكان سبب ذلك أنَّ هذا الرجلَ ، وهو أحمد بن نَصْر بن مالك بن الهَيْثم الخُزَاعيّ ؛ وجدُّه مالك بن الهَيْثم من أكبر الدعاة في الناس إلى دولة بني العبّاس[٤] ، وكانت له وجاهة ورياسة ؛ وكان أبوه نَصْر بن مالك يَغْشاه أهلُ الحديث ، وقد بايعه العامّة في سنة إحدى ومئتين على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حين كثرت الدُّعّار والشُّطّار[٥] في أرجاء بغداد في زمان غيبة المأمون عن بغداد ، كما قدَّمنا بسط ذلك ، وبه تُعرف سُوَيْقَةُ[٦] نَصْرٍ ببغداد .

وكان أحمد هذا من أهل العلم والديانة والعمل والاجتهاد في الخير ، ومن أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلامُ الله ، منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ ،

---

(١) محمد بن سعد بن منيع ، أبو عبد الله البغدادي . مؤرخ ثقة ، من حفاظ الحديث ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد ، وتوفي فيها . صحب الواقدي المؤرخ ، وكتب له وروى عنه ، وعرف بكاتب الواقدي . من أشهر مؤلفاته كتاب طبقات الصحابة ، ويعرف بطبقات ابن سعد . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٦٤) ، الأعلام (٦/ ١٣٦) .

(٢) سعيد بن محمد بن سعيد الجَرْمي الكوفي ، أبو عُبيد الله . محدّث ، صدوق ، رمي بالتشيّع ، حدّث عنه البخاري ومسلم . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٣٧) .

(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١٣٥ ـ ١٣٩ و١٩٠) ، تاريخ بغداد (٥/ ١٧٣ ـ ١٧٦) ، طبقات الحنابلة (١/ ٨٠) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٢٠) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٦) ، تهذيب الكمال (١/ ٥٠٥ ـ ٥١٤) ، الوافي بالوفيات (٨/ ٢١١) ، شذرات الذهب (٢/ ٦٩) .

(٤) بعده في ط : الذين قتلوا ولده هذا ، وكان أحمد بن نصر هذا له وجاهة ورياسة . .

(٥) « الدعّار » : مفرده الداعر ، وهو الخبيث المفسد . و« الشطّار » : مفرده الشاطر ، وهو الخبيث الماكر .

(٦) « سُوَيْقَة » : تصغير ساق ، وهي مواضع كثيرة . و« سُوَيْقَة نَصر » : بشرقي بغداد أقطعه إياها المهدي . معجم البلدان .

وكان الواثقُ هارون من أشدّ الناس في القول بخلق القرآن ، يدعو إليه ليلاً ونهاراً ، وسرّاً وجهاراً ، اعتماداً على ما كان عليه أبوه المعتصم وعمه المأمون في ذلك ، من غير دليل ولا برهان ، ولا حجة ولا بيان ، ولا سنة ولا قرآن[١] . فاجتمع على هذا الرجل أحمد بن نصر جماعة من أهل بغداد ، والتفَّ عليه من الألوف أعدادٌ . وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نَصْر هذا رجلان ، وهما أبو هارون السرَّاج يدعو أهل الجانب الشرقيّ ، وطالب[٢] يدعو أهلَ الجانب الغربي . ولمَّا كان شعبان من هذه السنة انتظمَت البيعةُ لأحمدَ بن نَصْر الخُزاعيّ في السرّ على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والخروج على السلطان ، لِبدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن[٣] . . فتواعدوا على أنَّه في الليلة الثالثة من شعبان ، وهي ليلة الجمعة ، يُضْرَبُ طبلٌ في الليل ، فيجتمع الناس الذين بايعوا في مكانٍ اتفقوا عليه ، وأنفقَ طالبٌ وأبو هارون في أصحابه ديناراً ديناراً ، فكان في جملة مَن أعطوه رجلان من بني أشْرس ، وكانا يتعاطيان الشرابَ ، فلمَّا كانت ليلة الخميس شرِبا في قومٍ من أصحابهم ، واعتقدا أنَّ تلك الليلة هي ليلةُ الوعْدِ ، وكان ذلك قبلَه بليلةٍ ، فقاما يضربان على طبلٍ في الليل ؛ ليجتمعَ إليهما الناسُ ، فلم يجيءْ أحدٌ ، وانخرَمَ النِّظام ، وسمِعَ الحرسُ في الليل ، فأعلموا نائبَ السلطنة ، وهو محمد بن إبراهيم بن مُصْعَب ، نائب أخيه إسحاق بن إبراهيم ؛ لغيبته عن بغدادَ ، فأصبح الناس متخبِّطينَ ، واجتهد نائبُ السلطنة على إحضار ذينك الرجلين ، فعاقبهما ، فأقرَّا عليه في الحال ، فتطلب أحمد بن نصر ، وأخذ خادماً له فاستقرّه فأقرَّ بما أقرَّ به الرجلان ، فجمع جماعةً من رؤوس أصحاب أحمد بن نَصْر معه ، وأرسَلَ بهم إلى الخليفة بسُرَّ مَن رأى ، وذلك في آخر [يوم من][٤] شعبان من هذه السنة .

فأحضر له جماعة من الأعيان ، وحضر القاضي أحمد بن أبي دواد المعتزليّ ، ولم يظهر منه على أحمد بن نَصْرعتب .

فلمَّا أوقف أحمد بن نَصْر بين يدي الخليفة الواثق فلم يعاتبْه على شيء ممَّا كان منه في أمر مبايعة العامة له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأعرض عن ذلك ، وقال له : ما تقول في القرآن ؟ فقال : هو كلامُ الله . قال : أمخلوقٌ هو ؟ قال : هو كلامُ الله . وكان أحمد بن نصر قد استقبل[٥] وحضر ، وقد تحنَّط وتنوَّر[٦] فقال له الواثق : فما تقولُ في ربِّك ، أتَراه يوم القيامة ؟ فقال : يا أميرَ

---

(١) بعدها في ط : فقام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله ، وإلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، في أشياء كثيرة دعا الناس إليها .

(٢) في ط : وآخر يقال له : طالب . .

(٣) بعدها في ط : ولما هو عليه وأمراؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها .

(٤) زيادة من ب ، ظا .

(٥) في آ : استقل . وفي ط : استقتل وباع نفسه وحضر .

(٦) بعدها في ط : وشد على عورته ما يسترها .

المؤمنين[١] ! جاءت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنّه قال : « تَرَوْنَ ربَّكُم يومَ القيامة كما تَرَوْنَ هذا القمرَ لا تُضامُّون في رؤيته »[٢] ؛ فنحن على الخبر .

زاد الخطيبُ[٣] في إيراده ؛ فقال الواثق : وَيْحَك ! أيُرَى كما يُرى المحدودُ المتجسّم ؟ ويحويه مكان ويحصُره الناظرُ ؟ أنا أكفُرُ بربٍّ هذه صفته .

قلت : وهذا الذي قاله الخليفة الواثق لا يرد ، ولا يلزم ، ولا يرد به مثل هذا الخبر الصحيح ، والله أعلم .

ثم قال أحمد بن نَصْر الخُزَاعيّ للواثق : وحدثني سفيان بحديثٍ يرفعه : « إن قلب ابن آدم بين إصبعَين من أصابع الله يقلِّبُه كيف يشاء » . وكان النبيُّ يقول : « يا مقلِّبَ القلوب ، ثبِّت قلبي على دينك »[٤] فقال له إسحاق بن إبراهيم : ويلك ! انظر ما تقول ؟ فقال : أنت أمرتني بذلك . فأشفق إسحاق من ذلك ، وقال : أنا أمرتك بذلك ؟! قال : نعم ، أنت أمرتني أن أنصَحَ له .

فقال الواثق لمن حوله : ما تقولون في هذا ؟ فأكثروا القولَ فيه . فقال عبد الرحمن بن إسحاق ـ وكان قاضياً على الجانب الغربيّ فعزِلَ ، وكان موادّاً لأحمد بن نَصْر قبل ذلك : يا أميرَ المؤمنين ، هو حلالُ الدّم !

وقال أبو عبد الله الأرمنيّ ، صاحبُ أحمد بن أبي دواد : اسقني دمَه يا أمير المؤمنين ! فقال الواثق : تأتي[٥] على ما تريد .

وقال القاضي أحمد بن أبي دواد : يا أمير المؤمنين ، هو كافر يُستتاب ، لعلَّ به عاهةً أو نقصَ عقل !

فقال الواثق : إذا رأيتموني قمْت إليه فلا يقومَنَّ أحدٌ معي ، فإنّي أحتسب خُطاي . ثم نهض إليه بالصَّمصامة ـ وقد كانت سيفاً لعمرو بن معديكرب الزّبيدي ، أُهديت لموسى الهادي في أيام خلافته ،

---

(١) بعدها في ط : قد جاء القرآن والأخبار بذلك ، قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، وقال رسول الله ﷺ : « إنكم ترون . . » .

(٢) رواه البخاري (٢/ ٢٧) في مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، وباب فضل صلاة الفجر ، وفي تفسير سورة قٓ ، وفي التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ ؛ ومسلم رقم (٦٣٣) في المساجد ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ، والمحافظة عليهما ؛ وأبو داود رقم (٤٧٢٩) في السنة ، باب في الرؤية ؛ والترمذي رقم (٢٥٥٤) في صفة الجنة ، باب ما جاء في رؤية الله تبارك وتعالى .

(٣) تاريخ بغداد (٥/ ١٧٦) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٦/ ٢٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها و(٦/ ٣١٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها ، ورواه الترمذي رقم (٢١٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه ، وابن ماجه رقم (١٩٩) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح (ع) .

(٥) في ط : لا بد أن يأتي ما تريد ، وفي الطبري : القتل يأتي على ما تريد .

وكانت صفيحة موصولة في أسفلها مسمورة بثلاثة[١] مسامير ـ فلمَّا انتهى إليه ضربه بها على عاتقه ، وهو مربوطٌ بحبْلٍ قد أوقف على نطعٍ ، ثم ضربه أخرى على رأسه ، ثم طعنَه بالصَّمصامة في بطنه ، فسقط رحمه الله صريعاً على النّطع ميتاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . ثم انْتَضَى سِيمَا الدّمشقي سيفَه فضرب عنقَه ، وحزَّ رأسه ، وحُمل معترضاً حتى أُتِيَ [به] الحظيرة التي فيها بابَك الخُرَّميّ ، فصلب فيها ، وفي رجليه زَوْج قُيود ، وعليه سَرَاويل وقميص ، وحُمل رأسُه إلى بغدادَ ، فنُصبَ في الجانب الشرقيّ أياماً ، وفي الجانب الغربيّ أياماً ، وعنده الحرسُ في الليل والنهار ، وفي أذنه رقعة مكتوبٌ فيها : هذا رأسُ الكافر المشرك الضّال أحمد بن نَصْر ، ممن قُتل على يدي عبدِ الله هارون الإمام الواثق بالله أميرِ المؤمنين ، بعد أن أقام عليه الحجّة في خَلْق القرآن ، ونفي التشبيه ، وعَرَضَ عليه التوبةَ ، ومكَّنه من الرجوع إلى الحق ، فأبَى إلَّا المعاندة والتصريح ، فالحمدُ لله الذي عجَّله إلى ناره وأليم عقابه بالكُفْر ، فاستحلَّ بذلك أميرُ المؤمنين دَمَهُ ، ولعْنَه .

ثم أمر الخليفة بتتبع رؤوس أصحابه ، فأخذ منهم نحواً من سبعة وعشرين رجلاً ، فأودعوا في السجون ، وسُمُّوا الظلمة ، ومُنعوا أن يزورَهم أحد ، وقيّدوا بالحديد ، ولم يُجرَ عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين ، وهذا ظلمٌ عظيمٌ .

[هذا ملخص ما أورده ابن جرير ، رحمه الله][٢]

وقد كان أحمد بن نَصْر هذا ـ رحمه الله ـ من أكابر العلماء العاملين ، وممن كان قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسمع الحديث من حمّاد بن زيد ، وسفيان بن عُيينة ، وهُشَيم بن بشير ، وكانت عندَه مصنَّفاته كلُّها ، وسمع من الإمام مالك بن أنس أحاديثَ جيدة ، ولم يحدِّث بكثير من حديثه .

وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقيُّ ، وأخوه يعقوب بن إبراهيم ، ويحيى بن مَعين ؛ وذكره يوماً فترحَّم عليه ، وقال : قد خَتَم اللهُ له بالشهادة ، وقد كان لا يحدِّث ؛ يقول : إني لست أهلَ ذاك . وأحسن يحيى بن معين الثناء عليه[٣] .

وذكره الإمام أحمد بن حنبل يوماً ، فقال : رحمه الله ! ما كان أسخاه ! لقد جاد بنفسه لله عزَّ وجلَّ[٤] .

---

(١) في آ ، ظا غير مقروءة ، وأثبت ما جاء في ب والطبري .
(٢) زيادة في ب ، ظا ، وكذلك في تاريخ الطبري (٩/ ١٣٥ ـ ١٣٩) .
(٣) تهذيب الكمال (١/ ٥٠٧) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٨) ، وتهذيب الكمال (١/ ٥١٠) .

وقال جعفر بن محمد الصائغ : بَصَرُ عينيَّ وإلا فعَميتا ، وسَمْعُ أذنيَّ وإلا فصمَّتا ، أحمدُ بن نَصْر الخُزَاعيُّ حين ضُرِبَتْ عنقُهُ يقولُ رأسُه : لا إلَه إلا الله[١] .

وقد سمعه بعضُ الناس ورأسُه مصلوبٌ على الجِذْع يقرأ : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت : ١ ـ ٢] ، قال : فاقشعرَّ جلدي[٢] .

ورآه بعضُهم في النوم فقال له : ما فعلَ بك ربُّك ؟ فقال : ما كانت إلا غفْوةَ حتَّى لقيتُ الله عزَّ وجلَّ ، فضحك إليَّ . ورأى بعض الناس في المنام رسولَ الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر ، وقد مرُّوا على الجِذْع الذي عليه رأس أحمد بن نَصْر ، فلما جاوزه أعرضَ رسولُ الله ﷺ بوجهه الكريم عنه ، فقيل له : يا رسولَ الله ! ما لك أعرضتَ عن أحمدَ بن نَصْر ؟ فقال : استحياءً منه حين قتله رجلٌ من أهل بيتي[٣] .

ولم يزل رأس أحمد بن نَصْر منصوباً ببغداد من يوم الخميس الثامن[٤] والعشرين من شعبان من هذه السنة ، أعني سنة إحدى وثلاثين ومئتين ، إلى بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومئتين ، فجُمع بين رأسه وجثته ، ودُفِنَ بالجانب الشرقيّ من بغداد ، بالمقبرة المعروفة بالمالكية[٥] ، رحمه الله . وذلك بأمر المتوكل على الله الذي ولي الخلافة بعد أخيه الواثق بالله .

وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكِنَاني[٦] ، صاحب كتاب الحَيْدة ، على أمير المؤمنين المتوكل على الله ، وكان من خيار الخلفاء ، وأحسن صنيعاً إلى أهل السُّنَّة ، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعمِّه المأمون[٧] . وكان يكرم الإمام أحمد بن حنبل إكراماً زائداً جداً ، كما سيأتي بيانه في موضعه .

والمقصود أنَّ عبد العزيز الكِناني قال للمتوكل : يا أميرَ المؤمنين ! ما رُئِيَ أعجَب من أمر الواثق ، قَتَلَ أحمد بن نَصْر وكان لسانُهُ يقرأ القرآن إلى أن دُفِنَ . فوجد المتوكل من ذلك وساءَه ما سمع في أخيه الواثق ، فلمَّا دخل عليه الوزير محمد بن عبد الملك بن الزَّيات ، قال له : في قلبي شيء من قَتْل أحمد بن

---

(١) تهذيب الكمال (١/ ٥٠٩) .
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣٦٤) ، تهذيب الكمال (١/ ٥١٢) .
(٣) تاريخ بغداد (٥/ ١٧٩) ، تهذيب الكمال (١/ ٥١٢) .
(٤) في ب ، ظا : الثاني والعشرين .
(٥) تاريخ بغداد (٥/ ١٨٠) ، وتهذيب الكمال (١/ ٥١٣) .
(٦) فقيه مناظر ، من تلاميذ الإمام الشافعي . قدم بغداد أيام المأمون ، فجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن ، له تصانيف عديدة ، قيل : منها « الحَيْدة » ، رسالة في مناظرة لبشر المريسي ، ونفى صاحب ميزان الاعتدال (٢/ ١٤١) نسبته إليه . الأعلام (٤/ ٢٩) .
(٧) بعده في ط : فإنهم أساؤوا إلى أهل السنة ، وقربوا أهل البدع والضلال من المعتزلة وغيرهم ، فأمره أن ينزل جثة محمد بن نصر ويدفنه ففعل ، وقد كان المتوكل يكرم . .

نَصْر ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أحْرَقني الله بالنار ، إنْ قَتَلَه أميرُ المؤمنين الواثق إلا كافراً ! ودخل عليه هَرْثَمَة ، فقال له في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قطعني الله إرْباً إرْباً ، إنْ قَتَلَهُ الواثق إلا كافراً ! ودخل عليه القاضي أحمد بن أبي دواد ، فقال له مثل ذلك ، فقال : ضربني الله بالفالج ، إنْ قَتَله الواثق إلا كافراً !

قال المتوكِّلُ : فأمَّا ابنُ الزَّيَّات فأنا أحرقْتُه بالنَّار . وأمَّا هَرْثَمة فإنَّه هرب وتَبَدَّى ، فاجتاز بقبيلة خُزَاعَةَ ، فعرفَه رجلٌ من الحيِّ ، فقال : يا معشَرَ خُزَاعَةَ ، هذا الذي قتل ابنَ عمِّكم أحمد بن نَصْر ، فقَطَّعُوه إرْباً إرْباً . وأمَّا ابنُ أبي دواد ، فقد سَجَنه اللهُ في جِلْدِه ، يعني بالفالج ، ضَرَبهُ اللهُ به قبل مَوْتِه بأربع سنين ، وصُودر من صلب ماله بمال جزيل جداً كما سيأتي بيان ذلك في موضعه[١] .

وروى أبو داود في كتاب « المسائل » عن أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقيِّ ، عن أحمد بن نَصْر ، قال : سألتُ سفيانَ بن عُيَيْنَةَ : « القلوبُ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ »[٢] ، و« إنَّ الله يضحَكُ مِمَّن يذكرُه في الأسواق »[٣] . فقال : اروُوها كما جاءت بلا كيف[٤] .

وفي هذه كان الواثق قد عزم على الحج ، واستعدَّ لذلك ، فذُكر له أنَّ الماء بالطريق قليلٌ ، فترك الحجَّ عامئذ .

وفيها : تولَّى[٥] جعفر بن دينار[٦] نيابة اليمن فسار إليها في أربعة آلاف فارس .

وفيها : عدا قوم من العامّة على بيت المال ، فأخذوا منه شيئاً من الذهب والفضة ، فأُخِذُوا وسُجنوا .

وفيها : ظهر خارجيٌّ ببلاد ربيعة ، فقاتلَهُ نائبُ المَوْصِل فكسره ، وانْهَزَم بقيَّةُ أصحابه .

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ١٧٧) ، تهذيب الكمال (١/ ٥١٠) .

(٢) رواه بنحوه أحمد في المسند (٢/ ١٦٨) ، ومسلم رقم (٢٦٥٤) في القدر من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ : « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » ، وبنحوه عن الترمذي رقم (٢١٤٠) من حديث أنس ، وعند ابن ماجه رقم (١٩٩) من حديث النواس بن سمعان ، وعن أم سلمة عند الترمذي رقم (٣٥٢٢) وأحمد (٦/ ٣٠٢ و٣١٥) وعن عائشة عند أحمد (٦/ ٢٥٠ و٢٥١) .

(٣) ذكره بهذا اللفظ أبو عمر بن عبد البر ، في « التمهيد » (٧/ ١٤٩) ولم أجده عند غيره ، وقد ورد إسناد الضحك إلى الله تعالى في غير ما حديث صحيح ، منها ما رواه البخاري (٦/ ٢٩ و٣٠) في الجهاد ، ومسلم رقم (١٨٩٠) في الإمارة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ، يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد » ولكن نكل علمه إلى الله تعالى (ع) .

(٤) تهذيب الكمال (١/ ٥١٤) .

(٥) في آ ، ب : توفي ، وأثبت ما جاء في ظا والطبري وابن الأثير .

(٦) في آ : نائب ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا .

وفيها : قدم وصيف الخادم بجماعةٍ من الأكراد نحو من خمسمئة في القيود ، كانوا قد أفسدوا في الطرقات وقطعوها ، فأطلق الخليفةُ لوصيف خمسةً وسبعينَ ألفَ دينار ، وخلع عليه .

وفي هذه السنة قدم خاقان الخادمُ من بلاد الروم ، وقد تمَّ الصلح والمفاداة بينه وبين الروم ، وقدم معه جماعة من رؤوس أهل الثغور ، فأمر الواثق بامتحانهم في القول بخَلْق القرآن ، وأنَّ الله لا يُرى في الآخرة ، فأجابوا ، إلَّا أربعةً ، فأمر الواثق بضرب أعناقهم إن لم يجيبوا بمثل ما أجاب به بقيتهم . وأمر الواثق أيضاً بامتحان الأسارى المسلمين الذين فودي عنهم بذلك ، فمن أجاب إلى القول بخَلْقِ القرآن وأنَّ الله لا يُرى في الآخرة فُودِيَ ، وإلا تُرِكَ في أيدي الكُفَّار . وهذه بِدْعَة صَلْعاء[1] ، شَنعاء ، عَمياء ، صمَّاء ، لا مستند لها من كتاب ولا سنَّة ، ولا عقلٍ صحيح ، [ولا نقلٍ صريح][2] ، بل الكتابُ والسُّنَّةُ والعقلُ الصَّحيحُ بخلافها ، كما هو مقرَّرٌ في موضعه ، وبالله المستعان .

وكان وقوع المفاداة عند نهر يقال له : اللامِس ، عند سَلُوقيَة بالقرب من طَرَسُوسَ ، بدل كل مسلمٍ أو مسلمة في أيدي الروم ، أو ذميّ أو ذميّة كان تحت عقد المسلمين أسير من الروم كان بأيدي المسلمين ممن لم يسلم ، فنصبوا جسرين على النهر ، فإذا أرسَلَ الروم رجلاً أو امرأةً في جسرهم فانتهى إلى المسلمين كبَّر وكبَّر المسلمون ، ويرسل المسلمون أسيراً من الروم على جسرهم ، فإذا انتهى إليهم تكلَّم بكلام يشبه التكبير أيضاً . ولم يزالوا كذلك مدَّة أربعة أيامٍ بدل كلّ نفس نفس ، ثم بقي مع خاقان جماعة من الأسارى فأطلقهم للروم حتَّى يكونَ له الفضلُ عليهم .

قال ابنُ جرير[3] : وفي هذه السنة مات الحسن بن الحسين أخو طاهر بن الحسين بطَبرِستان في شهر رمضان .

وفيها : مات الخطاب بن وجه الفُلْس .

وفيها : مات أبو عبد الله ابن الأعرابيّ[4] الراويةُ ، يوم الأربعاء لثلاثَ عشرة خلَتْ من شعبان ، وهو ابن ثمانين سنة .

وفيها : ماتت[5] أم أبيها بنت موسى أخت علي بن موسى الرّضا .

---

(١) « الصَّلعاء » : الداهية والأمر الشديد .

(٢) زيادة من ب ، ظا .

(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١٤٥) .

(٤) هو محمد بن زياد بن الأعرابي ، أبو عبد الله ، إمام اللغة ، وإليه كان المنتهى في معرفة لسان العرب وله عددٌ من المصنفات . معجم الأدباء (١٨/ ١٨٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٧) .

(٥) في آ : مات أم أمها ، وفي ب ، ظا : مات أم ابنها ، وأثبت ما جاء في ط والطبري وابن الأثير .

وفيها : مات مُخَارق المغنّي[(١)] .

وأبو نصر أحمد بن حاتم ، راوية الأصمعي[(٢)] .

وعمرو بن أبي عمرو الشيباني[(٣)] .

ومحمد بن سَعْدان النَّحوي[(٤)] .

قلت : وممن توفي فيها من الأعيان أيضاً :

أحمد بن نَصْر الخُزَاعيّ ، كما تقدَّم .

وإبراهيم بن محمّد بن عَرْعَرَة[(٥)] .

وأُميَّة بن بِسْطَام[(٦)] .

وأبو تمام الطائي الشاعر ، في قولٍ ، والمشهور ما تقدَّم[(٧)] .

وكاملُ بنُ طلحة[(٨)] .

ومحمّد بن سَلام الجُمحي[(٩)] . وأخوه عبد الرحمن[(١٠)] .

---

(١) مخارق ، أبو المهنّأ ، ابن يحيى الجزار ، إمام عصره في فن الغناء ، ومن أطيب الناس صوتاً . كان الرشيد يعجب به حتى أقعده مرة على السرير معه ، وأعطاه ثلاثين ألف درهم . وكان لحاناً ، لا يقيم الإعراب . الأعلام (٧/ ١٩١) .

(٢) أديب ، من أهل البصرة . روى عن الأصمعي كتبه كلها ، له عدة كتب ، منها : « شرح ديوان ذي الرُّمة » مطبوع في ثلاثة أجزاء ، برواية أبي العباس ثعلب . تاريخ بغداد (٤/ ١١٤) ، الأعلام (١/ ١٠٩) .

(٣) روى عن أبيه أبي عمرو الشيباني .

(٤) محمد بن سَعْدان الكوفي ، أبو جعفر . نحوي مقرىء ضرير ، له كتب في النحو والقراءات . نَكْتُ الهميان (٢٥٢) ، وتاريخ بغداد (٥/ ٣٢٤) ، والأعلام (٦/ ١٣٧) .

(٥) أبو إسحاق القرشي الشامي البصري ، الحافظ الكبير المجوِّد ، نزل بغداد ، ونشر بها العلم ، وهو من أولاد المحدّثين ؛ كان والده من شيوخ البخاري القدماء . صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧٩) ، والعبر (١/ ٤٠٨) .

(٦) أميَّة بن بِسْطام بن المنتشر ، أبو بكر العيشيّ البصري ، الحافظ الثقة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٩) ، العبر (١/ ٤٠٩) .

(٧) تقدمت ترجمته ووفاته في حوادث سنة ٢٢٨هـ .

(٨) أبو يحيى الجَحْدري ، شيخ البصرة في وقته ، نزيل بغداد . إمام صدوق ، ذكره ابن حبان في الثقات . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٠٧)

(٩) أبو عبد الله ، إمام في الأدب ، من أهل البصرة ، مات ببغداد . كان عالماً أخبارياً ، أديباً بارعاً ، له كتب ، منها : طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥١) ، الأعلام (٦/ ١٤٦) .

(١٠) أبو حرب ، أخو محمد بن سلام الجمحي . إمام ثقة صدوق ، مات بالبصرة ، وهو من أبناء التسعين كأخيه . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٠) .

ومحمَّد بن مِنهال الضَّرير[١] .

ومحمد بن مِنهال ، أخو حجَّاج[٢] .

وهارون بن معروف[٣] .

والبُوَيْطي[٤] ، صاحب الشافعي ، مات في السجن مقيّداً حتى يقولَ بخلْق القرآن ، فامتنع من ذلك ، رحمه الله .

ويحيى بن بُكَير[٥] ، راوي « الموطّأ » عن مالك .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومئتين

فيها : عاثت قبيلة يقال لهم : بنو نُمَيْر باليمامة في الأرض فساداً ، فكتب الواثق إلى بُغا الكبير وهو مقيمٌ بأرض الحجاز ، فحاربَهم فقتَل منهم جماعةً ، وأسرَ منهم آخرين ، وهزم بقيتهم ، ثم التقى مع بني تميم وهو في ألف[٦] فارس وهم في ثلاثة آلاف ، فكانت بينهم حروب طويلة ، ثم كان الظفَر له عليهم آخراً ، وذلك في النصف من جمادى الآخرة .

ثم عاد بعد ذلك كله إلى بغداد ومعه من أعيان رؤوس العرب في الأسر والقيود ، وقد قتل من أشرافهم في الوقائع المتقدم ذكرها ما ينيف على[٧] ألفي رجل من بني سليم ، ونُمَير ، وكِلاب ، ومُرَّة ، وفَزارة ، وثَعلبة ، وطيّىء ، وتميم وغيرهم .

---

(١) أبو جعفر ، وقيل : أبو عبد الله التَّميميّ البصري ، صاحب يزيد بن زُريع وراويته . حافظ ، مجوِّد ثقة ، لم يرحل ، ولا كتب ، بل كان يحفظ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٤٢) .

(٢) محمد بن المِنهال البَصريّ العطّار ، أخو الحافظ الثقة حجَّاج بن منهال الأنماطي ، وهو كسَمِيِّه محمد بن المنهال ثقة ، والضرير أحفظ وأكيس ، ومات مثله في السنة نفسها . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٤٥) .

(٣) أبو علي المَرْوَزيّ البغدادي الخزّاز الضرير ، الإمام القدوة ، من حفاظ الوقت ، صاحب سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٩) ، العبر (١/ ٤١٠) .

(٤) هو يوسف بن يحيى البُوَيْطيّ ، أبو يعقوب ، صاحب الإمام الشافعي ، لزمه مدة ، وتخرَّج به ، كان عابداً مجتهداً ، دائم الذكر ، كبير القدر ، إماماً في العلم والفقه . ثقة صاحب سنة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٨) ، العبر (١/ ٤١١) .

(٥) هو يحيى بن عبد الله بن بُكير ، أبو زكريا القرشي المخزومي ، المِصري ، الإمام المحدِّث الحافظ . ثقة في الليث ، وتكلموا في سماعه من مالك . سمع الموطّأ من الإمام مالك سبع عشرة مرة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١٢) ، تقريب التهذيب (٢/ ٣٥١) .

(٦) في آ ، ط : ألفي فارس ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا والطبري وابن الأثير .

(٧) في النسخ : عن ، وأثبت ما جاء في ط .

وفي هذه السنة أصاب الحجيج في الرجوع عطشٌ شديد حتى بيعت الشَّرْبةُ بالدَّنانير الكثيرة ، ومات خَلْق كثير من العطش ، رحمهم الله .

وفيها : أمر الواثق بترْك جباية أعشار سفن البحر .

وفاة الخليفة أبي جعفر هارون الواثق بن محمد المعتصم

ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله ذي البينات بن محمد الإمام بن علي السجَّاد بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي . كان هلاكه في ذي الحجة من هذه السنة بعلة الاستسقاء ، فلم يقدر على حضور العيد عامئذ ، فاستناب في الصلاة بالناس قاضيه أحمد بن أبي دواد الإياديّ المعتزليّ . وكانت وفاته لست بقين من الشهر ، وذلك أنه قوي به الاستسقاء ، فأُقعِدَ في تنّور قد أُحمي له بحيث يمكن إجلاسه فيه ليسكنَ وجعُه ، فلان عليه أمره بعض الشيء ، فلمَّا كان من الغد أمر بأن يُحمى أكثر من العادة ، فأُجلس فيه ، ثم أُخرج فوضع في مِحَفَّةٍ ، فحُمِلَ فيها وحولَه أمراؤه ووزراؤه وقاضيه ، [فمات وهو محمول ، فما شعروا حتى سقط جبينُه على المِحَفَّة][١] وهو ميت ، فغمَّضَ القاضي عينيه بعد ذلك ، وهو الذي ولي غسلَه والصَّلاةَ عليه ودفنه في القصر الهاروني .

وكان أبيضَ اللون ، مشرباً حُمرةً ، جَميلاً رَبْعَةً ، حسنَ الجسم ، قائمَ العين اليسرى ، فيها نُكتة بياض .

وكان مولده سنة ست وتسعين ومئة بطريق مكة ، فمات وهو ابن ستٍّ وثلاثين سنة ، وكانت مدة خلافته خمسَ سنين ، وتسعة أشهر ، وخمسة أيام ، وقيل : وسبعة أيام واثنتي عشرة ساعة[٢] .

وقد كان جمع أصحابَ النُّجوم [في زمانه][٣] حين اشتدَّتْ علَّته[٤] ، لينظروا في مولده ، وما تقتضيه صناعةُ النجوم كم تدوم أيامُ دولته ، فاجتمَعَ عنده من رؤوسهم جماعة ؛ منهم : الحسن بن سهل ، والفضلُ بن إسحاق الهاشميّ ، وإسماعيل بن نُوبَخت ، ومحمد بن موسى الخُوارزميّ والمجوسيّ القُطْرُبُّليّ ، وسند صاحب محمد بن الهيثم ، وعامَّة مَنْ ينظر في النجوم . فنظروا في مولده وما يقتضيه الحال عندهم[٥] ، ثم أجمَعُوا على أنه يعيش دهراً طويلاً ، وقدَّروا له خمسين سنة مستقبلة ، فلم

---

(١) تكملة من نسخة ب .
(٢) بعدها في ط : فهكذا أيام أهل الظلم والفساد والبدع قليلة قصيرة .
(٣) زيادة في ب ، ظا ، ط .
(٤) بعدها في ط : وإنما اشتدت بعد قتله أحمد بن نصر الخزاعي ، ليلحقه إلى بين يدي الله . فلمَّا جمعهم أمرهم أن ينظروا . .
(٥) في آ : عنده .

يلبث بعد قولهم إلا عشرة أيام حتى مات . ذكره الإمام أبو جعفر بن جرير الطبريّ[١] ، رحمه الله .

قال ابن جرير[٢] : وذكر الحسين بن الضحّاك أنّه شهد الواثقَ بعد أن مات المعتصم بأيام ، وقد قعد مجلساً كان أوّل مجلس قعده . وكان أوّل من تغنّى في ذلك المجلس أن تغنّت[٣] شارية جارية إبراهيم بن المهديّ :

ما دَرَى الحامِلونَ يومَ استقلُّوا نَعْشَــهُ للثَّــواءِ أمْ للِّقــاءِ[٤]
فلْيقُـلْ فيـكَ بـاكِيـاتُـكَ مـا شِئْـ ـنَ صَبـاحـاً وعنـدَ كُـلِّ مَسَـاءِ

قال : فبكى وبكينا حتّى شَغَلَنا البكاء عن جميع ما كنّا فيه . ثم اندفع بعضهم يغنّي[٥] :

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطيقُ وَداعا أيُّها الرَّجُلُ !

فازداد والله بكاؤه ، وقال : ما سمعْتُ كاليوم قطّ تعزيةً بأبٍ ونعيّ نفس ، ثم ارفضَّ ذلك المجلس .

وروى الخطيب[٦] البغدادي : أنَّ دِعْبِلَ بنَ عليّ الشاعر لمَّا تولّى الواثقُ عَمَدَ إلى طُومَارٍ[٧] فكتب فيه أبياتَ شعرٍ ، ثم جاءإلى الحاجب فدفعه إليه ، وقال : أقرىء أميرَ المؤمنين السلام ، وقل : هذه أبيات امتدَحَكَ بها دِعْبِل ، فلمَّا فضّها الواثق إذا فيها[٨] :

الحَمْــدُ للهِ لا صَبْــرٌ ولا جَلَــدٌ ولا رُقَادٌ إذا أهلُ الهَوَى رَقَدُوا[٩]
خليفةٌ ماتَ لم يَحْزَنْ لَهُ أَحَدٌ وآخـرٌ قـامَ لـم يَفْـرَحْ بـهِ أَحَـدُ
فَمَـرَّ هـذا ومَـرَّ الشُّـؤْمُ يَتبعُـهُ وقـامَ هـذا فقـامَ الـويـلُ والنَّكَـدُ

قال : فتطلَّبه الخليفة بكلِّ ما يمكنه ، فلم يقدر عليه حتى مات الواثق .

وروى[١٠] أيضاً : أنَّه لمَّا استخلَفَ الواثق ابنَ أبي دوادَ على الصَّلاة في يوم العيد فرجع إليه ، فقال :

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٥٠-١٥١) .
(٢) تاريخ الطبري (٩/ ١٥١) ، ابن الأثير (٧/ ٣١) .
(٣) في النسخ غير واضحة ، وأثبت ما جاء في الطبري .
(٤) في الطبري : للغناء .
(٥) للأعشى : ديوانه (١٤٤) ط . صادر .
(٦) تاريخ بغداد (١٤/ ١٦) .
(٧) « الطُّومار » : الطامور ، وهي الصحيفة ، وجمعها طوامير .
(٨) ديوانه ص(١١٥) ، وتاريخ بغداد (١٤/ ١٧) .
(٩) الديوان ولا عَزاء إذا أهل البَلا رقدوا .
(١٠) تاريخ بغداد (١٤/ ١٨) .

كيف كان عيدكُم يا أبا عبد الله ؟ فقال : كنَّا في نهارٍ لا شمسَ فيه . فضحك ، وقال : يا أبا عبد الله ، أنا مؤيِّد بك .

قال الخطيب[١] : وكان ابن أبي دواد قد استَولى على الواثق ، وحمَلَه على التشديد في المِحنة ، ودعا الناسَ إلى القَوْل بخَلْقِ القرآن . قال : ويقال : إنَّ الواثق رجع عن ذلك قبل موته فأخبرني عبيد الله بن أبي الفتح ، أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن ، حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة ، حدّثني حامد بن العباس ، عن رجل ، عن المهدي ، أنَّ الواثق مات وقد تاب عن القول بخَلْق القرآن .

وروى[٢] أن الواثق دخل عليه يوماً مؤدِّبُه فأكرمه إكراماً كثيراً ، فقيل له في ذلك ، فقال : هذا أوَّلُ من فتق لساني بذكر الله ، وأدناني من رحمة الله .

وكتب إليه بعض الشعراء[٣] :

جَذَبْتُ دَوَاعي النَّفْسِ عن طَلَبِ الغِنَى ... وقلْتُ لها عفّي عنِ الطَّلبِ النَّزْرِ

فإنَّ أميرَ المؤمنينَ بكفِّهِ ... مَدَارُ رَحَى الأرْزَاقِ دائبة تجري

فوقَّع له في رُقْعَته : جَذَبَتْكَ نفسُك عن امْتِهانها ، ودَعَتْكَ إلى صَوْنِها ، فخُذْ ما طلبته هيِّناً ، وأجْزَلَ له العطاء .

ومن شعره قوله[٤] :

هِيَ المقاديرُ تَجْرِي في أعِنَّتِها ... فاصْبِرْ فليسَ لها صَبْرٌ عَلَى حَالِ

ومن شعر الواثق [قوله][٥] :

تنحَّ عنِ القَبيحِ ولا تُرِدهُ ... ومَنْ أوْلَيْتَهُ حُسناً فَزِدْهُ

ستُكْفَى من عدوِّك كلَّ كيدٍ ... إذا كادَ العَدُوُّ ولَمْ تَكِدْهُ

وقال القاضي يحيى بنُ أكثم[٦] : ما أحسَنَ أحدٌ من خلفاء بني العباس إلى آل أبي طالب ما أحسَنَ إليهم الواثق : ما مات وفيهم فقيرٌ .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ١٧) ، ومؤدبه هو هارون بن زياد ، كما في تاريخ بغداد ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٣٤٩) .
(٣) هو محمد بن حماد ، والبيتان في تاريخ بغداد (١٤/ ١٧) .
(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ١٨) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) تاريخ بغداد (١٤/ ١٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٧) .

ولما احتُضِرَ الواثق جعلَ يردِّد هذين البيتين[1] :

المَوْتُ فيهِ جَميعُ الخَلْقِ مشترِكٌ لا سُوقَةٌ مِنْهُمْ يَبْقَى ولا مَلِكُ
ما ضَرَّ أهلَ قليلٍ في تفاقُرِهِمْ وليسَ يُغني عن الأمْلاكِ ما مَلَكُوا

ثم أمر بالبُسُطِ فطُويت ، ثم ألْصَقَ خدَّهُ بالأرض ، وجعل يقول : يا مَن لا يَزُول ملكُه ، ارْحَمْ مَن قد زالَ مُلْكُهُ .

وقال بعضهم : لما احتُضِرَ الواثق ونحن حولَه ، غشي عليه ، فقال بعضُنا لبعض : انظروا هل قضى نحبه؟ قال : فدنَوْتُ من بينهم إليه لأنظرَ هَلْ هدأ نَفَسُه ، فأفاق فَلَحَظَ إليَّ بعينه ، فرجعْتُ القَهْقَرى خوفاً منه ، فتعلَّقَتْ قائمة سيفي بشيء ، فكدت أن أهلك ، فما كان عن قريب حتى مات ، وأُغلِقَ عليه الباب الذي هو فيه ، وبقي فيه وحدَه ، واشتغَلُوا عن تجهيزه بالبيعة لأخيه جعفر المتوكل ، وجلسْتُ أنا أحرُسُ البابَ ، فسمعْتُ حركةً من داخل البيت ، فدخلْتُ ، فإذا جُرَذٌ قد أكل عينَه التي لَحَظَ إليَّ بها ، وما كان بين الحالين إلا اليسير[2] .

وكانت وفاته بسرَّ مَن رأى التي كان يسكنها في القصر الهاروني ، في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة من هذه السنة ـ أعني سنة ثنتين وثلاثين ومئتين ـ عن ست وثلاثين سنة ، وقيل : عن ثنتين وثلاثين سنة . وكانت مدة خلافته خمسَ سنين ، وتسعةَ أشهرٍ ، وخمسة أيام . وقيل : خمس سنين ، وشهران ، وأحد وعشرون يوماً ، وصلَّى عليه أخوه جعفر المتوكِّل .

خلافة المتوكِّل على الله جعفر بن المعتصم بالله

بُويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق هارون ، وكانت بيعته وقت زوال الشمس من يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة ، وكانت الأتراك قد عزموا على تولية محمد بن الواثق فاستصغروه فتركوه وعدلوا إلى جعفر هذا ، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة ، وكان الذي ألبسه خلعة الخلافة أحمد بن أبي دواد القاضي ، وهو أوّلُ من سلَّم عليه بالخلافة ، وبايعه الخاصّة ثمّ العامّة . وكانوا قد اتفقوا على تسميته بالمنتصر إلى صبيحة يوم الجمعة ، فقال أحمد بن أبي دواد : رأيت أن يلقَّبَ أمير المؤمنين بالمتوكِّل على الله ، فاتفقوا على ذلك ، وكتب به إلى الآفاق ، وأمر بإعطاء الشاكريّة من الجند ثمانية شهور ، وللمغاربة أربعة شهور ، ولغيرهم ثلاثة شهور ، واستبشر الناس به .

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ١٩) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٣) .
(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ١٩) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٠) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٣) .

وقد كان المتوكل رأى في منامه في حياة أخيه الواثق كأنَّ شيئاً نزل[١] عليه من السماء مكتوب فيه « جعفر المتوكِّل على الله » ، فعبَّرها ، فقيل له : هي الخلافة ، فبلَّغ ذلك أخاه الواثق فسجنه حيناً ثم أرسله[٢] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود ، أمير مكّة ، شرَّفها الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحَكَمُ بن موسى[٣] .

وعمرو بن محمد النَّاقد[٤] .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومئتين

في يوم الأربعاء سابع صفر منها أمر الخليفة المتوكِّلُ على الله بالقبض على محمد بن عبد الملك بن الزيات ، وزير الواثق ، وكان المتوكِّلُ يبغضه لأمورٍ ، منها أنَّ أخاه الواثق تغَضَّبَ عليه في بعض الأوقات ، وكان ابنُ الزَّيَّات يزيد الواثق غضَباً على أخيه ، فبقي ذلك في نفسه منه ، ثم كان الذي استرضى الواثقَ عليه أحمد بن أبي دواد ، فحظي بذلك عنده في أيام مُلْكه ؛ ومن ذلك أنَّ ابن الزيات كان قد أشار بخلافة محمد بن الواثق بعد أبيه ، ولَفَّ عليه الناس ، وجعفر المتوكِّل في جنب دار الخلافة ، فلم يتمّ الأمر إلا لجعفر المتوكل ، على رغم أنف ابن الزيات . فلهذا أمر بالقبض عليه سريعاً ، فطلبه[٥] فركب بعد غدائه يظنُّ أن الخليفة بعث إليه ، فأتت به الرسل إلى دار إيتاخ أمير الشرطة ، فاحتيط عليه ، وقُيِّد ، وبعثوا في الحال إلى داره فأُخِذَ جميعُ ما كان فيها من الأموال والجواري والجواهر والحواصل والأثاث ، ووجدوا في مجلسه الخاص به آلات الشراب .

وبعث الخليفة إلى حواصله وضياعه بسائر الأماكن فاحتيط عليها ، وأمر به أن يعذَّبَ ؛ فمنع من

(١) في ب ، ظا : دلّي عليه .
(٢) في ب ، ظا : أطلقه .
(٣) أبو صالح البغدادي القَنْطَريّ الزاهد ، أحد العبّاد ، الإمام المحدّث القدوة الحجّة ، وثقه ابن معين . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥) .
(٤) عمرو بن محمد بن بُكَير بن سابور البغدادي الناقد ، أبو عثمان ، نزيل الرقة . ثقة ، صاحب حديث ، من الحفاظ المعدودين . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٤٧) .
(٥) في آ: فطلب .

الكلام[١] ، وجعلوا يساهرونه كلما أراد الرُّقاد نُخِسَ بالحديد ، ثم وُضِعَ بعد ذلك كلّه في تنّور من خشب فيه مساميرُ قائمة في أسفله ، فأقيمَ عليها ، ووكِّلَ به من يمنعه من الرُّقاد ، فمكث كذلك أياماً حتى مات وهو كذلك .

ويقال : إنه أخرج من التنوّر وفيه رَمَقٌ ، فضُرِبَ على بطنه ، ثم على ظهره حتى مات وهو تحت الضرْبِ .

ويقال : إنه أُحرِق ، ثم دُفعت جثته إلى أولاده فدفنوه ، فنبشت عليه الكلاب ، فأكلت لحمه وجلده ، سامحه الله .

وكانت وفاته لإحدى عشرة من ربيع الأول منها .

وكان قيمة ما وُجد له من الحواصل نحواً من تسعين ألف ألف دينار ، وقد قدَّمنا أنَّ المتوكِّلَ سأله عن قتل أخيه الواثق أحمد بن نَصْر ، فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، أحرقني الله بالنار إن كان الواثق قتله يوم قتلَه إلا وهو كافر .

وفي جمادى الأولى منها فُلِجَ أحمدُ بن أبي دواد القاضي المعتزلي ، فلم يزل كذلك حتى مات بعد أربع سنين وهو كذلك ، كما دعا على نفسه كما تقدَّم .

ثم غضبَ المتوكِّلُ على جماعة من الكتّاب والعمّال ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة جداً .

وفيها : ولَّى [المتوكِّلُ][٢] ابنه محمداً المنتصر الحجاز واليمن ، وعقَدَ له على ذلك كلِّه في رمضان منها .

وفيها : عَمَدَ ملكُ الروم ميخائيل بن توفيل إلى أمِّه تدُورَةَ فأقامها في الشمس[٣] ، وألزمها الدّير ، وقتل الرجل الذي اتَّهمها به ، وكان ملْكُها ستَّ سنين .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن داود أمير مكّة ، حرسها الله تعالى وشرَّفها .

وفيها توفي :

إبراهيم بن الحجّاج السَّامي[٤] .

---

(١) في ب ، ظا : الطعام .
(٢) زيادة في ط .
(٣) الطبري : فشمَّسها .
(٤) في النسخ والمطبوع : الشامي ، وأثبت ما جاء في تهذيب الكمال (٢/ ٦٩) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩) . والسَّامي ، بالسين المهملة : نسبة إلى سامَة بن لؤي . وهو إبراهيم بن الحجّاج بن زيد السَّامي الناجي ، أبو إسحاق البَصريّ ، المحدِّث ، ذكره ابن حبان في الثقات .

وحِبَّان بن موسى العربي[١] .

وسُليمان بن عبد الرحمن الدمشقي[٢] .

وسهل بن عثمان العسكري[٣] .

ومحمد بن سَماعة القاضي[٤] .

ومحمّد بن عائذ الدِّمشقيُّ ، صاحبُ المغازي[٥] .

ويحيى المَقابري[٦] .

ويحيى بن مَعين[٧] ، أحد أئمة الجرح والتعديل ، وأستاذ أهل صناعة الحديث في زمانه .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومئتين

فيها : خرج محمّد بن البعِيث بن الجليس[٨] عن الطاعة في بلاده ، في أذْربيجان ، وأظهر أنَّ المتوكِّلَ قد مات ، والتفَّ عليه جماعة من أهل تلك الرَّسَاتيق[٩] ، ولجأ إلى مدينة مَرَنْدْ[١٠] فحصَّنها ،

---

(١) كذا في آ ، ط : العربي . وفي ب ، ظا : المغربي . وهو حِبَّان بن موسى بن سَوَّار السُّلَميّ ، أبو محمد المَروزي الكُشْمِيهَنِيّ . محدّث مشهور ، ذكره ابن حبّان في الثقات . تهذيب الكمال (٥/ ٣٤٤) .

(٢) سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى بن ميمون ، أبو أيوب التميمي الدمشقي ، ابن بنت شُرَحْبيل ، جدّه شُرَحبيل بن مسلم الخولاني . محدّث دمشق ، حافظ ثقة . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٦) .

(٣) أبو مسعود ، الحافظ المجوِّد الثبت ، أحد الأئمة . توفي في هذه السنة ، أو في حدودها . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥٤) ، والعبر (١/ ٤١٤) .

(٤) أبو عبد الله ، قاضي بغداد ، صنف التصانيف ، ولي القضاء للرشيد ، تفقّه على أبي يوسف ، ومحمد ، وقد جاوز المئة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٤٦) .

(٥) أبو عبد الله الدمشقي الكاتب ، صاحب المغازي والفتوح ، والصوائف ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة ، تولى ديوان الخراج بالشام زمن المأمون ، مؤرخ صادق . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٠٤) ، العبر (١/ ٤١٤) .

(٦) هو يحيى بن أيوب المقابري ، أبو زكريا البغدادي العابد ، أحد أئمة الحديث والسُّنّة ، ثقة ، مات وله ست وسبعون سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٨٦) ، العبر (١/ ٤١٥) .

(٧) أبو زكريا البغدادي ، أحد الأعلام ، وحجة الإسلام ، شيخ المحدثين . نعته الذهبي بسيد الحفاظ ، له كتاب التاريخ والعلل في الرجال . توفي بالمدينة حاجاً . سير أعلام النبلاء (١١/ ٧١) ، الأعلام (٨/ ١٧٢) .

(٨) في ط والطبري : حَلْبَس . وماهنا كما في الكامل لابن الأثير (٧/ ٤١) .

(٩) « الرُّسْتاق » : قرىً ، أو بيوت مجتمعة ، وجمعها رساتيق ، معرّب . وفي المصباح المنير : الرُّستاق : معرّب ، ويستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم .

(١٠) « مَرَنْد » : من مشاهير مدن أذربيجان ، بينها وبين تبريز يومان . ياقوت .

وجاءته البعوثُ من كلِّ جانب ، وأرسل إليه المتوكِّلُ جيوشاً يتبَعُ بعضُها بعضاً ، فنصَبُوا على بلده المجانيق من كلِّ جانب ، وحاصروه محاصرةً عظيمة جدّاً ، وقاتلهم مقاتلة هائلة ، وصبَرَ هو وأصحابُه صَبراً بليغاً .

وقدِمَ بُغا الشرابيّ لمحاصرته ، فلم يزل به حتى أسره[1] واستباح أموالَه وحرمَه ، وقتل خلْقاً من رؤوس أصحابه ، وأسر سائرهم ، وانحسمت مادة ابن البعيث ، ولله الحمد .

وفي هذه السنة في جمادى الأولى منها خرج المتوكِّل على الله إلى المدائن .

وفيها : حجَّ إيتاخ أحدُ الأمراء الكبار ، وهو والي مكة والمدينة والموسم ، ودُعي له على المنابر .

وقد كان إيتاخ هذا غلاماً خَزَرياً طبَّاخاً ، وكان لرجلٍ يقال له : سلام الأبرش ، فاشتراه منه المعتصم في سنة تسعٍ وتسعين ومئة ، فرفع منزلته وحظي عنده ، وكذلك الواثقُ من بعد أبيه ، ضمَّ إليه أعمالاً كثيرة ، وكذلك عامله المتوكِّل على الله أيضاً ، وذلك لرُجْلة[2] إيتاخ وشهامته ونهضته . ولمَّا كان في هذه السنة شرب ليلةً مع المتوكِّل ، فعربَدَ عليه المتوكِّلُ ، فهمَّ إيتاخ بقتله ، فلمَّا كان الصباح اعتذر المتوكِّلُ إليه ، وقال : أنتَ أبي ، وأنت ربَّيتني ، ثم دسَّ إليه من يُشير عليه بأنْ يستأذن للحجِّ ، فاستأذن ، فأذن له ، وأمَّره على كل بلْدة يحلُّ بها ، وخرج القوَّادُ في خدمته إلى طريق الحجِّ حين خرج ، وولَّى المتوكِّلُ الحِجابة لوصيف الخادم عوضاً عن إيتاخ .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن داود أميرُ مكة ، وهوَ أمير الحجيج من سنين متقدمة .

وفيها توفي من الأعيان :

أبو خَيْثَمة ، زُهَيْر بن حَرْب[3] .

وسليمان بن داود الشَّاذَكوني ، أحدُ الحفاظ[4] .

وعبد الله بن محمد النُّفَيْلي[5] .

---

(١) في آ: حصره ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا .

(٢) « الرجلة »: الرجولية .

(٣) زهير بن حرب بن شداد الحَرَشي البغدادي ، الحافظ ، الحجة ، أحد أعلام الحديث ، ثقة ، ثبت ، متقن . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٩) .

(٤) سليمان بن داود بن بشر المنقري البصري الشاذَكوني ، أبو أيوب ، كان آية في كثرة الحفظ ، ولكنه متروك الحديث . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٩) ، العبر (١/ ٤١٦) .

(٥) عبد الله بن محمد بن علي بن نُفَيْل ، أبو جعفر القُضاعي ثم النُّفَيْلي الحرَّاني ، أحد الأعلام . قال أبو داود: لم أر أحفظ منه ، ثقة ، مأمون ، من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٣٤) .

وأبو الرَّبيع الزَّهْرَانيُّ[١] .

وعليُّ بن عبد الله بن جعفر المَدِينيُّ[٢] ، شيخ البخاري في صناعة الحديث .

ومحمد بن عبد الله بن نُمَيْر[٣] .

ومحمد بن أبي بكر المُقَدَّمي[٤] .

والمُعَافَى الرَّسْعَنِي[٥] .

ويحيى بن يحيى الليثي ، راوي « الموطَّأ » للمغاربة عن الإمام مالك بن أنس[٦] .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومئتين

في جمادى الآخرة منها كان هلاك إيتاخ في السجن ، وذلك أنَّه رجع من الحجّ فتلقته هدايا الخليفة ، ولمَّا اقترب يريد دخول سامرّا التي فيها أمير المؤمنين ، بعث إليه إسحاق بن إبراهيم نائبَ بغداد عن أمر الخليفة يستدعيه إليها ليتلقاه وجوه بني هاشم ، فدخلها في أُبَّهة عظيمة ، فقبض عليه إسحاق بن إبراهيم ، وعلى ابنيه مظفر ومنصور ، وكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصراني ، فأسلم تحت العقوبة ، وكان هلاكه بالعطش ، وذلك أنه أكل شيئاً كثيراً بعد جوعٍ شديدٍ ، ثم استسقى الماء فلم يُسق ، فمات ليلة الأربعاء لخمس خلون من جمادى الآخرة منها ، ومكث ولداه في السجن مدة خلافة المتوكِّل ، فلمَّا ولي المنتصر ولدُه أخرجهما .

---

(١) سليمان بن داود الأزدي العتكي ، أبو الربيع الزَّهراني البصري ، الحافظ المقرىء ، أحد الثقات ، المحدث الكبير . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٦) ، طبقات القراء (١/ ٣١٣) .

(٢) أبو الحسن ، أمير المؤمنين في الحديث ، صاحب التصانيف . قال البخاري : ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند عليّ بن المديني . وكان أعلم من الإمام أحمد باختلاف الحديث . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤١) ، والأعلام (٤/ ٣٠٣) .

(٣) أبو عبد الرحمن الهمذاني الكوفي ، أحد الأئمة . حدث عنه الجماعة . وكان رأساً في العلم والعمل . ثقة ، يحتج بحديثه . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥٥) ، والعبر (١/ ٤١٨) .

(٤) محمد بن أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدَّم الثقفي ، أبو عبد الله المقدَّمي البصريّ . وثقه يحيى بن معين وأبو زرعة من أبناء الثمانين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٦٠) .

(٥) المعافى بن سليمان الرَّسْعَني ، محدِّث رأس العين ، حافظ صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٢١) .

(٦) يحيى بن يحيى بن كثير ، أبو محمد الليثي البربري ، الفقيه الأندلسي القرطبي . ارتحل إلى المشرق في أواخر أيام مالك الإمام ، فسمع منه « الموطّأ » سوى أبواب . كان كبير الشأن ، وافر الجلالة ، عظيم الهيبة ، نال من الرئاسة والحُرمة ما لم يبلغه أحد . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥١٩) .

وفي شوال منها قدم بُغا سامُرَّاء ومعه محمد بن البعيث ، وأخواه صقْر وخالد ، ونائبه العلاء ، ومعه من رؤوس أصحابه نحو من مئة وثمانين إنساناً ، فأدخلوا على الجِمال ليراهم الناس ، فلمَّا أوقف ابن البعيث بين يدي المتوكِّل أمر بضرب عنقه ، فأحضر السيف والنِّطع ، وجاء السيَّافون فوقفوا حوله ، فقال له المتوكِّل : ويلك ! ما دعاك إلى ما صنعتَ؟ فقال : الشِّقْوة ، يا أمير المؤمنين ! وأنتَ الحَبْلُ الممدودُ بين الله وبين خلْقه ، وإنَّ لي فيك لَظَنَّيْن ؛ أسبقهما إلى قلبي ، أوْلاهما بك ، وهو العفو . ثم اندفع يقولُ [فيه] بديهةً[١] :

أبَى النَّاسُ إلا أنَّك اليومَ قاتِلي ... إمامَ الهُدَى والصَّفحُ بالمرء أجمَلُ

وهَلْ أنا إلا جُبْلَةٌ من خَطيئةٍ ... وعَفوُك من نُورِ النُّبوَّةِ يُجْبَلُ

فإنَّك خيرُ السَّابقين إلى العُلا ... ولا شَكَّ أنْ خَيْرَ الفِعَالَيْنِ تَفْعَلُ

فقال المتوكِّلُ : إنَّ معه لأدباً ، ثم عفا عنه . ويقال : بل شَفَعَ فيه المعتزُّ بنُ المتوكِّل فشفَّعه فيه ، ويقال : بل أودع في السجن في قيودٍ ثقيلةٍ[٢] ، فلم يزل فيه حتَّى هرب بعد ذلك ، وقد قال حين هرب[٣] :

كَمْ قد قضيْتُ أموراً كانَ أهمَلَها ... غَيري وقد أخَذَ الإفلاسُ بالكرم[٤]

لا تَعْذُلِينيَ فيما ليسَ يَنْفَعُنِي ... إليكِ عنِّي جَرَى المِقدارُ بالقَلَمِ

سأتلِفُ المَالَ في عُسْرٍ وفي يُسْرٍ ... إنَّ الجَوادَ الَّذي يُعطِي عَلى العَدَمِ

وفي هذه السنة أمر المتوكل على الله أهلَ الذِّمَّة بأن يتميَّزوا عن المسلمين في لباسهم ، في عمائمهم وثيابهم ، وأن يتطيلسوا بالمصبوغ بالقِلْي[٥] ، وأن يكون على غلمانهم رِقاع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم وبين أيديهم ، وأن يلزموا بالزَّنانير الخاصرة ثيابهم كزنانير الفلاحين اليوم ، وأن يحملوا في رقابهم كُراتٍ ، من خشب كثيرة ، وألا يركبوا خيلاً ، ولتكن رُكبهم من خشبٍ ، إلى غير ذلك من الأمور الفظيعة[٦] لهم ، قبَّحهم الله ، وألا يُستعملوا في شيء من الدواوين التي يكون لهم فيها حكمٌ على مسلمٍ ؛ وأمَر بتخريب كنائسهم المحدثة ، وبتضييق منازلهم المتسعة ، فيؤخذ منها العشر ، وأن يعمل ما كان من

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٧٠) ، وابن الأثير (٧/ ٤٨) .

(٢) في آ: في قيوده قبله ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا .

(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١٧١) ، وابن الأثير (٧/ ٤٨) .

(٤) في ط والطبري وابن الأثير: بالكَظَم ، وهو السكوت واجتراع الغيظ .

(٥) في ب ، ظا: بالعلي . والقِلْي لغة في القِلْو ، وهو الذي يستعمله الصباغ في العصفر .

(٦) في ط: المذلة لهم ، المهينة لنفوسهم ، وألا يستعملوا . . .

ذلك متسعاً كبيراً مسجداً ، وأمَر بتسوية قبورهم بالأرض ، وكَتَبَ بذلك إلى سائر الأقاليم والآفاق ، وإلى كل بلد ورُسْتاق[١] .

وفيها : خرج رجل يقال له : محمود بن الفرج النيسابوريّ ، ممن كان يتردد إلى جِذْع[٢] بابَك[٣] فيقعد قريباً منه ، وذلك بقرب دار الخلافة بسرَّ مَن رأى ، فادَّعى أنه نبيّ ، وأنه ذو القرنين ، وقد اتبعه على هذه الضلالة ووافقه في هذه الجهالة جماعة أقلُّون[٤] ، وهم سبعة[٥] وعشرون رجلاً ، وقد نَظَم لهم كلاماً في مصحف له ، قبَّحه الله ؛ زعم ـ لعنه الله ـ أنَّ جبريل عليه السلام جاءه به من الله ، فأُخِذَ ، فرُفع أمره إلى المتوكِّل فأمر به فضُرِبَ بين يديه بالسِّياط ، فاعترف بما نُسب إليه وما هو معوّل عليه ، وأظهر التوبة من ذلك ، والرجوع عن ذلك ، فأمر الخليفة كلَّ واحدٍ من أتباعه بصفعة[٦] عشر صفعات ، فعليه وعليهم لعنة ربِّ الأرض والسموات . ثم اتفق موته في يوم الأربعاء لثلاث خَلَوْن من ذي الحجة من هذه السنة .

وفي يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة من هذه السنة المباركة ، أخذ الخليفة المتوكِّل على الله العهدَ لأولاده الثلاثة من بعده ، وهم : محمد المنتصر ، ثم أبو عبد الله المعتز بالله ، واسمه محمد ، وقيل : الزّبير ، ثم لإبراهيم ، وسمَّاه المؤيَّد بالله ، ولم ينل هذا الخلافة . وأعطى كلَّ واحد منهم طائفةً من البلاد يكون نائباً عليها ، ونوابه[٧] فيها ، ويضرب له السكّة بها . وقد عيَّن ابنُ جرير[٨] ما لكل واحد منهم من البلدان والأقاليم والرساتيق ، وعقد لكل واحد منهم لواءَين ، لواءً أسودَ للعهد ، ولواءً أبيض للعمالة . وكُتب بينهم كتاب بالرِّضا منهم وبمبايعة الأمراء والكبراء لهم على ذلك ، وكان يوماً مشهوداً .

وفي شهر ذي الحجة تغيَّر ماءُ دجلةَ إلى الصُّفْرة ثلاثة أيام ، ثم صار في لون ماء المدود ، ففزع[٩] الناس لذلك .

وفي هذه السنة أُتي المتوكِّل بيحيى بن عمر بن يحيى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب

---

(١) تفصيل ذلك في تاريخ الطبري (٩/ ١٧١ ـ ١٧٥) .
(٢) في ط والطبري : خشبة .
(٣) بعدها في ط : وهو مصلوب .
(٤) في ط : قليلون .
(٥) في آ ، ط : تسعة ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا والطبري وابن الأثير .
(٦) في آ : فصفعه صفعات .
(٧) في ط : ويستنيب .
(٨) تاريخ الطبري (٩/ ١٧٦) وما بعدها .
(٩) قوله : ففزع الناس لذلك ، تقدم في الطبري وابن الأثير على قوله : ثم صار في لون ماء المدود . وفي عبارة المؤلف ـ رحمه الله ـ بعد .

من بعض النواحي ، وكان قد اجتمع إليه قوم من الشيعة ، فأمر بضربه فضُرب ثماني عشرة مِقْرَعةً ، ثم حبس في المطبَق .

وحجَّ بالناس محمد بن داود .

قال ابن جرير[١] : وفيها توفي إسحاق بن إبراهيم ، صاحبُ الجسر ، يعني نائب بغداد ، في يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة وصيَّر ابنُه محمد مكانه ، وخلع عليه خمسَ خلع ، وقلَّده سيفاً .

قلت : وقد كان له في نيابة بغداد والعراق من زمن المأمون ، وهو من [أكبر][٢] الدعاة تبعاً لسادته وكبرائه إلى القول بخَلْق القرآن[٣] .

وفيها توفي :

إسحاق بن إبراهيم بن ماهان[٤] : الموصليّ النديم الأديب ابن الأديب النادر الشكل في وقته ، المجموع الفضائل من كلِّ فن يعرفه أبناء عصره ؛ في الفقه والحديث والجدل والكلام واللغة والشعر ، وإنما اشتهر بالغناء لأنَّه لم يكن له في الدنيا نظيرٌ فيه .

قال المعتصم : كان إسحاق إذا غنَّاني تخيَّل إليَّ أنَّه قد زيد في ملكي[٥] .

وقال المأمون : لولا اشتهارُه بالغناء لولَّيته القضاءَ ، لما أعلَمُ من عفَّته ونزاهته وأمانته .

وله شعر حسن وديوان كبير ، وكانت عنده كتبٌ كثيرة[٦] .

وتوفي في هذه السنة ، قال ابن خلكان[٧] : وقيل : في التي قبلها ، [وقيل : في التي بعدها][٨] ، وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر[٩] ترجمة حافلة ، وذكر عنه أشياء حسنة ، وأشعاراً بديعة ، رائقة ،

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٨١) .

(٢) زيادة من ب ، ظا .

(٣) بعده في ط : الذي قال الله تعالى فيهم : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴾ الآية . وهو الذي كان يمتحن الناس ويرسلهم إلى المأمون .

(٤) ترجمته في تاريخ الطبري الجزء التاسع ، والكامل لابن الأثير الجزء السابع ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٧١) ، والوافي بالوفيات (٨/ ٣٩٦) ، وشذرات الذهب (٢/ ٨٤) ، والأغاني (ط . دار الكتب) (٥/ ٢٦٨ ـ ٤٣٥) ، وتاريخ بغداد (٦/ ٣٣٨) ، ووفيات الأعيان (١/ ٢٠٢) .

(٥) في ب ، ظا : قلبي . وفيات الأعيان (١/ ٢٠٤) .

(٦) بعدها في ط : من كل فن . وفيات الأعيان (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) .

(٧) وفيات الأعيان (١/ ٢٠٤) وقد رجح وفاته سنة ٢٣٥هـ ، ولم يذكر ما قبلها .

(٨) زيادة في ب ، ظا ، ولم ترد فيهما عبارة : وقيل : في التي قبلها .

(٩) مختصر ابن عساكر (٤/ ٢٧٣ ـ ٢٨١) .

وحكايات مدهشة يطول استقصاؤها ، فمن غريب ذلك : أنَّه غنَّى يوماً ليحيى بن خالد بن بَرمك فوقَّع له بألف ألفٍ ، ووقَّع له ابنُه جعفر بمثلها ، والفضل بمثلها ، في حكاية طويلة .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان أيضاً :

سُرَيْج بن يُونس[(١)] .

وشَيْبان بن فَرُّوخ[(٢)] .

وعبيد الله بن عمر القواريرِيّ[(٣)] .

وأبو بكر بن أبي شيبة[(٤)] ، أحد الأعلام وأئمة الإسلام ، وصاحبُ « المصنف » الذي لم يصنِّف أحدٌ مثلَه قطُّ لا قبلَه ولا بعدَه .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومئتين

فيها : أمر المتوكل بهدْم قبر الحسين بن عليّ ، وما حوله من المنازل والدّور ، ونودي في الناس : من وُجِدَ هاهنا بعد ثلاثة أيام [رفع] إلى المطبَق ؛ فلم يبقَ هناك بشرٌ ، واتُّخِذ ذلك الموضع مزرعةً تُحرث وتستغل .

وفيها : حجَّ بالناس محمد المنتصر[(٥)] بن المتوكل .

وفيها : توفي محمد بن إبراهيم بن مُصْعَب ، سمَّه ابنُ أخيه محمد بن إسحاق بن إبراهيم ، وكان محمد بن إبراهيم هذا من الأمراء الكبار .

---

(١) صحف في المطبوع إلى شريح ، وهو سريج بن يونس بن إبراهيم ، أبو الحارث المروزي البغدادي ، من الأئمة العابدين ، وكان رأساً في السنة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٤٦) .

(٢) هو شيبان بن أبي شَيبة ، أبو محمد الحَبطي مولاهم الأبُلّي البصري ، الحافظ الصدوق ، مسند عصره ، كان يرى القدرَ ، غير أنه تفرد بالأسانيد العالية . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٠١) .

(٣) عبيد الله بن عمر بن مَيْسَرة ، أبو سعيد الجشمي مولاهم البصري القواريري الزجاج ، نزيل بغداد . محدّث الإسلام . ثقة كثير الحديث . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤٢) .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ، أبو بكر العبسي الكوفي ، وهو من أقران أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ . الإمام العلم ، سيّد الحفاظ ، صاحب الكتب الكبار . والمسند والمصنف والتفسير والأحكام . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٢٢) .

(٥) في ط : « محمد بن المنتصر » خطأ .

وفيها : توفي الحسن بن سهل الوزير والد بوران زوجة المأمون التي تقدَّم ذكرها ، وكان من سادات[١] الناس ورؤسائهم .

ويقال : إن إسحاق بن إبراهيم توفي في هذه السنة ، والله أعلم .

وفيها : توفي أبو سعيد محمد بن يوسف المروزيّ فجأة ، فولَّى ابنَه يوسفَ مكانه على نيابة أرمينية .

وفيها : توفي إبراهيم بن المنذر الحِزامي[٢] .

ومُصْعَب بن عبد الله الزبيريّ[٣] .

وهُدْبَةُ بن خالد القَيْسي[٤] .

وأبو الصَّلت الهرويّ ، أحد الضعفاء[٥] .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومئتين

فيها : قبض يوسف بن محمد بن يوسف نائب أرمينيّة على البطريق الكبير بها ، وبعثه إلى نائب الخليفة ، واتفق بعد بعثه إياه أن سقط ثلجٌ عظيم على تلك البلاد ، فتحزَّب أهلُ ذلك البطريق ، وجاؤوا فحاصروا البلدة التي فيها يوسف بن محمد ، فخرج إليهم ليقاتلهم ، فقتلوه وطائفةً كثيرةً من المسلمين الذين معه ، وهلك كثير من الناس في الثلج من شدّة البرد . ولمَّا بلغ المتوكِّلَ ما وقع من هذا الأمر الفظيع أرسل إلى أهل تلك الناحية بُغا الكبير في جيش كثيف جداً ، فقتل بُغا من أهل تلك الناحية ممن حاصر المدينة[٦] وقتل الأمير نحواً من ثلاثين[٧] ألفاً ، وأسر منهم طائفة كثيرة ، ثم سار إلى بلاد الباق من كُور البسفرجان[٨] ، وسلك إلى مدن كثيرة كبار ، ومهَّد الممالك ، ووطد البلادَ والنَّواحي .

---

(١) في ب ، ظا : سَراة .

(٢) أبو إسحاق القرشي الأسدي الحِزامي المدني ، الحافظ ، محدِّث المدينة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٩) ، والعبر (١/ ٤٢٢) .

(٣) أبو عبد الله ، ابن أمير اليمن القرشي الأسدي الزبيري المدني ، نزيل بغداد ، النسّابة الإخباري ، من نبلاء الرجال وأفرادهم ، كان نسابة قريش ، عاش ثمانين سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٠) ، والعبر (١/ ٤٢٣) .

(٤) هُدْبة بن خالد بن أسود بن هُدْبة ، أبو خالد القيسي البصري . مسند وقته ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ٩٧) ، والعبر (١/ ٤٢٣) .

(٥) هو عبد السلام بن صالح الهروي ، الشيخ العالم العابد ، شيخ الشيعة ، له فضل وجلالة . قال أبو حاتم : لم يكن عندي بصدوق ، وله عدة أحاديث منكرة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤٦) .

(٦) في ب ، ظا : البلد .

(٧) في آ : ثلاثين ألف رأس .

(٨) في النسخ : كورة السيرجان ، وأثبت ما جاء في ط ، والطبري ، وابن الأثير .

وفي صفر من هذه السنة غضبَ المتوكِّلُ على أحمد بن أبي دواد القاضي ، وكان على المظالم ، فعزله عنها ، واستدعى بيحيى بن أكثم فولاه قضاء القضاة ، والمظالم أيضاً .

وفي ربيع الأول أمر الخليفة بالاحتياط على ضياع ابن أبي دواد ، وأخذ ابنَه أبا الوليد محمد بن أحمد بن أبي دواد ، فحبسه في يوم السبت لثلاث خلون من ربيع الآخر ، وأمر بمصادرته فحمل مئة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، ومن الجواهر النفيسة ما يقاوم عشرين ألف دينار ، ثم صُولح على ستةَ عشرَ ألف ألف درهم .

وكان ابن أبي دواد قد أصابه الفالج كما ذكرنا ، ثم نفي أهله من سامرّاء إلى بغداد مهانين . قال ابنُ جرير(١) : فقال في ذلك أبو العتاهية :

لو كنتَ في الرأي منسُوباً إلى رَشَدٍ ... وكان عَزْمُكَ عَزْماً فيه توفيقُ
لكانَ في الفقهِ شغلٌ لو قَنِعْتَ به ... عنْ أنْ تَقُولَ : كتابُ اللهِ مَخْلُوقُ
ماذا عليكَ وأصْلُ الدِّينِ يجمَعُهُمْ ... ما كانَ في الفرعِ لولا الجهلُ والمُوقُ(٢)

وفي عيد الفطر أمر المتوكِّلُ بإنزال رأس(٣) أحمد بن نَصْر الخُزاعيِّ ، والجمع بينه وبين جسده ، وأن يسلّم إلى أوليائه ، ففرح الناس بذلك ، واجتمع من العامة خلق كثير في جنازته ، وجعلوا يتمسَّحون بأعواده للبركة ، وبالجذْع الذي كان مصلوباً فوقه ، وأرهجَ(٤) العامة في ذلك ، فكتب [المتوكل](٥) إلى النائب يأمره بردعهم عن تعاطي مثل ذلك ، وكتب به إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام ، والكفّ عن القول بخلْق القرآن(٦) .

وأظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه ، فاجتمع به وأكرمه ، وأمر له بجائزة سنيَّة فلم يقبل منها شيئاً ، وخلع عليه خلعة سنيةً من ملابسه ، فاستحيا منه كثيراً فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلاً فيه ، ثم نزعها نزعاً عنيفاً وهو يبكي ، رحمه الله .

وجعل [المتوكل](٧) في كل يوم يرسل إليه من طعامه الخاص ، يظنُّ أنه يأكل منه . وكان الإمام

---

(١) الطبري (٩/ ١٨٩) .
(٢) « الموق » : الحمق في غباوة .
(٣) في آ ، ب : جُثَّة ، وأثبت ما جاء في ظا .
(٤) « الرَّهج » : الشغب .
(٥) زيادة من (ط) .
(٦) بعده في ط : وأن من تعلم علم الكلام ، لو تكلم فيه فالمطبق مأواه إلى أن يموت . وأمر الناس ألا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير .
(٧) زيادة من (ط) .

أحمد لا يأكل لهم طعاماً ، بل كان صائماً مواصلاً يطوي تلك الأيام كلها ؛ لأنه لا يتيسّر له شيء يرضى أكله ، ولكن كان ابنه[١] صالح وعبد الله يقبلان تلك الجوائز وهو لا يشعر بشيء من ذلك . [قال صالح][٢] : فلولا أسرعنا الأوبة إلى بغداد لخشيت أن يموت الشيخ من الجوع[٣] .

وارتفعت السُّنَّة جداً في أيام المتوكل ، وكان لا يولّي أحداً إلا بعد مشورة الإمام أحمد بن حنبل ؛ وكانت ولاية يحيى بن أكثم قضاء القضاة[٤] عن مشورته ، وقد كان يحيى بن أكثم هذا من أئمة السُّنَّة ، وعلماء الناس ، ومن المعظّمين للكتاب والسنّة وللفقه والحديث واتباع الأثر ، وكان قد ولَّى من جهته حيّان بن بشر قضاء الشرقية ، وسَوَّار بن عبد الله العنبري قضاءَ الجانب الغربيّ[٥] ، كلاهما كان أعور ، فقال في ذلك بعض أصحاب ابن أبي دواد[٦] :

رَأيـتُ مِـنَ الكبـائـرِ قَـاضِيَيْـنِ ... همـا أُحْـدُوثَـةٌ فـي الخـافِقَيْـنِ
هُمَـا اقْتَسَمـا العَمَـى نِصْفَيـنِ قَـدّاً ... كمـا اقْتَسَمـا قَضـاءَ الجـانِبَيْـنِ
وتَحسَـبُ منهمـا مَـنْ هـزَّ رأسـاً ... لِيَنظُـرَ فـي مَـواريـثٍ ودَيْـنِ
كـأنَّـكَ قـد وضَعْـتَ عليـه دَنّـاً ... فَتَحْـتَ بُـزَالَـهُ[٧] مـن فَـرْدِ عَيْـنِ
همـا فَـألُ الـزَّمـانِ بهُلْـكِ يحيـى ... إذ افْتَتَـحَ القضـاءَ بـأعْـوَرَيْـنِ

وغزا الصائفةَ في هذه السنة عليُّ بن يحيى الأرمنيّ .

وحجَّ بالناس فيها عليّ بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، أمير الحجاز .

وفيها توفي :

حاتِم الأصمّ[٨] .

---

(١) في ب . ظا : ابناه .
(٢) زيادة من ب ، ظا .
(٣) قوله : من الجوع ، لم يرد في ب ، ظا .
(٤) بعدها في ط : موضع ابن أبي دواد .
(٥) في آ ، ب : الجانب الشرقي ، والمثبت من ظا والطبري وابن الأثير .
(٦) الأبيات في تاريخ الطبري (٩/ ١٨٩) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٦٠) ، ونسبت فيهما إلى الجمّاز .
(٧) « البُزال » : موضع الثقب من الإناء .
(٨) هو حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي الأصمّ ، أبو عبد الرحمن ، الواعظ الزاهد الربّاني ، الناطق بالحكمة ، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم ، كان يقال له : لقمان هذه الأمة . حلية الأولياء (٨/ ٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٤) .

وعبد الأعلى بن حمَّاد[١] .

وعُبيد الله بن معاذ العَنبريّ[٢] .

وأبو كامل ، الفضيل بن الحسين الجَحْدَريّ[٣] .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومئتين

في ربيع الأول منها حاصر بُغا مدينة تَفْلِيس[٤] وعلى مقدمته زيرك التركي ، فخرج صاحبُ تَفْليس إسحاق بن إسماعيل فقاتله فأسر إسحاق ، فأمر بُغا بضرب عنقه وصلبه ، وأمر بإلقاء النار في النفط إلى نحو المدينة ، وكان أكثر بنائها من خشب الصَّنَوْبَر ، فأحرق أكثَرها ، وأحرَق من أهلها نحواً من خمسين ألف إنسانٍ ، وطفئت النار بعد يومين ؛ لأنَّ نار الصنوبر لا بقاءَ لها .

ودخل الجند فأسروا من بقي من أهلها واستلبوهم ، حتى استلبوا الموتى[٥] .

ثم سار بُغا إلى مدن أخرى ممن كان يمالىء أهلها مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف ، آخذاً بثأره وعقوبة لمن تجرَّأ عليه .

وفي هذه السنة جاءت الفرنج في نحو من ثلاثمئة مركب قاصدين ديار مصر من ناحية دمياط ، فدخلوها فجأة فقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً ، وحرقوا المسجد الجامع والمنبرَ ، وأسروا من النساء نحواً من ستمئة امرأة ؛ من المسلمات مئة وخمس وعشرون امرأة ، والباقيات من نساء القِبْط ، وأخذوا من الأمتعة والأسلحة والمغانم شيئاً كثيراً جداً ، وفرَّ الناس منهم في كل جهة ، فكان من غرِقَ في بحيرة تِنِّيس أكثرَ ممن أسروه ، ثم رجعوا على حَمِيَّةٍ[٦] ، ولم يعرض لهم أحد حتى عادوا إلى بلادهم ، لعنهم الله وقبّحهم .

وفي هذه السنة غزا الصائفة عليّ بن يحيى الأرمنيّ .

---

(١) أبو يحيى النَّرسي البصري ، الحافظ المحدث . وثقه أبو حاتم وغيره . كان ممن قدم على المتوكل فوصله بمال . سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨) ، والعبر (١/ ٤٢٤) .

(٢) أبو عمرو العنبري البصري ، الحافظ ، الثقة . كان يحفظ نحواً من عشرة آلاف حديث . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٨٤) .

(٣) سمع حمّاد بن سلمة والكبار ، وكان له حفظ ومعرفة . تهذيب الكمال (٢٣/ ٢٦٩) والعبر (١/ ٤٢٥) .

(٤) « تَفليس » : بلد بأرمينية الأولى ، وبعض يقول : بأرّان ، وهي مدينة قديمة أزلية . ياقوت .

(٥) في آ ، ط : المواشي ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا والطبري وابن الأثير .

(٦) أي بشدة وسرعة .

وحجَّ بالناس أمير السنة التي قبلها .

وفيها توفي الإمام إسحاق بن رَاهَوَيْه[١] ، أحدُ الأعلام وعلماء الإسلام ، والمجتهدين من الأنام .

وبشر بن الوليد ، الفقيه الحنفي[٢] .

وطالوت بن عبَّاد[٣] .

ومحمد بن بكار بن الريان[٤] .

ومحمد بن البُرْجُلاني[٥] .

ومحمّد بن أبي السّريّ العسقلاني[٦] .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومئتين

في المحرم منها زاد المتوكِّلُ في التغليظ على أهل الذِّمَّة في التمييز في اللباس عن المسلمين ، وأكَّد الأمر بتخريب الكنائس المُحدَثة في الإسلام .

وفيها : نَفَى المتوكِّلُ عليَّ بن الجهم إلى خراسان .

وفيها : اتفق شعانين النَّصارى والنَّوروز[٧] في يوم واحد ، وذلك يوم الأحد ، العشرين من ذي

---

(١) أبو يعقوب ، الحنظلي المروزي ، سيّد الحفاظ ، وشيخ المشرق . صاحب التصانيف . قال الإمام أحمد : لا أعلم بالعراق له نظيراً ، عاش سبعاً وسبعين سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨) ، والعبر (١/ ٤٢٦) .

(٢) بشر بن الوليد الكندي ، أبو الوليد ، قاضي العراق . تفقّه على أبي يوسف ، وسمع من مالك وطبقته . كان محمود الأحكام ، كثير العبادة والنوافل ، محدّثاً صادقاً ، مات وله سبع وتسعون سنة . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٣) ، العبر (١/ ٤٢٧) .

(٣) أبو عثمان الصَّيرفيّ البصريّ ، المعمّر ، الثقة ، له مشيخة عالية مشهورة . روى عن حمّاد بن سلمة وطبقته . سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٥) ، والعبر (١/ ٤٢٧) .

(٤) في آ ، ظا ، ط : الزيات ، وأثبت ما جاء في ب والمصادر . وهو محمد بن بكار بن الريان ، أبو عبد الله البغدادي الرُّصافي ، مولى بني هاشم ، محدّث حافظ صدوق . عاش ثلاثاً وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ١١٢) ، العبر (١/ ٤٢٨) .

(٥) نسبة إلى قرية بُرجُلان ، قرية من قرى واسط ، أو نسبة إلى محلة البُرجلانية . وهو محمد بن الحسين بن أبي شيخ البرجلاني ، صاحب التواليف في الرقائق ، وعنه ابن أبي الدنيا كثيراً . سير أعلام النبلاء (١١/ ١١٢) ، العبر (١/ ٤٢٨) ، اللباب (١/ ١٣٤) .

(٦) أبو عبد الله ، الحافظ العالم الصادق ، من أوعية الحديث .
قال ابن عدي : كان كثير الغلط . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦١) ، العبر (١/ ٤٢٩) .

(٧) في ظا : والنَّيروز . وفي ط : يوم النيروز . ومعناهما بالفارسية اليوم الجديد ، وهو أول يوم من السنة الشمسيّة =

القَعْدَة ، وزعمت النَّصارى أنَّ هذا شيء لم يتفق مثلُه في الإسلام إلا في هذا العام .

وغزا الصائفة عليُّ بن يحيى المذكور[١] . وحجَّ بالناس عبدُ الله بن محمّد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ، وهو والي مكّة .

قال ابنُ جرير[٢] : وفيها توفي أبو الوليد محمد بن القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي المعتزليّ .

قلت : وممن توفي فيها من الأعيان :

داود بن رُشَيد[٣] .

وَصَفْوان بن صالح[٤] ، مؤذن أهل دمشق .

وعبد الملك بن حَبيب[٥] ، الفقيه المالكي ، أحد المشاهير .

وعثمان بن أبي شيبة ، صاحب « التفسير » و« المسند » المشهور[٦] .

ومحمد بن مِهْران الرازي[٧] .

ومحمود بن غَيْلان[٨] .

ووَهْب بن بَقيَّة[٩] .

= الإيرانية ، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر آذار من السنة الميلادية . وعيد النَّوْروز أو النَّيْروز أكبر أعياد الفرس .

(١) في الطبري : علي بن يحيى الأرمني .

(٢) تاريخ الطبري (٩/ ١٩٦) .

(٣) أبو الفضل الخوارزمي البغدادي ، مولى بني هاشم ، رحَّال جوَّال ، صاحب حديث ، حافظ ، ثقة ، من أبناء الثمانين . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٣) ، والعبر (١/ ٤٢٩) .

(٤) أبو عبد الملك الثقفي الدمشقي ، مؤذن جامع دمشق ، كان حنفي المذهب ، الحافظ المحدث الثقة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧٥) ، العبر (١/ ٤٣٠) .

(٥) أبو مروان ، الأندلسي القرطبي المالكي ، فقيه الأندلس ، وأحد الأعلام . كان موصوفاً بالحِذق في الفقه ، كبير الشأن ، بعيد الصيت ، كثير التصانيف ، إلا أنه لم يكن له علم بالحديث ، وليس فيه بحجة . من مصنفاته كتاب الواضحة وغير ذلك . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٠٢) ، العبر (١/ ٤٢٧) .

(٦) هو عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ، أبو الحسن العبسيّ الكوفي ، رحل ، وطوّف ، وصنف التفسير والمسند ، وكان ثقة مأموناً ، صاحب دعابة . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٥١) ، العبر (١/ ٤٣٠) .

(٧) أبو جعفر الجمّال الرازي ، ثقة حافظ ، جوّال ، روى عن فضيل بن عياض وخلق كثير . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٤٣) ، العبر (١/ ٤٣٠) .

(٨) أبو أحمد المروزي ، محدّث مرو ، الحافظ الحجّة ، صاحب سنة . وثقه النسائي . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢٣) ، العبر (١/ ٤٣١) .

(٩) وهب بن بَقِيّة بن عثمان بن سابور ، أبو محمد الواسطي ، ويقال له : وَهْبان . كان ثقة ، قدم بغداد وحدّث بها . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦٢) ، العبر (١/ ٤٣١) .

أحمد بن عاصم الأنطاكيّ[١] : أبو علي الواعظ الزاهد أحد العبّاد ، له كلام حسنٌ في الزُّهد ومعاملات القلوب ، قال أبو عبد الرحمن السلميّ ، كان من طبقة الحارث المحاسبي ، وبِشر الحافي . وكان أبو سليمان الدارانيّ يسميه جاسوسَ القلوب ، لحدَّة فِراسته .

روى عن أبي معاوية الضَّرير وطبقته .

وعنه : أحمد بن أبي الحَواري ، ومحمود بن خالد ، وأبو زُرْعَة الدِّمشقيّ ، وغيرهم .

وروى عنه أحمد بن أبي الحَواري ، عن مخلد بن الحسين ، عن هشام بن حسان ، قال : مررت بالحسن البصري وهو جالس وقت السحر ، فقلت : يا أبا سعيد ، مثلك يجلس في هذا الوقت ؟ قال : إني قد توضأت ، فأردتها[٢] أن تقوم فتصلي ، فأبت عليَّ ، وأرادتني[٣] على أن تنام فأبَيْتُ عليها .

ومن مستجاد كلامه : إذا أردتَ صلاح قلبك فاستعِنْ عليه بحفظ لسانك[٤] .

وقال : من الغنيمة الباردة أن تصلحَ ما بقي من عمرك فيغفرَ لك ما مضى منه .

وقال أيضاً : يَسيرُ اليقين يُخرج الشَّكَّ كلَّه من القلب ، ويَسيرُ الشَّكِّ يُخرجُ اليقين كلَّه منه .

وقال : من كان بالله أعرفَ كان منه أخْوَفَ .

وقال : خيرُ صاحبٍ لك في دنياك الهمُّ ، يقطعُكَ عن الدُّنيا ويُوصلك إلى الآخرة[٥] .

ومن شعره[٦] رحمه الله :

هَمَمْتُ ولَمْ أعزِمْ ولو كنتُ صَادقاً عَـزَمْـتُ ولكـنَّ الفِطَـامَ شَـديـدُ
ولـو كـانَ لـي عَقْـلٌ وإيقـانُ مُـوقـنٍ لَمَـا كَنْـتُ عَـنْ قَصْـدِ الطَّـريـقِ أحِيـدُ
ولا كانَ في شَكِّ اليقينِ[٧] مَطَامِعي ولكــنْ عــنِ الأقــدارِ كيــفَ أحِيــدُ

ومن شعره أيضاً :

---

(١) ترجمته في حلية الأولياء (٩/ ٢٨٠) ، صفة الصفوة (٤/ ٢٧٧) ، مختصر ابن عساكر (٣/ ١٢٧) ، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٨٧ و١١/ ٤٠٩) .

(٢) في ط : وأردت نفسي على الصلاة .

(٣) في آ : وأرادت .

(٤) في ط : جوارحك .

(٥) الأقوال في مختصر ابن عساكر (٣/ ١٢٧ـ١٢٩) .

(٦) مختصر ابن عساكر (٣/ ١٣٠) .

(٧) في آ : الطريق .

داعيــاتُ الهــوَى تخــفُّ علينــا   وخــلافُ الهــوَى عَلْينــا ثَقِيــلُ
فُقِدَ الصِّدْقُ[١] في الأماكنِ حتَّى   وَصْفُــه اليَــوْمَ مــا عليــه دَليــلُ
لا نَرَى خائفاً[٢] فيلزمُنا الخَوْ   فُ ولا صَــادِقــاً بمــا قــد يقــولُ
فَبَقِينــا مُــذَبْــذَبيــن حَيــارَى   نطلبُ الصِّدْقَ ما إليه وُصُولُ[٣]

وله أيضاً :

هَــوِّنْ عليْـكَ فكُـلُّ الأمْـرِ يَنْقَطِـعُ   وخَلِّ عنْكَ عِنانَ[٤] الهَمِّ يندَفِعُ
فَكُــلُّ هــمٍّ لــه مِــنْ بعــده فَــرَجٌ   وكــلُّ كَــرْبٍ إذا مــا ضَــاقَ يتَّسِــعُ
إنَّ البَــلاءَ وإنْ طــالَ الــزَّمــانُ بِــهِ   الْمَــوْتُ يقْطَعُــهُ أوْ سَــوْفَ يَنْقَطِــعُ

وقد أطال الحافظ ابنُ عساكر[٥] ترجمته ولم يؤرِّخْ وفاته ، وإنما ذكرته هاهنا تقريباً ، والله أعلم .

سنة أربعين ومئتين من الهجرة النبوية

فيها : عدا أهلُ حمصَ على عاملهم أبي المُغِيث[٦] موسى بن إبراهيم الرَّافقي[٧] ، وكان قد قتل رجلاً من أشرافهم ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، وأخرجوه من بين أظهرهم ، فبعث إليهم المتوكِّل أميراً عليهم، وقال للسفير معه : إن قبلوه[٨] وإلا فأعلمني ، فقبلوه ، فعمل فيهم الأعاجيبَ ، وأهانهم غاية الإهانة .

وفيها : عزل المتوكِّلُ القاضي يحيى بن أكثم عن قضاء القضاة[٩] ، وصادره بما مبلغه ثمانون ألفَ دينار ، وأخذ منه أراضيَ كثيرةً في أرض البصرة ، وولَّى مكانه جعفرَ بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي على قضاء القضاة[١٠] .

---

(١) في آ : الصبر .
(٢) في آ : الخوف .
(٣) في ب ، ظا ، ط : سبيل .
(٤) في ط : ضباب .
(٥) ترجمته في ابن عساكر ناقصة في نسخ دار الكتب الظاهرية ، وهي في مختصر ابن عساكر لابن منظور (٣/ ١٢٧) وما بعد .
(٦) في ط : « الغيث » خطأ . وتنظر ترجمته في تاريخ دمشق (٦٠/ ٣٨٨) .
(٧) في الطبري وابن الأثير : الرافعي ، خطأ .
(٨) في آ : قتلوه . . فقتلوه .
(٩) في آ : البصرة .
(١٠) في آ : البصرة .

قال ابن جرير[١] : وفي المحرّم منها توفي أحمد بن أبي دواد بعد ابنه بعشرين يوماً .

وهذه ترجمة أحمد بن أبي دُوَاد القاضي[٢] : أحمد بن أبي دُواد ـ واسمه الفرج ، وقيل : دُعْمَيّ ، والصحيح أن اسمه كنيته ـ بن جرير القاضي ، أبو عبد الله الإياديّ المعتزليّ .

قال ابن خلكان[٣] في نسبه : هو أبو عبد الله أحمد بن أبي دُوَاد فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عَبَّاد بن سَلام [بن مالك] بن عبد هند بن عبد لَخْم بن مالك بن قَنَص بن مَنَعة بن برجان بن دَوْس بن الدُّئِل[٤] بن أُميَّة بن حذافة بن زُهر بن إياد بن نِزار بن معدّ بن عدنان .

قال الخطيب[٥] البغدادي : ولي ابنُ أبي دُوَاد قضاء القضاة للمعتصم ، ثم للواثق ، وكان موصوفاً بالجود والسَّخاء ، وحسن الخلق ، ووفور الأدب ، غير أنَّه أعلن بمذهب الجَهْميّة ، وحمل السلطان[٦] على امتحان الناس بخلْق القرآن[٧] .

قال الصّولي[٨] : لم يكن بعد البرامكة أكرم منه ، فلولا ما وضع من نفسه من محبة المِحْنة لاجتمعت عليه الألسن .

قالوا : وكان مولده في سنة ستين ومئة ، وكان أسنَّ من يحيى بن أكثم بعشرين[٩] سنة .

قال ابن خلكان[١٠] : وأصله من بلاد قِنَّسْرين[١١] ، وكان أبوه تاجراً يفدُ إلى الشام ، ثم أخذ ولدَه معه

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ١٩٧) .
(٢) ترجمته في تاريخ بغداد (٤/ ١٤١) ، وفيات الأعيان (١/ ٨١) ، مختصر ابن عساكر (٣/ ٦٦) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٩) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٢٨١) ، شذرات الذهب (٢/ ٩٣) .
(٣) وفيات الأعيان (١/ ٨١) .
(٤) في النسخ غير مقروءة ، وأثبت ما جاء في الجمهرة (٣٢٨) ، ووفيات الأعيان .
(٥) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٢) ، ومختصر ابن عساكر (٣/ ٦٦) .
(٦) في ب ، ظا : الخليفة .
(٧) بعدها في ط : وأن الله لا يُرى في الآخرة .
(٨) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٢) ، ومختصر ابن عساكر (٣/ ٧٠) .
(٩) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٢) وهو مخالف لما ذكر عن ولادة يحيى بن أكثم ، إذ أجمعت المصادر أنه ولد أيضاً نحو سنة ١٥٩هـ . وفيات الأعيان (١/ ٨٩) .
(١٠) وفيات الأعيان (١/ ٨١) .
(١١) « قِنَّسرين » : بكسر أوله ، وفتح ثانيه وتشديده . وقد كسره قوم ، ثم سين مهملة . كانت وحمص شيئاً واحداً ، فتحت على يد أبي عبيدة بن الجراح ، رضي الله عنه سنة ١٧هـ . ياقوت .

إلى العراق ، فاشتغل بالعلم ، وصحب هَيّاج بن العلاء السّلمي ، أحد أصحاب واصل بن عطاء ، فأخذ عنه الاعتزال .

وذكر[(١)] أنه كان يصحب يحيى بن أكثم القاضي ويأخذ عنه العلم . ثم سرد له ترجمة طويلة في كتاب الوفيات[(٢)] . وقد امتدحه بعض الشعراء فقال[(٣)] :

رَسُولُ[(٤)] اللهِ والخلفاءُ مِنَّا ومنَّا أحمَدُ بنُ أبي دُوَادِ

فردَّ عليه بعضُ الشعراء[(٥)] فقال :

فَقُلْ للفاخرينَ على نِزارٍ وَهُمْ في الأرضِ ساداتُ العِبادِ
رَسُولُ اللهِ والخلفاءُ مِنَّا ونَبْرَأُ مِن دَعِيّ بني إيادِ
وما مِنَّا إيادُ إذ أقرَّتْ بدَعْوَةِ أحمَدَ بنِ أبي دُوَادِ

فلمَّا بلغ ذلك أحمد بن أبي دُوَاد ، قال : لولا أني أكره العقوبة لعاقبْتُ هذا الشاعر عقوبةً ما فعلَها أحدٌ ، وعفا عنه .

قال الخطيب[(٦)] : حدثني الأزهري ، حدّثنا عمر بن أحمد الواعظ ، حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك ، حدثني جرير بن أحمد أبو مالك ، قال : كان أبي ـ يعني أحمد بن أبي دُوَاد ـ إذا صلَّى رفَعَ يديه[(٧)] إلى السَّماء وخاطَبَ ربَّه ، وأنشأ يقول[(٨)] :

ما أنتَ بالسَّبَبِ الضَّعِيفِ وإنَّما نُجْحُ الأمورِ بقوَّةِ الأسبابِ
واليومَ حاجَتُنا إليكَ وإنَّما يُدْعَى الطَّبيبُ لِسَاعَةِ الأوصابِ[(٩)]

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٨٤) .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٨١ ـ ٩١) .
(٣) وفيات الأعيان (١/ ٨٦) ضمن أبيات خمسة قالها مروان بن أبي الجنوب ، تاريخ بغداد (٤/ ١٤٣) ، مختصر ابن عساكر (٣/ ٦٧) .
(٤) حتى قوله : سادات العباد ساقط في آ .
(٥) هو أبو هِفان المَهْزَميّ ، كما في وفيات الأعيان (١/ ٨٧) ، وتاريخ بغداد (٤/ ١٤٣) ، ومختصر ابن عساكر (٣/ ٦٧) .
(٦) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٣) .
(٧) في ب ، ظا وتاريخ بغداد : يده .
(٨) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٣) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧٠) .
(٩) الأوصاب : الأمراض ، مفردها : الوصب .

ثم روى الخطيب[١] : أنَّ أبا تمام دخل يوماً على ابن أبي دُوَاد ، فقال له : أحسبك عاتباً [يا أبا تمام][٢] ؟ فقال : إنَّما يُعْتَبُ على واحدٍ وأنتَ النَّاسُ جميعاً . فقال له : أنَّى لك هذه ؟ فقال : من[٣] قول أبي نواس :

وليـس للهِ[٤] بِمُسْتَنْكَـرٍ ... أن يَجْمَعَ العالَمَ في واحدِ

وامتدَحه أبو تمام يوماً فقال[٥] :

لقد أنْسَتْ مَسَاوِىءَ كُلِّ دَهْرٍ ... مَحَاسِنُ أحمَدَ بنِ أبي دُوَاد
وما سافَرْتُ في الآفاقِ إلا ... وَمِنْ جَدْوَاكَ راحِلَتي وَزَادِي
يُقيمُ الظَّنُّ عِنْدَكَ والأماني ... وإنْ قَلِقَتْ رِكابي في البلادِ

فقال له : هذا المعنى تفردت به أو أخذتَه من غيرك ؟ فقال : هو لي ، غير أني ألممت[٦] بقول أبي نواس[٧] :

وإنْ جَرَتِ الألْفَاظُ يَوْماً بمِدْحةٍ ... لِغَيْرِكَ إنساناً فأنْتَ الَّذي نَعْنِي

وقال محمد بن يحيى الصولي : ومن مختار مديح أبي تمام لأحمدَ بن أبي دُوَاد قولُه[٨] :

أأحْمَدُ إنَّ الحاسِدينَ كَثيرُ ... وما لَكَ إنْ عُدَّ الكِرامُ نَظيرُ
حَلَلْتَ مَحَلاً فاضِلاً[٩] متقادماً[١٠] ... مِنَ المَجدِ ، والفَخْرُ القديمُ فَخُورُ[١١]

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٤) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧٠) .
(٢) زيادة من تاريخ بغداد ومختصر تاريخ ابن عساكر .
(٣) في تاريخ بغداد ومختصر ابن عساكر : من قول الحاذق ـ يعني أبا نواس ـ للفضل بن الربيع .
(٤) في ط : « وليس على الله » ، وماهنا من النسخ ، وهو الموافق لجميع النسخ الخطية من تاريخ الخطيب ، كما يظهر من تعليق الدكتور بشار عواد على طبعته منه (٥/ ٢٣٧) والبيت من السريع ، والمصنف ينقل من تاريخ الخطيب .
(٥) ديوانه (١/ ٣٧٤) ، وتاريخ بغداد (٤/ ١٤٥) ، ومختصر ابن عساكر (٣/ ٧١) .
(٦) في ط : ألمحت ، وفي ب ، ظا : أتممت قول .
(٧) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٥) .
(٨) ديوانه (٢/ ٢١٨) ، تاريخ بغداد (٤/ ١٤٥) .
(٩) في النسخ : قاضياً ، وأثبت ما جاء في ط والديوان .
(١٠) الديوان : متقدِّماً .
(١١) ويروى فُخور ، بضم الفاء ، ومعناه : أن الفخر القديم يقوم مقام الفخور الكثيرة ، ومن فتحها أراد أن الإنسان إذا كان له شرف قديم فكأنه يفخر ، لأنه لا اختلاف في أن ما قدم من المآثر أفضل من المحدثات . الديوان (٢/ ٢١٨) حاشية (٣) .

فَكُــلُّ غَنِــيٍّ أو فَقِيــرٍ فــإنَّــهُ[1] إليــكَ وإنْ نــالَ السَّمــاءَ فَقِيــرُ
إليكَ تَنَاهَى المَجْدُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ يَصيرُ فما يَعْدُوكَ حَيْثُ يَصِيرُ[2]
وبَــدْرُ إيــادٍ أنْــتَ لا يُنْكِــرُونَــهُ كــذاكَ إيــادٌ لــلأنــامِ بُــدورُ
تَجَنَّبْتَ أنْ تُدْعَى الأميرَ تَواضُعاً وأنْتَ لِمَنْ يُدْعَى الأميرَ أمِيرُ[3]
فَمَــا مِــنْ نَــدًى إلا إلَيْــكَ مَحَلُّــهُ ومــا رِفْعَــةٌ إلا إليــكَ تَشيــرُ[4]

قلت : وقد أخطأ الشاعر في هذا خطأ كبيراً ، وأفحَشَ في المبالغة كثيراً[5] .

وقال أحمد بن أبي دُوَاد يوماً لبعضهم : لِم لا تسألني ؟ فقال له : لأني لو سألتك أعطيتُك ثمن[6] ما تعطيني ، فقال له : صدقْتَ ، وأرسَلَ إليه بخمسة آلاف درهم[7] .

وقال ابنُ الأعرابي : سأل رجلٌ من [أصحاب][8] ابن أبي دُوَاد أن يحمله على عَيْر[9] ، فقال : يا غلام ، أعطه عيْراً وبَغْلاً وبِرْذَوناً[10] وفرساً وجارية ، ثم قال له : لو أعلم مركوباً غيرَ هذا لأعطيتك[11] . ثم أورد الخطيبُ[12] بأسانيده عن جماعة من الناس في أخبارٍ تدُلُّ على كرمه ، وفصاحته ، وأدبه ، وحلمه ، ومبادرته إلى قضاء الحاجات ، وعظم[13] منزلته عند الخلفاء .

وذكر[14] عن محمد المهتدي بن الواثق : أنَّ شيخاً دخل يوماً على الواثق ، فسلَّم ، فلم يردَّ عليه الخليفة ، بل قال : لا سلَّمَ اللهُ عليك . فقال : يا أميرَ المؤمنين ! بئس ما أدَّبك معلِّمُك ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء : ٨٦] فلا حيَّيتني بأحسَنَ منها ولا رددتَّها . فقال

---

(١) الديوان : فكلُّ قويٍّ أو غنيٍّ فإنَّه .
(٢) الديوان : حين تصير ، وقال التبريزي في شرحه : تقديره : يصير حين تصير فما يعدوك .
(٣) سقط هذا البيت من نسخة آ واستدرك من ب ، ظا ، وقد تأخر في الديوان عمايليه . وترتيبه هنا كما ورد في تاريخ بغداد .
(٤) في آ وتاريخ بغداد : تشير ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا والديوان .
(٥) بعده في ط : ولعله إن اعتقد هذا في مخلوق ضعيف مسكين ضال مضل ، أن يكون له جهنم وساءت مصيراً .
(٦) في ط : ثمن صلتك .
(٧) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٥) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧١) .
(٨) تكملة من ب ، ظا .
(٩) « العَيْر » : الحمار .
(١٠) « البِرْذون » : ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب ، عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء ، وجمعها بَرَاذين .
(١١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧٣) .
(١٢) تاريخ بغداد (٤/ ١٤٦) .
(١٣) في ب ، ظا : عظمة ، وفي ط : عظيم .
(١٤) تاريخ بغداد (٤/ ١٥١ ـ ١٥٢) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧٧) .

القاضي أحمد بن أبي دُوَاد : يا أميرَ المؤمنين ، الرجلُ متكلِّم . فقال : ناظره . فقال له القاضي : ما تقولُ يا شيخُ في القرآن ، أمخلوق هو ؟ فقال له الشيخ : لِمَ[١] تنصفني ، المسألة لي . فقال : قل . فقال : هذا الذي تقوله علمَه رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ أو ما علموه ؟ فقال : لم يعلموه . قال : فأنتَ علمت ما لَمْ يعلَموا ؟ فخجل وسكت . ثم قال : أقلني ، بل علموه ، قال : فلم لا دعوا إليه الناسَ كما دعوتهم أنتَ ، أمَا وسعَكَ ما وسعهم ؟ فسكت ابن أبي دُوَاد . وأمر الواثق له بجائزة نحو من أربعمئة دينار .

قال المهتدي : فدخل أبي المنزل واستلقى على قفاه[٢] ، وجعل يكرِّرُ قولَ الشيخ على نفسه ، ويقول : أمَا وسِعَكَ ما وسعهم ؟ ثم أطلق[٣] الرجلَ وأعطاه أربعمئة دينار ، وردَّه إلى بلاده ، وسقط من عينه أحمد بنُ أبي دُوَاد ، ولم يمتحن بعدَه أحداً . رواه الخطيبُ[٤] البغدادي في « تاريخه » بإسنادٍ فيه بعضُ من لا أعرفه ، وساقها مطوَّلةً وفيها نكارة .

وقد أنشد ثعلبٌ عن أبي الحجَّاج الأعرابي ، أنَّه قال في ابن أبي دُوَاد :

نَكَسْتَ الدِّينَ يا بْنَ أبي دُوَاد ... فأصْبَحَ مَنْ أطَاعَكَ في ارْتِدَادِ
زَعَمْتَ كلامَ ربِّكَ كان خَلْقاً ... أمَا لَكَ عندَ ربِّكَ مِنْ مَعَادِ
كلامُ اللهِ أنزلَهُ بعلمٍ ... وأنزلَهُ على خَيْرِ العبادِ
ومَنْ أمْسَى ببابِكَ مستَضيفاً ... كَمَنْ حَلَّ الفَلاةَ بغيرِ زَادِ
لقدْ أطرفْتَ يا بْنَ أبي دُوادِ ... بقَوْلِكَ إنَّني رَجُلٌ إيادِي

ثم قال الخطيب[٥] : أنبأ القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري ، قال : أنشدنا المعافَى بن زكريا الجريري ، عن محمد بن يحيى الصّولي لبعضهم ، يهجو أحمد بن أبي دُوَاد :

لو كُنْتَ في الرأي منسُوباً إلى رَشَدِ ... وكَانَ عَزْمُكَ عَزْماً فيه توفيقُ
لكان في الفقه شغلٌ لو قَنِعْتَ به ... عن أن تقولَ : كتابُ الله مخلُوقُ
ماذا عَلَيْكَ وأصلُ الدِّين يجمَعُهُمْ ... ما كان في الفرع، لولا الجهلُ والمُوقُ

وقد تقدمت[٦] هذه الأبيات .

---

(١) في آ : لِم لا تنصفني .
(٢) في ط : « ظهره » ، وما هنا من ب ، ظا ، وتاريخ الخطيب .
(٣) في ب ، ظا : ثم أمر بإطلاق الرجل وإعطائه .
(٤) تاريخ بغداد (٤/ ١٥٢) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) تقدمت في حوادث سنة (٢٣٧) ، رواها ابن جرير الطبري ونسبها إلى أبي العتاهية .

وروى الخطيب[١] عن يحيى الجلاء أو أحمد بن الموفَّق أنه قال : ناظَرني رجلٌ من الواقِفيّة[٢] في خَلْق القرآن ، فنالني منه ما أكرَه ، فلما أمْسَيْتُ أتيْتُ امرأتي ، فوضعَتْ ليَ العشاء فلم أقدرْ أن أنالَ منه شيئاً . ونمت فرأيتُ رسولَ الله ﷺ في المسجد الجامع ، وهناك حَلْقة فيها أحمدُ بن حنبل وأصحابه ، [وحَلْقة فيها أحمد بن أبي دُوَاد وأصحابه][٣] ، فجعل رسولُ الله ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَآءِ ﴾ ويشير إلى حلقة ابن أبي دُوَاد ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] . ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه ، رحمهم الله .

وقال بعضهم : رأيت في المنام [ليلة مات أحمد بن أبي دُوَاد][٤] ، كأنَّ قائلاً يقول : هَلَكَ الليلةَ أحمدُ بن أبي دُوَاد . فقلت : وما سببُ هلاكه ؟ فقال : أغضَبَ اللهَ عليه فغضِبَ عليه من فوق سبع سماوات .

وقال بعضهم : رأيت في تلك الليلة كأنَّ النَّار زفرت زفرةً عظيمةً فخرج منها اللهب ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : هذه أُعِدَّت لابن أبي دُوَاد .

وقد كان موته في يوم السبت لسبع[٥] بقيت من المحرم من هذه السنة ، وصلَّى عليه ابنه العباس ، ودفن في داره ببغداد وعمره يومئذ ثمانون سنة . وكان قد فلج ، قبل موته بأربع سنين ، وبقي طريحاً في فراشه لا يقدر أن يحرِّكَ شيئاً من جسده[٦] .

وقد دخل عليه بعضهم فقال له : والله ما جئتك عائداً ، ولكن جئتك لأحمدَ الله عزَّ وجلَّ على أن سجنك في جسدك[٧] .

وقد صودر في العام الماضي بأموال جزيلة جداً[٨] ، كما تقدَّم[٩] بيانه .

قال ابن خلكان[١٠] : وقد كان مولده في سنة ستين ومئة .

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ١٥٣) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٧٦) . وفيهما : علي بن الموفق بخلاف الأصول .

(٢) « الواقفية » : فرقة من المتصوفة والمبْطلة .

(٣) زيادة في ب ، ظا .

(٤) زيادة من ب ، ظا .

(٥) في ظا : لتسع ، وفيات الأعيان (١/ ٩٠) .

(٦) بعدها في ط : وحرم لذة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك .

(٧) بعدها في ط : الذي هو أشد عليك عقوبة من كل سجن ، ثم خرج عنه داعياً عليه بأن يزيده الله ولا ينقصه مما هو فيه ، فازداد مرضاً إلى مرضه .

(٨) بعدها في ط : ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل .

(٩) تقدم في حوادث سنة (٢٣٧) .

(١٠) وفيات الأعيان (١/ ٨٩) .

قلت : فعلى هذا يكونُ أسنَّ من أحمد بن حنبل ، ومن يحيى بن أكثم الذي ذكر ابنُ خلكان أنَّه كان سبب اتصاله بالمأمون على يديه ، فحظي عنده بحيث إنه أوصَى به إلى أخيه المعتصم ، فولاه المعتصم القضاء ، وعزل ابن أكثم . وكان لا يقطع أمراً دونه ، فكان عنده خصيصاً ، ولاه القضاء والمظالم . وكان ابنُ الزيات الوزيرُ يبغضه ، وبينهما منافسات وهجو[١] كما تقدَّم .

وقد بالغ ابن خلكان[٢] في ترجمته ومدحه وقرَّظه وذكره من مآثره ومحاسنه ، فأطنَبَ وأكثر ، وما أطيب . ولم يذكر شيئاً من مساوئه ، بل ذكر امتحانه للإمام أحمد بن حنبل ذِكراً موجزاً بأطراف الأنامل ؛ وهي المحنة التي هي أسّ[٣] ما بعدها من المحن ، والفتنة التي فتحت على الناس أبواب الفتن .

وذكر [ابن خلكان][٤] ما ضُرب به من الفالج ، وما صُودِرَ به من المال ، وأن ابنَه أبا الوليد محمداً صُودِرَ بألف ألف دينارٍ ومئتي ألف دينار ، وأنَّه مات قبل أبيه بشهر .

وأما الحافظ ابنُ عساكر[٥] فإنَّه بسَطَ القول في ترجمته وشرحها شرحاً مليحاً .

وقد كان الرجل أديباً فصيحاً كريماً جواداً ممدَّحاً ، يؤثر العطاء على المنع ، والتفرقة على الجمع ، وقد روى [ابن عساكر][٦] بإسناده : أنَّه جلس يوماً مع أصحابه ينتظرون خروجَ الواثق ، فقال[٧] القاضي : إنَّه ليعجبني هذان البيتان :

ولـي نَظْـرَةٌ لَـوْ كـانَ يُحْبِـلُ نَـاظِـرٌ ... بِنَظْـرَتِـهِ أنْثَـى لَقَـدْ حَبِلَـتْ مِنِّـي

فإنْ وَلَدَتْ ما بَيْنَ[٨] تِسْعَةِ أَشْهُرٍ ... إلـى نَظَـري إبْنـاً فـإنَّ ابنَهـا مِنِّـي[٩]

ومِمن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أبو ثور ، إبراهيم بن خالد الكلبي[١٠] ، أحدُ الفقهاء المشاهير ؛ قال الإمام أحمد : هو عندنا في

---

(١) في ب ، ظا : هجر .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ٨١ ـ ٩١) .
(٣) في ب ، ظا : رأس . وأسُّ الشيء : أصله .
(٤) زيادة من (ط) : وفيات الأعيان (١/ ٨٩ ـ ٩٠) .
(٥) مختصر ابن عساكر لابن منظور (٣/ ٦٦ ـ ٧٨) .
(٦) زيادة من ط ، مختصر ابن عساكر (٣/ ٧٥) وفيه البيتان .
(٧) في ط : فقال ابن أبي دواد .
(٨) في ب ، ظا : من بعد .
(٩) في آ : إلى نظرٍ ، وفي مختصر ابن عساكر : إلى نظري أنثى فإن ابنها ابني .
(١٠) ويكنى أيضاً أبا عبد الله البغدادي ، مفتي العراق ، أحد الأعلام ، تفقه بالشافعي ، وبرع بالعلم ولم يقلِّد أحداً. سمع من سفيان بن عيينة وغيره . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٧٢) ، العبر (١/ ٤٣١) .

مِسْلاخ[١] الثوريّ .

وخليفةُ بنُ خيَّاط ، أحدُ أئمة التاريخ[٢] .

وسُوَيد بنُ سعيد الحَدَثاني[٣] .

وسُوَيد بنُ نَصْر[٤] .

وعبد السلام بن سعيد ، الملقب بسُحْنُون ، أحدُ فقهاء المالكية المشهورين .

وعبد الواحد بن غِياث[٥] .

وقتيبة بن سعيد ، شيخ الأئمة الستة[٦] .

وأبو العَمَيْثَل[٧] : عبد الله بن خُلَيْد[٨] ، كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره ، كان عالماً باللغة وله فيها مصنفات عديدة أورد منها القاضي ابن خلكان جملة . ومن شعره يمدَحُ عبدَ الله بن طاهر[٩] :

يا مَنْ يُحاوِلُ أنْ تَكُونَ صِفاتُهُ   كصفاتِ عبدِ اللهِ أنصِتْ واسْمَعِ
فلأنْصَحَنَّكَ في خِصالٍ والَّذي   حَجَّ الحَجيجُ إليه فاسْمَعْ أو دَعِ

---

(١) أي على هيئته وهديه وطريقته . والمِسْلاخ : الجلد . وفي حديث عائشة : ما رأيت امرأة أحبَّ إليَّ أن أكون في مِسلاخها من سَوْدَةَ ، تمنَّت أن تكون في مثل هديها وطريقتها . التاج : سلخ . والنهاية (٢/ ٣٨٩) .

(٢) أبو عمرو العُصْفُريُّ البصريّ ، المعروف بشَباب ، صاحب التاريخ والطبقات وغير ذلك . وعُصْفُر : فخذ من العرب . كان عالماً بالنسب والسِّير وأيام الناس ، من أبناء الثمانين . تهذيب الكمال (٨/ ٣١٤) ، والعبر (١/ ٤٣٢) .

(٣) سويد بن سعيد بن سهل بن شهريار ، أبو محمد الهَرَوي الحَدَثاني ، نزيل حديثة الفرات (حديثة النورة) ، بليدة تحت عانة ، وفوق الأنبار . محدّث مكثر ، صاحب حديث وعناية بهذا الشأن ، رحّال جوّال ، قال أبو حاتم : صدوق ، كثير التدليس . بلغ مئة سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤١٠) ، والعبر (١/ ٤٣٢) .

(٤) أبو الفضل المروزيّ ، ويعرف بالشاه ، إمام ، محدّث ، حدث عن ابن المبارك وابن عيينة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٠٨) ، والعبر (١/ ٤٣٢) .

(٥) عبد الواحد بن غياث المِربديّ البصري ، أبو بحر الصيرفي . ذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب التهذيب (٦/ ٤٣٨) .

(٦) في آ : أئمة السنة ، وفي ط : الأئمة والسنة ، وما أثبته من ب ، ظا . وهو قُتَيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي ، البلخي ، البَغلاني ، أبو رجاء . اسمه يحيى : وقيل : علي ، وقتيبة لقبه . سمع مالكاً والليث والكبار ، ورحل العلماء إليه من الأوطان . وكان محدِّث خراسان ، ثقة . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣) ، والعبر (١/ ٤٣٣) .

(٧) ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ٨٩) ، وسمط اللآلي (٣٠٨) ، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٠) .

(٨) في ط : « خالد » ، محرف .

(٩) وفيات الأعيان (٣/ ٨٩) ، ومرآة الجنان (٢/ ١٣٠) .

أَصْدُقْ وَعِفَّ وبرَّ واصْبِرْ واحْتَمِلْ ... واصْفَحْ وكافِ ودارِ[1] واحْلُمْ واشجعِ
والْطُفْ ولِنْ وتأنَّ وارْفُقْ واتئِدْ[2] ... واحْزُمْ وجِدّ وحَام واحمِلْ وادْفَعِ
فلقد محضْتُكَ إن قبلْتَ نَصِيحَتي ... وهُديتَ للنَّهجِ الأَسَدِّ المَهْيَعِ[3]

سُحْنُون المالكي صاحبُ المُدَوَّنة[4] : هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التَّنُوخيّ ، أصلُه من مدينة حمص ، فدخل به أبوه مع جندها بلادَ المغرب فأقام هنالك ، وانتهت إليه رياسة مذهب مالك هنالك .

وكان قد تفقَّه على ابن القاسم ، وسببه أنَّه قدم أسدُ بنُ الفرات المالكيُّ من بلاد العراق إلى بلاد مصر ، فسأل عبد الرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك عن أسئلة كثيرة فأجابه عنها ، فعَقَلَها عنه ، ودخل فيها بلادَ المغرب فانتسخها منه سُحْنون ، ثم قدمَ على ابن القاسم مصرَ فأعاد سُؤْلَه عنها ، فزاد فيها ونقص ، ورجع عن أشياء منها ، ورتَّبها سُحْنون ، ورجع بها إلى بلاد المغرب ، وكتب معه ابنُ القاسم إلى أسَد بن الفرات أن يعرض نسخته[5] على نسخة سُحْنون ويصلحَها بها فلم يقبَلْ ، فدعا[6] عليه ابنُ القاسم ، فلم ينتفع به ولا بكتابه ، وصارت الرحلة إلى سُحْنون ، وانتشرت عنه « المُدوَّنةُ » ، وساد أهلَ ذلك الزمان ؛ وتولَّى القضاء بالقيروان إلى أن توفي في هذه السنة عن ثمانين عاماً ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومئتين

في جمادى الآخرة من هذه السنة وثبَ أهلُ حمصَ أيضاً على عاملهم محمد بن عبدَوَيْه ، فأرادوا قتله ، وساعدهم نصارى أهلِه أيضاً عليه ، فكتب إلى الخليفة يُعلمه بذلك ، فكتب إليه يأمره بمناهضتهم ، وكتب إلى متولّي دمشق أن يمدَّه بجيشٍ من عنده ؛ ليساعده على أهل حِمْصَ ، وكتب إليه أن يضربَ ثلاثةً منهم معروفين بالشرِّ بالسّياط حتى يموتوا ، ثم يصلُبهم على أبواب البلد ، وأن يضربَ

---

(١) في ط : وكافىء دار .
(٢) « اتَّئِد » : تمهل .
(٣) « المَهْيَع » : الواضح البيِّن .
(٤) ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ١٨٠) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٣) ، والعبر (١/ ٤٣٢) ، وترتيب المدارك (٢/ ٥٨٥) ، والديباج المذهب (٢/ ٣٠) ، رياض النفوس (١/ ٢٤٩) ، مرآة الجنان (٢/ ١٣١) .
وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء تفسير « سحنون » بأنه اسم طائرٍ بالمغرب ، يوصف بالفطنة والتحرُّز ، وهو بفتح السين وضمِّها .
(٥) وهي المسماة الأسديّة .
(٦) في سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٦) : قال : اللهم لا تُبارك في الأسديّة ، فهي مرفوضة عند المالكية ، وخبر المسائل الأسدية في ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٤٦٩) وما بعدها .

عشرين آخرين منهم ، كلّ واحدٍ منهم ثلاثمئة ثلاثمئة ، وأن يرسلهم إلى سامرّا مقيَّدين في الحديد ، وأن يخرج كلَّ نصرانيٍّ بها ، وأن يهدمَ كنيستها العظمى التي إلى جانب المسجد الجامع ، ويضيفها إليه ، وأمر له بخمسين ألف درهم ، وللأمراء الذين ساعدوه بصِلات سنيَّة ، فامتثل ما أمره به الخليفةُ في أهل حمصَ .

وفي هذه السنة ضُرب رجلٌ ببغداد يقال له : عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم[١] ، ضرباً شديداً مبرِّحاً ، يقال : إنه ضرب ألف سوط حتى مات ، وذلك لأنه شهدَ عليه سبعةَ عشرَ رجلاً عند قاضي الشرقية أبي حسّان الزيادي أنه يشتم[٢] أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة ، رضي الله عنهم أجمعين . فرفع أمره إلى الخليفة ، فجاء كتابُ الخليفة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين نائب بغداد يأمره أن يضرب هذا الرجل بين الناس حدَّ السّب ، ويضرب بالسّياط حتَّى يموت ، ويلقى في دجلة ولا يصلّى عليه ، ليرتدع بذلك أهلُ الإلحاد والمعاندة ، ففعل معه ذلك ، قبّحه الله ولعنه . ومثل هذا يكفّر إن كان قد قذف عائشة أمّ المؤمنين بالإجماع ، ومن[٣] قذف من سواها من أمهات المؤمنين قولان ، والصحيح أنَّه يكفّر أيضاً ، لأنهن أزواج رسول الله ﷺ .

قال ابن جرير[٤] : وفي هذه السنة انقضّت الكواكب ببغداد وتناثرت ، وذلك ليلة الخميس لليلة خلت من جمادى الآخرة .

قال[٥] : وفيها : مُطِر الناس في آب مطراً[٦] شديداً جداً .

قال[٧] : وفيها مات شيء كثير من الدّواب والبقر .

قال[٨] : وفيها أغارت الرّوم على عَين زَربى[٩] فأسَروا مَنْ بها من الزّطّ ، وأخذوا نساءهم وذراريّهم ودوابهم .

---

(١) أضاف الطبري بعده : صاحب خاقان عاصم ببغداد .
(٢) في ب ، ظا والطبري : شتم .
(٣) في ب ، ظا : وفي قذف ، وفي ط : وفيمن .
(٤) تاريخ الطبري (٩/ ٢٠١) .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ٢٠٠) .
(٦) في آ ، ظا : مطر شديد .
(٧) تاريخ الطبري (٩/ ٢٠١) ونصه فيه : وفيها وقع بها الصدام فنفقت الدواب والبقر .
(٨) الطبري (٩/ ٢٠١) .
(٩) عين زربى : بلد بالثغر من نواحي المصيصة . ياقوت .

قال[1] : وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم ، وكان ذلك ببلاد طَرَسُوسَ بحضرة قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد ، عن إذن الخليفة له في ذلك ، واستنابته ابن أبي الشّوارب . فكان عدة الأسرى من المسلمين سبعمئة وخمسة وثمانين رجلاً ، ومن النساء مئة وخمساً وعشرين امرأة ، وقد كانت أم الملك تَدُورة ـ لعنها الله ـ عرضت النّصرانية على من كان في يدها من الأسرى ، وكانوا نحواً من عشرين ألفاً ، فمن أجابها إلى النصرانية وإلا قتلته ، فقتلت اثني عشر ألفاً وتنصّر بعضهم ، وبقي منهم هؤلاء الذين ذكرناهم ، وهم قريبٌ من التسعمئة رجالاً ونساءً .

وفيها : أغارت البُجَة على حرسٍ من أرض مصر ، وقد كانت البُجَة لا يغزون المسلمين قبل هذا ، لهدنة كانت لهم من المسلمين . فنقضوا الهدنة وصارحوا بالمخالفة . والبُجَة طائفة من سودان بلاد المغرب ، وكذا النوبة والفرويّة وثنيون وزعرير وبكسوم ، وأمم كثيرون لا يعلمهم إلا الذي خلقهم . وفي بلاد هؤلاء معادن الذهب والجوهر ، وكان عليهم حمل في كلِّ سنة إلى ديار مصر من هذه المعادن .

فلما كانت دولة المتوكِّل امتنعوا من أداء ما عليهم سنين متعددة ، فكتب نائب مصر ـ وهو يعقوب بن إبراهيم الباذغيسيّ مولى الهادي ، وهو المعروف بقوصرة ـ بذلك كلِّه إلى المتوكِّل ، فغضب الخليفة من ذلك غضباً شديداً ، وشاور في أمر البُجَة ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ! إنهم قوم أهل إبلٍ وبادية ، وإنَّ بلادهم بعيدة ومعطشة ، ويحتاج الجيش الذاهبون إليها أن يتزوَّدوا لمقامهم بها طعاماً وماءً ؛ فصدَّه ذلك عن البعث إليهم .

ثم بلغه أنهم يغيرون على أطراف الصعيد ، وخشيَ أهلُ مصرَ على أنفسهم منهم ، فجهَّز لحربهم محمد بن عبد الله القُمِّيّ ، وجعل إليه نيابة تلك البلاد كلّها المتاخمة لأرضهم ، وكتب إلى عمال مصر أن يعينوه بجميع ما يحتاج إليه من الطعام وغير ذلك ، فتخلص معه من الجيوش الذين انضافوا إليه من تلك البلاد حتى دخل بلادهم في عشرين ألفَ فارسٍ وراجلٍ ، وحمل معه الطعام والإدام في مراكبَ سبعةٍ ، وأمر الذين هم بها أن يلجُّوا بها في البحر ، ثم يوافوه بها إذا توسط بلاد البُجَة ، ثم سار حتَّى دخل بلادهم ، وجاوز معادنهم ، وأقبل إليه ملك البُجَى ـ واسمه علي بابا ـ في جمع عظيم أضعاف مَن مع محمد بن عبد الله القُمِّيّ ، وهم قوم مشركون يعبدون الأصنام ، فجعل الملك يطاول المسلمين في القتال ، لعله تنفَدُ أزوادُهم فيأخذونهم بالأيدي ، فلمَّا نفِدَ ما عند المسلمين ، وطمع فيهم السودان يسَّر الله وله الحمد بوصول تلك المراكب ، وفيها من الطعام والتمر والزيت وغير ذلك ممَّا يحتاجون إليه شيء كثير جداً ، فقسَّمه الأمير بين المسلمين بحسب حاجاتهم ، فيئس السودان من هلاك المسلمين بالجوع ،

---

(١) الطبري (٩/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) .

فشرعوا في التأهُّب لقتال المسلمين ، وكانوا يركبون على إبلٍ شبيهة بالهُجُنِ ، زَعِرة[١] جداً ، كثيرة النِّفار ، لا تكاد ترى شيئاً [ولا تسمع شيئاً][٢] إلا جفلت منه .

فلما كان يوم الحرب عمد الأميرُ إلى جميعِ الأجراس التي معهم في الجيش فجعلَها في رقاب الخيل ، فلمَّا كانت الوقعة حمل المسلمون حملةَ رجلٍ واحدٍ[٣] ، ونفرت إبلهم من أصوات تلك الأجراس في كلِّ وجهٍ ، وتفرَّقوا شذَر مذَرَ ، وأتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤوا ، لا يمتنع منهم أحد ، فلا يعلم عدد من قتلوا منهم إلا الله عزَّ وجلَّ . ثم أصبحوا وقد اجتمعوا رجَّالة فكبسهم القُمِّيّ من حيث لا يشعرون ، فقتل عامَّة مَن بقي ، وأخذ الملِكَ بالأمان ، وأدَّى ما كان عليه من الحمل ، وأخذه معه أسيراً إلى الخليفة .

وكانت هذه الوقعة في أوَّل يوم من هذه السنة ، وكان وصوله إلى الخليفة في أواخر هذه السنة ، فولاه الخليفة على بلاده كما كان ، وجعل إلى ابن القُمِّيّ أمْرَ تلك الناحية ، والنَّظَر في أمرها ، ولله الحمدُ والمنة .

قال ابن جرير[٤] : ومات في هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقَوْصَرَة في جمادى الآخرة .

قلت : وهذا الرجل كان نائباً على الديار المصرية من جهة المتوكل على الله .

قال[٥] : وحجَّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن داود ، وحجَّ جعفر بن دينار فيها ، وهو والي طريق مكة وأحداث الموسم .

ولم يتعرَّض ابنُ جرير لوفاةِ أحدٍ من المحدّثين في هذه السنة .

وقد توفي فيها من الأعيان :

الإمام أحمد بن حنبل .

وجُبَارة بن المُغَلِّس الحِمَّاني[٦] .

وأبو تَوْبَة الحَلَبي[٧] .

---

(١) « الهجان من الإبل » : البيضاء الخالصة اللون ، من نوق هُجُن . و« زَعِرة » : قليلة الشعر .
(٢) زيادة من ط .
(٣) بعدها في ب ، ظا : وهرب السودان فرار رجل واحد .
(٤) تاريخ الطبري (٩/ ٢٠٦) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) أبو محمد الحِمّاني ، الكوفي ، الشيخ المعمَّر المحدّث ، قال البخاري : حديثه مضطرب . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٥٠) ، وتهذيب الكمال (٤/ ٤٨٩) .
(٧) واسمه الربيع بن نافع ، نزيل طَرَسوس ، ثقة ، حافظ ، سمع معاوية بن سلام وشريكاً القاضي والكبار . وهو من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٣) ، والعبر (١/ ٤٣٦) .

والحسن[١] بن حمَّاد سَجَّادَة .

ويعقوب بن حُميد بن كاسِب[٢] .

ولنذكر شيئاً من أخبار :

الإمام أحمد بن حنبل[٣] رحمه الله

[فضائله ، ومناقبه ، ومآثره ، على سبيل الاختصار][٤] : فنقول وبالله المستعان : أحمد بن محمد بن حَنْبَل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيَّان بن عبد الله بن أنس بن عَوْف بن قاسِط بن مازن بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط به هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان بن أُدّ بن أُدَد بن الهَمَيْسَع[٥] بن النبت[٦] بن قَيْذار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل [عليهما السلام][٧] ، أبو عبد الله الشيباني المروزيّ ثم البغدادي ، هكذا ساق نسبه الحافظُ الكبير أبو بكر البيهقي ، رحمه الله في الكتاب الذي جمعه في مناقب الإمام أحمد عن شيخه الحافظ أبي عبد الله الحاكم ، صاحب « المستدرك »[٨] .

---

(١) في النسخ : عيسى ، وفي ظا : عيسى بن حمَّاد وسَجَّادة ، ولعله سهو من النساخ . وهو الحسن بن حمَّاد بن كُسَيْب الحَضْرميّ ، أبو علي البغدادي ، المعروف بسَجَّادَة ، كان ثقة وصاحب سنة . كان من جِلة العلماء وثقاتهم في زمانهم . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩٢) ، والعبر (١/ ٤٣٥) ، وتهذيب الكمال (٦/ ١٢٩) . وأما عيسى بن حمّاد ، فهو المعروف بزُغْبَة ، وقد توفي سنة ثمان وأربعين ومئتين .

(٢) أبو الفضل المدني ، نزيل مكة ، المحدِّث الكبير ، صدوق ، ربما وهم . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٥٨) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٧٥) ، حلية الأولياء (٩/ ١٦١) .

(٣) ترجم له عدد كبير من مؤلفي كتب التراجم ، وتاريخ بغداد (٤/ ٤١٢) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، الجزء السابع ص(٢١٨ ـ ٢٩٦) ، ومختصره لابن منظور (٣/ ٢٤٠ ـ ٢٥٧) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧) ، والأعلام (١/ ٢٠٣) .

(٤) زيادة من ب ، ظا .

(٥) بعد هذا في ط : « بن حمل » ، وليس في شيء من النسخ ، ولا فيما نقله الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/ ٢٥٦) ، وجاء ذكره في غير هذا الطريق ، وفي عمود نسبه اختلاف ينظر في مصادر ترجمته .

(٦) في النسخ : ثابت ، وأثبت ما جاء في ط والمصادر .

(٧) زيادة من ط .

(٨) تاريخ بغداد (٤/ ٤١٣) ، تاريخ دمشق لابن عساكر ، الجزء السابع (ص٢١٨) وما بعدها ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٨) .

وروي عن صالح ابن الإمام أحمد قال : رأى أبي هذا النسب في كتاب لي ، فقال : وما يصنع بهذا ؟ ولم يُنكر النسب[١] .

قالوا : وقدم به أبوه من مَرْو وهو حَمْل ، فوضعته أمُّه ببغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومئة ، وتوفي أبوه وهو ابنُ ثلاث سنين ، فكفلته أمُّه .

قال صالح عن أبيه : فثقبَتْ أذنيّ وجعلَتْ فيها[٢] لؤلؤتين ، فلمَّا كبِرْتُ دفعتهما إليَّ فبعتهما بثلاثين درهماً .

وتوفي أبو عبد الله أحمد بن حَنْبل في يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين[٣] ، وله من العمر سبع وسبعون سنة ، رحمه الله .

وقد كان في حداثته[٤] يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف ، ثم ترك ذلك وأقبلَ على سماع الحديث ، فكان أوّل طلبه الحديث وأوّل سماعه من مشايخه في سنة تسع وسبعين ومئة ، وله من العمر ست عشرة [سنة] ، وحجَّ أوّل حجة حجَّها في سنة سبع وثمانين ومئة ، ثم في سنة إحدى وتسعين ؛ وفيها حجَّ الوليد بن مُسلم ، ثم في سنة ست وتسعين ، وجاور في سنة سبعِ وتسعين ، ثم حجَّ في سنة ثمان وتسعين وجاور إلى سنة تسع وتسعين عند عبد الرزاق باليمن ، فكتب عنه هو ويحيى بن معين . وإسحاق بن رَاهَوَيْه .

قال الإمام أحمد[٥] : حججت خمس حجج ، منها ثلاث راجلاً ، أنفقتُ في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهماً .

قال : وقد ضللْتُ في بعض هذه الحجج عن الطريق وأنا ماشٍ ، فجعلت أقول : يا عبادَ الله دلّونا على الطريق ، فلم أزل أقولُ ذلك حتى وقفت[٦] على الطريق .

قال : وخرجْتُ إلى الكوفة ، فكنتُ في بيتٍ تحت رأسي لَبِنةٌ ، ولو كان عندي خمسون[٧] درهماً

---

(١) ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٢١) .
(٢) في آ : فيه ، وفي سير أعلام النبلاء : فيهما ، وهو الصواب (ع) .
(٣) بعده في ابن عساكر : صلّى عليه محمد بن عبد الله بن طاهر ، أمير بغداد ، ودُفن بباب حرب .
(٤) في آ : بدايته .
(٥) تاريخ ابن عساكر (الجزء السابق/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .
(٦) في ب ، ظا : وقعت ، لم يكن من عادة الإمام أحمد ، أن ينادي عباد الله ، وإنما ينادي الله فقط . قال رسول الله ﷺ : إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله (ع) .
(٧) في آ : تسعين ، وفي ط : تسعون .

كنت رحلت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الريّ ، وخرج بعضُ أصحابنا ولم يُمكنّي الخروج ؛ لأنَّه لم يكن عندي .

وقال ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن حَرْمَلة ، قال : سمعت الشافعي يقول : وعدني أحمدُ بن حَنْبل أن يقدمَ علي مصر .

قال ابن أبي حاتم : يشبه أن تكون خِفَّةُ ذاتِ اليد حالت بينه وبين الوفاء بالعدة .

وقد طاف أحمد بن حنبل في البلاد والآفاق ، وسمع من مشايخ العصر ، وكانوا يجلُّونه ، ويحترمونه في حال سماعه منهم ، وقد سرد شيخُنا في « تهذيبه »[١] أسماء شيوخه مرتبين على حروف المعجم ، وكذلك الرواة عنه .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي بعد أن ذكر جماعة من شيوخ الإمام أحمد : وقد أكثر أحمد بن حنبل في « المسند » وغيره الرواية عن الشافعي ، وأخذ عنه جملةً من كلامه في أنساب قريش ، وأخذ عنه من الفقه ما هو مشهور ، وحين توفي أحمد وجدوا في تركته رسالتي الشافعي القديمة والجديدة[٢] .

قلت : قد أفرد ما رواه الإمام أحمد عن الشافعيّ ، وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثاً ؛ ومن أحسن ما رويناه عن الإمام أحمد[٣] ، عن الإمام الشافعي ، عن الإمام مالك بن أنس ، عن الزهريّ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « نَسَمَةُ المُؤمِنِ طائرٌ يَعْلُق في شجر الجنَّة حتى يرجعَه الله إلى جَسَدِه يوم يَبْعَثُهُ »[٤] . وقد قال له الشافعي لما اجتمع به في الرحلة الثانية إلى بغداد بعد سنة تسعين ومئة ، وعمر أحمد إذ ذاك نيف وثلاثون سنة ؛ قال له : يا أبا عبد الله ، إذا صحَّ عندكم الحديثُ فأعلِمْني أذهب إليه ، حجازياً كان ، أو شامياً أو عراقياً ، أو يمنيّاً . يعني أنه لا يقول بقول فقهاء الحجاز الذين لا يقبلون إلا رواية الحجازيين ، ويُنزلون أحاديث مَن سواهم منزلةَ أحاديث أهل الكتاب . وقول الشافعيّ له هذه المقالة تعظيمٌ لأحمدَ وإجلالٌ له ، وأنه عنده بهذه المثابة إذا صحَّح أو ضعَّف يرجع إليه في ذلك .

وقد كان الإمام أحمد بهذه المثابة عند الأئمة والعلماء ، كما سيأتي ثناء الأئمة عليه ، واعترافهم له

---

(١) تهذيب الكمال للحافظ المِزّي (١/ ٤٣٧ ـ ٤٤٢) .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٨٦) وما بعدها .

(٣) في مسنده (٣/ ٤٥٥) .

(٤) رواه النسائي في الجنائز ، باب أرواح المؤمنين (٤/ ١٠٨) ، والإمام أحمد في مسنده (٦/ ٣٨٦) ، وفي الموطأ (١/ ٢٤٠) في الجنائز ، باب جامع الجنائز . ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٤٢٧١) في الزهد ، باب ذكر القبر والبلى ، وهو حديث صحيح .

بعلوّ المكانة وارتفاع المنزلة في العلم ، رحمهم الله . وقد بعُد صيتُه في زمانه ، واشتهر اسمُه في شبيبته في الآفاق .

ثم حكى البيهقي كلام أحمد في الإيمان وأنه قول وعمل يزيد وينقص ، وكلامه في أنَّ القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق ، وإنكاره على من يقول : إنَّ لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن .

قال : وفيها[١] حكى أبو عمارة وأبو جعفر ، أنبا[٢] أحمد شيخنا السراج عن أحمد أنه قال : اللفظ محدَث ، واستدلَّ بقوله : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] . قال : فاللفظ كلام الآدميين .

وروى غيرهما عن أحمد أنه قال : القرآن كيف ما تصرف غيرُ مخلوق ، وأمَّا أفعالنا فهي مخلوقة .

قلت : وقد قرر البخاريُّ هذا المعنى في « أفعال العباد » وذكره أيضاً في الصحيح ، واستدلَّ بقوله ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم »[٣] ، ولهذا قال غيرُ واحد من الأئمة : الصوت صوت القاري ، والكلام كلام الباري . وقد قرر البيهقيّ ذلك أيضاً[٤] .

ثم ذكر البيهقيُّ كلامَ الإمام أحمد في إثبات رؤية الله في الدَّار الآخرة ، واحتجَّ بحديث صُهيب الرومي في الرؤية[٥] وهي الزيادة ، وكلامه في نفي التشبيه ، وترك الخَوْض في الكلام ، والتمسّك بما ورد في الكتاب والسنة من الآثار عن النبي ﷺ وأصحابه .

---

(١) كذا في ط ، وفي ظا : وفيما .

(٢) في ب ، ظا : حكاه .

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٣٣ و٣٤) وأبو داود رقم (١٤٦٨) في الصلاة ، باب استحباب الترتيل في القراءة ، والنسائي (٢/ ١٧٩ ، ١٨٠) في الصلاة ، باب تزيين القرآن بالصوت ، والدارمي (٢/ ٤٧٤) ، وأحمد (٤/ ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤) ، وابن ماجه رقم (١٣٤٢) وصححه ابن حبان والحاكم ، وهو حديث صحيح من حديث البراء بن عازب (ع) .
قال الخطابي في قوله : « زينوا القرآن بأصواتكم » قد فسّره غير واحد من أئمة الحديث : زينوا أصواتكم بالقرآن ، وقالوا : هذا من باب المقلوب .

(٤) زِيدَ في المطبوع عن البيهقي ما نصه :
وروى البيهقي من طريق إسماعيل بن محمد بن إسماعيل السلمي ، عن أحمد أنه قال : من قال : القرآن محدث فهو كافر . ومن طريق أبي الحسن الميموني عن أحمد أنه أجاب الجهميّة حين احتجوا عليه بقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢] . قال : يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث ، لا الذكر نفسه هو المحدث . وعن حنبل ، عن أحمد ، أنه قال : يحتمل أن يكون ذكر آخر غير القرآن ، وهو ذكر رسول الله ﷺ ، أو وعظه إياهم .

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٣٢ و٦/ ١٥) ، ومسلم في صحيحه رقم (١٨١) : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر بن عياش ، حدَّثنا عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ قال : ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيىء[١] . وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر ، رضي الله عنه ، إسناد صحيح[٢] .

قلت : وهذا الأثر فيه حكاية إجماعٍ عن الصحابة في تقديم الصِّدِّيق ، رضي الله عنه . والأمر كما قاله ابنُ مسعود ، رضي الله عنه ، وقد نصَّ على ذلك غيرُ واحد من الأئمة .

قال الإمام أحمد بن حنبل حين اجتاز بحمصَ ، وقد حُمل إلى المأمون في زمن المحنة ، ودخل عليه عمرو بن عثمان الحمصي ، فقال له : ما تقولُ في الخلافة ؟ فقال الإمام أحمد : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ومن قدَّم علياً على عثمان فقد أزرى بأصحاب الشورى ، لأنهم قدَّموا عثمان رضي الله عنه[٣] .

فصل في ورعه وزهده وتقشفه رحمه الله ورضي عنه

روى البيهقي من طريق المُزني ، عن الشافعي ، أنه قال للرشيد : إن اليمن تحتاج إلى قاضٍ ، فقال له : اختَرْ من نولِّه إياه . وأنَّ الشافعي قال لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من يأخذ عنه[٤] ، فامتنعَ من ذلك شديداً ، وقال : إنِّي إنَّما أختلِفُ إليك للعلم ، أفتأمرني أن أليَ القضاء ؟ فاستحيا الشافعي[٥] .

وروى أنه كان لا يصلي خلفَ عمِّه إسحاق بن حنبل ، ولا خلف بنيه ، ولا يكلِّمهم أيضاً ؛ لأنَّهم أخذوا جائزة السلطان .

ومكث مرة ثلاثة أيام لم يحصل له ما يأكله ، حتى بعث إلى بعض أصحابه فاستقرض منه دقيقاً ، فعرف أهله حاجته إلى الطعام ، فعجَّلوا وعجنوا وخبزوا له سريعاً ، فقال : ما هذه العجلة ! كيف خبزتم سريعاً ؟ فقالوا : وجدنا تنُّور بيتِ صالح[٦] مسجوراً ، فخبزنا لك فيه . فقال : ارفعوا ، ولم يأكل ، وأمر بسدّ بابه إلى دار صالح .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٧٩) ، رقم (٣٦٠٠) وأبو داود الطيالسي صفحة (٣٣) ورواه البزار والطبراني وأبو نعيم في الحلية ، موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه ، (ع) .

(٢) هذا اجتهاده رحمه الله ، لكن عاصم بن أبي النجود حسن الحديث لا يرتقي حديثه إلى مراتب الصحيح (بشار) .

(٣) ب ، ظا : عنهم .

(٤) بعده في ط : ألا تقبل قضاء اليمن؟ .

(٥) تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٣٧) .

(٦) زاد ابن عساكر في تاريخه (الجزء السابع/ ٢٦١) : ابنه .

قال البيهقي : لأن صالحاً أخذ جائزة المتوكل على الله .

وقال عبد الله : مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يوماً لم يأكل فيها إلا ربع مدّ سويقاً ، يفطر بعد كل ثلاث ليال على سُفَّةٍ[١] منه حتى رجع إلى بيته ، ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر ، رأيت موقيه دخلا[٢] في حدقتيه .

قال البيهقي : وقد كان الخليفة يبعث من مائدته[٣] شيئاً كثيراً ، وكان أحمد لا يتناول من طعامه شيئاً . وبعث الخليفة المأمون مرة ذهباً ليقسم على أصحاب الحديث ، فما بقي منهم أحدٌ إلا أحمدَ بن حنبل ، فإنَّه أبَى .

وقال سُلَيمان الشَّاذَكوني : حضرت أحمد وقد رهن سطلاً له عند فامِيٍّ[٤] باليمن ، فلمَّا جاءه بفكاكه أخرج إليه سطلين ، فقال : خذ متاعك ، فاشتبه عليه أيُّهما الذي له ، فقال له : أنت في حِلٍّ منه ومن الفِكاك ، وتركه[٥] .

وحكى عبد الله ، قال : كنا في زمن الواثق في ضِيقٍ شديد ، فكتب رجل إلى أبي : إنَّ عندي أربعة آلاف درهم ورثتها من أبي ، وليست صدقة ولا زكاة ، فإن رأيت أن تقبلها مني ؟ فامتنع من ذلك ، وكرَّر عليه فأبَى ، فلمَّا كان بعد حين ذكرنا ذلك فقال : لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت[٦] .

وعرض عليه بعضُ التجار عشرة آلاف درهم ربحها من بضاعة جعلَها باسمه ، فأبَى عن أن يقبلها ، وقال : نحن في كفايةٍ ، وجزاكَ اللهُ عن قَصْدِك خيراً .

وعرض عليه تاجر آخرُ ثلاثة آلاف دينار ، فامتنع من قبولها ، وقام وتركه .

ونفِدَتْ نفقة أحمدَ وهو في اليمن فعرض عليه شيخُه عبدُ الرَّزَّاق ملءَ كفِّه دنانير ، فقال : نحن في كفاية ، ولم يقبلْها .

وسُرقت ثيابه وهو باليمن ، فجلس في بيته ، ورَدَّ عليه الباب ، وفقده أصحابه فجاؤوا إليه فسألوه فأخبرهم ، فعرضوا عليه ذهباً فلم يقبلْه ولم يأخذ منهم إلا ديناراً واحداً ؛ ليكتبَ لهم به ، فكَتَبَ لهم بالأجر ، رحمه الله .

---

(١) « سُفَّة من سويق » : أي حبَّة وقبضة منه .
(٢) في آ : دخلتا ، وفي ظ : دخل . والمثبت من ب ، ط . تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٦٠) .
(٣) في آ : لمائدته .
(٤) « الفامِيّ » : بائع الفُوم ، مغيَّر عن فُومي . وهو بائع الحِمّص ، لغة شامية . اللسان (فوم) .
(٥) تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٦١) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠٣) .
(٦) في ط : ذهبت وأكلناها .

وقال أبو داود : كانت مجالس[١] أحمدَ مجالسَ الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قطّ .

وروى البيهقي عن الإمام أحمد أنه سئل عن التوكّل ، فقال : هو قطعُ الاستشرافِ باليأس من الناس ، فقيل : هل من حجَّةٍ على هذا ؟ قال : نعم ! إن إبراهيم لمَّا رُمِيَ[٢] به من المنجنيق عَرَضَ له جبريل ، فقال : هل لكَ من حاجة ؟ قال : أمَّا إليك فلا[٣] ، قال : فَسَلْ من لك إليه الحاجة ؛ قال : أَحَبُّ الأَمْرَيْنِ إليَّ أحبُّهما إليه[٤] .

وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب الصفَّار ، قال : كنَّا مع أحمد بن حنبل بِسُرَّ مَن رأى ، فقلنا : ادعُ الله لنا ، فقال : اللهم ، إنَّك تعلم أنَّا نعلم أنك لنا على أكثر مما نحبُّ ، فاجعلنا على ما تحبُّ دائماً ، ثم سكت . فقلنا : زِدْنا ، فقال : اللهم ، إنا نسألك بالقدرة التي قلت للسماوات والأرض : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] . اللهم ، وفقنا لمرضاتك ، اللهم ، إنَّا نعوذُ بكَ من الفقر إلا إليك ، ونعوذُ بك من الذلِّ إلا لك ، اللهم ، لا تكثر فنطغَى ولا تقلّ علينا فننسَى ، وهَبْ لنا من رحمتك وسَعَةِ رزقك ما يكونُ بلاغاً في دنياك[٥] ، وغنىً من فضلك .

قال البيهقي : وفي حكاية أبي الفضل التَّميميّ ، عن أحمد : وكان دعاؤه في السجود : اللهم ، من كان من هذه الأئمة على غير الحقِّ وهو يظنُّ أنَّه على الحقّ فَرُدَّه إلى الحقِّ ؛ ليكون من أهل الحقِّ . وكان يقول : اللهم ، إن قبلت من عصاة أمَّةِ محمّدٍ ﷺ فداءً ، فاجعلني فداءً لهم .

وقال صالح بن الإمام أحمد : كان أبي لا يدع أحداً يستقي له الماء للوضوء ، بل كان يلي ذلك بنفسه ، فإذا خرج الدَّلْو ملآ[٦] ، قال : الحمدُ لله . فقلْتُ : يا أبة ، ما الفائدةُ في ذلك ؟ فقال : يا بنيَّ ، أمَا سمعْتَ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك : ٣٠] . والأخبار عنه في هذا الباب كثيرة جداً .

وقد صنف أحمد في الزهد كتاباً حافلاً عظيماً لم يسبق إلى مثله ، ولم يلحقه أحدٌ فيه . والمظنون ،

---

(١) في آ ، بك مجالسة أحمد مجالسة ، وأثبت ما جاء في ط .

(٢) في ط : رمي به في النار في المنجنيق .

(٣) لقد ذكر هذا المعنى البغوي في تفسير سورة الأنبياء وضعفه ، وروي مثله عن كعب الأحبار ، وهو من الإسرائيليات ، وليس له أصل في السنة بل هو مخالف ، لأن الدعاء مشروع ، وفيه عبودية لله تعالى (ع) .

(٤) تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٦٧)

(٥) في ط : دنيانا .

(٦) أراد مَلآن فخفَّف .

بل المقطوعُ به : أنَّه يأخذ بما أمكنه من ذلك رحمه الله ، وأكرم مثواه ، وجعل جنَّات الفردوس منقلبه ومأواه .

وقال إسماعيل بن إسحاق السرّاج : قال لي أحمد بن حنبل : هل تستطيع أن تريني الحارث المُحَاسبي إذا جاء منزلك ؟ فقلت : نعم ! وفرحت بذلك ، ثم ذهبت إلى الحارث ، فقلت له : إني أحبُّ أن تحضر الليلة أنت وأصحابك . فقال : إنهم كثير فأحضرْ لهم التمر والكُسْبَ[١] . فلما كان بين العشاءين جاؤوا ، وكان الإمام أحمد قد سبقهم ، فجلس في غرفةٍ[٢] ، فلمَّا صلَّوا العشاء لم يصلُّوا بعدها شيئاً ، حتَّى جاؤوا فجلسوا بين يدي الحارث سكوتاً[٣] كأنَّما على رؤوسهم الطير ، حتى كان قريباً[٤] من نصف الليل ، ثم سأله رجل عن مسألةٍ ، فشرع الحارث يتكلم فيما يتعلَّق بالزهد والوعظ ، فجعل هذا يبكي ، وهذا يئنُّ ، وهذا يَزْعَقُ . قال : فصعِدت الغرفة ، فإذا الإمام أحمد بن حنبل يبكي ، حتَّى كاد يغشى عليه ، ثم لم يزالوا كذلك حتَّى الصباح . فلمَّا أراد الانصراف قلتُ : كيف رأيْتَ هؤلاء يا أبا عبد الله ؟ فقال : ما رأيت أحداً يتكلَّمُ في الزُّهد مثل هذا الرجل ، وما رأيت مثلَ هؤلاء ، ومع هذا فلا أرى لك أن تجتمعَ بهم .

قال البيهقي : يحتمل أنه كره له صحبتهم ؛ لأن الحارث بن أسد ، وإن كان زاهداً ، لكنه كان عنده شيء من علم الكلام ، وكان أحمد يكره ذلك . أو لعله كره له أن يصحبهم ولا يدرك شأوهم ، والله أعلم .

قلت : بل إنَّما كره ذلك لأن في كلام بعض هؤلاء من التقشُّف الذي لم يرد به الشرعُ والتدقيق والتنقير[٥] والمحاسبة البليغة ما لم يأت به أمرٌ ، ولهذا لمَّا وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الحارث بن أسد المسمَّى بـ « الرعاية » ، قال : هذا بِدعة ؛ ثم قال للرجل الذي جاء به : عليك بما كان عليه مالكٌ والثوريُّ والأوزاعيّ والليث بن سعد ، وَدَعْ هذا ، فإنَّه بِدْعَةٌ .

وقال إبراهيم الحربي : سمعت أحمد يقول : إن أحببت أن يدومَ الله لك على ما تحبُّ فدُمْ له على ما يحبُّ . كان يقول : الصَّبرُ على الفقر مرتبةٌ لا ينالها إلا الأكابر .

وكان يقول : الفقر أشرفُ من الغنى ، فإنَّ الصبر عليه أعظم مرارةً ، وانزعاجه أعظمُ حالاً من الشكر[٦] .

---

(١) « الكُسْب » : عصارة الدهن ، وثُفل بزور القطن والكتان والسمسم بعد عصرها .
(٢) بعدها في ط : بحيث يراهم ويسمع كلامهم ولا يرونه .
(٣) بعدها في ط : مطرقي الرؤوس .
(٤) في آ ، ب : قريب ، وأثبت ما جاء في ظا ، ط .
(٥) « التنقير عن الأمر » : البحث عنه .
(٦) بعده في ط : وقال : لا أعدل بفضل الفقر شيئاً .

وكان يقول : على العبد أن يقبلَ الرِّزقَ بعد اليأس ، ولا يقبله إذا تقدَّمه طمع[١] . وكان يحب التقلُّل طلباً[٢] لخفَّة الحساب .

وقال إبراهيم : قال رجل لأحمد : هذا العلم تعلَّمْتَه لله ؟ فقال : هذا شرطٌ شديدٌ ، ولكن حُبِّبَ إليَّ شيءٌ فجمعته[٣] .

وروى البيهقيُّ : أنَّ رجلاً جاء إلى أحمد ، فقال : إنَّ أُمِّيَ زَمِنَةٌ[٤] مُقْعَدَةٌ منذ عشرين سنة ، وقد بعثتني إليك لتدعو اللهَ لها . فكأنَّه غضب من ذلك ، وقال : نحن أحوجُ أن تدعوَ هي لنا ، ثم دعا الله عزَّ وجلَّ لها . فرجع الرجل إلى أمِّه فدقَّ الباب فخرجت إليه على رجليها ، وقالت : قد وهبني اللهُ العافية[٥] .

وروى : أن سائلاً سأل ، فأعطاه الإمام أحمدُ قطعةً ، فقام رجلٌ إلى السائل ، فقال : هَبني هذه القطعةَ حتَّى أعطيك عِوَضَها ، ما يساوي درهماً ، فأبَى ، فرقَّاه إلى خمسين ، وهو يأبَى ، وقال : إنِّي أرجو من بركتها ما ترجوه أنتَ من بركتها[٦] .

قال البيهقي رحمه الله :

باب ذكر ما جاء في محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، رحمه الله

في أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق بسبب القرآن ، وما أصابَه من الحبس الطويل ، والضَّرْب الشَّديد ، والتهديد بالقتل بسوء العذاب وأليم العقاب ، وقلة مبالاته بما كان منهم من ذلك إليه ، وصبره عليه ، وتمسّكه بما كان عليه من الدِّين القويم والصراط المستقيم ، وكان رحمه الله قد سمع ما ورد في مثل حاله من الآيات المتلوَّة ، والآثار[٧] المأثورة ، وبلغه ما أوصي به في المنام واليقظة فرضي وسلَّم إيماناً واحتساباً ، وفاز بخير الدُّنيا ونعيم الآخرة ، هنَّاه الله بما آتاه من ذلك ببلوغ أعلى منازل أهل البلاء في الله من أولياء الله ، وألحق به محبيه فيما نال من كرامة الله تعالى إن شاء اللهُ من غير بلية ، وبالله التوفيق والعِصْمة .

---

(١) في ط : طمع أو استشراف .
(٢) في آ : لطلب خفة الحساب ، وفي ط : من الدنيا لأجل خفة الحساب ، والمثبت من ب .
(٣) بعده في ط : وفي رواية أنه قال : أما لله فعزيز ، ولكن حُبب إليَّ شيء فجمعته .
(٤) أي مبتلاة بعلة دائمة .
(٥) الحلية (٩/ ١٨٦) ، وتاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٥٩) ، وصفة الصفوة (٢/ ٣٤٩) .
(٦) تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٥٨) .
(٧) في ط : والأخبار .

قال الله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١ ـ ٣] . وقال الله تعالى في وصية لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] . في آيٍ سواها في معنى ما كتبنا .

وقد روى الإمام أحمد الممتحَنُ في « مسنده »[١] قائلاً فيه : حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عاصم بن بَهْدَلة [قال] : سمعتُ مُصْعَب بن سعد يحدِّثُ عن سعد ، قال : سألتُ رسولَ الله ﷺ : أيُّ الناس أشدُّ بلاءً ؟ فقال : « الأنبياء ، ثم الأمْثَلُ فالأمثلُ ، يُبتلَى الرَّجُلُ على حسب دينه ، فإنْ كان رقيقَ الدِّين ابتُلِي على حسب ذلك ، وإن كان صُلْبَ الدِّين ابتُلِيَ على حسب ذلك ، وما يزال البلاءُ بالرَّجل حتى يمشيَ على الأرض وما عليه خطيئة » .

وقد رواه مسلم في « صحيحه »[٢] .

وقال[٣] : حدثنا عبد الوهَّاب الثَّقفيّ ، حدَّثنا أيُّوب ، عن أبي قِلابَة ، عن أنس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه فقد وَجَدَ حلاوَةَ الإيمان : مَن كان اللهُ ورسُولُه أحبَّ إليه مِمَّا سواهما ، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلا لله ، وأن يقذف في النار أحبُّ إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذَه الله منه » .

وأخرجاه في الصحيحين[٤] .

وقال أبو القاسم البغوي :

حدثنا أحمد بن حنبل ، حدَّثنا أبو المُغيرة ، حدَّثنا صفوان بن عمرو السَّكْسَكِيّ ، حدَّثنا عمرو بن قيس السَّكُوني ، حدَّثنا عاصم بن حميد ، قال : سمعت معاذ بن جبل يقول : « إنكم لن تروا من الدنيا إلا بلاءً وفتنةً ، ولن يزداد الأمر إلا شِدَّة ، [ولا الأنفس إلا شحاً][٥] » .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٧٤) ، وأخرجه أحمد أيضاً (١/ ١٧٢ و١٨٠ و١٨٥) ، والدارمي (٢/ ٣٢٠) والترمذي (٢٣٩٨) ، وابن ماجه رقم (٤٠٢٣) وغيرهم ، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٢) لم أقف عليه في صحيحه ، ولا ذكر المزي أن مسلماً أخرجه ، كما في مسند مصعب بن سعد عن أبيه من تحفة الأشراف ٣/ ٢٨٥ حديث (٣٩٣٤) من طبعتنا (بشار) .

(٣) أي أحمد ، وهو في مسنده (٣/ ١٠٣) .

(٤) رواه البخاري (١/ ٥٦) ، في الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، وباب من كره أن يعود في الكفر ، وفي الأدب ، باب الحب في الله ، وفي الإكراه ، باب من اختار القتل والضرب والهوان على الكفر .
ورواه مسلم رقم (٤٣) في الإيمان ، باب خصال الإيمان ، من حديث أنس رضي الله عنه .

(٥) زيادة من ط .

وبه قال معاذ : « لن تروا من الأئمة إلا غلظة ، ولن تروا أمراً يهولكم[١] ويشتد عليكم إلا حضر بعده ما هو أشدُّ منه » .

قال البغوي : سمعت أحمد يقول : اللهم رضينا [يمدُّ بها صوته][٢] .

وروى البيهقيّ ، عن الربيع ، قال : بعثني الشافعيُّ بكتاب من مصرَ إلى أحمد بن حنبل ، فأتيته وقد انفتل من صلاة الفجر فدفعت إليه الكتاب ، فقال : أقرأته ؟ فقلت : لا ! فأخذه فقرأه فدمعت عيناه ، فقلت : يا أبا عبد الله ، وما فيه ؟ فقال : يَذكرُ أنَّه رأى رسولَ الله ﷺ في المنام ، فقال [له] : اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل واقرأ عليه منِّي السلام ، ويقول : إنَّك ستمتَحَنُ ، وتُدْعَى إلى القول بخلْق القرآن ، فلا تجبهم ، فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة .

قال الرَّبيع : فقلت : البشارة . فخلع قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه ، فلمَّا رجعت إلى الشافعيّ أخبرته ، فقال : إني لست أفجعك فيه ، ولكن بلَّه بالماء وأعطنيه حتى أتبرَّك به .

ذكر ملخص الفتنة والمحنة مجموعاً من كلام أئمة السُّنَّة رحمهم الله وأثابهم الجنة

قد ذكرنا فيما تقدَّم : أنَّ المأمون كان قد اجتمع به واستحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحقِّ إلى الباطل ، وزيَّنوا له القولَ بخلْق القرآن ونفي الصِّفات عن الله عزَّ وجلَّ .

قال الحافظ البيهقي : ولم يكن في الخلفاء قبله ؛ لا من بني أمية ولا من بني العباس خليفةٌ إلا على منهج السَّلف ، حتى وَلِيَ هو الخلافة ، فاجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك . قالوا : واتفق خروجُه إلى طَرَسُوسَ لغزو بلاد الروم ، فعنَّ له أن يكتب إلى نائب بغداد إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب يأمره أن يدعوَ النَّاس إلى القول بخلق القرآن ، واتفق ذلك في آخر عمره ، قبل موته بشهورٍ ، من سنة ثماني عشرة ومئتين .

فلمَّا وصل الكتاب ـ كما ذكرنا ـ استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا ، فتهدَّدهم بالضَّرْب وقَطْعِ الأرزاق ، فأجاب أكثرُهم مكرهين . واستمرَّ على الامتناع في ذلك أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح الجُنْدَيْسابوريّ ، فحُملا على بعير وسيَّرهما[٣] إلى الخليفة عن أمره بذلك ، وهما

---

(١) في ب ، ظا : يهولنكم .
(٢) ما بين قوسين لم يرد في آ ، ط .
(٣) في ط : وسيرا .

مقيَّدان متعادلان في محمل على بعيرٍ واحدٍ ، فلمَّا كانوا ببلاد الرَّحْبَة[١] جاء رجلٌ من الأعراب من عبّادهم ، يقال له : جابر بن عامر ، فسلَّم على الإمام أحمد ، وقال له : يا هذا ، إنَّك وافدُ النَّاسِ ، فلا تكن مَشْؤُوماً عليهم ، وإنَّك رأسُ الناس اليومَ ، فإياك أن تجيبَ[٢] فيجيبوا ، وإن كنت تحبُّ الله فاصبر على ما أنت فيه ، فإنَّما بينك وبين الجنة أن تقتَلَ ، وإنَّك إنْ لم تقتلْ تمت ، وإنْ عِشْتَ عِشْتَ حَميداً .

قال الإمام أحمد : فكان ذلك مما قوَّى عَزْمي على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك .

فلمَّا اقتربوا من جيش المأمون ، ونزلوا دونه بمرحلةٍ ، جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف قِبائه ، وهو يقول : يعزُّ عليَّ يا أبا عبد الله أنَّ المأمون قد سلَّ سيفاً لم يسلَّه قبل ذلك[٣] ، وأنه يُقسِمُ بقرابته من رسول الله ﷺ لئن لم تجبْه إلى القول بخلْق القرآن ليقتلنَّك بذلك السيف .

قال : فجثَى الإمام أحمد على ركبتيه ، ورَمَقَ بطَرْفه إلى السَّماء ، ثم قال : سيدي ! غرَّ هذا الفاجرَ حِلْمُك حتى تجرَّأ[٤] على أوليائك بالضرب والقتل ، اللهم فإن يكن القرآنُ كلامك غيرَ مخلوقٍ فاكْفنا مؤونته . قال : فجاءهم الصَّريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل . قال الإمام أحمد : ففرحت بذلك ، ثم جاء الخبر بأنَّ المعتصم قد ولِيَ الخلافة ، وقد انضمَّ إليه أحمد بن أبي دُواد ، وأنَّ الأمر شديدٌ ، فردُّونا إلى بغداد في سفينةٍ مع بعض الأسارى ، ونالني منهم أذًى كثير ، وكان في رجليه القيودُ ، ومات صاحبُه محمد بن نوح في الطريق ، وصلَّى عليه أحمد ، فلمَّا رجع أحمد إلى بغداد دخلها وهو مريض ، وذلك في رمضان ، فأودع السجنَ نحواً من ثمانية وعشرين شهراً ، وقيل : نيفاً وثلاثين شهراً ، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة . وقد كان الإمام أحمد هو الذي يصلي في أهل السجن وعليه قيوده في رجليه .

ذكرُ ضَرْبه رضي الله عنه بين يدي المعتصم

لمَّا أحضره المعتصمُ من السجن زيد في قيوده ، قال أحمد : فلم أستطع أن أمشيَ بها ، فربطتها في التِّكَّة وحملتها بيدي ، ثم جاؤوني بدابَّة فحُمِلْتُ عليها ، فكدت أن أسقطَ على وجهي من ثِقَلِ القيود ، وليس معي أحدٌ يمسكني ، فسلَّم اللهُ حتَّى جئنا دار الخلافة ، فأُدْخِلت في بيتٍ وأُغْلِق عليَّ وليس عندي سراجٌ ، فأردت الوضوء ، فمددْتُ يدي فإذا إناءٌ فيه ماء فتوضأْتُ منه ، ثم قمت ولا أعرف القِبلة ، فلمَّا أصبحت إذا أنا على القِبلة ، ولله الحمد .

---

(١) هي رَحْبَةُ مالك بن طَوْق ، وهي بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات . ياقوت .

(٢) في ط : أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه ، فيجيبوا ، فتحمل أوزارهم يوم القيامة .

(٣) بعده في ب ، ظا : وبسط نطعاً لم يبسطه قبل ذلك .

(٤) في آ : تجبَّر .

قال : ثم دعيتُ فأدخلت على المعتصم ، فلمَّا نظر إليَّ وعنده ابن أبي دُوَاد ، قال : أليس قد زعمتم أنَّه حدثُ السنِّ وهذا شيخٌ مكتهل ؟ فلمَّا دَنَوْتُ منه وسلَّمْتُ ، قال لي : ادنه ، فلم يزل يدنيني حتَّى قَرُبْتُ منه ، ثم قال : اجلس ! فجلست وقد أثقلني الحديد ، فمكثْتُ ساعةً ، ثم قلت : يا أميرَ المؤمنين ! إلام دَعَا إليه ابنُ عمِّكَ رسولُ الله ﷺ ؟ قال : إلى شهادة أن لا إلّه إلا الله . قلْتُ : فإنِّي أشهدُ أن لا إلّه إلا الله . قال : ثم ذكرت له حديثَ ابن عباس في وَفْدِ عبد القيس[١] ، ثم قلت : فهذا الذي دعا إليه رسولُ الله ﷺ.

قال : ثم تكلَّم ابنُ أبي دُوَاد بكلامٍ لم أفهمه ، وذلك لأني لم أتفقه كلامه ، ثم قال المعتصم : لولا أنك كنت في يدِ مَنْ كان قبلي لم أعرض لك ، ثم قال : يا عبدَ الرحمن ، ألم آمرك أن ترفع المحنة ؟ قال : فقلت : الله أكبرُ ، هذا فرجٌ للمسلمين . ثم قال : ناظروه ، يا عبدَ الرحمن ، كلمْه . فقال لي عبد الرحمن : ما تقولُ في القرآن ؟ فلم أجبه ، فقال المعتصم : أجبْه ، فقلت : ما تقولُ في العلم ؟ فسكت ، فقلْتُ : القرآن من علم الله ، ومَنْ زَعَمَ أنَّ علم الله مخلوقٌ فقد كفر بالله ، فسكت ، فقالوا فيما بينهم : يا أميرَ المؤمنين ، أكْفَرك وأكفرنا ، فلم يلتفت إلى ذلك ، فقال عبد الرحمن : كان اللهُ ولا قرآنَ ، فقلْتُ : أكان اللهُ ولا علمَ ؟ فسكت . فجعلوا يتكلمون من هاهنا وهاهنا ، فقلْتُ : يا أمير المؤمنين ، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سُنَّةِ رسول الله ﷺ حتى أقولَ به . فقال ابنُ أبي دُوَاد : وأنتَ لا تقولُ إلا بهذا وهذا ؟ فقلْتُ : وهل يقوم الإسلام إلا بهما . وجرت بينهما مناظراتٌ طويلة ، واحتجوا عليه بقوله : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] ، وبقوله : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٦] . وأجاب[٢] بما حاصله أنه عام مخصوص بقوله : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٥] . فقال ابن أبي دُوَاد : هو والله يا أمير المؤمنين ضالٌ مضلٌّ مبتدعٌ ، وهؤلاء قضاتك والفقهاء فسلهم ، فقال لهم : ما تقولون فيه ؟ فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دُوَاد ، ثم أحضروه في اليوم الثاني ، فناظروه أيضاً ، ثم في اليوم الثالث فناظروه أيضاً ، وفي ذلك كله يعلُو صوتُه وحجته عليهم .

قال : فإذا سكتوا فتحَ الكلامَ عليهم ابنُ أبي دُوَاد ، وكان من أجهل الناس بالعلم والكلام ، وقد تنوَّعت بهم المسائل[٣] في المجادلة ، ولا علمَ لهم بالنقل ، فجعلوا يُنكرون الآثارَ ويَرُدُّون الاحتجاجَ بها .

---

(١) حديث وفد عبد القيس هذا ، رواه البخاري في الإيمان ، باب أداء الخمس (١/ ١٢٠ ـ ١٢٥) وهو عنده أيضاً في العلم ، باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان ، وفي المغازي ، باب وفد عبد القيس؛ وأخرجه مسلم في الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى رقم (١٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) في ب : وعنه في ذلك يحدث إنزاله ، أو ذكر غير القرآن محدث ، كما تقدم . ورشح هذا بقوله : ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ [صٓ : ١] . يعني به القرآن ، بخلاف النكرة ، فإنه غير القرآن .

(٣) في ب ، ظا : المسالك .

قال أحمد : وسمعت منهم مقالاتٍ لم أكن أظنُّ أنَّ أحداً يقولها . وقد تكلَّم معي برغوث[١] بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيرَه بما لا فائدة فيه ، فقلْتُ : لا أدري ما تقولُ ، إلا أني أعلم أن الله أحدٌ صمَدٌ ، ليس كمثله شيء ، فسكت عنه . وقد أوردت لهم حديث الرؤية[٢] في الدَّار الآخرة ، فحاولوا أن يضعفوا إسناده ويلفِّقوا عن بعض المحدِّثين كلاماً يتسلَّقون به إلى الطعن فيه ، وهيهات ، ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[٣] [سبأ : ٥٢] ، وفي غُبُون[٤] ذلك كلِّه يتلطَّفُ به الخليفة ، ويقولُ : يا أحمد ، أجبْني إلى هذا حتَّى أجعلَكَ من خاصَّتي وممن يطأ بساطي . فأقولُ : يا أميرَ المؤمنين ، يأتوني[٥] بآية من كتاب الله أو سنَّةٍ عن رسول الله ﷺ حتَّى أجيبهم إليها .

واحتجَّ أحمد عليهم حين أنكروا الاحتجاج بالآثار ، بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم : ٤٢] ، وبقوله : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء : ١٦٤] ، وبقوله : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه : ١٤] ، وبقوله : ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] إلى غير ذلك من الآيات . فلمَّا لم يقمْ لهم معه حجة ، عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة في ذلك ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، هذا كافرٌ ضالٌّ مضِلٌّ . وقال له إسحاق بن إبراهيم نائبُ بغداد : يا أميرَ المؤمنين ! ليس من تدبير الخلافة أن تخلِّيَ سبيله ويغلبَ خليفتين ، فعند ذلك حَمِيَ [الخليفة][٦] واشتدَّ غضبُه ، وكان ألينَهم عريكةً ، وهو يظنُّ أنَّهم على شيء . قال أحمد : فعند ذلك قال لي : لَعنَكَ الله ! طمعتُ فيك أن تجيبني . ثم قال : خذوه ، خلِّعوه ، اسحبوه . قال : فأُخذْتُ وسُحِبْتُ وجيء بالعُقابين[٧] والسياط وأنا أنظر .

وكان معي شَعْر من شَعْر النبي ﷺ مصرورٌ في ثوبي ، فجرَّدوني منه وصرْتُ بين العُقَابين ، فقلْتُ :

---

(١) في آ ، ط : ابن غوث ، وأثبت ما جاء في ب ، ظا .
وهو محمد بن عيسى الجهمي ، أبو عبد الله ، رأس البدعة ، وأحد من كان يناظر الإمام أحمد وقت المحنة . له عدد من المصنفات . قيل : توفي سنة ٢٤٠ أو ٢٤١هـ . سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٥٤) .

(٢) حديث الرؤية ، أي رؤية الله تعالى في الآخرة ، رواه البخاري (٢/ ٢٧) ، في الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، و(٢/ ٤٣) باب فضل الفجر ، وفي التوحيد (١٣/ ٣٥٧) باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ ؛ ومسلم رقم (٦٣٣) في المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر ، من حديث جرير بن عبد الله البجلي ، رضي الله عنه .

(٣) « التناوش » : التناول . وأراد : كيف لهم أن يتناولوا ما بعد عنهم من الإيمان وامتنع بعد أن كان مبذولاً لهم مقبولاً منهم .

(٤) كذا في النسخ والمطبوع . والمستعمل : غضون ، يقال : جاء في غضون ذلك ، أي في أثنائه .

(٥) في آ : تأمرني .

(٦) زيادة من ب ، ظا .

(٧) هما خشبتان يشبح بينهما الرجل ليجلد .

يا أميرَ المؤمنين ، الله الله ، إنَّ رسولَ الله ﷺ ، قال : « لا يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مسلم يشهَدُ أنْ لا إلَه إلا الله إلا بإحدى ثلاث » وتَلَوْتُ الحديثَ[١] ، وأنَّ رسول الله ﷺ ، قال : « أُمِرْتُ أنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا لا إلَه إلا الله ، فإذا قالوها عَصَمُوا منِّي دماءَهم وأموالَهم »[٢] . ففِيمَ تستحلُّ دَمِي ولم آت شيئاً من هذا ؟ يا أميرَ المؤمنين ، اذكرْ وقوفَكَ بين يدي الله تعالى كوقوفي بين يديك ؛ فكأنه أمسَكَ . ثم لم يزالوا يقولون له : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّه ضالٌّ مضِلٌّ كافرٌ ، فأمر بي فأقمْتُ بين العُقَابين ، وجيء بالضرَّابين ومعهم السِّياط ، فجعَلَ أحدُهم يضربني سوطين ويقول له : شُدَّ ، قطَعَ الله يديك ! ويجيء الآخر فيضربني سوطين ، ثم الآخر كذلك ، فضربوني أسواطاً ، فأغمي عليَّ ، وذهب عقلي مراراً ، فإذا سكَنَ الضَّرْبُ يعود عليَّ عقلي ، وقام المعتصم إليَّ يدعوني إلى قولهم ، فلم أجبْهُ ، وجعلوا يقولون : ويحك ! الخليفةُ على رأسك ، فلم أقبل ، وأعادوا الضرب ، ثم عاد إليّ فلم أجبْهُ ، فأعاد الضرب ، ثم جاء إليَّ الثالثة ، فدعاني فلم أعقِلْ ما قال من شدَّة الضرب ، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس به ، وأرعبه ذلك من أمري ، وأمَرَ بي فأطلقت ، ولم أشعر إلَّا وأنا في بيت من حجرة ، وقد أطلقت الأقياد من رجلي ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومئتين . ثم أمر الخليفةُ بإطلاقه إلى أهله . وكان جملة ما ضُرب نيفاً وثلاثين سوطاً ، وقيل : ثمانين سوطاً ، لكن كان ضرباً مبرِّحاً شديداً جداً . وقد كان الإمام أحمد رجلاً طوالاً رقيقاً ، أسمرَ اللون ، كثيرَ التواضع ، رحمه الله ورضي عنه وأكرم مثواه .

ولمَّا حُمِلَ من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائمٌ ، أتوه بسَويق وماءٍ ليفطر من الضعف ، فامتنع من ذلك وأتمَّ صومَه ، وحين حضرت صلاةُ الظهر صلَّى معهم ، فقال له ابنُ سَمَاعَةَ القاضي : صليتَ في دمك ! فقال له أحمد : قد صلَّى عمرُ وجُرْحُه يَثْعَبُ دَماً[٣] ، فسكتَ .

---

(١) حديث : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث . . » رواه البخاري (١٢/ ١٧٦) في الديات ، ومسلم رقم (١٦٧٦) في القسامة ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
ورواه أبو داود رقم (٢١٥٩) في الفتن ، والنسائي (٧/ ٩٢) في تحريم الدم ، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٢) رواه البخاري (١/ ٧٠ و٧١) في الإيمان ، ومسلم رقم (٢٢) في الإيمان ، من حديث ابن عمر ، ورواه البخاري (٣/ ٢١١) في الزكاة ؛ ومسلم رقم (٢١) في الإيمان ، من حديث أبي هريرة ، والبخاري (١/ ٤١٧) في الصلاة ؛ والترمذي رقم (٢٦٠٨) في الإيمان ، والنسائي (٧/ ٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مالك في « الموطأ » رقم (٧٩) ، باب العمل فيمن غلبه الدم من جرح أو رعاف ، من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه : أنَّ المِسْوَر بن مَخْرَمة أخبره أنه دخل على عمر بن الخطاب من الليلة التي طعن فيها ، فأيقظ عمر لصلاة الصبح ، فقال عمر : نعم ، ولا حَظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، فصلَّى عمر وجرحه يَثْعَبُ دماً ، أي : يجري ويتفجر منه الدم ، وهو حديث صحيح .

ويُروى أنَّه لمَّا أقيم ليضربَ انقطعت تِكَّةُ سَراويله ، فخشي أن تسقط فتتكشَّف عورتُه ، فحرَّك شفتيه بدعاءٍ ، فعاد سراويله كما كان . ويُروى أنه قال : يا غياثَ المستغيثين ، يا إلَه العالمين ، إن كنتَ تعلم أنِّي قائمٌ لك بحقٍّ فلا تهتِكْ لي عورةً[١] .

ولمَّا رجع إلى منزله جاءه الجرائحيُّ[٢] فقطع لحماً ميتاً من جسده ، وجعلَ يداويه ، والنائبُ [يبعث كثيراً][٣] في كلِّ وقتٍ يسأل عنه ، وذلك أن المعتصم ندِمَ على ما كان منه إلى أحمد نَدَماً كثيراً ، وجعل يسأل النائبَ عنه ، والنائب يستعلم خبرَه ، فلمَّا عُوفي فرح المعتصم والمسلمون بذلك .

ولمَّا شفاه الله بالعافية بقي مدَّةً وإبهاماه يؤذيهما البرْدُ ، وجعلَ كلَّ من سَعَى في أمره في حِلٍّ إلا أهل البِدْعة ، وكان يتلو في ذلك قولَه تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] .

ويقول : ماذا ينفعك أن يعذَّب أخوكَ المسلمُ بسببك ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾[٤] [الشورى : ٤٠] . وينادي يوم القيامة : ليقم مَنْ أجرُه على الله فلا يقومُ إلَّا مَنْ عَفَا .

وفي صحيح مسلم[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مالٌ مِنْ صَدَقَةٍ ، وما زادَ اللهُ عبداً بعَفْوٍ إلا عِزّاً ، ومَنْ تَوَاضَعَ لله رفعَهُ اللهُ » .

---

(١) روي الخبر بأطول من هذا في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٥٥) ، من طريق داود بن عرفة .
وعلق الذهبي على ذلك بقوله : هذه حكاية منكرة ، أخاف أن يكون داود وضعها .

(٢) « الجرائحي » : الطبيب الذي يعالج الجراحة .

(٣) زيادة من ب ، ظا .

(٤) في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٥٧) : عن عبد الله بن أحمد ، قال : « سمعت أبي يقول : لقد جعلت الميّت في حِلٍّ من ضربه إياي . ثم قال : مررت بهذه الآية : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ، فنظرت في تفسيره ، فإذا هو ما أخبرنا هاشم بن القاسم ، أخبرنا المبارك بن فضالة ، قال : أخبرني من سمع الحسن ، يقول : إذا كان يوم القيامة جَثَت الأمم كُلُّها بين يدي الله ربِّ العالمين ، ثم نُودي ألا يقوم إلا مَن أجرُهُ على الله ، فلا يقوم إلا مَنْ عَفَا في الدنيا . قال : فجعلت الميِّت في حِلٍّ . ثم قال : وما على رجل ألا يعذِّب الله بسببه أحداً » . تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٧٧٢) .

(٥) لفظه في صحيح مسلم رقم (٢٥٨٨) في البر والصلة ، باب استحباب العفو والتواضع : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » .
ورواه كذلك الترمذي رقم (٢٠٢٩) في البر والصلة ، باب ما جاء في التواضع ، وأما باللفظ الذي ذكره المؤلف رحمه الله : « ثلاث أقسم عليهن » فقد رواه الترمذي رقم (٢٣٢٥) ، وأحمد في المسند (٤/ ٢٣٠) من حديث أبي كبشة الأنماري بلفظ : « ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عنها إلا زادهُ الله عزاً ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر . . » الحديث .
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

وكان الذين ثبتوا على المحنة فلم يُجيبوا بالكلِّيَّة أربعة[١] :

أحمد بن حنبل ، وهو رئيسهم ومقدَّمهم .

ومحمد بن نوح بن ميمون الجنديسابوريّ ، ومات في الطريق حين ذهب هو وأحمد إلى المأمون . ونُعَيم بن حمَّاد الخُزَاعي ، وقد مات في السجن .

وكذلك أبو يعقوب البُوَيْطيّ ، مات في سجن الواثق على القول بخَلْق القرآن ، لم يجبْهم إليه ، وكان مثقلاً بالحديد ، وأوْصَى أن يدفن فيها .

وأحمد بن نَصْر الخُزَاعيّ وقد ذكرنا كيفية مقتله[٢] رحمه الله في أيام الواثق .

ذكر ثناء الأئمة على الإمام أحمد بن حنبل[٣]

قال البُخاريّ : لمَّا ضُرب أحمدُ بن حنبل كنَّا بالبصرة ، فسمعت أبا الوليد الطيالسي يقول : لو كان هذا في بني إسرائيل لكان أحدوثةً .

وقال إسماعيل بن الخليل : لو كان أحمد بن حنبل في بني إسرائيل لكان عجباً .

وقال المزنيّ : أحمد بن حنبل يوم المحنة ، وأبو بكر يومَ الرِّدَّة ، وعُمَرُ يومَ السَّقيفة ، وعثمانُ يومَ الدَّار ، وعليٌّ يومَ صفّين .

وقال حَرْمَلَةُ : سمعت الشافعيَّ يقولُ : خرجت من العراق فما رأيت[٤] بها رجلاً أفضلَ ولا أعلمَ ولا أورعَ ولا أتقى من أحمد بن حنبل .

وقال شيخه يحيى بن سعيد القطَّان : ما قدِمَ عليَّ من بغداد أحدٌ أحبُّ إليَّ من أحمد بن حنبل .

وقال قتيبة : مات سفيات الثوري ومات الورع ، ومات الشافعيُّ وماتت السُّنَنُ ، ويموتُ أحمدُ بن حنبل وتظهر البِدَعُ .

وفي رواية : قال قتيبة : إنَّ أحمد بن حنبل قام في الأمَّة مقام النُّبوَّة . قال البيهقي : يعني في صبره على ما أصابَه من الأذى في ذات الله عزَّ وجلَّ .

---

(١) هم خمسة كما سيأتي .

(٢) في آ : قتله ، وسقط قوله : رحمه الله في أيام الواثق من ط . كما سقط قوله : وأحمد بن نصر . . في أيام الواثق من نسختي ب ، ظا ، فيكون عدد من ثبت في المحنة على ذلك أربعة ، كما ذكر أولاً .

(٣) بعدها في آ : المعظّم المبجّل .

(٤) في ب ، ظا : خلفت بها ، وفي ط : تركت .

وقال أبو عمر بن النحاس وذكر أحمد يوماً ، فقال : رحمه الله ، في الدِّين ما كان أصبره[١] ، وبالصالحين ما [كان] ألحقه ، وبالماضين ما كان أشبهه ، عرضت له الدنيا فأباها ، والبدع فنفاها .

وقال بشر بن الحارث الحافي بعدما ضُرب أحمد بن حنبل : أدخل الكير فخرج ذهباً أحمرَ .

وقال الميموني : قال لي عليّ بن المديني بعدما امتحن أحمد وقبل أن يمتحن : يا ميموني ، ما قام أحدٌ في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل . فعجبت من هذا عجباً شديداً ، وذهبْتُ إلى أبي عُبيد القاسم بن سلام ، فحكيت له مقالةَ عليّ بن المدينيّ ، فقل : صدَقَ ، إنَّ أبا بكر الصِّدّيق وجَدَ يومَ الرِّدَّة أنصاراً وأعواناً ، وإنَّ أحمد بن حنبل لم يجدْ أعواناً ولا أنصاراً . ثم أخذ أبو عبيد يُطري أحمد ، ويقول : لستُ أعلمُ في الإسلام مثلَه .

وقال إسحاق بن رَاهَوَيْه : أحمد بن حنبل حجَّةٌ بين الله وبين عبيده في أرضه .

وقال عليُّ بن المديني : إذا ابتليت بشيء فأفتاني أحمدُ بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربِّي كيفَ كانَ .

وقال علي أيضاً : اتخذت أحمدَ حجَّةً فيما بيني وبين الله عزَّ وجلَّ . ثم قال : ومن يَقْوَى على ما يقوى عليه أبو عبد الله ؟ .

وقال يحيى بن مَعين : كان في أحمدَ بن حنبل خصالٌ ما رأيتها في عالم قطّ ، كان محدِّثاً ، وكان حافظاً ، وكان عالماً ، وكان ورِعاً ، وكان زاهداً ، وكان عاقلاً .

وقال يحيى بن مَعين أيضاً : أراد النَّاس منَّا أن نكونَ مثلَ أحمد بن حنبل ، والله ما نقوى أن نكونَ مثلَ أحمد ، ولا في طريق أحمد .

وقال [محمد بن يحيى][٢] الذهليّ : اتخذت أحمد بن حنبل حجَّة فيما بيني وبين الله عزَّ وجل .

وقال هلال بن الملك الرقيّ[٣] : مَنَّ اللهُ على هذه الأمة بأربعة : بالشافعيِّ ؛ فهم الأحاديثَ وفسَّرها للناس ، وبيَّن المجمل من المفسَّر[٤] ، والخاصّ والعامّ ، والناسخ من المنسوخ ؛ وبأبي عُبَيد عرف الغريب وفسَّره ؛ وبيحيى بن مَعين ، نَفَى الكذِبَ من الأحاديث ؛ وبأحمد بن حنبل ، ثبت في المحنة ؛ لولا هؤلاء الأربعة لهلك الناس .

وقال أبو بكر بن أبي داود : أحمد بن حنبل مقدَّم على كُلِّ من حمل بيده قلماً ومحبرة ، يعني : في عصره .

---

(١) بعدها في ط : وعن الدنيا ما كان أصبره ، وفي الزهد ما كان أخبره .

(٢) زيادة من ب ، ظا . وفي آ : وقال عن الذهلي .

(٣) في ط : هلال بن المعلى الرقي .

(٤) في ط : مجملها من مفصّلها .

وقال أبو بكر محمد بن رجاء[(١)] : ما رأيتُ مثلَ أحمد بن حنبل ، ولا رأيتُ من رأى مثله .

وقال أبو زرعة الرازيُّ : ما أعرف في أصحابنا أسودَ الرأس أفقه منه .

وروى البيهقيُّ عن الحاكم ، عن يحيى بن محمد العنبريّ ، قال : أنشدنا أبو عبد الله البوشنجيّ في أحمدَ بن حنبل رحمه الله[(٢)] :

إنّ ابنَ حَنْبَلَ إنْ سألْتَ إمامُنا ... وبهِ الأئمةُ في الأنامِ تمسَّكُوا
خلَفَ النَّبيَّ محمّداً بَعْدَ الأُلى ... كانوا الخلائفَ بعدَهُ واستهلكوا
حَذْوَ الشِّراكِ[(٣)] على الشِّراكِ وإنَّما ... يَحذو المثالَ مثالُهُ المتمسِّكُ

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ : أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ لا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهم ، ولا من خالَفَهُم ، حتَّى يأتيَ أمْرُ الله وهم كذلك »[(٤)] .

قال عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما : هم أهل الحديث .

وروى البيهقيُّ ، عن أبي سعد المالينيّ[(٥)] ، عن ابن عديٍّ ، عن أبي القاسم البَغويّ ، عن أبي الرَّبيع الزهرانيّ ، عن حمَّاد بن زيد ، عن بقية بن الوليد ، عن معان بن رفاعة ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري ح . قال البغوي: وحدثني زياد بن أيوب ، حدثنا مبشر ، عن معان ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذريّ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يحمل هذا العلم من كُلِّ خلف عُدُولُه ، ينفون عنه تحريفَ الغالين ، وانْتِحَالَ المبطلين ، وتأويلَ الجاهلين »[(٦)] .

---

(١) في ب ، ظا : محمد بن محمد بن رجاء .
(٢) تاريخ ابن عساكر (الجزء السابع/ ٢٨٠) .
(٣) « الشِّراك » : سير النعل على ظهر القدم .
(٤) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٩٢٥) (١٧٠) في الإمارة ، من حديث ثوبان رضي الله عنه بلفظ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » .
ورواه البخاري (١٢٣/ ٢٥٠) في الاعتصام ، ومسلم رقم (١٠٣٧) (١٧٤) في الإمارة من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بلفظ : « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس » .
(٥) في ط وبقية النسخ : أبو سعيد الماليني ، وهو خطأ ، والصحيح أبو سعد الماليني ، وهو أحمد بن محمد الماليني الهروي المتوفى سنة (٤١٢) هـ (ع) .
(٦) هذا الحديث مشهور ، رواه الخطيب البغدادي في « شرف أصحاب الحديث » صفحة (٢٩) ، وابن وضاح في « البدع والنهي عنها » صفحة (١) ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ١٧) والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٢٥٦) ، وابن عدي في الكامل (١/ ١٥٣) ، من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري ، وقال العقيلي : « وقد رواه قوم مرفوعاً من جهة لا تثبت » . والمصنف على تضعيف هذا الحديث مرفوعاً ، وهو الصواب إن شاء الله تعالى (بشار). =

وهذا الحديث مرسلٌ وإسنادُه فيه ضعف . والعجب أنَّ ابن عبد البر صحَّحه واحتجَّ به على عدالة كُلِّ مَن نسب إلى حَمْل العلم ، والإمام أحمد من أئمة أهل العلم ، رحمه الله وأكرمَ مثواه .

ذكر ما كان من أمر الإمام أحمد بعد المِحْنة

حين خرج من دار الخلافة بعد الضرب صار إلى منزله فَدُووي حتى برأ ، ولله الحمد والمنّة ، ولزم منزلَه فلا يخرج منه ، لا إلى جماعة ولا جمعة ، وامتنع من التحديث ، كانت غلّتُه مِن ملْكٍ له في كلِّ شهر سبعة عشر درهماً ينفقها على عياله ويتقنّع[١] بذلك ـ رحمه الله ـ صابراً محتسباً . ولم يزَلْ كذلك مدَّة خلافة المعتصم ، وكذلك في أيام ابنه محمد الواثق ، فلما وليَ المتوكِّلُ على الله جعفر بن المعتصم بالله استبشر الناس بولايته ، فإنَّه كان محبّاً للسُّنَّة وأهلها ، ورفع المِحْنَة عن الناس ، وكتب إلى الآفاق ألا يتكلَّمَ أحدٌ في القَوْل بخلْق القرآن ، ثم كتب إلى نائبه ببغداد ، وهو إسحاق بن إبراهيم ، أن يبعثَ بأحمد بن حنبل إليه ، فاستدعى بالإمام إليه فأكرمه إسحاق وعظّمه ، لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله ، وسأله فيما بينه وبينه عن القرآن ، فقال له الإمام أحمد : سؤال تعنّت أو استرشاد ؟ فقال : بل سؤال استرشاد . [فقال : هو كلام الله منزلٌ غير مخلوق][٢] ، فسكن إلى قوله في ذلك ، ثم جهَّزه إلى الخليفة بِسُرَّ مَن رأى ، وسبقه إليه .

وبلغه أن أحمد بن حنبل اجتاز بابنه[٣] محمد بن إسحاق فلم يأته ولم يسلِّم عليه ، فغضب إسحاقُ بن إبراهيم من ذلك وشكاه إلى الخليفة ، فقال المتوكِّلُ : يُرَدُّ وإنْ كان قد وطِيء بساطي ، فرجع الإمام أحمد من الطريق إلى بغداد . وقد كان الإمام أحمد متكرّهاً لذلك ؛ ولكن لم يهنْ ذلك على كثيرٍ من الناس ؛ وإنَّما كان رجوعُه عن قول إسحاق بن إبراهيم الذي كان هو السبب في ضربه .

ثم إنَّ رجلاً من المبتدعة ، يقال له : ابن الثَّلْجِيّ[٤] ، وشَى إلى الخليفة شيئاً ، وهو أنَّه يزعم

= وانظر « العواصم والقواصم » لمحمد بن إبراهيم الوزير اليماني (١/ ٣٠٨ ـ ٣١٣) فإنه جمع طرقه وشواهده ، وقد يصل الحديث إلى درجة الحسن لغيره بطرقه وشواهده موقوفاً مرفوعاً . (ع) .

(١) في ب ، ظا : يقتنع . ومعنى يتقنّع : يتكلَّف القناعة .

(٢) ما بين قوسين لم يرد في آ .

(٣) في آ : بنائبه .

(٤) في آ ، ط : ابن البلخي ، والمثبت من (ب ، ظا) .
وهو محمد بن شجاع ، أبو عبد الله ، يعرف بابن الثَّلْجِي ، فقيه العراق ، وشيخ الحنفية ، صنف واشتغل ، ووصفه الذهبي بأنه كان صاحب تعبُّد وتهجُّد وتلاوة ، إلا أنَّه كان يقف في مسألة القرآن ، فلا يقول : القرآن مخلوق أو غير مخلوق ، وقد ترك حديثه . توفي وهو ساجد سنة ٢٦٦هـ عن خمس وثمانين سنة .
ترجم في العبر (٢/ ٣٣) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦٧) و(١٢/ ٣٧٩) ، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٢٠) .

أنَّ رجلاً من العلويين قد ضَوَى[١] إلى منزل أحمد بن حنبل وهو يبايع له الناس في الباطن .

فأمر الخليفة نائبَ بغداد أن يكبس منزل الإمام أحمد من الليل ، فلم يشعروا إلا بالمشاعل قد أحاطَتْ بالدار من كُلِّ مكان حتَّى من فوق الأسطحة ، فوجدوا الإمام أحمد جالساً في داره مع عياله ، فسألوه عمَّا ذُكر عنه ، فقال : ليس عندي من هذا علمٌ ، وليس من هذا شيء ، وإنِّي لأرَى طاعة أمير المؤمنين في السِّرِّ والعلانية ، وفي عُسْري ويُسْري ، ومَنْشَطي[٢] ومَكْرَهي ، وأثَرةٍ عليَّ ، وإنِّي لأدعو الله له بالتَّسْديد والتَّوفيق ؛ في الليل والنهار ، في كلام كثير . قال : ففتَّشوا منزله ، حتَّى مكان الكتب ، وبيوت النساء ، والأسطحة ، فلم يروا شيئاً[٣] .

فلمَّا بلغ المتوكِّلَ ذلك ، وعلم براءته مما نُسب إليه ، علم أنهم يكذبون عليه كثيراً ، فبعث إليه يعقوب بن إبراهيم المعروف بقَوْصَرة ـ وهو أحد الحجبة ـ بعشرة آلاف درهم من الخليفة ، وقال : هو يقرأ عليك السلام ، ويقول : انتفق[٤] هذه ، فامتنع من قبولها . فقال : يا أبا عبد الله ، إنِّي أخشى من رَدِّك إياها أن يقعَ وَحْشَةٌ بينك وبينه ، والمصلحةُ لك قبولها ، فوضَعَها عنده ثم ذهب ، فلمَّا كان من آخر الليل استدعى الإمام أحمد أهلَه وبني عمه وعياله ، وقال : لم أنَمْ هذه الليلة ، فجلسوه وكتبوا أسماءَ جماعةٍ من المحتاجين من أهل الحديث وغيرهم من أهل بغداد والبصرة ، ثم أصبح ففرَّقها في الناس ما بين الخمسين إلى المئة والمئتين ، فلم يُبق منها درهماً ، وأعطى منها لأبي كُرَيْب[٥] ، وأبي سعيد الأشج ، وتصدَّق بالكيس الذي[٦] كانت فيه ، ولم يُعطِ منها لأهله شيئاً وهم في غاية الفقر والحاجة ، وجاء بني ابنه ، فقال : أعطني درهماً . فنظر أحمد إلى ابنه صالح ، فتناول صالح قطعةً فأعطاها الصبيَّ ، فسكت أحمدُ ، رحمه الله . وبلغ الخليفةَ أنه تصدَّق بالجائزة كلِّها حتى لم يبق منها شيئاً ، وأنه قد تصدَّق بكيسها ، فقال عليّ بن الجَهْم : يا أميرَ المؤمنين ، إنه قد قبلها منك وتصدَّق بها عنك ، وماذا يصنع أحمدُ بالمال ؟ إنما يكفيه رغيفٌ . فقال : صدقْتَ .

فلمَّا مات إسحاق بن إبراهيم وابنُه محمد ، ولم يكن بينهما إلا القريب ، وتولَّى نيابة بغدادَ عبدُ الله بن إسحاق ، كتبَ المتوكِّلُ إليه أن يحمل إليه الإمامَ أحمدَ ، فقال لأحمد في ذلك ، فقال : إني شيخٌ كبيرٌ

---

(١) في ط : أوى .

(٢) « المَنْشَط » : ما يُخَفُّ إليه ويؤثر فعله . و« المَكْرَه » : ما يكرهه الإنسان ويشق عليه . ومن حديث عُبادة : بايعت رسول الله ﷺ على المَنْشَط والمَكرَه ، يعني المحبوب والمكروه ، وهما مصدران . النهاية (٤/ ١٦٨) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٧) .

(٤) في آ : انتفق من هذه . وفي ط : استنفق هذه ، والمثبت من ب ، ظا .

(٥) في آ ، ط : أيوب ، والمثبت من ب ، ظا . وهو محمد بن العلاء بن كُرَيب الهمداني الكوفي ، شيخ المحدثين . مات نحو سنة ٢٤٨هـ . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩٤) .

(٦) في النسخ : التي .

وضعيف ، فردَّ الجوابَ على الخليفة بذلك ، فأرسل يعزم عليه لَيأتيَنَّ ، وكتب إلى أحمد يقول له : إنِّي أحبُّ أن آنس بقربك[١] ، ويحصلَ لي بركةُ دعائك .

فسار الإمام أحمد ـ وهو عليلٌ ـ في[٢] بنيه وبعض أهله ، فلمَّا قارب العسكر تلقَّاه وصيف الخادم في موكبٍ عظيم ، فسلَّم على الإمام أحمد فردَّ السَّلام ، ثم قال له وصيف : قد أمكنك الله من عدوِّك ابن أبي دُوَاد ، فلم يردَّ عليه جواباً ، وجعل ابنه يدعو الله للخليفة ولوصيف . فلمَّا وصلوا إلى العسكر بسُرَّ من رأى ، أنزل في دار إيتاخ ، فلمَّا علم بذلك ارتحلَ منها ، وأمر أن يُستكرى له دار غيرها .

وكانت رؤوس الأمراء في كلِّ يوم يحضرون عنده ويبلغونه عن الخليفة السَّلام ، ولا يدخلون عليه حتى يقلعوا[٣] ما عليهم من الزينة والسلاح . وبعث إليه الخليفةُ بالمفارش الطرية وغيرها من الآلات التي تليق بتلك الدار العظيمة ، وأراد منه الخليفة أن يقيمَ هناك ليحدِّث الناس عوضاً عمَّا فاتهم منه في أيام المحنة وما بعدَها من السنين المتطاولة وهو محجوب في داره لا يخرج إلى جماعة ، ولا جمعة أيضاً ، فاعتذر إليهم بأنَّه عليل ، وأسنانُه تتحرَّك وهو ضعيفٌ .

ويبعث إليه الخليفة في كُلِّ يوم مائدة فيها ألوان الأطعمة والفاكهة والثلج ، ما يقاوم مئة وعشرين درهماً في كُلِّ يوم ، والخليفة يحسب أنَّ أحمد يأكلُ من ذلك ، ولم يكن أحمدُ يطعم من ذلك شيئاً بالكلية ، بل كان صائماً يطوي ، فمكث ثماينة أيام لم يستطعم بطعام ، ومع ذلك هو عليلٌ . ثم أقسم عليه ولده حتَّى شرب قليلاً من السَّويق بعد ثمانية أيام .

وجاءه عُبيد الله بن يحيى بن خاقان بمالٍ جزيلٍ من الخليفة جائزةً له ، فامتنع من قبولها ، فألحَّ عليه الأميرُ فلم يقبل . فأخذَها الأميرُ ففرَّقها على بنيه وأهله ، وقال : إنه لا يمكن أن تُرَدَّ على الخليفة جائزته . وكتب الخليفة لأهله وأولاده في كلِّ شهر بأربعة آلاف درهم ، فمانَع أبو عبد الله في ذلك ، فقال الخليفة : لا بُدَّ من ذلك ، وما هذا إلا لولدك . فأمسك أبو عبد الله ، ثم أخذ يلوم أهله وبني عمه ، وقال : إنما بقي لنا أيام قلائل ، وكأننا وقد نزل بنا الموت ؛ فإمَّا إلى جنة وإمَّا إلى نارٍ[٤] ؛ في كلام طويل يعظهم به . فاحتجُّوا عليه بالحديث الصحيح : « مَن جاءَهُ من هذا المالِ شيء وهو غير سائلٍ ولا مستشرفٍ فليقبله »[٥] . وبأن ابنَ عمر وابنَ عباس قبلا جوائز السلطان . فقال : ما هذا

---

(١) بعده في ط : وبالنظر إليك .
(٢) في آ : في بعض بنيه وأهله .
(٣) في ب ، ظا : ط : يقلعون .
(٤) بعدها في ط : فنخرج من الدنيا وبطوننا قد أخذت من مال هؤلاء .
(٥) هذا الحديث رواه البخاري (١٣/ ١٣٤) في الأحكام ، ومسلم رقم (١٠٤٥) في الزكاة ، من حديث عبد الله بن عمر أن عمر قال : كان رسول الله ﷺ يُعطيني العطاء ، فأقول : أعطِهِ من هو أفقر إليه منّي ، قال : فقال : خُذْه ، وإذا =

وذاك سواء ، ولو أعلم أنَّ هذا المال أخذ من حقِّه وليس فيه ظلم ولا جور لم أبالِ[١] .

ولما استمر ضعف أبي عبد الله جعل المتوكِّل يبعث إليه ابن ماسَوَيْه المتطبِّب لينظرَ في مرضه ، فرجع إليه فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ أحمد بن حنبل ليس به عِلَّةٌ في بدنه ، إنَّما علته من قلّة الطعام وكثرة الصيام والعبادة ، فسكت المتوكل .

ثم سألت أمُّ الخليفة منه أن ترى الإمام أحمد بن حنبل ، فبعث المتوكّلُ إليه يسأله أن يجتمعَ بابنه المعتز ويدعُوَ له ، ويكون في حجره . فتمنَّع من ذلك ، ثم أجاب إليه رجاء أن يعجِّل[٢] برجوعه إلى أهله ببغداد .

وبعث الخليفة إليه بخِلْعَة سنيَّةٍ ، ومَرْكُوب[٣] من مراكبه ، فامتنع من ركوبه لكون عليه مِيثَرَةُ[٤] نُمُورٍ . فجاء ببغل لبعض التجار ، فركبه ، وجاء إلى مجلس المعتز ، وقد جلس الخليفة وأمُّه في ناحية من ذلك المجلس ، من وراء سِتر رقيق . فلمَّا جاء أحمد ، قال : السَّلامُ عليكم ، وجَلَس ، ولم يسلِّم عليه بالإمْرَةِ ، فقالت أمُّ الخليفة : الله الله يا بني في هذا الرجل ، تردُّه إلى أهله ، فإنَّ هذا ليس ممن يريد ما أنتم فيه . وحين رأى المتوكل أحمد قال لأمه : يا أمَّه ، قد أنارت الدار . وجاء الخادم ومعه خِلْعة سنِيَّة مبطَّنة وثوبٌ وقَلَنْسُوة وطَيْلَسان ، فألبسَها الإمام أحمدَ بيده ، وأحمدُ لا يتحرَّك بالكلية .

قال الإمام أحمد : لمَّا جلست إلى المعتزِّ قال مؤدِّبُه : أصلَحَ الله الأمير ! هذا الذي أمر الخليفة أن يكون مؤدِّبك . فقال : إنْ عَلَّمَني شيئاً تعلَّمْتُه . قال أحمد : فتعجبت من ذكائه في صغره . ثم خرج أحمد وهو يستغفرُ الله[٥] ، ثم بعد أيام أذن له الخليفة في الانصراف ، وهَيَّأ له حَرَّاقة[٦] فلم يفعلْ أن ينحدرَ فيها ، بل ركب في زورقٍ ، ودخل بغداد مختفياً ، وأمَر أن تباع تلك الخِلْعَةُ وأن يُتصدَّقَ بثمنها على الفقراء والمساكين .

وجعل يتألَّم من اجتماعه بهم ، ويقول : سَلِمْتُ منهم طولَ عمري ، ثم ابتُليت بهم في آخره ، وكاد يهلك من الجوع .

= جاءك شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموَّله ، فإن شئت كله ، وإن شئت تصدق به ، وما لا فلا تُتْبِعْه نفسك ، وله روايات أخرى بهذا المعنى .

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦٩ ـ ٢٧١) .
(٢) سير أعلام النبلاء : أن يُطْلَق .
(٣) في ب ، ظا : ومركب .
(٤) « الميثرة » : جلد يكون في السرج .
(٥) بعدها في ط : ويستعيذ بالله من مقلته وغضبه .
(٦) « الحَرَّاقة » : سفينة خفيفة المرّ ، جمع حَرَّاقات .

وقد قال بعضُ الأمراء للمتوكّل على الله الخليفة : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ أحمد بن حنبل لا يأكلُ لك طعاماً ، ولا يشرب لك شراباً ، ولا يجلس على فرشكَ ، ويحرِّم ما تشربه . فقال لهم : والله لو نُشر المعتصم وكلَّمني في أحمد لم أقبَلْ منه .

وجعلت رسلُ المتوكّل تفدُ إليه في كُلِّ يوم تستعلم عن أخباره وكيف حاله . وجعل يستفتيه في أموال ابن أبي دُواد ولا يجيب بشيء . ثم أحدر ابن أبي دُوَاد من سامَرّاء إلى بغداد بعدما أشهدَ على نفسه ببيع ضياعه ، وأخذت أمواله كلّها .

قال عبد الله : وحين رجع أبي من سامَرّاء إلى بغداد دخلت عيناه في موقيه ، وما رجعت إليه نفسُه إلا بعد ستة أشهر ، وامتنع[1] من أن يستقرّ ببيت قرابته ، أو ينتفعَ بشيءٍ ممَّا هم فيه ، لأجل قبولهم أموال السلطان[2] .

وكان مسيرُ أحمدَ إلى المتوكّل في سنة سبع وثلاثين ومئتين ، ثم مكث إلى سنة وفاته ، قَلَّ يومٌ إلا ورسالة المتوكّل تفدُ إليه في أمورٍ يشاوره فيها ، ويستشيره .

ولمَّا قدم المتوكِّل بغدادَ بعثَ إليه ابنَ خاقان ومعه ألفُ دينار ليفرِّقها على مَنْ يرى ، فامتنع من قبولها ، وقال : إنَّ أميرَ المؤمنين قد أعفاني ممَّا أكره ، فردَّها .

وكتب رجلٌ رُقْعَةَ إلى المتوكّل ، يقولُ فيها : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ أحمد بن حنبل يشتم آباءَكَ ويرميهم بالزَّندقة .

فكتبَ فيها المتوكّلُ : أمّا المأمون فإنَّه خلَطَ ، فسلَّطَ الناس على نفسه ؛ وأمَّا أبي المعتصم فإنَّه كان رجلَ حربٍ ولم يكن له بَصَرٌ بالكلام ؛ وأمَّا أخي الواثق فإنه استحقَّ ما قيل فيه . ثم أمر أن يضرب هذا الرجل الرافع[3] الرُّقْعَةَ مئتي سوط ، فأخذه عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم فضَرَبه خمسمئة سوط ، فقال له الخليفة : لِمَ ضربته خمسمئة سوط ؟ فقال : مئتين لطاعتك ، ومئتين لطاعةِ الله ورسوله ، ومئة لكونه قذف هذا الشيخَ ، الرّجلَ الصالح أحمدَ بن حنبل .

وقد كتب الخليفةُ إلى الإمام أحمد يسأله عن القول في القرآن سؤالَ استرشاد لا تعنّت ولا امتحان ولا عناد . فكتب إليه أحمدُ ـ رحمه الله ـ رسالةَ حسنة فيها آثارٌ عن الصحابة وغيرهم ، وأحاديث مرفوعة . وقد أوردها ابنه صالح في المحنة التي ساقها ، وهي مروية عنه ، ونقلها غير واحد من الحفَّاظ .

(١) في ط : وامتنع أن يدخل بيت قرابته أو يدخل بيتاً هم فيه ، أو ينتفع .
(٢) في ب ، ظا : قبولهم الأموال .
(٣) في ط : الذي رفع إليه الرقعة .

ذكر وفاة الإمام أحمد رحمه الله

قال ابنُه صالح : كان مرضه في أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين ، دخلتُ عليه يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول وهو محموم يتنفس الصُّعَداء ، وهو ضعيف ، فقلت : يا أبت ، ما كان غداؤك ؟ فقال : ماء الباقلا . ثم ذكر كثرة مجيء الناس من الأكابر وعموم الناس لعيادته ، وكثرة جزع[١] الناس عليه ، وكان معه خُرَيْقة فيها قُطَيعات يُنفق على نفسه منها ، وقد أمر ولدَه عبدَ الله أن يطالب سكان ملكه ، وأن يكفِّر عنه كفَّارة يمين . فأخذ شيئاً من الأجرة فاشترى تمراً ، وكفَّر عن أبيه ، وفضل من ذلك ثلاثة[٢] دراهم .

وكتب الإمام أحمد وصيَّته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به[٣] أحمد بن محمد بن حنبل ؛ أوصى أنَّه يشهدُ أنْ لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحقِّ ليظهرَه على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون . وأوصى مَنْ أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين ، وأن يحمدوه في الحامدين ، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين . وأوصى أني قد رضيت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمّدٍ نبيّاً . وأوصى أنَّ لعبد الله بن محمد المعروف بفوران[٤] عليَّ نحواً من خمسين ديناراً ، وهو مُصَدَّق[٥] فيما قال ، فيُقْضى ماله عليّ من غلّة الدَّار ، إن شاء الله . فإذا استوفَى أعطِيَ ولدُ[٦] صالح ، كُلُّ ذكرٍ وأنثى عشرة دراهم ، عشرة دراهم .

ثم استدعى بالصبيان من ورثته[٧] ، فجعل يدعو لهم ، وكان قد ولد له صَبيّ قبلَ موته بخمسين يوماً ، فسمَّاه سعيداً ، وكان له ولد آخر اسمه محمد قد مشى حين مرض الإمام أحمد ، فدعاه فالتزمه وقبَّله ، ثم قال : ما كنت أصنعُ بالولد على كبر السنّ ؟ فقيل له : ذرية تكون بعدك يدعون لك ، قال : وذاك ، وجعل يحمَدُ الله عزَّ وجلَّ .

---

(١) في آ ، ط : حرج .
(٢) في النسخ : ثلاث .
(٣) به من ط .
(٤) في آ ، ط : ببوران ، والمثبت من ب ، ظا ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨١) .
(٥) في آ ، ط : مصدَّق فيها ، قال : يقضي ، والمثبت من ب ، ظا .
(٦) في سير أعلام النبلاء : ولد عبد الله وصالح .
(٧) في ب ، ظا : ذريته .

وقد بلغه في مرضه[١] عن طاووس أنه كره الأنين في المرض ، فترك الأنينَ ، فلم يئنّ حتّى كانت الليلة التي توفي في صبيحتها ، وكانت ليلة الجمعة ، الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، فأنَّ حين اشتد عليه الوجع .

وقد رُوِيَ عن ابنه عبد الله ، ويُروى عن صالح أيضاً ، أنه قال : لمَّا احتُضر بي رحمه الله جعل يكثر أن يقولَ : لا ، بعدُ ، لا ، بعدُ ، فقلْتُ : يا أبة ، ما هذه اللفظة التي لهجت بها في هذه الساعة ؟ فقال : يا بنيّ ، إنَّ إبليسَ واقفٌ في زاوية البيت ، وهو عاضّ على أصبعه ، وهو يقول : فُتَّنِي يا أحمد ؟ فأقولُ : لا ، بعدُ ، لا ، بعد . يعني لا يفوته حتَّى تخرجَ روحه من جسده على التوحيد . كما جاء في بعض الأحاديث ، قال إبليس : يا ربّ ، وعزَّتِك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحُهم في أجسادهم . فقال : وعزَّتي وجَلالي ، ولا أزال أغفِرُ لهم ما استغفروني[٢] .

وأحسن ما كان من أمره أنه أشار إلى أهله أن يوضِّئوه ، فجعلوا يوضئونه وهو يُشيرُ إليهم أن خلِّلوا أصابعي وهو يذكر الله عزَّ وجلَّ في جميع ذلك ، فلمَّا أكملوا الوضوء توفي ، رحمه الله ، ورضي عنه .

وقد كانت وفاة الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ صبيحة يوم الجمعة ، حين مضى نحو من ساعتين من النهار . فاجتمع الناس في الشوارع ، وبعث محمد بن عبد الله بن طاهر حاجبَه ومعه غلمان يحملون مناديل فيها أكفان ، وأرسل يقولُ : هذا نيابة عن الخليفة ، فإنَّه لو كان حاضراً لبعث بهذا . فأرسل أولاده يقولون : إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه في حياته مما يكره ، وهذا مما يكرهه ، وأبوا أن يكفّنوه في تلك الأثواب ، وأتَوا بثوب كان قد غزلته جاريته فكفَّنوه فيه ، واشتروا معه عَوَز لُفافة وحَنُوطاً ، واشتروا له راوية ماءٍ ، وامتنعوا أن يغسلوه بماءٍ من بيوتهم ؛ لأنَّه كان قد هجَر بيوتهم ، فلا يأكل منها ، ولا يستعيرمن أمتعتهم ، وكان لا يزال متغضِّباً عليهم ، لكونهم كانوا يتناولون ما رُتِّب لهم على بيت المال ؛ في كُلِّ شهر أربعةُ آلاف درهم . وكانوا عالةً[٣] وفقراء . وحضر غسله نحو مئة من بيت الخلافة من بني هاشم ، فجعلوا يقبّلون بين عينيه ، ويدعون له ، ويترحَّمون عليه ، [ويترضَّون عنه][٤] .

وخرج الناس بنعشه ، والخلائق حوله من الرجال والنساء ما لا يعلم عددهم إلا الله ، ونائب البلدة

---

(١) في ب ، ظا : مرض موته .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٩ و٤١) رقم (١١١٧٨) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٦١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان قال : وعزتك يا رب ، لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسامهم ، فقال الرب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » وإسناده ضعيف ، ولكن له طرقه ، فهو بها حسن .

(٣) العالة : الفقراء ، جمع عائل .

(٤) الزيادة من ب ، ظا .

محمد بن عبد الله بن طاهر واقفٌ في الناس ، وتقدَّم خطوات فعزَّى أولاد الإمام أحمد فيه ، وكان هو الذي أمَّ الناس في الصلاة عليه ، وقد أعاد جماعة من الناس الصلاة على القبر بعد الدفن من أجل ذلك ، ولم يستقرَّ في قبره ـ رحمه الله ـ إلا بعد صلاة العصر ، وذلك لكثرة الخلق .

وقد روى البيهقيُّ وغيرُ واحدٍ : أنَّ الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحزر الناس فوجدوا ألفَ ألفٍ وثلثمئة ألف ، وفي رواية : وسبعمئة [ألف] إنسان ، سوى من كان في السُّفُن[١] . وأقل ما قيل : سبعمئة ألف .

وقال ابنُ أبي حاتم : سمعتُ أبا زُرْعة ، يقول : بلغني أنَّ المتوكِّل أمَرَ أنْ يُمْسَحَ الموضعُ الذي وقفَ الناس عليه حيث صُلِّي على أحمد بن حنبل ، فبلغ مقام ألفي ألفٍ وخمسمئة ألف[٢] .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقيّ عن الحاكم : سمعْتُ أبا بكر أحمد بن كامل القاضي ، يقول : سمعت محمد بن يحيى الزنجاني سمعت عبد الوهاب الورَّاق ، يقول : ما بلغنا أن جمعاً في الجاهلية والإسلام كان أكثر من الجمع على جنازة أبي عبد الله .

وقال أبو محمد ، عبد الرحمن بن أبي حاتم : حدثني محمد بن العبَّاس المكّيّ ، سمعت الوَرْكاني ، جارَ أحمد بن حنبل ، قال : أسلم يوم مات أحمدُ عشرون ألفاً من اليهود ، والنصارى ، والمجوس . [ووقع المأتم في المسلمين واليهود والنصارى والمجوس][٣] . وفي بعض النسخ : أسلم عشرة آلاف بدل عشرين ألفاً ، والله أعلم[٤] .

وقال الدَّارَقُطني : سمعتُ أبا سهل بن زياد ، يقول : سمعت عبد الله بن أحمد ، يقول : سمعت أبي ، يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم يوم الجنائز . وقد صدَّق الله قوله في هذا ، فإنه ـ رحمه الله ـ كان إمامَ السُّنَّة في زمانه ، وعيون مخالفيه أحمد بن أبي دُوَاد القاضي[٥] لم يحتفل أحدٌ بموته ، ولا شيَّعه من الناس إلا القليل . وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي ، مع زهده وورعه وتنقيره ومحاسبته نفسه

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٤٠) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) زيادة من ب ، ظا .

(٤) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٤٣) : هذه حكاية منكرة ، تفرَّد بنقلها هذا المكي عن هذا الوَرْكاني ، ولا يُعْرَف ، وماذا بالوركاني المشهور محمد بن جعفر الذي مات قبل أحمد بن حنبل بثلاث عشرة سنة ، وهو الذي قال فيه أبو زرعة : كان جاراً لأحمد بن حنبل . ثم العادة والعقل تحيل وقوع مثل هذا؛ وهو إسلام ألوف لموت وليٍّ لله ، ولا ينقل ذلك إلا مجهول لا يُعرف؛ ولو وقع ذلك لاشتهر ولتواتر؛ لتوفر الهمم؛ والدواعي على نقل مثله . بل لو أسلم لموته مئة نفسٍ لقُضي من ذلك العجب ، فما ظنك ؟!.

(٥) في ط : وهو قاضي قضاة الدنيا .

في خطراته وحركاته ، لم يصلِّ عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس[١] . فلله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ .

وقد روى البيهقيُّ ، عن حجاج بن محمد الشاعر : أنه قال : ما كنتُ أحبُّ أن أقتَلَ في سبيل الله ولم أصلِّ على الإمام أحمد .

وروى عن رجل من أهل العلم : أنه قال يوم دُفِنَ أحمد : دُفِنَ اليومَ سادسُ خمسةٍ ، وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعمر بن عبد العزيز ، رحمهم الله . وكان عمره يوم توفي ـ رحمه الله ـ سبعاً وسبعين سنة وأياماً أقلّ من شهر .

ذكر ما رُئي من المنامات الصالحة التي رآها الإمام أحمد ورئيت له

وقد صحَّ في الحديث : « لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إلا المُبَشِّرات »[٢] . [وفي رواية : « إلا الرؤيا الصالحة][٣] يراها المؤمن أو تُرَى له » .

وروى البيهقيُّ عن الحاكم ، سمعتُ علي بن حَمْشاذ ، سمعت جعفر بن محمد بن الحسين ، سمعتُ سلمة بن شبيب ، يقول : كنَّا عند أحمد بن حنبل ، وجاءه شيخ ومعه عُكَّازة فسلَّم وجَلَسَ ، فقال : من منكم أحمد بن حنبل ؟ فقال أحمد : أنا ، ما حاجتك ؟ قال : ضربْتُ[٤] إليك من أربع مئة فرسخٍ ، أريت الخضِرَ في المنام ، فقال : سر[٥] إلى أحمد بن حنبل ، وسَلْ عنه ، وقل له : إنَّ ساكن العرش والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك لله عزَّ وجلّ[٦] .

وعن أبي عبد الله محمد بن خزيمة الإسكندراني ، قال : لمَّا مات أحمد اغتممْتُ غمّاً شديداً ، فرأيته في المنام وهو يَتَبَخْتَرُ في مشيته ، فقلْتُ له : يا أبا عبد الله ، أيُّ مشيةٍ هذه ؟ فقال : مِشْيَةُ الخُدَّام في دار

---

(١) بعدها في ط : وكذلك بشر بن غياث المريسي ، لم يصلِّ عليه إلا طائفة يسيرة جداً .

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٢/ ٣٣١) في التعبير ، باب المبشرات ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤية الصالحة » .
قال الحافظ في الفتح : كذا ذكره باللفظ الدال على المضي تحقيقاً لوقوعه ، والمراد الاستقبال ، أي : لا يبقى .
والمعنى : لم يبق بعد النبوة المختصة بي إلا المبشرات ، ثم فسرها بالرؤيا .
وجاء الحديث من حديث ابن عباس عند أحمد (١/ ٢١٩) ، ومسلم رقم (٤٧٩) ، وأبي داود رقم (٨٧٦) ، وابن ماجه رقم (٣٨٩٩) بلفظ : « أيها الناس ، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له » . وهو جزء من حديث طويل قاله في مرض موته ﷺ .

(٣) زيادة من ط .

(٤) في سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥١) : صِرْتُ إليك .

(٥) في ب ، ظا : قُمْ وصِرْ .

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (الجزء السابع/ ٢٧٤ و٢٧٥) .

السلام ، فقلتُ : ما فَعَلَ اللهُ بك ؟ قال : غَفَرَ لي ، وتوَّجني ، وألْبَسَني نعلَيْن مِنْ ذَهبٍ ، وقال لي : يا أحمدُ ، هذا بقولك : القرآنُ كلامي ، ثم قال : يا أحمدُ ، ادعُني بتلك الدَّعوات التي بَلَغَتْكَ عن سفيان الثَّوْري ، كنتَ تدعو بهنَّ في دار الدنيا . قال : قلت : يا ربَّ كلِّ شيءٍ ، بقدرتك على كلِّ شيءٍ ، اغفرْ لي كُلَّ شيءٍ ، حتَّى لا تسألني عن شيء . فقال لي : يا أحمدُ ، هذه الجنة قُم ادخلْ إليها ، فدخلْتُ فإذا أنا بسفيان الثوريّ وله جناحان أخضران ، يطيرُ بهما من نخلةٍ إلى نخلةٍ ، وهو يقول : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر : ٧٤] . قال : فقلت له : ما فَعَلَ بِشْرٌ الحافيّ ؟ فقال : بَخٍ بَخٍ ! ومَنْ مثلُ بِشْر ؟! تركته بين يدي الجليل ، وبين يديه مائدةٌ من الطَّعام ، والجليلُ مقبِلٌ عليه ، وهو يقول : كُلْ يا مَنْ[١] لم يأكل ، اشربْ يا مَن لم يشرب ، وانْعَمْ يا مَنْ لم ينعَمْ ، أو كَما قال[٢] .

وقال أبو محمد بن أبي حاتم ، عن محمد بن مسلم بن وَارة ، قال : لمَّا مات أبو زُرعة رأيته في المنام ، فقلت : ما فَعَلَ اللهُ بك ؟ فقال : قال لي الجبَّار : ألحقوه بأبي عبد الله ، وأبي عبد الله ، وأبي عبد الله ؛ مالك والشافعي وأحمد بن حنبل .

وقال عثمان[٣] بن خُرَّزاد الأنطاكي : رأيت في المنام كأنَّ القيامة قد قامت وقد برز الربُّ لفصل القضاء ، وكأنَّ منادياً ينادي من تحت بطنان العرش : أدخلوا أبا عبد الله ، وأبا عبد الله ، وأبا عبد الله ، [وأبا عبد الله][٤] الجنّة . قال : فقلْتُ لملك إلى جانبي : من هؤلاء ؟ فقال : مالك ، والثوريّ ، والشافعيّ ، وأحمد بن حنبل .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن أيّوب المقدسيّ ، قال : رأيت رسولَ الله في النوم وهو نائمٌ وعليه ثوب مغطى ، وأحمد بن حنبل ويحيى بن مَعين يذبَّان عنه .

وقد تقدَّم[٥] في ترجمة أحمد بن أبي دُواد عن يحيى الجلاء ، أنه رأى كأنَّ أحمد بن حنبل في حَلْقةٍ بالمسجد الجامع وأحمد بن أبي دُوَاد في حَلْقةٍ أخرى ، وكأنَّ رسولَ الله ﷺ واقفٌ بين الحلقتين وهو يتلو هذه الآية : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [الأنعام : ٨٩] ويشير إلى حَلْقة ابن

---

(١) آ ، ب : يا من لا أكل ، والمثبت من ظا ، ط .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (الجزء السابع/ ٢٩٠ و٢٩١) . والمجلدة العاشرة (ترجمة بشر الحافي) ص(٨٥) ، وفي مختصره لابن منظور (٣/ ٢٥٥ و٥/ ٢٠٦) وبعضه في صفة الصفوة (٢/ ٣٣٥) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٤٨) .

(٣) تحرفت في المطبوع إلى : أحمد .

(٤) ما بين قوسين لم يرد في آ .

(٥) تقدم في حوادث سنة (٢٤٠) .

أبي دُوَاد وأصحابه ، ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] ، ويُشير إلى أحمدَ بن حنبل وأصحابِه .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومئتين

فيها : كانت زلازلُ هائلة في البلاد ؛ فمن ذلك ما كان بمدينة قُوْمِس[١] ، تهدَّم منها دورٌ كثيرةٌ ، ومات من أهلها نحو من خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين[٢] نفساً .

وكانت باليمن وخراسان وفارس والشام وغيرها من البلاد زلازلُ منكرةٌ .

وفيها : أغارت الروم على بلاد الجزيرة ، فانتهبوا شيئاً كثيراً ، وأسروا نحواً من عشرة آلاف من الذَّراري ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وحجَّ بالناس فيها عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن عليّ ، نائب مكة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن عليّ بن الجَعْد ، قاضي مدينة المنصور[٣] .

وأبو حسَّان الزِّياديّ[٤] : قاضي الشرقيّة ، واسمه[٥] الحسن بن عثمان بن حمَّاد بن حسَّان بن عبد الرحمن بن يزيد البغدادي . سمع الوليد بن مسلم ، ووكيع بن الجرَّاح ، والواقديّ ، وخلْقاً سواهم .

وعنه : أبو بكر بن أبي الدنيا ، وعليّ بن عبد الله الفَرْغَاني الحافظ المعروف بطفك ، وجماعة .

ترجمه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[٦] قال : وليس هو من سلالة زياد بن أبيه ، إنَّما تزوج بعضُ أجداده بأمِّ وَلَدٍ لزيادٍ ، فقيل له : الزِّياديّ .

---

(١) « قُوْمِس » : كورة كبيرة تشتمل على مدن وقرى ومزارع ، وهي في ذيل جبال طبرستان ، وقصبتها المشهورة دامغان ، وهي بين الري ونيسابور . (ياقوت) .

(٢) في النسخ : وتسعون .

(٣) الحسن بن علي بن الجَعْد بن عبيد الجوهري . ولي قضاء مدينة المنصور . وكان من العلماء بمذهب أهل العراق ، أخذ عن أبيه ، وولي القضاء في حياة أبيه . تاريخ بغداد (٧/ ٣٦٤) .

(٤) معجم الأدباء (٩/ ١٨) ، وتاريخ بغداد (٧/ ٣٥٦) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ٣٤٧) ، والعبر (١/ ٤٣٧) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩٦) .

(٥) في آ ، ب : واسم أبي حسان الزيادي الحسن . . . ، والمثبت من ط .

(٦) تاريخ ابن عساكر (٤/ ٢٣٦أ) ، ومختصر ابن عساكر (٦/ ٣٤٧) .

ثم أورد من حديثه بسنده عن جابرٍ : « الحلالُ بيِّن ، والحَرَامُ بيِّنٌ »[١] . . . الحديث .

وروي عن الخطيب[٢] أنه قال : كان من العلماء الأفاضل ، من أهل المعرفة والثقة والأمانة ، ولِيَ قضاءَ الشّرقية في خلافة المتوكّل ؛ وله تاريخٌ على السنين ، وله حديثٌ كثير .

وقال غيره[٣] : كان صالحاً ديناً قد عمل الكتب ، وكانت له معرفة جيدة بأيّام الناس ، وله تاريخٌ حسن ، وكان كريماً مفضالاً .

وقد ذكر ابن عساكر[٤] عنه أشياء حسنة ؛ منها : أنَّه أنفَذَ إليه بعضُ أصحابه يذكر أنَّه قد أصابته ضائقة في عيدٍ من الأعياد ، ولم يكنْ عنده غيرُ مئة دينار ، فأرسلها بصُرّتها إليه ، ثم سأل ذلك الرجلَ صاحبٌ له أيضاً يشكو مثل تلك الحال ، فأرسل بها إليه ، وكتب أبو حسّان إلى ذلك الرجل الذي أخذ المئة يستقرضُ منه شيئاً وهو لا يشعر بالأمر ، فأرسل إليه بالمئة في صرّتها ، فلمّا رآها تعجَّبَ مِنْ أمرها ، وركبَ إليه يسأله عن ذلك ، فذكر أنَّ فلاناً أرسلها إليه ؛ فاجتمع الثلاثة ، واقتسموا المئة دينار ؛ رحمهم الله وجزاهم عن مروءتهم خيراً .

وفيها توفي أبو مُصْعَب الزُّهريّ ، أحدُ رواة « الموطَّأ » عن مالك[٥] .

وعبد الله بن ذَكْوان ، أحد القرّاء المشاهير[٦] .

---

(١) حديث جابر هذا رواه ابن عساكر في تاريخه ، وهو في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٦/ ٣٤٧) .
وقد رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٧) في الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، وفي البيوع ، باب الحلال بين والحرام بين ؛ ومسلم في صحيحه رقم (١٥٩٩) في المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ؛ وأبو داود رقم (٣٣٢٩) و(٣٣٣٠) والترمذي رقم (١٢٠٥) ، والنسائي (٧/ ٢٤١) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما ؛ قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » صفحة (٦٣) : هذا الحديث صحيح متفق على صحته من رواية النعمان بن بشير .
وقد روي عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر ، وعمار بن ياسر ، وجابر بن عبد الله ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وحديث النعمان أصح أحاديث الباب .
وقد ألف الشوكاني إمام القطر اليماني رسالة حول هذا الحديث ، سماها كشف الشبهات عن المشتبهات ، فانظرها .

(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٣٥٦) ، ومختصر ابن عساكر (٦/ ٣٤٧) .

(٣) مختصر ابن عساكر (٦/ ٣٤٧) .

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ٣٤٩) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩٧) .

(٥) هو أحمد بن أبي بكر الزُّهريّ ، القاسم بن الحارث ، الفقيه ، قاضي المدينة ومفتيها . تفقَّه على مالك ، وسمع منه الموطأ ، ولزمه مدّة . قال الزبير بن بكار : مات وهو فقيه المدينة غير مدافع ، عن اثنتين وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٣٦) ، والعبر (١/ ٤٣٦) .

(٦) هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان ، أبو عمرو ، ويقال : أبو محمد ، المقرىء ، شيخ الإقراء بالشام ، وإمام جامع دمشق ، قرأ على أيّوب بن تميم . غاية النهاية (١/ ٤٠٤) .

ومحمد بن أَسْلَم الطّوسي[١] .

ومحمّد بن رُمْح[٢] .

ومحمد بن عبد الله بن عمَّار الموصليّ ، أحد أئمة الجرح والتعديل[٣] .

والقاضي يحيى بن أَكْثَم[٤] .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومئتين

في ذي القعدة منها توجَّه المتوكِّلُ على الله من العراق قاصداً مدينة دمشق ، ليجعلَها دارَ إقامته ، ومحل إمامته ، فأدركه عيدُ الأضحى وهو بمدينة بَلَد ، فضحَّى بها ، وتأسَّفَ أهلُ العراق على ذلك ، فقال في ذلك يزيد بن محمد المهلّبيّ[٥] :

أظـنُّ الشّـامَ تَشْمَـتُ بـالعِـراقِ إذا عَـزَمَ الإمـامُ علـى انْطِـلاقِ
فـإنْ تَـدَعِ العِـراقَ وسـاكِنيهـا فقـدْ تُبْلـى المليحـةُ بـالطَّـلاق

وحجَّ بالناس عبد الصمد ، المذكور في التي قبلَها ، وهو نائب مكّة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

قال ابنُ جرير : وفيها توفي :

إبراهيم بن العبَّاس[٦] : متولّي[٧] ديوان الضِّياع . قلت : إبراهيم بن العبَّاس بن محمد بن صُول تكينْ

---

(١) أبو الحسن ، صاحب المسند والأربعين ، كان يشبه في وقته بابن المبارك . روى عن إمام الأئمة ابن خزيمة ، إمام حافظ ثقة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩٥) ، والعبر (١/ ٤٣٧) .

(٢) أبو عبد الله التُّجيبي مولاهم ، المصريّ ، الحافظ الثبت . قال النسائي : ما أخطأ في حديث واحد . وكان معروفاً بالإتقان الزائد والحفظ ، ولم يرحل . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩٨) ، والعبر (١/ ٤٣٨) .

(٣) هو أبو جعفر ، صاحب التاريخ وعلل الحديث . ثقة ، حافظ حجة ، محدِّث الموصل . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦٩) ، العبر (١/ ٤٣٨) .

(٤) يحيى بن أكثم بن محمد بن قَطَن ، أبو محمد المروزيّ ، البغدادي ، قاضي القضاة ، وأحد الأعلام . ولاه المأمون قضاء بغداد ، وأخذ بمجامع قلبه ، فكانت الوزراء لا تعمل شيئاً إلا بعد مطالعته . وجعله المتوكل في مرتبة أحمد بن أبي دُواد ، ثم غضب عليه . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥) ، العبر (١/ ٤٣٩) .

(٥) تاريخ الطبري (٩/ ٢٠٩) ، وابن الأثير (٧/ ٨٣) .

(٦) الأغاني (١٠/ ٤٣ ـ ٦٨) ، وتاريخ بغداد (٦/ ١١٧) ، ومعجم الأدباء (١/ ١٦٤ ـ ١٩٨) ، ووفيات الأعيان (١/ ٤٤) .

(٧) حتى قوله : العباس لم يرد في ب ، ظا .

الصُّوليّ ، الشاعر الكاتب ، وهو عمّ محمّد بن يحيى الصُّولي[١] . وكان جدُّه صُول تكين ملك جُرْجان ، وكان أصله منها ، ثم تمجّس ، ثم أسلَمَ على يدي يزيدَ بن المهلّب بن أبي صُفْرة .

ولإبراهيم هذا ديوان شعرٍ ذكره ابنُ خلكان واستجادَ من شعره أشياء ؛ منها قولُه[٢] :

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بها[٣] الفَتَى ذَرْعاً وعِنْدَ اللهِ منها مَخْرَجُ
كَمَلَتْ[٤] فلمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُها فُرِجَتْ وكُنْتُ أظُنُّها لا تُفْرَجُ

ومنها قوله[٥] :

كُنْتَ السَّوادَ لِمُقْلَتي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فعلَيْكَ كُنْتُ أحاذِرُ

ومن ذلك ما كَتَبَ به إلى الوزير المعتصم محمد بن عبد الملك بن الزيات[٦] :

وَكُنْتَ أخِي بإخاءِ الزَّمانِ فلمَّا نَبَا[٧] صِرْتَ حَرْباً عَوَانَا
وَكُنْتُ أذُمُّ إليكَ الزَّمَانَ فأصْبَحْتُ منكَ أذُمُّ الزَّمَانَا
وَكُنْتُ أعِدُّكَ لِلنَّائباتِ فَهَا أنا أطْلُبُ مِنْكَ الأمَانَا

وله أيضاً[٨] :

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ العَيْشِ في دَعَةٍ نُزُوعُ نَفْسٍ إلى أهْلٍ وأوطانِ
تَلْقَى بِكُلِّ بِلادٍ إنْ حَلَلْتَ بِهَا أهْلاً بأهْلٍ[٩] وجيراناً بجيرانِ[١٠]

وكانت وفاته بمنتصف شعبان من هذه السنة بِسُرَّ مَن رأى ؛ رحمه الله .

---

(١) في الوفيات (١/ ٤٥) وهو عم والد أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي ، صاحب كتاب الوزراء وغيره من المصنفات .
(٢) الطرائق الأدبية ديوانه ١٧١ ، ومعجم الأدباء (١/ ١٨٧) ، ووفيات الأعيان (١/ ٤٦) .
(٣) في النسخ : لها ، والمثبت من ط ومصادر الشعر .
(٤) في الوفيات : ضاقت .
(٥) يرثي ابنه ، الطرائف الأدبية ديوانه (١٦٩) ، والأغاني (١٠/ ٤٩) ، ومعجم الأدباء (١/ ١٧٧) ، ووفيات الأعيان (١/ ٤٧) .
(٦) الطرائف الأدبية ديوانه (١٦٦) ، معجم الأدباء (١/ ١٧١) ، ووفيات الأعيان (١/ ٤٦) ، والأغاني (١٠/ ٥٧) .
(٧) في ظا ، ط : ثنى .
(٨) الطرائف الأدبية ديوانه (١٥١) ، ومعجم الأدباء (١/ ١٩٢) ، ووفيات الأعيان (١/ ٤٦) .
(٩) معجم الأدباء : أرضاً بأرضٍ ، وفي الديوان : داراً بدار .
(١٠) في ط : وأوطاناً بأوطان .

[والحسن بن مَخْلَد بن الجرَّاح ، خليفة إبراهيم ، في شعبان][١] .

قال[٢] : ومات هاشم بن بَنجور في ذي الحجّة .

قلت أنا : وتوفي فيها :

أحمد بن سعيد الرِّباطيّ[٣] .

والحارث بن أسد المُحَاسبيّ[٤] ، أحد أئمة الصّوفية .

وحَرْمَلة بن يحيى التُّجِيبيّ[٥] ، صاحب الشافعيّ .

وعبد الله بن معاوية الجُمَحيّ[٦] .

ومحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني[٧] .

وهارون بن عبد الله الحمَّال[٨] .

---

(١) ما بين قوسين زيادة في آ ، ط ، ولم ترد في نسختي ب ، ظا .
وعبارة الطبري : وفيها مات إبراهيم بن العباس ، فولي ديوان الضياع الحسنُ بن مخلَد بن الجرَّاح ، خليفةُ إبراهيم ، في شعبان وهو الحسن بن مَخْلَد ، أبو محمد البغدادي ، الوزير الأكمل ، من الكتاب ، له علم بالأدب ، كان يتولى ديوان الضياع للمتوكل العباسي ، واستوزره المعتمد سنة ٢٦٣هـ ، ثم عزله ، وأعاده ، وعزله سنة ٢٦٥هـ ، ومازال على غير استقرار حتى طلبه أحمد بن طولون إلى مصر ، وجعل إليه نظر الإقليم ، ثم غضب عليه فحبسه بأنطاكية فمات فيها نحو سنة ٢٦٩هـ . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٧) ، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٢٣) .

(٢) ابن جرير الطبري (٩/ ٢٠٩) وفي ابن الأثير : منجور .

(٣) أبو عبد الله ، أمير الرِّباط ، المروزي ، نزيل نيسابور ، الحافظ ، الحجّة ، المتقن ، الثقة . سمع وكيعاً وعبد الرزاق . تاريخ بغداد (٤/ ١٦٥) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٠٧) .

(٤) أبو عبد الله ، الزاهد العارف ، شيخ الصوفية ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، واعظاً مبكياً . له تصانيف في الزهد ، وأصول الديانة ، والردّ على المعتزلة والرافضة . حلية الأولياء (١٠/ ٧٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ١١٠) ، والأعلام (٢/ ١٥٣) .

(٥) حَرْمَلة بن يحيى بن عبد الله ، أبو حفص التُّجيبيُّ ، المصري . حدث عن ابن وهب ، فأكثر جداً ، وعن الشافعي فلزمه ، وتفقَّه به ، صنف المختصر والمبسوط . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٨٩) ، والعبر (١/ ٤٤٠) .

(٦) أبو جعفر ، مسند البصرة ، عاش مئة عام ، كان ثقةً صاحب حديث . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٣٥) ، والعبر (١/ ٤٤٠) .

(٧) في النسخ والمطبوع : « محمد بن عمر العدني » والمثبت من سير أعلام النبلاء وغيره . وهو محمد بن يحيى بن عمر ، أبو عبد الله العَدَنيّ الحافظ ، صاحب المسند ، شيخ الحرم ، كان عبداً صالحاً خيراً . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٩٦) ، والعبر (١/ ٤٤١) .

(٨) أبو موسى البغدادي البزّار ، المعروف بالحمَّال ، قيل : إنه تزهَّد وصار يحمل بأجرة يتقوَّت بها . وقيل : إنه لقب بالحمال؛ لكثرة ما حمل من العلم . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١١٥) ، والعبر (١/ ٤٤١) .

وهنَّاد بن السَّرِيّ[١] .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومئتين

في صفر منها دخل الخليفة المتوكّلُ إلى مدينة دمشق في أُبَّهَةِ الخلافة ، وكان يوماً مشهوداً ، فعزم على الإقامة بها ، وأمَر بنقل دواوين الملك إليها ، وأمر ببناء القصور بها ، وهي التي بطريق داريّا ، ثم إنَّه استوخَمها ، ورأى أنَّ هواءها باردٌ نَدِيّ ، وماءها ثقيلٌ بالنسبة إلى هواء العراق ومائه ، ورأى الهواء يتحرَّك من بعد الزوال في زمن الصيف ، فلا يزالُ في اشْتِداد وغبارٍ إلى قريبٍ من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها . ودخل عليه فصلُ الشتاء ، فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً عجيباً ، وغلَت الأسعار وهو بها ، وانقطعت الأجلاب بسبب كثرة الشتاء والثلوج ، فضجر منها .

فجهَّز بُغا إلى بلاد الروم ، ثم رجع من آخر السَّنة إلى سامُرّاء بعدما أقام بدمشق شهرين وعشرة أيام ، والله أعلم .

وفي هذه السنة أتي المتوكل بالحربة التي كانت تُحمل بين يدي رسول الله ﷺ يوم العيد وغيره ، وقد كانت للنجاشيّ ، فوهبها للزُّبير بن العوّام ، فوهبها الزُّبيرُ من النَّبيّ ﷺ[٢] ، فلمَّا صارت للمتوكل على الله ، فرح بها فرحاً شديداً ، وأمَر صاحبَ الشرطة أن يحملَها بين يديه كما كانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ .

وفيها : غضبَ المتوكّلُ على الطبيب بَخْتَيشُوع[٣] ونفاه ، وأخذ ماله .

وحجَّ بالناس فيها عبدُ الصمد المذكور قبلها .

واتفق في هذه السنة يومُ عيد الأضحى وعيد الفطير[٤] لليهود ، وشعانين النصارى ، وهذا عجيب[٥] غريب .

---

(١) هنَّاد بن السَّرِيِّ بن مصعب ، أبو السّريّ التميمي الكوفيّ ، صاحب كتاب الزهد وغير ذلك . صدوق ، كان كثير البكاء، وما تزوج، ولا تسرَّى ، وكان يقال له : راهب الكوفة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦٥) ، والعبر (١/ ٤٤١).

(٢) في ط : للنبي .

(٣) هو بختيشوع بن جبرئيل بن بختيشوع بن جرجس ، طبيب سرياني الأصل مستعرب . قربه الخلفاء العباسيون ولا سيما المتوكل العباسي ، فعلت مكانته ، وأثرى حتى كان يضاهي المتوكل في الفرش واللباس . صنف كتاباً في الحجامة ، مات ببغداد سنة ٢٥٦هـ . الأعلام للزركلي (٢/ ٤٤) .

(٤) في ط : وخميس فطر اليهود .

(٥) في آ : أمر عجيب .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن مَنِيع[١] .

وإسحاق بن موسى الخَطْميّ[٢] .

وحميد بن مَسْعَدَة[٣] .

وعبد الحميد بن بيان[٤] .

وعليّ بن حُجْر[٥] .

والوزير محمد بن عبد الملك بن الزَّيَّات[٦] .

ويعقوب بن السكيت[٧] ، صاحب « إصلاح المنطق » .

---

(١) أحمد بن مَنِيع بن عبد الرحمن ، أبو جعفر البَغَوِيّ ، ثم البغدادي . حافظ ثقة ، رحل ، وجمع ، وصنَّف المسند . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٣) .

(٢) إسحاق بن موسى بن عبد الله ، أبو موسى الخَطْمي ، المدني ثم الكوفي ، نزيل سامراء ، قاضي نَيْسابور ، الفقيه . ثقة ، أطنب أبو حاتم في الثناء عليه ، وكان كثير الأسفار فتوفي بجوسية من أعمال حمص . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٥٤) ، والعبر (١/ ٤٤٢) .

(٣) حميد بن مَسْعَدَة بن المبارك الباهلي ، أبو علي ، ويقال : أبو العباس البصري . روى عن حماد بن زيد وطبقته ، وكان صدوقاً . العبر (١/ ٤٤٣) ، وتهذيب التهذيب (٣/ ٤٩) .

(٤) عبد الحميد بن بَيان بن زكرياء الواسطيّ ، أبو الحسن . روى عن خالد الطحان وهشيم فأكثر . ذكره ابن حبان في الثقات . (١/ ٤٤٣) ، وتهذيب التهذيب (٦/ ١١١) .

(٥) عليّ بن حُجْر بن إياس ، أبو الحسن السعدي المَرْوزي ، نزيل نيسابور ، نزل بغداد قديماً ، ثم انتقل إلى مرو ، واشتهر حديثه بها . وكان صادقاً متقناً حافظاً . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠٧) ، العبر (١/ ٤٤٣) .

(٦) هذا وهم من ابن كثير رحمه الله ، إذ أن ابن الزيات توفي مقتولاً على يد المتوكل في عام ٢٣٣هـ ، وذكر مقتله في حوادث تلك السنة ، قال بشار : ولعله اشتبه عليه بمحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب البصري المحدث المشهور ، فإنه توفي في هذه السنة . وتنظر ترجمته في تاريخ الخطيب (٣/ ٥٩٦) وتهذيب الكمال (٢٦/ ١٩) .

(٧) هو يعقوب بن إسحاق بن السِّكِّيت ، أبو يوسف ، إمام في اللغة والأدب ، النحوي المؤدِّب . أصله من خوزستان ، تعلم ببغداد ، واتصل بالمتوكل العباسي ، فعهد إليه بتأديب أولاده ، وجعله في عداد ندمائه ، ثم قتله . وكتابه « إصلاح المنطق » كتاب في اللغة مشهور .
طبقات النحويين واللغويين (٢٠٢) ، معجم الأدباء (٢٠/ ٥٠) ، وفيات الأعيان (٦/ ٣٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٦) .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومئتين

فيها : أمر المتوكّلُ ببناء مدينة الماحُوزَة وحفر نهرٍ لها ، فيقال : إنه أنفق على بنائها وبناء قصر الخلافة فيها الذي يقال له : « اللؤلؤة » ألفي ألف دينار .

وفي هذه السنة وقعت زلازل كثيرة ببلاد شتّى ؛ فمن ذلك بمدينة أنطاكية ، سقط فيها ألف وخمسمئة دار ، وانهدَمَ من سورها نيّفٌ وتسعون بُرْجاً ، وسُمعت من كُوى دورها أصواتٌ مزعجة جدّاً ، فخرجوا من منازلهم سراعاً يهرعون ، وسقط الجبل الذي إلى جانبها الذي يقال له « الأقرع » ، فساخ في البحر ، فهاجَ البحرُ عند ذلك ، وارتفع منه دخان أسود مظلم منتن ، وغار نهر على فرسخ منها ، فلا يُدْرَى أين ذهب بالكلية .

أورده الإمام أبو جعفر[١] بن جرير .

قال[٢] : وسمُع بتِنِّيس صيحة دائمة طويلة ، مات منها خلق كثير .

قال[٣] : وزلزلت فيها السِّنُ[٤] والرَّقَّة وحَرَّان ورأسُ العين وحمص ودمشق والرُّها وطَرَسُوس والمصِّيصة وأذنة وسواحل الشام ، ورجفت اللاذقية ، فما بقي منها منزل ، ولا بقي من أهلها إلا اليَسير ، وذهبت جَبَلَة بأهلها .

وفيها : غارت مُشاش ـ عين مكة ـ حتَّى بلغ ثمن القربة بمكّة درهماً[٥] ، حتى بعث المتوكّلُ فأنفقَ عليها .

قال[٦] : وفيها مات إسحاق بن أبي إسرائيل[٧] ، وسوّار بن عبد الله القاضي[٨] ، وهلال الرَّأْي[٩] .

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ٢١٢ـ٢١٣) .

(٢) تاريخ الطبري (٩/ ٢١٣) وفيه : وسمع فيها ـ كما قيل ـ أهل تِنِّيس ضجّة . . .

(٣) تاريخ الطبري (٩/ ٢١٣) .

(٤) في الطبري : بالس ، وهي بلد بالشام بين حلب والرقة . أما السِّنُّ فاسم لعدد من الأماكن ، منها قلعة بالجزيرة قرب سميساط ، وتعرف بسن ابن عُطَير . ياقوت .

(٥) في تاريخ الطبري : ثمانين درهما ، فبعثت أم المتوكل فأنفقت عليها .

(٦) تاريخ الطبري (٩/ ٢١٣) .

(٧) من كبار المحدّثين ، سمع حمّاد بن زيد وطبقته . أعرضوا عن الأخذ عنه ، لأنه أظهر الوقف في مسألة القرآن ، فقال: القرآن كلام الله ، ووقف . مات ببغداد وله خمس وتسعون سنة . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧٦) ، والعبر (١/ ٤٤٤) .

(٨) سوّار بن عبد الله بن سوّار بن قُدامة ، أبو عبد الله التميمي العنبري البصريّ ، قاضي الرّصافة ببغداد ، وهو من بيت العلم والقضاء ، كان جدّه قاضي البصرة . وكان من فحول الشعراء ، فصيحاً مفوّهاً سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٤٣) والعبر (١/ ٤٤٤) .

(٩) تحرفت في المطبوع والطبري وابن الأثير إلى : الرازي ، وهو هلال بن يحيى بن مسلم البصري . فقيه من أعيان الحنفية ، من أهل البصرة . لقب بالرأي ؛ لسعة علمه وكثره أخذه بالقياس ، له عدة مصنفات . الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/ ٢٠٧) ، والأعلام (٨/ ٩٢) .

وفيها هلك :

نجاح بن سلمة : وكان على ديوان التوقيع ، وقد كان حظيّاً عند المتوكِّل ، ثمَّ جرَتْ له كائنة اقتضت أنْ يأمر المتوكِّلُ بأخذ أمواله وأملاكه وحواصله ، وقد أورد قصَّته مطوّلة أبو جعفر بن جرير[١] ، رحمه الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عَبْدَة الضَّبِّي[٢] .

وأبو الحسن القَوَّاس ، مقرىء مكة[٣] .

وأحمد بن نَصْر النَّيسابوريّ[٤] .

وإسحاق بن أبي إسرائيل[٥] .

وإسماعيل بن موسى ، ابن بنت السُّدِّيّ[٦] .

وذو النُّون المِصريّ[٧] .

وسوّار القاضي[٨] .

وعبد الرحمن بن إبراهيم ، دُحَيْم[٩] .

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ٢١٤ ـ ٢١٧) وابن الأثير (٧/ ٨٨) .

(٢) أحمد بن عَبْدَة بن موسى الضَّبِّي ، أبو عبد الله البصريّ . سمع حمَّاد بن زيد والكبار ، وروى الكثير . ثقة . تهذيب الكمال (١/ ٣٩٧) ، والعبر (١/ ٤٤٤) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن عَوْن القَوَّاس النَّبَّال ، أبو الحسن ، المكي ، إمام مكة في القراءة ، قرأ على وهب بن واضح ، وقرأ عليه قُنبل . تهذيب الكمال (١/ ٤٨٢) ، وغاية النهاية (١/ ١٢٣) .

(٤) أحمد بن نَصْر بن زياد ، الشيخ أبو عبد الله القرشي النيسابوري ، شيخ نيسابور ومقرئها ومفتيها وزاهدها ، كان فقيه أهل الحديث في عصره ، كثير الرحلة والحديث . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٣٩) ، وغاية النهاية (١/ ١٤٥) .

(٥) سقط في ب ، ظا ، وقد تقدم قبل قليل .

(٦) أبو محمد ، ويقال : أبو إسحاق الكوفي ، الفَزَاريّ ، الشيعي ، المحدّث . روى عن مالك وطبقته . ذكره ابن حبَّان في الثقات ، وقال : كان يخطئ . تهذيب الكمال (٣/ ٢١٠) ، والعبر (١/ ٤٤٤) .

(٧) واسمه : ثَوبان بن إبراهيم الإخميمي ، نسبة إلى بلدة إخميم من ديار مصر بالصعيد ، أبو الفيَّاض ، أبو الفيض . وستأتي ترجمته مطولة بعد قليل .

(٨) سقط في (ط) ، وقد تقدم قبل قليل .

(٩) عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو بن ميمون الدمشقي ، أبو سعيد دُحَيْم ، قاضي فلسطين والأردن ، محدّث الشام . كان يعرف بدُحَيْم اليتيم ، ثقة ، لم يكن في زمانه مثله . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥١٥) ، والعبر (١/ ٤٤٥) .

ومحمّد بن رافع[١] .

وهشام بن عمّار[٢] .

وأبو تراب النَّخْشَبيّ[٣] .

وابن الرَّاوَنْدي[٤] : الزِّنديق ، أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين بن الرَّاوَنْدِي ، نسبة إلى قرية ببلاد قاشان ، كان ببغداد يصنف كتباً في الزَّنْدَقة ، وكانت لديه فَضيلةٌ ، لكنَّه استعملها فيما يضرُّه في الدّنيا والآخرة . وقد ذكرنا له ترجمةً مطوَّلة حسب ما ذكرها ابنُ الجَوزي[٥] [في سنة ثمان وتسعين ومئتين][٦] ، وإنما ذكرناه هاهنا لأنَّ القاضي ابنَ خلكان[٧] ذكر أنه توفي في هذه السنة . وقد تلبَّس عليه ، ولم يجرِّحْه بشيء أصلاً ، بل مدحه ، فقال : أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الرَّاونديُّ ، العالم المشهور ، له مقالة في علم الكلام ، وكان من الفُضلاء في عصره ، وله من الكتب المصنَّفة نحو من مئة وأربعة عشر كتاباً ؛ منها كتاب « فضيحة المعتزلة » ، وكتاب « التاج » ، وكتاب « الزُّمُرُّدَة »[٨] ، وكتاب « القصب »[٩] وغير ذلك . وله محاسن[١٠] ومحاضرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه أهل الكلام في كتبهم .

توفي سنة خمس وأربعين ومئتين ، برحبة مالك بن طَوْق التَّغلِبيّ ، وقيل : ببغداد ، [وتقدير عمره

---

(١) أبو عبد الله القشيريّ ، مولاهم النيسابوريّ . شيخ عصره بخراسان في الصدق والرحلة . كان زاهداً عابداً صالحاً . أرسل إليه ابن طاهر خمسة آلاف درهم ، فردَّها ، ولم يكن لأهله يومئذ خبز . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢١٥) ، والعبر (١/ ٤٤٥) .

(٢) أبو الوليد السّلميّ ، خطيب دمشق وقارئها وفقيهها ومحدّثها . قرأ القرآن على أيوب بن تميم وعراك عن قراءتهما على يحيى الذّماري صاحب ابن عامر . ثقة صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٢٠) ، العبر (١/ ٤٤٥) ، غاية النهاية (٢/ ٣٥٤) .

(٣) هو عسكر بن الحُصين النَّخْشَبيّ ، من كبار مشايخ القوم ، صحب حاتماً الأصمَّ وغيرَه . كتب العلم ، وتفقّه ثم تألّه وتعبّد ، وساح وتجرد . مات بالبادية ، قيل : نهشته السباع . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٤٥) ، العبر (١/ ٤٤٥) .

(٤) سيترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٩٨هـ ، وإنما ذكره هنا اقتداءً بابن خلكان ، الذي جعل وفاته في سنة ٢٤٥هـ ، فوقع في خطأ فاحش ، كما قال ابن الأثير .

(٥) المنتظم (٦/ ٩٩ ـ ١٠٥) .

(٦) زيادة من ط .

(٧) وفيات الأعيان (١/ ٩٥) .

(٨) وفيات الأعيان والمنتظم وهدية العارفين والأعلام : الزمرد .

(٩) في ب ، ظا : النصب ، ولعل الصواب كتاب قضيب الذهب كما ورد في المصادر والوفيات (١/ ٩٤) وحاشية (١) .

(١٠) في وفيات الأعيان : مجالس ومناظرات .

أربعون سنة . وذكره في البستان أنه توفي سنة خمسين ، فالله أعلم . هذا لفظه][1] بحروفه . وإنَّما أرَّخ ابنُ الجَوزيّ وفاته في سنة ثمان وتسعين ومئتين ، وسيأتي .

ذو النُّون المِصْريّ[2] : ثَوبان بن إبراهيم ، وقيل : ابن الفيض بن إبراهيم ، أبو الفيض المِصريّ ، أحدُ المشايخ المشهورين ، وقد ترجمه القاضي ابن خلكان في « الوفيات » ، وذكر شيئاً من فضائله وأحواله ، وأرَّخ وفاته في هذه السنة ، وقيل : في التي بعدها ، وقيل : في سنة ثمان وأربعين ومئتين ، والله أعلم .

وهو معدودٌ في جملة من رَوى « الموطأ » عن مالك . وذكره ابنُ يونس في « تاريخ مصر » ، وقال : كان أبوه نُوبياً ، وقيل : إنه كان من أهل إخْمِيم . وكان حليماً فصيحاً .

قال[3] : وسئل عن سبب توبته ، فذكر أنَّه رأى قُنْبَرَةً[4] عمياءَ نزلت من وَكْرِها ، فانشقَّت لها الأرض عن سُكُرُّجَتَيْن[5] من ذهبٍ وفضةٍ ، في إحداهما سِمْسِم ، وفي الأخرى ماء ، [فأكلَتْ من هذه وشربَتْ من هذه][6] .

وقد شُكي مرةً إلى المتوكّل ، فأحضره[7] ، فلمَّا دخل عليه وعظه ، فأبكاه ، فرَدَّه مكرَّماً إلى بلده . فكان إذا ذكر عنده يثني[8] عليه .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومئتين

في يوم عاشوراء منها دخل المتوكِّلُ إلى الماحوزة ، فنزل بقصر الخلافة منها ، واستدعى بالقرّاء ، ثم بالمطربين ، وأعطَى وأطلَقَ ، وكان يوماً مشهوداً .

---

(١) زيادة من ب ، ظا . وأراد بلفظه ابن خلكان (١/ ٩٤) .

(٢) له ترجمة في حلية الأولياء (٩/ ٣٣١ و١٠/ ٣) ، وتاريخ بغداد (٨/ ٣٩٣) ، ومختصر ابن عساكر (٨/ ٢٤٦) ، ووفيات الأعيان (١/ ٣١٥) ، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٢) ، والرسالة القشيرية (٢١١) .

(٣) وفيات الأعيان (١/ ٣١٦) .

(٤) « القُنْبُرَة والقُبَّرَة » : عصفور من فصيلة القُبَّرِيَّات ، ورتبة الجوائم المخروطية المناقير ، سُمْرٌ في أعلاها ، ضاربة إلى بياض في أسفلها ، وعلى صدرها بقعة سوداء . وجمعها : القُبَّرُ .

(٥) « السُّكُرُّجة » : إناء صغير ، يؤكل فيه القليل من الأدم ، وهي فارسية .

(٦) زيادة من ط ، ويوافق ذلك الوفيات .

(٧) بعده في ط : من مصر إلى العراق ، وفي الوفيات : من مصر .

(٨) في سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٤) : كان يقول : إذا ذُكر الصالحون ، فحيَّ هلا بذي النون .

وفي صفر منها وقَعَ الفداءُ بين المسلمين والروم ، ففودي من المسلمين نحو من أربعة[١] آلاف أسير .

وفي شعبان منا مُطرت بغداد مطراً عظيماً استمر نحواً من أحدٍ وعشرين يوماً .

ووقع بأرض بَلْخ مطرٌ ، إنَّما هو دمٌ عَبيطٌ[٢] .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن سليمان الزينبيّ .

وحجَّ فيها من الأعيان محمد بن عبد الله بن طاهر ، ووَلِي هو أمرَ المَوْسِم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن إبراهيم الدَّورقيُّ[٣] .

والحسين بن الحسن المروزيّ[٤] .

وأبو عمر الدُّوريّ[٥] ، أحد القراء المشاهير .

ومحمد بن مُصَفَّى الحِمْصيُّ[٦] .

ودِعْبِل بن عليّ[٧] : ابن رَزِين بن سليمان الخُزَاعيُّ ، مولاهم ، الشاعر الماجن ، البليغُ في المدح ، وفي الهجاء أكثر . قال : حضر يوماً عند سهل بن هارون الكاتب ، وكان بخيلاً ، فاسْتَدْعَى بغدائه ، فإذا ديكٌ في قصعة ، وإذا هو قاس لا يقطعه سكين ، ولا يعمل فيه ضِرْسٌ . ففقد الرأس ، فقال للطباخ : ويلك ! ماذا صنعت به ؟، قال : حسبت أنَّك لا تأكله ، فألقيتُه ، فقال : ويحك ! والله لأعيبُ على من يُلقي الرِّجْلَيْن ، فكيف بالرأس ، وفيه الحواس الأربع ، ومنه يصوّت وبه فضل ، وعيناه ، وبهما يُضْرَبُ المثلُ ، وعُرْفُه وبه يتبرّك ، وعظمُه أهشّ العظام ؛ فإن كنتَ رغبتَ عن أكله

---

(١) في الطبري وابن الأثير : ففودي بألفين وثلاثمئة وسبعة وستين نفساً .

(٢) « العَبيط من الدَّم » : الخالص الطري .

(٣) أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي ، أبو عبد الله العبدي ، وهذه النسبة إلى بيع القلانس الدَّوْرَقيَّة . حافظ مجوِّد مصنِّف ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٣٠) ، والعبر (١/ ٤٤٦) .

(٤) الحسين بن الحسن بن حَرْب ، أبو عبد الله المروزيّ ، صاحب ابن المبارك ، جاور بمكة ، وجمع وصنَّف . وهو راوي كتاب « الزهد » لأحمد بن حنبل . صدوق ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩٠) ، تقريب التهذيب (١/ ١٧٥) .

(٥) حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صُهْبان الدُّوريّ الضرير ، نزيل سامُرّاء ، شيخ المقرئين ، قرأ على الكسائي وغيره ، وجمع القراءات وصنَّفها ، وكان صدوقاً . قرأ عليه خلق كثير . سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٤١) ، العبر (١/ ٤٤٦) ، غاية النهاية (١/ ٢٥٥) .

(٦) أبو عبد الله ، العبد الصالح ، حدث عن الوليد بن مسلم وطائفة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٩٤) .

(٧) طبقات الشعراء (٢٦٤) ، الشعر والشعراء (٥٣٩) ، الأغاني (٢٠/ ١٢٠ ـ ١٨٦) ، تاريخ بغداد (٨/ ٣٨٢) ، معجم الأدباء (١١/ ٩٩) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٨/ ١٧٢) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥١٩) .

فأحضِرْه . فقال : لا أدري أين هو ؟ فقال : بل أنا أدري ، هو في بطنك ، قاتلك الله[١] !

أحمد بن أبي الحواري[٢] : واسمه[٣] عبد الله بن مَيْمون بن عياش بن الحارث ، أبو الحسن التغلبيّ الغَطَفانيُّ ، أحد الزهّاد المشهورين ، والعبّاد المذكورين ، والأبرار المشكورين[٤] ، ذوي الأحوال الصالحة ، والكرامات الصادقة ، أصلُه من الكوفة ، وسكن دمشق ، وتَلْمَذَ للشيخ أبي سليمان الدّارانيّ ، رحمهما الله .

وروى الحديث عن سُفيان بن عُيَيْنَةَ ، ووكيع ، وأبي أسامة ، وخلقٍ .

وعنه : أبو داود ، وابنُ ماجه ، وأبو حاتِم ، وأبو زُرْعَةَ الدِّمشقي ، وأبو زُرْعَة[٥] الرَّازيُّ ، وخلق كثيرون .

ذكره أبو حاتم ، فأثنى عليه .

وقال يحيى بن معين : إني لأظنُّ أنَّ الله يَسقي أهلَ الشّام به .

وكان الجُنَيْد بن محمد يقولُ : هو رَيْحَانةُ الشّامِ .

وقد روى الحافظ ابن عساكر[٦] أنَّه كان قد عاهد أبا سليمان الدّارانيَّ ألا يغضبَه [ولا يخالفه][٧] ، فجاءه يوماً وهو يحدِّث الناس ، فقال : يا سيدي ، هذا قد سجروا التنور فماذا تأمُرُ ؟ فلم يردَّ عليه أبو سليمان ؛ لشغله بالناس ، ثم أعادها أحمدُ ثانية ، وثالثة ، فقال له في الثالثة : اذهبْ فاقعد فيه . ثم اشتغل أبو سليمان بحديث الناس ، ثم استفاق ، فقال لمن حَضَره : إنِّي قلتُ لأحمد : اذهب فاقعدْ في التَّنُّور ، وإني أخشى أن يكون قد فعل ذلك ، فقوموا بنا إليه . فذهبوا فوجدوه جالساً في التَّنُّور ولم يحترِقْ منه شعرةٌ واحدة .

وروى[٨] : أن أحمد بن أبي الحَواريّ أصبحَ ذاتَ يومٍ وقد وُلِدَ له ولدٌ ولا يملك شيئاً يصلح به الولد ، فقال لخادمه : اذهبْ فاستدن لنا وزنةً من دقيق ، فبينما هو في ذلك إذ جاءه رجل بمئتي درهم ، فوضعها

---

(١) بعده في ط : فهجاه بأبيات ذكر فيها بخله ومسكه .

(٢) حلية الأولياء (١٠/ ٥) ، الرسالة القشيرية (٢١) ، صفة الصفوة (٤/ ٢٣٧) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٢) ، تهذيب الكمال (١/ ٣٦٩) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٨٥) .

(٣) أي اسم أبي الحواري .

(٤) في آ : المشهورين .

(٥) في النسخ : والرازي ، والزيادة من ط .

(٦) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٣) .

(٧) زيادة في ط . وعبارة المختصر : عقد ألا يخالفه .

(٨) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٤) مع اختلاف في الرواية .

بين يديه ، فدخل عليه رجل في تلك الساعة فقال : يا أحمد ، إنه قد وُلِدَ لي الليلةَ ولدٌ ولا أملك شيئاً ، فرفع أحمد طرفه إلى السماء ، وقال : يا مولاي ، هكذا بالعجلة ، وقال للرجل : خُذْ هذه الدراهم لك ، فلم يُبقِ له منها درهماً ، واستدان لأهله دقيقاً .

وروى[١] عنه خادمُه : أنه خرج إلى الثغر للرباط[٢] ، فمازالت الهدايا تفد[٣] إليه من بُكْرَة النَّهار إلى الزَّوال ، ثم فرَّقها إلى الغروب ، ثم قال لي : كُنْ هكذا لا تردَّ على الله شيئاً ، ولا تدَّخر عنه شيئاً .

ولما جاءت المحنة في زمن المأمون إلى دمشق ، وعيّن فيها أحمد بن أبي الحَواريّ ، وهشام بن عمَّار ، وسليمان بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن ذَكْوان ؛ فكلُّهم أجابوا إلا أحمد بن أبي الحَواريّ ، فحبس بدار الحِجارة ، ثم هُدِّد فأجاب تورية مكرَهاً ، ثم أطلق ، رحمه الله .

وقد قام ليلة بالثَّغْر يُكرِّر هذه الآية : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ، حتَّى أصبح .

وقد ألقى كتبَه في البحر ، وقال : نعم[٤] الكتب دليل إلى الله عزَّ وجلَّ ، ولكن الاشتغال بالدليل بعدَ الوصول إليه محالٌ[٥] .

ومن كلامه : لا دليلَ على الله سواه ، وإنَّما يُطلب العلم لآداب الخدمة[٦] .

وقال : من عَرَف الدُّنيا زَهِدَ فيها ، ومن عَرَفَ الآخرة رغِبَ فيها ، ومن عرَفَ الله آثر رضاه[٧] .

وقال : مَنْ نَظَر إلى الدنيا نظر إرادة وحُبٍّ لها ، أخرجَ اللهُ نورَ اليقين والزُّهْدِ من قلبه[٨] .

وقال أيضاً : قلت لأبي سليمان الدَّارانيّ في ابتداء أمري : أوصني . فقال : أمستوصٍ أنت ؟ قلت : نعم ، إن شاء الله تعالى . فقال : خالف نفسك في كُلِّ مراداتها ، فإنَّها الأمَّارة بالسوء ، وإياك أن تحقر[٩] أحداً من المسلمين ، واجْعَلْ طاعة اللهِ دثاراً ، والخوفَ منه شعاراً ، والإخلاصَ زاداً ، والصِّدْقَ جُنَّةً ، واقْبَلْ منِّي هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها ولا تغفُل عنها : إنَّه من استحيا من الله في كُلِّ أوقاته وأحواله

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٥) .
(٢) ابن عساكر : رباط بيروت .
(٣) في آ : تنقل .
(٤) في ط : نعم الدليل كنتِ لي على الله وإليه .
(٥) حلية الأولياء (١٠/ ٦) .
(٦) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٥) .
(٧) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٦) .
(٨) المصدر السابق .
(٩) في آ : أن تحقر إخوانك المسلمين .

وأفعاله ، بلغه إلى مقام الأولياء من عباده . قال : فجعلْتُ هذه الكلمات أمامي ، ففي كُلِّ وقتٍ أذكرها وأطالبُ نفسي بها[١] .

والصحيح أنَّه توفـي في هذه السنة ، وقيل : في سنة ثلاثين ومئتين ، وقيل غير ذلك .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومئتين

في شوال منها كان مقتل الخليفة المتوكِّلِ على الله على يدي ولده المنتصِر ، وكان سبب ذلك أنَّه أمر ابنه أبا عبد الله المعتز ، الذي هو وليُّ العهد من بعده ، أن يخطبَ بالناس في يوم جمعةٍ ، فأدَّاها أداءً عظيماً بليغاً ، فبلغ ذلك من المنتصر كلَّ مبلغ ، وحنِقَ على أبيه وأخيه ، ثم اتفق أن أحضره أبوه بين يديه فأهانه ، وأمر بضربه في رأسه وصَفْعَه ، وصرَّح بعزله عن ولاية العهد ، فاشتد أيضاً حَنَقُه أكثرَ ممَّا كان .

فلمَّا كان يوم عيد الفطر خطب الخليفة المتوكل على الله بالناس ، وعنده بعضُ التشكّي من علَّةٍ به ، ثم عدل إلى خيامٍ قد ضُربت له ، أربعة أميال في مثلها ، فنزل هناك ، ثم استدعى في يوم ثالث الشهر بندمائه ، وكانَ على عادته في سَمَرِه وحضرته وشربه ، ثم تمالأ ولدُه المنتصِرُ وجماعةٌ من الأمراء على الفَتْكِ به ، فدخلوا عليه ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال[٢] ، [ويقال : من شعبان][٣] من هذه السنة ، وهو على السِّماط ، فابتدروه بالسيوف فقتلوه ، ثم ولّوا بعده ولده المنتصر ، على ما سنذكره .

وهذه ترجمة المتوكِّل على الله[٤] جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، أبو الفضل ، المتوكِّل ، وأمُّه أمُّ ولدٍ يقال لها : شجاع ، وكانت من سَرَوات النّساء سخاءً وحزماً . كان مولده بفَمِ الصلح سنة سبع ومئتين[٥] ، وبويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق في يوم الأربعاء لستٍّ بقين من ذي الحجّة سنة ثنتين وثلاثين ومئتين ، كما تقدَّم .

وروى الخطيبُ[٦] من طريقه عن يحيى بن أكثم ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن موسى بن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن هلال ، عن جرير بن عبد الله ،

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٤٥) .

(٢) في النسخ : من شعبان ، والمثبت من ط والطبري .

(٣) زيادة من ط ، وفي آ : ويقال من شوال ، وهي ساقطة في ب ، ظا .

(٤) تاريخ الطبري (٩/ ٢٢٢ ـ ٢٣٤) ، تاريخ بغداد (٧/ ١٦٥) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٥٠) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٩٥) وما بعدها ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠) ، تاريخ الخلفاء (٣٥٢ ـ ٣٦٤) .

(٥) وقيل : سنة خمس ومئتين .

(٦) تاريخ بغداد (٧/ ١٦٦) ، مختصر ابن عساكر (٦/ ٨٦) .

عن النبيِّ ﷺ قال : « مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الخَيْرَ »[١] ، ثم أنشأ المتوكِّلُ يقول :

الـرِّفْـقُ يُمْـنٌ والأنـاةُ سَعـادَةٌ ... فـاسْتَـأْنِ فـي رِفْـقٍ تُـلاقِ نَجَـاحَـا

لا خَيْـرَ فـي حَـزْمٍ بغَيْـرِ رَوِيَّـةٍ ... والشَّـكُّ وَهْـنٌ إن أرَدْتَ سَـرَاحَـا

وقال الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » : وحدَّث عن أبيه المعتصم ، ويحيى بن أكثم القاضي . وروى عنه عليُّ بن الجهم الشاعر ، وهشام بن عمَّار الدمشقيّ .

وقدِمَ دمشقَ في خلافته ، وابتنَى بها قصراً بأرض داريَّا .

وقال يوماً لبعضهم[٢] : إنَّ الخلفاء كانت تتصعَّبُ[٣] على الرعيَّةِ لتطيعَها ، وإني[٤] أَلينُ لهم لِيُحبُّوني ويُطيعوني .

وقال أحمد بن مروان المالكي : حدثنا أحمد بن علي البصري ، قال : وجَّه المتوكِّلُ إلى أحمد بن المُعَذَّل وغيره من العلماء ، فجمعهم في داره ، ثم خرج عليهم ، فقام الناس كلُّهم [له] غير أحمد بن المُعذَّل . فقال المتوكِّلُ لعُبيد الله : إنَّ هذا لا يرى بيعتنا ؟ فقال له : بلى ، يا أميرَ المؤمنين ولكن في بصره سوء . فقال أحمد بن المُعَذَّل : يا أميرَ المؤمنين ، ما في بصري سوء ، ولكن نزَّهتُكَ من عذاب الله . قال النبيُّ ﷺ : « مَنْ أحَبَّ أن يَتَمَثَّلَ له الرِّجالُ قياماً ، فليتَبَوَّأْ مَقعَدَهُ من النار »[٥] .

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (٧/ ١٦٦) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .
ورواه مسلم في صحيحه رقم (٢٥٩٢) في البر ، باب فضل الرفق ، وأبو داود رقم (٤٨٠٩) في الأدب ، باب في الرفق ، من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، بلفظ : « من حرم الرفق حرم الخير ، أو من يحرم الرفق يحرم الخير » . ولفظ أبي داود : « يحرم الخير كله » .

(٢) ليزيد بن محمد المهلّبيّ ، كما في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٢) .

(٣) في ط : تتغضب ، وفي فوات الوفيات (١/ ٢٩٠) : تغضب .

(٤) في ب ، ظا : وأنا .

(٥) رواه الترمذي رقم (٢٧٥٥) في الأدب ، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، وأبو داود رقم (٥٢٢٩) في الأدب ، باب في قيام الرجل للرجل ، من حديث معاوية رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، ولفظه عند أبي داود : « من أحب أن يَمْثُلَ له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » ، ولفظه عند الترمذي : « من سَرَّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١/ ٣٧٤) : لم تكن عادة السلف على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين أن يعتادوا القيام كلما يرونه ﷺ ، كما يفعله كثير من الناس ، بل قد قال أنس رضي الله عنه : لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ ، وكانوا لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته للقيام ، ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقياً له ، قال : وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقياً له ، فحسن ، ثم قال : وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ، ولو ترك لاعتقد أن ذلك لترك حقه أو قصد خفضه ، ولم يعلم العادة الموافقة للسنة ، فالأصلح أن يقام له؛ لأن ذلك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء . وأما من عرف عادة القوم الموافقة =

فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه[١] .

وروى الخطيب[٢] البغدادي : أنَّ عليَّ بن الجَهم دخَلَ على المتوكِّل وفي يده دُرَّتان يقلِّبُهما ، فأنشده قصيدتَه التي يقولُ فيها :

وإذا مَـــرَرْتَ بِبِئـــرِ عُـــرْ وَةَ فـاسْتَقِـي مـن مـائهـا[٣]

فأعطاه التي في يمينه وكانت تساوي مئة ألف . ثم أنشده[٤] :

بِسُـرَّ مَـنْ رأى أميـرُ عَـدْلٍ تَغْـرِفُ مِـنْ بَحْـرِهِ البِحـارُ
يُرْجَى ويُخْشَى لِكُلِّ خَطْبِ كَـأنَّـهُ جَنَّـةٌ وَنَـارُ
المُلْـكُ فِيـهِ وفـي بَنِيـهِ مـا اخْتَلَـفَ اللَّيْـلُ والنَّهَـارُ
يَـدَاهُ فـي الجُـودِ ضَـرَّتـانِ عَلَيْـهِ كِلْتَـاهُمـا تَغَـارُ
لَـمْ تَـأْتِ مِنـهُ اليَمِيـنُ شَيْئـاً إلا أتَـتْ مِثْلَـهُ اليَسَـارُ

قال : فأعطاه التي في يساره أيضاً .

قال الخطيب[٥] : وقد رويت[٦] هذه الأبيات للبُحتري في المتوكل .

وروى ابنُ عساكر[٧] ، عن عليِّ بن الجهم ، قال : وقفت قبيحة حظيّةُ المتوكِّل بين يديه وقد

= للسنة فليس في ترك ذلك إيذاء له ، وليس هذا القيام المذكور في قوله ﷺ : « من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » ؛ فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد ، ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء ، ولهذا فرقوا بين أن يقال : قمت له ، وقمت إليه ، والقائم للقادم ساواه في القيام ، بخلاف القائم للقاعد . اهـ .

(١) انظر مختصر ابن عساكر (٦/ ٨٨) .
(٢) تاريخ بغداد (٧/ ١٦٧) ، مختصر ابن عساكر (٦/ ٨٩) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٢) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٥٦) .
(٣) ديوان علي بن الجهم صفحة (٣٧) ، وبئر عروة بالمدينة المنورة ، ماؤه أطيب المياه ، كان يحمل منه لهارون الرشيد في القوارير .
(٤) تاريخ بغداد (٧/ ١٦٧) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) في الأصول : وقد رويت هذه الأبيات لعلي بن هارون البحتري في المتوكل ، والتصحيح من تاريخ بغداد (٧/ ١٦٧) . وعلي بن هارون هذا راوية للشعر ، ومن ندماء الخلفاء ، توفي سنة ٣٥٢هـ ، وقد ذكره الخطيب بعد ذلك على أنه أنشد الأبيات للبحتري ، قال : أخبرنا علي بن أيوب القمي ، أخبرنا محمد بن عمران المرزباني ، قال : أنشدني علي بن هارون للبحتري . . وذكر الأبيات .
(٧) مختصر ابن عساكر (٦/ ٩٠) . والأبيات الثلاثة الأولى في الأغاني (١٩/ ٣١١) منسوبة إلى فضل الشاعرة . والأول والثاني في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٣) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٥٦) .

كتبتْ على خدِّها بالغالية[١] « جعفر » ، فتأمَّل ذلك ، ثم أنشأ يقول :

وكاتِبةٍ في الخدِّ بالمِسْكِ جَعْفَراً ... بِنَفْسي مَخطُّ[٢] المِسْكِ مِنْ حَيْثُ أثَّرا
لَئِنْ أوْدَعَتْ سَطْراً مِنَ المِسْكِ خدَّها ... لَقَدْ أوْدَعَتْ قَلْبِي مِنَ الحُبِّ أسْطُرا
فيا مَنْ مُناها في السَّريرةِ جَعْفَرٌ ... سقَى اللهُ مِن سُقيا ثَنَايَاكِ جَعْفَرا
ويا مَنْ لِمَمْلُوكٍ لِمُلْكِ يَمِينِهِ ... مُطِيعٍ لَهُ فيما أسَرَّ وأظْهَرا

قال ثم أمر المتوكِّلُ عَريباً[٣] فغنَّتْ به .

وقال الفتح بن خاقان[٤] : دخلت يوماً على المتوكِّلِ فإذا هو مطرِق مفكّر ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، ما لك مفكراً ؟ فوالله ما على الأرض أطيب منك عيشاً ، ولا أنعم منك بالاً . فقال : أطيبُ منِّي [عيشاً][٥] رجلٌ له دارٌ واسعةٌ ، وزوجة صالحة ، ومعيشة حاضرة ، لا يعرفنا فنؤذيه ، ولا يحتاج إلينا فنزدريه .

وقد كان محبّباً إلى رعيته ، قائماً بالسُّنَّة فيهم ، وقد شبَّهه بعضُهم بالصِّدِّيق في ردِّه على أهل الرِّدَّة ، حتى رجعوا إلى الدِّين ؛ وبعمرَ بن عبد العزيز حين رَدَّ مظالم بني أمية ؛ وقد أظهر السُّنَّة بعدَ البِدْعَةِ ، وأخْمَدَ البِدْعَة بعد انتشارها واشتهارها ، فرحمه الله[٦] .

وقد رآه بعضُهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور ، فقال : المتوكل ؟ فقال : المتوكل . قال : فما فعلَ الله بكَ ؟ قال : غفر لي . قلْتُ : بماذا ؟ قال : بقليل من السُّنَّة أحْيَيْتُها .

وروى الخطيب[٧] عن صالح بن أحمد ، أنَّه رأى في منامه ليلةَ مات المتوكِّلُ كأنَّ رجلاً يُصعَدُ به إلى السَّماء ، وقائلاً يقول :

ملكٌ يُقادُ إلى مليكٍ عادلٍ ... متفضِّلٍ في العَفْوِ ليسَ بجائرِ

وروى عن عمرو بن شيبان الحلبيّ ، قال : رأيت ليلة قتل المتوكل قائلاً يقول :

---

(١) « الغالية » : أخلاط من الطيب .
(٢) الأغاني : سواد المسك .
(٣) وهي عَريب المأمُونيّة ، من أعلام العارفات بصنعة الغناء ، وسيترجم لها المؤلف في حوادث سنة ٢٧٧هـ .
(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ٩٠) ، وتاريخ الخلفاء (٣٦٠) .
(٥) زيادة من ط .
(٦) روي عن قاضي البصرة إبراهيم بن محمد التيمي أنه كان يقول : الخلفاء ثلاثة : أبو بكر الصدِّيق ، قاتل أهل الرِّدَّة ، حتى استجابوا له ، وعمر بن عبد العزيز ردَّ مظالم بني أميَّة ، والمتوكل محا البِدع ، وأظهر السُّنَّة . مختصر تاريخ ابن عساكر (٦/ ٨٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٢) .
(٧) تاريخ بغداد (٧/ ١٧١) وتاريخ الخلفاء (٣٦١) وتاريخ الطبري (٩/ ٢٣٠) وابن الأثير (٧/ ١٠٠) .

يا نائمَ العينِ في أقطارِ[١] جُثْمانِ أفضْ دموعَكَ يا عَمْرو بن شَيبان
أما ترى الفتية الأرْجَاسَ ما فَعَلُوا بـالهـاشمـيِّ وبـالفتـحِ بـنِ خـاقـانِ
وافَـى إلـى الله مظْلـومـاً فَضَـجَّ لـهُ أهْلُ السماواتِ من مثْنًى ووحْدَانِ
وسَـوْفَ يَـأْتِيكُـمُ أخْـرَى مُسـوَّمـة تَـوَقَّعُـوهـا لَهـا شَـانٌ مِـنَ الشَّـانِ
فابْكُوا على جَعْفَرٍ وابْكُوا خَلِيفَتَكُمْ فَقَـدْ بَكَـاهُ جَمِيـعُ الإنْـسِ والجـانِ[٢]

قال : فأصبحتُ[٣] فأخبرت النَّاسَ ، فجاء نعيُه أنَّه قد قُتِلَ في تلك الليلة .

قال : ثم رأيته بعد هذا بشهرٍ وهو واقفٌ بين يدي الله عزَّ وجلَّ ، فقلْتُ : ما فعل بك ربُّك ؟ قال : غفر لي ، قلْتُ : بماذا ؟ قال : بقليل من السُّنَّةِ أحْيَيْتُها[٤] . قلْتُ : فما تصنَعُ هاهنا ؟ قال : أنتظر ابني محمّداً أخاصِمُه إلى الله الحليم العظيم الكريم[٥] .

وقد ذكرنا قريباً كيفيَّة مقتلِه وأنَّ ابنه محمداً المنتصر مالأ جماعةً من الأمراء على قتله ، فقتل في ليلة الأربعاء أوَّل الليل لأربع خَلَتْ من شوال من هذه السنة ـ أعني سنة سبع وأربعين ومئتين ـ بالمتوكِّلية[٦] هي الماحوزة ، وصُلّي عليه يوم الأربعاء ، ودُفِنَ بالجعفري وله من العمر أربعون سنة ، وكانت مدة خلافته أربعَ عشرةَ سنةً وعشرة أشهرٍ وثلاثة أيام .

وكان أسمر ، حسَنَ العينين ، نحيفَ الجسم ، خفيفَ العارضين ، أقربَ إلى القِصَر .

خلافة محمد المنتصر بن المتوكِّل

قد تقدَّم : أنه تمالأ هو وجماعةٌ من الأمراء على قتل أبيه ، فحين قُتِلَ الخليفة المتوكّل بُويع له في الليل ، فلمَّا كان الصَّباح من يوم الأربعاء رابع شوال ، أُخِذَتْ له البيعةُ من العامَّة ، وكان أوَّل ما تكلَّم به أن اتَّهم الفتح بن خاقان على قتل أبيه ، وقتله أيضاً .

وبعث إلى أخيه المعتز فأحضره إليه ، فبايعه أخوه المعتز ، وقد كان وليَّ العهد قبله ، ولكن أكرهه فسلَّم وبايع . وبعث البيعة إلى الآفاق .

---

(١) في ط : في أوطان .
(٢) تاريخ بغداد (٧/ ١٧١) .
(٣) في تاريخ بغداد : فأصبحت فإذا الناس يخبرون أن جعفراً قد قتل في هذه الليلة .
(٤) في تاريخ بغداد : تمسكت بها .
(٥) تاريخ بغداد (٧/ ١٧١) .
(٦) « المتوكلية » : مدينة بناها المتوكل قرب سامرّا بنى فيه قصراً وسماه الجعفري . و« الماحوز » : ضرب من الرياحين .

وفي ثاني يوم من خلافته ولَّى المظالمَ لأبي عَمْرَة أحمد بن سعيد مولى بني هاشم ، فقال الشاعر[١] :

يا ضَيْعَةَ الإسلامِ لمَّا وَلِي مَظَالِمَ النَّاسِ أبو عَمْرَهْ
صُيِّر مَأْمُوناً على أمَّةٍ وليْسَ مأموناً على بَعْرَهْ

وكانت البيعة له بالمتوكِّليَّة ، وهي الماحوزة ، فأقام بها عشرة أيام ، ثم تحوَّلَ هو وجميعُ قُوَّاده وحشمه منها إلى سامرَّاء .

وفي ذي الحجة من هذه السنة أخرج المنتصر عمَّه عليّ بن المعتصم من سامرًا إلى بغداد ووكَّل به .

وحجَّ بالناس محمد بن سليمان الزينبيّ .

ومن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن سعيد الجَوْهَريّ[٢] .

وسفيان بن وكيع بن الجرَّاح[٣] .

وسَلَمَةُ بن شَبيب[٤] .

وأبو عثمانَ المازِنيّ النَّحويّ[٥] : واسمه بَكْرُ بنُ محمّد بن عثمان البَصرِيّ ، شيخُ النُّحاة في زمانه . أخَذَ عن أبي عُبَيْدَة ، والأصمعيِّ ، وأبي زيد الأنصاريِّ وغيرهم . وأخذ عنه أبو العبَّاس المبرِّدُ وأكثرَ عنه .

وللمازنيِّ مصنَّفات كثيرة في هذا الشأن . وكان شبيهاً بالفقهاء ، وَرِعاً ، زاهداً ، ثقةً ، مأموناً .

روى عنه المبرِّدُ[٦] أنَّ رجلاً من أهل الذِّمَّة طلبَ منه أن يقرأ عليه كتابَ سيبويه ويعطيه مئة دينارٍ ،

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ٢٣٩) ، وابن الأثير (٧/ ١٠٩) .

(٢) أبو إسحاق البغدادي ، الحافظ ، صاحب المسند . وكان من أركان الحديث ، خرَّج مسند أبي بكر الصديق في نيف وعشرين جزءاً . مات مرابطاً بعين زَرْبة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤٩) ، والعبر (١/ ٤٤٨) .

(٣) أبو محمد ، الرُّؤاسي ، محدّث الكوفة ، كان من أوعية العلم على لين لحقه . وكان شيخاً فاضلاً صدوقاً ، إلا أنه ابتلي بورَّاق سوء ، كان يدخل عليه الحديث . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٥٢) .

(٤) أبو عبد الرحمن الحَجْري المِسْمَعي النيسابوري ، نزيل مكة . سمع يزيد بن هارون وطبقته ، وحدّث عنه من الكبار الإمام أحمد بن حنبل . صدوق . توفي من أكلة فالوذج . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥٦) .

(٥) أخبار النحويين البصريين (٧٤) ، طبقات النحويين واللغويين (٨٧) ، معجم الأدباء (٧/ ١٠٧) ، وفيات الأعيان (١/ ٢٨٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٧٠) ، العبر (١/ ٤٤٨) .

(٦) معجم الأدباء (٧/ ١١١) .

فامْتَنَعَ من ذلك ، فلامَهُ بعضُ النَّاس في ذلك فقال : تركت هذا لِما فيه من آيات الله تعالى . فاتفق بعد هذا أنَّ جارية غنَّتْ بحضرة الواثق :

أَظَلُـومُ إِنَّ مُصَـابَكُـمْ رَجُـلاً رِدُّ السَّـلامِ تَحِيَّـةً ظُلْـمُ

فاختلف مَن بحضرة الواثق في إعراب هذا البيت ، وهل يكون « رجلاً » مرفوعاً أو منصوباً ، وبم نصَبَ ؟ أهو اسم « إنَّ » أم ماذا ؟ وأصرَّت الجارية على أنَّ المازنيَّ حفَّظها هكذا . قال : فأرسلَ الخليفة إليه ، فلمَّا مَثَل بين يديه ، قال له : أنتَ المازنيُّ ؟ قال : نعم . قال : من مازن تميم ، أم من مازن ربيعة ؛ أم من مازن قيس ؟ قلت : من مازن ربيعة . قال : فأخذ يكلِّمُني بلغتي ، فقال : باسْمُك ؟ وهم يقولون[(١)] الباء ميماً والميم باءً ، فكرهت أنْ أقولَ مكز ، فقلت : بكر ، فأعجبه إعراضي عن المَكْرِ ، وعرَفَ ما أردْتُ . فقال : على[(٢)] ما انتصبَ رجلاً ؟ فقلت : لأنَّه معمولُ المصدر « مصابكم » . فأخذ اليزيديُّ يعارضه ، فعلاه المازني بالحُجَّةِ ، فأطلق له الخليفةُ ألفَ دينارٍ وردَّه إلى أهله مكرَّماً ، وعوَّضه الله عن المئة الدينار .

وروى المبرِّدُ عنه ، قال : أقرأتُ رجلاً كتابَ سيبويه إلى آخره ، فلمَّا انتهى ، قال لي : أمَّا أنت فجزاكَ اللهُ خيراً ، وأمَّا أنا فوالله ما فهِمْتُ منه حرفاً .

توفي المازنيُّ في هذه السنة ، وقيل : في سنة ثمان وأربعين ومئتين . [وأغرب من قال : سنة ست وثلاثين ، فالله أعلم][(٣)] .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومئتين

فيها : أغزى المنتصرُ وصيفاً التركيّ غزو الصائفة لقتال الروم ، وذلك أنَّ ملك الروم قصدَ بلاد الشام ، وجهز معه جيشاً كثيفاً ورجالاً وعدداً ، وأمر له بنفقاتٍ كثيرة ، وأمره إذا فرغ من قتال الروم أن يقيمَ بالثَّغْر أربعَ سنين ، وكتب له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق كتاباً عظيماً[(٤)] ، فيه آيات كثيرة ، في التَّحريض على القتال والترغيب فيه .

وفي ليلة السبت لسبع بقين من صفر من هذه السنة المباركة خلع أبو عبد الله محمد المعتز ، والمؤيد إبراهيم أخوا أمير المؤمنين وليا العهد ، أنفسَهما من الخلافة ، وأشهدا عليهما بذلك ، وأنَّهما عاجزان عن

---

(١) كذا في النسخ ، وفي ط : يقلبون .
(٢) سقطت من ب ، ظا .
(٣) زيادة من ب ، ظا .
(٤) نصه في الطبري (٩/ ٢٤١ ـ ٢٤٣) .

الخلافة ، وأن المسلمين في حلٍّ من بيعتهما ، وذلك بعدما تهدَّدهما أخوهما المنتصرُ وتوعَّدهما بالقتل ، ليفعلا ذلك ، ومقصودُه توليةُ ابنه عبد الوهاب عن إشارة أمراء الأتراك بذلك . وخطبا[١] بذلك على رؤوس الأشهاد بحضرة القوّاد والقضاة وأعيان بني هاشم والناس عامة .

وكتب بذلك إلى الآفاق والأقاليم ليعلموا بذلك ويخطبوا بذلك على المنابر ، ويزال اسماهما عن محل الكتابة ، والله غالبٌ على أمره ، فأراد أن يسلبَهما المُلْكَ ويجعلَه في عقبه ، والأقدارُ تكذبه وتخالفه ، وذلك أنَّه لم يستكمِلْ بعدَ قتل أبيه سوى ستة أشهر ، ففي أواخر صفر عرضَتْ له عِلَّةٌ كان فيها حتفُه على ما سنذكره .

وقد كان المنتصر رأى في منامه كأنَّه يصعد سلّماً ، فبلغ إلى آخر خمس وعشرين درجة . فقصَّها على بعض المعبرين ، فقال له : هذه خمس وعشرون سنة تلي فيها الخلافة ، وإذا بها مدّة عمره ، وقد استكملها في هذه السنة .

وقال بعضهم : دخلنا عليه يوماً فإذا هو يبكي وينتحب شديداً ، فسأله بعضُ أصحابه ، فقال : رأيتُ أبي المتوكِّلَ في منامي هذا ، وهو يقولُ : ويلك يا محمّد ! قتلْتَني ، وظلَمْتَني وغصبْـتَني خلافتي ، والله لا مُتِّعْتَ بها بعدي إلا أياماً يسيرة ، ثم مصيرُك إلى النار ! قال : فما أملك عيني ولا جَزَعي . فقال له بعضُ أصحابه[٢] : هذه رؤيا ، وهي تصدَّق وتكذب ، فقم بنا إلى الشراب ! فأحضر الشراب والندماء ، فأخذ فيه وهو منكسرُ الهمَّةِ ، وما زال كذلك مكسوراً حتَّى مات .

وقد اختلفوا في علته التي كانت فيها وفاته ؛ فقيل : إنه أصابه داء في رأسه ، فقطر في أذنه دهن ، فلمَّا انتهى إلى دماغه عُوجل بالموت . وقيل : بل ورِمَتْ معدتُه ، فانتهى الوَرَمُ إلى قلبه فمات . وقيل : بل أصابته ذَبْحَةٌ فاستمرَّت به عشرة أيام . فمات . وقيل : بل فَصَده الحجّام بمِبْضَعٍ مسموم فمات من يومه .

قال ابن جرير[٣] : فأخبرني بعضُ أصحابنا : أن ذلك الحجّامَ رجع إلى منزله وهو محمومٌ ، فدعا أجيراً[٤] له ليفصده ، فأخذ مباضعَ أستاذه ، فاختار منها أجودها ، فإذا له ذلك المِبضع المسموم الذي فُصِد به الخليفة ، ففصَد أستاذه به وهو لا يشعرُ ، وأنسَى اللهُ سبحانه الحجَّام ، فما ذكر حتى رآه قد فَصَدَه به ، وتحكَّم فيه السُّمُّ ، فأوصى عند ذلك ، ومات من يومه .

---

(١) في آ ، ط : وخطب ، والمثبت من ب ، ظا . وفي الطبري : ثم قاما بذلك على رؤوس الأشهاد .

(٢) بعده في ط : من الغرارين الذين يغرون الناس ويفتنونهم .

(٣) تاريخ الطبري (٩/ ٢٥١) بتصرف يسير .

(٤) في ط والطبري : تلميذاً .

وذكر ابنُ جرير[١] : أنَّه دخلت عليه أمُّه وهو في المرض الذي مات فيه ، فقالت له : كيف حالك ؟ فقال : ذهبَتْ منّي الدنيا والآخرة .

ويقال : إنه أنشد لمَّا أحيط به ويئس من الحياة وهو في السّياق[٢] :

فما فَرِحَتْ نفسِي بِدُنيا أصَبْتُها ولكـنْ إلـى الرَّبِّ الكَـريـمِ أصيـرُ

ومات يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر من هذه السنة ، وقتَ صلاة العصر ، عن خمسٍ وعشرين سنة ، وقيل : وستة أشهر . ولا خلاف أنه إنما ولي الخلافة ستة أشهر ، لا أزيدَ منها .

وذكر ابنُ جريرٍ[٣] عن بعض أصحابه : أنه لم يزل يسمع الناس يقولون ؛ العامَّةُ وغيرهم ، حين ولي المنتصر : إنه لا يمكث في الخلافة سوى ستة أشهر ، كما مكث شيرويه بن كسرى حين قتل أباه ؛ وكذلك وقع سواء .

وقد كان المنتصرُ أعيَنَ ، أقنى[٤] ، قصيراً ، مَهيباً ، جيد البدن ، وهو أوَّل خليفة من بني العباس أبرزَ[٥] قبرُه ، وذلك بإشارة أمِّه حبشيّة الرّومية .

ومن جيِّد كلامه قولُه : واللهِ ما عزَّ ذو باطلٍ قطّ ، ولو طلَعَ القمرُ من جبينه ؛ ولا ذلَّ ذو حقٍّ قطّ ، ولو أصفقَ العالَمُ عليه[٦] .

خلافة المستعين بالله

وهو أبو العبَّاس أحمد بن محمد بن المعتصم . بُويع له بالخلافة يوم مات المنتصِرُ ، بايعَهُ عمومُ النَّاس ، ثم خرجت عليه شِرْذِمةٌ من الأتراك يقولون : يا معتز ، يا منصور ؛ فالتفَّ عليهم خلق . وقام بنصر المستعين جمهورُ الجيش ، فاقتتلوا قتالاً شديداً أياماً ، فقتل خلْقٌ من الفريقين ، وانتُهبت أماكنُ كثيرة من بغداد ، وجرت فتن كثيرة جداً ، ثم استقرَّ الأمر للمستعين ، فَعَزَلَ وَوَلَّى ، وقَطَعَ وَوَصَلَ ، وأمَر ونَهَى[٧] .

---

(١) تاريخ الطبري (٩/ ٢٥٢) .
(٢) تاريخ الطبري(٩/ ٢٥٤) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١١٥) .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ٢٥٢) .
(٤) « القنا » : احديداب في الأنف .
(٥) الطبري وابن الأثير : عرف قبره .
(٦) الكامل لابن الأثير (٧/ ١١٦) .
(٧) بعده في ط : أياماً ومدة غير طويلة .

ومات بُغا الكبير في جمادى الآخرة ، فولّى الخليفةُ مكانَه ولَدَه : موسى بن بُغا . وقد كانت له همم[١] عالية ، وآثار سامية ، وغزوات في المشارق والمغارب متوالية .

وفي هذه السنة ابتاع المستعين من أبي عبد الله المعتز شيئاً كثيراً من المتاع والأثاث والضياع بما قيمته عشرة آلاف ألف دينار ، وعشر حبّات جوهر . ومن إبراهيم بما قيمته ثلاثة آلاف ألف دينار[٢] وثلاث حبّات .

وفيها : عَدَا أهلُ حمصَ على عاملهم[٣] فأخرجوه من بين أظهرهم ، فبعث إليهم المستعين فأخذ منهم مئة رجلٍ من سَرَاتهم ، وأمر بهدْمِ سورهم .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن سليمان الزَّينبيّ .

وتوفي فيها من الأعيان :

أحمد بن صالح[٤] .

والحسين بن علي الكَرَابيسيّ[٥] .

وعبد الجبّار بن العلاء[٦] .

وعبد الملك بن شُعيب[٧] .

---

(١) في ب ، ظا : همة .

(٢) في الطبري (٩/ ٢٥٩) : درهم .

(٣) هو كيدر بن عبيد الله ، كما في الطبري (٩/ ٢٥٩) .

(٤) أبو جعفر المصري ، المعروف بابن الطبري . حافظ زمانه بالديار المصرية ، ثقة ، مقرىء ، عالم بالحديث وعلله . كان أبوه من أجناد طبرستان ، وولد له أحمد بمصر . رحل إلى بغداد واجتمع بالإمام أحمد بن حنبل ، وأخذ كل منهما عن الآخر . توفي بمصر .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٦٠) ، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٦٢) .

(٥) الحسين بن علي بن يزيد البغدادي الكَرَابيسي ، أبو علي ، الفقيه المتكلّم . تفقَّه على الشافعيّ ، وسمع من إسحاق الأزرق وجماعة ، وصنف التصانيف . كان متضلعاً في الفقه والأصول والحديث ومعرفة الرجال . والكرابيس : الثياب الغلاظ ، كان أبو علي يبيعها فنسب إليها .
سير أعلام النبلاء (٢/ ٧٩) ، والعبر (١/ ٤٥٠) .

(٦) أبو بكر البصري ، ثم المكي المجاور . روى عن سفيان بن عيينة وطبقته ، ثقة ، صاحب حديث . سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٠١) ، والعبر (١/ ٥١) .

(٧) عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد الفَهْمي مولاهم المصري أبو عبد الله . سمع أباه وابنَ وَهْب . ثقة . كان فقيهاً محدثاً .
تهذيب التهذيب (٦/ ٣٩٨) .

وعيسى بن حمَّاد[١] .

ومحمد بن حُمَيْد الرَّازي[٢] .

ومحمد بن زُنبور[٣] .

ومحمد بن العلاء أبو كُرَيب[٤] .

ومحمد بن يزيد أبو هشام الرِّفاعيُّ[٥] .

وأبو حاتم السِّجِسْتانيُّ[٦] : واسمه سهلُ بن محمد بن عثمان بن يزيد الجُشَميُّ ، أبو حاتم ، النَّحويُّ ، اللّغويُّ ، صاحبُ المصنَّفات الكثيرة[٧] . وكان بارعاً في اللغة ؛ اشتغل فيها على أبي عُبَيْدة ، والأصمعيِّ ، وأكثَرَ الرِّواية عن أبي زيدٍ الأنصاريِّ .

وأخذ عنه المبرّد ، وابنُ دُرَيد ، وغيرهما .

وكان صالحاً ، كثيرَ الصَّدَقة والتلاوة ، وكان يتصدَّق كلَّ يومٍ بدينارٍ ، ويقرأ في كُلِّ أسبوعٍ ختمة ، وله شعر كثير ؛ من[٨] ذلك قولُه :

أبــرزوا وَجْهَــهُ الجميـ ـــلَ ولامُـوا مَــنِ افْتَتَـنْ

---

(١) عيسى بن حمَّاد بن مسلم ، التُّجيبي المصري ، أبو موسى ، لقبه زُغْبَة وهو لقب أبيه أيضاً . ثقة . وهو آخر من حدّث عن الليث بن سعد من الثقات .
سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠٦) ، وتقريب التهذيب (٢/ ٩٧) .

(٢) أبو عبد الله . حافظ كبير ، كان من أوعية العلم . وهو مع إمامته منكر الحديث .
سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠٣) .

(٣) محمد بن زنبور بن أبي الأزهر ، واسم زنبور جعفر ، أبو صالح المكي . صدوق ، له أوهام . تقريب التهذيب (٢/ ١٦١) .

(٤) محمد بن العلاء بن كُرَيب الهَمْداني ، أبو كُرَيب ، الكوفي . الحافظ ، شيخ المحدثين . صدوق . سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٩٤) .

(٥) العلامة ، الفقيه ، المقرىء ، قاضي بغداد . أخذ القراءة عن جماعة ، وصنَّف كتاباً في القراءات فيه شذوذ كثير ، وهو صاحب غرائب في الحديث .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٥٣) ، غاية النهاية (٢/ ٢٨٠) .

(٦) الجرح والتعديل (٤/ ٢٠٤) ، أخبار النحويين البصريين (٩٣) ، طبقات النحويين واللغويين (٩٤) ، نزهة الألباء (١٨٩) ، معجم الأدباء (١١/ ٢٦٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٣٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٨) ، إنباه الرواة (٢/ ٥٨) ، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٣٢٠) .

(٧) ذكر له القفطي في إنباه الرواة (٢/ ٦٢) ما يقرب من ثلاثة وثلاثين كتاباً .

(٨) في آ : فمن قوله ، وأثبت ما جاء في (ب) . والبيتان في وفيات الأعيان (٢/ ٤٣١) ، وبغية الوعاة للسيوطي (١/ ٦٠٧) ، قالهما في المبرّد ، وكان غلاماً وسيماً يحضر حَلقته ويلازم القراءة عليه .

لَــوْ أرادُوا صِيــانَتــي سَتَــرُوا وَجْهَــهُ الحَسَــنْ

قال ابن خلكان[١] : وكانت وفاته في المحرم ، وقيل : في رجب من هذه السنة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومئتين

في يوم الجمعة النصف من رجب منها التقى جمعٌ من المسلمين وخلْقٌ من الروم بالقرب من مَلَطيَة ، فاقتتلوا قتالًا شديداً[٢] ، قُتل من الفريقين خلْق كثير ، وقُتل أميرُ المسلمين عمرُ بن عُبَيد[٣] الله بن الأقطع ، وقُتل معه ألفا رجلٍ من المسلمين ، كذلك قُتل الأمير عليّ بن يحيى الأرمنيّ في طائفة من المسلمين أيضاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقد كان هذان الأميران من أكبر أنصار الإسلام .

ووقعت فتنةٌ عظيمة ببغداد في أول[٤] صفر من هذه السنة ، وذلك أنَّ العامّة كرهوا جماعةً من الأمراء الذين قد تغلَّبوا على أمر الخلافة وقتلوا المتوكِّلَ ، واستضعفوا المنتصر والمستعين بعده ، فنهضوا إلى السّجن ، فأخرجوا مَنْ فيه ، وجاؤوا[٥] إلى أحد الجسرين فقطعوه وضربوا الآخر بالنار ، فأحرقوا ونادَوا بالنَّفير ، فاجتمع خلْقٌ كثير وجَمٌّ غفير ، ونهبوا أماكنَ متعددةً ، وذلك بالجانب الشرقيّ من بغداد .

ثم جمع أهلُ اليسار أموالًا كثيرة [من أهل بغداد][٦] لتُصرفَ إلى من ينهض[٧] إلى ثغور الروم لقتالهم عوضاً عمن قُتل من المسلمين هناك ، فأقبل خلْق كثير من نواحي الجبال ، والأهواز ، وفارس ، وغيرها لغزو الروم ، وذلك أنَّ الخليفة والجيش تأخّروا عن النّهوض إلى بلاد الروم ، فغضبت العامّة من ذلك ، وفعلوا ما ذكرنا .

ولتسعٍ بقين من ربيع الأول نهض عامة أهل سامُرَّاء إلى السجن ، فأخرجوا مَنْ فيه . وجاءهم قومٌ من الجيش يقال لهم الزرافة فهزمتهم العامة ، فركب عند ذلك وصيفٌ ، وبُغَا الصغير ، وعامّة الأتراك ، فقتلوا من العامّة خلْقاً كثيراً ، وجرت فتن طويلة كثيرة ، ثم سكنت .

وفي المنتصف من ربيع الآخر وقعت فتنةٌ بين الأتراك ، وذلك أن الخليفة المستعين قد فوَّض أمر

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٣٣) .
(٢) في آ ، ب : عظيماً .
(٣) في آ ، ط : عبد الله .
(٤) في ب ، ظا : أول يوم من صفر .
(٥) في الأول : وجاؤوا إلى الجسر ، والمثبت من ط والطبري .
(٦) زيادة في ط : وفي الطبري : من أهل بغداد وسامرا .
(٧) في ب ، ظا : نهض .

الخلافة والتصرف في أموال بيت المال إلى ثلاثة ؛ وهم : أتامش التركي ، وكان أخص مَن عنده ، وهو بمنزلة الوزير ، وفي حِجْره العباس بن المستعين يربّيه ويعلّمه الفروسية ؛ وإلى شَاهك الخادم ؛ وإلى أم الخليفة ؛ كان لا يمنعها شيئاً تريده ، وكان لها كاتب يقال له : سلمة بن سعيد النصرانيّ .

فأقبل أتامش فأسرف في أخذ الأموال حتى لم يُبقِ ببيت المال شيئاً ، فغضبت الأتراك من ذلك ، وغارت منه ، فعند ذلك اجتمعوا عليه ، وركبوا إليه ، فأحاطوا بقصر الخلافة وهو عند المستعين ، فلم يمكنه منعه منهم ، ولا دفعهم عنه ، فأنزلوه صاغراً فقتلوه ، وانتهبوا أمواله وحواصله ودوره ، واستوزر الخليفةُ بعده أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وولّى بُغا الصغيرَ فلسطين ، وولّى وصيفاً الأهوازَ ، وجرى خَبْطٌ[1] كثير ، ووهنٌ كبير من أمر الخليفة ، وتحركت المغاربة بسامُرّا في يوم الخميس لثلاثٍ خلون من جمادى الآخرة ، وكانوا يجتمعون فيركبون ثم يتفرَّقون .

وفي يوم الجمعة لخمسٍ بقين من جمادى الأولى ، وهو اليوم السادس عشر من تمُّوز ، مُطِرَ أهلُ سامُرّا مطراً[2] عظيماً برعدٍ وبرقٍ ، والغيم مطبق ، والمطر مستهل كثير ، من أوّل النَّهار إلى اصْفِرار الشمس .

وفي ذي الحجة أصاب أهلَ الريّ زلزلةٌ شديدة جداً ، ورَجْفة هائلة تهدَّمت منها الدور ، ومات منها خلْق كثير ، وخرج بقيّة أهلها إلى الصحراء .

وحجَّ بالناس في هذه السنة : عبدُ الصّمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام ، وهو والي مكة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أيّوب بن محمد الوَزّان[3] .

والحسن بن الصَّبَّاح البَزّار[4] ، صاحب « كتاب السنن » .

وَرَجَاء بنُ مَرَجّى الحافظ[5] .

---

(١) « الخَبْط » : الفوضى .

(٢) في ب ، ظا : مطر عظيم .

(٣) أيوب بن محمد بن زياد بن فَرّوخ الوَزّان ، أبو محمد الرَّقّيّ ، كان يزن القطن في الوادي . ذكره ابن حبَّان في الثقات . تهذيب الكمال (٣/ ٤٨٩) .

(٤) الحسن بن الصَّبَّاح بن محمد ، أبو علي الواسطي ، البغدادي ، البزّار ، ويعرف بابن البزّار . سمع سفيان بن عُيينة وطبقته . وكان الإمام أحمد بن حنبل يرفع قدره ويجلّه ويحترمه ، وكانت له جلالة عجيبة ببغداد .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩٢) .

(٥) رجاء بن مُرَجّى بن رجاء بن رافع ، أبو محمد السمرقنديّ . روى عن النَّضْر بن شُمَيل فمن بعده . قال الخطيب البغدادي : كان ثقة ثَبْتاً إماماً في الحفظ والمعرفة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٩٨) ، والعبر (١/ ٤٥٤) . .

وعَبْدُ بنُ حَميد ، صاحب « التفسير » الحافل[١] .

وعمرو بن علي الفَلَّاس[٢] .

وعليّ بن الجَهْم[٣] : ابن بَدْر بن الجَهْم بن مسعود بن أسيد القرشي السَّامي ، من وَلَد سَامَةَ بن لُؤيّ الخراسانيّ ، ثم البغدادي ، أحد الشعراء المشهورين وأهل الديانة المعتبرين .

وله ديوان شعر فيه أشياء حسنة ، وكان فيه تحامل على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان له خصوصية بالمتوكِّل ، ثم غضِبَ عليه فنفاه إلى خراسانَ ، وأمر نائبَه بها أن ينصبَه[٤] يوماً مجرداً ففعل به ذلك .

ومن مستجاد شعره قوله[٥] :

بَــلاءٌ لَيْــسَ يَعْــدِلُــهُ بَــلاءُ ... عَـدَاوةُ غيـرِ ذِي حَسَـبٍ وَدِيـنِ

يبيحـكَ منـه عِـرْضـاً لـم يَصُنْـهُ ... وَيَـرْتَـعُ مِنْـكَ فـي عِـرْضٍ مَصُـونِ

وإنَّما قال ذلك في مروان بن أبي حَفْصَة حين هجاه ، فقال في هجائه له[٦] :

لَعَمْرُكَ ما الْجَهْمُ بْنُ بَدْرٍ بشاعرٍ ... وهـذا عَلِيٌّ بَعْدَهُ يَـدَّعِي الشِّعـرا

ولكـنْ أبي قَـدْ كـانَ جَـاراً لأمِّـهِ ... فلمَّا ادَّعَى الأشْعارَ أوْهَمني أمْرَا

كان عليّ بن الجَهْم قد قدِمَ الشَّام ثم عاد قاصداً العراق ، فلمَّا جاوز حلبَ ثار عليه أناسٌ من بني كَلْب ، فقاتلهم ، فجرح ، فكان فيه حتْفُه ، فوجد[٧] بين ثيابه رقعة فيها مكتوب[٨] :

---

(١) عبد بن حُميد بن نصر ، أبو محمد الكِسِّي ، ويقال له الكَشِّي ، بالفتح والإعجام . صاحب « المسند » و« التفسير » . سمع يزيد بن هارون وابن أبي فديك وطبقتهما .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٣٥) ، والعبر (١/ ٤٥٤) .

(٢) عمرو بن علي بن بحر ، أبو حفص الباهليّ الصيرفي الفلَّاس ، الحافظ المجوّد الناقد ، أحد الأعلام ، ثقة .
سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧٠) ، والعبر (١/ ٤٥٤) .

(٣) الأغاني ، ط ، الدار (١٠/ ٢٠٣) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٥) ، تاريخ الطبري (٩/ ٢٦٤) ، معجم الشعراء للمرزباني (١٤٠) ، تاريخ بغداد (١١/ ٣٦٧) .

(٤) في ط : أن يضربه . وفي الأغاني : أن يصلب .

(٥) ديوانه (١٨٧) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٦) .

(٦) ليسا في ديوان مروان بن أبي حفصة ، ويبعد أن يكون قد قالهما فيه ، إذ توفي مروان سنة ١٨٢هـ . وهما في وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٧) ، ترجمة علي بن الجهم .

(٧) في آ : فوجد ثوباً به رقعة فيها مكتوب والمثبت من ب ، ظا .

(٨) ديوانه (١٥٤) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٦) .

يا رَحْمَتا للغريبِ في البلدِ النّا ... زحِ ماذا بنفسِهِ صَنَعا
فارَقَ أحبابَهُ فما ٱنتفعُوا ... بالعَيشِ مِنْ بعدِهِ وما ٱنْتَفَعا

وكانت وفاته بهذا السبب في هذه السنة ، رحمه الله[١] .

سنة خمسين ومئتين من الهجرة

فيها كان ظهور أبي الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين[٢] بن يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة ، وأمّه فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وذلك أنَّه أصابته فاقةٌ شديدة فرحل إلى سامُرّاء ، فسأل وصيفاً أن يجريَ عليه رزقاً ، فأغلظ له القولَ .

فرجع إلى أرض الكوفة ، فاجتمع عليه خلْق من الأعراب ، وخرج إليه خلْق من أهل الكوفة ، فنزل على الفَلُّوجَة[٣] وقد كثر الجمع معه ، فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق إلى عامل الكوفة ـ وهو أيوب[٤] بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان ـ يأمره بمقاتلته .

ودخل يحيى بن عمر قبل ذلك في طائفة من أصحابه إلى الكوفة ، فاحْتوى على بيت ماله ، فلم يجدْ فيه سوى ألفي دينار وسبعين ألف درهم ، وظهر أمرُه بالكوفة وفَتَحَ السِّجنَيْن وأطلق منْ فيهما ، وأخرَجَ نوّاب الخليفة منها ، وأخذ اموالهم واستحوذ عليها ، واستحكم أمرُه بها ، والتفَّ عليه خلْقٌ من الزَّيديّة وغيرهم .

ثم خرج من الكوفة إلى سوادها ، ثم كَرَّ راجعاً إليها ، فتلقاه عبد الرحمن بن الخطاب الملقَّب وَجْه الفَلْس ، فقاتله قتالاً شديداً ، فانهزم وَجْهُ الفَلْس . ودخل يحيى بن عمر الكوفة ، ودعا إلى الرضا من آل محمد ، وقوي أمره جدّاً ، وصار إليه جماعة من الناس من أهل الكوفة وغيرها ، وتولاه أهل بغداد من العامّة وغيرهم ممن ينسب إلى التشيّع ، وأحبّوه أكثر مما كانوا يحبُّون أحداً من الخارجين من أهل البيت .

---

(١) قوله : رحمه الله ، لم يرد في ب ، ظا ، ط .
(٢) في الأصول : حسن والمثبت من ط والطبري وابن الأثير على الصواب . وتنظر ترجمته في مقاتل الطالبيين (ص٤٥٣) .
(٣) « فلاليج السواد » : قراها ، واحدها الفلّوجة . والفلُّوجة الكبرى والفلُّوجة الصغرى : قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة قرب عين التمر . ياقوت . وهذه التسمية مستعملة إلى هذا الوقت في بلاد العراق .
(٤) في آ ، ط : أبو أيوب .

وشرع في تحصيل السلاح وطبعه[(١)] ، وإعداد آلات العدد ، وجمع الرجال . وقد خرج نائب الكوفة منها - وهو الحسين بن إسماعيل - إلى ظاهرها ، واجتمع إليه أمدادٌ كثيرة من جهة الخليفة ومحمد بن عبد الله بن طاهر ، واستراحوا وجمّت[(٢)] خيولهم .

فلمّا كان اليوم الثالث عشر من رجب أشار من أشار على يحيى بن عمر ممن لا رأي له ، أنْ يركبَ ويناجز الحسين بن إسماعيل ، ويكبسَ جيشه ، فركب في جيش كثير ، فيه خلْق من الفرسان والمشاة أيضاً من عامّة أهل الكوفة بغير أسلحة ، فساروا ، فلمّا انتهوا[(٣)] إليهم نهضوا إليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في ظلمة آخر الليل ، فما طلَعَ الفجرُ إلا وقد انكشف أصحابُ يحيى بن عمر ، [وداستهم الخيل ، ووجدوا يحيى بن عمر][(٤)] ، وقد تقنطر به فرسه ، وطعن في ظهره ، فحزُّوا رأسَه ، وحمله إلى الأمير فبعثه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، فأرسله من الغد إلى الخليفة مع رجلٍ ، يقال له : عمر بن الخطاب ، أخي عبد الرحمن بن الخطاب ، فنُصب بسامُرّا ساعةً من النهار ، ثم بعث[(٥)] إلى بغداد ، فنصب عند الجسر ، فلم يمكن ذلك من كثرة[(٦)] العامّة ، فجعل في خزائن السلاح .

ولمّا جيء برأس يحيى بن عمر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، دخل الناسُ يهنّونه بالفتح والظفر ، فدخَلَ عليه أبو هاشم داود بن الهيثم الجعفريّ ، فقال له : أيها الأمير ! إنك لَتُهنأ بقتْل رجلٍ لو كان رسولُ الله ﷺ حيّاً لَعُزّيَ به . فما ردَّ عليه شيئاً ، ثم خرج أبو هاشم الجعفريّ ، وهو يقول[(٧)] :

يـا بَنـي طـاهـرٍ كُلُـوهُ وَبِيّـاً ... إنَّ لَحْـمَ النَّبـيِّ غيـرُ مَـرِيِّ

إنَّ وِتـراً يكـونُ طـالِبَـهُ اللـ ... ـهُ لَـوِتْـرٌ نجـاحُـهُ بـالحَـرِيِّ

وكان الخليفة المستعين قد وجّه أميراً[(٨)] إلى الحسين بن إسماعيل نائب الكوفة ، فلما قتل يحيى بن عمر ، ودخلوا الكوفة ، أراد ذلك الأمير أن يضَعَ في أهلها السيفَ ، فمنعه الحسين بن إسماعيل ، وآمن الأسود والأبيض ، وأطفأ اللهُ هذه الفتنة .

---

(١) لفظة وطبعه لم ترد في ب ، ظا ، ط .
(٢) في ط : وجمعوا . ومعنى « وجمت » : تركت تستريح فلم تركب .
(٣) في ب ، ظا : انتهى .
(٤) زيادة في ب ، ظا .
(٥) في ب ، ظا : بعثه ، وفي ط : بعث به .
(٦) في ب ، ظا : من جهة .
(٧) تاريخ الطبري (٩/ ٢٧٠) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١٢٩) .
(٨) هو كلباتكين ، كما في الطبري (٩/ ٢٧٠) .

ثم خرج آخر من أهل البيت أيضاً

فلمَّا كان رمضان من هذه السنة ، خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب بناحية طَبَرِستان .

وكان سببُ ذلك أنَّه لما قُتل يحيى بن عمر أقطع المستعينُ لمحمد بن عبد الله بن طاهر طائفةً من أرض تلك الناحية ، فبعث كاتباً له يقال له : جابر بن هارون ، وكان نصرانياً ، ليتسلَّم تلك الأراضي ، فلمَّا انتهى إليهم كرهوا ذلك جدّاً ، وأرسلوا إلى الحسن بن زيد هذا ، فجاء إليهم ، فبايعوه والتفَّت عليه كلمة الدَّيلم وجماعة الأمراء في تلك النَّواحي ، فركب فيهم ودخل آمُل طبرِستان ، وأخذها قَهْراً ، وجَبَى خراجها ، واستفحل أمرُه جدّاً . ثم خَرَجَ منها طالباً لقتال سليمان بن عبد الله أميرِ تلك النَّواحي ، فالتقيا هنالك ، وكانت بينهما حروبٌ ، ثم انهزم سليمان هزيمةً منكرةً ، وترك أهلَه ومالَه ، ولم يرجعْ دون جُرْجان . فدخل الحسنُ بن زيد « سَارية »[1] فأخذ ما فيها من الأموال والحواصل ، وسيَّر أهل سليمان إليه على مراكب مكرمين ، واجتمع للحسن بن زيد إمرة طَبرِستان بكمالها .

ثم بعث إلى الرّيّ فأخذها أيضاً وأخرج منها الطَّاهريّة ، وصار له إلى جند همذان .

ولما بلغ خبرُه المستعينَ ـ وكان مدبِّر ملكه يومئذٍ وصيفٌ التركيّ ـ اغتمَّ لذلك جداً ، واجتهد في بعث الجيوش والأمداد لقتال الحسن بن زيد هذا[2] .

وفي يوم عرفة من هذه السنة ظهر بالرَّيّ أحمد بن عيسى بن حسين الصغير بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب ؛ فصلَّى بالنَّاس يومَ العيد أحمدُ بن عيسى هذا ، ودعا إلى الرِّضا من آل محمد ؛ فحاربه محمد بن عليّ بن طاهر ، فهزمه أحمد بن عيسى هذا ، واستفحل أمره[3] .

وفي هذه السنة وثبَ أهلُ حِمْصَ على عاملهم الفَضْل بن قارن [أخي المازيار بن قارن][4] ، فقتلوه في رجب ، فوجه إليه المستعين موسى بن بُغَا الكبير ، فاقتتلوا بأرض الرَّسْتَن ، فهزمهم ، وقتل جماعةً من أهلها ، وأحرَقَ أماكنَ كثيرةً منها ، وأسر أشراف أهلها[5] .

---

(١) سارية : مدينة بطبرستان ، جعلها الحسن بن زيد ومحمد بن زيد العَلَويان دار مقامهما ، وبين سارية والبحر ثلاثة فراسخ ، وبين سارية وآمل ثمانية عشر فرسخاً . ياقوت .
(٢) الطبري (٩/ ٢٧١ ـ ٢٧٥) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١٣٠ ـ ١٣٤) .
(٣) الطبري (٩/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١٣٤) .
(٤) زيادة من ب ، ظا .
(٥) الطبري (٦/ ٢٧٦) ، وابن الأثير (٧/ ١٣٤) .

وفيها : وثبت الشاكريّة والجُنْدُ في أرض فارس على عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ، فهرب منهم ، فانتهبوا دارَهُ ، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن .

وفيها : غضِبَ الخليفةُ على جعفر بن عبد الواحد ، ونفاه إلى البصرة[١] .

وفيها : أسقطت مرتبةُ جماعة من الأمويين في دار الخلافة .

وحجَّ بالناس فيها جَعْفر بن الفضل ، أمير مكّة ، شرَّفها الله .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أبو الطاهر ، أحمد بن عمرو بن السَّرْح[٢] .

والبَزِّيّ ، أحد القراء المشاهير[٣] .

والحارث بن مسكين[٤] .

وأبو حاتم السِّجِسْتانيّ[٥] ، أحد أئمة اللغة .

وعبَّاد بن يعقوب الرَّوَاجِنيّ[٦] .

وعمرو بن بَحْر الجاحظ[٧] ، صاحب الكلام والمصنفات .

---

(١) وذلك لأنه كان بعث إلى الشاكريّة ، فزعم وصيفٌ أنه أفسدهم . الطبري (٩/ ٢٧٦) ، وابن الأثير (٧/ ١٣٤) .

(٢) الفقيه المصري ، مولى بني أميَّة . روى عن ابن عُيَينة وابن وَهْب . وكان من أبناء الثمانين .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٢) ، والعبر (١/ ٤٥٥) .

(٣) هو أبو الحسن ، أحمد بن محمد البَزِّي ، المقرىء ، مؤذن المسجد الحرام وشيخ الإقراء به . وكان ليّن الحديث ، حجة في القرآن .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٠) ، والعبر (١/ ٤٥٥) ، وغاية النهاية في طبقات القراء (١/ ١١٩) .

(٤) أبو عمرو ، الأموي ، المصري ، قاضي القضاة بمصر . أخذ في المحنة فحبس دهراً حتى أخرجه المتوكل . وكان من كبار أئمة السنة . ثقة ثبت .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٤) ، العبر (١/ ٤٥٥) .

(٥) هو سهل بن محمد بن عثمان ، أبو حاتم السِّجِسْتاني ، ثم البصري ، المقرىء النحوي اللغوي ، صاحب المصنفات . حمل العربية عن أبي عبيدة والأصمعي ، وقرأ القرآن على يعقوب ، وكتب الحديث عن طائفة . وتخرّج به أئمة ، منهم : أبو العباس المبرّد . عاش ثلاثاً وثمانين سنة .
معجم الأدباء (١١/ ٢٦٤) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٨) ، العبر (١/ ٤٥٥) .

(٦) أبو سعيد الأسدي الرَّواجنيّ الكوفي ، صدوق ، محدّث الشيعة ، روى عنه البخاري مقروناً بآخر .
سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٦) ، والعبر (١/ ٤٥٦) .

(٧) عمرو بن بَحْر بن محبوب البصري المعتزلي ، أبو عثمان الجاحظ . صاحب التصانيف الكثيرة في الفنون . كان بحراً من بحور العلم ، رأساً في الكلام والاعتزال ، عاش تسعين سنة . =

وكثير بن عبيد الحِمْصِي[١] .

ونَصْر بن عليّ الجَهْضَمي[٢] .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومئتين

فيها اجتمع رأي المستعين وبُغَا الصغير ووصيف على قتل باغر التركيّ ، وكان من القواد الكبار الذين باشروا قتل المتوكِّل ، وقد اتسع إقطاعه ، وكثرت أعماله[٣] ، فقُتِلَ ونُهبت دارُ كاتبه دُلَيْل بن يعقوب النّصرانيّ ، وأمواله وحواصله . وركب الخليفة في حراقة من سامُرّا إلى بغداد ، فاضطربت الأمور بسبب خروجه إليها ، وذلك في [خامس][٤] المحرم ؛ فنزل الخليفة دار محمد بن عبد الله بن طاهر .

وفي هذه السنة وقعت فتنة شنعاء بين جند بغدادَ وجند سامُرّا ، دعا أهل سامُرّا إلى بيعة المعتز ، واستقرَّ أمرُ أهل بغداد على المستعين ، وأخرجَ المعتز وأخوه المؤيد من السجن ، فبايع أهلُ سامُرّا المعتز ، واستحوذَ على حواصل بيت المال بها ، فإذا فيها[٥] خمس مئة ألف دينار ، وفي خزانة[٦] أمّ المستعين ألف ألف دينار ، وفي حواصل العباس بن المستعين ستمئة ألف دينار ، واستفحل أمر المعتز بسامُرّا .

وأمر المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر أن يحصِّنَ بغداد ، ويعمل في السُّورَين والخندق ، وغرم على ذلك ثلاث مئة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ، ووكّل بكل باب أميراً يحفظه ، ونصب على السور خمسة مَجانيق ؛ منها واحد كبير جدّاً ، يقال له الغضبان ، وست عَرَّادات[٧] ، وأعدوا آلات الحرب والعدد ، وقطعت القناطر من كُلِّ ناحية لئلا يصلَ الجيشُ إليهم .

= معجم الأدباء (١٦/ ٧٤) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦) ، العبر (١/ ٤٥٦) .

(١) كثير بن عبيد بن نمير المَذْحِجِيّ الحذاء ، أبو الحسن الحمصي ، المقرىء ، إمام جامع حمص مدة ستين سنة . وكان عبداً صالحاً .
العبر (١/ ٤٥٦) ، وتهذيب التهذيب (٨/ ٤٢٣) .

(٢) أبو عمرو البصري الحافظ ، أحد أوعية العلم . روى عن يزيد بن زريع وطبقته .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٣٦) ، العبر (١/ ٤٥٦) .

(٣) في ب ، ظا : أمواله ، وفي ط : عماله .

(٤) زيادة من ب ، ظا .

(٥) في ب ، ظا : فيه .

(٦) في ب ، ظا : حواصل .

(٧) « العَرَّادة » : آلة من آلات الحرب ، وهي مَنْجنيق صغير .

وكتب المعتزّ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يدعوه إلى الدخول معه في أمره ، ويذكِّره ما كان أخذه عليه المتوكِّلُ من العهود والمواثيق ؛ أن تكون الخلافة بعد المنتصر له ، فلم يلتفت إليه ، بل ردَّ عليه ، واحتجَّ بحججٍ يطول ذكرها .

وكتب كلٌّ واحدٍ من المستعين والمعتزّ إلى موسى بن بُغَا الكبير ، وهو مقيم بأطراف الشام لحرب أهل حمص ، يدعوه إلى نفسه ، وبعث إليه بألوية يعقِدها لمن اختار من أصحابه ، وكتب إليه المستعين يأمره بالمسير إليه إلى بغداد ، ويستنيب في عمله ، فركب مسرعاً فسار[١] إلى سامُرّا ، فكان مع المعتزّ على المستعين .

وكذلك هرب عبد الله بن بُغَا من عند أبيه من بغداد إلى سامُرّا ، وكذلك غيره من الأمراء والأتراك .

وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكّل على حرب المستعين ، وجهَّز معه جيشاً لذلك ، فسار في خمسة آلافٍ من الأتراك وغيرهم نحوَ بغداد ، وصلَّى بعُكْبَرا[٢] يوم الجمعة ، ودعا لأخيه المعتزّ .

ثم وصل إلى بغداد في ليلة الأحد لسبعٍ خلون من صفر ، فاجتمعت العساكر هنالك ، وقد قال رجلٌ يقال له : باذنجانة ، كان في عسكر أبي أحمد[٣] :

يـا بنـي طـاهـرٍ أتتكُـمْ جُنـودُ الـ ـلَّـهِ والمـوتُ بينهـا منثـورُ
وجيـوشٌ أمَـامَهُـنَّ أبـو أحْـ ـمَدَ نِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النَّصِيرُ

ثم جرت بينهم حروبٌ طويلة وفتنٌ مهولة جدّاً ، وقد أوردها ابنُ جرير[٤] مطوَّلة .

ثم بعث المعتزُّ مع موسى بن أشناس ثلاثة آلافٍ مدداً لأخيه أبي أحمد بن المتوكل ، فوصلوا لليلةٍ بقيت من ربيع الأول ، فوقفوا في الجانب الغربي عند باب قُطْرُبُّل ، وأبو أحمد وأصحابُه على باب الشّماسية ، والحرب مستعرة ، والقتال كثير ، والقتل واقع .

قال ابن جرير[٥] : وذكر أن المعتزَّ كتب إلى أخيه أبي أحمد يلومُه على التقصير في قتال أهلِ بغداد ، فكتب إليه أبو أحمد :

لأمْـرِ المنَـايـا علينـا طَـريـقُ وللـدَّهـرِ فينـا اتّسـاعٌ وضِيـقُ

---

(١) في ب ، ظا : فصار .
(٢) « عُكْبَرا » : بليدة من نواحي دُجَيل ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، والنسبة إليها عكبري وعكبراويّ ، ياقوت .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ٢٩١) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ١٤٥) .
(٤) تاريخ الطبري (٩/ ٢٩٠ ـ ٢٩٦) .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ٣١٦) .

وأيَّـامُنـا عِبَـرٌ لـلأنـام ... فمنهـا البُكـورُ ومنهـا الطُّـروقُ[١]
ومنهـا هَنَـاتٌ[٢] تُشيبُ الـوليـدَ ... ويَخـذُلُ فيهـا الصَّـديـقَ الصَّـديـقُ
وفتنـةُ ديـنٍ لهـا ذُرْوَةٌ[٣] ... تَفُـوتُ العيُـونَ وبَحْـرٌ عميـقُ
قِتَـالٌ متيـنٌ[٤] ، وسَيْـفٌ عَتيـدٌ ... وخَـوْفٌ شـديـدٌ ، وحِصْـنٌ وَثيـقُ
وطُولُ صِياحٍ لداعي الصَّباحِ الـ ... ـسلاحَ السـلاحَ ، فمـا يَسْتَفيـقُ
فهـذا طَـريـحٌ ، وهـذا جَـريـحٌ ... وهـذا حَـريـقٌ ، وهـذا غَـريـقُ
وهَـذا قَتِيـلٌ ، وهـذا تَلِيـلٌ[٥] ... وآخَـرُ يَشْـدَخُـهُ المَنْجَنيـقُ
هُنـاكَ اْغْتِصـابٌ وَثَـمَّ انْتِهَـابٌ ... ودُورٌ خَـرَابٌ وكـانَـتْ تَـرُوقُ
إذا مـا سَمَـوْنـا[٦] إلـى مَسْلَـكٍ ... وَجَـدْنـاهُ قـدْ سُـدَّ عَنَّـا الطـريـقُ
فبـاللهِ نَبْلُـغُ مـا نَـرْتَجـي[٧] ... وبـاللهِ نَـدْفَـعُ مـا لا نطيـقُ

قال ابنُ جرير[٨] : هذا الشعر ينشد لعليّ بن أميّة في فتنة المخلوع والمأمون .

وقد استمرَّت الفتنة والقتال ببغدادَ بين أبي أحمد أخي المعتز ، وبين محمد بن عبد الله بن طاهر نائب المستعين ، والبلد محصور ، وأهله في ضيق شديد جداً ، بقية شهور هذه السنة ، وقُتل من الفريقين خلْق كثير في وقَعات متعددات ، وأيام نَحْسات ، فتارةً يظهرُ أصحابُ أبي أحمد ويأخذون بعضَ الأبواب ، فتحملُ عليهم الطاهريّةُ فيزيحونهم عنها[٩] ، ويقتلون منهم خلْقاً ، ثم يتراجعون إلى مواقفهم ويصابرونهم مصابرةً عظيمة . لكنَّ أهلَ بغداد كلَّما هم إلى ضَعفٍ بسبب قلّة الميرة ، والجلب إليهم[١٠] .

ثم شاع بين العامّة أنَّ محمد بن عبد الله بن طاهر يريد أن يخلعَ المستعين ويبايعَ للمعتزّ ، وذلك في أواخر السنة ، فتنصَّل من ذلك واعتذَرَ إلى الخليفة وإلى العامّة ، وحلف بالأيمان العظيمة[١١] ، فلم تبرأ

(١) « الطُّروق » : ما يطرق ليلاً .
(٢) « الهنات » : الدواهي .
(٣) في ط والطبري : وسور عريض له ذروة .
(٤) في الطبري : مبيدٌ .
(٥) « التليل » : الصريع .
(٦) في آ : شمرنا وابن الأثير : شرعنا .
(٧) في الطبري : نرتجيه .
(٨) تاريخ الطبري (٩/ ٣١٧) ، وابن الأثير (٧/ ١٥٣) .
(٩) في الأصول عنه ، وأثبت ما جاء في ط .
(١٠) في ط : إلى داخل البلد .
(١١) في ط : الغليظة .

ساحتُه من ذلك حقَّ البرَاءة عند العامّة . واجتمعت العامّة والغَوغاء إلى دار ابن طاهر والخليفة نازلٌ بها ، فسألوا أن يبرزَ لهم الخليفة ليروه[١] ويسألوه عن ابن طاهر أهو راضٍ عنه أم لا . وما زالت الضجَّة والأصواتُ حتَّى برزَ لهم الخليفة من فوق المكان الذي هم فيه ، وعليه السَّواد ، ومن فوقه البُردة النبويَّة ، وبيده القضيبُ . وقال لهم فيما خاطبهم به : أقسمْتُ عليكم بحق صاحب هذه البُردة والقضيب لَما رجعتم إلى منازلكم ورضيتم عن ابن طاهر ، فإنه غير متَّهم لديَّ . فسكت الغَوغاء وتراجعوا إلى منازلهم .

ثم انتقل الخليفة من دار ابن طاهر إلى دار رزق الخادم ، وذلك في أوائل شهر ذي الحجة ، وصلَّى بهم العيد يوم الأضحى في الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر ، وبرز الخليفةُ للناس يومئذ وبين يديه الحربة وعليه البُردة ، وبيده القضيب ، وكان يوماً مشهوداً ببغداد على ما بأهلها من الحصار وغلاء الأسعار المترجمين عن لباس الجوع والخوف ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

ولمّا تفاقم الأمر ، واشتدَّ الحال ، وضاق المجالُ ، وجهد الرجال ، وجاع العيال ، شرع ابنُ طاهر يُظهر ما كان كامناً في نفسه من خلْع المستعين ، فجعل يعرِضُ له بذلك ، ثم كاشفَهُ به ، وناظره فيه ، وقال له : إنَّ المصلحة تقتضي أن تصالحَ عن الخلافة[٢] على مال تأخذه سلفاً وتعجيلاً ، ويكون لك من الخراج في كُلِّ عامٍ ما تختاره وتحتاجه ؛ ولم يَزَلْ يَفْتِلُ في الذِّرْوَة والغَارِبِ[٣] حتى أجاب إلى ذلك وأناب . فكُتب بما اشترطه المستعين في خلعه نفسه من الخلافة كتاب .

ولمَّا كان يوم السَّبْت لعشر بقين من ذي الحجَّة ركب محمد بن [عبد الله بن] طاهر إلى الرُّصافة ، وجمع القضاة والفقهاء ، وأدخلهم على المستعين فوجاً فوجاً ، وأشهدهم عليه أنه قد صيَّر أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكذلك جماعة الحجّاب والخدَم ، ثم تسلَّم منه جوهر الخلافة ، وأقام عند المستعين إلى هُويٍّ[٤] من الليل . وأصبح الناس يَدوكون[٥] ويتنوعون فيما يقولون من الأراجيف .

وأمَّا ابنُ طاهر فإنَّه أرسل بالكتاب مع جماعةٍ من الأمراء إلى المعتزّ بسامُرّا ، فلمَّا قدِمُوا عليه بذلك

---

(١) في آ : ليرده .

(٢) في آ : الخليفة .

(٣) في حديث الزبير : فما زال يَفْتِلُ في الذِّروة والغارب حتى أجابته عائشة إلى الخروج . « الغارب » : مقدَّم السَّنام ، و « الذِّروة » : أعلاه . أراد أنه ما زال يخادعها ويتلطفها حتى أجابته ، والأصل فيه : أن الرجل إذا أراد أن يؤنس البعير الصَّعْب ، ليزمَّه وينقاد له ، جعَل يُمرُّ يده عليه ، ويمسح غاربه ، ويفتِلُ وَبَرَه حتى يستأنِسَ ، ويضع فيه الزِّمام . اللسان (غرب) .

(٤) « الهويّ » : الساعة الممتدّة من الليل . ومضى هويٌّ من الليل : أي هزيع منه .

(٥) في ط : يذكرون وهو تحريف . وجاء في حديث خيبر : أنَّ النبي ﷺ ، قال : لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، فبات الناس يَدوكون تلك الليلة فيمن يدفعها إليه . أي يخوضون ويموجون ويختلفون فيه . اللسان (دوك) .

أكرمَهُم وخَلَعَ عليهم ، وأجازهم فأسنى جوائزهم . وسيأتي ما كان من الأمر في أوّل السنة الداخلة .

وفي هذه السنة في ربيع الأول منها كان ظهور رجلٍ من أهل البيت أيضاً بأرض قزوين وزَنجان ، وهو الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، ويعرف الحسين بن أحمد هذا بالكوكبي . وسيأتي ما كان من أمره هناك .

وفيها : خرج إسماعيل بن يوسف العلوي ، وهو ابن أخت موسى بن عبيد الله الحسني ، وسيأتي ما كان من أمره أيضاً .

وفيها : خرج بالكوفة أيضاً رجل من الطالبيين ، وهو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن حسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فوجّه إليه المستعين مزاحم بن خاقان فاقتتلا ، فهزم العلويّ ، وقُتل من أصحابه بشرٌ كثير . ولما دخل مزاحم الكوفة حرق بها ألفَ دار ونهبَ أموالَ الذين خرجوا معه ، وباع بعض جواري الحسين بن محمد هذا ، وكان معتقه على باب المسجد الجامع .

وفيها : ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن[١] بن علي بن أبي طالب بمكّة ، فهرب منه نائبُها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى ، فانتهب إسماعيل بن يوسف منزله ومنازلَ أصحابه ، وقتلَ جماعةً من الجند وغيرهم من أهل مكّة ، وأخذ ما في الكعبة من الذَّهبِ والفِضّة والطّيب وكُسوة الكعبة ، وأخذ من الناس نحواً من مئتي ألف دينار ، ثم خرج إلى المدينة النبويّة ، فهرب منه عاملُها عليّ بن الحسين بن إسماعيل ، ثم رجع إسماعيل بن يوسف إلى مكّة في رجب ، فحصرَ أهلَها حتّى هلكوا جوعاً وعطشاً ، وبيع الخبز ثلاث أواق بدرهم ، واللحم الرطل بأربعة ، وشربة الماء بثلاثة دراهم ، ولقيَ منه أهلُ مكّة كُلَّ بلاءِ ، ثم ترحّل عنهم إلى جُدّة ، بعد مقام سبعة وخمسين يوماً ، فانتهب أموال التجار[٢] هنالك ، وأخذَ المراكبَ ، وقطع الميرةَ عن أهل مكّة حتّى جلبت إليها من اليمن ، ثم عاد لا جزاه الله خيراً عن المسلمين إلى مكّة .

فلمّا كان يوم عرفة لم يمكن الناس من الوقوف نهاراً ولا ليلاً ، وقتل من الحجيج ألفاً ومئة ، وسلب أموالهم ، ولم يقف بعرفة عامئذ سواه ومَنْ معه من أصحابه ، لا تقبّل الله منهم صَرْفاً ولا عَدْلاً[٣] .

وفيها : توفي من الأعيان :

إسحاق بن منصور الكَوْسَج[٤] .

---

(١) في ط : « الحسين » ، خطأ . وتنظر ترجمته في العقد الثمين (٣/ ٣١١) .

(٢) في آ : الكبار .

(٣) أي لا تقبّل الله منهم توبة ولا فِدية .

(٤) أبو يعقوب المَرْوَزي ، نزيل نيسابور . سمع سفيان بن عيينة وطائفة . وهو أحد الأئمة من أصحاب الحديث من=

وحُمَيْد بن زَنْجَوَيه[١] .

وعمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي[٢] .

وأبو التَّقيِّ هشام بن عبد الملك اليَزَنِي[٣] .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومئتين

ذكر خلافة المعتزّ بعد خلع المستعين نفسه

استهلّت وقد استقرَّت الخلافةُ باسم أبي عبد الله المعتزّ ، محمد بن جعفر المتوكّل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور . وقيل : إنَّ اسم المعتزّ أحمد ، وقيل : الزبير ، وهو الذي عوَّل عليه الحافظ ابنُ عساكر وترجمه في « تاريخه »[٤] .

وقد خلع المستعين أحمد بن محمد المعتصم نفسَه من الخلافة ، وبايع للمعتزّ .

ولمَّا كان يوم الجمعة رابع المحرم دعا الخطباء بجوامع[٥] بغداد على المنابر للخليفة المعتزّ بالله ، وانتقل المستعين من الرُّصافة إلى قصر الحسن بن سهل هو وعيالُه وولَدُه وجواريه ، ووكّل بهم سعيد بن رجاء في جماعة معه ، وأخذ من المستعين البُرْدة ، والقضيب ، والخاتم ، وبعث بذلك إلى المعتزّ ، ثم أرسل إليه المعتز يطلب منه خاتمين من جوهرٍ بقيا[٦] عنده ، يقال لأحدهما بُرْج ، والآخر جَبَل ، فأرسلهما .

وطلب المستعين أن يسير إلى مكّة فلم يمكن ، فطلب البصرةَ ، فقيل : إنها وبيّة . فقال : إنَّ تَرْكَ الخلافة أوبأُ منها .

= الزُّهّاد والمتمسكين بالسُّنة . وهو صاحب المسائل عن أحمد بن حنبل .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥٨) ، والعبر (٢/ ١) .

(١) أبو أحمد النَّسائي ، صاحب المصنفات . روى عن النَّضْر بن شُميل وخلق بعده . ثقة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٩) ، والعبر (٢/ ١) .

(٢) أبو حفص ، حافظ ثبت ، محدّث حمص . روى عن إسماعيل بن عيّاش وجماعة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠٥) ، والعبر (٢/ ١) .

(٣) حافظ متقن ، حدّث عن إسماعيل بن عيَّاش ، وبقيَّة بن الوليد ، وعدة . ثقة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠٣) ، والعبر (٢/ ١) .

(٤) مختصره لابن منظور (٩/ ٥) .

(٥) في ب ، ظا : في البلدان مع بغداد .

(٦) في آ : ثميناً .

ثم أذن له في المسير إلى واسط ، فخرج ومعه حرسٌ يوصلوه إليها نحواً[١] من أربعمئة .

واستَوزر المعتزُّ أحمد بن إسرائيل[٢] ، وخلَعَ عليه ، وألبَسَه تاجاً على رأسه . ولمَّا تمهَّد أمرُ بغدادَ واستقرَّت البيعة للمعتزّ بها ، ودان له أهلُها ، واجتمع شملُها ، وقدمتها الميرةُ من كُلِّ جانب ، واتَّسَعَ النَّاس في الأرزاق والأطعمة ، ركبَ أبو أحمد منها في يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرّم إلى سامُرّا ، وشيَّعه محمد بن عبد الله بن طاهر في وجوه القواد ، فخلع أبو أحمد على ابن طاهر خمسَ خلع وسيفاً ، وردَّه من الرُّوذَبار[٣] .

وقد ذكر ابنُ جرير[٤] مدائحَ الشعراء في المعتزّ وتشفّيهم بخلْعِ المستعين ، فأكثَرَ من ذلك جدّاً . فمن ذلك قولُ محمد بن مروان بن أبي الجَنوب بن مروان في مدح المعتزّ وذمِّ المستعين ، كما جرت عادة الشعراء[٥] :

إنَّ الأمورَ إلى المعتزِّ قد رَجَعتْ ... والمُستعينُ[٦] إلى حالاتِهِ رَجَعا

وكانَ يَعلَمُ أنَّ المُلْكَ ليسَ لَهُ ... وَأنَّهُ لَكَ لكنْ نفسَهُ خَدَعا

ومالكُ المُلْكِ مُؤتِيهِ ونازِعُهُ ... آتاكَ مُلْكاً ومنهُ الملكَ قَدْ نَزَعا

إنَّ الخِلافَةَ كانتْ لا تُلائِمُهُ ... كانَتْ كَذاتِ حَليلٍ زُوِّجَتْ مُتَعَا

ما كان أقبحَ عندَ النَّاسِ بَيْعَتَهُ ... وكانَ أحسَنَ قَوْل النَّاسِ قد خُلِعا

[ليتَ السَّفِينَ إلى قافٍ دَفَعْنَ بهِ ... نفسي الفِداءُ لمَلاحٍ بهِ دَفَعَا

كم سَاسَ قبلَكَ أمْرَ النَّاسِ من مَلِكٍ ... لو كانَ حُمِّلَ ما حُمِّلْتَه ظَلَعا][٧]

أمْسَى بكَ النَّاسُ بعد الضِّيقِ في سَعَةٍ ... واللهُ يَجعلُ بعدَ الضِّيقِ مُتَّسَعَا

واللهُ يدفَعُ عنكَ السّوءَ من مَلِكٍ ... فإنَّه بكَ عنَّا السوءَ قد دَفَعَا

وكتب أمير المؤمنين المعتزُّ من سامُرّاء إلى نائب بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر أن يُسقِطَ اسْمَ

---

(١) في آ : نحو .
(٢) في ط : « أحمد بن أبي إسرائيل » خطأ . وتنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٣٢) .
(٣) تحرفت في ط إلى : وردّه من الطريق إلى بغداد . و« الرُّوذبار » : لفظة لمواضع عدة عند الأنهار ، منها قرية قرب بغداد . ياقوت .
(٤) انظر تاريخ الطبري (٩/ ٣٥٠ـ٣٥٣) .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ٣٥١) .
(٦) الطبري : والمستعان .
(٧) ما بين قوسين زيادة من ط والطبري . و« ظَلع في مشيه » : عَرَجَ .

وصيفٍ وبُغَا ما[١] كان من رسومهما في الدواوين ، وعزم على قتلهما ، ثم استُرضي عنهما فرضي عنهما .

وفي رجب من هذه السنة خلع المعتزُّ أخاه إبراهيم الملقب بالمؤيد من ولاية العهد وحبَسَه ، وأخاه أبا أحمد ، بعدما ضرب المؤيدَ أربعين مِقْرَعةً .

ولمَّا كان يوم الجمعة سابعه خطب بخلْعه ، وقرأ[٢] كتابه على نفسه بذلك .

وكانت وفاته بعد ذلك بخمسة عشر يوماً ، فقيل : إنه أدرجَ في لحاف سَمّور[٣] ، وأمسِكَ طرفاه حتَّى مات غمّاً . وقيل : بل ضُرِب بحجارةٍ من ثَلْجٍ حتَّى ماتَ بَرْداً ، وبعد ذلك أُخرِج من السّجن ولا أثَرَ به ، فأحضر القضاةُ والأعيان فأشهِدوا على موته من غير سببٍ وليس به أثر ، ثم حُمِلَ على حمارٍ ومعه كفنُه إلى أُمِّه فدفنته .

ذكر مقتل المستعين

في شوَّال من هذه السنة كتب المعتزُّ إلى نائبه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بتجهيز جيشٍ نحو المستعين ، فجهز أحمد بن طولون التركيّ فوافاه ، فأخرجه لستٍّ بقين من رمضان ، فقدم به القاطولَ لثلاثٍ مضيْنَ من شوَّال ، ثم قتل ، فقيل : ضُرِبَ حتى مات ، وقيل : بل غرق في دُجَيل ، وقيل : بل ضُربت عنقه .

وقد ذكر ابنُ جرير[٤] أنَّه[٥] سأل من سعيد بن صالح التركيّ حين أراد قتله أن يمهلَه حتَّى يصلّيَ ركعتين ، فلمَّا كان في السّجدة الأخيرة قتلَهُ وهو ساجدٌ ، ودفَنَ جثته في مكانها ، وعفّى أثره .

وحمَلَ رأسه إلى المعتزِّ ، فدخَل به عليه وهو يلعب بالشطرنج ، فقيل : هذا رأس المخلوع ، فقال : ضعوه حتى أفرغَ من الدَّسْت[٦] ، فلمَّا فَرَغَ نظر إليه وأمرَ بدفنه ، ثم أطلق لسعيد بن صالح الذي قتله خمسين ألف درهم ، وولاه معونة البصرة .

وفي هذه السنة مات إسماعيل بن يوسف العلويّ الذي فعل بمكّة ما فعل ، وألحد في حرم الله ما ألْحَدَ ، كما تقدم ، فهلك في هذه السنة ، ولم يُنظره ربُّه عزَّ وجلَّ .

---

(١) في ب ، ظا : ما كان في رسومهما ، وفي الطبري : ومن كان في رسمهما من الدواوين .
(٢) في ب ، ظا : وقرىء ، وفي ط : وأمره أن يكتب كتاباً على نفسه بذلك .
(٣) في ب ، ظا : في لحاف من سمّور .
(٤) الطبري (٩/ ٣٦٤) .
(٥) في ب ، ظا : أنَّ المستعين .
(٦) « الدّسْت » : اللعبة ، يقال : فلان حسن الدّست : شطرنجي ماهر .

وأحمد بن محمد ، المستعين بالله .

وإسحاق بن بُهْلُول[١] .

وزياد بن أيّوب[٢] .

ومحمد بن بشار ، بُنْدار[٣] .

ومحمد بن المُثَنَّى ، الزَّمِن[٤] .

ويعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقيّ[٥] .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومئتين

في رجب منها عقد المعتزُّ لموسى بن بُغَا الكبير على جيشٍ قريبٍ من أربعة آلاف ؛ ليذهبوا إلى قتال عبد العزيز بن أبي دُلَف بناحية همذان ؛ وذلك لأنه خرج عن الطاعة ، وهو في نحوٍ من عشرين ألفاً . فهزموا عبدَ العزيز في أواخر هذا الشهر هزيمةً فظيعة . ثم كانت بينهم وقعةٌ أخرى في رمضان عند الكَرَج ، فهُزِم عبدُ العزيز أيضاً ، وقُتِلَ من أصحابه بشرٌ كثير . وأسروا ذراريَ كثيرةً ، حتَّى أَسَروا أمَّ عبد العزيز ، وبعثوا إلى الخليفة سبعين حملاً من الرؤوس ، وأعلاماً كثيرة . وأخذ من عبد العزيز ما كان استحوذ عليه من بلاد الخليفة .

---

(١) أبو يعقوب التَّنوخي الأنباري الحافظ ، سمع ابن عيينة وطبقته . وكان من كبار الأئمة ، صنَّف في القراءات وفي الحديث والفقه ، وله مذاهب اختارها ، وكان ثقة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٨٩) ، العبر (٢/ ٣) .

(٢) أبو هاشم الطُّوسيّ البغدادي ، ويلقّب أيضاً : دَلُّوَيْه . وكان يقال له : شُعبة الصغير ؛ لإتقانه ومعرفته . صدوق .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٢٠) والعبر (٢/ ٣) .

(٣) محمد بن بشار بن عثمان ، أبو بكر العبديّ البصريّ ، بُنْدَار ، لُقِّب بذلك ، لأنه كان بُنْدَار الحديث في عصره ببلده ، و « البُنْدَار » : الحافظ . قال أبو داود : كتبت عنه خمسين ألف حديث . سمع معتمر بن سليمان ، وغُنْدَراً وطبقتهما . روى عنه الستة في كتبهم .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤٤) ، العبر (٢/ ٣) .

(٤) أبو موسى العَنَزيّ البصريّ ، ولد مع بُنْدار في عام وفاة حمّاد بن سلمة ، حافظ ثبت ، جمع وصنف وكتب الكثير . كان صدوقاً ورِعاً .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٢٣) ، العبر (٢/ ٤) .

(٥) أبو يوسف العَبْديّ القيسيّ مولاهم . سمع هشيماً وإبراهيم بن سعد وطبقتهما . حدث عنه الجماعة . قال الخطيب : كان ثقة حافظاً متقناً ، صنف المسند .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤١) ، العبر (٢/ ٤) .

وفي رمضان منها خَلَعَ المعتزُّ على بُغَا الشرابيّ وألبَسَه التّاجَ والوشاحين .

وفي يوم عيد الفطر كانت وقعة هائلة عند مكان يقال له : البَوازِيْج[١] ، وذلك أنَّ رجلاً يقال له : « مُساور بن عبد الحميد » حكّم[٢] فيها ، والتفَّ عليه نحو من سبعمئة من الخوارج ، فقصَدَ له رجلٌ يقال له : « بُنْدار الطبريّ » في ثلاثمئة من أصحابه ، فالتقوا في هذا اليوم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتِلَ من الخوارج نحو من خمسين ، وقُتِلَ من أصحاب بُنْدار مئتان وخمسون رجلاً ، وقُتِلَ بُنْدَار فيمن قُتِلَ : رحمه الله .

ثم صَمَدَ[٣] مُساور إلى حُلوان ، فقاتله أهلُها ، وأعانهم حُجّاج أهلِ خراسان ، فقتَلَ مُساور منهم نحواً من أربعمئة إنسانٍ ؛ قبّحه الله . وقُتِلَ من أصحابه جماعة كثيرون أيضاً .

ولثلاث بَقِين من شوال قُتِلَ وصيف التركيّ ، وأرادت العامة أن تنتهبَ دارَه بسامُرّا ودورَ أولاده ، فلم يمكنهم ذلك . جعَلَ المعتزُّ الخليفة ما كان إليه إلى بُغَا الشرابيّ .

وفي ليلة أربعَ عشرة من ذي القعدة من هذه السنة كُسِفَ[٤] القمرُ حتَّى غاب أكثرُه وغرق نورُه ، وعند انتهاء كُسُوفه مات محمد بن عبد الله بن طاهر نائبُ العراق ببغداد . وكانت عِلَّتُه قروحاً في رأسه وحَلْقِه فذبحته .

ولمَّا أتي به لِيُصلَّى عليه اختلف أخوه عُبيدُ الله وابنُه طاهر ، أيُّهما يُصلّي عليه ، وتنازعا حتى جُذبت السّيوف ، وترامى الناس بالحجارة ، وصاحت الغَوْغَاءُ : يا طاهر ، يا منصور ؛ فمال عُبيدُ الله إلى الشرقية ومعه القواد وأكابر الناس ، فدخل داره وكان أخوه قد أوصى إليه . وحين بلَغَ المعتزَّ ما وقع ، بعثَ بالخِلَع والولاية لِعُبيد الله بن محمد بن عبد الله بن طاهر ، فأطلَقَ عُبيد الله للذي قدِمَ بالخلع خمسين ألف درهم .

وفيها : نَفَى الخليفةُ المعتزُّ أخاه أبا أحمد من سُرَّ مَنْ رأى إلى واسط ، ثم إلى البصرة ، ثم رُدَّ إلى بغداد ، [فأنزل في الشرقية ، في قصر دينار بن عبد الله .

---

(١) بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة ، وهي الآن من أعمال الموصل . ياقوت .
(٢) أي قال : لا حكم إلا لله .
(٣) في الطبري : مضى .
(٤) في ط : خُسِف خسوفه ، ويوافق ذلك ما جاء في الطبري . قال ابن الأثير : ورد الخسوف في الحديث كثيراً للشمس ، والمعروف لها في اللغة الكسوف لا الخسوف ، وخسوف القمر : كسوفه . وأجود الكلام : كسفت الشمس وخسف القمر . اللسان : خسف .

وفيها : نفي عليّ بن المعتصم إلى واسط ، ثم رُدَّ إلى بغداد [[١]] أيضاً .

وفي يوم الإثنين سَلْخ ذي القعدة التقى موسى بن بُغا الكبير ، هو والحسين بن أحمد الكوكبيّ الطالبي ، الذي خرج في سنة إحدى وخمسين عند قزوين ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، ثم هُزِمَ الكوكبيُّ ، وأخذ موسى قزوين وهَرَب الكوكبيُّ إلى الدَّيْلَم .

وذكر ابنُ جرير[٢] عن بعضٍ من حَضَرَ هذه الوقعة أنَّ الكوكبيَّ حين التقى أمر أصحابه أن يتترّسوا بالحجف[٣] ، وكانت السهام لا تعمل فيهم ، فأمر موسى بن بُغَا أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم من النفط بالأرض ، ثم حاولوهم وأروهم أنَّهم قد انهزموا منهم ، فتبعهم أصحابُ الكوكبيّ ، فلمَّا توسَّطوا الأرضَ التي فيها النفطُ أمَرَ عند ذلك بإلقاء النار فيه ، فجعلت النار تحرق أصحابَ الكوكبيِّ ، ففرُّوا سراعاً هاربين ، وكرَّ عليهم موسى وأصحابُه ، فقتَلُوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وهربَ الكوكبيُّ إلى الدَّيْلَم ، وتسلَّم موسى بن بُغا قزوين .

وفيها : حجَّ بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبيُّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو الأشعث[٤] .

وأحمد بن سعيد الدَّارِميُّ[٥] .

وسَرِيّ السَّقَطِيُّ[٦] : أحد كبار مشايخ أئمة الصّوفية . وهو السَّرِيُّ بن المُغَلِّس ، أبو الحسن السَّقطيّ البغدادي ، تلميذ مَعروف الكَرْخِيّ .

---

(١) زيادة من ب ، ظا . والطبري (٩/ ٣٧٧) .

(٢) الطبري (٩/ ٣٧٨) .

(٣) « الحَجَف » : ضربٌ من التّرسَة ، واحدتها حَجَفة ، وهي الترس إذا كان من جلود ليس فيه خَشَب ولا عَقَب .

(٤) هو أحمد بن المِقْدام بن سليمان بن الأشعث ، أبو الأشعث العِجْليّ البصري . محدّث ، سمع حماد بن زيد وطائفة كثيرة ، ثقة ، صدوق .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢١٩) ، العبر (٢/ ٥) .

(٥) أحمد بن سعيد بن صخر الدَّارميّ السَّرَخْسي ، أبو جعفر . الفقيه الحافظ الثَّبت ، أحد الفقهاء والأئمة في الأثر ، سمع النَّضْر بن شُميل وطبقته .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢٣) ، العبر (٢/ ٤) .

(٦) طبقات الصوفية ٤٨ ، حلية الأولياء (١٠/ ١١٦) ، تاريخ بغداد (٩/ ١٨٧) ، صفة الصفوة (٢/ ٣٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٥) ، العبر (٢/ ٥) ، شذرات الذهب (٢/ ١٢٧) .

حدَّث عن هُشَيم ، وأبي بكر بن عيَّاش ، وعليِّ بن غُراب ، ويحيى بن يَمَان ، ويزيدَ بنِ هارون ، وغيرهم .

وعنه : ابنُ أخته الجُنَيد بن محمد ، وأبو الحسين[1] النُّوري ، ومحمد بن الفضل بن جابر السَّقَطِيّ ، وجماعة .

وكانت له دكانٌ يتَّجر فيها ، فمرت به جارية قد انكسَرَ إناءٌ كان معها تشتري فيه شيئاً لسادتها ، فجعلتْ تبكي ، فأعطاها سَرِيٌّ شيئاً تشتري به بدله ، فنظر معروف إليه وما صنع بتلك الجارية ، فقال له : بَغَّضَ الله إليك الدنيا[2] .

وقال سرِيّ : مررت في يوم عيدٍ فإذا معروفٌ ومعه صبيٌّ صغير شعث الحال ، فقلت : ما هذا؟ فقال : هذا كان واقفاً والصِّبيان يلعبون وهو منكسرٌ ، فقلت : ما لك لا تلعبُ ؟ فقال : أنا يتيم ، لا شيءَ معي أشتري به جوزاً ألعبُ به ، فأخذته لأجمع له نوى يشتري به جوزاً يفرح به . فقلت : ألا أكسوه وأعطيه شيئاً يشتري به ؟ فقال : أو تفعلُ ؟ قلت : نعم . فقال : خذْه ، أغنى الله قلبك ! قال سريّ : فسويت عندي الدّنيا أقلَّ شيء .

وكان عنده مرّة لوزٌ ، فساومه رجلٌ على الكُرِّ[3] بثلاثة وستين ديناراً ، ثم ذهب الرجل ، فإذا اللوز يساوي الكُرُّ منه تسعين ديناراً ، فقال له : إني أشتري منك الكُرَّ بتسعين ديناراً . فقال : إنِّي ساومتك بثلاثة وستين ديناراً ، وإني لا أبيعه إلا بذلك ، فقال الرجل : فأنا أشتري منك بتسعين ، فقال : لا أبيعه إلا بما ساومتك عليه . فقال الرجل : إنَّ من النُّصح أن لا أشتري منك إلا بتسعين ديناراً ، وذهَبَ فلم يشتر منه .

وجاءت امرأة يوماً إلى سَرِيّ ، فقالت : إنَّ ابني قد أخذه الحرس ، وإنِّي أحبُّ أن تبعثَ إلى صاحب الشُّرْطة لئلا يضربَ ، فقام فصلَّى فطوَّل في الصلاة ، وجعلت المرأة تحترقُ في نفسها ، فلمَّا انصرَفَ من الصَّلاة ، قالت : اللهَ اللهَ في ولدي ! فقال : [ها أنا ذا في حاجتك . فما رام[4] من مجلسه حتَّى جاءت امرأة إلى تلك المرأة ، فقال لها : أبشري ، فقد أطلق المتولي ولدك ، فانصرفت إليه .

وقال السَّرِيُّ : أشتهي أن آكل أكلةً ليس عليَّ فيها تَبِعَةٌ[5] ، ولا لأحد عليَّ فيها مِنَّة ، فما أجدُ إلى ذلك سبيلاً .

---

(١) في الأصول والمطبوع : أبو الحسن ، وهو أحمد بن محمد الخراساني البغوي الزاهد ، أبو الحسين النوري ، شيخ الطائفة بالعراق ، وأحذقهم بلطائف الحقائق . صحب السريَّ السَّقطي وغيره . وكان الجُنَيد يعظّمه . ترجمته ومصادرها في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٧٠) .

(٢) بعدها في ط : فوجد الزهد من يومه . تاريخ بغداد (٩/ ١٨٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٦) .

(٣) « الكُرُّ » : مكيال لأهل العراق ، أو ستون قفيزاً ، أو أربعون إردبّاً .

(٤) في ب ، ظا : قام .

(٥) « التَّبعة » : ما فيه إثم يُتَّبَع به .

وفي رواية : قال : إني لأشتهي البَقْلَ منذ ثلاثين سنة فما أقدِرُ عليه .

وعن السَّرِيِّ أنه قال : احترَقَ سوقُنا ، فقصدْتُ المكانَ الذي فيه دُكّاني ، فتلقَّاني رجل ، فقال : أبشر ، فإنَّ دكَّانَكَ سَلِمَتْ . فقلت : الحمدُ لله . ثم تذكَّرت ذلك التَّحميدَ[١] ، فأنا أستغفر اللهَ منه منذ ثلاثين سنة ، رواها الخطيبُ[٢] .

وقال السَّرِيُّ : صَلَّيْتُ وِرْدِي ذاتَ ليلةٍ ، ثم مدَدْتُ رجلي في المحراب ، فنُوديتُ : يا سَرِيُّ ! كذا تجالسُ الملوكَ ؟! قال : فضمَمْتُ رِجْلي ، ثم قلْتُ : وعِزَّتِك لا مدَدْتُ رِجْلي أبداً[٣] .

وقال الجُنَيْد بن محمد : ما رأيت أعبَدَ [لله][٤] من السَّرِيّ السَّقَطِيِّ ، أتَتْ عليه ثمانٌ وتسعون سنة ما رُئي مُضطجعاً إلا في علَّةِ الموت[٥] .

وروى الخطيبُ[٦] ، عن أبي نعيم ، عن جعفر الخُلْديّ ، عن الجُنَيْد بن محمد ، قال : دخلْتُ عليه أعودُه ، فقلت : كيفَ تجدُك ؟ فقال :

كيفَ[٧] أشكُو إلى طبيبي ما بي ؟ والـذي قـد أصـابنـي مِـنْ طبيبـي

قال : فأخذْتُ المِرْوَحَةَ أروّحه ، فقال لي : كيف يجد رَوحَ[٨] المِرْوَحَةِ مَنْ جَوْفُه يحترِقُ من داخل ؟ ثم أنشأ يقول :

القلـبُ محتـرِقٌ ، والـدَّمْعُ مُستبِـقٌ والكَـرْبُ مجتمِـعٌ ، والصَّبـرُ مُفتـرِقُ
كيـفَ القـرارُ علـى مَـنْ لا قَـرارَ لَـه ممَّـا جنـاهُ الهَـوَى والشَّـوقُ والقَلَـقُ
يا ربِّ إنْ كان شيءٌ فيه لي فَرَجٌ فـأْمْنُـنْ علـيَّ بـه مـا دامَ بـي رَمَـقُ

قال[٩] : وقلت له : أوصني ، فقال : لا تصحَبِ الأشرارَ ، ولا تشتغِلْ عن الله بمجالسة الأخيار .

---

(١) بعدها في ط : إذ حمدت الله على سلامة دنياي ، وأني لم أواس الناس فيما هم فيه .
(٢) تاريخ بغداد (٩/ ١٨٨) .
(٣) تاريخ بغداد (٩/ ١٨٧) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٥) .
(٤) من ب .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٦) .
(٥) تاريخ بغداد (٩/ ١٩٢) .
(٦) تاريخ بغداد (٩/ ١٩١) .
(٧) في آ : أنا وسقطت في ب ، ظا .
(٨) في آ ، ظا : ريح .
(٩) أي الجنيد ، وانظر تاريخ بغداد (٩/ ١٩١) ، وصفة الصفوة (٢/ ٣٨٥) .

وقد ذكر الخطيب[١] وفاته يوم الثلاثاء لستٍّ خَلَوْنَ من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومئتين ، بعد أذان الفجر ، ودفن بعد العصر . [قال : ودفن][٢] بمقبرة الشُّونيزيّ ، وقبره ظاهر معروف ، وإلى جنبه قبر الجُنَيْد .

وروى[٣] عن القاضي عن أبي عبيد بن حربويه ، قال : رأيت سَرِيّاً في المنام فقلت : ما فعلَ الله بك ؟ فقال : غفَرَ لي ولكُلِّ من شهد جنازتي . فقلت : فإنّي ممَّن حضر جنازتك وصَلّى عليك . قال : فأخرَجَ درجاً ، فنظَرَ فيه فلم يَرَ اسمي فيه ، فقلت : بلى ! قد حضرت [جنازتك ، فنظر][٤] ، فإذا اسْمِي في الحاشية .

وحكى ابن خلكان[٥] قولاً : أنَّ سَرِيّاً توفي سنة إحدى وخمسين . وقيل : سنة ست وخمسين ، فالله أعلم . قال ابن خلكان[٦] : ومما كانَ ينشده السَّرِيُّ ، رحمه الله :

إذا ما شكَوْتُ الحبَّ قالتْ كَذَبْتَني … فما لي أرَى الأعْضَاءَ منك كَواسيا
فلا حُبَّ حتَّى يَلْصَقَ الجِلدُ بالحَشَا … وتُـذْهَـلَ حتَّـى لا تُجيـبَ المنـادِيـا

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومئتين

فيها أمر الخليفة المعتزُّ بقتل بُغَا الشرابيّ ، ونصب رأسه بسامُرَّاء ، ثم ببغداد ، وحرّقت جثته [بالنار][٧] ، وأخذت أمواله وحواصله .

وفيها : ولي أحمد بن طولون الدِّيار المصريّة ، وهو باني الجامع المشهور بها .

وحجَّ بالناس فيها علي بن الحسين بن إسماعيل بن العبَّاس بن محمّد .

وتوفي فيها من الأعيان :

زياد بن أيوب الحَسَّاني[٨] .

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ١٩٢) .
(٢) من ب ، ظا .
(٣) تاريخ بغداد (٩/ ١٩٢) .
(٤) من ب ، ظا .
(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٣٥٩) .
(٦) وفيات الأعيان (٢/ ٣٥٩) .
(٧) زيادة من ب ، ظا .
(٨) كذا هو في الأصول ، ولعله زياد بن يحيى بن زياد بن حسَّان بن عبد الله الحَسَّانيّ ، أبو الخطاب النُّكريّ ، العَدَني ، البَصريّ . ذكره ابن حبان في الثقات . تهذيب الكمال (٩/ ٥٢٣) .

وعلي بن محمد [بن علي][1] بن موسى الرضا[2] ، يوم الإثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ببغداد ، وصلّى عليه أبو أحمد بن المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد ، ودفن بداره ببغداد .

ومحمد بن عبد الله المُخَرِّمي[3] .

ومُؤمّل بن إهاب[4] .

وأبو الحسن عليّ الهادي[5] : ابن محمد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن عليّ بن أبي طالب . أحدُ الأئمة الاثني عشر ، وهو والد الحسن بن عليّ العسكريّ المنتظَر عند الفرقة الضَّالّة الجاهلة الكاذبة الخاطئة .

وقد كان عابداً زاهداً ، نقله[6] المتوكّل إلى سامُرَّا فأقام بها أزيدَ من عشرين سنةً بأشهر . ومات بها في هذه السنة .

وقد ذُكِرَ للمتوكّل أنَّ بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرةً من الناس ، فأرسل فكَبَسه ، فوجدوه جالساً مستقبل القِبْلَة وعليه مِدْرَعة من صوفٍ ، وهو على بسيط الأرض ليس دونها حائلٌ ، فأخذوه كذلك فحملوه إلى المتوكّل وهو على شرابه ، فلمّا مَثَلَ بين يديه أجلَّه وأعظمَه وأجلسه إلى جانبه ، وناوله الكأس الذي في يده ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ! إنَّه لم يخالط لحمي ودمي قطّ ، فاعْفِني منه ، فأعفاه ، ثم قال له : أنشدني شعراً ، فأنشده[7] :

باتوا على قُلَلِ الأجبال تحرُسُهُمْ غُلْبُ الرّجال فما أغنتهُمُ القُلَلُ[8]

واستُنزِلوا بعدَ عِزٍّ عن مَعاقِلِهِمْ فأودِعُوا حُفَراً يا بئسَ ما نَزَلُوا

---

(١) زيادة من ب ، ظا .

(٢) سيترجم له المؤلف بعد قليل .

(٣) أبو جعفر القرشي مولاهم البغدادي المخرِّمي المدائني ، قاضي حلوان . روى عن وكيع وطبقته . وكان من كبار الحفاظ . ثقة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٥) ، العبر (٢/ ٦) .

(٤) مؤمَّل بن إهاب بن عبد العزيز الربعي ، العجلي ، أبو عبد الرحمن الكوفي . نزل الرملة ومصر ، وهو كرماني الأصل ، روى عن ضمرة بن ربيعة ويحيى بن آدم وطبقتهما . ذكره ابن حبان في الثقات . مات في الرملة . تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٨٢) ، العبر (٢/ ٧) .

(٥) له ترجمة في وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٢) ، ومنهاج السنة (٢/ ١٢٩) ، وتاريخ بغداد (١٢/ ٥٦) ، ونزهة الجليس (٢/ ٨٢) .

(٦) في آ : انتقله .

(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٢) ، والبصائر والذخائر (٤/ ٢٢٣) .

(٨) « القُلل » : أعالي الجبال وقلة كل شيءٍ أعلاه .

نادى بهم صارخٌ مِن بعدِ ما قُبِروا[١] أيـنَ الأسِـرَّةُ والتّيجـانُ والحُلـلُ
أيـنَ الـوجـوهُ التي كـانـتْ منعَّمـةً من دونها تُضربُ الأستارُ والكِلَلُ[٢]
فأفصَحَ القبْرَ عنهمْ حين ساءَلَهُمْ تلـكَ الـوجُـوهُ عليهـا الـدُّودُ يَقتتِـلُ
قد طالَ ما أكلوا دهراً وماشربوا فأصبَحُوا بعدَ طُولِ الأكْلِ قد أُكِلُوا

قال : فبكى المتوكِّلُ حتَّى بلَّ الثرى ، وبكى مَنْ حولَه بحضرته ، وأمَرَ برفع الشراب ، وأمَر له بأربعة آلاف دينار ، وحالل[٣] منه ، وردَّه إلى منزله مكرَّماً ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومئتين

فيها كانت وقعةٌ بين مُفلِح وبين الحسن بن زيد الطالبيّ ، فهزمه مُفْلِحٌ ودَخَل آمُل طَبَرستان ، وحرق منازل الحسن بن زيد ، ثم سار وراءه إلى الدَّيْلَم .

وفيها : كانت محاربةٌ شديدةٌ بين يعقوب بن الليث وبين عليّ بن الحسين بن قُرَيش بن شِبْل ، فبعث عليّ بن الحسين رجلاً من جهته يقال له : طَوْق بن المغلِّس ، فصابره أكثرَ من شهر ثم ظفر يعقوب بطَوْقٍ ، فأسرَهُ وأسَرَ وجوه أصحابه .

ثم سار إلى عليّ بن الحسين هذا ، فأسَره أيضاً وأخذ بلاده ، وهي كِرْمان ، فأضافَها إلى ما بيده من مملكة سِجِسْتان .

ثم بعث يعقوب بن الليث بهديّةٍ سنيَّة إلى المعتزّ بالله ؛ دوابّ ، وبُزَاة ، وثيابٍ فاخرة .

وفيها : ولَّى الخليفةُ سليمانَ بن عبد الله بن طاهر نيابة بغداد والسّواد في ربيع الأوّل منها .

وفيها : أخذ صالحُ بن وصيف أحمدَ بن إسرائيل كاتبَ المعتزِّ ، والحسنَ بن مخْلد كاتبَ قَبيحة أُمّ المعتزّ ، وأبا نوح عيسى بن إبراهيم ، وكانوا قد تمالؤوا على أكل أموال بيت المال ، فضربهم ، وأخذ خطوطهُم بأموالٍ جزيلةٍ يحملونها ، وذلك بغير رضىً من المعتزِّ في الباطن . واحتيط على أموالهم وحواصلهم وضياعهم ، وسُمُّوا الكتَّاب الخونة ، وولَّى الخليفةُ عن قهرِ غيرَهم .

وفي رجب من هذه السنة ظهر عيسى بن جعفر ، وعليّ بن زيد الحسنيّان بالكوفة ، وقتلا بها عبدَ الله بن محمد بن داود بن عيسى ، واستفحل أمرهما بها .

---

(١) في ظ : دفنوا .
(٢) الكلل : مفردها كِلَّة وهي الشيء الرقيق .
(٣) قوله : وحالل منه لم يرد في ب ، ظا . وفي ط : وتحلل منه .

موت الخليفة المعتزّ بالله : ولثلاث بَقِين من رجب من هذه السنة خُلِعَ الخليفةُ المعتزُّ بالله ، ولليلتين [مضتا][١] من شعبان أظهِرَ موتُه .

وكان سببُ خلْعه أنَّ الجند اجتمعوا ، فطلبوا منه أرزاقهم ، فلم يكن عنده ما يعطيهم ، فسأل من أمِّه أن تقرضَه مالاً يدفعهم عنه ، فلم تعطِهِ ، وأظهرَتْ أنَّه لا شيءَ عندها . فاجتمع الأتراك على خلْعه ، فأرسلوا إليه ليخرجَ إليهم ، فاعتذر بأنَّه قد شرِبَ دواءً ، وأن عنده ضعفاً ، ولكن ليدخلْ إليَّ بعضُكم ، فدخَلَ إليه بعضُ الأمراء ، فتناولوه بالدَّبابيس يضرِبونه ، وجرّوا بِرِجْلِه ، وأخرجوه وعليه قميص مخرّق متلطخ بالدَّم ، فأقاموه في وسط دار الخلافة في حَرٍّ شديدٍ ، حتَّى جَعَلَ يراوح[٢] بين قدميه من شدَّة الحرّ ، وجعَلَ بعضُهم يلطِمُه وهو يتقي[٣] ، ويقول له الضاربُ : اخلعْها والناس مجتمعون ، ثم أدخلوه حجرَةً مضيّقاً عليه فيها . وما زالوا عليه بأنواع العذاب حتَّى خلَعَ نفسه من الخلافة ، فولِّي بعدَه المهتدي بالله ، كما سيأتي .

ثم سلَّموه إلى من يسومُه سوءَ العذاب بأنواع المَثُلات[٤] ، ومُنع من الطعام والشراب ثلاثة أيامٍ حتَّى جعل يطلب شَرْبةً من ماء البئر فلم يُسْقَ ، ثم أدخلوه سَرَباً[٥] فيه جِصّ ثخين ، فدسُّوه فيه ، فأصبح ميتاً . فاستلّوه من الجِصّ سليمَ الجسَدِ ، فأشهدوا عليه جماعةً من الأعيان أنّه مات وليس به أثرٌ .

وكان ذلك في اليوم الثاني من شعبان من هذه السنة ، وكان يوم السبت . وصلّى عليه المهتدي بالله ، ودفن عند أخيه المنتصر إلى جانب قصر الصّوامع ، عن أربع وعشرين سنة .

وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً . وكان طويلاً ، جسيماً ، وسيماً ، أقنى الأنف ، مدوَّر الوجه ، حسنَ الضحك[٦] ، أبيضَ ، أسودَ الشعر جَعْده كثيفه ، كثيفَ اللحية ، حسن العينَيْن والوجه ، ضيّق الجبين ، أحمر الوجنتين ؛ رحمه الله .

وقد أثنى الإمام أحمد بن حنبل على جودة ذهنه وحسن فهمِه وأدبه حين دخلَ عليه في حياة أبيه المتوكِّل ، كما قدمنا[٧] في ترجمة الإمام أحمد .

---

(١) زيادة من ب .
(٢) في آ ، ظا : يراوح . وراوح بين قدميه : قام على كُلّ منهما مرَّةً .
(٣) في آ ، ط : يبكي ، والمثبت من ب ، ظا . وفي الطبري : يتقي بيده .
(٤) أي بأنواع العقوبات .
(٥) « السَّرَب » : بفتحتين : بيت في الأرض .
(٦) في ب ، ظا : المضحك .
(٧) تقدم في حوادث سنة ٢٤١هـ .

وروى الخطيبُ البغداديّ[١] عن عليّ بن حرب ، قال : دخلت على المعتزّ بالله ، فما رأيت خليفة أحسن وَجْهاً منه ، فلما رأيتُه سجدْتُ ، فقال : يا شيخ ، تسجد لأحدٍ من دون الله ؟.

فقلت : حدَّثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد النَّبيل ، حدثنا بكار بن عبد العزيز بن أبي بَكْرة ، عن أبيه ، عن جده : أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا رأى ما يفرحُ به ، أو بُشِّرَ بما يُسرُّ به ، سجَدَ شكراً لله عزَّ وجل[٢] .

وقال الزّبير بن بكار : سرتُ إلى المعتز وهو أمير ، فلمَّا سمع بقدومي خرج مستعجلاً إليَّ فعثر ، فأنشأ يقول[٣] :

يَمُـوتُ الفَتَـى مِـنْ عَثْـرةٍ بِلسَـانِـهِ   وليسَ يموتُ المرءُ مِنْ عَثْرةِ الرِّجْلِ
فَعَثْـرَتُـه مِـنْ فيـهِ تَـرْمِـي بـرأسِـهِ   وعَثْـرَتُـه بـالـرِّجْـلِ تُبْـرَا على مَهْـلِ

وذكر الحافظُ ابنُ عساكر[٤] : أنَّ المعتزَّ لمَّا حَذَقَ القرآنَ في حياة أبيه المتوكِّل ، اهتمَّ أبوه لذلك ، واجتمعت الكبراء والأمراء والرؤساء بسُرَّ مَنْ رأى ، واحتفلوا لذلك أياماً عديدة ، وجرَتْ أحوالٌ عظيمة . ولمَّا جلس الصَّبيُّ على المنبر ، وسلَّم على أبيه بالخلافة ، وخَطَبَ الناسَ ، نُثِرَت الجواهرُ في الصواني والذَّهب والدَّراهم على الخواصّ والعوامّ بدار الخلافة ، فكان قيمةُ ما نُثِرَ من الجوهر ما يساوي مئة ألف دينار ، ومثلها ذهباً ، وألف ألف درهم ، غير ما كان من خِلَعٍ وأسمطة وأقمشة مما يفوت الحصر ، وكان وقتاً مشهوداً لم يكن سرور بدار الخلافة أبهَجَ منه ولا أحسَنَ . وخلع الخليفةُ على أُمِّ ولده المعتزِّ ، وهي : قبيحة ، خلعاً سنية ، وأعطاها وأجزل العطاء ، وكذلك على مؤدِّب المعتزّ ، وهو محمد بن عمران ، من الجوهر والذَّهب وغير ذلك شيئاً كثيراً جدّاً .

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٢٤) ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ، ومختصره لابن منظور (٩/ ٨) .

(٢) ورواه أيضاً أبو داود في سننه رقم (٢٧٧٤) في الجهاد ، باب في سجود الشكر ، والترمذي في سننه رقم (١٥٧٨) في الجهاد باب ما جاء في سجدة الشكر ، من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه ، ورواه ابن ماجه في سننه رقم (١٣٩٢) في إقامة الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر ، من حديث أنس بن مالك .
وفي الباب أحاديث كثيرة عن جابر ، وابن عمر ، وجرير ، وأبي جحيفة ، وقال المنذري : وقد جاء حديث سجدة الشكر من حديث البراء بن عازب ، ومن حديث كعب بن مالك وغير ذلك . فالحديث صحيح بطرقه وشواهده .
قال الترمذي : والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم رأوا سجدة الشكر .

(٣) الأول في تاريخ بغداد (٢/ ١٢٥) ، وهما في وفيات الأعيان (٦/ ٣٩٩) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٩/ ٩) ، مع اختلاف في الرواية .

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر (٩/ ٧) .

خلافة المهتدي بالله

أبي عبد الله محمد بن الواثق بن المعتصم ، وكانت بيعته يوم الأربعاء لليلة[١] بقيت من رجب من هذه السنة بعد خلْع المعتزِّ نفسه بين يديه وإشهاده على نفسه بأنه عاجز عن القيام بأمر الخلافة ، وأنَّه قد رغِبَ إلى من يقوم بأعبائها : محمد بن الواثق بالله ، ثم مَدَّ يده فبايعه قبلَ الناس كلِّهم ، ثم بايعه الخاصّة ، ثم كانت بيعة العامّة . وكتب على المعتزِّ كتاباً أشهد عليه فيه بالخلْع والعجز والمبايعة للمهتدي .

وفي آخر يومٍ من رجب هذا وقع ببغداد فتنة هائلة ؛ وثبت العامّة على نائبها سليمان بن عبد الله بن طاهر ، ودعوا إلى بيعة أبي أحمد بن المتوكِّل ، وذلك لعدم علم أهل بغداد بما وقع بسامُرّا من بيعة المهتدي بالله بن الواثق ، وقُتل من أهل بغداد وغَرِق منهم خلْق كثير ، ثم لمَّا بايع الناس بيعة العامّة للمهتدي بالله في سابع شعبان ، وبلغ أهلَ بغداد ذلك ، سكتوا واستقرَّت الأمور واستقل المهتدي بالخلافة ، ولله الحمد .

وفي رمضان من هذه السنة ظهر عند قبيحة أُمِّ المعتزِّ أموالٌ عظيمة ، وجواهرُ نفيسة ؛ كان من جملة ذلك ما يقارب ألفي ألف دينار ، ومن الزمرّد الذي لم يُرَ مثله مقدار مَكُّوك[٢] ، ومن الحبّ الكبار مكُّوك ، وكَيْلَجَة ياقوت أحمر مما لم يُرَ مثله أيضاً .

وقد كانت قبل ذلك مختفية عند صالح بن وصيف ، ثم نزعت[٣] عنه ، فكانت تدعو عليه ؛ تقول : اللهم ! اخز صالح بن وصيف كما هتك ستري ، وقتل ولدي ، وبدّد شملي ، وأخذ مالي ، زغرّبني عن بلدي ، وركب الفاحشة مني .

هذا وقد كان الأتراك قد طلبوا من ابنها المعتزّ خمسين ألفَ دينار تُصرف في أرزاقهم ، وضمِنوا له أن يقتلوا صالحَ بن وصيف ، فلم يكن عنده من ذلك شيء ، فطلب من أمِّه قَبيحة ـ قَبَّحها الله ـ فامتنعت أن تقرضه ذلك ، فأظهرت أنَّه لا شيء عندها . ثمَّ ظهر عندها من الأموال ما ذكرنا . وكان لها من الغلات في كُلِّ سنة ما يعدل عشرة آلاف ألف دينار .

واستقرَّت الخلافة للمهتدي بالله . وكان ـ ولله الحمد ـ خليفةً صالحاً ؛ قال يوماً للأمراء : إنِّي ليست لي أمٌّ لها من الغلات[٤] ما يقاوم عشرة آلاف ألف دينار ، ولست أريد إلا القوت فقط ، لا أريد فضلاً على ذلك إلَّا لإخوتي ، فإنَّهم قد مسَّتْهم الحاجة .

---

(١) في آ : لليلتين بقيتا ، وفي ب ، ظا : لثلاث بقيت ، وأثبت ما جاء في ط والطبري وابن الأثير .

(٢) « المكُّوك » : مكيال ، وهو ثلاث كَيْلجات ، والجمع مكاكيك وهو يعادل (٤) ليترات تقريباً .

(٣) في ب ، ظا : نزحت ، وفي ط : تزوجت به .

(٤) في ب ، ظا : الغلة .

وفي يوم الخميس لثلاث بَقِين من رمضان أمَرَ صالح بن وصيف بضرب أحمد بن إسرائيل الذي كان وزيراً ، وأبي نوح عيسى بن إبراهيم الذي كان نصرانياً فأظهر الإسلام ، وكان كاتبَ قَبيحةَ ، فضربَ كلّ واحدٍ منهما خمسمئة سوطٍ ، بعد استخلاص أموالهما ، ثم طِيفَ بهما على بغْلَين منكّسين ، فماتا وهما كذلك . ولم يكن ذلك عن رضى المهتدي بالله ، ولكنه لا يقدر على الإنكار على صالح بن وصيف في بادىء الأمر .

وفي رمضان هذا وقعت فتنةٌ ببغداد أيضاً ، بين محمد بن أوس ومن تبعه من الشاكرية والجند وغيرهم ، وبين العامّة والرّعاع ، فاجتمع من العامَّة نحو من مئة ألفٍ ، وكان بين الناس قتال بالنّبال والرماح والسيوف ، وقتل خلْق كثير ، ثم انهزم محمد بن أوس وأصحابُه ، فنَهبت العامَّةُ ما وجدوا من أمواله ، فكان منه شيء يعدل ألفي ألف [درهم][1] أو نحو ذلك . ثم اتفق الحال على إخراج محمد بن أوس من بغداد إلى أينما أراد من سائر البلاد ، فخرج منها خائفاً طريداً ؛ وذلك لأنَّه لم يكن عند النَّاس مرضيَّ السّيرة ، بل كان جبّاراً عنيداً ، وشيطاناً مريداً .

وأمر الخليفةُ المهتدي بالله بإخراج[2] القيان والمغنين من سامُرّا ، وأمر بقتْل السّباع التي في دار السلطان ، والكلاب[3] المعدّة للصيد أيضاً ، وإبطال الملاهي ، وردِّ المظالم ، وجلس للعامة . وكانت ولايته والدّنيا كلُّها من أرض الشام[4] مفتونة .

ثم استدعى الخليفة المهتدي موسى بن بُغَا الكبير ليتقوّى به على مَنْ عنده من الأتراك ؛ لتجتمع كلمة الخلافة ، واعتذر من استدعى به بما هو فيه من الجهاد بتلك البلاد .

ذكر خارجيّ آخر ادَّعى أنَّه من أهل البيت بالبصرة

وفي النصف من شوَّال من هذه السنة ظهر رجلٌ بظاهر البصرة ، زعم أنَّه عليّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، ولم يكن صادقاً في دعواه هذا النسب ، وإنما كان عبقسيّاً من عبد القيس ، واسمُه عليّ بن محمد بن عبد الرحيم ، وأمُّه قرَّة[5] بنت عليّ بن رحيب بن محمد بن حكيم ، من بني أسد بن خُزَيمة ، وأصله من قرية من قرى الرَّيّ ؛ قاله ابنُ جرير[6] .

---

(١) من الطبري .
(٢) في آ : أن تنفى القينات والمغنيين وفي ب ، ظا : أن ينفى القيان والمغنون ، وأثبتت عبارة الطبري .
(٣) في الطبري وابن الأثير : وطرد الكلاب .
(٤) في الطبري : الإسلام . وعبارة ابن الأثير : ولمَّا ولي كانت الدنيا كلها بالفتن منسوخة ، وفي نسخ منه مشحونة .
(٥) في آ : فروة .
(٦) الطبري (٩/ ٤١٠) ، وفيه : قرية من قرى الرَّي يقال لها : وَرْزَنين .

قال[١] : وقد خرج في سنة تسع وأربعين ومئتين ، فادَّعى أنَّه عليّ بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عُبيد الله[٢] بن عباس بن عليّ بن أبي طالب ، فدعا الناس بهَجَر إلى طاعته ، فاتبعه جماعة من أهلها ، فوقع بسببه قتالٌ كثير ، وفتن كبار ، وحروب كثيرة منتشرة .

ولمَّا خرج خَرْجتَه هذه[٣] التفَّ عليه خلْق من الزَّنج الذين كانوا يكسَحُون السِّباخ[٤] ، فعبر بهم دِجلة ، فنزل الدِّيناريّ . وكان يزعم لبعض الجهلة من أتباعه : أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة ، وكان يدَّعي أنه حفظ سوراً من القرآن في ساعة واحدةٍ جرى بها لسانه لا يحفظها غيرُه في مدة ، وهنّ سبحان والكهف وصّ . وزعم أنه فكَّر يوماً وهو في البادية إلى أي البلاد يسير[٥] ، فخوطب من سحابة أن يقصد إلى البصرة فقصدها ، ولمَّا اقترب منها وجَدَ أهلها مفترقين على شعبتين ؛ سعديّة ، وبلالية ، فطَمِع أن ينضمَّ إلى إحداهما ، فيستعين بها على الأخرى ، فلم يقدر على ذلك ، فارتحل إلى بغداد ، فأقام بها سنةً ، انتسب بها إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد ، وكان يزعم بها أنَّه يعلم بما في ضمائر أصحابه ، وأنَّ الله يعلمه بذلك ، فتبعه على ذلك جَهَلَةٌ من الطّغام ، وطائفة من رَعاع العوام .

ثم عاد إلى أرض البصرة في رمضان من هذه السنة ، فاجتمع معه بشر كثير ، ولكن لم يكن معهم عُدد ، يقال : إنه تقدَّم إليهم جيش من ناحية البصرة فالتقوا جميعاً ، فلم يكن في جيش هذا الخارجيّ سوى ثلاثة أسياف ، ومع هذا هزموا عدوَّهم ، وكانوا في أربعة آلاف مقاتل .

ثم مضى نحو البصرة بمن معه ، فأهدى له رجل من أهل جُبَّى فرساً فلم يجد لها سَرْجاً ولا لجاماً ، فألقى[٦] عليها حبلاً وركبها ، وشنق حنكها بليف . ثم صادر رجلاً فتهدَّده بالقتل ، فأخذ منه مئة[٧] وخمسين ديناراً وألف درهم ، فكان هذا أوَّلَ مالٍ غنمه من هذه البلاد ، وأخذ من آخر ثلاثة بَرَاذين[٨] ، وأخذ من موضع آخر شيئاً من الأسلحة والأمتعة ، ثم سار في جيشٍ قليل بلا سلاح وخيول ، ثم جرت بينه وبين جيوش من جهة نائب البصرة وقَعات متعددة ، يهزمهم[٩] فيها ، وكلما لاموه يقوى ، ويتزايد أصحابه ، ويعظم جيشه ، وهو مع ذلك لا يتعرَّض لأموال الناس ، وإنَّما يريد أخذ أموال السّلطان .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) في ط : « عبد الله » ، خطأ .
(٣) بعدها في ط : الثانية بظاهر البصرة .
(٤) « السَّبَخة » : أرض ذات ملح ونَزٍّ ، وجمعها سِباخ .
(٥) في آ : أسير ، وفي ب ، ظا : يصير ، والمثبت من (ط) .
(٦) عبارة الطبري : فركبه بحبل ، وسَنَفه بليف .
(٧) في الطبري (٩/ ٤١٧) : فأتاه بمئتي دينار وخمسين ديناراً وألف درهم .
(٨) « البَراذين » : جمع بِرْذَوْن ، وهو ضرب من الدوابّ يخالف الخيل العِراب ، عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء .
(٩) في آ : يهزموهم .

وقد انهزم أصحابه في بعض تلك الحروب هزيمة فظيعة ، ثم تراجعوا إليه ، واجتمعوا عليه ، ثم كرُّوا على أهل البصرة ، فهزموهم ، وقتلوا منهم خلْقاً وأسروا آخرين ، فكان لا يؤتى بأحدٍ من الأسرى إلا قتله . ثمَّ قوي أمره بعد ذلك وخافه أهل البصرة ، وبعث الخليفة إليها مدداً يكونون لهم على صاحب الزَّنج هذا الخارجيّ ، قبّحه الله . ثم أشار عليه رؤوس أصحابه أن يهجم بهم على أهل البصرة فيدخلوها عَنْوَةً ، فهجَّن آراءهم ، وقال : بل نكون منها قريباً حتَّى يكونوا هم الذين يطلبوننا إليها ، ويخطبوننا عليها .

وسيأتي ما كان من أمره وأمر أهل البصرة في السنة المستقبلة إن شاء الله تعالى .

وحجَّ بالناس في هذه السنة عليّ بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

الجاحظ المتكلِّم المعتزليّ[١] : وإليه تُنسَبُ الفرقة الجاحظيّة . وهو أبو عثمان عَمرو بن بَحْر بن مَحْبُوب الكِنانيّ الليثي ، المعروف بالجاحظ ؛ لجحوظ[٢] عينيه ، ويقال له الحَدقيّ ، وكان شنيعَ المنظر ، سيء المخبر ، رديء الاعتقاد ، ينسب إلى البدعة ، وربما جاز[٣] به بعضهم إلى الانحلال حتى يقال في المثل : يا ويحَ من كفره ككفرِ الجاحظ ، والله أعلم بحاله .

وكان بارعاً فاضلاً قد أتقن علوماً كثيرةً ، وصنَّف كتباً جمَّة تدل على قوَّة ذهنه وجودة تصرُّفه . ومن أجلِّ كتبه : كتاب « الحيوان » ، وكتاب « البيان والتبيين » .

قال ابن خلكان[٤] : وهما أحسن مصنفاته وأمتعها . وقد أطال ترجمته بحكايات ذكرها عنه . وذكر أنه أصابه الفالج في آخر عمره ، وحكى أنه قال : أنا من جانبي الأيسر مفلوجٌ ، لو قُرِضَ بالمقاريض ما علِمْتُ به ، ومن جانبي الأيمن مُنَقْرسٌ[٥] لو مرَّت به الذُّبابة لألِمْتُ ، وبي حصاةٌ ، وأشدُّ ما عليَّ ستٌّ وتسعون سنةً . وكان ينشد[٦] :

أَتَـرْجُـو أَنْ تَكُـونَ وَأَنْـتَ شَيْـخٌ كَمـا قَـدْ كُنْـتَ أَيَّـامَ الشَّبـابِ

(١) له ترجمة في الفهرست (٢٠٨) ، أمالي المرتضى (١/ ١٩٤) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٢١٢) ، نزهة الألباء (١٣٢) ، معجم الأدباء (١٦/ ٧٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦) .

(٢) في بعض النسخ : لسوء .

(٣) في ب ، ظا : جاوز .

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٤٧١) .

(٥) « منقرس » : مصاب بالنقرس .

(٦) تاريخ بغداد (١٢/ ٢١٩) ، ومعجم الأدباء (١٦/ ١١٣) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٧٣) .

لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثَوْبٌ دَرِيسٌ[١] كَالجَدِيدِ مِنَ الثِّيَابِ

وعبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدَّارمي[٢] ، صاحب الكتاب المشهور ، وقد سمعناه بعلو .

وعبد الله بن هاشم الطُّوسيّ[٣] .

والخليفة أبو عبد الله محمد المعتزّ بالله بن جعفر المتوكّل على الله ، في رجب ، كما تقدَّم .

ومحمد بن عبد الرحيم ، الملقب : صَاعِقَة[٤] .

ومحمّد بن كَرَّام[٥] : المتكلِّم الذي تنسب إليه الفرقة الكَرَّاميَّة . وقد نُسب إليهم[٦] جواز وضع الأحاديث . وهو محمد بن كَرَّام ـ بفتح الكاف وتشديد الراء ، على وزن جَمَّال ـ بن عراق [ابن حزابة][٧] بن البراء ، أبو عبد الله السِّجِسْتانيّ العابد ، يقال : إنه من بني تراب[٨] . ومنهم من يقول : محمد بن كِرَام ، بكسر الكاف وتخفيف الراء ، كمجع كريم .

وفرّق البيهقيّ بينهما ، فجعل الذي تنسب إليه الكرّاميّة ، بفتح الكاف وتشديد الراء ، وهو الذي سكن بيت المقدس إلى أن مات [بها][٩] . وجعل الآخر شيخاً من أهل نيسابور .

والصحيح الذي يظهر من كلام الحاكم أبي عبد الله الحافظ ، والحافظ ابن عساكر أنهما واحد .

روى ابن كَرَّام عن عليّ بن حجر ، وعليّ بن إسحاق الحنظليّ السَّمرقنديّ ؛ سمع منه التفسير عن محمد بن مروان عن الكلبي ، وإبراهيم بن يوسف الماكيانيّ ، ومالك بن سليمان الهرويّ ، وأحمد بن

---

(١) « الدَّريس من الثياب » : البالي .

(٢) أبو محمد التّميمي ، ثم الدَّارمي السمرقندي ، أحد الأعلام ، صاحب المسند المشهور ، رَحَل وطوَّف ، وسمع النَّضْر بن شُميل وزيد بن هارون وطبقتهما . أظهر علم الحديث بسمرقند .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢٤) ، العبر (٢/ ٨) .

(٣) أبو عبد الرحمن الطوسي المولد ، النيسابوري الوطن . سمع سفيان بن عيينة ، ووكيعاً ، وعدة . حافظ متقن ثقة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٢٨) ، تهذيب الكمال (لوحة ٧٥٠) .

(٤) أبو يحيى ، العدويّ العمريّ مولاهم ، الفارسي ثم البغدادي ، البزّاز . قيل : سمي صاعقة؛ لأنه كان جيّد الحفظ .
قال الخطيب : كان متقناً ضابطاً عالماً حافظاً .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٩٥) العبر (٢/ ١٠) .

(٥) له ترجمة في الملل والنحل (١/ ١٥٨) وتاريخ دمشق (٥٥/ ١٢٧) ، اللباب (٣/ ٨٩) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٢١) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٣) ، الوافي بالوفيات (٤/ ٣٧٥) .

(٦) في ط : إليه .

(٧) زيادة من ب ، ظا .

(٨) في ب ، ظا : نزار .

(٩) زيادة من ب ، ظا .

حرب ، وعُتَيْق بن محمد الحَرَشي[١] ، وأحمد بن الأزهر النَّيْسَابوريّ ، وأحمد بن عبد الله الجُوَيْباري[٢] ، ومحمد بن تميم الفاريابي ، وكانا كذابين وضاعَين ـ وغيرهم .

وعنه : محمد بن إسماعيل بن إسحاق ، وأبو إسحاق إبراهيم بن سفيان ، وعبد الله بن محمد القيراطي ، وإبراهيم بن الحجاج النيسابوري .

ذكر الحاكم أنه حبسه محمد بن طاهر بن عبد الله ، وطال حبسه فكان يتأهبُ لصلاة الجمعة[٣] ، فيمنعه السجَّان ، فيقول : اللهم ! إنك تعلم أنَّ المنع من غيري .

وقال غيره : أقام ببيت المقدس أربع سنين ، وكان يجلس للوعظ عند العمود[٤] الذي عند مشهد[٥] عيسى عليه السلام ، واجتمع عليه خلْق كثيرٌ ، ثم تبيَّن لهم أنه يقولُ : إنَّ الإيمان قول ، فترَكَهُ أهلُها ، ونفاه متولّيها إلى غور زغر ، فمات بها ، ونقل إلى بيت المقدس . وكانت وفاته في صفر من هذه السنة .

وقال الحاكم : توفي ببيت المقدس ليلاً ، ودفن بباب أريحا عند قبور الأنبياء عليهم السلام ، وله ببيت المقدس من الأصحاب نحو من عشرين ألفاً .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومئتين

في صبيحة يوم الإثنين الثاني عشر من المحرّم قدم موسى بن بُغَا الكبير إلى سامُرَّا ، فدخلها في جيشٍ هائلٍ قد عبَّأه ميمنةً وميسرة وقلباً وجناحين ، فقصد[٦] دار الخلافة التي فيها المهتدي جالس[٧] للعامّة ؛ لكشف المظالم ، فاستأذنوا[٨] عليه ، فتمادى الإذن ساعةً ، وتأخّر عنهم ، فظنُّوا في أنفسهم أنَّ الخليفة إنَّما طلبهم خديعة منه ؛ ليسلِّط عليهم صالحَ بن وصيف ، فدخلوا عليه هجماً فجعلوا يتراطنون[٩]

---

(١) في ط : « الجسري » ، محرف . وتنظر ترجمته في إكمال ابن ماكولا (٦/ ١١٢) ، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٦/ ١٧٥) .

(٢) نسبة إلى قرية من قرى هراة واسمها جُويبار ، وهو الكذاب الخبيث أبو علي ، أحمد بن عبد الله بن خالد التميمي الجويباري الهروي ، يروي عن ابن عيينة ووكيع ، ويضع عليهما الكثير . اللباب (١/ ٣١٣) .

(٣) بعدها في ط : ويأتي إلى السجان فيقول : دعني أخرج إلى الجمعة ، فيمنعه . . .

(٤) في النسخ : العامود .

(٥) في ب ، ظا : مهد .

(٦) في ط : فأتوا .

(٧) في ب ، ظا : والخليفة جالس للعامّة .

(٨) في ب ، ظا : فاستأذنوه .

(٩) في آ : يراطنوهم وفي ظ : يتراطنون عليه ، وأثبت ما جاء في (ب) . و « التراطن » : التخاطب بالأعجمية .

بالتركي ، ثم عزموا فأقاموه من مجلسه ، وانتهبوا ما كان فيه ، ثم أخذوه مهاناً إلى دارٍ أخرى ، فجعل يقول لموسى بن بُغَا : مالك ويحك ! إنِّي إنما جئت بك لأتقوَّى بك على صالح بن وصيف . فقال [له موسى][1] : لا بأس عليك ، احلفْ لي أنك لا تريد لي خلافَ ما أظهرت . فحلَفَ له الخليفة ، فطابت أنفسهم ، وبايعوه بيعةً ثانيةً مشافهةً ، وأخذوا عليه العهودَ والمواثيقَ أن لا يمالىءَ صالحاً عليهم ، واصطلحوا على ذلك .

ثم بعثوا إلى صالح بن وصيف ليحضرهم للمناظرة في أمر المعتزِّ ومَنْ قَتَلَه صالحُ بن وصيف من الكتَّاب وغيرهم ، فوعدهم أن يأتيهم ، ثم اجتمع بجماعةٍ من الأمراء من أصحابه ، وأخذ يتأهَّبُ لجمع الجيوش عليه ، ثم اختفى من ليلته فلم يدرِ أحدٌ أين ذهب في تلك الساعة ، فبعثت المنادية عليه في أرجاء البلد ، وتُهدِّدَ من أخفَاه ، فلم يزل في خفاءٍ إلى أواخر صفر على ما سنذكر .

ورُدَّ سليمان بن عبد الله بن طاهر إلى نيابة بغداد .

وسُلِّم الوزير عبد الله بن محمد بن يَزداد إلى الحسن بن مَخْلَد الذي كان أراد صالح بن وصيف قَتْلَه مع ذينك الرجلين ، فبقي في السِّجن حتى رجع إلى الوزارة .

ولما أبطأ خبرُ صالح بن وصيف على موسى بن بُغَا وأصحابه قال بعضُهم لبعض : اخلعوا هذا الرجل ، يعني الخليفة ، فقال بعضهم : أتقتلون رجلاً صوَّاماً قوَّاما ، لا يشرب الخمر[2] ، ولا يأتي الفواحش ؟ والله إن هذا ليس كغيره ، ولا يطاوعكم الناس عليه . وبلغ ذلك الخليفة ، فخرج إلى الناس وهو متقلِّد سيفاً ، فجلس على السرير ، واستدعى بموسى بن بُغَا وأصحابه ، فقال : قد بلغني ما تَمَالأتم عليه من أمري ، وإنِّي والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنِّط وقد أوصيت إلى أخي بولدي ، وهذا سيفي ، والله لأضربنَّ به ما استمسك قائمُه بيدي ؛ والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكنَّ أو ليذهبنَّ بها أكثركم . أمَا دِين ؟ أمَا حياء ؟! أما رِعة ؟! كم يكون هذا الإقدام على الخلفاء والجرأة على اللهِ عزَّ وجلَّ ؟! سواء عندكم[3] مَنْ قصد الإبقاءَ عليكم ومن كان إذا بلغه هذا عنكم ، دعا بأرطال الشراب فشربها سروراً بمكروهكم ، واذهبوا فانظروا منزلي ومنازل إخوتي ومَنْ يتصل بي هل فيها من آلات الخلافة أو فرشها شيء غير ما يكون في بيوت آحاد الناس ! ويقولون : إني أعلم علم صالح ، وهل هو إلا كواحدٍ منكم ؟ فاذهبوا فاعلموا علمه ، فابلغوا شفاء نفوسكم منه ، وأمَّا أنا فلست أعلم علمه .

(١) زيادة من (ط) .
(٢) في آ : النبيذ .
(٣) في ب ، ظا والطبري : عليكم .

قالوا : فاحلف لنا على ذلك . قال : أمَّا اليمين فإنِّي أبذُلها [لكم][١] ، ولكنِّي أدَّخرها حتَّى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدّلين وأصحاب المراتب في غدٍ إذا صلَّيت صلاة الجمعة . قال : فكأنهم لانوا لذلك قليلاً[٢] .

ولمَّا كان يوم الأحد لثمانٍ بَقين من صفر ظفروا بصالح بن وصيف ، فقتل وجيء برأسه إلى المهتدي بالله وقد انفتَلَ من صلاة المغرب ، فلم يزِدْ على أن قال : واروه ، ثم أخذ في تسبيحه وذكره . ولما أصبح الصباح يوم الإثنين رُفع الرأس على رمح ونودي عليه في أرجاء البلد : هذا جزاء مَنْ قتل مولاه . وما زال الأمر مضطرباً حتى تفاقم الأمر وعظم الخطب .

ذكر خلْع المهتدي وولاية المعتمد
أحمد بن المتوكل وإيراد شيء من فضائل المهتدي

لمَّا بلغ موسى بن بُغا أن مساور الشاري قد عاث بتلك الناحية ، ركب إليه في جيشٍ كثيفٍ ومعه مُفْلِح وبايكباك[٣] التركي ، فاقتتلوا هم ومساور الخارجي ، فلم يظفروا منه بشيء ، فعجزهم وهرب منهم وأعجزهم ، وقد فعل قبل مجيئهم الأفاعيل المنكرة . والمقصود أنَّ الخليفة المهتدي بالله أراد أن يخالف بين كلمة الأتراك ، فكتب إلى بايكباك : أن يتسلم الجيش من موسى بن بُغا ، ويكون هو الأميرَ على الناس ، وأن يقبلَ بهم إلى سامُرّاء . فلمَّا وصل إليه الكتاب أقرأه موسى بن بُغا ، فاشتدَّ غضبه على المهتدي ، واتفقا عليه ، وقصدا إليه إلى سامُرّا ، وتركا ما كانا فيه . فلمَّا بلغ ذلك المهتدي استخدم من فوره جنداً من المغاربة والفراعنة والأشروسْنيَّة والأرزكشيّة والأتراك أيضاً ، وركب في جيشٍ كثيفٍ ، فلمَّا سمعوا به رجع موسى بن بُغا إلى طريق خراسان وأظهر بايكباك السمع والطاعة ، فدخل في ثاني عشر رجب إلى الخليفة سامعاً مطيعاً ، فلمَّا أوقف بين يديه وحوله الأمراء والسادة من بني هاشم شاورهم فيه ، فقال له صالح بن عليّ بن يعقوب بن أبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ! لم يبلغ أحدٌ من الخلفاء في الشجاعة والإقدام ما بلغْتَ ، وقد كان أبو مسلم الخراساني شرّاً من هذا وأكثرَ جنداً ، ولما قتله أبو جعفر المنصور سكنت الفتنة ، وخَمَدَ صوتُ أصحابه . فأمر عند ذلك المهتدي بالله بضرب عنق بايكباك ، ثم ألقى رأسه إلى الأتراك ، فلما رأوا ذلك أعظموه ، وأصبحوا من الغد مجتمعين على أخيه طغوتيا ، فخرج إليه الخليفة فيمن معه ، فلمَّا التقوا خامرت الأتراك الذين كانوا مع الخليفة إلى أصحابهم ، وصاروا إلباً

---

(١) زيادة من ط والطبري .

(٢) انظر تاريخ الطبري (٩/ ٤٤١ ـ ٤٤٣) .

(٣) في ب ، ظا والنجوم الزاهرة : باكباك ، وفي الكامل لابن الأثير : بابكيال . وفي سير أعلام النبلاء وتاريخ الخلفاء : باكيال .

واحداً على الخليفة وأصحابه ، فقتل منهم نحو من أربعة آلاف ، ثم حملوا عليهم فهزموهم ، وانهزم المهتدي بالله وبيده السيف صلتاً وهو ينادي : يا أيها الناس ! انصروا خليفتكم . فدخل دار أحمد بن جُمَيل صاحب المعونة ، فوضع فيها سلاحه ، ولبس البياض ، وأراد أن يذهب فيختفي ، فعاجله أحمد بن خاقان فيها ، فأخذه قبل أن يذهب ، ورُمي بسهم ، وطعن في خاصرته وحمل على دابّةٍ وخلفَهُ سائسٌ ، وعليه قميصٌ وسراويلُ حتى حصل[١] في دار أحمد بن خاقان ، فجعل مَنْ هناك يصفَعُونه ويبزُقون في وجهه ، وأخذوا خطَّه بستمئة ألف دينار ، وسلَّموه إلى رجل ، فلم يزل يطأ خصيبه حتى مات ؛ رحمه الله . وذلك يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلةً بقيت من رجب .

وكانت خلافته أقلَّ من سنةٍ بخمسة أيام ، وولد في سنة تسع عشرة ، وقيل : سنة خمس عشرة ومئتين . وصلّى عليه جعفر بن عبد الواحد ودفن بمقبرة المنتصر بن المتوكِّل .

وكان أسمر رقيقاً ، أجْلَى[٢] ، حسن اللحية ، أشهب[٣] ، حسن العينين ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، قصيراً ، طويل اللحية ، يكنى أبا عبد الله .

قال الخطيب[٤] : وكان من أحسن الخلفاء مذهباً ، وأجملهم طريقة ، وأظهرهم ورعاً ، وأكثرهم عبادة . وإنَّما روى حديثاً واحداً ، ثم أسند عنه . قال : حدَّثني عليّ بن أبي هاشم بن طِبْرَاخ[٥] ، عن محمد بن الحسن الفقيه ، عن ابن أبي ليلى ، عن داود بن عليّ ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قال العباس : يا رسولَ الله ! ما لنا في هذا الأمر ؟ قال : « لي النبوة ولكم الخلافة ، بكم يفتح هذا الأمر وبكم يختم » . وقال للعباس : « من أحبك نالته شفاعتي ، ومن أبغضك لا نالته شفاعتي »[٦] .

---

(١) في ظا : صار .

(٢) « الأجلى » : الحسن الوجه .

(٣) الأشهب : الذي حال لونه وتلوَّح من برد أو حرّ . وفي الطبري : أشْهَل ، وهو الذي شهلت عينه ، وهو اختلاط أحد اللونين بالآخر . و « الشَّهل » : أن يشوب إنسانَ العين حمرةٌ .

(٤) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٨) .

(٥) في آ : علي بن هاشم بن طراح ، وفي ب ، ظا : علي بن هاشم طباخ ، وفي تاريخ بغداد علي بن هاشم بن طَبْراخ . وهو علي بن أبي هاشم عبيد الله بن طِبْرَاخ البغدادي ، صدوق ، تكلم فيه للوقف في القرآن . وتقريب التهذيب (٢/ ٤٥) . كما في تهذيب التهذيب (٧/ ٣٩٣) .

(٦) هو في تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩) . قال بشار : وهو خبر باطل وإسناد تالف ، وسيماء الوضع ظاهرة عليه ، داود بن علي بن عبد الله بن عباس ضعيف ، ومحمد بن عمر الجعابي ، كان فاسقاً رقيق الدين لا يتورع . وقد تفرد الخطيب برواية هذا الحديث من طريق الجعابي .

وروى الخطيب[١] : أنَّ رجلاً استعدى المهتدي على خصمه[٢] ، فحكم بينهما بالعَدْلِ ، فأنشأ الرجلُ يقولُ :

حَكَّمْتُمُوه فقضى بينكُم[٣] أبْلَجُ مثلُ القَمَرِ الزَّاهرِ
لا يقبَلُ الرِّشْوَةَ في حُكْمِهِ ولا يُبَالي غَبَنَ الخاسرِ

فقال له المهتدي بالله : أمّا أنت أيُّها الرَّجُلُ فأحسَنَ اللهُ مقالتك ، وأمّا أنا فإنِّي ما جلست حتَّى قر أت قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] . قال : فبكَى الناس حوله ، فما رؤي أكثر باكياً من ذلك اليوم .

وقال بعضُهم : سَرَدَ[٤] المهتدي الصَّوْمَ منذ ولي إلى أن قتل ، رحمه الله .

وكان يحب الاقتداء بما سلكه عمرُ بن عبد العزيز الأموي في أيام خلافته ، من الورع والتقشّف وكثرة العبادة وشدة الاحتياط[٥] .

وقال أحمد بن سعيد الأمويّ : كنا جلوساً بمكَّة وعندي جماعة يبحثون في النَّحو وأشعار العرب ، إذ وقف علينا رجلٌ نظنه مجنوناً ، فأنشأ يقول[٦] :

أمَا تَسْتَحُونَ اللهَ يا مَعْدِنَ الحِلْمِ[٧] شُغِلْتُمْ بذا والنَّاسُ في أعظمِ الشغْلِ
إمامُكُم أضْحَى قتيلاً مجدَّلاً[٨] وقد أصبحَ الإسلامُ مفترقَ الشَّمْلِ
وأنتمْ على الأشعارِ والنَّحوِ عُكَّفٌ[٩] تصيحونَ بالأصواتِ في أحسنِ السُّبْلِ[١٠]

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٩) ، وفيه البيتان ، وهما في الكامل لابن الأثير (٧/ ٢٣٤) .
(٢) في أ : حقه . وفي تاريخ بغداد عن عبد الله بن إبراهيم الإسكافي قال : حضرت مجلس المهتدي وقد جلس للمظالم ، فاستعداه رجل على ابن له ، فأمر بإحضاره ، فأحضر ، وأقامه إلى جنب الرجل ، فسأله عمّا ادعاه عليه فأقرَّ به ، فأمره بالخروج له عن حقه ، فكتب له بذلك كتاباً ، فلما فرغ ، قال له الرجل : والله يا أمير المؤمنين ما أنت إلا كما قال الشاعر : . . .
(٣) في ب ، ظا : عليكم .
(٤) « سرد الصوم » : أي تابعه . تاريخ بغداد (٣/ ٣٥٠) .
(٥) بعدها في ط : ولو عاش ووجد ناصراً لسار سيرته ما أمكنه ، وكان من عزمه أن يبيد الأتراك الذين أهانوا الخلفاء وأذلوهم ، وانتهكوا منصب الخلافة .
(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٣٥١) .
(٧) في تاريخ بغداد : الجهل ، وفي ط : النحو .
(٨) في ظا : مجندلا ، وهما بمعنى .
(٩) في ب ، ظا وتاريخ بغداد : عكّفاً .
(١٠) في ظا : في أنسب السبل ، وفي ب : في العقل . وفي تاريخ بغداد : في است أم ذا العقل .

قال : فنظرنا ، وأرَّخنا ذلك اليوم ، فإذا المهتدي بالله قد قُتِلَ في ذلك اليوم ، وكان يوم الإثنين لأربع عشرة بقيت من رجب سنة ستٍّ وخمسين ومئتين .

خلافة المعتمد على الله

أحمد بن المتوكِّل على الله ، ويعرف بابن فِتيان[١] ، بويع بالخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من رجب من سنة ست وخمسين ومئتين في دار الأمير بارجوخ[٢] وذلك قبل خلع المهتدي بأيام . ثم كانت بيعة العامة يوم الإثنين لثمان بقين من رجب .

ولعشر بقين من رجب دخل موسى بن بُغَا ومُفْلِح إلى سُرَّ مَنْ رأى ، فنزل موسى في داره ، وسكن الناس ؛ وخَمَدَت الفتن هنالك .

وأمَّا صاحبُ الزَّنْج المدَّعي أنه علويّ ، فهو محاصِر للبصرة ، والجيوش[٣] الخليفية في وجهه دونها ، وهو في كُلِّ وقت يقهرها ، ويغنم ما يفد إليهم في المراكب من الأطعمة وغيرها ، واستحوذَ بعد ذلك على الأُبُلَّة وعبّادان وغيرهما من البلاد ، وخاف منه أهلُ البصرة خوفاً شديداً ، وكل ما لأمره يقوى ، ولجيوشه تكثر ، ولعدده يتزايد ، ولم يزل ذلك دأبه إلى انسلاخها .

وفي هذه السنة خرج رجل آخر بالكوفة يقال له : عليّ بن زيد الطالبيّ ، وجاءه جيشٌ من جهة الخليفة فكسره الطالبيُّ ، واستفحل أمره بالكوفة وقويت شوكته ، وتفاقم أمره .

وفيها : وثَبَ محمّد بن واصل [بن إبراهيم][٤] التميمي على نائب الأهواز الحارث بن سيما الشرابيّ[٥] ، فقتله واستحوذ على بلاد الأهواز .

وفي رمضان منها تغلَّب الحسن بن زيد الطالبيّ على بلاد الرَّيّ ، فتوجَّه إليه موسى بن بُغَا في شوال من عند المعتمد ، وخرج لتوديعه .

وفيها : كانت وقعة عظيمة على باب دمشق بين أماجور نائب دمشق ـ ولم يكن معه إلا قريب من أربعمئة فارس ـ وبين ابن لعيسى بن الشيخ ، وهو في قريب من عشرين ألفاً ، فهزمه أماجور وجاءت من الخليفة ولاية لابن الشيخ على بلادِ أرمينية على أن يترك أهل الشام ، فقبل ذلك وانصرف عنهم .

---

(١) في آ : قينان ، وفي ب ، ظا : عينان ، والمثبت من الطبري ومصادر أخرى . وفتيان أمه ، وهي رومية .
(٢) في الأصل غير معجمة ، وفي الكامل لابن الأثير : ياركوج . وما أثبته يوافق ما جاء في ط والطبري .
(٣) في آ : وجيوش الخليفة .
(٤) من ب ، ظا والطبري .
(٥) في الأصول : الشارباني ، وأثبت ما جاء في ط والطبري .

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمّد بن أحمد بن عيسى بن أبي جعفر المنصور .

وكان في جملة الحجاج أبو أحمد بن المتوكّل ، فتعجَّل وعجّل السيرَ إلى سامُرّاء ، فدخلها ليلة الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخليفة المهتدي بالله ، في رجب منها ، كما تقدّم .

والزُّبَير بن بَكّار[١] : ابن عبد الله بن مُصْعَب بن ثابِت بن عبد الله بن الزُّبَيْر بن العَوّام القُرَشيُّ الزُّبَيْريُّ ، قاضي مكة . قدم بغداد وحدث بها . وله كتاب « أنساب قريش » ، وكان[٢] من أهل العلم بذلك ، وكتابه في ذلك حافل جداً ، وقد روى عنه ابنُ ماجَه وغيرُه .

وقد وثقه الدَّارَقُطْنِيُّ والخطيبُ[٣] وأثنى عليه وعلى كتابه .

وتوفي بمكّة عن أربع وثمانين سنة في ذي القعدة من هذه السنة ، ودفن بمكة ، رحمه الله .

البُخَارِيُّ صاحبُ الصَّحيح[٤] : وقد ذكرنا له ترجمةً حافلةً في أول شرحنا « لصحيحه » ، ولنذكر هاهنا نُبْذَةً من ذلك ، فنقول وبالله المستعان :

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَهْ[٥] الجُعْفِيّ مولاهم ، أبو عبد الله البخاري الحافظ ، إمام أهل الحديث في زمانه ، والمقتدَى به في أوانه[٦] ، والمقدَّم على سائر أضرابه وأقرانه ، وكتابه الصحيح يُسْتَسْقَى بقراءته الغمام ، وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهلُ الإسلام .

ولد البخاريّ رحمه الله في ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومئة ، ومات أبوه وهو

---

(١) له ترجمة في الأغاني (٩/ ٤١) ، الفهرست (١٢٣) ، تاريخ بغداد (٨/ ٤٦٧) ، معجم الأدباء (١١/ ١٦١) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣١١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣١١) ، تهذيب الكمال (٩/ ٢٩٣) ، ومقدمة كتابه جمهرة نسب قريش بقلم محمود محمد شاكر .

(٢) في ب ، ظا : وكان من أعلَم الناس بذلك .

(٣) المصدر السابق (٧/ ٤٦٨) ، وجاء فيه : وكان ثقة ثبتاً عالماً بالنسب ، عارفاً بأخبار المتقدِّمين ومآثر (أو سائر) الماضين ، وله الكتاب المصنَّف في نسب قريش وأخبارها .

(٤) له ترجمة في طبقات الحنابلة (١/ ٢٧١) ، تاريخ بغداد (٢/ ٤) ، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٦٧) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٨٨) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢١٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١) ، شذرات الذهب (٢/ ١٣٤) ، وغيرها كثير .

(٥) « بَرْدِزْبَهْ » : بباء موحدة مفتوحة ، وراء ساكنة ، ودال مهملة مكسورة ، ثم زاي ساكنة ، ثم باء موحدة ، ثم هاء . هكذا قيده ابن ماكولا ، وقال : هو بالبخارية ، ومعناه بالعربية : الزرّاع . تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٦٧) .

(٦) في آ : آدابه .

صغير ، فنشأ في حجر أُمِّه ، فألهم حفظ الحديث وهو في المكتب ، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابنُ ستَّ عشرةَ سنة حتى قيل : إنه كان يحفظ وهو صبيٌّ سبعين ألفَ حديثٍ سرداً .

وحجَّ وعمرُه ثماني عشرةَ سنةً ، فأقام بمكة يطلب بها الحديث ، ثم ارتحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنه[١] الرحلة إليها ، وكتب عن أكثر من ألف شيخ .

وروى عنه خلائق وأمم ، وقد روى الخطيب البغدادي[٢] عن الفِرَبْرِيّ[٣] ، أنَّه قال : سمع الصحيح من البخاري معي نحو من تسعين[٤] ألفاً لم يبقَ منهم أحد غيري .

وقد روي[٥] البخاريُّ من طريق الفِرَبْرِيّ كما هي رواية الناس اليوم من طريقه ، وحَمَّاد بن شاكر ، وإبراهيم بن مَعْقِل ، وطاهر بن محمد بن مَخْلَد .

وآخر من حدَّث عنه أبو طلحة منصورُ بن محمد بن عليّ البَزْدَوِيّ[٦] النَّسَفِيّ ، وقد توفي النَّسَفِيُّ هذا في سنة تسع وعشرين وثلاثمئة ، ، وثقه الأمير أبو نصر بن ماكولا[٧] .

وممن روى عن البخاريِّ مسلمٌ في غير « الصحيح » ، وكان يتَلْمَذُ له ويعظِّمُه ، وروى عنه الترمذيُّ في جامعه ، والنَّسائيُّ في « سننه » في قول بعضِهم[٨] .

وقد دَخَلَ بغدادَ ثمان مرات ، وفي كُلٍّ منها يجتمع بالإمام أحمد بن حنبل ، فيحثُّه أحمدُ على المقام ببغداد ، ويلومُه على الإقامة بخراسان[٩] .

وقد كان يستيقظُ في الليلة الواحدة من نومه ، فيُورِي السّراجَ فيكتب الفائدةَ تمرُّ بخاطره ، ثم يُطفىء سراجَه ، ثم يقومُ مرَّةً أخرى ، حتَّى كان يتعدَّد ذلك منه قريباً من عشرين مرة[١٠] .

وقد كان أصيبَ بصرُه وهو صغيرٌ ، فرأت أمُّه إبراهيمَ الخليلَ ؛ عليه السلام ، فقال : يا هذه !

---

(١) في ظا : أمكنه ، وفي ط : أمكنته .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٩) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٨) .
(٣) هو محمد بن يوسف الفِرَبْرِيّ .
(٤) في ب ، ظا ، ط : سبعين .
(٥) في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٨) : روى صحيح البخاري جماعة ، منهم : الفِرَبْرِيُّ . . .
(٦) ويقال : البَزْدِيّ النَّسَفي ، دِهْقَان قرية بَزْدَة ، وهي قلعة على ستة فراسخ من نسف . كان آخر من حدَّث بـ الجامع الصحيح عن البخاري .
(٧) الإكمال (٧/ ٢٤٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٨) ، و(١٥/ ٢٧٩) .
(٨) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٧) .
(٩) تاريخ بغداد (٢/ ٢٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٣) .
(١٠) تاريخ بغداد (٢/ ١٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٤) .

قد رَدَّ اللهُ على ولدك بصرَهُ بكثرة دُعائِكِ ، أو قال : بكائِكِ ، فأصبح وهو بَصيرٌ[١] .

وقال البخاري : فكَّرت البارحة فإذا أنا قد كتبت في مصنفاتي نحواً من مئتي ألف حديث مسندة ، وكان يحفظها كلَّها[٢] .

ودخل مرَّةً إلى سمرقند فاجتمع أربع مئةٍ من علماء الحديث بها ، فركّبوا له أسانيد ، وأدخلوا إسنادَ الشام في إسناد أهل العراق ، وخلطوا الرجال في الأسانيد ، وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها ، ثم قرأوها على البخاريِّ ، فردَّ كلَّ حديثٍ إلى إسناده ، وقوَّم تلك الأسانيد كلّها ، وما تعلَّقوا عليه بسقطة في إسنادٍ ولا في متنٍ[٣] . وكذلك صنع بمئة محدِّثٍ من أهل بغداد .

وذكروا أنَّه كان ينظر في الكتاب مرَّةً واحدة فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة ؛ والأخبار عنه في هذا المعنى كثيرة[٤] .

وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه . فقال الإمام أحمد : ما أخرجت خراسان مثلَهُ[٥] .

وقال إسحاق بن راهَوَيْه : لو كان في زمن الحسنِ لاحتاجَ الناسُ إليه ؛ لمعرفته بالحديث وفِقهِهِ[٦] .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نُمَير : [ما رأينا][٧] مثله[٨] .

وقال عليّ بن المدينيّ : لم يَرَ مِثْلَ نفسِهِ[٩] .

وقال عليّ بن حُجْر : لا أعلَمُ مِثْلَهُ[١٠] .

وقال محمود بن النضر بن سهل الشافعي : دخلْتُ البصرة والشام والحجاز والكوفة، ورأيت علماءها، كلَّما جرى ذكرُ محمد بن إسماعيل البخاريّ فَضَّلُوه على أنفسهم[١١] . وقال أبو العباس

---

(١) تهذيب الكمال (١١٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١٢) .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١١) .
(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٨) وما بعدها .
(٥) تاريخ بغداد (٢/ ٢١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢١) .
(٦) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢١) .
(٧) زيادة من ب ، ظا .
(٨) تهذيب الكمال (اللوحة ١١٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢١) .
(٩) تهذيب الكمال (اللوحة ١١٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢١) . وفي المطبوع : لم يَرَ البخاريّ مثل نفسه .
(١٠) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢١) .
(١١) تاريخ بغداد (٢/ ١٩) ، تهذيب الكمال (لوحة ١١٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٢) .

الدَّغُوليّ[١] : كتب أهلُ بغداد إلى البخاريّ[٢] :

المُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ ما حييتَ لَهُم وليسَ بَعْدَكَ خَيْرٌ حينَ تُفْتَقَدُ

وقال الفلاّس[٣] : كُلُّ حديثٍ لا يعرفه البخاريُّ فليس بحديثٍ . وقال نُعَيْمُ بن حمّاد : هو فقيه هذه الأمة[٤] . وكذا قال يعقوبُ بن إبراهيمَ الدَّوْرَقيُّ[٥] . ومنه من فضله في الفقه والحديث على الإمام أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه[٦] .

وقال قُتيبة بن سعيد: رُحِلَ إليَّ من شرق الأرض وغربها ، فما رحل إليَّ مثلُ محمّد بن إسماعيل البخاري[٧] .

وقال مُرَجَّى بن رجاء[٨] : فَضْلُ البخاريّ على العلماء ـ يعني في زمانه ـ كفضل الرجال على النساء ، وقال : هو آيةٌ من آيات الله يمشي على الأرض .

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدَّارِميّ : محمد بن إسماعيل البخاري أفقهنا ، وأعلمنا ، وأغْوَصُنا ، وأكثرنا طلباً[٩] .

وقال إسحاق بن راهويه : هو أبصرُ منّي[١٠] .

وقال أبو حاتم الرَّازي : محمد بن إسماعيل أعلَمُ مَنْ دَخَلَ العراق[١١] .

وقال عُبيد العجلي[١٢] : رأيت أبا حاتم وأبا زرعة يجلسان إليه يستمعان ما يقول ، ولم يكن مُسلم يبلغه ، وكان أعلَمَ من محمد بن يحيى الذّهلي بكذا وكذا ، وكان ديِّناً فاضلاً يُحسِنُ كُلَّ شيءٍ .

وقال غيره : رأيت محمد بن يحيى الذّهلي يسأل البخاري عن الأسامي والكُنى والعِلل ،

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن الفقيه الدَّغولي ، أبو العباس .

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٢) ، تهذيب الكمال (لوحة ١١٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٤) .

(٣) هو عمرو بن علي بن بحر ، أبو حفص الباهلي البصري الصيرفي الفلاس ، حافظ مجوِّد ناقد ، ثقة ، صاحب حديث . مات سنة ٢٤٩هـ . والخبر في تاريخ بغداد (٢/ ١٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٠) .

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٢٢) ، تهذيب الكمال (لوحة ١١٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١٩) .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٤) ، ومقدمة الفتح (٤٨٣) .

(٦) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٠ و٤٢٩ و٤٣١) .

(٧) نفس المصدر السابق .

(٨) كذا في الأصول ، ولعل صوابه : رجاء بن مُرَجّى ، كما في تاريخ بغداد (٢/ ٢٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٧) ، ومقدمة الفتح (٤٨٤) . ومرجّى بن رجاء متقدم على البخاري ، وقد التقى رجاء بن مرجّى بالبخاري رحمه الله في بخارى وتذاكرا . مات رجاء سنة ٢٤٩هـ .

(٩) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٦) .

(١٠) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٩) .

(١١) المصدر السابق (١٢/ ٤٣١() .

(١٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٦) : الحسين بن محمد المعروف بعُبيد العجل . تاريخ بغداد (٢/ ٢٩) .

وهو يمرُّ فيها كالسَّهم ، كأنه يقرأ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[١] .

وقال أحمدُ بن حمدون القصَّار : رأيت مُسلمَ بنَ الحجَّاج جاء إلى البخاري ، فقبَّل بين عينيه ، وقال : دعني حتى أُقَبِّلَ رجليك يا أستاذ الأستاذِين، وسَيِّدَ المُحدِّثين ، وطبيبَ الحديثِ في عِلَلِهِ[٢] . ثم سأله عن حديث كَفَّارة المجلس[٣] ، فذكر له علَّته . فلمَّا فرغ قال مسلم : لا يبغضُكَ إلا حاسدٌ ، وأشهدُ أنَّه ليس في الدنيا مثلُكَ[٤] .

وقال الترمذي : لم أرَ بالعراق ولا بخراسان في معنى العِلل والتاريخ ومعرفةِ الأسانيد أعلَمَ مِنَ البخاري[٥] . وكنَّا يوماً عند عبد الله بن منير فقال للبخاري : جَعَلَكَ اللهُ زَيْنَ هذه الأمَّة . قال الترمذي : فاستجيب له فيه[٦] . وقال ابنُ خزَيْمة : ما رأيْتُ تحتَ أديمِ السَّماء أعلَمَ بحديثِ رسول الله ﷺ وأحفَظَ له من محمّدِ بن إسماعيل البخاري[٧] . ولو ذهبنا نسطّر ما أثنى عليه الأئمة في حفظه وإتقانه وعلمه وفقهه

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٣١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٢ و٤٣٦) .

(٢) طبقات السبكي (٢/ ٢٢٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٢ و٤٣٦) .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٤٩٤) والترمذي في سننه رقم (٣٤٣٣). قال الحافظ العراقي في (تخريج الإحياء) (٢/ ١٩٣) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه ورواه الحاكم في مستدركه (إ/ ٥٣٧) من حديث أبي هريرة، وقال: صحيح على شرط مسلم ، ولكن أعله البخاري بحديث وهيب عن ابن عقبة عن سهيل عن أبيه عن كعب قوله . قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) (١٣/ ٥٤٤) كذا قال الحاكم ، ووهم في ذلك فليس في هذا السند ذكر لوالد سهيل ولا كعب ، والصواب عن سهيل عن عون وكذا ذكره على الصواب في (علوم الحديث) . قال الحافظ : وأخرجه البيهقي في (المدخل) عن الحاكم بسنده المذكور في (علوم الحديث) عن البخاري فقال : عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين كلاهما عن حجاج بن محمد ، وساق كلام البخاري ، لكن قال : لا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا غير هذا الحديث وهو المنقول عن البخاري ، لا قوله : لا أعلم في الدنيا في هذا الباب ، فإن في الباب عدة أحاديث لا تخفى على البخاري . وكأن الحاكم وهم في هذه اللفظة ، وهي قوله : في هذا الباب وإنما هي بهذا الإسناد ، وهو كما قال . قال الحافظ : وأما من صححه ، فإنه لا يرى هذا الاختلاف علة قادحة . . قال الحاكم (إ/ ٥٣٧) بعدما ذكر حديث أبي هريرة . ولهذا الحديث شواهد عن جبير بن مطعم، وأبي برزة الأسلمي، ورافع بن خديج . فذكرها ، وصحح حديث جبير بن مطعم ، ووافقه الذهبي . قال الحافظ : وذكر شيخنا شيخ الإسلام أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي في النكت التي جمعها على علوم الحديث لابن الصلاح : أن هذا الحديث ورد من رواية جماعة من الصحابة ، عدتهم سبعة زائدة على ما ذكره الترمذي . قال الحافظ : وقد تتبعت طرقه فوجدته من رواية خمسة آخرين ، فكملوا خمسة عشر نفساً ، ووقد خرجت طرقه فيما كتبته على علوم الحديث ، فذكرها وقال : ووقع لي مع ذلك من مراسيل جماعة من التابعين ، وقال : وأسانيد هذه المراسيل جياد ، وفي بعض هذا ما يدل على أن للحديث أصلا . وقد استوعبت طرقها وبنيت اختلاف أسانيدها ، وألفاظ متونها . ورأيت ختم هذا الفتح يعني (فتح الباري) بطريقة من طرق هذا الحديث مناسبة للختم أسوقها بالسند المتصل العالي بالسماع والإجازة إلى متنها ، فذكره بطوله سنداً ومتناً ، وختم الحديث بقوله (سبحانك اللهم وبحمد ، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك) . أقول : فالحديث صحيح مرفوعاً وموقوفاً بطرقه وشواهده الكثيرة، والحمد لله وانظر (فتح الباري) (١٣/ ٥٤٤ ـ ٥٤٦) (ع) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٦) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٢) .

(٦) تاريخ بغداد (٢/ ٢٦) ، طبقات السبكي (٢/ ٢٢١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٣) .

(٧) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٧٠) ، طبقات السبكي (٢/ ٢١٨) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣١) .

وورعه وزهده لطال علينا ، ونحن على عجلٍ من أجل الحوادث . وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً في أول شرح الصحيح . والله سبحانه وتعالى هو المستعان .

وقد كان رحمه الله في غاية الحياء والشجاعة والسَّخاء والورع والزهد في الدنيا دارِ الفَنَاء ، والرغبة في الآخرة دارِ البقاء . قال : أرجو أن ألقى الله وليس أحد يطالبني أنّي اغتبتُه . فذُكر له « التاريخ » وما ذَكَرَ فيه من جرحٍ وتعديلٍ وغير ذلك ، فقال : ليس هذا من هذا ، قال النبي ﷺ : « ائذنوا له ولبئسَ أخو العَشِيرة »[١] ونحن روينا ذلك رواية ولم نقلْهُ من عند أنفسنا .

وقد كان رحمه الله يصلِّي في كُلِّ ليلةٍ ثلاثَ عشرةَ ركعةً ، وكان يختمُ في كُلِّ يومٍ من رمضان خَتْمة ، وكانت له جدة ومال جيدٌ يُنفِقُ منه سرّاً وجهراً ، ويكثر الصَّدَقة بالليل والنهار سرّاً وعلانية .

وكان مستجاب الدعوة ، مسدَّد الرمية ، شريف النفس ، بَعَثَ إليه بعضُ السلاطين ليأتيه حتى يسمَعَ أولادُه عليه ، فأرسل إليه : « في بيته يُؤتى الحَكَمُ »[٢] ، يعني إن كنتم تريدون ذلك فهلمُّوا إليَّ ، وأبَى أن يذهَبَ إليهم . وهو[٣] خالد بن أحمد الذّهلي ، نائب الظاهريّة ببخارى .

فبقي في نفس الأمير من ذلك ، فاتفق أن جاء كتابٌ من محمد بن يحيى الذّهلي من نيسابور بأن البخاري يقول بأنّ لفظَه بالقرآن مخلوق . وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلامٌ ، وصنَّف البخاري في ذلك كتابه « خلْق أفعال العباد » ، فأراد الأميرُ أن يصرفَ النَّاسَ عن السَّماع من البخاري ، وقد كانوا يعظّمونه جدّاً ؛ حين رجع إليهم نثروا على رأسه الذَّهَب والفضة يوم دخل بُخارى عائداً إلى أهله ، وكان له مجلس للإملاء بجامعها ، فلم يَقبلوا من الأمير ، فأمر عند ذلك بنفيه من البلادِ[٤] ، فخرج منها ، ودعا على خالد بن أحمد ، فلم يمضِ شهرٌ حتى أمر ابنُ طاهر بأن ينادَى على خالد بن أحمد على أتان ، وزال ملكه ، وسُجن ببغداد حتى مات ، ولم يبقَ أحدٌ ساعدَه على ذلك إلا ابتُلي ببلاءٍ شديد[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٣٧٨ ، ٣٧٩) في الأدب ، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ؛ ومسلم (٢٥٩١) في البر والصلة ، باب مداراة من يتَّقي فحشه ؛ وأبو داود (٤٧٩١) ، والترمذي (١٩٩٦)؛ وأحمد (٦/ ٣٨) عن عائشة : أنَّ رجلاً استأذن على النبي ﷺ ، فقال : ائذنوا له ، بئس أخو العشيرة ، وبئس ابن العشيرة ، فلما دخل عليه ألان له القول ، قالت عائشة : فقلت : يا رسول الله ! قلتَ له الذي قلت ،. ثم ألنت القول ؟ قال : يا عائشة ! إنَّ شرَّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة مَنْ تركه الناس اتقاء شرِّه .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٠٦) . وقوله : في بيته يؤتى الحَكَم ، أي : الحاكم ، وهو مثل ، قصته في كتاب الأمثال لابن سلام (٥٤) ، والعسكري (٢/ ١٠١) ، وأمثال الميداني (٢/ ٧٢) ، واللسان (حكم) .

(٣) في ط : والسلطان .

(٤) في ب ، ظا : البلد .

(٥) تاريخ بغداد (٢/ ٣٣) ، تهذيب الكمال (لوحة ١١٧٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٤) .

فنزح البخاري إلى بلدة يقال لها : خَرْتَنْك ، على فرسخين من سَمَرْقَنْد ، فنزل عند أقارب له ، وجعل يدعو الله أن يقبضَه إليه حين رأى الفِتَن ، كما جاء في الحديث : « وإذا أردْتَ بقومٍ فتنةً فتوفَّنا إليكَ غيرَ مفتونين »(١) .

ثم اتفق مرضُه على إثر ذلك ، وكانت وفاته ليلة عيد الفطر ، وكانت ليلة السبت عند صلاة العشاء ، وصلّي عليه يوم العيد بعد الظهر من هذه السنة ، أعني سنة ستٍّ وخمسين ومئتين ، وكُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيضٍ ، ليس فيها قميص ولا عمامة . وَفْقَ ما أوصى . وحين دُفن فاحت من قبره رائحةُ غاليةٍ(٢) أطيب من المسك ، فدام ذلك أياماً ، ثم علت سواري بيض بحذاء قبره . وكان عمره يوم مات ، رحمه الله ، اثنتين وستين سنة .

وقد ترك بعده رحمه الله علماً نافعاً لجميع المسلمين ، فعمله فيه لم ينقطع ، بل هو موصول بما أسداه من الصَّالحات في الحياة ؛ وقد قال رسولُ الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطَعَ عَمَلُه إلا من ثلاث ؛ من علم ينتفع به » الحديث ، رواه مسلم(٣) .

وشرطه في « صحيحه » هذا أعزُّ من شرط كُلِّ كتابٍ صُنِّفَ في الصحيح ، لا يوازيه فيه غيرُه ، لا صحيح مسلم ولا غيره . وما أحسَنَ ما قال بعضُ الفصحاء من الشعراء(٤) :

صحيحُ البُخاريِّ لَوْ أنْصَفُوهُ ... لَمَا خُطَّ إلا بماءِ الذَّهَبْ
هُوَ الفَرْقُ بَيْنَ الهُدَى والعَمَى ... هو السَّدُّ بين الفَتَى والعَطَبْ
أسانيدُ مِثْلُ نُجومِ السَّماءِ ... أمامَ مُتونٍ لها كالشُّهُبْ(٥)
به قامَ ميزانُ دِينِ الرَّسُولِ ... ودانَ بِهِ العُجمُ بعدَ العَرَبْ
حِجابٌ مِنَ النَّارِ لا شَكَّ فيهِ ... يميِّزُ بينَ الرِّضا والغَضَبْ

---

(١) هو جزء من حديث طويل رواه أحمد (٥/ ٢٤٣) والترمذي رقم (٣٢٣٥) في تفسير القرآن ، من سورة (ص) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . ورواه أحمد (١/ ٣٦٨) والترمذي رقم (٣٢٣٣) من حديث ابن عباس ، وهو حديث صحيح ، وهو حديث المنام الطويل المشهور بـ (حديث اختصام الملأ الأعلى) ، وقد شرحه الحافظ ابن رجب الحنبلي شرحاً جيداً في رسالة سماها (اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى) .

(٢) « الغالية » : أخلاط من الطيِّب ، كالمسك والعنبر .

(٣) رواه مسلم رقم (١٦٣١) في الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٢) ، وأبو داود رقم (٢٨٨٠) في الوصايا ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت ، والترمذي رقم (١٣٧٦) في الأحكام ، باب في الوقف ، والنسائي (٦/ ٢٥١) ؛ كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ولفظه عند مسلم : إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة ؛ إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولدٍ صالح يدعو له .

(٤) الأبيات في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧١) .

(٥) في ب ، ظا وسير أعلام النبلاء : كمثل الشُّهب .

وسِتْرٌ رَقيقٌ إلى المُصْطَفَى ... ونَصٌّ مُبينٌ لِكَشْفِ الرِّيبْ
فيا عالماً أجمعَ العالِمونَ ... على فَضْلِ رتبتهِ في الرّتَبْ
سَبَقْتَ الأئمةَ فيما جَمَعْتَ ... وفُزْتَ على رَغْمِهِم[1] بالقَصَبْ
نَفَيْتَ الضَّعيفَ مِنَ النَّاقِلينَ ... ومَنْ كانَ مُتَّهماً بالكَذِبْ
وأبْرَزْتَ في حُسْنِ تَرتيبِهِ ... وتبويبِهِ عَجَباً لِلْعَجَبْ
فأعطاكَ مَوْلاكَ ما تَشْتَهيهِ ... وأجْزَلَ حَظَّكَ فيما وَهَبْ

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومئتين

فيها ولي الخليفة المعتمد على الله ليعقوب بن الليث بَلْخ وطَخارستان وما يلي ذلك من كَرْمان وسِجِسْتان والسِّند وغيرها .

وفي صفر منها عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على الكوفة وطريق مكّة والحرمين واليمن وأضاف إليه في رمضان نيابة بغداد والسّواد وواسط وكُور دِجلة والبصرة والأهواز وفارس ، وأذن له أن يستنيبَ في ذلك .

وفيها : تواقع سعيد الحاجب وصاحب الزَّنج في أراضي البصرة ، فهزمه سعيد واستنقَذَ من يده خلْقاً من النساء والذرّية ، واسترجع منه أموالاً جزيلة ، وأهان الزَّنْجَ غايةَ الإهانة والمذلّة .

ثم إنَّ الزَّنج بيَّتوا سعيداً وجيشَه ، فقتلوا منهم خلْقاً كثيراً ، ويقال : إن سعيدَ بن صالح قُتل أيضاً . ثم[2] التقى مع منصور بن جعفر الخيَّاط في جيشٍ كثيفٍ ، فهزمهم هذا الخارجيّ المدَّعي أنَّه طالبيّ ، وهو كاذب .

قال ابنُ جرير[3] : وفيها ظُفِرَ[4] ببغداد بموضعٍ يقال له : بِرْكةُ زلزلٍ برجلٍ خنّاق ، قد قتل خلْقاً من النساء[5] ، فحمل إلى المعتمد ، فضُرِب بين يديه ألفي سوط وأربعمئة أرْزَن[6] ، فلم يمتْ حتَّى ضربه الجلادون على أنثييه بخشب العقابين ، فمات ، فرُدَّ إلى بغدادَ ، وصُلِبَ هناك ، ثم أحرقت جثته .

وفي ليلة الرابع عشر [من شوال][7] من هذه السنة كُسِفَ القمر وغابَ أكثره .

---

(١) في الأصل بغير إعجام ، وفي ظا ، ط ، : زعمهم والمثبت من ب وسير أعلام النبلاء .
(٢) في ط : ثم إنَّ الزَّنج التقوا هم ومنصور .
(٣) الطبري (٩/ ٤٧٩) .
(٤) الطبري : ظُهِر .
(٥) بعدها في ط : كان يؤلف المرأة ثم يخنقها ويأخذ ما عليها ، فحمل . .
(٦) « الأرْزَن » : شجر صُلْب تتخذ منه عِصِيّ صُلْبة .
(٧) من ب ، ظا ، ط .

وفي صبيحة هذا اليوم دخل جيشُ الخبيث إلى البصرة قَهْرا ، فقتَلَ من أهلها خلْقاً كثيراً ، وهرب نائبها بُغراج ومَن معه ، وحرقت الزَّنجُ جامعَ البصرة ودوراً كثيرة ، وانتهبوها ، ثم نادى فيهم إبراهيم بن يحيى المهلبي أحدُ أصحاب الخارجي : مَنْ أراد الأمان فليحضر . فاجتمع خلْق كثير من أهلها ، فرأى أنَّه قد أصاب فرصةً ، فغدَرَ بهم ، وأمر بقتلهم ، فلم يفلت منهم إلا الشاذ . كانت الزَّنج تحيط بالجماعة من أهل البصرة ، ثم يقول بعضهم لبعض : كيلوا ، وهي الإشارة بينهم إذا أرادوا قتلَ أحدٍ ، فيحملون عليه بالسيوف ، فلا تسمع إلا[1] تشهّد أولئك ، وضجيجهم عند القتل ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

وهكذا [يفعلون في][2] كُلِّ مَحَلَّةٍ من محالّ البصرة في عدة أيام ، وهرب الناس منهم كُلَّ مهربٍ ، وأحرقوا الكلأ من الجبل إلى الجبل ، فحرقت[3] النار ما وجدت من شيءٍ ؛ من إنسان ، أو بهيمة ، أو أثاث أو غير ذلك ؛ وأحرقوا المسجد الجامع أيضاً . [وقد قتل في هؤلاء جماعةٌ كثيرة من الأعيان والأدباء والفضلاء والمحدّثين والعلماء ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون][4] .

وكان هذا الخبيث قد أوقع بأهل فارس وقعةً عظيمة[5] ، ثم بلَغَه أنَّ أهلَ البصرة قد جاءهم من الميرة شيءٌ كثيرٌ ، وقد اتسعوا بعد الضّيق ، فحسدهم على ذلك ، فروى ابنُ جرير[6] عمَّن سمعه يقول : دَعَوْتُ اللهَ على أهل البصرة . فخوطبْتُ ، فقيل لي : إنَّما أهلُ البصرة خُبْزَةٌ [لك][7] تأكلها من جوانبها ؛ فإذا انكسر نصْفُ الرَّغيف خربت البصرة ، فأوَّلتُ ذلك بانكساف القمر . وقد كان هذا شائعاً في أصحابه ، حتَّى وقَعَ الأمرُ طِبْقَ ذلك .

ولا شك أنَّ هذا كان مع شيطان يخاطبه ، كما كان يأتي شيطان مسيلمة إلى مسيلمة ، [والله أعلم][8] .

ولما أوقَعَ أصحابه من الزَّنْج وغيرهم ما أوقعوا بأهل البصرة ، قال لمن معه ؛ أي : صبيحة ذلك اليوم : دَعَوْتُ اللهَ على أهل البصرة ، فرُفعت لي [البصرة][9] بين السَّماء والأرض ، ورأيتُ أهلَها

---

(١) في ط : إلا قول أشهد أن لا إله إلا الله من أولئك المقتولين ، وضجيجهم عند القتل ، أي صراخ الزنج وضحكهم ، فإنا لله . . .

(٢) من ب ، ظا ، ط .

(٣) في آ : تحرق .

(٤) زيادة من ب ، ظا والنسخة المصرية من المطبوع .

(٥) في آ : كبيرة .

(٦) الطبري (٩/ ٤٨١) .

(٧) زيادة من ط والطبري .

(٨) من ب ، ظا .

(٩) من ط والطبري .

يُقتَلُون ، ورأيتُ الملائكة تقاتل مع أصحابي ، وإني لمنصور على الناس ، والملائكة تقاتل معي ، وتثبِّت[١] جيوشي ، وتؤيدني في حروبي[٢] .

ولمَّا صار إليه العلويّة الذين كانوا بالبصرة ، انتسب حينئذ إلى يحيى بن زيد ، وهو كاذب في ذلك بالإجماع ، لأن يحيى بن زيد لم يعقِب إلا بنتاً ماتت وهي ترضع[٣] ؛ فقبَّح الله هذا اللعين ما أكذبَهَ وأَفجَرَه وأغدَرَه .

وفي مستهل ذي القَعْدَة وجَّه الخليفةُ من سامُرّاً جيشاً كثيفاً مع الأمير محمد ، المعروف بالمولَّد ، لقتال صاحب الزَّنْج ، فقبض في طريقه على سعيد[٤] بن أحمد الباهليّ ، الذي كان قد تغلَّب على أرض البطائح ، وأخاف السبيل .

وفيها : خالف محمد بن واصل السلطانَ بأرض فارس ، وتغلَّب عليها .

وفيها : وثَبَ رجلٌ من الروم يقال له : بسيل الصّقلبيّ ، على ملِكِ الروم ميخائيل بن توفيل ، فقتله ، واستحوذ على مملكة الروم ، وقد كان ميخائيل[٥] في ملك الروم أربعاً وعشرين سنة .

وحجَّ بالناس في هذه السنة : الفضلُ بن إسحاق بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسَنُ بنُ عَرَفَةَ بن يَزيد[٦] : صاحبُ الجزء المشهور المرويّ ، وقد جاوز المئة بعشر سنين ، وقيل : بسبع ، وكان له عشرة من الولد ، سمَّاهم بأسماء العشرة[٧] رضي الله عنهم .

وقد وثقه يحيى بن معين وغيرُه ، وكان يتردَّد إلى الإمام أحمد .

وكان مولده في سنة خمسين ومئة ، وتوفي في هذه السنة عن مئةٍ وسبع سنين .

---

(١) في الطبري : وتثبِّت مَن ضعف قلبه من أصحابي .
(٢) تاريخ الطبري (٩/ ٤٨٧) مع شيء من الاختلاف .
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ٤٨٧) .
(٤) في ط : « سعد » ، وما أثبتناه من ب وتاريخ الطبري .
(٥) في الأصول : لميخائيل .
(٦) تاريخ بغداد (٧/ ٣٩٤) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٤٠) ، المنتظم (٥/ ٣) ، تهذيب الكمال (٦/ ٢٠١) ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٤٧) ، العبر (١/ ٢٨٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٣٦) .
(٧) أي أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عُبَيدة بن الجراح .

وزَيْد[١] بن أخْرم الطائيّ ، والرِّياشي[٢] : ذبحهما الزَّنْج في جملة مَن قتلوا من أهل البصرة ، كما قدمنا قصتهم قبَّحهم الله ، وما قتلوا من المسلمين ، رحمهم الله .

وعليّ بن خَشْرَم[٣] .

وأبو سعيد الأشَجّ[٤] ، أحد مشايخ مسلم الذي يكثر عنهم الرواية .

والعبَّاس بن الفَرَج : أبو الفضل الرِّياشي النَّحويّ اللغويّ[٥] .

كان عالماً بأيام العرب والسير ، وكان كثير الاطلاع ، ثقةً ، عالماً .

روى عن الأصمعيّ ، وأبي عبيدة وغيرهما .

وعنه إبراهيم الحربيّ ، وأبو بكر بن أبي الدنيا وغيرهما . قُتِل الرِّياشي[٦] في البصرة في هذه السنة ، قَتَلَه الزَّنْج فيمن قتلوا .

ذكره القاضي ابن خلكان[٧] في « الوفيات » .

وحكي عنه [عن][٨] الأصمعي ، أنه قال : مرَّ بنا أعرابيٌّ يَنْشُدُ ٱبْنَه ، فقلنا له : صفه لنا ، فقال : كأنه دنينير ، فقلنا : لم نره ، فلم يلبث أن جاء يحمله على عنقه أُسَيِّد[٩] كأنه سفل[١٠] ، فقلنا له : لو

---

(١) في آ ، ط : يزيد . وهو زيد بن أخْزَم ، بمعجمتين ، الطائي ، النبهاني ، أبو طالب البصري . ثقة ، حافظ ، استشهد في كائنة الزَّنج بالبصرة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٠) ، وتقريب التهذيب (١/ ٢٧١) .

(٢) في آ ، ط : الرقاشي ، وهو تحريف . وهو عبَّاس بن الفرج الرِّياشي ، أبو الفضل البصري النحوي ، شيخ الأدب . قتلته الزَّنج بالبصرة وله ثمانون سنة . وكان إماماً في اللغة والنحو ، أخبارياً ، علامة ، ثقة .
مراتب النحويين (٧٥) ، تاريخ بغداد (١٢/ ١٣٨) ، معجم الأدباء (١٢/ ٤٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٧) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٧٢) ، معجم الأدباء (١٢/ ٤٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ٢٧) .

(٣) عليّ بن خَشرم بن عبد الرحمن ، أبو الحسن المروزي ، ابن أخت بشر الحافي . الإمام الحافظ الصدوق . حدث عنه مسلم والترمذي والنسائي وابن خزيمة وطائفة . قال أبو رجاء : سمعته يقول : صُمت ثمانية وثمانين رمضاناً .
سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٥٢) .

(٤) عبد الله بن سعيد الكندي الكوفي الحافظ المفسِّر ، صاحب التصانيف . صدوق ، توفي في هذه السنة وقد نيف على التسعين . سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٢) ، العبر (٢/ ١٥) .

(٥) تقدمت ترجمته قبل قليل . وفي آ : الرقاشي .

(٦) في آ : الرقاشي .

(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٢٧) .

(٨) زيادة من ب ، ظا . وفيات الأعيان (٣/ ٢٧) .

(٩) « أُسَيِّد » : تصغير أسود ، ويقال : أسَيْود ، أي : قارب السَّواد .

(١٠) في ط : سفل القدر . وفي الوفيات : كأنه جُعَلٌ قد حمله على عنقه .

سألتنا عن هذا لأرشدناك إليه ، إنه منذ اليوم هاهنا يلعب مع الغلمان . ثم أنشد الأصمعيُّ[١] :

نِعْمَ ضجيعُ الفَتَى إذا بَرَدَ اللـ ـيلُ سُحيراً وقَرْقَفَ الصَّرَدُ
زَيَّنَها اللهُ في الفؤادِ كَمَا زُيِّنَ في عَيْنِ وَالدٍ وَلَدُ

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومئتين

في يوم الإثنين لعشرٍ بقين من ربيع الأول عقد الخليفة المعتمد على الله لأخيه أبي أحمد على ديار مصر وقنَّسرين والعواصم ، وجلس يوم الخميس مستهلّ ربيع الآخر ، فخلع على أخيه وعلى مُفْلِح ، وركبا نحو البصرة في جيشٍ كثيف في عَدد وعُدد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتِلَ مُفْلِح للنصف من جمادى الأولى ، أصابه سهمٌ بلا نصْلٍ في صدره فأصبح ميتاً ، وحملت جثته إلى سامُرّا ودُفن بها .

وفيها : أُسِرَ يحيى بن محمد البحرانيّ ، أحدُ أمراء صاحب الزَّنْج الكبار ، وحُمِلَ إلى سامُرّا ، فضرب بين يدي المعتمد مئتي سوط ، ثم قُطعت يداه ورجلاه من خلاف ، ثم خُبط بالسيوف ، ثم ذُبح ، ثم أحرِقَ .

وكان الذي أسروه جيش أبي أحمد في وقعةٍ هائلةٍ مع الزَّنْج ؛ قبَّحهم الله . ولمَّا بلغ خبرُه صاحبَ الزَّنْج أسِفَ على ذلك ، ثم قال : لقد خوطبت فيه فقيل لي : قَتْلُه كان خيراً لك ؛ لأنه كان شرِهاً يخفي من المغانم خيارها .

وقد كان هذا اللعين ، أعني صاحب الزَّنْج ، المدّعي إلى غير أبيه ، يقول : لقد عُرِضَتْ عليَّ النبوَّة فخفتُ أن لا أقومَ بأعبائها ، فلم أقبلْها .

وفي ربيع الآخر وصل سعيد بن أحمد الباهليُّ إلى باب السلطان ، فضرب سبعمئة سوط حتَّى مات ، ثم صُلِبَ .

وفيها : قتل قاضٍ وأربعة وعشرون رجلاً من أصحاب صاحب الزَّنْج عند باب العامة بسامُرَّا .

وفيها : رجع محمد بن واصل إلى طاعة السلطان ، وحمل خراج فارس ، وتمهَّدت الأمور هناك ، واستقلَّت على السّداد .

وفي أواخر رجب كانت بين أبي أحمد وبين الزَّنْج وقعةٌ هائلةٌ ، قتل فيها خلْق من الفريقين .

ثم استوخَمَ أبو أحمد منزله ، فتحيَّز إلى واسط ، فنزلها في أوائل شعبان ، فوقعت هناك زلزلة

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٢٧) .

شديدة وهدَّة عظيمة ، تهدَّمت بسبب ذلك دور كثيرة ، ومات من الناس نحو من عشرين ألفاً .

وفي هذه السنة وقع في الناس وباءٌ شديد ببغداد وسامُرَّا وواسط وغيرها من البلاد ، وحصل للناس ببغداد داءٌ يقال له : القُفّاع[١] ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الخميس لسبعٍ خلون من رمضان أخِذ رجلٌ[٢] من باب العامّة بسامُرَّا ، ذُكر عنه أنه يسبُّ السلف ، فضُرب ألف سوط وخمسين سوطاً حتى مات .

وفي يوم الجمعة ثامنه توفي الأمير يارجُوخ فصلَّى عليه أخو الخليفة أبو عيسى ، وحضره جعفر بن المعتمد على الله .

وفيها : كانت وقْعَةٌ هائلة بين موسى بن بُغَا وبين أصحاب الحسن بن زيد ببلاد خراسان ، فهزمهم موسى بن بُغَا هزيمة فظيعة .

وفيها : كانت وَقْعَة بين مسرور البلخيّ وبين مُساور الخارجيّ ، فكسره مسرور ، فأسر من أصحابه جماعة كثيرة .

وحجَّ بالناس الفضل بن إسحاق المتقدم ذكره .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن بُدَيْل[٣] .

وأحمد بن حَفْص[٤] .

وأحمد بن سِنَان القَطَّان[٥] .

---

(١) « القُفّاع » : داء تتقبَّض منه الأصابع .

(٢) في الطبري : يعرف بأبي فَقْعَس .

(٣) أبو جعفر اليَامِي الكوفي ، قاضي الكوفة ، ثم قاضي همذان . وكان صالحاً لما تقلد القضاء ، عادلاً في أحكامه ، وكان يسمى راهب الكوفة لعبادته . ذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن عدي : روى أحاديث أنكرت عليه ، وهو ممن يُكتب حديثه على ضعفه .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٣١) ، العبر (٢/ ٢٢) ، تهذيب التهذيب (١/ ١٧) .

(٤) أحمد بن حَفْص بن عبد الله بن راشد ، أبو علي النيسابوري ، قاضي نيسابور . روى عن أبيه وجماعة . إمام ثقة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٨٣) ، العبر (٢/ ٢٢) .

(٥) أحمد بن سِنان بن أسد بن حِبَّان ، أبو جعفر الواسطيّ القطَّان ، الحافظ المجوّد . سمع أبا معاوية وطبقته ، وصنف المسند ، كتب عنه ابن أبي حاتم ، وقال : هو إمام أهل زمانه . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٤٤) ، العبر (٢/ ٢٢) ، تهذيب الكمال (١/ ٣٢٢) .

وأحمد بن الفُرات[١] .

وحُمَيد بن الرَّبيع[٢] .

ومحمد بن سنجر[٣] ، صاحب المسند .

ومحمد بن يحيى الذُّهْليّ[٤] .

ويحيى بن مُعاذ الرَّازي[٥] .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومئتين

في يوم الجمعة لأربعٍ بَقِين من ربيع الآخر رجع أبو أحمد بن المتوكل من واسط إلى سامُرَّاء ، وقد استخلف على حرب الخبيث صاحبِ الزَّنْج محمّداً الملقب بالمولَّد ، وكان شجاعاً شهماً .

وفيها : بعث الخليفة إلى كَنْجور نائب الكوفة جماعةً من القواد ، فذبحوه[٦] ، وأخذوا ما كان معه من المال ، فإذا هو أربعون ألف دينار .

---

(١) أحمد بن الفُرات بن خالد الضَّبِّيُّ ، أبو مسعود الرازي ، نزيل أصبهان . حافظ كبير حجّة ، طلب العلم في الصغر ، وعُدَّ من الحفَّاظ وهو شاب أمرد ، طوَّف النواحي ، سمع أبا أسامة وطبقته ، صنف المسند والتفسير ، وقال : كتبت ألف ألف وخمسمئة ألف حديث .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٨٠) ، العبر (٢/ ٢٢) ، تهذيب الكمال (١/ ٤٢٢) .

(٢) حُمَيْد بن الربيع بن مالك ، أبو الحسن اللخمي الكوفي ، قدم بغداد وحدَّث بها عن هشيم وابن عيينة وابن إدريس وغيرهم . قال عثمان بن أبي شيبة : أنا أعلم الناس به ، هو ثقة ، ولكنه شره مدلس . توفي بسُرَّ منْ رأى .
تاريخ بغداد (٨/ ١٦٢) ، والمنتظم (٥/ ١٢) .

(٣) أبو عبد الله الجرجاني . رحل في طلب العلم ، وسكن قرية من قرى مصر ، وصنف مسنداً ، سمع أبا نعيم وطبقته .
المنتظم (٥/ ١٥) ، العبر (٢/ ٢٣) .

(٤) أبو عبد الله الذُّهْليّ ، مولاهم ، النيسابوري ، أحد الأئمة الأعلام ، وإمام أهل الحديث بخراسان . كان الإمام أحمد يجلُّه ويعظِّمه . وقال أبو بكر بن أبي داود : هو أمير المؤمنين في الحديث . أكثر من الترحال ، وصنف التصانيف . عاش ستاً وثمانين سنة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٧٣) ، العبر (٢/ ٢٣) .

(٥) الزاهد العارف ، حكيم زمانه ، وواعظ عصره . دخل بلاد خراسان ثم انصرف إلى نيسابور ، فسكنها إلى أن توفي بها . وكتب على قبره : مات حكيم الزمان يحيى بن معاذ . ومن أقواله : الدرجات سبع : التوبة ، ثم الزّهد ، ثم الرِّضا ، ثم الخوف ، ثم الشوق ، ثم المحبَّة ، ثم المعرفة . حلية الأولياء (١٠/ ٥١) ، المنتظم (٥/ ١٦) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٥) .

(٦) في آ : فدعوه ، وهو تحريف .

وفيها : تغلَّب رجل جمَّال يقال له : « شركب » على مدينة مَرْو ، فانتهبها مَنْ كان معه مِن أتباعه ، وتفاقم أمره هناك .

ولثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة توجه موسى بن بُغا الكبير من سامُرَّا لحرب الخبيث ، وخرج الخليفة المعتمد لتوديعه ، وخلَعَ عليه عند مفارقته .

وخَرَج عبدُ الرحمن بن مُفْلِح إلى بلاد الأهواز نائباً عليها ؛ ليكون عوناً لموسى بن بُغَا على حرب صاحب الزَّنْج الخبيث ؛ لعنه الله ، فهزم عبدُ الرحمن بن مُفْلِح جيشاً للخبيث ، وقتَلَ مِن الزَّنْج خلْقاً كثيراً ، وأَسَرَ طائفةً كبيرةً منهم ، وأرعبهم إرعاباً بليغاً ، بحيث لم يتجاسروا على موافقته مرَّةً ثانية ، وقد حرَّضهم الخبيثُ كُلَّ التحريض فلم ينجعْ فيهم .

ثم تواقع عبدُ الرحمن بن مُفْلِح وعليُّ بن أبان المهلبيُّ ؛ وهو مقدَّمُ جُيوشِ صاحبِ الزَّنْج ، فجرت بينهما حروب يطول شرحُها ، ثم كانت الدائرة على الزَّنْج ، ولله الحمد والمنَّة . فرجع عليٌّ بن أبان إلى الخبيث مغلولاً[1] مقهوراً ، مذموماً مدحوراً ، وبعث عبد الرحمن بن مفلح بالأسارى إلى سامُرَّا ، فبادر إليهم العامَّة فقتلوا أكثرهم ، وسلبوهم .

وفيها : تدنى[2] ملك الروم ـ لعنه الله ـ إلى بلاد سُمَيساط ، ثم إلى مَلَطْية ، فقاتله أهلُها فهزموه ، وقتلوا بطريق البطارقة الذي كان معه ، ورجع إلى بلاده خاسئاً وهو حسير .

وفيها : دخل يعقوب بن الليث إلى نيسابور ، فظفر بالخارجي الذي كان بهَرَاة[3] ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة ، فقتله وحمل رأسَه على رمحٍ ، وطيف به في الآفاق والأقاليم ، ومعه رقعة مكتوبٌ فيها ذلك[4] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس[5] .

ومـمن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن يعقوب[6] [بن إسحاق][7] [أبو إسحاق][8] الجُوْزَجَانيّ ، خطيب دمشق ، له المصنفات المفيدة ، منها « المترجم » فيه علوم غزيرة وفوائد كثيرة .

---

(١) في الأصول : مغلولاً ، وفي ط : مغلوباً ، وأثبت ما جاء في الطبري (٩/ ٥٠٦) .

(٢) الطبري : غلب صاحب الروم على سُمَيساط . . .

(٣) « هَرَاة » : مدينة عظيمة مشهورة ، من أمهات مدن خراسان . ياقوت .

(٤) ذكر الطبري أنه كتب فيها : هذا رأس عدوّ الله عبد الرحمن الخارجي بهَرَاة ، ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة ، قتله يعقوب بن الليث .

(٥) زاد الطبري : المعروف بِبُرَيه .

(٦) تهذيب الكمال (٢/ ٢٤٤) ، العبر (٢/ ٢٤) ، تهذيب التهذيب (١/ ١٨١) ، تقريب التهذيب (١/ ٤٦) .

(٧) من ط .

(٨) من ب ، ظا .

وأحمد بن إسماعيل السَّهْمي[١] .

وحَجَّاج بن يوسف الشاعر[٢] .

ومحمود بن آدم[٣] .

سنة ستين ومئتين من الهجرة

فيها وقَعَ غلاءٌ عظيم ببلاد الإسلام كلِّها حتى أجلى أكثرُ أهلِ البلدان منها ينتجعون غيرها ، ولم يبقَ بمكة أحدٌ من المجاورين ومن يشبههم ، حتى ارتحلوا إلى المدينة وغيرها من البلاد ، وخرج نائبُ مكّة منها ، وبَلَغَ كُرُّ[٤] الحنطة ببغداد مئةً وعشرين ديناراً ، واستمرَّ ذلك شهوراً .

وفيها : قَتْلُ صاحب الزَّنْج المستحوذ على البصرة لعليِّ بن زيدٍ صاحبِ الكوفة .

وفيها : أخذت الروم من المسلمين حصنَ لؤلؤة .

وحجَّ بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المذكور قبلها .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن محمد الزَّعْفَرَانيُّ[٥] .

---

(١) أحمد بن إسماعيل بن محمد بن نُبَيْه ، أبو حُذَافة السَّهْمِيّ القرشيُّ المدني ، نزيل بغداد ، بقية المسندين . ضعَّفه الدارقطني وغيره ، وهو آخر من حدَّث عن مالك .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٤) ، العبر (٢/ ٢٤) ، تهذيب الكمال (١/ ٢٦٦) .

(٢) حَجَّاج بن يوسف بن حجَّاج الثَّقفي ، أبو محمد بن أبي يعقوب البغدادي ، المعروف بابن الشَّاعر . كان أبوه شاعراً ، صحب أبا نواس وأخذ عنه ، وكان يلقَّب لَقْوة ، وكان منشؤه بالكوفة ، وأما ابنه حجاج هذا فبغداديّ المولد والمنشأ ، وفيها طلب العلم . ثقة ، من الحفاظ ، وممن يحسن الحديث .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٠١) ، تهذيب الكمال (٥/ ٤٦٦) .

(٣) أبو أحمد ، ويقال : أبو عبد الرحمن المروزي ، صدوق ذكره ابن عدي في شيوخ البخاري ، وابن حبان في الثقات . تهذيب التهذيب (١٠/ ٦١) .

(٤) « الكُرُّ » : مكيال لأهل العراق ، أو ستون قفيزاً ، أو أربعون إردبّاً ويعادل (١٥٦٠) كغ .

(٥) أبو علي البغدادي الزَّعفراني ، يسكن محلة الزّعفراني . قرأ على الشافعي كتابه القديم ، وكان مقدماً في الفقه والحديث ، ثقة جليلاً ، عالي الرواية ، كبير المحلِّ . روى عن سفيان بن عيينة وطبقته ، وكان من أذكياء العلماء .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٢) ، العبر (٢/ ٢٠) .

وعبد الرحمن بن بشر[١] .

ومالك بن طَوْق[٢] ، الذي تنسب إليه رَحْبَة مالك بن طَوْق .

وحُنَيْن بن إسحاق العِبَاديّ[٣] ، الطبيب المشهور ، الذي عرَّب كتاب إقليدس وحرره بعدَه ثابت بن قُرَّة[٤] . وعرَّب حنين كتاب المجسطي أيضاً ، وغير ذلك من كتب الطب من لغة اليونان إلى لغة العرب . وكان المأمون شديدَ الاعتناء بذلك جداً ، وكذلك جعفر البرمكي قبله . ولحنين مصنَّفاتٌ كثيرةٌ في الطب ، وإليه تنسب « مسائل حنين » ، وكان بارعاً في فنه جدّاً .

وكانت وفاته يوم الثلاثاء لست خلون من صفر من هذه السنة ؛ قاله ابن خلكان[٥] .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومئتين

فيها انصرف الحسن بن زيد من بلاد الدَّيْلَم إلى طَبَرِسْتان ، وأحرق مدينة شالُوس[٦] ؛ لممالأتهم يعقوب بن الليث عليه .

---

(١) عبد الرحمن بن بشر بن الحكم ، أبو محمد ، ابن الإمام أبي عبد الرحمن العَبْدي النيسابوري . محدّث ، ثقة ، جواد . حدث عنه البخاري ومسلم وطائفة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٤٠) ، تهذيب التهذيب (٦/ ١٤٤) .

(٢) هو مالك بن طَوْق بن عتاب التغلبي ، أبو كلثوم ، أمير عرب الشام ، من الأشراف الفرسان الأجواد . ولي إمرة دمشق والأردنّ ، وفيها توفي ، بنى بمساعدة الرشيد بلدة الرحبة التي على الفرات بين الرقة وبغداد ، وتعرف برحبة مالك ، نسبة إليه ، وكثر سكانها في أيامه ، وكان فصيحاً ، له شعر .
معجم البلدان (٣/ ٣٤) ، فوات الوفيات (٣/ ٢٣١) ، النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢) .

(٣) أبو زيد ، طبيب ، مؤرخ ، مترجم . كان أبوه صيدلانياً ، من أهل الحيرة ، وسافر حنين إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد ، وانتقل إلى بغداد فأخذ الطبَّ عن يوحنا بن ماسويه وغيره ، وتمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية . واتصل بالمأمون فجعله رئيساً لديوان الترجمة ، ولخّص كثيراً من كتب أبقراط وجالينوس ، وأوضح معانيها . وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية من الكتب .
له ترجمة في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١/ ١٨٤) ، ووفيات الأعيان (٢/ ٢١٧) ، والعبر (٢/ ٢٠) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢) ، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٧٧) .

(٤) هو ثابت بن قُرَّة بن زهرون الحرَّاني ، أبو الحسن ، الصَّابىء ، طبيب ، حاسب ، فيلسوف . لم يكن في زمانه من يماثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع أجزاء الفلسفة . صنف نحو (١٥٠) كتاباً ، منها الذخيرة في علم الطب . مات سنة ٢٨٨هـ .
له ترجمة في طبقات الأطباء (١/ ٢١٥) ، ووفيات الأعيان (١/ ٣١٣) ، والأعلام للزركلي (٢/ ٩٨) .

(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٢١٨) .

(٦) « شالوس » : مدينة بجبال طبرستان ، وهي أحد ثغورهم . ياقوت .

وفيها : قَتْلُ مُساور الخارجي ليحيى[١] بن جعفر الذي كان يلي طريق خراسان في جمادى الآخرة ، فشخص إليه مسرور البلخيّ ، ثم تبعه أبو أحمد بن المتوكل ، فتنحَّى مساور فلم يلحَقْ .

وفيها كانت وقعة بين ابن واصل الذي تغلَّب على فارس ، وبين عبد الرحمن بن مُفْلِح ، فكسره ابنُ واصل ، وأسره ، وقتل طاشتمر ، واصطلم[٢] الجيش الذين[٣] كانوا معه ، فلم يفلت منهم إلا اليسير .

ثم سار ابنُ واصل إلى واسط يريد حرب موسى بن بُغَا ، فرجع موسى بن بُغَا إلى باب السلطان ، وسأل أن يعفى من نيابة بلاد المشرق ؛ لما رأى من كثرة المتغلبين بها ، فعُزل عنها ، وولي ذلك أبو أحمد أخو الخليفة المعتمد .

وسار أبو الساج لحرب الزَّنْج ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكسرتهم الزَّنْج ، ودخلوا الأهواز فقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأحرقوا منازلهم .

ثم صُرِف أبو الساج عن نيابة الأهواز وحَرْبِ الزَّنْج ، ووَلِّي ذلك إبراهيم بن سيما .

وتجهَّز مسرور البلخيّ في جيش لقتال الزنج أيضاً .

وفيها : ولِّي نصر بن أحمد بن أسد السامانيّ ما وراء نهر بلخ ، وكتب إليه بذلك في شهر رمضان منها .

وفي شوَّال من هذه السنة قصد يعقوب بن الليث إلى ابن واصل ، فالتقيا في ذي القعدة ، فهزمه يعقوب وفلَّ عسكره ، وأسر خاله[٤] وطائفة من حرمه ، وأخذ من أمواله ما قيمته أربعون ألف ألف درهم ، وقتل من كان يمالئه وينصره من أهل تلك البلاد ، وأطَّد[٥] تلك الناحية ، جزاه الله خيراً .

ولاثنتي عشرة ليلة خلَتْ من شوَّال من هذه السنة ولَّى المعتمدُ على الله ولدَه جعفراً العهدَ من بعده ، وسمَّاه المفوّض إلى الله ، وولاه المغرب ، وضمَّ إليه موسى بن بُغَا ، وولاه إفريقيةَ ، ومصر ، والشام ، والجزيرة ، والموصل ، وإرمينية ، وطريق خُراسان وغير ذلك ، وجعل الأمر من بعد جعفر إلى أبي أحمد بن المتوكل ، ولقَّبه الموفَّق بالله ، وولاه المشرق ، وضمَّ إليه مسروراً البلخيَّ ، وولاه بغداد ، والسواد ، والكوفة ، وطريق مكّة والمدينة ، واليمن ، وكَسْكر ، وكُور دجلة ، والأهواز وفارس ، وأصبهان ، وقُمَّ ، والكرخ ، والدِّينَور ، والرَّيّ ، وزِنجان[٦] ، والسِّند ، وكُتب بذلك مكاتبات وقرئت في الآفاق ، وعُلِّق منها نسخةٌ بالكعبة المعظمة .

---

(١) في ط والطبري : يحيى بن حفص . وما هنا موافق لما في الكامل (٧/ ٢٨٨) .

(٢) « اصطلم » : استأصل وأباد .

(٣) في ب ، ظا : الذي كان معهما .

(٤) في ط : رجاله ، وفي الطبري : وأسر مرداساً خال ابن واصل .

(٥) يقال : وطَّدَ الله للسلطان ملكه وأطَّدَه إذا ثبته (اللسان) .

(٦) زاد في الطبري (٩/ ٥١٤) : وقزوين وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند .

وحجَّ بالناس فيها الفضلُ بن إسحاق .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن سليمان الرُّهاوِيُّ(١) .

وأحمد بن عبد الله العِجْليُّ(٢) .

والحسن بن أبي الشَّوارب ، بمكَّة(٣) .

وداود بن سليمان(٤) الجعفريّ .

وشعيب بن أيُّوب(٥) .

وعبد الله بن الواثق ، أخو المهتدي بالله .

وأبو شعيب السوسيُّ(٦) .

---

(١) أحمد بن سليمان بن عبد الملك الرُّهاوي ، أبو الحسين ، الحافظ ، محدّث الجزيرة ، سمع زيد بن الحُبَاب وطبقته . قال النسائي : ثقة مأمون ، صاحب حديث .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧٥) ، تهذيب الكمال (١/ ٤٢٠) .

(٢) أحمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم ، أبو الحسن العِجْلي الكوفي ، نزيل مدينة اطرابلس المغرب ، الحافظ الزاهد ، صاحب التاريخ ، والجَرْح والتعديل . نزح إلى المغرب أيام محنه القرآن ، وسكنها ، وقبره هناك على الساحل ، وقبر ولده صالح إلى جنبه . مات وله ثمانون سنة .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٠٥) ، العبر (٢/ ٢٧) .

(٣) هو الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، أبو محمد ، قاضي قضاة الخليفة المعتمد ، وأحد العلماء الأجواد الممدَّحين .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥١٨) ، العبر (٢/ ٢٨) .

(٤) كذا في الأصول ، ولعل صوابه : أبو سليمان ، وهو داود بن عبد الله بن أبي الكرم الجعفريّ ، أبو سليمان المدني . ذكره ابن حبَّان في كتاب « الثقات » ، وقال : يخطىء .
تهذيب الكمال (٨/ ٤٠٩) .

(٥) شعيب بن أيوب بن زُريق الصّريفيني القاضي ، أصله من واسط ، وسكن صريفين بلدة بالقرب من بغداد . صدوق يدلس ، ذكره ابن حبَّان في الثقات . مقرىء واسط وعالمها .
تهذيب التهذيب (٤/ ٣٤٨) ، وتقريب التهذيب (١/ ٣٥١) ، وطبقات القراء (١/ ٣٢٧) وفيه رزيق .

(٦) هو صالح بن زياد بن عبد الله ، الرُّسبي السُّوسي الرّقّي ، مقرىء أهل الرقّة وعالمهم ، صدوق ، صاحب سنّة . مات وقد قارب التسعين .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٨٠) ، العبر (٢/ ٢٨) ، طبقات القراء (١/ ٣٣٢) .

وأبو يزيد البِسْطَاميُّ ، أحد أئمة الصوفية[١] .

وعليُّ بن إشكاب[٢] ، وأخوه محمد[٣] .

ومسلم بن الحجَّاج ، صاحب الصحيح ؛ رحمهم الله تعالى .

وهذا ذكر شيء من أخبار مسلم بن الحجَّاج[٤] ، على سبيل الاختصار ، رحمه الله وأكرم مثواه

مسلم بن الحجَّاج بن مسلم ، أبو الحسين القشيري النيسابوري ، أحدُ الأئمة ، من حفاظ الحديث ، صاحبُ الصحيح الذي هو تلو الصحيح للبخاريّ عند أكثر العلماء .

وذهب المغاربة وأبو علي النيسابوريّ ، شيخ الحاكم النيسابوري من المشارقة ، إلى تفضيل « صحيح مسلم » على « صحيح البخاري » ؛ فإن أرادوا تقديمه عليه في كونه ليس فيه شيء من التعليقات إلا القليل ، وأنَّه يسوق الأحاديث بتمامها في موضعٍ واحدٍ ، ولا يقطِّعها كتقطيع البخاري لها في الأبواب ، فهذا القدر لا يوازي قوَّة أسانيد البخاري واختياره في الصحيح[٥] ما أورده في جامعه معاصرةَ الرَّاوي لشيخه ، وسماعه منه في الجملة ، فإنَّ مسلماً لا يشترط في كتابه الشرط الثاني ، كما هو مقرر في علوم الحديث[٦] ، وقد بسطت ذلك في أول شرح البخاري ، ولله الحمد والمنّة ، في ترجمة الإمام البخاري ، رحمه الله .

---

(١) طيفور بن عيسى ، أحدُ الزُّهَّاد ، له شطحات ، نسبته إلى بسطام ، بلدة بين خراسان والعراق ، أصله منها ، وتوفي فيها . له أخبار كثيرة؛ كان يقول : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء ، فلا تغترُّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الشريعة . ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية .
حلية الأولياء (١٠/ ٣٣) ، صفة الصفوة (٤/ ١٠٧) ، العبر (٢/ ٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٦) .

(٢) هو أبو الحسن ، محدث فاضل متقن . طال عمره ، وتزاحم عليه الطلاب . وثقه النسائي وغيره . مات وله بضع وثمانون سنة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٥٢) .

(٣) محمد بن إشكاب ، أبو جعفر ، أخو علي بن إشكاب ، ومحمد هو الأصغر والأحفظ . إمام حافظ ثقة ، صدوق . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٥٢) .

(٤) له ترجمة في تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٠) ، طبقات الحنابلة (١/ ٣٣٧) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٩٤) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٨) ، العبر (٢/ ٢٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٥٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٤٤) .

(٥) في ب : تصحيح .

(٦) قال الإمام النووي في مقدمة شرحه لصحيح مسلم (ص١٤) : اتفق العلماء ـ رحمهم الله ـ على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان : البخاري ومسلم ، وتلقتهما الأمة بالقبول ، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة ، وقد صح أنَّ مسلماً كان ممن يستفيد من البخاري ، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث . وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار .

والمقصود الآن أن مسلماً رحَلَ إلى العراق والحجاز والشام ومصر ، وسمع من جماعةٍ كثيرين قد أوردهم شيخنا الحافظ المِزِّيُّ في تهذيبه[١] ، مرتبين على حروف المعجم .

وروى عنه جماعة كثيرون ؛ منهم الترمذيُّ في « جامعه » حديثاً واحداً وهو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، أنَّ رسول الله ﷺ ، قال[٢] : « أحصوا هلال شعبان لرمضان » .

وصالحُ بن محمد جَزَرَة ، وعبدُ الرحمن بن أبي حاتم ، وابنُ خُزَيْمة ، وابنُ صاعد ، وأبو عَوَانَة الإسفراييني .

وقال الخطيب البغدادي[٣] : أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب ، أخبرنا محمد بن نعيم الضَّبِّيُّ ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم ، [قال] : سمعت أحمد بن سَلَمة ، يقول : رأيت أبا زُرْعة وأبا حاتم يقدِّمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما .

وأخبرني ابن يعقوب ، أخبرنا محمد بن نعيم ، [قال] : سمعت الحسين بن محمد الماسَرْجِسِيّ ، يقول : سمعت أبي يقول : سمعتُ مسلم بن الحجَّاج يقول : صنَّفت هذا « المسند الصحيح » من ثلاثمئة ألف حديث مسموعة[٤] .

وروى الخطيب[٥] قائلاً : حدثني أبو القاسم عبد الله[٦] بن أحمد بن علي السُّوذَرجاني بأصبهان ، سمعت محمد بن إسحاق بن مَنْدَه ، سمعت أبا علي الحسين بن علي النيسابوريّ يقول : ما تحتَ أديم السَّماء أصحُّ من كتاب ابن الحجَّاج في علم الحديث .

وقد ذُكِرَ مسلمٌ عند إسحاق بن راهَوَيْه فقال بالعجمية ما معناه : أيَّ رجلٍ كان هذا[٧] ؟! .

وقال إسحاق بن منصور لمسلم : لن يَعْدَمَ الخيرُ ما أبقاكَ اللهُ للمسلمين[٨] .

---

(١) تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٩٩ ـ ٥٠٤) .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم (٦٨٧) في الصوم : باب ما جاء في إحصاء هلال شعبان لرمضان ، عن مسلم ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو معاوية ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث ، وقال : حديث غريب . يعني ضعيف .

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠١) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٣) .

(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٥) .

(٥) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠١) ، ووفيات الأعيان (٥/ ١٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٦) .

(٦) في ط : « عبيد الله » ، خطأ ، وهو شيخ للخطيب معروف ، توفي سنة ٤٢٥هـ . تنظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات ٤٢٥هـ) .

(٧) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٣) .

(٨) في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٣) : قال أبو عمرو المستملي : أملى علينا إسحاقُ الكَوْسَج سنة إحدى وخمسين ، ومسلم ينتخِب عليه ، وأنا أستملي ، فنظر إليه إسحاق . وقال : لن نَعْدَمَ الخير ما أبقاك الله للمسلمين .

وقد أثنى عليه جماعة من علماء أهل الحديث وغيرهم .

وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأخرم : قلَّ ما يفوتُ البخاريَّ ومُسْلماً مما يثبتُ في الحديث[١] .

وروى الخطيبُ[٢] ، عن أبي عمرو محمد بن حَمدان الحيريّ ، قال : سألْتُ أبا العباس أحمد بن سعيد بن عُقْدَة الحافظ عن البُخاريِّ ومسلم : أيُّهما أعلمُ ؟ فقاله : كان البخاريُّ عالماً ، ومسلمٌ عالماً ، فكرَّرْتُ ذلك مراراً وهو يردّ على هذا الجواب ، ثم قال لي : يا أبا عمرو ! قد يقعُ للبخاري الغَلَطُ في أهل الشام ، وذلك أنَّه أخَذَ كتبهم ، فَنَظَر فيها ، فربَّما ذكَرَ الواحدَ منهم بكُنْيَتِهِ ، ويذكره في موضعٍ آخرَ بٱسْمِهِ ، ويتوهَّم أنَّهما اثنان . وأمَّا مُسْلمٌ فقلَّما يقعُ[٣] له الغلَطُ ؛ لأنه كتب المقاطيع والمراسيل .

قال الخطيب[٤] : إنما قفا مسلم طريقَ البخاري ، ونظر في علمه ، وحذا حَذْوَه . ولما ورد البخاريُّ نيسابورَ في آخر أمره ، لازمه مسلم ، وأدام الاختلاف إليه[٥] .

وقد حدثني عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفيُّ ، قال : سمعت أبا الحسن الدَّارَقُطني يقول : لولا البخاريُّ ما ذَهَبَ مسلمٌ ولا جاء[٦] .

قال الخطيب[٧] : وأخبرني أبو بكر المنكَدِر[٨] ، حدثنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثني أبو نصر[٩] بن محمد الزراد ، سمعت أبا حامد أحمد بن حمدون القصّار ، سمعتُ مُسلمَ بن الحجَّاج ، وجاء إلى محمّد بن إسماعيل البخاريّ ، فقبَّل بين عينيه ، وقال : دَعْني حتى أقبِّل رجليك يا أستاذَ الأستاذِين ، وسيِّدَ المُحدِّثين ، وطبيبَ الحديث في علله ؛ حدثك محمد بن سلام ، حدثنا مَخْلَدُ بن يزيد الحراني ، حدثنا ابنُ جُرَيْج ، عن موسى بن عُقبة ، عن سُهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ

---

(١) جامع الأصول (١/ ١٨٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٥) ، وفي حاشية هذا الأخير رقم (٢) ما نصه : إن كان يُراد من هذا الخبر ما دوَّناه في صحيحيهما ففيه نظر ، لأنه قد فاتهما كثير من الأحاديث الصحيحة استدركها عليهما مَنْ ألَّف في الصحيح ، كابن خزيمة ، وابن حبان ، وغيرهما .

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٥) .

(٣) كذا في الأصول . وفي سير أعلام النبلاء : يقع له من الغلط في العلل ، لأنه كتب المسانيد ، ولم يكتب المقاطيع ولا المراسيل .

(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) .

(٥) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٧٢) .

(٦) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) ، جامع الأصول (١/ ١٨٨) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٧٠) .

(٧) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٦) .

(٨) هو أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن المنكدِر ، القرشي ، التيمي ، المدني ، المنكدري ، نزيل خراسان ، توفي سنة ٣١٤هـ عن نيف وثمانين سنة . سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٢) .

(٩) في تاريخ بغداد : أحمد بن محمد الوراق .

في كَفَّارة المجلس[١] ، فما عِلَّتُه ؟ فقال البخاري : هذا حديثٌ مَلِيح ، ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غيرَ هذا الحديث[٢] ، إلا أنَّه معلول[٣] ؛ حدثنا به موسى بن إسماعيل ، حدثنا وُهَيْب ، عن سُهَيْل ، عن عون بن عبد الله قَوْلَه ، قال البخاري : وهذا أولى ، فإنَّه لا يُعرف لموسى بن عقبة سماعٌ من سُهيل .

قلت : وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة ، وأوردت فيه طرقه وألفاظه ومتنه وعلله ، ولله الحمد والمنة .

قال الخطيب[٤] : وقد كان مسلم يناضل عن البخاري ، ثم ذكر ما وقع بين البخاري ومحمد بن يحيى الذهليِّ في مسألة اللفظ بالقرآن في نيسابور ، وكيف نُودي على البخاري بسبب ذلك بنيسابور ، وأنَّ الذُّهْليَّ قال يوماً لأهل مجلسه وفيهم مُسلم بن الحجَّاج : ألا مَنْ كان يقول بقول البخاري [في مسألة اللفظ][٥] فليعتزِلْ مجلسنا ؛ فنهض مسلم من فوره إلى منزله ، وجمع ما كان سمعه من الذُّهلي جميعَه وأرسل به إليه ؛ وترك الرواية عن الذُّهْلِيّ بالكلية ، فلم يَرْوِ عنه شيئاً ؛ لا في صحيحه ولا في غيره ، واستحكمت الوحشة بينهما . هذا ولم يتركه البخاريُّ ، بل روى عنه في صحيحه ، وعَذَرَه ، رحمه الله .

وقد ذكر الخطيب[٦] سبب موت مسلم رحمه الله أنَّهُ عُقد له مجلس للمذاكرة ، فسئل يوماً عن حديث لم يعرفه ، فانصرف إلى منزله ، فأوقَدَ السِّراج ، وقال لأهله : لا يدخل أحدٌ الليلة عليَّ ، وقد أُهدِيَتْ له سلَّة من تمرٍ ، فهي عنده يأكل تمرة ويكشف عن حديث ، ثم يأكل أخرى ويكشف عن حديثٍ آخر ، ولم يزل ذلك دأبه حتَّى أصبحَ وقد أكل تلك السلَّة وهو لا يشعر .

فحصل له بسبب ذلك ثقلٌ ومرضٌ من ذلك حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد ، ودُفن يوم الإثنين لخمس بَقِين من رجب سنة إحدى وستين ومئتين ، وذلك بنيسابور ، وكان مولده في السنة التي توفي فيها الشافعيُّ ، سنة أربع ومئتين ، وكان عمره سبعاً وخمسين سنة ؛ رحمه الله تعالى .

أبو يزيد البَسْطَامي[٧] : طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن عليّ ، أحدُ مشايخ الصّوفية ، وكان جده

---

(١) مضى تخريج الحديث في وفيات سنة ٢٥٦هـ .

(٢) صوابه : لا أعلم بهذا الإسناد في الدنيا غير هذا الحديث ، وهو المنقول عن البخاري لا قوله : لا أعلم في الدنيا في هذا الباب . فإن في الباب عدة أحاديث لا تخفى على البخاري ، وانظر (فتح الباري) للحافظ ابن حجر (١٣/ ٥٤٤) (ع) .

(٣) انظر التعليق عليه في الصفحة (٢٥٤) .

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٣٠ ـ ٣٢ و١٣/ ١٠٣) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٣ ـ ٤٦٠ و٥٧٢) .

(٥) زيادة من ظا ، ط .

(٦) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٣) ، تهذيب الكمال (لوحة ١٣٢٥) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٦٤) .

(٧) طبقات الصوفية (٦٧) ، حلية الأولياء (١٠/ ٣٣) ، صفة الصفوة (٤/ ١٠٧) ، المنتظم (٥/ ١٨) ، وفيات الأعيان (٢/ ٥٣١) ، سير أعلام النبلاء (٣/ ٨٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٤٣) .

مجوسياً فأسلم ، وكان لأبي يزيد أخوان صالحان عابدان ، وهو أجلُّ منهما ؛ وقد قيل له : بأيِّ شيءٍ وصلتَ إلى هذه المعرفة ؟ فقال : ببطنٍ جائعٍ ، وبدنٍ عارٍ .

وكان يقول : دعوْتُ نفسي إلى طاعة الله فلم تجبْني ، فمنعتها الماء سنةً .

وقال أيضاً : إذا نَظَرْتُم إلى الرجل قد أُعطِي من الكَرَامات حتَّى يرتفع في الهواء ، فلا تغْترُّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنَّهْي وحفظ الحدود وأداء الشريعة[١] .

قال القاضي ابن خلكان[٢] : وله مقامات كثيرة ، ومجاهدات مشهورة ، وكرامات ظاهرة . وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومئتين ؛ رحمه الله .

قلت : وقد حُكِي[٣] عنه كلمات فيها شطح ، وقد تكلَّم كثير من العلماء من الصوفيّة والفقهاء عليها ؛ فمِن متأوِّل على المحامِل البعيدة ، أو قائل : إن هذا قاله في حال الاصطلام[٤] والسُّكر ؛ ومن مبتدعٍ ومخطىء ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومئتين

فيها قدم يعقوب بن الليث في جحافِل ، فدخل واسط قهراً ، فخرج الخليفة المعتمد بنفسه من سامُرَّا لقتاله ، فتوسَّط بين بغداد وواسطَ ، فانتدب له أبو أحمد الموفّق بالله أخو الخليفة ، في جيشٍ عظيمٍ ، على ميمنته موسى بن بُغا ، وعلى ميسرته مسرور البلخيُّ ، فاقتتلوا في رجب من هذه السنة أياماً قتالاً عظيماً هائلاً ، ثم كانت الغلبة على يعقوب وأصحابه ، وذلك يوم عيد الشعانين ، فقتل منهم خلق كثيرون ، وغنم منهم أبو أحمد شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والمسك والدواب . ويقال : إنهم وجدوا في جيش يعقوب هذا راياتٍ عليها صلبان .

ثم انصرف المعتمد إلى المدائن ، ورَدَّ محمد بن طاهر إلى نيابة بغداد ، وأمر له بخمسمئة ألف درهم .

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٤٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٨) .

(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٥٣١) ، وجاء فيه : وكانت وفاته سنة إحدى وستين ، وقيل أربع وستين ومئتين .

(٣) في ط : وقد حكي عنه شطحات ناقصات ، وقد تأملها كثير من الفقهاء والصوفية ، وحملوها على محامل بعيدة . وقد قال بعضهم : إنه قال ذلك في حال الاصطلام والغيبة . ومن العلماء من بدَّعه وخطّاه ، وجعل ذلك من أكبر البدع ، وأنها تدل على اعتقادٍ فاسدٍ كامنٍ في القلب ، ظهر في أوقاته ، والله أعلم .

(٤) « الاصطلام » : الموت والانقطاع ، وهو هناك الغيبة .

وفيها : غلب يعقوب بن الليث على بلاد فارس ، وهرب ابنُ واصل منها .

وفيها : كانت حروب كثيرة بين صاحب الزَّنْج وجيش الخليفة .

وفيها : ولي القضاءَ عليُّ بن محمد بن أبي الشوارب .

وفيها : جمع للقاضي إسماعيل بن إسحاق قضاء جانبي بغداد .

وحَجَّ بالناس الفضلُ بن إسحاق العباسيّ .

قال ابن جرير(١) : وفيها وقع بين الحنَّاطين والخرَّازين(٢) بمكّة قتال ، فاقتتلوا يوم التَّروية أو قبلها بيوم ، فقتل منهم سبعة عشر نفساً ، وخاف الناس أن يفوتهم الحجُّ بسببهم ، ثم توادعوا إلى ما بعد الحجِّ.

وممن توفي فيها من الأعيان :

صالح بن عليّ بن يعقوب بن المنصور(٣) ، في ربيع الآخر منها .

وعُمَرُ بنُ شَبَّة النُّميريّ(٤) .

ومحمّد بن عاصم(٥) .

ويعقوب بن شَيْبَة(٦) ، صاحب المسند الحافل المشهور .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومئتين

فيها جرت حروبٌ كثيرة منتشرة في بلادٍ شتَّى ؛ فمن ذلك مقتلةٌ عظيمةٌ في الزَّنْج ، قبَّحهم الله ، حصرهم في بعض المواقف بعضُ الأمراء من جهة الخليفة ، فقتَلَ الموجودين عنده عن آخرهم ، ولله الحمدُ والمنّة .

---

(١) الطبري (٩/ ٥٢٦) .

(٢) في الطبري وابن الأثير : والجزارين .

(٣) له ذكر في الكامل لابن الأثير (٧/ ٢٢٩ ، ٣٠٥)

(٤) أبو زيد النميري البصري النحوي ، نزيل بغداد . الإخباري الحافظ الحجة ، صاحب التصانيف ، مستقيم الحديث ، صاحب أدب وشعر وأخبار ومعرفة بأيام الناس . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٦٩) ، تاريخ بغداد (١١/ ٢٠٨) .

(٥) محمد بن عاصم بن عبد الله ، أبو جعفر ، الأصبهاني ، العابد القدوة ، سمع سفيان بن عيينة وأبا أسامة وطبقتهما . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٧٧) ، العبر (٢/ ٢٥) .

(٦) أبو يوسف السدوسي البصري ثم البغدادي ، صاحب المسند الكبير ، العديم النظير ، المعلل ، الذي ما صنف أحد أكبر منه ، ولم يتمه ، تم من مسانيده نحو من ثلاثين مجلداً ، ولو كمُل لجاء في مئة مجلد . علامة ثقة . تاريخ بغداد (١٤/ ٢٨١) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧٦) .

وفيها : سلَّمت الصقالبةُ حصنَ لؤلؤة إلى طاغية الروم ، لعنه الله .

وفيها : تغلَّب أخو شركب الجمّال على نيسابور ، وأخرج منها عاملها الحسين بن طاهر ، وأخذ من أهلها ثلث أموالها مصادرةً ، قبَّحه الله .

وحجَّ بالناس فيها الفضلُ بن إسحاق العباسي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

مُسَاور بن عبد الحميد الشاري الخارجي[١] : وقد كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين ، والتفَّ عليه خلق من الأعراب وغيرهم ، وطالت مدَّتُه حتَّى قصمه الله .

ووزير الخلافة عبيد الله بن يحيى بن خاقان[٢] : صدمه في الميدان خادم ، يقال له : رشيق ، فسقط عن دابته على أمِّ رأسه ، فخرج دماغه من أذنيه وأنفه ، فمات بعد ثلاث ساعات ، وصلَّى عليه أبو أحمد الموفَّق بن المتوكل ، ومشى في جنازته ، وذلك يوم الجمعة لعشر خَلَوْن من ذي القعدة من هذه السنة . واستوزر من الغد الحسن بن مخلد ، فلمَّا قدم موسى بن بُغَا سامُرَّا عزلَه واستوزر مكانه سليمان بن وهب ، وسلِّمت دار عُبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الأمير المعروف بكَيْغَلَغ .

وأحمد بن الأزْهر[٣] .

والحسن بن أبي الرَّبيع[٤] .

ومعاوية بن صالح الأشعريّ[٥] .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومئتين

في المحرم منها عسكر أبو أحمد وموسى بن بُغَا بسامُرَّا ، وخرجا منها لليلتين مضتا من صفر ، وخرج

---

(١) الطبري (٩/ ٥٣٢) وما قبلها ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٣٠٩) وأماكن أخرى .

(٢) الطبري (٩/ ٥٣٢) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٣١٠) ، ومختصر ابن عساكر (١٦/ ١١) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٩) .

(٣) أحمد بن الأزهر بن منيع بن سليط ، أبو الأزهر العَبْدي النيسابوري ، محدث خراسان في زمانه . صدوق . تاريخ بغداد (٤/ ٣٩) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٦٣) .

(٤) الحسن بن يحيى بن الجعد العبدي الجرجاني ، نزيل بغداد ، حافظ صدوق .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٥٦) .

(٥) معاوية بن صالح بن الوزير بن يسار الأشعري ، أبو عبيد الله الأشعري الدمشقي ، حافظ مجوِّد . سأل يحيى بن معين وتخرج به . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٣) ، العبر (٢/ ٢٧) .

المعتمد لتوديعهما ، وسارا ، فلما سارا[١] إلى بغداد ، توفي الأمير موسى بن بُغَا بها ، وحُمِلَ إلى سامُرَّا ، ودُفِنَ بها .

وفيها : وُلِّي[٢] محمّد المولَّد واسطاً ؛ فحاربه سليمان بن جامع نائبُها من جهة الخبيث صاحبِ الزَّنْج ، فهزمه محمّد المولّد بعد حروب طويلة بينهما .

وفيها سار ابنُ الدَّيْرانيّ إلى مدينة الدِّينَوَر ، فاجتمع عليه دُلَف بن عبد العزيز بن أبي دُلَف وابنُ عياض ، فهزماه ونهبا أمواله ، ورجع[٣] مفلولاً .

ولما توفي موسى بن بُغا عزل الخليفة المعتمد الوزيرَ الذي كان من جهته وهو سليمان بن وهب[٤] ، وحبسه مقيّداً ، وأمر بنهب دوره ودور أقربائه ، وردَّ الحسن بن مخلد إلى الوزارة ، فبلغ ذلك أبا أحمد وهو ببغداد ، فسار بمن معه إلى سامُرَّا ، فتحصَّن منه أخوه المعتمد بجانبها الغربيّ ، فلمَّا كان يوم التّروية عبر جيش أبي أحمد إلى الجانب الذي فيه المعتمد ، فلم يكن بينهم قتالٌ ، بل اصطلحوا على ردِّ سليمان بن وهب إلى الوزارة ، وهَرَبَ الحسنُ بن مخلد ، فنهبت أمواله وحواصله ، واختفى أبو موسى ابن المتوكِّل ، ثم ظهر . وهرب جماعة من الأمراء إلى الموصل خوفاً من أبي أحمد[٥] .

وحجَّ بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشميّ الكوفيّ .

وممن توفي فيها من الأعيان .

أحمد بن عبد الرحمن بن وَهْب[٦] .

وإسماعيل بن يحيى المُزَني[٧] ، أحد رواة الحديث[٨] عن الشافعي ، من أهل مصر ، وقد ترجمناه في

---

(١) في ب : صارا وفي ط : وصلا .
(٢) في آ : وَلّى المعتمد المولَّد واسطاً .
(٣) في الطبري : ورجع إلى حُلوان مفلولاً . وتقرأ في ط والأصول مغلولاً .
(٤) في آ ، ط : سليمان بن حرب .
(٥) تاريخ الطبري (٩/ ٥٤٠ ـ ٥٤١) .
(٦) أبو عبيد الله المصري القرشيّ ، ولقبه بَحْشَل ، ابن أخي عالم مصر عبد الله بن وهب . حافظ محدث ، أكثر عن عمّه جداً ، وعن الشافعي وجماعة . صدوق ، له أحاديث مناكير ، وقد احتجَّ به مسلم . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣١٧) ، العبر (٢/ ٣٤) .
(٧) أبو إبراهيم ، تلميذ الشافعي ، فقيه المِلّة . كان زاهداً عابداً يغسّل الموتى حِسبة ، وصنَّف الجامع الكبير ، والجامع الصغير ، وتفقه عليه خلق . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢) ، العبر (٢/ ٢٨) .
(٨) في آ ، ب : الجديد .

طبقات الشافعيين[1] ، وترجمه ابن خلكان[2] في الوفيات أيضاً ، فأحسن وأطنب وأطيب .

وأبو زُرْعَة[3] : عُبَيْد الله بن عبد الكريم الرَّازي ، أحد الحفاظ المشهورين ، قيل : إنه كان يحفظ سبعمئة ألف حديث ، وكان فقيهاً ورعاً زاهداً عابداً خاشعاً متواضعاً ، أثنى عليه أهل[4] زمانه ، وشهدوا له بالتقدّم على أقرانه .

وكان في حال شبيبته إذا اجتمع بأحمد بن حنبل للمذاكرة ، يقتصر أحمد على الصَّلوات المكتوبات ، ولا يفعل المندوبات ، اكتفاءً بالمذاكرة .

وكانت وفاته يوم الإثنين سلخ ذي الحجة من هذه السنة ، وكان مولده سنة مئتين ، وقيل : سنة تسعين ومئة ، وقد ذكرنا ترجمته مبسوطة في التكميل .

ومحمد بن إسماعيل بن عُلَيَّة ، قاضي دمشق[5] .

ويُونس بن عبد الأعْلى الصَّدَفي المصريّ[6] ، ممن روى عن الشافعيّ أيضاً ؛ وقد ذكرناه في « التكميل » وفي « الطبقات » .

وقبيحة أمُّ المعتز[7] : إحدى حظايا المتوكل على الله ، جمعت من الجواهر واللآلىء والذهب والمصاغ ما لم يعهد لمثلها . ثم سُلِبت ذلك كلّه ، وقتل ولدها المعتزّ ، وشحَّتْ عليه بخمسين ألف دينار تداري بها عنه ، وكانت وفاتها في ربيع الأول من هذه السنة .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومئتين

فيها كانت وقعة بين ابن لَيثَوَيْهِ عامل أبي أحمد على جُنْبُلاء[8] ، وبين سليمان بن جامع ، ظفر فيها ابنُ ليثَوَيْهِ بابن جامع الذي من جهة الخبيث صاحبِ الزَّنْج ، فقتل خلقاً من أصحابه ، وأصاب منهم

---

(١) في ب ، ظا : الشافعية .

(٢) وفيات الأعيان (١/ ٢١٧ ـ ٢١٩) .

(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٢٦) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٩٩) ، المنتظم (٥/ ٤٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٥) ، العبر (٢/ ٣٤) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٤٧) .

(٤) في ب ، ظا : أئمة .

(٥) أبو بكر ، وأبو عبد الله ، قاضي دمشق ومفتيها ومحدثها ، حافظ ثقة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٩٤) .

(٦) أبو موسى ، المقرىء الحافظ المحدث ، قرأ القرآن على وَرْش صاحب نافع ، وكان من كبار العلماء في زمانه بمصر . تفقه على الشافعي ، ووثقه النسائي . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٤٨) ، العبر (٢/ ٣٥) .

(٧) الطبري (٩/ ٣٩٣) ، والمنتظم (٥/ ٤٨) .

(٨) « جُنْبلاء » : كورة وبليد ، وهو منزل بين واسط والكوفة . ياقوت .

سبعة وأربعين أميراً ، وحرق له مراكبَ كثيرة ، وغنم منهم أموالاً جزيلة ، ولله الحمد والمنة .

وفي المحرم من هذه السنة حاصر أحمد بن طولون نائبُ الديار المصرية مدينة أنطاكية ، وفيها سيما الطويل ، فأخذها فلم يزل [حتى افتتحها بعد حروب يطول ذكرها ، وقتل سيما المذكور ، وأقام بها حتى][١] جاءته هدايا ملك الروم ، وفيها جماعة أسارى من المسلمين ، مع كل أسيرٍ مصحف ، ومنهم عبد الله بن رشيد بن كاوس الذي كان عامل الثغور ، فاجتمع لأحمد بن طولون مُلْكُ الشام بكماله مع الدّيار المصرية ، لأنه لما مات نائبُ دمشق أماخور[٢] ركب ابن طولون من مصر فتلقاه ابن أماخور إلى الرملة ، فأقره عليه ، وسار إلى دمشق ، فدخلها ، ثم إلى حمص فتسلمها ، ثم إلى حلب فاستحوذ عليها ، ثم ركب إلى أنطاكية فكان من أمره ما فرغ من ذكره .

وكان أحمد بن طولون قد استخلف على الديار المصرية ابنَه العباس ، فلما بلغه قدومُ أبيه عليه ، أخذ ما كان في بيت المال من الحواصل ، ووازره جماعة على ذلك ، فصاروا إلى بَرْقة ، خارجاً عن طاعة أبيه ، فبعث إليه من أخذه ذليلاً حقيراً ، وردُّوه إلى مصرَ ، فحبسه ، وقتلَ جماعةً من أصحابه[٣] .

وفيها : خرج[٤] رجل يقال له : القاسم بن مهاة على دُلَف بن عبد العزيز بن أبي دُلَف العجلي ، فقتله ، واستحوذ على أصبهان . فانتصر أصحاب دُلَف له ، فقتلوا القاسم هذا ، ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز .

وفيها : لحق محمد المولَّد بيعقوب بن الليث ، فصار إليه في المحرم منها ، فأمر السلطان بنهب أمواله وحواصله وأملاكه وضياعه .

وفيها : دخل صاحبُ الزَّنج إلى النُّعْمَانِيَّة[٥] ، فقتل وحرق ، ثم سار إلى جَرْجَرَايا[٦] ، فانزعج الناس ، ودخل أهلُ السَّواد إلى بغداد ، فلجؤوا إليها محصورين .

وفيها : ولَّى أبو أحمد عمرَو بن الليث خراسان وفارس وأصبهان وسِجستان وكرمان والسند ، ووجّه إليها بذلك ، وبالخلع والتُّحف .

---

(١) من ب ، ظا .

(٢) في ب ، ظا : أباجور .

(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٢٤ـ٣٢٥) .

(٤) في ب ، ظا : وثب .

(٥) « النُّعْمانيّة » : بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة ، معدودة من أعمال الزاب الأعلى . ياقوت .

(٦) « جَرْجَرَايا » : بلد من أعمال النهروان الأسفل ، بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي . ياقوت .

وفيها : حاصرت الزَّنْج تُسْتَرَ[١] حتى كادوا يفتحونها ، فوافاهم تكين البخاريّ ، فلم يضع ثياب سفره حتَّى ناجز الزَّنْج فهزمهم هزيمة فظيعة منكرة جدّاً ، وقتل منهم خلقاً لا يحصون كثرة ، وهرب أميرُهم عليُّ بن أبان المهلبيّ مفْلولاً[٢] مخذولاً مدحوراً ؛ قال ابنُ جرير[٣] : وهذه وقعة مادمودك[٤] المشهورة .

ثم إن عليّ بن أبان المهلبيّ أخذ في مكاتبة تكين واستمالته إليه ، وإلى صاحب الزَّنج ، فشرع تكين في الإجابة إلى ذلك ، فبلغ مسروراً البلخيّ ، فسار نحوه ، وأظهر له الأمان حتى أخذه ، فقيَّده ، وتفرَّق جيشه عنه ، ففرقة صارت إلى الزَّنج ، وفرقة إلى محمد بن عبيد الله الكرديّ ، وفرقة انضافت إلى مسرور البلخيّ بعد إعطائه إياهم الأمان ، وولَّى مكانه على عمالته أميراً آخر يقال له : أغرتمش .

وحجَّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى العباسيّ .

توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن منصور الرَّماديّ[٥] ، راوية عبد الرزاق ، وقد صحب الإمام أحمد ، كان يُعدُّ من الأبدال ، عن ثلاث وثمانين سنة .

وسَعْدان بن نصر[٦] .

وعبد الله بن محمد المُخَرِّمي[٧] .

وعليّ بن حرب الطائي الموصلي[٨] .

وأبو حفص النَّيسابوريّ[٩] .

---

(١) « تُسْتَر » : مدينة كبيرة بخوزستان . ياقوت . .
(٢) في الأصول مغلولاً ، والمثبت من الطبري .
(٣) الطبري (٩/ ٥٤٦) .
(٤) في الطبري : باب كودك ، وفي الكامل لابن الأثير : باب كورك .
(٥) أحمد بن منصور بن سيّار بن المبارك البغدادي ، أبو بكر ، المعروف بالرَّمادي . حافظ ثقة . تهذيب الكمال (١/ ٤٩٢) .
(٦) سعدان بن نصر بن منصور ، أبو عثمان الثقفي البغدادي البزَّاز ، اسمه سعيد ، ولقب بسَعْدان ، محدّث صدوق ، من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٥٧) .
(٧) أبو محمد ، المحدّث الفقيه الورع . صدوق . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٥٩) .
(٨) أبو الحسن ، المحدث الثقة الأديب ، مسند وقته . من أبناء التسعين . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥١) .
(٩) عمرو بن سلم ، وقيل : عمر . وقيل : عمرو بن سلمة ، الزاهد ، شيخ خراسان . كان حداداً ، وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥١٠) .

وعليّ بن موفق الزاهد[١] .

ومحمد بن سَحْنون[٢] .

قال ابن الأثير في كامله[٣] :

وفيها : قُتِلَ أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشيّ ، صاحبُ أبي عبيدة والأصمعيّ ، قتلته الزَّنْج بالبصرة .

ويعقوب بن الليث الصَّفَّار[٤] : أحد الملوك العقلاء الأبطال ، فتح بلاداً كثيرة ؛ ومن ذلك بلد الرُّخَّج[٥] التي كان بها ملكٌ يُحمل في سرير من ذهب على رؤوس اثني عشر رجلاً ، وكان له بيت في رأس جبل عالٍ سمَّاه مكة ، فما زال حتَّى قتله وأخذ بلده ، وأسلم أهلُها على يديه ، ولكن كان قد خرج عن طاعة الخليفة وقاتله أبو أحمد الموفق كما تقدم .

ولما مات ولّوا أخاه عمرو بن الليث ما كان يليه أخوه يعقوب ، مع [شرطة][٦] بغداد وسامُرّا ، كما سيأتي .

ثم دخلت سنة ست وستين ومئتين

في صفر منها تغلَّب أساتكين على بلد الرَّيّ ، وأخرج عاملَها منها ، ثم مضى إلى قَزْوين ، فصالحه أهلُها [فدخلها][٧] وأخذ منها أموالاً جزيلة ، ثم عاد إلى الرّيّ ، فمانعه أهلُها عن الدخول إليها ، فقاتلهم ودخلها قهراً .

وفيها : أغارت سريّة من الرّوم على ناحية دِيار ربيعة ، فقتلوا ومثَّلوا ، وسلبوا نحواً من مئتين وخمسين

---

(١) علي بن الموفق العابد ، أبو الحسن . حدث عن منصور بن عمار وأحمد بن أبي الحواري ، وكان ثقة . المنتظم (٥/ ٥٣) .

(٢) أبو عبد الله ، ابن فقيه المغرب عبد السلام سَحنون ، القيرواني ، شيخ المالكية . تفقَّه بأبيه . كان محدثاً بصيراً بالآثار ، واسع العلم ، متحرّياً متقناً ، علاَّمة كبير القدر وكان يناظر أباه . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٠) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٢٨) .

(٤) وفيات الأعيان (٦/ ٤٠٢) ، العبر (٢/ ١٩) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥١٣) ، شذرات الذهب (٢/ ١٥٠) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ١٨٤ و١٩١) .

(٥) في آ ، ظا : الزنج ، وفي ط : الرجح ، وأثبت ما جاء في الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٢٦) . وهي كورة ومدينة من نواحي كابل ، كما في معجم البلدان لياقوت .

(٦) زيادة من ب ، ظا ، ط .

(٧) زيادة من ب ، ط ، وفي ظا : فدخل .

أسيراً ، فنفر إليهم أهلُ نَصيبين وأهلُ الموصل ، فهربت منهم الرّوم ورجعوا إلى بلادهم ، لعنهم الله .

وفيها : ولّى عمرو بن الليث شرطة بغداد وسامُرّا لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وبعث إليه أبو أحمد بالخلعة ، وخلع عليه عمرو بن الليث أيضاً ، وأهدى إليه عمودين من ذهب ، وذلك مضافاً إلى ما كان أخوه يليه من البلدان .

وفيها : سار أغرتمش لقتال عليّ بن أبان المهلبيّ ، فاجتاز[١] بِتُسْتَر ، فأخذ من كان في السّجن من أصحاب عليّ بن أبان المهلبيّ من الأمراء ، فقتلهم عن آخرهم ، ثم سار إلى عليّ بن أبان ، فاقتتلا قتالاً شديداً في مرّات عديدة ، كانت آخراً لعليّ بن أبان المهلبيّ ، قتل خلْقاً من أصحاب أغرتمش ، وأسر بعضهم فقتلهم، وبعث برؤوسهم إلى الخبيث صاحب الزّنج، فنصب رؤوسهم على سور مدينته، قبّحه الله.

وفيها : وثب أهلُ حمص على عاملهم عيسى الكرخيّ ، فقتلوه في شوّال منها .

وفيها : دعا الحسنُ بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن حسن الأصغر العقيقيُّ أهلَ طبرستان إلى نفسه ، وأظهر لهم أن الحسن بن زيد قد أُسِر ، ولم يبقَ مَنْ يقوم بهذا الأمر غيرُه ، فبايعوه .

فلمّا بلغ ذلك الحسن بن زيد قصده ، فقاتله فقتله ، ونهب أموال من اتّبعه وحرق دورهم .

وفيها : وقعت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفريّة والعَلَويّة ، وتغلب عليها رجل[٢] من أهل البيت من سلالة الحسن بن زيد الذي تغلّب على طَبَرستان ، وجرت شرور كثيرة هنالك بسبب قتل[٣] الجعفريّة والعَلَويّة ، يطول ذكرها[٤] .

وفيها : وثبت طائفة من الأعراب على كُسوة الكعبة ، فانتهبوها . وصار[٥] بعضها إلى صاحب الزّنج ، وأصاب الحجيجَ منهم شدّة عظيمةٌ ، وبلاءٌ شديد .

وفيها : أغارت الروم أيضاً على ديار ربيعة .

وفيها : دخل أصحابُ صاحب الزّنج إلى رَامَهُرْمُز ، فافتتحوها بعد قتال طويل .

وفيها : دخل ابنُ أبي الساج مكّة ، فقاتله ابن المخزومي[٦] ، فقهره ابنُ أبي الساج ، وحرق داره ، واستباح أمواله ، وذلك يوم التروية من هذه السنة .

وقد جعل إلى ابن أبي الساج إمرة الحرمين من جهة الخليفة .

---

(١) في آ : فأجاز تستر .
(٢) هو أبو القاسم أحمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد ، ابن عم الحسن بن زيد صاحب طبرستان . الطبري (٩/ ٥٥٣).
(٣) في ب ، ظا : قتال .
(٤) انظر تاريخ الطبري (٩/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣) .
(٥) في آ ، ط : وسار .
(٦) في آ : المخرمي .

وحجَّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد المتقدّم ذكره قبلها .

وفي هذه السنة عمل محمد بن عبد الرحمن الداخل ـ خليفةُ الأندلس وبلاد المغرب ـ مراكبَ في نهر قُرطُبة ؛ ليدخل بها إلى البحر المحيط ، لتسير الجيوش في أطرافه إلى بعض البلدان ليقاتلوهم ، فلمّا دخلت المراكبُ البحرَ المحيط تكسَّرت وتقطَّعت ولم ينجُ من أهلها إلا اليسير ، وغرق أكثرهم[١] .

وفيها : التقى أسطول المسلمين وأسطول الروم ببلاد صِقِلِّيَة ، فاقتتلوا ، فقتل من المسلمين خلق كثير ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : حارب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون لموسى بن أتامش فكسر جيشه ، وأسره لؤلؤ ، وبعث به إلى مولاه أحمد بن طولون نائب الشام ومصر وإفريقية من جهة الخليفة . ثم اقتتل لؤلؤ هذا وطائفة من الرّوم فقتَلَ من العدوّ خلقاً كثيراً .

قال ابن الأثير[٢] : وفيها : اشتدَّ الحال وضاق الناس ذرعاً بكثرة الهيج ، وتغلَّب القواد والأجناد على كثير من البلاد بسبب ضعف الخليفة المعتمد على الله ، واشتغال أخيه أبي أحمد بقتال الزّنج .

قال[٣] : وفيها : اشتدَّ الحرُّ في تشرين الثاني جدّاً ، ثم قوي به البرد حتّى جَمَدَ الماء .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن أورمَة[٤] .

وصالح ابن الإمام أحمد[٥] ، قاضي أصبهان .

ومحمّد بن شُجَاع الثَّلْجي[٦] ، أحدُ [عبَّاد][٧] الجهميّة .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٣٤) .
(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٣٦) .
(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٣٦) .
(٤) أبو إسحاق الأصبهاني ، الحافظ البارع ، أحد الأذكياء المحدّثين . روى عنه ابن أبي الدنيا وآخرون . ثقة نبيل . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٤٥) ، والعبر (٢/ ٣٢) .
(٥) صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو الفضل الشيباني البغدادي ، قاضي أصبهان ، المحدث الحافظ الفقيه ، سمع أباه ، وتفقَّه عليه . صدوق ، ثقة . وهو أكبر إخوته .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٢٩) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٧٣) .
(٦) في الأصول : البلخي ، وهو محمد بن شجاع ، أبو عبد الله ، البغدادي الحنفي ، ويعرف بابن الثَّلْجي . من بحور العلم ، كان صاحب تعبد وتهجّد وتلاوة . قال أحمد بن حنبل : الثلجي متبوع صاحب هوى . متروك الحديث ، مات وله خمس وثمانون سنة . المنتظم (٥/ ٥٧) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٧٩) . .
(٧) من ب ، ظا ، ط .

ومحمد بن عبد الملك الدَّقِيقيُّ[١] .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومئتين

فيها وجَّه أبو أحمد الموفّق ولده أبا العباس في نحوٍ من عشرة آلاف فارس وراجلٍ في أحسن هيئة وأكمل تجمّل ؛ لقتال الزَّنج ، فساروا نحوهم ، فكان بينهم من القتال والنزال في أوقات متعددات ووقَعات مشهورات ما يطول بسطه، وقد استقصاه الإمام أبو جعفر ابنُ جرير، رحمه الله، في « تاريخه »[٢] مبسوطاً.

وحاصل ذلك : أنه آل الحال وانتهى الحرب والجدال إلى أن استحوذ أبو العباس بن الموفّق على ما كان استولى عليه الزَّنج ببلاد واسط وأراضي دِجْلة ، هذا وهو شاب حَدَث لا خبرة له بالحرب ، ولكن سلَّمه الله وغنَّمه وأعلى كلمته ، وسدَّد رميته ، وأجاب دعوته ، وفتح على يديه ، وأسبغ نعمه عليه ، وهذا الشاب هو الذي ولي الخلافة بعد عمِّه المعتمد ، ولقب بالمعتضد ، كما سيأتي .

ثم ركب أبو أحمد الموفّق ناصرُ دين الله من بغداد في صفر من هذه السنة في جيوش كثيفة ، فدخل واسط في ربيع الأول منها ، فتلقاه ابنه فأخبره عن الجيوش[٣] الذين معه ، وما تحمَّلوا من أعباء الجهاد ، فخلع عليه وعلى الأمراء كلِّهم خِلَعاً سنيّةً ، ثم سار بجميع الجيوش إلى صاحب الزَّنج وهو بالمدينة التي أنشأها وسمَّاها المنيعة ، فقاتلوا دونها قتالاً شديداً[٤] ، فقهرهم ، ودخلها عنوةً ، وهربوا منها ، فبعث[٥] في آثارهم جيشاً ، فلحقوهم إلى البطائح يقتلون ويأسرون . وغنم أبو أحمد من المدينة شيئاً كثيراً ، واستنقذ من النساء المسلمات خمسةَ آلاف امرأةٍ ، وأمر بإرسالهن إلى أهاليهن[٦] بواسط ، ثم أمر بهدم سور البلد ، وطمَّ خندقها وجعلها بَلْقَعاً[٧] بعدما كانت للبشر[٨] مجمعاً ، وعادت يباباً[٩] بعدما كانت للخبيث جَنَاباً .

---

(١) أبو جعفر الواسطي الدَّقيقي ، محدّث حجة ، سمع يزيد بن هارون وغيره . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٨٢) ، العبر (٢/ ٣٤) .

(٢) الطبري (٩/ ٥٥٧) وما بعدها .

(٣) في ب ، ظا : الجيش الذي .

(٤) في آ : عظيماً .

(٥) في آ : فبعثوا .

(٦) في ب ، ظا : أماكنهن .

(٧) أي قفراً .

(٨) في ط : للشر .

(٩) « اليباب » : الخراب . و« الجَنَاب » : الكَنَف والمحلة .

ثم سار الموفّق إلى المدينة التي يقال لها : المنصورة ، من إنشاء الزَّنج أيضاً ، بها سليمان بن جامع ، فحاصرها ، وقاتلوه دونها ، فقُتِلَ خلْقٌ كثير من الفريقين ، ورَمَى أبو العباس بن الموفّق أحمد بن هندي بسهمٍ ، فأصابه في دماغه فقتله ، وكان من أكابر أمراء صاحب الزَّنج ، فشقَّ ذلك عليه جدّاً ، وأصبح الناس محاصرين مدينة الزَّنْج ، وذلك يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر ، والجيوش الموفَّقيَّة مرتَّبة أحسن الترتيب ، فتقدَّم الموفَّق ، فصلَّى أربع ركعات ، وابتهل إلى الله في الدعاء ، واجتهد في حصارها ، فهزم اللهُ مقاتلتها ، وانتهى إلى خندقها فإذا هو قد حُصِّن غاية التحصين ، وإذا قد جعلوا حول البلد خمسة خنادق وخمسة أسوار ، فجعل كلَّما جاوز سوراً قاتلوه دون الآخر ، فيقهرهم ويجوز إلى الذي يليه ، حتى انتهى إلى البلد فقتل منهم خلْقاً كثيراً ، وهرب بقيَّتُهم ، وأسر من نساء الزَّنج ومن حلائل سليمان بن جامع وذويه نساءً[١] كثيراً وصبياناً ، واستنقذ من أيديهم من النساء المسلمات والصبيان من أهل البصرة والكوفة [وواسط][٢] نحواً من عشرة آلاف نسمة ، فسيَّرهم إلى أهاليهم ، جزاه[٣] الله خيراً .

ثم أمر بهدم فنادقها وأسوارها وردم خنادقها وأنهارها ، وأقام بها سبعة عشر يوماً ، وبعث في آثار من انهزم من الزَّنج ، فكان لا يؤتى بأحدٍ منهم إلا استماله إلى الخير برفقٍ ولينٍ وصفحٍ ، وأضافه إلى بعض الأمراء ، وكان مقصوده رجوعهم إلى الحقّ .

ثم ركب إلى الأهواز ، فأجلاهم عنها ، وطردهم منها ، وقتل خلْقاً كثيراً من أشرافهم ؛ منهم : أبو عيسى محمد بن إبراهيم البصري ، وكان رئيساً فيهم مطاعاً . وغنم شيئاً كثيراً من أموالهم ، وكتب الموفّق إلى صاحب الزَّنج ـ قبَّحه الله ـ كتاباً يدعوه إلى التوبة والإنابة مما ارتكبه من المآثم والمظالم والمحارم ودعوى النبوّة والرسالة وخراب البلدان واستحلال الفروج والأموال ، ويبذل له الأمان إن هو رجع إلى الحقّ ، فلم يردّ عليه صاحبُ الزَّنج جواباً .

ذكر مسيرة أبي أحمد الموفّق إلى المدينة التي فيها صاحب الزَّنج وهي المختارة ليحاصرها

لمَّا كتب أبو أحمد إلى صاحب الزَّنْج يدعوه إلى الحقّ فلم يجبه ، استهانةً به ، ركب في جيوشٍ عظيمةٍ قريب من خمسين ألف مقاتل ، قاصداً إلى مدينته التي أنشأها وسمَّاها المختارة ، فلما انتهى إليها وجدها في غاية الإحكام ، وقد حوط عليها من آلات الحصار شيئاً كثيراً ، وقد التفَّ على صاحب الزَّنج

---

(١) في آ : شيئاً كثيراً .
(٢) زيادة من ب ، ظا .
(٣) في آ : جزاهم .

نحو من ثلاثمئة ألف مقاتل بسيفٍ ورمحٍ ومقلاعٍ ، ومن يكثر سوادهم ، فقدَّم الموفّق ولدَه أبا العباس بين يديه ، فتقدَّم حتى وقف تحت قصر الملك ، فحاصره محاصرة لم ير مثلها ، وتعجبت الزَّنج من إقدامه وجرأته مع صغر سنه وحداثة عمره ، فتراكمت الزنوج عليه من كلِّ مكان ، فهزمهم ، وأثبت بهبوذ أكبر أمرائه بالسهام والحجارة ، ثم خامرت[1] جماعة من أمراء صاحب الزَّنج وأجناده إلى الموفّق ، فأكرمهم وأعطاهم خِلَعاً سنية ، فرغب إلى ذلك جماعة كثيرون منها ، فصاروا إليه .

وركب أبو أحمد في يوم النصف من شعبان ونادى في الناس كلِّهم بالأمان إلا صاحب الزَّنج ، فتحوَّل خلْق من جيشه إلى أبي أحمد ، ولله الحمد .

وابتنى الموفّق تجاه مدينة صاحب الزَّنج مدينة سمَّاها الموفَّقيَّة ، وأمر بحمل الأمتعة والتجارات إليها ، فاجتمع بها من أنواع الأشياء وصنوفها ما لم يجتمع في بلدٍ قبلها ، وعظم شأنها . وإنَّما بناها ليستعين بها على قتال صاحب الزَّنج ، ثم جرت بينهم حروب عظيمة ، وما زالت الحرب ناشبةً بينهم حتَّى انسلخت هذه السنة وهم محاصرون [لبلد][2] الخبيث ومن فيه ، وقد تحول منهم خلْق كثير فصاروا على صاحب الزَّنج بعد أن كانوا معه ، بلغ عددهم قريباً من خمسين ألفاً من الأمراء الخواص والأجناد ، والموفَّق وأصحابه ولله الحمد في ازدياد وقوة وظفر ونصر .

وحجَّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي .

ومممن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل بن سَمُّويَه[3] .

وإسحاق بن إبراهيم ، شاذان[4] .

وبحر[5] بن نَصْر الخَوْلانيّ .

وعباس التُّرْقُفي[6] .

---

(١) « خامرت » : خالطت وقاربت .

(٢) من ب ، ظا .

(٣) إسماعيل بن عبد الله بن مسعود ، أبو بِشر العَبْدي الأصبهاني ، سَمُّويَه ، صاحب الأجزاء الفوائد التي تنبىء بحفظه وسعة علمه ، ثقة صدوق . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠) ، العبر (٢/ ٣٥) .

(٤) أبو بكر، النهشلي، الفارسي ، شاذان ، محدث ، وثقه ابن حِبَّان . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٨٢) ، العبر (٢/ ٣٥).

(٥) في الأصول والمطبوع : يحيى . وهو بحر بن نَصْر بن سابق الخولاني مولاهم المصري ، أبو عبد الله . محدّث ثقة . تهذيب الكمال (٤/ ١٦) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٠٢) .

(٦) عباس بن عبد الله بن أبي عيسى الباكُسائي التُّرْقُفي ، محدث حجة أحد الرحَّالين في السُّنن ، ثقة صالح عابد . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٢) ، واللباب (١/ ١١٢) .

ومحمد بن حماد بن بكر بن حماد أبو بكر المقرىء[١] ، صاحب خلف بن هشام البزار ، ببغداد ، في ربيع الأول .

ومحمد بن عُزَيز الأيلي[٢] .

ويحيى بن محمد بن يحيى الذُّهْليّ ، حَيْكان[٣] .

ويونُس بن حَبيب[٤] ، راوي مسند أبي داود الطيالسيّ عنه .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومئتين

في المحرم منها استأمن جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجَّان ـ وكان من أكابر أمراء صاحب الزَّنج وثقاتهم في أنفسهم ـ ففرح به الموفّق ، وخلع عليه وأمَّره ، فركب في سمريه ، فوقف تجاه قصر الملك ، فنادى في الناس وأعلمهم بكذب صاحب الزَّنج وفجوره ، وأنه في غرورٍ هو ومَن اتبعه ، فاستأمن بسبب ذلك بشرٌ كثيرٌ منهم ، وبرد قتال الزَّنج إلى ربيع الآخر ، فعند ذلك أمر الموفّق أصحابَه بمحاصرة السور ، وأمرهم إذا نقبوه أن لا يدخلوا البلد حتى يأمرهم ، فنقبوا البلد ، وانثلم السور ، وعجلوا فدخلوا ، فقاتلهم الزَّنج فهزمهم المسلمون ، وتقدَّموا إلى وسط المدينة ، فجاءتهم الزَّنج من كلِّ جانب ، وخرجت الكمناء من أماكن لا يهتدون إليها ، فقتلوا من المسلمين خلْقاً واستلبوهم ، وفرَّ الباقون ، فلامهم أبو أحمد على مخالفته في[٥] العجلة ، وأجرى الأرزاقَ على ذريَّة مَن قُتِلَ منهم ، فحسن ذلك عند الناس جدّاً .

---

(١) سمع يزيد بن هارون وغيره . وكان أحد القراء المجودين ومن العباد الصالحين ، وكان أحمد بن حنبل يجلّه ويكرمه ويصلي خلفه شهر رمضان وغيره . المنتظم (٥/ ٦١) .

(٢) محمد بن عُزَيز بن عبد الله بن زياد ، الأيلي ، أبو عبد الله العقيلي . روى عنه النسائي وابن ماجه وأبو داود في غير السنن . قال ابن أبي حاتم : كان صدوقاً . توفي بأيلة . تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤٤) .

(٣) أبو زكريا ، الحافظ المجوّد الشهير ، إمام أهل الحديث بنيسابور . قال الحاكم : هو إمام نيسابور في الفتوى والرئاسة ، وابن إمامها ، وأمير المطَّوِّعة المجاهدين بخراسان بلا مدافعة . قتله أحمد الخُجُسْتاني ظلماً لكونه قام عليه ، وحاربه لاعتدائه وخسفه . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٨٥) ، تهذيب التهذيب (١١/ ٢٧٦) .

(٤) أبو بشر العجليّ ، مولاهم ، الأصبهاني . روى عن أبي داود الطيالسيّ « مسنداً » في مجلد كبير . قال بعضهم : كان يونس محتشماً ، عظيم القدر بأصبهان ، موصوفاً بالدّين والصيانة والصلاح . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٦) ، العبر (٢/ ٣٧) .

(٥) في آ : من .

وظفر أبو العباس بجماعةٍ من الأعراب وغيرهم كانوا يجلبون الطعام إلى الزَّنج فقتلهم ، وظفر ببهبوذ بن عبد الوهاب فقتله ، وكان ذلك من أكبر الفتح عند المسلمين ، وأعظم الرزايا عند الزَّنج ، ولله الحمد .

وبعث عمرو بن الليث إلى أبي أحمد الموفّق ثلاثمئة ألف دينار وخمسين مَنّاً[١] من مسكٍ ، وخمسين مَنّاً من عنبر ، ومئتي مَنٍّ عوداً ، وفضة بقيمة مئة ألف دينار ، وثياباً من وشي ، وغلماناً كثيرة جداً[٢] .

وخرج ملك الروم المعروف بابن الصّقْلبيّة ، فحاصر أهل مَلَطْيَة ، فأعانهم أهلُ مَرْعش[٣] ، ففرَّ الخبيث خاسئاً .

وغزا الصائفة من ناحية الثغور[٤] عاملُ ابن طولون ، فقتل من الرّوم سبعة[٥] عشر ألفاً .

وحجَّ بالناس فيها هارون بن محمد الهاشمي .

وقتل أحمد بن عبد الله الخُجُسْتانيّ[٦] .

وتوفي فيها من الأعيان :

أحمد بن سيَّار[٧] .

وأحمد بن شَيبان[٨] .

وأحمد بن يونس الضَّبِّي[٩] .

---

(١) « المَنُّ » : مكيال بوزن فيه رطلان بغداديان . ويعادل : ٨١٦ غراماً .

(٢) تاريخ الطبري (٩/ ٦٠٦) .

(٣) في الطبري : أهل مرعش والحَدَث .

(٤) الطبري : الثغور الشامية .

(٥) الطبري : بضعة عشر .

(٦) قتله غلام له في ذي الحجة ، كما في تاريخ الطبري (٩/ ٦١٢) .

(٧) أحمد بن سيَّار بن أيوب بن عبد الرحمن المَرْوَزيّ ، أبو الحسن . إمام أهل الحديث في بلده علماً وأدباً وزهداً وورعاً ، وكان يقاس بعبد الله بن المبارك في عصره . وهو أحد من أدخل فقه الشافعي على خراسان ، أخذه عن الربيع وغيره .
تهذيب الكمال (١/ ٣٢٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٠٩) ، تهذيب التهذيب (١/ ٣٥) .

(٨) أحمد بن شيبان بن الوليد بن حيَّان ، أبو عبد المؤمن الرَّملي ، المحدّث الكبير الصدوق ، وثقه الحاكم .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٤٦) .

(٩) أحمد بن يونس بن المسيّب بن زهير بن عمرو ، أبو العباس الضَّبِّي الكوفي ، المحدّث القدوة . مات بأصبهان ، وكان من جلّة المسندين بها . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٥) .

وعيسى بن أحمد البَلْخي[١] .

ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصريّ[٢] ، الفقيه المالكي ، وقد صحب الشافعيَّ وروى عنه .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومئتين

في هذه السنة اجتهد الموفق وفقه الله ، في تخريب سور مدينة صاحب الزَّنْج ، فخرب منه[٣] شيئاً كثيراً ، وتمكن الجيوش من العبور إلى البلد ، ولكن جاءه في أثناء هذه الحالة سهمٌ في صدره من يد رجلٍ رومي يقال له : قرطاس ، فكاد يقتله ، ولكن اضطرب لذلك وهو يتجلّد ، ويحضر القتال مع ذلك ، وأقام ببلده الموفّقية أياماً يتداوى ، واضطربت الأحوال وخاف الناس جدّاً من صاحب الزَّنْج ، وأشاروا على الموفّق بالمسير إلى بغداد ، فلم يقبل ، وقويت علَّته ، ثم منَّ الله عليه بالعافية في شعبان ، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، فنهض مسرعاً إلى الحصار ، فوجد الخبيثَ قد رمَّم كثيراً مما كان هدم الموفّقُ ، فأمر بتخريبه وما حوله وما قرب منه ، ثم لازم الحصار ، وما انفك حتَّى فتح المدينة الغربية ، وخرّب قصور صاحب الزَّنج ودورَ أمرائه ، واستلب من أموالهم شيئاً كثيراً مما لا يُحدُّ ولا يوصف كثرةً ، وأسر من نساء الزَّنج ، واستنقذ من نساء المسلمين وصبيانهم خلْقاً كثيراً ، فأمر بردّهم إلى أهاليهم مكرمين ، وقد تحوَّل صاحبُ الزَّنج إلى الجانب الشرقيّ ، وعمل الجسر والقناطر الحائلة بينه وبين وصول السمريات إليه ، فأمر الموفّقُ بتخريبها وقطع الجسور ، واستمرَّ الحصار في هذه السنة ، وما برح حتَّى تسلَّم الجانب الشرقيّ ، واستحوذ على حواصله وأمواله ، وفرَّ الخبيثُ ذاهباً وكرَّ هارباً ، وترك حلائله وأولاده وحواصله ، فأخذها الموفّق ولله الحمد والمنة ، وشرحُ ذلك كلّه يطول جدّاً ؛ وقد حرره مبسوطاً ابنُ جرير[٤] ، ولخَّصه ابنُ الأثير[٥] ، واختصره ابن كثير[٦] ، والله الموفّق للصواب وإليه المرجع والمآب .

ولما رأى الخليفة المعتمد أن أخاه قد استحوذ على أمور الخلافة وصار هو الحاكم الآمر الناهي ،

---

(١) عيسى بن أحمد بن عيسى بن وردان ، أبو يحيى البغدادي ، ثم البَلْخي العسقلاني ، المحدّث الثقة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٨١) .

(٢) أبو عبد الله ، عالم الديار المصرية في عصره مع المزني ، من أصحاب مالك ، تفقَّه به ، ولزمه مدَّة . له تصانيف كثيرة ، منها كتاب في الرد على الشافعي . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٧) .

(٣) في آ : منها .

(٤) انظر تاريخ الطبري (٩/ ٦١٤ ـ ٦٢٠ و٩/ ٦٢٢ ـ ٦٥٢) .

(٥) الكامل (٧/ ٣٧٤ ـ ٣٩٣) .

(٦) يعني نفسه .

الذي إليه تجلب الأموال ويحمل الخراج ، وهو الذي يولِّي ويعزل ، كتب إلى أحمد بن طولون يشكو إليه ذلك ، فكتب إليه أن يتحوَّل إلى عنده ببلاد مصر ، ووعده النصر والقيام معه . فاستغنم غيبة أخيه الموفّق ، وركب في جمادى الأولى ومعه جماعة من القواد ، وقد أرصد له أحمد بن طولون جيشاً بالرقة يتلقَّونه ، فلمَّا اجتاز الخليفةُ بإسحاق بن كنداج نائب الموصل وعامة الجزيرة اعتقله عنده عن المسير ، وقيَّد أعيان الأمراء الذين معه ، وعاتَبَ الخليفة ولامَهُ على هذا الصّنيع أشدَّ اللوم ، ثم ألزمه العَودَ إلى سامُرّا ومَنْ معه من الأمراء ، فرجعوا إليها في غاية الإهانة والمذلَّة .

ولمَّا بلغ ذلك الموفّق شكر سعي إسحاق ، وولاه جميعَ أعمال أحمد بن طولون إلى أقصى بلاد إفريقية ، وكتب إلى أخيه أن يلعن ابن طولون في دار العامّة ، فلم يمكن المعتمد إلا إجابته إلى ذلك ، وهو كاره ، وكان ابن طولون قد قطع من الخطبة ذكر الموفّق ، وأسقط اسمه عن الطرازات .

وفي ذي القعدة وقعت فتنة بمكّة بين أصحاب الموفّق وأصحاب ابن طولون ، فقُتِلَ من أصحاب ابن طولون مئتان وهرب بقيتهم ، واستلبهم أصحاب الموفّق شيئاً كثيراً[١] .

وفي هذه السنة قطع الأعراب على الحجيج الطريقَ وأخذوا منهم خمسةَ آلاف بعير بأحمالها .

وفيها توفي :

إبراهيم بن مُنْقِذ الكِناني[٢] .

وأحمد بن خلاد[٣] ، مولى المعتصم ، وكان من دعاة المعتزلة ، أخذ الكلام عن جعفر بن معشر المعتزلي .

وسليمان بن حفص المعتزلي[٤] ، صاحب بشر المَرِيسيّ ، وأبي الهُذَيل العلاف .

وعيسى بن الشيخ بن السّليل الشيباني[٥] ، نائب إرمينية ، وديار بكر .

وأبو فروة يزيد بن محمد الرُّهاوي ، أحد الضعفاء[٦] .

---

(١) تفصيل ذلك في الطبري (٩/ ٦٥٢) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٣٩٤) .

(٢) أبو إسحاق الخولاني مولاهم ، المصري العُصْفري ، من أصحاب ابن وهب ، وكانت كتبه قد احترقت وبقيت منها بقية ، فحدث بما بقي . وهو ثقة . المنتظم (٥/ ٦٧) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٠٣) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٩٨) وفيه : أحمد بن مخالد أخذ الكلام عن جعفر بن مبشر .

(٤) الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٩٨) ، وفيه : سلمان بن حفص بن أبي عصفور الإفريقي ، وكان معتزلياً يقول بخلق القرآن ، وأراد أهل القيروان ، فسلم ذلك ، وصحب بشراً المَرِيسي وأبا الهُذيل وغيرهما من المعتزلة .

(٥) كان غلب على دمشق أيام المهتدي وأوّل أيام المعتمد ، فجاء عسكر المعتمد ، فالتقاهم ابنه ووزيره فهزموا ، وقتل ابنه وصلب وزيره ، وهرب عيسى ، ثم استولى على آمد وديار بكر مدة . العبر (٢/ ٤٧) .

(٦) هو يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان ، المحدث ، سمع أباه والحسن بن موسى الأشيب وطائفة . قال ابن =

سنة سبعين ومئتين من الهجرة

فيها كان مقتل صاحب الزَّنج قبّحه الله ؛ وذلك أن الموفَّق لمَّا فَرَغَ من شأن مدينة صاحب الزَّنج المختارة ، واحتاز ما كان بها من الأموال ، وقتل من كان بها من الرجال ، وسبَى مَن وجد فيها من النساء والأطفال ، وقد هرب الخبيث عن حومة الجلاد والنزال ، وسار إلى بعض البلاد طريداً شريداً بشرِّ حال ، عاد الموفَّق وفقه الله ، إلى مدينته الموفّقية مؤيداً منصوراً ، وقدم عليه لؤلؤ غلامُ أحمد بن طولون منابذاً لسيده ، سامعاً مطيعاً لأبي أحمد الموفّق ، فكان وروده عليه في ثالث المحرم من هذه السنة ، فأكرمه وعظَّمه ، وأعطاه وخلع عليه وأحسن إليه ، وبعثه طليعة بين يديه لقتال صاحب الزَّنج ، وركب هو في الجيوش الكثيفة الهائلة وراءه ، فقصد الخبيثَ وقد تحصَّن ببلدة أخرى ، فلم يزل به محاصراً له حتى أخرجه منها ذليلاً وهو صاغر ، واستحوذ هو على ما كان بها من الأموال والمغانم ، ثم بعث السّرايا وراءه ، فأسروا عامّةَ مَنْ كان قد صحبه من خاصته وجماعتهم ؛ منهم سليمان بن جامع ، فاستبشر الناس بأسره ، وكبَّروا فرحاً بالنصر والفتح ، وحمل الموفَّق بمن معه حملة واحدة على أصحاب الخبيث ، فاستحرَّ فيهم القتل ، وما انجلت الحرب حتى جاءه البشير بقتل الخبيث صاحبِ الزَّنج في المعركة ، وأتي برأس الخبيث مع غلام للؤلؤ ؛ فتى أحمد بن طولون ، فلمَّا تحقق الموفَّق أنه رأسه ، بعد شهادة الأمراء الذين كانوا من أصحابه بذلك ، خرَّ لله عزَّ وجلَّ ساجداً ، ثم انكفأ راجعاً إلى الموفَّقيَّة ، ورأسُ الخبيث يُحمل بين يديه ، وسليمانُ معه أسير ، فدخل البلدَ وهو كذلك ، فكان يوماً مشهوداً ، وفرح المسلمون بذلك في المشارق والمغارب ، ثم جيء بأنكلاي ولدِ صاحب الزَّنج ، وأبان بن عليّ المهلبيّ ، مسعر حربهم ، مأسورين ، ومعهما قريبٌ من خمسة آلاف أسير ، فتمَّ السرورُ ، وهرب قرطاس الذي رمى الموفَّق في صدره بذلك السهم ، إلى رامهرمز ، فأخِذَ ، وبُعث به إلى الموفَّق ، فقتله أبو العباس ولدُ الموفّق . واستأمن مَنْ بقي من جيوش الزَّنج ، فأمَّنهم الموفَّق ، وفَّقه الله ، ونادى في الناس بالأمان ، وأن يرجع الناس الذين أخرجوا من ديارهم بسبب فتنة الزَّنج إلى أوطانهم وبلدانهم . ثم قدَّم ولده أبا العباس بين يديه إلى بغداد ، ومعه رأسُ الخبيث يُحمل ليراه أهل بغداد ، فدخلها لثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، وكان يوماً مشهوداً ببغداد ، وانتهت أيامُ صاحبِ الزَّنج المدّعي الكذاب ، قبحه الله تعالى .

= أبي حاتم : سألت أبي عن يزيد بن سنان ، فقال : محله الصدق ، والغالب عليه الغفلة ، يكتب حديثه ، ولا يُحتج به . وسئل علي بن المديني عنه ، فقال : ضعيف الحديث . الجرح والتعديل (٩/ ٢٦٦) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٥٥) .

وقد كان ظهوره في يوم الأربعاء لأربع بَقِين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومئتين ، وقتل في يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومئتين . وكانت دولته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام ، ولله الحمد والمنة .

وقد قيل في انقضاء دولة الزَّنج وما كان من النصر عليهم أشعارٌ كثيرة[1] ؛ من ذلك قولُ يحيى بن محمّد الأسلميّ[2] .

أقـولُ وقـد جـاءَ البشيـرُ بـوقعـةٍ ... أعـزَّتْ مِـنَ الإسلامِ مـا كـان واهيـا
جَزَى اللهُ خيرَ النَّاسِ للناسِ بَعْدَما ... أبيـحَ حِمـاهُـمْ خيـرَ مـا كـانَ جـازيـا
تَفَـرَّدَ إذْ لـم ينصـرِ اللهَ نـاصـرٌ ... بتجـديـدِ ديـنٍ كـانَ أَصبـحَ بـاليـا
وتجديدِ[3] مُلْكٍ قد وَهَى بعدَ عِزِّهِ ... وأخـذٍ بثـارات تُبيـرُ الأعـاديـا
وَرَدَّ عِمـاراتٍ أزيلَـتْ وأخْـربـتْ ... ليـرجـعَ فـيءٌ قـدْ تُخُـرِّمَ وافِيـا
وتَـرجِـعَ أمصـارٌ أبيحـتْ وأحـرِقَـتْ ... مِـراراً فقـد أمْسَـتْ قِـوَاءً عَـوافِيـا
ويَشفِـي صـدورَ المسلميـنَ بـوقعـةٍ ... يُقَـرُّ بهـا منَّـا العيـونَ البـواكيـا
ويُتلَـى كتـابُ اللهِ فـي كـلِّ مسجـدٍ ... ويُلفـى[4] دعـيّ الطـالبييـن خـاسيـا
فـأعـرَضَ عـن أحبـابـهِ ونعيمـه ... وعـنْ لـذَّة الـدنيـا وأصبـحَ غـازيـا

[وهي قصيدة طويلة هذا طرف منها][5] .

وفي هذه السنة أقبلت الروم في مئة ألف مقاتل ، فنزلوا قريباً من طَرَسُوسَ ، فخرج إليهم المسلمون فبيَّتوهم ، فقتلوا منهم في ليلةٍ واحدةٍ حتَّى الصباح نحواً من سبعين ألفاً من المقاتلة ، ولله الحمد والمنة . وقُتل المقدَّم الَّذي عليهم وهو بطريق البطارقة ، وجرح أكثر الباقين ، وغنم المسلمون منهم غنيمةً عظيمة ؛ من ذلك سبعة صلبان من ذهب وفضة ، وصليبهم الأعظم عندهم ، وهو من ذهب ، صامت مكلَّل بالجواهر ، وأربعة كراسي من ذهب ، ومئتا كرسي من فضة ، وآنية كثيرة من الفضة ، وعشرة آلاف علَم من ديباج ، وغنموا حريراً كثيراً ، وخمسة عشر ألف دابّة ، وسروجاً وسلاحاً وسيوفاً محلاةً ، وشيئاً كثيراً جداً ، ولله الحمد والمنة [أولًا وآخراً][6] .

---

(١) ذكر الطبري قسماً منها في تاريخه (٩/ ٦٦٣ ـ ٦٦٥) .
(٢) الطبري (٩/ ٦٦٣) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٤٠٥) .
(٣) في ط والطبري : وتشديد .
(٤) في ظا والطبري وابن الأثير : ويلقى دعاء .
(٥) من ب ، ظا .
(٦) من ب ، ظا .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن طُولون[١] : أبو العبّاس أميرُ الديار المصرية وباني الجامع بها المنسوب إليه ، وقد ملك دمشق ، والعواصم ، والثغور ، مدَّة طويلة . وقد كان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد بن سامان السامانيّ عامل بُخَارى إلى المأمون في سنة مئتين ، ويقال : إلى الرشيد في سنة تسعين ومئة .

وولد أحمد هذا في سنة أربع عشرة ، وقيل[٢] : في سنة عشرين ومئتين ، ومات أبوه طولون في سنة ثلاثين ، وقيل : في سنة أربعين ومئتين .

وحكى ابنُ خلِّكان[٣] أنه لم يكن ابنه وإنما تبنَّاه ، والله أعلم .

وحكى ابنُ عساكر[٤] أنه من جارية تركيَّة اسمها هاشم .

ونشأ أحمد هذا في صيانةٍ وعفافٍ ودراسة للقرآن العظيم ، مع حسن الصَّوت . وكان يعيب على أولاد الترك ما يرتكبونه من المحرَّمات والأشياء المنكرات[٥] .

وحكى الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[٦] عن بعض مشايخ مصرَ : أن طولون لم يكن أباه ، وإنما كان قد تبنَّاه ، وأنه كان ظاهر النجابة من صغره ، وأنَّه اتفق أنه بعثه طولون في حاجةٍ ليأتيه بها من قصر دار الإمارة ، فذهب فإذا حظيّة من حظايا أبيه مع بعض الخدم في فاحشةٍ ، فأخذ حاجته التي أمره بها [أبوه][٧] ، وكرَّ راجعاً إليه سريعاً ، ولم يخبره بشيء مما رأى من ذلك ، فتوهَّمت الحظيّة أن يكون قد أخبره [بما رأى][٨] ، فجاءت إلى طولون ، فقالت : إنَّ أحمد جاءني الآن إلى المكان الفلاني وراودني عن نفسي ، وانصرفت إلى قصرها ، فوقع في نفسه صدقُها ، فاستدعى أحمد ، وكتب معه في كتاب ، وختمه إلى بعض الأمراء : أن إذا وصل إليك حامل هذا الكتاب فاضرب عنقه ، وابعث برأسه سريعاً إليَّ .

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٣/ ١٢٢) ، الطبري (٩/ ٦٦٦) ، المنتظم (٥/ ٧١) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٠٨) ، وفيات الأعيان (١/ ١٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩٤) ، العبر (٢/ ٤٣) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٤٣٠) ، النجوم الزاهرة (٣/ ١ ـ ٢١) ، شذرات الذهب (٢/ ١٥٧) .

(٢) قوله : وقيل : في سنة عشرين لم يرد في ب ، ظا ، ط .

(٣) وفيات الأعيان (١/ ١٧٤) .

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٢٥) .

(٥) بعدها في آ ، ط : وكانت أمه جارية اسمها هاشم ولم ترد في ب ، ظا .

(٦) مختصره لابن منظور (٣/ ١٢٢) .

(٧) من ب ، ظا .

(٨) من ب ، ظا .

فذهب أحمد وهو لا يدري ما في الكتاب ، فاجتاز في طريقه بتلك الحظية ، فاستدعته إليها ، فقال : إنِّي مشغول بهذا الكتاب لأوصله إلى فلان . فقالت : هلمَّ ، فلي إليك حاجة ، وأرادت أن تحبسه عندها ليكتب لها كتاباً ؛ لتحقق في ذهن الملك ما ذكرته من أمره ، وأرسلت بذلك الكتاب مع الخادم الذي كانت هي وإياه على الفاحشة . وجلس أحمد يكتب لها ، وذهب ذلك الخادم إلى ذلك الأمير بالكتاب .

فلما قرأه أمر بضرب عنقه ، وأرسل برأسه إلى الملك طُولون . فتعجب الملك ، وقال : أين أحمد ؟ فطُلِبَ له ، فقال : ويحك ! أخبرني كيف صنعت منذ خرجت من بين يدي ؟ فأخبره بما جرى من الأمر . ولمَّا سمعت تلك الحظيَّة بأنَّ رأسَ الخادم قد أُتِيَ به إلى الملك أسقط في يدها ، وتوهَّمت أنَّ الملك قد تحقَّق الحال ، فقامت إليه تعتذر وتستغفر مما وقع منها مع الخادم ، واعترفت بالحقِّ ، وبرّأت ساحة أحمد ، فحظي عنده ، وأوصى له بالملك من بعده[١] .

ثم ولي نيابة الديار المصرية للمعتزّ ، فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقِين من رمضان سنة أربع وخمسين ومئتين ، فأحسن إلى أهلها إحساناً كثيراً ، وأنفق فيهم من بيت المال ومن صدقاته . واستغل الديار المصرية في بعض السنين أربعة آلاف ألف دينار [وثلاثمئة ألف دينار][٢] ، وبنى بها الجامع ، وغرم عليه مئة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وكان فراغه في سنة تسع وخمسين ، وقيل : في سنة ست وستين . وكانت له مائدة في كلِّ يومٍ يحضرها الخاصّ والعامّ ، وكان يتصدَّق في كلِّ شهرٍ من خالص ماله بألف دينار . وقال له وكيله يوماً : إنَّه تأتيني المرأة وعليها إزار وبذلة وهيئة ، فتسألني ، أفأعطيها ؟ فقال : من مدَّ يده إليك فأعطه . وكان من أحفظ الناس لتلاوة القرآن ، ومن أطيبهم صوتاً به .

وقد قيل فيما حكاه ابن خلِّكان[٣] : إنه قتل صبراً نحواً من ثمانية عشر ألف نفسٍ ، والله أعلم .

وبنى البيمارستان فغرم عليه ستين ألفَ دينار ، على المَيْدان[٤] مئة وخمسين ألفاً ، وكان له صدقات كثيرة جداً ، وإحسان زائد .

ثم ملك دمشق بعد أميرها أماخور في سنة أربع وستين ومئتين ، فأحسن إليهم أيضاً ، واتفقَ أن وقع بها حريق عند كنيسة مريم ، فنهض بنفسه إليه ومعه أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الحافظ الدمشقي ، وكاتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطيّ . ثم أمر كاتبه أن يخرج من مال الأمير سبعين ألف دينار تصرف إلى أهل الدُّور والأموال التي أحرقت ، فصرف إليهم جميع قيمة ما ذكروه ، وبقي أربعة عشر ألف

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٢٣) ، والنجوم الزاهرة (٣/ ٢) .
(٢) من ب ، ظا .
(٣) وفيات الأعيان (١/ ١٧٣) .
(٤) في النجوم الزاهرة (٣/ ١٢) : وعلى المَيْدان خمسين ألف دينار .

دينار ، فأمر بها أن توزَّع عليهم على قدر حصصهم ، ثم أمر بمالٍ عظيم يفرَّق على فقراء دمشق وغوطتها ، فأقل ما حصل للفقير دينار[١] . رحمه الله .

ثم خرج إلى أنطاكية ، فحاصر بها صاحبها سيما حتَّى قتله وتسلَّم البلد ، كما ذكرنا ذلك فيما تقدَّم .

ثم كانت وفاته بمصر في أوائل ذي القعدة من هذه السنة من علَّة أصابته من أكل لبن الجواميس ، فأصابه ذَرَبٌ[٢] ، فداواه الأطباء [وأمروه أن يحتمي منه][٣] فلم يقبل منهم ، فكان يأكل منه في الخفية ، فمات رحمه الله .

وقد ترك من الأموال والأثاث والدّواب شيئاً كثيراً جداً ؛ من ذلك عشرة آلاف ألف دينار . وكان له ثلاثة وثلاثون ولداً ، منهم سبعة عشر ذكراً ، فقام بالأمر من بعده ولدُه خُمَارَوَيْه ، وسيأتي[٤] ما كان من أمره .

وكان له من الغلمان أربعة وعشرون ألف غلام ، ومن الموالي سبعة آلاف مولى ، ومن البغال والخيل والجمال شيء كثير جدّاً .

قال ابن خلِّكان[٥] : وإنما تغلَّب على البلاد لاشتغال الموفّق طلحة بن المتوكل بحرب صاحب الزَّنج ، وقد كان الموفّق نائبَ أخيه المعتمد[٦] على الله ، وهو والد المعتضد ، رحمهم الله .

وأحمد بن محمد بن عبد الكريم بن سَهْل الكاتب ، صاحب كتاب « الخراج » ؛ قاله ابن خلكان[٧] .

وأحمد بن عبد الله بن البَرْقي[٨] .

وأسيدُ بن عاصم الجَمَّال[٩] .

---

(١) مختصر ابن عساكر (٣/ ١٢٦) ، النجوم الزاهرة (٣/ ١٣ ـ ١٤) .

(٢) « الذَّرَبُ » : داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ، ويفسد فيها ولا تمسكه .

(٣) زيادة من ط .

(٤) سيأتي في وفيات سنة ٢٨٢هـ .

(٥) وفيات الأعيان (١/ ١٧٣) .

(٦) في آ : « المعتمد على أخيه ، وهو والد المعتمد ، رحمهم الله » وصححت من ب ، ظا .

(٧) وفيات الأعيان (١/ ١٠١) .

(٨) أبو بكر ، المحدّث ، الصادق . له كتاب في معرفة الصحابة وأنسابهم ، وكان من أئمة الأثر ، وكان يمشي في سوق الدواب فضربته دابة فمات من يومه ، وهو من أبناء الثمانين . المنتظم (٥/ ٧١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٧) .

(٩) أسيد بن عاصم الثقفي الأصبهاني ، أبو الحسين . المحدّث الحافظ . وثقه ابن أبي حاتم . والجمَّال لقب لأسيد بن زيد بن نجيح الجمَّال القرشي الهاشمي ، فلعله اختلط في ذهن المؤلف ، رحمه الله . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٧٨) ، وتهذيب الكمال (٣/ ٣٣٨) .

وبكّار بن قُتيبة المصريّ[١] ، في ذي الحجة من هذه السنة .

والحسن بن زيد العلويّ[٢] : صاحب طَبَرستان في رجب من هذه السنة ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام ، وقام من بعده [بالأمر][٣] أخوه محمّد بن زيد[٤] .

وكان الحسن بن زيد كريماً جواداً ممدّحاً ، يعرف الفقه والعربية ، قال له شاعر في جملة قصيدة : الله فردٌ ، وابن زيد فردٌ ، فقال له : بفيك[٥] الإثلِبُ ، هلا قلت : اللهُ فردٌ ، وابن زيد عبدٌ . ثم نزل عن سريره وخرَّ ساجداً لله ، وألصق خدّه بالتراب ولم يعطِ ذلك الشاعرَ شيئاً .

وامتدحه بعضهم ، فقال في أول قصيدته[٦] :

لا تَقُلْ بُشرى ولكن بُشْريَان عِزَّةُ الدَّاعي ويَوْمُ المِهْرَجانِ

فقال له الحسن بن زيد : لو ابتدأت بالمصراع الثاني لكان أحسن ، وأبعد ذلك أن تبتدىءَ شعرك بحرف « لا » . فقال له الشاعر : ليس في الدنيا كلمة أجل من قول : لا إلّه إلا الله . فقال : أصبت ، وأمر له بجائزة سنية .

والحسن بن عليّ بن عفّان العامريّ[٧] .

وداود بن علي[٨] الأصبهاني ثم البغدادي ، الفقيه الظاهري : إمام أهل الظاهر ، روى عن أبي ثور[٩] إبراهيم بن خالد ، وإسحاق بن راهَوَيْه ، وسليمان بن حَرْب ، وعبد الله بن مَسْلمة القَعْنَبيّ ، ومُسَدَّد بن مسَرْهَدٍ[١٠] ، وغيرِ واحدٍ .

---

(١) بكّار بن قتيبة الثقفي البَكْراوي ، أبو بَكْرة ، العلامة المحدّث ، قاضي الديار المصرية ، الفقيه الحنفي . له أخبار في العدل والعفة والنزاهة والورع . ولاه المتوكل القضاء . وكان أحمد بن طولون أراد بكاراً على لعن الموفّق ، وليّ عهد المعتمد ، فامتنع ، فسجنه ، إلى أن مات ابن طولون . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٩) ، والعبر (٢/ ٤٤) .

(٢) تاريخ الطبري (٩/ ٢٧١ ـ ٢٧٦ و٦٦٦) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ١٣٠ ـ ١٣٤ و٤٠٧) ، سير أعلام النبلاء ١٣٠/ ١٣٦) . وتحدث المؤلف عن خروجه في حوادث سنة ٢٥٠ .

(٣) من ب ، ظا ، ط .

(٤) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٠٧) .

(٥) لفظة بفيك سقطت من آ . و« الإثلب » : التراب والحجارة .

(٦) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٠٨) .

(٧) أبو محمد الكوفيّ . المحدّث الثقة ، المسند . ذكره ابن حبّان في الثقات . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤) ، تهذيب الكمال (٦/ ٢٥٧) .

(٨) تاريخ بغداد (٨/ ٣٦٩) ، المنتظم (٥/ ٧٥) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٥٥) ، ميزان الاعتدال (٢/ ١٤) ، العبر (٢/ ٤٥) ، طبقات السبكي (٢/ ٢٨٤) ، النجوم الزاهرة (٣/ ٤٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٥٨) .

(٩) هو أبو ثور الكلبي .

(١٠) في آ ، ط : مسهر .

وروى عنه ابنه الفقيه أبو بكر بن داود ، وزكريّا بن يحيى السَّاجي .

قال الخطيب[١] : وكان فقيهاً زاهداً ، وفي كُتُبِه حديثٌ كثيرٌ ، والرواية عنه عزيزة جداً .

وكانت وفاته ببغداد في هذه السنة ، وكان مولده في سنة مئتين .

وذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقاته »[٢] : أن أصله من أصبهان ، وولد بالكوفة ، ومنشَؤه ببغداد ، وأنه انتهت إليه رئاسة العلم بها ، وكان يحضر مجلسه أربعُمئة طَيْلسان أخْضَر ، وكان من المتعصِّبين للشَّافعي ، وصنَّف[٣] مناقبه . وقال غيره : كان حسن الصلاة والتواضع . وقد قال الأزدي : تُرِكَ حديثه . ولم يتابع[٤] الأزدي على ذلك . لكن روي عن الإمام أحمد أنَّه تكلَّم فيه بسبب كلامه في القرآن وأنَّ لفظه به مخلوق ، كما نسب إلى الإمام البخاري ، رحمه الله .

قلت : وقد كان من الفقهاء المشهورين ، ولكن حصر نفسه بنفيه القياس الصحيح ، فضاق بذلك ذرعه في أماكنَ كثيرةٍ من الفقه ، فلزمه القول بأشياء فظيعة صار إليها بسبب اتباعه الظاهر المجرد من غير تفهُّم لمعنى النص . وقد اختلف [الفقهاء][٥] القياسيُّون بعده في الاعتداد بخلافه ؛ هل ينعقد الإجماع بدونه مع خلافه أم لا ؟ على أقوالٍ ليس هذا موضع بسطها .

وممن توفي فيها :

الرَّبيع بن سليمان المُرادي[٦] ، صاحب الشافعيّ وقد ترجمناه في « طبقات الشافعية » .

والقاضي بكّار بن قتيبة ، الحاكم بالدِّيار المصرية من سنة ست وأربعين ومئتين إلى أن توفي بها مسجوناً في حبس أحمد بن طُولون ؛ لكونه لم يخلع الموفَّق في سنة سبعين ، رحمه الله . وكان عالماً عابداً زاهداً كثيرَ التلاوة والمحاسبة لنفسه ، وقد شَغَرَ منصبُ القضاء بعدَه بمصر ثلاث سنين . وقد بسط ابن خلكان[٧] ترجمته في الوفيات ، رحمه الله .

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٣٦٩) .

(٢) طبقات الفقهاء (٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٢) .

(٣) صنَّف كتابين في فضائله والثناء عليه . طبقات الفقهاء (٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٣) .

(٤) في آ : يتابعه .

(٥) من ب ، ظا .

(٦) أبو محمد ، المصري المؤذن ، صاحب الإمام الشافعي وناقل علمه ، وشيخ المؤذنين بجامع الفسطاط ، ومستملي مشايخ وقته . المحدث الفقيه الكبير . أفنى عمره في العلم ونشره . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥١٧) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ١٣٢) .

(٧) وفيات الأعيان (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢) . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٩ ـ ٦٠٥) .

ابن قُـتَـيْـبَـةَ الدِّيْنَوَرِيّ[١] عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة الدِّيْنَوَرِيّ : قاضيها ، النحويّ ، اللغويّ ، صاحبُ المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة نافعة .

اشتغل ببغداد وسمع بها الحديث على إسحاق بن رَاهَوَيْه ، وطبقته ، وأخذ اللغة عن أبي حاتم السجستانيّ وذويه ، وصنَّف وجمَعَ وألَّف الكتب المشهورة الكثيرة ، فمن ذلك : كتاب « المعارف » ، و « أدب الكاتب » الذي شرحه أبو محمد بن السيد البطليوسي ، وكتاب « مشكل القرآن والحديث » ، و « غريب القرآن والحديث » ، و « عيون الأخبار » ، و « إصلاح الغلط » ، وكتاب « الخيل » ، وكتاب « الأنوار » ، وكتاب « المَسائل والجوابات » ، وكتاب « الميسر والقداح » ، وغير ذلك .

كانت وفاته في هذه السنة ، وقيل في التي بعدها[٢] . ومولده في سنة ثلاث عشرة ومئتين ، ولم يجاوز الستين ، رحمه الله .

وروى عنه ولدُه أحمدُ جميعَ مصنّفاته . وقد ولي ولده أحمد قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة ، وتوفي بها بعد سنة ، رحمه الله .

ومحمد بن إسحاق بن جعفر الصاغاني[٣] .

ومحمد بن مُسلم بن وَارَة[٤] .

ومُصعب بن أحمد بن مُصعب ، أبو أحمد الصّوفي[٥] ، كان من أقران الجُنَيْد .

وفيها : توفي ملك الروم : ابن الصَّقلبيّة ، لعنه الله .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (١١٦) ، الفهرست : المقالة الثانية ، الفن الثالث ، تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠) ، المنتظم (٥/ ١٠٢) ، إنباه الرواة (٢/ ١٤٣) ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٢) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦) ، النجوم الزاهرة (٣/ ٧٥) ، بغية الوعاة (٢/ ٦٣) ، شذرات الذهب (٢/ ١٦٩) .

(٢) جعلها الذهبي في سير أعلام النبلاء سنة (٢٧٦هـ) ، وسيذكر المؤلف ترجمته في هذه السنة أيضاً .

(٣) في آ ، ط : الصفار والمثبت من ب ، ظا . وهو أبو بكر . حافظ مجوِّد حجة ، ثقة . أحد الأثبات المتقنين ، مع صلابة في الدين ، واشتهار بالسنة ، واتساع في الرواية . تاريخ بغداد (١/ ٢٤٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٢) .

(٤) محمد بن مُسلم بن عثمان بن عبد الله ، أبو عبد الله ، ابن وارة الرَّازي . أحد الأعلام . كان يضرب به المثل في الحفظ ، على حُمْق فيه وَتِيه . قال النسائي : هو ثقة ، صاحب حديث . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨) ، العبر (٢/ ٤٦) .

(٥) هو أبو أحمد القلانِسي ، البغدادي ، شيخ الصوفيّة ، كان مقدماً على جميع مريدي بغداد؛ لما كان فيه من السخاء والأخلاق ، ومراعاته مذاهب النسك ، مع طيب القلب . تاريخ بغداد (١٣/ ١١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧٠) .

وفيها : ابتدأ إسماعيل بن موسى ببناء مدينة لارِدَة[١] من الأندلس[٢] .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومئتين

فيها عزل الخليفةُ عمرَو بن الليث عن ولاية خراسان ، وأمر بلعنه على المنابر ، وفوَّض أمرَ خراسان إلى محمد بن طاهر ، وبعث إلى عمرو جيشاً ، فهُزِم[٣] عمرو .

وفيها : كانت وقعة بين أبي العباس المعتضد بن الموفّق أبي أحمد وبين خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، وذلك أن خُمَارَوَيْه لمَّا ملك بعد أبيه بلادَ مصر والشام ، جاءه جيشٌ من جهة الخليفة عليهم إسحاق بن كنداجيق ، نائب الجزيرة ، وابن أبي السَّاج ، فقاتلوه بأرض شِيرَز[٤] ، فامتنع من تسليم الشام إليهم ، فاستنجدوا بأبي العباس ، فقدِمَ إليهم ، فكسَرَ جيشَ خُمَارَوَيْه بن أحمد ، وتسلَّمَ دمشقَ واحتازها ، ثم سار نحو خُمَارَوَيْهِ لا إلى بلاد الرَّملة عند ماءٍ عليه طواحين ، فاقتتلوا هنالك ، فبذلك تسمَّى وقعة الطواحين ، ثم كانت النوبة أولاً لأبي العبَّاس على خُمَارَوَيْه ، فهزمه حتَّى هرب خُمَارَوَيْه لا يلوي على شيء ، فلم يرجعْ حتَّى دخل الدِّيار المصرية ، فأقبل أبو العبَّاس وأصحابُه على نَهْب معسكرهم ، فبينما هم كذلك إذْ أقبل كمينٌ لجيشِ خُمَارَوَيْه ، وهم مشغولون بالغنيمة ، فوضعت المصريون فيهم السيوفَ ، فقُتِلَ خلْقٌ كثير ، وانهزم الجيش ، وهرب أبو العبَّاس المعتضدُ ، فلم يرجعْ حتَّى وصَل إلى دمشق ، فلم يفتحْ له أهلُها بابها ، فانصرف حتَّى وصل إلى طَرَسُوسَ .

وبقي الجيشان المصري والعراقي يقتتلان ، وليس في واحدٍ منهما أمير ، ثم كان الظَّفَرُ للمصريين ؛ لأنَّهم أقاموا أبا العشائر أخا خُمَارَوَيْه عليهم أميراً ، فغَلَبوا بسبب ذلك ، واستقرَّت أيديهم على دمشقَ وسائر الشام ، وهذه[٥] من أعجب الوقعات .

وفيها : جرت حروب كثيرة بأرض الأندلس من بلاد المغرب[٦] .

وفيها : دخل إلى المدينة النبويّة محمّد وعليٌّ ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمّد بن

---

(١) « لارِدَة » : مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة . ياقوت .

(٢) وتتمة الخبر في الكامل لابن الأثير (٧/ ٤١١) : وكان مخالفاً لمحمد صاحب الأندلس ، ثم صالحه في العام الماضي ، فلما سمع صاحب برشلونه الفرنجيّ ، جمع وحشد وسار يريد منعه من ذلك ، فسمع به إسماعيل ، فقصده وقاتله ، فانهزم المشركون ، وقتل أكثرهم ، وبقي أكثر القتلى في تلك الأرض دهراً طويلاً .

(٣) في ظ : فهزمه عمرو .

(٤) تحرفت من ط إلى ويترز . وشِيْرَز : من قرى سَرَخْس ، شبيهة بالمدينة ، على طرف من طريق هراة . ياقوت .

(٥) في آ : وهذا .

(٦) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤١٦ ـ ٤١٧) .

عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، فقتلا خلْقاً كثيراً من أهلها ، وأخذا أموالاً جزيلة ، وتعطَّلت الصلوات في المسجد النبويّ أربعَ جمَع ، لم يحضر الناس فيه جمعة ولا جماعة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[١] .

وجرت بمكَّة فتنة أخرى ، واقتتل الناس على باب المسجد الحرام أيضاً[٢] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة هارون بن إسحاق العباسي[٣] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

عبَّاس بن محمّد الدُّوريّ[٤] ، تلميذ ابن مَعين وغيره من أئمة الجرح والتعديل .

وعبد الرحمن بن محمد بن منصور البصريّ[٥] .

ومحمد بن حمَّاد الطِّهْراني[٦] .

ومحمد بن سِنان القزَّار[٧] .

ويوسف بن مُسَلَّم[٨] .

بوران بنت الحسن بن سهل زوجة المأمون[٩] : ويقال : إن اسمها خديجة ، وبوران لقب ، والصحيح الأول .

---

(١) الطبري (١٠/ ٧) ، ابن الأثير (٧/ ٤١٣) .

(٢) تفصيل ذلك في الطبري (١٠/ ٨) .

(٣) في آ : هارون بن موسى بن إسحاق ، والمثبت من (ب ، ظا) . وفي الطبري : هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى العباسي .

(٤) أبو الفضل الدُّوريّ ثم البغدادي ، مولى بني هاشم ، أحد الأثبات المصنفين ، من حفاظ وقته . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٢٢) .

(٥) أبو سعيد الحارث ، البصري ، ثم البغدادي ، ولقبه كُرْبُزَان ، محدِّث ، معمّر ، ليس بالقوي . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٣٨) ، العبر (٢/ ٤٨) .

(٦) أبو عبد الله الرازيّ الطِّهراني . أحد من رحل إلى عبد الرزاق ، وحدّث بمصر والشام والعراق ، وكان ثقة . توفي بعَسْقَلان وله نيف وثمانون سنة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٢٨) ، العبر (٢/ ٤٨) .

(٧) في الأصول : العوفي ، خطأ ، وهو محمد بن سنان القزَّاز ، أبو الحسن ، أخو يزيد بن سنان القزَّاز . اتهمه أبو داود وكذَّبه ، وأما الدارقطني فقال : لا بأس به .
وهناك محمد بن سنان الباهلي ، أبو بكر البصري ، المعروف بالعَوَقي ، المتوفى نحو سنة ٢٢٣هـ .
سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٥٤) ، وتهذيب التهذيب (٩/ ٢٠٥) .

(٨) هو يوسف بن سعيد بن مُسَلَّم ، أبو يعقوب المِصِّيصيّ ، الحافظ الحجة المصنِّف ، محدِّث المصّيصة . قال النسائي : ثقة حافظ . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٢٢) ، العبر (٢/ ٤٨) .

(٩) وفيات الأعيان (١/ ٢٨٧) ، مروج الذهب (٤/ ٣٠) .

عقد عليها المأمون بفم الصلح سنة ثنتين ومئتين ، ولها عشر سنين ، فنثر أبوها على الناس يومئذٍ بنادقَ المسك ، مكتوبٌ في ورقة وسط كُلِّ بندقة اسمُ قريةٍ ، أو مُلْكٌ ، أو جارية ، أو غلام ، أو فرس ، فمن التقط من ذلك شيئاً ملكه ، ونثر على عامَّة الناس الدنانير ونَوافجَ[(١)] المسك وبَيْض العنبر . وأنفق على المأمون وعسكره مدة مقامه تلك الأيام خمسين ألف ألف درهم . فلما ترحَّل [المأمون][(٢)] عنه أطلق له عشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعه فم الصلح .

وبنى بها في سنة عشر[(٣)] .

فلما جلس المأمون فرشوا له حصيراً من ذهبٍ ، ونثروا على قدميه ألفَ حبّةِ جوهر ، وهناك تَوْرٌ[(٤)] من ذهب فيه شمعة من عنبرٍ ، زنة أربعين مَنّاً من عنبر ، فقال : هذا سَرَفٌ ، ونظر إلى ذلك الحب على الحصر يضيء ، فقال : قاتَلَ اللهُ أبا نُوَاس حيث يقول في صفة الخمر[(٥)] :

كأنَّ صُغْرَى وكُبْرَى مِنْ فَقَاقِعِها حَصْباءُ دُرٌّ على أرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

ثم أمر بالدُّرِّ فجُمع فوضع في حجرها ، وقال : هذا نِحْلَةٌ[(٦)] منِّي لكِ ، وسلي حاجتك .

فقالت لها جدتها : سلي سيدك ، فقد استنطقك .

فقالت : أسألُ أميرَ المؤمنين أن يرضى عن إبراهيم بن المهديّ ، فرضي عنه .

ثم أراد الاجتماع بها فإذا هي حائض ، وكان ذلك في شهر رمضان . ثم توفي المأمون في سنة ثماني عشرة ومئتين ، وتأخَّرت هي بعده حتى كانت وفاتها في هذه السنة ، ولها ثمانون سنة .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومئتين

في جُمادى الأولى منها سار نائب قزوين وهو أذكوتكين في أربعة آلاف مقاتل ، إلى محمد بن زيد العلويّ ، صاحب طَبَرستان بعد أخيه الحسن بن زيد ، وهو بالرَّيّ ، في جيشٍ عظيم من الدَّيلم وغيرهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمه أذكوتكين[(٧)] ، وغنم ما في معسكره ، وقتَلَ من أصحابه ستة

---

(١) « النوافج » : جمع نافِجة ، وهي وعاء المسك في جسم الظبي .
(٢) زيادة من ط .
(٣) راجع حوادث سنة (٢٠٢) وسنة (٢١٠) .
(٤) « التَّوْر » : إناء يشرب فيه .
(٥) ديوان أبي نواس ، المطبعة العمومية ص(٢٤٣) .
(٦) « النِّحْلَة » : العطيّة .
(٧) في آ : أزلرتكين .

آلاف ، ودخل الرَّيّ ، فأخذ من أهلها مئة ألف ألف دينار ، وفرّق عمّاله في نواحي الرَّيّ[١] .

وفيها : وقع بين أبي العباس بن الموفّق وبين صاحب ثغر طَرَسوس وهو بازمار[٢] الخادم فثار أهلُ طَرَسوس على أبي العباس ، فأخرجوه عنهم ، فرجع إلى بغداد .

وفيها : دخل حَمدان بن حمدون ، وهارون الشاري ، مدينة الموصل ، وصلّى بهم الشاري في جامعها الأعظم .

وفيها : عاثت بنو شيبان في أرض الموصل ، وسعَوا في الأرض فساداً .

وفيها : تحرّكت بقيّة الزّنج في أرض البصرة ، ونادوا : يا أنكلاي[٣] ، يا منصور ، ـ وكان أنكلاي ابن صاحب الزّنج ـ وسليمان بن جامع ، وأبان بن علي المهلّبيّ ، وجماعة من وجوه أمرائهم ، في جيش الموفّق ، فبعث إليهم ، فقُتلوا ، وحُمِلَت رؤوسهم إليه ، وصُلبت أبدانهم ببغداد ، وسكنت الشرور .

وفيها : صلَح أمر المدينة النبوية وتراجع الناس إليها ، ولله الحمد .

وفيها : جرت حروبٌ كثيرة ببلاد الأندلس ، وتسلّمت الروم من المسلمين بلدين عظيمين من الأندلس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : قدم صاعد بن مخلد الكاتب من فارس إلى واسط ، فأمر الموفَّقُ القوّاد أن يتلقَّوه ، فدخل في أُبّهة عظيمة ، ولكن ظهر منه تِيهٌ وعجب شديد ، فأمر الموفّق عمّا قريب بالقبض عليه وعلى أهله وأمواله وحواصله ، واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بُلبل .

وحجَّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق العباسي ، أمير الحج منذ دهر .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن الوليد الجَشّاش[٤] .

وأحمد بن عبد الجبّار بن محمد بن عُطارد العُطارديّ التّميمي[٥] ، راوي السيرة عن يونس بن بُكَير ، عن محمد بن إسحاق بن يسار وغير ذلك .

---

(١) ابن الأثير (٧/ ٤١٨) .

(٢) في ط والطبري : يازمان .

(٣) في ب ، ظا : يا أنكالي .

(٤) في ط : « بن الحسحاس » وفي الكامل « بن الخشخاش » وكلاهما خطأ ، وما أثبتناه من كتب المشتبه ومنها توضيح ابن ناصر الدين (٢/ ٣٦١) وهو إبراهيم بن الوليد بن أيوب أبو إسحاق الجشاش . سمع أبا نعيم والقعنبي وغيرهم كان ثقة . تنظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب (٦/ ١٩٩) والمنتظم (٥/ ٨٥) ، وابن الأثير (٧/ ٤٢١) .

(٥) أبو عمرو الكوفي ، الشيخ المعمّر المحدّث ، ضعيف ، وسماعه للسيرة صحيح . مات بالكوفة وله خمس وتسعون سنة . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٥) ، تقريب التهذيب (١/ ١٩) .

وأبو عُتْبَةَ الحِجازيّ[١] .

وسليمان بن سَيْف[٢] .

وسليمان بن وَهْب الوزير[٣] ، في حبس الموفَّق .

وشعيب بن بكَّار[٤] ، يَروي عن أبي عاصم النبيل .

ومحمد بن صالح بن عبد الرحمن الأَنماطي ، ويلقب بكَيْلَجة[٥] ، وهو من تلاميذ يحيى بن معين .

ومحمد بن عبد الوهاب الفرَّاء[٦] .

ومحمد بن عُبَيد الله ، ابن المُنَادي[٧] .

ومحمد بن عَوْف الحمصي[٨] .

وأبو مَعْشَر المنجِّم[٩] : واسمه جعفر بن محمد بن عمر البلخيّ ، أستاذ عصره في صناعة التنجيم ،

---

(١) هو أحمد بن الفرج بن سليمان ، أبو عُتْبَة الكِندي الحمصي ، الملقب بالحجازي المؤذن . كانت له رحلة وعناية بالحديث ، وعُمِّر دهراً ، واحتيج إليه . وهو وسط ليس بالحجة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٨٤) ، العبر (٢/ ٤٩) .

(٢) سليمان بن سَيْف بن يحيى بن درهم ، أبو داود الحَرَّاني ، الطائي مولاهم ، محدِّث حرَّان وشيخها . روى عنه النسائي كثيراً ، وقال : ثقة . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٤٧) ، العبر (٢/ ٥٠) .

(٣) أبو أيوب الحارثي ، وزير ، من كبار الكتَّاب ، من بيت كتابة وإنشاءٍ في الشام والعراق . كتب للمأمون وهو حَدَث ، وولي الوزارة للمهتدي بالله ، ثم للمعتمد على الله ، ونقم عليه الموفَّق بالله ، فحبسه ، فمات في حبسه . له « ديوان رسائل » . وفيات الأعيان (٢/ ٤١٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٢٧) .

(٤) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٢١) ، وفي آ ، ط : شعبة .

(٥) في الأصول والمطبوع : « ويلقب بمكحلة » ، وصححت من مصادر الترجمة . وهو أبو بكر الأنماطي البغدادي ، محدِّث جوال ، حافظ متقن ثقة . توفي بمكة وكيلجة لقب . لقبه إياه يحيى بن معين .
تاريخ بغداد (٤/ ٢٠٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٠٦) ، العبر (٢/ ٥٠) .

(٦) محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران ، العَبْدي الفرَّاء النيسابوري ، ويعرف أيضاً بحَمَك ، أبو أحمد . العلامة الحافظ الأديب . كان وجه مشايخ نيسابور عقلاً وعلماً وجلالة وحشمة . قال الحاكم : كان يفتي في الفقه والحديث والعربية ، ويرجع إليه فيها . مات عن نيِّف وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٠٦) ، العبر (٢/ ٥٠) .

(٧) محمد بن عبيد الله بن يزيد ، أبو جعفر ، ابن المنادي البغدادي ، المحدث الثقة . مات وله مئة سنة وسنة وأربعة أشهر . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٥٥) ، العبر (٢/ ٥٠) .

(٨) أبو جعفر الطائي ، محدِّث حمص ، حافظ مجوِّد ، من أئمة الحديث . سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦١٣) ، العبر (٢/ ٥٠) .

(٩) الفهرست (١/ ٢٧٧) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٥٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦١) ، شذرات الذهب (٢/ ١٦١) ، الأعلام للزركلي (٢/ ١٢٧) .

وله فيه التصانيف المشهورة ، كـ « المدخل »[١] و « الزِّيج »[٢] ، و « الألوف »[٣] وغيرها ؛ ويتكلَّم على ما يتعلق بالتيسير وكذلك بالأحكام .

قال ابن خلكان[٤] : وله إصابات عجيبة . ثم حكى : أنَّ بعض الملوك تطلَّب رجلاً ، فذهب ذلك الرجل فاختفى ، وخاف من أبي مَعْشر المنجّم ، أن يدلَّ عليه الملكَ بصنعته ، فعمَدَ إلى طَسْت ، فملأه دماً ، ووضع أسفله هاوناً ، وجلس على ذلك الهاون . فاستدعى الملك أبا مَعْشَر ، فضرب رمله ، وحرَّر[٥] أمره ، ثم قال : هذا عجيبٌ ، أجدُ هذا الرجل جالساً على جبلٍ من ذهب في وسط بحر من دمٍ ، ولكن ليس هذا في الدنيا . ثم أعاد الضربَ فوجده كذلك ، فتعجَّب الملك أيضاً ، ونادى في البلد بأمان المذكور ، فظهر ، فلمَّا مثل بين يدي الملك سأله أين اختفى ؟ فأخبره بأمره ، فتعجَّب الناس من ذلك .

قلت : والظاهر أنَّ الذي ينسب إلى جعفر بن محمد الصادق من علم الزجر ، والطرق ، واختلاج الأعضاء ، ونحو ذلك ، إنما هو منسوب إلى جعفر بن محمد هذا ، وليس بالصادق ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومئتين

فيها وقع بين إسحاق بن كنداجيق نائب الموصل والجزيرة ، وبين صاحب ابن أبي الساج نائب قِنَّسرين وغيرها ، بعدما كانا متّفقين ، وكاتب ابن أبي الساج خُمَارَوَيْه صاحب مصر ، وخطب له ببلاده ، وقدم خُمَارَوَيْه إلى الشام ، فاجتمع به ابنُ أبي الساج ، ثم سار إلى إسحاق بن كنداجيق ، فتواقعا ، فانهزم ابن كنداجيق ، وهرب إلى قلعة ماردين ، فحاصره بها .

ثم ظهر أمر ابن أبي الساج ، واستحوذ على الموصل وبلاد الجزيرة ، وخطب بها لخُمَارَوَيْه ، واستفحل أمره جداً .

وفيها : قبض الموفَّق على لؤلؤ غلام أحمد بن طولون ، وصادره بأربعمئة ألف دينار ، وسجنه ؛ فكان يقول : ليس لي ذَنْبٌ إلا كثرة مالي . ثم أخرج بعد ذلك من السجن وهو فقير ذليل ، فعاد إلى الديار المصرية في أيام هارون بن خُمَارَوَيْه ، ومعه غلامٌ واحد . وهذا جزاء كفر نعمة سيِّده عليه .

وفيها : عدا أولاد ملك الروم على أبيهم فقتلوه ، وتملَّك بعده أحد أولاده .

---

(١) في الأعلام : المدخل الكبير ، وهو مخطوط ، ترجم إلى اللاتينية ونشر بها .

(٢) « الزِّيج » : كتاب يُعرف منه سير الكواكب ومنه يستخرج التقويم .

(٣) في الأعلام : الألوف في بيوت العبادات ، وهو مطبوع مع ترجمة إنكليزية .

(٤) وفيات الأعيان (١/ ٣٥٨) .

(٥) في آ : وحرَّر رمله ، وفي ط : وحرره .

وفيها : كانت وفاة :

محمد بن عبد الرحمن بن الحَكَم الأمويّ[١] : صاحب الأندلس عن خمس وستين سنة . وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً . وكان أبيض مُشرباً بحمرة ، رَبعة ، أوقص ، يخضب بالحنَّاء والكتَم ، وكان عاقلاً لبيباً ، وكان يدرك الأشياء المشتبهة . وخلَّف ثلاثة وثلاثين ذكراً .

وقام بالأمر بعده ولدُه المنذور ، فأحسن إلى الناس وأحبّوه .

وفيها كانت وفاة :

خلف بن أحمد بن خالد : الذي كان أمير خراسان في حبس المعتمد على الله . وهذا الرجل هو الذي أخرج البخاري من بخارى ، فدعا عليه ، فلم يفلحْ بعدها ، ولم يبقَ في الإمرة إلا أقلّ من شهرٍ ، حتى احتيط عليه وعلى أمواله وحواصله ، وأركب حماراً ونودي عليه في بلده ، ثم سجن ، فمات فيه في هذه السنة ؛ وهذا جزاء مَنْ تعرَّض لأهل السنة وأئمة الحديث .

وممن توفي فيها أيضاً من الأعيان :

إسحاق بن سيَّار[٢] .

وحنبل بن إسحاق[٣] ، ابن عم الإمام أحمد بن حنبل ، وأحد الرواة المشهورين عنه ، على أنه قد اتُّهم في بعض ما يرويه ويحكيه ، والله أعلم .

وأبو أُميَّة الطَّرَسُوسي[٤] .

والفتح[٥] **بن شُخْرُف** ، أحد مشايخ الصوفية ، ذوي الأحوال والكرامات والمقامات والكلمات النافعات .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٢٤) ، البيان المغرب (٢/ ١٤١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧١) ، الوافي بالوفيات (٣/ ٢٢٤) ، شذرات الذهب (٢/ ١٦٤) .

(٢) إسحاق بن سيَّار بن محمد ، أبو يعقوب النَّصيبي ، محدِّث نَصيبين ، حافظ ، ثقة .
سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩٤) ، العبر (٢/ ٥١) .

(٣) أبو علي الشيباني ، حافظ ، محدِّث ، صدوق ، مصنف . قال الخطيب : كان ثقة ثبتاً . وقال الذهبي : له مسائل كثيرة عن أحمد ، ويتفرَّد ، ويغرب . من أبناء الثمانين . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١) ، العبر (٢/ ٥١) .

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن مسلم البغدادي ، الطرسوسي ، نزيل طرسوس ، ومحدِّثها ، وصاحب المسند والتصانيف . حافظ مجوِّد رحَّال . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩١) ، العبر (٢/ ٥١) .

(٥) في آ ، ب ، ط : « أبو الفتح » . وهو الفتح بن شُخرف بن داود بن مزاحم ، أبو نصر الكشي . قال أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثل فتح بن شخرف . كان رجلاً صالحاً زاهداً ، ذا أخلاق حسنة .
المنتظم (٥/ ٨٩) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٠٢) ، مختصر ابن عساكر (٢٠/ ٢٥٧) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٣٨٤) .

ووهم ابنُ الأثير في قوله في كاملة[١] : إن أبا داود صاحبَ السُّنن ، توفي هذه السنة ، بل في سنة خمس وسبعين كما سيأتي .

وابن ماجه القزويني[٢] : صاحب السُّنن ، وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القَزويني ، مولى ربيعة ، صاحب كتاب « السُّنن » المشهورة ، وهي دالَّة على علمه وتبحُّره واطِّلاعه واتّباعه للسنة النبوية في الأصول والفروع ؛ ويشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً ؛ وألف[٣] وخمسمئة باب . ويحتوي على أربعة آلاف حديث كلّها جياد سوى اليسير .

وقد حُكي عن أبي زُرعة الرَّازي أنه انتقد منها بضعةَ عشرَ حديثاً ؛ ربَّما يقال : إنها موضوعة أو منكرة جداً[٤] .

وله تفسير حافل ، وتاريخ كامل من لدن الصحابة إلى عصره .

قال أبو يَعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزوينيّ : أبو عبد الله ، محمد بن يزيد ويُعرف بمَاجَه ، مولى ربيعة، عالم بهذا الشأن، صاحب التصانيف ، في « التاريخ » و « السُّنن » ، ارتحل إلى العراقين[٥] ، ومصر والشام ، ثم ذكر طرفاً من مشايخه ؛ وقد ترجمناهم في كتابنا « التكميل » ، ولله الحمد والمنة .

قال : وقد روى عنه الكبار القدماء : ابن سيبويه ، ومحمد بن عيسى الصفَّار ، وإسحاق بن محمد ، وعلي بن إبراهيم بن سلمة القَطَّان ، وجدي أحمد بن إبراهيم ، وسليمان بن يزيد .

وقال غيره[٦] : كانت وفاته يوم الإثنين ، ودُفِنَ يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومئتين عن أربع وستين سنة . وصلَّى عليه أخوه أبو بكر ، وتولَّى دَفْنَه مع أخيه أبي عبد الله وابنه عبد الله بن محمد بن يزيد ، رحمه الله .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٢٥) .

(٢) المنتظم (٥/ ٩٠) ، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٧) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٦٤) .

(٣) في الأصول : وأربعاً .

(٤) روى الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٨) عن ابن ماجه ، قال : عرضت هذه السُّنن على أبي زُرعة الرازي ، فنظر فيه ، وقال : أظنُّ إن وقع هذا في أيدي الناس تعطَّلت هذه الجوامع ، أو أكثرها . ثم قال : لعل لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً ، مما في إسناده ضعف ، أو نحو ذا .
قال الذهبي : قد كان ابن ماجه حافظاً ناقداً صادقاً ، واسع العلم ، وإنَّما غضَّ من رتبة سننه ما في الكتاب من المناكير ، وقليل من الموضوعات . وقول أبي زُرْعة ـ إن صَحَّ ـ فإنما عنى بثلاثين حديثاً الأحاديث المطَّرحة السَّاقطة ، وأمَّا الأحاديث التي لا تقوم بها حجَّة ، فكثيرة ، لعلها نحو الألف .

(٥) في آ : العراق .

(٦) هو الحافظ محمد بن طاهر ، كما في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٩) .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومئتين

فيها نشبت[١] الحرب بين أبي أحمد الموفَّق وبين عمرو بن الليث بفارس ، فقصده أبو أحمد ، فهرب منه عمرو من بلدٍ إلى بلدٍ ، وهو يتبعه ، ثم لم يقع بينهما قتال ولا مواجهة ، وقد تحيَّز إلى أبي أحمد الموفَّق مقدَّمُ جيشِ عمرو بن الليث ، وهو أبو طلحة شركب الجمَّال ، ثم أراد العَود ، فقبض عليه أبو أحمد ، وأباح ماله لولده أبي العباس المعتضد ، وذلك بالقرب من شِيراز .

وفيها : غزا بازمار الخادم ، نائب طَرَسُوس ، بلاد الروم ، فأوغل فيها ، فقتل وغنم وسلم .

وفيها : دخل صدِّيق الفرغانيّ سامُرّا ، فنهب دور التجّار بها ، وكرَّ راجعاً . وقد كان هذاالرجل ممن يحرس الطرقات ، فترك ذلك وأقبل يقطع الطرقات ، وضعف الجند بسامُرّا عن مقاومته .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن أحمد بن يحيى الأصم : أبو إسحاق ، قال ابنُ الجوزي في « المنتظم »[٢] : كان حافظاً فاضلاً ، روى عن حرملة وغيره . وتوفي في جمادى الآخرة من هذه السنة .

إسحاق بن إبراهيم بن زياد : أبو يعقوب المقرىء . عن هُدبة . وعنه ابن مخلد[٣] . توفي في ربيع الأول منها .

أيوب بن سليمان[٤] : ابن داود الصفدي . عن آدم بن أبي إياس ، وأبي اليمان ، وعليّ بن الجَعْد . وعنه ابن صاعد ، وابن السماك ، وكان ثقة ، توفي في رمضان منها .

الحسن بن مُكْرَم[٥] : ابن حسان أبو علي البزّاز .

سمع عفَّاناً ، وأبا النَّضْر[٦] ، ويزيد بن هارون ، وغيرهم .

وعنه المَحَاملي ، وابن مخلد ، والنَّجّاد .

---

(١) في آ : شبت .
(٢) المنتظم (٥/ ٩٢) .
(٣) المنتظم (٥/ ٩٢) وفيه : عن هدبة بن خالد ، روى عنه ابن خالد .
(٤) المنتظم (٥/ ٩٣) .
(٥) المنتظم (٥/ ٩٣) ، تاريخ بغداد (٧/ ٤٣٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩٢) .
(٦) هما عفان بن مسلم ، وهاشم بن القاسم ، أبو النَّضر .

وكان ثقة . وتوفي في رمضان منها عن ثلاث[١] وتسعين سنة .

خلف بن محمد[٢] : ابن عيسى ، أبو الحسين الواسطيّ ، الملقب بكُرْدُوس ، روى عن يزيد بن هارون وغيره . وعنه المَحَاملي ، وابن مخلد .

قال ابن أبي حاتم[٣] : صدوق .

وقال الدَّارَقُطنيُّ[٤] : ثقة .

توفي في ذي الحجة منها ، وقد نيَّف على الثمانين .

عبد الله بن رَوْح[٥] بن عبد الله : أبو محمد المدائني المعروف بِعَبْدوس .

روى عن شَبَابة ، ويزيد بن هارون .

وعنه المَحَاملي ، وابن السماك ، وأبو بكر الشافعيّ .

وكان من الثقات . توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة .

عبد الله بن أبي سعد[٦] : أبو محمد الورَّاق[٧] ، أصله من بَلْخ ، وسكن بغداد .

روى عن سُرَيج بن يونس ، وعفَّان ، وعليّ بن الجَعْد ، وغيرهم .

وعنه ابنُ أبي الدنيا ، والبغويّ ، والمَحَاملي .

وكان ثقة ، صاحب أخبار وآداب وملح . وتوفي بواسط في جمادى الآخرة منها عن سبع وسبعين سنة .

محمد بن إسماعيل[٨] : ابن زياد أبو عبد الله ، وقيل : أبو بكر الدولابيّ . سمع أبا النَّضْر ، وأبا اليمان ، وأبا مسهر . وعنه أبو الحسين بن المنادي ، ومحمد بن مَخْلد ، وابن السَّمَّاك . وكان ثقة .

---

(١) في ب ، ظا ، ط : ثلاث وسبعين .
(٢) المنتظم (٥/ ٩٣) ، تاريخ بغداد (٨/ ٣٣٠) ، تهذيب الكمال (٨/ ٢٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩٩) .
(٣) الجرح والتعديل (٧/ الترجمة ٩٩٧) .
(٤) سؤالات البرقاني للدارقطني (١٣١) ، وتاريخ بغداد (٨/ ٣٣٠) .
(٥) تاريخ بغداد (٩/ ٤٥٤) ، المنتظم (٥/ ٩٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥) .
(٦) المنتظم (٥/ ٩٣) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٥) .
(٧) زاد في تاريخ بغداد : وهو عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن بن بشر بن هلال الأنصاري .
(٨) المنتظم (٥/ ٩٤) ، تاريخ بغداد (٢/ ٣٨) .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومئتين

في المحرم منها وقع الخُلْف بين ابن أبي الساج وبين خُمَارَوَيه ، واقتتلا عند ثَنِيَّة العُقاب[١] شرقي دمشق ، فغُلِبَ ابن أبي الساج وانهزم ، وكانت حواصله بحمص ، فبعث خُمَارَوَيْه مَنْ سبقه إليها فأخذها ، ومنع منه حمصَ ، فذهب إلى حلب ، فتبعه[٢] خُمَارَوَيْه ، فسار إلى الرَّقَّة ، فاتبعه ، فذهب إلى الموصل ، ثم انهزم منها خوفاً من خُمَارَوَيْه ، ووصل خُمَارَوَيْه إلى بَلَد ، واتخذ له بها سريراً طويل القوائم ، فكان يجلس عليه في الفرات .

وعند ذلك طمع[٣] فيه إسحاق بن كنداجيق ، فسار وراءه ليظفر منه بشيء فلم يقدر ، وقد التقيا في بعض الأيام فصبر ابنُ أبي الساج صبراً عظيماً ، فسلِمَ ، وانصرف إلى أبي أحمد ببغداد ، فأكرمه وخلع عليه واستصحبه معه إلى الجبل ، ورجع إسحاق بن كنداج إلى ديار بكر ومضر من الجزيرة .

وفي هذه السنة ، في شوّال منها ، سجَن أبو أحمد الموفَّق ابنَه أبا العباس المعتضد في دار الإمارة .

وكان سبب ذلك أنه أمره بالمسير إلى بعض الوجوه ، فامتنع أن يسير إلا إلى الشام التي كان عمه المعتمد ولاه إياها ، فغضب عليه ، وأمر بسجنه ، فثارت الأمراء واختبطت بغداد ، وركب الموفَّق إلى الميدان[٤] ، وقال للناس : أتظنون أنكم أشفق على ولدي مني ؟ فسكن الناس عند ذلك وتراجعوا إلى منازلهم ، ثم أفرج عنه ، ولله الحمد والمنة .

وفي هذه السنة سار رافع[٥] إلى محمد بن زيد ، أخي الحسن بن زيد العلوي ، فأخذ منه مدينة جُرجان ، فهرب منه إلى إستراباذ ، فحصره بها سنتين ، فغلا بها السعر حتَّى بيع الملح بها وزن الدرهم بدرهمين ، فهرب محمد بن زيد منها ليلاً إلى سارية ، فأخذ منه رافع بلاداً كثيرة بعد ذلك في مدة متطاولة[٦] .

وفي المحرّم منها أو في صفر كانت وفاة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن [الأموي][٧] ، صاحب الأندلس ، عن ست وأربعين سنة . وكانت ولايته سنةً وأحدَ عشر شهراً ، وعشرة أيام .

---

(١) « ثنيّة العقاب » : ثنية مشرفة على غوطة دمشق ، يطؤها القاصد من دمشق إلى حمص .
(٢) في ط : « فمنعه » ، وما أثبتناه من ب ، ظا ، وابن الأثير (٧/ ٤٢٩) .
(٣) أي طمع في ابن أبي الساج . وتفصيل ذلك في الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٣٠) .
(٤) في آ ، ط : بغداد .
(٥) هو رافع بن هَرْثَمة .
(٦) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٣٤) .
(٧) زيادة من ط وابن الأثير .

وكان أسمر طويلاً ، بوجهه أثر جُدَري ، جواداً ممدّحاً ، يحبّ الشعراء ويصلهم بمال كثير ، وخلّف من الأولاد ستة ذكور .

وقام بالأمر من بعده أخوه عبد الله بن محمد ، فامتلأت بلاد الأندلس في أيامه فتناً وشروراً حتَّى هلك ، كما سيأتي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجَّاج[١] المَرُّوذي : صاحب الإمام أحمد . وكان من الأئمة الأذكياء ، كان أحمد يقدّمه على جميع أصحابه ، ويأنس به ، ويبعثه في الحاجة ، فيقول : قل ما شئت .

وهو الذي أغمض الإمام أحمد ، وكان فيمن غسّله أيضاً .

وقد نقل عن أحمد مسائل كثيرة ، وحصلت رفعة عظيمة [بعده][٢] ؛ تتبعه إلى سامُرّا حين أراد الغزو خمسون ألفاً .

أحمد بن محمد بن غالب[٣] : ابن خالد بن مِرْداس ، أبو عبد الله الباهليّ البصريّ ، المعروف بغُلام خليل ، وقد سكن بغداد .

روى عن سليمان بن داود الشَّاذَكُوني ، وشَيْبان بن فروخ ، وقُرَّة بن حبيب ، وغيرهم .

وعنه ابن السَّمَّاك ، وابن مَخْلَد ، وغيرهما .

وقد أنكر عليه أبو حاتم وغيره أحاديثَ رواها منكرة عن شيوخ مجهولين .

قال أبو حاتم[٤] : ولم يكن ممن يفتعل الأحاديث ، كان رجلاً صالحاً .

وكذَّبه أبو داودَ[٥] وغيرُ واحد .

وروى ابن عَدِيّ عنه أنه اعترف بوضع الحديث ليرقِّقَ به قلوبَ الناس[٦] .

---

(١) المنتظم (٥/ ٩٤) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٣٥) ، العبر (٢/ ٥٤) .
(٢) من ب ، ظا .
(٣) الجرح والتعديل (٢/ ٧٣) ، كتاب المجروحين والضعفاء (١/ ١٥٠) ، تاريخ بغداد (٥/ ٧٨) ، المنتظم (٥/ ٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٢) .
(٤) الجرح والتعديل (٢/ ٧٣) .
(٥) في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٣) : وروي عن أبي داود السِّجستاني أنه قال : ذاك دجَّال بغداد ، نظرت في أربعمئة حديث له ، عُرِضَتْ عليَّ ، كلّها كذب ، متونها وأسانيدها .
(٦) الكامل في الضعفاء (١/ ١٩٨) ، وتاريخ بغداد (٥/ ٧٩) .

وقد كان عابداً زاهداً يقتات الباقلاء الصرف . وحين مات أغلقت[١] أسواق بغداد ، وحضر الناس للصلاة عليه ، ثم حُمِلَ في زورق[٢] إلى البصرة ، فدفن بها ، وكان ذلك في رجب من هذه السنة[٣] .

وأحمد بن مُلاعب[٤] . روَى عن يحيى بن معين وغيره . وكان ثقة ديناً عالماً فاضلاً ، انتشر به علمٌ كثير .

وأبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السُّكَّريّ ، النَّحوي ، اللغوي ، صاحب التصانيف[٥] .

وإسحاق بن إبراهيم بن هانىء ، أبو يعقوب النَّيْسابوري[٦] ، كان من أخِصَّاء أصحاب الإمام أحمد ، وعنده اختفى في زمن المحنة .

وعبد الله بن يعقوب بن إسحاق التَّميميّ العطَّار الموصليّ . قال ابن الأثير[٧] : وكان كثير الحديث معدَّلًا عند الحُكَّام .

ويحيى بن أبي طالب[٨] .

وأبو داود السِّجستاني[٩] : صاحب السنن ، وهو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بَشير بن شَدَّاد بن عمرو بن عِمران ، أبو داود السِّجِسْتاني ، أحد الأئمة الراحلين الجوَّالين في الآفاق والأقاليم . جمع وصنَّف وخرَّج وألَّف وسمع الكثير عن مشايخ البلدان في الشام ومصر والجزيرة والعراق وخراسان وغير ذلك . وله : « السُّنَن » المشهورة المتداولة بين العلماء ، التي قال فيها أبو حامد الغزالي : يكفي المجتهدَ معرفتُها من الأحاديث النبوية .

---

(١) في ب ، ظا : غلقت .

(٢) في تاريخ بغداد وغيره : تابوت .

(٣) تاريخ بغداد (٥/ ٨٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٥) .

(٤) أبو الفضل المخرّمي . المحدِّث ، الحافظ ، ثقة . تاريخ بغداد (٥/ ١٦٨) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢) .

(٥) قال الخطيب البغدادي : كان ثقة ديّناً فاضلاً ، يقرىء القرآن ، وانتشر عنه شيء كثير من كتب الأدب . كان عجباً في معرفة أشعار العرب ، ألف لجماعة منهم دواوين .
تاريخ بغداد (٧/ ٢٩٦) ، المنتظم (٥/ ٩٧) ، معجم الأدباء (٨/ ٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٢٩) .

(٦) المنتظم (٥/ ٩٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩) .

(٧) الكامل (٧/ ٤٣٥) .

(٨) هو يحيى بن جعفر بن عبد الله بن الزِّبرقان ، أبو بكر البغدادي ، المحدِّث . صحح الدارقطني حديثه .
تاريخ بغداد (١٤/ ٢٢٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦١٩) .

(٩) تاريخ بغداد (٩/ ٥٥) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٥٩) ، المنتظم (٥/ ٩٧) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٤) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩١) ، طبقات السبكي (٢/ ٢٩٣) ، شذرات الذهب (٢٢/ ١٦٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٠٣) .

حدث عنه جماعة ؛ منهم : ابنه أبو بكر عبد الله ، وأبو عبد الرحمن النَّسائي ، وأحمد بن سلمان النَّجَّاد ، وهو آخر من روى عنه في الدنيا .

سكن البصرة ، وقدم بغداد غيرَ مرة ، وحدَّث بكتابه « السُّنن » بها ، ويقال : إنه صنَّفه بها[١] وعرضه على الإمام أحمد ، فاستجاده واستحسنه .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي[٢] : حدَّثني أبو بكر محمد بن علي بن إبراهيم القارىء الدِّينوريّ بلفظه ، قال : سمعت أبا الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الفَرَضي ، قال : سمعت أبا بكر بن دَاسَة يقول ، سمعت أبا داود يقول :

كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمئة ألف حديثٍ ، انتخبتُ منها ما ضمَّنتُه الكتاب يعني « السُّنَن » ، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمئة حديث[٣] ، ذكرت الصَّحيح ، وما يشبهُهُ ويقاربُه ، ويكفي الإنسانَ لدينه من ذلك أربعةُ أحاديث[٤] ، أحدها : قولُه عليه الصلاة والسلام : « الأعمالُ بالنيَّاتِ »[٥] . الثاني : قوله : « مِنْ حُسْنِ إسلام المرءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيه »[٦] . والثالث : قوله : « لا يكونُ المؤمِنُ مؤمِناً حتَّى يَرْضَى لأخِيه ما يَرْضى لِنَفْسِهِ »[٧] . الرَّابع : قوله : « الحَلالُ بيِّن والحرامُ بيِّن وبين ذلك أمورٌ مشتبهاتٌ »[٨] .

---

(١) في ب ، ظا : صنفه قديماً .

(٢) تاريخ بغداد (٩/ ٥٧) .

(٣) عددها في المطبوع برواية اللؤلؤي (٥٢٧٤) .

(٤) علق الذهبي على ذلك بقوله : يكفي الإنسان لدينه ، ممنوع ، بل يحتاج المسلم إلى عدد كثير من السُّنن الصحيحة مع القرآن . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٠) .

(٥) رواه أحمد في المسند (١/ ٢٥ و٤٣) ، والبخاري في صحيحه (١/ ٧ و١٥) ، في بدء الوحي وفي الإيمان ، باب ما جاء أن الأعمال بالنية ، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومسلم رقم (١٩٠٧) في الإمارة ، باب قوله ﷺ : إنما الأعمال بالنية ، وأبو داود رقم (٢٢٠١) في الطلاق ، والترمذي رقم (١٦٤٧) ، والنسائي (١/ ٥٩ و٦٠) ، وابن ماجه رقم (٤٢٢٧) كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام .

(٦) رواه الترمذي رقم (٢٣١٧) في الزهد ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مالك في « الموطأ » في كتاب حسن الخلق (٢/ ٩٠٣) ، والترمذي رقم (٢٣١٨) من حديث علي بن الحسين مرسلاً ، وهو ضعيف من هذا الوجه ، لكن روي الحديث عن عدد من الصحابة كما في الجامع الصغير فيتحسن الحديث ، وهو أصل عظيم من أصول الأدب في الإسلام .

(٧) أقول : لم أقف عليه بهذا اللفظ في سنن أبي داود ، وقد ساقه ابن الأثير في جامع الأصول الذي حققته (١/ ١٩٠) والحافظ المزي في تهذيب الكمال المخطوط (١/ ٥٣١) والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٠) ، في معرض خبر نسبوه إلى أبي بكر بن داسة .
والمحفوظ ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ : لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه .

(٨) رواه البخاري في الإيمان ، رقم (٥٢) ، ومسلم رقم (١٥٩٩) في المساقاة ، وأبو داود رقم (٣٣٣٠) ، والترمذي=

وحدثت عن عبد العزيز بن جعفر الحنبليّ ، أن أبا بكر الخلال قال : أبو داود سليمانُ بن الأشعث السِّجِسْتاني الإمام المقدَّم في زمانه ، رجلٌ لم يسبقه إلى معرفة تخريج العلوم وبصره بمواضعه أحدٌ من أهل زمانه ، رجل وَرِعٌ مقدَّم ، وقد سمع منه أحمد بن حنبل حديثاً واحداً ، كان أبو داود يذكره[١] .

وكان إبراهيم الأصبهاني ، وأبو بكر بن صدَقَة يرفعون من قدره ، ويذكرونه بما لا يذكرون أحداً في زمانه مثله[٢] .

قلت : الحديثُ الذي كتبه عنه وسمعه منه الإمامُ أحمد ، هو ما رواه [أبو داود][٣] من حديث حمَّاد بن سَلَمة ، عن أبي العُشَراء[٤] الدَّارمي ، عن أبيه : أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئل عن العَتِيرَةِ ، فحَسَّنها[٥] .

وقال إبراهيم الحَرْبيّ وغيرُه : أُلينَ لأبي داود الحديث ، كما أُلينَ لداود الحديدُ[٦] . وقال غيرُه[٧] : كان أحدَ حفَّاظ الإسلام للحديث وعلله وسَنَده ، في أعلى درجة النُّسْك والعفاف والصلاح والورع ، من فرسان الحديث .

وقال غيره : كان ابن مسعود يُشَبَّه بالنبيِّ ﷺ في هَدْيه وَدَلِّه وسَمْته ، وكان عَلْقَمَةُ يشبهه ، [وكان إبراهيم يشبهه][٨] ، وكان منصور يشبهه ، وكان سفيان الثوري يشبهه ، وكان وكيعٌ يشبهه ، وكان أحمد يشبهه ، وكان أبو داود يشبه أحمد بن حنبل[٩] .

= رقم (١٢٠٥) ، وابن ماجه رقم (٣٩٨٤) في الفتن ، والدارمي (٢/ ٢٤٥) ، وأحمد في المسند (٤/ ٢٦٧ و٢٦٩) كلهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما . وللشوكاني رسالة في شرح هذا الحديث سماها كشف الشبهات عن المشتبهات مطبوعة وجديرة بأن تحقق وتخرج في ثوب جديد . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١١) .

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٥٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١١) .

(٢) زيادة من ط .

(٣) زيادة من ط .

(٤) في الأصول العشر ، وأثبت ما جاء في سير أعلام النبلاء ، وتاريخ بغداد ، وكتب التراجم .

(٥) قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١١) عن هذا الحديث : هذا حديث منكر ، تُكلم في عبد الرحمن بن قيس ـ وهو الراوي عن حماد بن سلمة ـ وإنما المحفوظ عن حماد بهذا السند حديث « أما تكون الذّكاة إلا من اللَّبَّة » . أقول : وقد أخرجه بهذا اللفظ أبو داود رقم (٢٨٢٥) والترمذي رقم (١٤٨١) وابن ماجه رقم (٣١٨٤) ، وأبو العشراء مجهول .

(٦) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٢) .

(٧) هو أحمد بن محمد بن ياسين الهروي . ورد ذلك في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١١) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (١٠/ ١١٠) .

(٨) زيادة من ظا ، ط ، وهو إبراهيم النخعي ، وباقي الفقرة من (ب) . وهي ناقصة في نسخة (آ) .

(٩) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٦) .

وقال محمد بن بكر بن عبد الرزاق : كان لأبي داود كُمٌّ واسعٌ ، وكُمٌّ ضيقٌ ، فقيل له : ما هذا يرحمك الله ؟ فقال : هذا الواسع للكتب ، والآخر لا يُحتاج إليه(١) .

وقد كان مولد أبي داود في سنة ثنتين ومئتين ، وتوفي بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شوّال سنة خمس وسبعين ومئتين عن ثلاث وسبعين سنة ، ودفن إلى جانب قبر سفيان الثوري . وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا « التكميل » وذكرنا ثناء الأئمة عليه .

ومحمد بن إسحاق بن إبراهيم(٢) : أبو العَنْبَس الصَّيمريّ(٣) الشاعر ، كان مجيداً في شعره ديِّناً ، كثيرَ الملح ، وكان هجَّاءً ، ومن جيد شعره قوله(٤) :

كم مريضٍ قَدْ عاشَ مِنْ بَعْدِ يأسٍ ... بَعْـدَ مـوتِ الطَّبيـبِ والعُـوَّادِ
قـد يُصَـادُ القطـا فينجـو سليمـاً ... ويَحِـلُّ القَضَـاءُ بـالصَّيَّـادِ

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومئتين

في المحرم منها أعيد عمرو بن الليث إلى شرطة بغداد ، وكُتِبَ اسمُه على الفرش والمقاعد والستور ، ثم أسقط اسمه في شوال منها ، وعزل عن ذلك ، وولي عبيد الله بن [بن عبد الله](٥) بن طاهر .

وفيها : ولّى الموفَّقُ ابنَ أبي الساج نيابةَ أذْرَبيجان .

وفيها : قصد هارون الشاري الخارجي مدينة الموصل ، فنزل شرقيّ دجلتها ، فحاصرها ، فخرج إليه أشراف أهلها ، فاستأمنوه فأمَّنَهم ، ورجع عنه .

وحجَّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد العباسي ، أمير الحرمين والطائف .

ولمَّا رجع حُجَّاج اليمن نزلوا في بعض الأماكن ، فجاءهم سَيْلٌ ولم يشعروا به حتى غرَّقهم كلَّهم ، فلم يفلت منهم أحدٌ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (١٠/ ١١١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢١٧) .
(٢) نديم المتوكل والمعتمد العباسيين ، كان أديباً ظريفاً عارفاً بالنجوم ، وهو من أهل الكوفة ، وقبره فيها . ولي قضاء الصيمرة فنسب إليها ، له مناظرة مع البحتري . وهجاه أكثر شعراء زمانه .
له ترجمة في تاريخ بغداد (١/ ٢٣٨) ، ومعجم الأدباء (١٨/ ٨) ، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٨) ، ومعجم البلدان (صَيْمَرة) ، والمنتظم (٥/ ٩٩) .
(٣) في آ ، ط : الضيمري .
(٤) البيتان في تاريخ بغداد (١/ ٢٣٨) ، ومعجم الأدباء (١٨/ ٩) ، ومعجم البلدان (٣/ ٤٣٩) ، والمنتظم (٥/ ٩٩) .
(٥) من ب ، ظا .

وذكر ابن الجوزي في « منتظمه »[١] ، وابن الأثير في « كامله »[٢] : أن في هذه السنة انفرج تلٌّ في أرض البصرة يعرف بتل شقيق عن سبعة أقبر في مثل الحوض ، وفيها سبعة أبدانهم صحيحة ، وأكفانهم يفوح منها ريح المسك ، أحدهم شاب له جُمّة ، وعلى شفتيه بلل كأنه قد شرب ماءً ، وكأن عينيه مكحّلتان ، وبه ضربة في خاصرته . وأراد بعض من حضره أن يأخذ من شعره شيئاً ، فإذا هو قويّ كشعر الحيّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن حازم بن أبي غَرَزَة[٣] ، الحافظ ، صاحب المسند المشهور ، له حديث كثير ورواية عالية .

بَقِيُّ بنُ مَخْلَد[٤] : أبو عبد الرحمن الأندلسي ، الحافظ الكبير ، [صاحب][٥] « المُسْنَد » المبوَّب على الفقه ؛ روى فيه عن ألف وستمئة صحابي ، وقد فضَّله ابنُ حزم على مسند الإمام أحمد ، وعندي في ذلك نظر ، والظاهر أن مسند أحمد أجود منه وأجمع ؛ [فإنه ليس هو ببلادهم ، ولا وقع لهم روايته ، ولو اطلع عليه ووقف على ما فيه ، لما فضّل عليه مسنداً من المسندات ، اللهم إلا أن يكون بَقِيّ قد سمع من أحمد جميع المسند وزاد عليه ، كما قد يسَّرَ الله من الزيادات التي ألحقناها بمسند الإمام أحمد ، ولله الحمد والمنة أبداً][٦] .

وقد رحل بَقِيّ إلى العراق ، فسمع من الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث بالعراق وغيرها يزيدون على المئتين بأربعة وثلاثين شيخاً ، وله تصانيف أخر .

وكان مع ذلك رجلاً صالحاً عابداً زاهداً ، مجابَ الدعوة ؛ ذكر القشيريُّ : أنَّ امرأة جاءته ، فقالت : إنَّ ابني أسرته الإفرنج ، وإنِّي لا أنام الليل من شوقي إليه ، ولي دُوَيرة أريدُ أن أبيعها لأستفكَّه[٧] ؛ فإن رأيت أن تشير إلى أحدٍ يأخذها لأسعى في فكاكه بثمنها ، فليس لي ليل ولا نهار ، [ولا نوم][٨] ولا صبر ، ولا قرار . فقال : نعم ، انصرفي حتى ننظر في ذلك ، إن شاء الله .

---

(١) المنتظم (٥/ ١٠٠) .
(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٣٧) ، وهو في تاريخ الطبري أيضاً (١٠/ ١٦) .
(٣) أبو عمرو الغِفاري الكوفي ، كان حافظاً متقناً ، ذكره ابن حبان في الثقات . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٣٩) ، العبر (٢/ ٥٥) .
(٤) معجم الأدباء (٧/ ٧٥) ، المنتظم (٥/ ١٠٠) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٥) ، شذرات الذهب (٢/ ١٦٩) .
(٥) من ب ، ظا .
(٦) ما بين قوسين زيادة من ب ، ظا .
(٧) في ب ، ظا : لأن أستفكه بها .
(٨) زيادة من ب ، ظا .

وأطرق الشيخ وحرَّك شفتيه يدعو الله عزَّ وجلَّ لولدها بالخلاص ، فذهبت ، فما كان إلا عن قليلٍ حتَّى جاءت ، وابنُها معها ، فقالت : اسمعْ خبَره ، يرحمك الله ! فقال : كيف كان أمرك ؟ فقال : إنِّي كنت فيمن يخدُمُ الملك ونحن في القيود ، فبينا أنا ذات يوم أمشي إذ سقط القيدُ من رجلي ، فأقبل عليَّ الموكَّل بنا ، فشتمني ، وقال : فككتَ القيد من رجليك[1] ؟ فقلت : لا والله ، ولكنه سقط ولم أشعر ، فجاؤوا بالحداد فأعادوه ، وشدّ مسماره وأيّد ، ثم قمت فسقط أيضاً ، فأعادوه وأكّدُوه ، فسقط أيضاً ، فسألوا رهبانهم ، فقالوا : له والدة ؟ فقلت : نعم ، فقالوا : إنَّه قد استجيب دعاؤها له ، أطلقوه ، فأطلقوني ، وخَفَروني حتَّى وصلْت إلى بلاد الإسلام . فسأله بَقِيٌّ عن الساعة التي سقط القيد من رجليه ، فإذا هي الساعة التي دعا اللهَ له فيها[2] .

صاعد بن مَخْلَد[3] : الكاتب ، كان كثير الصدقة والصلاة ، وقد أثنى عليه أبو الفرج بن الجَوزي في « منتظمه »[4] ، وتكلم فيه ابن الأثير في « كامله »[5] . وذكر أنه كان فيه تيه وحمق ، وقد يمكن الجمع بين القولين وهاتين الصفتين .

ابن قتيبة[6] : عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة ، أبو محمد الدِّينَوَريّ ، ثم البغدادي ، أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء . روى عن إسحاق بن راهَوَيْه ، وغير واحد ، وله التصانيف المفيدة المشهورة الأنيقة ، كغريب القرآن ، ومشكله ، والمعارف ، وأدب الكاتب ، وعيون الأخبار ، وغير ذلك .

وكان ثقة جليلاً نبيلاً ، وكان أهل [العلم][7] يتّهمون من لم يكن في منزله من تصنيف ابن قُتيبة شيء .

وكان سبب وفاته أنه أكل لقمة من هريسةٍ ، فإذا هي حارَّة ، فصاح صيحة شديدة ، ثم أغمي عليه إلى وقت الظهر ، فأفاق ، ثم لم يزل يتشهَّد إلى أن مات وقت السحر ، أوَّل ليلة من رجب من هذه السنة ، وقيل : إنه توفي في سنة سبعين ومئتين ، والصحيح في هذه السنة .

---

(١) في آ : رجلك .
(٢) معجم الأدباء (٧/ ٨٤) ، المنتظم (٥/ ١٠٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٠) .
(٣) تاريخ الطبري (انظر الفهرس) ، والكامل لابن الأثير (انظر الفهرس) ، والمنتظم (٥/ ١٠١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٢٦) .
(٤) المنتظم (٥/ ١٠١)
(٥) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤١٩) .
(٦) تقدمت ترجمته في حوادث سنة ٢٧٠هـ . وسقطت هنا في ب ، ظا ، غير أن نسخة ب أوردت اسمه فقط عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
(٧) زيادة من ط .

عبد الملك بن محمد بن عبد الله أبو قِلابة الرَّقَاشي[١] : أحد الحفاظ ، وكان يكنى بأبي محمد ، ولكن غلب عليه لقب أبو قِلابة .

سمع يزيد بن هارون ، ورَوْح بن عُبَادة ، وأبا داود الطيالسيّ ، وغيرهم .

وعنه ابن صاعد ، والمَحَامليّ ، والنَّجَّاد ، وأبو بكر الشَّافعي ، وغيرهم .

وكان صدوقاً ، عابداً ، يصلِّي في كل يوم أربعمئة ركعة . وروى من حفظه ستين ألف حديث ، غلط في بعضها ، وعلى سبيل العمد . وكانت وفاته في شوَّال من هذه السنة عن ستٍّ وثمانين سنة .

ومحمد بن أحمد بن أبي العَوَّام[٢] .

ومحمد بن إسماعيل الصائغ[٣] .

ويزيد بن عبد الصَّمد[٤] .

وأبو الرَّدَّاد : عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرَّدَّاد ، المؤذن ، صاحب « المقياس »[بمصر] ، الذي هو مسلَّم إليه وإلى ذريته إلى يومنا هذا . قاله القاضي ابن خلكان في « الوفيات »[٥] .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومئتين

فيها دعا بازمار نائب طَرَسُوسَ لِخُمَارَوَيْه ، وذلك لأنه هاداه بذهبٍ كثير وتُحف هائلة ؛ من حريرٍ وغير ذلك .

وفيها : قدِم قائد عظيم من أصحاب خُمَارَوَيْه إلى بغداد .

وفيها : ولي المظالمَ ببغداد يوسفُ بن يعقوب ، ونودي في الناس : مَنْ كانت له مظلمة ولو عند

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٢٥) ، المنتظم (٥/ ١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٠) .

(٢) محمد بن أحمد بن يزيد بن أبي العَوَّام الرِّياحي ، أبو بكر ، وأبو جعفر . المحدِّث . صدوق . المنتظم (٥/ ١٠٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٧) .

(٣) محمد بن إسماعيل بن سالم ، أبو جعفر الصَّائغ ، القرشي ، العباسي ، مولى المهدي ، المحدّث ، شيخ الحرم المكي ، صدوق ، من أبناء التسعين . المنتظم (٥/ ١٠٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦١) .

(٤) هو يزيد بن محمد بن عبد الصَّمد الدمشقي ، أبو القاسم ، المحدِّث المتقن . كان ثقة بصيراً بالحديث . توفي بدمشق . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥١) ، العبر (٢/ ٥٨) .

(٥) وفيات الأعيان (٣/ ١١٢) ، والأعلام للزركلي (٤/ ٩٨) .

الأمير الناصر لدين الله أبي أحمد الموفَّق ، أو عند أحدٍ من الناس فليحضر . وسار في الناس سيرة حسنة ، وأظهر صرامة لم يُرَ مثلها .

[وحجَّ بالناس هارون بن محمّد الهاشمي][١] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن إسحاق بن أبي العَنْبَس[٢] ، أبو إسحاق الكوفي ، قاضي بغداد بعد ابن سَماعة ، سمع يَعْلَى[٣] بن عبيد وغيره ، وحدَّث عنه ابن أبي الدنيا وغيره . وتوفي عن ثلاث وتسعين سنة ، وكان ثقة فاضلاً ديناً صالحاً .

أحمد بن عيسى[٤] : أبو سعيد الخرَّاز ، أحد مشاهير الصوفية بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة ، وله تصانيف في ذلك ، وله كرامات وأحوال وصبر على الشدائد وضيق الحال .

روى عن إبراهيم بن بشَّار ، صاحب إبراهيم بن أدهم ، وغيره .

وعنه : عليّ بن محمد المصري ، وجماعة .

ومن جيد كلامه قوله ـ رحمه الله ـ : إذا بكت أعينُ الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم[٥] .

وقوله ـ رحمه الله ـ : العافية تستر البَرَّ والفاجر ، فإذا جاءت البلوى تبين عندها الرجال[٦] .

وقوله : كلُّ باطنٍ يخالفه ظاهرٌ ، فهو باطل[٧] .

وقوله : الاشتغال بوقتٍ ماضٍ تضييع وقت ثانٍ[٨] .

وقوله : ذنوب المقرَّبين حسنات الأبرار[٩] .

---

(١) زيادة من ب ، ظا .

(٢) في الأصول والمطبوع : ابن أبي العينين ، وأثبت ما جاء في المصادر : تاريخ بغداد (٦/ ٢٥) ، والمنتظم (٥/ ١٠٥) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٩٨) .

(٣) في آ ، ط : معلى ، وهو يعلى بن عبيد الطنافسي .

(٤) طبقات الصوفية (٢٢٣ ـ ٢٢٨) ، حلية الأولياء (١٠/ ٢٤٦) ، تاريخ بغداد (٤/ ٢٧٦) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٣٥) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٠٤) ، المنتظم (٥/ ١٠٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٩) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٢) .

(٥) المنتظم (٥/ ١٠٥) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٣٧) .

(٦) المنتظم (٥/ ١٠٥) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٣٧) .

(٧) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٠) .

(٨) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٠٥) .

(٩) صفة الصفوة (٢/ ٤٣٧) .

وقوله : الرّضا قبل القضاء تفويض ، والرّضا مع القضاء تسليم[١] .

وقد روى البيهقيُّ بسنده إليه أنه سئل عن قوله عليه الصلاة والسلام : « جُبِلَت القلوبُ على حُبِّ مَنْ أحْسَنَ إليها » ، فقال : يا عجباً لمن لم يَرَ محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته إليه[٢] ؟ .

قلت : وهذا الحديث ليس بصحيح ، ولكن كلامه عليه حَسَنٌ[٣] .

وقال ابنه سعيد : طلبت من أبي دانقَ فضةٍ ، فقال : يا بنيّ ، اصبر ، فلو أحبَّ أبوك أن يركَبَ الملوكُ إلى بابه ما تأبَّوا عليه[٤] .

وروى الحافظ ابن عساكر[٥] عنه قال : أصابني[٦] مرّة جوع شديد ، فهممت أن أسأل الله طعاماً ، ثم قلت : هذا ينافي التوكّل ، فهممت أن أسأله صبراً ، فهتف بي هاتف :

وَيَـزْعُـمُ أنَّـهُ منَّـا قـريـبٌ ... وَأنَّـا لا نُضيِّـعُ مَـنْ أتـانـا
وَيَسْألُنا القِرى جهداً وصَبْراً ... كـأنَّـا لا نَـرَاهُ ولا يَـرانـا

قال : فقمت ومشيت فراسخ بلا زادٍ .

وقال أبو سعيد الخرّاز : المحبُّ يتعلل إلى محبوبه بكل شيء ، ولا يتسلَّى عنه بشيء ، يتبع آثاره ولا يدع استخباره ، ثم أنشد[٧] :

أسـائلُكُـمْ عنهـا فَهَـلْ مِـنْ مخبِّـرٍ ... فمـالـي بِنُعْمَـى بَعْـدَ مكَّتِنـا عِلْـمُ
فلَـوْ كُنْـتُ أدْري أيـنَ خَيَّـم أهلُهـا ... وأيّ بـلادِ اللهِ إذْ ظَعَنُـوا أمُّـوا[٨]
إذاً لسلَكنـا مسلـكَ الـرِّيـحِ خَلْفَهـا ... ولو أصبحَتْ نُعْمَى ومِن دُونها النَّجْمُ

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٠٨) .
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٤٣٧) .
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان ، قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة صفحة (١٧٢) ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية وهو باطل مرفوعاً وموقوفاً ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١) ، وأبو الشيخ وابن حبان في روضة العقلاء ، وآخرون كلهم من طريق إسماعيل بن أبان الخياط ، قال : بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش وقع فيه ، فبعث إليه بكسوة ، فمدحه الأعمش ، فقيل للأعمش : ذممته ثم مدحته ، فقال : إن خيثمة حدثني عن ابن مسعودٍ قال : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وهكذا رواه ابن عدي في الكامل (٢/ ٧٠١) . وإسماعيل بن أبان الخياط متروك ، رمي بالوضع ، كما قال الحافظ في تقريب التهذيب .
(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٠٨) .
(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٠٨) .
(٦) في تاريخ ابن عساكر : كنت في البادية فنالني جوع . .
(٧) الأبيات في طبقات الصوفية ص٢٢٨ ، وحلية الأولياء (١٠/ ٢٤٨) .
(٨) « ظعنو » : ساروا ، و « أمّوا » : قصدوا .

وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل : في سنة سبع وأربعين[١] ، وقيل : في سنة ست وثمانين والأول أصح .

عيسى بن عبد الله بن سِنان بن دَلَّوَيْه[٢] : أبو موسى الطَّيالسيّ ، الحافظ ، يلقب زَغَاث[٣] ، سمع عفَّان وأبا نُعَيم ، وعنه أبو بكر الشافعي وغير واحد . وثقه الدَّارقطني . وكانت وفاته في شوال من هذه السنة عن أربع وثمانين سنة .

أبو حاتم الرَّازيّ[٤] : محمد بن إدريس بن المُنْذر بن داود بن مِهْران ، أبو حاتم الحَنْظَلي الرَّازي ، أحد الأئمة الحفاظ الأثبات ، العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل ، وهو قرين أبي زُرْعَة الرَّازي ، تغمدهما الله برحمته .

سمع الكثير ، وطاف الأقطار والأمصار ، وروى عن خلق من الكبار ، وحدَّث عنه : الرَّبيع بن سليمان ، ويونس بن عبد الأعلى ، وهما أكبر منه ، وقدم بغداد فحدَّث بها ، وروى عنه من أهلها إبراهيمُ الحَرْبي ، وابنُ أبي الدنيا ، والمَحَاملي ، وغيرهم .

قال لابنه عبد الرحمن[٥] : يا بُنَيَّ ، مشَيْتُ على قدمي في طلب الحديث أكثَر من ألف فَرْسَخ ، وذكر أنه لم يكن له شيء ينفق عليه في بعض الأحيان ، وأنَّه مكث ثلاثاً لا يأكل شيئاً حتى استقرضَ من بعض أصحابه نصفَ دينار .

وقد أثنى عليه غيرُ واحد من العلماء والفقهاء .

وكان يتحدَّى مَنْ حضَر عنده من الحفَّاظ وغيرهم ؛ فيقول : مَنْ أغْرَبَ عليَّ بحديثٍ واحدٍ صحيحٍ فله عليَّ درهمٌ أتصدَّق به . قال : ومرادي أن أسمعَ ما ليس عندي ، فلم يأتِ أحد بشيء من ذلك ، وكانَ في جملة من حضر ذلك أبو زُرْعَة الرازي[٦] . كانت وفاة أبي حاتم في شعبان من هذه السنة .

محمد بن الحسين بن موسى[٧] : ابن الحسن أبو جعفر الكوفي الخرَّاز ، المعروف بالحُنَيْني ، له مسندٌ كبير .

---

(١) بعده عند ابن عساكر : وهو باطل .
(٢) تاريخ بغداد (١١/ ١٧٠) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦١٠) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦١٨) ، طبقات الحفاظ (٢٧٢) .
(٣) في ب : رغاب ، وفي ظا : رعاث .
(٤) الجرح والتعديل (١/ ٣٤٩) ، تاريخ بغداد (٢/ ٧٣) ، طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٤) ، المنتظم (٥/ ١٠٧) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٦٧) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٧) ، العبر (٢/ ٥٨) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧١) .
(٥) المنتظم (٥/ ١٠٨) .
(٦) المنتظم (٥/ ١٠٨) ، الجرح والتعديل (١/ ٣٥٥) .
(٧) الجرح والتعديل (٧/ ٢٣٠) ، تاريخ بغداد (٢/ ٢٢٥) ، المنتظم (٥/ ١٠٩) ، سير إعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٣) .

روى عن : عُبَيْد الله بن موسى ، والقَعْنَبيِّ ، وأبي نُعَيْم ، وغيرهم . وعنه : ابن صَاعد ، والمَحَاملي ، وابن السَّمَّاك . كان ثقة ، صدوقاً .

محمد بن سعدان[1] ، أبو جعفر البَزَّاز ، سمع من أكثر من خمسمئة شيخ ، ولكن لم يحدِّث إلا باليسير ، وتوفي في شعبان منها .

قال ابن الجوزي[2] : وثَمَّ محمد بن سعدان البزاز ، عن القَعْنَبي ، وهو غير مشهور . ومحمد بن سعدان ، النَّحوي ، مشهور ؛ توفي في سنة إحدى [وثلاثين][3] ومئتين .

قال ابن الأثير في كامله[4] : وتوفي فيها :

يعقوب بن سفيان بن جُوَان[5] ، الإمام الفسوي ، وكان يتشيع .

ويعقوب بن يوسف بن معقل الأمويّ ، مولاهم ، والد أبي العباس أحمد الأصم .

وعَريب ، المغنّية المأمونيّة ، قيل : إنَّها ابنة جعفر بن يحيى البرمكيّ ، فأما :

يعقوب بن سفيان بن جُوَان[6] : فهو أبو يوسف بن أبي معاوية الفارسي الفَسَوي ، سمع الحديث الكثير ، وروى عن أكثر من ألف شيخ من الثقات[7] ؛ منهم : هشام بن عمَّار ، ودحيم ، وأبو الجماهر ، وسليمان بن عبد الرحمن ، الدمشقيون ، وسعيد بن منصور ، وأبو عاصم ، ومكي بن إبراهيم ، وسليمان بن حَرْب ، ومحمد بن كثير ، وعبيد الله بن موسى ، والقَعْنَبي .

روى عنه : النسائي في « سننه » ، وأبو بكر بن أبي داود ، والحسن بن سفيان ، وابن خراش ، وابن خزيمة ، وأبو عَوانة الإسفراييني ، وخلق سواهم ، وصنَّف كتاب « التاريخ » و « المعرفة » وغيره من الكتب المفيدة النافعة .

وقد رحل في طلب الحديث إلى البلدان النائية ، وتغرَّب عن وطنه في ذلك نحو ثلاثين سنة .

---

(١) المنتظم (٥/ ١٠٩) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٢٥) .
(٢) المنتظم (٥/ ١٠٩) .
(٣) من ب ، ظا ، والمنتظم ومن ترجمته في تاريخ بغداد (٥/ ٣٢٤) .
(٤) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٤٠) .
(٥) في آ ، ط : حِران .
(٦) الجرح والتعديل (٩/ ٢٠٨) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٠) ، العبر (٢/ ٥٨) ، تهذيب الكمال (لوحة ١٥٥٠) ، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٨٥) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧١) .
(٧) علَّق الذهبي على ذلك في سير أعلام النبلاء ، فقال : ليس في مشيخته إلا نحو من ثلاثمئة شيخ ، فأين الباقي ؟ ثم في المذكورين جماعة قد ضُعِّفوا .

وروى ابن عساكر[١] عنه أنَّه قال : كنتُ أكتب في الليل على ضوء السِّراج في زمن الرحلة ، فبينا أنا ذات ليلة إذ وقع شيء على بصري ، فلم أبصر معه السِّراجَ ، فجعلت أبكي على ما فاتني من ذهاب بصري ، وما يفوتني بسبب ذلك من كتابة حديث رسول الله ﷺ ، وما أنا فيه من الغربة ، ثم غلبتني عيني فنمت ، فرأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام ، فقال : ما لك[٢] ؟ فشكوت إليه ما أنا فيه من الغربة ، وما فاتني من كتابة السنة . فقال : ادْنُ منِّي ، فدنوت منه ، فوضع يده على عيني ، وجعل كأنه يقرأ شيئاً من القرآن . ثم استيقظت فأبصرت ، وجلست أنسخ .

وقد أثنى عليه أبو زُرْعة الدمشقيّ ، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري ، وقال : هو إمام أهل الحديث بفارس ، وقدم نيسابور وسمع منه مشايخنا ، وقد نسبه بعضهم إلى التشيّع .

وذكر ابن عساكر[٣] : أن يعقوب بن الليث صاحب فارس بلغه عنه أنه يتكلم في عثمان بن عفان ، فأمر بإحضاره ، فقال له وزيره : أيها الأمير ، إنه لا يتكلَّم في شيخنا عثمان بن عفان السِّجزي ، وإنما يتكلم في عثمان بن عفان الصحابي ، فقال : دعوه ، ما لي وللصحابي[٤] ، إني حسبته يتكلَّم في شيخنا [عثمان بن عفان السِّجزي][٥] .

قلت : وما أظنُّ هذا صحيحاً عن يعقوب بن سفيان ؛ فإنَّه إمام محدِّث كبيرُ القدر ، وقد كانت وفاته قبل أبي حاتم الرَّازي بشهر في رجب من هذه السنة بالبصرة ، رحمه الله .

وقد رآه بعضهم في المنام ، فقال له : ما فعل بك ربُّك ؟ قال : غفر لي وأمرني أن أمليَ الحديث في السَّماء كما كنت أمليه في الأرض ، فجلَسْتُ للإملاء في السماء الرابعة ، وجلس حولي جماعةٌ من الملائكة ؛ منهم جبريل ، يكتبون ما أمليه من الحديث بأقلام الذهب .

وأما عَريب المأمونيَّة[٦] : فقد ترجمها الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » ، وحكى قولاً لبعضهم أنها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد البَرْمكي ، سُرِقَتْ وهي صغيرة عند ذهاب دولة البرامكة ، وبِيعتْ ،

---

(١) حرف الياء من تاريخ ابن عساكر ساقط في النسخ المخطوطة المتوفرة منه . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨١) ، وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٨٧) ، وتهذيب الكمال (لوحة ١٥٥١) .

(٢) في ب ، ظا : مالك كثيباً .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٢) .

(٤) في ب ، ظا : وللصحابة .

(٥) زيادة من ط .

(٦) الأغاني (٢١/ ٥٤ ـ ٩١) ، تاريخ ابن عساكر تراجم النساء (ص٢٢٩ ـ ٢٣٩) ، وابن الأثير (٧/ ٤٤٠) .

فاشتراها[١] المأمون بن الرشيد . ثم روى[٢] عن حمَّاد بن إسحاق ، عن أبيه أنه قال : ما رأيت امرأةً قطّ أحسنَ وَجْهاً ، وأدَباً ، وغناءً ، وضَرْباً ، وشِعراً ، ولَعِباً بالشِّطْرنج والنَّرْد منها ؛ وما تشاء أن تجدَ خَصْلَةً حسنةً ظريفةً بارعةً في امرأةٍ إلا وجدتَها فيها .

وقد كانت شاعرة مطيفة فصيحةً بليغةً ؛ كان المأمون يتعشَّقُها ، ثم أحبَّها بعده المعتصم ، وكانت هي تتعشَّق لرجلٍ يقال له : محمد بن حامد[٣] ، وربما أدخلته إليها في دار الخلافة ، قبَّحها الله ، على ما ذكره ابن عساكر عنها .

ثم تعشَّقت صالحاً المنذريّ ، وتزوجته سراً ، وكانت تقول فيه الشعر ، وربما غنَّته بين يدي المتوكِّل وهو لا يشعر فيمن هو ، فيضحك جواريه من ذلك ، فتقول لهن : يا سحّاقات ، هذا خيرٌ من عملكن[٤] .
وقد أورد ابن عساكر شيئاً كثيراً من شعرها ، فمن ذلك أنَّها لمَّا دخلت على المتوكِّل تعودُه من مرض أصابه ، أنشدته من شعرها وغنَّته به[٥] :

أتَوْني فقَالوا : بالخليفةِ عِلَّةٌ ... فقلْتُ ونارُ الشَّوقِ تُوقدُ في صدري
ألا ليْتَ بي حُمَّى الخليفةِ جعفرٍ ... فكانتْ بيَ الحمَّى وكانَ له أجْري
كفى حَزَناً أن قيلَ حُمّ فلم أمُتْ ... مِنَ الحُزْنِ إنّي بعدَ هذا لَذُو صَبْري
جُعِلْتُ فِداءً للخليفةِ جعفرٍ ... وذاكَ قليلٌ للخليفةِ مِنْ شكري

ولمَّا عُوفي دخلت عليه ، فغنَّته من قبلها[٦] :

شكراً لأنْعُم مَنْ عافاكَ مِنْ سَقَمِ ... دُمْتَ المعافَى من الآلام والسَّقَمِ
عادَتْ بنُوركَ للأيَّام بهجَتُها ... واهتزَّ نَبْتُ رياضِ الجُودِ والكَرَمِ
ما قامَ للدِّينِ بعدَ المصطفى مَلِكٌ ... أعَفُّ منكَ ولا أرعى على الذِّمَمِ
فعمَّرَ اللهُ فينا جعفَراً ونفى ... بنُورِ سنَّتِهِ عنَّا دُجى الظُّلَمِ

ولها في عافيته أيضاً[٧] :

---

(١) في تاريخ ابن عساكر : واشتراها الأمين ، ثم اشتراها المأمون .
(٢) ابن عساكر (تراجم النساء) (ص٢٢٩) ، الأغاني (٢١/ ٥٤) .
(٣) في الأغاني : محمد بن حامد الخاقاني المعروف بالخشن ، أحد قواد خراسان ، وكان أشقر أصهب الشعر أزرق العينين .
(٤) الأغاني (٢١/ ٧٢) ، ابن عساكر تراجم النساء (ص٢٣٥) .
(٥) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء (ص٢٣٣)
(٦) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء (ص٢٣٣) .
(٧) تاريخ ابن عساكر تراجم النساء (ص٢٣٤) .

حَمِدنا الذي عافَى الخليفةَ جَعْفراً ... على رُغْمِ أشياخِ الضّلالةِ والكُفْرِ
وما كانَ إلا مثلَ بَدْرٍ أصابهُ ... كُسُوفٌ قليلٌ ثم أجْلَى عنِ البَدْرِ
سلامَتُهُ للدِّينِ عِزٌّ وقُوَّةٌ ... وعِلَّتُه للدِّينِ قاصمةُ الظَّهرِ
مَرِضْتَ فأمرضْتَ البَريَّةَ كلَّها ... وأظلَمَتِ الأمصارُ من شدَّةِ الذُّعرِ
فلما استبانَ الناسُ مِنْكَ إفاقةً ... أفاقوا وكانوا كالنِّيام[١] على الجَمْرِ
سلامةُ دنيانا سلامةُ جَعْفَرٍ ... فدامَ معافاً سالماً آخِرَ الدَّهرِ
إمامٌ يعمُّ الناسَ بالفضلِ[٢] والتُّقى ... قريباً مِنَ التَّقوى بَعِيداً مِنَ الوِزْرِ

ولها من الأشعار الرائقة الفائقة شيء كثير ، وفيما ذكرنا كفاية ، والله الموفق للصواب .

قال ابن عساكر[٣] : بلغني أن مولدها في سنة إحدى وثمانين ومئة ، وتوفيت سنة سبع وسبعين ومئتين بسُرَّ من رأى ، ولها ستٌّ وتسعون سنة .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومئتين

قال ابن الجوزي[٤] : في المحرم من هذه السنة طلع نجم ذو جُمَّةٍ[٥] ثم صارت الجُمَّةُ ذؤابةً[٦] .

قال[٧] : وفي هذه السنة غار ماء النيل ، وهذا شيء لم يعهد مثله ، ولا بلغنا في الأخبار السابقة ، فغلت الأسعار بمصر بسبب ذلك جداً .

قال[٨] : وخلع على عبيد الله بن سليمان بن وهب بالوزارة .

قال[٩] : وفي المحرم منها قدم الموفَّق أبو أحمد من الغزو فتلقاه الناس إلى النهروان ، فدخل بغداد وهو مريض بالنقرس ، فاستقرَّ في داره في أوائل صفر ، ومات بعد أيام ، كما سيأتي في ترجمته في هذه السنة .

---

(١) تاريخ ابن عساكر : كالقيام .
(٢) في ب ، ظا : بالعقل ، وفي تاريخ ابن عساكر بالعدل .
(٣) تاريخ دمشق تراجم النساء (ص٢٣٩) .
(٤) المنتظم (٥/ ١٠٩) ، الطبري (١٠/ ١٩) .
(٥) « الجُمَّة » : مجتمع شعر الرأس .
(٦) « الذؤابة » : الشعر المضفور من شعر الرأس .
(٧) المنتظم (٥/ ١١٠) .
(٨) المنتظم (٥/ ١٠٩) .
(٩) المنتظم (٥/ ١٠٩) .

[أول ظهور القرامطة في سنة ثمان وسبعين ومئتين][١]

قال ابن الجوزي[٢] : وفي هذه السنة تحركت القرامطة ، قبَّحهم الله ، وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوَّة زرادشت ومزدك ، وكانا يبيحان المحرمات . ثم [هم][٣] بعد ذلك أتباعُ كلِّ ناعقٍ إلى باطلٍ ، وأكثر ما يدخلون من جهة الرافضة[٤] ؛ لأنَّهم أقلُّ الناس عندهم وعند غيرهم عقولاً .

ويقال لهم : الإسماعيلية ؛ لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق .

ويقال لهم : القرامطة ؛ قيل : نسبة إلى قِرْمِط بن الأشعث البقار[٥] .

وقيل : إن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر مَن اتبعه بخمسين[٦] صلاة في كُلِّ يوم وليلة ؛ ليشغلهم بذلك عمَّا يريد تدبيره من المكيدة . ثم اتخذ نقباء اثني عشر ، وأسس لأتباعه دعوة ومسلكاً ، ودعا إلى إمام من أهل البيت .

ويقال لهم : الباطنية ؛ لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحضَ ، والخُرَّمِيَّة ، والبابكيَّة نسبة إلى بابَك الخرَّميّ الذي ظهر في أيام المعتصم ، فلم يزل يبعث خلفه الجيوش حتى جيء به أسيراً فقتله ، كما ذكرنا فيما سبق[٧] .

ويقال لهم : المُحَمِّرة نسبة إلى صبغ الحمرة شعاراً ، مضاهاة لسواد بني العباس .

والتعليمية ، نسبة إلى التعلم[٨] من الإمام المعصوم ، وترك الرأي ومقتضى[٩] العقل .

ويقال لهم : السبعية ، نسبة إلى القول بأن الكواكب السبعة المتحيِّزة السيَّارة مدبِّرة لهذا العالم فيما يزعمون ، لعنهم الله . وهي القمر في الأولى ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمرِّيخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة .

---

(١) زيادة من ب ، ظا .
(٢) المنتظم (٥/ ١١٠) .
(٣) من ب ، ط .
(٤) في ب ، ظا : القرامطة .
(٥) في المنتظم : قرمط بن الأشعب ، البقال .
(٦) في آ : بخمس صلوات .
(٧) حوادث سنة ٢٢٢ و٢٢٣ .
(٨) في ب ، ظا : التعليم .
(٩) في المنتظم : وإفساد تصرف العقل .

قال ابن الجوزي[1] : وقد بقي من البابكيّة جماعةٌ يقال : إنهم يجتمعون في كلِّ سنة ليلة هم ونساؤهم ، ثم يطفئون المصابيح ، وينتهبون النساء ، فمن وقع في يده امرأة حلت له ؛ ويقولون : هذا اصطياد مباحٌ ، لعنهم الله . وقد بسط أبو الفرج بن الجوزي في هذا الموضع من تاريخه المسمَّى « بالمنتظم » تفصيل قولهم ، لعنهم الله .

وقد سبقه إلى ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني[2] المتكلِّم المشهور في كتابه « هتك الأستار وكشف الأسرار » في الردِّ على الباطنية ، في الكتاب الذي جمعه بعض قضاتهم بديار مصر في أيام الفاطميين الذي سماه « البلاغ الأعظم والناموس الأكبر » جعله ست عشرة درجة ، أول درجة : أن يدعوَ من يجتمع به أولًا إن كان من أهل السُّنَّة إلى القول بتفضيل عليٍّ على عثمان ، ثم ينتقل به إذا وافقه على ذلك إلى تفضيله على الشيخين أبي بكر وعمر ، ثم يترقَّى من ذلك إلى سبِّهما ؛ لأنهما ظلما علياً وأهلَ البيت الحقّ ، ثم يترقَّى بعد ذلك إلى تجهيل الأمة وتخطئتها في موافقة أكثرهم على ذلك ، ثم يشرع في القدْح في دين الإسلام من حيث هو .

وقد ذكر لمخاطبته[3] شبهاً وضلالات لا تروج إلا على كل غبيٍّ جاهل شقيٍّ ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ [الذاريات : ٧ - ٩] ، أي يضلّ به من هو ضال . وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ١٦١ - ١٦٣] . وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢ - ١١٣] . والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ومضمونها أنَّ الجهلَ والضَّلال لا ينقاد له إلَّا شرار الرجال ، كما قال بعضُ الشعراء :

إنْ هـو مستحـوذاً علـى أحـدٍ إلا علـى أضْعَـفِ المَجَـانيـنِ

ثم بعد هذا كلِّه لهم مقامات في الكفر والجهل والسخافة والرُّعونة ما لا ينبغي لضعيف عقلٍ أو دينٍ ، أو تصور سماعه ، مما فتح عليهم إبليس من أبواب وأنواع الجهالات ، وربما أفاد بعضهم إبليس أشياء لم تكن عنده ، كما قال بعضهم :

وكنتُ أمرأً من جندِ إبليسَ بُرهةً مِنَ الدَّهرِ حتَّى صَارَ إبليسُ مِنْ جُندي

---

(١) المنتظم (٥/ ١١٤) .

(٢) هو محمد بن الطيب بن محمد ، من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة . ولد في البصرة وسكن بغداد ، وتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ .

(٣) بعدها في ط : لمن يريد أن يخاطبه بذلك .

والمقصود : أنَّ هذه الطائفة تحرَّكت في هذه السنة ، ثم استفحل أمرهم ، وتفاقم الحال بهم ، على ما سنذكره ، حتى آل الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام ، فسفكوا فيه دماء الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة المكرمة ، وكسروا الحجر الأسود ، واقتلعوه من موضعه ، وذهبوا به إلى بلادهم في سنة سبع عشرة وثلاثمئة ، ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة ، فمكث غائباً عن موضعه ثنتين وعشرين سنة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون[١] .

واتفق في هذه السنة شيئان ؛ أحدهما : ظهور هؤلاء ، والثاني : موتُ حسام الإسلام وناصر الدين أبي أحمد الموفَّق ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ، بكرمه ومنّه . لكن أبقى الله للمسلمين بعده ولده أبا العبّاس أحمد بن أبي أحمد الموفَّق ، الملقب بالمعتضد . وقد كان [الموفَّق أبو أحمد][٢] شهماً شجاعاً فاتكاً جواداً ممدَّحاً .

وهذه ترجمة أبي أحمد الموفَّق[٣] ، رحمه الله : هو الأمير الناصر لدين الله ، الموفَّق بالله ، أبو أحمد ، محمد ، ويقال : طلحة بن المتوكِّل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد .

كان مولده في يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومئتين ، وكان أخوه المعتمد حين صارت إليه الخلافة قد عهد إليه بالولاية بعد ابنه جعفر ، ولقَّبه الموفَّق بالله ، ثم لمَّا قُتِل صاحب الزّنج وكسر جيشه تلقَّب بناصر دين الله ، وصار إليه العقد والحلّ والولاية والعزل ، وإليه يُجبى الخراج ، وكان يخطب له على المنابر ، فيقال : اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله ، أبا أحمد الموفَّق بالله ، ولي عهد المسلمين ، أخا أمير المؤمنين .

ثم اتفق موته قبل أخيه المعتمد بستة أشهر ، رحمه الله ، وكان غزير العقل ، حسن التدبير ، [كريماً ، جواداً ، ممدّحاً ، شجاعا ، مقداماً ، رئيساً ، حسن المحادثة والمجالسة ، عادلاً ، حسن السيرة][٤] ، يجلس للمظالم ، وعنده القضاة ، فينصف المظلوم من الظالم ، وكان عالماً بالأدب ، والنسب ، والفقه ، وسياسة الملك وغير ذلك ، وله محاسن ومآثر كثيرة جداً .

وكان سبب موته : أنَّه أصابه مرض النِّقْرس في السَّفر ، ثم قدم إلى بغداد وهو عليل ، فاستقرَّ في داره

---

(١) بعده في المطبوع ما نصه : « وكل ذلك من ضعف الخليفة وتلاعب الترك بمنصب الخلافة واستيلائهم على البلاد وتشتت الأمر .
(٢) من ب ، ظا .
(٣) له ترجمة في تاريخ الطبري ، وتاريخ بغداد (٢/ ١٢٧) ، المنتظم (٥/ ١٢١) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٤١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦٩) ، العبر (٢/ ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٩ ـ ٦٠) ، الوافي بالوفيات (٢/ ٢٩٤) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٢) .
(٤) زيادة من ب ، ظا .

في أوائل صفر وقد تزايد به المرض ، وتورَّمت رجله حتى عظمت جداً ، وكان يوضع عليها الأشياء المبرّدة كالثلج ونحوه ، فكان يحمل سريره أربعون رجلاً بالنوبة ، عشرون ، عشرون . فقال لهم ذات يوم : ما أظنكم إلا قد مللتم ، فياليتني كواحدٍ منكم ، آكل كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون في عافية .

وقال أيضاً : في ديواني مئة ألف مرتزق ليس فيهم أسوأ حالاً مني .

ثم كانت وفاته في القصر الحسيني ليلة الخميس لثمان بقين .

قال ابن الجوزي[١] : من هذه السنة .

وقال ابن الأثير[٢] : في صفر من هذه السنة .

قال ابن الجوزي[٣] : وله سبع وأربعون سنة تنقص شهراً وأياماً .

ولما توفي أبو أحمد الموفَّق اجتمع الأمراء على أخذ البيعة بولاية العهد من بعده لولده أبي العباس أحمد ، فبايع له المعتمد بولاية العهد بعد ابنه المفوّض ، وخطب له على المنابر بعد المفوّض ، وجعل إليه ما كان إلى أبيه من الولاية والعزل والقطع والوصل ، والعقد والحل ، ولقّب المعتضد بالله .

وممن توفي فيها أيضاً :

إدريس بن سُليم القَعْنبي[٤] الموصلي ، قال ابن الأثير[٥] : وكان كثير الحديث والصلاح .

وإسحاق بن كنداجيق[٦] ، نائب الجزيرة ، وكان من ذوي الرأي ، وقام[٧] بما كان إليه ولدُه محمد .

ويا زمان[٨] ، نائب طَرَسُوس ، جاءه حجر مِنْجنيق من بلدة كان يحاصرها ببلاد الروم ، فمات منه ، وذلك في رجب من هذه السنة ، ودفن بطَرَسوس ، فولّي نيابة الثغر بعده أحمد العُجيفيّ بأمر خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، ثم عزله عن قريب بابن عمه محمد بن موسى بن طولون .

وعبدة بن عبد الرحيم ، قبّحه الله . ذكر ابن الجوزي في « المنتظم »[٩] : أن هذا الشقيَّ كان من

---

(١) المنتظم (٥/ ١٢٢) وفيه : من صفر هذه السنة .
(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٤٣) .
(٣) المنتظم (٥/ ١٢٢) .
(٤) في المطبوع وابن الأثير الفَقْعَسيّ .
(٥) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥١) .
(٦) في ط : كنداج .
(٧) عبارة ابن الأثير (٧/ ٤٥١) : وولي ما كان إليه من أعمال الموصل وديار ربيعة ابنه محمد .
(٨) في ب ، ظا : مازيار .
(٩) المنتظم (٥/ ١٢٠) .

المجاهدين كثيراً في بلاد الروم ، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرون لبلدةٍ من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة في ذلك الحصن فهويها ، فراسلها : ما السبيلُ إليك ؟ فقالت : أن تتنصَّرَ وتصعدَ إليَّ ، فأجابها إلى ذلك ، قبّحه الله ، فما راع المسلمين إلا وهو عندها ، فاغتمَّ المسلمون بسبب ذلك غمّاً شديداً ، وشق عليهم مشقةً عظيمةً . فلمّا كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن ، فقالوا له : يا فلان ، ما فعل قرآنُك ؟ ما فعل [عملك][1] ؟ ما فعل صيامك وصلاتك ؟ فقال : اعلموا أني أنسيت القرآن كلّه إلا قوله : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٢ ـ ٣] .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومئتين

في أواخر المحرم منها خلع جعفر المفوّض من ولاية العهد ، واستقلَّ بولاية العهد من بعد المعتمد أبو العباس بن الموفّق ، ولقّب بالمعتضد ، وجعل إليه السلطنة ، كما كان أبوه ، وخطب بذلك المعتمدُ على رؤوس الأشهاد ، وكان يوماً مشهوداً . ففي ذلك يقول يحيى بن علي يهنِّىء المعتضد[2] :

ليهنكَ عقدٌ أنتَ فيهِ المقدَّمُ ... حباكَ بهِ ربٌّ بفضلِكَ أعلمُ
فإنْ كنْتَ قد أصبحْتَ واليَ عهدِنا ... فأنتَ غداً فينا الإمامُ المعظَّمُ
ولازال مَن والاكَ فيكَ مبلَّغاً ... مُناهُ ومَنْ عاداكَ يخزى ويندمُ
وكانَ عمودُ الدينِ فيه تأوُّدٌ ... فعادَ بهذا العهدِ وهوَ مقوَّمُ
وأصبحَ وجهُ المُلكِ جذلانَ ضاحكاً ... يضيءُ لنا منهُ الذي كانَ يُظلِمُ
فدونكَ فاشددْ عَقْدَ ما قَدْ حويتَهُ ... فإنَّكَ دونَ الناسِ فيهِ المُحَكَّمُ

وفيها : نودي ببغداد أن لا يمكّن القصّاصُ الطرقية والمنجمون ومن أشبههم من الجلوس في المساجد ولا في الطرقات ، وأن لا تباع كتبُ الكلام والفلسفة والجدل بين الناس ، وذلك بهمَّة أبي العباس المعتضد سلطان الإسلام .

وفي هذه السنة وقعت حروبٌ بين هارون الشاري وبين بني شيبان في أرض الموصل ، وقد بسط ذلك ابنُ الأثير[3] في « كامله » .

---

(١) زيادة من ب ، ظا . وفي المطبوع والمنتظم : علمك .
(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٢) .
(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤) .

وفي رجب منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الإثنين لتسع[١] عشرة خلت منه .

وهذه ترجمة المعتمد[٢] : هو أمير المؤمنين المعتمد على الله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ، واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . استمرت أيامه في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وستة أيام ، وكان عمره يوم مات خمسين سنة وستة أشهر ، كان أسنَّ من أخيه أبي أحمد الموفّق بستة أشهر ، وتأخّر بعده أقل من سنة ، ولم يكن إليه من الأمر شيء ، وإنَّما كان الأمر كلّه فيما يتعلّق بتدبير الخلافة إلى الموفّق ، وقد اتفق أنَّ المعتمد طلب في بعض الأيام ثلاثمئة دينار فلم يحصل له ، فقال في ذلك[٣] :

أليسَ مِنَ العجائبِ أنَّ مثلي ... يَرَى ما قَلَّ ممتنِعاً عليهِ

وتؤخَذُ باسْمِهِ الدُّنيا جميعاً ... وما مِن ذاكَ شيءٌ في يَدَيْهِ

إليه تُحمَّلُ الأموالُ طُرّاً ... ويُمنَعُ بعض ما يُجْبَى إليهِ

وكان أول خليفة انتقل من سامُرَّا إلى بغداد بعدما بنيت سامُرَّا ، ثم لم يعد إليها أحد من الخلفاء ، بل جعلوا دار إقامتهم ببغداد ، وكان سبب هلاكه فيما ذكر ابن الأثير[٤] أنه شرب تلك الليلة شراباً كثيراً ، وتعشَّى عشاءً كثيراً . وكانت وفاته في القصر الحَسَني من بغداد ، وحين مات أحضر المعتضدُ القضاة والأعيان وأشهدهم أنه مات حتف أنفه ، ثم غسّل وكفّن ، وصلّى عليه ، ثم حمل فدفن بسامُرَّا .

وفي صبيحة العزاء بُويع للمعتضد بالله .

البلاذري المؤرِّخ ، أحد المشاهير[٥] : أحمد بن يحيى بن جابر بن داود أبو الحسن ، ويقال : أبو جعفر ، ويقال : أبو بكر البغدادي البَلاذُرِي ، صاحب التاريخ المنسوب إليه .

سمع هشام بن عمّار ، وأبا عُبَيْد القاسم بن سلام ، وأبا الرَّبيع الزهراني وجماعة .

---

(١) في ب ، ظا : لسبع عشرة . مصحف ، وما أثبتناه موافق لمصادر ترجمته .

(٢) في الأصول : وهذه ترجمته . وترجمته في تاريخ الطبري (٩/ ٤٧٤) ، تاريخ بغداد (٤/ ٦٠) ، الكامل لابن الأثير ، الجزء السابع ، في أماكن متفرقة ، فوات الوفيات (١/ ٦٤) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٤٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٣) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٥) ، فوات الوفيات (١/ ٦٦) ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٤٨ و٦٠٢) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٩٣) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٧٥) .

(٤) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٥) .

(٥) تأخرت ترجمة البلاذري في (آ) ووردت بعد ترجمة المعتضد . وترجمته في الفهرست لابن النديم ، المقالة الثالثة ، الفن الأول ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٣١٩) ، معجم الأدباء (٥/ ٨٩) ، فوات الوفيات (١٠/ ١٥٥) ، الوافي بالوفيات (٨/ ٢٣٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦٢) ، لسان الميزان (١/ ٣٢٢) .

وعنه : يحيى بن النَّديم ، وأحمد بن عمَّار ، وأبو يوسُف يعقوب بن نعيم بن قَرْقَارة الأزدي .

قال ابن عساكر[١] : كان أديباً ، راوية ، له كتبٌ جيادٌ ، ومدَحَ المأمون بمدائحَ ، وجالس المتوكِّل ، وتوفي أيام المعتضد ، وَوُسوس في آخر عمره .

وروى ابن عساكر[٢] عن البَلاذُري قال : قال لي محمود الورَّاق : قُلْ من الشعر ما يبقى ذلك ذكره ، ويزول عنك إثمه ، فقلت :

استعدّي يا نفسُ للموتِ واسعَيْ ... لنجَـاةٍ فـالحَـازِمُ المُسْتَعِـدُّ
قـد تبيَّنْـتُ أنَّـه ليـس للحـ ... ـيِّ خُلودٌ ولا مِنَ الموتِ بُـدُّ
إنَّمـا أنـتِ مستعيـرةٌ مـا سَـوْ ... فَ تَـرُدِّيـنَ والعَـوَاري تُـرَدُّ[٣]
أنْـتِ تَسْهيـنَ والحوادِثُ لا تَسْـ ... ـهُـو وَتَلْهِيـنَ والمَنَايـا تَعُـدُّ[٤]
أيُّ مُلْـكٍ فـي الأرْضِ أيُّ حَـظٍّ ... لامـرىءٍ حظُّـهُ مِـنَ الأرْضِ لَحْـدُ
لا تُرَجِّي البَقَاءَ في مَعْدِنِ المَوْ ... ت ودَارٍ حتـوفُهـا لـكِ وِرْدُ
كيـفَ يَهْـوَى امْـرُؤٌ لَـذَاذَةَ أيَّـا ... مٍ عليـه الأنفـاسُ فيهـا تُعَـدُّ

خلافة المعتضد بالله[٥]

أمير المؤمنين أبي العباس أحمد [ابن الأمير أبي أحمد الموفّق بن جعفر المتوكِّل][٦] . وكان من خيار خلفاء بني العباس ورجالهم . كانت البيعة له صبيحة موت المعتمد لعشرٍ بقِين من رجب من هذه السنة ، أعني سنة تسع وسبعين ومئتين ، وقد كان أمر الخلافة داثراً فأحياه بهمَّته وعدله وشهامته وصرامته وشجاعته ، استوزر عبيد الله بن سليمان بن وَهْب ، وولَّى مولاه بَدْراً الشُّرْطَة ببغداد ، وجاءته هدايا عمرو بن الليث ، ويسأل منه أن يولِّيه إمرةَ خراسان ، فأجابه إلى ذلك ، وبعث إليه بالخِلَع واللواء ، فنصبه عمرو بن الليث في داره ثلاثة أيام فرحاً وسروراً بذلك[٧] .

وعزل رافعَ بن هَرْثَمة عن إمرة خراسان ، ودخلها عمرو بن الليث ، فلم يزَلْ يتبع رافعاً من بلدٍ إلى بلدٍ

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٣١٩) ، ومعجم الأدباء (٥/ ٩٩) ، والوافي بالوفيات (٨/ ٢٣٩) .
(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٣١٩) ، ومعجم الأدباء (٥/ ٩٧ ـ ٩٨) .
(٣) « العارة والعارية » : ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك ، يقال : عارية مستردة ، والجمع العواري .
(٤) في مختصر تاريخ ابن عساكر ومعجم الأدباء : تَجِدُّ .
(٥) سترد ترجمته مفصلة في حوادث سنة (٢٨٨هـ) .
(٦) زيادة من ب ، ظا ، ط .
(٧) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٦) .

حتَّى قتَلَه في سنة ثلاث وثمانين كما سيأتي ، وبعث برأسه إلى المعتضد ، وصَفَتْ إمرةُ خراسان لعمرو بن الليث[١] .

وفي هذه السنة قَدِمَ الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصَّاص من الدِّيار المصرية ، بهدايا عظيمة من خُمَارَوَيْه صاحب مصر إلى المعتضد بالله ، فتزوَّج المعتضدُ بابنة خُمَارَوَيْه ، فجهَّزها أبوها بجهازٍ لم يُسْمَعْ بمثله ، حتَّى قيل : إنه كان فيه من الهواوين الذهب مئة هاون ، فحمل ذلك كلّه من الدِّيار المصرية إلى بغداد صحبة العروس ، وكان وقتاً مشهوداً .

وفي هذه السنة تملَّك أحمد بن عيسى بن الشيخ قَلْعة ماردين ، وكانت قبل ذلك لإسحاق بن كنداجيق[٢] .

وفيها : حجَّ بالناس هارون بن محمد العبَّاسي ، وهي آخر حجة حجَّها ، وكان أوَّل حجَّة حجَّها بالناس سنة أربع وستين ومئتين [إلى هذه السنة][٣] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد[٤] أمير المؤمنين المعتمد ، كما تقدَّم في ترجمته قريباً .

أبو بكر بن أبي خَيْثمة[٥] : واسمه : أحمد بن زهير بن خيثمة ، صاحب التاريخ وغيره . سمع أبا نعيم ، وعفَّان . وأخذ علمَ الحديث عن أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ؛ وعلمَ النسب عن مصعب الزبيري ؛ وأيامَ الناس عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني ، وأخذ علمَ الأدب عن محمد بن سلام الجمحي .

وكان ثقة حافظاً ضابطاً مشهوراً ، وفي تاريخه هذا فوائد كثيرة وفرائد غزيرة .

وقد روى عنه البغوي ، وابنُ صاعد ، وابن أبي داود ، وابن المنادي . وقد كانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، رحمه الله .

خاقان أبو عبد الله الصوفي[٦] ، كانت له أحوال وكرامات .

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٥٧-٤٥٩) .
(٢) في ط والطبري : كنداج .
(٣) تكملة من الطبري وابن الأثير .
(٤) حتى قوله : قريباً لم يرد في ب ، ظا .
(٥) تاريخ بغداد (٤/ ١٦٢) ، المنتظم (٥/ ١٣٩) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٤) .
(٦) كان من كبار الصوفية البغداديين ، له أخبار في المنتظم (٥/ ١٤٠) .

[نصر بن أحمد بن أسد بن سامان[١] : الساماني ، أحد ملوكهم الأكابر ، وقد كانوا من سلالة الأكاسرة ، كان جدهم سامان من أصحاب أبي مسلم الخراساني ، وأصله من ذرية بهرام بن أزدشير بن سابور ، ثم كان ابنه أسد من عقلاء الرجال . وخلَّف نوحاً وأحمد ويحيى وإلياس ، وقد ولي كل واحد من هؤلاء مملكة ، ناحية من النواحي ؛ وهم السامانية][٢] .

التِّرْمِذيّ[٣] : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضَّحَّاك ، وقيل : محمد بن عيسى بن يزيد بن سَوْرة بن السَّكَن ، ويقال : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن شدَّاد أبو عيسى السّلمي التِّرمذيّ الضرير ، ويقال : إنه ولد أكْمَه[٤] .

وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه ، وله المصنفات المشهورة : « جامعه » ، و« الشمائل » ، و« أسماء الصحابة » وغير ذلك . وقد صار كتابه هذا من الكتب الستة التي يرجع إليها العلماء في سائر الآفاق والأرجاء ، وجهالة ابن حزم لأبي عيسى حيث قال في محلاه[٥] : ومَن محمد بن عيسى بن سَوْرة ؟ لا تضرُّه في دينه ودنياه ، ولا تضع من قدره عند أهل العلم ، بل تحطّ من منزلة ابن حزم عند الحفاظ :

وكيفَ يَصِحُ في الأذهانِ شيءٌ   إذا احْتَاجَ النَّهارُ إلى دَلِيلِ

وقد ذكرنا مشايخه في كتابنا « التكميل » .

وروى عنه غيرُ واحد من العلماء ؛ منهم : محمد بن إسماعيل البخاري في غير « الصحيح » ؛ والهَيْثَم بن كُلَيْب الشَّاشي ، صاحب « المسند » ؛ ومحمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي ، راوي « الجامع » عنه ؛ ومحمد بن المنذر شَكَّر .

قال الحافظ أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليليّ القَزْوينيّ في كتابه « علوم الحديث »[٦] : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن شدَّاد ، الحافظ ، متفق عليه ، وله كتاب في السنن ، وكلام في الجرح والتعديل ،

---

(١) المنتظم (٥/ ١٤١) ، وابن الأثير (أماكن متفرقة) والنجوم الزاهرة (٣/ ٨٣) .
(٢) ما بين قوسين لم يرد في آ ، ط .
(٣) وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٨) ، تهذيب الكمال (خ ١٢٥٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٣) ، العبر (٢/ ٦٢) ، الوافي بالوفيات (٤/ ٢٩٤) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٤) .
(٤) « الأكْمَه » : الذي يولد أعمى . واستبعد الذهبي ذلك وقال في السير : والصحيح أنه أضرَّ في كبره ، بعد رحلته وكتابته العِلم .
(٥) أي كتابه المحلى في الفقه .
(٦) اسم كتابه : الإرشاد في معرفة المحدّثين وهو فيه (٣/ ٩٠٤ ـ ٩٠٥) .
وكان الخليلي ثقة حافظاً ، عارفاً بالرجال والعلل ، كبير الشأن ، توفي بقزوين في آخر سنة ست وأربعين وأربعمئة ، وكان من أبناء الثمانين . سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٦٦) .

روى عنه ابن مَحْبُوب والأجلاء ، وهو مشهور بالأمانة والعلم ، مات بعد الثمانين ومئتين ؛ كذا قال في تاريخ وفاته .

وقد قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الغُنْجَار[١] في « تاريخ بخارى » : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضَّحَّاك السّلميّ التِّرمذيّ ، الحافظ ، دخل بُخَارَى وحدَّث بها ، وهو صاحب « الجامع » و« التاريخ » ؛ توفي بالتِّرمِذ[٢] ليلة الإثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين .

وذكره الحافظ أبو حاتم بن حبَّان في « الثِّقات »[٣] ، فقال : كان ممن جَمَعَ ، وصنَّف ، وحفِظَ ، وذاكر .

قال التِّرمذيُّ : كتب عنِّي البخاري حديثَ عَطِيَّة ، عن أبي سعيد ، أنَّ رسول الله ﷺ قال[٤] : « لا يَحِلُّ لأحدٍ [أنْ] يُجنبَ في هذا المسجد غيري وغيرُك »[٥] .

وروى ابن نقطة[٦] في « تقييده »[٧] عن الترمذي ، أنه قال : صنفت هذا المسند الصحيح فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به ، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنَّما في بيته نبيٌّ يتكلَّم .

قالوا : وجملة المسند الجامع الذي صنفه الترمذي مئة وأحد وخمسون كتاباً ، وكتاب « العلل » صنفه بسمَرْقَند ، وكان فراغه منه في يوم عيد الأضحى سنة سبعين ومئتين .

---

(١) الإمام الحافظ ، محدّث بخاري ، وصاحب « تاريخها » ، توفي سنة ٤١٢هـ وقد شاخ . سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠٤) .

(٢) اختلف في كيفية هذه النسبة ، بعضهم يقول بفتح التاء ، وبعضهم يقول بضمها ، وبعضهم يقول بكسرها . وهي مدينة مشهورة من أمهات المدن على نهر جيحون من جانبه الشرقي . (ياقوت) .

(٣) ثقات ابن حبان (٩/ ١٥٣) .

(٤) في ط : قال لعلي .

(٥) رواه الترمذي في جامعه رقم (٣٧٢٧) ، في مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفي سنده عطية بن سعد العوفي ، وهو ضعيف . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقد سمع مني محمد بن إسماعيل هذا الحديث واستغربه .

(٦) في آ : ابن عطية ، والمثبت من ب . وهو محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن أبي نصر البغدادي الحنبلي ، أبو بكر ، معين الدين ، ابن نقطة . عالم بالأنساب ، حافظ للحديث ، من أهل بغداد ، ثقة ، ديّن ، توفي سنة ٦٢٩هـ .

(٧) التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص٩٧ ـ ٩٨) .

قال ابن نقطة(١) : [أنبأنا عبد القادر بن عبد الله الفهمي ، قال : حدثنا عبد الرحيم بن أبي الوفاء الحاجي بأصبهان ، قال :](٢) سمعت محمد بن طاهر المقدسي ، سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري يقول : كتاب الترمذي عندي أفيدُ(٣) من كتابَي البخاري ومسلم . قلت : ولمَ ؟ قال : لأنه لا يصل إلى الفائدة منهما إلا مَنْ هو من أهل المعرفة التامة ، وهذا الكتاب قد شرح أحاديثه وبيَّنها ، فيصل إليه كلُّ أحدٍ من الناس ؛ من الفقهاء والمحدّثين وغيرهما .

قلت : والذي يظهر من حاله أنه طرأ عليه العَمَى بعد أن رحلَ وسمعَ وكتبَ وذاكرَ وناظرَ وصنَّف ، ثم اتفق موتُه في بلده في رجب من هذه السنة على الصحيح المشهور ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمانين ومئتين [من الهجرة النبوية](٤)

في المحرم منها قتل المعتضدُ رجلاً من أمراء الزّنج كان قد لجأ إليه بالأمان ويعرف بِشَيْلَمة(٥) ، ذكر له أنه كان يدعو إلى رجلٍ لا يعرف من هو ، وقد أفسد جماعةً ، فاستدعى به فقرَّره فلم يقرّ ، وقال : لو كان تحت قدميّ ما أقررت(٦) به ، فأمر به فشُدَّ على عمود خيمةٍ ، ثم لوّحه على النار حتى تساقط جلده عن عظامه ، ثم أمر بضَرْب عنقه ، وصلبه ، لسبع ليال خلون من المحرم .

وفي أول صفر ركب الخليفة المعتضد بالله من بغداد قاصداً بني شيبان من أرض المَوْصِل ، فأوقع بهم بأساً شديداً عند جبل يقال له : نوباذ(٧) . وكان مع المعتضد حادٍ جيد الحداء ، فقال في بعض تلك الليالي يحدو بالمعتضد(٨) :

(١) التقييد (ص٩٨) .
(٢) ما بين حاصرتين إضافة من « التقييد » لا يستقيم النص من غيرها .
(٣) في سير أعلام النبلاء : أنفع ، وفي ط : أنور .
(٤) زيادة من ب ، ظا .
(٥) في الطبري : محمد بن الحسن بن سهل ، المعروف بشيلمة . وفي آ : بشيملة ، وفي ط : بسلمة .
(٦) في الطبري وابن الأثير : ما رفعتهما عنه .
(٧) في المنتظم : نوباذ . وفي معجم البلدان : تَوْباذ بفتح التاء ثم السكون ، آخره ذال معجمة ، جبل بنجد ، ثم ذكر الأبيات الثلاثة مع بيت رابع بعدها ، وهو :
إنـي لأبكي اليوم مـن حـذري غـداً وأقلــق والحيّــان مــؤتلفــان
(٨) المنتظم (٥/ ١٤٢) ، ومعجم البلدان (٢/ ٥٥) : توباذ .

فـأجْهَشْـتُ للنَّـوْبـادِ حِيـنَ رأيتُـهُ   وهلَّلـتُ[١] للـرحمـنِ حيـنَ رآنـي
وقلـتُ لـه أيـنَ الَّـذيـن عَهـدتُهُـمْ   بظلّـكَ فـي[٢] أمـن وأيـن زمـانـي
فقالَ مضوا واستخْلَفُوني مكانَهُم   ومَن ذا الَّذي يَبْقَى على الحَدَثانِ[٣]

قال : فتغرغرت عينا المعتضد ، وقال : من ذا الذي يبقى على الحَدَثان !؟.

وفي هذه السنة أمر المعتضد بتسهيل عقبة حُلْوان ، فغُرم عليها عشرون ألف دينار ، وكان الناس يلقون منها شدة عظيمة[٤] .

وفيها : وسَّع المعتضد جامع المنصور بإضافة دار المنصور إليه ، وغُرم عليه عشرون ألف دينار ، وكانت الدارُ قبلتَه ، فبناها مسجداً على حدة وفتح بينهما سبعة عشر باباً[٥] ، وحوَّل المنبر والمحراب[٦] إلى المسجد ؛ ليكون في قبلة الجامع على عادة الخطب[٧] . قال الخطيب البغدادي[٨] : وزاد بَدْر مولى المعتضد المسقطات من قصر المنصور المعروفة بالبدرية في هذا الوقت .

ذكر بناء دار الخلافة ببغداد

أول من بناها المعتضد في هذه السنة . وكان أول من سكنها من الخلفاء إلى آخر دولتهم ، وكانت أولاً داراً للحسن بن سهل تعرف بالقصر الحسني ، ثم صارت بعد ذلك لابنته بوران التي تزوج بها المأمون ، فعمَّرت فيها حتى استنزلها المعتضد عنها ، فأجابته إلى ذلك ، ثم أصلحت ما وَهَى منها ورمَّمت ما كان قد تشعَّث فيها ، وفرشَتْ في كُلِّ موضع منها ما يليق به من المفارش ، وأسكنت فيه ما يليق به من الجواري والخدم ، وأعدت بها المآكل الشهية ، وما يحسن ادِّخاره في ذلك الزمان ، ثم أرسلت بمفاتيحها إلى المعتضد ، فلما دخلها أذهله ما رأى فيها من الخيرات ، ثم وسَّعها وزاد فيها ، وجعل لها سوراً حولها ، فكانت قدر مدينة شيراز ، وبنى الميدان[٩] ، ثم بنى قصراً مشرفاً على دجلة . ثم

---

(١) في المنتظم : وهلَّل ، وفي معجم البلدان : وسبَّح .
(٢) في ط : في أمنٍ ولين زمان ، وفي المنتظم : في خفض وأمن زمان ، وفي معجم البلدان : في خفض وعيسى ليان .
(٣) « الحَدَثان » : الليل والنهار . وحَدَثان الدهر : نوائبه ومصائبه .
(٤) المنتظم (٥/ ١٤٣) ، وانظر في حلوان ونخلتيها معجم البلدان .
(٥) في المنتظم : طاقاً .
(٦) بعدها في المنتظم : والمقصورة .
(٧) تاريخ بغداد (٥/ ٦١) ، المنتظم (٥/ ١٤٣) . وفي ب ، ظا : على عادة الخطيب .
(٨) المنتظم (٥/ ١٤٣) .
(٩) في ب ، ظا : الميدان والثريا .

بنى فيها المكتفي التاج ، ثم كانت أيام المقتدر فزاد فيها زيادات[١] عظيمة جداً . تأخرت آثارها إلى أيام التتار الذين خربوها وسبَوا من كان بها من الحرائر الآمنات ، كما سيأتي بيانه في موضعه ـ إن شاء الله تعالى ـ من سنة ست وخمسين وستمئة .

قال الخطيب البغدادي[٢] : والذي يشبه أن تكون بوران سلمت دار الخلافة إلى المعتمد : فإنها لم تعش[٣] إلى أيام المعتضد .

وفيها : زُلزلزت أرْدَبيل[٤] ست مرات ، فتهدَّمت دورها فلم يبقَ منها مئةُ دارٍ ، ومات تحت الردم مئة ألف وخمسون ألفاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : غارت المياه ببلاد الرَّيِّ وطَبَرِستان حتَّى بيعَ الماءُ كل ثلاثة أرطال بدرهم ، وغلت الأسعار هنالك جداً[٥] .

وفيها : غزا إسماعيل بن أحمد السامانيُّ بلادَ الترك ، ففتح مدينة ملكهم ، وأسر امرأته الخاتون وأباه ونحواً من عشرة آلاف أسير ، وغنم من الدّوابّ والأمتعة والأموال شيئاً كثيراً ، أصاب الفارس ألف درهم[٦] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو بكر محمّد بن هارون بن إسحاق العباسي[٧] .

ومممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن سيَّار بن أيوب ، الفقيه الشافعي المشهور بالعبادة والزهادة[٨] .

وأحمد بن أبي عِمران[٩] : موسى بن عيسى ، أبو جعفر البغدادي ، كان من أكابر الحنفية ، تفقَّه على

---

(١) في المطبوع : زيادات أخر كباراً كثيرة جداً ، ثم بعد هذا كله خربت حتى كأن لم يكن موضعها عمارة ، وتأخرت . . .

(٢) تاريخ بغداد (١/ ٩٩) ، والمنتظم (٥/ ١٤٤) .

(٣) ماتت بوران سنة (٢٧١) ، وقد تقدمت ترجمتها في حوادث تلك السنة .

(٤) عند الطبري وابن الأثير : دَبيل .

(٥) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٦٥) .

(٦) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٦٥) .

(٧) في الطبري وابن الأثير : المعروف بابن تُرُنجة .

(٨) وهو أبو الحسن المَرْوزي ، إمام أهل الحديث في بلده علماً وأدباً وزهداً وورعاً ، وكان يقاس بعبد الله بن المبارك في عصره ، وكان حافظاً ثقة . توفي سنة ٢٦٨هـ . وليس في هذه السنة كما ذكر المؤلف نقلاً عن ابن الأثير في تاريخه . تهذيب الكمال (١/ ٣٢٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٠٩) ، وحوادث سنة ٢٦٨هـ (١١/ ٤٢) .

(٩) طبقات الفقهاء (١٤٠) ، المنتظم (٥/ ١٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٤) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٥) .

محمد بن سَمَاعة ، وهو أستاذ أبي جَعْفَر الطَّحاوي . وكان ضريراً ، سمع الحديث من عليّ بن الجَعْد وغيره ، وقدِمَ مصرَ فحدَّث بها من حفظه ، وتوفي بها في المحرم من هذه السنة ، وقد وثقه ابن يونس في تاريخ مصر .

أحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر[(١)] : أبو العباس البِرْتي[(٢)] ، القاضي بواسط ، صاحب المسند . روى عن مسلم بن إبراهيم ، وأبي سلمة التَّبُوذكيّ ، وأبي نعيم ، وأبي الوليد ، وخَلْق . وكان ثقة ثبتاً ، تفقَّه بأبي سليمان الجُوزجاني ، صاحب محمد بن الحسن . وقد حكم بالجانب الشرقيّ من بغداد في أيام المعتز[(٣)] ، فلما كان أيام الموفّق طلب منه ومن إسماعيل القاضي أن يعطياه ما بأيديهما من أموال اليتامى الموقوفة ؛ فبادَرَ إلى ذلك إسماعيل القاضي ، واستنظره أبو العباس البِرْتي هذا ، ثم بادر إلى كلٍّ من أنس منه رشداً فدفع إليه ماله ، فلمَّا طولب به قال : ليس عندي منه شيء ، دفعْتُه إلى أهله ، فعزل عن القضاء ولزم بيته ، فتعبَّد إلى أن توفي في ذي الحجة من هذه السنة .

وقد رآه بعضهم في المنام وقد دخل على رسول الله ﷺ ، فقام إليه وصافحه وقبَّل بين عينيه ، وقال : مرحباً بمن يعمل بسنتي وأثري .

وفيها توفي :

جعفر بن المعتمد ، وكان يسامر[(٤)] المعتضد .

وراشد مولى الموفَّق بمدينة الدِّينور ، فحمل إلى بغداد[(٥)] .

وعثمان بن سعيد الدَّارِمي[(٦)] ، مصنف « الرد على بِشْر المَرِيسيّ » فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجَهْميّة ، وقد ذكرناه في « طَبَقات الشافعية » .

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٦١) ، طبقات الفقهاء (١٤٠) ، المنتظم (٥/ ١٤٥) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٩٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٠٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٥) .

(٢) في الأصول : البرقي .

(٣) في المنتظم : المعتمد . وفي تاريخ بغداد (٥/ ٦٢) : ولي قضاء بغداد بعد أبي هشام الرّفاعي لما توفي في سنة تسع وأربعين ومئتين . قلت : وكانت خلافة المعتز من سنة ٢٥٢ إلى سنة ٢٥٥هـ ، والمعتمد بعده .

(٤) في الأصول : جعفر بن المعتضد ، وكان يسامر أباه وصححت من الطبري وابن الأثير .
وعبارة الطبري : وذكر أن جعفر بن المعتمد توفي في يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الآخر منها ، وأنه كان مقامه في دار المعتضد لا يخرج ولا يظهر ، وقد كان المعتضد نادمه مراراً .

(٥) الطبري (١٠/ ٣٤) ، وابن الأثير (٧/ ٤٦٥) .

(٦) وهو أبو سعيد التميمي الدارمي ، صاحب « المسند » الكبير والتصانيف ، وكان إماماً يقتدى به . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٩) ، العبر (٢/ ٦٤) .

ومسرور الخادم[١] ، وكان من أكابر الأمراء .

ومحمد بن إسماعيل بن يوسف أبو إسماعيل التِّرْمذيّ ، صاحب التصانيف الحسنة في رمضان من هذه السنة ؛ قاله ابن الأثير[٢] ، وشيخنا الذهبيّ[٣] .

وهلال بن العلاء[٤] ، المحدِّث المشهور ، وقد وقع[٥] لنا من حديثه طرف[٦] .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومئتين

فيها : دخل المسلمون بلاد الروم فغنموا وسلموا ، ولله الحمد .

وفيها : تكامل غور المياه ببلاد الرَّيّ وطَبَرِستان ، وغلت الأسعار جداً ، وجهد الناس وقحطوا ، حتى أكل بعضهم بعضاً ، وكان[٧] الرجل يأكل ابنته ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : حاصر المعتضد قلعة ماردين ، وكانت بيد حَمدان بن حمدون ففتحها قسراً ، وأخذ ما كان فيها ، ثم أمر بتخريبها فهدمت .

وفي هذه السنة وصلت قطر النَّدى بنت خُمَارَوَيْه نائب الدِّيار المصرية إلى بغداد في تجمّل عظيم ، ومعها من الجهاز شيء عظيم ، حتى قيل : إنه كان في الجهاز مئة هاون من ذهب ، ثم بعد كلِّ حساب معها مئة ألف دينارٍ ليشترى بها من العراق ما قد تحتاج إليه ، مما لا يتهيأ مثله بالديار المصرية[٨] .

وفيها : خرج المعتضد إلى بلاد الجبل ، وولَّى ولده علياً المكتفي نيابة الرَّيّ ، وقَزوين ، وزَنْجان وقُم ، وهَمْذان ، والدِّينَوَر ، وجعل على كتابته أحمد بن الأصْبَغ ، وولَّى عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف نيابةَ أصبهان ، ونَهَاوند ، والكَرَج ، ثم عاد راجعاً إلى بغداد .

---

(١) إنما هو مسرور البلخي الأمير ، وليس مسروراً خادم الرشيد . وانظر أخباره في فهارس الطبري وابن الأثير .

(٢) ابن الأثير (٧/ ٤٦٥) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٢) ، والعبر (٢/ ٦٤) ، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٠٥) .

(٤) هلال بن العلاء بن هلال بن عمر ، أبو عمر الباهلي ، مولى قتيبة بن مسلم ، الأمير الرَّقيّ . قال النسائي : ليس به بأس ، روى أحاديث منكرة عن أبيه ، ولا أدري : الريب منه ، أو من أبيه ، وله شعر رائق ، من أبناء التسعين .

(٥) في آ : وقع لنا حديثه من طرق . والمثبت من ب ، ط .

(٦) تأتي بعد هذا في ب ، ظا ، ط ترجمة سيبويه إمام النحاة المتقدمة ترجمته في وفيات سنة (١٨٠) من هذا الكتاب ، ولم ترد في « أ » وهو الصواب حيث أقحمت هنا بلا معنى ، وابن كثير لا يمكن أن يتوهم مثل هذا الوهم الفاحش ، فهي بلا شك من زيادات بعض جهلة النساخ ، لذلك حذفناها .

(٧) في المنتظم (٥/ ١٤٧) : وأكل إنسان منهم ابنته .

(٨) المنتظم (٥/ ١٤٧) .

وحجَّ بالناس محمد بن هارون بن إسحاق .

وأصاب الحجّاج في الأجْفُر[١] مطر عظيم ، فغرق منهم بشر كثير ، كان الرجل يغرق في الرمل[٢] فلا يقدر أحد على خلاصه .

ومن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن الحسين بن دِيْزِيل[٣] ، الحافظ ، صاحب كتاب[٤] المصنفات ، منها في « صفين » مجلدٌ كبير .

أحمد بن محمد الطائيّ ، بالكوفة ، في جمادى ، منها[٥] .

إسحاق بن إبراهيم[٦] : المعروف بابن الجَبُّلي ، سمع وكان يفتي الناس بالحديث ، وكان يوصف بالفهم والحفظ .

ابن أبي الدُّنيا[٧] : عبد الله بن محمد بن عُبَيد بن سفيان بن قَيْس القرشيّ ، مولى بني أمية . أبو بكر بن أبي الدُّنيا ، الحافظ ، المصنِّف ، المشهور ، له التصانيف النَّافعة الشائعة الذائعة في الرقائق وغيرها ، تزيد على مئة مصنف ، رحمه الله . [وقيل : إنها نحو ثلاثمئة مصنَّف ، وقيل : أكثر ، وقيل : أقلّ][٨] .

سمع إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ ، وخالد بن خِداش ، وعليّ بن الجَعْد ، وخلقاً . وكان مؤدّب المعتضد وابنه عليّ بن المعتضد الملقَّب بالمكتفي ، وكان له عليه في كل شهر خمسة عشر ديناراً . وكان ثقة صدوقاً حافظاً ذا مروءة ، لكن قال صالح بن محمد جزرة : إلا أنه كان يروي عن رجل يقال له :

---

(١) « الأجْفر » : بضم الفاء ، جمع جَفر ، وهو البئر الواسعة لم تطو ، وهو موضع بين فَيْد والخُزَيمية ، بينه وبين فَيْد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكة . ياقوت .

(٢) في المنتظم : الوحل .

(٣) أبو إسحاق ، الهمذاني ، الكسائي ، وكان يلقَّب بدابَّة عفَّان لملازمته له ، ويلقَّب بسيْفَنة ، و« سيفنة » : طائر ببلاد مصر ، لا يكاد يحط على شجرة إلا أكل ورقها ، فكذلك كان إبراهيم ، إذا ورد على شيخ لم يفارقه حتى يستوعب ما عنده . قال الحاكم : ثقة مأمون . سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٤) .

(٤) لفظة كتاب لم ترد في ب ، ظا .

(٥) الطبري (١٠/ ٣٦) ، وابن الأثير (٧/ ٤٦٧) .

(٦) تاريخ بغداد (٦/ ٣٧٨) ، طبقات الحنابلة (١/ ١١٠) ، المنتظم (٥/ ١٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٤٣) . و« جَبُّل » : بُلَيدة من سواد العراق .

(٧) ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٨٩) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٩٢) ، المنتظم (٥/ ١٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩٧) ، طبقات الحفاظ (٢٩٤) .

(٨) ما بين قوسين زيادة من المطبوع . وأحصيتُ مؤلفاته في مقدمة كتاب الشكر فبلغت أزيد من مئتي مؤلف .

محمد بن إسحاق البلخي ، وكان هذا الرجل كذاباً يضع للكلام إسناداً ، ويروي أحاديث منكرة .

ومن شعر ابن أبي الدنيا أنه جلس أصحاب له ينتظرونه ليخرج إليهم ، فجاء المطر فحال بينه وبينهم ، فكتب إليهم رقعة فيها مكتوب[١] :

أنـا مشتـاقٌ إلـي رُؤيتكُـمْ ... يـا أخِـلائـي وسَمْعـي والبصَـرْ
كيفَ أنساكُمْ وقلبي عندَكُمْ ... حـالَ فيمـا بيننـا هـذا المَطَـرْ

توفي ببغداد في جمادى الأولى من هذه السنة عن سبعين سنة ، وصلّى عليه يوسف بن يعقوب القاضي ، ودفن بالشونيزية ، رحمه الله .

عبد الرحمن بن عمرو[٢] ، أبو زُرْعَة الدّمشقيّ ، الحافظ الكبير ، الشهير بين أهل العلم .

محمد بن إبراهيم[٣] ، ابن الموّاز ، الفقيه المالكي ، له اختيارات في مذهب الإمام مالك ؛ فمن ذلك وجوب الصلاة على رسول الله ﷺ في الصَّلاة .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومئتين

في خامس ربيع الأول يوم الثلاثاء دخل المعتضد بالله بزوجته ابنة خُمَارَوَيْه ، وكان قدومها إلى بغداد صحبة عمِّها وصحبة ابن الجصَّاص ، وكان الخليفة غائباً ، وكان دخولها إليه يوماً مشهوداً ، ومُنع النَّاسُ من المرور في الطرقات .

وفيها : نهى الخليفة المعتضد أن يعمل للناس في يوم النيروز[٤] ما كانوا يتعاطَونه ؛ من إيقاد النيران ، وصبّ الماء ، وغير ذلك من الأفعال المشابهة للمجوس ، ومنع من حمل هدايا الفلاحين إلى المنقطعين[٥] في هذا اليوم ، وأمر بتأخير ذلك إلى الحادي عشر من حزيران ، وسمى النوروز المعتضدي ، كتب بذلك إلى الآفاق وسائر العمال .

وفي ذي الحجّة من هذه السنة قدم إبراهيم بن أحمد الماذرائيّ من دمشق على البريد ، فأخبر

---

(١) المنتظم (٥/ ١٤٩) .

(٢) في الأصول : عمر ، وهو عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله النصري ، الدمشقي ، وكانت داره عند باب الجابية . وله تاريخ مفيد ، طبع في مجمع اللغة العربية بدمشق . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١١) .

(٣) أبو عبد الله ، فقيه الديار المصرية ، صاحب التصانيف ، انتهت إليه رئاسة المذهب . قدم دمشق في صحبة السلطان أحمد بن طولون . وجعل بعضهم وفاته سنة ٢٦٩هـ . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦) .

(٤) في ب ، ظا : النوروز . وفي القاموس : النيروز : أول يوم من السنة ، معرَّب نوروز .

(٥) في المنتظم : المتغلبين .

المعتضدَ بالله أنَّ خُمَارَوَيْه ذبحه بعضُ خدمه على فراشه ، وولّوا بعدَه ولده جيشاً ، ثم قتلوه ونهبوا داره ، وولّوا هارون بن خُمَارَوَيْه . وقد التزم في كلِّ سنة بألف ألف دينار وخمسمئة ألف دينار ، تحمل إلى نائب الخليفة . فأقرَّه المعتضد على ذلك ، فلمّا كان المكتفي عَزَلَه وولّى مكانه محمد بن سليمان الواثقيّ ، فاصطفى أموال آل طولون ، وكان ذلك آخر العهد بهم .

وفيها : أطلِقَ لؤلؤ غلام أحمد بن طولون من السجن ، فعاد إلى مصر في أذلّ حال[١] .

وحجَّ بالناس الأمير المتقدِّم ذكره .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن داود ، أبو حنيفة الدِّينَوَريّ[٢] اللغويّ ، صاحب « كتاب النبات » .

إسماعيل بن إسحاق[٣] : ابن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد ، أبو إسحاق الأزدي القاضي ، أصلُه من البصرة ، ونشأ ببغداد ، وسمع مسلم بن إبراهيم ، ومحمّد بن عبد الله الأنصاريّ ، والقَعْنَبيّ ، وعليّ بن المَديني . وكان حافظاً فقيهاً مالكياً ، جمع وصنَّف ، وشرح في المذهب عدة مصنفات في التفسير والحديث والفقه ، وغير ذلك .

وقد ولي القضاء في أيام المتوكّل بعد سوّار بن عبد الله ببغداد ، ثم عزل ، ثم ولي وصار مقدَّم القضاة .

وكانت وفاته فجأة ليلة الأربعاء لثمانٍ بقين من ذي الحجة من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، رحمه الله .

الحارث بن محمّد بن أبي أسامة ، صاحب « المسند » المشهور[٤] .

خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون[٥] : صاحب الدِّيار المصرية . بويع له بملك الديار المصرية [بعد أبيه

---

(١) بعده في المطبوع : بعد أن كان من أكثر الناس مالاً وعزاً وجاهاً .

(٢) كان نحوياً لغوياً ، مهندساً منجماً حاسباً ، راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه ، أخذ عن البصريين والكوفيين ، وأكثر أخذه عن ابن السكيت . معجم الأدباء (٣/ ٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٢) .

(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٢٨٤) ، طبقات الفقهاء (١٦٤) ، المنتظم (٥/ ١٥١) ، معجم الأدباء (٦/ ١٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٩) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٨) .

(٤) أبو محمد التميمي ، البغدادي ، الخَصيب ، الحافظ ، الصدوق ، مسند العراق . ذكره ابن حبَّان في الثقات . المنتظم (٥/ ١٥٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨٨) .

(٥) تاريخ الطبري (١٠/ ٨ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٤٢) ، المنتظم (٥/ ١٥٥) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٠٩ ، ٤٢٩ ـ ٤٣٠ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤٦) ، النجوم الزاهرة (٣/ ٤٩ـ٨٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٨) .

سنة إحدى وسبعين ومئتين ، فقصده المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفَّق في حياة أبيه][1] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، في أرض الرملة ، وقيل : في أرض الصعيد . فانهزم[2] خُمَارَوَيْه هارباً على حمار ، وكرَّ جيشه على المعتضد ، فهرب كما قدَّمنا . ثم تزوَّج ابنته وتصافيا بعد ذلك .

فلما كان في ذي الحجّة من هذه السنة عَدَا الخدم من الخصيان على خُمَارَوَيْه ، فذبحوه وهو على فراشه ، وذلك لأنه اتَّهمهم بجواريه ، فمات عن ثنتين وثلاثين سنة ، فقام بالأمر من بعده ولدُه هارون بن خُمَارَوَيْه ، وهو آخر الطولونية .

وذكر ابن الأثير[3] فيمن توفي في هذه السنة :

عثمان بن سعيد بن خالد ، أبو سعيد الدَّارميّ ، الفقيه الشافعي .

أخذ الفقه عن البويطيّ ، صاحب الشافعي[4] .

الفضل بن محمّد بن المسيّب[5] : ابن موسى بن زهير بن يزيد بن كَيْسان بن بَاذَان ملك اليمن ، وقد أسلم[6] بَاذَان في حياة رسول الله ﷺ ، أبو محمد الشَّعْراني[7] الأديب الفقيه العابد الحافظ الرحَّال ، تلميذ ليحيى بن مَعين ، وروى عنه الفوائد في الجرح والتعديل وغير ذلك ، وكذلك أخذ عن أحمد بن حنبل ، وعليّ بن المديني ؛ وقرأ على خَلَف بن هشام البزار ؛ وتعلم اللغة من ابن الأعرابي ، وكان ثقة كبير القدر .

[أبو العَيْنَاء][8] : محمّد بن القاسم بن خَلاد ، أبو العَيْنَاء البَصْريّ ، الضَّرير ، الشاعر الأديب البليغ اللغويّ ، تلميذ الأصمعي . وكنيته أبو عبد الله ، وإنما لُقِّب بأبي العَيْنَاء ؛ لأنه سئل عن تصغير عيناء[9] فقال : عُيَيْناء ، وله معرفة تامّة بالأدب والحكايات والمُلَح ؛ فأمّا الحديثُ فليس له منه إلا القليل .

---

(١) ما بين قوسين ساقط في آ .
(٢) في ب ، ظا : فانهزم كما قدمنا .
(٣) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٧٥) .
(٤) زاد ابن الأثير : والأدب عن ابن الأعرابي .
(٥) المنتظم (٥/ ١٥٥) ، اللباب (٢/ ١٩٩) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٧) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٩) .
(٦) قصة إسلامه في سيرة ابن هشام (١/ ٦٩) .
(٧) عُرف بذلك لكونه كان يرسِل شَعْرَه .
(٨) طبقات الشعراء لابن المعتز (٤١٥) ، تاريخ بغداد (٣/ ١٧٠) ، المنتظم (٥/ ١٥٦) ، معجم الأدباء (١٨/ ٢٨٦) ، وفيات الأعيان (٤/ ٣٤٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٠٨) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٠) .
(٩) في آ : عينه .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومئتين

في المحرم منها خرج المعتضد من بغداد قاصداً بلادَ المَوْصِل ؛ لقتال هارون الشاري الخارجيّ ، فظفر به ، وهزم أصحابه ، وكتب بذلك إلى بغداد ، ولمَّا رَجَعَ الخليفة إلى بغداد أمر بصلب هارون الخارجيّ ، وكان صُفْرياً[١] . فلمَّا صُلِبَ ، قال : لا حكم إلا لله ولو كَرِه المشركون .

وكان الحسين بن حَمدان بن حمدون قد قاتل الخوارج في هذه الغزوة قتالاً عظيماً ، فأطلق الخليفةُ أباه حمدان بن حمدون من القيود بعدما كان قد سجنه حين أخذ قلعة ماردين من يده ، وهدمها عليه ، فأطلقه ، وخلع عليهما ، وأحسن إليه .

وفيها : كتب المعتضد إلى الآفاق بردٍّ ما فضل عن سهام ذوي الفروض إذا لم يكن عصبة إلى ذوي الأرحام ، وذلك عن فتيا أبي حازم القاضي ، وقد قال في فتياه : إن هذا اتفاق من الصحابة إلا زيدَ بن ثابت ، فإنَّه تفرَّد بردٍّ ما فضل والحالة هذه إلى بيت المال . ووافق علي بن محمد بن أبي الشوارب لأبي حازم ، وأفتى القاضي يوسف بن يعقوب بقول زيدٍ ، فلم يلتفت إليه المعتضد ، وأمضى فتيا أبي حازم[٢] . ومع هذا ولَّى القاضي يوسف بن يعقوب قضاء الجانب الشرقيّ ، وخلع عليه خلعة سنية أيضاً ، وقلَّد أبا حازم قضاء أماكن كثيرة ، وكذلك لابن أبي الشوارب ، وخلع عليهما خلعاً سنية أيضاً .

وفيها : كان الفداء بين المسلمين والروم ، فاستنقذ من أيديهم من المسلمين ألفان وخمسمئة وأربعة أنفس ، ولله الحمد والمنة .

وفيها : حاصرت الصّقالبة الروم ، فاستنقذ من أيديهم من المسلمين ألفان وخمسمئة وأربعة أنفس ، ولله الحمد والمنة .

وفيها : حاصرت الصّقالبة الروم في القسطنطينية ، فاستعان ملك الروم بمن عنده من أسارى المسلمين ، وأعطاهم سلاحاً كثيراً ، فخرجوا معهم فهزموا الصقالبة ، ثم خاف ملك الروم من غائلة المسلمين ، ففرَّقهم في البلاد .

وفيها : خرج عمرو بن الليث من نيسابور لبعض أشغاله ، فخلفه فيها رافع بن هَرْثَمة ، ودعا على منابرها لمحمد بن زيد المطَّلبي ولولده[٣] من بعده ، فرجع إليه عمرو وحاصره فيها ، ولم يزل به حتى أخرجه منها وقتله على بابها .

---

(١) « الصُّفْرية » : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال لهم الزيادية أيضاً .

(٢) المنتظم (٥/ ١٦١) .

(٣) في الطبري والمنتظم : لمحمد بن زيد الطالبي وأبيه .

وفيها : بعث الخليفة المعتضد وزيره عبد الله بن سليمان بن وَهْب ، لقتال عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلَف ، فلما وصل إليه طلب منه عمر الأمان فأمَّنه ، وأخذه معه إلى الخليفة ، فتلقاه الأمراء عن أمر الخليفة ، وخلع عليه وأحسن إليه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران[(١)] : أبو إسحاق الثقفي السرّاج النيسابوري . كان الإمام أحمد بن حنبل يدخل إلى منزله ، وكان بقطيعة الربيع في الجانب الغربي من بغداد ، وينبسط فيه ويفطر عنده . وكان من الثقات العلماء العبّاد ، توفي في صفر منها .

إسحاق بن إبراهيم بن محمد[(٢)] : ابن خازم بن سُنَيْن ، أبو القاسم الختلي ، وليس هو بالذي تقدَّم ذكره في السنين المتقدمة . سمع داود بن عمرو ، وعليَّ بن الجَعْد ، وخلقاً كثيراً .

وقد ليَّنه الدَّارَقطني ، فقال : ليس بالقوي . توفي في هذه السنة عن نحو ثمانين سنة .

سهل بن عبد الله بن يونس التُّسْتَري[(٣)] : أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية ، لقي ذا النون المصري . ومن كلام سهل الحسن قوله : أمسِ قد مات ، واليوم في النَّزْع ، وغداً[(٤)] لم يولد ؛ وهكذا كما قال بعض الشعراء :

ما مَضَى فاتَ والمؤمَّلُ غيبٌ ولكَ السَّاعةُ التي أنتَ فيها

قال القاضي ابن خلكان[(٥)] : وكان سلوكه على يدي خاله محمد بن سوّار ، وقيل : إنَّه توفي سنة ثلاث وسبعين [ومئتين] ، فالله أعلم .

عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خِراش[(٦)] : أبو محمد الحافظ المروزي ، أحد الجوّالين الرحّالين حفاظِ الحديث ، والمتكلمين في الجرح والتعديل ، وقد كان يُنْبَز[(٧)] بشيء من التشيع ، فالله أعلم .

---

(١) المنتظم (٥/ ١٦٢) ، وتاريخ بغداد (٦/ ٢٦) .
(٢) المنتظم (٥/ ١٦٣) ، الوافي بالوفيات (٨/ ٣٨٦) ، لسان الميزان (١/ ٣٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٤٢) .
(٣) طبقات الصوفية (٢٠٦) ، حلية الأولياء (١٠/ ١٨٩) ، المنتظم (٥/ ١٦٣) ، صفة الصفوة (٤/ ٦٤) ، وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٢) .
(٤) في ط : « وغد » ، وما أثبتناه من ظا ، والمنتظم (٥/ ١٦٣) ، الذي ينقل منه المصنف .
(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٩) ، والعبارة فيه : وكان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سوَّار .
(٦) ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٨٠) ، المنتظم (٥/ ١٦٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٠٨) .
(٧) « يُنْبَز » : يعاب ويلقَّب من التنابز .

روى الخطيب[١] عنه أنه قال : شربت بَوْلي في هذا الشأن خمس مرات ، يعني أنه اضطر إلى ذلك في الأسفار في طلب الحديث .

علي بن محمد بن أبي الشَّوارب[٢] : عبد الملك الأموي البصري ، قاضي سامُرّا . وقد ولي في بعض الأحيان قضاء القضاة ، كان من الثِّقات .

سمع أبا الوليد وأبا عمر الحَوْضي . وعنه : النَّجّاد ، وابنُ صاعد ، وابن قانِع . وحمل الناس عنه علماً كثيراً .

ابن الرّومي الشاعر[٣] : صاحب الديوان في الشعر عليّ بن العبَّاس بن جريج ، أبو الحسن ، المعروف بابن الرُّومي ، وهو مولى عبيد الله بن جعفر ، وكان شاعراً مشهوراً مطيفاً ؛ فمن ذلك قولُه[٤] :

إذا ما مدحتَ الباخلينَ فإنَّما ... تُذكِّرهم ما في سواهُمْ مِنَ الفضلِ
وتهدي لهم غمّاً طويلاً وحسرةً ... فإن منعوا منكَ النَّوالَ فبالعدلِ

ومن ذلك قوله[٥] :

إذا ما كساكَ الدَّهْرُ سربالَ صحةٍ ... ولم تخلُ من قوتٍ يلذُّ ويَعذبُ
فلا تَغْبِطنَّ المترفينَ فإنَّه[٦] ... على قدرِ ما يكوسهُمُ الدَّهرُ يَسْلُبُ

وقوله[٧] :

عدوُّك من صديقكَ مستفادٌ ... فلا تستكثرنَّ مِنَ الصِّحابِ
فإنَّ الدَّاءَ أكثر ما تراهُ ... يكونُ من الطَّعامِ أو الشَّرابِ
إذا انقلبَ الصَّديقُ غداً عدوّاً ... مُبيناً والأمورُ إلى انقلابِ
ولو كانَ الكثيرُ يطيبُ كانَتْ ... مُصَاحَبةُ الكثيرِ من الصَّوابِ
ولكن قلَّما استكثرتَ إلا ... وقفْتَ على ذئابٍ في ثيابِ

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٨٠) .
(٢) اسم أبي الشوارب عبد الملك . وترجمته في تاريخ بغداد (١٢/ ٥٩) ، المنتظم (٥/ ١٦٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٢) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٥) .
(٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٣) ، المنتظم (٥/ ١٦٥) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٥٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٥) ، معاهد التنصيص (١/ ١٠٨) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٨) .
(٤) الديوان (ج٥/ ٢٠٢٢) .
(٥) الديوان (ج١/ ١٨٧) .
(٦) الديوان ، فإنهم ، وما هنا كما في المنتظم (٥/ ١٦٦) .
(٧) الديوان (ج١/ ٢٣١) .

فـدَعْ عنـكَ الكثيـرَ فكـمْ كثيـرٍ يُعـافُ وكـم قليـلٍ مستطـابِ
ومـا اللُّجَـجُ المِـلاحُ بمُـرويـاتٍ وتلقـى الـرِّيَّ فـي النُّطـفِ العِـذابِ

وقوله[1] :

ومـا الحسـبُ المـوروثُ لا دَرَّ دَرُّهُ بمحتَسَـبٍ إلا بـآخَـرَ مُكتسَـبْ
فـلا تَتَّكِـلْ إلا علـى مـا فعلْتَـهُ ولا تحسَبنَّ المجْدَ يُورثُ كالنَّسَبْ
فليـسَ يسُـودُ المـرءُ إلا بنفسِـهِ وإنْ عَـدَّ آبـاءً كِـرامـاً ذوي حسَـبْ
إذا العُـودُ لـم يُثمِرْ وإن كـان شُعبةً من المثمراتِ اعتدَّهُ النَّاسُ في الحَطَبْ
وللمِجْـدِ قـومٌ سـاوَرُوه بـأنفُـسٍ كِـرامٍ ولـم يُعْنَـوْا[2] بـأمٍّ ولا بـأبْ

ومن لطيف شعره قوله[3] :

قلبـي مـن الطَّـرفِ السَّقيـمِ سقيـمُ لـو أنَّ مـنْ أشكـو إليـهِ رَحيـمُ
مِـنْ وجههـا أبـداً نهـارٌ واضِـحٌ مـن فَـرْعِهـا ليـلٌ عليـه بَهيـمُ
إنْ أقبلَـتْ فـالبَـدْرُ لاحَ وإن فَشَـتْ فـالغُصْـنُ راحَ وإنْ رَنَـتْ فـالـرِّيـمُ
نَعِمَـت بهـا عينـي فطَـالَ عـذابُهـا ولَكَـمْ عَـذابٌ قـد جَنـاهُ نعيـمُ
نظـرَتْ فـأقصـدَتِ الفـؤادَ بسَهْمِهـا ثـم انْثَنَـت نَحْـوي فكِـدْتُ أهيـمُ
وَيْلاهُ إنْ نَظَـرَتْ وإنْ هي أعْرَضَتْ وَقْـعُ السِّهـامِ ونَـزْعُهُـنَّ أليـمُ
يـا مستحِـلَّ دَمـي مُحـرِّمَ رحمتـي مـا أنصَـفَ التحليـلُ والتحـريـمُ

وذكر له ابنُ خلكان أشياء كثيرة غير ما أوردناه ، من ذلك قوله[4] ـ وكان يزعم أنَّه لم يسبقْ إليه ـ :

آراؤُكـمْ ووجُـوهُكُـمْ وسُيُـوفُكُـمْ فـي الحـادثـاتِ إذا دَجَـوْنَ نُجُـومُ
منهـا مَعَـالِـمُ لِلهُـدَى ومَصَـابـحٌ تجلـو الـدُّجَـى والأُخْـرَيـاتُ رُجـومُ

وذكر[5] أنه ولد سنة إحدى وعشرين ومئتين ، وأنه مات في هذه السنة ، [وقيل : في التي بعدها][6] ، وقيل : في سنة ست وسبعين .

---

(١) الديوان (ج١/ ١٥٠) .
(٢) في الديوان : ولم يرضَوْا .
(٣) الديوان (ج٦/ ٢٣٩٧) .
(٤) الديوان (ج٦/ ٢٣٤٥) ، ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٩) .
(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٣٦٠) .
(٦) ما بين قوسين لم يرد في آ ، والخبر في وفيات الأعيان (٣/ ٣٦١) .

وذكر[١] أن سبب وفاته أنَّ وزير المعتضد القاسم بن عُبَيد الله كان يخاف من هَجْوه [وفلَتات] لسانه ، فدسَّ إليه مَنْ أطعمه وهو بحضرته خَشكُنانة[٢] مسمومةً ، فلما أحسّ بالسمِّ قام ، فقال له الوزير : إلى أين ؟ قال : إلى المكان الذي بعثتني [إليه][٣] . قال : سلِّم على والدي . فقال : لست أجتاز على النَّار .

محمد بن سليمان بن الحارث : أبو بكر البَاغَنْدي الواسطيّ[٤] ، كان من الحفَّاظ ، وقد ذكر أنَّ أبا داود كان يسأله عن الحديث ، مع هذا تكلَّموا فيه وضعَّفوه .

محمد بن غالب بن حَرْب : أبو جعفر الضَّبِّي ، المعروف بتَمْتَام[٥] . سمع عَفَّان ، وَقَبيصة ، والقَعْنَبيّ ، وكان من الثقات .

قال الدَّارَقُطْني : وربما أخطأ . توفي في رمضان عن تسعين سنة .

البُحْتُريّ الشاعر[٦] : صاحب الديوان المشهور ، الوليد بن عُبادة ، ويقال : ابن عُبَيد الله بن يحيى ، أبو عُبَادة[٧] الطائيّ البحتريّ ، الشاعر ، أصله من مَنْبِج ، وقدم بغداد ومدح المتوكِّل والرؤساء ، وكان شعره في المديح خيراً منه في المراثي ، فقيل له في ذلك ، فقال : المديحُ للرَّجاء ، والمراثي للوفاء ، وبينهما بُعْدٌ .

وقد روى شعرَه المبرّد ، وابنُ دُرُسْتُوَيْه ، وابن المَرْزُبان . وقيل له : إنهم يقولون : أنت أشعر من أبي تمام . فقال : لولا أبو تمام ما أكلت الخبز ، كان أبو تمام أستاذنا .

وقد كان البحتري شاعراً مطيفاً فصيحاً بليغاً ، رجع إلى بلده فمات به في هذه السنة ، وقيل : في التي بعدها ، عن ثمانين سنة .

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٦١) ، وما بين قوسين زيادة منه .
(٢) « الخَشْكنان » : خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة ، وتملأ بالسكّر واللوز ، أو الفستق ، وتُقْلى . وهو فارسي : المعجم الوسيط .
(٣) من ط .
(٤) المنتظم (٥/ ١٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨٦) .
(٥) تاريخ بغداد (٣/ ١٤٣) ، المنتظم (٥/ ١٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩٠) .
(٦) الأغاني (٢١/ ٣٩) ، تاريخ بغداد (١٣/ ٤٧٦) ، المنتظم (٦/ ١١) ، معجم الأدباء (٩/ ٢٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٨٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٦) .
(٧) في الأصول : أبو عباد ، وأثبت ما جاء في المصادر .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومئتين

في المحرّم منها دخل رأس رافع بن هَرْثَمة إلى بغداد ، فأمر الخليفة بنصبه في الجانب الشرقي إلى الظهر ، ثم بالجانب الغربي إلى الليل .

وفي ربيع الأول منها خُلع على محمد بن يوسف بن يعقوب بالقضاء بمدينة [أبي جعفر][1] المنصور عوضاً عن ابن أبي الشَّوارب ، بعد موته بخمسة أشهر وأيام ، وهي[2] شاغرة .

وفي ربيع الآخر ظهرت بمصرَ ظلمة شديدة ، وحُمرة في الأُفق ، حتَّى صار الرجل ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمرَ اللون جداً ، وكذلك الجدران . فمكثوا كذلك من العصر إلى الليل ؛ فخرجوا إلى الصحراء يدعون الله ويتضرَّعون إليه ، حتى كشف عنهم .

وفي هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، فحذَّره وزيرُه عبيد الله بن سليمان بن وَهْب من ذلك ؛ فإنَّ العامة تنكر قلوبهم ، وهم يترحَّمون عليه [ويترضّون عنه][3] في أسواقهم ومجامعهم ، فلم يلتفت إليه ، وأمر بذلك وأمضاه ، وكتبت[4] نسخ بلعن معاوية ، وذكر فيها ذمّه وذمّ ابنه يزيد ، وجماعة من بني أمية ، وأورد فيها أحاديث باطلة في ذمِّ معاوية ، وقرئت في الجانبين من بغداد ، ونهيت العامة عن الترحُّم عليه والترضِّي عنه .

فلم يزل به الوزير حتَّى قال له فيما قال : يا أميرَ المؤمنين ! إنَّ هذا الصنيع ممَّا يرغِّب العامّة في الطالبيين وقبول الدعوة إليهم . فوَجَم لذلك المعتضد وترك ما كان عزم عليه من ذلك ؛ لخوفه على الملك ، وقدَّر الله أنَّ هذا الوزير كان ناصِبياً يبغض علياً ؛ فكان هذا من هفوات المعتضد ؛ سامحه الله .

ونودي في البلدان : لا تجتمع العامّة على قاصٍّ ، ولا كاهنٍ ، ولا منجِّمٍ ، ولا جَدليٍّ ، ولا غير ذلك ، وأن لا يهتمُّوا لأمر النوروز . ثم أطلق لهم أمر النوروز ؛ وكانوا يصبّون المياه على المارة ، فتوسعت العامّة في ذلك ، وغلوا فيه ، حتى جعلوا يصبُّون الماء على الجند وعلى الشُّرَط وغيرهم ، وهذا أيضاً من هفواته .

قال ابن الجوزي[5] :

---

(١) زيادة من ط .
(٢) في ط : وهي شاغرة تلك المدة .
(٣) زيادة من ط .
(٤) في ط : وكتب به نسخاً إلى الخطباء بلعن معاوية . كتاب المعتضد في الطبري (١٠/ ٥٤ ـ ٦٢) .
(٥) المنتظم (٥/ ١٧٢) .

وفي هذه السنة وعد المنجمون النَّاس : أنَّ أكثر الأقاليم ستغرق في زمن الشتاء من كثرة الأمطار والسيول وزيادة الأنهار ، فأكذبهم الله في قولهم هذا ، فلم تكن سنة أقلَّ مطراً منها ، وقلَّت العيون جدّاً ، وقحط الناس في كلِّ بقعة ، حتى استسقى الناس ببغداد وغيرها من البلاد مراراً كثيرة ، فلله الأمر من قبلُ ومن بعدُ .

قال[١] : وفي هذه السنة كان يتبدَّى بالليل في دار الخلافة شخص بيده سيف ، فإذا أرادوا أخذه انهزم منهم ، فدخل في بعض الأماكن ، أو الزروع والأشجار ، أو العطفات التي بدار الخلافة ، فلا يطلع له على خبر ؛ فقلق من ذلك المعتضد قلقاً شديداً ، وأمر بتجديد سور دار الخلافة والاحتفاظ به ، وأمر الحرس من كُلِّ جانب بشدة الاحتراس ، فلم يفد ذاك شيئاً ؛ واستدعى بالمعزِّمين ومن يعاني علم السحر وأمر المجانين ، فعزَّموا واجتهدوا فلم يفد ذلك شيئاً ، فأعياهم أمره .

ثم كان بعد مدة اطلع على جلية خبره وحقيقة أمره ؛ أنَّه كان خادماً خصيّاً يتعشَّق بعض الجواري من خواص الحظايا اللائي لا يصل النظر إليها مثله ، فكان قد اتخذ لِحىً مختلفة الألوان ، فيلبَسُ الواحدة ، ويتبدَّى في الليل في شكلٍ مزعجٍ ، فينزعج الجواري والخدم ، ويثورون من كُلِّ جانبٍ ، ويقصدون فيدخل في بعض العطفات ، ويخلعها ويجعلها في كمه ، ثم يظهر أنه من جملة الخدم المتطلبين لكشف هذا الأمر ، ويسأل هذا وهذا ما الخبر ؟ والسيف في يده صفة أنه من جملة من رهب من هذا الأمر ، وإذا اجتمع الجواري يتمكن من النظر إلى تلك المعشوقة ، وملاحظتها والإشارة إليها بما يريده منها ، فلم يزل هذا دأبه إلى زمن المقتدر ، فبُعث في سرية إلى طرسوس[٢] ، فنمَّت عليه تلك الجارية ، وانكشف زيفه ومحاله ، وأهلكه الله عزَّ وجلَّ .

وفي هذه السنة اضطرب الجيش على هارون بن خُمَارَوَيْه بمصر ، فأقاموا له بعض أمراء أبيه يدبّر الأمور ويصلح الأحوال ، وهو أبو جعفر بن أبان ، فبعث إلى دمشق ، وكانت قد منعت بيعة جيش بن خُمَارَوَيْه في مدة ولايته تسعة أشهر بعد أبيه ، واضطربت أحوالها ، فبعث إليهم جيشاً كثيفاً مع بدر الحمّامي والحسين بن المادَرائي[٣] ، فأصلحا أمرها ، واستعملا على نيابتها طُغْج[٤] بن جفّ ، ورجعا إلى الدِّيار المصرية والأمور مختلّة جداً .

---

(١) المنتظم (٥/ ١٧١ ـ ١٧٢) .
(٢) في المنتظم : طوس .
(٣) تنظر ترجمته في تاريخ دمشق (١٤/ ١٥) ، و« المادرائي » من أنساب السمعاني .
(٤) في ط : « طفج » : بالفاء ، خطأ . تنظر ترجمته في تاريخ دمشق (٢٥/ ٤) .

وهكذا يكون انقضاء الدول في أواخرها ، ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد : ١١] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن المبارك أبو عمرو المُسْتملي[١] : الزاهد النَّيسابوريّ ، يلقَّب بحكمويه ، العابد . سمع قُتَيبة ، وأحمد ، وإسحاق ، وغيرَهم . واستملى الزاهد النَّيسابوريّ على المشايخ ستاً وخمسين سنة .

وكان فقيراً رثَّ الهيئة زاهداً ؛ دخل يوماً على أبي عثمان سعيد بن إسماعيل ، وهو في مجلس التذكير ، فبكى أبو عثمان ، وقال للناس : إنَّما أبكاني رثاثة ثياب رجلٍ كبيرٍ من أهل العلم ، أنا أُجِلُّه عن أن أسمّيه في هذا المجلس ، فجعل الناس يُلقون الخواتم والدَّراهم والثِّياب ، حتَّى اجتمع من ذلك شيء كثير بين يدي الشيخ أبي عثمان ، فنهض عند ذلك أبو عَمرو المُسْتَملي ، فقال : أيُّها النَّاس ، أنا الذي قَصَدني الشيخُ بكلامه ، ولولا أنّي كرِهْتُ أن يُتَّهم بإثم لسترْتُ ما ستره . فتعجَّب أبو عثمان من إخلاصه ، ثم أخذ أبو عمرو ذلك المجتمعَ بين يدي الشيخ ، فما خرج من باب المسجد حتَّى تصدَّق بجميعه على الفقراء والمحاويج[٢] ، رحمه الله .

كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة .

إسحاق بن الحسن[٣] : ابن ميمون بن سعد ، أبو يعقوب الحَرْبي . سمع عفَّان ، وأبا نُعَيْم ، وغيرهما .

وكان أسنَّ من إبراهيم الحَرْبي بثلاث سنين[٤] .

ولما توفي إسحاق الحَرْبي نودي عليه بالبلد فقصد الناس داره للصلاة عليه ، واعتقد بعض العامة أنه إبراهيم الحَرْبي ، فجعلوا يقصدون داره فيقول له إبراهيم : ليس إلى هذا الموضع قصدتم ، وغداً تأتونه أيضاً ، فما عمّر بعده إلا دون السنة ، رحمهما الله .

إسحاق بن محمد ، أبو يعقوب الزّهري ، عمّر تسعين سنة ، وكان ثقة صالحاً[٥] .

---

(١) المنتظم (٥/ ١٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧٣) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٤٤) ، الوافي بالوفيات (٧/ ٣٠٢) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٦) .

(٢) المنتظم (٥/ ١٧٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٧٤) .

(٣) المنتظم (٥/ ١٧٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٠) ، العبر (٢/ ٧٣) ، شذرات الذهب (٢/ ١٨٦) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١١) .

(٥) المنتظم (٥/ ١٧٤) .

إسحاق بن موسى بن عمران ، الفقيه ، أبو يعقوب الإسفراييني ، الشافعي[١] .

عبيد الله بن عليّ بن الحسن بن إسماعيل ، أبو العبَّاس الهاشميّ[٢] ؛ كانت إليه الحسبة ببغداد ، وإمامة جامع الرصافة .

عبد العزيز بن معاوية العَتَّابي ، من ولد عَتَّاب بن أَسِيد[٣] ، بصري ، قدم بغداد ، وحدَّث عن أزهر السَّمَّان ، وأبي عاصم النَّبيل .

يزيد بن الهيثم بن طهمان ، أبو خالد الدقَّاق ، ويعرف بالباد .

قال ابن الجوزي[٤] : والصواب أن يقال : البادِي ، لأنه ولد توأماً ، وكان هو الأول في الميلاد . روى عن يحيى بن مَعين ، وغيره . وكان ثقةً صالحاً .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومئتين

فيها خرج صالح بن مُدرك الطائيّ على الحاجّ بالأجفُر ، فأخذ أموالهم ونساءهم وخدمهم ، يقال : إنه أخذ منهم ما قيمته ألفا ألف دينار .

وفي ربيع الأول منها يوم الأحد لعشر بَقِين منه ، ارتفعت بنواحي الكُوفة ظلمة شديدة جدّاً ، ثم سقطت أمطار بِرُعودٍ وبرُوقٍ لم يُرَ مثلُها ، وسقط في بعض القرى مع المطر حجارةٌ بيضٌ ، وسودٌ ، وسقط بَرَدٌ كِبار ، وزن البردة مئة وخمسون درهماً ، واقتلعت الرياحُ شيئاً كثيراً من النخيل والأشجار مما حولَ دجلة ، وزادت دِجْلَة زيادة عظيمة ، حتى خيف على بغداد من الغرق .

وغزا راغبٌ الخادم ، مولى الموفَّق ، بلادَ الرُّوم ، ففتح حصوناً كثيرة ، وأسر ذراري كثيرة جداً ، وقتل من أسارى الرجال الذين تحصَّلوا معه ثلاثة آلاف رقبة ، وعاد سالماً مؤيّداً منصوراً .

وحجَّ بالناس فيها محمد بن عبد الله بن داود الهاشميّ .

وفيها : توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ ، صاحب آمِد ، فقام بأمرها من بعده ولدُه محمّد ، فقصده المعتضدُ ومعه ابنُه أبو محمّد المكتفي ، فحاصره بها ، فخرج إليه سامعاً مطيعاً ، فتسلَّمها منه ، وخلَع عليه ، وأكرم أهله ، وأحسن إليه ، واستخلف عليها ولده المكتفي .

---

(١) شيخ خراسان، أحد أئمة الشافعية والرحّالة في طلب الحديث، وله مصنفات كثيرة . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٥٦).

(٢) المنتظم (٥/ ١٧٤) .

(٣) أمير مكة ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٨٢) .

(٤) المنتظم (٥/ ١٧٥) .

ثم سار إلى قِنَّسرين والعواصم ، فتسلَّمها عن كتاب هارون بن خُمَارَوَيْه ، وإذنه له في ذلك ، ومصالحته له على ذلك[(١)] .

وفيها : غزا ابن الإخشيد بأهل طَرَسُوس بلادَ الروم ، ففتح الله على يديه ، ولله الحمد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن إسحاق[(٢)] : ابن بشير بن عبد الله بن دَيْسَم ، أبو إسحاق الحَرْبي ، أحد الأئمة في الفقه والحديث وغير ذلك ، [وكان][(٣)] زاهداً عابداً ، تخرّج بأحمد بن حنبل ، وروى عنه كثيراً .

قال الدَّارَقُطني : إبراهيم الحَرْبي إمام ، مصنِّف ، عالم بكلِّ شيء ، بارع في كلِّ علم ، صدوق ، كان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه .

وقال إبراهيم الحَرْبي : أجْمَعَ عقلاءُ كُلِّ أمةٍ أنَّ مَنْ لم يجرِ مَعَ القَدَرِ لم يتهنَّأ بعيشه[(٤)] .

وكان يقول : الرجل [هو][(٥)] الذي يدخل غمَّه على نفسه ولا يدخله على عياله ؛ وقد كان بي شقيقة منذ خمس وأربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط ؛ ولي عشر سنين أبصر بفرد عين ، ما أخبرت بها أحداً . وذكر أنه مكث نيفاً وسبعين سنة من عمره ما يسأل أهله غداءً ولا عشاءً ، بل إن جاؤوه بشيء أكله ، وإلا طَوَى إلى الليلة القابلة .

وذكر أنه أنفق في بعض الرمضانات على نفسه وعياله درهماً واحداً وأربعة دوانيق ونصف ؛ وما كنَّا نعرف من هذه الطبائخ شيئاً ، إنَّما هو باذنجان مشوي ، أو باقة فجل ، أو نحو هذا .

وقد بعث إليه أمير المؤمنين المعتضد في بعض الأحيان بعشرة آلاف درهم ، فأبَى أن يقبلَها وردَّها ؛ فرجع الرسول ، وقال : يقول لك الخليفة : فرّقها على مَنْ تعرف من فقراء جيرانك ، فقال : هذا شيء لم نجمعه ولا نُسألُ عن جمعه ، فلا نُسألُ عن تفريقه ، قلْ لأمير المؤمنين : إمَّا يتركنا وإلا نتحوَّل من بلده .

ولما حضرته الوفاة ، دخل عليه بعضُ أصحابه يعوده ، فقامت ابنته تشكو إليه ما هم فيه من الجهد ،

---

(١) الكامل لابن الأثير (٧/ ٤٩١) ، وجاء فيه : وفيها وجَّه هارون بن خمارويه إلى المعتضد ليسأله أن يقاطعه على ما في يده ويد نوّابه من مصر والشام ، وسلم أعمال قِنّسرين إلى المعتضد ، ويحمل كل سنة أربع مئة ألف وخمسين ألف دينار ، فأجابه إلى ذلك . .

(٢) تاريخ بغداد (٦/ ٢٨) ، طبقات الحنابلة (١/ ٨٦) ، المنتظم (٦/ ٣) ، معجم الأدباء (١/ ١١٢) ، إنباه الرواة (١/ ١٥٥) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٠) .

(٣) زيادة من ط .

(٤) المنتظم (٦/ ٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٦٧) .

(٥) من المنتظم ، وفي ط : الرجل كل الرجل الذي . . .

وأنه لا طعام لهم إلا الخبز اليابس بالملح ، وربما عدموا الملحَ في بعض الأحيان . فقال لها إبراهيم : يا بُنية ، تخافين الفقر ؟ انظري إلى تلك الزاوية ففيها اثنا عشر ألف جزء قد كتبتها في العلم ، ففي كل يوم بيعي منها جزءاً بدرهم ، فَمَن عنده اثنا عشر ألفَ درهمٍ فليس بفقير .

ثم كانت وفاته لسبع بقين من ذي الحجّة ، وصلّى عليه يوسف بن يعقوب القاضي عند باب الأنبار ، وكان الجمع كثيراً جداً .

المبرّد النَّحويّ[١] : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبو العبّاس الأزْدِيّ الثُّماليّ ، المعروف بالمُبرّد ، النَّحويّ ، البصريّ ، إمام في اللغة والعربية ، أخذ ذلك عن المازنيّ ، وأبي حاتم السِّجِسْتاني . وكان ثقة ثبتاً فيما ينقله ، وكان مناوئاً لثعلب ، وله كتاب « الكامل » في الأدب . وإنَّما سمِّي بالمبرّد ؛ لأنَّه اختبأ من الوالي عند أبي حاتم تحت المُزَمَّلة[٢] . قال المبرّد[٣] : دخلنا يوماً على المجانين نزورهم أنا وأصحابٌ معي بالرَّقَّة ، فإذا فيهم شاب قريب عهد بالمكان ، عليه ثياب ناعمة ، فلمَّا بَصُر بنا ، قال : حيَّاكم الله ، ممن أنتم ؟ قلنا : من أهل العراق . فقال : بأبي العراق وأهلها ! أنشدوني أو أنشدكم ؟ قال المبرّد : فقلت : بل أنشدنا أنت ، فأنشأ يقول :

اللهُ يعلَـــمُ أنَّنـــي كمِـــدٌ ... لا أستطيـــعُ بـــثَّ مـــا أجـــدُ
روحـــانِ لـــي روحٌ تضمَّنهـــا ... بلـــدٌ وأخـــرى حَـــازَهَـــا بلَـــدُ
وأرى المقيمـــةَ ليـــس ينفعهـــا ... صبـــرٌ ولا يَقْـــوَى لهـــا جلَـــدٌ
وأظنُّ غائبتي كشاهدتي[٤] ... بمكـــانهـــا تجـــدُ الـــذي أجِـــدُ

قال المبرّد : فقلتُ : والله إن هذا لظريف ، فزِدْنا منه ، فأنشأ يقول :

لمَّـا أنـاخُـوا قُبَيْـلَ الصُّبْـحِ عِيـرَهُـمُ ... ورحَّلُوها[٥] فثارَتْ[٦] بالهوى الإبلُ
وأبرزَتْ من خِلالِ السَّجْفِ ناظِرَها ... تَـرْنُـو إلـيَّ وَدَمْـعُ العَيْـنِ يَنْهَمِـلُ
وودَّعَـــتْ ببَنَـــانٍ عَقْـــدُهـــا عَنَـــمٌ ... نادَيْتُ : لا حَمَلَتْ رِجلاكَ يا جَمَلُ

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (١٠١) ، تاريخ بغداد (٣/ ٣٨٠) ، المنتظم (٦/ ٩) ، معجم الأدباء (١٩/ ١١١) ، إنباه الرواة (٣/ ٢٤١) ، وفيات الأعيان (٤/ ٣١٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٧٦) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٠) .

(٢) المنتظم (٦/ ٩) . والمزملة : التي يبرّد فيها الماء ، لفظه عراقية ، كما في القاموس المحيط (زمل) . ويلاحظ أن هنالك أقوالاً أخرى في سبب تلقيبه بهذا اللقب ، منها أن شيخه أبا عثمان المازني هو الذي لقبه به ، وقيل غير ذلك .

(٣) المنتظم (٦/ ١١) .

(٤) في ط : كحاضرتي ، وما هنا كما في المنتظم (٦/ ١١) الذي ينقل منه المصنف .

(٥) في ط : وحمّلوها ، وما هنا كما في المنتظم .

(٦) في بهجة المجالس : وسارت بالدُّمى الإبل ، وما هنا كما في المنتظم .

وَيْلي من البَيْنِ ماذا حَلَّ بي وبِهِمْ ... مِنْ نازِلِ البَيْنِ حانَ البَيْنُ وارْتَحَلُوا
يا راحِلَ العِيسِ عَجِّلْ كي أودِّعَهُمْ ... يا راحِلَ العِيسِ في تَرْحَالِكَ الأَجَلُ
إنِّي على العهدِ لم أنقُضْ مودَّتكم ... فليْتَ شِعْري ! أطال[١] العهد ما فَعَلُوا[٢]

فقال رجل من البغضاء الذين معي : ماتوا . فقال الشاب : إذاً أموتُ ، فقال : إن شئتَ . فتمطَّى ، واستند إلى سارية عنده ، ومات ، وما برحنا حتى دفنَّاه ، رحمه الله .

ومات المبرّد وقد جاوز السبعين .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومئتين

فيها : وقع تسلم آمِد من ابن الشيخ في ربيع الآخر ، ووصل كتاب هارون بن [خُمَارَوَيْه بن][٣] أحمد بن طولون من مصر إلى المعتضد وهو مخيم بآمِد ؛ أن يسلم إليه قِنَّسرين والعواصم ، على أن يقرّه على إمارة الدِّيار المصرية ، فأجابه إلى ذلك ، ثم ترحَّل عن آمِد قاصِداً العراق ، وأمر بهدْمِ سور آمِد فهُدِمَ[٤] البعض ولم يقدر على ذلك ، فقال ابن المعتز يهنئه بفتح آمِد[٥] :

اِسْلَمْ أميرَ المؤمنينَ ودُمْ ... في غِبطةٍ وَلْيَهْنِكَ النَّصْرُ
فلربَّ حادثةٍ نهضْتَ لها ... متقدِّماً فتأخَّرَ الدَّهْرُ
ليثٌ فرائسُهُ الليوثُ فَمَا ... يبيضُّ مِنْ دمِها له ظفْرُ

ولمَّا رجع الخليفة إلى بغداد جاءته هدية عمرو بن الليث من نيسابور ، فكان وصولها بغداد يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة ، وكان مبلغها ما قيمته أربعة آلاف ألف درهم ، خارجاً عن دوابّ وسروجٍ وغير ذلك[٦] .

وفيها[٧] : تحارب إسماعيل بن أحمد السَّامانيّ وعمرو بن الليث ، وذلك أن عمرو بن الليث لما قتل رافع بن هَرْثَمة ، وبعث برأسه إلى الخليفة ، سأل منه أن يعطيه ما وراء النهر ، [مضافاً إلى ما بيده من

---

(١) في ط : لطول العهد ، وفي بهجة المجالس : لطول البين ، وما هنا كما في المنتظم .
(٢) المنتظم (٦/ ١١) ، العقد الفريد (٦/ ١٦٨) ، بهجة المجالس (١/ ٢٤٩) ، المستطرف (٢/ ٤٩) ، نهاية الأرب (٢/ ١٩١) .
(٣) زيادة من ب ، ظا .
(٤) في المنتظم : فهدم بعضهم ، ولم يقدر على هدم الباقي .
(٥) المنتظم (٦/ ١٥) .
(٦) الطبري (١٠/ ٧١) .
(٧) ذكر ذلك الطبري وابن الأثير في حوادث السنة التالية ، بينما تابع المؤلف رحمه الله ابن الجوزي في المنتظم .

ولاية خراسان ، فأجابه إلى ذلك ، فانزعج لذلك إسماعيل بن أحمد السَّامانيّ نائب ما وراء النهر][1] ، وكتب إليه : إنَّك قد ولّيتَ دنيا عريضة ، فاقتنع بها عمَّا في يدي من هذه البلاد . فلم يقبل ، فأقبل إليه إسماعيل في جيوش عظيمةٍ جداً ، فالتقيا عند بَلْخ ، فهُزم أصحاب عمرو ، وأسِر عمرو . فلمَّا جيء به إلى إسماعيل بن أحمد قام إليه ، وقبّل بين عينيه ، وغسل وجهه ، وخلع عليه وأمَّنه ، وكتب إلى الخليفة في أمره ، يذكر أن أهل تلك البلاد قد ملّوه ، وضجروا من ولايته عليهم . فجاء كتابُ الخليفة بأن يتسلّم حواصله وأمواله ، فسلبه إياها ، فآل به الحالُ بعد أن كان مطبخُه يحمل على ستمئة جمل إلى القيد والسجن[2] . [ومن العجائب أن عَمْراً كان معه خمسون ألفاً ، فلم يصبْ أحد منهم ولا أسِرَ سواه وحده][3] .

ظهور أبي سعيد الجنَّابيّ رأس القرامطة ، قبَّحهم الله ولعنهم وهو[4] أخبث من الزّنج وأشدّ فساداً

كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة ، فالتفَّ عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير ، وقويت شوكته جداً ، وقتل مَن حوله من أهل القرى ، ثم صار إلى القَطِيف قريباً من البصرة ، ورام دخولها ، فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها ، فعمروه وجدَّدوا معالمه بنحوٍ من أربعة[5] آلاف دينار ، فامتنعت البصرة من القرامطة بسبب ذلك .

وتغلَّب أبو سعيد الجنَّابيُّ ومَن معه من القرامطة على هَجَر وما حولها من البلاد ، وأكثروا في الأرض الفساد .

وكان أصل أبي سعيد الجنَّابيّ هذا أنه كان سمساراً في الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان ، فقدم رجل يقال له : يحيى بن المهدي في سنة إحدى وثمانين ومئتين ، فدعا أهل القَطِيف إلى بيعة المهديّ ، فاستجاب له رجلٌ يقال له : عليّ[6] بن العلاء بن حمدان الزياديّ ، وساعده في الدعوة إلى المهديّ ، وجمع الشيعة الذين كانوا بالقَطِيف ، فاستجابوا له ، فكان في جملة من استجابوا أبو سعيد الجنَّابي هذا

---

(١) ما بين قوسين لم يرد في آ .

(٢) المنتظم (٦/ ١٧ ـ ١٨) .

(٣) ما بين قوسين لم يرد في آ . وبعده في المطبوع : وهذا جزاء من غلب عليه الطمع ، وقاده الحرص ، حتى أوقعه في ذل الفقر ، وهذه سنة الله في كل طامع فيما ليس له ، وفي كل طالب للزيادة في الدنيا .

(٤) في آ : وهذا ، وفي ط : وهم .

(٥) في الطبري والمنتظم وابن الأثير : أربعة عشر ألف دينار .

(٦) في الكامل لابن الأثير : عليّ بن المعلّى بن حمدان ، مولى الزياديين .

قبّحه الله . ثم تغلّب على [أمرهم وأظهر فيهم القرامطة ، فاستجابوا له والتفُّوا عليه ، فتأمّر عليهم ، وصار هو][١] المشار إليه فيهم . وأصله من بلدة هناك يقال لها : جَنَّابة ، وسيأتي ما يكون من أمره وأمر أصحابه .

قال ابن الجوزي في « المنتظم »[٢] : ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة ، ثم روى بسنده أنَّ امرأةً جاءت إلى قاضي الرَّيّ ، فادَّعَتْ على زوجها بصَداقها خمسمئة دينار ، فأنكره ، فجاءت ببيِّنةٍ تشهد لها به ، فقالوا : نريد أن تسفرَ لنا عن وجهها حتَّى يعلم أنها الزوجة أم لا ، فلمَّا صمَّموا على ذلك ، قال الزوج : لا تفعلوا ، هي صادقة فيما تدَّعيه ؛ فأقرَّ بما ادَّعت ؛ ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها . فقالت المرأة : وإذ قد أراد ذلك ، فهو في حلٍّ من صداقي عليه في الدنيا والآخرة .

وممن توفي فيها من الأعيان والمشاهير :

أحمد بن عيسى ، أبو سعيد الخَرَّاز ، فيما ذكره شيخنا الذَّهبيّ[٣] .

وقد أرَّخه ابنُ الجوزي[٤] في سنة سبع وسبعين ومئتين ، فالله أعلم .

إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان[٥] : أبو يعقوب النّخعي الأحمر ، وإليه تنسب الطائفة « الإسحاقية » من الشيعة . وقد ذكر ابنُ النّوبَخْتِيّ[٦] والخطيبُ وابنُ الجوزي : أنَّ هذا الرجل كان يعتقد إلّهية عليّ بن أبي طالب ، وأنه انتقل إلى الحسن ثم إلى الحسين ، وأنه كان يظهر في كلِّ وقت ، وقد اتبعه على هذا الكفر خلقٌ من الحمير ، قبَّحه الله وقبَّحهم .

وإنَّما قيل له : الأحمر لأنه كان أبرص ، فكان يطلي برصه بما يغيِّر لونه ، وقد أورد له النوبَخْتي أقوالاً عظيمة في الكفر ؛ لعنه الله . وقد روى شيئاً من الحكايات والملح عن المازني وطبقته ، ومثل هذا أقلُّ وأذلُّ أن يُروى عنه .

---

(١) ما بين قوسين لم يرد في آ .

(٢) المنتظم (٦/ ١٨) .

(٣) تاريخ الإسلام (وفيات ٢٨٦هـ) وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤١٩) ، والعبر (٢/ ٧٧) ، وتاريخ بغداد (٤/ ٢٧٦) ، وحلية الأولياء (١٠/ ٢٤٦) ، ومختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ٢٠٤) .
وأبو سعيد هذا كان شيخ الصوفية ، وهو أول من تكلم في علم الفناء والبقاء . صحب سرياً السقطي ، وذا النون المصري وغيرهما .

(٤) المنتظم (٥/ ١٠٥) .

(٥) تاريخ بغداد (٦/ ٣٧٨) ، المنتظم (٦/ ١٩) ، ميزان الاعتدال (١/ ٩٢ و٩٣) ، ولسان الميزان (١/ ٣٧٠) .

(٦) هو الحسن بن موسى ، كانت تدعيه المعتزلة والشيعة . له : فرق الشيعة ، والآراء والديانة . توفي سنة ٣١٠هـ .

بقيّ بن مَخْلَد[١] بن يزيد : أبو عبد الرحمن الأندلسي ، الحافظ ، أحد علماء الغرب ، له « التفسير » و« المسند » ، و« السّنن » ، والآثار التي فضّلها ابن حزم على تفسير ابن جرير ومسند أحمد ومصنف ابن أبي شيبة ، وفيما زعم ابنُ حزم نظر . وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »[٢] فأثنى عليه خيراً[٣] ، ووصفه بالحفظ والإتقان ، وذكر أنه كان مجاب الدعوة رحمه الله ، وأرّخ وفاته بهذه السنة عن خمس وسبعين سنة[٤] .

والحسين بن بشار بن موسى[٥] : أبو علي الخيّاط ، روى عن أبي بلال الأشعري ، وعنه أبو بكر الشافعيّ ، وكان ثقة .

رأى في منامه ـ وكان به علّة ـ قائلاً يقول له : كُلْ لا واشرب لا ، ففسره بقوله تعالى : ﴿ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور : ٣٥] ، فأكل زيتوناً وشرب زيتاً فبرأ من علته تلك[٦] .

محمد بن إبراهيم[٧] ، أبو جعفر الأنماطيّ ، المعروف بمربّع ، تلميذ يحيى بن مَعين ، كان ثقة حافظاً .

عبد الرَّحيم بن البَرْقي[٨] .

وعليّ بن عبد العزيز البَغَويّ[٩] ، صاحب « المسند » .

ومحمد بن وضّاح[١٠] ، المصنف .

---

(١) صوابه أنه توفي سنة ٢٧٦هـ ، وقد ترجم له المؤلف هناك .

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (٥/ ٢٣٥) .

(٣) في ب ، ظا : جداً .

(٤) هكذا قال المصنف ، وهو وهم منه رحمه الله ، فإن الذي أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق : أنه توفي سنة ٢٧٦هـ ، وقيل سنة ٢٧٣هـ ، ولم يقل أنه توفي في هذه السنة كما زعم المصنف ، وقد تقدمت ترجمته له في وفيات سنة ٢٧٦هـ .

(٥) في الأصول : الحسن بن بشار والتصحيح من المنتظم (٦/ ٢١) ، وتاريخ بغداد (٧/ ٢٤) .

(٦) روى ذلك ابن الجوزي مفصلاً ، وذكر أن الذي اعتلّ ورأى الرؤيا ، إنما هو والد أبي عمر محمد بن يوسف القاضي ، ثم إن أبا علي الخياط أوّلها له ، تاريخ بغداد (٨/ ٢٥) .

(٧) تاريخ بغداد (١/ ٣٨٨) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٤٩٦) .

(٨) أبو سعيد ، راوي السيرة عن عبد الملك بن هشام ، وكان صدوقاً ، مسنّاً ، من أهل العلم . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٨) .

(٩) أبو الحسن البغوي ، نزيل مكّة ، الحافظ الصدوق . صنف المسند الكبير ، وأخذ القراءات عن أبي عُبَيد وغيره . وكان حسن الحديث ، وثّقه الدّارقطني .
سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٤٨) .

(١٠) في آ : محمد بن موسى بن وضّاح وأثبت ما جاء في (ط) ، ولم ترد الترجمة في ب ، ظا .

=

محمد بن يونس[(١)] : ابن موسى بن سُليمان بن عُبَيد بن رَبيعة بن كُدَيم ، أبو العبَّاس القرشيّ ، البصريّ الكُدَيْمي ، وهو ابنُ امرأة رَوْح بن عُبَادة ، ولد سنة ثلاث وثمانين ومئة .

وسمع عبد الله بن داود الخُرَيْبي ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، وأبا داود الطَّيَالسيّ ، والأصْمعيّ ، وخلقاً .

وعنه ابن السمَّاك ، والنَّجَّاد . وآخر من حدَّث عنه أبو بكر بن مالك القَطِيعي . وقد كان حافظاً مكثراً مغرباً ، وقد تكلم فيه الناس لإغرابه في الروايات .

وقد سقنا ترجمته في كتابنا « التكميل » بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة .

ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وقد جاوز المئة سنة ، وصلى عليه [يوسف بن][(٢)] يعقوب القاضي ؛ رحمه الله .

يعقوب بن إسحاق بن تحيّة[(٣)] : أبو يوسف الواسطيّ . سمع من يزيد بن هارون ، وقدِمَ بغداد ، وحدَّث بها بأربعة أحاديث ، ووعد الناس أن يحدِّثهم من الغد ، فمات من ليلته عن مئة واثنتي[(٤)] عشرة سنة ، رحمه الله .

والوليد أبو عُبَادة البُحْتُريّ ، فيما ذكره شيخنا الذهبيّ[(٥)] ، وقد تقدم ذكره في سنة ثلاث وثمانين ، كما ذكره ابنُ الجوزي[(٦)] .

= وهو محمد بن وضَّاح بن بَزِيع المرواني ، أبو عبد الله ، مولى صاحب الأندلس عبد الرحمن بن معاوية الدّاخل . ارتحل إلى العراق والشام ومصر ، وجمع فأوعى . وكان عالماً بالحديث ، بصيراً بطرقه وعلله ، كثير الحكاية عن العبّاد ، ورِعاً . زاهداً ، صبوراً على نشر العلم . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤٥) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٤٦) .

(١) كتاب المجروحين والضعفاء (٢/ ٣١٢) ، تاريخ بغداد (٣/ ٤٣٥) ، المنتظم (٦/ ٢٢) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦١٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٠٢) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٤) .

(٢) زيادة من ط .

(٣) المنتظم (٦/ ٢٤) .

(٤) في الأصول : واثني عشر .

(٥) في تاريخ الإسلام (وفيات ٢٨٦هـ) ، وأورده أيضاً في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٨٧) ، لكن قال فيه : مات بمنبج ، وقيل : بحلب ، سنة ثلاث ، أو أربع وثمانين ومئتين ، وفي العبر (٢/ ٧٣) ، سنة أربع وثمانين ، بينما ذكر الذهبي وفاته في آخر ترجمة محمد بن عبد السلام بن بشار . السير (١٣/ ٤٦١) سنة ٢٨٦هـ .

(٦) المنتظم (٦/ ١١) .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومئتين

في ربيع الأول منها تفاقم أمْر القَرامطة صحبةَ أبي سعيد الجنَّابي ، فقتلوا وسَبَوْا وأفسدوا في بلاد هَجَر ، فجهَّز الخليفة إليهم جيشاً كثيفاً ، وأمَّر عليهم العباس بن عمرو الغَنَوي ، وأمَّره على اليمامة والبحرين ليحارب أبا سعيد ، فالتقوا هنالك والعبَّاسُ في عشرة آلاف مقاتل ، فأسرهم أبو سعيد كلَّهم[١] ، فنجا من بينهم كلّهم الأمير وحده ، وقتل الباقون عن آخرهم صبراً بين يدي أبي سعيد ، قبَّحه الله ، وهذا عجيب جداً ، وهو عكس واقعة عمرو بن الليث ؛ فإنَّه أُسِرَ من بين أصحابه وحدَه ، ونجوا كلُّهم ، وكانوا خمسين ألفاً .

ويقال : إن العبَّاس لمَّا قَتَل أبو سعيد أصحابَه صبراً بين يديه والعباس ينظر ، أقام العبّاس عند أبي سعيد أياماً ، ثم أطلقه ، وحمله على رواحل ، وقال : ارجعْ إلى صاحبك فأخبره بما رأيت . وقد كانت هذه الواقعة في أواخر شعبان من هذه السنة .

ولما وقع هذا انزعج الناس لذلك انزعاجاً عظيماً جداً ؛ وهمَّ أهلُ البصرة بالجلاء منها ، فمنعهم من ذلك نائبها أحمد الواثقي ؛ فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها : أغارت الرُّوم على بلاد طَرَسُوس ، وكان نائبها ابن الإخشاد[٢] قد توفي في العام الماضي ، واستخلف على الثغر أبا ثابت ، فطمعت الرُّوم في تلك الناحية ، وحشدوا في عساكرهم إلى هنالك ، فالتقاهم أبو ثابت ، فلم يقدر على مقاومتهم ، فقتلوا من أصحابه جماعة وأسروه فيمن أسروا ، فاجتمع أهلُ الثغر على ابن الأعرابيّ ، فولّوه أمرهم ، وذلك في ربيع الآخر .

وفيها : قتل :

محمد بن زيد العلويّ[٣] : أمير طَبَرِستان والدَّيلم . وكان سبب ذلك أنَّه لما ظفر إسماعيل بن أحمد السَّامانيّ بعمرو بن الليث نائب خراسان ، ظن أنَّ إسماعيل لا يجاوز عمله ، وأن خراسان قد حلت له ، فارتحل من بلده يريدها ، وسبقه إلى خراسان إسماعيل بن أحمد ، وكتب إليه : أن الزم عملك ولا تجاوزه إلى غيره ، فلم يقبل ، فبعث إليه جيشاً مع محمد بن هارون الذي كان ينوب عن رافع بن هَرْثمة ، فلمَّا التقيا هرب منه محمد بن هارون خديعةً ، فسار الجيش وراءه للطلب[٤] ، فكرَّ عليهم راجعاً ،

---

(١) في الطبري (١٠/ ٧٨) ، وأسر من أصحاب العباس زهاء سبعمئة رجل .
(٢) في ب ، ظا ، ط : ابن الإخشيد .
(٣) تاريخ الطبري (١٠/ ٨١) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٥٠٤) .
(٤) في ط : في الطلب .

فانهزموا منه ، واجتاز ما في معسكرهم ، وجرح محمد بن زيد جراحات شديدة ، مات بسببها بعد أيام ، وأسر ولده زيد فبعث به إلى إسماعيل بن أحمد ، فأكرمه وأنزله بخارى .

وقد كان محمد بن زيد هذا فاضلاً ، أديباً ، حسن السيرة فيما وليه من تلك البلاد ، وكان فيه تشيع ، فتقدم إليه يوماً خصمان ، اسم أحدهما معاوية ، واسم الآخر عليٌّ ، فقال محمد بن زيد : إن الحكم بينكما ظاهر ، فقال معاوية : أيُّها الأمير ، لا تغترن بنا ؛ فإنَّ أبي كان من كبار الشيعة ، وإنما سمَّاني معاوية مداراة لمن ببلدنا من السنة ، وهذا كان أبوه من كبار النواصِب فسمَّاه عليّاً تُقاةً لكم ، فتبسَّم محمّد بن زيد وأحسن إليه[1] ؛ رحمه الله .

قال ابن الأثير في « كامله »[2] : وممن توفي في هذه السنة :

إسحاق بن أيّوب بن عمر بن الخطّاب العدويّ ، عديّ ربيعة . وكان أميراً على ديار ربيعة من الجزيرة ، فوُلِّيَ مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر .

وعليّ بن عبد العزيز البَغَويّ ، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام .

وفهد بن أحمد بن فهد الأزديّ الموصليّ ، وكان من الأعيان .

وذكر هو وأبو الفرج بن الجوزي[3] أن قطر النَّدى بنت خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، امرأة المعتضد بالله ، توفيت في هذه السنة . قال ابن الجوزي : لسبع خلون من رجب منها ، ودفنت داخل قصر الرصافة .

يعقوب بن يوسف بن أيّوب ، أبو بكر المطوِّعي[4] . سمع أحمد بن حنبل ، وعليّ بن المديني . وعنه النَّجَّاد ، والخلدي ، وكان وِرْدُه في كلِّ يومٍ قراءة : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إحدى وثلاثون ألف مرة ، أو إحدى وأربعون ألف مرة .

قلت : وممن توفي فيها : أبو بكر[5] بن أبي عاصم ، صاحب السنة ، والمصنفات ، وهو :

أحمد بن عَمْرو بن أبي عاصم الضَّحَّاك[6] : ابن مَخْلَد النَّبيل . له مصنَّفات في الحديث كثيرة ، منها

---

(١) في ط : إليهما .

(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٥٠٨) .

(٣) المنتظم (٦/ ٢٦) .

(٤) المنتظم (٦/ ٢٦) .

(٥) حتى قوله : وهو لم يرد في ب ، ظا .

(٦) الجرح والتعديل (٢/ ٦٧) ، ذكر أخبار أصبهان (١/ ١٠٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٣٠) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٤٠) ، العبر (٢/ ٧٩) ، مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٩٧) ، وتهذيبه (١/ ٤١٨) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٥) .

كتاب « السُّنَّة » في أحاديث الصفات على طريقة السلف ، وكان حافظاً كبيراً جليلاً ، وقد ولي قضاء أصبهان بعد صالح بن الإمام أحمد ، وكان قد طاف البلاد في طلب الحديث ، وصحب أبا تراب النَّخْشَبي ، وغيرَه من مشايخ الصوفية .

وقد اتفق له مرة كرامة هائلة ، وهو أنه كان هو واثنان من كبار الصالحين في سفر فنزلوا يوماً على رمل أبيض ، فجعل أبو بكر هذا يقلبه بيده ، ويقول : اللهم ارزقنا خبيصاً(١) يكون بلون هذا . فلم يكن بأسرع من أن أقبل أعرابي وبيده قصعة فيها خَبيص بلون ذلك الرمل في بياضه ، فأكلوا منه(٢) ؛ رحمه الله .

وكان يقول : لا أحبُّ أن يحضر مجلسي مُبتدع ولا طعَّان ولا لعَّان ولا فاحش ولا بذيء ، ولا منحرف عن الشافعيّ وأصحاب الحديث(٣) .

وكانت وفاته في هذه السنة بأصبهان . وقد رآه بعضهم [في المنام](٤) بعد وفاته وهو يصلِّي ، فلما انصرف قال له : ما فعل بك ربُّك ؟ قال : يؤنسني ربِّي عزّ وجلّ .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثمانين ومئتين

اتفق في هذه السنة مصائب عديدة .

منها : أنَّ الروم قصدوا بلاد الرَّقَّة في جحافلَ من البر والبحر ، فقتلوا خلقاً ، وأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً من الذرية .

ومنها : أن بلاد أذْرَبيجان أصاب أهلَها وباءٌ شديد ، حتَّى لم يبقَ أحدٌ يقدر على دفن الموتى ، فتركوا بالطرقات لا يوارَون .

ومنها : أنَّ بلاد أردبيل أصابتها ريح شديدة من بعد العصر إلى ثلث الليل ، ثم زُلزلوا زِلزالاً شديداً ، واستمرَّ ذلك عليهم أياماً ، فتهدَّمت الدور والمنازل ، وخسف بآخرين منهم ، فكان جملة من مات تحت الهدم مئة ألف وخمسين ألفاً(٥) ؛ فإنا لله وإنّا إليه راجعون .

---

(١) « الخَبيص » : الحلواء المخبوصة من التّمر والسّمن ، جمع أخبصة .
(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٩٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٣٢) ، وأضاف الذهبي : كان الثلاثة : عثمان بن صخر الزّاهد . وأبو تراب . وابن أبي عاصم ، وكان هو الذي دعا .
(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر (٣/ ١٩٨) .
(٤) من ب ، ظا .
(٥) ذكر الخبر في المنتظم (٦/ ٢٧) ، ولم يرد عند الطبري وابن الأثير .

وفيها : اقترب القرامطة من البصرة ، فخاف أهلها منهم خوفاً شديداً ، وهمُّوا بالرحيل منها فمنعهم واليها .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بِشْر بن موسى بن صالح أبو علي الأسَديّ[١] : ولد سنة تسعين ومئة . وسمع من رَوْح بن عُبَادة حديثاً واحداً ، وسمع الكثير من هَوْذَةَ بن خَليفة ، والحسن بن موسى الأشْيَب ، وأبي نُعَيم ، وعليّ بن الجَعْد ، والأصمعيّ ، وغيرهم .

وعنه ابن المنادي ، وابن مَخْلد ، وابن صاعد ، والنَّجّاد ، وأبو عمرو الزّاهد ، والخلدي ، والسلمي ، وأبو بكر الشافعي ، وابن الصَّوَّاف ، وغيرهم .

وكان ثقة أميناً نبيلاً حافظاً ، وهو من أهل البيوتات ، وكان أحمد يُكْرِمه . ومن شعره[٢] :

ضعفتُ ومن جازَ الثمانينَ يضعُفُ ... وينكرُ منه كلُّ ما كانَ يعرفُ

ويمشي رويداً كالأسير مقيَّداً ... يداني خطاهُ في الحديدِ ويرسِفُ[٣]

ثابت بن قُرَّة[٤] : ابن هارون ، ويقال : ابن زهرون بن ثابت بن كرايا[٥] بن إبراهيم الصابىء ، الفيلسوف ، الحرَّاني ، صاحب التصانيف ؛ ومنها : أنَّه حرَّر كتاب إقليدس الذي عرَّبه حنين بن إسحاق العبادي . وكان أصله صيرفياً بحرّان ، فترك ذلك واشتغل بعلم الأوائل ، فنال منه رتبة سامية عند أهله ، ثم صار إلى بغداد فعظم شأنه بها ، وكان يدخل مع المنجّمين على الخليفة وهو باقٍ على دين الصابئة .

وحفيده ثابت بن سنان له تاريخ أجاد فيه وأحسن ، وكان بليغاً ماهراً حاذقاً بالغاً .

وعمه إبراهيم بن ثابت بن قُرَّة ، كان طبيباً عارفاً أيضاً .

سردهم كلَّهم في هذه الترجمة القاضي ابن خلكان ، رحمه الله .

الحسن بن عمرو بن الجهم[٦] ، أبو الحُسين الشيعيّ ، من شيعة المنصور لا من الروافض .

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٨٦) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٢١) ، المنتظم (٦/ ٢٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٢) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦١١) ، العبر (٢/ ٨٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٦) .

(٢) المنتظم (٦/ ٢٨) .

(٣) « رَسَف في القيد » : مشى فيه رويداً .

(٤) المنتظم (٦/ ٢٩) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٢٩٥) ، وفيات الأعيان (١/ ٣١٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٨٥) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٦) .

(٥) في ط : « كدام » ، محرف .

(٦) تاريخ بغداد (٧/ ٣٩٦) ، والمنتظم (٦/ ٢٩) ، ووقع في ط : « أبو الحسن » ، محرف .

حدَّث عن عليّ بن المديني ، وحكى عن بشر الحافي . وعنه أبو عمرو بن السماك .

عُبَيْد الله بن سليمان بن وَهْب[(١)] ، وزير المعتضد ، كان حظيّاً عنده ، وقد عزَّ عليه وفاته ، وتألَّم لفقده ، وأهمَّه من يجعله من بعده ، فعقد لولده القاسم بن عُبَيد الله الوزارة من بعد أبيه ؛ جبراً لمصابه به .

وأبو القاسم ، عثمان بن سعيد بن بشَّار ، المعروف بالأنماطي ، أحد كبار الشَّافعيَّة ؛ وقد ذكرناه في طبقاتهم[(٢)] .

هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى ، أبو موسى الهاشمي ، إمام الناس في الحجّ . سمع وحدَّث ، وتوفي بمصر في رمضان من هذه السنة[(٣)] .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومئتين

فيها عاثت القرامطة بسَواد الكوفة ، فظفر بعض العمّال بطائفة منهم ، فبعث برئيسهم إلى المعتضد ، وكان يقال له : أبو الفوارس[(٤)] ، فنال من العبّاس بين يدي الخليفة ، فأمر به ، فقُلِعَتْ أضراسُه ، وخُلِعَتْ يداه ، ثم قُطعتا مع رجليه ، ثم قتل وصلب ببغداد ، واشتهر أمره .

وفيها : قصدت القرامطة دمشقَ في جحفل عظيم ، فقاتلهم نائبها طغج بن جُفّ من جهة هارون بن خُمَارَوَيْه ، فهزموه مراتٍ متعددة ، وتفاقم الحال بهم ، وكان ذلك بسفارة يحيى بن زَكرويْه بن مَهرويْه ، الذي ادَّعى عند القرامطة أنَّه محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وقد كذب في ذلك . وزعم لهم أنَّه قد اتبعه على أمره مئة ألف ، وأنَّ ناقته مأمورة ، حيثما توجَّهَتْ به نُصِرَ على أهل تلك الناحية . فراج ذلك عندهم ، ولقَّبوه الشيخ ، واتبعه طائفة من بني الأصبغ ، وسُمُّوا بالفاطميين .

وقد بعث الخليفة إليهم جيشاً كثيفاً فهزموه ، ثم اجتازوا بالرُّصافة ، فأحرقوا جامعها ، لم يجتازوا بقرية إلَّا انتهبوها ، ولم يزل ذلك دأبهم حتى وصلوا إلى دمشقَ ، فقاتلهم نائبها فهزموه مراتٍ ، وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً ، وانتهبوا من أموالها شيئاً كثيراً[(٥)] ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٧/ ٥١٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٧) .

(٢) وذكر الذهبي في السير عن أبي إسحاق قوله : إنه كان السبب في نشاط الناس ببغداد لكتب فقه الشافعي وتحفُّظه . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٩) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٣٠١) .

(٣) المنتظم (٦/ ٣٠) ، وأضاف : وكان ثقة عدلاً ، رحمه الله .

(٤) في الطبري : ابن أبي الفوارس .

(٥) الكامل لابن الأثير (٧/ ٥١١-٥١٢) .

وفي هذه الحال الشديدة اتفق موت الخليفة المعتضد بالله ، في ربيع الأول من هذه السنة ، أحسن الله خاتمتها .

وهذه ترجمة المعتضِد بالله[١] : أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفَّق الملقب بناصر دين الله ، واسم أبي أحمد محمد ، وقيل : طلحة بن جعفر المتوكّل بن محمد المعتصم بن هارون الرَّشيد ، أبو العباس ، أمير المؤمنين ، الخليفة ، المعتضد بالله .

ولد في سنة اثنتين ، وقيل : ثلاث وأربعين ومئتين ، وأمه أم ولد .

وكان أسمر ، نحيفَ الجسم ، معتدل القامة ، قد وخَطه[٢] الشيب ، في مقدم لحيته طول ، وفي رأسه شامة بيضاء . وبويع له بالخلافة صبيحة يوم الإثنين لإحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ، فاستوزر عبيد الله بن سليمان بن وَهْب ، وولّى القضاء إسماعيل بن إسحاق ، ويوسف بن يعقوب ، وابن أبي الشَّوارب .

وكان أمر الخلافة قد ضعف في أيام عمِّه المعتمد على الله ، فحين وليها المعتضد أقام شعارها ، ورفع منارها ، وشيَّد دعائمها ، وحيطانها ، وأطّر أركانها . وكان شجاعاً فاضلاً ، من رجالات قريش حزماً وجرأة وغزواً وعزاً ، وإقداماً وحرمة ؛ وكذلك كان أبوه من قبله .

وقد أورد ابن الجوزي[٣] بإسناده أن المعتضد اجتاز في بعض أسفاره بقرية فيها مَقْثَأة ، فوقف صاحبُها صائحاً مستصرخاً بالخليفة ، فاستدعى به فسأله عن أمره ، فقال : إنَّ بعض الجيش أخذوا لي شيئاً من القِثَّاء وهم من غلمانك . فقال : أتعرفهم ؟ قال : نعم ، فعرضهم عليه ، فعرف منهم ثلاثة ، فأمر الخليفة بتقييدهم وحبسهم ، فلمَّا كان الصباح نظر الناس إلى ثلاثة أنفس مصلّبين على جادة الطريق[٤] ، فاستعظم الناس ذلك وأنكروه ، وعاب كثير من الناس ذلك على الخليفة ، وقالوا : قتل ثلاثةً بسبب قِثّاء أخذوه ؟ فلما كان بعد قليل أمر الخواص من مسامره أن ينكر عليه ذلك وليتلطف في مخاطبته بذلك ، فدخل عليه ذات ليلة وهو عازم على المفاوضة معه في ذلك ، ففهم الخليفة ما في نفسه من كلام يريد أن يبديه ، فقال له : إني أفهم أنَّ في نفسك كلاماً ، فما هو ؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، وأنا آمن ؟ قال : نعم . قلت له : فإن

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٤٦٢) ، تاريخ بغداد (٤/ ٤٠٣) ، المنتظم (٥/ ١٢٣ ـ ١٣٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٦٣) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٤٢٨) ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٩) .

(٢) في الأصول : وخط الشيب ، والمثبت من المطبوع والمنتظم .

(٣) المنتظم (٥/ ١٢٣ ـ ١٢٤) .

(٤) « جادة الطريق » : وسطه .

الناس ينكرون عليك تسرّعك في سفك الدماء . فقال : والله ما سفكْتُ دماً حراماً منذ وُلِّيت إلا بحقِّه . فقلت له : فعلام قتلْتَ أحمد بن الطَّيِّب[1] ، وقد كان خادمك ولم يظهر لك[2] جناية ؟ فقال : ويحك ! إنه دعاني إلى الإلحاد والكفر بالله فيما بيني وبينه ، فقلت له : يا هذا ! أنا ابن عم صاحب الشريعة ، وأنا منتصب في منصبه ، فأكفر حتى أكون مَن[3] ؟ فقتلته[4] .

فقلت له : فما بال الثلاثة الذين قتلتهم على القِثَّاء ؟ فقال : والله ما كان أولئك الذين أخذوا القِثَّاء ، وإنَّما كانوا لصوصاً قد[5] وجب قتلهم ؛ بعثت فجئت بهم من السجون فقتلتهم أنهم الذين أخذوا القِثَّاء ، وأردت أن أهول على الجيش لئلا يُفسِدوا في الأرض .

ثم أمر بإخراج أولئك الذين كان حبسهم بسبب القِثّاء ، فأطلقهم بعدما استتابهم ، وخلع عليهم ، وردَّهم إلى أرزاقهم التي كانت لهم .

قال ابن الجوزي[6] : وخرج المعتضد يوماً فعسكرَ بباب الشماسية ، ونهى أن يأخذ أحدٌ من بستان أحدٍ شيئاً ، فأتى بأسود قد أخذ عِذْقاً من بُسْرٍ[7] ، فتأمَّله طويلاً ، ثم أمر بضرْب عنقه ، ثم التفت إلى أصحابه وقال : إنَّ العامة ينكرون هذا ، ويقولون : إنَّ رسول الله ﷺ قال : « لا قَطْعَ في ثَمَرٍ ولا كَثَرٍ »[8] .

ولم يكفه أن يقطع يده حتى قتله ، وإني لم أقتل هذا على سرقته ، وإنَّما هذا الأسود له خبر عجيب ؛ هذا رجلٌ من الزّنج كان قد استأمن في حياة أبي ، وإنه تقاول هو ورجل من المسلمين ، فضرب المسلمَ فقطع يده ، فمات الرجل ، فأهدر أبي دمَ الرجل تأليفاً للزّنج ، فآليت على نفسي إن أنا قدرت عليه لأقتلنَّه ، فما وقعت عيني عليه إلا هذه الساعة ، فقتلته بذلك الرجل[9] .

---

(١) هو الفيلسوف أحمد بن الطَّيِّب السَّرَخْسي ، من بحور العلم الذي لا ينفد ، وكان مؤدِّب المعتضد ، ثم صار نديمه وصاحب سرّه ومشورته ، وقتله المعتضد لفلسفته وخبث معتقده سنة ٢٨٦هـ . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤٨) .

(٢) في ب ، ظا ، ط : له .

(٣) في آ : من قوم وفي ط : من غير قبيلته ، والمثبت من ب ، ظا والمنتظم .

(٤) بعدها في ط : على الكفر والزندقة .

(٥) في ط : قد قتلوا وأخذوا المال فوجب قتلهم .

(٦) المنتظم (٥/ ١٣٦) .

(٧) « العِذْق » : كل غصن له شُعَب ، وقنو النخلة . والبُسْر : ثمر النخل قبل أن يُرْطِب .

(٨) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٦٣) ، وأبو داود في الحدود رقم (٤٣٨٨) ، والترمذي رقم (١٤٤٩) ، في الحدود ، والنسائي (٨/ ٨٧) ، وابن ماجه رقم (٢٥٩٣) ، ومالك في الموطأ (٢/ ٨٣٩) ، والدارمي (٢/ ١٧٤) . وهو حديث صحيح ، ويروى هذا الحديث موصولاً ومنقطعاً كما بينه الإمام الترمذي ، وقد قال الطحاوي : هذا الحديث تلقت العلماء متنه بالقبول .

و « الكَثَرُ » : جُمَّر النَّخل ، وهو شحمه الذي وسط النَّخلة . النهاية .

(٩) هذه القصة وردت في ب ، ظا بعد الفقرة التالية .

وقال أبو بكر الخطيب[١] : أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن نعيم الضَّبِّي ، سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه ، يقول : سمعت أبا العبَّاس بن سُرَيج ، يقول : سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضي ، يقول : دخلتُ على المعتضد وعلى رأسه أحداثٌ رُومٌ ، صباحُ الوجوه ، فنظرت إليهم ، فرآني المعتضد وأنا أتأملهم ، فلمَّا أردت القيام أشار إليَّ ، فمكثت ساعة ، فلمَّا خلا ، قال لي : أيُّها القاضي ! والله ما حَلَلْتُ سَراويلي على حرامٍ قَطُّ .

وروى البيهقيُّ ، عن الحاكم ، عن حسّان بن محمد ، عن ابن سُرَيْج القاضي ، عن إسماعيل بن إسحاق ، قال : دخلت يوماً على المعتضد ، فدفَعَ إليَّ كتاباً ، فقرأته ، فإذا قد جمع له الرُّخص من زَلل العلماء ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين إنَّما جمع هذا زِنْديق . فقال : فكيف ؟ فقلت : إنَّ من أباح النبيذ لم يبح المتعة ، ومن أباح المتعة لم يبح النبيذ[٢] ، ومن جمع زَلَل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه ؛ فأمر بتحريق ذلك الكتاب[٣] .

وروى الخطيب[٤] بسنده عن صافي الحرمي الخادم ، قال : انتهى المعتضد وأنا بين يديه إلى منزل شغَب[٥] وابنُه المقتدر جعفر جالس فيه[٦] ، وحوله نحو من عشر من الوصائف ، والصبيان من أصحابه في سنِّه ، وبين يديه طبقٌ من فضة ، فيه عنقود عِنب ، وكان العِنبُ إذ ذاك عزيزاً جداً ، وهو يأكل عِنَبَةً واحدة ، ثم يفرِّق على كلِّ واحدٍ من جلسائه عِنَبة عِنَبة ، فتركه المعتضد وجلس في بيت مهموماً . فقلت له : ما لكَ يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : ويحك ! والله لولا النار والعار لأقتلَنَّ هذا الغلام ، فإنَّ في قتله صلاحاً للأمة . فقلت : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ! العن الشيطان ، فقال : ويحك يا صافي ! إنَّ هذا الغلام في غاية السَّخاء ، فإنَّ طباع الصبيان تأبى الكرم ، وهذا في غاية الكرم ، وإن الناس من بعدي لا يولون عليهم إلَّا مَن هو من ولدي ، فَسَيلي عليهم المكتفي ، ثم لا تطول أيامه للعلة التي به ، وهي داء الخنازير ، ثم يموت فيولّى على الناس جعفر هذا ، فيصرف جميع أموال بيت المال إلى الحظايا ؛ لشغفه بهنَّ ، وقرب عهده من بيتهن ، فتضيع أمور المسلمين ، وتعطل الثغور ، وتكثر الفتن والخوارج والشرور .

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ٤٠٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٦٥) .
(٢) في آ : العلماء ، وفي السير : الغناء ، والمثبت من ب ، ظا . وأضاف في السير : وما من عالم إلا وله زَلَّة . وعبارة ط : إن من أباح المتعة لم يبح الغناء ، ومن أباح الغناء لم يبح إضافته إلى آلات اللهو .
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٦٥) .
(٤) تاريخ بغداد (٧/ ٢١٦) .
(٥) في ط : شعث وهو تحريف . وهي شغب زوجه وأم المقتدر .
(٦) في تاريخ بغداد : وله إذ ذاك خمس سنين أو نحوها .

قال صافي : فوالله لقد شاهدت ما قاله سواء سواء .

وروى ابن الجوزي[١] عن بعض خدم المعتضد ، قال : كان الخليفة يوماً نائماً وقت القيلولة ، ونحن حول سريره ، فاستيقظ مذعوراً ، فصرخ بنا ، فجئنا فقال : ويحكم ! اذهبوا إلى دجلة ، فأول سفينة تجدونها فارغةً منحدرةً فأتوني بملاحها واحتفظوا بها . فذهبنا سراعاً ، فوجدنا ملاحاً في سُمَيْرِيَّة[٢] فارغة منحدراً ، فأتينا به الخليفة ، فلما رأى الخليفةَ كاد يتلَفُ ، فصاح به الخليفة صيحةً عظيمة ، فكادت روح الملاح تخرج ، فقال له الخليفة : ويحك يا ملعون ! اصدقني عن قصتك مع المرأة التي قتلتها اليوم وإلا ضربتُ عنقك . قال : فتلعثم ، ثم قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، كنت اليوم سَحَراً في مشرعتي الفلانية ، فنزلت امرأة لم أرَ مثلها ، وعليها ثياب فاخرة وحُليّ كثير وجوهر ، فطمِعْتُ فيها ، واحتَلْتُ عليها حتى سددت فاها ، وغرّقتها ، وأخذْتُ جميع ما كان عليها من الحلي والثياب ، وخشيت أن أرجع به إلى منزلي فيشتهر خبرها ، فأردت الذهاب إلى واسطَ ، فلقيني هؤلاء الخدم . فقال له : وأين حليُّها ؟ قال : في صدر السفينة تحت البواري[٣] .

فأمر الخليفة بإحضار الحُليِّ ، فجيء به ، فأمر عند ذلك بتغريق الملاح في المكان الذي غرَّق فيه المرأة ، وأمر أن ينادَى على أهل المرأة ليحضروا حتى يتسلَّموا مال وليَّتهم ، فحضروا بعد ثلاثة أيام ، فسلّم إليهم ما كان مع تلك المرأة من الحليِّ والثياب . فقال له خدمه : يا أميرَ المؤمنين ! من أين علمت هذا ؟ قال : رأيت في نومي ذلك كأنَّ شيخاً أبيضَ الرأس واللحية والثياب وهو ينادي : يا أحمد ! يا أحمد ! خذ أوّل ملاح ينحدِرُ السَّاعةَ فاقبض عليه ، وقرِّره عن خبر المرأة التي قتلها اليوم وسلبها ، فأقم عليه الحد ، فكان ما شاهدتم .

وعن خفيف[٤] السَّمَرْقَنْديّ الحاجب ، قال : كنت مع مولاي المعتضد في بعض متصيِّداته ، وقد انقطع عن العسكر وليس معه غيري ، إذ خرج علينا أسد فقصدنا ، فقال لي المعتضد : يا خفيف ، أفيك خير ؟ قلت : لا والله يا مولاي ! فقال : ولا حتى تمسك فرسي وأنزل أنا ؟ فقلت : بلى . قال : فنزل عن فرسه ، فأمسكتُها ، وغرز أطراف ثيابه في منطقته ، واستلَّ سيفه ، ورمى بقُرابه إليّ ، ثم تقدَّم إلى الأسد ، فوثب الأسدُ عليه ، فضربه المعتضد بالسيف فأطار يده ، فاشتغل الأسد بيده ، فضربه ثانية على هامته ففلقها ، فخرَّ الأسد صريعاً ، فدنا منه فمسح سيفه في صوفه ، ثم أقبل إليَّ فأغمد سيفه ، وركب فرسه ، ثم عدنا إلى العسكر . قال : وصحبته إلى أن مات ، فوالله ما سمعته ذكر ذلك لأحدٍ ، فما أدري

---

(١) المنتظم (٥/ ١٢٧) .
(٢) « السُّمَيْرِيَّة » : ضرب من السفن .
(٣) « البُوري » : الحصير المنسوج من القصب ، فارسي معرب .
(٤) في آ : حنيف وفي ط : جعيف .

من أي شيء أعجب ؟ أمن شجاعته أم من عدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لأحد ؟ أم من عدم عَتْبه عليَّ حيث ضننت بنفسي عنه ؟ والله ما عاتبني في ذلك قطُّ[١] .

وروى الحافظ ابن عساكر[٢] عن أبي الحسين النوري أنه اجتاز بزورق فيه خمر مع ملاح ، فقال : ما هذه ؟ ولمن هذه ؟ فقال له : هذه خمر للمعتضد . فصعد أبو الحسين إليها ، فجعل يضرب الدِّنان بعمود في يده حتى كسرها كلَّها سوى واحدٍ تركه ، واستغاث الملاح ، فجاءت الشُّرَط فأخذوه ، فأوقفوه بين يدي المعتضد ، فقال له : ما أنت[٣] ؟ فقال : أنا محتسب . فقال : ومن ولَّاك الحِسْبة ؟ فقال : الذي ولَّاك الإمامة ولَّاني الحِسبة يا أمير المؤمنين . فأطرق رأسه ثم رفعه ، فقال : ما الذي حملك على ما فعلتَ ؟ قال : شفقةً عليك ؛ لدفع الضرر عنك . فأطرق رأسه ثم رفعه فقال : ولم تركت من الدِّنان واحداً ؟ فقال : إني أقدمت عليها فكسرتها إجلالاً لعظمة الله ، ولم أبال أحداً من الناس حتى انتهيت إلى هذا الدَّنِّ ، دخل نفسي إعجاب من قبيل أني أقدمت[٤] على مثلك ، فتركته ، فقال له المعتضد : اذهب ، فقد أطلقت يدك ، فغيِّر ما أحببت أن تغيِّره من المنكر . فقال له النوري : الآن نقص[٥] التغيير ، فقال : ولمَ ؟ قال : لأني كنت أغيِّر عن الله ، وأنا الآن أغيِّر عن شرطي . فقال : سَل حاجتك . فقال : أحبُّ أن تخرجني من بين يديك سالماً . فأمر به فأخرج ، فصار إلى البصرة ، فأقام بها مختفياً خشية أن يشقَّ عليه أحدٌ في حاجةٍ عند المعتضد . فلمَّا توفي المعتضد رجع إلى بغداد .

وذكر القاضي أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي ، عن شيخ من التجار ، قال : كان لي على بعض الأمراء مال كثير ، فماطلني ومنعني حقّي ، وجعل كلَّما جاء ليطالبه حجبه عنه ويأمر غلمانه يؤذونه ، فاستعدى عليه إلى الوزير ، فلم يفد فيه شيئاً ، وإلى أولياء الأمر ، فلم يقطع عنده ، وما زاده ذلك إلا منعاً وجحوداً ، فدلّ[٦] ذلك الرجل على رجلٍ خياط أمام مسجدٍ هناك ، فقصده ، فقام معه ، فحين عاينه

---

(١) المنتظم (٥/ ١٢٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٦٦) .
(٢) سقطت ترجمته من المخطوط .
(٣) في آ : من أنت .
(٤) في ب : فحزنت على نفسي كثيراً أني قد أقدمت .
(٥) في ط : انتقض عزمي عن التغيير .
(٦) في ط : فأيست من المال الذي عليه ، ودخلني هم من جهته ، فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكي ، إذ قال لي رجل : ألا تأتي فلاناً الخياط ، إمام مسجد هناك ؟ فقلت : وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم ، وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه ؟ فقال لي : هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه ، فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجاً . قال : فقصدته غير محتفل في أمره ، فذكرت له حاجتي ومالي وما لقيت من هذا الظالم ، فقام معي ، فحين عاينه الأمير ، قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقي الذي عليه ، فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر ، غير أنه قال له : ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذّنت ، فتغيّر لون الأمير ودفع إليَّ حقي . قال التاجر : فعجبت من ذلك الخياط . .

الأمير أكرمه واحترمه ، وبادر إلى إعطائه حقّه والخلاص من أمره ، فتعجب ذلك التاجر من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعفه كيف انطاع ذلك الأمير له ، فعرض عليه شيئاً من المال الذي قبضه من الأمير ، فلم يقبل منه شيئاً . فسأله عن خبره ، وذكر له تعجبه من ذلك وألحَّ عليه ، فقال : إن سبب ذلك أنه كان عندنا هاهنا رجل تركي ، شاب حسن ، أمير ، فلما كان ذات يوم ، أقبلت امرأة حسناء قد خرجت من حمامٍ ، وعليها ثياب مرتفعة ، فعلق بها وهو سكران يريدها على نفسها ليدخلها منزله ، وهي تأبى عليه وتصرخ بأعلى صوتها : يا معشر المسلمين ! أنا امرأة ذات زوج ، وهذا يريدني على نفسي ليدخلني منزله ، وقد حلف زوجي بالطلاق ألا أبيتَ في غير منزله ، ومتى بتُّ هاهنا طلقت من زوجي ، ولحقني بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام .

قال : فقمت إليه فأنكرت عليه ، فضربني بدبوس في يده فشجَّ رأسي ، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهراً ، فرجعت أنا ، فغسلت الدَّم عنِّي ، وعصبت رأسي ، وصلَّيت بالناس العشاء وقلت لهم : إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا بنا إليه لننكر عليه ، فقام الناس معي ، فهجمنا عليه داره ، فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيديهم العصي والدبابيس يضربون الناس ، وقصدني هو من بين الناس ، فضربني ضرباً شديداً مبرِّحاً ، وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الإهانة ، فرجعت إلى منزلي وأنا لا أهتدي من الوجع ، فنمت على فراشي وأنا لا يأخذني نوم ، وحرت ماذا أصنع حتى أنقذ هذه المرأة من يده في هذه الليلة ، حتَّى لا يقع على زوجها الطلاق ، فتروَّيت أن أؤذن للصبح في أثناء الليل ؛ لكي يخرجها من منزله . فقمت إلى المنارة ، فأذنت ، وجعلت أنظر إلى باب داره لكي يخرج المرأة ، وصمَّمت إن لم تخرج أن أقيم للصلاة حتى يتحقق الصباح .

فبينا أنا أنظر ، إذ امتلأ الطريق فرساناً ، ورجَّالة ، وهم يقولون : أين الذي أذن [هذه الساعة][1] ؟ فقلت : ها أنا ذا ، وأنا أريد أن يعينوني عليه ، فقالوا : انزل ، فنزلت ، فأخذوني وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئاً ، وما زالوا بي حتى أدخلوني على الخليفة المعتضد بالله ، فلما رأيته جالساً في مقام الخلافة أرعدت[2] من الفرق ، فقال لي : ليسكن جأشك ، ثم قال : أنت الذي أذّنت ؟ قلت : نعم ، يا أميرَ المؤمنين ، فقال : ما حملكَ على أن أذّنت ، وقد بقي من الليل كثير ، فيغترّ بذلك الصوَّام [والمسافرون][3] ؟ فقلت : يؤمِّنني أمير المؤمنين حتى أقصَّ عليه[4] خبري ؟ فقال : أنت آمن . فذكرت

---

(١) زيادة من ط .

(٢) في ط : ارتعدت من الخوف ، وفزعت فزعاً شديداً ، فقال : ادن ، فدنوت ، فقال لي : ليسكن روعك ، وليهدأ قلبك . وما زال يلاطفني حتى اطمأننت وذهب خوفي ، فقال : أنت الذي . . .

(٣) زيادة من ب ، ظا ، وهي فيهما والمسافرين .

(٤) في آ : عليك .

له سبب أذاني في هذه الساعة ، فغضب غضباً شديداً ، وأمر بإحضار ذلك الرجل والمرأة التي في منزله ، فأحضرا سريعاً ، فبعث المرأة إلى زوجها مع ثقة من جهته ، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو عنها ، والصفح والإحسان إليه ؛ فإنها مكرهة ومعذورة . ثم أقبل على ذلك الشاب ، فقال : ما رزقُك ؟ وكم لك من المال ؟ وكم عندك من الجواري والزوجات ؟ فذكر له شيئاً كثيراً . فقال له : ويحك ! ما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله ، وتجرأت على السلطان ، وتعدَّيْتَ حدود الله ، وما كفاك ذلك حتى عمدت إلى رجلٍ أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته ؟ فلم يكن له جواب . فأمر به فجعل في قيدٍ ، وفي عنقه غِلّ ، وأدخل في جُوالق[١] ، وضُرب ضرباً شديداً حتى خَفَتَ صوته ، ثم ألقاه في دجلة ، وأمر بدراً صاحبَ الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال بغير حلّها ، ثم قال لذلك الرجل الصالح : كلَّما شاهدت منكراً صغيراً كان أو كبيراً ولو على هذا ، وأشار إلى صاحب الشرطة ، فأعلمني به ؛ فإن اتفق اجتماعك بي ، وإلا فعلامة ما بيني وبينك أن تؤذن في مثل وقت أذانك هذا .

قال : فبهذا السبب لا آمر أحداً من هؤلاء الدولة بشيء من الخير أو أنهى عن الشر ، إلا بادر إلى امتثاله وقبوله ؛ خوفاً من المعتمد ، وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك السَّاعة إلى الآن .

وذكر الوزير عُبَيد الله بن سليمان بن وَهْب ، قال : كنتُ يوماً عند المعتضد وخادم واقف على رأسه يذبُّ عنه بمذبَّة في يده ، إذ حرَّكها فجاءت في قَلَنْسُوة الخليفة ، فسقطت ، فأعظمتُ ذلك جدّاً ، وخفت من هول ما وقع ، ولم يكترث الخليفة بذلك ، بل أخذ قَلَنْسُوَته فلبسها ، ثم قال لبعض الخدم : مُرْ هذا فليذهب لراحته ؛ فإنَّه قد نعس ، وزيدوا في عدَّة من يذبُّ بالنوبة[٢] .

قال الوزير : فأخذت في الشكر للخليفة على حلمه ، فقال : إنَّ هذا البائس لم يتعمَّدْ هذا ، وإنَّما نعس ، وليس العقاب والمعاتبة إلا على المتعمِّد لا على المخطىء والسَّاهي .

وقال خفيف السَّمَرْقَنْدي الحاجب : لمَّا جاء الخبر إلى المعتضد بموت وزيره عُبَيد الله بن سليمان وتحقَّق ذلك ، خَرَّ ساجداً طويلاً ، فقيل له : يا أميرَ المؤمنين ! لقد كان يخدمك وينصحك[٣] ، فقال : إنَّما سجدت شكراً لله أني لم أعزله ولم أؤذه . ثم استشار الحاضرين فيمن يستوزره من بعده ، وذكر هو رجلين ، أحدهما : جرادة ، وكان حازم الرأي قوياً ، والآخر : أحمد بن محمد بن الفرات ، فعدل به بدر صاحب الشرطة عنهما ، وأشار عليه بالقاسم بن عبيد الله ، فسفَّه رأيه في ذلك ، فألحَّ عليه ، فولاه

---

(١) « الجُوالِق » : وعاء من الأوعية ، معروف ، معرّب .

(٢) في آ : بالمذَّبة .

(٣) في ب ، ظا : لقد كان تكفل بخدمتك وبنصحك . وفي ط : لقد كان عبيد الله يخدمك وينصح لك .

وبعث إليه يعزِّيه في أبيه ، ويهنِّيه بالوزارة . فما لبث القاسم بن عبيد الله حتَّى ولي المكتفي الخلافة من بعد أبيه المعتضد ، حتى قتل بدراً . وكان المعتضد ينظر إلى ما بينهما من العداوة من وراء ستر رقيق ، وهذه فراسة عظيمة وتوسّم قوي[١] .

وقد رفع إلى المعتضد أنَّ أقواماً يجتمعون على معصية[٢] فاستشار وزيره في أمرهم ، فقال : ينبغي أن يصلب بعضُهم ويحرَّقَ بعضهم . فقال : ويحك ! لقد برَّدتَ لهب غضبي عليهم بقسوتك هذه ، أما علمت أنَّ الرعيَّة وديعة الله عند سلطانها ، وأنه سائله عنها ؟ ولم يقابلهم بما قال الوزير فيهم[٣] .

وبهذه النيَّة لمَّا ولي الخلافة كان بيتُ المال صفراً من المال ، والأحوال فاسدة ، والأعراب تعيث في الأرض فساداً في كل جهةٍ ، فلم يزل برأيه وتدبيره حتى كثرت الأموال في بيت المال ، وصلحت الأحوال في سائر الأقاليم والآفاق والمحال .

ومن شعره في جارية له توفيت فوجد عليها وجداً عظيماً ، فقال[٤] :

يـا حَبيبـاً لـم يَكُـنْ يَعْـ ـــدِلُـهُ عنـدي حبيـبُ
أنـتَ عَـنْ عيني بَعيـدٌ ومِـنَ القلـبِ قـريـبُ
ليسَ لـي بعـدك فـي شـ ـيءٍ مِـنَ اللّهـوِ نصيـبُ
لكَ مِنْ قلبي على قلبي وإنْ بِنْـتَ رَقيـبُ
وخيـالـي منـكَ مُـذْ غِبْـ ـتَ خيـالٌ مـا يَغيـبُ
لـو تَـرَانـي كيفَ لـي بَعْـ ـدَكَ عَـوْلٌ ونَحِيـبُ
وفـؤادي حَشْـوُهُ مِـنْ حَـرَقِ الحـزنِ لَهيـبُ
لتَيَقَّنْـتَ بـأنِّـي بـكَ محـزون كئيـبُ
مـا أرى نَفْسـي وإن طيَّـ ـبْتُهـا عنـكَ تَطيـبُ[٥]
ليـسَ دمـعٌ لـيَ يَعصيـ ـني وصَبـري مـا يُجيـبُ

وقال فيها أيضاً[٦] :

لـم أبْـكِ للـدَّارِ ولكـن لِمَـنْ قَـدْ كـانَ فيهـا مـرَّةً سـاكنـا

---

(١) المنتظم (٥/ ١٣٤ ـ ١٣٥) .
(٢) في آ : عصبية .
(٣) المنتظم (٥/ ١٣٦ ـ ١٣٧) .
(٤) المنتظم (٥/ ١٣٧) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٨٢) .
(٥) في آ : تغيب .
(٦) المنتظم (٥/ ١٣٧) .

فخـانـنـي الـدَّهْـرُ بفقـدانِـهِ وكنـتُ مِـنْ قبـلُ لَـهُ آمنـا
وَدَّعـتُ صبـري عنـد تـوديعـه وبـانَ[١] قلبـي معـهُ ظـاعنـا

وقد بعث إليه ابن المعتز يعزِّيه ويسلِّيه عن مصيبته[٢] فيها[٣] :

يـا إمـامَ الهُـدَى بنـا لا بـكَ الغـ ـمُ وأفنيتنـا وعِشْـتَ سليمـا
أنـتَ علَّمتنـا علـى النِّعَـمِ الشُّكْـ ـرَ وعنـدَ المصـائـبِ التَّسليمـا
فاسل عمَّا مَضَى فإنَّ التي كا نتْ سُروراً صَارَتْ ثواباً عظيما
قـدْ رَضينا بـأن نمـوتَ وتحيـى إنَّ عنـدي فـي ذاكَ حظّاً جسيمـا
مَـنْ يمُـت طـائعـاً لـديـك فقـدْ أعطي فوزاً وماتَ موتاً كريما

وقد اجتمع ليلة عند المعتضد ندماؤه ، فلمَّا انقضى السَّمَرُ وصار إلى حظاياه ، ونام القوم ، أهبهم خادم من عند الخليفة ، وقال : يقول لكم : إنه قد أصابه أرق بعدكم ، وقد عمل بيتاً أعياه ثانيه ، فمن أجازه فله جائزة ، وهو هذا البيت :

ولمَّا انتبَهْنَا[٤] لِلخيالِ الَّذِي سَرَى إذا الـدَّارُ قَفْـرَى والمَـزَارُ بَعِيـدُ

فجلس القوم من فرشهم يفكِّرون في ثانيه ، فبدر واحدٌ منهم ، فقال :

فقلتُ لِعَيْني عاوِدي النَّوْمَ واهْجَعي لَعَـلَّ خَيَـالاً طَـارِقـاً سَيَعُـودُ

فلمَّا رجع به الخادم إلى الخليفة وَقَعَ منه موقعاً جيداً وأمر له بجائزة سنية .

واستعظم[٥] المعتضد يوماً من بعض الشعراء قول الحسن بن منير المازنيّ البصريّ :

لَهْفي عَلَى مَنْ أطارَ النَّوْمَ فامْتَنَعا وَزَادَ قَلْبـي علـى أوْجَـاعِـهِ وَجَعـا
كأنَّما الشَّمْسُ من أعطافِهِ لَمَعَتْ حُسْناً أو البَدْرُ مِن أردانِهِ[٦] طَلَعا
مستقبلٌ بالذي يَهوى وإن عظُمت منـه الإسـاءةُ معـذورٌ بمـا صَنَعـا
فـي وَجْهِـهِ شافـعٌ يمحو إساءتَـهُ مـن القلـوب وجيـه حيثمـا شفعـا

ولما كان ربيع الأول من هذه السنة ـ أعني سنة تسع وثمانين ومئتين ـ اشتد وجع الخليفة المعتضد

---

(١) في المنتظم : وسار .
(٢) في ب ، ظا : مصابه .
(٣) المنتظم (٥/ ١٣٨) .
(٤) في آ ، ظا : انتهينا .
(٥) في ب ، ظا : واستطعم .
(٦) في ب ، ظا : أزراره .

بالله ، فاجتمع رؤساء القوّاد ، منهم مؤنس[١] الخادم ، إلى الوزير القاسم بن عبيد الله ، وأشاروا بأن يجتمع الناس لتجديد البيعة للمكتفي بالله عليّ بن المعتضد بالله ، ففعل ذلك ، وتأكد العهد ، وكان في ذلك خيرٌ كثير .

وحين حضرت المعتضد الوفاة أنشد لنفسه[٢] :

تَمَتَّعْ مِنَ الدُّنيا فإنَّكَ لا تَبْقَى ... وَخُذْ صَفْوَها ما إن صَفَتْ وَدَعِ الرَّنقا[٣]

ولا تأمَنَنَّ الدَّهْرَ إنِّي أمِنْتُهُ ... فلم يُبْقِ لي حالاً ولم يَرْعَ لي حقًّا

قَتَلْتُ صَنادِيدَ الرِّجالِ فلَمْ أدَعْ ... عَدُوّاً ولم أُمْهِلْ على خُلُقٍ[٤] خَلْقا

وأخْلَيْتُ دارَ الملكِ من كلِّ نازعٍ[٥] ... فشرَّدْتُهُمْ غَرْباً وَمَزَّقْتُهُمْ شَرْقا

فلمّا بَلغْتُ النَّجْمَ[٦] عِزّاً وَرِفعةً ... وصارَتْ رقابُ الخَلْقِ أجمع لي رِقَّا

رَمَاني الرَّدَى سَهْماً فأخمَدَ جَمْرَتي ... فها أنا ذا في حُفْرَتي عاجلاً أُلْقَى

ولم يغنِ عنِّي ما جمعْتُ ولم أجدْ ... لدى ملك الأحياء في حُبِّها رِفقا[٧]

وأفسَدْتُ دُنْيايَ وَدِيني سَفَاهةً ... فَمَنْ ذا الذي مِنِّي بمصْرَعِهِ أشْقَى ؟

فيا لَيْتَ شِعْرِي بعدَ مَوْتي ما ألقى ... إلى نعمةِ الله أمْ نارِهِ أُلْقَى ؟

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الإثنين لثمان بَقِين من ربيع الأول من هذه السنة ، ولم يبلغ الخمسين . فكانت خلافته تسعَ سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً .

وخلَّف من الأولاد الذكور : عليّاً المكتفي ، وجعفر المقتدر ، وهارون . ومن البنات إحدى عشرة بنتاً ، ويقال : سبعَ عشرة بنتاً . وترك في بيت المال سبعة عشر ألف ألف دينار . وكان ماسكاً[٨] عن صرف الأموال في غير وجهها ، فلهذا كان بعض الناس يبخِّله . ومن الناس من يجعله من الخلفاء الراشدين المذكورين في الحديث الاثني عشر المنصوص عليهم في حديث جابر بن سمرة[٩] ، فالله أعلم .

---

(١) في آ ، ط : يونس .

(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٥١٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٧٧) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٥٩٥) .

(٣) « الرّنق » : الكدر .

(٤) في السير وتاريخ الخلفاء : على ظِنَّة .

(٥) في السير : وأخليت دور الملك من كل بازل .

(٦) في ب ، ظا : المجد .

(٧) لم يرد هذا البيت في الكامل والسير وتاريخ الخلفاء .

(٨) في ب ، ظا : ماسك اليد ، وفي ط : يمسك .

(٩) حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه ، رواه أحمد في المسند (٥/ ٨٧) ، والبخاري (١٣/ ١٨١) ، في الأحكام ، باب في الاستخلاف ، ومسلم رقم (١٨٢١) في الإمارة ، باب الناس تبع لقريش ، والترمذي رقم (٢٢٢٣) في =

وقد عمل أبو العبَّاس عبد الله بن المعتزّ العبّاسيّ في ابن عمه المعتضد مرثاةً حسنةً ، يقول فيها[١] :

يا دَهْرُ وَيْحَكَ ما أبقيتَ لي أحَدا وأنتَ والِدُ سوءٍ تأكلُ الوَلَدا
أستغفِرُ اللهَ بَلْ ذا كُلُّهُ قَدَرٌ رَضِيتُ بالله ربّاً واحداً صَمَدا
يا ساكنَ القَبْرِ في غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ بالطَّاهريَّةِ[٢] مُقْصَى الدَّارِ منفردا
أينَ الجُيوشُ الَّتي قد كُنْتَ تشحنها[٣] أينَ الكُنُوزُ التي أحْصَيْتَها عَدَدا
أينَ السَّريرُ الَّذي قد كُنْتَ تَمْلَؤُهُ مَهابةً مَنْ رأتهُ عَيْنُهُ ارْتَعَدا
أينَ القُصُورُ التي شيَّدْتَها فعلَتْ وَلاحَ فيها سَنَا الإبريزِ فاتَّقَدَا
قدْ أتعبوا كلَّ مرقالٍ مذكَّرةٍ وجناءَ تنثرُ منْ أشداقها الزَّبدا
أينَ الأعادي الألى ذَلَّلْتَ صعبهمُ[٤] أينَ اللُّيُوثُ التي صَيَّرْتَها نُقَدا[٥]
أينَ الوفودُ على الأبواب عاكفةً وردَ القطا صفراً ما جالَ واطَّردا
أينَ الرِّجالُ قِياماً في مراتبِهِمْ مَنْ رَاحَ منهمْ ولم يقتل فقدْ سعدا
أينَ الجيادُ التي حَجَّلْتَها بدَمٍ وَكُنَّ يحمِلْنَ منكَ الضَّيْغَمَ الأسَدَا
أينَ الرِّماحُ التي غَذَّيْتَها مُهَجاً مُذْ مِتَّ ما وَرَدَتْ قَلْباً ولا كَبِدا
أينَ السيوفُ وأينَ النَّبْلُ مرسلةً يصبْنَ ما شئتَ مِن قَرْنٍ وإن بعدا
أينَ المجانيقُ أمثالُ الفيولِ إذا رمينَ حائطَ حصنٍ قائمٍ قعدا
أينَ الفعالُ التي قدْ كنتَ تبدعها ولا ترى أنَّ عفواً نافعاً أبدا
أينَ الجِنانُ التي تجري جَدَاوِلُها وتَسْتَجِبُ إليها الطائرَ الغردا

= الفتن ، باب ما جاء في الخلفاء ، من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه ، ولفظه عند مسلم : لا يزال الإسلام عزيزاً ما وليهم اثنا عشر رجلاً » ، وله ألفاظ أخر بمعناه ، وكلهم من قريش .
قال الحافظ في الفتح (١٣/ ١٨٥) : فإن جميع من ولي الخلافة من الصدّيق إلى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نفساً ، منهم اثنان لم تصح ولايتهما ، ولم تطل مدتهما ، وهما : معاوية بن يزيد ، ومروان بن الحكم ، والباقون اثنا عشر نفساً على الولاء ، كما أخبر ﷺ ، وكانت وفاة عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومئة ، وتغيرت الأحوال بعده . وانقضى القرن الأول الذي هو خير القرون . تاريخ الخلفاء للسيوطي صفحة (١٠-١٢) .

(١) لم ترد الأبيات في ديوانه (ط . صادر) ، وورد أكثرها في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٧٨) ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٥٩٧) .
(٢) في ظا ، ط : بالظاهرية . والطاهرية : قرية ببغداد . (ياقوت) .
(٣) في ب والسير : تسحبها .
(٤) في السير والتاريخ : مصعبهم .
(٥) في ب ، ظا والسير : بُعَدا ، وفي تاريخ الخلفاء بددا . و« النقد » : بضم النون وكسرها : القليل اللحم ، وأراد أنها أصبحت ضعيفة هزيلة .

أينَ الوصائفُ كالغِزلانِ رائحةً يَسْحَبْنَ مِنْ حُلَلٍ موشِيَّةٍ جُدُدَا
أين الملاهي وأينَ الرَّاحُ تَحسَبُها ياقُوتةً كُسِيَتْ مِنْ فِضَّةٍ زَرَدا
أينَ الوثوبُ إلى الأعداءِ متَّبعاً[1] صلاحَ مُلْكِ بَني العبَّاسِ إذْ فسَدا
ما زِلْتَ تقسِرُ مِنْهُمْ كلَّ قَسْوَرةٍ وتَخْبِطُ العاتيَ[2] الجَبَّارَ مُعْتَمِدا
ثم انقضَيْتَ فلا عَيْنٌ ولا أثَرٌ حتَّى كأنَّك يوماً لَمْ تكُنْ أحدا
لا شيءَ يبقى سوى خيرٍ تُقدِّمُهُ ما دامَ مُلْكٌ لإنسانٍ ولا خَلُدا

ورواها ابن عساكر في « تاريخه » الكبير[3] .

خلافة المكتفي بالله أبي محمد[4]

عليّ بن المعتضد بالله أمير المؤمنين . بويع له بالخلافة بعد موت أبيه في ربيع الأول من هذه السَّنة ، وليس في الخلفاء من اسمه عليّ سوى هذا ، وعليّ بن أبي طالب ، وليس فيهم من يُكنى بأبي محمّد إلا هذا ، والحسن بن عليّ بن أبي طالب ، والهادي ، والمستضيء بأمر الله .

وحين ولِّي المكتفي بالله بعد أبيه ، كثرت الفتن وانتشرت في البلاد .

وفي رجب زُلزلت الأرض زلزلةً عظيمة جداً .

وفي رمضان تساقط وقتَ السَّحر من السَّماء نجومٌ كثيرةٌ ، ولم يزل الأمر كذلك حتى طلعت الشمس .

ولما أفضت الخلافة إليه كان بالرَّقَّة ، فكتب إليه الوزيرُ وأعيانُ الأمراء ، فركب ودخل بغداد في يومٍ مشهود ، وذلك يوم الإثنين لثمانٍ خلون من جمادى الأولى من هذه السنة .

وفيها في هذا اليوم أمر بقتل عمرو بن الليث الصَّفَّار ، وكان معتَقلاً في سجن أبيه ، وأمر بتخريب المَطَامير التي كان اتخذها أبوه للسجن ، وأمر ببناء جامع مكانها .

وخلع في هذا اليوم على الوزير القاسم بن عُبَيد الله بن سليمان بن وَهْب ست خِلَع ، وقلَّده سيفاً . وكان عمره يومئذٍ خمساً وعشرين سنة ، وبضع أشهرٍ .

---

(١) في ط والسير وتاريخ الخلفاء : مبتغياً .
(٢) في ظا : العائد ، وفي السير وتاريخ الخلفاء : العالي .
(٣) سقطت مع ترجمة المعتضد من مخطوطة تاريخ ابن عساكر .
(٤) تاريخ بغداد (٦٦/ ٣١٦) ، المنتظم (٦/ ٣١ ـ ٣٣) ، و(٧٩ ـ ٨٠) ، الكامل لابن الأثير (٧/ ٥١٦) و(٨/ ٨) ، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧٩) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٦٠٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٩) .
وسيترجم له المؤلف في حوادث سنة (٢٩٥) .

وفي هذه السنة : انتشرت القرامطة بعد موت المعتضد في الآفاق ، وقطعوا الطريق على الحجيج ، وتسمَّى بعضُهم بأمير المؤمنين . فبعث المكتفي إليهم جيوشاً كثيرة ، وأنفق أموالاً غزيرة ، حتَّى أطفأ الله بعض شرِّهم ؛ قبَّحهم الله .

وفي هذه السنة : خرج محمد بن هارون عن طاعة إسماعيل بن أحمد السَّاماني ، وكاتبه أهل الرَّيّ بعد قتله محمد بن زيد الطالبيّ ، فصار إليهم ، فسلَّموا إليه البلد ، فاستحوذ عليها ، فقصده إسماعيل بن أحمد بالجيوش ، فقهره وأخرجه منها مذموماً مدحوراً .

قال ابن الجوزي في « المنتظم »[١] : وفي يوم التاسع من ذي الحجّة صلَّى الناس العصر في زمن الصيف ، وعليهم ثياب الصيف ، فهبَّت ريح باردة جدّاً ، حتى احتاج الناس مع ذلك إلى الاصطلاء بالنار ، ولبسوا الفراء والمحشوات ، وجمد الماء كفصل الشتاء .

قال ابن الأثير[٢] : وكذا وقع بمدينة حمص .

قال[٣] : وهبت ريح عاصف بالبصرة ، فاقتلعت شيئاً كثيراً من نخيلها ، وخسف بموضع منها ، فمات تحته ستة آلاف نسمة .

قال ابن الأثير[٤] وابن الجوزي[٥] : وزلزلت بغداد في رجب من هذه السنة مرّات متعددة ، ثم سكنت .

وحجَّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشميّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، أحد الصُّوفية الكبار . قال ابن الأثير[٦] : وهو من أقران السَّرِيّ السَّقَطيّ . [قال : لأن ترد إلى الله ذرة من همك خير لك مما طلعت عليه الشمس][٧] .

أحمد بن محمّد المعتضد بالله ، غلب عليه سوء المزاج والجفاف لكثرة الجماع ، وكان الأدباء

---

(١) المنتظم (٦/ ٣٣) .
(٢) الكامل لابن الأثير (٧/ ٥٢٢) .
(٣) المصدر السابق (٧/ ٥٢٢) .
(٤) المنتظم (٦/ ٣٣) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٥٢٢) .
(٥) المنتظم (٦/ ٣٣) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٥٢٢) .
(٦) الكامل (٧/ ٥٢٢) وفيه : أبو حمزة بن محمد بن إبراهيم الصوفيّ ، وقد اختلف في سنة وفاته فقيل : سنة ٢٦٩ ، وقيل سنة ٢٨٩ ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦٥ ـ ١٦٨) ، ومصادر ترجمته .
(٧) ما بين قوسين زيادة من (ط) فقط .

يصفون له ما يرطّب بدنه ، فيستعمل ضدَّ ذلك حتى سقطت قوته ، وقد ذكرنا كيفية وفاته في ترجمته آنفاً .

بدر غلام المعتضد ورأس الجيش[١] : كان القاسم بن عبيد الله الوزير قد عزم في حياة المعتضد على أن يصرف الخلافة عن أولاد المعتضد ، وفاوض في ذلك بدراً هذا ، فامتنع عليه وأبى إلا البيعة لأولاد مولاه . فلمَّا ولي المكتفي خاف الوزير من غائلة ما كان أسرَّ به إلى بدر ، فعمل عليه في الباطن عند المكتفي ، ولم يزل حتى احتاط الخليفة على حواصله وأمواله وهو بواسط ، ثم بعث إليه بالأمان ، فقدم ، فأمر الوزير مَنْ قتله ، فقتل يوم الجمعة لستٍّ خلون من رمضان من هذه السنة ، وحمل رأسه ، وبقيت جثته فأخذها أهله ، ثم بعثوها في تابوت إلى مكة ، فدفن بها ، وذلك أنَّه أوصى بذلك ، وكان قد أعتق كلَّ مملوك له قبل وفاته . وحين أريد قتله صلَّى ركعتين لله عزَّ وجلَّ ، ثم قتلوه .

الحسين بن محمد[٢] : ابن عبد الرحمن بن الفَهْم بن مُحْرز بن إبراهيم ، أبو علي ، الحافظ البغدادي .

سمع خَلَف بن هشام ، ويحيى بن مَعين ، ومحمد بن سَعد ، وغيرهم .

وعنه : الخُطَبيّ ، والطُّوماري . وكان عِسراً في التحديث إلا لمن لازمه ، وكانت له معرفة جيدة بالأخبار والنسب والشعر وأسماء الرجال ، يميل إلى مذهب العراقيين في الفقه . مات عن ثمان وسبعين سنة . وقد قال الدَّارقُطني[٣] : ليس بالقوي .

عمارة بن وثيمة بن موسى ، أبو رفاعة الفارسي[٤] ، صاحب « التاريخ » على السنين ، وقد ولد بمصر ، وحدث عن أبي صالح كاتب الليث ؛ وغيره .

عمرو بن الليث الصَّفَّار[٥] ، أحد الأمراء الكبار ، قُتِلَ في السّجن أوّل ما قدِمَ المكتفي بغداد .

[ثمّ دخلت] سنة تسعين ومئتين من الهجرة النبوية

فيها : أقبل يحيى بن زَكْرَوَيْه بن مهرويه ، أبو القاسم القرمطيّ ، المعروف بالشيخ ، في جحافل من القرامطة ، فعاث بناحية الرَّقّة فساداً ، فجهز إليه الخليفة جيشاً كثيفاً في نحو عشرة آلاف فارس .

---

(١) تاريخ الطبري (١٠/ ٨٩) ، والمنتظم (٦/ ٣٤) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٥١٧) .
(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٩٢) ، المنتظم (٦/ ٣٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٧) ، طبقات الحفاظ (٢٩٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٠١) .
(٣) سؤالات الحاكم للدارقطني (٨٥) ، وتاريخ بغداد (٨/ ٩٢) .
(٤) المنتظم (٦/ ٣٧) .
(٥) تاريخ الطبري (١٠/ ٨٨) ، والكامل لابن الأثير (٧/ ٥١٦) .

وفيها : ركب الخليفة المكتفي بالله من بغداد إلى سامُرّا يريد الإقامة بها ، فثنى رأيه عن ذلك الوزير القاسم بن عبيد الله ، ورجع به إلى بغداد .

وفيها : قتل يحيى بن زَكْرَوَيْه بن مهرويه على باب دمشق ، قتله جيش المصريين ، زرقه رجل من المغاربة بمزراق من نار فحرقه ، وذلك بعدما كان قتل خلقاً كثيراً من جيشها ، من أصحاب طغج بن جفّ ، نائبها ، ثم مَنَّ الله على الناس بقتله ، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، فقام بأمر القرامطة من بعده أخوه الحسين ، وتسمَّى بأحمد ، وتكنَّى بأبي العبَّاس ، تلقَّب بأمير المؤمنين ، وأطاعته القرامطة ، فحاصر دمشق ، فصالحه أهلها على مالٍ ، ثم سار إلى حمص فافتتحها ، وخُطِبَ له على منابرها ، ثم سار إلى حَماة ومعرَّة النعمان ، فقهر أهلَ تلك النواحي واستباح أموالهم وحريمهم ، فكان يقتل الدَّوابّ والصبيان في المكاتب ، ويبيح لمن معه وطء النساء ، فربما وطيء الواحدةَ الجماعةُ الكثيرة من الرجال ، فإذا ولدت هنّيء به كلُّ واحدٍ منهم ، فكتب أهل الشام إلى الخليفة يشكون إليه ما يلقون من هذا اللعين ، فجهز المكتفي جيوشاً كثيفة ، وأنفق أموالاً جزيلة لحربه ، وركب في رمضان ، فنزل الرَّقَّة ، وبثَّ الجيوش في كلِّ جانبٍ لقتال القُرْمُطيّ ، وكان القُرْمُطيُّ يكتب إلى أصحابه : من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله ، الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الحاكم بحكم الله ، الدَّاعي إلى كتاب الله ، الذابّ عن حريم الله ، المختار من ولد رسول الله . وكان يدَّعي أنه من سلالة عليّ بن أبي طالب من فاطمة ، وهو كاذب أفك [في ذلك][(١)] ؛ قبّحه الله ، فإنه كان من أشدّ الناس عداوةً لقريش ، ثم لبني هاشم ؛ دخل سَلَمِيّة[(٢)] فلم يَدَعْ بها أحداً من بني هاشم حتى قتله ، وقتل أولاده ، واستباح نساءه .

وفيه : ولي ثغر طَرَسُوس أبو العشائر أحمد بن نصر ، عوضاً عن مظفّر بن حاج ؛ لشكوى أهل الثغر منه .

وحجَّ بالناس الفضل بن محمد العباسي[(٣)] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل[(٤)] : أبو عبد الرَّحمن الشَّيْبانيّ . كان إماماً حافظاً ثقة ثبتاً ، مكثراً عن أبيه وغيره .

---

(١) من ب ، ظا .

(٢) « سَلمية » : بليدة تعدّ من أعمال حمص .

(٣) في الطبري وابن الأثير والمنتظم : « الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد » .

(٤) تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٥) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٨٠) ، المنتظم (٦/ ٣٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٦) ، تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨٥) ، تهذيب التهذيب (٥/ ١٤١) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٠٣) .

قال ابن المنادي[١] : لم يكن أحد أروى عن أبيه منه ؛ سمع منه « المُسْنَد » ثلاثين ألفاً ، و« التفسير » مئة ألف حديث وعشرون ألفاً ؛ من ذلك سماع ، ومن ذلك وِجَادة[٢] ؛ ومن ذلك « النَّاسخ والمنسوخ » ، و« المقدَّم والمؤخَّر في كتاب الله » و« التاريخ » ، و« حديث شعبة » و« جوابات القرآن » ، و« المناسك الكبير » ، و« الصّغير » ، وغير ذلك من التَّصانيف ، وحديث الشُّيوخ .

قال[٣] : وما زلنا نرى أكابرَ شيوخنا يَشهدون له بمعرفة الرِّجال ، وعلل الحديث ، والأسماء والكُنى ، والمواظَبة على طلب الحديث في العراق وغيرها ، ويذكرون عن أسلافهم الإقرار له بذلك ، حتَّى إنَّ بعضَهم أسرَفَ في تقريظه إيَّاه بالمعرفة ، وزيادة السَّماع للحديث على أبيه .

ولمَّا مرض ، قيل له : أين تُدفن ؟ فقال : صحَّ عندي أنَّ بالقطيعة[٤] نبيّاً مدفوناً ، ولأنْ أكونَ في جوار نبيٍّ أحبُّ إليَّ من أن أكون في جوار أبي[٥] .

فمات في جمادى الآخرة في هذه السنة عن سبع وسبعين سنة ، كما مات لها أبوه ، وكان الجمع كثيراً جدّاً ، وصلَّى عليه زهير ابن أخيه ، ودفن في مقابر التِّبن ، رحمه الله .

عبد الله بن أحمد بن سعيد ، أبو بحر الرباطي المروزي ، صحب أبا تراب النَّخشبي ، وكان الجنيد يمدحه ويثني عليه[٦] .

عمر بن إبراهيم ، أبو بكر ، الحافظ ، المعروف بأبي الآذان ، وكان ثقة ثبتاً[٧] .

محمد بن الحسين بن الفرج ، أبو ميسرة الهمداني ، صاحب « المسند » ، وكان أحد الثقات المشهورين ، والمصنفين المنصفين[٨] .

محمد بن عبد الله أبو بكر الزَّقَّاق[٩] : أحد أئمة الصوفية وعبَّادهم . رُوي عن الجنيد أنه قال : رأيتُ

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٢١) ، وابن المنادي هو : أبو الحسين ، أحمد بن جعفر بن المنادي .
(٢) في ب ، ظا ، ط : إجازة ، ويوافق ما أثبته ما جاء في السير ، الحاشية رقم (٢) منه . وقد ردَّ الحافظ الذهبي هذه الحكاية التي قالها ابن المنادي ، وبين عدم وجود مثل هذا التفسير الكبير للإمام أحمد (السير ١٣/ ٥٢٢) .
(٣) أي ابن المنادي ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٢١) .
(٤) هي قطيعة أم جعفر ، وبإزائها باب التبن حيث دفن عبد الله بن أحمد بن حنبل .
(٥) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٢٣) .
(٦) المنتظم (٦/ ٤٠) ، وزاد بعدها : ويقول : هو رأس فتيان خراسان ، وكان كريماً حسن الخلق .
(٧) المنتظم (٦/ ٤١) وفيه : سكن سُرَّ من رأى ، وتوفي بها في هذه السنة ، وله ثلاث وستون سنة .
(٨) المنتظم (٦/ ٤٢) .
(٩) في آ ، ب ، ط : الدقاق وأثبت ما جاء في ظا ، وهو يوافق ما في المنتظم (٦/ ٤٢) ، نقلاً عن السمعاني في الأنساب . وفي صفة الصفوة (٢/ ٤١٥) : الرقاق .

إبليس في المنام وكأنه[١] عريان ، فقلت : ألا تستحي من الناس ؟ فقال : وهؤلاء أناس ؛ وأنا ألعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة ! إنَّما الناس جماعة في مسجد الشُّونيزيّ قد أضنوا قلبي ، و[وأتعبوا جسدي][٢] ، كلَّما هممت بهم أشاروا إلى الله عزَّ وجلَّ ، فأكاد أحترق ! [قال][٣] : فلمَّا انتبهت لبست ثيابي وقصدت مسجد الشُّونيزي ، فإذا فيه ثلاثة جُلوسٌ ورؤوسهم في مرقَّعاتهم ، فرفع أحدهم رأسه من جيبه ، فقال : يا أبا القاسم ! أنت كلَّما قيل لك شيء تقبل ؟ فإذا هم : أبو بكر الزَّقَّاق[٤] ، وأبو الحسين النّوري ، وأبو حمزة[٥] .

محمد بن عليّ بن علَّويه بن عبد الله الجرجانيّ ، الفقيه الشافعيّ ، تلميذ المُزنيّ ، ذكره ابن الأثير[٦] .

ثمَّ دخلت سنة إحدى وتسعين ومئتين

فيها : جرت وقعة عظيمة هائلة بين القرامطة وجند الخليفة ، فهُزمت القرامطة هزيمة عظيمة ، وأسر رئيسهم الحسين بن زَكْرَوَيْه ، الملقب بأمير المؤمنين ، الذي يقال له : ذو الشامة ، وقد تسمَّى كما ذكرنا بأحمد ، وتكنّى بأبي العباس ، والتف عليه خلائق من الأعراب وغيرهم ، واستفحل أمره جداً . فلما أُسِرَ حُمِلَ إلى الخليفة في جماعة كثيرة من رؤوس أصحابه ، وأدخل بغداد على فيل مشهور للناس ، فأمر الخليفة بعمل دقَّةٍ مرتفعةٍ ، فأجلس عليها القُرمطيّ ، وجيء بأصحابه ، فجعل يضرب أعناقهم بين يديه وهو ينظر ، وقد جعل في فمه خشبة معترضة مشدودة إلى قفاه ، ثم أنزل فضرب مئتي سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، وكوي ، ثم أحرق ، وحُمِلَ رأسه على خشبة وطيف به في أرجاء بغداد ، وذلك في شهر ربيع الأول[٧] .

وفيها : قصدت الأتراك بلاد ما وراء النهر في جحافلَ عظيمة ، فبيَّتهم المسلمون فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجمّاً غفيراً [لا يحصون][٨] ، وسبَوا منهم ما لا يحصون كثرة ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] .

---

(١) في آ ، ظا : وكان عرياناً ، وما أثبته من ب والمنتظم وصفة الصفوة .
(٢) زيادة من ط .
(٣) زيادة من ط .
(٤) في آ ، ب ، ط : الدقاق .
(٥) المنتظم (٦/ ٤٢) ، وصفة الصفوة (٢/ ٤١٥) .
(٦) الكامل (٧/ ٥٢٩) .
(٧) المنتظم (٦/ ٤٣) .
(٨) من ب ، ظا .

وفيها : بعث ملك الروم عشرة صلبان ، مع كلِّ صليب عشرة آلاف ، فأغاروا على أطراف البلاد ، وقتلوا خَلْقاً ، وسبَوا ناساً من الذرية .

وفيها : دخل نائب طَرَسُوس بلاد الروم ، ففتح مدينة أنطاكية ، وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر تعادل عندهم القسطنطينية ، وخلص[1] من المسلمين خمسة آلاف أسير ، وأخذ للروم ستين مركباً ، وغنم شيئاً عظيماً جداً ، وبلغ نصيب كل من الغزاة ألف دينار .

وحجَّ بالناس في هذه السنة : الفضلُ بن عبد الملك .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن يحيى بن زيد بن سيَّار[2] : أبو العباس الشيباني مولاهم ، الملقَّب بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، مولده سنة مئتين .

سمع محمد بن زياد بن الأعرابي ، والزُّبير بن بكَّار ، والقَواريري ، وغيرهم .

وعنه : ابنُ الأنباري ، وابن عرفة ، وأبو عمر[3] الزاهد .

وكان ثقة حجَّةً ، ديناً صالحاً ، مشهوراً بالصدق والحفظ ، وذكر أنه سمع من القواريري مئة ألف حديث .

وكانت وفاته يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن إحدى وتسعين سنة .

قال ابن خلكان[4] : وكان سبب موته أنه خرج من الجامع وفي يده كتاب ينظر فيه ، وكان قد أصابه صممٌ شديدٌ ، فصدمته فرس فألقته في هُوَّةٍ فاضطرب دماغه ، فمات من اليوم الثاني .

قال[5] : وهو مصنّف كتاب « الفصيح » ، وهو صغير الحجم ، كبير الفائدة ، وله كتاب

---

(١) في آ : وظفر .

(٢) طبقات اللغويين والنحويين (١٤١) ، تاريخ بغداد (٥/ ٢٠٤) ، نزهة الألباء (٢٢٨) ، المنتظم (٦/ ٤٤) ، معجم الأدباء (٥/ ١٠٢) ، إنباه الرواة (١/ ١٣٨) ، وفيات الأعيان (١/ ١٠٢) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥) ، بغية الوعاة (١/ ٣٩٦) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٠٧) .

(٣) في آ ، ب ، ط : أبو عمرو ، وأثبت ما جاء في ظا . وهو محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمر الزاهد ، المعروف بغلام ثعلب ، توفي سنة ٣٤٥هـ .

(٤) وفيات الأعيان (١/ ١٠٤) .

(٥) وفيات الأعيان (١/ ١٠٣ ، ١٠٤) .

« المصون » ، و« اختلاف النحويين » ، و« معاني القرآن » ، وكتاب « القراءات » ، و« معاني الشعر » و« ما يلحن فيه العامّة » ، وذكر أشياء كثيرة أيضاً .

وممّا نسب إليه من الشعر [قوله][1] :

إذا كنْتَ قُوتَ النَّفْسِ ثمَّ هَجَرْتَها — فكم تَلبَثُ النَّفْسُ التي أنتَ قُوتُها
ستبقَى بقاءَ الضَّبِّ في الماءِ أوْ كما — أقامَ لدى دَيْمُومَةٍ[2] النبت حُوتُها
أغَـرَّكَ أنِّـي قـدْ تَصبَّـرْتُ جـاهـداً — وفـي النَّفْسِ مِنِّـي منكَ مـا سَيُمِيتُها
فلوْ كانَ ما بي بالصُّخُورِ لَهَدَّها — وبـالـرِّيـحِ مـا هَبَّتْ وطـالَ خُفُـوتُها
فَصَبْـراً لعـلَّ اللهَ يجمَـعُ بيننـا — فأشكُو هُموماً مِنْكَ فيكَ[3] لَقِيتُها

القاسم بن عُبَيد الله[4] : ابن سليمان بن وَهْب الوزير ، تولَّى بعد أبيه الوِزارة في آخر أيام المعتضد ، ثم وزر لولده المكتفي من بعده ، فلمَّا كان رمضان من هذه السنة مرض فبعث إلى السجون فأطلق من فيها من المظلَّمين ، ثم كانت وفاته في ذي القعدة منها ، وقد قارب ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقد كان حظياً عند الخليفة جداً ، وخلَّف من الأملاك ما يعدل سبعمئة ألف دينار .

محمد بن محمد بن إسماعيل بن شدَّاد[5] : أبو عبد الله البصري ، القاضي بواسط ، المعروف بالجذوعي .

حدَّث عن مسدَّد ، وعن عليّ بن المَديني ، وابن نمير ، وغيرهم ، وكان من الثقات والقضاة الأجواد العدول الأمناء .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن إبراهيم البُوشَنجي[6] .

---

(١) من (ط) . الشعر في معجم الأدباء (٥/ ١٤٥) ، ووفيات الأعيان (١/ ١٠٣) .
(٢) في معجم الأدباء : ديمومة البيد حوتها ، وفي المطبوع : ديمومة الماء صوتها ، وفي الوفيات : يعيش ببيداء المهامه حوتُها ، و« الديمومة » : الفلاة الواسعة .
(٣) في معجم الأدباء : كنتُ لقيتُها . في ب ، ظا : فيك منك .
(٤) مروج الذهب (٢/ ٤٩٤) ، المنتظم (٦/ ٤٦) ، إعتاب الكتاب (١٨٢) ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٦١) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨) .
(٥) المنتظم (٦/ ٤٨) .
(٦) أبو عبد الله العبدي البوشنجي ، شيخ أهل الحديث في عصره ، سمع بمصر وبالحجاز والكوفة والبصرة وبغداد والشام ، روى عنه البخاري ومحمد بن إسحاق الصغاني . توفي في هذه السنة ودفن في نيسابور . المنتظم (٦/ ٤٨) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٨١) .

ومحمد بن علي الصَّائغ[١] .

وقُنْبُل[٢] ، أحد مشاهير القرَّاء ، وأئمة العلماء .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومئتين

فيها : دخل محمد بن سليمان في نحو من عشرة آلاف مقاتل من جهة الخليفة المكتفي إلى الدِّيار المصرية لقتال هارون بن خُمَارَوَيْه ، فبرز إليه هارون فاقتتلا ، فقهره محمد بن سليمان ؛ وجمع آلَ طولون فكانوا سبعة[٣] عشر رجلاً ، فقتلهم[٤] ، واستحوذ على أموالهم وأملاكهم . وانقضت دولة الطولونية عن الدِّيار المصرية ؛ وكتب بالفتح إلى المكتفي .

وحجَّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك الهاشمي ، أمير الحجاج في السنين المتقدِّمة .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن عبد الله بن مُسْلم ، أبو مسلم الكَجِّي[٥] : أحد المشايخ المعمّرين ، كان يحضر مجلسه خمسون[٦] ألفاً ممن معه مِحْبَرة ، سوى النَّظَّارة ، ويستملي عليه سبعة مُسْتَملين ؛ كلٌّ يبلِّغ صاحبه ، ويكتب بعضُ الناس وهم قيام . وكان كلما حدَّث بعشرة آلاف حديث تصدَّق بصدقة .

ولمَّا فرغ من قراءة السُّنن عليه عَمِلَ مأْدُبَةً غرم عليها ألف دينار ، وقال : شهدت اليومَ على رسول الله ﷺ فقبلت شهادتي وحدي ، أفلا أعمل شكراً لله عز وجل ؟ .

وروى ابن الجوزي[٧] والخطيب[٨] عن أبي مسلم الكَجِّيّ ، قال : خرجت ذات ليلة من المنزل بليل ، فمررت بحمَّام وعليَّ جنابة ، فدخلته ، فقلت للحمَّامي : أَدَخَلَ حمَّامَكَ أحدٌ بعدُ ؟ فقال : لا ، فدخلْتُ ، فلمَّا فتحت باب الحمام الداخل إذ قائل يقولُ : أبا مسلم ! أسلم تسلم . ثم أنشأ يقولُ :

---

(١) هو محمد بن علي بن زيد المكي ، الصَّائغ ، أبو عبد الله ، المحدِّث الثقة . سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٨) .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي ، مولاهم ، المكي ، الملقب بقُنْبل ، شيخ القراء بالحجاز . مات عن ست وتسعين سنة . سير أعلام النبلاء (١٤/ ٨٤) ، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ١٦٥) .

(٣) في الطبري وغيره : بضعة عشر رجلاً .

(٤) في الطبري وابن الأثير : فقيَّدهم ، وفي المنتظم : فقتلهم .

(٥) في آ : البلخي ، وهو تحريف . وترجمته في تاريخ بغداد (٦/ ١٢٠) ، المنتظم (٢/ ٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٢٣) ، الوافي بالوفيات (٦/ ٢٩) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٠) .

(٦) في آ : خمسين ، وفي ب ، ظا : نحواً من خمسين ، وأثبت ما جاء في ط .

(٧) المنتظم (٦/ ٥١) .

(٨) تاريخ بغداد (٦/ ١٢٢) .

لَـكَ الحمـدُ إمَّـا على نِعْمَـةٍ ... وإمَّـا علـى نقمـةٍ تُـدْفَـعُ[١]
تشـاءُ فتفعَـلُ مـا شِئْتَـهُ ... وتسمَـعُ مِـنْ حَيْـثُ لا تسمَـعُ

قال : فبادرت فخرجت فقلت للحمَّامي : أنتَ زعمْتَ أنَّه لم يدخل حمامك أحدٌ ؟ فقال : نعم ! وما ذاك ؟ فقلت : إنِّي سمعْتُ قائلاً يقول كذا . فقال : أو سمعته ؟ قلت : نعم . فقال : يا سيدي ! هذا رجل من الجان يتبدَّى لنا في بعض الأحيان ، فينشد أشعاراً ، ويتكلَّم بكلام حسن فيه مواعظ . فقلت : هل حفظت من شعره شيئاً ؟ فقال : نعم . ثم أنشدني من شعره ، فقال :

أيُّهـا المـذنـبُ المفـرِطُ مَهْـلاً ... كم تَمادى وتركب الذَّنْبَ جَهْلا
كَـمْ وكَـمْ تُسْخِـط الجليـلَ بفِعْـلٍ ... سَمِـجٍ وهـو يُحْسِـنُ الصُّنْـعَ فِعـلا
كيف تَهْدَى جُفونُ مَنْ ليسَ يدري ... أرَضي عنهُ مَنْ على العرشِ أمْ لا

عبد الحميد بن عبد العزيز : أبو خازم[٢] ، القاضي الحنفي ، كان من خيار القضاة وأعيان الفقهاء ومن أئمة العلماء ، ورِعاً نزهاً ، كثيرَ الصيانة والديانة والأمانة . وقد ذكر له ابن الجوزي في « المنتظم »[٣] آثاراً حسنة وأفعالاً جميلة ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

ثمَّ دخلت سنة ثلاث وتسعين ومئتين

فيها : التفَّ على أخي الحسين القُرمطيّ ، المعروف بذي الشامة ، الذي قدَّمنا ذكر مقتله في السنة الماضية ، خلائقُ من القرامطة والأعراب واللصوص وأهل البوادي بطريق الفرات ، فعاث بهم في الأرض فساداً ، ثم قصد طبريَّة ، فامتنعوا من إيوائه ، فدخلها قَهْراً ، فقتل بها خلْقاً كثيراً من الرجال ، وأخذ شيئاً كثيراً من الأموال ، ثم كرَّ راجعاً إلى البادية .

ودخلت فرقة أخرى من القرامطة إلى هِيت[٤] ، فقتلوا أهلها إلا القليل ، وأخذوا منها أموالاً جزيلة حملوها على ثلاثة آلاف بعير معهم ، فبعث إليهم الخليفة المكتفي جيشاً فقاتلوهم وأخذوا رئيسهم فضُربت عنقه .

ونبغ رجل من القرامطة يقال له : الداعية باليمن ، فحاصر صنعاء ، فدخلها قَهْراً ، وقتل خلْقا من

---

(١) في آ : نقفل .
(٢) في الأصول : أبو حازم ، وترجمت في المنتظم (٦/ ٥٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٣٩) .
(٣) المنتظم (٦/ ٥٣) .
(٤) « هيت » : بلدة على الفرات من نواحي بغداد ، وبها قبر عبد الله بن المبارك (ياقوت) ، ولا تزال تعرف بهذه التسمية في بلاد العراق .

أهلها ، ثم سار إلى بقية مدن اليمن ، فأكثر فيها الفساد ، وقتل خلقاً من العباد ، ثم قاتله أهلُ صنعاء فظفروا به وهزموه ، فانحاز إلى بعض مدنها ، وبعث الخليفة إليها المظفّر بن حاج نائباً ، وخلع عليه ، فسار إليها فلم يزل بها[١] حتى مات .

وفي يوم عيد الأضحى دخلت طائفة من القرامطة نحو من ثمانمئة إلى الكوفة ، والناس في عيدهم ، فنادوا : يا ثارات الحسين ، يعنون المصلوب ببغداد ، [وهو ابن زكروَيْه ، وشعارهم يومئذ : يا أحمد ، يا محمّد ، يعنون[٢] اللّذين قتلا معه ببغداد][٣] ، فبادر الناس الدخول إلى الكوفة ، فوَلَجَ خلفهم القرامطة ، فرمتهم العامة بالحجارة وغير ذلك ، فقتلوا منهم نحواً من عشرين ، ورجع الباقون خاسئين ، ولله الحمد والمنة .

وفي هذه السنة : ظهر رجل بمصر يقال له : الخلنجيّ ، فخلع الطاعة ، واجتمع إليه طائفة من الجند ، فأمر الخليفة أحمد بن كَيْغَلَغ نائبَ دمشق وأعمالها ، فركب إليه ، فاقتتلا بظاهر مصر فهزمه الخلنجيّ هزيمة منكرة ، فبعث الخليفة إليه جيشاً آخر ، فهزموا الخلنجيَّ وهرب ، فاستتر بمصر ، فأُحضر وسلِّم إلى الأمير الخليفة ، وانطفأ خبره ، ولله الحمد .

ولمّا اشتغل الجيش بأمر الدِّيار المصرية ، بعث زكروَيْه بن مهروَيْه . بعد مقتل أبيه الحسين ببغداد ، جيشاً صحبة رجلٍ كان يعلّم الصبيان ، يقال له : عبد الله بن سعيد ، فقصد بُصرى وأذرِعاتَ والبثنية ، فحاربه[٤] أهلها ، ثم أمّنهم ، فلمّا أن تمكن منهم قتل المقاتلة [وسبَى الذرية][٥] .

ورام الدخول إلى دمشق ، فقاتله نائب أحمد بن كَيْغَلغ ، وهو صالح بن الفضل ، فهزمه القُرمطيُّ ، وقتل صالح فيمن قتل ، وحاصر دمشق ، فلم يمكنه فتحها ، فانصرف إلى طَبَريَّة ، فقتلوا أكثر أهلها كما ذكرنا ، ونهبوا منها شيئاً كثيراً .

ثم صاروا إلى هيت ففعلوا كذلك ، ثم جَهز الخليفة إليهم جيشاً ، فأخذ رئيسهم من بينهم ، ونجا بقيَّتُهم . ثم صاروا إلى الكوفة في يوم عيد الأضحى كما ذكرنا ، فلم ينتج لهم أمر ، ولله الحمد والمنة . وكُلُّ ذلك بإشارة زكروَيْه بن مهروَيْه وهو مختفٍ في بلده بين ظهراني قومٍ من القرامطة ، إذا أَلَحَّ في طلبه نزل إلى بئر قد اتخذه ، وعلى بابه تنُّور ، فتقوم امرأة تسجره وتخبز فيه ، فلا يشعر أحد بأمره أصلاً ، فبعث الخليفة إليه جيشاً كثيفاً ، فقاتلهم زكروَيْه بنفسه ومَن أطاعه ، فهزم جيش الخليفة ، وغنم من

---

(١) في آ ، ب : به .

(٢) في الكامل : يعنون : ابني زكرويه المقتولين .

(٣) ما بين قوسين لم يرد في آ ، وأثبته من ب ، ظا .

(٤) في الكامل لابن الأثير : فحارب .

(٥) زيادة من ط .

أموالهم شيئاً كثيراً جدّاً ، فتقوى به ، واشتدَّ أمره ، فندب الخليفة إليهم جيشاً كثيفاً آخر ، فكان من أمره وأمرهم ما نذكره .

وفيها : افتتح إسماعيل بن أحمد السامانيُّ نائبُ خراسان وما وراء النهر طائفةً من بلاد الأتراك .

وفيها : أغارت الروم على بعض أعمال حلب ، [فقتلوا ونهبوا وسبَوا][1] .

وفيها : حجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشميّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن محمد أبو العبَّاس النَّاشِيء[2] : الشاعر ، المعتزلي ، أصله من الأنبار ، وأقام ببغداد مدَّة ، ثم انتقل إلى مصر فمات فيها .

وكان [جيِّد الذّهن][3] يعاكس الشعراء ، ويردُّ على المنطقيين والعَرُوضيين[4] ، وكان شاعراً مطبقاً ، إلا أنه كان فيه هَوَسٌ[5] . وله قصيدة حسنة في نسب رسول الله ﷺ قد ذكرناها في السيرة[6] .

قال القاضي ابن خلكان[7] : كان متبحّراً في عدَّة علومٍ ؛ من جملتها علم المنطق ، كان ذكياً فطناً ، وله قصيدة في فنون من العلوم على رويٍّ واحدٍ تبلغ أربعة آلاف بيت ، وله عدة تصانيف جميلة ، وأشعار كثيرة .

قال[8] : وأمَّا النَّاشىء الأصغر فسيأتي .

عبيد الله بن محمد بن خلف : أبو محمد البزَّار[9] ، أحد الفقهاء من أصحاب أبي ثَوْر ، وكان عنده فقهٌ[10] ، وكان من الثقات النبلاء .

---

(١) زيادة من ط .
(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٩٢) ، المنتظم (٦/ ٥٧) ، وفيات الأعيان (٣/ ٩١) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٤) .
(٣) زيادة من ط .
(٤) قال الذهبي في السير : كان قويّ العربيّة والعروض ، أدخل على قواعد الخليل شُبَهاً ومثّلَها بغير أمثلة الخليل .
(٥) بعدها في آ : وقد ارتحل إلى مصر ، فمات بها في هذه السنة . وهي عبارة مكررة لم ترد في ب ، ظا ، ط .
(٦) السيرة النبوية للمؤلف (١/ ٧٧ ـ ٨١) ، والبداية والنهاية (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٨) ، وهي قصيدة طويلة مطلعها :
مدحتُ رسول الله أبغي بمدحه وُفُور حُظُوظي من كريمِ المآرب
(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٩١) .
(٨) وفيات الأعيان (٣/ ٩١ ، ٣٦٩ ـ ٣٧١) .
(٩) المنتظم (٦/ ٥٨) .
(١٠) في ط والمنتظم : فقه أبي ثور .

نصر بن أحمد بن عبد العزيز[١] : أبو محمد الكِنْديّ ، الحافظ ، المعروف بنَصْرَك ، كان أحد حفَّاظ الحديث المشهورين ، وكان الأمير خالد بن أحمد الذُّهْليّ نائبُ بُخارى قد أخذه إليه ، وصنف له « المسند » ، وكانت وفاته ببخارى في هذه السنة .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومئتين

في المحرم من هذه السنة اعترض زكرَوْيه ـ لعنه الله ـ وأصحابه الحجَّاج من أهل خراسان وهم قافلون من مكة ، فقتلهم عن آخرهم ، وأخذ أموالهم ، وسبَى نساءهم ؛ وكان قيمة ما أخذه منهم ألفَيّ ألف دينار ، وعدَّة من قتل عشرين ألف إنسان ، وكانت نساء القرامطة يَطُفْنَ بين القتلى من الحجَّاج بالماء ، صفة أنهنَّ يسقين الجرحى ، فمن كلَّمهن من الجرحى قتلْنَه وأجهزْنَ عليه ، لعنهن الله وقبَّح أزواجهن .

ذكر مقتل زَكرَوَيْه ، لعنه الله

لمَّا بلغ الخليفةَ خبرُ الحجيج وما أوقع بهم الخبيثُ زَكروَيْه ، جهز إليه جيشاً كثيفاً ، فالتقوا معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً جداً ؛ قُتل من القرامطة[٢] خلْقٌ كثير ، ولم يبقَ منهم إلا القليل ، وذلك في أول ربيع الأول منها .

وضُرب زكرَوْيه ـ لعنه الله ـ بالسيف في رأسه ، فوصلت الضربة إلى دماغه ، وأخذ أسيراً فمات بعد خمسة أيام ، ففتحوا عن بطنه وصبروه ، وحمل وجماعة من رؤوس أصحابه إلى بغداد ، واحتوى العسكر على ما كان بأيدي القرامطة من الأموال والحواصل ، ولله الحمد والمنة .

وأمر الخليفة بقتل أصحاب القرمُطيّ ، وأن يطاف برأس القرمطي في سائر بلاد خراسان ، لئلا يمتنعَ الناس عن الحجِّ ؛ وأطلق من كان بأيدي القرامطة من النساء والصبيان الذين أسروهم .

وفيها : غزا أحمد بن كَيْغَلَغ نائبُ دمشق بلاد الروم من ناحية طَرَسُوس ، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ، وأسر من ذراريهم نحواً من خمسين ألفاً .

وأسلَم بعضُ البطارقة من الروم ، وجاء معه بنحوٍ من مئتي أسير[٣] كانوا في حصنه ، فأرسل ملك الروم جيشاً في طلبه ، فركب هو في جماعة من المسلمين ، فكبس الروم فقتلهم ، وغنم منهم غنيمة كثيرة جداً . ولمَّا قدم على الخليفة أكرمه وأحسن إليه وأعطاه ما تمنَّاه عليه .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٩٣) ، والمنتظم (٦/ ٥٩) ، وهو نصر بن أحمد بن نصر بن عبد العزيز .

(٢) في آ : فقتل من الفريقين .

(٣) في الكامل لابن الأثير : فخرج ومعه مئتي أسير من المسلمين كانوا في حصنه .

وفيها : ظهر بالشام رجل ، فادَّعى أنَّه السّفيانيُّ ، فأخِذَ وبُعث به إلى بغداد ، فادعى أنه مُوَسْوِسٌ . وحجَّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك الهاشميّ .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن محمد بن حاتم : ابن يزيد بن عليّ بن مروان ، أبو عليّ ، المعروف بعُبَيْد العِجْل[1] . كان حافظاً مكثراً ، متقِناً ، ثقةً ، مقدّماً في حفظ المسندات[2] ، توفي في صفر منها .

صالح بن محمَّد بن عمرو بن حَبيب[3] : أبو علي الأسدي ، أسد خُزَيْمة ، المعروف بجَزَرة ؛ لأنه قرأ على بعض المشايخ أنَّ أبا أُمامة كانت له خَرزةٌ يرقي بها المريض ، فقرأها جَزَرة ، تصحيفاً منه ، فلقِّب بذلك . وقد كان حافظاً مكثراً جوّالاً رحَّالاً ، طاف الشام ومصر وخراسان ، وانتقل من بغداد فسكن بخارى ، وكان ثقةً صدوقاً أميناً ، وله رواية كثيرة عن يحيى بن معين ، وسؤالات كثيرة . كان مولده بالكوفة[4] سنة عشر ومئتين .

وتوفي في هذه السنة :

محمّد بن عيسى بن محمّد[5] : ابن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، المعروف بالبياضي ، لأنه[6] حضر مجلس الخليفة وعليه ثيابُ البياض ، فقال الخليفة : من ذاك البياضي ؟ فعرف به . وكان ثقة ، روى عن ابن الأنباري ، وابن مقسم . قتلته القرامطة في هذه السنة .

محمد بن الإمام إسحاق بن راهَوَيْه[7] : سمع أباه ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهما . وكان عالماً بالفقه والحديث ، جميل الطريقة . وقدم بغداد ، فحدَّث بها ، وقتلته القرامطة فيمن قتلوا من الحجيج في هذه السنة .

محمَّد بن نَصْر المَروزيّ[8] : أحد أئمة الفقهاء ، أبو عبد الله المروزي ، الفقيه . ولد ببغداد ، ونشأ

---

(١) في الأصول : العجلي . وترجمته في المنتظم (٦/ ٦١) ، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٩٠) .
(٢) في السير وغيره : في حفظ المسند خاصة ؛ قاله أحمد بن المنادي .
(٣) تاريخ بغداد (٩/ ٣٢٢) ، المنتظم (٦/ ٦٢) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٦) .
(٤) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٤) وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٤٢) ، أنه ولد ببغداد سنة خمس ومئتين .
(٥) المنتظم (٦/ ٦٢) ، اللباب (١/ ١٩٥) .
(٦) في اللباب : لأن جدَّه حضر مجلس بعض الخلفاء . . وهو وهم من مؤلفه . .
(٧) المنتظم (٦/ ٦٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٤٤) ، لسان الميزان (٥/ ٦٥) .
(٨) تاريخ بغداد (٣/ ٣١٥) ، المنتظم (٦/ ٦٣) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٤٦) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٦) .

بنيسابور ، واستوطن سَمَرْقَنْد . وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين ، فمن بعدهم من أئمة الإسلام بالأحكام . وقد رحل إلى الآفاق وسمع من المشايخ الكثير النافع ، وصنَّف الكتب المفيدة الحافلة النافعة ، وكان من أحسن الناس صلاة وأكثرهم فيها خشوعاً ، وقد صنَّف كتاباً عظيماً في الصلاة .

روى الخطيب البغدادي[(١)] عنه أنه قال : خرجت من مصر قاصداً إلى مكَّة ، فركبت البحر ، ومعي جارية لي ، فغرقَت السفينة ، فذَهَبَ لي في الماء ألفا جزء ، وسلمْتُ أنا والجارية ، فلجأنا إلى جزيرة ، فطلبنا بها ماءً فلم نجد ، فوضعت رأسي على فخذ الجارية ، ويئست من الحياة ، فبينا أنا كذلك إذا رجل قد أقبل وفي يده كُوز ، فقال : هاه! فأخذته ، فشربت منه وسقيت الجارية ، ثم ذهب فلم أدرِ من أين أقبَلَ ولا إلى أين ذهب[(٢)] .

وقد كان من أكرم الناس وأسخاهم نفساً . وكان إسماعيل بن أحمد[(٣)] يصله في كل سنة بأربعة آلاف ، [ويصلُه أخوه إسحاق بن أحمد بأربعة آلاف ، ويصله أهلُ سَمَرْقَند بأربعة آلاف][(٤)] ، فينفق ذلك كلَّه ، فقيل له : لو ادَّخَرْتَ منها شيئاً لنائبةٍ ؟ فقال : يا سبحانَ الله ! أنا مكثت في مصر مدّة أنفق فيها في كلِّ سنةٍ عشرين درهماً ، أفرأيت إذا لم يحصل لي شيء من هذا لا يتهيَّأ لي في السنة عشرون درهماً[(٥)] ! .

وكان محمد بن نَصْر المَرْوَزيّ إذا دخل على إسماعيل بن أحمد السَّامانيّ ينهض له ويكرمه ، فعاتبه يوماً أخوه إسحاق بن أحمد ، فقال له : تقوم لرجلٍ في مجلس حكمك وأنت ملك خراسان ؟ قال إسماعيل : فبتُّ تلك الليلة وأنا متقسِّم[(٦)] القلب[(٧)] ، فرأيْتُ رسولَ الله ﷺ في المنام ، وهو يقول : يا إسماعيل ! ثبتَ ملكُكَ وملكُ بنيك بتعظيمك محمّد بن نَصْر ، وذَهَبَ ملكُ أخيك باستخفافه بمحمّد بن نَصْر[(٨)] .

وقد روي أنه اجتمع بالدِّيار المصرية محمّد بن نَصْر ، ومحمد بن جرير الطبري ، ومحمد بن المنذر ، فجلسوا في بيتٍ يكتبون الحديث ولم يكن عندهم في ذلك اليوم شيء يقتاتونه ، فاقترعوا فيما بينهم مَن يسعى لهم في شيء يأكلونه ؛ ليدفعوا عنهم ضرورتهم ، فجاءت[(٩)] القُرعة على أحدهم ، فنهض

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٣١٧) ، المنتظم (٦/ ٦٤) .
(٢) بعدها في ط : ثم إن الله سبحانه أغاثنا فنجانا من ذلك الغم .
(٣) هو إسماعيل بن أحمد السَّاماني ، صاحب خراسان ، وسيترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٩٥هـ .
(٤) ما بين قوسين ساقط في آ .
(٥) المنتظم (٦/ ٦٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧) .
(٦) في ب ، ظا : منزعج ، وفي ط : مشتت ، وأثبت ما جاء في آ والمنتظم والسير .
(٧) بعدها في ط : من قول أخي ، وكانوا هم ملوك خراسان وما وراء النهر ، قال .
(٨) المنتظم (٦/ ٦٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨ ـ ٣٩) .
(٩) في ط : فوقعت القرعة على محمد بن نصر هذا ، فقام إلى الصلاة . .

إلى الصلاة ، فجعل يصلِّي ويدعو الله عزَّ وجلَّ ، وذلك وقت القيلولة ، فرأى نائبُ مصرَ ، وأظنه أحمدَ بن طولون ، وهو نائم وقت القيلولة ، رسولَ الله ﷺ وهو يقول له : أنت هاهنا والمحمَّدون ليس عندهم شيء يقتاتونه ! فانتبه الأمير من منامه ، فسأل : من هاهنا من المحدّثين ؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة ، فأرسل إليهم في الساعة الراهنة بألف دينار ، فدخل بها عليهم ، وأزال الله ضرورتهم ، ويسَّر عليهم[١] .

وقد بلغ محمّد بن نَصْر سناً عالياً ، وكان يسألُ اللهَ ولداً ، فأتاه يوماً إنسان فبشَّره بولد ذكر قد وُلِدَ له ، فرفع يديه فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ [إبراهيم : ٣٩] ، فاستفاد الحاضرون من ذلك فوائدَ : منها أنه قد وُلِدَ له على كبر السن ولدٌ ذكرٌ بعدَما كان يسأل الله في ذلك ؛ ومنها أنه سمَّاه في يوم مولده كما سمَّى رسولُ الله ﷺ ولدَه إبراهيم قبلَ السابع ؛ ومن ذلك اقتداؤه بالخليل في تسميته أول ولدٍ له إسماعيل .

موسى بن هارون بنِ عبد الله[٢] أبو عمران : المعروف والده بالجمَّال ، ولد سنة أربع عشرة ومئتين ، وسمع أحمد بن حنبل ، ويحيى بن مَعين ، وغيرهما .

وكان إمام أهل عصره في حفظ الحديث ومعرفة الرجال والإتقان . وكان ثقة ، شديد الورع ، عظيم الهيبة .

قال عبد الغني بن سعيد الحافظ المصري : كان أحسن الناس كلاماً على الحديث عليّ بن المَديني ، ثم موسى بن هارون ، ثم الدَّارَقطني[٣] .

ثمَّ دخلت سنة خمس وتسعين ومئتين

فيها : كانت المفاداة بين المسلمين والروم ، فكان من جملة من استنقذ من المسلمين من رجال ونساء نحواً من ثلاثة آلاف نسمة ، ولله الحمد .

وفي المنتصف من صفر منها كانت وفاة إسماعيل بن أحمد السّامانيّ ، أمير خراسان [وما وراء النهر][٤] ، وقد كان عاقلاً عادلاً ، حسن السيرة في رعيته ، حليماً حكيماً ، جواداً ، ممدَّحاً ، وهو الذي كان يحسن إلى محمّد بن نَصْر المَرْوزي ويعظِّمه ويكرمه ويحترمه ، ويقوم له في مجلس ملكه .

---

(١) بعدها في ط : واشترى طولون تلك الدار وبناها مسجداً ، وجعلها على أهل الحديث ، وأوقف عليها أوقافاً جزيلة .
(٢) المنتظم (٦/ ٦٦) ، تاريخ بغداد (١/ ٥٠) .
(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ٥١) .
(٤) زيادة من ط . وانظر ترجمته في المنتظم (٦/ ٧٧) ، ووفيات الأعيان (٥/ ١٦١) ، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٤) . وشذرات الذهب (٢/ ٢١٩) .

وقد ولي بعدَه ولده أحمد بن إسماعيل ، وبعث إليه الخليفة المكتفي بالله بالولاية والتشريف .

وقد تذاكر الناس عند إسماعيل بن أحمد ذات ليلة الفخر بالأنساب ، فقال : ينبغي أن يكون الإنسان عصامياً لا عظامياً . يعني : ينبغي أن يفتخر بنفسه لا بنسبه ، وبكدِّه وجِدِّه لا بأبيه وجَدِّه . كما قال بعضهم :

وبجِديِّ سَمَوْتُ لا بجدودي

وقال آخر :

حسبي فخاراً وشيمتي[1] أدبي ... ولسْتُ مِن هاشمٍ ولا العَرَبِ
إنَّ الفتى مَن يقولُ ها أنا ذا ... ليسَ الفتى مَنْ يقولُ كانَ أبي

وفي ذي القعدة من هذه السنة كانت :

وفاة الخليفة المُكتفي بالله أبو محمّد عليّ بن المعتضد . وهذه ترجمته وذكر وفاته[2] :

هو [الخليفة أمير المؤمنين المكتفي بالله][3] ، أبو محمّد ، عليّ بن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العبَّاس أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفّق بن المتوكِّل بن المعتصم بن الرشيد هارون بن المهدي بن منصور ، رحمهم الله . وقد ذكرنا[4] أنه ليس من الخلفاء من اسمه سواه بعد عليّ بن أبي طالب ؛ رضي الله عنه ، ولم يكن في الخلفاء من يكنى بأبي محمد سوى الحسن بن عليّ ، وموسى الهادي ، وهو ، والمستضيء بأمر الله .

وكان مولده في رجب من سنة أربع وستين ومئتين ، وبُويع له بالخلافة بعد أبيه في حياته يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيت من ربيعٍ الآخر من سنة تسعٍ وثمانين ومئتين ، وعمره نحو من خمس وعشرين سنة ، وكان رَبْعَة من الرجال جميلاً ، رقيق اللون ، حسن الشعر ، وافر اللحية عريضها .

ولما مات أبوه المعتضد ، وباشر هو منصب الخلافة ، دخل عليه بعضُ الشعراء فأنشده[5] :

أجَلُّ الرَّزايا أن يموتَ إمامُ ... وأسْنَى العطايا أن يقومَ إمامُ
فأسقى الذي ماتَ الغمامُ وجادهُ ... ودامت تحياتٌ لهُ وسلامُ

---

(١) في بعض النسخ : وشيمة .
(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٣١٦) ، المنتظم (٦/ ٣١ ـ ٣٣ و٧٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٧٩) ، تاريخ الخلفاء (٦٠٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٩) .
(٣) زيادة من ب .
(٤) حوادث سنة ٢٨٩هـ .
(٥) المنتظم (٦/ ٣٢) .

وأبقى الذي قام الإلّهُ وزادَهُ مواهب لا يفنى لهنَّ دوامُ
وتمَّتْ له الآمالُ واتصلتْ بها فوائدُ موصولٌ بهنَّ تمامُ
هو المكتفي بالله يكفيه كلَّما عناهُ بركنٍ منهُ ليسَ يُرامُ

وقد كان يقول الشعر ، فمن ذلك قولُه[١] :

مَنْ لي بأنْ يعلمَ ما ألقى فيعرف الصَّبوة والعشقا
ما زالَ لي عبداً وحبِّي لهُ صيَّرني عَبْداً لهُ رِقَّا
العتقُ مِن شأني ولكنَّني مِن حبِّهِ لا أملكُ العِتقا

وكان نقش خاتمه : « علي يتوكَّل[٢] على ربه » .

وكان له من الولد محمّد ، وجعفر ، وعبد الصَّمد ، وموسى ، عبد الله ، وهارون ، والفضل ، وعيسى ، والعبَّاس ، وعبد الملك[٣] .

وفي أيَّامه فتحت أنطاكية ، واستُنقذت من أيدي الروم ، وكان فيها من أسارى المسلمين بشرٌ كثيرٌ وجمٌّ غفير ، وأخذ المسلمون من غنائمهم شيئاً كثيراً جداً ، كما تقدَّم .

ولما حضرته الوفاة سأل عن أخيه أبي الفضل جعفر بن المعتضد ، فصحَّ عنده أنه بالغ ، فأحضره في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة ، وأحضر القضاة ، وأشهدهم على نفسه بأنه قد جعل الخلافة إليه من بعده ، ولقَّبه بالمقتدر بالله .

وتوفي المكتفي بالله بعد ثلاثة أيام ، رحمه الله . وقيل : في آخر يوم السبت بين الظهر والعصر . وقيل : بعد المغرب ، ليلة الأحد ، لاثنتي عشرة ليلة خلَتْ من ذي القعدة ، ودفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، عن ثنتين ، وقيل : ثلاث وثلاثين سنة ، وكانت خلافته ستَّ سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً . وكان قد أوصى بصدقةٍ من خالص ماله ، ستمئة ألف دينار ؛ كان جمعها وهو صغير . وكان مرضه بداء الخنازير[٤] ، رحمه الله تعالى .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) في ب ، ظا : متوكل ، وفي ط : المتوكل .
(٣) المنتظم (٦/ ٣٣) ، جمهرة الأنساب (ص٢٩) ، ولم يذكر هارون .
(٤) داء الخنازير : علة معروفة ، وهي قروح صلبة تحدث في الرقبة .

خلافة المُقتدر بالله أمير المؤمنين ،
[أبي الفَضْل جَعْفر بن المعتضِد][١]

جُدِّدت له البيعة بعد موت أخيه وقت السحر ، لأربع عشرة ليلة خلَتْ من ذي القعدة من هذه السنة ، أعني سنة خمس وتسعين ومئتين ، وعمره إذ ذاك ثلاثَ عشرةَ سنةً وشهر وأحد عشر[٢] يوماً ، ولم يل الخلافة أحدٌ قبلَه أصغر سناً منه .

ولمَّا جلس في منصب الخلافة صلَّى أربع رَكعات ، ثم سلَّم ، ورفع صوته بالدُّعاء والاستخارة ، ثم بايعه الناس بيعة العامّة ، وكُتب اسمه على الرُّقوم ، وغيرها : « المقتدر بالله » .

وكان في بيت مال الخاصة خمسة عشر ألف ألف دينار ، وفي بيت مال العامة ستمئة ألف دينار ونيف . وكانت الجواهر الثمينة من الحواصل من لدن بني أمية وأيام بني العبَّاس قد تَنَاهى جمعها ، فما زال يفرِّقها في حظاياه وأصحابه حتى أنفذها[٣] .

وقد استوزر جماعة من الكتَّاب يكثر تعدادهم ، منهم أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ، ولاه ثم عزله بغيره ، ثم أعاده ثم عزله بغيره ، ثم أعاده ، ثم عزله ، ثم قتله ؛ وقد تقصّى ذكرهم أبو الفرج بن الجوزي[٤] .

وكان له من الخدم والحجّاب والحشمة التامة شيء كثير جداً .

وكان كريماً جداً ، وفيه عبادة مع هذا كلِّه ، وكثرة صلاة ، وصيام تطوّع .

وفي يوم عرفة أول ولايته فرّق من الأغنام والأبقار ثلاثين ألف رأس ، ومن الإبل ألفي بعير . وردَّ الرسوم والكلف والأرزاق إلى ما كانت عليه في أوائل[٥] العباسيين ، وأطلق أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم ، ووكَّل أمر ذلك إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف .

وكان قد بنيت أبنية في الرحبة ، دخلُها[٦] كلّ شهر ألف دينار ، فأمر بهدمها ليوسِّع على المسلمين

---

(١) زيادة من ب ، ظا . وسيترجم له المؤلف في حوادث سنة ٣٢٠هـ .
(٢) في المنتظم : وعشرين يوماً .
(٣) بعدها في ط : وهذا حال الصبيان وسفهاء الولاة .
(٤) المنتظم (٦/ ٦٧ ـ ٦٨) .
(٥) في ب ، ظا ، ط : زمن .
(٦) كذا في آ ، وفي ب ، ظا : وعليها في كل شهر ، وفي ط : صرف عليها في كل شهر .

الطرقات . وسيأتي[١] ذكر شيء من أيامه وترجمته إن شاء الله تعالى .

وممن توفي فيها من الأعيان :

[أبو إسحاق المُزَكّي][٢] : إبراهيم بن محمد بن نوح بن عبد الله ، أبو إسحاق المزكي ، الحافظ ، الزاهد ، إمام أهل عصره بنيسابور في معرفة الحديث والرجال والعلل ، وقد سمع خلْقاً من المشايخ الكبار ، ودخل على الإمام أحمد وذاكره ، وكان مجلسه مهيباً ، ويقال : إنه كان مجاب الدعوة ، وكان لا يملك إلا داره التي يسكنها ، وحانوتاً يستغلّه كلَّ شهر سبعة عشر درهما ينفقها على نفسه وعياله ، وكان لا يقبل من أحدٍ شيئاً ، وكان يطبخ له الجزر بالخل فيتأدَّم به طول الشتاء . وقال أبو علي الحسين بن علي الحافظ النيسابوري : لم تر عيناي مثله .

أبو الحسين النُّوري أحد أئمة الصوفية[٣] : أحمد بن محمد ، ويقال : محمّد بن محمّد ، والأوّل أصحُّ ، أبو الحسين النُّوري . ويعرف بابن البَغَويّ ، وأصله من خراسان ، وحدَّث عن سَرِيّ السَّقَطيّ ، ثم صار هو من أكابر أئمة القوم .

قال أبو أحمد المَغَازلي : ما رأيت أحداً قطُّ أعبدَ من أبي الحسين النّوري . قيل له : ولا الجُنَيد ؟ قال : ولا الجنيد .

وقال غيره[٤] : صام عشرين سنة لا يعلم به أحدٌ لا من أهله ولا من غيرهم .

وكانت وفاته في مسجدٍ وهو مقنّع ، فلم يعلم به أحد إلا بعد أربعة أيام .

إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سَامان السّاماني[٥] : أحد ملوك خراسان للخلفاء ، وهو الذي قتل عمرو بن الليث الصفَّار الخارجيّ ، وكتب بذلك إلى الخليفة المعتضِد ، فولاه خراسان ، ثم ولاه المكتفي الرَّيَّ وما وراء النهر ، وبلادَ الترك ، فأوقع بهم بأساً شديداً . وبنى الرُّبط في الطرقات يسَعُ الرِّباطُ منها ألفَ فارس ، وأوقف عليها أوقافاً جزيلة .

وقد أهدى إليه طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث هدايا عظيمة ؛ منها ثلاث عشرة جوهرة ، زنة كلِّ واحدةٍ منها ما بين السبعة مثاقيل إلى العشرة ، وبعضها أحمر ، وبعضها أزرق ، قيمتها مئة ألف دينار ، فبعث بها إلى الخليفة المعتضد ، وشفع في طاهر فشفَّعَه فيه .

---

(١) سيأتي ذلك كما ذكرنا في حوادث سنة ٣٢٠هـ .

(٢) زيادة من ط ، وترجمته في المنتظم (٦/ ٧٦) .

(٣) حلية الأولياء (١٠/ ٢٤٩) ، تاريخ بغداد (٥/ ١٣٠) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٣٩) ، المنتظم (٦/ ٧٧) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٧٠) ، طبقات الأولياء (٦٢) .

(٤) هو أبو جعفر الفرغاني ، كما في المنتظم (٦/ ٧٧) ، وصفة الصفوة (٢/ ٤٣٩) .

(٥) المنتظم (٦/ ٧٧) ، وفيات الأعيان (٥/ ١٦١) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٤) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٩) .

ولما مات إسماعيل بن أحمد ، وبلغ المكتفيَ موتُه تمثَّل بقول أبي نواس[١] :

لـنْ يُخلفَ الـدَّهـرُ مثلهـمْ أبـداً هَيهَـاتَ هَيهـاتَ شـأنهُـمْ عَجَـبُ

المَعْمَريّ الحافظ[٢] : صاحب « عمل اليوم والليلة » . الحسن بن عليّ بن شَبيب ، أبو علي المَعْمَريّ ، الحافظ . رحل وسمع من الشيوخ وأدرك خلْقاً ، منهم : عليّ بن المديني ، ويحيى بن مَعين . وعنه : ابنُ صاعد ، والنَّجَّاد ، والخلدي . وكان من بحور العلم وحفاظ الحديث ، صدوقاً ، ثبتاً ، يشبِّك أسنانه بالذهب من الكبر ؛ لأنه جاوز الثمانين ، وكان يكنى أولاً بأبي القاسم ، ثم بأبي عليّ . وقد ولي القضاء للبِرْتي على القصر[٣] وأعمالها .

وإنما قيل له المَعْمَريّ بأُمِّه ؛ أمِّ الحسن بنت سفيان بن أبي سفيان صاحب مَعْمَر بن راشد . وكانت وفاته ليلة الجمعة لإحدى عشرة بقيت من محرم هذه السنة .

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شُعَيب[٤] : [واسم أبي شُعَيْب][٥] عبد الله بن الحسن ، أبو شعيب الأموي الحَرَّاني المؤدّب ، المحدّث ابن المحدّث . ولد سنة ست ومئتين ، وسمع أباه ، وجدَّه ، وعفَّان بن مُسلم ، وأبا خيثمة . وكان صدوقاً ثقة مأموناً . توفي في ذي الحجة من هذه السنة .

عليّ بن أحمد المكتفي بالله بن المعتضد ، تقدم ذكر ترجمته قريباً من هذه السنة .

أبو جَعْفر التِّرمذيّ[٦] : محمّد بن أحمد بن نَصْر أبو جعفر التِّرِمذيّ ، الفقيه الشافعي . وكان من أهل العلم والزُّهد .

قال الدَّارَقُطني[٧] : هو ثقةٌ مأمونٌ ناسكٌ .

وقال القاضي أحمد بن كامل[٨] : لم يكن لأصحاب الشافعيّ بالعراق أرأس منه ، ولا أوْرَع .

---

(١) المنتظم (٦/ ٧٨) .
(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٣٦٩) ، المنتظم (٦/ ٧٨) ، اللباب (٣/ ٢٣٦) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٨) .
(٣) في المنتظم : على البصرة ، وما هنا كما في تاريخ بغداد والسير .
(٤) تاريخ بغداد (٩/ ٤٣٥) ، المنتظم (٦/ ٧٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٣٦) ، شذرات الذهب (٢/ ٢١٨) .
(٥) زيادة من ط .
(٦) تاريخ بغداد (١/ ٣٦٥) ، المنتظم (٦/ ٨٠) ، وفيات الأعيان (٤/ ١٩٥) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٤٥) ، طبقات السبكي (٢/ ١٨٧) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٠) .
(٧) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٤٦) .
(٨) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٤٧) .

كان متقلّلاً في المطعم على حال[١] عظيمة فقراً وورعاً وصبراً ، وكان ينفق عليه في كلِّ شهر أربعة دراهم ، وكان لا يسأل أحداً شيئاً ، وكان قد اختُلط في آخر عمره . وتوفي في المحرم من هذه السنة .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومئتين

في ربيع الأول منها اجتمع جماعة من القوّاد والجند على خلْع المقتدر بالله وتولية عبد الله بن المعتز الخلافة عوضاً عنه ، فأجابهم على أنه لا يُسفك بسببه دم . وكان المقتدر قد خرج للعب بالصوالجة ، فقصد إليه الحسين بن حمدان [يريد أن][٢] يفتك به ، فلمّا سمع المقتدر الضّجّة بادر إلى دار الخلافة فأغلقها دون الجيش . واجتمع القوّاد والأعيان والقضاة في دار المخرم[٣] ، فبايعوا عبد الله بن المعتز ، وخوطب بالخلافة ، ولُقِّب بالمرتضي بالله . وقال الصولي : إنما لقبوه : المنتصف بالله . واستوزر أبا عبد الله محمد بن داود ، وبعث إلى المقتدر يأمره بالتحوّل من دار الخلافة إلى دار ابن طاهر لينتقل هو إليها ، فأجيب بالسمع والطاعة ، فركب الحسين بن حمدان من الغد إلى دار الخلافة ليتسلَّمها ، فقاتله الخدم ومَن فيها ، ولم يسلموها إليه ، فلم يقدر على تخليص أهله وبعض ماله إلا بالجهد الجهيد . فلما قدر عليهم ارتحل من فوره إلى الموصل ، فتفرّق نظام الجماعة .

وأراد ابن المعتزّ أن يتحوّل إلى سامُرّا لينزلها ، فلم يتبعه أحد من الأمراء ، فدخل إلى دار ابن الجصاص فاستجار به . ووقع النهب بالبلد ، واختبط الناس ، وبعث المقتدر إلى أصحاب ابن المعتز فقبض عليهم ، وقتل أكثرهم ، وأعاد ابنَ الفرات إلى الوزارة ، فجددت البيعة للمقتدر ، وأرسل إلى دار ابن الجصاص فكبسها ، وأحضر ابن المعتز وابن الجصّاص ، فصادر ابنَ الجصّاص بمالٍ جزيلٍ جداً ، يقال : إنه وزن ستة عشر ألف ألف درهم مصادرة ، ثم أطلقه واعتقل ابن المعتز ، فلمّا دخل في ربيع اخر ليلتان ظهر للناس موتُه ، وأخرجت جثته فسلِّمت إلى أهله فدفن ، وصفح المقتدر عن بقية من سعى في هذه الفتنة حتى لا تفسد نيات الناس .

قال ابن الجوزي[٤] : ولا يُعرف خليفة خُلع ثم أعيد سوى الأمين والمقتدر .

وفي يوم السبت لأربع بقين من ربيع الأول سقط ببغداد ثلج عظيم حتى اجتمع على الأسطحة منه نحو من أربع أصابع ، وهذا مستغرب في بغداد جداً .

---

(١) في آ ، ظا ، ط : حالة ، وأثبت ما جاء في ب ، وهو الموافق لما في تاريخ بغداد .
(٢) زيادة من ط .
(٣) في آ : في دارة الخلافة .
(٤) المنتظم (٦/ ٨٢) .

ولم تخرج السنة حتى خرج الناس للاستسقاء من تأخُّر المطر عن أيَّامه[١] .

وفي شعبان خُلع على مؤنس الخادم ، وأمر بالمصير إلى طَرَسُوس لغزو الروم .

وفي هذه السنة أمر المقتدر بألَّا يُستخدم أحد من اليهود ولا النصارى في الدواوين ، وألزموا بيوتهم ، وأمروا[٢] بلبس العسلي وجعل الرّقاع بين أظهرهم ليعرفوا بها .

وحجَّ بالناس في هذه السنة الفضلُ بن عبد الملك الهاشميّ ، ورجع كثير من الناس من قلة الماء بالطريق ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد بن زكريا بن أبي عتَّاب[٣] : أبو بكر البغدادي الحافظ ، ويعرف بأخي ميمون . روى عن نَصْر بن عليّ الجهضمي وغيره ، وروى عنه الطَّبَرانيّ ، وكان يمتنع أن يحدِّثَ ، وإنَّما[٤] يسمع منه في المذاكرات . توفي[٥] في شوَّال منها .

أبو بكر الأثْرَم[٦] : **أحمد بن محمد بن هانىء** ، أبو بكر الطائي الأثرم ، تلميذ الإمام أحمد . وقد سمع عفَّان ، وأبا الوليد القَعْنبيّ ، وأبا نُعيم ، وخلْقاً كثيراً . وكان حافظاً صادقاً قويّ المذاكرة . كان ابن مَعين يقول : كان أحد أبويه جنيّاً ؛ لسرعة فهمه وحفظه وحذقه . وله كتب مصنفة في العلل والناسخ والمنسوخ ، وكان من بحور العلم .

خلف بن عمرو بن عبد الرحمن بن عيسى[٧] : أبو محمد العُكْبَري[٨] . سمع الحديث ، وكان ظريفاً ، له ثلاثون خاتماً وثلاثون عكَّازاً ، يَلْبَسُ في كُلِّ يومٍ من الشهر خاتماً ، ويأخذ في يده عكَّازاً ، ثم يستأنف ذلك في الشهر الثاني ، وكان له سوط معلَّق في منزله ، فإذا سئل عن ذلك يقول : ليرهب العيال منه .

ابن المعتزّ الشاعر الذي بُويع له بالخلافة[٩] : عبد الله بن المعتزّ بالله محمد بن المتوكِّل على الله

---

(١) في ط : عن إبَّانه .
(٢) في ب ، ظا : وأخذوا .
(٣) المنتظم (٦/ ٨٢) .
(٤) في ب ، ظا : وأنا أسمع .
(٥) في المنتظم : توفي بمصر .
(٦) لم يرد العنوان في آ . وترجمته في المنتظم (٦/ ٨٣) ، وتهذيب الكمال (١/ ٤٧٦) .
(٧) تاريخ بغداد (٨/ ٣٣١) ، والمنتظم (٦/ ٨٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٧٧) .
(٨) في آ : العسكري ، وهو تحريف .
(٩) تاريخ الطبري (١٠/ ١٤٠) ، أشعار أولاد الخلفاء (١٠٧) ، الأغاني (١٠/ ٢٨٦) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٩٥) ، المنتظم (٦/ ٨٤) ، وفيات الأعيان (٣/ ٧٦) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٢) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢١) .

جعفر بن المعتصم محمّد بن الرشيد هارون ، ويكنى ابن المعتز ، الشاعر أبو العبَّاس الهاشميّ العباسيّ ، الفصيح[١] البليغ المطبق . وقريش قادة الناس في الخير والشر . وقد سمع المبرِّدَ ، وثعلباً .

وقد رُوي عنه من الحكم والآداب شيء كثير ؛ فمن ذلك قوله :

أنفاس الحيِّ خطاه [إلى أجله][٢] . أهلُ الدُّنيا ركْبٌ يُسار بهم وهم نيام . ربَّما أوردَ الطَّمَعُ ولم يصدُرْ . ربَّما شرِقَ شاربُ الماء قبلَ رِيِّه . مَنْ تجاوز الكفَافَ لم يغنِه الإكثارُ . كلَّما عظم قدر المنافَسِ فيه عظُمتِ الفَجيعةُ به . من ارْتَحله[٣] الحِرصُ أضناه[٤] الطَّلَبُ . الحرصُ يُنقص من قدر الإنسان ولا يزيد في حظِّه . أشقى النَّاس أقربُهم من السُّلطان ، كما أنَّ أقربَ الأشياء إلى النار أسرعُها احتِراقاً . مَن شارك السُّلطان في عزِّ الدُّنيا شاركه في ذُلِّ الآخرة . يكفيكَ[٥] من الحاسد أنه يغتمُّ وقتَ سرورك . الفرصة سريعة الفَوْتِ بعيدةُ العَوْد . الأسرار إذا كثُر خُزَّانُها ازدادت ضياعاً . [ذلُّ][٦] العَزْل يضحك من تيه الولاية . الجَزَعُ أتعبُ من الصَّبر . لا تشِنْ وَجْهَ العَفْو بالتَّقريع . تَرِكةُ الميت عِزٌّ[٧] للورثة .

ومن شعره في الحكم مما يناسب المعنى الأخير قوله :

سـابِـقْ إلـى مـالِـكَ وُرَّاثَـهُ ... مـا المـرءُ فـي الـدُّنيـا بِلَبَّـاثِ
كَـمْ صـامِـتٍ[٨] تُخنَـقُ أكيـاسُـهُ ... قـدْ صـاح فـي ميزانِ مِيـراثِ[٩]

وله[١٠] :

يـا ذا الغنَـى والسَّطْـوةِ القـاهِـرَةْ ... والـدَّولـةِ النَّـاهيـةِ الآمِـرَه
ويـا شيـاطيـنَ بنـي آدمٍ ... ويـا عَبيـدَ الشَّهـوةِ الفـاجِـرَةْ

---

(١) في ط : كان شاعراً مطيقاً فصيحاً بليغاً مطبقاً .
(٢) تكملة من المنتظم . وفي آ : خطاياه ، وفي ظا : خطا .
(٣) المنتظم : أرحله . و : ارتحل الحرص : جعله راحلة يركبها ، كوسيلة إلى غرضه .
(٤) في ب ، ظا : أقصاه الطلب ، وفي المنتظم : أنضاه الطلب . وبعدها في ط : وروي : أنضاه الطلب ، أي أضعفه ، والأول معناه أمرضه .
(٥) في المنتظم : يشفيك .
(٦) زيادة من المنتظم .
(٧) في ب والمنتظم : عزاء . والمنتظم (٦/ ٨٤ ـ ٨٥) .
(٨) في ط : جامع يخنق ، وليس بشيء . وفي آ : يخنق . و« الصامِت » : الذهب والفضة .
(٩) البيتان في المنتظم (٦/ ٨٧) ، ومعاهد التنصيص (٢/ ٤٦) .
(١٠) في آ ، ظا : قوله . والأبيات في المنتظم (٦/ ٨٧) .

انْتَظِروا الدُّنيا فقد[١] اقتربَتْ وعــن قَليــلٍ تَلِــدُ الآخِــرَهْ

وله أيضاً[٢] :

أعـط يـا نفْـسُ وهـاتـي تــوبــةً قَبْــلَ المَمَــات
قَبْـلَ أن يفجَعَنـا الـدَّهْـ ــــرُ ببيــنٍ وشَتــات
لا تخــونينــي إذا مــتُّ وقـامَـتْ بـي نُعـاتـي[٣]
إنَّمـا الـوافـي بعَهْـدي مَـنْ وَفَـى بَعْـدَ وَفـاتـي[٤]

وقال الصُّوليّ : نظر ابن المعتزّ في حياة أبيه الخليفة إلى جاريةٍ فأعجبته ، فمرض من حبِّها ، فدخل أبوه عليه عائداً ، فقال له : كيف تجدُك؟ فأنشأ يقول :

أيُّها العـاذِلـون لا تعـذُلـونـي وانظروا حُسْنَ وَجْهِها تعذروني
وانظروا هل تَرَوْنَ أحسَنَ منها إنْ رأيْتُم شبيهَها فـاعـذُلُـونـي

ففحص أبوه عن القضية ، واستعمل خبرَ الجارية ، ثم بعث إلى سيّدها فاشتراها بسبعة آلاف دينار ، وبعثها إليه[٥] .

وقد ذكرنا أنَّ في ربيع الأول من هذه السنة اجتمع القوّاد والأعيان والقضاة على خلْعِ المقتدر وتولية عبد الله بن المعتزّ هذا ، ولقّب بالمرتضى ، أو المنتصف بالله . فما مكث في الخلافة إلا يوماً أو بعض يوم ، ثم غلب المقتدر ، وقتل عامَّةَ مَن خرج معه ، واعتقله في دار السلطان عند مؤنس الخادم ، فقُتِلَ في أوائل ربيع الآخر لليلتين خلتا منه .

ويقال : إنه أنشد في آخر يوم من حياته [وهو معتقل][٦] :

يـا نفْـسُ صَبْـراً لعـلَّ الخيـرَ عُقْبَـاكِ خـانتـكِ مِـنْ بَعْـدِ طُـولِ الأمْـنِ دنيـاكِ
مَـرَّتْ بنـا سَحَـراً طيـرٌ فقلْـتُ لهـا : طُـوبَـاكِ يـا ليتنـي إيَّـاكِ طُـوبـاكِ
إنْ كـان قَصْـدُكِ شَـرْقـاً فـالسَّـلامُ على شاطِي الصَّراةِ[٧] ابلغي إنْ كانَ مسراكِ

---

(١) في ط : وقد أدبرت ، وفي المنتظم : فقد أقربت ، وهما أصح في الوزن .
(٢) المنتظم (٦/ ٨٦) .
(٣) في ب ، ظا : نعياتي .
(٤) في آ : مماتي .
(٥) المنتظم (٦/ ٨٥) وفيه البيتان .
(٦) زيادة من ب ، ظا . والأبيات في المنتظم (٦/ ٨٨) ، ومعاهد التنصيص (٢/ ٤٥) .
(٧) في معاهد التنصيص : الفرات . . مثواك .

مِن مُوثَقٍ بالمنايا لا فَكَاكَ لَهُ ... يبكي الدِّماءَ على إلفٍ لهُ باكي
فرُبَّ آمنةٍ جاءتْ منيَّتُها ... وَرُبَّ مُفْلتةٍ مِنْ بين أشراكِ
أظنُّهُ آخرَ الأيَّامِ من عُمُرِي ... وأوشَكَ اليوم أن يبكي لِيَ الباكي

ولما قُدِّم ليقتل أنشأ يقول[١] :

فَقُلْ للشَّامِتينَ بنا رُوَيْداً ... أمَامَكُمُ المصَائبُ والخُطُوبُ
هُوَ الدَّهْرُ الذي لا بُدَّ مِنْ أنْ ... يَكُونَ إليكُمُ منهُ ذُنُوبُ

ثم كان ظهور قتله لليلتين خلتا من ربيع الأول من هذه السنة .

وقد ذكر له القاضي ابن خلكان[٢] مصنفات كثيرة ؛ منها : « طبقات الشعراء » وكتاب « أشعار الملوك » ، وكتاب « الآداب » وكتاب « البديع » ، وكتاب « في[٣] الغناء » وغير ذلك .

وذكر[٤] أن طائفة من الأمراء خلعوا المقتدر وبايعوه يوماً وليلة ، ثم تمزَّق[٥] شمله ، واختفى في بيت ابن الجصَّاص الجوهري ، ثم ظهر عليه فقُتِلَ ، وصُودر ابن الجصَّاص بألفي ألف دينار ، وبقي معه سبعمئة ألف دينار .

وكان [ابن المعتز] أسمَرَ اللون ، مدوَّر الوجه ، يخضِبُ بالسَّواد ، عاش خمسين سنة . وذكر[٦] شيئاً من كلامه وأشعاره ، رحمه الله .

محمد بن الحسين بن حبيب[٧] : أبو حَصين الوادِعي القاضي ، صاحب المسند ، من أهالي الكوفة ، وقدم بغداد ، وحدَّث بها عن أحمد بن يونس [اليربوعيّ][٨] ، ويحيى بن عبد الحميد ، وجندل بن والق . وعنه : ابنُ صاعد ، والنَّجَّاد ، والمحاملي .

قال الدَّارَقُطْني : كان ثقة . توفي بالكوفة في هذه السنة .

محمّد بن داود بن الجراح[٩] : أبو عبد الله الكاتب ، عم الوزير عليّ بن عيسى . كان من أعلم الناس

---

(١) المنتظم (٦/ ٨٨) .
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٧٧) .
(٣) هو الجامع في الغناء كما في وفيات الأعيان ، وشذرات الذهب .
(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٧٦) مع اختلاف في اللفظ .
(٥) في ب ، ظا : تفرَّق .
(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٧٧ ـ ٨٠) .
(٧) المنتظم (٦/ ٨٨) ، واللباب (٣/ ٣٤٤) ، وشذرات الذهب (٢/ ٢٢٥) .
(٨) زيادة من ط والمنتظم .
(٩) المنتظم (٦/ ٨٩) ، العبر (٢/ ١١٤) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٥) .

بالأخبار وأيام الخلفاء ، له مصنفات في ذلك . روى عن عمر بن شَبَّة وغيره ، وكانت وفاته في ربيع الأول منها ، عن ثلاث وخمسين سنة .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومئتين

فيها : غزا القاسم بن سيما الصائفة ، وفادى مؤنس الخادم الأسارى الذين بأيدي الروم .

وحكى ابن الجوزي[١] عن ثابت بن سنان : أنه رأى في أيام المقتدر ببغداد امرأةً بلا ذراعين ولا عضدين ، وإنما كفَّاها ملصقان بكتفيها ، لكن لا تعمل بهما شيئاً ، وكانت تعمل برجليها[٢] ما تعمله النساء بأيديهن ؛ من الغزل ومشط الرأس وغير ذلك .

وتأخرت الأمطار عن بغداد في هذه السنة ، وارتفعت الأسعار بها ، وجاءت الأخبار بأن مكَّة ـ شرَّفها الله ـ جاءها سيل عظيم بحيث إنَّ أركان البيت غرقت من السيول وإنَّ زمزم فاضت ، ولم ير ذلك قبل هذه السنة .

وحجَّ بالناس الفضلُ بن عبد الملك الهاشميّ .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمّد بن داود بن علي[٣] : أبو بكر الفقيه ابن الفقيه الظَّاهري ، ابن الظَّاهري . كان عالماً بارعاً أديباً شاعراً فقيهاً ماهراً ، وهو مصنف كتاب « الزّهرة » .

اشتغل على أبيه ، وتبعه في مذهبه ، وما كان يسلكه ويختاره من الطريق ويرتضيه . وكان أبوه يحبُّه ويقرِّبه ويدنيه .

قال رويم بن محمد[٤] : كنا يوماً عند داود إذ دخل عليه ابنه محمد باكياً ، فقال : ما لك ؟ قال : إنَّ الصّبيان يلقِّبونني عصفورَ الشوك . فضحك أبوه ، فاشتدَّ غضبُ ولده ، وقال لأبيه : أنت أضرُّ عليَّ منهم ، فضمَّه أبوه إليه ، وقال : لا إلَه إلَّا الله ! ما الألقاب إلَّا من السَّماء ، ما أنت يا بنيَّ إلَّا عصفور الشوك .

ولما توفي أبوه جلس ابنه محمد هذا مكانه في الحلقة ، فاستصغره الناس عن ذلك ، فسأله سائل يوماً

(١) المنتظم (٦/ ٨٩) .
(٢) في المنتظم : برجليها ورأسها .
(٣) تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٦) ، المنتظم (٦/ ٩٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ٢٥٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٩) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٦) .
(٤) المنتظم (٦/ ٩٣) .

عن حدِّ السُّكْر ، فقال : إذا عَزَبَتْ عنه الهموم ، وباح بسِرِّه المكتوم . فاستُحسن ذلك منه ، وعظم في أعين الناس[١] .

قال ابنُ الجوزي في « المنتظم »[٢] : وقد ابتُلِيَ بحبِّ صبيٍّ اسمه محمّد بن جامع ، ويقال : محمد بن زخرف ، فاستعمل العفافَ والدِّين ، ولم يزل ذلك دأبه فيه حتى كان سبب وفاته من ذلك .

قلت : فدخل في الحديث المرويِّ عن ابن عباس موقوفاً عليه ، ومرفوعاً عنه : « مَنْ عَشِقَ فكتَمَ فعفَّ فماتَ ماتَ شهيداً »[٣] .

وقد قيل عنه : إنَّه كان يبيح العِشقَ ، يعني : بشرط العفاف .

وحكى هو عن نفسه أنه لم يزل يتعشَّق منذ كان في الكتَّاب ، وأنه صنف كتاب « الزّهرة » في ذلك من صغره ، وربَّما وقف أبوه داود على بعض ذلك .

وكان يتناظر هو وأبو العبَّاس بن سُرَيج كثيراً بحضرة القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، فيتعجّب الناس من مناظرتهما وحسنهما . وقد قال له ابن سُرَيج يوماً في مناظرته : أنت بكتاب « الزّهرة » أشهر[٤] منك بهذا . فقال له : تعيِّرني بكتاب « الزّهرة » وأنتَ لا تحسن تستتمُّ قراءته ؛ وهو كتاب جمعناه هزلاً ، فاجمع أنتَ مثلَه جدّاً .

وقال القاضي أبو عمر محمد بن يوسف : كنت يوماً أنا وأبو بكر بن داود راكبين فإذا جارية تغنِّي بشيء من شعره[٥] :

أشْكُـو غَلِيـلَ فـؤادٍ أنـتَ مُتْلِفُـهُ شَكْـوَى عَليـلٍ إلـى إلْـفٍ يُعلِّلُـهُ
سُقْمي تَزيدُ على الأيَّامِ كَثْرَتُهُ وأنْـتَ فـي عُظْـم مـا ألْقَـى تُقلِّلُـهُ

---

(١) المنتظم (٦/ ٩٣) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٠٩) .
(٢) المنتظم (٦/ ٩٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١١٢) .
(٣) هذا الحديث أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (٥/ ١٥٦ و٢٦٢ و٦/ ٥٠ و٥١ و١٣/ ١٨٤) ، وابن عساكر وغيرهما ، من طريق عن سويد بن سعيد الحدثاني ، حدَّثنا عليُّ بن مسهر ، عن أبي يحيى القتات ، واتفق الأئمة المتقدمون من أهل الحديث على تضعيف هذا الحديث ، وأعلوه بسويد بن سعيد .
وله طريق آخر عن الخرائطي في اعتلال القلوب ، وهي من رواية يعقوب بن عيسى ، وهو ضعيف أيضاً ، ضعفه أهل الحديث ونسبوه إلى الكذب .
قال السخاوي في المقاصد الحسنة صفحة (٤٣٠) : ورواه ابن المرزبان عن أبي بكر الأزرق ، حدثنا سويد به موقوفاً . وقال ابن المرزبان : إن شيخه كان حديثه مرفوعاً فعاتبه فيه ، فأسقط الرفع ، ثم صار بعد يرويه موقوفاً ، وهو مما أنكره ابن معين وغيره على سويد . أقول : لم يصح مرفوعاً ، ولا موقوفاً (ع) .
(٤) في سير أعلام النبلاء : أَمْهَرُ منك بهذه الطريقة .
(٥) الأبيات في المنتظم (٦/ ٩٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١١٢) ، والوافي بالوفيات (٣/ ٥٨) .

اللهُ حَرَّمَ قتلي في الهَوَى أسَفاً وأنْتَ يا قاتِلي ظُلْماً تُحلِّلهُ

فقال أبو بكر محمد بن داود: كيفَ السَّبيل إلى استرجاع هذا؟ فقلت: هيهات! سارت به الركبان[١].

كانت وفاة محمد بن داود رحمه الله تعالى في رمضان من هذه السنة. وجلس ابن سُرَيج لعزاه، وقال: ما آسى إلا على التراب الذي أكل لسان محمد بن داود، رحمه الله تعالى[٢].

محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَة[٣]: أبو جعفر، حدَّث عن يحيى بن مَعين، وعليّ بن المَديني، وخَلْقٍ. وعنه: ابنُ صاعد، والخُلْدي، والبَاغَنْدِيّ، وغيرهم. وله كتاب في التاريخ وغيره من المصنفات، وقد وثَّقَه صالح بن محمد جَزَرة وغيره. وكذَّبه عبد الله بن الإمام أحمد، فقال: هو كذَّاب بيِّن[٤] الأمر، وتعجَّب ممن يروي عنه. كانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة.

محمد بن طاهر بن عبد الله بن الحسين بن مُصْعَب[٥]: من بيت الإمارة والحشمة، باشَرَ نيابة العراق مدة [ثم خراسان][٦]، ثم ظفر به يعقوب بن الليث في سنة ثمان وخمسين، فأسره وبقي معه يطوف به في الآفاق أربع سنين، ثم نجا في بعض الوقَعات[٧] بنفسه، ولم يزل مقيماً ببغداد إلى أن توفي في هذه السنة.

موسى بن إسحاق[٨]: ابن موسى بن عبد الله أبو بكر الأنصاري الخَطْمِيّ، مولده سنة عشر ومئتين، سمع أباه، وأحمد بن حنبل، وعليّ بن الجَعْد، وغيرهم. وحدَّث عنه النَّاس وهو شاب وقرؤوا عليه القرآن. وكان ينتحِلُ مَذهَب الشافعي، وولي قضاء الرّيّ والأهواز. وكان ثقة فاضلاً نبيلاً عفيفاً فصيحاً، كثير الحديث. وتوفي في المحرم من هذه السنة.

يوسف بن يعقوب[٩]: ابن إسماعيل بن حمّاد بن زيد، والد القاضي أبي عمرو محمد بن يوسف،

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٨).
(٢) تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٩)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١١٢).
(٣) تاريخ بغداد (٣/ ٤٢)، المنتظم (٦/ ٩٥)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٦١)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢١)، الوافي بالوفيات (٤/ ٨٢)، طبقات الحفاظ (٢٨٧)، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٦).
(٤) قوله: بيِّن الأمر لم يرد في آ، وأثبته من ط والمنتظم. وهو في ب، ظا: سيىء الأمر.
(٥) تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٧)، المنتظم (٦/ ٩٦)، الوافي بالوفيات (٣/ ١٦٥).
(٦) زيادة من ط.
(٧) في آ: الأوقات.
(٨) تاريخ بغداد (١٣/ ٥٢)، المنتظم (٦/ ٩٦)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٦٨)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٧٩)، طبقات الحفاظ (٢٩١)، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٦).
(٩) تاريخ بغداد (١٤/ ٣١٠)، المنتظم (٦/ ٩٦)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٨٥)، طبقات الحفاظ (٢٨٧)، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٧).

قاتل الحلاج ، وكان يوسف بن يعقوب هذا أيضاً من أكابر القضاة وأعيان العلماء . ولد سنة ثمان ومئتين . وسمع سليمان بن حَرْب ، وعمرو بن مَرزوق ، وهُدْبَة ، ومُسَدّداً ، وغيرهم .

وكان ثقة ، قد ولي قضاء البصرة وواسط والجانب الشرقي من بغداد ، وكان ثقة ، نزهاً ، عفيفاً ، شديد الحرمة ، جاءه يوماً بعضُ خدم الخليفة المعتضد فترفَّع[١] في المجلس [على خصمه][٢] ، فأمره حاجب القاضي أن يساويَ خصمَه ، فامتنع إدلالاً بجاهه عند الخليفة ، فنهره[٣] القاضي ، وقال : ائتوني بدلال النخس حتى أبيعَ هذا العبدَ وأبعثَ بثمنه إلى الخليفة ، وجاء حاجب القاضي فأخذه بيده وأجلسه مع خصمه ، فلمَّا انقضت الحكومة رجع الخادم إلى المعتضد فبكى بين يديه ، وأخبره بما قال القاضي .

فقال : والله لو باعك لأجزْتُ بيعه ، ولما استرجعتك أبداً ، فليس خصوصيتك عندي تزيل مرتبة الحكم ؛ فإنَّه عمود السُّلطان وقوام الأديان[٤] . كانت وفاته في رمضان من هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومئتين

فيها : قدم القاسم بن سيما من بلاد الروم ، فدخل بغداد ومعه الأسارى والعُلُوج[٥] بأيديهم أعلام عليها صلبان من ذهب ، وخلق من الأسارى .

وفيها : قدمت [على الخليفة المقتدر بالله][٦] هدايا من نائب خراسان أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني ؛ من ذلك : مئة وعشرون غلاماً بمراكبهم وأسلحتهم وما يحتاجون إليه ، وخمسون بازياً ، وخمسون جملاً تحمل مرتفع الثياب ، وخمسون رطلاً من مسك .

وفيها : فلج القاضي عبد الله بن عليّ بن محمّد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، فقُلّد مكانه على الجانب الشرقي والكَرْخ ابنه محمد .

وفي شعبان منها أخذ رجلان يقال لأحدهما : أبو كبيرة[٧] والآخر يعرف بالشمري . فذكرا أنهما من أصحاب رجل يقال له : محمد بن بشر ، وأنه يدَّعي الربوبية ، لعنهم الله تعالى .

---

(١) في آ : فرفع ، وفي المنتظم : فارتفع .
(٢) زيادة من ط .
(٣) في آ : فزبره .
(٤) المنتظم (٦/ ٩٦ ـ ٩٧) .
(٥) « العُلوج » : جمع عِلْج ، وهو الواحد من الكفار .
(٦) زيادة من ب ، ظا .
(٧) في الأصول غير معجمة ، وفي المنتظم : أبو كثيرة ، والمثبت من ط .

وفيها : وردت الأخبار أنَّ الروم قصدت اللاذقية .

وفيها : وردت الأخبار بأن ريحاً صفراء هبَّت بحديثة الموصل ، فمات من حرِّها خَلْق كثير .

وحجَّ بالناس الفضل الهاشميّ .

ومِمن توفي فيها من الأعيان المشاهير :

ابن الرَّاوَنْديّ[١] : **أحمد بن يحيى بن إسحاق** ، أبو الحسين ، المعروف بابن الرَّاوندي ، أحد مشاهير الزَّنادقة الملحدين ، عليه اللعنة من رب العالمين . كان أبوه يهودياً فأظهر الإسلام ، فيقال : إنه حرَّف في التوارة ، كما عادَى ابنُه القرآن وألحَدَ فيه ، وصنَّف كتاباً في الرَّدِّ على القرآن سمَّاه « الدامغ » ، وكتاباً في الرَّدِّ على الشريعة والاعتراض عليها سمَّاه « الزُّمرّد »[٢] ، وله كتاب « التاج » في معنى ذلك ، وكتاب « الفريد » ، وكتاب « إمامة المفضول » .

وقد انتصب للردِّ عليه في كتبه هذه جماعة ؛ منهم : الشيخ أبو علي محمّد بن عبد الوهاب الجُبَّائي ، شيخ المعتزلة في زمانه ، وقد أجاد[٣] في ذلك . وكذلك ولده أبو هاشم عبد السَّلام بن أبي علي .

قال الشيخ أبو علي الجُبَّائي : قرأت كتاب الملحد الجاهل السفيه ابن الرَّاونديّ ، فلم أجد فيه إلا السفَهَ والكذبَ والافتراءَ ، قال : وقد وضع كتاباً في قِدَم العالَم ونفي الصانع ، وتصحيح مذهب الدَّهر ، والرَّدِّ على أهل التوحيد . ووضع كتاباً في الرَّدِّ على محمد ﷺ في سبعة عشر موضعاً من كتابه ، ونسبه إلى الكذب ، وطعن على القرآن ، ووضع كتاباً لليهود والنصارى على المسلمين ، يحتجُّ لهم فيها على إبطال نبوَّة محمدٍ ﷺ ، إلى غير ذلك من الكتب التي يتبين بها خروجه عن الإسلام ؛ نقله ابنُ الجوزيّ[٤] .

وقد أورد الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في « منتظمه »[٥] طرفاً من كلامه الملعون في الطعن على الآيات والشريعة ؛ وردَّ عليه في ذلك ، وهو أقلُّ وأخسُّ من أن يلتفت إلى شيء من جهله وهذيانه وسفهه وخذلانه وتمويهه وترويجه وطغيانه . وقد أسند إليه حكايات من المسخرة[٦] والاستهتار والكفريات الكبار ؛ منها ما هو صحيح عنه ، ومنها ما هو مفتعل عليه ممن هو مثله ، وعلى مسلكه في الكفر والتستر

---

(١) المنتظم (٦/ ٩٩) ، وفيات الأعيان (١/ ٩٤) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٩) ، الوافي بالوفيات (٨/ ٢٣٢) ، النجوم الزاهرة (٣/ ١٧٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٣٥) .

(٢) في ط والسير : الزُّمرُّدَة .

(٣) في آ : صنف .

(٤) المنتظم (٦/ ١٠١) .

(٥) المنتظم (٦/ ١٠١ _ ١٠٥) .

(٦) تقرأ في الأصول : المرعزة ، وأثبت ما جاء في ط .

بالمسخرة[١] ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة : ٦٥ ـ ٦٦] . الآية .

وقد كان أبو عيسى الورَّاق مصاحباً لابن الرَّاوندي هذا ، قبَّحهما الله ، فلمَّا علم الناس بأمرهما طلب السُّلطانُ أبا عيسى فأودِعَ السجن إلى أن مات . وأمَّا ابنُ الرَّاوندي فهرب ولجأ إلى ابن لاوي اليهودي ، وصنَّف له كتابه الذي سماه « الدامغ للقرآن » ، فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى مات ، لعنه الله . ويقال : إنه أخذ وصُلب .

قال أبو الوفاء بن عَقيل[٢] : ورأيت في كتاب محقَّق أنه عاش ستاً وثلاثين سنة مع ما انتهى إليه من التوغّل في المخازي ، لعنه الله وقبَّحه ، ولا رحم عظامه .

وقد ذكره القاضي ابن خلكان في « الوفيات »[٣] ودلّس عليه[٤] ، ولم يخرجه بشيء[٥] ، وأرَّخ وفاته في سنة خمس وأربعين ومئتين .

الجُنَيْد شيخ الصوفية ، رحمه الله[٦] : الجُنَيْد بن محمد بن الجُنَيْد ، أبو القاسم الخزَّاز ، ويقال : القَوارِيري ، أصله من نَهاوَنْد ، ولد ببغداد ونشأ بها . وسمع الحديث من الحسن[٧] بن عَرَفَة . وتفقه بأبي ثَور إبراهيم بن خالد الكلبي ، وكان يفتي بحضرته وعمره عشرون سنة ، وقد ذكرناه في « طبقات الشافعية » ، واشتهر بصحبة الحارث بن أسد المُحاسبي ، وخاله سَرِيّ السَّقطي ، ولازم التعبُّد[٨] ، وتكلم على طريقة التصوف .

---

(١) بعدها في ط : يخرجونها في قوالب مسخرة وقلوبهم مشحونة بالكفر والزندقة ، وهذا كثير موجود فيمن يدعي الإسلام وهو منافق ، يتمسخرون بالرسول ودينه وكتابه ، وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم . . .

(٢) المنتظم (٦/ ١٠٥) .

(٣) وفيات الأعيان (١/ ٩٤ ـ ٩٥) .

(٤) في ب ، ظا ، ط : قلس . و« التدليس » : كتمان العيب .

(٥) بعدها في ط : ولا كأن الكلب أكل له عجيناً ، على عادته في العلماء والشعراء ؛ فالشعراء يطيل تراجمهم ، والعلماء يذكر بهم ترجمة يسيرة ، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم . وأرخ ابن خلكان تاريخ وفاته سنة خمس وأربعين ومئتين ، وقد وهم وهماً فاحشاً ، والصحيح أنه توفي في هذه السنة ، كما أرخه ابن الجوزي وغيره .

(٦) حلية الأولياء (١٠/ ٢٥٥) ، تاريخ بغداد (٧/ ٢٤١) ، المنتظم (٦/ ١٠٥) ، صفة الصفوة (٢/ ٤١٦) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦) ، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٦٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٨) .

(٧) في ط : « الحسين » محرف ، وهو من رجال التهذيب ، وصاحب الجزء المشهور .

(٨) بعدها في ط : ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة .

وكان ورده في كلِّ يوم ثلاثمئة ركعة ، وثلاثين ألف تسبيحة[١] . ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش ، وكان مع ذلك يعرف سائر فنون العلم[٢] ، رحمه الله .

ولما حضرته الوفاة جعل يتلو القرآن ، فقيل له : لو رفقت بنفسك ؟ فقال : ما أحدٌ أحوج إلى ذلك منّي الآن ، وهذا أوان طيّ صحيفتي .

قال القاضي ابن خلكان[٣] : أخذ الفقه عن أبي ثَور ، صاحب الشافعي ، ويقال : كان يتفقه على مذهب الثوري ، وكان ابن سُرَيج يصحبه ويلازمه ، [وربما استفاد منه أشياء في الفقه لم تخطر له ببال ، ويقال : إنه سأله مرة عن مسألة ، فأجابه فيها بجوابات كثيرة ، فقال : يا أبا القاسم ! لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت ، فأعِدْها عليَّ ، فأعادها بجوابات أخرى كثيرة . فقال : والله ما سمعت هذا قبل اليوم ، فأعده . فأعاده بجوابات أخرى غير ذلك ، فقال له : لم أسمع بمثل هذا فأمْلِهِ عليَّ حتى أكتبه . فقال الجُنَيْد : لئن كنت أجريه فأنا أمليه ، أي إن الله هو الذي يجري ذلك على قلبي وينطق به لساني ، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلُّم ، وإنما هذا من فضل الله عزَّ وجلَّ يلهمنيه ويجريه على لساني . فقال : فمن أين استفدت هذا العلم ؟ قال : من جلوسي بين يدي الله أربعين سنة . والصحيح أنه كان على مذهب سفيان الثوري وطريقه ، والله أعلم][٤] .

قال[٥] : وسئل الجُنَيْد عن العارف ؟ فقال : مَنْ نطق بسرّك وأنت ساكت . كان يقول : مذهبنا هذا مقيَّد بالكتاب والسنة ، [فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يُقْتَدَى به في مذهبنا وطريقتنا][٦] .

ورأى بعضهم معه مِسْبَحَة ، فقيل له : أتتخذ مِسْبَحَة مع شرفك ؟ فقال : طريقٌ وصلت به إلى الله لا أفارقه .

وقال له خاله سَرِيُّ السَّقَطي : تكلم على الناس ، فلم ير نفسه لذلك أهلاً[٧] . فرأى في النوم رسولَ الله ﷺ ، وهو يقول : تكلم على الناس . فغدا على خاله ، فقال له خاله[٨] : لم تصدقنا حتى قيل

---

(١) المنتظم (٦/ ١٠٦) .
(٢) بعدها في ط ، وإذا أخذ فيها لم يكن له فيها وقفة ولا كبوة ، حتى كان يقول في المسألة الواحدة وجوهاً كثيرة لم تخطر للعلماء ببال ، وكذلك التصوف وغيره .
(٣) وفيات الأعيان (١/ ٣٧٣) .
(٤) ما بين قوسين لم يرد في الأصول ولا في الوفيات ، وهي من زيادات المطبوع .
(٥) وفيات الأعيان (١/ ٣٧٣) .
(٦) زيادة من ط .
(٧) في ب ، ظا ، ط : موضعاً .
(٨) لفظة خاله لم ترد في ب ، ظا ، ط .

لك . قال : فتكلم على الناس ، فجاءه يوماً شاب نصراني في صورة مسلم ، فقال له : ما معنى قول النبي ﷺ : « اتَّقُوا فَرَاسَةَ المُؤْمِنِ فإنَّه يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ »[١] ؟ قال : فأطرقت ، ثم رفعت رأسي إليه ، فقلت له : أسلِمْ ، فقد آن وقت إسلامك . قال : فأسلَمَ الغلام[٢] .

وقال الجُنَيْد : ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتها من جاريةٍ تغنِّي بها في غرفة ، وهي تقول[٣] :

إذا قُلْتُ أَهْدَى الهَجْرُ لي حُلَلَ البِلى ... تَقُولينَ لولا الهَجْرُ لم يَطِبِ الحُبُّ

وإن قلْتُ هذا القلبُ أحرَقَهُ الجَوَى ... تقولي بنيرانِ الجَوَى شَرُفَ القَلْبُ

وإن قلْتُ ما أذنبْتُ ، قالَتْ مُجيبةً ... حيـاتُـكَ ذَنْـبٌ لا يُقـاسُ بـه ذَنْـبُ

قال : فصعقْتُ وصحْتُ ، فخرَجَ صاحبُ الدَّار ، فقال : يا سيدي ، ما لَكَ ؟ قلت : مما سمعت . قال : هي هبة منّي إليك . فقلت : قد قبلْتُها ، وهي حُرّة لوجه الله . ثم زوَّجتُها لرجلٍ ، فأولدها ولداً صالحاً ، حجَّ على قدميه ثلاثين حجة .

سعيد بن إسماعيل[٤] : ابن سعيد بن منصور ، أبو عثمان الواعظ . ولد بالرَّيِّ ، ونشأ بها ، ثم انتقل إلى نَيْسَابور فسكنها إلى أن مات ، وقد دخل بغداد . وكان يقال : إنه مجاب الدعوة .

قال الخطيب[٥] : أخبرنا عبد الكريم بن هوازن ، قال : سمعت أبا عثمان يقول : منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حالٍ كرهته ، ولا نقلني إلى غيره فسخطته .

وكان أبو عثمان ينشد[٦] :

أسأتُ ولم أحسِنْ ، وجئتُكَ هارباً ... وأيـنَ لِعَبْـدٍ مـن مَـوَالِيـهِ مَهـربُ ؟

يـؤمِّـلُ غُفـرانـاً ، فـإنْ خَـابَ ظنُّـه ... فمـا أحَـدٌ منـهُ علـى الأرضِ أخْيَـبُ

---

(١) رواه الترمذي في سننه رقم (٣١٢٧) في التفسير ، تفسير سورة الحجر ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفي سنده عطية بن سعد العوفي ، وهو ضعيف ، ورواه أيضاً البخاري في تاريخه عن عطية أيضاً ، ورواه الطبراني وابن عدي عن أبي أمامة ، وابن جرير عن ابن عمر ، وكلها ضعيفة ، وهو في المقاصد الحسنة صفحة(١٩) .

(٢) شذرات الذهب (٣/ ٤١٦ ـ ٤١٧) .

(٣) شذرات الذهب (٣/ ٤١٧ ـ ٤١٨) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٧٤) .

(٤) طبقات الصوفية (١٧٠) ، حلية الأولياء (١٠/ ٢٤٤) ، تاريخ بغداد (٩/ ٩٩) ، المنتظم (٦/ ١٠٦) ، صفة الصفوة (٤/ ١٠٣) ، وفيات الأعيان (٢/ ٣٦٩) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٢) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٣٠) .

(٥) تاريخ بغداد (٩/ ١٠١) ، المنتظم (٦/ ١٠٧) .

(٦) المنتظم (٦/ ١٠٧) .

وروى الخطيب[١] عنه أنه سئل : أي أعمالك أرجى عندك ؟ فقال : إنِّي لمَّا ترعرعْتُ وأنا بالرَّيِّ وكانوا يريدونني على التزويج فأمتنع ، فجاءتني امرأة فقالت : يا أبا عثمان قد أحببتك حبّاً أذهب نومي وقراري ، وأنا أسألك بمقلِّب القلوب [وأتوسَّل به إليك][٢] لما تزوجتني . فقلت : ألكِ والد ؟ قالت : نعم . فأحضرته ، فاستدعى بالشهود فتزوجتها ، فلما خلوْتُ بها إذا هي عوراء عَرْجاء ، مشوَّهة الخَلْق ، فقلت : اللهم لك الحمدُ على ما قدَّرته لي ، وكان أهلي[٣] يلومونني على تزويجي بها ، فكنت أزيدها [بِرّاً و][٤] إكراماً ، وربما احتبستني عندها ومنعتني من الحضور في بعض المجالس ، وكأني في بعض أوقاتي على الجمر ، وأنا لا أبدي لها من ذلك شيئاً . فمكثتُ كذلك خمس عشرة سنة ، فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي .

سَمْنُون بن حَمزة[٥] : ويقال : ابن عبد الله ، أحد مشايخ الصوفية ، كان وِرْدُه في كلِّ يومٍ وليلة خمسمئة ركعة ، وسمَّى نفسه الكذَّاب ، لدعواه في قوله[٦] :

فليس لي في سِوَاك حَظٌّ   فكيفما شئتَ فامتَحِنِّي

فابتلي بحصار[٧] البول ، فكان يدور على المكاتب ويقول للصبيان : ادعوا لعمّكم الكذَّاب ، وكان له كلام متين في المحبّة ، وقد وُسوِسَ في آخر عمره ، وكلامه في المحبة مستقيم كما كان .

صافي الحرمي[٨] : من أكابر أمراء الدولة العباسية ورؤوس الدولة المقتدرية . أوصى في مرضه أن ليس له عند غلامه القاسم شيء ، فلمَّا توفي حَمَلَ غلامُه القاسمُ إلى الوزير مئة ألف دينار وسبعمئة وعشرين منطقة من ذهب مكلَّلة ، فاستمرَّ غلامُه على إمرته ومنزلته .

إسحاق بن حُنَيْن بن إسحاق[٩] : أبو يعقوب العِبَادي ، نسبة إلى قبائل الجزيرة . الطبيب بن الطبيب ، له ولأبيه مصنَّفات كثيرة في هذا الشأن ، وكان أبوه يعرب كلام أرسطاطاليس وغيره من حكماء اليونان . توفي في هذه السنة .

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ١٠١) ، والمنتظم (٦/ ١٠٧) .
(٢) زيادة من ط .
(٣) في ط : أهل بيتي .
(٤) زيادة من ط .
(٥) حلية الأولياء (١٠/ ٣٠٩) ، تاريخ بغداد (٩/ ٢٣٤) ، المنتظم (٦/ ١٠٨) ، صفة الصفوة (٢/ ٤٢٦) .
(٦) المنتظم (٦/ ١٠٨) ، حلية الأولياء (١٠/ ٣١٠) ، تاريخ بغداد (٩/ ٢٣٥) .
(٧) في ب ، ط : بعسر البول .
(٨) المنتظم (٦/ ١٠٨) .
(٩) طبقات الأطباء (١/ ٢٠١) ، والفهرست (١/ ٢٩٨) ، ووفيات الأعيان (١/ ٢٠٥) .

الحسين بن أحمد بن محمّد بن زكريّا[١] : أبو عبد الله الشِّيعي ، الذي أقام الدعوة للمهديّ ، عُبَيْد الله ابن مَيْمون الذي يزعم أنه فاطميّ ، وقد زعم غيرُ واحد من أهل التاريخ أنه كان يهودياً صبّاغاً بسلمية .

والمقصود الآن : أن أبا عبد الله الشيعيّ هذا دخل بلاد إفريقية وحدَه لا مال معه ولا رجال ، فلم يزل يعمل الحيلة حتى انتزع الملك من يدي أبي نَصْر زيادة الله ، آخر ملوك بني الأغلب على بلاد إفريقية ، واستدعى حينئذ مخدومَه المهديَّ من بلاد الشرق ، فقدِمَ ، فلم يخلص إليه إلا بعد شدائدَ طوال ، وحُبس في أثناء الطريق ، فاستنقذه الشِّيعي وسلَّمه المملكة ، فندّمه أخوه أحمد ، وقال له : ماذا صنعتَ ؟ وهلا[٢] كنت أنا استبددت بالأمر دون هذا ؟ فندم ، وشَرَعَ يعمل الحيلة على المهديّ ، فاستشعر المهديُّ بذلك ، فدسَّ إليهما مَنْ قتلهما في هذه السنة . وكان قَتْلُهما بمدينة رَقَّادة من بلاد القَيْروان ، من إقليم إفريقية . هذا ملخص من كلام ابن خلكان[٣] .

ثمّ دخلت سنة تسع وتسعين ومئتين

قال ابن الجوزي[٤] : فيها ظهرت ثلاثة كواكب مذنّبة ؛ أحدها في رمضان ، واثنان[٥] في ذي القعدة ، تبقى أياماً ثم تضمحل .

ووقع طاعون بأرض فارس مات بسببه سبعة آلاف إنسان .

وغضب الخليفة على الوزير عليّ بن محمّد بن الفرات ، وعزله عن الوزارة ، وأمر بنهب دوره[٦] ، فنهبت أقبح نهب . واستُوزر أبو علي محمّد بن عُبيد الله[٧] بن يحيى بن خاقان ، وكان قد التزم لأم المقتدر[٨] بمئة ألف دينار ، حتى سعت في ولايته .

---

(١) وفيات الأعيان (٢/ ١٩٢) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٨) ، العبر (٢/ ١١٠) ، الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٢٨) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٧) .

(٢) في آ : وهلا كنت ذلك ، فدس . . .

(٣) وفيات الأعيان (٢/ ١٩٢ ـ ١٩٤) . و« رقَّاده » : مدينة من أعمال القيروان .

(٤) المنتظم (٦/ ١٠٩) .

(٥) في آ : والثاني .

(٦) في آ ، ط : داره ، والمثبت من ب ، ظا ، والمنتظم .

(٧) في ط : « عبد الله » محرف . وينظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٧٤) .

(٨) في آ ، ط والمنتظم : لأم ولد المعتضد ، وهو تحريف ، وصححت من ب ، ظا . وهي : شغب ، أم جعفر ، المقتدر بالله ، كانت من جواري المعتضد بالله ، وأعتقها وتزوجها ، ولما آلت الخلافة إلى ابنها المقتدر سنة ٢٩٥هـ ، وعمره ثلاث عشرة سنة ، قامت بتوجيهه ، واستولت على أمور الخلافة .

وفيها : وردت هدايا كثيرة من الأقاليم من ديار مصر وخراسان وغيرها ؛ من ذلك خمسمئة ألف دينار من الديار المصرية استخرجت من كنز وجد هنالك من غير موانع ، كما يدَّعيه كثير من جهلة بني آدم ، حيلة ومكراً وخديعة ؛ ليأكلوا أموال العوام(١) والجهلة الطغام من قليلي العقول والأحلام ، وقد وجد في هذا الكنز ضلع إنسان طوله أربعة(٢) عشر شبراً ، وعرضه شبر ، وذكر أنه من قوم عاد ، فالله أعلم .

وكان من جملة هدية مصر تيس له ضرع يحلب لبناً . ومن ذلك بساط أرسله ابن أبي السَّاج [في جملة هداياه](٣) ، طوله سبعون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً ، عُمِل في عشر سنين لا قيمة له . وهدايا فاخرة أرسلها أحمد بن إسماعيل بن أحمد السَّاماني من بلاد خراسان كثيرة جداً .

وحجَّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي العباسي ، أمير الحجيج من مدة سنين متطاولة .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن نَصْر بن إبراهيم أبو عمرو الخَفَّاف(٤) : الحافظ . كان يذاكر بمئة ألف حديث ، سمع إسحاق بن رَاهَوَيْه وطبقته ، وكان كثير الصّيام ، سرده نيفاً وثلاثين سنة ، وكثير الصدقة ، سأله سائل فأعطاه درهمين ، فحمد الله فجعلها خمسةً ، فحمد الله فجعلها عشرة ، ثم ما زال يزيده حتى بلغ مئة . فقال : جَعَلَ الله عليك واقيةً باقية ! فقال للسائل : والله لو لزمت الحمدَ لأزيدنَّك ، ولو إلى عشرة آلاف درهم .

بُهْلُول بن إسحاق بن بُهْلُول(٥) : ابن حسَّان بن سنان ، أبو محمّد التَّنُوخيّ . سمع إسماعيل بن أبي أُوَيْس ، وسعيد بن منصور ، ومصعباً الزبيري وغيرهم . وعنه جماعة آخرهم أبو بكر [الإسماعيلي](٦) الجرجاني الحافظ ، وكان ثقة ، ضابطاً ، بليغاً ، فصيحاً في خطبته . توفي في هذه السنة عن خمس وتسعين سنة ، رحمه الله ، آمين .

الحسين(٧) بن عبد الله بن أحمد أبو علي الخِرَقي(٨) : صاحب المختصر في الفقه على مذهب الإمام

---

(١) في آ : الأغشام .
(٢) في ط : أربعة أشبار .
(٣) ما بين قوسين لم يرد في آ .
(٤) المنتظم (٦/ ١١٠) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٥٤) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٦٠) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٣١) .
(٥) تاريخ بغداد (٧/ ١٠٩) ، المنتظم (٦/ ١١٠) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٣٥) ، شذرات الذهب (٢/ ٢٢٨) .
(٦) زيادة من ط والمنتظم .
(٧) من هنا وحتى بداية ترجمة الصنوبري بعد أربع صفحات ساقط من نسخة آ ، وهو موجود في ب ، ظا ، ط .
(٨) المنتظم (٦/ ١١١) ، اللباب (١/ ٤٣٥) ، وفيهما : أبو علي الخرقي ، والد عمر صاحب المختصر .

أحمد بن حنبل . وكان خليفة المروذيّ . توفي يوم عيد الفطر ، ودفن عند قبر [الإمام][١] أحمد [بن حنبل][٢] .

محمد بن إسماعيل أبو عبد الله المغربيّ[٣] : تلميذ علي بن رزين ، وهو أستاذ إبراهيم الخوّاص ، كانت له أحوال صالحة جداً ، وقد عمّر هو وشيخه كل واحد منهما عشرين ومئة سنة .

وحجّ أبو عبد الله المغربيّ على قدميه سبعاً وتسعين حجّة ، وكان يمشي في الليل المظلم حافياً كما يمشي الرجل في ضوء النهار ، وكان المشاة يأتمُّون به فيرشدهم إلى الطريق ، وقال : ما رأيت ظلمةً منذ سنين كثيرة ، وكانت قدماه مع كثرة مشيه كأنهما قدما عروس مترفة ، وله كلامٌ مليحٌ نافع . ولما مات أوصى أن يُدفن إلى جانب شيخه عليّ بن رزين ، [فهما][٤] على جبل الطور .

[قال أبو نعيم[٥] : كان أبو عبد الله المغربيّ من المعمّرين ، توفي عن مئة وعشرين سنة ، وقبره بجبل طور سيناء ، عند قبر أستاذه عليّ بن رزين . قال أبو عبد الله : أفضلُ الأعمال عمارة الأوقات [بالموافقات] . وقال : الفقيرُ هو الذي لا يرجع إلى مستند في الكون غير الالتجاء إلى من إليه فقرُه ؛ ليعينه بالاستعانة[٦] ، كما عزّره بالافتقار إليه . وقال : أعظمُ النَّاس ذلاً فقيرٌ داهَنَ غنيّاً وتواضع له ، وأعظمُ النَّاس عزّاً غنيٌّ تذلَّلَ لفقيرٍ أو حفظ حرمته][٧] .

محمد بن أبي بكر بن أبي خَيْثَمة[٨] : أبو عبد الله الحافظ ، ابن الحافظ . كان أبوه يستعين به في جمع التاريخ ، وكان فهماً حاذقاً عارفاً حافظاً ، توفي في ذي القعدة من هذه السنة .

ابن كَيْسان النَّحويّ[٩] : محمد بن أحمد بن كَيْسان النّحويّ . أحد حفاظه والمكثرين فيه ، كان يحفظ طريقة البصريين والكوفيين معاً . قال ابن مجاهد المقرىء : كان ابن كَيْسان أنحى من الشيخين ؛ المبرّد وثعلب .

---

(١) زيادة من ط ، وفي المنتظم : دفن بباب حرب عند قبر الإمام أحمد بن حنبل .
(٢) زيادة من (ط)
(٣) المنتظم (٦/ ١١٣) ، وطبقات الصوفية (٢٣٨) ، وحلية الأولياء (١٠/ ٣٣٥) .
(٤) زيادة من ط .
(٥) حلية الأولياء (١٠/ ٣٣٥) والزيادة منه . وطبقات الصوفية للسلمي (٢٤٠ـ٢٤١) .
(٦) في الحلية : بالاستغناء به .
(٧) ما بين قوسين زيد في المطبوع نقلاً عن النسخة المصرية .
(٨) المنتظم (٦/ ١١٣) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٤٢) .
(٩) المنتظم (٦/ ١١٤) ، معجم الأدباء (١٧/ ١٣٧) ، العبر (٢/ ١١٣) .

محمد بن يحيى[١] : أبو سعيد ، سكن دمشق ، روى عن إبراهيم بن سعيد الجَوهريّ ، وأحمد بن منيع ، وابن أبي شيبة وغيرهم . روى عنه أبو بكرة النقَّاش وغيره . وكان يُعرف محمد بن يحيى هذا بحامل كفنه ، وسبب ذلك ما ذكره الخطيب[٢] البغدادي ، قال :

بلغني : أنَّه تُوفِّي فغسِّل وكُفِّن وصُلِّيَ عليه ودُفن ، فلمَّا كان الليل جاءه نبَّاش ، ففتح عليه قبره . فلمَّا حلَّ عنه كفنه استوى جالساً ، وفرَّ النبَّاش [هارباً من الفزع][٣] ، ونهض محمد بن يحيى هذا ، وأخذ معه كفنه وخرج من القبر ، وقصد منزله ، فوجد أهله وهم يبكون عليه ، فدقَّ عليهم الباب ، فقالوا : من هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقالوا : يا هذا ، لا يحلُّ لك أن تزيدنا حزناً إلى حزننا . فقال : افتحوا ، فوالله أنا فلان ، فعرفوا صوته ، وفتحوا له ، فلما رأوه فرحوا به فرحاً شديداً [وأبدل الله حزنهم سروراً][٤] ، وذكر لهم ما كان من أمره . وكأنه كان قد أصابته سكتة ، ولم يكن قد مات حقيقة ، فقدَّر الله بحوله وقدرته وقوَّته له هذا النبَّاش ، ففتح عليه قبره ، فكان ذلك سبب حياته بعد ذلك مدة ، ثم كانت وفاته في هذه السنة .

فاطمة القهرمانة[٥] : غضب عليها المقتدِرُ مرَّة فصادرها ، فكان في جملة ما أخذ منها مئتا ألف دينار ، ثم غرقت في طيارة[٦] لها في هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثلثمئة من الهجرة النبوية

فيها : كثر ماء دجلة وتراكمت الأمطار ببغداد ، وتناثرت نجومٌ كثيرة في ليلة الأربعاء لسبعٍ بقين من جمادى الآخرة .

وفيه : كثرت الأمراض ببغداد والأسقام والآلام ، وكلِبَت الكلاب ، حتى الذّئاب بالبادية ، وكانت تقصد الناس والبهائم ، فمن عضَّته أهلكته .

وفيها : انحسر جبلٌ بالدِّينَور يعرف بالتل ، فخرج من تحته ماء عظيم غرّق عِدَّةً من القرى .

وفيها : سقطت شِرْذِمة من جبل لبنان إلى البحر .

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٤٢٣) ، والمنتظم (٦/ ١١٤) .

(٢) تاريخ بغداد (٣/ ٤٢٤) .

(٣) زيادة من ط ، وفي تاريخ بغداد هارباً منه وعاد حزنهم فرحاً .

(٤) زيادة من ط .

(٥) هذه الترجمة سقطت من ظا ، وهي ساقطة من نسخة (آ) ، وهي في ب ، ط . المنتظم (٦/ ١١٢) .

(٦) في المنتظم : ركبت في طيارها في آخر شعبان ، فغرقت تحت الجسر في يوم ريح عاصف ، وأخرجت بعد يومين .

وفيها : حملت بَغْلَةٌ ووضعَتْ مُهْرَة .

وفيها : صُلب الحسين بن منصور الحلاج[١] وهو حي أربعة أيام ؛ يومين في الجانب الشرقي ، ويومين في الجانب الغربي ، وذلك في ربيع الأول منها .

وحجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشميّ العباسيّ ، أثابه الله وتقبَّل منه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الأحوص بن المفضّل[٢] : ابن غسان بن المفضّل بن معاوية بن خالد بن غلاب ، أبو أميّة الغلابي ، القاضي بالبصرة وغيرها ، روى عن أبيه « التاريخ » . استتر عنده مرّة ابنُ الفرات ، فلمَّا أعيد إلى الوزارة ولاه قضاءَ البصرة والأهواز وواسط .

وكان عفيفاً نزهاً ، فلمَّا نُكب ابنُ الفرات قبض عليه نائبُ البصرة فأودعه السجن ، فلم يزل به حتى مات فيه .

قال ابن الجوزي[٣] : ولا نعلم قاضياً مات في السجن سواه .

عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر[٤] : ابن الحسين بن مصعب ، أبو أحمد الخُزَاعي ، ولي إمرة بغداد . وحدَّث عن الزُّبير بن بكَّار . وعنه : الصّولي ، والطَّبرانيّ ، وكان أديباً فاضلاً ، شاعراً ، ومن شعره[٥] :

حــقُّ التنــائـي بيــنَ أهــلِ الهــوى   تكَــاتُــبٌ يُسْخِــنُ عَيْــنَ النَّــوَى
وفـي التَّـدَانـي ـ لا انقضَـى عُمْـرُهُ ـ   تَــزَاورٌ يَشْفِــي غَليــلَ الجَــوَى

وقد اتفق أنَّ جارية له كانت حظية عنده جداً ، مرضت فاشتهت ثلجاً ، فلم يوجد إلا عند رجلٍ ، فساومه الوكيل على رطلٍ منه ، فامتنع من بيعه إلا كُلّ رطلٍ بخمسة آلاف درهم ، وذلك لعلم صاحب البضاعة بالحال . فرجع الوكيل ليشاوره ، فقال : ويلك ! اشتره[٦] ولو بما كان ، فرجع ، فقال له صاحبُ الثلج : لا أبيعه إلا بعشرة آلاف ، فاشتراه بعشرة آلاف . ثم اشتهت الجارية ثلجاً أيضاً ، وذلك

---

(١) قتل الحلاج سنة ٣٠٩هـ ، وترجمته في حوادث تلك السنة .
(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٥٠) ، المنتظم (٦/ ١١٦) .
(٣) المنتظم (٦/ ١١٦) .
(٤) الأغاني (٩/ ٤٠) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٤٠) ، المنتظم (٦/ ١١٧) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٢٠) ، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٢) .
(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٤٢) ، المنتظم (٦/ ١١٧) .
(٦) في المنتظم : اشتره بأي ثمن كان .

لموافقته لها ، فرجع فاشترى منه رطلاً آخر بعشرة آلاف . ثمّ رطلاً آخر بعشرة أخرى[١] . وبقي عند صاحب الثلج رطلان ، فنطَفَت نفسُه إلى أكل رطل منه ؛ ليقول : أكلتُ الرطل من الثلج بعشرة آلاف ، فأكله . وبقي عنده آخر ، فجاءه الوكيل ، فامتنع أن يبيعه الرطلَ إلا بثلاثين[٢] ألفاً ، فاشتراه منه ، فشفيت الجارية ، وتصدَّقت[٣] بمال جزيل . فاستُدعي الرجل فأعطي من تلك الصدقة مالاً جزيلاً جداً ، وصار من أغنى الناس بعد ذلك وأكثرهم مالاً ، واستخدمه[٤] ابنُ طاهر عنده .

[ظهورُ[٥] أمر العبيديين الذين يزعمون أنهم فاطميون

كان أول ظهور أمرهم وشأنهم ـ بتقدير الله تعالى ـ قبيل سنة ثلاثمئة بقليل على يدي أبي عبد الله الشِّيعي ، واسمه الحسين بن أحمد بن زكريا المغربي البربري المتشيِّع[٦] .

وملخص خبره أنه كان فقيراً لا مال له ولا شيء ، فأقام رجلاً شريفاً من بيت النبوَّة ، وسمَّاه المهديَّ ، ولفَّ عليه خلقاً من البربر ببلاد المغرب ، وحارب له صاحب سجلماسة ، وهو أبو نصر زيادة الله ، وكان آخر ملوك بني الأغلب ببلاد إفريقية ، فكان بينهما حروب يطول بسطها ، لكن ظفر صاحب سجلماسة به في بعضها ، فأسر منه الشريف ، وسجنه عنده في قلعة ، فرجع الشِّيعي فحشد وجمع ، وجاء فحاصر البلد فظفر بها ، ثم حاصر القلعة ، فعمد الملك إلى الشريف فقتله في السجن وافتتح الشِّيعي القلعة قهراً ، وجاء إلى السجن فوجد الشريفَ قد قضى نحبه ووجد معه في السجن رجلاً يهودياً اسمه عبد الله بن ميمون من أهل سلمية الشام ، كان صبَّاغاً بها ، فأقامه مكان الشريف ، وقال : قل لهم : أنا المهدي ، فراج ذلك على أولئك العوام ، واستبدَّ بالمملكة ، وبنَى المهديَّة ، وانتشرت أعلامه ، وطالت أيامه .

ثم إن أبا عبد الله الشِّيعي ندم حيث لا ينفعه الندم ، وأحاطت به خطيئته ، وعمل على إزالة المملكة عن المهدي ، وصرفها إلى أخيه أحمد ، ففهم ذلك المهدي ، وبعث من قتلهما برَقًّا في سنة ثمان وتسعين ومئتين .

هذا ما وقفت عليه من تواريخهم ، وهو أولى ما يذكر هاهنا ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

---

(١) في ط : ثم آخر بعشرة آلاف .
(٢) بعدها في المنتظم : فقال : خذ ، فاستحييت من الله أن أبيع رطل ثلج بثلاثين ألفاً ، فقلت : هات عشرين .
(٣) في المنتظم : وتصدق عبيد الله بمال عظيم .
(٤) في المنتظم : فاستخدمني في شرابه وثلجه وكثير من أمر داره ، فكانت تلك الدراهم أصل نعمتي .
(٥) ما بين قوسين زيادة من نسختي ب ، ظا ولم ترد في النسخة الأحمدية المعتمدة والمطبوع .
(٦) ترجم له المؤلف في حوادث سنة ٢٩٨هـ .

وسنبيِّنه مستقصىً في حدود سنة أربعمئة[١] حين وضعت كبار أئمة العلماء خطوطهم بأنهم أدعياء كذبة في قولهم : إنهم فاطميون ، وغالب ملوكهم كانوا زنادقة ، ومنهم « الحاكم » لعنه الله ؛ رام أن يدّعي الإلّهية كفرعون ، فما تجاسر على إظهار ذلك صريحاً ، ومازال حتى قتل ـ لعنه الله ـ شرَّ قتلة تحت أديم السماء[٢] . وكانت عوامهم يظهرون الرفض تبعاً لهم وخيفة منهم ، ويؤذِّن في نحو مئة سنة أو أزيد بدمشق بـ « حيَّ على خير العمل » ، وأما بديار مصر فإلى آخر تاريخ . وأما أخذاتهم وما يطلع على جلية أمرهم ، فكما قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه الذي صنفه في الرَّدِّ على بعض قضاتهم في كتابه الذي سماه « الناموس الأعظم والبلاغ الأكبر » ، وقد كفر فيه كفراً لم يصل إلى شم رائحته إبليس ، بل ربما استفاد منه ما لم يخطر بباله ، فردَّ عليه القاضي أبو بكر رحمه الله في كتاب الذي سمّاه : « كشف الأسرار وهتك الأستار » مجلدان كبيران مفيدان عظيمان ؛ قال فيه : فهؤلاء قوم يظهرون الرفض ، ويبطنون الكفر المحض] .

وممن توفي في حدود الثلثمئة تقريباً .

الصَّنَوْبَريّ الشاعر[٣] : وهو أحمد بن محمّد بن مرّار ، أبو بكر الضَّبِّي الصَّنَوْبَري الحلبي .

قال الحافظ ابن عساكر : كان شاعراً محسناً . وقد حكى عن عليّ بن سليمان الأخفش ، ثم ذكر أشياء من لطائف شعره ؛ فمن ذلك قوله[٤] :

لا النَّــومُ أدري بـــهِ ولا الأرَقُ ... يـدري بهـذيـنِ مَـنْ بـهِ رَمَـقُ
إنَّ دُموعي من طولِ ما استبقَتْ ... كلَّــت فمــا تستطيــعُ تَسْتَبِــقُ
ولـي مَلِـكٌ لـم تبـدُ صـورتُـهُ ... مُـذ كـانَ إلا صَلَّـتْ لـه الحَـدقُ
نــويـتُ تقبيــلَ نَـارِ وَجْنَتِـهِ ... وخِفْـتُ أدنُـو منهـا فـأَحْتَـرِقُ

وله أيضاً[٥] :

---

(١) حوادث سنة ٤٠٢هـ .
(٢) مات الحاكم بأمر الله سنة ٤١١هـ . وترجمته وصفة مقتله في حوادث تلك السنة .
(٣) هذه الترجمة لم ترد في ب ، ظا ، وهي من زيادات آ والنسخة المصرية في المطبوع .
وتوفي الصنوبري سنة ٣٣٤هـ ، وترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر (١/ ٤٥٦) ، ومختصره لابن منظور (٣/ ٢٣٧) ، وفوات الوفيات (١/ ٦١) ، والعبر (٢/ ٢٣٧) ، واللباب (٢/ ٢٤٨) ، وأعيان الشيعة (٩/ ٣٥٦) ، وشذرات الذهب (٢/ ٣٣٥) .
(٤) الديوان (٤٣٦) ، وتهذيب ابن عساكر (١/ ٤٥٧) ، والنجوم الزاهرة (٣/ ٢٨٨) .
(٥) تهذيب ابن عساكر (١/ ٤٥٨) ، وفوات الوفيات (١/ ١١٢) ، وملحقات الديوان (٤٧٥) .

شمسٌ[١] غدا يشبه شمساً غَدَتْ وخدُّها في النورِ[٢] مِنْ خدِّهِ
تغيبُ في فيهِ ولكنَّها مِن بَعْدِ ذا تطلعُ في خدِّهِ

وقد روى الحافظ البيهقي ، عن شيخه الحاكم ، عن أبي الفضل نَصْر بن محمد الطوسيّ ، قال أنشدنا أبو بكر الصَّنَوْبَري ، فقال[٣] :

هدَمَ الشيبُ ما بناهُ الشَّبابُ والغَواني ما عصيْنَ غِضابُ
قلبَ الآبنوسُ عاجاً فللأعـ ـينِ منه وللقلوبِ انقلابُ
وضلالٌ في الرأيِ أن يُشنأ البا زي ، على حسنِهِ ، ويُهْوَى الغرابُ[٤]

وله أيضاً ، وقد أورده ابنُ عساكر في ابنٍ له فُطم فجعل يبكي على ثديه[٥] :

منعوهُ أحبَّ شيءٍ إليهِ من جميعِ الورَى ومِنْ والديهِ
منعُوهُ غِذاهُ وقَدْ كانَ مباحاً لَهُ وبينَ يديهِ
عَجباً لهُ على صغرِ السِّـ ـنِّ هوى فاهتدى الفراقُ إليهِ

ومِمن توفي بهذا العصر أيضاً :

إبراهيم بن أحمد بن محمّد[٦] : ابن المُوَلَّد ، أبو إسحاق الصُّوفي الواعظ الرَّقِّيّ ، أحد مشايخها ، روى الحديث ، وصحب أبا عبد الله بن الجلاد الدِّمشقي ، والجُنَيد ، وغير واحدٍ . وروى عنه : تمَّام بن محمد ، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي . وقد أورد ابن عساكر من شعره قوله[٧] :

لكَ منِّي على البعادِ نَصيبُ لم يَنلْهُ على الدُّنوِّ حَبيبُ
وعلى الطَّرْفِ مِن سواكَ حجابٌ وعلى القلبِ من هَواكَ رقيبُ
زِينَ في ناظري هواكَ وقلبي والهَوَى فيهِ زائِغٌ ومَشُوبُ
كيفَ يُغني قرْبُ الطَّبيبِ عَليلاً أنتَ أسقمتَهُ وأنتَ الطَّبيبُ

---

(١) في المصادر : بدر غدا يشرب . وفي ط : شمس غدا يشبه .
(٢) في المصادر : في الوصف .
(٣) الأبيات الثلاثة في تهذيب ابن عساكر (١/ ٤٥٩) ، وملحقات الديوان (٤٥٩) .
(٤) « يشنأ » : يبغض .
(٥) تهذيب ابن عساكر (١/ ٤٦٠) ، وديوانه (٥١٢) .
(٦) توفي ابن المولَّد هذا سنة ٣٤٢هـ ، وليس موضعه هنا . وترجمته في حلية الأولياء (١٠/ ٣٦٤) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، ومختصره لابن منظور (٤/ ١٣) ، وطبقات الصوفية (ص٤١٢) ، وشذرات الذهب (٢/ ٣٦٢) .
(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر (المجلد ٥/ الورقة ١٨٤) . ومختصره لابن منظور (٤/ ١٤) .

وقوله[١] :

الصَّمْتُ أمْنٌ مِنْ كُلِّ نازلةٍ   مَنْ نالَهُ نالَ أفْضَلَ القِسَمِ
ما نزلَتْ بالرِّجالِ نازِلةٌ   أعظمُ ضُرّاً من لَفْظةٍ بِفَمِ
عثرةُ هذا اللِّسانِ مُهلكةٌ   ليسَتْ لدينا كَعَثْرةِ القَدَمِ
احفظ لساناً يُلقيك في تَلَفٍ   فَرُبَّ قولٍ أذَلَّ ذا كَرَمِ

فصل[٢]

اختلف النَّاس أيُّما أفضل : الغنيُّ الشاكر ، أو الفقير الصَّابر ؟ على قولين مشهورين . وقيل : هما سواء . وقيل : أفضلهما أتقاهما لله فيما هو فيه ، فإن استويا فهما سواء . وقد سئل أبو علي الدَّقَّاق عن هذه المسألة ؟ فقال : الغنيُّ أفضلُ ؛ لأنَّ الغنيَّ من صفات الله تعالى ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] . قال : ولكن الغنيَّ الذي يكون واثقاً بما عند الله لا بما في يديه ، يعني : ما قاله رسولُ الله ﷺ في الحديث المتَّفق عليه : « ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض ، إنَّما الغِنى غنَى النَّفسِ »[٣] . وما أحسن ما قال بعضهم :

غنيتُ بلا مالٍ عن النَّاسِ كلِّهم   وإنَّ الغنَى العالي عن الشيء لا بهِ

وقال الآخر :

وإذا تذلَّلَتِ الرِّقابُ تواضُعاً   منَّا إليك فعزُّها في ذُلِّها

وقال الآخر :

تقنَّعْ بما يكفيكَ واستعمل الرِّضا   فإنَّك لا تَدري أتصبحُ أمْ تمسي
فليس الغنَى عن كثرةِ المالِ إنَّما   يكون الغِنَى والفقرُ مِن قبل النَّفْسِ

●●●

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (المجلد ٢/ الورقة ١٨٤) . ومختصره لابن منظور (٤/ ١٤) .
(٢) هذا الفصل من زيادات النسخة الأحمدية ، ولعلها من الناسخ ، وأثبتها حفاظاً على الأصل المعتمد .
(٣) رواه البخاري (١١/ ٢٣١ و٢٣٢) في الرقاق ، باب الغنى عن النفس؛ ومسلم رقم (١٠٥١) في الزكاة ، باب ليس الغنى عن كثرة العرض . ورواه أيضاً الترمذي رقم (٢٣٧٣) في الزهد ، باب ما جاء أن الغنى غنى النفس .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *







٣٠١هـ - ٤٠٠هـ



الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2007 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : البداية و النهاية 20/1

التأليف : الإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير

نوع الورق : شاموا

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 10128

القياس : 17×24

نوع التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 16 كغ

التنفيذ الطباعي : مطبعة ايبكس

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد



دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com



البداية والنهاية

٣٠١هـ - ٤٠٠هـ

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

إبراهيم الزيبق

راجعه

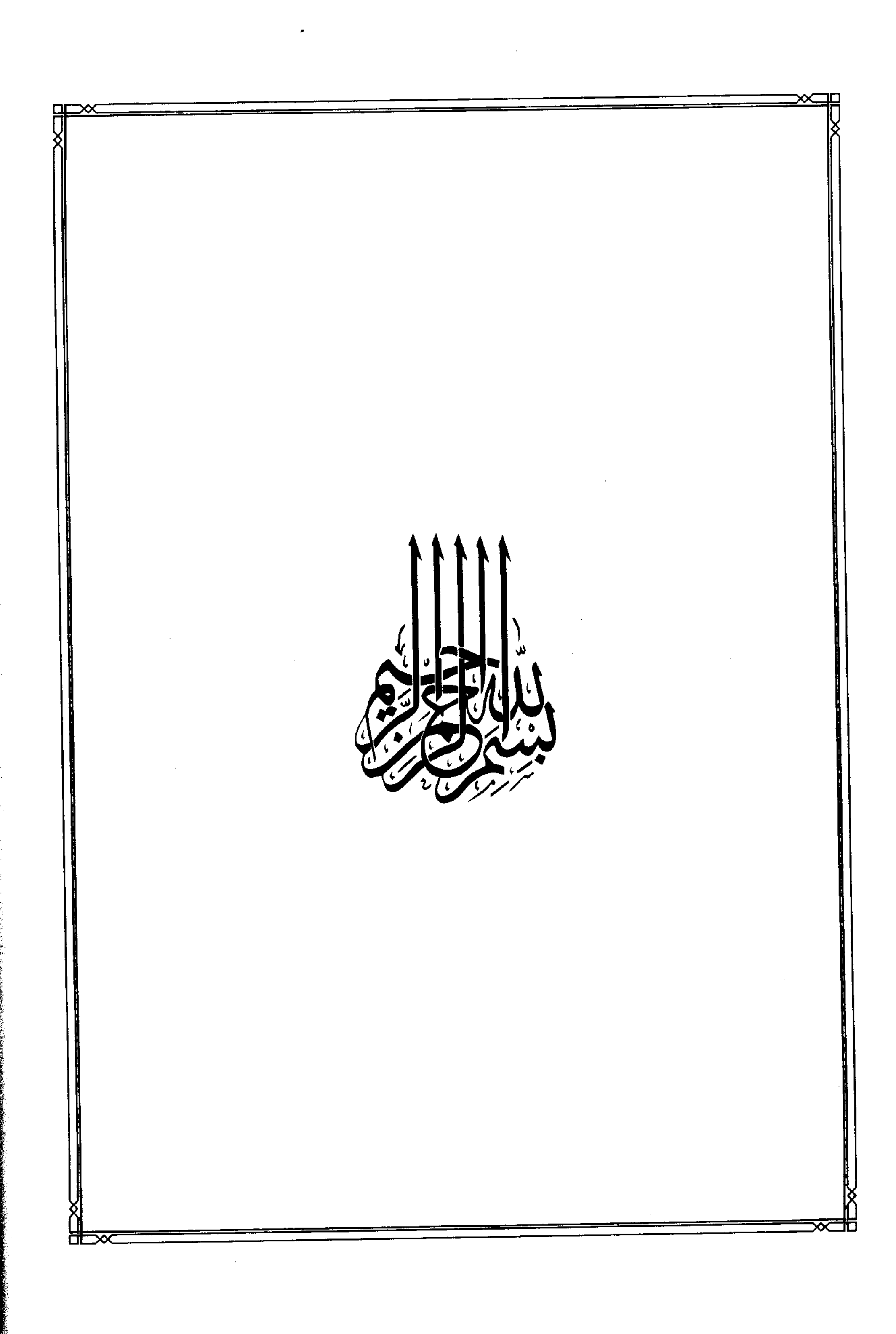
الشيخ عبد القادر الأرناؤوط

الدكتور بشار عواد معروف

الجزء الثاني عشر

دار ابن كثير

دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمئة من الهجرة النبوية

فيها غزا الحسينُ بن حَمْدان[١] الصَّائفة ، ففتح حصوناً كثيرة من بلاد الرُّوم ، وقَتَلَ [منها][٢] أمماً لا يُحْصون كثرة .

وفيها عزل المقتدر محمدَ بنَ عبيد الله[٣] عن وزارته ، وقلَّدها عيسى[بنَ علي][٤] ، فكان من خيار الوزراء ، وأقصدِهم للعَدْل والإحسان ، واتِّباع الحقِّ .

وفيها كَثُرَتِ الأمراض الدَّمويَّة ببغداد في تموز وآب ؛ فمات من ذلك خَلْق كثير وجمٌّ غفير من أهلها .

وفيها وصلتْ هدايا صاحب عُمَان ، وفيها ببغة[٥] بيضاء وغزالٌ أسود .

وفي شعبان منها ركب المقتدر إلى باب الشَّمَّاسِيَّة[٦] على الخيل ، ثم انحدر إلى داره في دِجْلَة ، فكانت أول رِكْبَةٍ رَكِبَهَا جَهْرَةً للعامة .

وفيها استأْذَنَ الوزير عليُّ بن عيسى المقتدر بالله في مكاتبة رأس القرامطة أبي سعيد الحسن بن بَهْرام الجَنَّابي فأذِنَ له ، فكتب إليه كتاباً طويلاً يدعوه فيه إلى السمع والطاعة ، ويوبِّخُه على ما يتعاطاه أصحابه من ترك الصَّلوات والزكوات ، وارتكاب المنكرات ، وإنكارهم على منْ يذكر الله ويسبِّحه ويحمَدُه ، واستهزائهم بالدِّين ، واسترقاقهم الحرائر ، ثم توعَّده بالحَرْب وتهدَّده ، فلما سار الكتاب نحوه قُتِلَ أبو سعيد قبل أن يصِلَه ؛ قتله بعضُ خَدَمه ، وعَهِدَ بالأمر من بعده لولده سعيد ، فَغَلَبَهُ على ذلك أخوه أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد[٧] ، فلما قرؤوا كتابَ الوزير إليهم أجابوه بما حاصله : إن هذا الذي نُسِبَ إلينا مما ذكرتم لم يثبت عندكم إلا من طريق من يشنِّع علينا ، وإذا كان الخليفة يَنْسُبنا إلى الكفر بالله ، فكيف يدعونا إلى السَّمْع والطاعة له ؟

---

(١) أحد الأمراء الحمدانيين الشجعان ، وهو عم سيف الدولة ، كان من أنصار ابن المعتز في فتنة خلع المقتدر ، قتل سنة (٣٠٦هـ) ، وأخباره مبثوثة في كتب التاريخ ، انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٩٢ ـ ٩٤)

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) في (ب) و (ط) عبد الله ، وهو تصحيف ، وأخباره في تحفة الوزراء (٢٦١ ـ ٢٨٠) ، الفخري في الآداب السلطانية (١٩٦ ـ ١٩٧) .

(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٣٥هـ) من هذا الجزء ، وما بين حاصرتين من (ب) و (ط) .

(٥) في (ط) بغلة ، وهو تحريف .

(٦) محلة كانت في أعلى الجانب الشرقي من بغداد . معجم البلدان (٣/ ٣٦١) .

(٧) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٣٢هـ) .

وفيها جيء بالحسين بن منصور الحلاَّج إلى بغداد ، وهو مشهورٌ على جَمَل ، وغلام له راكب جملاً آخر ، يُنادى عليه : هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه ، ثم حبس ، ثم أُحضر إلى مجلس الوزير ، فناظره ، فإذا هو لا يقرأ القرآن ، ولا يعرف من الحديث ولا الفِقْه ولا اللغة ولا الأخبار ولا الشِّعْر شيئاً ، وكان الذي نُقِمَ عليه أنه وجدت له رِقاع يدعو فيها الناس إلى الضَّلالة والجهاد بأنواع من الرموز ، يقول في مكاتباته كثيراً : تبارك ذو النور الشَّعْشَعاني . فقال له الوزير علي بن عيسى رحمه الله : تعلُّمك الطهور والفروض أجْدَى عليك من رسائلَ لا تدري ما تقول فيها ، وما أحوجك إلى الأدب . ثم أمَرَ به فَصُلِبَ حياً صَلْبَ الاشتهار لا القتل ، ثم أُنزل فحبس في دار الخلافة ، فجعل يُظْهر لهم أنه على السُّنَّة ، وأنه زاهد ، حتى اغترَّ به كثير من الخُدَّام وغيرهم من أهل دار الخلافة من الجهلة الطَّغَام ، حتى صاروا يتبركون به ويتمسَّحون بثيابه . وسيأتي ما صار إليه أمرُه حتى قُتِلَ بإجماع الفقهاء وأكثر الصوفية[١] .

ووقع في آخر هذه السنة ببغداد وباءٌ شديد جداً حتى مات بشر كثير ، ولا سيما بالحربيَّة ؛ غُلِّقت عامَّة دورها .

وحجَّ بالناس الفَضْلُ بنُ عبد الملك الهاشمي[٢] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن خالد الشَّافعي[٣] ، جمع العِلْم والزُّهْد ، من تلاميذه[٤] أبو بكر الإسماعيلي .

جعفر بن محمَّد[٥] بن الحسن[٦] بن المستفاض ، أبو بكر ، الفِرْيابي ، قاضي الدِّيْنَور ، طاف البلاد في طلب العِلْم ، وسَمِعَ الكثير من المشايخ الكثيرين ، مثل قتيبة ، وأبي كُرَيْب ، وعلي بن المديني ، وبُنْدَار ، وعنه : أبو الحسين بن المنادي ، والنَّجَّاد ، وأبو بكر الشَّافعي ، وخَلْقٌ . واستوطن بغداد ، وكان ثِقَةً حافظاً حُجَّةً ، وكان عِدَّة من يحضر مجلسه نحواً من ثلاثين ألفاً ، والمستملون عنه منهم فوق الثلاثمئة ، وأصحاب المحابر نحو من عشرة آلاف . وكانت وفاته في المحرَّم من هذه السنة عن أربع

---

(١) سترد أخباره مفصلة في أحداث سنة ٣٠٩هـ من هذا الجزء .

(٢) أمير ، من أعيان العباسيين ، كان صاحب الصلاة بمكة والمدينة ، توفي سنة (٣٠٧هـ) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٧٥) .

(٣) المنتظم (٦/ ١٢٣) .

(٤) في (ح) و(ط) من تلاميذ أبي بكر الإسماعيلي ، وهو تحريف ، والمثبت من (ب) و(ظا) ، وسترد ترجمة أبي بكر في وفيات سنة (٣٧١هـ) .

(٥) تاريخ بغداد (٧/ ١٩٩ ـ ٢٠٢) ترتيب المدارك (٣/ ١٨٧ ـ ١٨٨) الأنساب (٩/ ٢٩١) المنتظم (٦/ ١٢٤ ـ ١٢٥) معجم البلدان (٤/ ٢٥٩) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٩٢ ـ ٦٩٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٩٦ ـ ١١١) .

(٦) في النسخ الخطية و(ط) : الحسين ، وهو تصحيف ، والمثبت ما أجمعت عليه مصادر ترجمته .

وتسعين سنة ، وكان قد حفر لنفسه قبراً قبل وفاته بخمس سنين ، فكان يمرُّ نحوه فيقف عنده ، ثم لم يقيض له أنه دفن فيه ، بل [دفن](١) في مكانٍ آخر ، رحمه الله حيثُ كان .

أبو سعيد الجَنَّابي(٢) القِرْمِطي(٣) وهو الحسن(٤) بن بَهْرام ـ قبَّحه الله ـ وهو رأس القرامطة ، والذي يعوِّلون عليه في بلاد البحرين وما والاها(٥) .

علي بن أحمد الرَّاسبي(٦) كان يلي بلاد واسط إلى شَهْرَزُور(٧) وغيرها ، وقد خَلَّف من الأموال شيئاً كثيراً ؛ من ذلك ألف ألف دينار ، ومن آنية الذهب والفِضَّة ونحو ذلك ما يعادل مئة ألف دينار ، ومن الخَزِّ ألف ثوب(٨) ، ومن الخيل والبغال والجمال ألف رأس .

محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارب(٩) يعرف بالأحنف ، كان قد ولي قضاء مدينة المنصور نيابةً عن أبيه حين فُلِج ؛ فمات في جمادى الأولى من هذه السنة . وتوفي أبوه بعده في رجب(١٠) ، وبينهما ثلاثة وسبعون يوماً ، ودفنا في موضعٍ واحد ، رحمهما الله تعالى .

وممن توفي فيها :

أبو بكر أحمد(١١) بن هارون البَرْدَعي(١٢) الحافظ .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) نسبة إلى جنابة ، وهي بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سيراف ، وقد وَهَمَ السمعاني في قوله : إنها بلدة بالبحرين ، وضبطها بضم الجيم ، وتابعه في وهمه ابن الأثير في اللباب . معجم البلدان (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦) ووفيات الأعيان (٢/ ١٥٠) .

(٣) الأنساب (٣/ ٣٠٨) معجم البلدان (٢/ ١٦٦) اللباب (١/ ٢٣٨) الكامل (٧/ ٤٩٣ ـ ٤٩٥) وما بعدها و(٨/ ٨٣ ـ ٨٤) وفيات الأعيان (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨) العبر (٢/ ١١٧) مرآة الجنان (٢/ ٢٣٨) شذرات الذهب (٢/ ٢٣٧) .

(٤) في (ح) الحسين ، وهو تصحيف .

(٥) على هامش (ح) : قتل في الحمام .

(٦) المنتظم (٦/ ١٢٥ ـ ١٢٦) العبر (٢/ ١٢٠ ـ ١٢١) دول الإسلام (١/ ١٤٤) النجوم الزاهرة (٣/ ١٨٣) شذرات الذهب (٢/ ٢٣٧) .

(٧) كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان . معجم البلدان (٣/ ٣٧٥) .

(٨) في (ط) ومن البقر ألف ثور ، وهو تحريف .

(٩) المنتظم (٦/ ١٢٧) .

(١٠) في رواية أنه توفي سنة (٢٩٨هـ) ، انظر ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ١٠) .

(١١) في النسخ الخطية و(ط) : محمد ، وهو تحريف .

(١٢) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٢ ـ ١٢٤) .

وابن ناجية[١] .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثمئة

فيها وَرَدَ كتابُ بِشْر[٢] الخادم بأنه قد أوقع بالرُّوم بأساً شديداً ، وأنه قد أسر منهم مئة وخمسين بطريقاً[٣] ؛ ففرح المسلمون بذلك .

وفيها خَتَنَ الخليفة المقتدر خمسةً من أولاده ، فَغَرِمَ على هذا الخِتَان ستمئة ألف دينار ، من ذلك خمسة آلاف نثار ، ومئة ألف دِرْهم ، وقد ختن معهم بل قبلهم خَلْقاً من الأولاد اليتامى ، وأحسن إليهم[٤] ، وهذا صنيع حسنٌ ، رحمه الله .

وفيها صادر الخليفة أبا عبد الله بن الجَصَّاص[٥] بستة عشر ألف ألف دينار غير الآنية والثياب الثمينة .

وفيها أرسل الخليفة المقتدر أولاده إلى المكتب فكان يوماً مشهوداً .

وفيها بنى الوزير[٦] المارَسْتان بالحربية من بغداد ، وأنفق عليه أموالاً جزيلة جداً ، جزاه الله خيراً .

وحجَّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك[٧] .

وقطعت الأعراب وطائفة من القرامطة الطريق على الراجعين من الحجيج[٨] ، فقتلوا منهم خَلْقاً ، وأسروا أكثر من مئتي امرأةٍ حُرَّة ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بِشْر بن نَصْر بن منصور[٩] ، **أبو القاسم** ، الفقيه ، الشَّافعي ، من أهل مصر[١٠] ، يُعرف بغلام

---

(١) في (ط) الحافظ ابن ناجية ، بإسقاط الواو العاطفة ، وهو وهم . وترجمة ابن ناجية في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦٤ ـ ١٦٥) .

(٢) في النسخ الخطية و(ط) : مؤنس ، وهو تحريف ، وكان بشر والي طَرَسُوس ؛ وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . تاريخ الطبري (١٠/ ١٥٠) المنتظم (٦/ ١٢٧) ومعجم البلدان (٤/ ٢٨) والكامل (٨/ ٩٠).

(٣) في (ط) أي أميراً .

(٤) في (ط) بالمال والكساوي .

(٥) في النسخ الخطية و(ط) أبا علي ، وهو تحريف ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣١٥هـ) .

(٦) هو علي بن عيسى ، سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٣٥هـ) .

(٧) انظر أحداث سنة ٣٠١هـ من هذا الجزء .

(٨) في (ط) : وأخذوا منهم أموالاً كثيرة .

(٩) تاريخ بغداد (٧/ ٨٨) . المنتظم (٦/ ١٢٨ ـ ١٢٩) رفع الإصر (٣٩٤) .

(١٠) الأصح أن يقال إنه سكن مصر ، كما في تاريخ بغداد (٧/ ٨٨) .

عِرْق ، وعِرْق خادم من خُدَّام السُّلْطان ، كان يلي البريد ، فَقَدِمَ معه بهذا الرجل [مصر][(١)] ، فأقام بها حتى كانت وفاته فيها ، رحمه الله .

بِدْعة جارية عُرَيب[(٢)] المغنِّية ، بُذِلَ لسيدتها فيها مئة ألف دينار وعشرون ألف دينار من بعض من رَغِبَ فيها ، فعَرَضتْ ذلك عليها ، فكرهت مُفَارقة سيدَتِها ، فأعتقتها سيدَتُها في يومها[(٣)] ذاك ، وتأَخَّرَتْ وفاتها إلى هذه السنة[(٤)] ، وقد تركتْ من المال العين والأملاك ما لم يملكه رجل .

القاضي أبو زُرْعة محمد بن عثمان الشَّافعي[(٥)] ، قاضي مِصْر ثم دمشق ، وهو أول من حكم بمذهب الشَّافعي بالشَّام وأشاعه به[(٦)] ، وكان ثِقَةً عَدْلًا من سادات القضاة ، وكان أصله من أهل الكِتاب اليهود[(٧)] ، وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشَّافعية » .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمئة

فيها وقف المقتدر بالله أموالًا جزيلة وضياعاً على الحرمين الشَّريفين ، واستدعى القضاة والأعيان وأشهدهم على نفسه بما وقفه من ذلك .

وفيها قُدِمَ إلى بغداد بجماعة من الأسارى من الأعراب الذين كانوا عدوا على الحجيج في تلك السنة ، فلم تتمالك العامة أن عَدَتْ عليهم فقتلوهم ، فأُخِذ بعضهم فعوقب لكونه افتأت على السُّلطان .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) ، والعبارة ملبسة المعنى ، أوضح منها ما ورد في تاريخ بغداد (٧/ ٨٨) والمنتظم (٦/ ١٢٩) . فقدم في جملة من قدم من بغداد .

(٢) المنتظم (٦/ ١٢٩) الكامل (٨/ ٩٠ ، ٥٠٦) جهات الأئمة الخلفاء (٦٣ ـ ٦٦) المستظرف من أخبار الجواري (١٣ ـ ١٥) الأغاني (٢٢/ ١٨١ ـ ١٨٣) .
وفي (ح) و(ظا) غريبة ، وفي (ط) غريب ، وكلاهما خطأ ، والمثبت من (ب) ، وقد ضبط في المشتبه (٢/ ٤٥٥) بضم العين ، وأخبارها في الأغاني (٢١/ ٥٤ ـ ٩١) .

(٣) في (ط) موتها ، وهو تصحيف .

(٤) أورد ابن الأثير خبر وفاتها في هذه السنة، وفي سنة (٣٤٢هـ) ، وذكر أنها توفيت عن اثنين وتسعين سنة ، الكامل (٨/ ٩٠ ، ٥٠٦) .

(٥) تاريخ ابن عساكر (خ) (س) (١٥/ ٣٢٩/أ) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٣) العبر (٢/ ١٢٣) الوافي بالوفيات (٤/ ٨٢ ـ ٨٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٩٦ ـ ١٩٨) النجوم الزاهرة (٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤) قضاة دمشق (٢٢/ ٢٣) شذرات الذهب (٢/ ٢٣٩) .

(٦) في (ط) : وقد كان أهل الشام على مذهب الأوزاعي من حين مات إلى هذه السنة ، وثبت على مذهب الأوزاعي بقايا كثيرة لم يفارقوه .

(٧) في (ط) : ثم أسلم ، وصار إلى ما صار إليه .

وفيها وقع حريق شديد في سوق النجارين في بغداد فاحترق السوق بكماله .

وفي ذي الحِجَّة من هذه السنة مرض المقتدر بالله ثلاثة عشر يوماً ، ولم يمرض في مدة خلافته ـ مع طولها ـ سوى هذه المرضة .

وحجَّ بالناس الفضل بن عبد الملك .

ولما خاف الوزير على الحُجَّاج من شأن القرامطة في رجعتهم كتب إليهم رسالة لِيَشْغَلَهُمْ بها عن أمر الحجيج ، فاتهمه بعض الكبار بمراسلة القرامطة ، فلما انكشف أمره وما قصده حظي عند النَّاس بذلك جداً .

ومِمن توفي في هذه السَّنة من الأعيان :

النَّسَائي رحمه الله[١] ، أحمد بن علي[٢] بن شُعيب بن علي بن سِنَان بن بَحْر بن دِينار ، أبو عبد الرحمن ، النَّسائي ، صاحب « السنن » ، الإمام في عصره ، والمقدَّم على أضرابه وأشكاله وفُضلاء دهره ، رحل إلى الآفاق ، واشتغل بسماع الحديث والاجتماع بالأئمة الحُذَّاق ، ومشايخه الذين روى عنهم مشافهة قد ذكرناهم في كتابنا « التكميل » ولله الحمد والمنة ، وترجمناه أيضاً هناك ، وروى عنه خَلْق كثير وجم غفير ، وقد جمع « السنن الكبير » ، وانتخَبَ منه[٣] ما هو أقل حجماً منه بمرَّات ، وقد وقع لنا سماع كلٍّ منهما . وقد أبان في تصنيفه عن حفظٍ وإتقان وصِدْق وإيمان وعِلْم وعِرْفان .

قال الحاكم عن الدَّارَقُطْني : أبو عبد الرحمن النَّسائي مقدَّمٌ على كلِّ منْ يُذْكر بهذا العِلْم من أهل عَصْره ، وكان يسمَّىٰ كتابه الصحيح .

وقال أبو علي الحافظ : للنسائي شرط في الرِّجال أشدُّ من شرط مسلم بن الحجَّاج ، وكان من أئمة المسلمين .

وقال أيضاً : هو الإمام في الحديث بلا مدافعة .

وقال أبو الحسين محمد بن المُظَفَّر الحافظ : سمعت مشايخَنا بمصر يعترفون له بالتقدُّم

---

(١) المنتظم (٦/ ١٣١ ـ ١٣٢) وفيات الأعيان (١/ ٧٧ ـ ٧٨) تهذيب الكمال (١/ ٢٣ ـ ٢٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٥ ـ ١٣٥) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٩٨ ـ ٧٠١) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٤ ـ ١٦) .

(٢) كذا في الأصول ، ومثله في وفيات الأعيان (١/ ٧٧) وأجمعت بقية المصادر على أنه أحمد بن شعيب ، وهو المشهور .

(٣) المختصر هو المجتبى أو المجتنى ، وكلاهما بمعنى ، وهو المطبوع والمتداول بين الناس ، وفي نسبة اختصاره إلى النسائي خلاف بين العلماء ، إذ إن بعضهم يقول إنه من اختصار تلميذه ابن السني المتوفى سنة (٣٦٤هـ) .

والإمامة ، ويصفون من اجتهاده في العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والاجتهاد[١] .

وقال غيره : كان يصوم يوماً ويُفْطِرُ يوماً ، وكان له أربع زوجات وسَرِيَّتان ، وكان كثير الجِمَاع ، حسنَ الوجه ، مشرق اللَّوْن . قالوا : وكان يَقْسِم للإماء كما يقسم للحرائر .

وقال الدَّارَقُطْني : كان أبو بكر بن الحدَّاد كثير الحديث ولم يحدِّثْ عن أحدٍ سوى النَّسائي . وقال رضيتُ به حُجَّةً بيني وبين الله عزَّ وجلَّ .

وقال ابن يونس : كان إماماً في الحديث ثِقَةً ثَبْتاً حافظاً ، وكان خروجه من مِصْر في سنة ثنتين وثلاثمئة .

وقال ابن عدي : سمعت منصوراً الفقيه وأحمد بن محمد بن سلامة الطَّحَاوي يقولان : أبو عبد الرحمن النَّسائي إمامٌ من أئمة المسلمين ، وكذلك أثنى عليه غيرُ واحدٍ من الأئمة ، وشهدوا له بالفَضْل والتقدُّم في هذا الشأن والحِفْظ والمعرفة .

وقد ولي الحكم بمدينة حِمْص ، سمعته من شيخنا الحافظ أبي الحجَّاج المزيِّ رحمة الله عليه عن رواية الطبراني في « معجمه الأوسط » حيث قال : حدثنا أحمد بن شعيب الحاكم بحِمْص ، وذكروا أنه كان له من النِّساء أربع نسوة ، وكان في غاية الحسن ، وجهه كأنه قِنْديل ، وكان يأكل في كل يوم ديكاً ، ويشرب عليه من نقيع الزَّبيب الحلال .

وقد قيل : إنه كان يُنْسَبُ إليه شيء من التشيُّع .

قالوا : دخل إلى دمشق ، فسأله أهلُها أن يحدِّثهم بشيء من فضائل معاوية فقال : أما يكفي معاوية أن يذهب رأساً برأس حتى تُرْوىٰ له فضائل ! فجعلوا يطعنون[٢] في خُصْيَتَيْه حتى أُخرج من المسجد الجامع ، فسار من عندهم فَقَصَد مكة ، فمات بها في هذه السَّنة ، وقبره بها ، هكذا حكاه الحاكم عن محمد بن إسحاق الأصبهاني عن مشايخه .

وقال الدَّارَقُطْني : كان أفقه مشايخ مِصْر في عَصْره ، وأعرفهم بالصَّحيح والسَّقيم من الآثار ، وأعرفهم بالرِّجال ، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه ، فخرج إلى الرَّمْلة ، فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه ، فضربوه في الجامع ، فقال : أخرجوني إلى مكة ، فأخرجوه وهو عليل ، فتوفِّي بمكة مقتولاً شهيداً .

وقال الحاكم : مع ما رزق النَّسائي من الفضائل رُزِقَ الشَّهادة في آخر عمره ، مات بمكة سنة ثلاث وثلاثمئة .

---

(١) في (ط) الجهاد ، وهو تحريف .

(٢) في المنتظم (٦/ ١٣١) : يدفعون ؛ وهو الأشبه .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغني بن نُقْطة في « تقييده » : ونقلت من خَطِّ أبي عامر محمد بن سعدون العَبْدَري الحافظ : مات أبو عبد الرحمن النَّسائي بالرَّملة[١] مدينة فِلَسْطين يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من صفر سنة ثلاث وثلاثمئة ، ودفن ببيت المقدس .

وحكى ابن خَلِّكان في « الوفيات » أنه توفِّي في شعبان من هذه السنة ، وأنه إنما صنَّف « الخصائص » في فضل علي وأهل البيت ؛ لأنه رأى أهل دمشق حين قدمها في سنة ثنتين وثلاثمئة عندهم نُفْرة من علي ، وسألوه عن معاوية فقال ما قال ، فدفعوا في خُصْيتيه فمات[٢] .

وهكذا ذكر ابن يونس وأبو جعفر الطَّحاوي : أنه توفي بفلسطين في صفر من هذه السنة .

وكان مولد النَّسَائي في سنة خمس عشرة أو أربع عشرة ومئتين تقريباً عن قوله رحمه الله ، فكان عمره ثمانياً وثمانين سنة[٣] .

الحسن بن سُفْيان[٤] بن عامر بن عبد العزيز بن النُّعمان بن عطاء ، أبو العبَّاس ، الشَّيْباني النَّسَوي ، محدِّث خُراسان ، والذي كان يضرب آباط الإبل إليه في معرفة الحديث والفِقْه . رَحَلَ إلى الآفاق ، وتفقَّه على أبي ثَوْر[٥] ، وكان يُفْتي بمذهبه ، وأخذ الأدبَ عن أصحاب النَّضْر بن شُمَيْل[٦] ، وكانت إليه الرِّحْلة بخراسان .

ومن غريب ما اتَّفَقَ له : أنه كان هو وجماعة من أصحابه بمصْر في رحلتهم لطلب الحديث ؛ فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون فيها شيئاً ، ولا يجدون ما يبيعونه للقوت ، واضطرَّهُمُ الحال إلى تجشُّم السؤال ، وأنِفَتْ أنفسُهم من ذلك ، وعزَّتْ عليهم ، وامتنعت كلَّ الامتناع ، والحاجة تضطرهم إلى تعاطي ذلك ، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يقوم بأعباء هذا الأمر ، فوقعت القُرْعة على الحسن بن سُفْيان ،

---

(١) وهو ما صححه الذهبي ، انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣٢ ـ ١٣٣) .

(٢) وفيات الأعيان (١ ـ ٧٧ ـ ٧٨) .

(٣) انفرد الخزرجي في خلاصة تذهيب الكمال (٦) أنه توفي سنة (٣٠٤هـ) ، وليس بشيء .

(٤) الجرح والتعديل (مج١/ ق٢/ ١٦) الأنساب (٢/ ٥٨ ـ ٥٩) المنتظم (٦/ ١٣٢ ـ ١٣٦) معجم البلدان (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٦/ ٣٣٧ ـ ٣٤١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٧ ـ ١٦٢) ميزان الاعتدال (١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥) تهذيب ابن عساكر (٤/ ١٧٨ ـ ١٨٢) .

(٥) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان البغدادي ، أحد الأئمة فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً ، وعلى الرغم من أنه كان صاحب مذهب في الفقه إلا أنه أكثر ميلاً للشافعي ، توفي سنة (٢٤٠هـ) وقد مر ذكره عرضاً في وفياتها في هذا الكتاب . وترجمته مفصلة في طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٧٤ ـ ٨٠) .

(٦) من أصحاب الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وكان أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة ، توفي سنة (٢٠٤هـ) وترجمته في وفيات الأعيان (٥/ ٣٩٧ ـ ٤٠٥) .

فقام عنهم ، فاختـلى في زاوية المسجد الذي هُمْ فيه ، فصلَّى رَكْعَتين أطال فيهما ، واستغاث بالله ، وسأله بأسمائه العِظام ، فما انصرف من الصَّلاة حتى دخل المسجد شابٌّ حسن الهيئة ، مليح الوجه فقال : أين الحسن بن سفيـان ؟ فقلت : أنا . فقال : الأمير طولون[١] يقرأ عليكم السَّلام ، ويعتذر إليكم في تقصيره ، وهذه مئة دينار لكلِّ واحدٍ منكم . فقلنا له : ما الحامل له على هذا ؟ فقال : إنه أحبَّ أن يختلي اليوم بنفسه ، فبينا هو الآن نائم إذ جاءه فارس في الهواء بيده رمح ، فدخل عليه المنزل ووضع عَقِبَ الرُّمح في خاصرته ، فوكزه به وقال : قُمْ فأَدْرِكِ الحسنَ بنَ سفيان وأصحابه ، قُمْ فأَدْرِكْهُمْ ، قُمْ فأَدْرِكْهُمْ ؛ فإنهم منذ ثلاثة أيام جياعٌ في المسجد الفلاني . فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا رِضْوان خازن الجنَّة . فاستيقظ الأمير وخاصرته تؤلمه ألماً شديداً ، فبعثَ بالنفقة في الحال إليهم ، ثم جاء لزيارتهم ، واشترى ما حول ذلك المسجد[٢] ، ووقفه على الواردين إليه من أهل الحديث ، جزاه الله خيراً .

وقد كان الحسن بن سفيان رحمه الله من أئمة هذا الشَّأْن وفرسانه وحُفَّاظه ، وقد اجتمع عنده جماعة من الحفاظ منهم ابن خُزَيمة[٣] وغيره ، فقرؤوا عليه شيئاً من الحديث ، وجعلوا يقلبون الأسانيد ليستعلموا[٤] ما عند الشيخ ، فما قلبوا شيئاً إلا ردَّهم فيه إلى الصواب ، وعمره إذ ذاك تسعون[٥] سنة ، وهو في هذا السِّن حافظٌ ضابط ، لا يَشِذُّ عنه شيء من حديثه ، ومن فوائده : العَبْسي كوفي ، والعَيْشي بَصْري ، والعَنْسي مِصْري[٦] .

---

(١) كـذا ورد الاسم في أكثر المصـادر التي سـاقت الخبر ، ومن المعروف أن طولون لم يل مصر ، مما دعا الإمام الذهبي إلى أن يشكك في صحة الحكايـة ، وفي مختصر ابـن منظور و تهذيب ابن عساكر ورد باسم ابن طولون ، وهو أحمد الذي ولي مصر سنة (٢٥٤هـ) ، وكان عمـر الحسن بن سفيـان وقتئذٍ قد جـاوز سن الطلب ، ومن ثم قال الإمام الذهبي : وأما ابنه أحمد بن طولون فيصغر عن الحكاية . سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦٢) ومختصر ابن منظور (٦/ ٣٤٠) وسيرد خبر قريب من هذا الخبر في ترجمة محمد بن جرير الطبري في وفيات سنة (٣١٠هـ) .

(٢) في (ط) المجلس ، وهو تحريف .

(٣) في (ط) ابن جرير الطبري ، وهو تحريف ، وابن خزيمة ستَرِد ترجمته في وفيات سنة (٣١١هـ) .

(٤) في (ح) و(ب) و(ط) ليستعملوا ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ظا) .

(٥) في (ط) سبعون ، وهو تصحيف ، ولم تذكر المصادر سنة ولادته خلا الذهبي الذي قال : ولد سنة بضع وثمانين ومئة . تحرفت في المطبوع إلى مئتين . وعلى ذلك يكون عمره حين توفي قد جاوز المئة بكثير . سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٧) .

(٦) قال ابن حجر في (تبصير المنتبه) ٣/ ٩٨٨ : « ومن ضوابط هذا الفن أن من كان من أهل الكوفة فهو بالموحدة ، ومن كان من أهل الشام فهو بالنون ، ومن كان من أهل البصرة فهو بالشين المعجمة » .

رُوَيْم بن أحمد[١] ، ويقال ابن محمد بن رُوَيْم بن يزيد[٢] ، أبو الحسن ، ويقال : أبو الحسين ، ويقال أبو محمد ، أحد أئمة الصُّوفية ، كان عالماً بالقرآن ومعانيه ، وكان يتفقَّه على مذهب داود بن علي الظَّاهري[٣] .

قال بعضهم : كان رويم يكتم حُبَّ الدنيا أربعين سنة ، وذلك أنه تصوَّف أربعين سنة ، ثم لما وَلِيَ إسماعيل بن إسحاق[٤] القضاء ببغداد جعله وكيلاً في بابه ، فترك التصوُّف ، ولبس الخَزَّ والقَصَب[٥] والدَّبيقي[٦] ، وركب الخيل وأكل الطيبات وبنى الدُّور .

زهير بن صالح بن الإمام أحمد بن حَنْبل[٧] . روى عن أبيه . وعنه أبو بكر أحمد بن سَلْمان[٨] النَّجَّاد ، كان ثقةً ، مات وهو شابٌّ ، قاله الدَّارَقُطني .

أبو علي الجُبَّائي[٩] ، شيخ المعتزلة ، هو محمد بن عبد الوهَّاب ، أبو علي الجُبَّائي ، شيخ طائفة المعتزلة في زمانه ، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشْعري[١٠] ، ثم رجع عنه ، وللجُبَّائي تفسير حافل مطوَّل ، له فيه اختيارات غريبة في التفسير ، وقد ردَّ عليه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيه وقال : كأن القرآن نزل بلغة أهل جُبَّاء[١١] .

كان مولد الشيخ أبي علي في سنة خمس وثلاثين ومئتين .

---

(١) طبقات الصوفية (١٨٠ ـ ١٨٤) حلية الأولياء (١٠/ ٢٩٦ ـ ٣٠٢) تاريخ بغداد (٨/ ٤٣٠ ـ ٤٣٢) الرسالة القشيرية (٢٠ ـ ٢١) المنتظم (٦/ ١٣٦ ـ ١٣٧) صفة الصفوة (٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) طبقات الأولياء (٢٢٨ ـ ٢٣١) طبقات الشعراني (١/ ١١٦) .

(٢) في تاريخ بغداد (٨/ ٤٣٠) ابن محمد بن يزيد بن رويم بن يزيد ، ومثله في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣٥) .

(٣) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٧٠هـ) من هذا الكتاب .

(٤) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٨٢هـ) من هذا الكتاب .

(٥) القصب : ثياب تتخذ من كتان ، رقاق ناعمة . اللسان (قصب) .

(٦) في (ط) الديبقي ، وهو تصحيف . والدبيقي نسبة إلى دبيق ، بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر ، تنسب إليها الثياب الدبيقية . معجم البلدان (٢/ ٤٣٨) .

(٧) المنتظم (٦/ ١٣٧) .

(٨) في (ط) سليمان ، وهو تصحيف ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣٤٨هـ) .

(٩) مقالات الإسلاميِّين (٥٢٢) وما بعدها ، الفَرْق بين الفِرَقْ (١٦٧ ـ ١٦٩) الملل والنحل (١/ ٧٨ ـ ٨٥) الأنساب (٣/ ١٧٦) المنتظم (٦/ ١٣٧) وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٣ ـ ١٨٤) طبقات المعتزلة (٨٠ ـ ٨٥) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠) .

(١٠) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٣٠هـ) .

(١١) كذا في الأصول ، وفي معجم البلدان (٢/ ٩٧) « جُبَّى » بالضم ثم التشديد والقصر . . . بلد في طرف من البصرة والأهواز . . . وجبى في الأصل أعجمي ، وكان القياس أن ينسب إليها جُبَّوي ، فنسبوا إليها جُبَّائي على غير قياس .

ومات في هذه السنة :

ابن بسَّام الشَّاعر[١] ، أبو الحسن[٢] ، علي بن أحمد[٣] بن منصور بن نصر[٤] بن بسَّام ، البَسَّامي ، الشَّاعر المطَبِّق الهَجَّاء ، لم يترك أحداً حتى هجاه ، حتى أباه ، وأُمُّه أُمامة بنت حَمْدون النَّديم[٥] .

وقد أورد له ابنُ خَلِّكان أشياءَ كثيرة من شعره ؛ من ذلك قوله في تخريب المتوكل قَبْرَ الحسينِ بن علي ، وأمْرِهِ بأن يُزْرَعَ ويُمْحىٰ رَسْمُه ، وكان شديدَ التحامل على عليٍّ وولدِه ، فلما وقع ما ذكرناه وكان ذلك سنة ست وثلاثين ومئتين[٦] . قال ابن بَسَّام هذا :

تـالله إنْ كـانَـتْ أُميَّـةُ قـد أتَـتْ ... قَتْـلَ ابـنِ بنـتِ نبيِّهـا مَظْلُـومـا

فَلَقَـدْ أتـاهُ بنُـو أبيـهِ بمثلِـهِ ... هـذا لَعَمْـرُكَ قَبْـرُهُ مَهْـدُومـا

أسِفُوا على أنْ لا يكونوا شاركوا ... فـي قَتْلِـهِ فتتَبَّعُـوهُ رَمِيْمـا[٧]

ثم دخلت سنة أربع وثلاثمئة

فيها عزل الخليفة المقتدر بالله وزيره أبا الحسن عليَّ بنَ عيسى بن الجَرَّاح ؛ وذلك لأنه وقعت بينه وبين أم موسى القَهْرَمانة نُفْرةٌ شديدة ، فسأل الوزير أن يُعْفى من الوِزَارة فعُزِلَ ، ولم يتعرَّض لشيءٍ منْ أملاكه .

وطُلِب أبو الحسن علي بن محمد بن الفُرَات[٨] فأعيد إلى الوزارة بعد عزله عنها خمس سنين ، وخَلَعَ عليه الخليفة يوم التَّرْوية سَبْعَ خِلَع ، وأطلق له ثلاثمئة ألف دِرْهم ، وعشرة تخوت ثياب ، ومن الخيل

(١) مروج الذهب (٤/ ٢٩٧ ـ ٣٠٤) تاريخ بغداد (١٢/ ٦٣) معجم الأدباء (١٤/ ١٣٩ ـ ١٥٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣٦٣ ـ ٣٦٦) فوات الوفيات (٣/ ٩٢ ـ ٩٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١١٢ ـ ١١٣) النجوم الزاهرة (٣/ ١٨٩ ـ ١٩٠) مفتاح السعادة (١/ ١٩١) وقد نسب إليه فيه تأليفه « الذخيرة » ، وهو وهم منه .

(٢) في النجوم الزاهرة (٣/ ١٨٩) : أبو جعفر ، وهو خلاف المشهور .

(٣) في المصادر : بن محمد ، وهو المشهور .

(٤) اضطربت مصادر ترجمته في تقديم أحدهما على الآخر ، والأشبه بالصواب أنه علي بن محمد بن نصر بن منصور .

(٥) كان نديم المتوكل ، وتوفي سنة (٢٥٤هـ) ، ترجمته في مختصر ابن منظور (٧/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

(٦) انظر حوادث تلك السنه في هذا الكتاب .

(٧) وفيات الأعيان (٣/ ٣٦٥) وقد أوردت أغلب المصادر وفاته سنة (٣٠٢هـ) وذكره اليافعي في مرآة الجنان (٢/ ٢٣٩) في وفيات سنة (٣٠١هـ) .

(٨) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣١٢هـ) .

والبغال والجمال شيء كثير ، وأُقطع الدَّار التي بالمُخَرَّم[١] فسكنها ، فعمل فيها ضيافة تلك الليلة ، فسقى فيها أربعين ألف رطل من الثَّلْج .

وفي الصيف[٢] من هذه السنة اشتُهِرَ ببغداد أن حيواناً يقال له الزبزب يطوف باللَّيل يأكل الأطفالَ من الأسرَّة ، ويعدو على النيام فربما قطع يد الرَّجُل وثَدْي المرأة وهو نائم ، فجعل الناس يضربون على أسطحتهم بالنُّحاس من الهواوين والطُّوس[٣] وغير ذلك ؛ ينفِّرونه عنهم ، حتى كانت بغداد بالليل ترتجُّ من شرقيّها وغربيّها ، واصطنع الناس لأولادهم مكبَّات من السَّعَف وغير ذلك ، واغتنمت اللصوص هذه الشوشة ؛ فكَثُرَتِ النُّقوب وأُخذت الأموال ، فأمر الخليفة بأن يؤخذ حيوان من كلاب الماء فيصلبَ على الجسر لِيَسْكُنَ الناس بذلك ، فَفُعِلَ ، فسكن أمر الناس ورجعوا إلى أنفسهم ، واستراح الناس من ذلك .

وقُلِّدَ ثابتُ بنُ سِنَان الطَّبيب المؤرخ[٤] أمر المارَسْتانات ببغداد في هذه السنة ، وكانت خمسةً .

وورد الخبر من خُراسان بأنهم وجدوا قبورَ شهداء قتلوا في سنة سبعين من الهجرة مكتوبةً أسماؤهم في رقاع مربوطة بآذانهم ، وأجسادُهُمْ طريَّة كما هي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن أحمد بن الهيثم بن صالح[٥] بن عبد الله بن الحُصَين بن عَلْقمة بن لبيد بن نعيم بن عُطارد بن حاجب بن زُرَارة ، أبو الحسن التميمي ، الملقب فَرُّوجة[٦] .

قَدِمَ بغداد ، وحدَّث بها ، وكان ثِقَةً حافظاً .

يوسف بن الحسين بن علي[٧] أبو يعقوب الرَّازي .

سمع أحمدَ بنَ حنبل ، وصحب ذا النُّون المصري[٨] ، وروى عنه أبو بكر النَّجَّاد .

---

(١) في (ط) بالحريم ، وهو تحريف . والمخرَّم : محلة كانت ببغداد منسوبة إلى مخرم بن يزيد . معجم البلدان (٥/ ٧١) .

(٢) في (ط) نصف ، وهو تصحيف .

(٣) مفردها طاس ، وهو إناء من نحاس ونحوه يشرب فيه ، والعامة يقولون طاسة . المعجم الوسيط (٢/ ٥٧٦) .

(٤) سيرد ذكره في وفيات سنة (٣٣١هـ) من هذا الجزء .

(٥) تاريخ بغداد (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) والمنتظم (٦/ ١٤١) .

(٦) في النسخ الخطية : فورجة ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ط) وتبصير المنتبه (٣/ ١٠٨٧) .

(٧) طبقات الصوفية (١٨٥/ ١٩١) حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٨ ـ ٢٤٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٣١٤ ـ ٣١٩) الرسالة القشيرية (٢٢) طبقات الحنابلة (١/ ٤١٨ ـ ٤٢٠) صفة الصفوة (٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣) المنتظم (٦/ ١٤١ ـ ١٤٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٤٨ ـ ٢٥١) طبقات الأولياء (٣٧٩ ـ ٣٨٤) طبقات الشعراني (١/ ١١٩ ـ ١٢٠) .

(٨) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٤٥هـ) من هذا الكتاب .

روى الخطيب بسنده إليه أنه بلغه أن ذا النون يحفظ اسم الله الأعظم ، فقصده ليعلّمه إياه قال : فلما وردتُ عليه استهان بي ، وكانت لي لحية طويلة ، ومعي رِكْوَة[١] طويلة[٢] ، فجاءه يوماً رجل فناظر ذا النون ، فأسْكَتَ ذا النُّون ، فناظرت أنا الرَّجُلَ فأسْكتُّهُ ، فقام ذو النون فجلس بين يديَّ ، وهو شيخ وأنا شابٌّ ، واعتذر إلي ، فخدمْتُه سنة ، ثم سألته أن يعلِّمَني الاسم الأعظم ، فلم يبعد مني ووعدني ، فمكثت بعد ذلك ستةَ أشهر ، ثم أخرج إلي طبقاً عليه مَكَبَّةٌ مشدوداً[٣] بمنديل ، وقال لي : اذهب بهذا إلى صاحبنا فلان . قال : فجعلت أفكر في الطريق : ما هذا الذي قد أرسلني به ؟ فلما وصلتُ الجسر فتحته فإذا فيه فأرة ، فقفزتْ وذهبت ، فاغتظتُ غيظاً شديداً ، وقلت : ذو النُّون يسخر بي ؟! فرجعت إليه وأنا حَنِقٌ فقال لي : ويحك ، إنما اختبرتك ، فإذا لم تكن أميناً على فأرة فأَنْ لا تكون أميناً على الاسم الأعظم بطريق الأَوْلى ، اذهب عني ، فلا أراك بعدها[٤] .

وقد رؤي ابن[٥] الحسين الرَّازي هذا في المنام بعد موته فقيل له : ما فَعَل الله بك ؟ فقال : غفر لي بقولي عند الموت : اللهم ، إني نصحت للنَّاس قولاً وخُنْتُ نفسي فِعْلاً ، فَهَبْ لي خيانة فِعْلي لنصح قولي .

يموت بن المُزَرِّع بن يموت[٦] ، أبو بكر العَبْدي من عبد القَيْس ، وهو بَصْري[٧] ، وكان ابنَ أُخت الجاحظ .

قَدِمَ بغداد ، وحدَّث بها عن أبي عُثْمان المازني ، وأبي حاتِم السِّجِسْتاني ، وأبي الفضل الرِّياشي ، وكان صاحب أخبار وآدابٍ ومُلَحٍ ، وقد كان غَيَّر اسمه بمحمد ، فلم يَغْلِبْ عليه إلا الأول ، وكان إذا ذهب يعود مريضاً فدقّ الباب فقيل : من ؟ فيقول : ابن المُزَرِّع ، ولا يذكر اسمه لئلا يتطيَّروا[٨] به .

***

---

(١) إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء . اللسان (ركا) .

(٢) كأنه استشنع منظره ، فلم يلتفت إليه .

(٣) في (ط) مستوراً .

(٤) تاريخ بغداد (١٤/ ٣١٦ـ ٣١٧) وقد بسط الخبر ثمة .

(٥) في النسخ الخطية و(ط) أبو الحسين ، وهو وهم .

(٦) طبقات النحويين واللغويين (٢٣٥ ـ ٢٣٦) معجم الشعراء للمرزباني (٥١٠) جمهرة أنساب العرب (٢/ ٢٩٨) تاريخ بغداد (٣/ ٣٠٨ ، ١٤/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠) نزهة الألباء (١٦٣ ـ ١٦٤) المنتظم (٦/ ١٤٣) معجم الأدباء (٢٠/ ٥٧ ـ ٥٨) إنباه الرواة (٤/ ٧٤) وفيات الأعيان (٧/ ٥٣ ـ ٥٩) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) غاية النهاية (٢/ ٣٩٢) .

(٧) في النسخ الخطية و(ط) ثوري ، ولم أر لها وجهاً ، والمثبت مما ذكرته مصادر ترجمته .

(٨) في النسخ الخطية و(ط) يتفاءلوا ، ولا وجه لها ، والمثبت من وفيات الأعيان (٧/ ٥٤) .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثمئة

فيها قَدِمَ رسول ملك الرُّوم في طلب المفاداة والهُدْنة ، وهو شابٌّ حَدَث السن ، ومعه شيخ منهم وعشرون غلاماً ، فلما وَرَد بغداد شاهد أمراً هائلاً جداً ، وذلك أن الخليفة المقتدر بالله أمر بالاحتفال بذلك ليشاهد ما فيه إرهاب الأعداء ؛ ركب الجيش بكماله يومئذٍ وكان مئة ألف وستين ألفاً ، ما بين فارس وراجل[١] ، في الأسلحة التَّامة ، وغِلْمان الخليفة سبعة آلاف ؛ أربعة آلاف أبيض ، وثلاثة آلاف أسود ، في غاية الملابس والعُدَد والحِلْية ، والحَجَبَة يومئذٍ سبعمئة حاجب ، وأما الطَّيَّارات التي بدِجْلة والزَّبازب والسُّمَيْرِيَّات[٢] فشيء كثير ، مزينة ، وحين دخل الرَّسول دارَ الخلافة شاهد أمراً أدهشه ، ورأى من الحِشْمة والزِّينة والحُرْمة ما يُبْهر الأبصار ، وحين اجتاز بالحاجب ظَنَّ أنه الخليفة فقيل له : هذا الحاجب الكبير ، فَمَرَّ بالوزير في أُبهته فظنَّه الخليفة فقيل : هذا الوزير . وقد زينت دار الخلافة بزينة لم يُسمع بمثلها ، كان فيها يومئذ من الستور ثمانية وثلاثون ألف سِتر ؛ منها اثنا عشر ألف سترٍ وخمسمئة مُذْهَبة ، وقد بُسط فيها اثنان وعشرون ألف بساط ، وفيها من الوحوش قُطعان متآنسة بالنَّاس ، بحيث تأكل من أيديهم ومئة سَبُعٍ من السِّباع ، ثم أدخل إلى دار الشجرة ، وهي عبارة عن بِرْكة فيها ماء صافٍ ، وفي وسط ذلك الماء شجرة من ذهب وفِضَّة لها ثمانية عشر غُصْناً أكثرها من ذهب ، وفيها الشماريخ[٣] والأوراق الملونة ، عليها طيور مصنوعة من الذهب والفِضَّة واللآلىء تصوِّتُ بأنواع الأصوات من الماء المسلَّط عليها ، والشجرة بكمالها تتمايل كما تتمايل الأشجار بحركاتٍ عجيبة تُدْهش من يراها وينظر إليها ، ثم أُدخل إلى مكان يسمونه الفِرْدَوْس ، فيه أنواع المفارش والآلات ما لا يحدُّ ولا يوصف كثرة وحُسْناً ، وفي دَهاليزه ثمانية عشر ألف جَوْشَن[٤] مُذْهَب ، وما زال كلَّما مَرَّ على مكان أدْهَشَه وأَخَذَ ببصره حتى انتهى إلى الخليفة المقتدر بالله ، وهو جالس على سريرٍ من آبَنُوس ، قد فُرش بالدَّبيقي المطرَّز[٥] ، وعن يمين السرير تسعة عقود[٦] معلَّقة ، وعن يساره تسعة أخرى من أفخر الجواهر ، يعلو ضوؤها على ضوء

---

(١) في (ط) : غير العساكر الخارجة في سائر البلاد مع نوابها ، فركبوا .

(٢) الطيارات والزبازب والسميريات ؛ أنواع من السفن .

(٣) مفرد شمراخ وشمروخ : وهو غصن دقيق رَخْصٌ ينبت في أعلى الغصن الغليظ خرج في سَنَتِه رَخْصاً . اللسان (شمروخ) .

(٤) الدرع . اللسان (جشن) .

(٥) في (ط) : بالذهب وانظر عن الدبيقي حاشيتنا وفيات سنة (٣٠٣هـ) من هذا الجزء .

(٦) في (ط) سبعة عشر عنقود معلقة ، وهي تحريف .

النَّهار[١] ، فأُوقف الرسول والذي معه بين يدي الخليفة على نحو مئة ذراع ، والوزير عليٌّ بن محمَّد بن الفُرَات واقفٌ بين يدي الخليفة والتُّرْجُمان دون الوزير ، فجعل الخليفة يخاطب الوزير والوزير يخاطب التُّرْجُمان ، والتُّرْجمان يخاطبهما ، ثم خَلَع عليهما[٢] ، وأطلق لهما خمسين سقرقاً ، في كل سقرق خمسة آلاف دِرْهم ، وأُخرجا من بين يديه ، وطيف بهما في بقية دار الخلافة ، وعلى حافَات دِجْلة الفيلة والزَّرَافة والسِّبَاع والفُهود وغير ذلك ، وهذا من أغرب ما وقع من الحوادث في هذه السَّنة .

وحجَّ بالنَّاس فيها الفَضْل الهاشمي .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

سليمان بن محمد بن أحمد أبو موسى[٣] ، النَّحْوي الكوفي ، المعروف بالحامض[٤] .

صَحِبَ ثَعْلباً[٥] أربعين سنة ، وخَلَفَه في حَلْقَته .

وصنَّف « غريب الحديث » ، و « خَلْق الإنسان » ، و « الوحوش » و « النَّبات » ، وكان دَيِّناً صالحاً .

روى عنه أبو عمر الزَّاهد[٦] .

توفي ببغداد في ذي الحِجَّة منها ، ودُفِنَ بباب التِّبْن[٧] .

وعبد الله بن شِيْرَوَيْه الحافظ[٨] ، وعِمْران بن مُجَاشِع[٩] ، وأبو خليفة الفَضْل بن الحُباب[١٠] .

---

(١) في (ط) : ليس لواحدة منها قيمة ولا يستطاع ثمنها .

(٢) في ط : فلما فرغ منهما خلع عليهما .

(٣) طبقات النحويين واللغويين (١٧٠) وفيه محمد بن سليمان ، وهو خلاف المشهور . تاريخ بغداد (٩/ ٦١) الأنساب (٤/ ٣٠) نزهة الألباء (١٦٥ ـ ١٦٦) المنتظم (٦/ ١٤٥) معجم الأدباء (١١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥) اللباب (١/ ٢٧١) وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٦) النجوم الزاهرة (٣/ ١٩٣) .

(٤) في (ط) الجاحظ ، وهو تحريف . وإنما قيل له الحامض لأن أخلاقه كانت شرسة . وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٦) .

(٥) سلفت ترجمة ثعلب في وفيات سنة (٢٩١هـ) من هذا الكتاب .

(٦) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٤٥هـ) .

(٧) في (ط) التين ، وهو تصحيف . والتبن ـ بالموحدة التحتية ـ اسم محلة كبيرة كانت ببغداد ، معجم البلدان (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) .

(٨) في (ط) عبد الله بشرويه ، وهو تحريف ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦٦ ـ ١٦٨) .

(٩) عمران بن موسى بن مجاشع ، محدث جرجان في زمانه ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧) .

(١٠) إمام ، علامة ، محدث ، أديب ، إخباري ، عاش مئة عام سوى أشهر . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٧ ـ ١١) .

وقاسم بن زكريا بن يحيى المُطَرِّز المقرىء[١] .

أحد الثِّقات الأثبات .

سَمِعَ أبا كُرَيْب ، وسُوَيْد بن سعيد .

وعنه : الخُلْدي ، وابن الجِعَابي[٢] .

توفي ببغداد في هذه السَّنة .

ثم دخلت سنة ستٍّ وثلاثمئة

في أوَّل يوم من المُحرَّم وهو مستهل هذه السنة فُتح المارَسْتان الذي بنته السَّيِّدة أمُّ المقتدر ، وجلس فيه سِنَان بن ثابت الطبيب ، ورُتِّبت فيه الأطباء والخَدَم والقوَمة ، وكانت نفقَتُه في كل شهر ستمئة دينار ، وأشار سنان بن ثابت على الخليفة ببناء مارَسْتان ، فقبل منه وبني ، وسُمِّيَ المُقْتدري .

وفيها وردت الأخبار عن أمراء الصَّوائف بما فتح الله عليهم من الحصون في بلاد الرُّوم .

وفيها شَغَبَ العامة وأرجفوا بموت المقتدر بالله ، فركب في الجحافل حتى بلغ الثُّريا ، ورجع من باب العامة ، ووقف طويلاً ليراه الناس ، ثم ركب إلى الشَّمَّاسية ، وانحدر إلى دار الخلافة في دِجْلة ، فَسَكَنتِ الفِتَن .

وفيها قلَّد المقتدر حامدَ بنَ العبَّاس الوِزارة ، وخَلَعَ عليه ، وخرج من عنده وخَلْفَه أربعمئة غلام لنفسه ، [فمكث أياماً][٣] ثم تبين عجزُه [عن القيام بالأمور][٣] فأخرج علي بن عيسى وجُعل معه لينفذ الأمور ، وينظر معه في الأعمال ، وكان أبو علي بن مُقْلة ممن يكتب أيضاً بحضرة حامد بن العباس الوزير ، ثم صارت المنزلة كلها لعلي بن عيسى ، واستقلَّ بالوزارة في السنة الآتية .

وفيها أمرت السيدة أم المقتدر قَهْرمانةً لها تعرف بمثل أن تجلس في التُّرْبة التي بنتها بالرُّصافة في كل يوم جمُعة ، وأن تنظرَ في المظالم التي ترفع إليها في القِصَص ، وحَضَرَ في مجلسها القُضاة والفقهاء .

وحجَّ بالنَّاس فيها الفَضْل بن عبد الملك الهاشمي .

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٤١) المنتظم (٦/ ١٤٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٤٩ ـ ١٥٠) معرفة القراء (١/ ٢٤٠) .
(٢) في (ط) أبو الجعابي ، وهو تحريف ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣٥٥هـ) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن أحمد بن الحارث[١] ، أبو القاسم الكِلابي ، الشَّافعي .

سمع الحارث بن مسكين[٢] ، وغيره ، وكان رجلاً صالحاً ، تفقَّه[٣] على مذهب الشَّافعي ، [وكان][٤] يحبُّ الخَلْوة والانقباض ، توفِّيَ في شعبان منها .

أحمد بن الحسن الصوفي[٥] .

أحد مشايخ الحديث المكثرين المعمَّرين .

أحمد بن عمر بن سُرَيج[٦] أبو العبَّاس ، القاضي بشيراز ، وله[٧] نحو أربعمئة مصنَّف .

[وكان][٨] أحد أئمة الشَّافعية ، ويلقب بالباز الأشْهب ، وكان قد أخذ الفِقْه عن أبي القاسم الأنْماطِيِّ[٩] ، وعن أصحاب الشَّافعي : كالمُزني[١٠] وغيره ، وعنه انتشر مذهب الشَّافعي في الآفاق ، وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشافعية » بما فيه مقنع .

توفي في جُمادى الأولى منها عن سَبْعٍ وخمسين سنة وستة أشهر ، رحمه الله .

وقال ابن خَلِّكان : توفي يوم الإثنين الخامس والعشرين من ربيع الأوَّل ، وعمره سبع وخمسون سنة وستة أشهر[١١] ، وقبره يزار ، رحمه الله[١٢] .

---

(١) المنتظم (٦/ ١٤٨) .
(٢) قاضي مصر ، ثقة فقيه ، توفي سنة (٢٥٠هـ) ملحق قضاة مصر (٥٠٢ ـ ٥٠٥) .
(٣) في النسخ الخطية : ثقة ، والمثبت من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) تاريخ بغداد (٤/ ٨٢ ـ ٨٦) طبقات الحنابلة (١/ ٣٦ ـ ٣٧) والمنتظم (٦/ ١٤٩) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٢ ـ ١٥٣) ميزان الاعتدال (١/ ٩١) الوافي بالوفيات (٦/ ٣٠٥) لسان الميزان (١/ ١٥١ ـ ١٥٣) شذرات الذهب (٢/ ٢٤٧) .
(٦) تاريخ بغداد (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٩٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٨ ـ ١٠٩) المنتظم (٦/ ١٤٩ ـ ١٥٠) وفيات الأعيان (١/ ٦٦ ـ ٦٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨١١ ـ ٨١٣) . طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢١ ـ ٣٩) .
(٧) في (ط) : وصنف .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٨٨هـ) من هذا الكتاب .
(١٠) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٦٤هـ) من هذا الكتاب .
(١١) في (ط) ثلاثة أشهر ، وهو تحريف .
(١٢) وفيات الأعيان (١/ ٦٧) .

أحمد بن يحيى[١] أبو عبد الله الجَلاَّء[٢] .

بغدادي ، سكن الشَّام ، وصَحبَ أبا تراب النَّخْشَبي[٣] ، وذا النُّون المِصْري .

روى أبو نُعَيْم بسنده عنه قال : قلت لأبويَّ وأنا شاب : إني أحبُّ أن تَهباني لله عزَّ وجلَّ . [فقالا : قد وهبناك لله][٤] ، فغِبْتُ عنهما مُدَّة طويلة ، ثم رَجَعْتُ إلى بلدنا عِشاءً في ليلة مطيرة ، فانتهيت إلى الباب فدققته[٥] فقالا : منْ هذا ؟ فقلت : أنا فلان ولدكما ، فقالا : إنه قد كان لنا ولد وَوَهَبْناه لله عزَّ وجلَّ ، إنَّا من العرب[٦] ، لا نَرْجِعُ فيما وهبنا . ولم يفتحا لي الباب[٧] .

الحسن بن يوسف بن [يعقوب بن][٨] إسماعيل بن حمَّاد بن زيد[٩] : القاضي أبو يعلىٰ ، وهو أخو القاضي أبي عمر محمد بن يوسف[١٠] ، وكان إليه ولاية القَضاء بالأُرْدُنّ .

عبد الله بنُ أحمد بن موسى بن زياد[١١] : أبو محمد ، الجَوَاليقي ، القاضي ، المعروف بعَبْدان ، الأهْوازي .

ولد سنة ست عشرة ومئتين .

وكان أحدَ الحُفَّاظ الأثبات ، يحفظ مئةَ ألفِ حديث ، جَمَعَ المشايخ والأبواب .

روى عن هُدْبة ، وكامل بن طلحة ، وغيرهما .

وعنه : ابن صاعد ، والمحاملي ، وغيرهما .

---

(١) طبقات الصوفية (١٧٦ ـ ١٧٩) حلية الأولياء (١٠/ ٣١٤ ـ ٣١٥) تاريخ بغداد (٥/ ٢١٣ ـ ٢١٥) الرسالة القشيرية (٢٠) الأنساب (٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨) المنتظم (٦/ ١٤٨ ـ ١٤٩) صفوة الصفوة (٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) مختصر ابن منظور (٣/ ٣٢٢ ـ ٣٢٥) طبقات الأولياء (٨١ ـ ٨٣) طبقات الشعراني (١/ ١١٦) .

(٢) في (ط) الجلاد ، وهو تصحيف .

(٣) هو عسكر بن حصين ، مشهور بكنيته ، شيخ عصره في الزهد والتصوف ، توفي سنة (٢٤٥هـ) . ترجمته في طبقات الصوفية (١٤٦ ـ ١٥١) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) في (ط) فدفعته .

(٦) في (ط) ونحن من العرب .

(٧) حلية الأولياء (١٠/ ٣١٥) .

(٨) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد (٨/ ١٤٧) .

(٩) تاريخ بغداد (٨/ ١٤٧) وفيه الحسين . والمنتظم (٦/ ١٥٠) .

(١٠) سترد ترجمته في وفيات عام (٣٢٠هـ) .

(١١) تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) الأنساب (٣/ ٣٣٥) المنتظم (٦/ ١٥٠ ـ ١٥١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٦٨ ـ ١٧٣) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٨٨ ـ ٦٨٩) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) .

محمد بن بابشاذ أبو عبيد الله البَصْري[١] : سكن بغداد ، وحدَّث بها عن عبيد الله بن معاذ العَنْبري[٢] ، وبِشْر بن معاذ العَقَدي ، وغيرهما .

وفي حديثه غرائب ومناكير[٣] .

توفي في شوَّال من هذه السنة .

محمد بن الحسين بن شهريار[٤] : أبو بكر ، القَطَّان ، بَلْخي الأصل .

روى عن الفَلاَّس ، وبشر بن معاذ .

وعنه أبو بكر الشَّافعي ، وابن الجِعابي .

كذَّبه ابن ناجية ، وقال الدَّارقُطْني : ليس به بأس .

محمد بن خَلَف بن حَيَّان[٥] بن صَدَقة بن زياد[٦] : أبو بكر الضَّبي ، القاضي المعروف بوكيع .

كان عالماً فاضلاً عارفاً بأيام النَّاس ، فقيهاً قارئاً نَحْوياً ، له مصنَّفات ؛ منها : كتاب « العَدَد »[٧] ، وولي القضاء بالأهْواز .

وحدَّث عن الحسن بن عَرَفة ، والزبير بن بَكَّار وغيرهما .

وعنه : أحمد بن كامل ، وأبو علي الصَّوَّاف ، وغيرهما .

ومن شعره قوله :

إذا ما غَدتْ طلاَّبةُ العِلْم تَبْتَغي ... مِنَ العِلْم يوماً ما يخلَّدُ في الكُتْبِ
غَدَوْتُ بِتَشْميرٍ وجِدٍّ عليهمُ ... وَمِحْبَرَتي أُذْني[٨] ودَفْتَرُها قَلْبي

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٧) المنتظم (٦/ ١٥١) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٤٨ ـ ٤٨٩) .
(٢) في النسخ الخطية : معاذ العنبري ، وهو تحريف والمثبت من (ط) ، وتهذيب التهذيب (٧/ ٤٨ ـ ٤٩) .
(٣) هذه عبارة الخطيب في تاريخه ، وقد ساق له من غرائبه ومناكيره .
(٤) تاريخ بغداد (٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) المنتظم (٦/ ١٥١) .
(٥) انفرد السمعاني (٨/ ١٤٦) بأنه جيان ـ بالجيم والياء آخر الحروف ـ ووهم المعلق على تاريخ بغداد في نسبة هذا الرسم إلى المشتبه ، فالمذكور فيه غير هذا ، انظر المشتبه (١/ ١٣١) .
(٦) تاريخ بغداد (٥/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) الأنساب (٨/ ١٤٦ ـ ١٤٧) المنتظم (٦/ ١٥٢) وفيات الأعيان (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٣٧) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٨) الوافي بالوفيات (٣/ ٤٣ ـ ٤٤) .
(٧) في (ط) عدد آي القرآن .
(٨) في (ح) نطقي .

منصور بن إسماعيل بن عمر[١] : أبو الحسن الفقيه[٢] ، أحد أئمة الشَّافعية ، وله مصنَّفات في المذهب ، وله الشعر الحسن .

قال ابن الجَوْزي : ويظهرُ في شِعْره التشيع ، وكان جُنْدياً ، ثم كُفَّ بصره ، وسكن الرَّمْلة ، ثم قَدِم مصر حتى كانت وفاته بها[٣] .

أبو نصر المحب[٤] : أحد مشايخ الصُّوفية ، كان له كرمٌ وسخاء ومروءة[٥] .

ثُمَّ دخلت سنة سبع وثلاثمئة

في صفر منها وقع حريق بالكَرْخ في الباقلائيين ، هلك فيه خَلْقٌ كثير من النَّاس .

وفي ربيع الآخر منها دخل بأسارى من الكُرْج[٦] نحو من مئة وخمسين أسيراً أنقذهم الأمير بدر الحَمَامي[٧] .

وفي ذي القَعْدة [منها][٨] انقضَّ كوكب عظيم غالب الضوء ، وتقطع ثلاث قِطَع ، وسُمِعَ بعد انقضاضه صوت رعد شديد هائل من غير غَيْم ؛ ذكره ابن الجَوْزي[٩] .

وفيها دخلتِ القرامطة إلى البَصْرة ؛ فأكثروا فيها الفساد .

وفيها عُزِلَ حامد بن العَبَّاس عن الوزارة ، وأُعيد إليها أبو الحسن علي بن عيسى[١٠] .

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٧ ـ ١٠٨) المنتظم (٦/ ١٥٢) معجم الأدباء (١٩/ ١٨٥ ـ ١٩٠) وفيات الأعيان (٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٢) نكت الهميان (٢٩٧ ـ ٢٩٨) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٧٨ ـ ٤٨٣) .

(٢) في (ط) الفقير ، وهو تصحيف .

(٣) المنتظم (٦/ ١٥٢) ولوفاته قصة ذكرها السبكي في طبقاته (٣/ ٤٧٩ ـ ٤٨١) .

(٤) المنتظم (٦/ ١٥٢ ـ ١٥٣) .

(٥) في (ط) : ومر بسائل سأل ، وهو يقول : شفيعي إليكم رسول الله ﷺ فشق أبو نصر إزاره وأعطاه نصفه ، ثم مشى خطوتين ، ثم رجع إليه ، فأعطاه النصف الآخر ، وقال : هذا نذالة .

(٦) في (ب) و(ظا) و(ط) الكرخ ، وهو تصحيف . والكرج : جيل من الناس نصارى استولوا من بعد على تفليس . معجم البلدان (٤/ ٤٤٦) .

(٧) في (ط) الحماني ، وهو تصحيف ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣١١هـ) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٩) المنتظم (٦/ ١٥٣) .

(١٠) في الأصول الخطية و(ط) أبو الحسن بن الفرات المرة الثالثة وهو وهم تابع فيه المؤلف ابن الجوزي في المنتظم (٦/ ١٥٣) فابن الفرات كان مسجوناً في هذا الوقت انظر تاريخ الأمراء للصابي (٣٣) والكامل لابن الأثير (٨/ ١١٧) .

وفيها كسرتِ العامَّة أبوابَ السُّجون ؛ فأخرجوا من كان بها : فأدركتِ الشُّرَط الذين أُخرجوا من السِّجن ، فلم يفتهم أحدٌ منهم ، بل ردُّوا كلهم إلى السجون .

وحجَّ بالنَّاس في هذه السنة أحمد بن العبَّاس أخو أُم موسى القَهْرمانة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن علي بن المثنَّى[١] أبو يعلىٰ المَوْصلي : صاحب « المسند » المشهور .

سَمِعَ الإمام أحمد بن حنبل وطبقته ، وكان حافظاً كثيراً[٢] ، حسن التصنيف ، عَدْلاً فيما يرويه ، ضابطاً لما يحدِّث به .

إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن سَلَمة[٣] : أبو يعقوب ، البزَّاز ، الكُوفي .

رحل إلى الشَّام ومصر ، وكتب الكثير ، وصنَّف « المسند » ، واستوطن بغداد ، وكان من الثِّقات .

وروى عنه : ابن المُظَفَّر الحافظ .

وكانت وفاته في شوالها .

جعفر بن محمد بن موسى[٤] أبو محمد الأعرج : النَّيسابوري الحافظ .

قدم بغداد ، وروى عنه : الطبراني ، والأَزْدي ، وغيرهما من الحُفَّاظ ، وكان ثقة ، حافظاً ، عارفاً .

توفي بحلب في هذه السَّنة .

زكريا بن يحيى السَّاجي[٥] : الفقيه المحدِّث ، شيخ أبي الحسن الأشْعري[٦] في السُّنَّة والحديث .

علي بن سهل بن الأَزْهر[٧] أبو الحسن : الأصْبهاني .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٧٤ ـ ١٨٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٠٧ ـ ٧٠٨) الوافي بالوفيات (٧/ ٢٤١) .

(٢) في (ط) خيراً .

(٣) المنتظم (٦/ ١٥٤) .

(٤) تاريخ بغداد (٧/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) المنتظم (٦/ ١٥٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٥) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٥٠ ـ ٧٥١) . وهذه الترجمة سقط بعضها من (ط) ، مماجعلها تدرج في الترجمة السالفة .

(٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٩٧ ـ ٢٠٠) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٠٩ ـ ٧١٠) ميزان الاعتدال (٢/ ٧٩) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠١) .

(٦) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٢٤هـ) .

(٧) طبقات الصوفية (٢٣٣ ـ ٢٣٦) حلية الأولياء (١٠/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) تاريخ أصبهان (٢/ ١٤) الرسالة القشيرية (٢٣) المنتظم (٦/ ١٥٥) طبقات الشعراني (١/ ١٢٤) .

كان أولاً مترفاً ، ثم صار[١] زاهداً عابداً ، يبقى الأيام لا يأكل [فيها][٢] شيئاً ، وكان يقول : ألهاني الشوق [إلى الله][٣] عن الطَّعام والشَّراب ، وكان يقول : أنا لا أموت كما يموتون بالأعلال والأسقام ، إنما هو دعاء وإجابة ، أُدعىٰ فأُجيب . فكان كما قال ؛ بينما هو جالسٌ في جماعة إذ قال : لبيك ، ووقع مَيْتاً .

محمد بن هارون الرُّوياني : صاحب « المسند »[٤] . وابن ذَرِيح[٥] العُكْبَرِي . والهيثم بن خَلَف[٦] .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثمئة

غلتِ الأسعار في هذه السنة ببغداد ، فاضطربتِ العامة ، وقصدوا دار حامد بن العَبَّاس الذي ضمن قرايا[٧] من الخليفة ، فغلت الأسعار بسبب ذلك ، وعَدَوا في ذلك اليوم ـ وكان يوم الجمعة ـ على الخطيب ، فمنعُوه الخُطْبة ، وكسروا المنابر ودكك[٨] الشُّرَط ، وحرقوا جسوراً كثيرة ، وأمر الخليفة بقتال العامة ، ثم نَقَضَ الضَّمان الذي كان حامد بن العَبَّاس ضَمِنَه ؛ فانحطتِ الأسعار ، وأبيع الكُر[٩] بناقص خمسة دنانير ؛ فطابت أنفس العامة بذلك وسكنوا .

وفي تموز من هذه السنة وقع برد شديد جداً بحيث إن الناس نزلوا من الأسطحة ، وتدثَّروا باللُّحُف والأكسية ، ووقع في شتاء هذه السنة ثلج[١٠] عظيم ، وكان فيها برد شديد جداً بحيث أضرَّ ذلك ببعض النخيل .

وحجَّ بالنَّاس في هذه السنة أحمد بن العَبَّاس أخو القَهْرمانة .

---

(١) في النسخ الخطية : كان ، والمثبت من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٠٧ ـ ٥١٠) .
(٥) في (ط) دريج ، وهو تصحيف ، وهو محمد بن صالح بن ذريح ، أبو جعفر ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) .
(٦) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) .
(٧) كذا في (ب) و(ظا) ، وهو جمع قرية ، ولكن لا يصح . وفي (ح) سرايا وفي (ط) برائى ، وفي المنتظم (٦/ ١٥٦) بلداناً ، وهو الأشبه ، وفي تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ١٥) أنه ضمن السواد .
(٨) في (ط) وقتلوا ، وهو تحريف .
(٩) مكيال لأهل العراق . اللسان (كرر) .
(١٠) في (ط) بلغم ، وهو تحريف .

وتوفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن سفيان الفقيه[١] : راوي « صحيح مسلم » عنه .

أحمد بن الصَّلْت[٢] بن المُغَلِّس ، أبو العباس الحِمَّاني : أحد الوضَّاعين للأحاديث .

روى عن عمِّه[٣] جُبَارة بن المُغَلِّس ، وأبي نُعَيْم ، ومسلم بن إبراهيم ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، وأبي عُبيد القاسم بن سلاَّم ، وغيرِهم أحاديث كلها وضعها هو في مناقب أبي حنيفة وغير ذلك .

وحكى عن يحيى بن مَعين ، وعلي بن المديني ، وبشر بن الحارث أخباراً كلها كذب .

قال أبو الفرج بن الجَوْزي : قال لي محمد بن أبي الفَوارس : كان أحمد بن الصَّلْت يضع الحديث[٤] .

إسحاق بن أحمد الخُزاعي[٥] . والمُفَضَّل الجَنَدي[٦] . وعبد الله بن محمد بن وَهْب الدِّينوري[٧] .

وعبد الله بن ثابت بن يعقوب[٨] أبو محمد : المقرىء النَّحْوي ، التَّوَّزي .

سكن بغداد ، وروى عن عمر[٩] بن شَبَّة . وعنه أبو عمرو السَّمَّاك .

ومن شِعْره[١٠] :

إذا لـم تكـنْ حـافظـاً واعيـاً	فعِلْمُـكَ فـي البيـتِ لا ينفَـعُ
وتحضُـرُ بـالجَهْـلِ فـي مَجْلسٍ	وعِلْمُـكَ فـي الكُتْـبِ مُسْتَـوْدَعُ
ومَـنْ يـكُ فـي دَهْـره هكـذا	يكـنْ دَهـرهُ القَهْقَـرَىٰ يَـرْجِـعُ

* * *

(١) الكامل (٨/ ١٢٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١١ ـ ٣١٣) .
(٢) تاريخ بغداد (٤/ ٢٠٧ ـ ٢١٠) المنتظم (٦/ ١٥٦ ـ ١٥٧) ميزان الاعتدال (١/ ١٠٥) .
(٣) في النسخ الخطية و(ط) خاله ، وهو وهم ، انظر تاريخ بغداد (٤/ ٢٠٧) .
(٤) المنتظم (٦/ ١٥٧) .
(٥) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٩) .
(٦) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) .
(٧) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠٠ ـ ٤٠٢) .
(٨) تاريخ بغداد (٩/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) المنتظم (٦/ ١٥٨) .
(٩) في (ط) عمرو ، وهو تحريف .
(١٠) في (ط) : الجيد .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثمئة

فيها وقع حريقٌ كثير في نواحي بغداد ؛ وذلك بسبب زِنْديق قُتِلَ ؛ فألقىٰ منْ كان منْ جهته الحريق في أماكن كثيرة ، فهلك بسبب ذلك خَلْقٌ كثير من النَّاس .

وفيها في جمادى الأولى قلَّد المقتدر بالله مؤنساً الخادمَ بلاد مِصْر والشَّام ، ولقَّبه المُظَفَّر ، وكتب بذلك[١] في المراسلات إلى الآفاق .

وفي ذي القَعْدة [منها][٢] أُحضر أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبري رحمه الله إلى دار الوزير عيسى بن علي لمناظرة الحنابلة في أشياءَ نقموها عليه ، فلم يحضروا ولا واحدٌ منهم .

وقدَّم الوزير حامد بن العَبَّاس للخليفة بستاناً بناه وسمَّاه النَّاعورة قيمتُهُ مئة ألف دينار ، وفَرَشَ مساكنه بأنواع المفارش المفتخرة .

وفي هذه السنة كان مقتل الحسين بن منصور الحَلاَّج ، ولنذكر شيئاً منْ ترجمته وسيرته ، وكيفية مقتله على وجه الإيجاز وبيان المقصود[٣] ، وهذه نُبْذة من سيرته وأحواله ، وكشف سريرته وأقواله[٤] .

الحسين بن منصور[٥] **بن مَحْمِي ، الحَلاَّج ، أبو مغيث** : ويقال : أبو عبد الله ، كان جده مجوسياً اسمه مَحْمِي من أهل فارس[٦] ، نشأ بواسط ، ويقال بتُسْتر ، ودخل بغداد ، وتردد إلى مكة مراراً للحج وجاور بها[٧] سنوات متفرقة ، وكان يُصابر نفسَه ويجاهدُها ، فلا يجلس إلا تحت السماء في وسط المسجد في البرد والحرِّ ، ولا يأكل إلا بعض قرص ، ويشرب قليلاً من الماء معه ، وذلك وقت الفُطور مدة سنة كاملة ، ويجلس على صخرة في قتَّالة[٨] الحَرِّ في جبل أبي قُبَيْس .

---

(١) في (ط) وأمر بكتب ذلك .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) في (ط) : بطريق الإنصاف والعدل من غير تحمل ولا هوى ولا جور .

(٤) في (ط) : ترجمة الحلاج ، ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله ، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله ، فنقول هو !

(٥) طبقات الصوفية (٣٠٧ ـ ٣١١) تاريخ بغداد (٨/ ١١٢ ـ ١٤١) المنتظم (٦/ ١٦٠ ـ ١٦٤) وفيات الأعيان (٢/ ١٤٠ ـ ١٤٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣ ـ ٣٥٤) .

(٦) في (ط) : من بلدة يقال لها البيضاء .

(٧) في (ط) تقديم وتأخير في العبارة ، والفحوى واحد .

(٨) في (ب) و(ظا) قبالة الحرم ، وفي (ط) شدة الحر ، وفي تاريخ بغداد (٨/ ١١٩) : جالس على صخرة من أبي قبيس في الشمس والعرق يسيل منه . والمثبت من (ح) وهو الأشبه .

وقد صحب جماعة من سادات مشايخ الصُّوفية ، كالجُنيد بن محمد ، وعمرو بن عُثْمان المكِّي ، وأبي الحسين النُّوري .

قال الخطيب البغدادي : والصُّوفية مختلفون فيه ، فأكثرهم نفى أن يكون الحلاَّج منهم ، وأبى أن يعدَّه فيهم ، وقَبِلَهُ من متقدِّميهم : أبو العَبَّاس بن عطاء البغدادي ، ومحمد بن خفيف الشِّيْرازي ، وإبراهيم بن محمد النَّصْرَأباذي النَّيسابوري ، وصحَّحُوا له حاله ، ودوَّنوا كلامه ، حتى قال ابن خفيف : الحسين بن منصور عالمٌ ربَّاني[١] .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي ـ واسمه محمد بن الحسين ـ سَمِعْتُ إبراهيم بن محمد النَّصْرَ أباذي وعُوتب في شيء حُكي عن الحلاج في الرُّوح فقال لمن[٢] عاتبه : إن كان بعد النَّبيين والصدِّيقين موحِّدٌ فهو الحلاَّج .

قال أبو عبد الرحمن : وسمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الشِّبلي يقول : كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهر وكتمتُ . وقد رُوي عن الشِّبْلي من وجه آخر أنه قال ، وقد رأى الحلاج مصلوباً : ألم ننهك عن العالمين[٣] ؟

قال الخطيب : والذين نفوه من الصُّوفية نسبوه إلى الشَّعبذة في فعله ، وإلى الزَّندقة في عقده[٤] . قال : وله إلى الآن أصحابٌ ينسبون إليه ويَغْلُون فيه[٥] ، وقد كان الحلاج حسن العبارة ، حلو المنطق[٦] ، وله شِعْر على طريقة التصوف[٧] .

قلت : لم يزل النَّاس منذ قُتل الحلاج مختلفين في أمره ، فأما الفقهاء فقد حُكي عن غيرواحد من الأئمة[٨] اجتماعهم على قتله ، وأنه[٩] كان كافراً ممخرقاً ، مموِّهاً مشعبذاً ، وكذلك قول أكثر الصُّوفية فيه ، ومنهم طائفة ـ كما تقدَّم ـ أجملوا القول فيه ، وغرَّهم ظاهرُه ، ولم يطَّلعوا على باطنه ، وكأنه قد

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ١١٢) .
(٢) في (ط) للذي .
(٣) ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (١٩) وفي كلمة الشبلي إشارة إلى الآية الكريمة (٧٠) من سورة الحجر : ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .
(٤) في (ط) في عقيدته وعقده .
(٥) في (ط) ويغالون فيه ويغلون .
(٦) في (ط) وقد كان الحلاج في عبارته حلو المنطق .
(٧) في (ط) الصوفية . وانظر تاريخ بغداد٨/ ١١٢ ، وما في نسخنا المخطوطة يوافق عبارة الخطيب .
(٨) في (ط) : من العلماء والأئمة .
(٩) في (ط) : وأنه قتل كافراً ، وكان كافراً .

كان في ابتداء أمره فيه تعبُّد وتألُّه وسلوكٌ ، ولكن لم يكن له عِلْم يَسْلُك به في عبادته ، فدخل عليه الداخل بسبب ذلك كما قال بعض السَّلف : منْ عَبَد الله بغير عِلْم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه[١] وعن سُفْيان بن عُيينة أنه قال : مَنْ فسد من علمائنا كان فيه شَبَه من اليهود ، ومن فسد من عُبَّادنا كان فيه شبهٌ من النَّصارى . ولهذا دخل على الحلاَّج باب الحلول والاتحاد ، فصار من أهل الانحلال والإلحاد[٢] .

وقد ورد من غير وجه أنه تقلَّبت به الأحوال وتردَّد إلى البُلْدان ، وأقام ببلدان شتى ، وهو في ذلك كلِّه يُظهر للناس أنه من الدُّعاة إلى الله عزَّ وجلَّ . وصحَّ أنه دخل الهند ليتعلَّم السِّحْر وقال : أدعو به إلى الله . وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث[٣] ، ويكاتبه أهل تُرْكِسْتَان[٤] بالمقيت ، ويكاتبه أهل خُرَاسان بالمميز ، وأهل فارس بأبي عبد الله الزَّاهد ، وأهل خُوزستان بأبي عبد الله الزَّاهد حلاَّج الأسرار . وكان بعض البغاددة حين كان عندهم يقولون له : المصطلم . وأهل البصرة يقولون له : المحبر[٥] .

ويقال : إنما سمَّاه الحلاج أهلُ الأهواز لأنه كان يكاشفهم عمَّا في ضمائرهم ، وقيل : إنه قال لحلاج : اذهبْ لي في حاجة كذا وكذا ، فقال : إني مشغول [بالحلج][٦] ، فقال : اذهَبْ ، أنا أسُدُّ عنك[٧] ، فَذَهَبَ ورجع سريعاً فإذا جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه ، يقال إنه أشار بالمرود . فانماز الحبُّ عن القُطْن ، وفي صحَّة هذا[٨] نظر[٩] . وقيل : لأن أباه كان حَلاَّجاً . ومما يدُلُّ على أنه قد كان ذا حلول[١٠] في بَدْءِ أمره أشياءُ كثيرة ، منها شِعْرُه[١١] ، فمن ذلك قوله :

جُبلَتْ رُوحكَ في روحي كما   يُجْبلُ العَنْبَرُ بالمِسْكِ الفَتِق[١٢]

---

(١) في (ط) فإنه كان في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك ، ولكن لم يكن له علم . ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان . فلهذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه .

(٢) في (ط) والانحراف .

(٣) في (ط) : أي أنه من رجال الغيث .

(٤) في (ط) سركسان ، وهو تحريف .

(٥) في (ط) المحير ، وكذلك في تاريخ بغداد (٨/ ١١٤) وفي المنتظم (٦/ ١٦١) : المخير ، وفي إحدى نسخه في الهامش : المجير ، وهي الأشبه .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٧) في (ط) أنا أحلج عنك .

(٨) في (ط) : ونسبته إليه .

(٩) في (ط) : وإن كان قد جرى مثل هذا ، فالشياطين تعين أصحابها ويستخدمونهم .

(١٠) في النسخ الخطية : سلوك ، والمثبت من (ط) .

(١١) في (ط) : منها شعر في ذلك .

(١٢) في (ط) الفنق ـ بالنون ـ وهو تصحيف . وفَتقُ المسك بغيره : استخراج رائحته بشيء تدخله عليه ، ومنه أن تفتق المسك بالعنبر . اللسان (فتق) .

فـإذا مَسَّـكَ شـيءٌ مسَّنـي فـإذا أنـتَ أنـا لا نفتـرق[١]

وقوله أيضاً :

مُزِجَتْ رُوحُكَ في روحي كما تُمزجُ الخَمْرةُ بالماءِ الزُّلالْ
فـإذا مَسَّـكَ شـيءٌ مَسَّنـي فإذا أنتَ أنا في كُلِّ حالْ[٢]

وله أيضاً :

قـد تحقَّقْتُـكَ فـي سِـرِّ (م) ي فنـاجـاكَ[٣] لسـانـي
فـاجْتَمَعْنـا لمعـانٍ[٤] وافْتَـرَقْنـا لمعـانِ
إن يكـن غَيَّبَـكَ التَّعْـ ـظيـمُ عـن لحـظِ العِيَـانِ
فلقـد صَيَّـركَ الـوَجْـ ـدُ مـنَ الأَحْشَـاءِ دانِ

وقد أُنشد لابنِ عطاء قولُ الحلاَّج .

أُريـدكَ لا أُريـدكَ للثَّـوابِ ولكنِّـي أُريـدكَ للعِقـابِ
وكـل مـآربي قـد نِلْتُ منهـا سوى ملذوذِ وَجْدي بالعَذابِ[٥]

فقال ابن عطاء : هذا مما يتزايد به عذاب الشَّغَف ، وهيام الكَلَف ، واحتراق الأسف ، فإذا صفا ووفى علا إلى مشرب عَذْب ، وهَطْلٍ من الحَقِّ دائمِ سَكْبِ .

وقد أُنشد أبو عبد الله بن خفيف قولَ الحلاَّج :

سُبْحـانَ مـنْ أظهـر نـاسـوتَـه سِـرُّ سَنـا لاهـوتِـهِ الثَّـاقـبِ
ثُـمَّ بـدا فـي خَلْقـه ظـاهـراً فـي صـورةِ الآكـلِ والشَّـارِبِ
حتَّـى لقـدْ عـايَنَـهُ خَلْقُـهُ كلَحْظةِ الحاجبِ بالحاجبِ[٦]

فقال ابن خفيف : على من يقول هذا لعنة الله . فقيل له : إن هذا من شِعْر الحسين بن منصور . فقال : ربما يكون مقولاً عليه[٧] .

---

(١) ديوان الحلاج (٧٧) .
(٢) ديوانه (٨٢) .
(٣) في (ب) و(ح) و(ظا) يخاطبك ، وفي الديوان (١١٦) فتناجاك . وفي (ط) وتاريخ بغداد (٨/ ١١٥) فخاطبك ، وما أثبتناه هو الأشبه .
(٤) في الديوان (١١٦) بمعان .
(٥) ديوان الحلاج (٤٣) .
(٦) ديوان الحلاج (٤١) .
(٧) انظر بداية الحلاج لابن باكويه في الأصول الأربعة (٤٤) وتاريخ بغداد (٨/ ١٢٩) .

ومما ينسب إليه من الشعر قوله :

أَرْسَلْتَ[١] تسألُ عنّي كيفَ كنتُ وما لاقيتُ بَعْدَك مِنْ هَمٍّ ومِن[٢] حَزَنِ
لا كنتُ إن كنتُ أدري كيفَ كنتُ ولا لا كنتُ إن كنت[٣] أدري كيف لم أكنِ[٤]

قال القاضي ابن خَلِّكان : ويُروىٰ لسَمْنُون لا للحَلاَّج[٥] .

ومن شعره أيضاً قوله :

متى سَهِرتْ عيني لغيركَ أو بَكَتْ فلا أُعْطيتْ ما مُنِّيَتْ وَتَمنَّتِ[٦]
وإن أضْمَرَتْ نفسي سِواكَ فلا رَعَتْ رياضَ المُنى منْ وَجْنَتيكَ وجُنَّتِ[٧]

ومن شِعْره أيضاً :

دُنيا تُغَالِطُني كأنّـ ـي لستُ أعرفُ حالَها
حَظَرَ المليكُ حَرَامها وأنا احتميتُ حلالَها
وَوَجَدْتُها محتاجةً فوهَبْتُ لذَّتها لها[٨]

وقد كان [الحلاج][٩] يتلوَّن في ملابسه ، فتارةً يَلْبَسُ لباسَ الصُّوفيَّة ، وتارةً يتجرَّد في ملابس مُزْرية ، وتارة يلبس لباس الأجناد ، ويعاشر أبناء الدُّنْيا[١٠] ، وقد رآه بعضُهم[١١] في لباس رثٍّ وبيده رَكْوة وعُكَّاز ، وهو سائحٌ ، فقال له : ما هذه الحال[١٢] ؟ فأنشأ يقول :

لئن أمسيتُ في ثَوْبي عديمٍ لقد بَلِيا على حُرٍّ كريمِ
فلا يَغْرُرْكَ إن أبْصَرْتَ حالاً مغيَّرةً عن الحالِ القديمِ

---

(١) في (ط) : أوشكت ، وهو تحريف .
(٢) ساقطة من (ط) .
(٣) ساقطة من (ط) .
(٤) ديوانه (١١٨) .
(٥) وفيات الأعيان (٢/ ١٤٤) .
(٦) على هامش (ح) و(ب) : فلا بلغت ما أملت وتمنت . وفي (ط) : فلا أعطيت ما أملت .
(٧) ديوانه (١١٧) .
(٨) ديوانه (٨٠) مع اختلاف في اللفظ .
(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٠) في (ط) ويعاشر أبناء الأغنياء والملوك والأجناد .
(١١) في (ط) بعض أصحابه .
(١٢) في (ط) : يا حلاج .

فلـي نَفْـسٌ ستتلـفُ أو سترقـىٰ ـ لَعَمْرُكَ[١] ـ بي إلى أمرٍ جسيمِ[٢]

ومن مستجاد كلامه قوله وقَدْ سأَله رجلٌ أن يوصيه بشيء ينفعُه[٣] . فقال : عليك بنفسك ، إن لم تَشْغَلْها بالحقِّ شغلتك[٤] عن الحقِّ .

وقال له رجلٌ : عظني . فقال : كُن مع الحقِّ بحكم ما أوجب .

وروى الخطيب بسنده إليه أنه قال : عِلْم الأوَّلين والآخرين مرجعُه إلى أربع كلمات : حُب الجليل وبُغْض القليل ، واتباع التنزيل ، وخوف التحويل[٥] .

قلت : وقد أُصيب[٦] الحلاَّج في المقامين الأخيرين ، فلم يتبعِ التنزيل ، ولم يبق على الاستقامة ، بل تحوَّل عنها إلى الاعوجاج والبِدْعة [والضلالة][٧] ، نسأل الله العافية .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي : حُكي[٨] عن عمرو بن عُثْمان المكِّي أنه قال : كنتُ أُماشي الحَلاَّج في بعض أزِقَّة مكَّة وكنت أقرأُ القرآن ، فسمع قراءتي فقال : يُمكنني أن أقول مثل هذا . ففارقته[٩] .

وقال الخطيب : حدثني مسعود بن ناصر ، أنبأنا ابن باكُوية الشِّيْرازي [قال] : سمعت أبا زُرْعة الطَّبري يقول : الناس فيه ـ يعني الحسين بن منصور ـ بين قَبُولٍ وردٍّ ، ولكن سمعت محمد بنَ يحيى الرازي يقول : سمعت عمرو بن عثمان يلعنه ويقول : لو قَدَرْتُ عليه لقتلته بيدي . فقلت : أيش الذي وجد الشَّيْخ عليه ؟ قال : قرأت آيةً من كتاب الله ، فقال : يُمكنني أن أؤلِّفَ مِثْلَه وأتكلَّم به[١٠] .

قال أبو زُرْعة الطَّبري : وسَمِعْتُ أبا يعقوب الأَقْطع ، يقول : زوَّجت ابنتي من الحسين بن منصور لمَا رأيتُ من حُسْن طريقته واجتهاده ، فبـان لي [منه][١١] بعد مُدَّة يسيرة أنه ساحر محتال ، خبيثٌ كافر[١٢] .

---

(١) في الديوان (١١٨) لعمر أبي ، وهو تحريف .
(٢) الأبيات في ديوانه (١١٧ ـ ١١٨) مع اختلاف في بعض الألفاظ .
(٣) في (ط) : ينفعه الله به .
(٤) في (ط) وإلا شغلتك .
(٥) تاريخ بغداد (٨/ ١١٤ ـ ١١٥) .
(٦) في (ط) أخطأ .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ساقطة من (ط) .
(٩) ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (١٩) .
(١٠) تاريخ بغداد (٨/ ١٢١) وما بين حاصرتين منه ، وانظر بداية الحلاج لابن باكويه في الأصول الأربعة (٣٦) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٢) تاريخ بغداد (٨/ ١٢١) وانظر بداية الحلاج (٣٦) .

قلت : كان تزويجه بها بمكة ، وهي أُم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع ، فأولدَها ولده حَمْد[١] بن الحسين بن منصور ، وقد ذكر سيرة أبيه كما ساقها من طريقه الخطيب[٢] .

وقد ذكر أبو القاسم القُشَيْري في كتاب « الرسالة » في باب حِفْظ قلوب المشايخ : أن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئاً في أوراق ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارض القُرْآن . قال : فدعا عليه فلم يفلح بعدها[٣] . وأنكر على أبي يعقوب الأقطع تزويجه إياه ابنته . وكتبَ[٤] إلى الآفاق كتباً كثيرة يلعنه فيها ويحذر النَّاس منه ، فَشَرَدَ الحلاَّج في البلاد ، فعاث يميناً وعاث شمالاً ، وجعل يُظهر للناس أنه يدعو إلى الله عزَّ وجلَّ ، ويستعين بأنواع من الحيل والمحال ، ولم يزل ذلك دأبُه وشأنه حتى أحلَّ الله به بأسه الذي لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين ، فقتله بسيف الشَّرْع الذي لا يقع إلا بين كتفي زنديق ، والله أكرم[٥] من أن يسلِّطه على صدِّيق ، كيف وقد تهجَّم[٦] على القرآن العظيم ، وأراد معارضته في البلد الحرام الكريم[٧] ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] ، ولا إلحاد أعظم من هذا . وقد أشبه في حاله هذا كفار قريش ومعانديهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣١] .

ذكر أشياء من حيل الحلاَّج

روى الخطيب البغدادي أن الحلاج أنفذ رجلاً بين يديه إلى بعض بلاد الجبل ، فأقام بتلك البلدة يُظهر لهم الصَّلاح والنُّسُك ، ويقرىء القرآن ، فأقام مدة على ذلك ، ثم أظهر لهم أنه قد عَمِيَ ، فمكث حيناً على ذلك ، ثم أظهر أنه قد زَمِنَ ، فكان أولاً يقاد إلى المسجد ، ثم صار يُحمل ، فمكث سنة كذلك ، ثم قال لهم : إني رأيت رسولَ الله ﷺ في المنام ، وهو يقول لي : سيرد إلى هذه البلدة رجل صالح يكون شفاؤك على يديه . فما كان عن قريب حتى حان الوقت الذي واعده فيه الحلاج ، ودخل الحلاَّج البلدة مختفياً وعليه ثياب صوف بيض ، فلزم ساريةً من المسجد يتعبد فيها لا يلتفت إلى أحد ، فابتدر النَّاس إلى

---

(١) في (ط) وبعض المصادر : أحمد ، وهو تحريف .
(٢) تاريخ بغداد (٨/ ١١٢ ـ ١١٤) .
(٣) الرسالة القشيرية (١٥١) .
(٤) في (ط) : وكتب عمرو بن عثمان .
(٥) في (ط) أعدل .
(٦) في (ب) و(ح) و(ظا) تجهرم ، وهو تحريف ، والمثبت من (ط) .
(٧) في (ط) : حيث نزل به جبريل .

ذلك المتعافي المتزامن ، فقيل له : قدم رجل صالح ، فهلمَّ إليه . فحملوه حتى وضعوه بين يديه ، فكلَّمه فعرفه ، فقال له : يا عبد الله ، إني رأيت رسولَ الله ﷺ في المنام ، وهو يقول لي كذا وكذا ، فعسى أن تكون أنت إياه . فرفع يديه ودعا الله عزَّ وجلَّ له ، والناس حضور متكاثرون ينظرون ماذا يكون من أمره ، ففتح الرجل عينيه ، وقام قائماً على قدميه ، فضجَّ الناس ، وعظَّموا الحلاج تعظيماً زائداً ـ وليس ذلك بحقٍّ ـ فأقام عندهم مُدَّة ، ثم خرج من بين أظهرهم ، وبقي ذلك الرجل عندهم مدة شهور ، ثم قال : إن من نعمة الله عليَّ أن ردَّ عليَّ بصري ، وينبغي أن أجاهد في سبيله بثغر طَرَسُوس . فعزم على ذلك ، فجمعوا له من بينهم مالاً جزيلاً ، ألوفاً من الذهب ، والفضة ، ثم ودَّعهم وودَّعوه ، فذهب إلى الحلاَّج ، فاقتسما ذلك المال[1] .

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣) وما في نسختنا المخطوطة أقرب إلى عبارة الخطيب . ووردت القصة في (ط) بأطول من هذا ، ومن المعروف أن ابن كثير لا ينقل نقلاً حرفياً ، وإنما يصوغ ما ينقله بأسلوبه ، وهانحن ننقل القصة كما وردت في (ط) : روى الخطيب البغدادي أن الحلاج بعث رجلاً من خاصة أصحابه ، وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل ، وأن يظهر لهم العبادة والصلاح والزهد ، فإذا رآهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه أظهر لهم أنه قد عمي ، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد تكسح ، فإذا سعوا في مداواته ، قال لهم : ياجماعة الخير : إنه لا ينفعني شيء مما تفعلون . ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد رأى رسول الله ﷺ في المنام ، وهو يقول له : إن شفاءك لا يكون إلا على يدي القطب ، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني ، وصفته كذا وكذا . وقال له الحلاج : إني سأقدم عليك في ذلك الوقت . فذهب ذلك الرجل إلى تلك البلاد ، فأقام بها يتعبد ويظهر الصلاح والتنسك ويقرأ القرآن ، فأقام مدة على ذلك ، فاعتقدوه وأحبوه ، ثم أظهر لهم أنه قد عمي ، فمكث حيناً على ذلك ، ثم أظهر لهم أنه قد زَمِنَ ، فسعوا بمداواته بكل ممكن ، فلم ينتج فيه شيء ، فقال لهم : ياجماعة الخير ، هذا الذي تفعلونه معي لا ينتج شيئاً ، وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، وهو يقول لي : إن عافيتك وشفاءك إنما هو على يدي القطب ، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني . وكانوا أولاً يقودونه إلى المسجد ، ثم صاروا يحملونه ويكرمونه كان (كذا) في الوقت الذي ذكر لهم ، واتفق هو والحلاج عليه ، أقبل الحلاج حتى دخل البلد مختفياً ، وعليه ثياب صوف بيض ، فدخل المسجد ، ولزم سارية يتعبد فيه ، لايلتفت إلى أحد ، فعرفه الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك العليل ، فابتدروا إليه يسلمون عليه ويتمسحون به ، ثم جاؤوا إلى ذلك الزمن المتعافي (كذا ولعلها المتعامي) فأخبروه بخبره ، فقال : صفوه لي . فوصفوه له ، فقال : هذا الذي أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام ، وأن شفائي على يديه ، اذهبوا بي إليه ، فحملوه حتى وضعوه بين يديه ، فكلمه فعرفه ، فقال : يا أبا عبد الله ، إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام . ثم ذكر له رؤياه . فرفع الحلاج يديه ، فدعا له ، ثم تفل من ريقه في كفه ، ثم مسح بهما على عينيه ، ففتحهما كأن لم يكن بهما داء قط فأبصر ، ثم أخذ من ريقه ، فمسح على رجليه ، فقام من ساعته ، فمشى كأنه لم يكن به شيء والناس حضور ، وأمراء تلك البلاد وكبراؤهم عنده ، فضج الناس ضجة عظيمة ، وكبروا الله وسبحوه ، وعظموا الحلاج تعظيماً زائداً على ما أظهر لهم من الباطل والزور . ثم أقام عندهم مدة يكرمونه ويعظمونه ، ويودون لو طلب منهم ما عساه أن يطلب من أموالهم ، فلما أراد الخروج عنهم أرادوا أن يجمعوا له مالاً كثيراً ، فقال : أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا ، وإنما وصلنا إلى ما وصلنا إليه بترك الدنيا ، ولعل صاحبكم هذا أن يكون له إخوان وأصحاب من الأبدال الذين يجاهدون بثغر طرسوس ، ويحجون ويتصدقون ، محتاجين إلى ما يعينهم على ذلك . فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافي : صدق الشيخ ، قد رَدَّ الله =

وروي عن بعضهم قال : كنت أسمع أن الحلاَّج له أحوال [وكرامات][١] ، فأحببتُ أن أختبره فجئت ، فسلَّمت عليه فقال لي : تَشَهَّ عليَّ السَّاعة[٢] . فقلت : أشتهي سمكاً طرياً . فدخل منزله ، فغاب ساعة ، ثم خرج [عليَّ][٣] ومعه سمكة تضطرب ورِجلاه عليهما الطِّين فقال : دعوتُ الله فأمرني أن آتي البطائح لآتيك بهذه [السمكة][٤] ، فخضتُ الأهواز وهذا الطِّين منها . فقلت : إن شئتَ أدخلتني منزلك لأكشف أمرك[٥] ، فإن ظهرتُ على شيء وإلا آمنتُ بك . فقال : ادخل . فدخلت[٦] ، فلم أجد في البيت منفذاً إلى غيره ، فتحيَّرْتُ في أمره ، ثم نظرتُ فإذا تأزير[٧] ، فكشفته ، فإذا من ورائه باب ، فدخلتُ ، فخرجت منه إلى بُسْتان هائل[٨] ، فيه من سائر الثِّمار الجديدة والمعتقة[٩] ، قد أُحسن إبقاؤها . وإذا أشياء كثيرة مُعَدَّة للأكل ، وإذا هناك بِرْكة كبيرة فيها سمك كثير [صغار و][١٠] كبار ، فدخَلْتُها ، فأخرجت منها واحدةً ، فنال رجليَّ من الطِّين كما نال رجليه ، وجئتُ إلى الباب ، فقلت له : افتح فقد آمنت بك . فلما خرجت ورآني على مثل حاله جرى ورائي ليقتلني ، فضربته بالسمكة في وجهه وقلت : يا عدو الله ، أتعبتني في هذا اليوم . ولما خَلَصْتُ منه لقيني بعد ذلك[١١] فضاحكني وقال : لا تُفْشِ هذا لأحدٍ ، أبعث[١٢] إليك من يقتلك وأنت على فراشك . قال[١٣] : فلم أحدِّث به [أحداً][١٤] حتى صُلِبَ[١٥] .

= عليَّ بصري ، ومَنَّ الله عليَّ بالعافية ، لأجعلنَّ بقية عمري في الجهاد في سبيل الله ، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الأبدال والصالحين الذين نعرفهم ، ثم حثهم على إعطائه من المال ما طابت به أنفسهم . ثم إن الحلاج خرج عنهم ، ومكث ذلك الرجل مدة إلى أن جمعوا له مالاً كثيراً ، ألوفاً من الذهب والفضة ، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم ، وخرج عنهم ، فذهب إلى الحلاج ، فاقتسما ذلك المال .

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) تشتهي علي الساعة شيئاً ؟ .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) في (ط) إن شئت أدخلتني منزلك حتى أنظر ليقوى يقيني بذلك .

(٦) في (ط) فدخلت فأغلق علي الباب وجلس يراني ، فدرت البيت فلم أجد .

(٧) التأزيرة : ما يلصق بالحائط من أسفله لتقويته ، فيكون له كالإزار .

(٨) في (ط) : ثم نظرت ، فإذا أنا بتأزيرة ـ وكان مؤزراً بإزار ساج ـ فحركتها ، فانغلقت ، فإذا هي باب منفذ ، فدخلته ، فأفضى بي إلى بستان هائل .

(٩) في (ط) العتيقة .

(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .

(١١) في (ط) بعد أيام .

(١٢) في (ط) : لا تغش ما رأيت لأحد وإلا بعثت .

(١٣) في (ط) : قال : فعرفت أنه يفعل إن أفشيت عليه ، فلم أحدث . .

(١٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(١٥) نشوار المحاضرة (١/ ١٦٥ ـ ١٦٨) وتاريخ بغداد (٨/ ١٢٣ ـ ١٢٤) .

وقد قال [الحلاج][(١)] يوماً لرجلٍ : آمن بي حتى أبعث إليك بعصفورة تأخذ من ذَرْقها[(٢)] وزن حبة فتضعه على كذا وكذا رطلاً من نحاسٍ فيصير ذهباً . فقال له الرجل : آمن بي أنت حتى أبعث إليك بفيلٍ إذا استلقى على قفاه بلغت قوائمُه إلى السماء ، وإذا أردت أن تخفيه وضعته في إحدى عينيك . قال : فَبُهتَ وسكت[(٣)] .

ولما ورد بغداد جعل يدعو إلى نفسه ، ويُظهر أشياء من المخاريق[(٤)] وغيرها من الأحوال الشَّيْطانية ، وأكثر ما كان يَرُوج على الرافضة لقلَّة عقولهم [وضعف][(٥)] تمييزهم بين الحقِّ والباطل . فاستدعى يوماً برئيس من الرَّافضة ، فدعاه إلى الإيمان به ، فقال له الرجل : إني رجل أحبُّ النِّساء وإني أصلع الرَّأس ، وقد شِبْتُ ، فإن أنت أذهبت عني هذا وهذا آمنت[(٦)] أنك الإمام المعصوم ، وإن شئتَ قلتُ إنك نبيٌّ ، وإن شئت قلتُ إنك أنت الله . قال : فبُهتَ الحلاج ، ولم يحر إليه جواباً[(٧)] .

قال الشَّيْخ أبو الفرج بن الجَوْزي : كان [الحلاج][(٨)] متلوناً كثير التلون ، وتارة يَلْبس المُسوح[(٩)] ، وتارة يلبس الدُّرَّاعة[(١٠)] ، وتارة يلبس القَبَاء[(١١)] ، وهو مع كل قوم على مَذْهبهم : إن كانوا سُنَّة أو رافضة أو معتزلة[(١٢)] أو غير ذلك، ولما أقام بالأهواز وجعل يُنفق من دراهم يخرجها يسميها دراهم القُدْرة ، فسئل الشيخ أبو علي الجُبَّائي عن ذلك فقال: إن هذا كله مما يُنال بالحيلة، ولكن أدخلوه بيتاً لا منفذ له، ثم سلوه أن يُخرج لكم جُرْزتين[(١٣)] منْ شوك. فلما بلغ الحلاج كلام أبي علي الجُبَّائي فيه تحول من الأهواز[(١٤)] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) ذرق الطائر : خرؤه . اللسان (ذرق) .

(٣) تاريخ بغداد (٨/ ١٢٦) .

(٤) في (ط) : من المخاريق والشعوذة .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) في (ط) : آمنت بك وأنك الإمام .

(٧) تاريخ بغداد (٨/ ١٢٤ ـ ١٢٥) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٩) ثياب تنسج من شعر الماعز . المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب لدوزي (٣٢٧ ـ ٣٢٩) .

(١٠) الدراعة : لباس كان يعمل من الصوف ، مفتوح من الجهة الأمامية بأعلى القلب ، ومزررة بأزرار وعرى ، ويبدو أنه كان لباس عامة الشعب . المرجع السابق (١٤٦ ـ ١٤٨) .

(١١) لباس ذوي السلطان من أمراء أو قواد ، وليس ثمة وصف دقيق له . رسوم دار الخلافة (٩١ ـ ٩٢) والعجم المفصل (٢٨٤ ـ ٢٩١) .

(١٢) في (ط) : أومعتزلة أو صوفية أو فساقاً أو غيرهم .

(١٣) الجرزة : الحزمة . « اللسان » (جرز) .

(١٤) المنتظم (٦/ ١٦١) لابن الجوزي كتاب جمع فيه أخبار الحلاج سماه : القاطع لمجال اللجاج القاطع بمحال الحلاج ، لم يصل إلينا بعد ، ولعل ابن كثير نقل هذا الخبر منه .

وقال الخطيب : أنبأنا إبراهيم بن مَخْلَد ، أنبأنا إسماعيل بن علي الخُطَبي[١] في « تاريخه » قال : وظهر أمر رجل يُعرف بالحلاَّج يقال له الحسين بن منصور ، وكان في حَبْس السُّلْطان بسعاية فيه ، في وزارة علي بن عيسى الأولى ، وذُكر عنه ضروبٌ من الزَّنْدقة ووضع الحيل على تضليل النَّاس ، من جهات تشبه الشعوذة والسِّحر ، وادّعاء النُّبوة ، فكشفه عليُّ بنُ عيسى عند قبضه عليه ، وأنهى خبره إلى السلطان ـ يعني[٢] المقتدر بالله ـ فلم يقرَّ بما رُمي به من ذلك ، فعاقبه وصلبه حياً أياماً متوالية في رحبة الجسر ، في كل يوم غُدْوة ، ويُنادى عليه بما ذُكر عنه ، ثم يُنزل ، ثم يُحبس ، فأقام في الحَبْس سنين كثيرة ، يُنقل من حبس إلى حبس[٣] ، حتى حُبس بأخَرَةٍ في دار السُّلْطان ، فاستغوى جماعةً من غِلْمان السلطان ، وموَّه عليهم ، واستمالهم بضروبٍ من حِيلِهِ ، حتى صاروا يحمونه ويَدْفعون عنه ويرفِّهونه[٤] ، ثم راسل جماعةً من الكُتَّاب وغيرهم ببغداد وغيرها ، فاستجابوا له ، وتراقى به الأمر حتى ذُكر أنه ادَّعى الرّبوبية ، وسُعي بجماعةٍ من أصحابه إلى السُّلْطان ، فقبض عليهم ، ووجد عند بعضهم كتباً له تدل على تصديق ما ذُكر عنه ، وأقرَّ بعضهم بلسانه بذلك ، وانتشر خبره ، وتكلَّم النَّاس في قتله ، فأمر أمير المؤمنين بتسليمه إلى حامد بن العبَّاس ، وأمر أن يكشفَه بحضرة القُضَاة[٥] ، ويجمع بينه وبين أصحابه ، فجرى في ذلك خطوب طوال ، ثم استيقن السلطانُ أمره ، ووقف على ما ذكر له عنه[٦] ، فأمر بقتله وإحراقه بالنَّار ، فأُحضر مجلس الشُّرطة بالجانب الغربي في يوم الثّلاثاء لسبع[٧] بقين من ذي القَعْدة سنةَ تسعٍ وثلاثمئة ، فضرب بالسِّياط نحواً من ألف سَوْط ، وقُطعت يداه ورجلاه ، وضُربت عنقه ، وأُحرقت جثته بالنار ، ونُصب رأسه للنَّاس على سور الجسر الجديد ، وعلِّقت يداه ورجلاه إلى جانب رأسه[٨] .

وقال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلمي : سمعت إبراهيم بن محمد الواعظ يقول : قال أبو القاسم الرَّازي : قال أبو بكر بن مُمْشاد[٩] : حَضَر عندنا بالدِّينور رجلٌ ومعه مخلاة فما كان يفارقها

(١) في (ح) الحلبي ، وفي (ط) الخطيب ، وكلاهما تحريف .
(٢) بعد هذا في ط : الخليفة ، وليست في النسخ ولا في تاريخ الخطيب الذي ينقل منه المصنف .
(٣) في (ط) : « خوفاً من إضلاله أهل كل حبس إذا طالت مدته عندهم » . وليست في تاريخ الخطيب .
(٤) في (ط) : يرفهونه بالمآكل المطيبة ، والزيادة ليست في تاريخ الخطيب .
(٥) في (ط) : القضاة والعلماء .
(٦) في (ط) : وثبت ذلك على يد القضاة ، وأفتى به العلماء ، فأمر . .
(٧) في (ط) لتسع ، وهو تصحيف .
(٨) تاريخ بغداد (٨/ ١٢٦ ـ ١٢٧) وما في نسختنا المخطوطة أقرب إلى عبارة الخطيب مما في (ط) .
(٩) في تاريخ بغداد (٨/ ١٢٧) حمشاذ ـ بالحاء المهملة ـ وهو تصحيف ، وترجمته في حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣ وتاريخ الإسلام (٦/ ١٠٥٨ ط . الدكتور بشار) ، وقيل : إنه توفي سنة ٢٩٩هـ .

بالليل ولا بالنهار[١] ، ففتشوا المخلاة ، فوجدوا فيها كتاباً للحلاج عنوانه : « من الرَّحمن الرحيم إلى فلان بن فلان »[٢] ، فبُعِثَ به[٣] إلى بغداد ، فسئل الحلاج عن ذلك فأقَرَّ أنه كتبه ، فقالوا : كنت تَدَّعي النبوة فصرت تدعي[٤] الربوبية ؟! فقال : لا ، ولكن هذا عين الجمع عندنا ، هل الكاتب إلا الله ، وأنا واليد آلة ؟ فقيل له : معك على هذا أحد ؟ قال : نعم ، ابن عطاء ، وأبو محمد الجريري[٥] ، وأبو بكر الشِّبْلي . فسئل الجَريري عن ذلك فقال : منْ يقول بهذا كافر . وسُئِلَ الشِّبْلي عن ذلك فقال : من يقول بهذا يمنع . وسئل ابن عطاء عن ذلك فقال بقَوْل الحلاج في ذلك ، فعوقب حتى كان سبب هلاكه[٦] .

ثم روى أبو عبد الرحمن السُّلَمي عن محمد بن عبد الله[٧] الرَّازي أن الوزير حامد بن العبَّاس لما حضر الحلاج سأله عن اعتقاده فكتبه ، فسأل عن ذلك فقهاء بغداد ، فأنكروا ذلك[٨] فقيل للوزير : إنَّ أبا العباس بن عطاء يقول بهذا . فطلبه إلى منزله[٩] ، فجاء فجلس في صَدْر المجلس ، وسأله عن ذلك فقال : منْ لا يقول بهذا[١٠] فهو بلا اعتقاد . فقال له الوزير : ويحك ، تصوِّبُ مثل هذا الاعتقاد ؟! فقال [ابن عطاء][١١] : مالك ولهذا ، عليك بما نُصبت له من أخذ أموال النَّاس وظُلْمهم وقَتْلهم ، مالك ولكلام هؤلاء السَّادة[١٢] ، فأمر الوزير [عند ذلك][١٣] بضرب شِدْقيه ، ونَزْع خُفَّيه ، وأن يضرب بهما رأسه[١٤] ، فما زال يُفْعل ذلك به حتى سال الدَّمُ من مَنْخِريْه ، وأمر بسجنه . فقيل له : أيها الوزير ، إن العامة تشوَّش بهذا[١٥] . فحُمل إلى منزله ، فقال ابنُ عطاء : اللهم ، اقتله أخبث قتلة ، واقطع يديه

---

(١) في (ط) : فأنكروا ذلك من حاله ، ففتشوا . .

(٢) في (ط) : يدعوه إلى الضلالة والإيمان به ، فبعث . .

(٣) في (ط) بالكتاب .

(٤) في (ط) الألوهية والربوبية .

(٥) في (ح) و(ظا) وتاريخ بغداد : الحريري ـ بالحاء المهملة ـ وهو تصحيف .

(٦) انظر ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (١٩ ـ ٢٠) وتاريخ بغداد (٨/ ١٢٧ ـ ١٢٨) وسترد ترجمة ابن عطاء في وفيات سنة (٣٠٩هـ) .

(٧) في (ط) عبد الرحمن ، وهو تحريف ، ترجمته في تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥) .

(٨) في (ط) : فأنكروا ذلك ، وكفَّروا من اعتقده ، فكتبه ، فقيل للوزير . .

(٩) قي (ط) فقال الوزير : إن أبا العباس بن عطاء يقول بهذا ، فقالوا : من قال بهذا فهو كافر ، ثم طلب الوزير ابن عطاء إلى منزله . . وما في نسخنا المخطوطة أقرب إلى عبارة الخطيب .

(١٠) في (ط) : بهذا القول .

(١١) ما بين حاصرتين من(ط) .

(١٢) في (ط) : السادة من الأولياء .

(١٣) ما بين حاصرتين من(ط) .

(١٤) في (ط) : على رأسه .

(١٥) في (ط) تستوحش من هذا ولا يعجبها .

ورجليه . فمات ابن عطاء بعد سبعة أيام ، وقتل الوزير بعد ذلك شر قتلة ، وقطعت يداه ورجلاه ، وأُحرقت داره[١] .

وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحَلاَّج وزندقته ، وأجمعوا على قتله وصَلْبه[٢] .

قال أبو بكر محمد بن داود الظَّاهري : حين أُحضر الحلاج في المرة الأولى قبل وفاة أبي بكر ، وسُئِلَ عنه فقال : إن كان ما أنزل الله على نبيه ﷺ حقاً ، وما جاء به حق ، فما يقوله الحلاَّج باطل . وكان شديداً عليه[٣] .

وقال أبو بكر الصُّولي : قد رأيتُ الحلاج وخاطبته ، فرأيتُه جاهلاً يتعاقل ، وغبياً يتبالغ ، وفاجراً يتزهد[٤] .

ولما صُلبَ في أوّل مرة ، ونودي عليه أربعة أيام سَمِعَه بعضُهم وقد جيء به ليصلب وهو راكب على بقرة [يقول][٥] : ما أنا بالحلاج ، ألقىٰ عليَّ شَبَهه وغاب . فلما أُدني إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته يقول : يا معين الفَنَا عليَّ أعنِّي على الفنا[٦] .

وقال بعضهم : سمعته وهو مصلوب يقول : إلهي ، أصبحتُ في دار الرَّغائب ، أنظر إلى العجائب ، إلهي ، إنك تتودَّد إلى من يؤذيك ، فكيف بمن يُؤْذى فيك[٧] .

ذكر صفة مقتل الحلاَّج

قال الخطيب البغدادي وغيره : كان الحلاج قد قَدِمَ آخر قَدْمةٍ إلى بغداد ، فصحب الصُّوفية وانتسب إليهم ، وكان الوزير إذ ذاك حامد بن العبَّاس ، فبلغه أن الحلاج قد أضلَّ خَلْقاً من الحشم والحُجَّاب في

---

(١) انظر ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٠ ـ ٢١) وتاريخ بغداد (٨/ ١٢٨) وما في نسخنا الخطية أقرب إلى عبارتيهما ، وسترد ترجمة حامد بن العباس في وفيات سنة (٣١١هـ) ، والثابت عند المؤرخين أنه مات مسموماً .
وبعد هذا في (ط) : وكان العوام يرون ذلك بدعوة ابن عطاء ، على عادتهم في مراثيهم فيمن أوذي ممن لهم معه هوى ، بل قد قال ذلك جماعة ممن ينسب إلى العلم فيمن يؤذي ابن عربي ، أو يحط على حسين الحلاج أو غيره : هذا بخطيئة فلان .

(٢) في (ط) : وكان علماء بغداد إذ ذاك هم الدنيا .

(٣) تاريخ بغداد (٨/ ١٢٩) .

(٤) في (ط) : وخبيثاً مدعياً . . وفاجراً يتعبد .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) في (ح) الضنا ، ومثلها في ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٣) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤٨) ، والمثبت من (ط) وتاريخ بغداد (٨/ ١٣٠) ولعله الأشبه ، والخبر ليس في (ب) و(ظا) .

(٧) تاريخ بغداد (٨/ ١٣١) .

دار السُّلْطان ، ومن غِلْمان نَصْر القشوري الحاجب ، وزعم لهم أنه يحيي الموتى ، وأن الجنَّ يخدمونه ، ويحضرون له ما يختاره ويشتهيه[١] . وقال : إنه قد أحيا عِدَّة من الطَّير . وذُكرَ لعلي بن عيسى أن رجلاً يقال له محمد بن علي القُنَّائي[٢] الكاتب يعبُدُ الحلاَّج ، ويدعو النَّاس إلى ذلك ، فطلبه وكَبَسَ منزله ، [فأخذه][٣] فأقرَّ أنه من أصحاب الحلاج ، ووجد في منزله أشياء بخطِّ الحلاج مكتتبة بماء الذهب في ورق الحرير مجلدة بأفخر الجلود . ووجد عنده سَفَطاً[٤] فيه من رجيع[٥] الحلاج وبوله ، وأشياء من آثاره ، وبقية الخبز من زاده ، فطلب الوزير من الخليفة المقتدر أن يتكلَّم في أمر الحلاج ، ففوَّض أمره إليه ، فاستدعى بجماعة من أصحاب الحلاَّج ، فتهدَّدهم ، فاعترفوا له أنه قد صحَّ عندهم أنه إله[٦] ، وأنه يحيي الموتى ، وكاشفوا الحلاج بذلك[٧] ، فجحده[٨] وكذَّبهم وقال : أعوذ بالله أن أدعي الربوبية أو النُّبوة ، وإنما أنا رجل أعبد الله ، وأُكثر[٩] الصَّوْم والصلاة وفعل الخير ، ولا أعرف غير ذلك . وجعل لا يزيد على الشَّهادتين والتوحيد ، ويكثر أن يقول : سبحانك لا إلَه إلا أنت ، عملت سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذُّنوب إلا أنت . وكانت عليه مِدْرعة[١٠] سوداء ، وفي رجليه ثلاثة عشر قيداً ، وهي واصلة إلى ركبتيه . قالوا : وكان مع ذلك يصلِّي في كل يوم وليلة ألف ركعة[١١] .

وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العبَّاس عليه في حُجْرة من دار نصر القشوري الحاجب ، مأذوناً لمن يدخل إليه ، وكان يسمِّي نفسه تارة بالحسين بن منصور ، وتارة محمد بن أحمد الفارسي ، وكان نَصْر الحاجب قد افتتن به ، وظنَّ أنه رجل صالح ، وكان قد أدخله على المقتدر بالله فَرَقاه من وجعٍ حَصَلَ له ، فاتفق زواله [عنه][١٢] وكذلك وقع لوالدته السيدة أم المقتدر ، فزالت عِلَّتها ، فَنَفَقَ سوقه ، وحظي في دار السلطان ، فلما انتشر الكلام فيه سُلِّم إلى الوزير حامد بن العباس ، فحبسه في قيود كثيرةٍ في رجليه ،

---

(١) في (ط) : وجعل لهم في جملة ما أدعاه أنه يحيي الموتى ، وأن الجن يخدمونه ، ويحضرون له ما شاء ويختار ويشتهيه .
(٢) في (ب) و(ظ) : القباني ، وهو تصحيف .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) وعاء كان يوضع فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . المعجم الوسيط (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) .
(٥) هو النجو ، ،هو ما يخرج من البطن من غائط . اللسان (رجع) و(نجا) .
(٦) في (ط) : أنه إله مع الله .
(٧) في (ط) : ورموه في وجهه .
(٨) في (ط) : فجحد ذلك .
(٩) في (ط) : له .
(١٠) لباس من الصوف الغليظ كان يرتديه العبيد وفقراء العامة . المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب (١٤٩) .
(١١) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٢ ـ ١٣٣) .
(١٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

وجمع له الفقهاء ، فأجمعوا على كفره وزندقته ، وأنه ساحر ممخرق . ورجع [عنه][١] رجلان صالحان ممن كان اتبعه ، أحدهما : أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوارجي[٢] ، والآخر يقال له الدَّبَّاس ، فذكرا من فضائحه ، وما كان يدعو النَّاسَ إليه من الكذب والفجور والمخرقة والسحر شيئاً كثيراً ، وكذلك أُحضرت زوجة ابنه سليمان ، فذكرت عنه فضائح كثيرة ؛ من ذلك أنه أراد أن يغشاها وهي نائمة فانتبهت فقال : قومي إلى الصَّلاة ، وإنما كان يريد أن يطأها . وأمر ابنتها[٣] بالسُّجود له ، فقالت : أو يسجد بشر لبشر ؟! فقال : نعم ، إله في السَّماء وإله في الأرض . ثم أمرها أن تأخذ من تحت باريَّة[٤] هنالك ما أحبت[٥] ، فوجدت تحتها دنانير كثيرة مبذورة[٦] .

ولما كان معتقلاً في دار حامد بن العباس دخل عليه بعض الغِلْمان ، ومعه طبق فيه طعام ليأكل منه ، فوجده قد ملأ البيت من سقفه إلى أرضه ، فذعر ذلك الغلام[٧] ، وألقى ما كان في يده من ذلك الطَّبق والطعام ، ورجع محموماً ، فمرض عِدَّة أيام[٨] .

ولما كان آخر مجلس[٩] أُحضر القاضي أبو عمر محمد بن يوسف ، وجيء بالحلاج ، وقد أُحضر له كتاب من دور بعض أصحابه وفيه : من أراد الحجَّ ولم يتيسر له ، فليبن في داره بيتاً لا يناله شيء من النجاسات ، ولا يمكِّن أحداً من دخوله ، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام ، وليطف به كما يُطاف بالكعبة ، ثم يفعل في داره ما يفعله الحجيج بمكة ، ثم يستدعي بثلاثين يتيماً ؛ فيطعمهم من طعامه ،

---

(١) ما بين حاصرتين من(ط) .

(٢) كان الأوارجي هذا كاتباً ، توفي سنة (٣٤٤هـ) ، وهو ممدوح المتنبي بقصيدته التي مطلعها :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء ... إذ حيث كنت من الظلام ضياء

وهذه النسبة إلى الأوارجة : من كُتُب أصحاب الدواوين في الخراج ونحوه ، ويقال هذا كتاب التأريج وهو معرب أواره أي الناقل . يعني بما نعرفه اليوم بدفتر الحساب الذي يسجل فيه الداخل والمصروف . تاريخ بغداد (٨/ ١٣٤) . ووفيات الأعيان (٢/ ١٧٢) وديوان المتنبي (١/ ١٢ ـ ١٣) وتاج العروس (أرج) وقاموس الفارسية (أوار) .

(٣) في (ح) و(ظا) وأمرتها ابنتها ، وفي (ب) وأمرها ابنها ، وفي تاريخ بغداد (٨/ ١٣٥) : وأمرتها ابنته ، والمثبت من (ط) وهو الأشبه .

(٤) البارية : الحصير المنسوج ، فارسي معرب . اللسان (بور) .

(٥) في (ط) : ما أرادت .

(٦) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٤ ـ ١٣٥) .

(٧) في (ط) : وفزع فزعاً شديداً .

(٨) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٧ ـ ١٣٨) .

(٩) في (ط) : من مجالسه .

ويتولَّى خدمتهم بنفسه ، ثم يكسوهم قميصاً قميصاً ، ويعطي كلَّ واحدٍ [منهم][١] سبعة دراهم ـ أو قال : ثلاثة دراهم ـ فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج[٢] .

وأن من صام ثلاثة أيام لا يُفطر إلا في اليوم الرَّابع على ورقات هِنْدَبا[٣] أجزأه ذلك عن صيام رمضان .

ومن صلَّى في ليلةٍ ركعتين من أوَّل الليل إلى آخره أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك .

وأن من جاور بمقابر الشُّهداء وبمقابر قريش عشرة أيام يصلِّي ويدعو ويصوم ، ثم لا يُفْطر إلا على شيء من خُبْز الشعير والملح الجريش[٤] أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره . فقال له القاضي أبو عمر : من أين لك هذا ؟ فقال : من « كتاب الإخلاص » للحسن البَصْري . فقال له : كذبت يا حلالَ الدَّم ، قد سمعنا « كتاب الإخلاص » للحسن بمكة ، وليس فيه شيء من هذا . فأقبل الوزير حامد بن العباس على القاضي أبي عمر فقال له : قد قلتَ يا حلالَ الدم ، فاكتبْ ذلك في هذه الورقة . وألحَّ عليه ، وقدَّم إليه الدَّواة ، فكتب ذلك في تلك الورقة ، وكتب منْ حضر خطوطهم فيها ، وأنفذها الوزير إلى المقتدر ، وجعل الحلاج يقول لهم : ظهري حِمَىً ، ودمي حَرَام ، وما يحلُّ لكم أن تتأولوا عليَّ [ما يبيحه][٥] واعتقادي الإسلام ، ومذهبي السُّنَّة ، وتفضيل أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزُّبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي عبيدة بن الجرَّاح ، ولي كتب في السُّنَّة موجودة في الورَّاقين ، فاللهَ اللهَ في دمي . فلا يلتفتون[٦] إلى شيءٍ مما يقول . وهو يكرره وهم يكتبون خُطوطهم بما كان من الأمر ، ورُدَّ الحلاج إلى محبسه ، وتأخر جواب المقتدر ثلاثة أيام حتى ساء ظنُّ الوزير حامد بن العباس ، فكتب إلى الخليفة يقول : إن الحلاج قد اشتهر أمره ، ولم يختلف فيه اثنان ، وقد افتتن كثير من الناس به . فجاء الجواب بأن يُسلَّم إلى محمد بن عبد الصَّمد ؛ صاحب الشُّرْطة ، فليضربه ألف سَوْط ، فإن مات وإلا ضُربَتْ عنقه . فَفَرِحَ الوزير بذلك ، وطلب صاحب الشُّرْطة ، فسلَّمه إليه ، وبعث معه طائفةً من غِلْمانه يوصلونه معه إلى محل الشُّرْطة من الجانب الغربي خوفاً من أن يُستنقذ من أيديهم ، وذلك بعد عِشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء لستٍّ بقين من ذي القَعْدة من هذه السَّنة . وركب على بغل عليه إكاف[٧] ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٨) .

(٣) يمد ويقصر ، وهو نبات بقلي ، وله أنواع عديدة ، وهو معروف عندنا بالشام اللسان (هندب) والموسوعة في علوم الطبيعة (٢/ ٦١٧) .

(٤) أي لم يتطيب . اللسان (جرش) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) في (ط) : فلا يلتفتون إليه ولا إلى شيء مما يقول .

(٧) برذعة : المعجم الوسيط (٢/ ١٠٦٧) .

وحوله جماعة من السَّاسة[١] على مثل شَكْله ، فاستقر منزله بدار الشُّرْطة في هذه الليلة ، فَذُكر أنه بات يصلِّي في هذه الليلة ، ويدعو دعاء كثيراً[٢] .

فقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي : سمعت أبا بكر الشَّاشي يقول : قال أبو الحديد ـ يعني المصري[٣] ـ : لما كانتِ الليلة التي قُتل في صبيحتها الحسين بن منصور قام من الليل فصلَّى ما شاء الله ، فلما كان آخر الليل قام قائماً فتغطى بكسائه ، ومدَّ يديه نحو القِبْلة ، فتكلَّم بكلام جار[٤] الحِفْظ ، فكان مما حفظت أن قال : نحن شواهدك ، نلوذ بسنا عزك لتبدي[٥] ما شئت من شأنك ومشيئتك ، وأنت الذي في السَّماء إله وفي الأرض إله ، تتجلَّى لما تشاء مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصُّورة ، والصورة فيها الرُّوح الناطقة بالعِلْم والبيان والقُدْرة ، ثم أوعزت إلى شاهدك الآنيّ في ذاتك الهُوي كيف أنت إذا مثَّلْتَ بذاتي عند عقيب كرَّاتي[٦] ، ودَعَوتَ إلى ذاتي بذاتي ، وأبديتَ حقائق علومي ومعجزاتي ، صاعداً في معارجي إلى عروش أزلياتي عند القول من بريَّاتي[٧] ، إني احتُضرتُ وقُتِلْتُ وصُلبت وأُحرقت واحتملت سافياتي الذَّاريات ، ولجحت في الجاريات ، وأن ذرة من ينجوج مكان هاكول[٨] متجلياتي لأعظم من الرَّاسيات ، ثم أنشأ يقول :

أنْعَىٰ إليك نفوساً طاحَ شاهِدُها ... فيما ورا الحيث أوْفَىٰ شاهد القِدَمِ[٩]

أنعىٰ إليك قلوباً طالما هَطَلَتْ ... سحائبُ الوَحْي فيها أبْحُرَ الحِكَمِ

أنعى إليك لسانَ الحقِّ منكَ ومَنْ ... أوْدَى وتَذْكارُهُ في الوَهْمِ كالعَدَمِ

أنعىٰ إليك بَيَاناً تستكينُ لهُ ... أقوالُ كلِّ فصيحٍ مِقْولٍ فَهِمِ

---

(١) في (ط) أعوان السياسة . وهي تصحيف . وكان المقصود بهذه الخطة إخفاء الحلاج عن أعين أنصاره أثناء نقله من بيت الوزير إلى دار الشرطة خوفاً من محاولة تخليصه .

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٨ ـ ١٤٠) .

(٣) كذا في النسخ الخطية و(ط) ، ومثله في ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٢) وفي أخبار الحلاج (١١) ذكر الخبر عن قاضي القضاة أبي بكر بن الحداد المصري ، وهو الأشبه .

(٤) في (ط) جائز ، وهو تصحيف .

(٥) في (ط) نحن شواهدك فلو دلتنا عزتك لتبدي ما شئت . . وهي تحريف . . وفي أخبار الحلاج (١١) : نحن بشواهدك نلوذ ، وبسنا عزتك نستضيء ، لتبدي . . وهي قراءة مستقيمة أيضاً .

(٦) في (ط) عند حلول لذاتي ، وهو تحريف .

(٧) في (ط) عند التولي عن برياني .

(٨) في (ب) و(ظا) : هاكرك ، وفي سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٤٩) : هيكل ، وفي (ط) هالوك ، والمثبت من (ح) وترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٢) وأخبار الحلاج (١١) .

(٩) في (ب) و(ظا) العدم ، وفي (ح) : فيما درى الحب أو في شاهد العدم ، والمثبت من ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة : ٢٢ . ورواية الديوان (٢٤) فيما وراء الحيث يلقى شاهد القدم .

أنعىٰ إليكَ إشاراتِ العقولِ معاً   لم يبقَ منهنَّ إلّا دارسُ العَلَمِ[(١)]
أنعىٰ وحُبِّكَ أخلاقاً لطائفةٍ   كانتْ مطاياهمُ من مُكْمِدِ الكظمِ
مضَىٰ الجميعُ فلا عَيْنٌ ولا أثرٌ   مضيَّ عادٍ وفُقْدانَ الأُلىٰ إرَمِ
وخلَّفوا معشراً يحذونَ لبستهمْ   أعْمَى من البُهْم بلْ أعمى من النَّعَمِ[(٢)]

قالوا : ولما أُخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد :

طَلَبْتُ المُسْتقرَّ بكلِّ أرضٍ   فَلَمْ أرَ لي بأرْضٍ مستقرّا
أطَعْتُ مطامعي فاستَعْبَدتني   وَلَوْ أنّي قَنِعْتُ لعشتُ حُرّا[(٣)]

وقيل : إنه قالها حين قُدّم إلى الجذع ليصلب عليه ، والمشهور ما ذكرناه .

ثم مشى[(٤)] وهو يتبختر في مشيته ، وفي رجليه ثلاثة عشرَ قيداً ، وجعل ينشد :

نديمي غيرُ مَنْسوبٍ   إلى شيءٍ من الحَيْفِ
سَقَاني مِثْلَ ما يَشْرَ   بُ فِعْلَ الضَّيْفِ بالضَّيْفِ
فلَمَّا دارتِ الخمرُ   دَعا بالنِّطْعِ والسَّيْفِ
كذا منْ يشربُ الرَّاحَ   مَعَ التِّنينِ في الصَّيْفِ[(٥)]

ثم قال : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ [الشورى : ١٨] ، ثم ما نطق بعد ذلك حتى فُعِلَ به ما فعل[(٦)] .

قالوا : ثم قُدِّمَ فَضُرِبَ ألفَ سَوْط ، ثم قُطعت يداه ورجلاه وهو في ذلك [كله][(٧)] ساكت لا ينطق بكلمة ، ولم يتغيَّر لونه ، ويقال : إنه جعل يقول مع كل سَوْط : أَحَدٌ أحد[(٨)] .

---

(١) في ترجمة الحلاج للسلمي (٢٢) العدم ، وفي الديوان (٢٥) : الرحم .
(٢) الأبيات في الديوان (٢٤ ـ ٢٥) مع اختلاف في بعض الألفاظ . وأيضاً في ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٢ ـ ٢٣) وأخبار الحلاج (١١ ـ ١٢) وبداية الحلاج لابن باكويه في الأصول الأربعة (٣٤) مع اختلاف في بعض الألفاظ .
(٣) البيتان في ديوان أبي العتاهية (١٤١) وفي (ط) زيادة بيت بينهما ، وهو :
وذقتُ من الزمان وذاق مني   وجدت مذاقه حلواً ومُرّا
وهو ليس في الديوان المذكور .
(٤) في (ط) : فلما أخرجوه للصلب مشى إليه وهو يتبختر .
(٥) الأبيات في ديوان الحلاج (٧٣) وأخبار الحلاج (٣٥) مع اختلاف في بعض الألفاظ .
(٦) تاريخ بغداد (٨/ ١٣٢) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) تاريخ بغداد (٨/ ١٣١) .

قال أبو عبد الرحمن : سَمِعْتُ عبدَ الله بن علي يقول : سمعت عيسى القَصَّار يقول : آخر كلمة تكلَّم بها الحلاّج حين قُتلَ أن قال : حَسْبُ الواجد[١] إفراد الواحد . فما سَمِعَ بهذه الكلمة أحدٌ من المشايخ إلا رَقَّ له ، واستحسن هذا الكلام منه[٢] .

وقال السُّلمي : سمعت أبا بكر البَجَلي[٣] يقول : سمعت أبا الفاتك البَغْدادي ـ وكان صاحبَ الحلاج ـ قال : رأيتُ في النَّوْم بعد ثلاثٍ من قَتْلِ الحلاج كأني واقفٌ بين يدي ربي عزَّ وجلَّ وأقول : يا ربّ ، ما فَعَلَ الحسين بن منصور ؟ فقال : كاشَفْتُه بمعنى فدعا الخَلْقَ إلى نفسه ، فأنزلت به ما رأيت[٤] .

ومنهم منْ قال : بل جَزِعَ عند ذلك[٥] جزعاً شديداً ، وبكى بكاءً كثيراً ، فالله أعلم .

وقال الخطيب : حدثنا عبيد الله[٦] بن أحمد بن عثمان الصَّيْرفي قال : قال لنا أبو عمر بن حيُّوية : لما أخرج الحسين[٧] الحلاج ليقتل مضيت في جُملة النَّاس ، ولم أزل أُزاحم حتى رأيته[٨] ، فقال لأصحابه : لا يَهُولنَّكُمْ هذا[٩] ، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً . ثم قتل[١٠] .

وذكر الخطيب أنه قال وهو يُضرب لمحمد بن عبد الصَّمَد والي الشُّرْطة : أدع بي إليك ، فإن عندي نصيحة تعدِلُ فتحَ القُسْطَنْطينيَّة . فقال له : قد قيل لي إنك ستقول مثل هذا ، وليس إلى رَفْع الضَّرْب عنك سبيل . ثم قُطِعتْ يداه ورِجْلاه ، وحُزَّ راسه ، وأُحرقت جثته ، وأُلْقي برمادها في دِجلة ، ونُصبَ الرأس يومين ببغداد على الجسر ، ثم حُملَ إلى خُراسان ، وطيف به في [تلك][١١] النَّواحي ، وجَعَلَ أصحابه يَعِدُون أنفسهم برجوعه إليهم بعد أربعين[١٢] يوماً . وزَعَمَ بعضُهم أنه رأى الحلاج من آخر ذلك اليوم وهو

---

(١) في (ط) الواحد ـ بالحاء المهملة .
(٢) ترجمة الحلاج للسلمي في الأصول الأربعة (٢٥) .
(٣) في (ط) المحاملي ، وهو تحريف .
(٤) المصدر السابق .
(٥) في (ط) القتل .
(٦) في (ب) و(ظا) و(ط) عبد الله ، وهو تصحيف ، وترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٥) .
(٧) في (ط) : الحسين بن منصور الحلاج .
(٨) في (ط) : فدنوت منه .
(٩) في (ط) : هذا الأمر .
(١٠) في (ط) : فما عاد . والخبر في تاريخ بغداد (٨/ ١٣١) وما في نسخنا المخطوطة أقرب إلى عبارة الخطيب .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٢) في (ط) ثلاثين ، وهو تحريف .

راكبٌ على حمار في طريق النّهروان ، فقال : لعلكم مثل هؤلاء النفر[١] الذين ظنوا أني أنا هو المضروب المقتول[٢] . فكانوا بجهلهم يقولون : إنما قَتَلَ عدواً من أعداء الحلاج[٣] .

وقال بعض علماء ذلك الزمان : إن كان هذا الرأي صادقاً ، فلعل دابة ؛ يعني من الشياطين تبدَّىٰ على صورته ، ليضِلَّ به الناس[٤] ، كما ضَلَّت فرقة النَّصارى بالمصلوب .

قال الخطيب : واتفق أنَّ دِجْلَة زادت في هذا العام زيادةً كبيرة ، فقالوا : إنما زادت لأن رماد الحلاج[٥] خالطَها[٦] . ونُوديَ ببغداد ألا يشتري أحدٌ من كتب الحلاج شيئاً ولا يبيعه[٧] .

وكان قتل الحلاج في يوم الثلاثاء لستٍّ بقين من ذي القَعْدة من سنة تسعٍ وثلاثمئة ببغداد .

وذكره القاضي ابن خلِّكان في « الوفيات » ، وحكى اختلاف النَّاس فيه ، ونقل عن الغزالي في « مشكاة الأنوار » أنه كان يتأول كلامه ويحمله على ما يليق[٨] . ثم نقل[٩] عن إمام الحَرَمين أنه كان يذمُّه ، ويقول : إنه اتفق هو والجنَّابي وابن المُقَفَّع على إفساد عقائد النَّاس ، وتفرَّقوا في البلاد ، فكان الجَنَّابي في هَجَر والبحرين ، وابن المُقَفَّع ببلاد التُّرْك ، ودخل الحلاج العِراق[١٠] .

قال القاضي ابن خَلِّكان : وهذا لا ينتظم ؛ فإن ابن المُقَفَّع كان قبل الحلاج بدهر ؛ فإنه كان في أيام السَّفَّاح والمنصور ، ومات سنة خمس وأربعين ومئة[١١] أو قبلها . ولعل إمامَ الحرمين أراد المقنَّع[١٢] الخُرَاساني الذي ادَّعىٰ الرُّبوبية ، وأوتي القمر[١٣] ، واسمُه عطاء ، وقد قتل نفسه بالسُّمِّ في سنة ثلاث وستين ومئة ، ولا يمكن اجتماعه مع الحلاج أيضاً ، وإذا أردنا أن نصحِّحَ كلام إمام الحرمين ، ونذكر

---

(١) في تاريخ بغداد : البقر .
(٢) في (ط) : إني لست به ، وإنما ألقي شبهي على رجل ، ففعل به ما رأيتم .
(٣) تاريخ بغداد (٨/ ١٤٠ ـ ١٤١) .
(٤) في (ط) فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان ، فقال : إن كان هذا الرأي صادقاً فقد تبدى له شيطان على صورة الحلاج ليضل به الناس .
(٥) في (ط) : جثة الحلاج .
(٦) في (ط) : وللعوام في مثل هذا وأشباهه ضروب من الهذيانات قديماً وحديثاً .
(٧) تاريخ بغداد (٨/ ١٤١) وما في نسخنا المخطوطة أقرب إلى عبارة الخطيب .
(٨) مشكاة الأنوار (٥٧ ـ ٥٨) .
(٩) في (ط) : ثم نقل ابن خلكان .
(١٠) في (ط) : فحكم صاحباه عليه بالهلكة لعدم انخداع أهل العراق بالباطل .
(١١) في (ط) ومئتين ، وهو تحريف ، ووفاته في أكثر المصادر سنة (١٤٢هـ) .
(١٢) في (ط) ابن المقفع ، وهو تصحيف .
(١٣) في (ط) العمر ، وهو تصحيف . وكان المقنع قد أظهر لهم من جملة تمويهاته صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من موضعه ، ثم يغيب . وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٤) .

ثلاثة قد اجتمعوا في وقتٍ على ما ذكر[١] ، فيكون أراد بذلك الحلاج ، وابن الشَّلْمَغَاني[٢] ؛ يعني أبا جعفر محمدَ بن علي ، والقرمطي الجَنَّابي وهو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بَهْرام ؛ الذي قتل الحُجَّاج ، وأخذ الحجر الأسود ، وردم زمزم بالقتلى ، ونهب أستار الكعبة . كما سيأتي ذلك مبسوطاً[٣] . ذكره ملخصاً القاضي هاهنا[٤] .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أبـو العبَّاس بن عَطَاء أحد أئمة الصُّوفية[٥] : وهو أحمد بن محمد [بن سهل][٦] بن عطاء الأدَمي[٧] .

حدث عن يوسف بن موسى القَطَّان ، والفَضْل[٨] بن زياد وغيرهما[٩] .

وكان[١٠] يقرأ في كل يوم وليلة ختمة ، وفي شهر رمضان يقرأ في كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وكانت له ختمة يتدَبَّر فيها معاني القرآن ، يتلوها من سَبْع عشرة سنة ، ومات ولم يختِمْها .

وهذا الرجل ممن كان قد اشتبه عليه أمْرُ الحلاَّج ،وأظهر موافقته ، فعاقبه الوزير حامد بن العَبَّاس بالضَّرْبِ البليغ على شِدْقيه ، وأمر بنَزْع خُفَّيه وضَرْبه بهما على رأسه حتى سال الدَّمُ من مَنْخِرَيْه ، ومات بعد سبعة أيام من ذلك ، وكان قد دعا على الوزير بأن تُقْطع يداه ورِجْلاه ويقتل شَرَّ قِتْلة . فما مات الوزير إلا كذلك[١١] .

---

(١) في (ط) فذكر ثلاثة قد اجتمعوا في وقت واحد على اضلال الناس وإفساد العقائد كما ذكر ، فيكون المراد بذلك الحلاج . .

(٢) في (ط) : السمعاني ، وهو تحريف ، وسيرد ذكره في أحداث سنة (٣٢٢هـ) .

(٣) في أحداث سنة (٣١٧هـ) .

(٤) وفيات الأعيان (٢/ ١٤٦ ـ ١٥٧) .

(٥) طبقات الصوفية (٢٦٥ ـ ٢٧٢) حلية الأولياء (١٠/ ٣٠٢ ـ ٣٠٥) تاريخ بغداد (٥/ ٢٦ ـ ٣٠) الرسالة القشيرية (٢٣ ـ ٢٤) المنتظم (٦/ ١٦٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) طبقات الأولياء (٥٩ ـ ٦١) طبقات الشعراني (١/ ١٢٥ ـ ١٢٨) .

(٦) ما بين حاصرتين من طبقات الصوفية (٢٦٥) .

(٧) هذه النسبة إلى من يبيع الأدم . الأنساب (١/ ١٦١) .

(٨) في (ط) المفضل ، وهو تصحيف ، وترجمته في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٦٣) .

(٩) في (ط) : وقد كان موافقاً للحلاج في بعض اعتقاده على ضلاله .

(١٠) في (ط) : وكان أبو العباس هذا . .

(١١) انظر صفة مقتل الحلاج من هذا الجزء .

وفيها توفي :

أبو إسحاق إبراهيم بن هارون الطَّبيب الحَرَّاني . وأبو محمد عبد الله بن حمدون النَّديم(١)

(١) على هامش (ح) : بلغ مقابلة بالأصل المنقول منه . وقد انفردت (ب) في إيراد مسألة في الحلاج ، نسوقها فيما يلي :

مسألة في الحلاج

سئل شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ـ تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته ـ قال : أنا [كذا في الأصل ولعل الصواب من] اعتقد ما يعتقده الحلاج ، ماذا يجب عليه ، ويقول : إنما قتل ظلماً كما قتل بعض الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، ويقول الحلاج من أولياء الله تعالى ، فماذا يجب عليه بهذا الكلام ، وهل قتل بسيف الشرع الشريف أم لا ، أفتونا مأجورين .

الحمد لله ، من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها ، فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين ، فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والاتحاد كقوله أنا الله ، وقوله : إله في السماء وإله في الأرض . وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا إله إلا الله ، وأن الله خالق كل شيء ، فكل ما سواه مخلوق ، و ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٩٣ ـ ٩٥] وقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝١٧١ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ الآية [النساء : ١٧١ ـ ١٧٢] . وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٤ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة : ٧٣ ـ ٧٥] .

فالنصارى الذين كفَّرهم الله ورسوله ، واتفق المسلمون على كفرهم ، كان من أعظم كفرهم دعواهم الحلول والاتحاد بالمسيح بن مريم ، فمن قال بالحلول والاتحاد في غير عيسى كما يقول الغالية في عليّ ، وكما يقوله الحلاجية في الحلاج ، والحاكمية في الحاكم ، وأمثال هؤلاء ، فقوله شرٌّ من قول النصارى ، لأن المسيح أفضل من هؤلاء كلهم ، وهؤلاء من جنس أتباع الدجال الذي يدعي الإلهية فيتبع ، مع أن الدجال يقول للسماء امطري فتمطر ، وللأرض أنبتي فتنبت ، وللخربة أخرجي كنوزك ، فيخرج معه كنوز الذهب والفضة ، ويقتل رجلاً مؤمناً ، ثم يأمر به فيقوم ، ومع هذا فهو الأعور الدجال الكذاب ، فمن ادَّعى الإلهية بدون مثل هذه الخوارق كان دون هذا الدجال .

والحلاج كانت له مخاريق وأنواع من السحر ، وله كتب منسوبة إليه في السحر ، وبالجملة فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر أو اتحاده به ، أو أن البشر يكون إلاهاً وجزءاً من الإله ، فهو كافر ، مباح الدم ، وعلى هذا قتل الحلاج . ومن قال : إن الله نطق على لسان الحلاج ، وأن الكلام المسموع من الحلاج كان كلام الله ، وأن الله هو القائل على لسانه فهو أيضاً كافر باتفاق المسلمين ، لأن الله لا يحل في بشر ، ولا يتكلم على لسان بشر . . ولكن يرسل الرسل بكلامه ، فيقولون عليه ما أمرهم ببلاغه ، فيقول على ألسنة الرسل ما أمرهم بقوله ؛ كما قال النبي ﷺ أن الله قال على لسان نبيه : سمع الله لمن حمده . فإن المعروف في خطاب الناس أن كل واحد من الرسل والرسول يقول على لسان الآمر كما قال أحمد بن حنبل للمروذي : قل على لساني ، وكما يقال : هذا يقول على=

. . . .

= لسان السلطان كيت وكيت . فمثل هذا معناه مفهوم ، وأما أن الله هو المتكلم على لسان البشر كما يتكلم الجني على لسان المصروع ، فهذا كفر صريح . وأما إذا ظهر مثل هذا القول عن غائب قد رفع عنه القلم لكونه مصطلماً في حال من أحوال الفناء والسكر ، فهذا تكلَّمَ به في حال دَفَعَ عنه فيها القلمُ ، فالقول وإن كان باطلاً لكن القائل غير مؤاخذ ، ومثل هذا تعرض لمن استولى عليه سلطان الحب مع ضعف القلب ، كما يقال : إن محبوباً ألقى نفسه في اليم ، فألقى المحب نفسه خلفه ، فقال : أنا وقعت ، فلم وقعت خلفي؟ قال : غبت بك عني ، فظننت أنك أني . وقد ينتهي بعض الناس إلى مقام يغيب معبود عن عبادته ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، فإذا ذهب تمييز هذا ، وصار غائب العقل بحيث يرفع عنه القلم لم يكن معاقباً على ما تكلم به في هذه الحال ، مع العلم بأنه خطأ وضلال ، وآفة حال لا يكون لألباء الرجال .

وما يحكى عن الحلاج من ظهور كرامات له عند قتله ، مثل كتابة دمه أربعين كلمة ، أو إظهار الفرح بالقتل ، أو نحو ذلك ، كله كذب . وقد جمع المسلمون أخبار الحلاج في مواضع كثيرة ، كما ذكر ثابت بن سنان في « أخبار الخلفاء » وقد شهد مقتله ، وكما ذكر المحسن التنوخي ، وكما ذكر إسماعيل بن علي الخطبي في « تاريخ بغداد » ، وقد شهد قتله ، وكما ذكر الحافظ أبو بكر الخطيب في « تاريخه » ، وكما ذكر القاضي أبو يعلى في « المعتمد » ، وكما ذكر القاضي أبو بكر بن الطيب وأبو محمد بن حزم وغيرهما ، وكما ذكر أبو يوسف القزويني وأبو الفرج بن الجوزي فيما جمعا من أخباره . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في « طبقات الصوفية » أن أكثر المشايخ أخرجوه عن الطريق . ولم يذكره أبو القاسم القشيري في « رسالته » في المشايخ الذين عدَّهم من مشايخ الطريق ، وما يعلم أحد من أئمة الإسلام ذكر الحلاج بخير لا من العلماء ولا من المشايخ ، ولكن بعض الناس يقف فيه ، لأنه لم يعرف أمره ، فأبلغ من يحسن الظن به يقول : إنه وجب قتله في الظاهر ، والقاتل مجاهد ، والمقتول شهيد . وهذا أيضاً خطأ . وقول القائل : إنه قتل مظلوماً ظلماً باطل ، فإن وجوب قتله على ما أظهره من الإلحاد أمر واجب باتفاق المسلمين ، لكن لما كان يظهر الإسلام ويبطن الإلحاد إلى أصحابه صار زنديقاً ، فلما أخذ وحبس أظهر التوبة ، والفقهاء متنازعون في قبول توبة المرتدين ، وأكثرهم لا يقبلها ، وهو مذهب مالك وأهل الحديث ، ومذهب أحمد في أشهر الروايتين عنه ، وهو أحد القولين في مذهب أبي حنيفة ، ووجه في مذهب الشافعي ، والقول الآخر يقبل توبته . وقد اتفقوا على أنه إذا قتل قبل هذا لا يقال إنه قتل ظلماً .

وأما قول القائل إن الحلاج من أولياء الله [كذا والعبارة فيها سقط] فإن ولي الله من مات على ولاية الله ، والله يحبه ويرضى عنه ، والشهادة بهذا لغير من شهد له النبي ﷺ بالجنة لا يجوز عند كثير من العلماء أو أكثرهم ، وذهبت طائفة من السلف كأبي حنيفة وعلي المديني إلى أنه لا يشهد بذلك لغير النبي ﷺ ، وقال طائفة : بل من استفاض في المسلمين الثناء عليه شهد له بذلك ، لأن النبي ﷺ مر عليه بجنازة ، فأثنوا عليها خيراً . فقال : وجبت وجبت . ومر عليه بجنازة ، فأثنوا عليها شراًفقال : وجبت وجبت . قال : يا رسول الله ، ما قولك وجبت وجبت؟ قال : هذه الجنازة أثنيتم عليها خيراً ، فقلت : وجبت لها الجنة . وهذه الجنازة أثنيتم عليها شراً ، فقلت : وجبت لها النار ، أنتم شهداء الله في الأرض . [صحيح البخاري (١٣٠١) في الجنائز ، وصحيح مسلم (٩٤٩) في الجنائز] .

وإذاً جوز أن يشهد لبعض الناس أنه من أولياء الله في الباطن ، إما بنصٍّ ، وإما بشهادة الأمة ، فالحلاج ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء ، فجمهور الأمة يطعن عليه ، ويجعله من أهل الإلحاد ، وإن قدر أنه يطلع على بعض الناس أنه ولي الله بكشف ونحو ذلك مما يختص به بعض أهل الصلاح ، فهذا الذي أثنى على الحلاج ، ووافقه على اعتقاده ضالٌّ من وجوه ، أحدها أنه لا يعرف فيمن قتل بسيف الشرع على الزندقة أحد قتل ظلماً وكان ولياً لله ، فقد قتل الجهم بن صفوان والجعد بن درهم وغيلان القدري ومحمد بن سعيد المصلوب وبشار بن برد الأعمى ، وأمثال =

. . . .

= هؤلاء كثير ، ولم يقل أهل العلم واللب في هؤلاء (كذا وكان ثمة سقط) وأما الأنبياء فقتلهم الكفار ، وكذلك الصحابة الذين استشهدوا قتلهم الكفار ، وعثمان وعلي والحسين ونحوهم قتلهم الخوارج البغاة ، لم يقتلوا بحكم الشرع على مذاهب فقهاء أئمة الدين كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم ، فإن أئمة الدين متفقون على تحريم دماء هؤلاء ، وهم متفقون على حل دم الحلاج وأمثاله .

الوجه الثاني : إن الاطلاع على أولياء الله لا يكون إلا ممن يعرف طريق الولاية ، وهو الإيمان والتقوى ، ومن أعظم الإيمان والتقوى أن يجتنب مقالة أهل الإلحاد ، كأهل الحلول والاتحاد ، فمن وافق الحلاج على مثل هذه المقالة لم يكن عارفاً بالإيمان والتقوى ، فلا يكون عارفاً بطريق أولياء الله ، فلا يجوز أن يميز بين أولياء الله وغيرهم .

الثالث : أن هذا القائل قد أخبر أنه يوافقه على مقالته ، فيكون من جنسه ، فشهادته له بالولاية شهادة لنفسه ، كشهادة اليهودي والنصراني والرافضي لنفسه أنه على الحق ، وشهادة المرء نفسه فيما لا يعلم فيه كذبه ولا صدقه مردودة ، فكيف تكون شهادته لنفسه ولطائفته الذين ثبت بالكتاب والسُّنة والإجماع أنهم أهل ضلال .

الرابع : إن ما يقال إما كون الحلاج عند الموت تاب فيما بينه وبين الله ، أو لم يتب ، فهذا غيب يعلمه الله . وأما كونه إنما كان يتكلم بهذا عند الاصطلام ، فليس كذلك ، بل كان يصنف الكتب ، ويقوله وهو حاضر يقظان ، وقد تقدم أن غيبة العقل تكون عذراً في الباطن وإن لم تكن عذراً في الظاهر ، فهذا لو فرض لم يجز أن يقال قتل ظلماً ، ولا يقال إنه موافق له على اعتقاده ، ولا يشهد بما لا يعلم ، فكيف إذا كان الأمر بخلاف ذلك؟ وغاية المسلم المؤمن إذا عذر الحلاج أو يدعي فيه الاصطلام أو الشبهة ، فإما أن يوافقه على ما قيل عليه ، فهذا حال أهل الزندقة والإلحاد ، وكذلك من لم يجوِّز قتل مثله فهو مارق من دين الإسلام ، ونحن إنما علينا أن نعرف التوحيد الذي أمرنا به ، ونعرف طريق الله [الذي] أمرنا به ، وقد علمنا بكلاهما أن ما قاله الحلاج باطل ، وأنه يجب قتل مثله ، وأما نفس الشخص المعين ، هل كان في الباطن له أمر يغفر الله له به ، من توبةٍ أو غيرها؟ فهذا أمره إلى الله ، ولا حاجة إلى العلم بحقيقة ذلك ، والله أعلم .

وسئل أيضاً رضي الله عنه عمن يعتقد أن كرامات الأولياء حق ، وأن منهم من يكاشف ماضي ومستقبل ، فهل هذا الاعتقاد صحيح أو لا ؟ .

أجاب : كرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة ، وقد دلَّ عليها القرآن في غير موضع ، والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم . وأما أئمة الإسلام وشيوخه المقبولون عند الله فلم ينكروها ، لكن كثير ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذاباً ، أو ملبوساً عليه ، وأيضاً فإنها لا تدلُّ على عصمة صاحبها ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقول ، بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره عن بعض الكفار من المشركين وأهل الكتاب ، ومن هو شر منه ، كما بينت في الصحيح أن الدَّجّال يقول للسماء : أمطري ، فتمطر . ويقول للأرض : أنبتي ، فتنبت ، وأنه يقتل واحداً ، ثم يحيا ، وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة ، ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، لم يغترَّ به حتى ننظر وقوفه عند الأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، وهذه جملة مختصرة مفصلة مبسوطة في غير هذا الموضع ، والله أعلم .

مسألة أيضاً

سئل عنها شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله في الحلاج ، هل كان صدِّيقاً أو زنديقاً ؟ وهل كان من أولياء الله المتقين ، وله حال رحماني ، أو من إخوان الشياطين ، وله حال شيطاني ؟ وهل قتل على الزندقة بمحضر من علماء المسلمين ، أو قتل ظلماً ؟ وماذا قالت العلماء في ذلك ؟ =

. . . .

= أجاب : الحمد لله ، الحلاج قتل على الزندقة ، والزندقة هي النفاق بعينه التي ثبت عليه بإقراره وبغير إقراره ، وبغير الأمر الذي ثبت عليه مما يوجب القتل باتفاق المسلمين ، ومن قال إنه قتل بغير حق فهو منافق ملحد ، وإما جاهل ضال . وكان قد استفاض عنه من أنواع الكفر ما يوجب بعضه القتل فضلاً عن جميعه .

ولم يكن من أولياء الله المتقين ، بل كان له عبادات ورياضات ومجاهدات ، بعضها شيطاني ، وبعضها نفساني ، وبعضها كان موافقاً للشريعة ، فلبس الحق بالباطل ، وكان قد ذهب إلى أرض الهند ، وتعلم أنواعاً من السحر ، وصنف كتاباً في السحر معروفاً ، وهو موجود إلى اليوم ، وكانت له أحوال شيطانية ، ومخاريق بهتانية ، وقد جمع العلماء أخباره في كتب كثيرة ، أخبر بها الذين كانوا في زمانه ، والذين نقلوا عن أولئك ، مثل أحمد بن علي الخطيب ، ذكره في « تاريخ بغداد » ، وأبو يوسف القزويني صنف كتاباً مجلداً في أخباره ، وأبو الفرج ابن الجوزي ، له فيه مصنف سماه « رفع اللجاج في أخبار الحلاج » وسبطه ذكره في « تاريخه » ، وذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب « طبقات الصوفية » أن أكثر المشايخ ذموه ، وأنكروا عليه ، ولم يعدوه من مشايخ الطريقة ، وممن ذمه أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه ، ولم يقتل في حياة الجنيد ، بل قتل بعد موت الجنيد ، فإن الجنيد توفي سنة ثمان وتسعين ومئتين ، والحلاج قتل سنة بضع وثلاثمئة ، أظنه سنة تسع وثلاثمئة ، وكان قد قُدم به إلى بغداد راكباً على جمل ينادى عليه : هذا داعي القرامطة . وأقام في الحبس مدة حتى وجد من كلامه من الكفر والزندقة ما اعترف به ، مثل أنه ذكر في كتابٍ له أنه من فاته الحج ، فإنه يبني في داره بيتاً ، ويطوف به كما يطوف بالبيت ، ويتصدق على ثلاثين يتيماً بصدقة ذكرها ، وقد أجزأه ذلك عن الحج . فقالوا له : أنت قلت هذا . قال : نعم . قالوا له : من أين لك هذا ؟ قال : ذكره الحسن البصري في « كتاب الصلاة » ، فقال له القاضي أبو عمر : تكذب يا زنديق ، أنا قرأت هذا الكتاب ، وليس هذا فيه . فطلب منهم الوزير أن يشهدوا بما سمعوا منه ، ويفتوا بما يجب عليه ، فأفتوا واتفقوا على وجوب قتله .

لكن العلماء لهم قولان في الزنديق إذا أظهر التوبة ، هل تقبل منه توبته فلا يقتل ، أم يقتل لأنه لا يعلم صدقه ، فإنه ما زال يظهر ذلك ؟ فأفتى طائفة بأنه يستتاب ولا يقتل ، وأفتى الأكثرون بأنه يقتل وإن أظهر التوبة ، فإن كان صادقاً في توبته نفعه ذلك عند الله في الآخرة ، وقتل في الدنيا ، وكان الحد تطهيراً له ، كما لو تاب السارق والزاني والشارب بعد أن رفعوا إلى ولي الأمر ، فإنه لابد من إقامة الحد عليهم ، وإذا كانوا صادقين في التوبة نفعهم ذلك في الآخرة ، وقبل الله توبتهم ، وكان قتلهم كفارة لهم ، ومن كان كاذباً في التوبة كان قتله عقوبة لهم . فإن كان الحلاج تاب وقت القتل ، صادقاً في التوبة ، فإن الله ينفعه بتلك التوبة ، وإن كان كاذباً في التوبة ، فإنه قتل كافراً .

ولم يظهر له وقت القتل شيء من الكرامات ، وكل من ذكر أن دمه كتب على الأرض اسم الله ، وأن دجلة انقطع ماؤها ، أو غير ذلك من الأكاذيب التي تشبه هذا ، فإنه كاذب ، وهذه الأمور لا يحكيها إلا جاهل أو منافق ، وإنما وضعها الزنادقة أعداء الإسلام ، حتى يقول القائل : إن شرع محمد بن عبد الله يقتل أولياء الله ، وإلا فقد قتل أنبياء كثيرون ، وقتل من الصحابة والتابعين وغيرهم من الصالحين ما لا يحصي عدده إلا الله ، قتلوا بسيوف الكفار والفجار ، ولم يكتب دم أحدهم اسم الله ، فهل الحلاج خير من هؤلاء كلهم ؟ ولقد جزع وقت القتل ، وأظهر التوبة ، فلم يقبل ذلك منه ، لأنه لو عاش افتتن به كثير من الجهال ، لأنه كان صاحب خزعبلات بهتانية وأحوال شيطانية ؛ ولهذا إنما يعظمه من يعظم الأحوال الشيطانية والنفسانية والبهتانية ، وأما أولياء الله المتقون العالمون بحال الحلاج فليس فيهم أحد يعظمه ، ولهذا لم يذكره القشيري في مشايخ « رسالته » ، وإن كان قد ذكر من كلامه كلمات استحسنها ، وكان الشيخ أبو يعقوب النهرجوري قد زوجه بابنته ، فلما اطلع على زندقته نزعها منه ، وكان عمرو بن عثمان المكي يذكر أنه كافر ، ويقول : كنت معه ، فسمع قارئاً يقرأ القرآن ، فقال : أقدر أن أصنف مثل هذا =

. . . .

= القرآن . أو نحو هذا الكلام ، وكان يظهر عند كل قوم ما يستجلبهم به إلى تعظيمه ؛ فيظهر عند أهل السنة أنه سني ، وعند الشيعة أنه شيعي ، ويلبس لباس الزهاد ، وتارة لباس الأجناد ، وكان من مخاريقه أن يبعث بعض أصحابه إلى مكان من البرية يخبىء فيه شيئاً من الفاكهة والحلواء ، ثم يخرج بجماعة إلى قرب ذلك المكان ، فيشتهي عليه أحدهم فاكهة أو حلاوة ، فيذهب إلى ذلك ، فيأخذ ما خبأ هنالك ويجيبه ، فيظن الحاضرون أن هذه كرامة له ، وكان صاحب سيميا وشياطين ، وكانت الشياطين تخدمه أحياناً ، كانوا مرة على جبل أبي قبيس ، فطلبوا منه حلاوة ، فذهب إلى مكان قريب منهم ، ثم جاء معه بصحن حلاوة ، فكشفوا الأمر ، فوجدوا ذلك قد أحضر من حانوت حلاوي في اليمن ، حمله الشيطان من الحانوت إليه . ومثل هذا يجري كثيراً لغير الحلاج ممن له حال شيطاني ، ونحن نعرف كثيراً من هؤلاء في زماننا ، وفي غير زماننا ، مثل شيخ أخبر عن نفسه بأنه كان يزني بالنساء ، ويتلوط بالجواري ولا يصلي ، وكان يقوله ، قال : وكان يأتيني كلب أسود بين عينيه نكتتان بيضاوان ، فيقول لي : فلان بن فلان ، قد نذر لك نذراً ، وغداً يأتيك به ، وأنا قضيت حاجته لأجلك ، فيصبح ذلك الشخص يأتيه بذلك النذر ، ويكاشفه هذا الشيخ الكافر بذلك . قال : وكنت إذا طلب مني تغيير مثل اللاذن أقوله حتى أغيب عن عقلي ، فإذا باللاذن في يدي أو فمي ، وأنا لا أدري من وضعه . قال : وكنت أمشي وبين يدي عمود أسود عليه نور ، فلما تاب ، وصار يصلي ويصوم ، ويجتنب الفواحش ذهب الكلب الأسود ، وذهب النور ، وذهب التغيير من اللاذن وغيره .

وشيخ آخر كان له شياطين يرسلهم يصرعون بعض الناس ، فيأتي أصحاب الصروع إلى الشيخ يطلبون منه إبراء ذلك المصروع ، وهم لا يعلمون أن شياطين الشيخ صرعته ، فيرسل إلى أتباعه من الجن ، فيفارقونه ، ويعطون الشيخ دراهم .

وآخر كان مشتغلاً بالعلم ، فجاءته الشياطين أغوته ، وقالوا له : نحن نسقط عنك الصلاة ، ونحضر لك كل ما تريد . فكانوا يأتونه بالحلاوة والفاكهة حتى حضر عند بعض الشيوخ العارفين ، فاستتابه ، وأعطى أهل الحلاوة عن حلاوتهم التي أحضرها ذلك المفتون بالشيطان .

فكل من خرج عن الكتاب والسنة ، وكان له حال من مكاشفة أو تأثير ، فإنه صاحب حال شيطاني أو نفساني وإن لم يكن له حال ، بل هو متشبه بأصحاب الأحوال ، فهو صاحب محال بهتاني .

وعامة أرباب الأحوال الشيطانية يجمعون بين الحال الشيطاني والمحال البهتاني ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٢] والحلاج كان من أئمة هؤلاء أهل الحال الشيطاني والمحال البهتاني ، وهؤلاء طوائف كثيرة ، وائمة هؤلاء هم شيوخ المشركين الذين يعبدون الأصنام ، مثل الكهان والسحرة الذين كانوا للعرب والمشركين بأرض الهند والغرب وغير ذلك ، ومن هؤلاء من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يحيا بعد الموت ، فيكلمهم ، ويقضي ديونه ، ويرد ودائعه ، ويوصيهم بوصايا ، فإنه يأتيهم ما يعتقدون أنه تلك الصورة التي كانت في الحياة ، وهو شيطان يتمثل في صورته ، فيظنونه إياه . وكثير ممن يستغيث بالمشايخ الموتى والأحياء ، فيقول : يا سيدي فلان ، أو يا شيخ فلان ، اقض لي حاجة كذا وكذا . فيرى صورة ذلك الشيخ ، فيخاطبه ، ويقول له : أنا أقضي حاجتك ، أوْ طيب قلبك ، أو يدفع عنه عدوه ، أو يحضر له بعض ما يطلبه ، ويكون ذلك شيطاناً قد تمثل له في صورة الشيخ لما أشرك الداعي بالله ، فدعا غير الله . وأنا أعرف من هذا وقائع متعددة ، ويقولون : ما في الوجود غيره ولا سواه ؛ بمعنى أن المخلوق هو الخالق ، والمصنوع هو الصانع ، حتى إن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثوا بي في شدائد أصابتهم ، أحدهم كان خائفاً من الأرمن ، والآخر كان خائفاً من التتر ، فذكر كل منهم أنه لما استغاث رآني في الهواء ، وقد دفعت عنه عدوه ، فأخبرتهم أني لا أعلم بهذا ، =

ثم دخلت سنة عشر وثلاثمئة

فيها أُطْلِقَ يوسفُ بن أبي السَّاج من الضِّيق ، وكان معتقلاً ، وردَّتْ إليه أمواله ، وأُعيد إلى عمله ، وأضيف إليه بُلْدان أخرى ، ووظِّف عليه في كل سنة خمسمئة ألف دينار يحملُها إلى الحَضْرة ، فبعث

= ولا دفعت عنهم شيئاً ، وإنما هذا شيطان تمثل لأحدهم ، فأغواهم لما أشركوا بالله . وهكذا جرى لغير واحد من أصحابنا من المشايخ مع أصحابهم ؛ يستغيث أحدهم بالشيخ في أمرٍ فيرى الشيخ وقد جاء وقضى حاجته ، ويقول لي ذلك الشيخ : إني لم أعلم بهذا . ويتبين أن ذلك كان شيطاناً ، وشيخ كان يقال له السياخ توبناه ، وجدَّد إسلامه ، كان له قرين من الجن يقال له عنتر ، يخبره بأشياء ، فيصدق تارة ويكذب أخرى ، ولما ذكرت له أنك تعبد شيطاناً من دون الله اعترف بأنه يقول له : يا عنتر ، لا سبحانك ، إنك إله قذر . وتاب من ذلك في قصة مشهورة . وقد قتل بسيف الشرع من قتل من هؤلاء ، مثل الشخص الذي قتلناه سنة خمس عشرة وسبعمئة ، وكان له قرين يأتيه ويكاشفه بأشياء ، فيصدق تارة ، ويكذب أمره أن ذلك القرين صار يقول : أنا رسول الله . ويذكر له أشياء في حال الرسول ﷺ ، فشهد عليه بأنه قال : إن النبي يأتيني ، ويقول لي كذا وكذا من الأمور التي يكفر من أضافها إلى الرسول ﷺ ، فذكرت لولاة الأمور أن هذا من جنس الكهان ، وأن هذا الذي يأتيه شيطان ، ولهذا لا يأتيه في الصورة المعروفة للنبي ﷺ ، بل في صورة منكرة . ويذكر عنه أنه يخضع له ، ويبيح له أن يتناول المسكر وأموراً أُخر ، وكان كثير من الناس يظنون أنه كاذب فيما يقول ويخبر به من الرؤية ، ولم يكن كاذباً أنه رأى تلك الصورة ، لكن كافراً في اعتقاده أن ذلك رسول الله ، ومثل هذا كثير ، فمن لم ينور الله قلبه بحقائق الإيمان واتباع القرآن ، التبس عليه الحق بالباطل ، كما التبس على كثير من الناس حال مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة وغيره من الكذابين ، فاعتقدوا فيهم أنهم أنبياء ، وإنما كانوا كذابين ، وقد قال النبي ﷺ لا تقوم الساعة حتى يخرج فيكم أقوام دجالون كذابون ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وأعظم الدجاجلة فتنة الدجال الكبير الذي يقتله عيسى بن مريم ، فإن النبي ﷺ قال : ما من خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال . وأمر المسلمين أن يقول أحدهم في الصلاة : اللهم ، إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المسيح الدجال ، ومن فتنة المحيا والممات [صحيح البخاري (١٣١١) في الجنائز ، صحيح مسلم (٥٨٨) في المساجد ومواضع الصلاة] .

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه يقول للسماء : أمطري ، فتمطر ، ويقول للأرض : أنبتي ، فتنبت ، وأنه يقتل رجلاً مؤمناً ثم يقول له : قم ، فيقوم ، فيقول : أنا ربك . فيقول : كذبت ، بل أنت الأعور الكذاب الذي أخبرنا عنه رسول الله ﷺ ، والله ما ازددت فيك إلا بصيرة ، فيقتله مرتين ، ثم يريد أن يقتله في المرة الثالثة ، فلا يسلط عليه . وهو يدعي الإلهية . وقد بين النبي ﷺ فيه ثلاث علامات تنافي ذلك ؛ أحدها : أنه أعور ، وقال : إن ربكم ليس بأعور . [صحيح البخاري (٤١٤١) في المغازي والسير] . والثاني : أنه مكتوب بين عينيه : كافر ك ف ر ، ويقرأه كل مؤمن من قارىء وغير قارىء . والثالث قوله ﷺ : واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت .

فهذا هو الدجال الكبير ، ودون هذا دجاجلة ، منهم من يدعي النبوة ، ومنهم من يكذب بغير دعوى النبوة كقول النبي ﷺ « يكون في آخر الزمان أقوام دجالون كذابون ، فإياكم وإياهم » [صحيح مسلم (٧/٧) في المقدمة .

فالحلاج كان من الكذابين الدجاجلة بلا ريب ، وقد قتل بحق بلا ريب ، ولكن إذا قيل للرجل : هل تاب قبل الموت أو لم يتب قال : الله أعلم . والله أعلم .

حينئذٍ إلى مؤنس الخادم يطلُب منه أبا بكر بن الأَدَمي القارئ[١] ، وكان قد قرأ بين يديه حين اعتُقِلَ وأُشهر في سنة إحدى وسبعين[٢] ومئتين ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] . فخاف القارئُ من سَطْوته واستعفى من مُؤْنس الخادم فقال له مؤنس : اذهب وأنا شريكك في الجائزة . فلما دَخلَ عليه قرأ بين يديه ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف : ٥٤] . فقال : بل أُحبُّ أن تقرأ ذلك العَشْر الذي قرأْته عند إشهاري[٣] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ [هود : ١٠٢] فإنَّ ذلك كان سببَ تَوْبتي[٤] إلى الله عزَّ وجلَّ ، وكان ذلك على يديك . ثم أمَرَ له بمالٍ جزيلٍ وأحْسَنَ إليه .

وفيها مَرِضَ عليُّ بنُ عيسى الوزير فجاءه هارون بن المقتدر ليعودَه[٥] ، فَبَسَطَ له الطريق ، فلما اقتربَ من دارِه تحاملَ وخرج إليه ، وبلَّغه سلامَ الخليفة ، وجاء مُؤْنس الخادم معه ، ثم جاء الخبر بأن الخليفة قد عَزَمَ على عيادته ، فاستعفى من مؤنس الخادم ، وركب على جَهْدٍ عظيم حتى سلَّم على الخليفة لئلا يكلفه الرُّكوب إليه .

وفي هذه السنة قُبِضَ على القَهْرمانة أُمِّ موسى ومن ينتسب إليها ، فكان حاصل ما حُمِلَ إلى بيت المال من جهتها ألف ألف دينار .

وفي يوم الخميس لعشر بقين من ربيع الآخر ولَّى المقتدر منصبَ القضاء أبا الحسين عمر بن الحسن[٦] بن علي الشَّيْباني المعروف بابن الأُشْناني ـ وكان من حُفَّاظ الحديث وفقهاء الناس ـ ولكنه عُزِلَ بعد ثلاثة أيام ، وكان قبل ذلك محتسباً ببغداد .

وفيها عُزِلَ محمد بن عبد الصَّمد عن شُرْطَة بغداد ، ووليها نازُوك ، وخُلع عليه .

وفي جُمادَىٰ الآخرة ظهر كوكبٌ له ذنب طوله ذِراعان وذلك في برج السُّنْبُلَة .

وفي هذه السنة في شعبان منها وَصَلَت هدايا نائب مصر وهو الحسين بن الماذَرائي[٧] ، وفيها بغلة معها فَلُوُّها[٨] ، وغلام يصل لسانُه إلى طرف أنفه .

---

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٤٨هـ) .

(٢) في (ح) و(ط) : وستين ، وهو تحريف ، والمثبت من (ظا) و(ب) . المنتظم (٥/ ٨٠ ـ ٨١) .

(٣) في (ط) : عند سجني وإشهاري .

(٤) في (ط) : توبتي ورجوعي .

(٥) في (ط) : ويبلغه سلام أبيه عليه .

(٦) في (ح) و(ب) و(ط) الحسين ، وهو تصحيف . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) .

(٧) في النسخ الخطية و(ط) : الماردانى ، وهو تحريف ، وكان على خراج مصر ، توفي سنة (٣١٤هـ) ، وقيل سنة (٣١٧هـ) ، ترجمته في معجم البلدان (٥/ ٣٤) .

(٨) أي ولدها . اللسان (فلا) .

وفي [هذا][1] الشهر قُرِئَتِ الكتب على المنابر بما كان من الفتوح على المسلمين ببلاد الرُّوم .

وفي هذه السنة وَرَدَ الخبر بأنه انشقَّ بأَرْض واسطَ فُلُوعٌ[2] في الأرض [في][3] سبعة عشر موضعاً أكبرها طوله ألف ذِراع ، وأقلها مئتا ذراع ، وأنه غَرِقَ من أمهات القرى ألف وثلاثمئة قرية .

وحجَّ بالناس إسحاق بن عبد الملك الهاشمي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن أحمد[4] بن حمَّاد بن سَعْد[5] ، أبو بِشْر الدَّولابي[6] ، مولى الأنصار ، ويعرف بالورَّاق .

أحد أئمة حُفَّاظ الحديث ، وله تصانيف حسنة في التاريخ ، وغير ذلك[7] .

وروى عن جماعةٍ كثيرة .

قال ابن يونس : وكان يُضَعَّف[8] ، وتوفِّي وهو قاصد إلى الحج بين مكَّة والمدينة بالعَرْج في ذي القَعْدة[9] .

أبو جَعْفر بن جرير الطَّبري[10] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، الإمام أبو جعفر الطَّبري .

---

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم (٦/ ١٦٧) .
(٢) أي شقوق . اللسان (فلع) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) الأنساب (٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) اللباب (١/ ٤٣١) المنتظم (٦/ ١٦٩) وفيات الأعيان ٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٥٩ ـ ٧٦٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٠٩ ـ ٣١١) المغني في الضعفاء (٢/ ٥٥٠) .
(٥) في (ط) أبو سعيد ، وهو تحريف .
(٦) قال السمعاني : الصحيح في هذه النسبة فتح الدال ، ولكن الناس يضمونها .. وظني أنه نسب بعض أجداده إلى عمل الدولاب ، وأصله من الري ، فيمكن أن يكون من قرية الدولاب . الأنساب (٥/ ٣٦٩ ـ ٣٧١) .
(٧) طبع له في جزأين كتابه « الكنى والأسماء » بمطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد سنة (١٣٢٢هـ) ، وهو كتاب مشهور ، متداول .
(٨) في (ط) يصعق ، وفي الأنساب (٥/ ٣٧١) يصنف ، وكلاهما تحريف . والمثبت من (ح) و(ب) .
(٩) في الأنساب واللباب ووفيات الأعيان توفي سنة (٣٢٠هـ) وهو وهم .
(١٠) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٩) طبقات الفقهاء للشيرازي (٩٣) الأنساب (٨/ ٢٠٥ ـ ٢٠٧) اللباب (٢/ ٨١) المنتظم (٦/ ١٧٠ ـ ١٧٢) معجم الأدباء (١٨ ـ ٤٠ ـ ٩٤) إنباه الرواة (٣/ ٨٩ ـ ٩٠) وفيات الأعيان (٤/ ١٩١ ـ ١٩٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧ ـ ٢٨٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧١٠ ـ ٧١٦) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٢٠ ـ ١٢٨) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٠٦ ـ ١١٤) .

كان مولده في سنة أربع وعشرين ومئتين[١] ، وكان أسمر ، أعْيَنَ ، مليح الجسم[٢] ، مديد القامة ، فصيح اللِّسان .

روى الكثير عن الجمِّ الغفير ، ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث ، وله التاريخ الحافل ، والتفسير الكامل[٣] ، وغيرهما من المصنَّفَات النافعة في الأصول والفروع . ومن أحسن ذلك « تهذيب الآثار »[٤] ، لكن لم يتمَّه . وقد روي عنه أنه مكث أربعين سنة يكتب في كلِّ يوم أربعين ورقة .

قال الحافظ أبو بكر الخطيب : استوطن ابن جرير بغداد[٥] ، وكان أحد أئمة العلماء ، يُحْكم بقوله ويُرجع إليه لمعرفته وفَضله ، وكان قَدْ جمع من العلوم ما لم يشارِكْه فيه أحدٌ من أهل عَصْره ، وكان حافظاً لكتاب الله ، عارفاً بالقراءات ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في الأحكام ، عالماً بالسُّننِ وطُرُقها ، وصحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصَّحابة والتَّابعين ومنْ بَعْدهم ، عارفاً بأيام النَّاس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك ، وكتاب في التفسير لم يُصنِّف أحدٌ مِثْلهُ ، وكتاب سَمَّاه « تهذيب الآثار » لم أرَ سواه في معناه ، إلا أنه لم يتمَّه ، وله في أُصول الفِقْه وفروعه كتبٌ كثيرة واختيارات ، وتفرَّد بمسائل حُفِظتْ عنه[٦] .

قال الخطيب : وبَلَغني عن الشَّيْخ أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الإسْفَرَاييني أنه قال : لو سافر رجلٌ إلى الصِّين حتى يُحصِّلَ له[٧] كتاب تفسير محمد بن جرير الطَّبَري لم يكن ذلك كثيراً ، أو كلاماً هذا معناه[٨] .

وروى الخطيب عن إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خُزيمة أنه طالع كتاب التفسير لابن جرير في سنين منْ أوَّله إلى آخره ، ثم قال : ما أعْلَمُ على أدِيم[٩] الأرض أعلم من ابن جرير ، ولقد ظَلَمَتْه

(١) انظر الخلاف حول سنة ولادته في معجم الأدباء (١٨/ ٤٧ ـ ٤٨) .
(٢) في (ط) مليح الوجه ، وفي تاريخ بغداد (٢/ ١٦٦) نحيف الجسم .
(٣) في (ط) الذي لا يوجد له نظير .
(٤) في (ط) : ولو كمل لما احتيج معه إلى شيء ، ولكان فيه الكفاية ، قلت : وقد طبعت منه بعض المسانيد بتحقيق العلامة محمود محمد شاكر .
(٥) في (ط) : وأقام بها إلى حين وفاته .
(٦) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣) .
(٧) في (ط) حتى ينظر في كتاب تفسير ابن جرير ، وما في نسختنا الخطية يوافق ما في « تاريخ بغداد » .
(٨) المصدر السابق .
(٩) في (ح) وجه .

الحنابلة[١] . وقال[٢] لرجلٍ رَحَلَ إلى بغداد يكتب[٣] عن المشايخ ـ ولم يتفق له سماع من ابن جرير ؛ لأن الحنابلة كانوا يمنعون أن يجتمع به أحد ـ فقال[٤] : لو كتبتَ عنه لكان خيراً لك من كل منْ كتبتَ عنه[٥] .

قلت : وكان من العبادة والزَّهادة والوَرَع والقيام في الحَقِّ لا تأخذُه في ذلك لومةُ لائمٍ ، وحُسْنِ القراءة[٦] على أحسن[٧] الصفات ، وكان من كبار الصَّالحين ، وهو أحد المحمَّدين[٨] الذين اجتمعوا بمصر في أيام الأمير [ابن][٩] طولون ، وهم : محمد بن إسحاق بن خُزَيْمة إمام الأئمة ، ومحمد بن نصر المَرْوزي ، ومحمد بن هارون الرُّوْياني ، ومحمد بن جرير الطَّبَري هذا ـ وقد ذكرنا ذلك في ترجمة محمد بن نَصْر المَرْوَزِي[١٠] ـ وكان الذي قام يصلِّي محمد بن إسحاق بن خُزَيمة ، وقيل محمد بن نصر ، فرزَقَهم الله ببركة صلاته[١١] .

وقد أراد الخليفة المقتدر بالله[١٢] في بعض الأحيان أن يكتب كتابَ وَقْف تكون شروطه متفقاً عليها بين الفقهاء ، فقيل له : لا يَقْدِرُ على استحضار هذا إلا محمد بن جرير[١٣] ، فَطَلَبَ منه ذلك فكتبها ، فاستدعاه الخليفة إليه[١٤] ، وقال له : سَلْ حاجتك ، فقال : لا حاجة لي . فقال : لا بُدَّ أن تسألني شيئاً[١٥] . فقال : أسأل من أمير المؤمنين أن يتقدَّم أمره إلى الشُّرْطة حتى يمنعوا السُّؤَّال يوم الجُمُعة أن يدخلوا إلى مقصورة الجامع . فأمر الخليفة بذلك .

وكان ينفق على نفسه من مغل قرية تركَها له أبوه بطبرِسْتان .

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤) .
(٢) في (ط) : وقال محمد . قلت : يعني ابن خزيمة .
(٣) في (ط) : يكتب الحديث .
(٤) في (ط) : فقال ابن خزيمة .
(٥) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤) وتعليق السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ١٢٥) .
(٦) في (ط) وكان حسن الصوت بالقراءة .
(٧) في (ط) : مع المعرفة التامة بالقراءات على أحسن .
(٨) في (ط) المحدثتين ، وهو تحريف .
(٩) ما بين حاصرتين من (ط) ، وانظر تعليقنا في وفيات سنة (٣٠٣هـ) من هذا الجزء .
(١٠) انظر ترجمة محمد بن نصر في وفيات سنة (٢٩٤هـ) من هذا الكتاب .
(١١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥) .
(١٢) في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٧٠) وطبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٢٤) : المكتفي .
(١٣) في (ط) الطبري .
(١٤) في (ط) : وقرب منزلته عنده .
(١٥) في (ط) : أن تسألني حاجة أو شيئاً .

ومن شِعْره :

إذا أعْسَـرْتُ لـم يَعلـمْ رفيقـي   وأستَغْنـي فيَسْتغنـي صـديقـي
حَيَائي حـافِظٌ لـي مـاءَ وجهي   وَرِفْقـي فـي مُطـالبتـي رَفِيقـي
ولو أني سَمَحْتُ بِبَذْلِ وَجْهي   لكنتُ إلى الغِنى سَهْلَ الطَّريقِ[١]

ومن شِعره أيضاً :

خُلُقـان لا أرْضَـى طـريقَهُمـا   بَطَـرُ الغِنـى ومَـذَلَّـةُ الفَقْـر
فـإذا غنيـتَ فـلا تكُـنْ بَطِـراً   وإذا افْتَقَـرْتَ فَتِـهْ على الـدَّهْـرِ[٢]

وقد كانت وفاتُه وَقْتَ المَغْرب من عَشِيَّة يوم الأحد ليومين بقيا من شوَّال من سنة عشر وثلاثمئة ، وقد جاوز الثمانين سنة بخمس سنين أو ست سنين ، وفي شَعْر رأسه ولحيته سوادٌ كثير ، ودفن في داره لأن بعض الرَّعاع من عوام الحنابلة منعوا من دفنه نهاراً ، ونسبوه إلى الرَّفْض ، ومن الجهلة منْ رماه بالإلحاد ، وحاشاه من هذا ومن ذاك ، بل كان أحدَ أئمة الإسلام في العلم[٣] بكتاب الله وسُنَّة رسوله ، وإنما تقلَّدوا ذلك عن أبي بكرٍ محمد بن داود[٤] ، حيث كان يتكلَّم فيه ويرميه بالعَظَائم وبالرَّفْض .

ولما توفي اجتمع النَّاس من سائر البلد ، وصلَّوا عليه بداره ، ودُفنَ بها ، ومكث الناس يترددون إلى قَبْره شهوراً يصلُّون عليه ، رحمه الله .

قلت : وقد رأيتُ له كتاباً جَمَعَ فيه أحاديث غدير خُمٍّ[٥] في مجلَّدين ضخمين ، وكتاباً جمع فيه طُرُقَ حديث الطير[٦] . ونُسِبَ إليه أنه كان يقول بجواز مَسْح القَدَمين في الوضوء ، وأنه لا يـوجب الغَسْلَ ، وقد اشْتُهرَ عنه هذا . فمن العلماء منْ يزعمُ أن ابنَ جريرٍ اثنان : أحدهما شيعي وإليه ينسب ذلك ، ويبرؤون أبا جعفر هذا من هذه الصِّفَات . والذي عُوِّلَ عليه كلامُه في « التفسير » أنه يوجب غَسْلَ القدمين ، ويوجب مع الغَسْل دَلْكَهُما ، ولكنه عَبَّر عن الدَّلْكِ بالمَسْح ، فلم يَفْهم كثير من

---

(١) تاريخ بغداد(٢/ ١٦٥) .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦) .
(٣) في (ط) علماً وعملاً بكتاب الله .
(٤) في (ط) : الفقيه الظاهري .
(٥) هو قول النبي ﷺ لعلي في غدير خم ـ وهو وادٍ بالجحفة ـ « من كنت مولاه فعلي مولاه » وهو حديث صحيح ، ومتنه متواتر ، أخرجه أحمد في مسنده برقم (٩٥٠) .
(٦) هو الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كنت أخدم رسول الله ﷺ ، فقدم له فرخ مشوي ، فقال : اللهم ، ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير فجاء علي رضي الله عنه فأكل معه . وقد أخرجه الترمذي (٣٧٢١) . وضعفه .

النَّاس مرادَه جيداً ، فنقلوا عنه أنه يوجب الجَمْع بين الغَسْل والمَسْح[١] والله أعلم[٢] .

وقد رثاه جماعةٌ من أهل العلم ، منهم ابن الأعْرَابي[٣] حيث يقول :

حَـدَثٌ مُفْظِعٌ[٤] وخَطْبٌ جَليـلُ ... دقَّ عـن مِثْلِـه اصْطِبَـارُ الصَّبُـورِ

قـام نـاعـي العُلـومِ أجمـعَ لمَّـا ... قـامَ نـاعـي محمـد بـنِ جـريـر

فَهَـوتْ أنْجُـمٌ لهـا زَاهـراتٌ ... مُـؤْذِنـاتٌ رُسُـومُهـا بـالـدُّثُـورِ

وتَغَشَّـى ضيـاءهـا النيِّـرَ الإشـ ... ـراقِ ثـوبُ الـدُّجُنَّـةِ الـدَّيْجُـورِ

وغـدا روضُهـا الأنيـقُ هَشِيمـاً ... ثـم عـادتْ سهـولُهـا كـالـوُعُـورِ

يـا أبـا جَعْفَـرٍ مضيـتَ حَميـداً ... غيـرَ وانٍ فـي الجـدِّ والتَّشميـر

بيـنَ أجْـرٍ علـى اجتهـادِكَ مَـوْفُـو ... رٍ وسَعْـيٍ إلـى التُّقَـى مَشْكُـورِ

مستحقـاً بـه الخلـودَ لـدى جنَّـ (م) ... ـةِ عَـدْنٍ فـي غِبْطـةٍ وسُـرورِ[٥]

ولأبي بكر بن دُرَيد ـ رحمه الله ـ فيه مَرْثاة طويلة طَنَّانة أوردهاالخطيب[٦] بتمامها ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمئة

فيها دخل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي أمير القَرَامطة في ألف وسبعمئة فارسٍ إلى البَصْرة ليلاً ، نصب السلالم الشَّعْر في سُورِها ، فدخلها قومه[٧] ، وفتحوا أبوابها ، وقتلوا من لقوه من أهلها ، وهرب أكثر النَّاس ، فألقوا أنفسهم في الماء ، فغَرِقَ كثيرٌ منهم ، ومكَثَ بها سبعة عشر يوماً يقتل ويأسر من نسائها وذراريها ، ويغنم[٨] ما يختاره من أموال أهلها ، ثم عاد إلى بلده هَجَر ،

---

(١) في (ط) ، ومن فهم مراده نقلوا عنه أنه يوجب الغسل والمسح ـ وهو الدلك ـ والله أعلم .

(٢) مدار الخلاف حول المسح أو الغسل هو وجه قراءة الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة : ٦] فمن قرأ « وأرجلكم » بالنصب أوجب الغسل ، ومن قرأها بالخفض أوجب المسح . وانظر « تفسير الطبري » طبعة دار المعارف (١٠/ ٦٣ ـ ٦٤) .

(٣) ستَرد ترجمته في وفيات سنة (٣٤١هـ) .

(٤) مفظع : شديد ، شنيع ، مبرّح . اللسان (فظع) .

(٥) الأبيات في تاريخ بغداد (٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧) .

(٦) في (ط) البغدادي وقصيدة ابن دريد في تاريخ بغداد (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٩) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢) .

(٧) في (ط) قهراً ، واخاله تحريفاً .

(٨) في (ط) ويأخذ .

وذلك لما بعث إليه الخليفة جُنداً من قِبَلِه فرّ[١] وترك البلد يباباً[٢] ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

وفي هذه السنة عَزَلَ المقتدر عن الوزارة حامدَ بنَ العَبَّاس وعليَّ بنَ عيسى ، ورَدَّ إلى الوزارة أبا الحسن بن الفُرَات الولاية الثالثة ، وسَلَّمَ إليه حامداً وعليَّ بن عيسى ، فأما حامدٌ فإن المُحَسِّن بن الوزير ضَمِنه من المقتدر بخمسمئة ألف ألف دينار ، وتسلَّمه ، فعاقبه بأنواع العقوبات ، وأخذ منه أموالاً جزيلة لا تحصى كثرة[٣] ، ثم أرسل به مع موكلين عليه إلى واسط ؛ ليحتاطوا على أمواله هناك وحواصله ، وأمرهم أن يسقوه سمّاً في الطريق ، فسقوه ذلك في بَيْضٍ مشويّ كان قد طلبه منهم ، فمات في رمضان من هذه السَّنة . وأما عليُّ بنُ عيسى فإنه صودر بثلاثمئة ألف دينار ، وصودر قَوْمٌ آخرون من الكُتَّاب ، فكان جُمْلة ما أُخذ من هؤلاء مع ما كان صودرت به القَهْرَمانة من الذَّهب شيئاً كثيراً جداً آلاف ألف من الدنَّانير ، وغير ذلك[٤] .

وأشار الوزير ابنُ الفُرَات على الخليفة المقتدر بالله أن يُبْعدَ عنه مُؤْنس الخادم ، ويأمره بالذهاب إلى الشَّام ـ وكان قد قَدِمَ من بلاد الرُّوم[٥] ، وقد فتح شيئاً كثيراً من[٦] بُلْدانهم ، وغَنِمَ مغانمَ كثيرة جداً ـ فسأل أن يُنْظَر[٧] إلى سَلْخ رمضان ، وكان[٨] قد أَعْلَمَ الخليفة بما يعتمده ابنُ الوزير من تعذيبِ الناس ومصادرتهم الأموال ، فأجاب الخليفةُ الوزير إلى إبعاد مؤنس الخادم ، فأخرجه إلى الشام .

وفيها كَثُرَ الجَرَاد ، وأفسد كثيراً من الغَلاَّت .

وفيها في رمضانها أمر[٩] بِرَدِّ بقية المواريث إلى ذوي الأرحام .

وفيها في النصف من رمضانها أُحْرِقَ على باب العامَّة صورة ماني[١٠] ، وأربعة أعدال من كُتُب الزَّنادقة[١١] ، فسقطَ منها ذهبٌ كثير كانت محلاةً به .

---

(١) في (ط) : فر هارباً .
(٢) في (ط) خاوياً .
(٣) في (ط) : لا تحصى ولا تعد كثرة .
(٤) في (ط) : وغير ذلك من الأثاث والأملاك والدواب والآنية من الذهب والفضة .
(٥) في (ط) : من الجهاد .
(٦) في (ط) : حصون الروم وبلدانهم .
(٧) في (ط) : فأجابه إلى ذلك فسأل مؤنس الخليفة أن ينظر . . .
(٨) في (ط) : وكان مؤنس .
(٩) في (ط) : الخليفة .
(١٠) انظر عن المانوية كتاب الملل والنحل (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٩) .
(١١) في (ط) : فيها ما كان صنفه الحلاج وغيره .

وفيها اتخذ أبو الحسن بنُ الفُرَات الوزير مارسْتاناً في دَرْب المُفَضَّل[١] ، [وكان][٢] يُنْفِق عليه من ماله في كلِّ شهر مئتي دينار .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخلَّال أحمد بن محمد بن هارون[٣] ، **أبو بكر الخلَّال** : صاحب كتاب « الجامع لعلوم الإمام أحمد »[٤] ، ولم يُصنَّفْ في مذهب الإمام أحمد مثل هذا الكتاب .

وقد سمع الحديث من الحسن بن عَرَفة ، وسَعْدان بن نَصْر ، وغيرهما .

وكانت وفاته في يوم الجمعة قبل الصَّلاة ليومين مضيا من ربيع الأول منها .

أبو محمد الجَرِيْري[٥] : أحد أئمة الصُّوفية . **أحمد بن محمد بن الحسين ، أبو محمد الجَرِيْري**[٦] ، أحد كبار الصُّوفية .

صحب سَرِياً السَّقَطي ، وكان الجُنَيْد يُكْرِمُه ويحترمه . ولما حضرت الجنيدَ الوفاة أوصى أن يجالس الجريري .

وقد اشتبه على الجريري هذا شأن الحلاج فكان ممن أَجْمَلَ القَوْلَ فيه ، على أن الجريري هذا مذكور بالصَّلاح والدِّيانة وحُسْنِ الأدب مع الله عزَّ وجلَّ .

الزَّجَّاج صاحب معاني القُرْآن[٧] **إبراهيم بن السَّريّ**[٨] **بن سهل ، أبو إسحاق الزَّجَّاج** .

---

(١) في الأصول الخطية و(ط) الفضل ، وهو تحريف ، انظر معجم البلدان (٢/ ٤٤٨) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) تاريخ بغداد (٥/ ١١٢ ـ ١١٣) طبقات الشيرازي (١٧١) طبقات الحنابلة (٢/ ١٢ ـ ١٥) المنتظم (٦/ ١٧٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) .

(٤) انظر تاريخ التراث العربي لسزكين (مج١/ ج٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) .

(٥) طبقات الصوفية (٢٥٩ ـ ٢٦٤) حلية الأولياء (١٠/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) تاريخ بغداد (٤/ ٤٣٠ ـ ٤٣٤) الرسالة القشيرية(٢٣) المنتظم (٦/ ١٧٤ ـ ١٧٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٦٧) الوافي بالوفيات (٧/ ٣٧٨) طبقات الأولياء (٧٠ ـ ٧٥) .

(٦) في الأصول الخطية : الحريري ـ بالحاء المهملة ـ وهو تصحيف . وقد ضبط في المشتبه (١/ ١٥٠) بفتح الجيم ، وفي الكامل لابن الأثير (٨/ ١٤٥) وطبقات الأولياء (٧١) بضمها ، نسبة إلى جرير بن عباد .

(٧) تهذيب اللغة للأزهري (١/ ٢٧) طبقات النحويين واللغويين (١٢١ ـ ١٢٢) تاريخ بغداد (٦/ ٨٩ ـ ٩٣) الأنساب (٦/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) نزهة الألباء (١٦٧ ـ ١٦٩) المنتظم (١٧٦ ـ ١٨٠) معجم الأدباء (١/ ١٣٠ ـ ١٥١) إنباه الرواة (١/ ١٥٩ ـ ١٦٦) وفيات الأعيان (١/ ٤٩ ـ ٥٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠)

(٨) في وفيات الأعيان والسير : إبراهيم بن محمد بن السري .

كان فاضلاً ديِّناً ، حَسَنَ الاعتقاد ، وله المصنَّفات الحسنة ، منها : كتاب « معاني القرآن » ، وغيره من المصنفات العديدة المفيدة ، وقد كان أول أمره يخرِطُ الزُّجاج ، فأحبَّ عِلْمَ النَّحْو ، فذهب إلى المُبَرِّد ، فكان يُعْطي المبرد كلَّ يوم دِرْهماً ، ثم استغنى الزَّجَّاج وكَثُرَ ماله ، ولم يقطع عن المبرد ذلك الدِّرْهم حتى مات المبرِّد .

وقد كان الزجَّاج مؤدِّباً للقاسم بن عُبيد الله[1] ، فلما ولي الوِزارة كان الناس يأتونه بالرِّقاع ليقدِّمها إلى الوزير ، فَحَصَلَ له بسبب ذلك ما يزيد على أربعين ألف دينار .

وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة .

وعنه أخذ أبو علي الفارسي النَّحْوي ، وأبو القاسم[2] عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجي [نُسب إليه][3] لأخذه عنه ، وهو صاحب كتاب « الجُمل » في النحو .

بدر مولى المُعْتَضِد[4] ، وهو بدر الحَمَامِي[5] : ويقال له بدر الكبير ، كان في آخر وقتٍ على نيابة فارس ، وولي منْ بَعْدِهِ ولده محمد .

حامد بن العَبَّاس[6] : استوزره[7] المقتدر[8] في سنة ست[9] وثلاثمئة ، وكان كثير المال والغِلْمان ، كثير النفقات ، كريماً سخياً ، كثير المروءة . له حكايات تدُلُّ على بَذْله وإعطائه الأموال الجزيلة ، ومع هذا كان يجمع شيئاً كثيراً ، وجد له في مِطْهَرَةٍ[10] ألوف من الذهب ، كان في كلِّ يوم إذا دخل إليها ألقى فيها ألف دينار ، فلما امتلأت طمَّها ، فلما صودر دَلَّ عليها ، فاسْتُخْرج منها مال جزيل جداً .

ومن أكبر مناقبه أنه كان من أكبر السُّعاة في الحسين بن منصور الحلاج حتى قتل كما ذكرنا قبل هذا[11] .

---

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٩١هـ) من هذا الكتاب .

(٢) في (ط) ابن القاسم ، وهو تحريف .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) تاريخ بغداد (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٧) الأنساب (٤/ ٢٠٨) المنتظم (٦/ ١٨٠) اللباب (١/ ٣١٥) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٠٥) .

(٥) بالتخفيف ، نسبة إلى الحمام ، تقال لمن يطيره ويرسله إلى البلاد ، وكان بدر هذا منهم . الأنساب (٤/ ٢٠٨) .

(٦) ذيول تاريخ الطبري (٢١٣ ـ ٢١٥) نشوار المحاضرة (١/ ٢٢ ـ ٢٤) وغيرها ، المنتظم (٦/ ١٨٠ ـ ١٨٤) الكامل لابن الأثير (٨/ ١٠ ـ ١٢ ، و١٣٩ ـ ١٤١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٥٦ ـ ٣٥٩) .

(٧) في (ط) : الوزير ، استوزره . .

(٨) في (ح) المعتضد ، وهو تحريف .

(٩) في (ظا) و(ب) تسع ، وهو تحريف .

(١٠) في (ط) مطمورة .

(١١) سلفت ترجمة الحلاج في وفيات سنة (٣٠٩هـ) .

ثم كانت وفاة الوزير حامد بن العَبَّاس في رمضان من هذه السنة مسموماً .

عمر بن محمد بن بُجَيْر البُجَيْرِي[١] ، صاحب « الصَّحيح »[٢] .

ابن خُزَيْمة[٣] محمد بن إسحاق بن خُزَيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السُّلَمي ؛ مولى مجشر[٤] بن مُزَاحم ، الإمام أبو بكر بن خُزَيمة ، الملقَّب بإمام الأئمة .

كان من أوعية العلم وبحوره ، وممن طاف البُلْدان ، ورَحَلَ إلى الآفاق في طلب العلم وسماع الحديث ، وكتب الكثير وصنَّف وجمع ، وله كتاب « الصَّحيح » من أنفع الكتب وأجلِّها ، وهو من المجتهدين في دين الإسلام ، حكى الشيخ أبو إسحاق الشِّيْرَازي في « طبقات الشافعية » عنه أنه قال : ما قلَّدْتُ أحداً [في مسألة] منذ بلغت ست عشرة سنة[٥] .

وقد ذكرنا له ترجمة مطوَّلة في كتابنا « طبقات الشافعية » . بما فيه كفاية ، والله أعلم .

وهو الذي قام يصلي حين وقعت القرعة عليه ، ليسترزق الله في صلاته ، حين أرمل[٦] هو ومحمد بن نصر ، ومحمد بن جرير ، ومحمد بن هارون الرُّوياني ، وقد أوردها ابن الجوزي من طريقين في ترجمته[٧] ، وذلك ببلد مصر في دولة أحمد بن طولون ، فرزقهم الله على يديه[٨] . وقد ذكرنا [ذلك][٩] في ترجمة الحسن بن سُفيان[١٠] ، فالله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة :

محمد بن زكريا الطبيب[١١] ؛ صاحب المصنَّف الكبير[١٢] في هذا الشأن .

---

(١) في (ط) بحتر البحتري ، وهو تصحيف .

(٢) الأنساب (٢/ ٨٩ ـ ٩٠) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧١٩ ـ ٧٢٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٠٢ ـ ٤٠٤) .

(٣) تاريخ جرجان (٤١٣) طبقات الشيرازي (١٠٥ ـ ١٠٦) المنتظم (٦/ ١٨٤ ـ ١٨٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥ ـ ٣٨٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢٠ ـ ٧٣١) .

(٤) في (ط) محسن ، وهو تحريف ، وكذلك في باقي النسخ الخطية .

(٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٦) وما بين حاصرتين منه .

(٦) على هامش (ح) يقال : أرمل : إذا فني زاده ، ومنه « ابن سبيل مرمل » ، وانظر اللسان (رمل) .

(٧) المنتظم (٦/ ١٨٥ ـ ١٨٦) .

(٨) انظر سنة (٣١٠هـ) .

(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .

(١٠) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٠٣هـ) .

(١١) ترجمته في تاريخ الحكماء للقفطي (٢٧١ ـ ٢٧٧) عيون الأنباء (٤١٤ ـ ٤٢٧) وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧ ـ ١٦١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) .

(١٢) هو الحاوي وهو مشهور .

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة وثلاثمئة

في المحرَّم من هذه السنة اعترض القِرْمِطِي أبو طاهر سليمان[١] بن أبي سعيد الجَنَّابي ـ لعنه الله ، ولعن أباه ـ الحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام ، قد أدَّوا فَرْضَ الله عليهم ، فقطع عليهم الطريق ، فقاتلوه دفعاً عن أموالهم وأنفسهم وحريمهم ، فَقَتَلَ منهم خلقاً كثيراً لا يعلمهم إلا الله عزَّ وجلَّ ، وأسر من نسائهم وأبنائهم ما اختاره ، واصْطَفَى من أموالهم ما أراد ، فكان مبلغ ما أخذه من الأموال ما يقاوم ألف ألف دينار ، ومن الأمتعة والمتاجر نحو ذلك ، وترك بقية الناس بعدما أخذ جِمَالهم وزادهم وأموالهم ونساءهم ، وتركهم على بعد الديار في البرية بلا زادٍ ولا ماء ولا محمل . وقد حاجف[٢] عن الناس نائبُ الكوفة أبو الهيجاء عبد الله بن حَمْدان فقهره وأسره ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، وكان عِدَّة منْ مع القِرْمِطِي ثمانمئة مقاتل ، وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة ، قصفه[٣] الله .

ولما انتهى خبرُهم إلى بغداد قام نساؤهم وأهاليهم في النِّياحة ، ونَشَرْنَ شعورهن ، ولَطَمْنَ خدودَهُنَّ[٤] في الأزِقَّة ، وانضاف إليهن نساء الذين نُكبوا على يدي الوزير ابن الفرات ، فكان ببغداد يوم مشهود بسبب ذلك في غاية الفظاعة والشَّنَاعة ، ولما سأل الخليفة عن الخبر ذُكِرَ له أن هذه نسوة الحجيج ومعهن نساء الذين صادرهم ابنُ الفُرَات ، وجاءت يد[٥] الحاجب نصر القشوري على الوزير فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما استوى هذا للقِرْمِطِي[٦] بسبب إبعادك المظفر مؤنس الخادم ، فَطَمِعَ هؤلاء في الأطراف ، وما أشار عليك بإبعاده إلا ابنُ الفُرَات ، وبعث الخليفة المقتدر إلى الوزير ابن الفرات يقول له : إن الناس يتكلمون فيك لِنُصْحكَ إياي . وأرسل يطيِّب قلبه ، فركب هو وولده إلى الخليفة فدخلا عليه ، فأكرمهما ، وطيَّب قلوبهما ، وخرجا مِنْ عنده ، فنالهما أذىً كثير مِنْ نصر الحاجب وغيره من كبار الأمراء ، وجلس الوزير في دَسْته ، فحكم بين النَّاس على عادته ، وبات ليلته تلك مفكِّراً في أمره ، وأصبح كذلك وهو ينشد :

فأصْبَحَ لا يَدْري وإنْ كان حازِماً ... أَقُـــدَّامُـــهُ خيـــرٌ لـــهُ أم وراؤه

---

(١) في (ح) و(ظا) و(ب) و(ط) ، الحسين ، وهو تحريف .
(٢) في (ط) جاحف ، وهو تصحيف ، وحاجف : أي دافع . اللسان (حجف) .
(٣) في (ط) قصمه .
(٤) في (ح) و(ظا) : وجوههن .
(٥) في (ط) : على يد .
(٦) في (ط) : إنما استولى هذا القرمطي على ما استولى عليه . .

ثم جاءه في ذلك اليوم أميران من جهة الخليفة المقتدر ، فدخلا عليه داره إلى بين حُرَمِه ، وأخرجوه مكشوفاً رَأْسُه في غاية الذِّلَّة والإهانة[١] ، فأركبوه في حَرَّاقة[٢] إلى الجانب الآخر ، وفَهِمَ النَّاس ذلك ، فرجموا ابنَ الفُرَات بالآجُرّ ، وتعطلتِ الجوامع ، وسخمتِ[٣] العامَّةُ المحاريب ، ولم يُصَلِّ الجمعةَ النَّاسُ فيها ، وأُخذ خطُّه بألفي ألف دينار ، وأخذ خط ابنه بثلاثة آلاف ألف دينار ، وسلِّما إلى نازُوك ؛ أمير الشُّرْطة ، فاعتقلا حيناً ، وخلَّص منهما الأموال ، فلما قَدِمَ مؤنس الخادم سُلِّم إليه الوزير ابن الفرات ، فأهانه غاية الإهانة بالضَّرْب والتقريع له ولولده المحسن المجرم الذي ليس بمحسن ، ثم قتلا بعد ذلك ، فكانت وزارته هذه الثالثة عشرة أشهر وأياماً .

واستُوزرَ أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله[٤] بن يحيى بن خاقان ، وذلك في تاسع ربيعِ الأول من هذه السنة .

وكان الخليفة قد أرسل إلى مؤنس الخادم ليحضر ، فدخل بغداد في تجمُّلٍ عظيم ، وسُلِّم إليه ابن الفرات كما ذكرنا ، فعاقبه ، وَشَفَعَ[٥] إلى الخاقاني في أن يُرْسِلَ إلى علي بن عيسى ـ وكان قد صار إلى صنعاء من اليمن مطروداً ـ فعاد إلى مكة ، وبَعَثَ إليه الوزير أن ينظر في أمر الشَّام ومِصْر .

وأمر الخليفة مؤنساً الخادم بالمسير إلى ناحية الكوفة لأجل القرامطة ، وأنفق على خروجه إلى هنالك ألف ألف دينار .

وأطلق القِرْمطي منْ كان في أَسْرِهِ من الحجيج ، وكانوا ألفي رجل وخمسمئة امرأة ، وأطلق أبا الهيجاء نائبَ الكوفة معهم أيضاً ، وكتب إلى الخليفة يطلب منه البَصْرة والأهواز ، فلم يجب إلى ذلك .

وركب المُظَفَّر مؤنس الخادم في جحافل إلى بلاد الكوفة ، فسكن أَمْرُها ، ثم انحدر إلى واسط خوفاً عليها من القرامطة ، واستناب على الكوفة ياقوت الخادم ، فتمهدت الأمور ، وانصلحت .

وفي هذه السنة ظهر رجلٌ بين الكوفة وبغداد فادَّعى أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر[٦] بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وصدَّقه على ذلك طائفة من الأعراب والطَّغام ، والتفُّوا عليه ،

---

(١) في (ط) : وهو في غاية الذل والصغار ، والإهانة والعار ، فأركبوه .
(٢) نوع من السفن .
(٣) في (ط) وخربت .
(٤) في النسخ الخطية و(ط) عبد الله بن محمد بن يحيى ، وهو وهم .
(٥) أي طلب . اللسان (شفع) .
(٦) في (ط) محمد ، وهو تحريف .

وقويت شوكته في شوال ، فأرسل إليه الوزير جيشاً ، فقاتلوه فهزموه ، وقتلوا خَلْقاً من أصحابه ، وتفرّق بقيتهم . وهذا المدَّعي المذكور هو رئيس الإسْماعيلية وأولهم .

وظفر نازُوك نائبُ[1] الشُّرْطة بثلاثة من أصحاب الحلاج ، وهم : حَيْدَرة ، والشَّعْراني ، وابن منصور ، فطالبهم بالرجوع [عن اعتقادهم فيه][2] فلم يرجعوا ، فضرب أعناقهم ، وصلبهم في الجانب الشَّرْقي .

ولم يحجَّ أحد في هذه السنة من أهل العراق لكثرة خوف الناس من القرامطة ، لعنهم الله .

ومِمن توفي في هذه السنة من الأعيان :

إبراهيم بن خَمْش[3] أبو إسحاق الزَّاهد النيسابوري .

كان يعِظُ النَّاس ، فكان منْ جُمْلة كلامه الحَسَن قوله : يضحك القَضاء منَ الحَذَر ، ويضحك الأَجَل من الأَمَلَ ، ويضحك التَّقْدير من التَّدْبير ، وتضحك القِسْمة من الجَهْد والعَنَاء .

علي بن محمد بن الفُرَات[4] أبو الحسن الوزير : ولاه المقتدر الوزَارة ، ثم عزله ، ثم ولَّاه ، ثم عزله ، ثم ولَّاه ، ثم قتله في هذه السَّنة [وقتل ولده][5] ، وكان ذا مالٍ جزيل جداً : ملك عشرة آلاف ألف دينار ، وكان يدخله من ضياعه كل سنة ألف ألف دينار ، وكان ينفق على خمسة آلاف من العلماء والعُبَّاد ، يجري عليهم الأرزاق في كلِّ شهر ـ أثابه الله ـ وكان فيه كفاية ونهضة ومعرفة بالوزارة والحساب ، يقال : إنه نظر يوماً في ألف كتاب ، ووقَّع على ألف رُقْعة ، فتعجَّب منْ حَضَره منْ ذلك ، وكانت فيه مروءة وكرم ، وحُسْن سيرة في ولاياته ، غير المرة الثالثة ، فإنه ظلم وغَشَم وصادر النَّاس عن أموالهم[6] ، فأخذه الله أخْذَ عزيزٍ مُقْتدر[7] . وقد كان فيه كَرَمٌ وسَعَة في النَّفَقة ؛ ذُكِرَ عنده ذات ليلة أهلُ الحديث والصُّوفية وأهل الأدب والشعراء والفقراء ، فأطْلَقَ من ماله لكلِّ طائفة عشرين ألفاً .

وكتب رجلٌ على لسانه إلى نائب مِصْر كتاباً فيه الوصية به إليه ، فلما وقف عليه المكتوب إليه استراب به وقال : ما هذا خطه . وأرسل به إلى الوزير ، فلما وقف عليه الوزير عرف أنه كذب وزور ، فاستشار

---

(١) في (ط) صاحب .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) في (ط) خميس ، وهو تصحيف . وترجمته في المنتظم (٦/ ١٩٠) وتبصير المنتبه (٢/ ٥٣٨) .

(٤) تحفة الأمراء للصابي (٨ ، ٢٦٥) . المنتظم (٦/ ١٩٠ ـ ١٩٢) إعتاب الكتاب (١٨٠) وفيات الأعيان (٣/ ٤٢١ ـ ٤٢٩) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) كذا ، وفي (ط) : وأخذ أموالهم .

(٧) في (ط) فأخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة ، أخذ عزيز مقتدر .

الحاضرين عنده في الذي زوَّر عليه ، فقال بعضهم : ينبغي أن تقطعَ يده . وقال غيره : تقطع إبهامه . وقال الآخر : يُضْرب ضرباً عنيفاً . فقال الوزير : أو خير من ذلك ؟ فأخذ الكتاب ، وكتب عليه : نعم ، هذا خَطِّي ، وهو من أخَصِّ أصحابي ، فلا تترك شيئاً مما تقدِرُ عليه في الإحسان إلا وَصَلْتَه به . فلما عاد الكتاب أحسنَ نائبُ مصر إلى ذلك الرجل[١] ، ووصله بنحو من عشرين ألف دينار[٢] .

واستدعى ابنُ الفُرات يوماً ببعض الكُتَّاب فقال له : ويحك ، إن نيتي فيك سيئة ، وإني في كل وقت أريد أن أقبضَ عليك وأصادِرَ مالك ، فرأيت في المنام من ليالٍ أني قد أمرت بالقبض عليك ، فجعلتَ تمتنع مني ، فأمَرْتُ أن تُقاتل ، فجعلوا كلما ضربوك بشيء من سِهام أو غيرها من السلاح تتقي الضَّرْب برغيف في يدك ، فلا يصل إليك بسببه شيء ، فأعْلِمْني ما قصة هذا الرَّغيف ؟ فقال : أيها الوزير ، إن أمي ـ منذ كنت صغيراً ـ كانت تضع في كلِّ ليلة تحت وسادتي رغيفاً ، ثم تصبح فتتصدَّق به عني ، ولم يزل ذلك دَأْبُها حتى ماتت ، ففعلته بعدها ، فأنا أبيِّت في كلِّ ليلةٍ تحت وسادتي رغيفاً ، ثم أصبح فأتصدَّق به . فعَجِبَ الوزير منْ ذلك ، وقال : والله لا ينالك مني سوء أبداً ، ولقد حَسُنَتْ نيتي فيك ، وأحببتك[٣] .

وقد أطال ابن خَلِّكان ترجمته ، وذكر بعض ما أوردناه[٤] .

محمد بن محمد بن سليمان[٥] بن الحارث بن عبد الرحمن : أبو بكر ، الأزْدِي ، الوَاسطي ، المعروف بالباغَنْدي .

سَمِعَ محمدَ بن عبد الله بن نُمَيْر ، وابن أبي شَيْبة ، وشَيْبان بن فَرُّوخ ، وعليَّ بن المَدِيني ، وخَلْقاً من أهل الشَّام ومصر والكوفة والبَصْرة وبغداد .

ورحل إلى الأمصار البعيدة ، وعُنِيَ بهذا الشأن ، واشتغل فيه فأَفْرَط ، حتى قيل : إنه كان ربما يَسْرُدُ بعضَ الأحاديث بأسانيدها في الصَّلاة[٦] وهو لا يشعر ، فَيُسَبَّحُ به حتى يتذكر أنه في الصَّلاة ، وكان يقول : أنا أُجيب في ثلاثمئة ألف مسألةٍ من الحديث[٧] .

---

(١) في (ط) : إحساناً بالغاً .
(٢) نشوار المحاضرة (١/ ٥٧ ـ ٥٩) .
(٣) نشوار المحاضرة (٣/ ٢٧٣) .
(٤) ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ٤٢١ ـ ٤٢٩) .
(٥) تاريخ بغداد (٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٣) الأنساب (٢/ ٤٥) المنتظم (٦/ ١٩٣ ـ ١٩٤) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٣٦ ـ ٧٣٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨٣ ـ ٣٨٨) .
(٦) في (ط) في الصلاة والنوم .
(٧) تاريخ بغداد (٣/ ٢١٠) المنتظم (٦/ ١٩٣) .

وقد رأى رسولَ الله ﷺ في المنام فقال له : يا رسول الله ، أيما أثْبَتُ في الحديث منصور أو الأعْمش ؟ فقال له : منصور[١] .

وقد كان يعاب بالتَّدْليس حتى قال الدَّارَقُطْني : هو كثير التدليس ، يحدِّث بما لم يسمع ، وربما سرق بعضَ الأحاديث .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة

قال ابن الجَوْزي : لليلة بقيت من المُحَرَّم انقضَّ كوكبٌ من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس ، فأضاءتِ الدُّنيا منه ، وسُمِعَ له صوت كصوت الرَّعد الشَّديد[٢] .

وفي صفر [منها][٣] بلغ الخليفة المقتدر بالله أن جماعةً من الرَّافضة يجتمعون في مسجد براثىٰ فينالون من الصَّحَابة ولا يصلُّون الجمعة ، ويكاتبون القَرَامطة ، ويَدْعُون إلى محمد بن إسماعيل الذي ظهر بين الكوفة وبغداد ، ويدَّعون أنه المهدي ، ويتبرؤون من المقتدر وممن يتبعه . فأمر بالاحتياط عليهم ، واستفتى العلماء في المَسْجد المذكور ، فأفتوا بأنه مسجد ضِرَار ، يهدم كما هدم مسجد الضِّرَار[٤] ، فضرب منْ قَدَرَ عليه منهم الضَّرْب المُبَرِّح ، ونودي عليهم ، وأمر الخليفة بهدم المسجد المذكور كما أفتى بذلك العلماء ، فهدمه نازوك ، وأمر الوزير الخاقاني فجعل مكانه مقبرة ، فدفِنَ فيه جماعةٌ من الموتىٰ .

وخرج النَّاس للحجِّ في ذي القَعْدة ، فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي القِرْمِطي لعنهما الله ، فرجع أكثر الناس إلى بُلْدانهم ، ولم يمكنهم الحج عامهم هذا ، ويقال : إن بعضهم سأل منه الأمان ليذهبوا فأمنهم ، وقد قاتله جُنْدُ الخليفة ، فلم يفد ذلك فيه شيئاً لتمرده وشدَّة بأس من معه ، وانزعج أهل بغداد من ذلك ، وترحَّل أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشَّرقي خوفاً من القرامطة ، ودخل القِرْمِطي إلى الكوفة ، فأقام بها ستة [أيام][٥] يأخذ من أموالها[٦] ما يختاره .

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٢١١) .

(٢) المنتظم (٦/ ١٩٥) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) مسجد الضرار بناه قوم من المنافقين ، وفيه نزلت الآية الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٧] .
وسيرد خبر عن مسجد براثى في أحداث سنة (٣٢٩هـ) .

(٥) في النسخ الخطية : سنة ، وهي تصحيف . وفي (ط) شهراً ، والمثبت وما بين حاصرتين من الكامل (٨/ ١٥٦) .

(٦) في (ط) : ونسائها .

قال ابن الجوزي : وكثر الرُّطب في هذه السنة ببغداد حتى بيع كل ثمانية أرطال بحبَّة ، وعمل منه تمر وحُملَ إلى البَصْرة[١] .

وعزل المقتدر وزيرَه الخاقانيَّ بعدَ[٢] سنة وستة أشهر ويومين ، وولّى مكانه أبا العبَّاس[٣] أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخَصِيب[٤] الخَصِيبي ؛ لأجل مالٍ بذله من جهة زوجة المحسن[٥] بن الفُرَات ، وكان ذلك المال سبعمئة ألف دينار ، فأقرَّ[٦] الخصيبيُّ عليَّ بنَ عيسى على الإشراف على ديار مِصْر وبلاد الشَّام ، وهو مقيم بمكة يسير إليهما في بعض الأوقات ، فيعمل ما ينبغي عمله من ذلك ، ثم يرجع إلى مكة شرفها الله .

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

علي بن عبد الحميد[٧] بن عبد الله بن سليمان : أبو الحسن ، الغَضَائري .

سمع القَواريري ، وعباساً العَنْبَري ، وكان من العُبَّاد الثقات .

قال : جئت يوماً إلى سَرِيٍّ السَّقَطي ، فدققت عليه بابه ، فخرج إليَّ ، ووضع يده على عِضَادتيِّ الباب[٨] وهو يقول : اللهم اشغل منْ شَغَلَني عنك بك . قال : فنالتني بركة هذه الدَّعْوة ، فحججتُ على قدميَّ من حلب إلى مكة أربعين سنة ذاهباً وآيباً[٩] .

أبو العبَّاس السَّرَّاج الحافظ[١٠] محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مِهرَان بن عبد الله : الثَّقفي مولاهم ، أبو العبَّاس السَّرَّاج ؛ أحد الأئمة الثِّقات الحُفَّاظ .

مولده سنة ثمان عشرة ومئتين .

---

(١) المنتظم (٦/ ١٩٦) .
(٢) في (ط) : بعد أن ولاه .
(٣) في النسخ الخطية و(ط) أبا القاسم ، وهو تحريف ، وستأتي كنيته على الصحيح ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .
(٤) في (ط) الخطيب ، وهو تحريف .
(٥) في (ط) الحسين ، وهو تحريف .
(٦) في (ط) فأمر ، وهو تصحيف .
(٧) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٩ ـ ٣٠) الأنساب (٩/ ١٥٥) المنتظم (٦/ ١٩٨) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) .
(٨) هما الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله . اللسان (عضد) .
(٩) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٠) .
(١٠) تاريخ بغداد (١/ ٢٤٨ ـ ٢٥٢) الأنساب (٧/ ٦٥ ـ ٦٦ ، ٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥) المنتظم (٦/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٣١ ـ ٧٣٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٨٨ ـ ٣٩٨) .

وسمع قتيبة ، وإسحاق بن رَاهُويه ، وخلقاً كثيراً من أهل خُرَاسان وبغداد والكوفة والبصرة والحجاز .

وقد حدث عنه البخاري ومُسْلم ـ وهما أكبر منه ، وأقدم ميلاداً ووفاة ـ وله مصنَّفات كثيرة نافعة جداً ، وكان يُعدُّ من مجابي الدَّعوة .

وقد رأى في منامه كأنه يَرْقَى في سُلَّم ، فَصَعدَ فيه تسعاً وتسعين درجةً ، فما أوَّلها على أحد إلا قال له : تعيش تسعاً وتسعين سنة ، فكان كذلك . وقد ولد له ابنه أبو عمرو وعمره ثلاث وثمانون سنة . قال الحاكم : فَسَمِعْتُ أبا عمرو يقول : فكنت إذا دخلت المسجد على أبي والناس عنده يقول لهم : هذا عملته في ليلة ، ولي من العمر ثلاث وثمانون سنة .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمئة

[فيها][1] كتب ملك الرُّوم ـ وهو الدُّمُسْتُق ، لعنه الله ـ إلى أهل السَّوَاحل أن يحملوا إليه الخَرَاج وإلا قاتلهم ، فأَبَوْا عليه ، فركب إليهم[2] في أول هذه السَّنة ، فعاث في الأرض فساداً ، ودخل مَلَطْيَة ، فَقَتلَ منْ أهلها كثيراً ، وأسر ، وأقام بها ستة عشر يوماً ، وجاء أهلها إلى بغداد يستنجدون الخليفة عليه .

ووقع ببغداد حريقٌ في مكانين ، مات بسببهما خَلْقٌ كثير ، واحترق في أحدهما ألف دار ودُكَّان .

وجاءتِ الكُتُب بموت الدُّمُسْتُق ملك النَّصَارى لعنه الله فقرئت الكتب على المنابر بذلك .

وجاءت الكتب من مكة أن أهلها في غاية الانزعاج بسبب اقتراب القِرْمِطي إليهم ، وقصده إياهم ، فرحلوا منها إلى الطائف وتلك النواحي .

وهبَّت ريح عظيمة بنَصِيبين اقتلعت الأشجار وهدمت البيوت .

قال ابن الجَوْزِي : وفي يوم الأحد لثمانٍ مضين من شَوَّال منها ـ وهو سابع كانون الأوَّل ـ سقط ببغداد ثَلْجٌ عظيم جداً ، وحصل بسببه بردٌ شديد ، بحيث أتلف كثيراً من النخيل والأشجار ، وجَمَدتِ الأدهان حتى الأشربة ، وماء الوَرْد والخَلّ ، والخُلْجان الكبار ، ودِجْلة ، وعقد بعضُ مشايخ الحديث مجلس التحديث على متن دِجْلة من فوق الجَمْد ، وكتب عنه الحديث هنالك ، ثم انكسر البرد بمطرٍ وَقَعَ فأزال ذلك كلَّه ، ولله الحمد[3] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في (ط) : في جنوده .
(٣) المنتظم (٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) .

وقدم الحُجَّاح من خراسان إلى بغداد ، فاعتذر إليهم مؤنس الخادم بأن القرامطة قد قصدوا حجاج مكة ، فرجعوا ، ولم يتهيأ الحَجُّ تلك السنة من ناحية العِراق بالكلِّية .

وفي ذي القَعْدَة عَزَلَ الخليفة وزيرَه أبا العَبَّاس الخَصِيبي بعد سنة وشهرين ، وأمر بالقَبْض عليه وحَبْسه ؛ وذلك لإهماله أمر الوِزارة ، والنظر في المصالح ؛ وذلك لاشتغاله بالخَمْر في كلِّ ليلة ، فيصبح مخموراً لا عقل له ، وقد وكل الأمور إلى نوابه ، فخانوه وعملوا مصالحهم ، وولَّى مكانه أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكَلْوَذاني نيابةً عن عليِّ بن عيسى ، حتى يَقْدَمَ ، ثم أرسل في طلب عليِّ بن عيسى وهو في دمشق ، فقدم بغداد في أُبهة عظيمة ، فنظر في المصالح العامة والخاصة ، وَرَدَّ الأمورَ إلى السَّداد ، وتمهدت القواعد ، واستدعى بالخَصيبي فتهدَّده ولامَه وناقَشَه على ما كان يعتمده ويفعله في خاصَّة نفسه[١] وفي الأمور العامة ، وذلك بحَضْرَة القُضاة والأعيان ، ثم رَدَّه إلى السجن .

وفيها أخذ نَصْر بن أحمد السَّاماني الملقَّب بالسَّعيد[٢] بلاد الرَّي وسكنها إلى سنة ست عشرة [وثلاثمئة][٣] .

وفيها غزتِ الصَّائفة من بلاد طَرَسُوس بلاد الرُّوم ، فغنموا وسَلِموا .

ولم يحجَّ ركب العراق خوفاً من القرامطة لعنهم الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

سَعْد النُّوبي[٤] صاحب باب النُّوبي[٥] من دار الخلافة ببغداد .

توفي في صفر من هذه السنة ، وأقيم أخوه مقامه في حِفْظ هذا الباب الذي صار يُنْسب بعده إليه .

ومحمد بن محمد الباهلي[٦] .

ومحمد بن عمر بن لُبَابة القُرْطُبي[٧] .

---

(١) في (ط) : من معاصي الله عز وجل .
(٢) في النسخ الخطية : السعد ، وهو تصحيف . وسترد ترجمته في أحداث سنة (٣٣١هـ) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) المنتظم (٦/ ٢٠٣) .
(٥) كان على الجانب الشرقي من بغداد ، وفيه العتبة التي كانت تقَبِّلُها الملوك والرسل . صبح الأعشى (٤/ ٣٣١) .
(٦) كان محدثاً ثقة زاهداً . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٥) .
(٧) في (ط) القرمطي ، وهو تحريف شنيع ، وكان ابن لبابة شيخ المالكية في عصره ، انتهت إليه الإمامة في المذهب . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٩٥) .

ونَصْر بن القاسم ، الفَرَائضي الحَنَفي ، أبو الليث[١] .

سمع القَوَاريري ، وكان ثِقَةً ، عالماً بالفرائض على مذهب أبي حنيفة ، مُقْرِئاً[٢] جليلاً .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلاثمئة

في صفر منها كان قدوم عليٍّ بن عيسى الوزير من دمشق إلى بغداد ، وقد تلقاه الناس إلى أثناء الطريق ؛ فمنهم من كان قد لقيه إلى الأنبار ، ومنهم دون ذلك . وحين دخل إلى الخليفة المقتدر خاطبة[٣] المقتدر فأحسن مخاطبته ، وانصرف إلى منزله ، فبعث[٤] وراءه بالفُرُش والقُماش وعشرين ألف دينار ، واستدعاه من الغد ، فخلع عليه ، فأنشد وهو في الخِلْعة :

ما النَّاس إلا مع الدُّنيا وصاحبها فكيفما انقَلَبَتْ يوماً به انقلبوا
يُعَظِّمون أخا الدُّنيا فإن وَثَبَتْ يوماً عليه بما لا يشتهي وَثَبُوا

وجاءتِ الكتب بأن الرُّوم قد دخلوا سُمَيْسَاط[٥] ، وأخذوا جميع ما فيها ، ونصبوا فيها خيمة الملك وضربوا النَّاقوس في الجامع بها ، فأمر الخليفة مؤنساً الخادم بالتجهيز للمسير إليهم ، وخلع عليه خِلْعة سنية ، ثم جاءتِ الكتب بأن المسلمين وثبوا على الرُّوم ، فقتلوا منهم خَلْقاً كثيراً ، وغنموا غنائم كثيرة جداً ، ولله الحمد .

ولما تجهَّز مُؤْنس للمسير جاءه بعضُ الخدم ، فأعلمه أن الخليفة يريد أن يقبض عليه إذا دخل لوداعه ، وقد حُضِرَت [له][٦] زُبْيَةٌ في[٧] دار الخلافة مغطاة ليتردىٰ فيها ، فأحجم عن الذهاب . وجاءت الأمراء إليه من كل جانب ، ليكونوا معه على الخليفة ، فبعث إليه المقتدر برقعة بخطِّه يحلف له فيها أن هذا الأمر الذي بلغه ليس بصحيح ؛ فطابت نفسه ، وركب إلى دار الخلافة في غِلْمانٍ قلائل ، فلما دخل على الخليفة خاطبه مخاطبةً عظيمة ، وحلف له أنه طيِّبُ القلب عليه ، وله عنده الصفاء الذي يعرفه .

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٩٥) الأنساب (٩/ ٢٥٩) اللباب (٢/ ٢٠٢) المنتظم (٦/ ٢٠٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) .

(٢) في (ط) مقرباً ، وهو تصحيف .

(٣) في (ط) : الخليفة .

(٤) في (ط) : الخليفة .

(٥) قلعة في بر الشام على الفرات في ناحية بلاد الروم ، بين قلعة الروم وملطية . وفيات الأعيان (٣/ ٤٢١) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٧) في (ط) وقد حضرت له ريبة ، وهو تحريف . والزُّبْية : حفرة تغطى فوهتها ، إذا وطئها الأسد وقع فيها . المعجم الوسيط (١/ ٣٩٠) .

وخرج من بين يديه معظَّماً مكرماً ، وركب العَبَّاس بن المقتدر ، والوزير علي بن عيسى ونصر الحاجب في خدمته لتوديعه ، وكبراء الأمراء بين يديه مثل الحجبة ، وكان خروجه يوماً مشهوداً ، قاصداً بلاد الثغور لقتال الرُّوم ظفَّره الله بهم ، وأيده ونصره .

وفي جمادى الأولى [منها][1] قُبضَ على رجل خنَّاق قد قتل خَلْقاً من النساء ، لأنه ادَّعى أنه يعرف العطف والتنجيم ، فقصده النساء لذلك ، فإذا انفرد بالمرأة قام إليها[2] فخنقها بِوَتَر ـ وأعانته امرأته على ذلك ـ ثم حفر لها في داره فدفنها ، فإذا امتلأت تلك الدَّار[3] انتقل عنها إلى غيرها ، ولما ظهر عليه وجد في داره[4] سبع عشرة امرأة قد خنقهن ، ثم تتبعت الدور التي سكنها ، فوجدوا قد قتل شيئاً كثيراً من النساء ، فَضُربَ ألف سَوْطِ ، ثم صلب حياً حتى مات ، قبحه الله .

ظهور الدَّيْلَم

وفي هذه السنة كان ظهور الدَّيلم ببلاد الرَّي ، فكان فيهم ملك غَلَبَ على أمرهم يقال له مَرداوِيج[5] ، يجلس على سريرٍ من ذهب ، وبين يديه سرير من فضَّة ، ويقول : أنا سليمان بن داود ، وقد سار في أهل الرَّي وقزوين وأصبهان سيرة قبيحة جداً ؛ كان يقتل النساء والصِّبيان في المهود ، ويأخذ أموال النَّاس ، وهو في غاية الجبروت والشدة والجرأة على محارم الله عزَّ وجلَّ ، فقتلته الأتراك ، وأراح الله المسلمين من شَرِّه ، ولله الحمد والمنة .

وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين يوسف بن أبي السَّاج وبين أبي طاهر القِرْمطي عند الكوفة ؛ سبقه إليها أبو طاهر فحال بينه وبينها ، فكتب إليه يوسف بن أبي الساج : اسمع وأطع وإلا فاستعد للقتال يوم السبت تاسع شوَّال من هذه السنة فقال : هلم . [فسار إليه][6] ، فلما تراءى الجمعان استقلَّ يوسف بن أبي السَّاج ـ وكان معه عشرون ألفاً ـ جيشَ القرامطة ، وكان معه ألف فارس[7] وخمسمئة راجلٍ . فقال [يوسف][8] : وما قيمة هؤلاء الكلاب ؟ وأَمَرَ الكاتبَ أن يكتب بالفتح قبل اللقاء إلى الخليفة ، فلما اقتتلوا ثبت القرامطة ثباتاً عظيماً ، ونزل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي لعنه الله ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في (ط) : قام إليها ففعل معها الفاحشة ، وخنقها .
(٣) في (ط) : من القتلى .
(٤) في (ط) : التي هو فيها . أخيراً .
(٥) انظر خبره في أحداث سنة (٣٢٣هـ) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) في (ب) و(ظ) ألفا فارس ، وما أثبتناه موافق لما في تاريخ الإسلام (٧/ ٢١٢) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

فحرَّض أصحابه ، وحمل بهم حملة صادقةً ، فهزموا جُنْدَ الخليفة ، وأسروا يوسفَ بن أبي السَّاج [أمير الجيش][١] ، وقتلوا خَلْقاً كثيراً من جند الخليفة ، واستحوذوا على الكوفة ، وجاءتِ الأخبار بذلك إلى بغداد ، وشاع بين الناس بأن القِرْمِطِي يريد أن يقصد بغداد ليأخذها ، فانزعج المسلمون لذلك ، وظنوا صدقه ، فاجتمع الوزير بالخليفة وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الأموال إنما تدَّخر لتكون عوناً على قتال أعداء الله ، وإن هذا الأمر لم يقع بعد زمن الصحابة أفظع منه ، قد قطع هذا الكافر طريق الحج على الناس ، وفتك في المسلمين مرة بعد مرة ، وإن بيت المال ليس فيه شيء ، فاتقِ الله يا أمير المؤمنين وخاطبِ السيدة ـ يعني أُمَّه ـ فإن كان عندها مالٌ قد ادخرته لشدَّة ، فهذا وقته . فدخل على أُمِّه ، فكانت هي التي ابتدأته بذلك ، وبذلت له خمسمئة ألف دينار ، وكان في بيت المال مثلها ، فسلَّمها الخليفة إلى الوزير ليصرفها في تنفيذ الجيوش نحو القرامطة ، فَجَّهَزَ الوزير جيشاً أربعين ألفاً مع أميرٍ يقال له بُلَيق[٢] ، [فسار نحوهم ، فلما سمعوا به][٣] أخذوا عليه الطرقات ، وكان يريد دخول بغداد ، ثم التقوا معه ، فلم يلبث جيش الخليفة أن انهزم ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . وكان يوسف بن أبي السَّاج [معهم][٤] مقيَّداً في خيمة ، فجعل ينظر إلى محل الوقعة ، فلما رجع القِرْمِطي قال : أردت أن تهرب ؟ ثم أمر به فضربت عنقه . ورجع القرمطي من ناحية بغداد إلى الأنبار . ثم انصرف إلى هِيت ، فأكثر أهل بغداد الصَّدقة ، وكذلك الخليفة وأمه والوزير شكراً له عزَّ وجلَّ على صرفه عنهم هذا الخبيث ، ولله الحمد والمنة .

وفي هذه السنة بعث المهديُّ ـ المُدَّعي أنه فاطمي الذي ظهر ببلاد المغرب ـ ولدَه أبا القاسم في جيشٍ[٥] ، فانهزم جيشه ، وقُتِلَ من أصحابه خَلْقٌ كثير . وفيها اختطَّ المهدي المذكور مدينته المُحمَّدية[٦] .

وفيها حاصر عبد الرحمن بن الدَّاخل الأموي[٧] مدينة طُلَيْطُلة ، وكانوا مسلمين ، لكنهم نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه ، ففتحها قهراً ، وقتل خَلْقاً من أهلها .

ومن توفي فيها من الأعيان :

ابن الجصَّاص الجَوْهَري[٨] الحسين بن عبد الله بن الجَصَّاص ، الجَوْهَري : أبو عبد الله البَغْدادي .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) سيرد خبر مقتله على يد القاهر بالله في أحداث سنة (٣٢١هـ) . وقد رسم اسمه في بعض كتب التاريخ : « يلبق » .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) في (ط) : إلى بلاد منها .
(٦) معجم البلدان (٥/ ٦٤ ـ ٦٥) وفيه : أن ابنه القاسم هو الذي اختطها ، وسماها المحمدية باسمه .
(٧) في (ط) : ابن الداخل إلى بلاد المغرب الأموي . . . وسترد ترجمة عبد الرحمن في وفيات سنة (٣٥٠هـ) .
(٨) نشوار المحاضرة (١/ ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٢/ ٣١٢) الأنساب : (٣/ ٢٦٠) المنتظم (٦/ ٢١١ ـ ٢١٤) اللباب =

كان ذا مالٍ عظيم وثروة متسعة جداً ، وكان أصل نعمته من بيت أحمد بن طولون ؛ كان قد جعله جوهرياً له يتسوق له ما يقع من نفائس الجواهر بمصر ، فاكتسب بسبب ذلك أموالًا جزيلة جداً .

قال ابن الجَصَّاص : كنت يوماً بباب ابن طولون إذ خرجت القَهْرمانة وبيدها عِقْدٌ فيه مئة حبة من الجَوْهر ، تساوي كلٌّ واحدةٍ ألفي دينار . فقالت : أريد أن تأخذ هذا فتخرطه حتى يكون أصغر من هذا الحجم ؛ فإن هذا نافر على ما يريدونه[١] . فأخذته منها ، وذهبت به إلى المنزل ، وحصلت جواهر أصغر منها تساوي عُشْر[٢] قيمة تلك الجواهر بكثير ، فدفعتها إليها ، وفزت أنا بذلك الذي جاءت به ، فكانت قيمته مئتي ألف دينار[٣] .

وقد اتفق أنه صُودرَ في زمان المقتدر مصادرةً عظيمة ، أُخذ منه [فيها] ما يقاوم ستة عشر ألف ألف دينار ، وبقي معه من الأموال شيء كثير جداً . قال بعضهم : دخلت عليه وهو يتردَّد في منزله كأنَّه مجنون ، فقلت : ما لك[٤] ؟ فقال : ويحك ، أُخذ مني كذا وكذا ، فأنا أحس أن روحي ستخرج . فعذرته ، ثم أخذت في تسليته فقلت له : إن دارك وبساتينك وضياعك الباقية لك تساوي سبعمئة ألف دينار ، واصدقني ، كم بقي عندك من الجواهر والمتاع ؟ فإذا هو شيء يساوي ثلاثمئة ألف دينار فقلت[٥] : إنَّ هذا أمر لا يشاركك فيه أحدٌ من التجار ببغداد مع مالك من الوجاهة عند الدَّولة والنَّاس . قال : فسرِّيَ عنه ، وتسلَّى عما فات عليه ، وأكل ، وكان له ثلاثة أيام لم يأكل شيئاً[٦] .

ولما خلص من مصادرة المقتدر بشفاعة أمه السيِّدة فيه حكى عن نفسه قال : نظرت في دار الخلافة إلى مئة خيشة[٧] ، فيه متاع رَثٌّ مما حمل إليَّ من مصر ، وهو عندهم بدار مَضِيعة ، وكان لي في حِمْلٍ منها ألف دينار موضوعة فيه من مصر لا يشعر بها أحد ، فاستوهبت ذلك من أُمِّ المقتدر ، فكلَّمَتْ في ذلك ولدَها ، فأطلقه لي ، فتسلمته ، فإذا الذَّهب لم يَنْقُصْ منه شيء[٨] .

= (١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) وفيات الأعيان (٣/ ٧٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٦٩ ـ ٤٧٣) فوات الوفيات (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٦) الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٨٦ ـ ٣٩١) .

(١) في (ط) : وأرادت خرطه وإتلافه .

(٢) في (ط) : تساوي أقل من عشر .

(٣) نشوار المحاضرة (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣) .

(٤) في (ط) : فقلت له : مالك هكذا . .

(٥) في (ط) : غير ما بقي عنده من الذهب والفضة المصكوكة ، فقلت له .

(٦) الخبر في المنتظم (٦/ ٢١٣ ـ ٢١٤) .

(٧) أي مئة عدل من الأعدال الخيش ، وهو ما يدعى بعامية أهل دمشق بالجنفاص .

(٨) الفرج بعد الشدة (٢/ ١١٢ ـ ١١٣) .

وقد كان [ابن الجصاص][1] مع ذلك مغفلاً شديدَ التغفيل في كلامه وأفعاله ، وقد ذكر عنه أشياء تدُلُّ على ذلك ، وقيل : إنه إنما كان يفعل ذلك ليظهر أنه مُغَفَّل ، وقيل : إنه كان يقول ذلك على سبيل البسط والدُّعابة ، والله تعالى أعلم .

وفيها توفي :

عبد الله بن محمد القَزْويني .

وعلي بن سليمان بن الفَضْل[2] أبو الحسن ، الأخْفَش .

روى عن المبرِّد ، وثعلب ، واليزيدي ، وغيرهم .

وعنه : المَرْزُباني[3] والمعافىٰ وغيرهما .

وكان ثِقَةً في نقله ، فقيراً في ذات يده ، توصَّل إلى أبي علي بن مُقْلة حتى كلَّم فيه الوزير عليَّ بن عيسى في أن يُرَتِّب له شيئاً ، فلم يجبه إلى ذلك ، وضاق به الحال حتى كان يأكل اللِّفْت النِّيء ، فمات فجأةً من كثرة أكله ، وذلك في شعبان من هذه السنة ، والله أعلم ، وهذا هو الأخفش الصَّغير .

والأوسط هو سعيد بن مَسْعدة[4] ؛ تلميذ سيبويه .

وأما الأكبر فهو أبو الخَطَّاب عبد الحميد بن عبد المجيد[5] ، من أهل هَجَر ؛ وهو شيخ سيبويه ، وأبي عُبَيْدة[6] وغيرهما .

وأبو بكر محمد بن السَّرِي السَّرَّاج النَّحْوي[7] ، صاحب « الأصول » في النحو ، قاله ابن الأثير[8] .

ومحمد بن المسيَّب الأرْغِياني[9] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) المفضل ، وهو تحريف وترجمته في طبقات النحويين واللغويين (١٢٥ ـ ١٢٧) الأنساب (١/ ١٥٤) نزهة الألباء (١٦٩) المنتظم (٦/ ٢١٤/ ٢١٥) معجم الأدباء (١٣/ ٢٤٦ ـ ٢٥٧) إنباه الرواة (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٨) وفيات الأعيان (٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٨٠ ـ ٤٨٢) .

(٣) في النسخ الخطية و(ط) الروياني ، وهو تحريف ، وسترد ترجمة المرزباني في وفيات سنة (٣٨٤هـ) .

(٤) توفي سنة (٢١٥هـ) ، ترجمته في إنباه الرواة (٢/ ٣٦ ـ ٤٣) .

(٥) ترجمته في إنباه الرواة (٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨) .

(٦) في (ط) أبي عبيد ، وهو تصحيف .

(٧) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) .

(٨) الكامل لابن الأثير (٨/ ١٨٠) وفيه : وقيل : توفي سنة ست عشرة وثلاثمئة .

(٩) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٢٢ ـ ٤٢٦) .

ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمئة

فيها عاث أبو طاهر القِرْمطي وهو سليمان بن أبي سعيد الجنَّابي ـ لعنه الله ـ في الأرض فساداً ، حاصر الرَّحْبة[١] ، فدخلها قهراً ، وقتل من أهلها خَلْقاً ، وطلب منه أهل قَرْقِيسيا الأمان فأَمَّنهم ، وبعث سرايا إلى ما حَوْلها من الأعراب فقتل منهم خَلْقاً أيضاً ، حتى صاروا إذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه ، وقرَّر على الأعراب إتاوة[٢] يحملونها إلى هَجَر في كل سنة ، عن كل رأس ديناران . وعاث في نواحي المَوْصل وسِنْجار وتلك الدِّيار[٣] ، وقتل وسبى[٤] ونهب ، فقصده مؤنس الخادم ، فلم يتواجها ، ثم رجع إلى بلده [هَجَر][٥] فابتنى بها داراً سَمَّاها دار الهجرة ، ودعا إلى المهدي الذي ببلاد المغرب باني[٦] المَهْديَّة ، وتفاقم أمره ، وكَثُرَ أتباعه ، وصاروا يَكْبِسُون القرية من أرض السواد ، فيقتلون أهلها وينهبون أموالها ، ورام في نفسه دخول الكوفة وأَخْذَها فلم يقدر على ذلك ، وعصمها الله منه . ولما رأى الوزير عليُّ بن عيسى ما يفعل هذا الهَجَري القِرْمِطي ببلاد الإسلام ، والخليفة وجيشه ضعفاء عن مقاومته ، استعفى من الوزارة ، وعزل نفسه عنها ، فسعى فيها أبو عليّ بن مُقْلة ؛ الكاتب المشهور[٧] ، فوليها بسفارة نَصْر الحاجب وأبي عبد الله البَريدي ـ بالباء الموحدة ، من البريد ، ويقال : اليزيدي ؛ لخدمة جدِّه يزيد بن منصور الحِمْيَري[٨] ـ ثم جهَّز الخليفة جيشاً كثيفاً مع مؤنس الخادم ، فاقتتلوا مع القرامطة ، فقتلوا من القرامطة خَلْقاً كثيراً ، وأسروا منهم طائفةً كثيرةً من أشرافهم ، ودخلوا مع مؤنس الخادم إلى بغداد ، والأسارى بين يديه ، وأعلام من أعلامهم بيض منكَّسة مكتوب عليها ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص : ٥] . ففَرِحَ المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، وطابت أنْفُس أهل بغداد ، وانكسر شر القرامطة الذين كانوا قد نشؤوا وكثروا وأظهروا رؤوسهم بأرض العراق ، ونهبوا كثيراً من القرايا ، وفوضوا أمرهم إلى رجلٍ يقال له حريث بن مسعود ـ لا أسعده الله ـ ودعوا إلى المهدي الذي ظهر ببلاد المغرب وبنى المهدية جد الخلفاء الفاطميين ، وهم أدعياء فيما ذكروا

---

(١) رحبة مالك بن طوق ، وهي بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات أسفل من قرقيسيا . معجم البلدان (٣/ ٣٤) .
(٢) في (ط) إمارة ، وهو تحريف .
(٣) في (ط) وعاث في نواحي الموصل فساداً ، وفي سنجار ونواحيها ، وخرب تلك الديار .
(٤) في (ط) وسلب .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ط) بمدينة ، وهو تحريف .
(٧) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٢٨هـ) .
(٨) في (ط) الجهيري ، وهو تحريف . ويزيد هذا هو خال المهدي العباسي ، كان مقدماً في دولة بني العباس ، ولي للمنصور البصرة واليمن ، ومات سنة (١٦٥هـ) . الأعلام للزركلي (٨/ ١٨٩) .

لهم من النسب كما قد نص على ذلك غير واحد من أئمة العلماء كما سيأتي تفصيله وبيانه في موضعه إن شاء الله[١] .

وفي هذه السنة وقعت وحشة بين مؤنس الخادم وبين المقتدر ؛ وسبب ذلك أن نازوك أمير الشرطة وقع بينه وبين هارون بن غريب ـ وهو ابن خال المقتدر ـ فانتصر هارون على نازوك ، وشاع بين العامة أن هارون سيصير أمير الأمراء ، فبلغ ذلك مؤنس الخادم وهو بالرَّقَّة ، فأسرع الأوبة إلى بغداد ، واجتمع بالخليفة فتصالحا ، ثم إن الخليفة نقل هارون إلى دار الخلافة ، فقويت الوحشة بينهما ، وانضمَّ إلى مؤنس جماعةٌ من الأمراء ، وترددت الرسل بينهما ، وانقضت هذه السنة والأمر كذلك . وهذا كلُّه من ضعف الأمور واضطرابها ، وكثرة الفتن وانتشارها .

وفيها كان مقتل الحسن[٢] بن القاسم الدَّاعي العلوي ؛ صاحب الرَّي على يد صاحب الدَّيْلَم وسُلْطانهم يومئذٍ مَرداويج المجرم ، قبحه الله[٣] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بُنان بن محمد بن حَمْدَان بن سعيد[٤] أبو الحسن : الزَّاهد ، ويعرف بالحَمَّال .

روى الحديث عن الحسن بن عرفة ، وكان يضرب بزهده المثل ، وكانت له كرامات كثيرة . وله منزلة كبيرة عند النَّاس ، وكان لا يقبل من السُّلْطان شيئاً ، وقد أنكر يوماً على ابن طولون شيئاً من المنكرات ، وأمره بالمعروف ، فأَمَر به فألقي بين يدي الأسد ، فكان يشمّه ويحجم عنه ، فرفع من بين يديه ، وعظَّمه النَّاس جداً أكثر ما كانوا يعظمونه ، وقد سأله بعضُ النَّاس : كيف كان حالك وأنت بين يدي الأسد ، فقال : لم يكن عليَّ بأس ، وقد كنت أفكر في سُؤر السِّبَاع[٥] ، أهو طاهر أم نجس ؟

قالوا : وجاءه رجل فقال له : إن لي على رجلٍ مئة دينار ، وقد ذهبت الوثيقة ، وأنا أخشى أن ينكر ذلك الرجل ، فأسألك الدعاء[٦] فقال له : إني رجل قد كبرت[٧] . وأنا أحبُّ الحلواء ، فاذهب فاشترِ لي

---

(١) انظر ص (١١٣) من هذا الجزء .

(٢) في (ط) الحسين ، وهو تصحيف .

(٣) في (ح) ورد خبر مقتل الحسن في وفيات السنة السالفة ، والمثبت من (ب) و(ظا) و(ط) ، وعلى هذا أغلب كتب التاريخ .

(٤) طبقات الصوفية (٢٩١ ـ ٢٩٤) حلية الأولياء (١٠/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥) تاريخ بغداد (٧/ ١٠٠ ـ ١٠٢) المنتظم (٦/ ٢١٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٨٨ ـ ٤٩٠) .

(٥) في (ط) : واختلاف العلماء فيه .

(٦) في (ط) بأن يرد الله عليَّ الوثيقة .

(٧) في (ط) كبرت سني ورق عظمي .

منها رطلاً ، وأْتني به حتى أدعو لك . فذهب الرجل ، فاشترى ، ثم جاء ، ففتح الورقة ، فإذا حُجَّته بالمئة دينار . فقال له الشيخ : أهذه حُجَّتك؟ قال : نعم . قال : خذها وخذ الحلواء فأطعِمْها صبيانك[١] .

ولما توفي خرج أهل مصر في جنازته تعظيماً لشأنه ، وإكراماً له .

ومحمد بن خُرَيم[٢] ، ومحمد بن عقيل البَلْخي[٣] ، وأبو بكر بن أبي داود السِّجِسْتاني الحافظ بن الحافظ[٤] . وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق[٥] بن إبراهيم ، الإسْفَرَاييني[٦] ، صاحب « الصَّحيح »[٧] المخرَّج على مُسْلم .

وقد كان من الحُفَّاظ المكثرين ، والأئمة المشهورين .

ونَصْر الحاجب للخليفة المقتدر بالله[٨] ، وكان من خيار الأمراء ، دَيِّناً عاقلاً ، أنفق من ماله في حرب القرامطة مئة ألف دينار ، وخرج بنفسه مُحْتسباً ، فمات في أثناء الطَّريق في هذه السنة .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمئة

فيها كان خلع المقتدر وتولية القاهر محمد بن المعتضد بالله أخي المقتدر بالله .

في المحرم من هذه السنة اشتدت الوحشة بين مؤنس الخادم والخليفة ، فالتف الأمراء على مؤنس الخادم وتفاقم الحال ، وآل إلى أن اجتمعوا على خلع المقتدر بالله وتولية محمد بن المعتضد ، فبايعوه بالخلافة ، وسلَّموا عليه بها ، ولقبوه القاهر بالله ، وذلك ليلة السبت للنصف من المُحَرَّم من هذه السنة ، وقُلِّد أبو علي بن مُقْلة[٩] وزارته ، ونُهبت دار المقتدر بالله وأُخذَ منها شيء كثير ، ووجدَ

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ١٠٢) .
(٢) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) .
(٣) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤١٥ ـ ٤١٦) .
(٤) ترجمته في المنتظم (٦/ ٢١٨ ـ ٢١٩) .
(٥) تاريخ جرجان (٤٤٨) الأنساب (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) وفيات الأعيان (٦/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤١٧ ـ ٤٢١) .
(٦) ضبطت في معجم البلدان (١/ ١٧٧) بالفتح .
(٧) طبع منه الجزء الأول والثاني والرابع والخامس بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن في الهند .
(٨) المنتظم (٦/ ٢٢٠) وأخباره مبثوثة في كتب تاريخ تلك الفترة .
(٩) في (ط) علي بن مقلة ، وهو خطأ .

لأمِّ المقتدر بالله ستمئة ألف دينار ، [وكانت][١] قد دفنتها في قبر بتربتها ، فحُمِلَتْ إلى بيت المال .

وأُخرج المقتدر وأمه وخالته وخواصُّ جواريه من دار الخلافة ، وذلك بعد محاصرة دار الخلافة ، وهَرَب مَنْ كان بها من الحجبة والخدم منها ، وولي نازوك الحجوبة مضافاً إلى ما بيده من الشرطة ، وأُلزم المقتدر بأن كتب على نفسه كتاباً بالخلع من الخلافة ، وأشهد على نفسه بذلك جماعةً من الأمراء [والأعيان][٢] ، وسلَّم الكتاب إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، فقال لولده أبي الحسين[٣] : احتفظ بهذا الكتاب ، فلا ترينَّه أحداً من خلق الله . ولما أُعيد المقتدر إلى الخلافة بعد يومين ردَّه إليه ، فشكره على ذلك جداً ، وولَّاه قضاء القُضَاة .

ولما كان يوم الأحد السادس عشر من المُحرَّم جلس القاهر بالله في منصب الخلافة ، وجلس بين يديه الوزير أبو علي بن مُقْلة ، وكتب إلى العمال بالآفاق يخبرهم بولاية القاهر بالله الخلافة عوضاً عن المقتدر ، وأطلق عليَّ بن عيسى من السجن ، وزاد في إقطاع جماعةٍ من الأمراء الذين قاموا بنصره ، منهم أبو الهيجاء بن حَمْدان .

ولما كان يوم الإثنين جاء الجند ، وطلبوا أرزاقهم وشغبوا ، وسارعوا إلى نازوك فقتلوه ، وكان مخموراً ، ثم صلبوه . وهرب الوزير والحَجَبة ، ونادوا : يا مقتدر يا منصور . ولم يكن مؤنس يومئذٍ هناك ، وجاءت الجنود إلى بابه يطالبونه بالمقتدر ، فأغلق بابه ، وحاجف[٤] دونه خَدَمه . فلما رأى مؤنس أنه لابد من تسليم المقتدر إليهم أمره بالخروج ، فخاف[٥] أن يكون حيلة عليه ، ثم تجاسر فخرج ، فحمله الرجال على أعناقهم حتى أدخلوه دار الخلافة ، فسأل عن أخيه القاهر وأبي الهيجاء بن حمدان ليكتب لهما أماناً ، فما كان عن قريبٍ حتى جاءه خادم ومعه رأس أبي الهيجاء قد احتَزّه وأخرجه من بين كتفيه ، وجاء المقتدر بالله فجلس في الدست ، واستدعىٰ بالقاهر ، فأجلسه بين يديه واستدناه إليه ، وقبَّل بين عينيه ، وقال : يا أخي أنت لا ذنب لك ، وقد عَلِمْتُ أنك قهرت . والقاهر يقول : الله الله ! نفسي نفسي يا أمير المؤمنين . فقال : وحَقّ رسول الله لا جرى عليك مني سوء أبداً . وعاد ابن مقلة فكتب إلى الآفاق يعلمهم بعود المقتدر [إلى الخلافة][٦] .

وتراجعت الأمور إلى حالها الأوَّل ببغداد ، واستقر المقتدر في الخلافة ، وحُمِلَ رأس نازوك

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) . وفيها : وأخذوا لأم المقتدر خمسمئة ألف دينار .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ط) الحسين ، وهو خطأ .
(٤) أي دافع . اللسان (حجف) .
(٥) في (ط) : فخاف المقتدر .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

وأبي الهيجاء بن حمدان فنودي عليهما : هذا رأس من عصى مولاه ، وهَرَبَ أبو السَّرايا بن حَمْدان إلى المَوْصل ، وكان ابن نفيس من أَشَدِّ النَّاس على المقتدر ، فلما عاد إلى الخلافة خرج من بغداد متنكراً فدخل المَوْصل ، ثم صار إلى إرْمينيَة ، ثم لحق بمدينة القُسْطَنْطينيَّة ، فتنصَّرَ [بها][1] مع أهلها لعنه الله وإياهم . وأما مُؤْنس فإنه لم يكن في الباطن على المقتدر ، وإنما وافق جماعة الأمراء مكرهاً ، ولهذا لما أودع المقتدر في داره لم ينله منه سوء ، بل كان يطيِّبُ قلبه ، ولو شاء لقتله لما طُلب من داره . فلهذا لما عاد [المقتدر][2] إلى الخلافة رجع إلى دار مؤنس فبات [بها][3] عنده لثقته به . وقرَّر أبا علي بن مقلة على الوزارة ، وولَّى محمد بن يوسف أبا عمر قضاءالقضاة ، وجعل محمداً أخاه ـ وهو القاهر بالله ـ عند والدته بصفة محبوس[4] عندها ، فكانت تحسن إليه غاية الإحسان ، وتشتري له السَّراري ، وتكرمه غاية الإكرام .

ذِكْرُ أخْذِ القرامطة الحجر الأسْود إلى بلادهم
وما كان منهم إلى الحجيج ، لعن الله القرامطة

خرج ركب العراق وأميرهم مَنْصور الدَّيْلَمي ، فوصلوا إلى مكة سالمين ، وتوافت الركوب من كلِّ جانب[5] ، فما شعروا إلا بالقِرْمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية ، فانتهب أموالهم ، واستباح قتالهم ، فقتل النَّاس في رحاب مكة وشعابها حتى في المسجد الحرام ، وفي جَوْف الكعبة ، وجلس أميرهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي لعنه الله على باب الكعبة ، والرجال تصرع حوله ، [والسيوف تعمل في الناس][6] في المسجد الحرام في الشهر الحرام ثم في يوم التروية ، الذي هو من أشرف الأيام ، وهو يقول :

أنــا بــالله وبــالله أنــا يخلـق الخَلْـق وأُفنيهـم أنـا

فكان النَّاس يفرون [منهم][7] فيتعلَّقون بأستار الكعبة ، فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً ، [بل][8]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في النسخ الخطية : بصفته محتبس عندها ، والمثبت من (ط) .
(٥) في (ط) : وتوافت الركوب هناك من كل مكان وجانب وفج .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

يقتلون وهم كذلك ، ويطوفون فيقتلوه في الطَّواف ، وقد كان بعض أهل الحديث يومئذٍ يطوف ، فلما قضى طوافه أخذته السُّيوف ، فلمّا وَجَبَ[(١)] إلى الأرض أنشد وهو كذلك :

ترى المحبّينَ صَرعى في ديارِهُمُ   كِفِتْيةِ الكهفِ لا يدرُونَ كم لبثوا

ثم أمر[(٢)] القِرْمِطِي أن يُدْفن القتلى في بئر زمزم ، ودُفن كثير منهم في أماكنهم من الحرم حتى في المسجد الحرام ، ويا حَبَّذا تلك القتلة وتلك الضجعة[(٣)] . ولم يُغسلوا ولم يكفنوا ، ولم يُصَلِّ عليهم ، لأنهم [مُحْرِمون][(٤)] شهداء في نفس الأمر ومن خيار الشهداء . وهَدَمَ قبة زمزم ، وأمر بِقَلْعِ باب الكعبة ، ونَزَعَ كسوتها عنها ، وشققها بين أصحابه ، وأمر رجلاً أن يصعد على ميزاب الكعبة ، فأراد ذلك الرجل أن يقتلعه من موضعه ، فسقط على أُمِّ رأسه ، فمات لعنه الله ، وصار إلى أمه الهاوية ، فانكفَّ اللعين عند ذلك عن الميزاب ، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود ، وجاءه رجل فضرب الحجر بمثقَّل في يده وقال : أين الطير الأبابيل ؟ أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود ـ شرفه الله وكرمه وعظمه ـ وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم ، فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة حتى ردّوه كما سنذكره في موضعه في سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثمئة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولما رجع إلى بلاده تبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده ، وسأله وتشفع إليه في أن يرد الحجر [الأسود][(٥)] ليوضع في مكانه ، وبذل له جميع ما عنده من الأموال ، فلم يفعل ، فقاتله أمير مكة ، فقتله القِرْمِطِي ، وقتل أكثر أهله وجُنْده ، واستمر ذاهباً إلى بلاده لعنه الله ومعه الحجر وأموال الحجيج . وقد ألحد [هذا اللعين][(٦)] في المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ، ولا يلحقه فيه أحد ، وسيجازيه على ذلك الذي ﴿ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [الفجر : ٢٥ ـ ٢٦] .

وإنما حمل هؤلاء على هذا الصَّنيع لأنهم كانوا كفاراً زنادقة ، وقد كانوا ممالئين للفاطميين الذين نبغوا في هذه السنين ببلاد إفريقية من أرض المغرب ، ويلقب أميرهم بالمهدي ، وهو أبو محمد عُبَيد الله بن ميمون القَدَّاح ، وقد كان صباغاً بسَلَمْيَة[(٧)] ، [وكان][(٨)] يهودياً ، فادعى أنه أسلم ، ثم سار منها فصار

---

(١) أي سقط . اللسان (وجب) .
(٢) في (ط) : فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره ، وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة أمر . .
(٣) في (ط) وذلك المدفن والمكان .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) قال ياقوت : وأهل الشام يقولون : سَلَمِيَّة ، وهي بلد من أعمال حمص معجم البلدان (٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) وفي (ط) : صباغاً .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

إلى بلاد إفريقية ، فادعى أنه شريف فاطميٌّ ، فصدَّقه على ذلك طائفةٌ كثيرة من البربر وغيرهم من الجهلة ، وصارت له دولة ، فملك مدينة سِجِلْمَاسةَ[١] ، ثم ابتنى مدينةً وسماها المَهْدية ، فكان قرار ملكه بها ، وكان هؤلاء القرامطة يراسلونه ويدعون إليه ، ويترامون عليه ، ويقال : إنهم إنما كانوا يفعلون ذلك سياسة ودولة لا حقيقة له[٢] .

وذكر ابنُ الأثير أن المهديَّ كتب إلى أبي طاهر القِرْمطي يلومه على فعله بمكة ، حيث سلَّط النَّاس على الكلام في عرضهم ، وانكشفت أسرارهم التي كانوا يبطنونها بما ظهر من صنيعهم هذا القبيح ، وأمره برَدِّ ما أخذ منها ، وعَوْده إليها . فكتب إليه بالسَّمْعِ والطاعة ، وأنه قد قبل ما أشار به من ذلك[٣] .

وقد أُسر بعض أهل الحديث في أيدي هؤلاء القرامطة لعنهم الله[٤] ؛ ثم فرَّج الله عنه ، فكان يحكي[٥] أن الذي أسره كان يستخدمه [في][٦] أشق الخدمة وأشدها ، وأنه كان يعربد عليه إذا سكر . فقال لي ذات ليلة وهو سكران : ما تقول في محمدكم ؟ فقلت : لا أدري . فقال : كان رجلاً سائساً . ثم قال : ما تقول في أبي بكر؟ فقلت : لا أدري . فقال : كان ضعيفاً مهيناً . وكان عمر فظاً غليظاً . وكان عثمان جاهلاً أحمق . وكان عليٌّ ممخرقاً ، أليس[٧] كان عنده أحد يعلمه ما ادَّعى أن في صدره من العِلْم ؟ أما كان يمكنه أن يعلِّم هذا كلمة وهذا كلمة ؟ ثم قال : هذا كله مخرقة . فلما كان الغد قال لي : لا تخبر بهذا الذي قلت لك أحداً . رواه ابن الجَوْزي في « منتظمه »[٨] .

وروي عن بعضهم [أنه][٩] قال : كنت في المسجد الحرام يوم اقتلع الحجر الأسودُ[١٠] ، إذ دخل رجل وهو سكران ، راكب على فرس ، فصفر لها حتى بالت في المسجد الحرام في مكان الطواف ، ثم حمل على رجلٍ كان إلى جانبي فقتله ، ثم نادىٰ بأعلى صوته : يا حمير[١١] ، أليس قلتم في بيتكم هذا ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] فأين الأمن ؟ فقلت له : أتسمع

---

(١) مدينة في جنوب المغرب ، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب . معجم البلدان (٣/ ١٩٢) .
(٢) سترد ترجمة المهدي في وفيات سنة (٣٢٢هـ) .
(٣) الكامل (٨/ ٢٠٨) .
(٤) في (ط) : فمكث في أيديهم مدة .
(٥) في (ط) : يحكى عنهم عجائب من قلة عقولهم وعدم دينهم ، وأن . . .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) في (ط) ليس ، وهو خطأ .
(٨) المنتظم (٦/ ٢٢٤) .
(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٠) في (ط) كنت في المسجد الحرام يوم التروية في مكان الطواف ، فحمل على رجل كان إلى جانبي فقتله القرمطي .
(١١) في (ط) : ورفع صوته بذلك .

جواباً ؟ قال : نعم . قلت : إنما أراد الله : فأمّنوه . قال : فثنى رأس فرسه ، وانصرف[١] .

وقد سأل بعضهم هاهنا سؤالاً ، فقال : قد أحلَّ الله عزَّ وجلَّ بأصحاب الفيل ـ وكانوا نصارى وهؤلاء شرٌّ منهم ـ ما ذكره في كتابه العزيز حيث يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[٢] [الفيل : ١ ـ ٥] ومعلوم أن القرامطة شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس ، بل ومن عَبَدَةِ الأصنام[٣] ، فهلا عوجلوا بالعقوبة كما عوجل أصحاب الفيل ؟

وقد أجيب عن ذلك بأن أصحاب الفيل إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت الحرام ، لما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبي الكريم من البلد الذي كان هذا البيت فيه ، ليُعْلَم شرف هذا الرسول الكريم الذي هو خاتم الأنبياء ، فلما أراد إهانة هذه البقعة التي يراد تشريفها عما قريب أهلكهم الله ، سريعاً عاجلاً غير آجل كما ذكر في كتابه[٤] . وأما هؤلاء فكان من أمرهم ما كان بعد تقرر الشَّرائع وتمهيد القواعد ، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة ، وكل مؤمنٍ يعلم أن هؤلاء[٥] من أكبر الملحدين الكافرين ، بما تبين من كتاب الله وسنَّة رسوله ، فلهذا لم يحتج الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة ، بل أخَّرهُمُ الرَّبُّ جل جلاله ليومٍ تشخص فيه الأبصار ، والله سبحانه وتعالى يمهل ويملي ويستدرج ، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ، كما قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليملي للظَّالم حتى إذا أخذه لم يفلته »[٦] ، ثم قرأ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] وقال رسول الله ﷺ : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم »[٧] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] وقال تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٩٦ ـ ١٩٧] وقال تعالى : ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان : ٢٤] . وقال : ﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس : ٧٠] .

وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المَرُّوذي الحَنْبلي[٨] ، وبين طائفة من العامة ، اختلفوا

---

(١) المنتظم (٦/ ٢٢٣) .

(٢) في (ط) : ولم يفعلوا بمكة شيئاً مما فعله هؤلاء .

(٣) في (ط) : وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعله أحد .

(٤) في (ط) : ولم يكن شرائع مقررة تدل على فضله ، فلو دخلوه وأخربوه لأنكرت القلوب فضله .

(٥) في (ط) : قد ألحدوا في الحرم إلحاداً بالغاً عظيماً ، وأنهم من أكبر .

(٦) هو في صحيح البخاري (٤٤٠٩) في التفسير ، وصحيح مسلم (٢٥٨٣) في البر والصلة .

(٧) صحيح مسلم (٢٨٠٤/ ٥٠) في صفة الجنة .

(٨) سلفت ترجمة أبي بكر في وفيات سنة (٢٧٥هـ) من هذا الكتاب .

في تفسير قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] . فقال الحنابلة : يجلسه معه على العرش . وقال الآخرون : المراد بذلك الشَّفاعة العُظْمى ، فاقتتلوا بسبب ذلك ، وقتل بينهم قتلى ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . وقد ثبت في « صحيح » البخاري[١] أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى ، يشفع عند الله عزَّ وجلَّ في أن يأتي لفصل القضاء بين عباده ، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم ، حتى إبراهيم الخليل ، ويغبطه به الأوَّلون والآخرون .

وفيها وقعت فتنة بالمَوْصل بين العامة فيما يتعلق بأمر المعاش ، وانتشرت ، وكثر أهل الشر [فيها][٢] واستظهروا ، وجرت بينهم شرور ثم سكنت[٣] .

وفيها وقعت فتنة ببلاد خُرَاسان بين بني سامان[٤] وأخيهم[٥] نصر بن أحمد الملقب السَّعيد[٦] .

وخرج في شعبان خارجيٌّ بالمَوْصِل ، وخرج آخر بالبوازيج[٧] ، فقاتلهم أهل تلك الناحية حتى سكن شَرُّهم وتفرق أصحابهم[٨] .

وفيها التقى مفلح السَّاجي وملك الرُّوم الدُّمُسْتق ، فهزمه مفلح ، وطرد وراءه إلى أرض الروم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، ولله الحمد .

وفيها هبت ريح شديدة ببغداد تحمل رماداً أحمر يشبه رمل أرض الحجاز ، فامتلأت منه البيوت .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن الحسن[٩] [بن العباس][١٠] بن الفرج[١١] بن شُقَيْر[١٢] ، أبو بكر النَّحْوي .

---

(١) حديث الشفاعة في صحيح البخاري (٤٤٣٥) في التفسير ، وصحيح مسلم (١٩٤) في الإيمان .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٨/ ٢١٢ ـ ٢١٣) .

(٤) في (ط) ساسان ، وهو تصحيف .

(٥) من (ط) وأميرهم ، وهو تحريف .

(٦) الكامل (٨/ ٢٠٨ ـ ٢١٢) .

(٧) البواريج ـ بالراء المهملة ـ وهو تصحيف . والبوازيج : بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل ، حيث يصب في دجلة . معجم البلدان (١/ ٥٠٣) .

(٨) الكامل (٨/ ٢١٤) وسيأتي خبره في أحداث سنة (٣١٨هـ) .

(٩) في معجم الأدباء (٣/ ١١) الحسين ، وهو تحريف .

(١٠) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد (٤/ ٨٩) .

(١١) تاريخ بغداد (٤/ ٨٩) نزهة الألباء (١٧١ ـ ١٧٢) معجم الأدباء (٣/ ١١) إنباه الرواة (١/ ٣٤ ـ ٣٥) تاج العروس (شقر) .

(١٢) في (ط) و(ح) سفيان ، وهو تحريف .

كان عالماً بمذهب الكوفيين ، وله فيه تصانيف .

أحمد بن مهدي بن رستم[(١)] : العابد الزَّاهد ، أنفق في طلب العِلْم ثلاثمئة ألف دِرْهم ، ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش ، وقد روى الحافظ أبو نُعَيْم بسنده عنه أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له : إني قد امتحنت بمحنة ؛ أكرهت على الزِّنا وأنا حُبْلى منه ، وقد تسترتُ بك ، وزعمت أنك زَوْجي ، وأن هذا الحَمْل منك ، فاسترني سَتَرَك الله ولا تفضحني . فسكت عنها ، فلما وضعت جاءني أهل المحلَّة وإمام مسجدهم يهنئونني بالولد ، فأظهرت البِشْر ، وبعثت فاشتريت بدينارين شيئاً حلواً [وأطعمتهم][(٢)] ، وجَعلت أرسل إليها مع إمام المسجد كل شهر دينارين صفة نفقة الولد ، [وأقول : اقرئها مني السَّلام ، فإنه قد سبق مني ما فَرَّق بيني وبينها][(٣)] . فمكثت كذلك سنتين ، ثم مات المولود ، فجاؤوني يعزونني فيه ، فأظهرت التغمم والحزن عليه ، فجاءتني المرأة بالدَّنانير التي كنت أرسل بها إليها [نفقة الولد][(٤)] ، قد جمعتها [في صرة][(٥)] عندها [فقالت لي : سترك الله وجزاك خيراً ، وهذه الدنانير التي كنت ترسل بها][(٦)] فقلت : يا هذه إني إنما كنت أرسل بها صِلَةً للولد [وقد مات وأنت ترثينه][(٧)] ، فخذيها ، فافعلي بها ما شئت . [فدعت ، وانصرفت][(٨)] .

بَدْر بن الهَيْثم[(٩)] بن خَلَف بن خالد بن راشد بن الضَّحَّاك بن النُّعْمان [بن محرق بن النعمان بن المنذر][(١٠)] أبو القاسم ، اللَّخْمي[(١١)] ، القاضي ، الكوفي .

نزل بغداد ، وحدَّث بها عن أبي كُرَيب وغيره . وكان سماعُه للحديث بعدما جاوز أربعين سنة ، وكان ثِقَةً نبيلاً ، عاش مئة سنة وسبع عشرة سنة .

وكانت وفاته في شوال من هذه السنة بالكوفة .

---

(١) في (ط) رميم ، وهو تحريف وترجمته في حلية الأولياء (١٠/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧) المنتظم (٦/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٢٦) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٩) تاريخ بغداد (٧/ ١٠٧ ـ ١٠٨) المنتظم (٦/ ٢٢٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٠ ـ ٥٣١) .

(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .

(١١) في (ط) البلخي ، وهو تحريف .

عبد الله بن محمَّد بن عبد العزيز[١] بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهِنْشاه ، أبو القاسم ، البَغَوي[٢] ، ويعرف بابن بنت مَنيع .

ولد سنة ثلاث عشرة ، وقيل أربع عشرة ومئتين .

ورأى أبا عبيد [القاسم بن سلام][٣] ولم يسمع منه ، وسمع من أحمد [بن حنبل][٤] ، وعليِّ بن المَديني ، ويحيى بن معين ، وعلي بن الجَعْد ، وخَلَف بن هشام البَزَّار ، وخَلْق .

وكان معه جُزْءٌ فيه سماعه من ابن معين ، فأخذه منه موسى بن هارون الحافظ ، فرماه في دِجلة ، وقال : تريد أن تجمع بين الثلاثة ؟ وقد تفرَّد عن سبعة وثمانين شيخاً ، وكان ثِقَةً حافظاً ضابطاً ، روى عنه الحُفَّاظ ، وله مصنَّفات .

قال موسى بن هارون الحافظ : كان ابن بنت منيع ثقة صدوقاً ، فقيل له : إن هاهنا ناساً يتكلَّمون فيه . فقال : يحسدونه ، ابن بنت منيع لا يقول إلا الحق .

وقال ابن أبي حاتم وغيره : [أحاديثه][٥] تدخل في الصَّحيح .

وقال الدَّارقطني : كان البغوي قلَّما يتكلَّم على الحديث ، فإذا تكلَّم كان كلامه كالمِسْمار في السَّاج .

وقد ذكره ابن عديٍّ في « كامله » ، فتكلَّم فيه ، وقال : حَدَّث بأشياء أُنكرت عليه ، وكان معه طرف من معرفة الحديث والتَّصانيف .

وقد انتدب ابن الجَوْزي للردِّ على ابن عَدِيٍّ في هذا الكلام ، وذَكَرَ أنَّه توفِّي ليلة عيد الفِطْر من هذه السنة ، وقد استكمل مئة سنة وثلاث سنين وشهوراً ، وهو مع ذلك صحيح السَّمْع والبَصَر والأسنان ، يطأ الإماء[٦] .

وكانت وفاته ببغداد ، ودُفِن بمقبرة باب التِّبْن ، رحمه الله وأكرمَ مثواه .

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١١١ ـ ١١٧) طبقات الحنابلة (١/ ١٩٠ ـ ١٩٢) الأنساب (٢/ ٢٥٥) المنتظم (٦/ ٢٢٧ ـ ٢٣٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٤٠ ـ ٤٥٦) .

(٢) قيل له البغوي لأن جده أحمد بن منيع أصله من بغ ، أما هو فقد ولد ببغداد ، وبها نشأ . الأنساب (٢/ ٢٥٥) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) المنتظم (٦/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

محمد بن أبي الحسين [أحمد][١] بن محمد بن عمَّار[٢] : الشَّهيد الحافظ ، أبو الفَضْل الهَرَوي ، ويُعْرَف بابن أبي سَعْد[٣] .

قَدِمَ بغداد ، وحدَّث بها عن محمد بن عبد الله الأنْصاري .

وحدَّث عنه ابنُ المُظَفَّر الحافظ .

وكان من الثِّقات الأثبات الحُفَّاظ المتقنين ، له مناقشاتٌ على بضعة عشر حديثاً من « صحيح مُسْلم » .

قتلته القرامطة يوم التَّرْوية بمكة في هذه السَّنة في جُمْلة منْ قَتَلوا ، رحمه الله وأكرم مثواه ، وجعل جنات الفِرْدوس منقلبه ومثواه .

الكَعْبيُّ المُتَكَلِّم[٤] : هو أبو القاسم ، عبد الله بنُ أحمدَ بن محمود ، البَلْخي ، الكَعْبي ، المتكلِّم[٥] ، نسبةً إلى بني كعب ؛ أحد مشايخ المُعْتزلة ، وهو الذي تنسب إليه الطائفة الكَعْبية منهم .

قال القاضي ابن خَلِّكان : وكان من كبار المتكلِّمين ، وله اختياراتٌ في عِلْم الكلام ؛ من ذلك أنه كان يزعم أن أفعال الله تعالى تقع بلا اختيار ولا مشيئة[٦] .

هكذا أورده عنه .

قلت : وقد خالف الكَعْبيُّ نَصَّ القرآن في غير ما موضع منه . قال الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] . وقال : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام : ١١٢] وقال : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة : ١٣] وقال : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] إلى غير ذلك مما هو معلوم بالضرورة بصريح العقل وصحيح الشرع .

---

(١) في النسخ الخطية محمد بن الحسين ، وهو وهم ، وما بين حاصرتين من سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٩) .

(٢) في (ط) عثمان ، وهو تحريف . وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٨/ ٥٤٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٣٤ ـ ٨٣٥) العبر (٢/ ١٦٩) طبقات الحفاظ (٣٤٧) .

(٣) هو جده لأمه يحيى بن منصور الزاهد الهروي ، المتوفى سنة (٢٨٧هـ) وقيل سنة (٢٩٢هـ) ترجمته في تاريخ بغداد (١٤/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) والعبر (٢/ ٨٠ ، ٩٤) وفيه أبو سعيد ، وهو تصحيف .

(٤) الفرق بين الفرق (١٦٥ ـ ١٦٧) تاريخ بغداد (٩/ ٣٨٤) الملل والنحل (١/ ٧٦ ـ ٧٨) الأنساب (١٠/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥) المنتظم (٦/ ٢٣٨) وفيات الأعيان (٣/ ٤٥) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣ ، ١٥/ ٢٥٥) طبقات المعتزلة (٨٨ ـ ٨٩) .

(٥) ثمة اختلاف بين المؤرخين في سنة وفاته ، أغلب المصادر على أنها سنة (٣١٩هـ) ، وصححها الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣) على أنها سنة (٣٢٩هـ) ، وذكر ابن خلكان وفاته سنة (٣١٧هـ) ، وتابعه على ذلك ابن كثير هنا .

(٦) وفيات الأعيان (٣/ ٤٥) .

ثم دخلت سنة ثماني عشرة وثلاثمئة

فيها عزل الخليفة المقتدر بالله وزيره أبا علي بن مُقْلة ، فكانت مُدَّة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، واستوزر مكانه سليمان بن الحسن بن مَخْلَد ، وجعل عليَّ بن عيسى ناظراً معه .

وفي جُمادى الأولى منها أُحرقت دار أبي علي بن مقلة ، وكان قد أنفقَ عليها مئةَ ألفِ دينار ، فانتهبَ النَّاس أخشابها وما وجدوا فيها منْ حديدٍ ورصاصٍ وغير ذلك ، وصادره الخليفة بمئتي ألف دينار .

وفيها طرد الخليفة الرَّجَّالة الذين كانوا بدار الخلافة عن بغداد ؛ وذلك أنهم لما ردُّوا المقتدر إلى الخلافة شرعوا يَنْفِسُون بكلامٍ كثير عليهم[١] ، يقولون : منْ أعان ظالماً سُلِّط عليه . ومن أصعد الحمار إلى السطح [لم][٢] يقدر ينزله . فأمر بإخراجهم عن بغداد ، ومن أقام منهم عوقب . فأُحرقت دورٌ كثيرة من أقربائهم ، واحترق بعض نسائهم وأولادهم ، فخرجوا منها في غاية الإهانة ، فنزلوا واسط ، وتغلَّبوا عليها ، وأخرجوا عامِلَها [منها][٣] ، فركب إليهم مؤنسٌ الخادم ، فأوقع بهم بأساً شديداً ، وقتل منهم خَلْقاً كثيراً ، فلم يقم لهم بعد ذلك رايةٌ[٤] .

وفي ربيع الأول منها عَزَلَ الخليفة ناصرَ الدَّوْلة بنَ حمدان عن المَوْصل ، وولَّى عليها عمَّيْه سعيداً ونصراً ابني حمدان ، وولَّاه ديار ربيعة : نَصِيبين وسِنْجار والخابور ورأس العين ، ومعه مَيَّافارقين وأرْزَن ، ضمن ذلك من الخليفة بمالٍ يحمله [إليه][٥] في كل سنة .

وفي جمادى الأولى خرج رجل ببلاد البوازيج يقال له صالح بن محمود ، فاجتمع عليه جماعةٌ من بني مالك ، ثم سار إلى سِنْجار فحاصرها ، فدخلها ، وأخذ شيئاً كثيراً من أموالها ، وخطب بهاخطبة ، وعظ وذكر وحذر ، فقال في جملة ما قال : نتولَّى الشَّيْخين ، ونبرأُ من الخبيثين[٦] ، ولا نرى المسحَ على الخُفَّين . ثم سار فعاث في الأرض فساداً ، فانْتُدبَ له نصر بن حمدان فقاتله ، فَأُسر صالح بن محمود هذا ومعه ابنان له ، فحمل إلى بغداد ، فدخلها وقد أُشهر شهرة فظيعة[٧] .

---

(١) في (ط) عليه ، وهو تصحيف .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في (ط) قائمة .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في النسخ الخطية و(ط) الحسين ، وهو تحريف ، والمثبت من الكامل لابن الأثير (٨/ ٢٢٠) .
(٧) سلفت نتف من أخباره في أحداث سنة (٣١٧هـ) .

وخرج آخر ببلاد المَوْصل ، فاتَّبعه ألف رجل ، فحاصر أهل نَصِيبين ، فخرجوا إليه ، فاقتتلوا معه ، فَقَتَلَ منهم مئة وأسر ألفاً ، ثم باعهم من نفوسهم ، وصادر أهلها بأربعمئة ألف دِرْهم ، فانْتُدبَ له ناصر الدولة بن حمدان فقاتله ، فظفر به ، فأسره وسيره إلى بغداد أيضاً ، ولله الحمد .

وفيها خلع الخليفة على ابنه هارون ، وركب معه الوزير والجيش ، وأعطاه نيابة فارس وكَرْمان وسِجِسْتان ومُكْرَان[1] ، وخلع على ابنه أبي العَبَّاس الرَّاضي ، وجَعَله نائب بلاد المغرب ومِصْر والشَّام ، ويكون مؤنس الخادم يَسُدُّ عنه أمورها .

وحجَّ بالنَّاس في هذه السنة عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمي ، وخرج الحجيج بخُفَارة وبَذْرَقَةٍ[2] حتى سلموا في الذهاب والإياب من القرامطة ، ولله الحمد .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن إسحاق[3] بن البُهْلول بن حَسَّان بن سِنَان[4] : أبو جعفر ، التَّنُوخي ، القاضي ، الحَنَفي ، العَدْل الثِّقة ، الرِّضى .

وكان فقيهاً ثقة نبيلاً ، سمع الحديث الكثير ، وورى عن أبي كُرَيب حديثاً واحداً ، وكان عالماً بالنَّحْو ، فصيحَ العِبارة ، جَيِّدَ الشِّعْر ، محموداً في الأحكام .

اتفق أن السيدة أُمَّ المقتدر وقفت وقفاً ، وجعل الحاكم هذا عنده نسخة في سلة الحكم ، ثم أرادتْ أن تنقض ذلك الوقف ، فطلبت الحاكم وأن يُحْضِرَ معه كتاب الوقف لتأخذه منه فتعدمه ، فلما حَضَرَ من وراء الستارة فَهِمَ المقصود فقال لها : لا يمكن هذا ، لأني خازن المسلمين ، فإما أن تعزلوني عن القضاء وتولّوا على هذا غيري ، وإما أن تتركوا هذا الذي تريدونه ، فلا سبيل إليه . فشكته إلى ولدها المقتدر ، فشفع عنده المقتدر بذلك ، فذكر له صورة الحال . فرجع إلى أُمه فقال : إن هذا الرجل ممن يُرغب فيه ، ولا سبيل إلى عزله والتلاعب به . فرضيت السيدة عنه ، وبعثت تشكره على ما صنع من ذلك . فقال : من قَدَّم أمر الله على أمر العباد كفاه الله شرَّهم[5] ، [ورزقه خيرهم][6] .

---

(١) في (ط) ومكرمات ، وهو تحريف .

(٢) البذرقة تعني أيضاً الخفارة ، فارسي معرب . اللسان (بذرق) .

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٣٠ ـ ٣٤) نزهة الألباء (١٧٢ ـ ١٧٥) المنتظم (٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٤) معجم الأدباء (٢/ ١٣٨ ـ ١٦١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٩٧ ـ ٥٠٠) .

(٤) في (ط) ابن أبي سنان ، وهو خطأ .

(٥) المنتظم (٦/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

كانت وفاته في هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين .

يحيى بن محمد بن صاعد[١] : أبو محمد ، مولى أبي جعفر المنصور .

رحل في طلب الحديث ، وكتب وَسَمِعَ وحفظ ، وكان من كبار الحُفَّاظ ، وشيوخ الرُّواة ، وكتب عنه جماعة من الأكابر ، وله تصانيف تَدُلُّ على حفظه وفقهه وفهمه .

وكانت وفاته ببغداد ، ودُفن بباب الكوفة في هذه السنة ، وله تسعون[٢] سنة .

الحسن بن علي بن أحمد[٣] **بن بشَّار بن زياد** : المعروف بابن العلاف ، الضَّرير ، النَّهْرواني ، الشَّاعر المشهور .

كان أحد سُمَّار الخليفة المعتضد بالله ، وله مَرْثَاة طَنَّانة في هِرٍّ له ، قتله جيرانه لأنه أكل فراخ الحمام من أبراجهم ، وفيها آداب ورِقَّة ، ويقال : إنه أراد بها رثاء ابن المعتز[٤] ، لكنه لم يتجاسر أن ينسبها إليه من الخليفة المقتدر بالله حين قتله . وأولها :

يـا هِـرُّ فـارقْتَنَـا ولـم تَعُـدِ وكُنْـتَ عِنْـدي بِمَنْـزِلِ الـوَلَـدِ

وهي خمسة وستون بيتاً .

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمئة

في المحرم من السنة دخل الحجيج إلى بغداد ، وقد خرج مؤنس الخادم للحج في هذه السنة في جيشٍ كثيف ، خوفاً من القرامطة ، ففرح المسلمون بذلك ، وزينت بغداد يومئذٍ ، وضربت الخيام والقباب لمؤنس الخادم ، وقد بلغ مؤنس الخادم في أثناء الطريق أن القرامطة أمامه ، فعدل بالناس عن جادة

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٤) المنتظم (٦/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٧٦ ـ ٧٧٨) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٠١ـ ٥٠٦) .

(٢) في (ط) سبعون ، وهو تصحيف .

(٣) تاريخ بغداد (٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) الأنساب (٩/ ٩٥ ـ ٩٦) المنتظم (٦/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) وفيات الأعيان (٢/ ١٠٧ ـ ١١١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥١٤ـ ٥١٨) .

(٤) وقيل : إنما كنى بالهر عن المحسن بن الفرات أيام محنته ، وذُكر أيضاً أنها في غلام أبي بكر الذي قتل لأنه هوي جارية لعلي بن عيسى . وفيات الأعيان (٢/١٠٨ ـ ١٠٩) وفيه مقاطع من القصيدة ، وأيضاً سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥١٥ ـ ٥١٨) وقال الصفدي في نكت الهميان (١٤٢) : وأنا شديد التعجب ممن يزعم أن هذه القصيدة رثا بها غير هر .

الطريق ، فأخذ بهم في شعاب وأودية ، فتاهوا هنالك أياماً ، فشاهد النَّاس هنالك عجائب ، وغرائب ورأَوْا عظاماً في غاية الضخامة ، وشاهدوا أناساً قد مُسخوا حجارة ، ورأى بعضهم امرأةً واقفة على تَنُّور [تَخبز فيه][١] قد مُسِخت حجراً ، والتَّـنُّور قد صار حجـراً . وحمل مؤنسٌ من ذلك شيئاً كثيراً إلى الحضرة ليصدق ما يخبر به من ذلك . ذكره ابنُ الجَوْزي في « منتظمه » . فيقال : إنهم مِنْ قَوْمِ عاد أو ثمود[٢] .

وفيها عزل المقتدر سليمان بن الحسن الوزير بعد سنة وشهرين وتسعة أيام ، واستوزر مكانه أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكَلْوَذاني ، ثم عزله بعد شهرين وثلاثة أيام ، واستوزر الحسين بن القاسم ، ثم عزله أيضاً .

وفيها وقعت وحشة بين الخليفة ومؤنس الخادم ؛ بسبب أن الخليفة ولّى الحِسْبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت ، وكان أميراً على الشرطة أيضاً . فقال مؤنس : إن الحسبة لا يتولَّاها إلا القضاة والعدول ، وهذا لا يصلح لها . ولم يزل بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة أيضاً ، وانصلح الحال بينهما . ثم تجدَّدتِ الوحشة بينهما في ذي الحِجَّة من هذه السنة ، وما زالت تتزايد حتى آل الحال إلى قتل المقتدر بالله كما سنذكره[٣] .

وفي هذه السنة أوقع ثَـمَل متولي طَرَسُوس بالرُّوم وقعةً عظيمة جداً ، قتل منهم خَلْقاً كثيراً ، وأسر نحواً من ثلاثة آلاف ، وغنم من الذهب والفضة والدِّيباج شيئاً كثيراً جداً ، ثم أوقع بهم مَرَّة ثانية كذلك .

وكتب ابن الدَّيراني الأرمني إلى الرُّوم يحضُّهم على الدُّخول إلى بلاد الإسلام ، ووعَدَهُمْ منه النَّصْر والإعانة ، فدخلوا في جحافلَ كثيرة جداً ، وانضاف إليهم الأرْمني ، فركب إليهم مفلح غلام يوسف بن أبي السَّاج وهو يومئذ نائب أذْرَبيجَان ، واتبعه خَلْقٌ كثير من المطَّوِّعة ، فقصد أولاً بلاد ابن الدَّيْراني ، فقتل من الأرْمَن نحواً من مئة ألف ، وأسر خَلْقاً كثيراً ، وغنم أموالاً جزيلة جداً ، وتحصَّن ابن الدَّيْراني بقلعة له هنالك ، وكاتَب[٤] الرُّومَ ، فوصلوا إلى سُمَيْساط فحاصروها ، فبعثوا يستصرخون بسعيد بن حمدان ؛ نائب المَوْصل ، فسار إليهم مسرعاً ، فوجدَ الرُّوم قد كادوا يفتحونها ، فلما عَلِموا بقدومه أجلوا عنها ، واجتازوا بمَلَطْية فانتهبوها ، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم ، ومعهم ابن نفيس الذي كان قد تنصر

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) المنتظم (٦/ ٢٣٦) وفي (ط) : من قوم عاد أو من قوم شعيب أو من ثمود ، فالله أعلم .
(٣) انظر أحداث سنة (٣٢٠هـ) .
(٤) في (ح) : وجاءت .

معهم ، وقد كان من أهْلِ بغداد قبل ذلك كما ذكرناه قبل . وركب ابن حمدان في آثار الرُّوم ، فدخل بلادهم ، فقتل خلقاً كثيراً منهم [وأسر][١] وغَنِمَ أشياء كثيرة أيضاً .

قال ابنُ الأثير : وفي هذه السنة في شوال منها جاء سَيْلٌ [عظيم][٢] إلى تكريت ارتفع في أسواقها أربعة عشر شبراً ، وغرق بسببه أربعمئة دار ، وخَلْقٌ لا يعلمهم إلا الله ، حتى كان المسلمون والنصارى يُدْفنون جميعاً ، لا يعرف هذا من هذا[٣] .

قال : وفيها هاجت بالمَوْصل ريحٌ فيها حمرة ، ثم اسْوَدَّت حتى كان الإنسان لا يبصر صاحبه [نهاراً][٤] ، وظَنَّ النَّاس أن القيامة قد قامت ، ثم انجلى ذلك بمطرٍ أرسله الله عليهم[٥] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الحسين بن الحسين بن عبد الرحمن[٦] : أبو عبد الله الأنْطاكي ، قاضي ثغور الشَّام ، ويُعْرف بابن الصَّابوني ، وكان ثِقَةً نبيلاً ، قَدِمَ بغداد ، وحدَّث بها .

علي بن الحسين بن حَرْب بن عيسى[٧] : أبو عبيد بن حَرْبَوَيْه القاضي بمصر مُدَّة طويلة جداً .

وكان ثِقَةً عالماً جليلاً ، من خيار القُضَاة وأعدلهم ، وكان يتفقه على مذهب أبي ثور[٨] ، وقد ذكرناه في « طبقات الشافعية » بما فيه مقنع وكفاية ، وقد استعفى عن القضاء ، فعزل عنه في سنة إحدى عشرة وثلاثمئة ، ورجع إلى بغداد ، فأقام بها حتى مات بها في هذه السنة في صفر ، وصلَّى عليه أبو سعيد الإصْطَخْري ، ودفن بداره .

قال الدَّارَقُطْني : حدَّث عنه أبو عبد الرحمن النَّسائي في « الصحيح » ، ولعله مات قبله بعشرين سنة . وذَكَرَ من جلالته وفضله[٩] ، رحمه الله .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) الكامل (٨/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) الكامل (٨/ ٢٣٦) .
(٦) تاريخ بغداد (٨/ ٣٩ ـ ٤٠) المنتظم (٦/ ٢٣٨) .
(٧) الولاة والقضاة (٥٢٣ ـ ٥٣١) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٥ ـ ٣٩٨) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٠) الأنساب (٤/ ٩٨ ـ ٩٩) المنتظم (٦/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٦ ـ ٥٣٨) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٤٦ ـ ٤٥٥) رفع الإصر (٢/ ٣٨٩) .
(٨) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٤٠هـ) من هذا الكتاب .
(٩) انظر تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٧) .

محمد بن الفَضْل بن العباس[١] : أبو عبد الله ، البَلْخِي ، الزَّاهد .

حُكي عنه أنه مكث أربعين سنةً لم يخط فيها خُطوة لغير الله ، ولا نظر إلى شيء ، فاستحسنه حياءً من الله عزَّ وجلَّ ، وأنه مكث ثلاثين سنة لم يُمْلِ على مَلَكَيْه قبيحاً[٢] .

محمد بن سَعْدٍ[٣] أبو الحسين الوَرَّاق : صاحب أبي عثمان النَّيسابوري .

وكان فقيهاً يتكلَّم على المعاملات ، ومن جَيِّد كلامه قوله : مَنْ غَضَّ بصره عن مُحرَّم أوْرَثَه الله بذلك حكمةً على لسانه يهتدي بها سامعوه ، ومن غَضَّ بَصَره عن شُبْهةٍ نوَّر الله قلبه بنورٍ يهتدي به إلى طُرُقِ مرضاته .

يحيى بن عبد الله بن موسى[٤] . أبو زكريا الفارسي . كتب بمِصْر عن الرَّبيع بن سليمان ، وكان ثِقَةً صدوقاً ، حسن الصلاة ، عدلاً عند الحكام[٥] .

---

(١) طبقات الصوفية (٢١٢/٢١٦) حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) الرسالة القشيرية (٢١) المنتظم (٦/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٢٣ ـ ٥٢٦) .

(٢) انفرد الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) نقلاً عن السُّلَمي وابن مندة أنه توفي (٣١٧هـ) ، وقد وهَمَ من قال : سنة تسع عشرة . والذي في مطبوع « طبقات الصوفية » يوافق ما عندنا ، وكذلك كل مصادر ترجمته .

(٣) طبقات الصوفية (٢٩٩ ـ ٣٠١) المنتظم (٦/ ٢٤٠) طبقات الشعراني (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥) وفيه : أبو الحسن محمد بن سعيد ؛ وهو تحريف .

(٤) المنتظم (٦/ ٢٤٠) .

(٥) انفردت نسخة (ب) و(ظا) في هذه الترجمة ، وهي مخالفة لأسلوب ابن كثير في إيراد تراجمه ، ولمنحاه الفكري .

ابن مَسَرَّة المغربي

محمد بن عبد الله بن مسرة ، أبو عبد الله ، مولى قريش ، أحد أفراد زمانه ، وبلغاء أهل عصره وأوانه ، له المصنفات العديدة ، والفوائد في الأصول والفروع والتصوف ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والكلام على أحوال القلوب والمعاملات ، وقد أطراه ابن عبد الرؤوف ؛ أحد أولياء العهد بالأندلس في « طبقاته » ، وذكر عنه أعاجيب ، قال : وجملة القول فيه أنه عالم الدهر ، وحبر العصر ، وبديع البشر ، ورباني الأمة ، وعلم الهدى ، وكهف التقى ، وبحر العلم ، ومعدن الحلم ، والسراج المنير ، والطور المنيف ، ومن جعل القرآن عصمته ، والسُّنَّة قِبْلَته ، والآخرة همته ، والزهد ذخيرته . كان كثير العلم بالأخبار والرواية للآثار ، وفيلسوفاً عظيماً ، طبيباً حكيماً ، منطقياً جدلياً ، منجماً فلكياً ، شاعراً مفلقاً ، خطيباً مطبقاً .

ثم أطنب فيما ذكره إلى أن قال : وقد أولع به قوم غيره جهلة من أهل مصرنا وعصرنا ، فيقولون ويسبون ، وينسبون إليه ما لا يعلمون . إلى أن قال : وصاحب أين كان هو الجماعة والإجماع .

وذكره محمد بن الحارث بن أسد القيرواني الفقيه ، أحد أهل الشُّورى بقرطبة في « تاريخ الأندلس » ، فقال : الناس فيه فرقتان : فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة في العلم والزهد ، لما ظهر من براعته في العلم ، وصدقه في الزهد . وفرقة=

ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمئة[(١)]

فيها كان مقتل الخليفة المقتدر بالله ، وكان سبب ذلك أن مؤنساً الخادمَ خرج من بغداد في المُحرَّم من هذه السنة مغاضباً للخليفة في مماليكه وحشمه ، متوجِّهاً نحو المَوْصِل ، وَرَدَّ من أثناء الطريق مولاه بشرىٰ إلى المقتدر ليستعلم له [أمره][(٢)] ، وبعث معه رسالة يخاطب بها أمير المؤمنين ، [ويعاتبه في أشياء][(٣)] فلما وصل أمَـرَه الوزير الحسين بن القاسم ـ وكان من أكبر أعداء مؤنس ـ بأن يؤديها إليه ، فامتنع من أدائها إلا إلى الخليفة ، فأحضره بين يديه ، فأمره أن يقولها للوزير فامتنع ، وقال : ما أمرني صاحبي بهذا . فشتمه الوزير ، وشتم صاحبه [مؤنساً][(٤)] وأمر بضَرْبِـهِ ومصادرته بثلاثمئة ألف دينار ، وأخذ خطَّه بها ، وأمر بنهب داره ، ثم أمر الوزير بالقَبْض على إقطاع مؤنس وأملاكه وأملاك من معه ، فحصل من ذلك مالٌ عظيم ، وارتفع أمر الوزير عند المقتدر ، ولقبه عميد الدَّوْلة ، وضرب اسمه على الدَّراهم والدَّنانير ، وتمكَّن من الأمور جداً ، فَعَزل وولَّى ، وقطعَ ووصل ، وفرح بنفسه حيناً قليلاً . وأرسل إلى هارون بن غريب الخال[(٥)] ، وإلى محمد بن ياقوت يستحضرهما إلى الحَضْرة عِوَضاً عن مؤنس ، فصمَّم المُظفَّر مؤنس في مسيره إلى الموصل ، وجعل يقول لأمراء الأعراب : إن الخليفة قد ولَّاني المَوْصل وديار ربيعة . فالتفَّ عليه [منهم][(٦)] خَلْقٌ كثير ، وجعل ينفق فيهم الأموال الجزيلة ، وله إليهم قبل ذلك أيادٍ سابغة . وقد كتب الوزير إلى آل حَمْدان ـ وهم ولاة المَوْصل وتلك النواحي ـ يأمرهم بمحاربة مؤنس الخادم ، فركبوا إليه في ثلاثين ألفاً ، وواجههم مؤنس في ثمان من مماليكه وخدمه ، فهزمهم ، ولم يُقتل منهم سوى رجلٍ واحد ، يقال له داود ، وكان من أشجعهم ، وقد كان مؤنس رَبَّاه وهو صغير .

= تطعن عليه في البدع لما ظهر لها من كلامه في الوعد والوعيد ، ولتأويلات يذكرها في الكتاب والسُّنَّة ، ومخالفته العلوم المشهورة بالأندلس ، الجارية على مذهب التقليد والتسليم .

قال : وكان محمد بن مَسَرَّة قد رحل عن حاضرة قرطبة إلى مكان من جبلها ، وانقبض عن أكثر الناس ، وكانت وفاته في شوال سنة تسع عشرة وثلاثمئة .

قلت : انظر ترجمته في جذوة المقتبس (٥٨ ـ ٥٩) تاريخ قضاة الأندلس للنباهي (٧٨) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ق ٢/ ٣٩ ـ ٤٠) تاريخ السلكة الأندلسي (٣٢٦ ـ ٣٣٢) .

(١) في (ظا) من الهجرة النبوية .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) في (ط) الحال . . . بالحاء المهملة . وهو تصحيف .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

ودخل مؤنس المَوْصل فقصدته العساكر من كلِّ جانب يدخلون في طاعته ؛ لإحسانه إليهم قبل ذلك من أهل بغداد والشَّام ومصر ومن الأعراب ، حتى صار في جحافل من الجنود .

وأما الوزير الحسين بن القاسم ، فإنه ظهرت خيانته وعجزه ، فعزله المقتدر في ربيع الآخر [منها][1] وولّى مكانه الفَضْل بن جعفر بن محمد بن الفُرَات ، فكان آخر وزراء المقتدر .

وأقام مؤنس بالمَوْصل تسعة أشهر ، ثم ركب في الجيوش في شوَّال قاصداً بغداد ليطالب المقتدر بأرزاق الأجناد وإنصافهم ، فسار ـ وقد بَعَثَ بين يديه الطلائع ـ حتى جاء فنزل بباب الشَّمَّاسيَّة من بغداد ، وقابله عنده ابنُ ياقوت وهارون بن غريب عن كره منه ، وأُشير على الخليفة بأن يستدين منْ والدته ما ينفق في الأجناد ، فقال : لم يبق عندها شيء . وعزم الخليفة على الهرب إلى واسط ، وأن يترك بغداد لمؤنس حتى يتراجع أمْرُ النَّاس ، ثم يعود إليها ، فردَّه عن ذلك ابنُ ياقوت ، وأشار عليه بمواجهة مؤنس وأصحابه ، فإنهم متى رَأَوْه كرُّوا كلُّهم إليه ، وتركوا مؤنساً . فَرَكِبَ وهو كارهٌ ، وبين يديه الفقهاء ، ومعهم المصاحف منشرةً ، وعليه البُرْدة والنَّاس حَوْله ، فوقف على تلٍّ عالٍ بعيدٍ من المعركة ، ونُودِيَ في جيشه : منْ جاء برأسٍ فله خمسة دنانيرٍ ، ومن جاء بأسيرٍ فله عشرة دنانير . ثم بعث إليه أمراؤه يعزمون عليه أن يتقدَّم ، فامتنع من التقدُّم إلى محلَّة المعركة ، ثم ألحّوا عليه ، فجاء بعد تمنُّع شديد ، فما وصل إليهم حتى انهزموا وفرُّوا راجعين ، ولم يلتفتوا إليه ولا عطفوا عليه ، فكان أول من لقيه من أمراء مؤنس علي بن بُلَيق ، فلما رآه ترجَّل ، وقبَّل الأرض بين يديه وقال : لعن الله منْ أشار عليك بالخروج في هذا اليوم . ثم وكَّل به قوماً من المغاربة البربر ، فلما تركهم وإياه شهروا عليه السلاح ، فقال لهم : ويلكم ، أنا الخليفة . فقالوا : قد عرفناك يا سِفْلَة ، إنما أنت خليفةُ إبليس ، تنادي في جيشك من جاء برأسٍ فله خمسة دنانير ؟ وضربه أحدُهم بسيفه على عاتقه[2] ، فسقط إلى الأرض ، وذبحه آخر ، وتركوا جثته ، وقد سلبوه كلَّ شيء كان عليه ، حتى سراويله ، وبقي مكشوف العورة ، مجدَّلًا على وجه الأرض ، حتى جاء رجلٌ فغطَّى عورته بحشيشٍ ، ثم دفنه في موضعه وعفَّى أثره .

وأخذت المغاربة رأسَ المقتدر على خشبةٍ قد رفعوها وهم يلعنونه ، فلما انتهوا به إلى مؤنس ـ ولم يكن حاضراً الوقعة ـ فحين نظر إلى رأس المقتدر لطم رأسه ووجهه وقال : ويلكم ، لم آمركم بهذا ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) العاتق : ما بين المنكب والعنق . اللسان (عتق) .

لعنكم الله ، قتلتموه والله لنقتلن كلّنا . ثم ركب ووقف عند دار الخلافة حتى لا تنهب ، وهرب عبد الواحد بن المقتدر وهارون بن غريب ، وابنا رائق إلى المدائن ، وكان صنيع مؤنس هذا سبباً لطمع أصحاب الأطراف في الخلفاء ، وضَعْفِ أمْرِ الخلافة جداً ، مع ما كان المقتدر يعتمده من التبذير والتفريط في الأموال ، وطاعة النساء ، وعَزْلِ الوزراء ؛ حتى قيل : إن جُمْلَة ما صرفه في الوجوه الفاسدة والتبذير ما يقارب ثمانين ألف ألف دينار .

وهذه ترجمة المقتدر بالله أمير المؤمنين[١]

هو جعفر أمير المؤمنين المقتدر بالله بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد المُوَفَّق بن جعفر المتوكل [على الله][٢] بن محمد المعتصم بن هارون الرَّشيد بن محمد المهدي بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، يكنَّى أبا الفضل العَبَّاسي .

مولده في ليلة الجمعة لثمانٍ بقين من رمضان سنة ثنتين وثمانين ومئتين ، وأمه أمُّ ولدٍ اسمها شَغَب ، ولقِّبَتْ في خِلافة ولدها بالسيدة .

وبويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي ، يوم الأحد لأربع عشرة مَضَتْ من ذي القَعْدة من سنة خمس وتسعين ومئتين ، وهو يومئذٍ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وأيام . ولهذا أراد الجُنْدُ خَلْعَه في ربيع الأول من سنة ست وتسعين محتجين بصغره وعدم بُلُوغه ، وتولية عبد الله بن المعتز ، فلم يتمَّ ذلك ، وانتقض الأمر في ثاني يوم كما ذكرنا[٣] . ثم لما كان شهر المحرم من سنة سبع عشرة وثلاثمئة أحضره مؤنس واجتمع الأمراء والقواد ، وألزموه بخلع نفسه ، وأحضروا أخاه محمد بن المعتضد ، فبايعوه بالخلافة ، ولقبوه القاهر ، فلم يتمَّ ذلك سوى يومين ، ثم رجع المقتدر إلى الخلافة كما ذكرنا[٤] .

وقد كان المقتدر بالله رَبْعةً من الرجال ، حسن الوجه والعينين ، بعيد ما بين المنكبين ، حسن الشَّعْر ، مدوَّر الوجه ، مُشْرب اللون ، حَسَن الخَلْق ، قد شاب رأسه وعارضاه ، وقد كان كريماً جواداً ممدَّحاً ، له عقل جيد ، وفهم وافر ، وذِهْنٌ صحيح ، وقد كان كثيرَ التحجب والتوسُّع في النَّفقات ، وزاد في رُسوم الخلافة وأمور الرِّياسة ، وما زاد شيءٌ إلا نَقَصَ . كان في داره أحدَ عشر

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٥٠١) تاريخ بغداد (٧/ ٢١٣ ـ ٢١٩) المنتظم (٦/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) الكامل (٨/ ٨) وما بعدها ، النبراس (٩٥ ـ ١٨٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٣ ـ ٥٦) العبر (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢) تاريخ الخلفاء (٣٧٨ ـ ٣٨٦) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) انظر حوادث سنة (٢٩٦هـ) من هذا الكتاب .

(٤) انظر أحداث سنة (٣١٧هـ) .

ألف خادمٍ خصي ، غير الصَّقَالبة [وأبناء فارس][1] والروم والسودان ، وكان له دار يقال لها دار الشجرة ، فيها من الأثاث والأمتعة شيء كثير جداً ، كما ذكرنا ذلك في سنة خمس وثلاثمئة حين قَدِمَ رسول ملك الروم[2] . وقد ركب المقتدر يوماً في حرَّاقة وجعل يستعجل الطَّعام ، فأبطؤوا به فقال لملاح حراقته : ويلك ، أعندك شيء نأكله ؟ قال : نعم . فأتاه بشيءٍ من لحم الجداية وخبز خشن وملوحات وغير ذلك . فأعجبه ، ثم استدعاه فقال : هل عندك شيء من الحَلْواء ، فإني لا أحسُّ بالشبع حتى آكل شيئاً من الحلواء . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن حلاوتنا التمر والكسب . فقال : هذا شيء لا أُطيقه . ثُمَّ جيء بطعامه ، فأكل منه وأتي بالحلاوات ، فأكل وأطعَمَ الملاحين ، وأمر بترتيب حلاوة تعمل في كل يوم بنحو مئتي درهم تكون في الحراقة إن اتفق ركوبه فيها يأكل منها ، [وإن لم يتفق ركوبه كانت للملاح][3] . فكان الملاح يأخذ ذلك في كل يوم مدة سنين متعددة ، ولم يتفق ركوب المقتدر فيها مرة أخرى .

وقد أراد بعض خواصِّه أن يطهر ولده ، فعمل أشياء هائلة ، ثم طلب من أم الخليفة أن يعار القرية التي عُمِلَتْ في طهور المقتدر من فِضَّة ليراها الناس في هذا المهم ، فتلطَّفَتْ أم المقتدر عنده حتى أطلقها له بالكلية ، وكانت صِفَة قريةٍ من القرى ، كلُّها من فضة ؛ بيوتها وأهاليها وأبقارها وأغنامها وجمالها وخيولها ، وأشجارها وزروعها وثِمارها وأنهارها ، وما يتبع ذلك مما يكون في القرى ، الجميع من فِضَّة مصوَّر ، وأمر بنقل سِمَاطه[4] إلى دار هذا الرَّجل ، وأن لا يتكلَّف شيئاً من المطاعم سوى سمك طري . فاشترى الرجل بثلاثمئة دينار سمكاً ، وكان جملة ما أنفق المقتدر على سماطه يومئذٍ ألفاً وخمسمئة دينار[5] .

وكان كثير الصَّدقة والإحسان إلى أهل الحرمين وأرباب الوظائف ، وكان كثير التنفل بالصلاة والصَّوْم والعِبَادة ، ولكنه كان مؤثراً لشهواته ، مطيعاً لحظياته[6] ، كثير التلون والولاية والعزل ، وما زال ذلك دَأْبه حتى كان هلاكه على يدي مؤنس الخادم كما ذكرنا ، فقتل عند باب الشَّمَّاسية لليلتين بقيتا من شوّال من هذه السنة ـ أعني سنة عشرين وثلاثمئة ـ وله من العمر ثمانٍ وثلاثون سنة وشهر

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) انظر أحداث سنة (٣٠٥هـ) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) السماط : ما يمد ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها . المعجم الوسيط (١/ ٤٥١) .
(٥) في (ط) : والجميع من عند المقتدر .
(٦) في (ط) لخصاياه .

وخمسة أيام ، وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة وأَحَدَ عشر شهراً وأربعة عشر يوماً ، فكان أكثر مدَّة من كل من تقدَّمه .

خِلافة القاهر

لما قُتِلَ المقتدر بالله ـ كما ذكرنا ـ عزم مؤنس الخادم على تولية أبي العبَّاس بن المقتدر[١] بعد أبيه ليطيب قلب أُم المقتدر ، فعدل عن ذلك جمهور منْ حضر من الأمراء ، فقال أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النُّوْبختي : بعد التعب والكد نبايع لخليفةٍ له أم وخالات يطيعهن ويشاورهن ؟ ثم أحضر[٢] محمدَ بنَ المعتضد ـ وهو أخو المقتدر ـ وبايعه القضاة والأمراء والوزراء ، ولقبوه القاهر بالله ، وذلك في سَحَر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال من سنة عشرين وثلاثمئة ، واستُوزر له أبو علي بن مُقْلة ، ثم أبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله[٣] ، ثم أبو العباس بن الخَصيب[٤] .

وشرع القاهر في مصادرة أصحاب المقتدر وتتبُّع أولاده ، واستدعى بأم المقتدر وهي مريضة بالاستسقاء ، وقد تزايد بها [الوجع][٥] من شدة جزعها على ولدها حين بلغها قتلُه ، وكيف بقي مكشوفَ العورة ، فبقيت أياماً لا تأكل شيئاً ، ثم وعظها النساء حتى أكلت شيئاً يسيراً من الخبز والمِلْح ، ومع هذا كله استدعى بها القاهر ، فقرَّرها على أموالها ، فذكرت له ما يكون للنساء من الحُلِيِّ والمصاغ والثياب ، ولم تقرَّ بشيء من الأموال والجواهر ، وقالت : لو كان عندي من هذا شيء ما سلَّمْتُ ولدي ، فأمر بضربها ، وعلقت برجلها ، ومسّها بعذاب شديد من العقوبة ، وأشهدت على نفسها ببيع أملاكها ، فأخذه الجند مما يحاسبون به من أرزاقهم . وأرادها على بيع أوقافها ، فامتنعت من ذلك ، وأبت أشدَّ الإباء .

واستدعى القاهر بجماعةٍ من أولاد المقتدر ، منهم : أبو العبَّاس الراضي وهارون والعَبَّاس وعلي والفَضْل وإبراهيم ، فأمر بمصادرَتِهم وحَبْسهم ، وسلَّمهم إلى حاجبه علي بن بُلَيق ، وتمكَّن الوزير أبو علي بن مُقْلة فعزَلَ وولّى ، وأخذ وأعطى ، ومنع بني البَريدي من أعمالهم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عُمَيْر بن جَوْصَا[٦] : أبو الحسن الدِّمَشْقي ، أحد المحدِّثين الحُفَّاظ ، والرواة الأيقاظ .

---

(١) هو الراضي بالله ، وقد ولي الخلافة بعد القاهر ، انظر أحداث سنة (٣٢٢هـ) .

(٢) في (ط) أحضروا ، وهو تصحيف .

(٣) في (ط) عبد الله ، وهو تصحيف .

(٤) ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) تاريخ ابن عساكر س (خ) (٢/ ٢٦ب ـ ٢٨ب) المنتظم (٦/ ٢٤٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٥ ـ ٢١) تذكرة الحفاظ=

إبراهيم بن محمد بن علي[١] بن بطحاء بن علي بن مقلة[٢] ، أبو إسحاق التميمي ، المحتسب ببغداد .

روى عن عباس الدُّوري ، وعليِّ بن حرب وغيرهما ، وكان ثِقَةً فاضلاً .

مَرَّ يوماً على باب القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، والخصوم عكوفٌ على بابه ، والشمس قد ارتفعت عليهم ، فبعث حاجبه إليه يقول له : إما أن تخرج فتفصلَ بينهم ، وإما أن تبعث إليهم فتعتذر إليهم إن كان لك عذر حتى يعودوا إليك بعد هذا الوقت[٣] .

أبو علي بن خَيْرَان[٤] : الفقيه الشَّافعي ، أحد أئمة المذهب .

هو الحسين بن صالح بن خَيْران ، أبو علي ، الفقيه الكبير الورع البارع ، عُرِضَ عليه منصبُ القضاء فلم يفعل ، فخَتم الوزير عليُّ بنُ عيسى على بابه ستة عشر يوماً ، ولم يجد له أهله ماء إلا منْ بيوت الجيران ، ومع هذا كله يمتنع عليه وعليهم ، ولم يل لهم شيئاً . فقال الوزير : إنما أردنا أن نُعْلِمَ النَّاس أنْ ببلدنا وفي مملكتنا من عُرِضَ عليه قضاء القضاة شرقاً وغرباً فلم يقبل .

وقد كانت وفاتُهُ في ذي الحجَّة من هذه السنة ، وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشَّافعية » بما فيه كفاية ، رحمه الله[٥] .

عبد الملك بن محمد بن عَدِي[٦] : الفقيه ، الإسْتِرَاباذِي ، أَحدُ أئمة المسلمين والحُفَّاظ المحدِّثين ، وقد ذكرناه أيضاً في « طبقات الشَّافعية »[٧] .

= (٣/ ٧٩٥ ـ ٧٩٨) .

(١) تاريخ بغداد (٦/ ١٦٤) المنتظم (٦/ ٢٤٢) .

(٢) في تاريخ بغداد (٦/ ١٦٤) : مستقلة ؛ وإخالها تصحيفاً .

(٣) في تاريخ بغداد (٦/ ١٦٤) توفي في صفر سنة (٣٣٢هـ) ، وفيها ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام (٧/ ٦٥٩) ، وهو الصواب .

(٤) تاريخ بغداد (٨/ ٥٣ ـ ٥٤) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٠) المنتظم . (٦/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) وفيات الأعيان (٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٨ ـ ٦٠) الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) وفي (ط) خيزان ، وهو تصحيف .

(٥) ثمة خلاف حول سنة وفاته بين عشر وثلاثمئة ، أو عشرين وثلاثمئة . وقد ناقش المسألة السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) .

(٦) تاريخ جرجان (٢٣٥) وتاريخ بغداد (١٠/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) الأنساب (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥) المنتظم (٦/ ٢٤٥ ، ٢٨٠) معجم البلدان (١/ ١٧٥) اللباب (١/ ٤٠) .

(٧) في تاريخ جرجان والأنساب : توفي سنة (٣٢٣هـ) .

القاضي أبو عمر المالكي[١] **محمد بن يوسف [بن يعقوب]**[٢] بن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد ، أبو عمر ، القاضي ببغداد ومعاملاتها من سائر البلاد .

وكان من أئمة الإسلام عِلْماً ومعرفة ، وفصاحةً وبلاغةً ، وعقلاً ورياسة ، بحيث كان يُضْربُ بعقله وحِلْمِهِ[٣] المثل . وقد روى الكثير عن المشايخ ، وحدَّث عنه الدَّارَقُطْني وغيره من الحُفَّاظ ، وحمل النَّاس عنه عِلْماً كثيراً من الفِقْه والحديث ، وقد جُمِعَ له قضاء القضاة في سنة سبع عشرة وثلاثمئة وله مُصنَّفات كثيرة . وجَمَعَ مُسْنداً حافلاً ، وكان إذا جلس للتحديث جلس أبو القاسم البَغوي عن يمينه وهو قريبٌ من سنِّ أبيه ، وعن يساره ابنُ صاعد ، وبين يديه أبو بكر النَّيْسَابوري ، وسائر الحُفَّاظ حول سريره من كلِّ جانب .

قالوا : ولم يُنتقد عليه حُكْمٌ من أحكامه أخطأ فيه .

قلت : وكان من أعظم صواب أحكامه قَتْلُه الحسين بن منصور الحلاج[٤] ـ قبحه الله وأخزاه ـ وذلك في سنة تسع وثلاثمئة كما تقدم[٥] .

وقد كان جميلَ الأخلاق ، حسنَ المعاشرة ، اجتمع يوماً عنده أصحابُهُ فجيء بثوبٍ فاخرٍ ليشتريه بنحوِ من خمسين ديناراً ، فاستحسنه الحاضرون ، فاستدعى بالقَلانسي وأمَرَه أنْ يقطعَ ذلك الثوبَ قلانسَ بعددِ الحاضرين . وله مناقبُ ومحاسن ، رحمه الله تعالى .

وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة عن ثمانٍ وسبعين سنة ، وقد رآه بعضُهم في المنام فقيل له : ما فعل بكَ رَبُّك ؟ فقال : غَفَرَ لي بدعوة الرجل الصالح إبراهيم الحَرْبي[٦] ، رحمهما الله .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة

في صفر منها أحضر الخليفة رجلاً كان يقطع الطريق بدِجْلَة ، فَضُرِبَ بين يديه ألف سوط ، ثم ضربت عنقه ، وقُطِّعَتْ أيدي أصحابه وأرجُلُهم .

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٥) المنتظم (٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨) الكامل في التاريخ (٨/ ٢١٣ و٢٤٧) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٥٥ ـ ٥٥٧) الوافي بالوفيات (٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦) .

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد (٣/ ٤٠١) .

(٣) في (ح) : وحكمه .

(٤) قال بشار : الذي يفهم من النص الذي ذكره الخطيب في محاكمة الحلاج بحضور القاضي أبي عمر أنه لم يكن راغباً في الحكم بقتله ، وأن ذلك إنما كان بإلحاح من الوزير حامد ، قال الخطيب : « وألح عليه حامد بالمطالبة بالكتاب إلحاحاً لم يمكنه معه المخالفة ، فكتب بإحلال دمه » (٨/ ٧١٨ بتحقيقنا) .

(٥) انظر أحداث سنة (٣٠٩هـ) .

(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٤٠٤) .

وفيها أمر القاهر بالله بإبطال الخمور والمغاني والقِيَان ، وأمر ببيع الجواري المغنيات في سوق النَّخْس على أنهن سواذج .

قال ابن الأثير : وإنما فعل القاهر ذلك لأنه كان محباً للغناء ، فأراد أن يشتري الجواري المغنيات بأرخص الأثمان ، نعوذ بالله من هذه الأخلاق[١] .

وفيها أشاعت العامة بينهم بأن الحاجب عليَّ بن بُلَيق[٢] يريد أن يلعنَ معاويةَ على المنابر ، فلما بلغَ ذلك الحاجبَ بعث إلى رئيس الحنابلةِ أبي محمد البَرْبَهاري[٣] الواعظ ليقابلَه على ذلك ، فهرب واختفى ، فأمر بجماعةٍ من أصحابه ، فَحَدَروا بهم إلى البصرة .

وفيها عَظَّمَ الخليفة وزيرَه أبا علي بن مُقْلة وخاطبه بالاحترام والإكرام ، ثم إن الوزير ومؤنساً الخادم وعليَّ بن بليق وجماعةً من الأمراء اشتوروا فيما بينهم على خَلْعِ القاهر بالله ، وتولية أبي أحمد بن المكتفي ، وبايعوه فيما بينهم سِرّاً ، وضيَّقوا على القاهر بالله في رِزْقه ، و[على][٤] من يجتمع به وأرادوا القبضَ عليه سريعاً ، فبلغ ذلك الخليفة على يدي طريف السبكري[٥] ، فسعى في القبض عليهم ، فوقع في مخاليبه الأمير الكبير المظفَّر مُؤْنس الخادم ، وأمر بحبسه قبل أن يراه والاحتياط على دوره وأملاكه ـ وكانت فيه عَجَلَة وجُرْأة وهَوَج وخَرَقٌ شديد ـ وجعل في منزلته ـ إمرة الأمراء ورياسة الجيش ـ طريفاً السبكري ، وقد كان أحدَ الأمراء[٦] عند مؤنس الخادم قبل ذلك . وقَبَضَ على بُلَيْق ، واختفى ولده علي بن بُلَيق ، وكذا هرب الوزير أبو علي بن مُقْلَة ، فاستوزر مكانه أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله في مستهل شعبان ، وخلع عليه ، وأمر بتحريق دار أبي علي بن مُقْلة ، ووقع النَّهْبُ ببغداد ، وهاجتِ الفتنة ، وأمر القاهر بأن يجعل أبو أحمد بن المكتفي بين حائطين ويُسَدَّ عليه بالآجُرِّ والكلس ، وهو حيٌّ ، فمات . وأرسل إلى المختفين فنادى : إن منْ أخفاهم [قتل و][٧] خربت داره . فوقَعَ بعلي بن بليق فقتله ؛ ذُبِحَ بين يديه كما تُذْبحُ الشاة ، فأخذ رأسه في طَسْتٍ ، ودخل القاهر بنفسه على أبيه بُلَيْق ، فوضع الرأس بين يديه ، فلما رآه بكى ، وأخذ يقبله ويترشفه ، فأمر بذبحه أيضاً فَذُبِحَ ، ثم أخذ الرأسين في

(١) الكامل (٨/ ٢٧٣) .
(٢) في بعض المصادر : يلبق ، وما أثبتناه هو الصواب .
(٣) سترد ترجمته وفيات سنة (٣٢٩هـ) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) في (ط) و(ظا) : اليشكري .
(٦) في (ط) : الأعداء ؛ وهو تحريف .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

طَسْتين ، فدخل بهما على مُؤْنس الخادم ، فلما رآهما تشهّد ولعن قاتلهما ، فقال القاهر عند ذلك : جروا برجل الكلب ، فأُخِذَ فَذُبِحَ أيضاً ، وأُخِذَ رأسه فوضِعَ في طَسْتٍ ، وطيف بالرؤوس في بغداد [ونودي عليهم][١] : هذا جزاء منْ يخون الإمام ، ويسعى في الدولة فساداً . ثم أُعيدت الرؤوس إلى خزائن السِّلاح .

وفي ذي القَعْدة قَبَضَ القاهر على الوزير أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله وسجنه ، وكان مريضاً بالقُولَنْج ، فبقي ثمانية عشر يوماً ومات ، فكانت وِزَارَتُه ثلاثةَ أشهر واثني عشر يوماً . واستوزر مكانه أبا العَبَّاس أحمد بن عبيد الله بن أحمد[٢] الخَصِيبي ، ثم قبض على طريف السبكري [الذي تعاون على مؤنس وابن بليق][٣] وسَجَنه ، [ولهذا قيل : من أعان ظالماً سلطه الله عليه][٤] فلم يَزَلْ فيه حتى خُلِعَ القاهر .

وفيها جاء الخبر بموتِ تكين الخاصَّة[٥] بديار مصر ، وأن ابنه محمداً قد قام بالأمر بعده ، وسارت الخِلَع إليه من القاهر بالله تنفيذاً لولايته واستقرارها .

ذِكْرُ ابتداءِ أمر بني بُوَيْه وظهور دَوْلتهم في هذه السنة

وهم ثلاثة إخوة : عمادُ الدَّوْلة أبو الحسن علي ، وركن الدَّوْلة أبو علي الحسن ، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد أولاد أبي شجاع بُوَيْه بن فنَّاخُسْرُو بن تَمَام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر بن شيركنده[٦] بن شيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرفنَّه بن سَسْتان[٧] شاه بن سَسَن[٨] فَرُو بن شَرْوزيل بن سنساذَر[٩] بن بَهْرَام جُور الملك بن يَزْدَ جِرْد الملك [بن هُرْمُز الملك][١٠] بن سابور

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في النسخ الخطية و(ط) : سليمان ، وهو تحريف . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٥ ـ ٩٦) .
(٦) في وفيات الأعيان (١/ ١٧٥) : شيركوه ، وفي الإكمال لابن ماكولا (١/ ٣٧٢) شيركذه .
(٧) في النسخ الخطية : سنان ، وهو تحريف . والمثبت من الإكمال ، وفي وفيات الأعيان : شستان .
(٨) في النسخ الخطية : سيس فيروز ، والمثبت من الإكمال ووفيات الأعيان .
(٩) في النسخ الخطية : سنسا ، والمثبت من الإكمال .
(١٠) ما بين حاصرتين من الإكمال .

الملك بن سابور ذي الأكتاف الفارسي . كذا نسبهم الأمير أبو نصر بن ماكُولا في كتابه[١] .

وإنما قيل لهم الديالمة ؛ لأنهم جاوروا الدَّيْلَم ، وكانوا بين أظهرهم مُدَّة ، وقد كان أبوهم أبو شجاع بُوَيْه فقيراً مُدْقَعاً ، يصطاد السَّمَك ، ويحتطب بنوه الحطب على رؤوسهم ، فماتت امرأته ، وخلَّفت له هؤلاء الأولاد الثلاثة ، فَحَزنَ عليها ، فبينما هو ذات يوم عند بعض أصحابه وهو شهريار بن رستم الدَّيْلمي ، إذ مَرَّ منجم فاستدعاه فقال له : إني رأيتُ مناماً غريباً [أحب أن تفسره لي][٢] رأيت كأني أبول ، فخرج من ذَكَري نارٌ عظيمة حتى كادت تبلغ عَنَان السماء ، ثم انفرقت ثلاث شُعَب ، ثم انتشرت كلُّ شعبة إلى شُعَبٍ كثيرة ، فأضاءت الدنيا بتلك النَّار ، ورأيت البلاد والعِبَاد قد خضعت لهذه النار . فقال له المنجِّم : هذا منامٌ عظيم لا أفسِّره لك إلا بمالٍ جزيل . فقال : والله لا شيء عندي أعطيك ، ولا أملك غير فرسي هذه . فقال : هذا يدُلُّ على أنه يملك من صلبك ثلاثة ملوك ، ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عِدَّة . فقال له : ويحك ، أتسخر بي ؟ وأمر بنيه فصفعوه ، وأعطاه عشرة دراهم . فقال لهم المنجم : اذكروا هذا إذا قَدِمْتُ عليكم وأنتم ملوك . وخرج وتركهم .

وهذا من أعجب الأشياء ، وذلك أن هؤلاء الإخوة الثلاثة كانوا عند ملك يقال له ما كان بن كالي في بلاد طَبَرْستان ، فتسلَّط عليه مَرْدَاويج ، فَضَعُفَ ما كان ، فشاوروه في مفارقته حتى يكون من أمره خير ، فخرجوا عنه ومعهم جماعةٌ من الأمراء ، فصاروا إلى مَرْدَاويج ، فأكرمهم واستعملهم على الأعمال في البلدان ، فأعطى عماد الدولة علي بن بُوَيه نيابة الكَرَج[٣] ، فأحسن فيها السِّيرة ، والتفَّ عليه الناس وأحبوه ، فحسده مرداويج ، وبعث إليه يعزله عنها ، ويستدعيه إليه ، فامتنع من القدوم عليه ، وصار إلى أصبهان ، فحاربه نائبها فقهره عماد الدولة واستولى عليها . وإنما كان معه سبعمئة فارس ، فَرَدَّ بها عشرة آلاف ، وعَظُمَ في أعين الناس ، فلما بلغ ذلك مرداويج قَلِق منه ، وأرسل إليه جيشاً ، فأخرجوه من أصبهان ، وقَصَدَ أَرَّجانَ[٤] ، فأخذها من نائبها ، وحصل له من الأموال شيءٌ كثير جداً ، ثم أخذ بلداناً كثيرة ، واشتهرَ أمره وبَعُدَ صيته ، وحَسُنَتْ سيرته ، [فقصده الناس محبة وتعظيماً][٥] واجتمع إليه من الجند خَلْقٌ كثير وجمٌّ غفير ، وقد آل بهم الحال إلى أن ملكوا بغداد من أيدي الخلفاء العباسيين ، وصار لهم [فيها] القَطْع والوصل ، والولاية والعَزْل ، وإليهم تجبى الأموال ، ويرجع إليهم في سائر الأمور والأحوال ، على ما سنذكر ذلك مبسوطاً ، والله المستعان المحمود على كل حال .

---

(١) انظر الإكمال (١/ ٣٧٢) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ط) : الكرخ ؛ وهو تصحيف .
(٤) في (ط) : أذربيجان ؛ وهو تحريف .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أحمد بن محمد بن سَلامة[١] بن سَلمة بنِ عبد الملك : أبو جعفر ، الطَّحَاوي ، نسبةً إلى طَحَا ، وهي قرية بصعيد مصر[٢] .

الفقيه الحَنَفي ، صاحب المصنفات المفيدة والفوائد [الغزيرة][٣] ، وهو أحد الثقات الأثبات ، والحُفَّاظ الجهابذة ، وطَحَا : بَلْدةٌ بديار مِصْر . وهو ابن أخت المُزَني[٤] رحمهما الله . وكانت وفاته في مستهل ذي القَعْدة من هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة ، وذكر أبو سَعْدٍ السَّمْعاني أنه ولد سنة تسع وعشرين ومئتين[٥] ، فعلى هذا يكون قد جاوز التسعين ، والله أعلم .

وذكر ابن خَلِّكان في « الوَفَيات » أن سبب انتقاله إلى مَذْهب أبي حنيفة ، ورجوعه عن مذهب خاله المُزَني ، أنَّ خاله قال له يوماً : والله لا يجيء منك شيءٌ . فغَضِبَ ، واشتغل على أبي جعفر بن أبي عِمْران الحنفي ، حتى برع وفاق أهل زمانه ، وصنَّف كتباً كثيرة . منها « أحكام القرآن » . و « اختلاف العلماء » . و « معاني الآثار » ، و « التاريخ الكبير » ، وله في الشُّروط كتاب ، وكان بارعاً فيها[٦] .

وقد كتب للقاضي أبي عبيد الله محمد بن عَبْدَة[٧] ، وعدَّله القاضي أبو عُبيد بن حَرْبَويه[٨] ، وكان يقول : رحم الله المُزَني ، لو كان حياً لكفَّر عن يمينه .

وكانت وفاته في مستهل ذي القَعْدَة ، ودفن بالقَرَافة ، وقبره هنالك مشهور بها ، رحمه الله تعالى .

وترجمه ابنُ عساكر ، وذكر أنه قَدِمَ دمشق سنة ثمانٍ وستين ومئتين ، وأخذ الفِقْه عن قاضيها أبي خازم .

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٤٢) الأنساب (٨/ ٢١٨) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٨٩أ ـ ٩٠أ) المنتظم (٦/ ٢٥٠) وفيات الأعيان (١/ ٧١ ـ ٧٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧ ـ ٣٢) الوافي بالوفيات (٨/ ٩ ـ ١٠) .

(٢) في معجم البلدان (٤/ ٢٢) : وليس [أي الطحاوي] من نفس طحا ، وإنما هو من قرية قريبة منها يقال لها طحطوط .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٦٤هـ) .

(٥) في أصول الأنساب (٨/ ٢١٨) ولد سنة (٢٣٩هـ) ، ولعله في غير النسخ التي اعتمد عليها المحقق يوافق ما نقله ابن كثير وغيره عن السمعاني ، أو ربما الذي ذكره السمعاني هنا كتبه في غير كتابه الأنساب .

(٦) انظر وفيات الأعيان (١/ ٧١) وانظر مظان بعض نسخ كتبه المذكورة في تاريخ التراث العربي لسزكين (مج١/ ح٣/ ص٩٤) وما بعدها .

(٧) في (ط) : أبي عبيد الله محمد بن عبد الله ، وهو تصحيف وتحريف .

(٨) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣١٩هـ) .

أحمد بن محمد بن موسى بن النَّضْر(١) : بن حكيم بن علي بن زربى ، أبو بكر بن أبي حامد ، صاحب بيت المال .

سمع عَبَّاساً الدُّوري وخلقاً ، وعنه : الدَّارَقُطْني وغيره . وكان ثِقَةً صدوقاً ، جَواداً ممدَّحاً ، اتفق في أيامه أن رجلاً من أهل العلم كانت له جارية يحبها حُبّاً شديداً ، فَرَكِبَتْهُ ديونٌ كثيرة اقتضى الحال أن باع تلك الجارية في الدَّيْن ، فلما قَبَضَ ثمنها نَدِمَ ندامةً عظيمةً جداً [على فراقها](٢) ، وبقي متحيراً في أمْرِه ، وأباعها الذي كانت عنده ، فبلغ سيِّدَها أن الجارية قد اشتراها ابن أبي حامد صاحب بيت المال ، فتشفَّع إليه ببعض أصحابه في أنْ يردَّها إليه بثمنها . [وذكر له أنه يحبها ، وأنه من أهل العلم ، وإنما باعها في دين ركبه لم يجد له وفاء](٣) فلما قال له ذلك لم يكن عند [ابن أبي حامد](٤) شعور بها ، وذلك أن امرأته اشترتها له ولم تعلمه بَعْدُ بأمرها حتى تحل من استبرائها ، وكان ذلك اليوم آخره فألبسوها الحُليَّ والمَصَاغ ، وصنعوها له ، وحين شفع عنده في أمرها بُهِتَ لعدم علمه بها . ثم دخل يستكشف خبرها من منزله ، فإذا بها قد هُيِّئَتْ له وزخرفت ، ففرح فرحاً شديداً إذ وجدها [كذلك](٥) من أجل ذلك الرجل . فأخرجها معه وهو يُظْهر السرور ، [وامرأته تظن أنه إنما أخذها ليطأها ، فأتى بها إلى ذلك الرجل بحليها وزينتها](٦) فقال لسيدها : هذه جاريتك ؟ فلما رآها [على تلك الصفة في ذلك الحلي والزينة مع الحسن الباهر](٧) اضطرب كلامه ، واختلط في عقله مما رأى من حُسْن منظرها وهيئتها . قال : نعم . قال : خذها بارك الله لكَ فيها . فَفَرِحَ الفتى [بها](٨) فرحاً شديداً . وقال : يا سيدي ، تأمر منْ يحمل معي المال ؟ فقال : ولا حاجة لي به ، وأنت في حِلٍّ منه ، فإني أخشى ـ إن لم يبق معك شيء ـ أن تبيعها ثانية ممن لا يردُّها عليك . فقال : يا سيدي ، فهذا الحُليُّ والمَصَاغ الذي عليهـا ؟ قال : هذا شيء وهبناه لها لا نعود فيه أبداً . فاشتدَّ فرح الفتى ، وأخذها معه . فلما وَدَّعَ ابنُ أبي حامد قال للجارية : أيما كان أحبُّ إليك نحن أو سيِّدُك هذا ؟ فقالت : أما أَنْتم فأغنيتموني ، فجزاكم الله خيراً ، وأما سيدي هذا فلو أني مَلَكْتُ منه ما ملك مني لم أبِعْهُ بالأموال الجزيلة . فاسْتَحْسَنَ الحاضرون ذلك منْ قولها ، مع صغر سنِّها(٩) .

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٩١ ـ ٩٣) المنتظم (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٩) انظر الخبر في تاريخ بغداد والمنتظم بغير هذا السياق . وكذلك في مطبوع البداية والنهاية .

شَغَبَ أَمّ أمير المؤمنين المقتدر بالله الملقَّبة بالسَّيِّدة[١] : كان دخل أملاكها في كلِّ سنة ألف ألف دينار ، وكانت تتصدَّق بأكثر من ذلك على الحجيج في أشْرِبَةٍ وأزواد وأطباء يكونون معهم ، و[في][٢] تسهيل الطُّرقات والموارد . وكانت في غاية الحِشْمَةِ والرِّياسة ونفوذ الكلمة أيام خلافة ولدها ، فلما قُتلَ كانت مريضةً فزادها [قتله][٣] مرضاً إلى مرضها ، ولما استقر أمْرُ القاهر في الخِلافة وهو ابنُ زَوْجها المُعْتضِد ، أخو ابنها [المقتدر][٤] ـ وقد كانت حضنته حين توفيت أُمُّه ، وخلَّصَتْهُ من ابنها لما كان مؤنس قد بايعه ، ولم يتمَّ ذلك ـ فعاقبها[٥] القاهر عقوبة عظيمة جداً ، حتى كان يعلِّقها برِجْلها وَرأسُها منكوس ، فربما بالت ، فينحدر على وجهها ، ليقررها على الأموال التي في يدها ، فلم يجد لها شيئاً سوى ثيابها ومَصَاغها وحُلِيِّها في صناديق لها ، قيمتها مئة ألف وثلاثون ألف دينار ، وجميع ما كان يدخلها تتصدَّق به ، ووقفت شيئاً كثيراً ، ولكن كان لها أملاك أمر ببيعها وأتى بالشهود ليشهدوا عليها بالتوكيل في بيعها ، فامتنع الشُّهود من أداء الشهادة حتى يجلوها ، فَرُفِعَ السِّتْر بإذن الخليفة . فقالوا لها : أنت شَغَبَ جارية المعتضد أم جعفر المقتدر ؟ فبكت بكاءً طويلاً ثم قالت : نعم . وكتبوا حِلْيَتَها ؛ عجوز ، سمراء اللون ، دقيقة الجبين . وبكى الشهود وتفكروا في تقلُّبِ الزمان وتنقل الحَدَثان ، [وأن الدنيا دار بلاء لا يفي مرجوها بمخوفها ، ولا يسلم طلوعها من كسوفها ، من ركن إليها أحرقته بنارها][٦] .

وكانت وفاتها في جُمَادىٰ الأولى من هذه السنة ، ودُفِنتْ بالرُّصَافة .

عبد السَّلام بن محمد[٧] بن عبد الوهَّاب بن سَلام بن خالد بن حُمران بن أبَان : مولى عثمان بن عَفَّان ، وهو أبو هاشم بن أبي علي الجُبَّائي المتكلِّم ابن المتكلِّم ، المعتزلي ابن المعتزلي ، وإليه تنسب البَهْشَمِيَّة[٨] من المعتزلة ، وله مصنفات في الاعتزال كما لأبيه منْ قَبْلِهِ .

مولده سنة سبع وأربعين ومئتين ، وتوفي في شعبان من هذه السنة .

قال القاضي ابن خَلِّكان : وكان له ابن يقال له أبو علي ، فدخل يوماً على الصَّاحب بن

---

(١) المنتظم (٦/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) في (ط) : ثم رجع ابنها إلى الخلافة ، فشفعت في القاهر ، وأخذته إلى عندها ، فكانت تكرمه وتشتري له الجواري ، فلما قتل ابنها ، وتولى مكانه ، طلبها وهي مريضة فعاقبها . .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٧) تاريخ بغداد (١١/ ٥٥ ـ ٥٦) الملل والنحل (١/ ٧٨ ـ ٨٤) الأنساب (٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧) المنتظم (٦/ ٢٦١) وفيات الأعيان (٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٣ ـ ٦٤) طبقات المعتزلة لابن المرتضى (٩٤ ـ ٩٦) .

(٨) في (ط) الهاشمية ، وهو تحريف .

عَبَّاد[١] ، فأكرمه واحترمه وسأله عن شيءٍ [من المسائل][٢] فقال : لا أعرف نصفُ العلم . فقال : صدقتَ ، وسبقك أبوك إلى النصف الآخر[٣] .

محمد بن الحسن بن دريد بن عَتَاهية[٤] : أبو بكر بن دُرَيد ، الأزْدِي ، اللُّغوي النَّحْوي ، الشَّاعر ، صاحب « المقصورة »[٥] .

ولد بالبَصْرة في سنة ثلاثٍ وعشرين ومئتين ، وتنقَّلَ في البلاد لطلب العِلْم والأدب ، وكان أبوه من ذوي اليَسَار ، وقَدِمَ بغداد وقد أسَنَّ ، فأقام بها إلى أن توفي .

روى عن عبد الرحمن ابن أخي الأصْمَعي ، وأبي حاتم ، والرِّياشي . وعنه أبو سعيد السِّيْرافي ، وأبو بكر بن شاذان ، وأبو عبيد الله المَرْزُباني ، وغيرهم .

ويقال : كان أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء . وقد كان متهتِّكاً[٦] في الشراب .

قال أبو منصور الأزْهري : دَخَلْتُ عليه فوجدْتُه سكران ، فلم أعد إليه[٧] .

وسُئِلَ عنه الدَّارَقُطْني فقال : تكلَّموا فيه .

وقال ابنُ شاهين : كنا ندخل عليه فنستحيي مما نرىٰ من العِيْدان المعلَّقة [وآلات اللهو][٨] والشَّراب المصفَّى ، وقد جاوز التسعين وقارب المئة[٩] .

وكانت وفاته في يوم الأربعاء لثنتي عشرة بقيت من شعبان . وفي هذا اليوم كانت وفاة أبي هاشم بن أبي علي [الجبائي المعتزلي][١٠] فصُلِّيَ عليهما معاً ، ودُفِنا في مقبرة الخيزرانية وقال النَّاس : مات اليوم علم اللغة ، وعلم الكلام . وكان ذلك يوماً مطيراً .

---

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٨٥هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ط) : وسبقك أبوك إلى الجهل بالنصف الآخر . وهي زيادة مقحمة على النص لا تتفق واحترام ابن عباد لأبي هاشم . والخبر في وفيات الأعيان (٣/ ١٨٣) وفيه : إلا أن أباك تقدَّم بالنصف الآخر .
(٤) في (ح) ابن عبد الله ، وهو تحريف . وترجمته في مروج الذهب (٢/ ٥١٨) طبقات الزبيدي (٢٠١) معجم الشعراء (٤٢٥) الفهرست (٩١ ـ ٩٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٧) الأنساب (٥/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) نزهة الألباء (١٧٥ ـ ١٧٨) معجم الأدباء (١٨/ ١٢٧ ـ ١٤٣) إنباه الرواة (٣/ ٩٢ ـ ١٠٠) المنتظم (٦/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) وفيات الأعيان (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٦ ـ ٩٨) .
(٥) طبعت غير مرة .
(٦) في (ظا) و(ب) منهمكاً .
(٧) مقدمة التهذيب (١/ ٣١) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) نزهة الألباء (١٧٦) .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .

ومن مصنَّفات ابن دريد « الجمهرة في اللغة »[١] نحو عشر مجلدات . وكتاب « المطر » و« المقصورة » ، والقصيدة الأخرى في « المقصور والممدود » ، وغير ذلك ، سامحه الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلاثمئة

فيها قصد[٢] ملك الرُّوم مَلَطْية في خمسين ألفاً ، فحاصرهم ، ثم أعطاهم الأمان حتى يتمكَّنَ منهم ، فقتل خلقاً كثيراً ، وأسر ما لا يحصون كثرةً ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها وردت الأخبار بأن مَرْدَاويج قد تسلَّم أَصْبَهَان وانتزعها من عليٍّ بن بُوَيْه ، وأنَّ عليَّ بنَ بُوَيْه توجه إلى أرَّجان فأخذها ، وقد أرسل ابن بويه إلى الحضرة الخليفية بالطَّاعة والمعونة ، وإن أمكن أن يقبِّل العَتَبة الشريفة ، ويحضُر بين يدي الخليفة إن رسم ، أو يذهب إلى شِيْراز ، فيكون مع ابنِ ياقوت . ثم اتفق الحال بعد ذلك أن صار إلى شيراز ، وأخذها من نائبها ابن ياقوت بعد قتالٍ عظيم ، ظفر فيه ابنُ بويه بابن ياقوت وأصحابه ، فقتل منهم خلقاً وأسر جماعة ، فلما تمكن أطلقهم وأحسنَ إليهم وخَلَعَ عليهم ، وعَدَلَ في النَّاس ، وكانت معه أموالٌ كثيرة قد استفادها من أصبهان ، وقبلها[٣] من الكَرَج ومن هَمَذان وغيرها ، إلا أنه كان كريماً جواداً مِعْطاءً للجيوش الذين قد التفوا عليه ، ثم إنه أملق في بعض الأحيان وهو بشيراز ، وطالبه الجُنْدُ بأرزاقهم ، وخاف أن ينحلَّ نظامُ أمره ، فاستلقى يوماً على قفاه مفكراً في أمره ، وإذا حَيَّةٌ قد خرجت من شِقٍّ في سقف المكان الذي هو فيه ، ودخلت في آخر ، فأمر بنَزْعِ تلك السُّقوف ، فوجد هنالك مكاناً فيه من الذهب شيءٌ كثير جداً ؛ نحو من خمسمئة ألف دينار ، فأنفق في جيشه ما أراد ، وبقي عنده شيء كثير .

وركب ذات يوم يتفرَّج في جوانب البلد ، وينظر إلى أبنية الأوائل ، ويتعظ بمن كان قبله ، فانخسفت الأرض من تحت قائمة جواده ، فأمر بحفر ما هنالك ، فوجد من الأموال شيئاً كثيراً أيضاً .

واستعمل عند رجلٍ خياط قماشاً ليلبسه ، فاستبطأه في صنعتها ، فأمر بإحضاره ، فلما أُوقف بين يديه تهدَّده ـ وكان الرجل أصمَّ لا يسمع جيداً فقال : والله أيها الملك ما لابن ياقوت عندي سوى اثني عشر صندوقاً لا أدري ما فيها . فأمر بإحضارها ، فإذا فيها أموال عظيمة تقارب ثلاثمئة ألف دينار ، واطلع على

---

(١) الكتاب مشهور متداول مطبوع في حيدر آباد (١٣٤٤ ـ ١٣٥٢) في ثلاثة مجلدات مع مجلد خاص بالفهارس ، بتحقيق وعناية الشيخ محمد السورتي ، والمستشرق الألماني سالم كرنكو .

(٢) في النسخ الخطية : (حضر) ، والمثبت من (ط) .

(٣) في (ظا) و(ب) : نقلها ، والمثبت من (ح) .

ودائع كانت ليعقوب وعمرو ابني اللَّيْث ، فيها من الأموال ما لا يُحَدُّ ولا يوصف كثرةً ، فقوي أمره ، وعَظُمَ سلطانه جداً . وهذا كلُّه من الأمور المُقَدَّرة لما يريده الله بهم من السَّعادة الدنيوية [بعد الجوع والقلة][١] ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

وكتب إلى الرَّاضي[٢] ووزيره أبي علي بن مُقْلة يطلب أن يُقاطعَ على ما قبَله من البلاد على ألف ألفِ في كلِّ سنة ، فأجاب الرَّاضي إلى ذلك ، وبعث إليه بالخِلع واللِّواء وأبهة المُلْك .

وفيها قتل القاهر بالله أميرين كبيرين ، وهما إسحاق بن إسماعيل النُّوبَخْتي ، وهو الذي كان قد أشار على الدولة[٣] بخلافة القاهر . وأبو السَّرايا بن حَمْدان أصغرُ ولد أبيه ، وكان في نفس القاهر منهما بسبب أنهما زايداه من قبل أن يلي الخلافة في جاريتين مغنِّيتين ، فاستدعاهما إلى المسامرة ، فتطيَّبا وحضرا ، فأمر بإلقائهما في جُبٍّ هنالك ، فتضرَّعا إليه ، فلم يرحمهما ، فألقيا فيها وطينها عليهما .

ذِكْرُ خَلْع القاهر وسَمْلِ عينيه

وكان سبب ذلك أن الوزير أبا علي بن مُقْلة كان قد هرب من القاهر حين قَبَضَ على مؤنس الخادم ، واختفى في داره ، وكان يراسل الجند ويغريهم بالقاهر ، ويخوِّفهم سطوته وإقدامه وسُرْعَةَ بطشه ، وأخبرهم أن القاهر قد أعدَّ لأكابر الأمراء أماكن يسجنهم فيها ، ومهالك يلقيهم فيها ، كما فعل بفلان وفلان . فَهَيَّجَهُمْ ذلك وأسهم في القبض على القاهر ، فاجتمعوا وأجمعوا رأيهم على مناجزته في هذه السَّاعة ، وركبوا مع الأمير المعروف بسيما ، وقصدوا دارَ الخِلافة ، فأحاطوا بها ، ثم هَجَمُوا على القاهر من سائر أبوابها ، فخرج الوزير الخصيبي مستتراً في زي امرأة ، وانهزم القاهر وهو مخمور ، فاختفى في سَطْحِ حمام ، فظهروا عليه ، فقبضوا عليه ، وحبسوه في مكان طريف السبكري ، وأخرجوا طريفاً من السجن ، واضطربت بغداد ونُهِبَتْ ، وذلك يوم السبت لثلاثٍ خَلَوْن من جُمَادى الأولى من هذه السنة [في الشهر الذي ماتت فيه شغب ، فلم يكن بين موتها والقبض عليه وسمل عينيه وعذابه بأنواع العقوبات إلا مقدار سنة واحدة ، وانتقم الله منه][٤] ، ثم أحضروه ، فسملوا عينيه على خديه ، وارتكب منه أمر عظيم لم يسمع بمثله في الإسلام ، ثم أرسلوه ، فكان تارةً يحبس ، وتارة يخلى سبيله . وقد تأخر موته إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة[٥] ، وافتقر حتى قام يوماً بجامع المنصور فسأل ، فأعطاه رجل خمسمئة درهم ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) وكانت الخلافة قد أفضت إليه كما سيأتي .

(٣) في (ط) : الأمراء .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) في (ط) والنسخ الخطية : ثلاث وثلاثين وثلاثمئة ، وهو وهم ، وستأتي ترجمته في وفيات سنة (٣٣٩هـ) .

ويقال: إنه إنما أراد بهذا الصنيع التشنيع على المستكفي بالله ، فالله أعلم . وستأتي ترجمته إذا ذكرنا وفاته .

خلافة الرَّاضي بالله أبي العَبَّاس محمد[١] بن المقتدر بالله

لما خلعتِ الجندُ القاهر ، وسملوه ، أحضروا أبا العبَّاس محمد بن المقتدر بالله ، فبايعوه على الخلافة ولقبوه الرَّاضي بالله . وكان أبو بكر الصُّولي قد أشار بأن يلقب بالمرتضي بالله[٢] فلم يقبل ، وعدل إلى هذا اللقب ، وذلك يوم الأربعاء لستٍّ خلون من جمادى الأولى من هذه السنة ـ أعني سنة ثنتين وعشرين وثلاثمئة ـ وجاؤوا بالقاهر وهو أعمى قد سُمِلَتْ عيناه ، فأوقف بين يديه ، فَسَلَّم عليه بالخلافة وسلَّمها إليه ، فقام الراضي بأعبائها ، وكان من خيار الخلفاء على ما سنذكره . وأمر بإحضار أبي علي بن مُقْلة فولَّاه الوزارة ، وجعل عليَّ بن عيسى ناظراً عليه ، وأطلق كلَّ منْ كان في حبس القاهر ، واستدعى عيسى طبيب القاهر فصادره بمئتي ألف دينار ، وتسلَّم منه الوديعة التي كان القاهر أودعها عنده ، وكانت جملة مستكثرة من الذهب والفِضَّة والنفائس .

وفي هذه السنة عَظُمَ أمر مَرْدَاويج بأصبهان ، وتحدث الناس أنه يريد قَصْدَ بغداد ، وأنه ممالىء لصَاحب البحرين[٣] [أمير القرامطة][٤] وقد اتفقا على رَدّ الدَّوْلة من العرب إلى العَجَم ، وأساء السيرة في رعيته ، لاسيما في خواصه من الأتراك ؛ فتمالؤوا على قتله فقتلوه ، وكان القائم بأعباء ذلك أخص مماليكه وأحظاهم عنده ، وهو بُجْكُمْ بيَّض الله وجهه ، وهذا الأمير هو الذي استنقذ الحجر الأسود من أيدي القرامطة ، وافتداه منهم بخمسين ألف دينار ، بذلها لهم حتى ردُّوه إلى مكة ، كما سيأتي[٥] .

ولما قُتِلَ مَرْدَاويج بن زيَّار الدَّيْلَمي عَظُمَ أمر علي بن بُوَيْه ، وارتفع قدرُه بين النَّاس ، وعلا شأنه في الملوك ، وسيأتي ما آل إليه حاله .

ولما خُلِعَ القاهر وولي الراضي طَمِعَ هارون بن غريب في الخلافة[٦] ، لكونه ابن خال المقتدر ،

---

(١) في بعض المصادر : أحمد .
(٢) في (ط) والنسخ الخطية : المرضي بالله ، والمثبت من أخبار الراضي والمتقي للصولي (ص٢ ـ ٤) .
(٣) يعني أبا طاهر القرمطي .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) من المعروف أن القرامطة أبوا أن يردوا الحجر الأسود لقاء ما دفعه لهم بجكم ، وقالوا : أخذناه بأمر وما نرده إلا بأمر ، ويعنون بذلك أنهم أخذوه بأمر صاحب مصر العبيدي ، وقد ردوه سنة (٣٣٩هـ) كما سيأتي في أحداث ذلك العام .
(٦) لا يمكن أن يطمع بالخلافة لأنه ليس من نسل العباسيين ، والأصح أنه طمع بإمرة الأمراء ، وهي ما عبر عنه ابن الأثير بالدولة ، الكامل (٨/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) .

وكان نائباً على ماه والكوفة والدِّينور وماسَبَذَان فدعا إلى ذلك ، واتبعه خَلْقٌ منَ الجُند والأُمراء ، وجبى الأموال ، واستفحل أمره ، وقويت شوكته ، وقصد بغداد ، فخرج إليه محمد بن ياقوت رأس الحجبة في جميع جيش بغداد ، فاقتتلوا هنالك ، فخرج في بعض الأيام هارون بن غريب يتقصد لعله يعمل حيلة في أسر محمد بن ياقوت ، فتقنطر به فرسه ، فسقط في نهرٍ ، فضربه غلامٌ له حتى قتله ، وأخذ رأسه وجاء به إلى محمد بن ياقوت ، فانهزم أصحاب هارون ، ورجع محمد بن ياقوت فدخل بغداد ورأس هارون بن غريب يحمل بين يديه على رمح ، ففرح الناس بذلك ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها ظَهَرَ رجل ببغداد يعرف بأبي جعفر محمد بن علي الشَّلْمغاني ، ويقال له ابن أبي العَزَاقر(١) ، فذُكر عنه أنه كان يدَّعي ما كان يدَّعيه الحلاج من الإلهية ، وكان قد مسك في دولة المقتدر عند حامد بن العَبَّاس ، واتهم بأنه يقول بالتَّناسخ ، فأنكر ذلك ، ولما كانت هذه المرة أحضره الرَّاضي ، وادعى عليه بما ذُكرَ عنه ، فأنكر ثم أقر بأشياء ، فأفتى قوم أن دَمَه حلال إلا أن يتوب من هذه المقالة ، [فأبى أن يتوب](٢) فضرب ثمانين سوطاً ، ثم ضربت عنقه ، وصلب وألحق بالحلاج ، قبحهما الله .

وقتل معه صاحبه ابن أبي عَوْن(٣) لعنه الله . وكان هذا اللعين من جملة طائفة ممن اتبعوه وصدَّقوه فيما يزعمه من الكفر .

وقد بسط ابن الأثير في « كامله »(٤) مذهب هؤلاء الكفرة بسطاً جيداً .

وادعى رجل آخر ببلاد الشَّاش النبوة ، وأظهر مخاريق وأشياء كثيرة من الحيل ، فجاءته الجيوش فقاتلوه فقتلوه ، وانطفأ خبره ، واضمحل أمره .

وفاة المَهْدي صاحب إفريقية أول خلفاء الفاطميين فيما زعموا

وفيها مات أبو محمد بن عبيد الله ـ المدَّعي أنه علوي ، الملقب بالمهدي ، باني المهدية ـ بمدينته المهدية عن ثلاثٍ وستين سنة ، وكانت ولايته ـ منذ دخل رَقَّادة(٥) وادَّعى الإمامة ـ أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً وهو أول الخلفاء الفاطميين . وقد كان شهماً شجاعاً ، ظَفِرَ بجماعةٍ ممن خالفه وناوأه وقاتله وعاداه ، وقد قام بأمر الخلافة من بعده ولدُه أبو القاسم الملقب بالخليفة القائم بأمر الله .

---

(١) في (ط) : ابن العرافة ، وهو تحريف .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) انظر ترجمته في معجم الأدباء (١/ ٢٣٤ ـ ٢٥٣) .
(٤) انظر الكامل (٨/ ٢٩٠ ـ ٢٩٤) .
(٥) بلدة كانت بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أيام . معجم البلدان (٣/ ٥٥) .

وحين توفي أبوه كَتَمَ موته سنةً حتى دبَّر ما أراده من الأمور ، ثم أظهر ذلك ، وعزَّاه الناس فيه . وقد كان شهماً شجاعاً كأبيه : فَتَحَ البلاد ، وأرسل السرايا إلى بلاد الرُّوم ، ورام أخذ الديار المِصرية فلم يتفق له ذلك ، وإنما جرى ذلك على يدي ابن ابنه المُعِزّ الفاطمي الذي بنى القاهرة المعزية كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

قال القاضي ابن خَلِّكان في « الوفيات » : وقد اختلف في نسب المهدي هذا اختلافاً كثيراً جداً ، فقال صاحب « تاريخ القيروان » : هو عبيد الله بن الحسن بن علي[١] [بن محمد بن علي][٢] بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وقال غيره : هو عبيد الله بن التقي وهو الحسين بن الوفي أحمد بن الرضي عبد الله ، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون ، لخوفهم من خلفاء بني العباس . والرضي عبد الله هذا هو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصَّادق . وقيل غير ذلك في نسبه . قال القاضي ابن خَلِّكان : والمحققون ينكرون دعواه في النسب[٣] .

قلت : قد كتب غيرُ واحدٍ من الأئمة ، منهم الشيخ أبو حامد الإسفراييني ، والقاضي الباقلاني ، والقُدُوري ، أن هؤلاء أدعياء ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمونه ، وأن والد عبيد الله هذا كان يهودياً صباغاً بَسَلِميَّة ، وقيل كان اسمه سعد[٤] ، وإنما لقب بعبيد الله . وكان زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القَدَّاح ، وسمِّي القَدَّاح لأنه كان كحَّالاً يقدح العيون[٥] .

وكان الذي وطأ له الأمر بتلك البلاد أبو عبد الله الشِّيعي ـ كما قدمنا ـ ثم استدعاه ، فلما قَدِمَ [عليه][٦] من بلاد المشرق وقع في يد صاحب سِجِلْماسة فسجنه ، فلم يزل الشيعي [يحتال به][٧] حتى استنقذه [من يده][٨] وسلَّم إليه الأمر ، ثم ندم الشيعي [على تسليمه الأمر][٩] وهمَّ بقتله ، ففطن عبيد الله له ، فقتله وقتل معه أخاه .

---

(١) في (ط) و(ح) : ابن محمد بن علي .
(٢) ما بين حاصرتين من وفيات الأعيان (٣/ ١١٧) .
(٣) انظر وفيات الأعيان (٣/ ١١٧ ـ ١١٨) .
(٤) في أغلب المصادر سعيد .
(٥) انظر الدراسة حول نسبهم كتاب « أصول الإسماعيلية » لبرنارد لويس . وممن ثبت نسبهم ابن خلدون في تاريخه (٤/ ٣١) قال : « ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب » . وعلق السخاوي عليه في الإعلان بالتوبيخ (٩٤) : وابن خلدون كان لانحرافه عن آل علي يثبت نسبة الفاطميين إليهم لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين . . . ، وانظر أيضاً الكامل (٨/ ٢٤ ـ ٣١) ومقدمة ابن خلدون (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٤) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .

ويقال : إن الشِّيعي لما دخل السجن [الذي قد حبس فيه عبيد الله هذا][١] وجد صاحب سِجِلْمَاسة قد قتله ، ووجد في السجن رجلاً مجهولاً فأخرجه للناس ، وقال : هذا هو المهدي . ورَوَّج به الأمر ، فهؤلاء من سلالته ، حكاه القاضي ابن خلكان[٢] .

وكان مولد المهدي هذا في سنة ستين ومئتين ، وقيل قبلها ، وقيل بعدها ، بَسَلَمِيَّة ، وقيل بالكوفة . وأول ما دُعي له على منابر رقَّادة والقيروان يوم الجُمُعة لتسع بقين من ربيع الآخر سنة سَبْعٍ وتسعين ومئتين ، بعد رجوعه من سِجِلْماسة ، وكان ظهوره بها في ذي الحِجَّة من السنة الماضية ـ سنة ست وتسعين ـ وزالت دولة بني العبَّاس عن تلك الناحية من هذا الحين إلى أن هلك[٣] العاضد في سنة سَبْعٍ وستين وخمسمئة .

وكانت وفاته بالمهدية ـ التي بناها في أيامه ـ ليلة الثلاثاء النصف من ربيع الأول من هذه السنة ، وقد جاوز الستين على المشهور ، وإلى الله عاقبة الأمور ، وسيفصل بين الآمر والمأمور يوم البعث والنشور .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عبد الله بن مُسْلم[٤] بن قتيبة : الدِّيْنَوَرِي ، قاضي مصر .

حدَّث عن أبيه[٥] بكتبه المشهورة ، وتوفي وهو على قضاء الديار المصرية[٦] في ربيع الأول من هذه السنة .

محمد بن أحمد بن القاسم أبو علي الرُّوْذْبَاري[٧] : وقيل : اسمه أحمد بن محمد ، ويقال :

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) وفيات الأعيان (٣/ ١١٨) .
(٣) في (ط) : ملك ، وهو تحريف .
(٤) الولاة والقضاة (٤٨٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٨) تاريخ بغداد (٤/ ٢٢٩) المنتظم (٦/ ٢٧٢) معجم الأدباء (٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤) إنباه الرواة (١/ ٤٥ ـ ٤٦) وفيات الأعيان : (٣/ ٤٣) ، العبر للذهبي (٢/ ١٩٣) ، النجوم الزاهرة (٣/ ٢٤٦) ، حسن المحاضرة (١/ ١٥٦) ، الديباج المذهب : (٣٥) ، شذرات الذهب (٢/ ١٧٠) .
(٥) انظر ترجمة أبيه في وفيات سنة (٢٧٠هـ) و(٢٧٦هـ) من هذا الكتاب .
(٦) في « الولاة والقضاة » : ثم صرف [عن القضاء] يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة . قلت : وهذا يعني أنه مات معزولاً من القضاء ، ويبدو أن ابن كثير تابع ابن يونس كما تابعه أكثر المؤرخين في ذكره أنه مات وهو قاضٍ . انظر « الولاة والقضاة » (٥٤٧ ـ ٥٤٨) .
(٧) طبقات الصوفية (٣٥٤ ـ ٣٦٠) حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧) تاريخ بغداد (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣٣) الرسالة القشيرية (٢٦) الأنساب : (٦/ ١٨٠ ـ ١٨١) المنتظم (٦/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) معجم البلدان (٣/ ٧٧) العبر للذهبي (٢/ ١٩٥) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٨ ـ ٥٤) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٥٧٦ ـ ٥٧٨) حسن المحاضرة (١/ ٢٢٥) طبقات الأولياء (٥٠ ـ ٥٨) شذرات الذهب (٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) .

الحسن بن هَمَّام ، والصحيح الأول[١] .

أصله من بغداد ، وسكن مصر ، وكان من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة ، وصحب الجُنَيْد ، وسمع الحديث ، وحفظ منه كثيراً ، وتفقَّه بإبراهيم الحَرْبي[٢] ، وأخذ النَّحْوَ عن ثعلب ، وكان كثير الصَّدَقة والبر للفقراء ، وكان إذا أعطى الفقيرَ شيئاً جعله في كفِّه ، ثم يتناوله الفقير ؛ يريد ألا تكون يد الفقير تحت يده[٣] .

ومن شعره :

ولو مضَى الكلُّ منّي لم يكُنْ عَجَباً ... وإنما عَجَبي في البَعْضِ كيفَ بَقِي

أدرِكْ بقيَّة روحٍ فيكَ[٤] قد تَلِفَتْ ... قَبْلَ الفِراقِ فهذا آخِرُ الرَّمَقِ[٥]

محمد بن إسماعيل : المعروف بخير النَّسَّاج[٦] أبو الحسن الصُّوفي ، من كبار المشايخ ذوي الأحوال الصالحة ، والكرامات المشهورة . أدرك سَرياً السَّقَطي وغيره من مشايخ القَوْم ، وعاش مئة وعشرين سنة .

ولما حضرته الوفاة نظر إلى زاوية البيت فقال : قِفْ ، رحمك الله ، فإنك عَبْدٌ مأمور وأنا عبد مأمور ، وما أُمِرْتَ به لا يفوت ، وما أمرتُ به يفوت . ثم قام فتوضأ ، وصلَّى وتمدد ، فمات رحمه الله .

وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : استرحنا من دنياكم الوَضِرة[٧] .

---

(١) انظر الاختلاف حول اسمه في تاريخ بغداد (١/ ٣٣٠) وقد رجح السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٤٨) أنه أحمد بن محمد .

(٢) كذا في النسخ الخطية و(ط) ، والذي في مصادر ترجمته أنه تفقه بأبي العباس بن سريج ، وأخذ الحديث عن إبراهيم الحربي ، انظر طبقات الصوفية (٣٦٠) وفي تاريخ بغداد (١/ ٣٣١) ذكر أن أستاذه في الحديث والفقه إبراهيم الحربي .

(٣) في (ط) أقوال للروذباري منقولة عن أبي نعيم في « الحلية » ليست في النسخ الخطية . وليست هي أيضاً في النسخة المصرية ، وهي بلا ريب من إضافات النساخ ، لأنها لا تتفق ومنهج ابن كثير في اختصار أخبار الصوفية حين إيراد تراجمهم .

(٤) في النسخ الخطية و(ط) : منك ؛ والمثبت من تاريخ بغداد (١/ ٣٣٢) .

(٥) في تاريخ بغداد (١/ ٣٣٣) عن أبي زرعة الطبري أنه توفي سنة (٣٢٣هـ) ، وهذا ما اعتمده ابن الأثير في « اللباب » .

(٦) طبقات الصوفية (٣٢٢ ـ ٣٢٥) حلية الأولياء (١٠/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨) تاريخ بغداد (٢/ ٤٨ ـ ٥٠ ، ٨/ ٣٤٥ ـ ٣٤٧) الرسالة القشيرية (٢٥) المنتظم (٦/ ٢٧٤) وفيات الأعيان (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) العبر (٢/ ١٩٣) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٥) شذرات الذهب (٢/ ٢٩٤) .

(٧) أي الوسخة . وفي (ط) الوخيمة .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة

فيها أحضر ابنُ شَنَبُوذ المقرىء ، فأنكر جماعةٌ من الفقهاء والقُرَّاء عليه حروفاً انفرد بها ، فاعترف ببعضها وأنكر بعضها ، فاستتيب من ذلك ، واستكتب بخطِّه الرجوع عما نُقِمَ عليه ، وضُرِبَ سبع درر بإشارة الوزير أبي علي بن مُقْلة ، ونفي إلى البصرة أو غيرها ، فدعا على الوزير أن تُقْطع يده ويشتَّت شملُه ، فكان ذلك عما قريب .

وفيها في جمادى الآخرة منها نادى بدر الخَرْشَني[١] صاحبُ الشُّرْطة في الجانبين من بغداد أن لا يجتمع اثنان من أصحاب أبي محمد البَرْبَهاري الواعظ الحَنْبلي . وحبس منهم جماعة ، واستتر البَرْبَهاري فلم يظهر مدة .

قال ابن الجَوْزي في « المنتظم » : وفي شهر أيار تكاثفتِ الغيوم واشتد الحر جداً ، فلما كان آخر يوم منه ـ وهو الخامس والعشرين من جُمادى الآخرة من هذه السنة ـ هَبَّتْ ريح شديدة جداً ، وأظلمت ، واسودَّتْ إلى بعد العصر ، ثم خَفَّتْ[٢] ، ثم عادت إلى بعد عشاء الآخرة[٣] .

و[فيها][٤] استبطأ الأجناد أرزاقهم ، فقصدوا دار الوزير أبي علي بنِ مُقْلة ، فنقبوها وأخذوا ما فيها .

ووقع حريقٌ عظيم في طريق البزَّازين ، فاحترق بسببه للنَّاس شيء كثير ، فعوَّض عليهم الراضي بالله بعضَ ما كان ذهبَ لهم . وفي رمضان اجتمع جماعةٌ من الأمراء على بيعة جعفر بن المكتفي ، وظهر الوزير على أمرهم ، فحبس جعفراً ، ونهب داره ، وحبس جماعةً ممن كان بايعه ، وانطفأت ناره .

وخرج الحُجَّاج في خَفَارة الأمير لؤلؤ ، فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي لعنه الله ، فقتل أكثرهم ، ورجع من انهزم منهم إلى بغداد ، وبَطَلَ الحجُّ في هذه السنة من طريق العراق ، وكان قتله لهم في ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة .

---

(١) في (ط) الحرسي ، وهو تصحيف . وبدر هذا كان من أكابر القواد ، وكان صاحب الشرطة كما هو مذكور ، ثم صرف عنها ، ثم تولى الحجابة للخليفة المتقي لله سنة (٣٢٩هـ) ، ثم قلده طريق الفرات ، فهرب إلى الإخشيد مستأمناً ، فقلده إمرة دمشق ، فوليها شهرين ، ومات سنة (٣٣١هـ) . انظر أمراء دمشق للصفدي (١٧) والنجوم الزاهرة (٣/ ٢٧٩) وأخباره مبثوثة في « الكامل » لابن الأثير ، وانظر حوادث سنة (٣٣٠هـ) من هذا الكتاب .

(٢) في (ح) : صفت .

(٣) المنتظم (٦/ ٢٧٦) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

قال ابن الجَوْزي : وفي هذه الليلة بعينها تساقطت كواكب كثيرة ببغداد والكوفة على صفة لم يُر مثلها، ولا ما يقاربها ، قال : وغلا السعر في هذه السنة حتى أبيع الكُرّ من الحِنْطة بمئة وعشرين ديناراً(١) .

وفيها ـ على الصحيح ـ كان مقتل مَرْدَاويج بن زَيَّار الدَّيْلَمي ، وكان ـ قبحه الله ـ سيِّىء السيرة والسريرة ، يزعم أن روح سليمان بن داود حلّت فيه ـ وله سرير من ذهب يجلس عليه ـ وأنَّ الأتراك بين يديه هم الجن الذين سُخِّروا لسليمان بن داود ، فكان يسيء المعاملة لهم ، ويحتقرهم غاية الاحتقار ، فما زال ذلك دَأْبُه حتى أمكنهم الله منه ، فقتلوه شرقتلة في حَمَّام ، وكان الذي مالأ على قتله غلامه بُجْكُم التُّركي ـ جزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً ـ وكان رُكْنُ الدَّولة بن بُوَيْه رهينةً عنده ، فلما قتل أُطلق من القيد والسجن ، فذهب إلى أخيه عماد الدولة ، وذهبت طائفة من الأتراك معه إلى أخيه ، والتفت طائفة أخرى من الأتراك على بُجْكم ، فسار بهم إلى بغداد بإذن الخليفة ، ثم صُرفوا إلى البصرة فكانوا بها . وأما الدَّيْلم فإنهم بعثوا إلى أخي مَرْدَاويج وهو وشمكير ، فلما قدم عليهم تلقوه إلى أثناء الطريق حفاة مشاة ، فملكوه عليهم لئلا يذهب ملكهم ، فانْتُدبَ لمحاربته السَّعيد نصر بن أحمد السَّاماني ، صاحب خراسان وما والاها من تلك البلاد والأقاليم ، فانتزع منه بلداناً هائلة .

وفيها بعث القائم بأمر الله الفاطمي جيشاً من إفريقية في البحر إلى ناحية الفرنج ، فافتتحوا مدينة جَنوه ، وغنموا غنائم كثيرة وثروة ، ورجعوا سالمين غانمين .

وفيها بعث عماد الدولة بن بُوَيْه أخاه ركن الدولة إلى أصبهان ، فاستولى عليها وعلى بلاد الجبل ، واتسعت مملكة عماد الدولة ، وقويت شوكته ، وعظمت منزلته .

وفيها كان غلاءٌ شديد بخراسان وفناء كثير ، بحيث كان يهمهم أمر دفن الموتى .

وفيها قتلَ ناصرُ الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حَمْدان نائب المَوْصل عمَّه أبا العلاء سعيد بن حمدان ؛ لأنه أراد أن ينتزعها منه ، فبعث إليه الخليفة وزيره أبا علي بن مُقْلة في جيوشٍ ، فهرب منه ناصر الدولة ، فلما طال مقَام ابن مُقْلة بالمَوْصل [ولم يقدر على ناصر الدولة](٢) رجع إلى بغداد ، فاستقرت يد ناصر الدولة على المَوْصل ، وبعث إلى الخليفة يسأل أن يضمن تلك الناحية ، فأُجيب إلى ذلك ، واستمرَّ الحال على ما كان .

وخرج الحجيج فلقيهم القِرْمطي في القادسية ، فقاتلوه فظفر بهم ، فسألوه الأمان ، فأمّنهم على أن يرجعوا إلى بغداد ، فرجعوا ، وتعطل الحج عامهم ذاك(٣) .

---

(١) انظر المنتظم (٦/ ٢٧٧) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) سبق أن مر خبر خروج القرامطة على الحجيج في حوادث هذه السنة ، ويبدو أن إعادته هنا سهو من المصنف ، رحمه الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

نِفْطَوَيْه النَّحْوي[١] إبراهيم بن محمد بن عَرَفَة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرة الأَزْدِي ، أبو عبد الله العَتَكِيّ ، المعروف بنِفْطويه النَّحْوي .

له مصنفات فيه ، وقد سمع الحديث ، وروى عن المشايخ ، وحدَّث عنه الثقات من الناس ، وكان صدوقاً ، وله أشعار حسنة .

وروى الخطيب عن نِفْطَوَيْه أنه مَرَّ يوماً على بقالٍ ، فقال له : أيها الشيخ ، كيف الطريق إلى درب الرأّاسين ـ يعني درب الروّاسين ـ فالتفت البقال إلى جاره فقال له : قبح الله غلامي ، أبطأ علي بالسِّلْق ، فلو كان عندي لصفعت هذا بِجُرْزةٍ منه . فانصرف عنه نفطويه ، ولم يردَّ عليه[٢] .

توفي نِفْطَوَيْه عن ثلاثٍ وثمانين سنة في صفر من هذه السنة ، وصلَّى عليه البَرْبَهَاري رئيس الحنابلة ، ودفن بمقابر باب الكوفة .

ومما أنشده له أبو علي القالي في « الأمالي » :

قلبي عليك أرَقُّ[٣] مِنْ خَدَّيْكا ... وقُوَايَ[٤] أوْهَى من قُوَى جَفْنَيْكا
لِمَ لا تَرِقُّ لمنْ تُعَذِّب[٥] نفسَهُ ... ظُلْماً ويَعْطِفُهُ هواهُ عليكا[٦]

قال ابن خَلِّكان : وفي نِفْطَوَيْه يقول أبو عبد الله محمد[٧] بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي المتكلم المشهور صاحب « الإمامة » و« إعجاز القرآن » ، وغير ذلك :

مَنْ سَرَّه أن لا يرى فاسقاً ... فليجتهدْ أن لا يرى نفطويهْ
أحرقه الله بنصف اسمه ... وصيَّرَ الباقي صُراخاً عليه[٨]

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (١٧٢) تاريخ بغداد (٦/ ١٥٩ ـ ١٦٢) نزهة الألباء (١٧٨ ـ ١٨٠) المنتظم (٦/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) معجم الأدباء (١/ ٢٥٤ ـ ٢٧٢) إنباه الرواة (١/ ١٧٦ ـ ١٨٢) وفيات الأعيان (١/ ٤٧ ـ ٤٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٧٥ ـ ٧٧) .
(٢) انظر تاريخ بغداد (٦/ ١٦١) .
(٣) في النسخ الخطية : قلبي أرق عليك . . . والمثبت من « الأمالي » .
(٤) في (ط) : وفؤادي ، وهو تحريف .
(٥) في النسخ الخطية و(ط) : يعذب ، والمثبت من « الأمالي » .
(٦) انظر الأمالي (١/ ٢٠٩) .
(٧) في (ط) أبو محمد عبد الله بن زيد ، وهو خطأ ، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات (٣/ ٨٢) .
(٨) وفيات الأعيان (١/ ٤٨) .

قال الثعالبي : إنما سمي نِفْطَوَيْه لدمامته وأُدْمَتِهِ[١] .

وقال ابن خَالَوَيْه : لا نعرف مَن اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سواه .

عبيد الله[٢] بن عبد الصَّمَد بن المهتدي بالله[٣] أبو عبد الله الهاشمي العَبَّاسي : حدَّث عن سَيَّار بن نصر الحلبي وغيره . وعنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان ثِقَةً فاضلاً فقيهاً شافعياً .

عبد الملك بن محمد بن عدي[٤] ، أبو نُعَيْم الإسْتِراباذي .

المحدِّث الفقيه الشافعي أيضاً ، توفي عن ثلاثٍ وثمانين سنة .

علي بن الفَضْل بن طاهر[٥] بن نصر بن محمد : أبو الحسن البَلْخي ، كان من الجوَّالين في طلب الحديث ، وكان ثِقَةً حافظاً ، سمع أبا حاتم[٦] الرَّازي وغيره . وعنه الدَّارَقُطْني وغيره .

محمد بن أحمد بن أسد[٧] : أبو بكر الحافظ ، ويعرف بابن البُسْتَنبان ، سمع الزبير بن بكَّار وغيره ، وعنه الدَّارَقُطْني وغيره . جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمئة

فيها جاءت الجند ، فأحدقوا بدار الخلافة وقالوا : ليخرج إلينا الخليفة الراضي بنفسه فيصلّي بالناس . فخرج إليهم ، فصلَّى بهم وخطبهم .

وقبض الغِلْمان على الوزير أبي علي بن مقلة ، وسألوا من الخليفة أن يستوزر غيره ، فَرَدَّ الخِيَرَةَ إليهم ، فاختاروا عليَّ بن عيسى فلم يقبل ، وأشار بأخيه عبد الرحمن بن عيسى فاستوزره . وأحرقت دار أبي علي بن مقلة ، وسُلِّم هو إلى عبد الرحمن بن عيسى ، فَضُرِبَ ضرباً عنيفاً ، وأُخذ خَطُّه بألف ألف دينار .

---

(١) لطائف المعارف (٤٨) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٥١ ـ ٣٥٢) المنتظم (٦/ ٢٧٩) .

(٣) في النسخ الخطية و(ط) : عبد الله ، وهو تصحيف .

(٤) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٢٠هـ) .

(٥) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٧ ـ ٤٨) المنتظم (٦/ ٢٨٠) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٩ ـ ٧٠) تذكرة الحفاظ (١٣/ ٨٧١) طبقات الحفاظ (٣٥٦ ـ ٣٥٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) .

(٦) في (ط) : هاشم ، وهو تحريف .

(٧) تاريخ بغداد (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠) الإكمال (٧/ ١٧٢) المنتظم : (٦/ ٢٨٠) .

ثم عَجَزَ عبد الرحمن بن عيسى فعزل بعد خمسين يوماً ، وقُلِّد الوزارة أبو جعفر محمد بن القاسم الكَرْخي ، فصادر عليَّ بن عيسى بمئة ألف دينار ، وصادر أخاه عبد الرحمن بن عيسى بسبعين ألف دينار ، ثم عُزِلَ بعد ثلاثة أشهر ونصف ، وقُلِّدَ سليمان بن الحسن ، ثم عُزِلَ بأبي الفتح الفَضْل بن جعفر بن الفُرَات ،ولكن في السنة الآتية . وأُحرقت داره[١] كما أحرقت دار ابن مقلة في اليوم الذي أحرقت تلك فيه ، بينهما سنة واحدة . وهذا كله من تخبيط الأتراك والغِلْمان . ولمّا أُحرقت دار ابن مُقْلة في هذه السنة كتب بعض الناس على جُدْرانها :

أحْسَنْتَ ظنَّكَ بالأيَّامِ إذ حَسُنَتْ ... ولَمْ تَخَفْ سُوْءَ ما يأتي به القَدَرُ
وسالَمَتْكَ اللَّيالي فاغْتَرَرْتَ بها ... وعندَ صفو اللَّيالي يحدُثُ الكَدَرُ

وضَعُفَ أمر الخلافة جداً ، وبعث الرَّاضي إلى محمد بن رائق ـ وكان بواسط ـ يستدعيه إليه ليوليه إمرة الأمراء ببغداد ، وأَمْرَ الخَرَاج والمَعاون[٢] في جميع البلاد والدواوين ، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر ، وأنفذ إليه بالخِلع . فَقَدِمَ ابنُ رائق إلى بغداد على ذلك كلِّه ، ومعه الأمير بُجْكم التُّرْكي غلام مَرْدَاويج ـ وهو الذي ساعد على قتله وأراح المسلمين منه ـ واستحوذ على أمرالعراق بكماله ، ونقل أموال بيت المال إلى داره ، ولم يبقَ للوزير تصرُّفٌ في شيء بالكلية ، ووهىٰ أمر الخلافة جداً ،واستقل نواب الأطراف بالتصرُّفِ فيها ، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها . ومع هذا ليس له مع ابن رائق نفوذ في شيء ، [ولا تفرّد بشيء][٣] ، ولا كلمة تطاع ، وإنما يحمل إليه ابنُ رائق ما يحتاج إليه من الأموال والنفقات وغيرها .

وهكذا صار أمر منْ جاء بعده من أمراء الأمراء [وكانوا لا يرفعون رأساً بالخليفة][٤] ، وأما بقية الأطراف ، فالبصرة مع ابنِ رائق هذا ، وأمر خُوْزِسْتان في يد أبي عبد الله البَرِيْدي ، وقد غلب ياقوتَ في هذه السنة على ما كان بيده من مملكة تُسْتَر وغيرها ، واستحوذ على حواصله وأمواله . وأمر فارس إلى عماد الدولة أبي الحسن علي بن بُوَيْه ، والري وأصبهان والجبل بيد أخيه ركن الدولة بن بويه ، وينازعه في ذلك وشمكير أخو مَرْدَاويج ، وكرمان بيد أبي علي محمد بن إلياس بن اليسع . وبلاد الموصل والجزيرة

---

(١) أي دار سليمان بن الحسن .
(٢) في (ط) : المغل ، وفي (ب) و(ظا) : المعادن ، وكلاهما تحريف ، والمثبت من (ح) ، وهي إحدى الوظائف ، انظر عنها صبح الأعشى (١٠/ ٣٨ ـ ٣٩) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حَمْدان . ومِصْر والشَّام في يد محمد بن طُغْج . وبلاد إفريقية والمغرب بيد القائم بأمر الله بن المهدي المدَّعي بأنه فاطمي ، وقد تلقب بأمير المؤمنين . والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد ، الملقب بالنَّاصر الأموي . وخُرَاسان وما وراء النهر في يد السَّعيد نَصْر بن أحمد السَّاماني . وطَبَرستان وجُرْجَان في يد الدَّيْلَم . والبحرين واليمامة وهَجَر في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجَنَّابي القِرْمِطي ، لعنه الله .

وفيها وقع ببغداد غلاء عظيمٌ وفناء كثير بحيث عُدِمَ الخبز منها خمسة أيام ، ومات من أهل البلد خلق كثير ، وأكثر ذلك كان في الضعفاء ، وكان الموتى يلقون في الطرقات ليس لهم من يقوم بأمرهم ، ويُحْمل على الجنازة الواحدة الاثنان من الموتى ، وربما يوضع بينهما صبيٌّ ، وربما حُفِرَت الحفرة الواحدة ، فتوسَّع حتى يوضعَ فيها جماعة . ومات من أهل أصبَهان نحوٌ من مئتي ألف إنسان .

وفيها وقع حريق بعُمَان احترق فيه من السودان ألف ، ومن البيضان خَلْقٌ كثير ، وكان من جملة ما احترق فيه أربعمئة حِمْل كافور .

وعزل الخليفة أحمدَ بنَ كَيْغَلَغ عن نيابة الشَّام ، وأضاف ذلك إلى ابن طُغْج نائب الدِّيار المصرية .

وفيها ولد عضد الدولة أبو شجاع فَنَّاخُسْرُو بن ركن الدولة بن بُوَيْه بأصبهان .

وممن توفي فيها من الأعيان :

ابن مجاهد المقرىء[1] أبو بكر ، أحمد بن موسى بن العَبَّاس بن مجاهد : **المقرىء** ، أحد الأئمة في هذا الشَّان .

حدَّث عن خَلْقٍ كثير ، وروى عنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان ثِقَةً مأموناً ، يسكن الجانب الشَّرقي من بغداد ، وكان ثعلب يقول : ما بقي في عَصْرنا أحد أعلم بكتاب الله منه .

وكانت وفاته يوم الأربعاء ، وأخرج يوم الخميس لعشرٍ بقين من شعبان من هذه السنة . وقد رآه بعضهم في المنام وهو يقرأ فقال له : أما متَّ ؟ فقال : بلى ، ولكن كنت أدعو الله عَقِبَ كلِّ ختمة أن أكون ممن يقرأ في قبره ، فأنا ممن يقرأ في قبره . رحمه الله .

جَحْظَة الشَّاعر البَرْمَكي[2] أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك : **البَرْمكي** ،

---

(١) الفهرست (٤٧) تاريخ بغداد (٥/ ١٤٤ ـ ١٤٨) المنتظم (٦/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) معجم الأدباء (٥/ ٦٥ ـ ٧٣) معرفة القراء (١/ ٢١٦ ـ ٢١٨) العبر (٢/ ٢٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤) الوافي بالوفيات (٨/ ٢٠٠) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٨) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٥٧ ـ ٥٨) طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٣٩٤) غاية النهاية (١/ ١٣٩ ـ ١٤٢) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٥٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٢) .

(٢) الفهرست (٢٠٨) تاريخ بغداد (٤/ ٦٥ ـ ٦٩) الأنساب : (٢/ ١٧٠ ـ ١٧١) المنتظم (٦/ ٢٨٣ ـ ٢٨٦) معجم الأدباء=

أبو الحسن ، النَّديم المعروف بجَحْظة ، الشَّاعر الماهر ، الأديب الأخباري ، ذو الفنون في العلوم والنَّوادر الحاضرة ، وكان جَيِّد الغناء .

ومن شعره :

قد نادَتِ الدُّنيا على نَفْسِها ... لو كانَ في العالم مَنْ يَسْمَعُ
كم واثقٍ في العمر وارَيْتُه ... وجامعٍ بدَّدْتُ ما يَجْمَعُ[١]

وكتب له بعض الملوك رُقْعَةً على صيرفي بمالٍ أطلقه له ، فلم يتحصل منها على شيء ، فكتب إلى الملك يذكر له صورة الحال :

إذا كانتْ صِلاتُكُمُ رِقاعاً ... تُخَطَّطُ بالأنامِلِ والأكُفِّ
ولم تُجْدِ الرِّقاعُ عليَّ نَفْعاً ... فها خَطِّي خُذُوه بألفِ ألفِ[٢]

ومن شعره يهجو صديقاً له ويذمه على شدَّة بخله وحِرْصه :

لنا صاحبٌ من أبرعِ النَّاسِ في البُخْل ... وأفضلهم فيه وليسَ بذي فَضْلِ[٣]
دعاني كما يدعو الصَّديقُ صديقَهُ ... فَجِئتُ كما يأتي إلى مِثْلِه مِثْلي
فلمَّا جَلَسْنا للغَداءِ رأيتُهُ ... يرى أنَّما منْ بعضِ أعضائِهِ أكلي
ويغتاظُ أحياناً ويشتُمُ عَبْدَهُ ... وأعلمُ أنَّ الغيظَ والشَّتْمَ منْ أجلي
أمُدُّ يدي سِراً لآكلَ لُقْمةً ... فيلحظني شَزْراً فأعْبَثُ بالبَقْلِ
إلى أنْ جَنَتْ كفِّي لحَيْني جِنايَةً ... وذلكَ أنّ الجوعَ أعدَمَني عَقْلي
فأهوتْ يميني نحوَ رِجْلِ دَجاجَةٍ ... فَجُرَّتْ ـ كما جَرَّتْ يدي رِجْلَها ـ رِجْلي[٤]

ومن قوي شِعْره وجيده قوله :

رَحَلْتُمْ فكمْ منْ أنَّةٍ بَعْدَ حنَّةٍ ... مبيِّنَةٍ للنَّاسِ حُزْني عليكُمُ

= (٢/ ٢٤١ ـ ٢٨٢) وفيات الأعيان (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤) العبر (٢/ ٢٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٨٦ ـ ٢٨٩) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٨) لسان الميزان (١/ ١٤٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) وللدكتور مزهر السوداني كتاب « جحظة البرمكي » طبع في النجف سنة (١٩٧٧م) .

(١) في (ط) : كم آمل خيبت آماله ، والبيتان في تاريخ بغداد (٤/ ٦٦) والمنتظم (٦/ ٢٨٤) ومعجم الأدباء (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) .

(٢) البيتان في تاريخ بغداد (٤/ ٦٨) ومحاضرات الأدباء (١/ ٢٧٠) والمنتظم (٦/ ٢٨٤) ومعجم الأدباء (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) وفيه تقديم وتأخير في صدر البيت الثاني وعجزه ، مع اختلاف في اللفظ .

(٣) في (ط) : يسمى بفضل وهو ليس بذي فضل .

(٤) تنسب هذه الأبيات أيضاً لأبي كشاجم ، انظر جحظة البرمكي (٢٥٧ ـ ٢٥٨) وانظر المنتظم (٦/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) .

وقد كنتُ أعتقتُ الجُفُونَ منَ البُكا فقد رَدَّها في الرِّقِّ شَوْقي إليكُم[١]

ومما أورده القاضي ابن خَلِّكان من الشِّعْر الرَّائق قوله :

فقلتُ لها : بَخِلْتِ عليَّ يَقْظى فجُودي في المنامِ لمُسْتهامِ
فقالتْ لي : وصِرْتَ تَنام أيضاً وَتَطْمَعُ أنْ أزوركَ في المنامِ[٢] ؟!

قال : وإنما لقبه بجحظة عبد الله بنُ المعتز ؛ وذلك لسوء منظره . كما قال فيه بعض منْ هجاه :

نُبِّئتُ جَحْظَةَ يستعير جُحوظَهُ مِنْ فيلِ شِطْرَنْجٍ ومِنْ سَرَطانِ
وارحمتا لمُنادمِيْه تحمَّلوا ألَمَ العُيونِ للَذَّةِ الآذانِ[٣]

قال ابن خَلِّكان : وكانت وفاته في سنة ست وعشرين ، وقيل : سنة أربع وعشرين وثلاثمئة بواسط ، وحمل إلى بغداد[٤] .

قال الخطيب : ومولده في سنة أربع وعشرين ومئتين[٥] .

ابن المُغَلِّس الفقيه الظَّاهري[٦] : **عبد الله بن أحمد بن محمد ، المُغَلِّس ، أبو الحسن** ، الفقيه الظاهري المشهور .

له المصنفات المفيدة في مذهبه . أخذ الفِقْه عن أبي بكر بن داود . وروى عن عبد الله بن أحمد بن حَنْبَل ، وعليِّ بن داود القَنْطَري ، وأبي قِلابة الرَّقَّاشي[٧] ، وآخرين .

وكان فقيهاً ثقة فاضلاً ، وهو الذي نشر عِلْمَ داود في تلك البلاد . توفي بالسَّكْتة .

أبو بكر بن زياد النَّيْسابوري[٨] **عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون ، أبو بكر** ، الفقيه الشَّافعي النَّيسابوري ، مولى أبَان بن عثمان .

---

(١) ينسب البيتان كذلك لأبي الهيثم خالد بن يزيد الكاتب ، انظر « الديارات » للشابشتي (١٤) مع اختلاف في ترتيب عجز البيتين ، وانظر المنتظم (٦/ ٢٨٦) .
(٢) وفيات الأعيان (١/ ١٣٣) .
(٣) المصدر السالف (١/ ١٣٤) .
(٤) المصدر السالف .
(٥) تاريخ بغداد (٤/ ٦٩) .
(٦) أخبار الراضي للصولي (٨٣) الفهرست (٣٠٦) تاريخ بغداد (٩/ ٣٨٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٧٧) المنتظم (٦/ ٢٨٦) العبر (٢/ ٢٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٧٧ ـ ٧٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٥٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٢).
(٧) في (ط) : الرياشي ، وهو تحريف .
(٨) تاريخ بغداد (١٠/ ١٢٠ ـ ١٢٢) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٤ ـ ١٣٣) المنتظم (٦/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٥ ـ ٦٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨١٩ ـ ٨٢٠) العبر (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) طبقات=

رحل إلى العِرَاق والشَّام ومِصْر ، وسكن بغداد ، وحدَّث عن محمد بن يحيى الذُّهْلي ، وعَبَّاس الدُّوري ، وخَلْق . وعنه الدَّارَقُطْني ، وغير واحد من الحُفَّاظ .

قال الدَّارَقُطْني : لم نَرَ في مشايخنا أحفظ منه للأسانيد والمتون ، وكان أفْقَه المشايخ ، جالس المُزني والرَّبيع .

وقال أبو عبد الله بن بَطَّة[1] : كنا نحضر مجلس ابنِ زياد ، فكان يحزر من يحضر المجلس من أصحاب المحابر بثلاثين ألفاً[2] .

وقال الخطيب : أخبرنا أبو سَعْدٍ الماليني ، أخبرنا يوسف بن عمر بن مسرور [قال] : سمِعْتُ أبا بكر بن زياد النَّيسابوري يقول : أعرف من قام الليل أربعين سنة لم ينم إلا جاثياً ، ويتقوَّت كلَّ يومٍ خمس حَبَّات ، ويصلِّي صلاة الغد بطهارة العِشَاء ، ثم يقول : أنا هو ، هذا كلُّه قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ، أيش أقول لمن زوجني ! ثم قال في إثر هذا : ما أراد إلا الخير[3] .

توفي في هذه السنة عن ستٍّ وثمانين سنة .

عَفَّان بن سُلَيمان[4] بن أيوب : أبو الحسن التَّاجر .

أقام بمصر ، وأوقف بها أوقافاً دارَّةً على أهل الحديث ، وعلى سلالة العشرة رضي الله عنهم . وكان تاجراً موسَّعاً عليه ، مقبول الشَّهادة عند الحُكَّام ، توفي في شعبان[5] من هذه السنة .

أبو الحسن الأشعري[6] علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بُرْدة بن أبي موسى عبد الله بن قيس ، الأشْعَري .

= الشافعية للسبكي (٣/ ٣١٠ ـ ٣١٤) طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٤٨١) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٥٩) طبقات الحفاظ (٣٤١ ـ ٣٤٢) شذرات الذهب (٣/ ٣٠٢) .

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٨٧هـ) .

(٢) انظر المنتظم (٦/ ٢٨٧) .

(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٢٢) .

(٤) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٧٨) المنتظم (٦/ ٢٨٨) .

(٥) في (ح) : رمضان ، وهو وهم .

(٦) الفهرست (٢٥٧) تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) الملل والنحل (١/ ٩٤ ـ ١٠٣) الأنساب (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) تبيين كذب المفتري لابن عساكر في الدفاع عنه ، المنتظم (٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦) العبر (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥ ـ ٩٠) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٨ ـ ٣٠٩) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٤٧ ـ ٤٤٤) الجواهر المضية (٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) الديباج المذهب (١٩٣ ـ ١٩٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٥٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥) .

قَدِمَ بغداد ، وأخذ السُّنَّة عن زكريا بن يحيى السَّاجي ، وتفقه بابن سُرَيْج . وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشَّافعية » .

وقد ذكره القاضي ابن خلِّكان في « الوَفَيات » ، وأنه كان يجلس في حَلْقة الشيخ أبي إسحاق المَرْوزي ، وقد كان مُعْتزلياً قبل ذلك ، فتاب منه بالبَصْرَة فوق المِنْبَر ، ثم أظهر فضائحهم وقبائحهم ، وذكر له من التصانيف « الموجز » وغيره[١] .

وحُكيَ عن ابن حَزْمَ أنه صنَّف خمسة وخمسين تصنيفاً .

وذُكِرَ أن مغله كان في كلِّ سنة سبعة عشر ألف درهم[٢] ، وأنَّه كان من أكثر الناس دُعابةً ، وأنه ولد سنة سبعين ومئتين ، وقيل سنة ستين ومئين ، ومات في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاثين[٣] ، وقيل في سنة بِضْعٍ وثلاثين ، فالله أعلم .

محمد بنُ الفَضْل بنِ عبد الله[٤] أبو ذرّ ، التَّمِيمي .

كان رئيسَ جُرْجان .

سَمِعَ الكثير وتفقَّه بمذهب الشَّافعي ، وكانت دارُه مجمعَ العلماء ، وله إفضالٌ كثير على طلبة العلم من أهل زمانه[٥] .

هارون بن المُقْتَدر[٦] : أخو الخليفة الرَّاضي ، توفي في ربيعٍ الأول منها ، فَحَزنَ عليه أخوه ، وأمر بنفي بَخْتَيْشُوع بن يحيى[٧] المتطبّب إلى الأنْبار ، لأنه اتُّهِمَ في علاجه ، ثم شَفَعَتْ فيه أُمُّ الرَّاضي .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمئة

في المحرَّم منها خرَجَ الخليفة الرَّاضي وأمير الأمراء محمد بن رائق من بغداد قاصدين واسطَ لقتال أبي عبد الله البَرِيْدي ؛ نائب الأهواز ، الذي قد تجبَّر بها ومنع الخَرَاج ، فلما صار ابنُ رائق إلى واسط خرج عليه الحجرية وقاتلوه ، فسلَّطَ عليهم بُجْكُم ، فطحنهم ، ورجع فلُّهم إلى بغداد ، فتلقَّاهم لؤلؤ أمير

(١) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) .
(٢) في النسخ الخطية : سبعة عشر درهماً ، والمثبت من (ط) .
(٣) انظر وفيات سنة (٣٣٠هـ) .
(٤) تاريخ جرجان (٣٧٦) المنتظم (٦/ ٢٨٨) .
(٥) انظر تاريخ جرجان (٣٧٦) .
(٦) المنتظم (٦/ ٢٨٨) .
(٧) ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٢٧٧) .

الشُّرْطة ، فاحتاط على أكثرهم ، ونُهِبَتْ دورُهم ، ولم يبق لهم رأس يرتفع ، وقُطِعَتْ أرزاقهم من بيت المال بالكلِّية .

وبعث الخليفة وابنُ رائق إلى أبي عبد الله البَرِيْدي يتهدَّدانه ، فأجاب إلى حمل كلّ سنةٍ ثلاثمئة ألف وستين ألف دينار يقوم بحمل كل شهر[1] على حدته ، وإلى أنه يجهز جيشاً إلى قتال عماد الدولة بن بُوَيْه[2] . فلما رجع الخليفة وابن رائق إلى بغداد لم يحمل شيئاً ، ولم يبعث أحداً . ثم بعث ابنُ رائق بجكم وبدراً الخَرْشني لقتال أبي عبد الله البريدي ، فجرت بينهم حروبٌ وخطوب ، وأمور يطول ذِكْرها . ثم لجأ البريدي إلى عماد الدولة ، واستجار به ، واستحوذ بُجْكم على بلاد الأهواز ، وجعل إليه ابنُ رائق خَرَاجها ، وكان بُجْكم هذا شجاعاً فاتكاً .

وفي ربيع الأول خَلَعَ الخليفة على بُجْكُم ، وعقد له الإمارة ببغداد ، وولّاه نيابة المشرق إلى خُرَاسان .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو حامد بن الشَّرْقي[3] أحمد بن محمد بن الحسن : أبو حامد بن الشَّرْقي .

مولده سنة أربعين ومئتين .

وكان حافظاً كبير القَدْر ، كثير الحِفْظِ ، كثير الحجِّ . رحل إلى الأمصار وجاب الأقطار ، وسمع من الكبار ، نظر إليه ابنُ خُزَيْمة يوماً فقال : حياة أبي حامد تحْجُزُ بين النَّاس وبين الكذب على رسول الله ﷺ .

عبد الله بن محمد بن سُفْيان[4] أبو الحسن[5] ، الخزَّاز[6] ، النَّحْوي .

---

(١) في (ط) : سنة ، وهو وهم .

(٢) في النسخ الخطية و(ط) : عضد الدولة ، وهو وهم ، إذ أن عضد الدولة ولد في السة الفائتة ، وعماد الدولة هو رأس بني بويه في هذا الوقت .

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧) الأنساب (٧/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) المنتظم (٦/ ٢٨٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٢١ ـ ٨٢٣) العبر (٢/ ٢٠٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٧ ـ ٤٠) ميزان الاعتدال (١/ ١٥٦) الوافي بالوفيات (٧/ ٣٧٩) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤١ ـ ٤٢) طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٩٠) لسان الميزان (١/ ٣٠٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦١) طبقات الحفاظ (٣٤٢) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٦) .

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٢٣) نزهة الألباء (١٨٠) إنباه الرواة (٢/ ١٣٠ ـ ١٣١ ، ١٣٥) بغية الوعاة (٢٨٧ ـ ٢٨٨) كشف الظنون (١٤٥٨ ، ١٤٤١ ، ١٧٣٠) .

(٥) في إنباه الرواة : أبو الحسين .

(٦) في مطبوع نزهة الألباء : الجزار ، وإخالها تصحيفاً .

حدَّث عن المبرِّد وثعلب ، وكان ثِقَةً ، له مصنفات في علوم القرآن غزيرة الفوائد .

محمد بن إسحاق بن يحيى[١] أبو الطَّيِّب النَّحْوي ، ابن الوَشَّاء ، له مصنَّفات مليحة في الأخبار[٢] ، وقد حدَّث عن الحارث بن أبي أُسامة ، والمبرِّد ، وثعلب ، وغيرهم .

محمد بن أحمد بن هارون[٣] أبو بكر العَسْكري ، الفقيه على مذهب أبي ثور ، روى عن الحسن بن عَرَفَة ، وعبَّاس الدُّوري ، وعنه : الدَّارَقُطني ، والآجُرِّي ، وغيرهما .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمئة

فيها ورد كتابٌ من ملك الرُّوم إلى الخليفة الرَّاضي مكتوبٌ بالرُّومية والتفسير بالعربية ، فأما الرُّومي فبالذَّهب والعربي بالفِضَّة ، وحاصله طلب الهُدْنة بينه وبينه ، ووجَّه مع الكتاب بهدايا وألطافٍ كثيرة فاخرة ، فأجابه الخليفةُ إلى ذلك ، وفُوديَ من المسلمين ستة آلاف ما بين ذكر وأنثى على نهر البَذَنْدون[٤] .

وفيها ارتحل الوزير أبو الفتح بن الفُرات من بغداد إلى الشَّام ، وتركَ الوزارة ، فوليها أبو علي بن مُقْلَة ، ولكن كانت ولايتُهُ ضعيفةً جداً ، ليس له من الأمر شيء مع ابنِ رائق ، وطلب من ابن رائق أن يفرغ له عن أملاكه ، فجعل يماطله ، فكتب إلى بُجْكم يطمعه في بغداد ، وأن يكون عِوَضاً عن ابنِ رائق . وكتبَ ابنُ مُقْلَة إلى الخليفة يطلب منه أن يسلِّمَ إليه محمد بن رائق ، وابن مقاتل ، ويضمنهم بألفي ألف دينار ، فبلغ ذلك ابنَ رائق ، فأخذه فقطع يدَه ، وقال : هذا أفسد في الأرض . ثم جعل يُحَسِّنُ للخليفة أن يستوزره ، وأنَّ قطعَ يده لا يمنعه من الكتابة ، وأنه يشدُّ القلم على يده اليمنى المقطوعة فيكتب بها ، [ثم بلغ ابنَ رائق أنه قد كتب إلى بُجْكُم بما تقدَّم ، وأنه يدعو عليه][٥] ، فأخذه ابن رائق أيضاً فقطع لسانه ، وسجنه في مكان ضيِّقٍ ، وليس عنده من يخدمه ، فكان يستقي الماءَ بنفسه ؛ يتناول الحبل من البئر بيده

---

(١) تاريخ بغداد (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) نزهة الألباء (٢٠٧) المنتظم (٦/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) معجم الأدباء (١٧/ ١٣٢ ـ ١٣٤) إنباه الرواة (٣/ ٦١ ـ ٦٢) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٢ ـ ٣٣) بغية الوعاة (٧) كشف الظنون (٧٢٣ ، ٥٧٦ ، ١٤٦١) ولأحمد أمين مقالة عنه في مجلة « الثقافة » السنة الأولى ، العدد٤ ص(٥ ـ ٧) وقد ورد اسمه في بعض المصادر : محمد بن أحمد بن إسحاق .

(٢) مما طبع من مصنفاته كتاب « الموشى » ، وقد طبع غير مرة ، آخرها في مصر (١٩٥٣م) بتحقيق كمال مصطفى .

(٣) تاريخ بغداد (١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) الأنساب (٨/ ٤٥٦) المنتظم (٦/ ٢٩١) .

(٤) قرية بينها وبين طرسوس يوم ، من بلاد الثغر ، معجم البلدان (١/ ٣٦٢) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

اليسرى ، ثم يمسكه بفيه ، [ثم يجذب باليسرى ، ثم يمسك بفيه إلى أن يستقي][١] ، ولقي شدَّة وعناءً ، ومات[٢] في محبسه هذا وحيداً ، فدفن هناك ، ثم سأل أهلُه نقلَه ، فدفن في داره ، ثم نقل منها إلى غيرها ، فاتفقَ له أشياء غريبة : منها أنه وزر ثلاث مرات ، وعُزِلَ ثلاث مرَّات ، وولي لثلاثةٍ من الخلفاء ، ودفن ثلاث مرات ، وسافر ثلاث سفرات ، مرتين منفياً ، ومرة في وزارته إلى الموصل كما تقدَّم[٣] .

وفي هذه السنة دخل بُجْكُم إلى بغداد ، فقلَّده الرَّاضي إمرة الأمراء مكان ابن رائق ـ وقد كان بُجْكُم هذا من غِلْمان أبي علي العارض[٤] وزير ماكان بن كالي الدَّيْلمي ، فاستوهبه ما كان من الوزير ، فوهبه له ، ثم فارق ماكان ولحق بمرداويج ، وكان في جُمْلة منْ قتلَه في الحمَّام كما تقدَّم[٥] ـ وسكن بُجْكُم في دار مُؤْنس الخادم ، وعَظُمَ أمره جداً . وانفصل ابن رائق ، وكانت أيامه سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً .

وفيها بعث عماد الدولة بن بُوَيْه أخاه معز الدولة فأخذ بلاد الأهواز لأبي عبد الله البَرِيْدي ، وانتزعها من يد بُجْكُم ، وأعادها إليه .

وفيها استولى لشكري ؛ أحد أمراء وشمكير الدَّيْلمي على بلاد أذْرَبيجان ، وانتزعها من رستم بن إبراهيم الكُرْدي ؛ أحد أصحاب ابن أبي السَّاج ، بعد قتالٍ شديد طويل .

وفي هذه السنة اضطرب أمرُ القرامطة جداً ، وقتلَ بعضُهم بعضاً ، وانكفُّوا بسبب قتلهم عن التعرُّضِ للفساد في الأرض ، ولزموا بلدَهُمْ هَجَر لا يرومون منه انتقالاً إلى غيره ، ولله الحمد والمنَّة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن زياد[٦] بن عبد الرحمن اللَّخْمي الأندلسي .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) سيأتي ذكره في وفيات سنة (٣٢٨هـ) .

(٣) انظر وفيات سنة (٣٢٣هـ) .

(٤) العارض رئيس ديوان الجند ، يوكل إليه نفقات الجيش وأرزاق جنده ، وله الحل والعقد ، والإثبات والإسقاط ، تاريخ البيهقي (٥٣٦) .

(٥) انظر أحداث سنة (٣٢٣هـ) .

(٦) الديباج المذهب (٣٣) شجرة النور الذكية (٨٦) وفيهما : أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن ووفاته سنة (٣١٢هـ) ، وفي المنتظم (٦/ ٢٩٤) : أحمد بن زياد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن ، وهو الصواب ، فقد ترجمه ابن الفرضي في تاريخه (١٠١) وذكر وفاته في هذه السنة (٣٢٦) ، وتابعه الذهبي في تاريخ الإسلام (٧/ ٥١٨) .

كان أبوه[١] من أصحاب مالك ، وهذا الرجل هو أولُ منْ أدخل فقه مالك إلى الأندلس ، وقد عُرِضَ عليه القضاء بها ، فلم يقبل .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمئة

في المحرَّم منها خَرَجَ الرَّاضي بالله أمير المؤمنين من بغداد إلى المَوْصل لمحاربة ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حَمْدان نائبها ، وبين يديه بُجْكُم أمير الأمراء ، وقاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف ، وقد استخلف ببغداد ولدَه القاضي أبا نصر يوسف بن عمر عن أمر الخليفة له بذلك ، وكان عالماً فاضلاً . ولما انتهى بُجْكُم إلى الموصل والجزيرة واقع الحسن بن عبد الله بن حمدان فَهَزَمَ بُجْكُم الحسن بن حمدان ، وقرَّر الخليفة أمر الموصل والجزيرة .

وأما محمد بن رائق فإنه اغتنم غيبة الخليفة عن بغداد ، واستجاش[٢] بألفٍ من القرامطة ، وجاء فدخل بهم بغداد ، فأكثر فيها الفساد ، غير أنه لم يتعرَّض لدار الخلافة ، ثم بعث إلى الخليفة يطلب منه المصالحة والعفو عما جنى ، فأجابه إلى ذلك ، وبعث إليه قاضي القضاة أبا الحسين عمر بن محمد بن يوسف ، وترحَّل ابنُ رائق عن بغداد ، ودخلها الخليفة في جمادى الأولى من هذه السنة ، ففرح المسلمون بذلك .

ونزل عند غروب الشمس أول ليلة من شهر أذار في جُمادى الأولى مَطرٌ عظيم ، وبَرَدٌ كبار ، كل واحدة نحو الأوقيتين ، واستمرَّ ، فسقط بسببه دور كثيرة من بغداد .

وظهر جَرَاد كثيرٌ في هذه السنة ، وكان الحجُّ من جهة درب العراق قد تعطَّلَ من سنة سبع عشرة وثلاثمئة إلى هذه السنة ، فشفع الشريف أبو علي عمر بن يحيى العَلَوي عند القرامطة ، وكانوا يحبُّونه لشجاعته وكرمه ، في أن يمكنوا الحجيج من الحج ، وأن يكون لهم على كل جَمَلٍ خمسة دنانير ، وعلى المحمل سبعة دنانير ، [فاتفقوا معه على ذلك][٣] ، فخرج النَّاس للحجِّ هذه السنة على هذا الشَّرْط ، وكان في جملة من خرج الشيخ أبو علي بن أبي هُرَيْرة[٤] ؛ أحد أئمة الشَّافعية ، فلما اجتاز بهم طالبوه بالخِفارة ، فثنى رأس راحلته ورجع وقال : ما رجعت شُحّاً ، ولكن سقط عني وجوب الحج بطلب هذه الخِفارة .

---

(١) أي زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون ، ترجمته في الديباج المذهب (١١٨) .

(٢) أي طلب جيشاً . اللسان (جيش) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) توفي سنة (٣٤٥هـ) ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٣٠) .

وفي هذه السنة وقعت فتنةٌ بالأندلس ؛ وذلك أن عبد الرحمن الأموي ؛ صاحب الأندلس الملقب بالنَّاصر لدين الله ، قتل وزيره أحمد ، فغضب له أخوه أُمية بن إسحاق ـ وكان نائباً على مدينة شَنْتَرِين[1] ـ فارتدَّ ، ودخل بلاد النَّصارى ، واجتمع بملكهم ردمير ، ودلَّهم على عورات المسلمين ، فسار إليهم في جيشٍ كثيف من الجلالقة ، فخرج إليه الأموي ، فأوقع بهم بأساً شديداً ، وقتل من الجلالقة خلقاً كثيراً ، ثم كرَّ الفرنج على المسلمين ، فقتلوا منهم خَلْقاً كثيراً قريباً ممن قتلوا منهم ، ثم والى المسلمون الغارات على بلاد الجلالقة ، فقتلوا منهم أمماً لا يحصون كثرةً ، ثم نَدِمَ أمية بن إسحاق على ما صنع ، وطلب الأمان من عبد الرحمن ، فبعث إليه بالأمان ، فلما قَدِمَ عليه قَبَّله واحترمه .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن القاسم بن جعفر[2] بن دُحَيْم[3] : أبو علي ، الدِّمَشْقي .

من أبناء المحدِّثين ، وكان أخبارياً له في ذلك مصنفات ، وقد حدَّث عن العبَّاس بنِ الوليد البَيْروتي وغيره .

وكانت وفاته بمصر في محرَّم هذه السنة ، وقد أناف على الثمانين سنة .

الحسين بن القاسم[4] بن جعفر بن محمد بن خالد بن بِشْر : أبو علي ، الكَوْكبي الكاتب ، صاحب الأخبار والآداب .

روى عن أحمد بن أبي خَيْثمة ، وأبي العَيْناء ، وابن أبي الدُّنيا . روى عنه الدَّارَقُطني ، وغيره .

عُثمان بن الخَطَّاب[5] بن عبد الله : أبو عمرو ، البَلَويُّ ، المَغْربي الأشَجّ ، ويعرف بأبي الدُّنْيا[6] .

قدم هذا الرجل بغداد بعد الثلاثمئة ، وزعم أنه ولد أول خلافة أبي بكر ببلاد المغرب ، وأنه وَفَدَ هو وأبوه على عليٍّ بن أبي طالب ، فأصابهم في الطَّريق عَطَشٌ شديد ، فذهب يرتاد لأبيه ماءً ، فرأى

---

(١) مدينة غربي الأندلس ، متصلة بباجه . معجم البلدان (٣/ ٣٦٧) .

(٢) هكذا في النسخ ، وعندي أن هذا الاسم مقحم فهو : الحسن بن القاسم بن دحيم ، واسم دحيم عبد الرحمن بن إبراهيم ، كما في تاريخ الإسلام ٧/ ٥٣١ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٠٩ ، ولعل هذا الاسم قفز من الترجمة الآتية (بشار) .

(٣) في (ط) : رحيم ، وهو تحريف . وترجمته في تاريخ ابن عساكر (٤/ ٢٩٠أ ـ ٢٩١أ) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) الوافي بالوفيات (١٢/ ٢٠٣) .

(٤) تاريخ بغداد (٨/ ٨٦ ـ ٨٧) الأنساب (١٠/ ٥٠٠) المنتظم (٦/ ٢٩٧) اللباب (٣/ ٥٩) .

(٥) تاريخ بغداد (١١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩) المنتظم (٦/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٣) لسان الميزان (٤/ ١٣٤ ـ ١٤٠) .

(٦) زعم أن علياً كناه بأبي الدنيا لعلمه أنه يطول عمره . لسان الميزان (٤/ ١٣٥) .

عيناً ، فشرب منها واغتسل ، ثم جاء إلى أبيه ليسقيه ، فمات أبوه ، وقَدِمَ هو على عليِّ بن أبي طالب ، فأراد أن يقبِّلَ رُكبته ، فصدمه الرِّكاب ، فشجَّ رأسه ، فكان يعرف بالأشَجِّ .

وصدَّقه في هذا الزَّعم طائفةٌ من الناس ، ورووا عنه نسخة فيها أحاديث من روايته عن علي ، وممن صدَّقه في ذلك الحافظ محمد بن أحمد المفيد[١] ، ورواها عنه ، ولكن كان المفيد متهماً بالتشيُّع ، فسمح له في ذلك لانتسابه إلى عليٍّ ، وأما جمهور المحدِّثين قديماً وحديثاً فكذَّبوه في ذلك ، وردُّوا عليه كذبه ، ونصُّوا على أن النسخة التي رواها موضوعة ؛ منهم أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي ، وأشياخُنا الذين أدركناهم ، شيخ الإسلام [أبو العباس][٢] ابن تيميَّة ، والجِهْبذُ أبو الحَجَّاج المِزِّي ، والحافظ مؤرِّخ الإسلام أبو عبد الله الذَّهبي[٣] ، وقد حرَّرْتُ ذلك في كتابي « التكميل » ، ولله الحمد والمنَّة .

قال المفيد : بلغني أن الأشجَّ مات سنةَ سَبْعٍ وعشرين وثلاثمئة ، وهو راجعٌ إلى بلده .

محمد بن جعفر بن محمد بن سَهْل[٤] : أبو بكر ، الخرائطي ؛ صاحب المصنَّفات .

أصله من أهل سُرَّ منْ رأى ، وسكن الشَّام ، وحدَّث بها عن الحسنِ بن عَرَفة ، وغيره .

وممن توفي فيها :

الحافظ الكبير ابن الحافظ الكبير أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم[٥] **محمد بن إدريس : الرَّازي .**

صاحب كتاب « الجَرْح والتَّعْديل »[٦] ، وهو من أجلِّ الكتب المصنَّفة في هذا الشَّأْن ، وله « التفسير » الحافل الذي اشتمل على النقل الكامل ، الذي يربو فيه على تفسير ابن جرير ، وغيره من المفسرين [إلى

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد (١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٨) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٦٩ ـ ٢٧١) وذكر الخطيب أن موسى بن هارون سماه المفيد ، وقد علق الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٧٩) على هذا بقوله : فهذه العبارة أول ما استعملت لقباً في هذا الوقت قبل الثلاثمئة ، والحافظ أعلى من المفيد في العرف ، كما أن الحجة فوق الثقة .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) ينظر تاريخ الإسلام ٧/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧ .

(٤) تاريخ بغداد (٢/ ١٣٩ ـ ١٤٠) الأنساب (٥/ ٧١ ـ ٧٢) معجم الأدباء (١٨/ ٩٨) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) العبر (٢/ ٢٠٩) الوافي بالوفيات (٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٩) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٥) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٩) .

(٥) طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥) الأنساب (٤/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) معجم البلدان (٢/ ٣١١ ، ٣/ ١٢٠ ـ ١٢١) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٢٩ ـ ٨٣٢) العبر (٢/ ٢٠٨) ميزان الاعتدال (٢/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨) فوات الوفيات (٢/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٢٤ ـ ٣٢٨) طبقات الشافعية للإسنوي (٣/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) لسان الميزان (٣/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣) طبقات الحفاظ (٣٤٥ ـ ٣٤٦) طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨١) شذرات الذهب (٢/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) .

(٦) كتاب مشهور متداول ، طبع في حيدر آباد سنة (١٩٥٣م) .

زماننا][١] ، وله كتاب « العِلل »[٢] المصنَّفة المرتبة على أبواب الفِقْه ، وغير ذلك من المصنَّفات النافعة .

وكان من العبادة والزهادة والورع والحِفْظ والكرامات الكثيرة المشهورة على جانبٍ كبير ، رحمه الله وأكرم مثواه .

صلَّى مرَّة ، فلما سلَّم قال له بعض منْ صلَّى معه : لقد أطلت علينا ، ولقد سبَّحتُ في سجودي سبعين مرَّة . فقال عبد الرحمن : لكني والله ما سبَّحْتُ إلا ثلاث مرَّات .

وتهدَّم سور [بلدفي][٣] بعضِ بلاد الثُّغور ، فتكلَّم عبد الرحمن بن أبي حاتم على الناس ، وحثَّهُمْ على عِمارته ، وقال : من يعمره وأضمن له على الله الجنة ؟ فقام رجل من التُّجَّار فقال : اكتب في خَطِّكَ هذا الضَّمان ، وهذه ألف دينار لِعمارته . فكتب له رُقْعةً بذلك ، وعمَّرَ ذلك السُّور ، ثم اتفق موتُ الرجل عما قريب ، فلما حضر الناسُ جِنازته طارت من كفنه رُقْعة ، وهي التي كان كتبها له ابنُ أبي حاتم ، ثم عادت وقد كتب في ظهرها : قد أمضينا لك هذا الضَّمان ، ولا تعد إلى ذلك .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمئة

قال ابنُ الجوزي في « منتظمه » : في غُرَّة المُحرَّم منها ظهرت في الجو حُمْرةٌ شديدة من ناحية الشمال والمغرب ، وفيه أعمدة بيضٌ عظيمة كثيرة العدد[٤] .

وفيها وصل الخبر بأن ركنَ الدولة أبا علي الحسن بن بُوَيْه الدَّيْلمي وصل إلى واسط ، فركب الخليفة ، وبُجْكُم لقتاله ، فانصرفَ راجعاً [إلى الأهواز][٥] ، ورجعا إلى بغداد .

وفي هذه السنة ملك ركنُ الدولة بنُ بُوَيْه مدينة أصبهان ، أخذها من وشمكير أخي مَرْدَاويج ؛ لقلَّةِ جيشه في ذلك الحين .

وفي شعبان زادت دِجْلَة زيادةً عظيمة ، وانتشرت في الجانب الغربي ، وسقطت دورٌ كثيرة ، وانبثق بثقٌ من نواحي الأنبار ، فغرَّق قرى كثيرة ، وهلك بسببه حيوانات وسباع كثيرة في البرية .

وفيها تزوج بُجْكُم بسارة بنت أبي عبد الله البريدي ؛ وهو محمد بن أحمد بن يعقوب الوَزير يومئذٍ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) طبع في القاهرة سنة (١٩٢٦م) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) المنتظم (٦/ ٢٩٩) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

بغداد ، ثم صرف عن الوزارة بسليمان بن الحسن ، وضَمِنَ البريديُّ بلادَ واسط وأعمالها بستمئة ألف دينار .

وفيها توفي قاضي القضاة أبو الحسين[١] عمر بن محمد بن يوسف ، وتولَّى مكانه وَلَدُهُ أبو نَصْر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف ، وخلع عليه الخليفة الرَّاضي يوم الخميس لخمس بقين من شعبان .

ولما خرج أبو عبد الله البريدي إلى واسط كتب إلى بُجْكُم يحثُّه على الخروج إلى الجبل ليفتحها ، ويساعده على أخذ الأهواز من يد معز الدولة[٢] بن بُوَيْه ، وإنّما كان مقصوده أن يستغيبه عن بغداد ليأخذها منه . فلما انفصل بجُكم بالجنود بلغه ما يؤمله أبو عبد الله البَريدي من المكيدة ، فرجع سريعاً إلى بغداد ، وركب في جيشٍ كثيف إليه ، وأخذ الطُّرُقَ من كلِّ جانب ، لئلا يشعر به إلا وهو عنده . فاتَّفَقَ أنه كان راكباً في زورق ، وعنده كاتبٌ له ، إذ سَقَطتْ حمامةٌ في ذَنَبها كتابٌ ، فأخذه بُجْكم ، فقرأه ، فإذا فيه كتاب من هذا الكاتب إلى بعض أصحاب البريدي ، يعلمه بخبر بُجْكُم ، فقال له : ويحك ، أهذا خَطُّك ؟ قال : نعم! ولم يقدر على الإنكار ، فأمر بقتله ، فَقُتلَ وألقي في دِجْلة . وحين شعر البَرِيْديُّ بقدوم بُجْكُم هرب إلى البَصْرة ، ولم يقم بها أيضاً ، [بل هرب منها إلى غيرها][٣] فاستولى بُجْكُم على واسط ، وتسلَّط الدَّيْلم على جيشه الذين خلَّفهم بالجبل ، ففروا سراعاً إلى بغداد .

وفي هذه السنة استولى محمد بن رائق على بلاد الشَّام ، فدخل حِمْصَ أولاً فأخذها ، ثم جاء إلى دمشق وعليها بدر بن عبد الله الإخْشِيذي المعروف ببُدَيْر من جهة الإخشيذ محمد بن طُغْج ، فأخرجه ابنُ رائق منها قهراً ، واستولى عليها . ثم ركب [ابن رائق][٤] في جيشٍ إلى الرَّمْلة فأخذها ، ثم قصد عريش مصر ليدخلها ، فلقيه محمد بن طُغْج ، فاقتتلا هناك فهزمه ابنُ رائق ، واشتغل أصحابُه بالنَّهْبِ ، ونزلوا في خيام المِصْريين ، فكَرَّت عليهم المِصْريون ، فقتلوهم قتلاً عظيماً ، وهرب محمد بن رائق في سبعين رجلاً من أصحابه ، فدخل دمشق في أسوأ حالٍ وشَرِّها ، وسيَّر إليه محمد بنُ طُغْج أخاه نَصْرَ بنَ طُغْج في جيش ، فاقتتلوا عند اللَّجُّون[٥] في رابع ذي الحجَّة ، فهُزِمَ المصريون ، وقُتِلَ أخو الإخشيذ فيمن قُتِلَ ، فغسله محمد بن رائق ، وكفَّنه ، وبعث به إلى أخيه بمصر ، وأرسل معه ولده ، وكتب إليه يحلف له أنه ما أراد قتله ، وهذا ولدي فاقْتَدْ منه . فأكرم الإخشيذ ولدَ محمدِ بنِ رائق ، واصطلحا على أن تكون الرَّمْلَة

---

(١) في النسخ الخطية و(ط) : أبو الحسن ، وهو تحريف .

(٢) في النسخ الخطية و(ط) : عماد الدولة ، وهو وهم ، إذ إن معز الدولة هو الذي استولى على الأهواز سنة (٣٢٦هـ) ، وبقيت في يده ، انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٣٤٠ ـ ٣٤٣) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) بلد بالأردن ، بينه وبين طبرية عشرون ميلاً ، معجم البلدان (٥/ ١٣) .

وما بعدها [إلى ديار مصر][1] للإخشيد ، ويحمل إليه الإخشيد في كلِّ سنة مئة ألفِ دينار وأربعين ألف دينار ، وما بعد الرَّملة [إلى دمشق][2] يكون لمحمد بن رائق .

ومِمن توفي في هذه السنة :

جَعْفَر المُرْتَعِش[3] : أبو محمد ، أحد مشايخ الصُّوفية ، كذا ذكره الخطيب[4] .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلمي : اسمه عبد الله بن محمد ، أبو محمد النَّيسابوري[5] . كان من ذوي الأموال فتخلَّى منها ، وصَحِبَ الجُنَيْد ، وأبا حفص ، وأبا عثمان ، وأقام ببغداد حتى صار شيخَ الصُّوفية ، فكان يقال : عجائبُ بغداد ثلاث : إشارات الشِّبْلي ، ونُكَتُ المُرْتعش ، وحكايات جعفر الخَوَّاص . سَمِعْتُ أبا الفَرَج[6] الصَّائغ يقول : قال المرتعش : منْ ظَنَّ أن أفعاله تُنْجيه من النَّار أو تُبلغه الرِّضْوان فقد جعل لنفسه ولفِعْله خَطَراً ، ومنِ اعتمدَ على فَضْل الله بلَّغه الله أقصى منازلِ الرِّضْوَان[7] .

وقيل للمُرْتعش : إن فلاناً يمشي على الماء ! فقال : إن مخالفةَ الهوى أعظمُ من المشي على الماء[8] .

ولما حَضَرَتْهُ الوفاةُ وهو بمسجد الشُّونيْزية[9] حسبوا ما عليه من الدَّيْن ، فإذا عليه سبعة عشر دِرْهماً ، فقال : بيعوا خُرَيْقاتي هذه فيها ، وأرجو أن يرزقني الله كفناً . وقد سألتُ الله ثلاثاً أن يميتني وأنا فقير ، وأن يجعلَ وفاتي في هذا المسجد ، فإني صَحِبْتُ فيه أقواماً ، وأن يجعل عندي منْ آنس به وأحبُّه . ثم غَمَّضَ عينيه ، ومات[10] .

أبو سعيد الإِصْطَخْرِيّ[11] الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفَضْل بن يَسَار ، أبو سعيد الإِصْطَخْري ، أحد أئمة الشَّافعية .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) طبقات الصوفية (٣٤٩ ـ ٣٥٣) حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٥) تاريخ بغداد (٧/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) الرسالة القشيرية (٢٦) المنتظم (٦/ ٣٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) العبر (٢/ ٢١٥) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٥) طبقات الأولياء (١٤١ ـ ١٤٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠) شذرات الذهب (٢/ ٣١٧) .
(٤) تاريخ بغداد (٧/ ٢٢١) .
(٥) طبقات الصوفية (٣٤٩) .
(٦) في (ط) و(ظا) و(ب) : أبا جعفر ، وهو تحريف .
(٧) طبقات الصوفية (٣٥٢ ـ ٣٥٣) .
(٨) طبقات الصوفية (٣٥١ ـ ٣٥٢) .
(٩) مقبرة ببغداد كانت بالجانب الغربي ، وفيها خانقاه للصوفية . معجم البلدان (٣/ ٣٧٤) .
(١٠) انظر تاريخ بغداد (٧/ ٢٢٢) .
(١١) الفهرست (٣٠٠) تاريخ بغداد (٧/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١١) الأنساب (١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢) المنتظم (٦/ ٣٠٢) وفيات الأعيان (٢/ ٧٤ ـ ٧٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٠ ـ ٢٥٢) العبر (٢/ ٢١٢) مرآة الجنان=

وكان زاهداً ورعاً ناسكاً عابداً ، ولي القضاء بقُمّ ، ثم حِسْبَةَ بغداد ، فكان يدور بها ويصلِّي على بغلته ، وهو سائر بين الأزقَّة ، وكان متقلِّلاً جداً . وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشَّافعية » بما فيه كفاية وله « كتاب القَضَاء » لم يصنَّف مثله في بابه ، توفي وقد قارب التِّسْعين ، رحمه الله .

عليُّ بنُ محمد أبو الحسن[1] : المُزَيِّن الصَّغير ، أحد مشايخ الصُّوفية .

أصله من بغداد ، صحِبَ الجنيد وسهلاً التُّسْتري ، وجاور بمكة حتى توفي بها في هذه السنة .

وكان يحكي عن نفسه قال : وردتُ بئراً في أرضِ تبوك ، فلما دنوت منها زَلِقْتُ ، فَسَقَطتُ في البئر ، وليس أحدٌ يراني ، فلما كنتُ في أسْفَلِهِ إذا فيه مصطبة ، فَعَلَوْتُها وقلت : إن متُّ لا أفسد على النَّاس الماء ، وسكَنَت نفسي وطابت للموت ، فبينا أنا كذلك إذا أفعى قد تدلَّتْ عليَّ ، فلَفَّتْ عليَّ ذنبها ، ثم رفعتني حتى أخرجتني إلى وجه الأرض ، وانسابت فلم أدر أين ذهبت ، ولا من أين جاءت .

وفي مشايخ الصُّوفية آخر يقال له أبو جعفر المُزَيِّن الكبير[2] ؛ جاور بمكَّة ، ومات بها أيضاً ، وكان من العُبَّاد .

روى الخطيب عن علي بنِ أبي علي ، عن إبراهيم بن محمد الطَّبري ، عن جعفر الخُلْدي قال : ودَّعْتُ في بعض حجاتي المُزَيِّن الكبير فقلتُ له : زوِّدني . فقال لي : إذا فقدتَ شيئاً فقل : يا جامع الناس ليومٍ لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، اجمع بيني وبين كذا ، فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء . قال : وجئت إلى الكتَّاني فودَّعْتُه وسألته أن يزوِّدَني ، فأعطاني خاتماً على فصِّه نقش فقال : إذا اغتممت فانظر إلى هذا الفَصّ يَزُلْ همُّك . قال : فكنتُ لا أدعو بذلك الدُّعاء إلا استجيبَ لي ، ولا أنظر إلى ذلك الفَصِّ إلا زال عني ما أجده من همٍّ ، فبينا أنا ذات يوم في السُّمَيْرية إذ هبَّتْ ريحٌ شديدة ، فأخرجت الخاتم لأنظر إليه ، فلم أدرِ كيف ذَهَبَ ، فجعلت أدعو بذلك الدُّعاء يومي كله [أن يجمع عليَّ

= (٢/ ٢٩٠) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٣٠ ـ ٢٥٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٧) طبقات ابن هداية الله (٦٢) شذرات الذهب (٢/ ٣١٢) .

(١) طبقات الصوفية (٣٨٢ ـ ٣٨٥) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٣) الرسالة القشيرية (٢٧) المنتظم (٦/ ٣٠٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٣٢) العبر (٢/ ٢١٥) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٥) طبقات الأولياء (١٤٠ ـ ١٤١) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٩) شذرات الذهب (٢/ ٣١٦) .

(٢) لم أقف على ترجمة المزين الكبير فيما لدي من مصادر ، وسماه الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٣٢) أبا الحسن المزين الكبير البغدادي ، وقلت : فرقهما أبو عبد الرحمن السلمي ، ولم يظهر لي إلا أنهما واحد . ولم أجد في النسخة المطبوعة من « طبقات الصوفية » أي تفريق بينهما ، ولعل السلمي ذكرهما في غير كتاب « الطبقات » ، والله أعلم .

الخاتم [١] ، فلما رجعتُ إلى المنزل ، فتشتُ المتاع الذي في المنزل ، فإذا الخاتم في بعض ثيابي التي كانت بالمنزل .

صاحب كتاب العِقْد[٢] **أحمد بن محمد بن عبد ربه** بن حبيب بن حُدَير بن سالم ، أبو عمر ، القُرْطُبي ؛ مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحَكَم الأموي .

كان من الفضلاء المكثرين ، والعلماء بأخبار الأولين والمتأخِّرين ، وكتابه « العِقْد » يدل على فضائلَ جمَّة ، وعلوم كثيرة مهمة ، ولكنه يدل كثير من كلامه على تشيُّعٍ وميلٍ إلى الحطِّ على بني أُمية ، وهذا عجيبٌ منه ؛ لأنه أحد مواليهم ، وكان الأَوْلى به أن يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم .

قال القاضي ابن خلِّكان : وله « ديوان شعر » حسن . ثم أورد منه أشعاراً في التغزُّلِ في المردان والنِّسوان[٣] أيضاً .

وكان مولده في رمضان سنة ست وأربعين ومئتين ، وتوفي بقُرْطبة يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى من هذه السنة .

عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب[٤] بن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد بن دِرْهم ، أبو الحسين ، الأَزْدي الفقيه المالكي القاضي ابن القاضي .

ناب عن أبيه[٥] وعمره عشرون سنة ، وكان حافظاً للقرآن والحديث والفِقْه على مذهب مالك ، والفرائض ، والحِسَاب واللُّغة والنحو والشِّعر . وصنَّف مسنداً ، ورُزِقَ قوة الفهم وجودة القريحة ، وشرف الأخلاق ، وله الشِّعْر الرائق الحسن ، وكان مشكورَ السيرة في القضاء ، عَدْلاً ثقة إماماً .

قال الخطيب : أخبرنا أبو الطَّيِّب الطَّبري ، سَمِعْتُ المعافى بن زكريا الجَرِيري يقول : كنا نجلس في

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) : العقد الفريد ، وإخالها مقحمة من الناسخ ، إذ لم ترد في نسخنا المخطوطة ، ولفظ « الفريد » نعت متأخر استلحق بعنوان العقد بعد عصر ابن كثير ، انظر ما كتبه الدكتور جبرائيل جبور حول تسمية الكتاب في « ابن عبد ربه وعقده » (ص٤٧ ـ ٥٠) دار الآفاق الجديدة ـ بيروت . وترجمة ابن عبد ربه في تاريخ علماء الأندلس (١/ ٣٨) يتيمة الدهر (٢/ ٦٥ ـ ٨٨) جذوة المقتبس (٩٤ ـ ٩٦) بغية الملتمس (١٤٨/ ١٥١) معجم الأدباء (٤/ ٢١١ ـ ٢٢٤) وفيات الأعيان (١/ ١١٠ ـ ١١٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٨٣) العبر (٢/ ٢١١ ـ ٢١٢) الوافي بالوفيات (٨/ ١٠ ـ ١٤) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) بغية الوعاة (١٦١) شذرات الذهب (٢/ ٣١٢) .

(٣) وفيات الأعيان (١/ ١١٠) .

(٤) أخبار الراضي للصولي (١٤١/ ١٤٢) تاريخ بغداد (١١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٢) المنتظم (٦/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧) .

(٥) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٢٠هـ) .

حضرة القاضي أبي الحسين ، فجئنا يوماً ننتظره على العادة ، فجلسنا عند بابه ، وإذا أعرابيٌّ جالس كأنَّ له حاجةً ، إذ وقع غُرَابٌ على نخلة في الدَّار ، فصرخ ثم طار . فقال الأعرابي : هذا الغراب يقول : إن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام . قال : فزبرناه ، فقام وانصرف ، ثم خرج الإذْن من القاضي إلينا أن هَلُمَّ فادخلوا ، فدخلنا ، فإذا به متغير اللون مغتماً ، فقلنا : ما الخبر ؟ فقال : إني رأيت البارحة في المنام شخصاً يقول :

مَنَازِلَ آلِ حَمَّادِ بنِ زيدٍ ... على أهليكِ والنِّعَمِ السَّلامُ

وقد ضاق لذلك صَدْري . قال : فدعونا له ، وانصرفنا . فلما كان اليوم السَّابع من ذلك اليوم دُفِن[(١)] .

وقد كانت وفاته يوم الخميس لسبع عشرة مَضَتْ من شعبان من هذه السَّنة ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وصلَّى عليه ابنه أبو نَصْر ، وولي بعده القضاء .

قال الصُّولي : بلغ القاضي أبو الحسين من العِلْم مبلغاً عظيماً مع حداثة سنه ، وحين توفي كان الراضي يبكي عليه بحضرتنا ويقول : كنت أضيق بالشيء ذَرْعاً فيوسعه عليَّ ، ثم يقول : والله لا بقيتُ بعدَه[(٢)] .

ابنُ شَنَبُوذ المُقْرِىء[(٣)] محمد بن أحمد بن أيوب بن الصَّلْت : أبو الحسن ، المقرىء ، المعروف بابن شَنَبُوذ .

روى عن أبي مسلم الكجِّي ، وبِشْر بن موسى ، وخَلْقٍ .

وكان يختار حروفاً أنكرها أهل زمانه عليه ، وصنَّف أبو بكر بن الأنباري كتاباً في الرَّدِّ عليه[(٤)] .

وقد ذكرنا ـ فيما تقدَّم[(٥)] ـ كيف عُقِدَ له مجلسٌ في دار الوزير أبي علي محمد بن علي بن مُقْلة ، وأنه ضُرِبَ حتى رجع عن كثيرٍ من القراءات الشَّاذَّة التي أنكرها القراء من أهل عصره عليه .

وكانت وفاته في صفر منها .

---

(١) انظر تاريخ بغداد (١١/ ٢٣٢) .

(٢) انظر أخبار الراضي (١٣١ ـ ١٤٢) .

(٣) الفهرست (٤٧ ـ ٤٨) تاريخ بغداد (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) الأنساب (٧/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦) المنتظم (٦/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨) معجم الأدباء (١٧/ ١٦٧ ـ ١٧٣) وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٩ ـ ٣٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦) العبر (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) معرفة القراء (٦/ ٢٢١ ـ ٢٢٥) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٧ ـ ٣٨) مرآة الجنان (٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩٠) غاية النهاية (٢/ ٥٢ ـ ٥٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٧) شذرات الذهب (٢/ ٣١٣ ـ ٣١٤) .

(٤) هو « الرد على من خالف مصحف عثمان بن عفان » انظر مظانه في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٢/ ٢١٦) .

(٥) انظر أحداث سنة (٣٢٣هـ) .

وقد دعا ابن شنبوذ على ابن مقلة حين أمر بضربه ، فلم يُفْلح ابن مقلة بعدها .

ابنُ مُقْلَة الوزير[(١)] : أحد الكُتَّاب المشاهير ، محمد بن علي بن الحسن[(٢)] بن عبد الله : أبو علي ، المعروف بابن مُقْلَة الوزير .

وقد كان في أول عمره ضعيفَ الحال ، [قليل المال][(٣)] ثم آل به الحال إلى أنْ ولي الوِزارة لثلاثةٍ من الخلفاء ، وهم : المقتدر ، والقاهر ، والرَّاضي . وعزل ثلاث مرات ، وقُطِعتْ يده ولسانه في آخر أمره ، وحُبِسَ ، فكان يستقي الماء بيده اليُسْرى وأسنانه ، وكان مع ذلك يكتُبُ بيده اليُمْنى مع قَطْعها كما كان يكتب بها وهي صحيحة . وقد كان خَطُّه من أقوى الخطوط ، كما هو مشهور[(٤)] عنه .

وقد بنى له داراً في زمن وزارته ، فجمع عند بنائها خَلْقاً من المنجمين ، فاتفقوا على أن تبنى في الوقت الفلاني ، فأسَّسَ جدارها بين العِشَاءين كما أشاروا ، فما لبث بعد استتمامها إلا يسيراً حتى خَرِبَتْ ، وصارت كوماً . وقد كان له بُسْتان كبير جداً ، عدة أجْرِبَة ـ أي فدادين ـ وعليه جميعه شبكةٌ من إبْرَيْسَم[(٥)] ، وفيه من الطيور من القَمَارِي[(٦)] والهَزَار والببغ والبلابل والطَّواويس والقَبَج[(٧)] شيء كثير ، وفيه من الغِزْلان وبقر الوحش وحميره والنعام والإبل شيء كثير أيضاً . ثم صار هذا كله عما قريب بعد النضرة والبهاء إلى الهلاك والفَنَاء .

وقد أنشد فيه بعضُ الشعراء حين بنى داره وما حولها من الفِنَاء :

قُلْ لابن مُقْلَة [مهلاً][(٨)] لا تكُنْ عَجِلاً واصْبِرْ ، فإنَّكَ في أضْغَاثِ أحْلامِ
تبني بأنقاضِ دُورِ النَّاسِ مجتهداً داراً ستُنْقَضُ أيضاً بعدَ أيامِ

(١) ثمار القلوب (٢١٠ ـ ٢١٢) المنتظم (٦/ ٣٠٩ ـ ٣١١) الكامل لابن الأثير (٨/ ١٨٣) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٥/ ١١٣ ـ ١١٨) الفخري (٢٣٨ ـ ٢٤١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٩) العبر (٢/ ٢١١) الوافي بالوفيات (٤/ ١٠٩ ـ ١١١) مرآة الجنان (٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٨) شذرات الذهب (٢/ ٣١٠ ـ ٣١٢) .

(٢) في أغلب المصادر : الحسين .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ثمة اختلاف فيمن صاحب الخط المنسوب ، هو أو أخوه الحسن ، وقد رجح ابن خلكان أن أخاه هو صاحب الخط المليح ، وقال الذهبي : وكانا بديعي الكتابة ، والظاهر أن الحسن هو صاحب الخط . أما القلقشندي فرجح أن الوزير هو صاحب الخط ، وإن كان أخوه أيضاً ممن أجاد الخط وأحسنه . انظر وفيات الأعيان (٥/ ١١٧) وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٢٩) وصبح الأعشى (٣/ ١٧) .

(٥) هو الحرير ، فارسي معرب .

(٦) هو ضرب من الحمام ، مطوق ، حسن الصوت ، مفردها قمري . المعجم الوسيط (٢/ ٧٦٤) .

(٧) هو الحجل . المعجم الوسيط (٢/ ٧١٦) .

(٨) ما بين حاصرتين ليست في النسخ الخطية و(ط) ، والمثبت من المنتظم (٦/ ٣١٠) .

ما زلت تختارُ سَعْدَ المُشْتريِّ لها ... فلم توقَّ به من نَحْسِ بَهْرامِ[١]
إنَّ القِرَان وبطليموس ما اجتمعا ... في حالِ نَقْضٍ ولا في حالِ إبرامِ

فَعُزِلَ ابنُ مُقْلَة عن وزارته ، وخُرِّبَتْ داره ، وأُتلفت أشجاره ، وقُطِعَتْ يده ، ثم قطع لسانه ، وأغرم ألف ألف دينار ، ثم سُجِنَ وحدَه [ليس معه من يخدمه][٢] مع الكبر والضَّعْفِ والضرورة ، [وانعدام بعض أعضائه][٣] فكان يستقي الماء بنفسه من بئرٍ عميق ؛ يمدُّ الحبل بيده اليُسْرى ويمسكه بفِيْه ، وقاسى جهداً جهيداً ، بعدما ذاق عيشاً رغيداً .

ومنْ شعره حين قطعت يده :

ما سئِمْتُ الحياةَ لكنْ توثَّقْـ ... ـتُ بأيمانهم فبانَتْ يميني
بعْتُ ديني لهم بدنيايَ حتى ... حَرَمُوني دُنياهُمُ بعدَ دِيْني
ولقدْ حُطْتُ ما استطعتُ بجهدي ... حِفظَ أرْوَاحِهِمْ فما حَفَظُوني
ليسَ بعدَ اليمينِ لذَّةُ عَيْشٍ ... يا حياتي بانَتْ يميني فَبِيْني

وكان يبكي على يده كثيراً ويقول : بعدما خدمت بها ثلاثة من الخلفاء ، وكتبتُ بها القرآن مرتين ، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص .

ثم ينشد :

إذا ما ماتَ بَعْضُكَ فابكِ بعضاً ... فإنَّ البَعْضَ من بَعْضٍ قَريبُ

وقد مات رحمه الله في حَبْسِهِ هذا ، ودُفِنَ في دار السُّلْطان ، ثم سأل ولده أبو الحسين أن يحوَّلَ ، فأجيب ، فنبشوه ، ودفنه ولدُه عنده في داره . ثم سألت زوجته المعروفة بالدِّينارية أن يدفنَ في دارها [فأجيبت إلى ذلك] ، فنبش ودفن عندها . فهذه ثلاث مراتٍ .

مات رحمه الله وله من العمر ستٌّ وخمسون سنة .

أبو بكر بن الأنْباري[٤] محمد بن القاسم بن محمد بن بشَّار بن الحسن بن بَيَان بن سَماعة بن فَرْوة بن

---

(١) في (ط) : فكم نحوس به من نحس بهرام .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) انظر المنتظم (٦/ ٣١١) ووفيات الأعيان (٥/ ١١٦) .
(٤) طبقات النحويين واللغويين (١٧١) الفهرست (١١٢) تاريخ بغداد (٣/ ١٨١ ـ ١٨٦) طبقات الحنابلة (٢/ ٦٩ ـ ٧٣) الأنساب (١/ ٣٥٥) نزهة الألباء (١٨١ ـ ١٨٨) المنتظم (٦/ ٣١١ ـ ٣١٥) معجم الأدباء (١٨/ ٣٠٦ ـ ٣١٣) إنباه الرواة (٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٨) وفيات الأعيان (٤/ ٣٤١ ـ ٣٤٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٤٢ ـ ٨٤٤) معرفة القراء (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧) العبر (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٥) الوافي بالوفيات (٤/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٤) غاية النهاية (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٦٩) بغية الوعاة (٩١ ـ ٩٢) شذرات الذهب (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦) .

قَطَن بن دِعَامة ، أبو بكر الأنْباري ، صاحب « كتاب الوَقْف والابتداء »[١] وغير ذلك من المُصنَّفات .

وكان من بحور العِلْم في اللغة والعربية ، [والتفسير والحديث][٢] وغير ذلك .

سمع الكُدَيْميَّ ، وإسماعيل القاضي ، وثَعْلباً وغيرهم ، وكان ثِقَةً صدوقاً أديباً ، دَيِّناً فاضلاً من أهل السُّنَّة ، من أعلم النَّاس بالنَّحْو والأدب ، وأكثرهم حِفْظاً له ، كانت له من المحافيظ مجلدات عظيمة كثيرة ؛ أحمال جمال ، وكان لا يأكل إلا النقالى ، ولا يشربُ ماءً إلى قريب العصر ، مراعاةً لحفظه .

ويقال : إنه كان يحفظ مئة وعشرين تفسيراً ، وحفظَ « تعبير الرؤيا » في ليلةٍ ، وكان يحفظ في كلِّ جمعة عشرة آلاف ورقة ، وكانت وفاته ليلة عيد النَّحْر من هذه السنة .

أم عيسى بنت إبراهيم الحَرْبي[٣] .

كانت عالمةً فاضلة ، تفتي في الفِقْه ، توفيت في رجب منها ، ودُفِنَتْ إلى جانب أبيها ، رحمهما الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمئة

في المنتصف من ربيع الأول منها كانت وفاة الخليفة الرَّاضي بالله[٤] أمير المؤمنين أبي العَبَّاس أحمد[٥] بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق أبي أحمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرَّشيد بن المهدي بن المنصور ، العَبَّاسي .

استُخْلِفَ بعد عَمِّه القاهر لستٍّ خَلَوْنَ من جُمادى الأُولى سنة ثنتين وعشرين وثلاثمئة ، وأمه أم ولد روميَّة تسمى ظَلُوم .

كان مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومئتين ، فكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ،

---

(١) هو كتاب « إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل » طبع في دمشق سنة (١٩٧١م) في جزأين بتحقق محيي الدين رمضان ، وقد صدر ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٤٣) المنتظم (٦/ ٣١٥) .

(٤) أخبار الراضي والمتقي للصولي (١/ ١٨٥) مروج الذهب (٢/ ٥١٩) وما بعدها ، معجم الشعراء للمرزباني (٤٣٠) تاريخ بغداد (٢/ ١٤٢ ـ ١٤٥) المنتظم (٦/ ٢٦٥ ـ ٢٧١ ، ٣٢٤ ـ ٣٢٥) الكامل لابن الأثير (٨/ ٢٨٢) وما بعدها ، النبراس (١١٤ ـ ١١٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٠٣ ـ ١٠٤) العبر (٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٧١) تاريخ الخلفاء (٣٩٠ ـ ٣٩٣) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٤) .

(٥) في تاريخ بغداد (٢/ ١٤٢) محمد ، وفي سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٠٣) محمد ، وقيل : أحمد .

وعمره يوم مات إحدى وثلاثون سنة وعشرة أشهر . وكان أسْمَرَ رقيقَ السُّمْرة ، دُرِّيَّ اللَّوْن ، أسودَ الشعر سَبْطَه ، قصيرَ القامة ، نحيفَ الجسم ، في وجهه طُول ، وفي مقدَّم لحيته تمام ، وفي شَعْرِها رِقَّة . هكذا وصفه من شاهده .

قال الخطيب البغدادي : كان للرَّاضي فضائل كثيرة ، وختم الخلفاء في أمور عِدَّة ، منها : أنه آخر خليفة له شِعْر ، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة خَطَبَ على منبرٍ يومَ الجمعة ، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء ، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحجَّابه وأموره ، كل ذلك يجري على ترتيب المتقدِّمين من الخلفاء[١] .

وقال غيره : كان فصيحاً بليغاً كريماً جَوَاداً ممدَّحاً ، ومن جيد كلامه الذي سمعه منه محمدُ بنُ يحيى الصُّولي : لله أقوامٌ هم مفاتيح الخير ، وأقوام هم مفاتيح الشر ، فمن أراد الله به خيراً قصد به أهل الخير ، وجعله الوسيلة إلينا فنقضي حاجته ، فهو الشَّريك في الثَّواب والشكر . ومن أرادَ الله به شَرّاً عَدَلَ به إلى غيرنا ، فهو الشَّريك في الوِزْر والإثم ، والله المستعانُ على كلِّ حال[٢] .

ومن ألطف الاعتذارات ما كتب به الرَّاضي إلى أخيه المتقي وهما في المكتب ـ وكان المتقي قد اعتدى على الرَّاضي والراضي هو الكبير منهما ـ فكتب إليه الراضي : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنا معترف لك بالعبودية فرضاً ، وأنت معترفٌ لي بالأخوة فَضْلاً ، والعَبْدُ يذنب والمَوْلى يعفو ، وقد قال الشَّاعر :

يـا ذا الـذي يغضبُ مـن غيـر شيّ ... اعتـبْ فَعَتْبَـاك حبيـبٌ إلـيّ
أنـتَ ـ علـى أنَّـكَ لـي ظَـالـمٌ ـ ... أعـزُّ خَلْـقِ الله طُـرّاً علـيّ

قال : فجاء إليه أخوه المتقي ، فأكبَّ عليه يقبِّل يديه ، وتعانقا واصطلحا[٣] .

ومن لطيف شعره قوله فيما ذكره ابنُ الأثير في « الكامل » :

يَصْفَـرُّ وَجْهِـي إذا تـأمَّلَـهُ ... طَـرْفِـي ويحمَـرُّ وجهُـهُ خَجَـلا
حتـى كـأنَّ الـذي بِـوَجْنتـهِ ... مـنْ دَمِ جِسْمـي إليـه قـد نُقِـلا[٤]

قال : ومما رثى به أباه المقتدرَ قوله :

ولـو أنَّ حَيّـاً كـان قَبْـراً لميِّـتٍ ... لَصَيَّـرتُ أحشـائي لأعْظُمِـهِ قَبْـرا

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٤٣) .
(٢) المصدر السالف ، والمصباح المضيء لابن الجوزي ١/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩ .
(٣) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٤٤) .
(٤) الكامل (٨/ ٣٦٦) .

ولــو أنَّ عُمْــري كــان طَــوْعَ مشيئتــي وســاعَــدَنــي المِقْــدارُ قــاسَمْتُــهُ العُمْــرا
بنفسي ثرىً ضَاجَعْتَ في تُربِهِ البلى لقد ضمَّ منكَ الغَيْثَ واللَّيْثَ والبَدْرا[١]

ومن شعره الذي رواه الخطيب من طريق أبي بكر محمدِ بنِ يحيى الصُّولي النَّديم عنه قوله :

كـلُّ صفْـوٍ إلـى كَـدَرْ كـل أمْـنٍ إلـى حَـذَرْ
ومصيـرُ الشَّبـابِ لِلْـ ـمَـوْتِ فيـه أو الكِبَـرْ
دَرَّ دَرُّ المشيـبِ مـنْ واعِـظٍ يُنْـذرُ البَشَـرْ
أيُّهـا الآمِـلُ الـذي تـاهَ فـي لُجَّـةِ الغَـرَرْ
أينَ منْ كانَ قَبْلَنَا ؟ دَرسَ العَيْـنُ والأثَـرْ
سيَـرُدُّ المُعـارَ مـنْ عُمْـرُهُ كلُّـهُ خَطَـرْ
رَبِّ إنـي ذَخَـرْتُ عِنْـ ـدَكَ أرجوكَ مُدَّخَرْ
إننـي مُـؤْمـنٌ بمـا[٢] بيَّنَ الوَحْيُ في السُّوَرْ
واعتـرافـي بتَـرْكِ نَفْـ ـعي وإيثاريَ الضَّـررْ
ربِّ فاغفِرْ ليَ الخطِيْـ ـئَةَ يا خَيْرَ منْ غَفَرْ[٣]

ومما أنشده له ابنُ الجوزي في « منتظمه » :

لا تعذلي كرمي[٤] على الإسرافِ ربـحُ المحـامـدِ متجـرُ الأشْـرَافِ
أجري كآبائي الخلائفِ[٥] سَابقاً وأشيـدُ مـا قـد أسَّسَـتْ أسْـلافـي
إنـي مـن القـوم الـذيـنَ أكفُّهـمْ معتـادةُ الإخـلافِ والإتْـلافِ[٦]

وقد كانت وفاته بعِلَّة الاستسقاء في ليلة السادس عشر من ربيعٍ الأوَّل من هذه السنة . وكان قد أرسل إلى بجكم وهو بواسطَ ليعهد إلى ولده الأصغر أبي الفَضْل ، فلم يتفق له ذلك ، وبايع النَّاس أخاه المُتَّقي لله إبراهيم بن المقتدر ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

---

(١) المصدر السالف .
(٢) في (ط) : ربِّ إني مؤمن بما ، ووزنه غير مستقيم .
(٣) تاريخ بغداد (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥) وانظر أخبار الراضي (١٨٥) .
(٤) في (ط) : لا تكثرن لومي .
(٥) في (ط) أحوي لما يأتي المكارم سابقاً .
(٦) المنتظم (٦/ ٢٦٧) .

خلافة المتقي لله أبي إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله

لما مات أخوه الرَّاضي اجتمع القضاة والأعيان بدار بُجْكُم ، واشتوروا فيمن يولُّون عليهم ، فاتَّفقَ رأيهم كلهم على المتقي لله إبراهيم هذا ، فأحضروه إلى دار الخلافة ، وأرادوا بيعته ، فصلَّى ركعتين صلاة الاستخارة وهو على الأرض . لم يصعد إلى الكرسي بَعْدُ ، ثم صَعِدَ إلى السَّرير وبايعه الناس ، وكان ذلك يوم الأربعاء لعشرٍ بقين من ربيع الأول من هذه السنة ـ أعني سنة تسع وعشرين وثلاثمئة ـ فلم يغيِّرْ على أحدٍ شيئاً ، ولا غدر بأحد حتى ولا على سَرِيَّتِهِ لم يغيرها ، ولم يتسرَّ عليها . وكان كما سمِّيَ المتقي لله ، كثيرَ الصَّلاة والصِّيام والتعبُّد . وقال : لا أريد أحداً من الجلساء ، حسبي المصحف نديمي ، لا أريد نديماً غيره . فقعد عنه الجلساءُ والندماء ، والتفوا على بُجكم ، فكان يجالسهم فيحادثونه ويتناشدون عنده الأشعار ، فكان لا يفهم كثيرَ شيءٍ مما يقولون لعجمته ، وكان في جُمْلتهم سنان بن ثابت الصَّابىء المتطبب ، فكان بُجْكُم يشكو إليه قوة النفس الغضبية فيه ، فكان سِنَان يهذِّب من أخلاقه ويسكن جَأْشَهُ[1] ، ويروضها حتى سكن عن بعض ما كان يتعاطاه من سَفْكِ الدِّماء .

وكان المتقي بالله حسنَ الوجه ، معتدل الخَلْق ، قصيرَ الأنف ، أبيضَ مُشْرباً حمرةً ، في شعره شُقْرة وجُعودة ، كثَّ اللحية ، أشهل العينين[2] ، أبيَّ النفس ، لم يَشْرَبِ النَّبيذ قط ، فالتقىٰ فيه الاسم والفعل ، ولله الحمد . ولما استقر المتقي لله في الخلافة أنفذ الرُّسل والخِلَع إلى بُجْكُم وهوبواسط ، ونفذت المكاتبات إلى الآفاق بولاية المتقي لله .

وفي هذه السنة تحارب أبو عبد الله البَريدي وبُجْكم بناحية الأهواز ، فَقُتلَ بُجْكم في الحرب[3] ، واستظهر البريديُّ عليه وقوي أمره ، فاحتاط الخليفةُ على حواصل بُجْكم ، فكان في جملة ما أخذ من أمواله ألف ألف دينار ومئتي ألفِ دينار . وكانت أيام بُجْكم على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام .

ثم إن البريدي حدَّثته نفسه ببغداد ، فأنفق المتقي أموالاً جزيلة في الجند ليمنعوه من ذلك ، فركب بنفسه ، فخرج إلى أثناء الطَّريق ليمنعه من ذلك ، فخالفه البريدي ، ودخل بغداد في ثاني رمضان ، ونزل بالشَّفيعي ، فلما تحقق المتقي ذلك بعث إليه يهنئه ، وأرسل إليه بالأطعمة ، وخوطب بالوزير ولم يخاطبه بإمرة الأمراء . فأرسل البريدي يطلب من الخليفة خمسمئة ألف دينار ، فامتنع الخليفة من ذلك ، فبعث

---

(١) الجأش : النفس . اللسان (جأش) .
(٢) الشهلة في العين : أن يشوب سوادَها زرقة . اللسان (شهل) .
(٣) انفرد ابن كثير بهذا الخبر ، والمشهور أنه قتل وهو يتصيد عقب هذه المعركة التي لم يشترك بها ، انظر الكامل (٨/ ٣٧١) وانظر وفيات هذه السنة .

[إليه][1] يتهدَّده ويتوعَّده ويذكره ما حَلَّ بالمعز والمستعين والمهتدي والقاهر . واختلفت الرُّسل بينهما ، ثم كان آخر ذلك أن بعث الخليفة إليه بذلك قهراً ، ولم يتفق اجتماع الخليفة والبريدي ببغداد حتى خرج منها البريدي إلى واسط ؛ وذلك أنه ثارت عليه الدَّيالمة ، والتفوا على كبيرهم كورتكين ، وراموا حريق دار البريدي حين قبضَ المال من الخليفة ، ولم يعطهم شيئاً ، وكانت البجكمية طائفة أخرى قد اختلفت معه أيضاً وهم والديالمة قد صاروا حزبين ، فانهزم البريدي من بغداد[2] يوم سَلْخ رمضان ، فاستولى كورتكين على الأمور ببغداد ، ودخل [إلى][3] المتقي ، فقلَّده إمارة الأمراء ، وخلع عليه ، واستدعى المتقي عليَّ بنَ عيسى وأخاه عبد الرحمن ، ففوَّض إلى عبد الرحمن تدبير الأمور من غير تسمية بوزارة ، ثم قبض كورتكين على رئيس الأتراك تكينك غلام بُجْكُم وغرَّقه . ثم تظلَّمتِ العامة من الدَّيْلم ؛ أنهم يأخذون منهم دُورهم ، فشكوا ذلك إلى كورتكين فلم يشكهم ، فمنعتِ العامة الخطباء أن يصلُّوا في الجوامع ، واقتتل الدَّيْلَم والعامة ، فَقُتلَ من الفريقين خَلْقٌ كثير ، وجمٌّ غفير .

وكان الخليفة قد كتب إلى أبي بكر محمد بن رائق ؛ صاحب الشام يستدعيه إليه ليخلصه من الديلم والبريدي ، فركب إلى بغداد في العشرين من رمضان ومعه جيشٌ عظيم ، وقد صار إليه من الأتراك البجكمية خَلْقٌ كثير ، وحين وصل إلى المَوْصل حاد عن طريقه ناصرُ الدَّوْلة بن حَمْدان ، فتراسلا ثم اصطلحا ، وحمل ابنُ حَمْدان مئة ألف دينار ، فلما اقترب ابنُ رائق من بغداد خرج كورتكين في جيشه ليقاتله ، فدخل ابن رائق بغداد من غربها ، ورجع كورتكين بجيشه فدخل من شَرْقها ، ثم تصافُّوا ببغداد للقتال ، فساعدت العامةُ ابنَ رائق على كورتكين ، فانهزم الدَّيْلم ، وقُتل منهم خلْقٌ كثير ، وهرب كورتكين فاختفى ، واستقرَّ أمر ابن رائق على بغداد ، وخلع عليه الخليفة ، وركب هو وإياه في دِجْلة ، وظفر ابنُ رائق بكورتكين ، فأودعه السِّجْن الذي في دار الخِلافة .

قال ابن الجَوْزي : وفي يوم الجمعة الثَّاني عشر من جمادى الأولى حضر النَّاس لصلاة الجمعة بجامع براثىٰ ، وقد كان المقتدر أحرق هذا المسجد[4] لأنه كبس ، فوجد فيه جماعةً من الشيعة يجتمعون فيه للسبِّ والشتم ، فلم يزل خراباً حتى عمَّره بُجْكم في أيام الرَّاضي ، ثم أمر المتقي بوضع منبر فيه كان عليه اسم الرَّشيد ، وصلَّى الناس فيه هذه الجمعة . قال : فلم تزل تقام فيه إلى بعد سنة خمسين وأربعمئة[5] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) : ورامو حريق دار البريدي ، ونفرت عن البريدي طائفة من جيشه ، يقال لهم البجكمية ، لأنه لما قبض من الخليفة لم يعطهم منه شيئاً ، وكانت من البجكمية طائفة أخرى قد أخلفت معه أيضاً وهم والديالمة قد صاروا حزبين ، والتفوا مع الديالمة فانهزم البريدي من بغداد .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) انظر أحداث سنة (٣١٣هـ) .

(٥) انظر المنتظم (٦/ ٣١٧) .

قال ابن الجوزي : وفي جمادى الآخرة في ليلةِ سابعه كانت ليلةَ بردٍ ورعد وبرق ، فسقطت القُبَّة الخضراء من قصر المنصور ، وقد كانت هذه القبة تاجَ بغداد وعلم البلد ، ومأثرةً من مآثر بني العَبَّاس عظيمةً ، بُنيت أوَّلَ مُلْكهم ، فكان بين بنائها وسُقُوطها مئة وسبع وثمانون سنة[١] .

قال : وخرج التشرينان والكانونان من هذه السنة ولم تمطر بغداد فيها شيئاً سوى مطرة واحدة لم ينبلَّ منها التراب ، فَغَلَتِ الأسعار ببغداد حتى بيع الكر بمئة وثلاثين ديناراً ، ووقع الفَناء في الناس حتى كان الجماعة يُدْفنون في القبر الواحد من غير غُسْل ولا صلاة ، وأبيع العقار والأثاث بأرخص الأسعار ؛ اشْتُري بالدِّرْهم ما يساوي الدينار[٢] .

ورأتِ امرأةٌ رسولَ الله ﷺ في منامها وهو يأمرها بخروج النَّاس إلى الصحراء لصلاة الاستسقاء ، فأمر الخليفةُ بامتثال ذلك ، فصلَّى الناس واستسقوا ، فجاءتِ الأمطارُ فزادتِ الفُرَات شيئاً لم يُرَ مثله ، وغرقت العباسية ، ودخل الماءُ شوارع بغداد ، فسقطتِ القنطرة العتيقة والجديدة[٣] .

وقطعتِ الأكراد على قافلةٍ من خراسان الطريق ، فأخذوا منهم ما قيمته ثلاثة آلاف ألف دينار[٤] ، وكان أكثر ذلك من أموال بُجْكم التركي .

وخرج الناس للحجِّ في هذه السنة ، ثم رجعوا من أثناء الطريق بسبب رجلٍ من العلويين قد ظهر بالمدينة النبوية ، ودعا إلى نفسه ، وخرج عن الطاعة[٥] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن إبراهيم[٦] بن نَوْمَرْدْ[٧] : الفَقيه ، أحد أصحاب ابن سُرَيج .

خرج من الحَمَّام ، [إلى خارجه][٨] فسقط عليه [الحِمام][٨] ، فمات من فوره ، رحمه الله .

---

(١) المنتظم (٦/ ٣١٧ـ٣١٨) .

(٢) المنتظم(٦/ ٣١٩) .

(٣) انظر المنتظم (٦/ ٣١٨ـ٣١٩) .

(٤) في مطبوع المنتظم (٦/ ٣١٨) : ثلاثة آلاف دينار ؛ والمثبت من (ح) و(ب) وانظر أخبار الراضي والمتقي للصولي (١٩٢) .

(٥) انظر المنتظم (٦/ ٣١٩) .

(٦) تاريخ جرجان (٤٩ ـ ٥٠) الأنساب (١٢/ نومرد) اللباب : (٣/ ٢٤٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٩) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٣٤٦) .

(٧) في (ب) و(ح) : مرد ، وفي (ظا) : برمود ، وفي (ط) : تزمرد ، وكله تصحيف ، والمثبت من الأنساب (١٢/ نومرد) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

بُجْكُم التُّرْكي[١] الذي تولى إمرة الأُمراء ببغداد قبل بني بُوَيْه ، وكان عاقلاً يفهم بالعربية ولا يتكلَّم بها ، يقول : إني أخاف أن أخطىء والخطأ من الرئيس قبيح . وكان مع ذلك يحبُّ العِلْم وأهله ، وكان كثير الأموال والصَّدَقات ، ابتدأ بعمل البيمارَسْتان ببغداد فلم يتمَّ ، فجدَّده عضد الدولة بن بُوَيْه ، وكان [بُجْكُم][٢] يقول : العدل أربح للسُّلْطان في الدُّنيا والآخرة .

وكان يَدْفِنُ أموالاً كثيرة بالصحارى ، فلما مات لم يُدْرَ أين هي ، وكان ندماء الراضي قد انحدروا إلى بُجْكُم وهو بواسط ، قد ضمنها بثمانمئة ألف دينار ، فكانوا يسامرونه كالخليفة ، وكان لا يفهم أكثر ما يقولون ، وراض له مزاجه الطبيب سنان بن ثابت الصَّابىء حتى لان خلقهُ وحَسُنَتْ سيرته ، وقلَّتْ سطوته ، ولكن لم يعمّر إلا قليلاً بعد ذلك .

وقد دخل عليه رجلٌ فوعظه فأبكاه ، فأمر له بألف دِرْهم ، فلحقه بها الغلام ، فقال بُجْكُم لجلسائه : ما أظنه يقبلها ، هذا رجل متخرق بالعبادة ، ماذا يصنع بالدَّراهم ؟ فرجع الغلام وليس معه شيء ، فقال : قبلها ؟ قال : نعم ! قال بجكم : كلُّنا صيادون ولكن الشباك تختلف .

وكانت وفاته لتسع بقين من رجب هذه السنة . وسببها أنه خرج يتصيد ، فلقي طائفةً من الأكراد ، فاستهان بهم ، فقاتلوه ، فضربه رجلٌ منهم فقتله . وكانت إمرته على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام ، وخلَّف من الأموال والحواصل ما ينيف على ألفي ألف دينار ، أخذها كلها المتقي لله .

أبو محمد البَرْبَهاري الواعظ[٣] : الحسن بن علي بن خَلَف ، أبو محمد ، البَرْبَهاري العالم الزَّاهد ، الفقيه الحنبلي الواعظ .

صَحِبَ المَرُّوذي ، وسهلاً التُّسْتَري ، وتنزَّه عن ميراث أبيه ـ وكان سبعين ألفاً ـ لأمرٍ كرهه . وكان شديداً على أهل البِدَع والمعاصي ، وكان كبيرَ القَدْرِ عند الخاصَّة والعامة ، وقد عَطَسَ يوماً وهو يعظ النَّاس فشمَّته[٤] الحاضرون ، ثم شمَّته منْ سمعهم حتى شمته أهلُ بغداد ، فانتهت الضَّجة إلى دار الخلافة ، فغار الخليفة من ذلك ، وتكلم فيه جماعةٌ من أرباب الدولة ، فَطُلِبَ ، فاستتر عند أُخت

---

(١) أخبار الراضي للصولي (١٩٣ ـ ١٩٧) المنتظم (٦/ ٣٢٠ ـ ٣٢٣) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) طبقات الحنابلة (٢/ ١٨ ـ ٤٥) المنتظم (٦/ ٣٢٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٠ ـ ٩٣) العبر (٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧) الوافي بالوفيات (١٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧) شذرات الذهب (٢/ ٣١٩) .
(٤) شمت العاطس ، وسمت عليه : دعا له أن لايكون في حال يشمت به فيها ، والسين لغة . « لسان العرب » (شمت) .

توزون[١] شهراً ، ثم أخذه القيام[٢] ، فمات عندها ، فأمرت خادمها أن يصلِّي عليه ، فصلَّى ، فامتلأتِ الدار رجالاً عليهم ثياب بيض ، فدفنته عندها ، ثم أوْصَتْ أن تُدْفنَ عنده . وكان عمره يوم مات ستاً وتسعين سنة ، رحمه الله[٣] .

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البُهْلول[٤] : أبو بكر الأَزْرَق ـ لأنه كان أزرق العينين ـ التَّنوخي ، الكاتب .

سمع جدَّه ، والزبير بن بَكَّار ، والحسن[٥] بن عَرَفة ، وغيرهم ، وكان خَشِنَ العيش كثير الصَّدقة ؛ يقال : إنه تصدَّقَ بمئة ألف دينار ، وكان أمَّاراً بالمعروف ، نهاءً عن المنكر ، روى عنه الدَّارقطني وغيرُه من الحُفَّاظ ، وكان ثِقَةً عَدْلاً .

توفي في ذي الحجَّة من هذه السنة عن اثنتين وتسعين سنة .

[ثم دخلت][٦] سنة ثلاثين وثلاثمئة

قال ابن الجَوْزي : في المحرَّم منها ظهر كوكب بذنبٍ ، رأسُه إلى المغرب وذنبه إلى المشرق ، وكان عظيماً جداً ، وذنبه منتشرٌ ، وبقي ثلاثة عشر يوماً إلى أن اضمحل[٧] .

قال : وفي نصف ربيع الأول بلغ الكُرُّ من الحِنْطة مئتي دينار وعشرة دنانير ، ومن الشعير مئة وعشرين ديناراً ، ثم بلغ الكر الحنطة ثلاثمئة وستة عشر ديناراً ، وأكل الضُّعفاء المَيْتة ، ودام الغلاء وكَثُرَ الموت ،

---

(١) في النسخ الخطية و(ط) : بوران ، وهو تحريف ، والمثبت من المنتظم (٦/ ٣٢٣) وهو أحد القواد الأتراك ، خلع عليه المتقي لله ، وجعله أميراً للأمراء ، ودامت إمارته حتى وفاته سنة (٣٣٤هـ) ، وهو الذي سمل المتقي وخلعه ، وبايع المستكفي ، وأخباره مبثوثة في حوادث هذه السنين .

(٢) في المنتظم (٦/ ٣٢٣) : قيام الدم .

(٣) هذه هي رواية ابن الجوزي في المنتظم ، أما الذهبي فذكر في تاريخ الإسلام (٧/ ٥٧٣) والسير (١٥/ ٩٣) أنه عاش سبعاً وسبعين سنة .

(٤) أخبار الراضي والمتقي (٢١٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) الأنساب (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) المنتظم (٦/ ٣٢٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) العبر (٢/ ٢١٩) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٦) الجواهر المضية (٢/ ٢٣٤) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٤) .

(٥) في (ط) : الحسين ، وهو تحريف .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٧) المنتظم (٦/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) .

وتقطعتِ السُّبُل ، وشُغِلَ الناسُ بالمرض والفَقْر ، وترك دفن الموتى ، وشغل الناس عن الملاهي واللعب[١] .

قال : ثم جاء مطرٌ كأفواه القُرَب ، وبلغتْ زيادة دِجْلة عشرين ذراعاً وثلثاً[٢] .

وذكر ابن الأثير في « كامله » أن محمد بنَ رائق ـ الذي هو أمير الأمراء ببغداد حينئذٍ ـ وقعت بينه وبين أبي عبد الله البريدي الذي بواسط وحشة بسبب منع البريدي الخراج الذي عنده ، فركب إليه ابنُ رائق ليتسلم ما عنده من المال ، فوقعت مصالحة ، ورجع ابن رائق [إلى بغداد][٣] ، فطالبه الجند بأرزاقهم ، وضاق عليه حالُه ، وتحيَّز جماعةٌ من الأتراك إلى البريدي ، فَضَعُفَ جانب ابن رائق ، فكاتب البريدي بالوزارة ببغداد ، ثم قَطَعَ اسم الوزارة عنه ، فاشتدَّ حَنَقُ البريدي[٤] [عليه][٥] ، وعزم على أخْذِ بغداد ، فبعث أخاه أبا الحسين في جيشٍ [إلى بغداد][٥] ، فتحصَّن ابنُ رائق مع الخليفة بدار الخلافة ، ونُصِبَتْ فيه المجانيق والعرَّادات[٦] ، وعلى دجلة أيضاً ، فاضطربت بغداد ، ونهب النَّاسُ بعضَهم بعضاً ليلاً ونهاراً ، وجاء أبو الحسين أخو أبي عبد الله البريدي بمن معه ، فقاتلهم الناس في البر وفي دِجْلة ، وتفاقم الحال ، واشتدَّ الخطب جداً مع الغلاء والوباء والفَناء ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون . ثم إن الخليفة وابنَ رائق انهزما في جُمادى الآخرة ، ومع الخليفة ابنه أبو منصور في عشرين فارساً ، فقصدوا نحو الموصل ، واستحوذ أبو الحسين على دار الخلافة ، فَقَتَلَ أصحابُ البريدي منْ وجدوا بدار الخلافة من الحاشية ، ونهبوها حتى وصل النَّهْبُ إلى الحريم ، ولم يتعرَّضوا للقاهر وهو إذ ذاك أعمى مكفوفاً ، وأخرجوا كورتكين من الحبس ، فبعثه أبو الحسين إلى أخيه عبد الله البريدي ، فكان آخر العهد به ، ونهبوا بغدادَ جِهاراً علانية ، ونزل أبو الحسين بدار مُؤْنس التي كان يسكنها ابن رائق ، وكانوا يَكْبسون الدُّور ، ويأخذون ما فيها من الأموال والجواري ، وغلتِ الأسعار ، وضرب أبو الحسين المَكْس على الحِنْطة والشَّعير ، وذاق أهلُ بغداد لباسَ الجوع والخوف ، وكان مع أبي الحسين في الجيش طائفة كبيرة من القرامطة ، فأفسدوا في البلد فساداً عظيماً ، فوقعت بينهم وبين الأتراك حروبٌ طويلة شديدة ، فغلبهم الأتراك وأخرجوهم من بغداد ، ووقعت الحرب بين العامَّة والدَّيْلم أيضاً[٧] .

---

(١) المصدر السالف .
(٢) المصدر السالف .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) انظر الكامل (٨/ ٣٧٩) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ط) بين معترضين : العرادة شيء أصغر من المنجنيق .
(٧) انظر الكامل (٨/ ٣٧٩ ـ ٣٨١) .

وفي شعبان من هذه السنة اشتدَّ الحال أيضاً ، ونُهبتِ المساكنُ ، وكُبِسَ أهلُها ليلاً ونهاراً ، وخرج الجُنْدُ من أصحاب البريدي ، فنهبوا الغلات من القرى والحيوانات ، وجرى ظُلْمٌ لم يسمعْ بمثله ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون[١] .

قال ابن الأثير : وإنما ذكرنا هذا لِيَعْلَمَ الظَّلَمَةُ أنَّ أخبارَهُمْ تنقل وتبقى على وجه الدَّهر[٢] ، فربما تركوا الظُّلْمَ لهذا إن لم يتركوه لله عزَّ وجلَّ[٣] .

وقد كان الخليفة أرسل وهو ببغداد إلى ناصر الدولة بنِ حَمْدان ؛ نائب الموصل والجزيرة يستمدُّه ويستجيش[٤] به على البريدي ، فأرسل ناصر الدولة أخاه سيف الدولة علياً في جيش كثيف ، فلما كان بتكريت إذِ الخليفة وابنُ رائق قد هربا ، فرجع معهما سيفُ الدَّوْلة إلى أخيه ، وقدَّمَ[٥] سيف الدولة للخليفة المتقي لله خدمةً عظيمة في مسيره هذا ، ولما وصلوا إلى المَوْصل خرج عنها ناصرُ الدولة ، فنزل شرقيها ، وأرسل التُّحف والضِّيافات ، ولم يجيء [إلى الخليفة][٦] خوفاً من الغائلة من جهة ابن رائق ؛ نائب العراق وصاحب الشام ، فأرسل الخليفة ولدَه أبا منصور ومعه ابن رائق للسَّلام على ناصر الدولة ، فصارا إليه ، فأمر [ناصر الدولة][٦] أن يُنْثَرَ الذَّهب والفِضَّة على رأس ولد الخليفة ، وجلسا عنده ساعة ، ثم قاما ليرجعا ، فركب ابنُ الخليفة ، وأراد ابنُ رائق أن يركب معه ، فقال له ناصر الدولة : اجلس اليوم عندي حتى نفكر فيما نصنع في أمرنا هذا . فاعتذر إليه بابن الخليفة ، واستراب بالأمر ، فقبض ابنُ حمدان بكمه ، فَجَبَذه ابنُ رائق منه جَبْذةً شديدة ، فانقطع كُمُّه ،وركب سريعاً ، فسقط عن فرسه ، فأمر ناصر الدولة بقتله فَقُتِلَ ، وذلك يوم الإثنين لسبعٍ بقين من رجب من هذه السنة ، فأرسل الخليفةُ إلى ابنِ حمدان فاستحضره ، وخلع عليه ، ولقبه ناصرَ الدولة يومئذٍ ، وجعله أميرَ الأُمراء ، وخلع على أخيه أبي الحسن علي ولقبه سيفَ الدولة يومئذٍ أيضاً .

ولما قُتِلَ ابنُ رائق ، وبلغ خبرُ قتله إلى صاحب مصر وهو الإخشيذ محمد بن طُغْج ركب إلى دمشق فتسلَّمها من محمد بن يزداد ؛ نائب ابن رائق ، ولم ينتطح فيها عنزان . ولما بلغ خبر مقتله إلى بغداد فارق أكثر الأتراك أبا الحسين البريدي لسوء سيرته وخبث سريرته ، قبحه الله ، وقصدوا الخليفة وابنَ حمدان في

---

(١) المصدر السالف .

(٢) في (ط) و(ظا) و(ب) : الأرض ، والمثبت من (ح) .

(٣) في (ط) : وإنما ذكرنا هذا ليعلم الظلمة أن أخبارهم الشنيعة تنقل وتبقى بعدهم على وجه الأرض ، وفي الكتب ، ليذكروا بها ويذموا ويعابوا ، وذلك لهم خزي في الدنيا ، وأمرهم إلى الله ، لعلهم أن يتركوا الظلم لهذا إن لم يتركوه لله . وانظر الكامل (٨/ ٣٨٢) .

(٤) وفي (ط) يستحثه ، وهو تحريف .

(٥) في (ح) و(ط) : وخدم ، وهو تحريف .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

المَوْصل فتقوَّى بهم ناصر الدولة ، وركب هو والخليفة المتقي لله إلى بغداد ، [فلما اقتربوا منها هرب عنها أبو الحسين البريدي ، ودخل الخليفة المتقي لله إلى بغداد][1] ومعه بنو حمدان في جيوش كثيرة ، وذلك في شوال من هذه السنة ، ففرح به المسلمون فرحاً شديداً ، وبعث [الخليفة][2] إلى أهله ـ وقد كان أخرجهم إلى سامرَّاء ـ فردَّهم ، وتراجع أعيان الناس إلى بغداد بعدما كانوا قد ترحَّلوا عنها .

وردَّ الخليفة أبا إسحاق القراريطي[3] إلى الوزارة ، وولَّى توزون شرطة جانبيْ بغداد ، وبعث ناصرُ الدولة أخاه سيف الدولة في جيشٍ وراء أبي الحسين البريدي ، فلحقه عند المدائن ، فاقتتلوا قتالاً شديداً في أيام نحسات ، ثم كان آخر الأمر أن انهزم أبو الحسين إلى أخيه بواسط ، وقد ركب ناصر الدولة بنفسه ، فنزل المدائن قوةً لأخيه ، وقد انهزم سيفُ الدولة مَرَّة من أبي الحسين فردَّه أخوه ، وزاده جيشاً آخر حتى كسر البريدي ، وأسر جماعةً من أعيان أصحابه ، وقُتِلَ منهم خلق كثير وجمٌّ غفير . ثم أرسل أخاه سيفَ الدولة إلى واسط لقتال أبي عبد الله البريدي ، فانهزم منه البريدي وأخوه إلى البصرة ، وتسلَّم سيف الدولة واسط ، وسيأتي ما كان من خبره مع البريدي في السنة الآتية ، إن شاء الله تعالى .

وأما ناصر الدولة فإنه عاد إلى بغداد ، فدخلها في ثالث عشر ذي الحِجَّة ، وبين يديه الأسارى على الجمال ، ففرح النَّاس واطمأنوا ، ونظر في المصالح العامة ، وأصلح معيار الدينار ؛ وذلك أنه وجده قد غُيِّرَ عما كان عليه ، فضرب دنانيرَ سماها الإبريزية ، فكانت تباع كل دينار بثلاثة عشر دِرْهماً ، وإنما كان يباع التي قبلها بعشرة .

وعزل الخليفة بدراً الخَرْشني عن الحجابة ، وولاها سلامة الطُّولوني ، وجعل بدراً على طريق الفُرَات ، فسار إلى الإخشيذ ، فأكرمه واستنابه على دمشق ، فمات بها .

وفيها وصلتِ الرومُ إلى قريب حلب ، فقتلوا خلقاً ، وأسروا نحواً من خمسة عشر ألف إنسان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها دخل الثملي من طَرَسوس إلى بلاد الرُّوم ، فقتل وسبى وغَنِم وسَلِم وأَسَرَ من بطارقتهم المشهورين منهم خلقاً كثيراً ، ولله الحمد والمنَّة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إسحاق بن محمد أبو يعقوب[4] النَّهْرَجُوري[5] : أحد مشايخ الصُّوفية .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) في (ط) : الفزاري ، وهو تحريف .

(٤) في (ط) : ابن يعقوب ، وهو وهم .

(٥) طبقات الصوفية (٣٧٨ ـ ٣٨١) حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٦) الرسالة القشيرية (٢٧) المنتظم (٦/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) العبر =

صَحِبَ الجُنَيْد بن محمد ، وغيره من أئمة الصُّوفية ، وجاور بمكَّة حتى مات بها في هذه السنة . ومن كلامه الحسن قوله : مفاوزُ الدُّنيا تُقْطعُ بالأقدام ، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب[١] .

الحسين بن [إسماعيل بن محمد بن][٢] إسماعيل بن سعيد بن أبَان[٣] : أبو عبد الله ، الضَّبِّي ، القاضي ، المَحاملي ، الفقيه الشَّافعي ، المحدِّث .

سمع الكثير ، وأدرك خَلْقاً من أصحاب ابن عُيينة نحواً من سبعين رجلاً .

وروى عن جماعةٍ من الأئمة ، وعنه الدَّارَقُطني وخلْق .

وكان يحضُرُ مجلسه نحوٌ من عشرة آلاف ، وكان صدوقاً ديِّناً فقيهاً محدِّثاً ، ولي قضاء الكوفة ستين سنة ، وأضيف إليه قضاء فارس وأعمالها ، ثم استعفى من ذلك كلِّه ، ولزم منزله ، واقتصر على إسماع الحديث .

وكانت وفاته في ربيع الآخر من هذه السنة عن خمسٍ وتسعين سنة ، رحمه الله .

وقد تناظر هو وبعض الشِّيعة بحضرة بعض الأكابر ، فجعل الشِّيعي يذكر مواقف عليٍّ يوم بدر وأُحُد والخندق وخيبر وحُنَيْن وشجاعته . ثم قال للمَحَاملي : أتعرفها ؟ قال : نعَمْ ، ولكن أتعرف أين كان الصدِّيق يوم بدر ؟ كان مع رسول الله ﷺ في العريش بمنزلة الرئيس الذي يُحامىٰ عنه كما يُحامى عن رسول الله ﷺ ، وعلي في مقام المبارزة ، ولو فرض أنه انهزم أو قتل لم يخذل الجيش بسببه . فأُفحم الشيعي . وقال له المحاملي : وقد قدَّمه الذين رووا لنا الصَّلاة والزكاة والوضوء بعد رسول الله ﷺ حيثُ لا مال له ولا عبيد ولا عشيرة تمنعه وتجاحف عنه ، وإنما قدَّموه لعلمهم أنَّه خَيْرُهم . فأُفحم أيضاً[٤] .

عليُّ بن محمد بن سَهْل[٥] : أبو الحسن الصَّائغ ؛ أحد الزُّهاد العُبَّاد ، أصحاب الكرامات .

= (٢/ ٢٢١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) الوافي بالوفيات (٨/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٧٥) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٥) .

(١) انظر طبقات الصوفية (٣٧٩) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) أخبار الراضي والمتقي للصولي (٢٣٠) الفهرست (٢٨٨) تاريخ بغداد (٨/ ١٩ ـ ٢٣) المنتظم (٦/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) اللباب : (٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٨ ـ ٢٦٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٢٤ ـ ٨٢٦) العبر (٢/ ٢٢٢) الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٧) طبقات الحفاظ (٣٤٣) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٦) .

(٤) انظر تاريخ بغداد (٨/ ٢١ ـ ٢٢) .

(٥) طبقات الصوفية (٣١٢ ـ ٣١٥) حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٣ ـ ٤٠٨) الرسالة القشيرية (٣٢) المنتظم (٦/ ٣٢٨) صفة الصفوة (٤/ ٦٠) حسن المحاضرة (١/ ٢٩٤) طبقات الشعراني (١/ ١٩) .

رويَ عن مُمْشادُ[١] أنه شاهد أبا الحسن الصَّائغ يصلِّي في الصحراء في شدَّة الحر ، ونسرٌ قد نشر جناحه يظلُّه من الحرِّ .

قال ابن الأثير : وفي هذه السنة توفي [أبو الحسن][٢] عليُّ بن إسماعيل ، الأشْعريُّ المتكلِّم ، صاحب المذهب المشهور ، وكان مولده سنة ستينِ ومئتين ، وهو من ولدِ أبي موسى الأشعري .

قلت : الصَّحيح أن الأشعريَّ توفي سنةَ أربع وعشرين كما تقدَّم[٣] .

قال : وفيها توفي محمد بن يوسف بن النَّضْر ، الهَرَوي ، الفقيه الشَّافعي[٤] ، وكان مولده سنة تسعٍ وعشرين ومئتين ، أخذَ عن الربيع بن سليمان ؛ صاحب الشَّافعي .

قلت : وقد توفي فيها **أبو حامد بن بلال**[٥] . وزكريا **بن أحمد البَلْخي**[٦] . **وعبد الغافر بن سلامة الحافظ**[٧] . **ومحمد بن رائق الأمير**[٨] . **والشيخ أبو صالح مفلح الحنبلي** واقف مسجد أبي صالح ظاهر باب شرقي من دمشق ، وكانت له كرامات وأحوال ومقامات .

ترجمة أبي صالح الدِّمَشْقي[٩]

الذي ينسب إليه المسجد ظاهر باب شرقي بدمشق .

مفلح بن عبد الله ، أبو صالح المتعبد ، صَحِبَ الشيخ أبا بكر محمد بن سيد حَمْدويه الدِّمَشْقي ، وتأدَّب به ، وروى عنه الموحِّد بن إسحاق بن البَرِّي ، وأبو الحسن علي بن القُجَّة ؛ قيم المسجد ، وأبو بكر محمد بن داود الدِّينوري الدُّقِّي .

روى الحافظ ابنُ عساكر من طريق الدُّقِّي عن الشيخ أبي صالح ، قال : كنت أطوف بجبل اللُّكام أطلب الزُّهَّاد ، فمررت برجلٍ جالسٍ على صخرةٍ مطرقاً ، فقلت له : ما تصنع هاهنا ؟ فقال : أنظر

---

(١) ترجمته في طبقات الصوفية (٢١٦) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) انظر وفيات سنة (٣٢٤هـ) ، وانظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٣٩٣) .
(٤) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٢ ـ ٢٥٤) .
(٥) هو المعروف بالخَشَّاب ، ترجمته في السير (١٥/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) .
(٦) ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) .
(٧) ترجمته في السير (١٥/ ٢٩٤) .
(٨) سلفت أخباره في حوادث السنة الفائتة ، وله ترجمة في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) .
(٩) تاريخ ابن عساكر (س) (خ) (١٩/ ٤١أ ـ ٤١ب) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٤ ـ ٨٥) العبر (٢/ ٢٢٤) مرآة الجنان (٢/ ٢٩٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٧٥) الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣) القلائد الجوهرية (١/ ١٦٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٨) .

وأرعى . فقلت : لا أرى بين يديك شيئاً إلا الحجارة ، فقال : أنظر خواطر قلبي ، وأرعى أوامر ربي ، وبحقِّ الذي أظهرك عليَّ إلا جزتَ عني(١) . فقلت : كلِّمني بشيءٍ أنتفع به حتى أمضي . فقال لي : من لَزِمَ البابَ أُثبت في الخدم ، ومن أكثر ذكر الذنوب(٢) أكثر الندم ، ومن استغنى بالله أَمِنَ العدم . ثم تركني ومضى(٣) .

وعن الشيخ أبي صالح : مكثتُ ستة أو سبعة أيام لم آكل ولم أشرب ، ولحقني عطشٌ عظيم ، فجئت النهرَ الذي وراء المسجد ، فجلست أنظر إلى الماء ، فتذكَّرْتُ قوله تعالى : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود : ٧] فذهب عني العطش ، فمكثت تمام العشرة أيام(٤) .

وعنه قال : مكثت أربعين يوماً لم أشرب ماءً ، فلقيني الشيخ أبو بكر محمد بن سيد حمدويه ، فأخذ بيدي فأدخلني منزله وجاء بماء ، وقال لي : اشرب . فشربت ، فأخذ فضلتي ، وذهب إلى امرأته فقال لها : اشربي فَضْلَ رجلٍ قد مكث أربعين يوماً لم يشرب الماء . قال أبو صالح : ولم يكن اطلع على ذلك مني أحدٌ إلا الله عزَّ وجلَّ(٥) .

ومن كلام أبي صالح : الدُّنيا حرامٌ على القلوب حلال على النفوس ؛ لأن كلَّ شيء يحل لك أن تنظر [إليه] بعين رأسك ، فيحرم عليك أن تنظر [إليه] بعين قلبك(٦) .

وكان يقول : البدن لباس القلب ، والقلب لباسُ الفؤاد ، والفؤاد لباس الضَّمير ، والضمير لباس السِّرِّ ، والسِّرُّ لباسُ المعرفة .

ولأبي صالح مناقبُ كثيرةٌ رحمه الله وأكرم مثواه ، وقد كانت وفاته في جُمادى الأولى من هذه السنة .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمئة

في هذه السنة دخل سيف الدولة إلى واسط ، وقد انهزم عنها أبو عبد الله البريدي وأخوه أبو الحسين ، فاختلف التُّرْك على سيف الدولة ، ومالوا إلى توزون ، وهمَّ بالقبض على سيف الدولة ، فهرب منهم

---

(١) في (ط) : وبالذي أطلعك علي إلا صرفت بصرك عني .
(٢) في (ط) : الموت .
(٣) « تاريخ ابن عساكر » (س) (خ) : ٤١أ .
(٤) « تاريخ ابن عساكر » (خ) : ٤١أ .
(٥) تاريخ ابن عساكر « خ » ٤١أ ـ ٤١ب .
(٦) المصدر السالف ، وما بين حاصرتين منه .

قاصداً إلى بغداد ، وبلغ أخاه ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان[١] الملقب بأمير الأمراء ببغداد الخبر ، فخرج من بغداد إلى المَوْصل ، فنهبت داره ببغداد . فكانت إمارة ناصر الدولة على بغداد ثلاثة عشر شهراً وخمسة أيام . وجاء أخوه سيف الدولة بعد خروجه منها ، فنزل بباب حَرْب ، وطلب من الخليفة أن يمدَّه بمالٍ يتقوَّى به على حرب توزون ، فبعث إليه بأربعمئة ألف دِرْهم ، ففرَّقها في أصحابه . وحين سمع بقدوم توزون خرج من بغداد ، ودخلها توزون في الخامس والعشرين من رمضان ، فخلع عليه المتقي ، وجعله أمير الأمراء ، واستقر أمره ببغداد .

وعند ذلك رجع أبو عبد الله البريدي إلى واسط ، وأخرج منْ كان بها من أصحاب توزون ، وكان في أسر توزون غلامٌ لسيف الدولة يقال له ثمال ، فأرسله إلى مولاه ، فَحَسُنَ موقع ذلك عند آل حمدان .

وفي هذه السنة كانت زَلْزلةٌ عظيمة ببلاد نسا ، سقط منها عِماراتٌ كثيرة ، وهَلَك بسببها خَلْقٌ كثير .

قال ابن الجوزي : وكان ببغداد في أيلول وتشرين حرٌّ شديد يأخذ بالأنفاس . وفي صفر ورد الخبر بورود الرُّوم إلى أرْزَن ومَيَّافارِقِين ، وأنهم سَبَوْا وحرقُوا[٢] .

وفي ربيع الآخر من هذه السنة عُقِدَ عقد أبي منصور إسحاق بن الخليفة المتقي لله على علوية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان[٣] ، على صَداق مئة ألف دينار وألف ألف دِرْهم ، وولي العقد على الجارية أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي ، ولم يحضر ناصر الدولة ، وضَرَبَ ناصر الدولة سكَّة زاد في الكتابة عليها : عبد آل محمد[٤] .

قال ابنُ الجوزي : وفي آذار من هذه السنة غَلَتِ الأسعار حتى أكلَ الناس الكلاب ، ووقع الوباء في الناس ، ووافى من الجراد شيءٌ كثير جداً ، حتى أبيع منه كل خمسين رطلاً بدرهم ، فارتفق النَّاسُ به في الغلاء[٥] .

وفيها ورد كتابُ ملكِ الرُّوم إلى الخليفة يطلب فيه منديلاً بكنيسة الرُّها ، كان المسيح قد مسحَ وجهه به فصارت صورة وجهه فيه ، ويعد المسلمين أنه إذا أرسل إليه يبعث من أسارى المسلمين خلقاً كثيراً ، فأحضر الخليفة العلماء ، فاستشارهم في ذلك ، فمن قائلٍ نحن أحق بعيسى منهم ، وفي بعثه إليهم غضاضة[٦] على المسلمين وَوَهْنٌ ، فقال عليُّ بنُ عيسى الوزير : يا أمير المؤمنين ، إنقاذ أسارى

---

(١) في (ح) و (ظا) : أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان ، وهو وهم .

(٢) المنتظم (٦/ ٣٣٠) .

(٣) في النسخ الخطية : ناصر الدولة بن محمد بن حمدان ، وهو وهم .

(٤) انظر أخبار الراضي والمتقي (٢٣١) .

(٥) المنتظم (٦/ ٣٣١) .

(٦) أي ذل . اللسان (غضض) .

المسلمين من أيدي الكُفَّار أنفعُ للنَّاس من بقاء ذلك المنديل بتلك الكنيسة . فأمر الخليفة بإرسال ذلك المنديل إليهم ، وتخليص الأسارى من أيديهم(١) .

قال الصُّولي : ووصل الخبر بأن القِرْمِطي ولد له مولود ، فأهدى إليه أبو عبد الله البريدي هدايا عظيمة ، منها مهدٌ من ذهب مرصَّع بالجوهر(٢) .

وكثر الرَّفض ببغداد ، فنودي بها : منْ ذكر أحداً من الصحابة بسوء فقد بَرِئَتْ منه الذِّمَّة .

وبعث الخليفة إلى عماد الدولة بن بُوَيْه خِلَعاً ، فقبلها ولبسها بحضرة القضاة والأعيان .

وفيها كانت وفاة السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل السَّاماني ، صاحب خُرَاسان وما وراء النهر ، وقد مَرِضَ قبل موته بالسل سنة وشهراً ، فاتخذ في داره بيتاً سماه بيت العِبَادة ، فكان يَلْبَس ثياباً نظافاً ويمشي [إليه] حافياً ويصلِّي فيه ، ويتضرع ، وأكثر الصيام ، وتجنب المنكرات والآثام إلى أن مات ، رحمه الله ، فقام بالأمر من بعده ولدُه نوح بن نصر السَّاماني في شعبان من هذه السنة ، ولقب بالأمير الحميد ، وقَتَلَ محمد بن أحمد النَّسفي البردهي ـ وكان قدطعن فيه عنده ـ وصلبه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

سنان بن ثابت بن قُرَّة(٣) الصَّابىء(٤) : أبو سعيد المتطبب .

أسلم على يد القاهر بالله ولم يُسْلم ولده ولا أحدٌ من أهل بيته ، وكان مقدَّماً في الطب ، وفي علومٍ أخر كثيرة . وكانت وفاته في ذي القَعْدة من هذه السنة بعلة الذَّرَبِ(٥) ، فلم تُغنِ عنه صناعته شيئاً حين جاءه الموت .

وما أحسن ما قال بعض الشعراء في هذا المعنى :

قُـلْ للـذي صَنـعَ الشَّـرابَ بكفِّـهِ ... أَتَرُدُّ مَقْدوراً [عليكَ إذا] جَرَىٰ(٦)

مـاتَ المُـدَاوي والمُـدَاوىٰ والـذي ... صنـعَ الشَّـرابَ بكفِّـهِ ومـنِ اشْتَـرىٰ

---

(١) المنتظم (٦/ ٣٣١) .

(٢) أخبار الراضي والمتقي (٢٣٣) .

(٣) في النسخ الخطية و (م) : ثابت بن سنان بن قرة ، وهو وهم .

(٤) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٣٠٠ ـ ٣٠٤) .

(٥) داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام ، ويفسد فيها ولا تمسكه . اللسان (ذرب) .

(٦) في (ح) : أترد مقدوراً جرى مقتدراً ، وفي (ظا) و (ب) : أترد مقدوراً جرى ، وأضيف ما بين حاصرتين في (ط) : أترد مقدوراً [عليك قد] جرى ، وقد أثبتنا ما رأيناه أتمَّ للمعنى وأوفق للوزن .

أبو الحسن الأشعري[١] : وذكر ابنُ الجوزي في « المنتظم » وفاة الأشعري في هذه السنة وتكلَّم فيه ، وحطَّ عليه كما جرت عادة الحنابلة ؛ يتكلَّمون في الأشعرية قديماً وحديثاً . وذكر أنه ولد سنة ستين ومئتين ، وأنه توفي في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمئة ، وأنه صَحِبَ الجُبَّائي أربعين سنة ، ثم رجع عنه ، وأنه توفي ببغداد ، ودفن بمشرعة الزَّوايا[٢] .

محمد بن أحمد بن يعقوب بن شَيْبَة[٣] بن الصَّلْت : السَّدُوسي مولاهم ، أبو بكر .

سمع جدَّه ، وعباساً الدُّوري ، وغيرهما ، وعنه أبو عمر[٤] بن مهدي .

وكان ثقةً .

روى الخطيب أن والد محمد هذا حين ولد أخذ طالعَ مولده المنجمون ، فحسبوا عمره [وقالوا : إنه يعيش كذا وكذا][٥] ، فأرصد له أبوه حُبّاً[٦] [فكان يلقي][٧] فيه عن كلِّ يومٍ ديناراً ، ثم أرصد له حُبّاً آخر لذلك ، ثم آخر لذلك ، فكان يعدل كل يوم بثلاثة دنانير ، ومع هذا ما أفاده شيئاً ، بل افتقر حتى صار يستعطي من الناس ، ويحضر مجلس السماع عليه بلا إزار ، ويتصدَّق عليه أهل المجلس بشيءٍ يقوم بأَوَدِهِ[٨] . والسَّعيد من أسعدَه الله .

محمد بن مَخْلَد بن حَفْص[٩] : أبو عمر[١٠] ، الدُّوري[١١] ، العَطَّار .

كان يسكن الدُّور ؛ وهي محلة بطرف بغداد .

---

(١) سلفت ترجمته في وفيات (٣٢٤هـ) .
(٢) انظر المنتظم (٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) .
(٣) تاريخ بغداد (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٥) الأنساب (٧/ ٥٩ ـ ٦٠) المنتظم (٦/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣١٢ ـ ٣١٣) العبر : (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٢٩) .
(٤) في (ط) أبو بكر ، وهو تحريف .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في(ح) و (ب) و (ط) : جباً ، وهو تصحيف ، والحُبُّ : الجرة ، أو الضخمة منها .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) انظر تاريخ بغداد (١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) .
(٩) في (ط) : جعفر وهو تحريف .
(١٠) في مصادر ترجمته : « أبو عبد الله » . وهو الصواب ، فكأنه اشتبه عليه بأبي عمر الدوري .
(١١) الفهرست (٣٢٥) تاريخ بغداد (٣/ ٣١٠ ـ ٣١١) طبقات الحنابلة (٢/ ٧٣ ـ ٧٤) المنتظم (٦/ ٣٣٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٢٨ ـ ٨٢٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧) العبر (٢/ ٢٢٧) طبقات الحفاظ (٣٣٤ ـ ٣٤٥) شذرات الذهب (٢/ ٣٣١) .

سمع الحسن بنَ عرفة ، والزُّبير بن بكَّار ، ومُسْلم بن الحَجَّاج ، وغيرهم . وعنه الدَّارَقُطني ، وجماعةٌ من الحفاظ .

وكان ثِقَةً ، فَهِماً ، واسعَ الرِّواية ، مشكورَ الدِّيانة ، مشهوراً بالعبادة .

وكانت وفاته في جُمادى الآخرة من هذه السنة ، وقد استكمل سبعاً وتسعين[١] سنة وثمانية أشهر وواحداً وعشرين يوماً .

المجنون البغدادي[٢] : روى ابنُ الجَوْزي من طريق أبي بكر الشِّبْلي قال : رأيت مجنوناً عند جامع الرُّصَافة وهو عُرْيان وهو يقول : أنا مجنون الله ، أنا مجنون الله . فقلت له : ما لك ، ألا تستتر وتدخل الجامع وتصلّي ؟ فأنشأ يقول :

يقولونَ زُرْنا واقْضِ واجِبَ حَقِّنا وقد أَسْقَطَتْ حالي حُقُوقَهُمُ عنِّي
إذا هُمْ رَأَوْا حالي ولم يأنفوا لها ولم يأنفوا منها أنفتُ لهم منِّي[٣]

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة

فيها خرج المتقي من بغداد إلى المَوْصل مغاضباً لتوزون أمير الأمراء ، وكان إذ ذاك بواسط ، وقد زوَّج ابنته من أبي عبد الله البريدي ، وصارا يداً واحدةً على الخليفة . وأرسل ابنَ شيرزاد في ثلاثمئة غلام إلى بغداد ، فأفسد فيها ، وقَطَعَ وَوَصَل ، واستقلَّ بالأمور من غير مراجعةِ المتقي لله ، فغضب المتقي ، وخرج منها مغاضباً [له][٤] بأهله وأولاده ووزيره ، ومن اتَّبعه من الأمراء وأعيان أهل بغداد ، قاصداً ابنَيْ حمدان ، فتلقاه سيفُ الدولة إلى تكريت ، ثم جاءه ناصرُ الدولة وهو بتكريت أيضاً ، وحين خرج المتقي أكثر ابنُ شيرزاد الفساد ببغداد ، وظلَمَ أهلها وصادَرهم ، وأرسل يعلم توزون ، فأقبل مسرعاً نحو تكريت فتقاتل هو وسيف الدولة بن حمدان ، فَهَزَمَ سيفُ الدولة ، وأُخذ معسكره ومعسكر أخيه ناصر الدولة ، ثم كَرَّ إليه سيفُ الدولة ، فهزَمه توزون أيضاً ، وانهزم الخليفة المتقي وناصر الدولة وسيف الدولة من المَوْصل إلى نَصيبين ، وجاء توزون فدخل إلى الموصل ، وأرسل إلى الخليفة يطلب رضاه ، فأرسل الخليفة يقول : لا سبيل إلى ذلك إلا أن تصالح بني حمدان ، فاصطلحوا ، وضَمِنَ ناصرُ الدولة بلادَ الموصل بثلاثة آلاف ألف وستمئة ألف ، ورجع توزون إلى بغداد ، وأقام الخليفة عند بني حَمْدان .

---

(١) في (ط) : وسبعين ، وهو تصحيف .
(٢) المنتظم (٦/ ٣٣٥) .
(٣) المنتظم (٦/ ٣٣٥) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

وفي غيبة توزون عن واسط أقبل إليها معزُّ الدولة بن بُوَيْه في خَلْقٍ من الدَّيْلم كثيرين ، فانحدر توزون مسرعاً إلى واسط ، فاقتتل مع معز الدولة بضعة عشر يوماً ، وكان آخرَ الأمر أن انهزم معزُّ الدولة ، ونُهِبَتْ حواصله ، وقُتِلَ من جيشه خَلْقٌ كثير ، وأُسر جماعة من أشراف أصحابه .

ثم عاود توزون ما كان يعتريه من مرض الصَّرْع ، فشغل بنفسه ، فرجع إلى بغداد .

وفي هذه السنة قَتَلَ أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف ، وكان سبب ذلك أن أبا عبد الله قَلَّ ما كان عنده من الأموال ، فكان يستقرض من أخيه أبي يوسف ، فيقرضه القليل ، ثم يشنِّع عليه ، ويذُمُّ تصرُّفه ، فمال الجُنْدُ إلى أبي يوسف ، وأعرضوا عن أبي عبد الله ، فخشيَ أبو عبد الله أن يبايعوه ويتركوه ، فأرسل إليه طائفةً من غِلْمانه ، فقتلوه غِيْلَةً ، ثم انتقل إلى داره ، وأخذ جميعَ حَوَاصله وأمواله ، فكان قيمة ما استحوذ عليه من الأموال يقارب ثلاث آلاف ألف[1] دينار . ولم يمتَّعْ بعده إلا ثمانية أشهر ، مرض فيها مرضاً شديداً بالحمَّى الحادة ، حتى كانت وفاته في شوَّال من هذه السنة ، فقام بالأمر بعده أخوه أبو الحسين ـ قبحه الله ـ فأساء السيرة في أصحابه ، فثاروا به ، فلجأ إلى القرامطة ، فاستجار بهم ، وقام بالأمر من بعده أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي في بلاد واسط والبصرة وتلك النواحي من الأهواز وغيرها .

وأما الخليفة المتقي لله فإنه لما أقام عند آل حَمْدان بالمَوْصل ظهر له منهم تضجُّر ، وأنهم يرغبون في مفارقته ، فكتب إلى توزون في الصُّلْح ، فاجتمع توزون مع القضاة والأعيان ببغداد ، وقرؤوا كتاب الخليفة ، وقابله بالسمع والطاعة ، وحلف له ، ووضع خطَّه بالإقرار له ، ولمن معه بالإكرام والاحترام والخضوع ، فكان من الخليفة ودخوله إلى بغداد ما سيأتي في السنة الآتية .

وفي هذه السنة أقبلت طائفةٌ من الرُّوس في البحر إلى نواحي أَذْرَبيجان ، فقصدوا برذعة ، فحاصروها ، فلما ظفروا بأهلها قتلوهم عن آخرهم ، وغنموا أموالهم ، وسَبَوْا منِ استحسنوه من نسائهم ، ثم مالوا إلى مَرَاغة ، فوجدوا فيها ثماراً كثيرة ، فأكلوا منها ؛ فأصابهم وباءٌ شديد ، فمات أكثرهم ، فكان إذا مات أحدهم دفنوا معه سلاحه وماله ، فيأخذه المسلمون ، وأقبل إليهم المَرْزُبان بن محمد ، فقاتلهم فقتل منهم خلقاً كثيراً أيضاً مع ما أصابهم من الوباء الشديد ، وطهَّرَ الله تلك البلاد منهم .

وفي ربيع الأول من هذه السنة جاء الدمستق ؛ ملك الرُّوم إلى رأس العين[2] في ثمانين ألفاً ، فدخلَها ، ونَهَبَ ما فيها ، وقتلَ أهلها وسبى منهم نحواً من خمسة عشر ألفاً ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وقصدته الأعراب من كل وجه ، فقاتلوه قتالاً عظيماً حتى انجلى عنها .

وفي جُمَادى الأولى غلتِ الأسعار ببغداد جداً ، وكَثُرتِ الأمطار جداً حتى تهدَّم البناء ، ومات كثير

---

(١) في (ح) و(ط) : ثلاثمئة ألف ألف .

(٢) من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر « معجم البلدان » : (٣/ ١٤) .

منَ الناس تحت الهَدْم ، وتعطلت كثير من الحمَّامات والمساجد من قِلَّة الناس ، ونقصت قيمة العقار حتى كان يباع بالدِّرْهم ما كان يساوي الدِّينار ، وخَلَت أكثر الدور ؛ فكان المُلاك يعطون من يسكنها أُجرة ليحفظها عليهم من الدَّاخلين إليها لتخريبها . وكَثُرَتْ الكبسات من اللصوص بالليل ، حتى كان الناس يتحارسون بالبوقات والطُّبول ، وكثرت الفِتنُ من كل جهة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وفي رمضان من هذه السنة كانت وفاة[١] :

أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن الجَنَّابي[٢] **الهَجَري**[٣] **القِرْمِطي** : رئيس القرامطة ، لعنه الله ، وهذا هو الذي قَتَلَ الحجيج حولَ الكعبة وفيها ، وسلبها كُسْوتها[٤] وبابها وحليتها ، واقتلع الحجر الأسود من ركنها ، وحمله إلى بلده هَجَر ، وهو في هذه المدة كلها عنده من سنة سبع عشرة كما ذكرنا[٥] ، ولم يردَّه الأخابث إلى سنة تسع وثلاثين كما سيأتي[٦] .

ولما مات أبو طاهر هذا قام بالأمر بعده في القرامطة إخوته الثلاثة ، وهم : أبو العباس الفَضْل ، وأبو القاسم سعيد ، وأبو يعقوب يوسف بنو أبي سعيد الجَنَّابي لعنهم الله ، وكان أبو العَبَّاس ضعيفَ البدن ، مقبلاً على قراءة الكتب ، وكان أبو يعقوب مقبلاً على اللهو واللعب ، ومع هذا [كانت][٧] كلمة الثلاثة واحدة لا يختلفون في شيء ، وكان لهم سبعة من الوزراء متفقون أيضاً ، قبحهم الله أجمعين .

وفي شوال منها توفي أبو عبد الله البَرِيْدي كما ذكرنا ، فاستراح المسلمون من هذا وهذا .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو العبَّاس بن عُقْدة الحافظ[٨] **أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن ، أبو العَبَّاس ، الكوفي ،**

---

(١) ذكر ابن خلكان في « وفياته » : (٢/ ١٥٠) أنه قتل ، والصحيح أنه مات بالجدري كما ذكر كل من ترجم له .

(٢) أنظر حاشيتنا على وفيات سنة (٣٠١هـ) .

(٣) تاريخ أخبار القرامطة (٣٦) وما بعدها ، المنتظم (٦/ ٣٣٦) الكامل لابن الأثير (٨/ ١٤٣) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٢/ ١٤٨ ـ ١٥٠) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٢٠ ـ ٣٢٥) العبر (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨) الوافي بالوفيات (١٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٦) مرآة الجنان : (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٣) تاريخ ابن خلدون (٣/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٢٤ ـ ٢٨١) شذرات الذهب (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢) .

(٤) في (ح) : وسلبها ستورها وحليتها .

(٥) انظر أحداث سنة (٣١٧هـ) .

(٦) انظر أحداث سنة (٣٣٩هـ) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٨) الفهرست للطوسي (٢٨ ـ ٢٩) تاريخ بغداد (٥/ ١٤ ـ ٢٢) المنتظم (٦/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٣٩ ـ ٨٤٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٤٠ ـ ٣٥٥) العبر (٢/ ٢٣٠) ميزان الاعتدال (١/ ١٣٦ ـ ١٣٨) الوافي بالوفيات =

المعروف بابن عُقْدة ؛ لقِّب أبوه بذلك من أجل تعقيده في التصريف والنحو ، وكان عقدةُ ورعاً ناسكاً ، وكان أبو العباس بن عقدة من الحفاظ الكبار .

سمع الحديث الكثير ، ورحل فسمع من خلائق من المشايخ .

وسمع منه الطبراني ، والدَّارَقُطْني ، وابنُ الجِعابي ، وابن عَدِي ، وابن المظفَّر ، وابن شاهين .

قال الدَّارَقُطْني : أجمعَ أهلُ الكوفة أنه لم يُرَ من زمنِ ابنِ مسعود إلى زمان ابنِ عُقْدة أحفظُ منه .

ويقال إنه كان يحفظُ نحواً من ستمئة ألف حديث ؛ منها ثلاثمئة ألف في فضائل أهل البيت ، بما فيها من الصِّحاح والضِّعاف ، وكانت كُتُبه ستمئة حِمْل جمل ، وكان يُنسبُ مع هذا كلِّه إلى التشيع . فقال الدَّارَقُطني : كان رجلَ سوء ، ونسبه ابنُ عدي إلى أنه كان يسوِّي النسخ لأشياخٍ ويأمرهم بروايتها .

وقال الخطيب : حدَّثني عليُّ بنُ محمد بن نَصْر ، قال : سمعت حمزة بن يوسف [يقول] : سمعت أبا عمر بن حيويه يقول : كان ابنُ عُقْدَةَ يجلس في جامع براثى[١] يملي مثالب الصَّحابة ـ أو قال : الشيخين ـ فتركتُ حديثه ، لا أحدث عنه بشيء[٢] .

قلتُ : وقد حَرَّرْتُ الكلامَ فيه بما فيه كفاية في كتابي « التكميل » ، ولله الحمد والمنة . وكانت وفاته في ذي القَعْدة منها .

أحمد بن عامر[٣] بن بِشْر بن حامد المَرَوْرُّوذِي[٤] : نسبةً إلى مَرْو الرُّوذ ، والرُّوذ : النهر .

الفقيه الشافعي تلميذ الشيخ أبي إسحاق المروزي ـ نسبةً إلى مرو الشَّاهِجان ؛ وهي أعظم من تلك ـ شرح مختصر المُزني ، وله كتاب « الجامع في المذهب » ، وصنَّف في أُصول الفِقْه ، وكان إماماً لا يُشقُّ غبارُه .

= (٧/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦) مرآة الجنان (٢/ ٣١١) لسان الميزان (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٨١) طبقات الحفاظ (٣٤٨ ـ ٣٤٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٢) .

(١) انظر أحداث سنة (٣١٣هـ) .

(٢) تاريخ بغداد (٥/ ٢٢) .

(٣) في أغلب المصادر : أحمد بن بشر بن عامر ، وهو الصواب ، فقد نص على ذلك تلميذه أبو حيان في البصائر والذخائر (مج٣/ ٢١٧) وقال السبكي في طبقاته : وعكس الشيخ أبو إسحق ، فقال : ابن عامر بن بشر .

(٤) الفهرست (٣٠١) طبقات العبادي (٧٦) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٤) معجم البلدان (٥/ ١١٢) وفيات الأعيان (١/ ٦٩ ـ ٧٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦٦ ـ ١٦٧) العبر (٢/ ٣٢٦) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٦٥) ومرآة الجنان (٢/ ٣٧٥) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٢ ـ ١٣) طبقات ابن هداية الله (٨٦ ـ ٨٧) شذرات الذهب (٣/ ٤٠) وقد ذكره أبو حيان في كتابه البصائر والذخائر (مج١/ ١٧٤ ، ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، ٥٥١ ، ومج٢/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ، مج٣/ ٢١٧ ، ٦٦٦) .

توفي في هذه السنة[١] رحمه الله ، والله تعالى أعلم بالصَّواب ، وإليه المرجع والمآب .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة

فيها رجع الخليفة المتقي إلى بغداد ، وخُلع من الخِلافة وسُمِلَت عيناه . كان المتقي ـ وهو مقيم بالمَوْصل ـ قد أرسل إلى الإخشيذ محمد بن طُغْج ؛ صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية [أن يأتيه][٢] ، فأقبل إليه وقدم عليه في المنتصف من المحرَّم من هذه السنة ، وخضع للخليفة غايةَ الخضوع ، وكان يقوم بين يديه كما يقوم الغِلْمان ، ويمشي والخليفةُ راكب ، ثم عَرَضَ عليه أن يصيرَ معه إلى الدِّيار المصرية أو يقيم ببلاد الشام ، فأبى عليه ذلك ، فأشار عليه بالمقام بمكانه الذي هو فيه ، ولا يذهب إلى توزون ببغداد ، وحذَّره من توزون ومكره وخديعته ، فلم يقبل ، وكذلك أشار على وزيره[٣] أبي الحسين بن مُقْلة فلم يسمع . فأهدى إلى الخليفة هدايا كثيرة فاخرة ، وكذلك إلى الأمراء والكبراء والوزير ، ثم كرّ راجعاً إلى بلاده ، وقد اجتاز بحلب ، فانحاز عنها صاحبها أبو عبد الله بن سعيد بن حمدان . وكان ابن مقاتل بها ، فأرسله إلى الديار المصرية نائباً عنه حتى يعود إليها .

وأما الخليفة فإنه ركب من الرَّقة في دِجْلة إلى بغداد ، وأرسل إلى توزون ، فاستوثق منه ما كان حلف من الأيمان ، فأكّدها وقرَّرها ، فلما اقترب منها خرج إليه توزون ومعه العساكر ، فلما رأى الخليفة قبَّل الأرض بين يديه ، وأظهر له أنه قد وَفَىٰ له بما كان حلف عليه ، وأنزله في مضربه ، ثم جاء ، فاحتاط على من معه من الكبراء ، وأمر بسَمْلِ عيني الخليفة ، فَسُملتْ عيناه ، فصاح صيحةً عظيمة سمعها الحُرَم ، فضجَّتِ الأصواتُ بالبكاء ، فأمر توزون بضرب الدَّبادب حتى لا تسمع أصوات الحُرَم ، ثم انحدر من فوره إلى بغداد ، فبايع المستكفي بالله ، فكانت خلافة المتقي لله ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً ، وقيل : وأحد عشر شهراً . وستأتي ترجمته عندذ كر وفاته[٤] .

---

(١) هكذا قال ، متابعاً شيخه الذهبي في تاريخ الإسلام ، فقد ذكره في وفيات هذه السنة وسماه : « أحمد بن عامر بن بشر » أيضاً (٧/ ٦٥٤) ، وهو وهم في اسمه وفي سنة وفاته ، فاسمه الصحيح هو « أحمد بن بشر بن عامر » ، ووفاته في سنة ٣٦٢ ، وقد ذكره الذهبي على الصواب في وفيات السنة المذكورة من تاريخه (٨/ ١٩٩) ، وكتبه في « السير » على الصواب أيضاً ، وإنما يحدث مثل هذا بسبب اختلاف الموارد .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) في (ط) : وكذلك أشار عليه وزيره ، وهو تحريف ، وأبو الحسين بن مقلة ، وهو ابن أبي علي بن مقلة الوزير المشهور .

(٤) انظر حوادث سنة (٣٥٧هـ) .

خلافةُ المستكفي بالله أبي القاسم عبد الله بن المكتفي بن المعتضد

لما رجع توزون إلى بغداد وقد خلع المتقي لله وسمله ، استدعى بعبد الله بن المكتفي ، فبايعه على الخلافة ، ولقب بالمستكفي بالله ، وذلك في العَشْر الأواخر من صفر من هذه السنة ، وجلس توزون بين يديه ، وخلع عليه المستكفي خِلْعة سنية ، وكان المستكفي مليحَ الشكل ، رَبْعَةً ، حسنَ الجِسْم والوجه ، أبيضَ اللون مشرباً ، أكحل ، أقنى الأنف ، خفيفَ العارضين ، وعمره يوم بويع بالخلافة إحدى وأربعون سنة . وأُحضر المتقي بين يديه ، وبايعه ، وأخذ منه البُرْدة والقضيب ، واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السَّامري ، ولم يكن إليه من الأمر شيء ، وإنما الذي يتولى الأمور ابن شيرزاد ، وحُبس المتقي بالسجن . وطلب المستكفي أبا القاسم الفَضْل بن المقتدر ، وهو الذي ولي الخلافة بعد ذلك ، ولقِّب المطيع لله[١] ؛ فاختفى منه ولم يظهر مدة خلافة المستكفي ، فأمر المستكفي بهدم داره التي عند دِجْلة .

موت القائم الفاطمي وولاية ولده المنصور

وفي رمضان من هذه السنة ـ والصحيح في شوال من التي بعدها[٢] ـ توفي القائم بأمر الله أبو القاسم بن المهدي ، وقد عهد بالأمر من بعده لولده المنصور إسماعيل ، فكتم موت أبيه مُدَّة حتى أتقن[٣] أمره ثم أظهره .

وقد كان أبو يزيد الخارجي قد حاربهم في هذه السنة ، وأخذ منهم مُدُناً كباراً ، وكسروه مراراً متعددة ، ثم يثور عليهم ، ويجمع الرِّجال ويقاتلهم بمن قدر عليه ، فانتدب المنصور لقتال أبي يزيد بنفسه ، وركب في الجيوش ، وجرت بينهما حروبٌ يطول ذكرُها ، وقد بسطها ابن الأثير في « كامله »[٤] . وقد انهزم في بعض الأحيان جيش المنصور عنه ولم يبق إلا في عشرين نفساً ، فقاتل بنفسه قتالًا عظيماً ، فهزم أبا يزيد بعدما كاد يقتله ، وثبت المنصور ثباتاً عظيماً ، فعظُم في أعين الناس ، وزادت حرمته وهيبتُه ، واستنقذ بلاد القيروان منه ، وما زال يحاربه المنصور حتى ظفر به وقتله ، ولما جيء برأسه سَجدَ شكراً لله عزَّ وجلَّ .

وكان أبو يزيد هذا قبيحَ الشكل ، أعرجَ ، قصيراً ، خارجياً شديداً ، يرى تكفير أهل المِلَّة ، قبحه الله في الدنيا والآخرة .

---

(١) سيأتي ذلك في حوادث سنة (٣٣٤هـ) .
(٢) انظر حوادث سنة (٣٣٤هـ) .
(٣) في (ب) و (ظا) : استقر ، وفي (ط) : اتفق .
(٤) انظر الكامل (٨/ ٤٢٢ ـ ٤٤١) .

وفي ذي الحجَّة من هذه السنة قُتِلَ أبو الحسين البريدي ، وصُلِبَ ، ثم أحرق ؛ وذلك لأنه قَدِمَ بغداد ، يستنجد بتوزون وأبي جعفر بن شيرزاد على ابن أخيه ، فوعده النَّصر ، ثم شرع يفسد ما بين توزون وابن شيرزاد ، فعلم بذلك ابنُ شيرزاد ، فأمر بسجنه وضربه ، وأحضر له بعض الفقهاء فُتيا عليها خطوط الفقهاء بإباحة دمه ، فاستظهر عليه بذلك ، وأمر بقتله وصلبه ، ثم أحرقه ، وانقضت أيام البريديِّين ، وزالت دولتهم ، لا جمع الله بهم شملاً .

وفي هذه السنة أخرج المستكفي بالله القاهر من دار الخلافة ـ الذي كان خليفة ثم سملت عيناه ـ وأنزله بدار ابن طاهر ، وقد افتقر ، ولم يبق له من اللِّباس سوى بطن جُبَّة[1] يلتفُّ بها ، وفي رِجْله قبقابٌ من خشب .

وفي هذه السنة ركب معزُّ الدولة في رجب منها إلى واسط ليحاصرها فبلغ خبره إلى توزون ، فركب هو والمستكفي بالله ، فلما سمع بهم معز الدولة رجع عنها إلى بلاده ، وتسلمها الخليفة ، وضمنها أبو القاسم بن أبي عبد الله ، فضمَّنه توزون ، ثم رجع هو والخليفة إلى بغداد في شوال من هذه السنة .

وفي هذه السنة ركب سيفُ الدولة عليُّ بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى حلب ، فتسلمها من يأنس المؤنسي ، ثم سار إلى حمص ليأخذها ، فجاءته جيوش الإخشيذ محمد بن طُغْج مع مولاه كافور ، (فاقتتلوا[2] ، فانهزم كافور الإخشيذي ، واستولى سيف الدولة على حمص ، ثم ركب إلى دمشق فحاصرها فلم يفتحها أهلها له ، فرجع عنها ، وقصده الإخشيذ بجيوش كثيفة ، فالتقيا)[2] بقنَّسرين ، فلم يظفر أحد منهما بالآخر ، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة ، ثم عاد إلى حلب ، فاستقر ملكُه بها ، فقصدته الروم في جحافل عظيمة ، فالتقى[3] معهم ، فظفر بهم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة

في المحرم منها زاد الخليفة في لقبه إمام الحق ، وكتب ذلك على سكَّة المعاملة ، وقاله الخطباء على المنابر أيام الجُمَع .

وفي المحرم من هذه السنة مات توزون التُّركي في داره ببغداد ، وكانت إمارته سنتين وأربعة أشهر وعشرة أيام . وكان ابن شيرزاد كاتبه ، وكان بهيت لتخليص المال ، فلما بلغه الخبر أراد أن يعقد البيعة

---

(١) أي بطانة ، وفي الكامل (٨/ ٤٤٢) بقطن جبة .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ط) .

(٣) في النسخ الخطية : فالتقيا ، والمثبت من (ط) .

لناصر الدولة بن حمدان ، فاضطربت الأجناد ، وعقدت الرياسة لنفسه ، ودخل بغداد في مستهل صفر ، وخرج إليه الأجناد كلُّهم ، وحلفوا له ، وحلف له الخليفة والقضاة والأعيان ، ودخل على الخليفة فخاطبه بأمير الأمراء . وزاد في أرزاق الأجناد ، وبعث إلى ناصر الدولة يطالبه بالخَرَاج ، فبعث إليه بخمسمئة ألف دِرْهم ، وبطعام ففرَّقه في الناس ، وأمَرَ ونهى ، وولّى وعزل ، وقطع ووصل ، وفرح بنفسه ثلاثة أشهر وعشرين يوماً . ثم جاءت الأخبار بأن معزَّ الدولة بن بُوَيه قد أقبل في الجيوش قاصداً بغداد ، فاختفى ابن شيرزاد والخليفة أيضاً ، وخرج أكثر الأتراك قاصدين إلى الموصل ليكونوا مع ناصر الدولة بن حمدان .

ذكر أول دولة بني بُوَيْه وحكمهم ببغداد

أقبل معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه في جحافل [عظيمة من الجيوش قاصداً بغداد][1] ، فلما اقترب من بغداد بعث إليه الخليفة المستكفي بالله الهدايا والإنزالات ، وقال للرسول : أخبره أنّي مسرورٌ به ، وأني إنما اختفيت من شرِّ الأتراك الذين انصرفوا إلى الموصل . وبعث إليه بالخِلَع والتحف .

ودخل معز الدولة بن بويه بغداد في حادي عشر جمادى الأولى من هذه السنة ، فنزل بباب الشمَّاسية ، ودخل من الغد إلى الخليفة فبايعه ، وخلع عليه المستكفي ولقبه بمعز الدولة ، ولقب أخاه أبا الحسن علياً بعماد الدولة ، وأخاه أبا علي الحسن بركن الدولة ، وكتب ألقابهم على الدراهم والدنانير . ونزل معز الدولة بدار مُؤنس الخادم ، ونزل أصحابه من الدَّيْلم بدور الناس ، فلقي الناس من ذلك كلفةً شديدة ، وأمَّن معز الدولة ابنَ شيرزاد ، فلما ظهر استكتبه على الخَرَاج ، ورتب للخليفة بسبب نفقاته خمسة آلاف [درهم][1] في كل يوم ، واستقرت الأمورُ على هذا النظام .

ذكر القَبْض على الخليفة المُستكفي وخَلْعِهِ

لما كان اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة حضر معز الدولة إلى الحضرة ، فجلس على سرير بين يدي الخليفة ، وجاء رجلان من الدَّيْلَم ، فمدا أيديهما إلى الخليفة ، فأنزلاه عن كرسيه ، وسحباه ، فتحزَّبت[2] عِمَامتهُ في حَلْقه ، ونهض معز الدولة ، واضطربت دار الخلافة حتى خلص إلى الحريم ، وتفاقم الحال ، وسيق الخليفة ماشياً إلى دار معز الدولة ، فاعتقل بها ، وأحضر أبو القاسم بن المقتدر فبويع بالخلافة ، وسُمِلَتْ عينا المستكفي ، وأودع السِّجْنَ ، فلم يزل به

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) أي اشتدت عليه أو ضغطته . القاموس المحيط (حزب) .

مسجوناً حتى كانت وفاته في سنة ثمانٍ وثلاثين كما سيأتي بيانه ، وذكر ترجمته هناك[١] .

خِلافة المطيع لله

لما قدم معزُّ الدولة بغداد ، وقبض على المستكفي ، وسُمِلَتْ عيناه ، استدعي بأبي القاسم الفَضْل ابن المقتدر بالله ، وقد كان مختفياً من المستكفي وهو يحثُّ على طلبه ويجتهد ، فلم يقدر عليه ، ويقال : إنه اجتمع بمعز الدولة سراً ، فحرَّضه على المستكفي حتى كان من أمره ما كان ، فأحضر أبو القاسم بن المقتدر فبويع بالخلافة ، ولقب بالمطيع لله ، وبايعه الأمراء والأعيان ومعز الدولة والعامة ، وضعف أمر الخلافة جداً حتى لم يبق للخليفة أمرٌ ولا نهي ولا وزير أيضاً ، وإنما يكون له كاتب على إقطاعه فقط ، وإنما مورد أمور المملكة ومصدرها راجعٌ إلى معز الدولة ، وإنما كان ذلك لأن بني بويه ومن معهم من الدَّيْلم فيهم تشيُّعٌ[٢] شديد ، وكانوا يَرَوْن أن بني العباس قد غصبوا الأمر من العلويين ، حتى عزم معز الدولة على تحويل الخلافة عنهم إلى العلويين ، واستشار أصحابه في ذلك ، فكلُّهم أشار عليه بذلك ، إلا رجلاً من أصحابه ، كان سديد الرأي فيهم ، فإنه قال له : لا أرى لك هذا . قال : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنَّ هذا خليفة ترى أنت وأصحابك أنه غير صحيح الإمارة ، فمتى أمرت بقتله قتلَه أصحابك ، ولو ولّيت رجلاً من العلويين لكنت أنت وأصحابك تعتقدون صحة ولايته فلو أمر بقتلك لقتلك أصحابك . فلما فهم ذلك صرَفَه عن رأيه الأول ، [وترك ما كان عزم عليه][٣] للدُّنيا لا لله عزَّ وجلَّ .

ثم نشِبت الحربُ بين ناصر الدولة بن حمدان وبين معز الدولة بن بُوَيْه ، فركب ناصر الدولة بعدما خرج معزُّ الدولة والخليفة المطيع إلى عُكبرا ، فدخل بغداد ، فأخذ الجانب الشَّرْقي ، ثم الغربي ، وضَعُفَ أمر معز الدولة والديالمة الذين معه ، ثم مكر به معز الدولة وخدعه حتى استظهر عليه وانتصر أصحابه ، فنهبوا بغداد وما قدروا عليه من أموال التجار وغيرهم ، فكان قيمة ما أخذ أصحابُ معز الدولة من الناس عشرة آلاف ألف دينار ، ثم وقع الصُّلْح بين ناصر الدولة ومعز الدولة ، ورجع ابن حمدان إلى بلده المَوْصل ، واستقر معزُّ الدولة بمدينة السلام بغداد .

ثم شرع في استعمال السُّعاة ليبلِّغوا أخاه ركنَ الدولة أخبارَه ، فغوي العامة في ذلك ، وعلَّموا أبناءهم ذلك ، حتى كان من الناس من يقطع نيفاً وثلاثين فرسخاً في يوم .

وأعجبه المصارعون والملاكمون ، وغير ذلك من أرباب هذه الصِّناعات التي لا يُنْتفع بها إلا قليلاً[٤]

---

(١) انظر وفيات سنة (٣٣٨هـ) .

(٢) في (ط) : تعسف ، وهو تحريف .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) في (ط) : التي لا ينتفع بها إلا كل قليل العقل ، فاسد المروة ، وتعلموا السباحة ونحوها .

كالسِّباحة ونحوها ، وكان يضرب الطبول بين يديه ، ويصارع بين الرجال ، والكوسات[١] تدق حول سور[٢] المكان الذي هو فيه ، وهذه رعونة شديدة ، وسخافة عقل منه وممن يوافقه على ذلك ، ثم احتاج معز الدولة إلى صرف أموال في أرزاق الأجناد ، فأقطعهم البلاد عِوَضاً عن أرزاقهم ، فأدَّى ذلك إلى تخريبها ، وتَرْك عمارتها إلا الأراضي التي بأيدي أصحاب الجاهات .

وفي هذه السنة وقع غلاءٌ شديد ببغداد حتى أكلوا الميتة والكلاب والسَّنانير ، وكان من النَّاس من يسرق الأولاد فيشويهم ويأكلهم ، وكثر الموت في الناس حتى كان لا يدفن أحدٌ أحداً ، بل يتركون على الطُّرُقات فتأكل كثيراً منهم الكلاب ، وأبيعت الدُّور والعقار بالخبز ، وانتجع الناس البصرة ، فكان منهم منْ يموت في الطريق ، ومن وصل منهم مات بعد مدَّة .

وفيها كانت وفاة القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي[٣] ، وولي الأمر من بعده ولده المنصور إسماعيل ، وكان حازمَ الرأي شديداً شجاعاً كما ذكرنا ذلك في السنة الماضية[٤] ، وكانت وفاتُه في شوال من هذه السنة على الصَّحيح .

وفيها توفي الإخشيذ محمد بن طُغْج : صاحب الدِّيار المِصْرية والبلاد الشَّامية ، كانت وفاته بدمشق ، وله من العمر بضع وستون سنة ، وأُقيم ولده أُنوجُور[٥] ـ وكان صغيراً ـ وأقيم كافور الإخشيدي أتابك[٦] ، وكان يدبِّر الممالك بالبلاد كلِّها ، واستحوذ على الأمور كلها ، وسار إلى مِصْر ، فقصدَ سيف الدولة بنُ حمدان دمشق ، فأخذها من أصحاب الإخشيذ ، ففرح بها فرحاً شديداً ، واجتمع بمحمد بن محمد [أبي][٧] نصر الفارابي التُّركي الفيلسوف بها . وركب سيف الدولة يوماً مع الشَّريف العقيقي[٨] في بعض نواحي دمشق ، فنظر سيف الدولة إلى الغوطة فأعجبته وقال : ينبغي أن تكون هذه كلها لديوان السُّلْطان ـ كأنَّه يعرِّض بأخذها من مُلاَّكها ـ فأوعز ذلك العقيقي[٨] إلى أهل دمشق ، فكتبوا إلى كافور

---

(١) هي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص . صبح الأعشى (٤/ ٩) .
(٢) انظر المنتظم (٦/ ٣٤١) .
(٣) الحلة السيراء (١/ ٢٨٥ ـ ٢٩١) الكامل لابن الأثير (٨/ ٢٨٤) وما بعدها ، البيان المغرب (١/ ٢٠٨) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٥/ ١٩ ـ ٢٠) المختصر في أخبار البشر (٢/ ٨٠ ، ٩٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٥٢ ـ ١٥٦) العبر (٢/ ٢٤٠) الوافي بالوفيات (٤/ ٤) مرآة الجنان (٢/ ٣١٧) تاريخ ابن خلدون (٤/ ٤٠ ـ ٤٣) اتعاظ الحنفا (١٠٧ ـ ١٢٠) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٨٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) .
(٤) انظر حوادث سنة (٣٣٣هـ) .
(٥) ذكر ابن خلكان في وفياته (٤/ ٩٩) أن معناه بالعربي محمود .
(٦) يعني مربي أولاد الملوك ، وهي مركبة من كلمتين : أتا : الأب ، وبك : الأمير . انظر وفيات الأعيان (١/ ٣٦٥) .
(٧) في النسخ الخطية و(ط) ابن ، وهو تحريف ، وفيات سنة (٣٣٩هـ) .
(٨) في (ط) العقيلي ، وهو تحريف ، في وفيات سنة (٣٦٧هـ) .

الإخشيذي يستنجدونه ، فأقبل إليهم في جيوش كثيفة ، فأجلى عنهم سيفَ الدولة ، وطرده عن حلب أيضاً ، واستناب عليها ، ثم كرَّ راجعاً ، فاستناب على دمشق بدراً الإخشيذي ـ ويعرف ببُدَيْر ـ فلما صار كافور إلى الدِّيار المصرية رجع سيفُ الدولة إلى حلب ، فأخذها كما كانت أولاً له ، ولم يبقَ له في دمشق شيء . وكافور[١] هذا هو الذي هجاه المتنبي ومدحه أيضاً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الخِرَقي[٢] : صاحب المختصر المشهور في الفقه .

عمر بن الحسين بن عبد الله ، أبو القاسم ، الخِرَقي ، صاحب المختصر في الفقه ، على مذهب الإمام أحمد . وقد شَرَحه القاضي أبو يعلى بن الفَرَّاء ، والشيخ موفق الدين بن قُدامة المَقْدِسِي[٣] .

وقد كان الخرقي هذا من سادات الفقهاء والعُبَّاد ، كثيرَ الفضائل والعبادة ، خرج من بغداد لما كثر السبُّ بها [للصحابة][٤] ، وأودع كتبه ببغداد ، فاحترقت الدار التي هي فيها ، وعَدِمت مصنفاته ، وقصد دمشق ، فأقام بها حتى مات في هذه السنة ، وقبره بباب الصغير يزار ، قريباً من قبور الشُّهداء ، وفي مصنفه هذا المختصر في كتاب الحج : ويأتي الحجرَ الأسودَ فيقبِّله إن كان هناك . وإنما قال ذلك لأن تصنيفه لهذا الكتاب كان حال [كون][٥] الحجر الأسود بأيدي القرامطة حين أخذوه من مكانه في سنة سبع عشرة وثلاثمئة كما ذكرنا[٦] ، ولم يردوه إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة كما سيأتي بيانه في موضعه[٧] .

قال الخطيب : قال لي القاضي أبو يعلى : كانت له مصنفاتٌ كثيرة ، وتخريجات على المذهب لم تظهر ، لأنه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سبُّ الصحابة وأودع كتبه ، فاحترقت الدار التي هي فيها ، واحترقت الكتب فيها ، ولم تكن قد انتشرت لبُعْده عن البلد[٨] .

ثم روى الخطيب من طريقه[٩] عن أبي الفضل عبد السميع الهاشمي عن الفتح بن شخرف ، قال :

---

(١) انظر ترجمته في وفيات سنة (٣٥٧هـ) .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٧٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٧٥ ـ ١١٨) الأنساب (٥/ ٩٢) تاريخ ابن عساكر (١٢/ ٣٥٢آ) المنتظم (٦/ ٣٤٦) وفيات الأعيان (٣/ ٤٤١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤) العبر (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) .

(٣) هو كتاب « المغني » ، وهو مطبوع ، مشهور ، متداول .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ظا) .

(٦) انظر حوادث سنة (٣١٧هـ) .

(٧) انظر حوادث سنة (٣٣٩هـ) .

(٨) تاريخ بغداد (١١/ ٢٣٤) وانظر طبقات الحنابلة (٢/ ٧٥) .

(٩) أي من طريق الخرقي .

رأيتُ أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب في المنام ، فقال لي : ما أحسنَ تواضعَ الأغنياء للفقراء ، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء . قال : ورفع لي كفَّه ، فإذا فيها مكتوب :

قد كنتَ مَيْتاً فَصِرْتَ حيّاً وعن قليلٍ تصيرُ مَيْتا
فابنِ بدارِ البَقاءِ بَيْتاً وَدَعْ بدارِ الفَناءِ بيتا[١]

قال ابن بطَّة : مات الخِرَقي بدمشق سنة أربعٍ وثلاثين وثلاثمئة ، وزرتُ قبره[٢] .

محمد بن عيسى[٣] : أبو عبد الله بن أبي موسى ، الفقيه الحنفي ، أحد أئمة العراقيِّين في زمانه .

وولي القضاء ببغداد للمتقي ثم للمستكفي ، وكان ثقةً فاضلاً ، كبست اللصوص داره يظنون أنه ذو مالٍ ، فضربه بعضُهم ضربةً أثخنته ، فهرب منهم إلى السطوح ، فألقى نفسه من شِدَّة الفزع إلى الأرض ، فمات رحمه الله ، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة .

محمد بن محمد بن عبد الله[٤] : أبو الفَضْل السلمي الوزير الفقيه المحدث الشاعر .

سمع الكثير ، وجمع وصنف ، وكان يصوم الإثنين والخميس ، ولا يدع صلاة الليل والتصنيف ، وكان يسأل الله الشهادة كثيراً . فولي الوزارة للسُّلْطان ، فقصده الأجناد يطالبونه بأرزاقهم ، واجتمع منهم ببابه خَلْق كثير ، فاستدعى بحلاق ، فحلق رأسه ، وتنوَّر ، وتطيب ، ولبس كفنه ، وقام يصلِّي ، فدخلوا عليه فقتلوه ـ رحمه الله ـ وهو ساجد ، في ربيع الآخر من هذه السنة ، والله تعالى أعلم .

الإخشِيذ محمد بن طُغْج[٥] بن جُفّ : أبو بكر ، الملقب بالإخشيذ ، ومعناه ملك الملوك ؛ لقبه بذلك الرَّاضي ، لأنه كان ملك فَرْغانة[٦] ، وكل من ملكها كان يسمى الإخشيذ ، كما أن من ملك أُشْرُوسَنَة يسمى الأفشين ، ومن ملك خُوارزم يسمى خُوارزم شاه ، ومن ملك جُرْجان يسمى صُول ، ومن ملك

---

(١) انظر تاريخ بغداد (١١/ ٢٣٤) .
(٢) المصدر السالف (١١/ ٢٣٥) .
(٣) المنتظم (٦/ ٣٤٦) .
(٤) المنتظم (٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) .
(٥) في النسخ الخطية و (ط) ، والمنتظم (٦/ ٣٤٧) : محمد بن عبد الله بن طغج ، وهو وهم ، وطغج يعني عبد الرحمن ، انظر وفيات الأعيان ، (٥/ ٥٦) وترجمة الإخشيذ في ولاة مصر (٢٩٩) تاريخ ابن عساكر (س) (١٥/ ٢٤٣ب ـ ٢٤٤آ) المنتظم (٦/ ٣٤٧) وفيات الأعيان (٥/ ٥٦ ـ ٦٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) العبر (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) الوافي بالوفيات (٣/ ١٧١ ـ ١٧٢) مرآة الجنان (٢/ ٣١٤ ـ ٣١٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧) شذرات الذهب (٢/ ٢٣٧) .
(٦) العبارة غير مستقيمة ، والأصح منها عبارة ابن خلكان (٥/ ٥٦) : أصله من أولاد ملوك فرغانة . وفي المنتظم (٦/ ٣٤٧) : لأنه فرغاني .

أَذْربيجان يسمى أصبهبذ ، ومن ملك طَبَرِسْتان يسمى رسلان[١] . قاله ابن الجوزي في « منتظمه »[٢] .

قال السُّهَيْلي : وكانت العرب تسمي من ملك الشَّام مع الجزيرة كافراً قيصر ، ومن ملك الفُرس يسمى كسرى ، ومن ملك اليَمن يسمَّى تُبَّع ، ومن ملك الحبشة يسمَّى النَّجاشي ، ومن ملك الهند يسمى بطليموس ، ومن ملك مصر كافراً فِرْعون ، ومن ملك الإسكندرية المقوقس[٣] . وذكر غير ذلك . وكانت وفاته بدمشق ، ونقل إلى بيت المقدس ، فدفن هناك ، رحمه الله .

أبو بكر الشِّبْلي[٤] : أحد مشايخ الصُّوفية ، اختلفوا في اسمه على أقوالٍ ، فقيل : دُلَف بن جَحْدر ، وقيل : ابن جعفر بن يونس[٥] .

أصله من قريةٍ يقال لها شِبْلية من بلاد أُشْرُوسَنَة من خراسان ، وولد بسامرَّا ، وكان أبوه حاجب الحُجَّاب للموفَّق[٦] ، وكان خاله نائب إسكندرية ، وكانت توبة الشِّبْلي على يدي خير النَّسَّاج[٧] ، سمعه يعظ ، فوقع كلامه في قلبه ، فتاب من فوره [وقد كان مالكي المذهب ، وكتب الحديث الكثير ، ثم أقبل على العبادة والمجاهدة ، وترك ذلك كله ، وغسل كتبه ، وقد ترك له أبوه شيئاً كثيراً من الذهب والضياع ، فأنفقها كلها على الصوفية والمحتاجين . قال الشبلي : رأيت باليمن دار الإمارة ، والناس عكوف على بابها ، فأشرف لهم الملك من طاقة ، وأومأ إليهم بيده للسلام ، فسجدوا له ، ثم رأيته بعد بالشام قد اشترى لحماً بدرهم ، وأمسكه بيده . فقلت : أنت ذلك الرجل ؟ فقال : نعم . ومن رأى ذلك ورأى هذا فلا يحقرن الدنيا ؟!

ورأى الشبلي حجاماً يحجم بعض الصوفية ، فلما فرغ ناوله الشبلي أربعين ديناراً في صرة ، فردَّها عليه ، وقال : إني إنما عملت ما عملت مع الله ، لا أنقض عهدي مع الله من أجل هذه الدنانير ، فصك الشبلي وجهه ، وقال : كل إنسان خير من الشبلي حتى الحجام .

---

(١) في المنتظم (٦/ ٣٤٧) « سالار » .

(٢) انظر المصدر السالف .

(٣) انظر الروض الأُنُف (١/ ١١٤) .

(٤) طبقات الصوفية (٣٣٧ ـ ٣٤٨) حلية الأولياء (١٠/ ٣٦٦ ـ ٣٧٥) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٨٩ ـ ٣٩٧) الرسالة القشيرية (٢٥ ـ ٢٦) الأنساب (٧/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤) المنتظم (٦/ ٣٤٧ ـ ٣٤٩) وفيات الأعيان (٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦٧ ـ ٣٦٩) العبر (٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) مرآة الجنان (٢/ ٣١٧ ـ ٣١٩) الديباج المذهب : (١١٦ ـ ١١٧) طبقات الأولياء (٢٠٤ ـ ٢١٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٨) .

(٥) انظر طبقات الصوفية (٣٣٧) .

(٦) في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦٧) : كان أبوه من كبار حجاب الخلافة ، وولي هو حجابة أبي أحمد الموفق . قلت : ترجمة الموفق سلفت في وفيات سنة (٢٧٨هـ) .

(٧) انظر وفيات سنة (٣٢٢هـ) .

ورأى الشبلي رجلاً راكباً ، فقال الناس : هذا مسخرة الأمير . فتقدم الشبلي إليه فقبل فخذه ، فترجل الرجل من دابته وقال : يا سيدي ، لعلك لم تعرفني ! فقال : بلى ، أنت الذي يأكل الدنيا بما يساويها ، وأنت خير ممن يأكل الدنيا بالدين][1] .

ثم صحب الفقراء والمشايخ ، ثم كان بعد ذلك من أئمة القوم .

قال الجُنَيْد : الشِّبْلي تاج هؤلاء .

وقال الخطيب : أخبرنا عليُّ بن محمود الزَّوْزني قال : سمعت عليَّ بن المثنى التَّميمي يقول : دخلت على الشِّبْلي في داره وهو يهيج ويقول :

على بُعْدِكَ لا يَصْبِـ ـرُ مَنْ عادتُهُ القُرْبُ
ولا يقوىٰ على حَجْبِـ ـكَ مَنْ تيَّمَهُ الحُبُّ
فإنْ لم تَرَكَ العينُ فقد يُبْصِرُكَ القَلْبُ

وقد ذكر له أحوال وكرامات ، [فذكر الحافظ ابن عساكر قال : قلت لراهب : لمن احتبست نفسك ؟ قال : للمسيح . فقلت : لِمَ أفردته بالعبادة دون الله ؟ فقال : لأنه مكث أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب . فقلت : عدَّها علي . فمكثت تحت صومعته أربعين يوماً لا آكل ولا أشرب ، فنزل إليَّ فقال : ما دينك ؟ فقلت : محمدي . فأسلم ، فجئت به إلى دمشق ، فجمعوا له مالاً ، وتركته مع الصوفية .

قال : وأُخذنا مرة ، فجعل القطاع يعرضون على أميرهم تلك الأموال ، ويأكلون بما فيها من السكر واللوز وهو لا يأكل ، فقلت : لم لا تأكل مع أصحابك ؟ فقال : إني صائم . فقلت : تقتل الرجال ، وتأخذ الأموال وأنت صائم ! فقال : يا شيخ ، اجعل للصلح موضعاً . فلما كان بعد مدة رأيته متعلقاً بأستار الكعبة ، وهو كالشن[2] البالي من العبادة ، فقلت : أنت ذاك الرجل ؟! فقال : ذاك الصوم هو الذي بلغ بي إلى هنا][3] .

وقد ذكرنا[4] أنه ممن اشتبه عليه أمر الحلاج ، نُسب إليه من الأقوال من غير تأمل لما تحتها ، مما كان الحلاج يحاوله من الإلحاد والاتحاد .

ولما حضرته الوفاة قال لخادمه : قد كان عليَّ دِرْهم من مظلمةٍ ، فتصدقت عن صاحبه بألوف ، ومع هذا ما على قلبي شغل أعظم منه ، ثم أمر بأن يوضئه فوضأه ، وترك تخليل لحيته ، [فرفع

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في (ح) و(ط) ، والمثبت من (ب) و(ظا) .
(٢) الشن : القِرْبة الخَلَق الصغيرة ، جمعها : شنان . القاموس المحيط (شنن) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ح) و(ط) ، والمثبت من (ب) و(ظا) .
(٤) انظر حوادث سنة (٣٠٩هـ) .

يده ـ وكان قد اعتقل لسانه ـ][1] فجعل يخلل لحية نفسه ، ثم مات ، رحمه الله .

وذكره القاضي ابن خلكان في « الوفيات » ، وحكى عنه أنه دخل يوماً على الجنيد ، فوقف بين يديه ، وصفَّق بيديه وأنشد :

عَوَّدوني الوصالَ والوصلُ عَذْبُ ... وَرَموني بالصَّدِّ والصَّدُّ صَعْبُ
زَعَمُوا حينَ أزمعوا أنَّ ذنبي ... فَرْطُ حبِّي لهم وما ذاكَ ذنبُ
لا وحَقّ الخضوعِ عندَ التَّلاقي ... ما جزا منْ يُحِبُّ إلا يُحَبُّ[2]

وذَكَرَ عنه أنه قال : رأيتُ مجنوناً على باب جامع الرّصافة يوم جمعة عُريانَ وهو يقول : أنا مجنون الله أنا مجنون الله ، فقلت : ألا تستتر وتدخل ، فتصلي مع الناس ؟ فأنشأ يقول :

يقولونَ زُرْنا واقْضِ واجِبَ حَقّنا ... وقدْ أسْقَطتْ حالي حُقُوقَهُمُ عنِّي
إذا أبصَرُوا حالي ولم يأنفُوا لها ... ولم يأنفُوا منها أنِفْتُ لهم منِّي[3]

وذكر الخطيب في « تاريخه » عنه أنه أنشد لنفسه :

مَضَتِ الشَّبيبةُ والحبيبةُ فانبرىٰ ... دَمْعانِ في الأجفانِ يَزْدحمانِ
ما أنصفتني الحادثاتُ رَمَيْنني ... بمُوَدَّعينِ وليسَ لي قَلْبانِ[4]

وكانت وفاته رحمه الله ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من هذه السنة ، وله سبع وثمانون سنة ، ودفن في مقبرة الخيزران ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة

في هذه السَّنة استقرَّ أمر الخليفة المطيع لله في دار الخِلافة ، واصطلح معز الدولة بن بُوَيْه وناصر الدولة بن حمدان على ذلك ، ثم حاربَ ناصرُ الدولة تِكِين التُّركي ، فاقتتلا مَرَّاتٍ متعدِّدة ، ثم ظَفِرَ ناصر الدولة بتكين ، فسمله بين يديه ، واستقر أمره بالمَوْصل والجزيرة .

وفيها استحوذ ركن الدولة بن بويه على الرَّي ، وانتزعها من الخُرَاسانية ، فاتسعت مملكة بني بويه

---

(١) ما بين حاصرتين من (ظا) و(ط) .
(٢) انظر وفيات الأعيان (٢/ ٢٧٣) .
(٣) المصدر السالف (٢/ ٢٧٦) وقد ترجم المصنف لهذا المجنون في وفيات سنة (٥٣١هـ) ، وساق له هذين البيتين .
(٤) تاريخ بغداد (٦/ ٣١٥ ـ ٣١٦) .

جداً ، فإنه صار بأيديهم أعمال الرَّي والجبل وأصْبَهان وفارس والأهواز والعراق ، ويُحمل إليهم ضمان المَوْصل وديار مُضَر وربيعة من الجزيرة .

ثم اقتتل جيش مُعزِّ الدولة وجيش أبي القاسم بن البريدي ، فهزم أصحابَ البريدي ، وأسر من أعيانهم جماعةً كثيرة .

وفيها وقع الفداء بين الرُّوم والمسلمين على يد نَصْر الثَّملي أمير الثغور لسيفِ الدولة بن حَمْدان ، فكان عِدَّة الأسارى نحواً من ألفين وخمسمئة مسلم ، ولله الحمد والمنَّة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن حَمُّويه بن الحسين[١] : القاضي الإسْتِرَاباذي .

روى الكثير وحدَّث ، وكان له مجلسٌ للإملاء ، وحكم ببلده مُدَّةً طويلة ، وكان من المتهجدين بالأسحار ، ويُضرب به المثل في مروءته ووجاهته ، وقد مات فجأة على صَدْر جاريته عند إنزاله ، رحمه الله .

عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله[٢] : أبو عبد الله الخُتُّلِي ، سمع ابنَ أبي الدُّنيا وغيره .

وحدث عنه : الدَّارَقُطْني وخَلْقٌ .

وكان ثقة ثَبْتاً حافظاً ، حدَّث من حفظه بخمسين ألف حديث[٣] .

عبد السَّلام بن رَغْبان بن عبد السلام[٤] بن حبيب بن عبد الله بن رَغْبان بن زيد بن تميم ، أبو محمد الكَلْبي ، الملقَّب ديك الجن ، الماجن الشيعي .

ويقال : إنه من موالي بني تميم ، وكانت له أشعار قوية ؛ خمارية وغير خمارية ، وقد استجاد أبو نواسٍ شِعْرَه في الخمارياتِ[٥] .

علي بن عيسى بن داود بن الجَرَّاح[٦] : أبو الحسن ، الوزير للمقتدر والقاهر .

---

(١) المنتظم (٦/ ٣٥٠) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) الإكمال (٣/ ٢٢٠) الأنساب : (٥/ ٤٥) المنتظم (٦/ ٣٥١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٧٠ ـ ٨٧١) طبقات الحفاظ (٣٥٦) .

(٣) انظر تاريخ بغداد (١٠ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩١) .

(٤) الأغاني (١٤ ـ ٥١ ـ ٦٧) وفيات الأعيان (٣/ ١٨٤ ـ ١٨٨) . سير أعلام النبلاء (١١/ ١٦٣ ـ ١٦٤) .

(٥) وهم ابن كثير في إيراد ترجمة ديك الجن في وفيات هذه السنة ، والصواب أنه توفي سنة (٢٣٥هـ) أو سنة (٢٣٦هـ) انظر وفيات الأعيان (٣/ ١٨٥) .

(٦) إعتاب الكتاب (١٨٦ ـ ١٨٩) الفهرست (١٨٦) تحفة الأمراء (٢٨١ ـ ٣٦٤) تاريخ بغداد (١٢/ ١٤ ـ ١٦) تاريخ ابن =

ولد سنة خمسٍ وأربعين ومئتين ، وسمع الكثير ، وعنه : الطَّبراني وغيره ، وكان ثقة ثَبْتاً فاضلاً عفيفاً ، كثير التِّلاوة والصلاة والصيام ، يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم ، وكان أصله من الفُرْس ، وكان من أكابر القائمين على الحلاَّج . وقد روي عنه أنه قال : ملكت سبعمئة ألف دينار أنفقت منها على وجوه الخير ستمئة ألف وثمانين ألفاً .

ولما دخل مكة حين نُفِيَ من بغداد طاف بالبيت وبالصَّفَا والمَرْوة ، وكان حرٌّ شديد ، فجاء المنزل ، فألقى نفسه كالميت وقال : أشتهي على الله شربة ثلج . فقال له بعض أصحابه : إن هذا مما لا يتهيأ هاهنا . فقال : أعرف ، ولكني استروحت إلى المُنى ، فلما كان في أثناء النهار جاءت سحابةٌ فأمطرت ، ثم سقط بَرَدٌ شديد كثير ، فجمع له صاحبه ذاك من البَرَد شيئاً كثيراً ، وخبأه له ، وكان الوزير صائماً ، فلما أمسى جاء المسجد ، فأقبل إليه صاحبه بأنواع من الأشربة كلها بثلج ، فجعل يسقيه مَنْ حوله من الصُّوفية والمجاورين ، ولم يشرب هو شيئاً من ذلك . فلما رجع إلى منزله جئته بشيءٍ من ذلك الشراب كنّا قد خبأناه له ، وأقسمت عليه ليشربَنَّه ، فشربه بعد جهدٍ ، وقال : كنت أشتهي لو كنت تمنيت المغفرة[1] . رحمه الله وغفر له .

ومن شعر الوزير أبي الحسن علي بن عيسى قوله :

فَمَنْ كان عنِّي سائِلاً بشَمَاتةٍ ... لما نَابني أو شَامِتاً غيرَ سائلِ

فقدْ أبْرَزَتْ منِّي الخُطُوبُ ابنَ حُرَّةٍ ... صَبُوراً على أهوال تلكَ الزَّلازِلِ[2]

وقد روى أبو القاسم علي بن المُحَسِّن التَّنوخي[3] عن أبيه عن جماعةٍ أنَّ عطاراً من أهل الكَرْخ كان مشهوراً بالسُّنَّة ، ركبه ستمئة دينار ديناً ، فغلق دكَّانه ، وانكسر عن كسبه ، ولزم منزله ، وأقبل على الدُّعاء والتضرع والصلاة لياليَ كثيرة ، فلما كان في بعض تلك الليالي رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له : اقصد عليَّ بن عيسى الوزير ، فقد أمرته لك بأربعمئة دينار . فلما أصبح الرجل قَصَدَ باب الوزير ، فلم يَعْرِفْه أحدٌ ، فجلس لعل أحداً يستأذن له عليه حتى طال عليه المجلس وهمَّ بالانصراف ، ثم إنه قال لبعض الحَجبة : قل للوزير إني رجلٌ رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام ، وأنا أريد أنْ أَقُصَّه على الوزير . فقال له الحاجب : وأنت الرائي ؟! إن الوزير قد أنفذ في طلبك رُسُلاً متعددة . ثم دخل ، فما كان بأسرع

= عساكر (س) (١٢/ ٢٤٤آ ـ ٢٤٦آ) المنتظم (٦/ ٣٥١ ـ ٣٥٥) معجم الأدباء (١٤/ ٦٨ ـ ٧٣) الكامل لابن الأثير (٨/ ١٧٤ ، ١٨٣ و١٨٥ و٤٠٥ و٤٦٥) وما بعدها ، الفخري (٢٣٦) العبر (٢/ ٢٣٨) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٩٨ ـ ٣٠١) مرآة الجنان (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٦) .

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ١٤ ـ ١٥) .

(٢) انظر معجم الأدباء (١٤/ ٣٠٠) .

(٣) ستردُ ترجمته في وفيات سنة (٤٤٧هـ) من هذا الكتاب .

من أن أدخلني عليه ، فأقبل عليه الوزير يستعلمه عن اسمه وصنعته ومنزله . فذكر ذلك له ، فقال له الوزير : إني رأيت رسولَ الله وهو يأمرني بإعطائك أربعمئة دينار ، فأصبحتُ لا أدري لمن أسأل عنك وقد أرسلت في طلبك إلى الآن عِدَّة من الرُّسُل ، فجزاك الله خيراً في قصدك إياي . ثم أمر بإحضار ألف دينار فقال له : هذه أربعمئة لأمر رسول الله ، وستمئة هِبَةٌ من عندي . فقال الرجل : لا والله لا أزيد على ما أمرني به رسول الله ﷺ ، فإني أرجو الخير والبركة فيه . ثم أخذ منها أربعمئة دينار . فقال الوزير : هذا هو الصدق واليقين . فخرج الرجل ، فعرض على أرباب الديون أموالهم فقالوا : نحن نصبر عليك ثلاث سنين ، وافتح بهذا الذهب دكانك ودُمْ على كسبك . فأبى إلا أن يعطيهم من أموالهم الثلث ، فدفع إليهم مئتي دينار ، وفتح الدكان بالمئتين الأخرى ، فما حال الحول حتى كسب ألف دينار[1] .

ولعلي بن عيسى الوزير أخبار كثيرة صالحة . وكانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة . ويقال : في التي قبلها ، والله أعلم .

محمد بن إسماعيل[2] بن إسحاق بن بحر : أبو عبد الله الفارسي ، الفقيه الشَّافعي .

كان ثقة ثَبتاً فاضلاً ، سمع أبا زُرْعة الدِّمَشْقي وغيره ، وعنه : الدَّارَقُطْني وغيره ، وآخر مَنْ حدث عنه أبو عمر بن مهدي ، وكانت وفاته في شوَّال من هذه السنة .

هارون بن محمد[3] بن هارون بن علي بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد بن جابر بن عامر بن أسيد بن تَيْم بن صُبْح بن ذُهْل بن مالك [بن بكر][4] بن سَعْد بن ضَبَّة أبو جعفر ؛ والد القاضي أبي عبد الله الحسين بن هارون[5] .

كان أسلافه ملوك عُمان في قديم الزمان ، ويزيد بن جابر أدركه الإسلام ، فأسلم وَحَسُنَ إسلامه ، وكان هارون هذا أول من انتقل من أهله من عُمان ، فنزل بغداد[6] وحدَّث بها ، وروى عنه ابنه .

وكان فاضلاً متضلعاً من كل فن ، وكانت داره مجمع العلماء في سائر الفنون ، ونفقاته دارَّة عليهم ، وكان له منزلة عالية ، ومهابة وافرة ببغداد ، وقد أثنى عليه الدَّارَقُطْني ثناء كثيراً ، وقال : كان مبرِّزاً في النَّحْو واللغة والشعر ، ومعاني القرآن ، والكلام .

---

(١) انظر نشوار المحاضرة (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥) والمنتظم (٦/ ٣٥٣ ـ ٣٥٥) .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٥٠) المنتظم (٦/ ٣٥٥) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٢٠) .
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٣) المنتظم (٦/ ٣٥٦) .
(٤) ما بين حاصرتين من المنتظم (٦/ ٣٥٦) وانظر نسبه في تاريخ بغداد (٨/ ١٤٦) .
(٥) كان قد ولي قضاء الكرخ ، ثم أضيف إليه قضاء مدينة المنصور وقضاء الكوفة ، توفي سنة (٣٩٨هـ) ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٩٦ ـ ٩٧) .
(٦) وذلك سنة (٣٠٥هـ) ، انظر تاريخ بغداد (١٤/ ٣٣) .

قال ابن الأثير : وممن توفي فيها :

أبو بكر محمد بن [يحيى بن] بن عبد الله بن العبَّاس بن [محمد بن] صُول الصُّولي : وكان عالماً بفنون الآداب والأخبار(١) .

وإنما ذكره ابنُ الجوزي في التي بعدها كما سيأتي(٢) .

أبو العبَّاس ابن القاص(٣) أحمد بن أبي أحمد الطَّبري : الفقيه الشافعي ، تلميذ ابن سُرَيج ، له « كتاب التَّلْخيص » و « كتاب المِفْتاح » ، وهو مُخْتَصَرٌ(٤) ، شَرَحه أبو عبد الله الخَتَن(٥) ، وأبو علي السِّنْجي(٦) أيضاً .

وكان أبوه يقصُّ على الناس الأخبار والآثار ، وأما هو فتولى قضاء طَرَسُوس ، وكان يعظ الناس أيضاً ، فحصل له خشوع ، فسقط مغشياً عليه ، فمات في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة .

ثم دخلت سنة ستٍّ وثلاثين وثلاثمئة

فيها خرج معز الدولة والمطيع لله من بغداد إلى البَصْرة ، فاستنقذاها من يد أبي القاسم بن البَريدي ، وهرب هو وأكثر أصحابه ، واستولى معز الدولة على البصرة ، وبعث يتهدَّد القرامطة ويتوعدهم بأخذ بلادهم . وزاد في إقطاع الخليفة ضياعاً تعمل في السنة مئتي ألف دينار ، ثم سار معز الدولة لتلقي أخيه عماد الدولة بالأهواز ، فقبَّل الأرض بين يدي أخيه ، وقام ماثلاً أيضاً ، ويأمره بالجلوس فلا يفعل . ثم عاد إلى بغداد ، ورجع الخليفة إليها أيضاً ، وقد تمهدت أمور جيدة .

---

(١) الكامل لابن الأثير (٨/ ٤٦٨) وما بين حاصرتين منه .

(٢) الذي ذكر وفاته في هذه السنة هو طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد (كما في تاريخ الخطيب) ، وترجمه الذهبي في وفيات هذه السنة من تاريخ الإسلام (٧/ ٦٩٧) ، وفي « سير أعلام النبلاء » وغيرهما . أما الذي ذكر وفاته في سنة ست فهو التنوخي والمرزباني (كما في تاريخ الخطيب) وفي تابعهما (بشار) .

(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١) الأنساب (١٠/ ٢٤ ـ ٢٥) وفيات الأعيان (١/ ٦٨ ـ ٦٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) العبر (٢/ ٢٤١) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٢٧) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٥٩ ـ ٦٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٤) طبقات ابن هداية الله (٦٥ ـ ٦٦) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٩) .

(٤) أي « كتاب التلخيص » .

(٥) في النسخ الخطية و(ط) : الحسين ، وهو تحريف ، وأبو عبد الله الختن هو محمد بن الحسن بن إبراهيم ؛ ختن الإمام أبي بكر الإسماعيلي ، والختن في اللغة الصهر ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٣٦ ـ ١٣٨) .

(٦) هو الحسن بن محمد بن شعيب ، ويقال : الحسين بن شعيب ، توفي سنة (٤٣٢هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧) وانظر وفيات الأعيان (١/ ٦٨) .

وفي هذه السنة استحوذ ركن الدولة على بلاد طَبَرِسْتان وجُرْجان ، وانتزعها من يد وَشْمَكير أخي مَرْدَاويج ملك الدَّيْلم ، فذهب وَشْمَكير إلى خُرَاسان يستنجد بصاحبها .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أبو الحسين بن المُنادي[١] أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد : أبو الحسين بن المُنَادي ، سمع جدَّه ، وعباساً الدُّوري ، ومحمد بن إسحاق الصَّاغاني . وكان ثقة أميناً حُجَّة صادقاً ، صنَّف كثيراً وجمع علوماً جمة ، ولم يسمع الناس منها إلا اليسير ؛ وذلك لشراسة أخلاقه . وآخر من روى عنه محمد بن فارس الغُوري[٢] .

ونقل ابنُ الجوزي عن أبي يوسف القَزويني أنه قال : صنَّف أبو الحسين بن المُنَادي في علوم القرآن أربعمئة كتاب ، ونيفاً وأربعين كتاباً ، ولا يوجد في كلامه حشو ، بل هو نقيُّ الكلام ، جمع بين الرِّواية والدِّراية[٣] .

وقال ابن الجَوْزي : ومن وَقَف على مصنَّفاته عَلِم فضيلته واطلاعه ، ووقف على فوائد لا توجد في غير كتبه[٤] .

كانت وفاته في محرَّم هذه السنة عن ثمانين سنة .

الصُّولي[٥] محمد بن يحيى بن عبد الله بن العَبَّاس بن محمد بن صُولٍ : أبو بكر الصُّولي .

كان أحد العلماء بفنون الأدب ، حَسَنَ المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ، ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء .

---

(١) الفهرست (٥٨) تاريخ بغداد (٤/ ٦٩ ـ ٧٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٧٣) طبقات الحنابلة (٢/ ٣ ـ ٦) المنتظم (٦/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦١ ـ ٣٦٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٤٩ ـ ٨٥٠) العبر (٢/ ٢٤٢) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٩٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٢٥) غاية النهاية (١/ ٤٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٥) طبقات الحفاظ (٣٥١ ـ ٣٥٢) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٣) .

(٢) في النسخ الخطية و(ط) : اللغوي ، وهو تحريف ، انظر الأنساب (٩/ ١٩٠) .

(٣) المنتظم (٦/ ٣٥٨) .

(٤) المصدر السالف .

(٥) معجم الشعراء (٤٣١) الفهرست (٢١٥ ـ ٢١٦) تاريخ بغداد (٣/ ٤٢٧ ـ ٤٣٢) الأنساب (٨/ ١١٠ ـ ١١١) نزهة الألباء (١٨٨ ـ ١٩٠) المنتظم (٦/ ٣٥٩ ـ ٣٦١) معجم الأدباء (١٩/ ١٠٩ ـ ١١١) إنباه الرواة (٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٦) وفيات الأعيان (٤/ ٣٥٦ ـ ٣٦١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) العبر (٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) الوافي بالوفيات (٥/ ١٩٠ ـ ١٩٢) مرآة الجنان ، (٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٥) لسان الميزان (٥/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٦) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٢) .

روى عن أبي داودِ السِّجِسْتاني ، والمبرِّد ، وثعلب ، وأبي العَيْناء ، وغيرهم ، وكان واسع الرواية ، جيد الحفظ ، حاذقاً ، بتصنيف الكتب . وله كتب كثيرة هائلة ، ونادمَ جماعةً من الخلفاء ، وحظي عندهم ، وكان جدُّه صُول وأهله ملوكاً بجُرْجان ، ثم كان أولاده من أكابر الكُتَّاب ، وكان الصُولي هذا جَيِّد الاعتقاد حسنَ الطريقة ، وله شِعْرٌ حسن ، وقد روى عنه الدَّارَقُطْني وغيره من الحُفَّاظ .

ومن شعره قولُه :

أَحْبَبْتُ مِنْ أجلِهِ مَنْ كان يشْبِهُهُ ... وكلُّ شيءٍ مِنَ المعشوقِ مَعْشُوقُ

حتَّى حكيتُ بجسمي ما بمُقْلتِهِ ... كأنَّ سُقْمي من عينيهِ مَسْرُوقُ

خرج الصُولي من بغداد إلى البَصْرة لحاجةٍ لحقته ، فمات بها في هذه السنة .

[ابنة أبي الحسن المكي][1] : وفيها كانت وفاة ابنة الشيخ أبي الحسن الزَّاهد المكي .

وكانت من العابدات النَّاسكات المقيمات بمكة ، وإنما كانت تقتات من كَسْب أبيها مما يكتسبه من عمل الخُوص في كلِّ سنة بثلاثين دِرْهماً يرسلها إليها ، فاتفق أن أرسلها مَرَّة مع بعض أصحابه ، فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهماً ـ يريد بذلك بِرَّها وزيادةً في نفقتها ـ فلما اختبرتها قالت : هل وضعت على هذه شيئاً ؟ اصدقني بحقِّ الذي حججت له . فقال : نعم . فقالت : ارجع بها ، فلا حاجة لي فيها ، ولولا أنك قصدتَ الخير لدعوت عليك ، فإنك أجعتني عامي هذا ، ولم يبق لي رِزْقٌ إلا من المزابل إلى قابل . فقلت : ألا تأخذي منها الثلاثين درهماً ؟ فقالت : إنها قد اختلطت بمالك ، ولا أدري ما هو . قال الرجل : فرجعت بها إلى أبيها ، فأبى أن يقبلها وقال : شققت يا هذا علي ، وضيَّقْتَ عليها ، ولكن اذهب ، فتصدَّق بها[2] .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة

فيها ركب معز الدولة من بغداد إلى المَوْصل ، فانهزم منه ناصر الدولة إلى نَصيبين ، فتملَّك معز الدولة بن بُوَيه المَوْصِل في رمضان من هذه السنة ، فعسف أهلها ، وأخذ أموالهم ، وكَثُرَ الدُّعاء عليه . ثم عزم على أخذ البلاد كلِّها من يد ناصر الدولة بن حَمْدان ، فجاءه خبر من أخيه ركن الدولة يستنجده على من قبله من الخراسانية ، فاحتاج إلى مصالحة ناصر الدولة على أن يحمل عما تحت يده من بلاد الجزيرة

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح . وترجمتها في المنتظم (٦/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) .

(٢) إلى هنا تنتهي مقابلتنا على نسخة (ظا) ، وهو ما استطعنا العثور عليه من هذه النسخة .

والشَّام في كل سنة ثمانية آلاف [ألف][١] دِرْهم ، وأن يخطب له ولأخويه عماد الدولة وركن الدولة على منابر بلاده كلها ، ففعل . وعاد معز الدولة إلى بغداد ، وبعث إلى أخيه ركن الدولة بجيشٍ هائل ، وأخذ له عهد الخليفة بولاية خُرَاسان .

وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان ؛ صاحب حلب إلى بلاد الرُّوم ، فلقيه جمع كثيف من الرُّوم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم سيف الدولة ، وأخذت الرُّوم مَرْعش ، وأوقعوا بأهل طَرَسُوس بأساً شديداً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

قال ابن الجوزي : وفي رمضان [من هذه السنة][٢] انتهت زيادة دِجْلة إلى أحد وعشرين ذراعاً وثلث ، فغرقت الضياع والدُّور التي عليها ، وأشرف الجانب الشرقي على الغرق ، وهمَّ الناس بالهرب منه[٣] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن محمد بن حَمْدُويه[٤] : ابن نُعيم بن الحَكم ، أبو محمد البَيِّع ؛ وهو والد الحاكم أبي عبد الله النَّيسابوري[٥] .

أذَّن ثلاثاً وثلاثين سنة ، وغزا اثنتين وعشرين غزوة ، وأنفق على العلماء مئة ألف ، وكان يقوم الليل ، كثيرَ الصَّدقة ، أدرك عبد الله بن أحمد ، ومسلم بن الحَجَّاج ، وروى عن ابن خُزَيْمة وغيره ، وتوفي عن ثلاثٍ وتسعين سنة .

قُدَامة الكاتب المشهور[٦] : هو قدامة بن جعفر بن قدامة ، أبو الفرج الكاتب .

له مصنَّف في « الخَراج وصناعة الكتابة »[٧] ، وبه يقتدي علماء هذا الشأن ، وقد سأل ثعلباً عن أشياء .

محمد بن علي بن عمر[٨] : أبو علي المذكِّر الواعظ بِنَيْسابور .

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في (ح) و(ب) ، والمثبت من الكامل (٨/ ٤٧٧) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) انظر المنتظم (٦/ ٣٦٢) .
(٤) المنتظم (٦/ ٣٦٢) ، وترجمه الذهبي في وفيات سنة تسع وثلاثين من تاريخ الإسلام نقلاً من تاريخ ولده الحاكم (٧/ ٧٢٦) .
(٥) سترد ترجمته في وفيات سنة (٤٠٥هـ) من هذا الكتاب .
(٦) المنتظم (٦/ ٣٦٣) معجم الأدباء (٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٧) .
(٧) وهو من الكتب النفيسة المطبوعة .
(٨) المنتظم (٦/ ٣٦٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٥١ ـ ٦٥٢) لسان الميزان (٥/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) .

كان كثير التدليس عن المشايخ الذين لم يلقهم ، وتوفي في هذه السنة عن مئة وسبع سنين ، سامحه الله .

محمد بن مظفر بن عبيد[١] : أبو النَّجا الفرضي الضرير ، الفقيه المالكي .

له كتاب في الفِقْه على مذهب مالك ، وله مصنَّفاتٌ في الفرائض قليلة النظير ، وكان أديباً فَهِماً فاضلاً حاذقاً ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمئة

في ربيع الأول منها وقعت [فتنة][٢] بين الشِّيعة وأهل السُّنَّة ، ونُهبت الكَرْخ .

وفي جمادى الآخرة تقلَّد القاضي أبو السَّائب عُتْبة بن عبيد الله الهَمَذاني قضاء القضاة .

وفيها خرج رجلٌ يقال له عِمْران بن شاهين كان قد استوجب بعض العقوبات ، فهرب من السُّلْطان إلى ناحية البطائح ، فكان يقتات ما يصيده من السمك والطُّيور ، والتفَّ عليه خَلْقٌ من الصَّيادين وقُطَّاع الطريق ، فقويت شوكته ، واستعمله أبو القاسم بن البَرِيدي على جباية بعض تلك النواحي ، وأرسل إليه معز الدولة بن بويه جيشاً مع وزيره أبي جعفر الصَّيْمري ، فَهَزِمَ الوزيرُ ، لكنه دهمه أمر اشتغل به عنه ، وذلك وفاة :

عماد الدولة بن بُوَيْه[٣] وهو أبو الحسن عليُّ بن بويه أكبر أولاد بويه ، وأول من تملَّك منهم ، وكان عاقلاً حازماً ، جيِّد السيرة ، رئيساً في نفسه . كان أول ظهوره في سنة ثنتين وعشرين وثلاثمئة كما ذكرنا[٤] . فلما كان في هذا العام قويت عليه الأسقام ، وتواترت لديه الآلام ، فأحسَّ من نفسه بالهلاك ، ولم يعادل ما هو فيه من الملك ، وكثرة الأموال والرجال ، من الدَّيالم والأتراك ، ولم يحصلوا له الفكاك . ولم يكن له ولد ذكر[٥] ، فأرسل إلى أخيه ركن الدولة يستدعي إليه ولدَه عَضُدَ الدولة ، ليجعله

---

(١) المنتظم (٦/ ٣٦٣) .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في (ح) ، والمثبت من (ب) .

(٣) المنتظم (٦/ ٣٦٥) الكامل (٨/ ٢٦٤) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٣/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠) العبر (٢/ ٢٤٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) مرآة الجنان (٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) .

(٤) انظر حوادث سنة (٣٢١هـ) .

(٥) في (ط) : ولم يفاده ولا دفع عنه أمر الله ما هو فيه من الأموال والملك وكثرة الرجال والأموال ، ولا رد عنه جيشه من الديالم والأتراك والأعجام ، مع كثرة العَدَد والعُدَد ، بل تخلوا عنه أحوج ما كان إليهم ، فسبحان الله الملك القادر القاهر العلام ، ولم يكن له ولد ذكر . .

وليَّ عهده من بعده ، فلما قَدِم عليه فرح به فرحاً شديداً ، وخرج بنفسه في جميع جيشه لتلقيه ، فلما دخل به دار المملكة ، أجلسه على السَّرير ، وقام بين يديه كأحد الأمراء ، ليرفع من شأنه عند أمرائه ووزرائه وأعوانه . ثم عقد له البيعة على ما يملكه من البُلْدان والأموال ، وتدبير الملك والرجال . وفَهِمَ من بعض رؤوس الأمراء كراهية لذلك ، فشرع في القبض عليهم ، وقَتَلَ من شاء منهم وسجنَ آخرين ، حتى تمهَّدتِ الأمور لعَضُدِ الدولة . ثم كانت وفاة عماد الدولة بشِيراز في هذه السنة عن سبعٍ وخمسين سنة ، وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة ، وكان هو من خيار الملوك في زمانه ، وممن حاز قصب السبق دون أقرانه ، وكان هو في الحقيقة أمير الأمراء ، وبذلك كان يكاتبه الخلفاء ، ولكن أخوه معز الدولة كان ينوب عنه ببغداد والعراق والسَّواد .

ولما مات عماد الدولة اشتغل الوزير أبو جعفر الصَّيْمَري عن محاربة عمران بن شاهين ، وكتب إليه معز الدولة أن يسير إلى شِيراز ويضبط أمورها ، فقوي أمر عمران بعد ضعفه ، وكان من أمره ما سيأتي بيانه في موضعه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو جعفر النحاس النَّحْوي[1] أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس : أبو جعفر المُرَادي المِصْري النَّحْوي ، المعروف بالنَّحَّاس ، اللُّغوي المفسر الأديب ، له مصنَّفات كثيرة في التفسير وغيره .

وقد سمع الحديث ، ولقي أصحاب المبرِّد ، وكانت وفاته في ذي الحجَّة من هذه السنة .

قال ابن خَلِّكان : لخمسٍ خلون منها يوم السبت[2] .

وكان سبب وفاته أنه جلس عند المقياس[3] يقطِّع شيئاً من العَروض ، فظنَّه بعض العامة يَسْحرُ النيل لئلا يوفي ، فرفسه برجله ، فسقط فغرق ، ولم يُدْرَ أين ذهب ، رحمه الله .

وكان قد أخذ النحو عن علي بن سليمان الأخفش ، وأبي بكر [بن] الأنباري ، وأبي إسحاق الزَّجَّاج ، ونِفْطَوَيْه وغيرهم ، وله مصنَّفات كثيرة مفيدة ، منها : تفسير « القرآن » و « النَّاسخ

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (٢٣٩) نزهة الألباء (٢٠١ ـ ٢٠٢) المنتظم (٦/ ٣٦٤) معجم الأدباء (٤/ ٢٢٤ ـ ٢٣٠) إنباه الرواة (١/ ١٠١ ـ ١٠٤) وفيات الأعيان (١/ ٩٩ ـ ١٠٠) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٠١ ـ ٤٠٢) العبر (٢/ ٢٤٦) الوافي بالوفيات (٧/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤) مرآة الجنان (٢/ ٣٢٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٠٠) بغية الوعاة (١٥٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٦) .

(٢) وفيات الأعيان (١/ ١٠٠) .

(٣) المقياس : هو عمود من رخام ، قائم في وسط بركة على شاطىء النيل بمصر ، له طريق إلى النيل ، يدخل الماء إذا زاد عليه ، وفي ذلك العمود خطوط معروفة عندهم ، يعرفون بوصول الماء إليها مقدار زيادته . معجم البلدان (٥/ ١٧٨) .

والمنسوخ » ، و « شرح أبيات سيبويه » ، ولم يُصنَّف مثله ، وشرح المعلقات والدواوين العشرة ، وغير ذلك . وروى الحديث عن أبي عبد الرحمن النَّسائي ، وكان بخيلاً جداً ، وانتفع الناس به ، رحمه الله .

وفيها كانت وفاة الخليفة :

المُسْتكفي بالله(١) عبد الله بن علي المكتفي بالله : وقد ولي الخلافة سنةً وأربعة أشهر ويومين ، ثم خلع وسُمِلَتْ عيناه كما تقدَّم ذكره(٢) . وكانت وفاته في هذه السنة وهو معتقلٌ في داره ، وله من العمر ستٌّ وأربعون سنةً وشهران .

علي بن حَمْشاذ(٣) بن سَخْتويه(٤) بن نَصْر : أبو الحسن المعدَّل .

محدِّث عصره بنيسابور ، رحل إلى البُلْدان ، وسمع الكثير ، وحدَّث ، وصنَّف « مسنداً » في أربعمئة جُزْء ، وله غير ذلك مع شدَّة الإتقان والحفظ ، وكثرة العبادة والصِّيانة والخشية لله عزَّ وجلَّ .

قال بعضهم(٥) : صحبته في السَّفَر والحضر فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة(٦) .

وله تفسير في مئتي جُزْء ونيِّف ، دخل الحمَّام من غير مرض ، فتوفي فيه فجأة ، وذلك يوم الجمعة الرابع عشر من شوَّال من هذه السنة ، رحمه الله .

علي بن محمد بن أحمد(٧) بن الحسن : أبو الحسن ، الواعظ البغدادي .

ثم ارتحل إلى مصر ، فأقام بها حتى عُرِف بالمِصْري ، ثم رجع إلى بغداد وقد سمع الكثير ، وروى عنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان له مجلس وعظ يحضره فيه الرجال والنساء ، وكان يتكلم وهو متبرقع لئلا يرى النِّساء حسنه وجماله ، وقد حضر وعظه أبو بكر النَّقَّاش(٨) مستخفياً ، فلما سمع كلامه قام قائماً وشهَرَ نفسه وقال له : القصص بعدك حرام .

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٥٤٠) تاريخ بغداد (١٠/ ١٠ ـ ١١) المنتظم (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٦٤) الكامل لابن الأثير (٨/ ٤٢٠) وما بعدها ، النبراس (١٢٠ ـ ١٢١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١١١ ـ ١١٣) العبر (٢/ ٢٤٥) نكت الهميان (١٨٢ ـ ١٨٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٢٩٩) تاريخ الخلفاء (٣٩٧ ـ ٣٩٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٥) .

(٢) انظر حوادث سنة (٣٣٤هـ) .

(٣) هكذا ضبط في الأنساب (٤/ ٢٢١) وفي مرآة الجنان لليافعي (٢/ ٢٣٧) بحاء مهملة مكسورة ، وميم مكسورة مشدَّدة .

(٤) المنتظم (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٥٥ ـ ٨٥٦) العبر (٢/ ٢٤٨) مرآة الجنان (٢/ ٢٣٧) طبقات الحفاظ (٣٥٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٨) .

(٥) هو أبو بكر أحمد بن إسحاق ، كما نص عليه الذهبي في تاريخ الإسلام (٧/ ٧٢٠) .

(٦) المنتظم (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) .

(٧) الفهرست (٢٦٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٥ ـ ٧٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) .

(٨) سترد ترجمته في وفيات (٣٥١هـ) .

قال الخطيب : وكان ثِقَةً أميناً عرافاً ، جمع حديث اللَّيث ، وابن لَهيعة ، وله كُتبٌ كثيرة في الزُّهْد[١] .

وكانت وفاته في ذي القَعْدة من هذه السنة ، وله سبع وثمانون سنة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة

في هذه السنة المباركة في ذي القعدة منها رُدَّ الحجر الأسود المكي إلى مكانه ، وكانت القرامطة قد أخذوه في سنة سبع عشرة وثلاثمئة كما ذكرنا[٢] ، وقتلوا من وجدوه من الحجيج ذلك العام حول الكعبة المطهرة ، وكان ملكهم إذ ذاك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن الجنَّابي لعنه الله ، ولما وقع ذلك أعظم المسلمون ذلك جداً ، وقد بذَلَ لهم الأمير بجكم التركي خمسين ألف دينار ليردُّوه إلى موضعه فلم يقبلوا ، وقالوا : نحن أخذناه بأمرٍ ولا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره . فلما كان في هذا العام حملوه إلى الكوفة ، وعلَّقوه على الأسطوانة السابعة من جامعها ليراه النَّاس ، وكتب أخو أبي طاهر كتاباً فيه : إنَّا أخذنا هذا الحجر بأمر ، وقد رددناه بأمر من أمرنا بأخذه ليتمَّ حج الناس ومناسكهم . ثم أرسلوه إلى مكة بغير شيء على قَعُودٍ[٣] ، فوصل في ذي القعدة من هذه السنة ، ولله الحمد والمنَّة ، وكان مُدَّة مقامه عندهم ثنتين وعشرين سنة ، ففَرِحَ المسلمون بذلك فرحاً شديداً . وقد ذكر غير واحد أن القرامطة حين أخذوه وحملوه على عِدَّة جمالٍ فَعَطِبَتْ تحته ، ويعتري أسنمتها العَقْر[٤] ، ولما ردوه حمله قَعُود واحد ولم يصبه بأس ، ولله الحمد والمنَّة .

وفي هذه السنة دخل سيفُ الدولة بن حَمْدان بجيشٍ كثيف نحو من ثلاثين ألفاً إلى بلاد الرُّوم ، فوَغَلَ فيها ، وفتح حصوناً ، وقتل خلقاً وأسر أمماً ، وغَنمَ شيئاً كثيراً ، ثم رجع ، فأخذت الروم عليه الدَّرب الذي يخرج منه ، فقتلوا عامة من معه ، وأسروا بقيتهم ، واستردُّوا ما كان أخذه لهم ، ونجا سيف الدولة في نفرٍ يسير من أصحابه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها مات الوزير أبو جعفر الصَّيْمري ، فاستوزر معز الدولة مكانه أبا محمد الحسن بن محمد المُهَلَّبي[٥] في جمادى الأولى ، فاستفحل أمر عمران بن شاهين أيضاً ، وتفاقم الحال به ، وبعث إليه

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٦) .
(٢) انظر حوادث سنة (٣١٧هـ) .
(٣) القعود من الإبل : هو البكر حين يركب اللسان (قعد) .
(٤) أي أثر الحزِّ من الرحل . اللسان (عقر) ومعجم متن اللغة (٤/ ١٦٠) .
(٥) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٥١هـ) .

معز الدولة جيشاً بعد جيش ، فيهزمهم مرة بعد مرة ، ثم عدل معز الدولة إلى مصالحته واستعماله على بعض تلك النواحي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن داود بن بابشاذ[١] : أبو الحسن[٢] المِصْري .

قدم بغداد ، وكان من أفاضل الناس وعلمائهم بمذهب أبي حنيفة ، مفرط الذكاء قوي الفهم ، كتب الحديث ، وكان ثِقَةً . مات ببغداد في هذه السنة ، ودفن بمقبرة الشُّونيزِيَّة[٣] ولم يبلغ من العمر أربعين سنة .

محمد القاهر بالله أمير المؤمنين[٤] ، بن المعتضد بالله .

ولي الخِلافة سنةً وستةَ أشْهُر وسبعةَ أيام ، وكان بطَّاشاً سريعَ الانتقام ، فخاف منه وزيره أبو علي بن مُقْلة ، فاستتر وشَرَعَ في العمل عليه عند الأتراك ، فخلعوه وسملوه وأودع دارَ الخلافة بُرْهةً من الدَّهر ، ثم أُخرج في سنةِ ثلاثٍ وثلاثين إلى دار ابنِ طاهر ، وقد نالَتْهُ فاقةٌ وحاجةٌ شديدة ، وسألَ في بعض الأيام .

ثم كانت وفاته في هذا العام ، وله ثنتان وخمسون سنة ، ودُفِنَ إلى جانب أبيه المعتضد .

محمد بن عبد الله بن أحمد[٥] : أبو عبد الله الصَّفَّار الأصْبَهاني .

محدِّثُ عَصْرِه بخُرَاسان ، سَمِعَ الكثير ، وحدَّث عن [ابن][٦] أبي الدُّنيا ببعضِ كُتُبه ، وكان مجابَ الدَّعْوة ، ومكَثَ لا يرفعُ رأسَه إلى السَّماء نيفاً وأربعين سنة ، وكان يقول : اسمي محمد بن عبد الله ، واسم أمي آمنة . يفرح بهذه الموافقة في الاسم واسم الأب والأم .

---

(١) المنتظم (٦/ ٣٦٧) الجواهر المضية (١/ ١٩٢) .

(٢) في المنتظم : أبو سعيد .

(٣) مقبرة ببغداد ، بالجانب الغربي منها معجم البلدان (٣/ ٣٧٤) .

(٤) مروج الذهب (٢/ ٥١٣) تاريخ بغداد (١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) المنتظم (٦/ ٢٤١ ، ٣٦٨) الكامل (٨/ ٢٤٤) وما بعدها ، النبراس (١١٣) العبر (٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٨ ـ ١٠٢) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٤ ـ ٣٥) نكت الهميان (٢٣٦ ـ ٢٣٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) تاريخ الخلفاء (٣٨٦ ـ ٣٩٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠) .

(٥) ذكر أخبار أصبهان (٢/ ٢٧١) الأنساب (٨/ ٧٤ ـ ٧٥) المنتظم (٦/ ٣٦٨) العبر (٢/ ٢٥٠) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) الوافي بالوفيات (٣/ ٣١٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٧٨ ـ ١٧٩) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٠٤) شذرات الذهب (٢/ ٣٤٩) .

(٦) ما بين حاصرتين ليس في (ح) ، والمثبت من (ب) .

أبو نَصْر الفارابي[١] محمد بن محمد : أبو نصر الفارابي ، التركي الفيلسوف .

وكان من أعلمِ الناس بالموسيقى ، بحيث كان يتوسل بصناعته إلى النَّاس في الحاضرين من مستمعيه ، إن شاء حَرَّكَ ما يُبكي أو ما يُضْحك أو ما ينوِّم . وكان حاذقاً في الفلسفة ، ومن كتبه تفقه ابنُ سينا فيها ، وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني ، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة ، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ، فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين . وقد كانت وفاته بدمشق فيما قاله ابن الأثير في « كامله »[٢] ، ولم أر الحافظ ابن عساكر ترجمه في « تاريخه » ، فالله أعلم .

ثم دخلت سنة أربعين وثلاثمئة

فيها قَصَدَ صاحب عُمان البصرةَ ليأخذها في مراكب كثيرة ، وجاء لنصره أبو يعقوب الهَجَري ، فمانعه عنها الوزير أبو محمد المُهَلبي فصدَّه عنها ، وأسر جماعةً من أصحابه وسبى كثيراً من مراكبه ، فساقها معه في دِجْلة ، ودخل بها إلى بغداد في أُبَّهة عظيمةٍ ، ولله الحمد .

وفيها رُفع إلى الوزير أبي محمد المُهلَّبي أمر رجلٍ من أتباع أبي جعفر محمد بن علي بن أبي العَزَاقر الذي كان قُتِل على الزندقة كما قتل الحلاج[٣] ، وأن هذا يدَّعي ما كان يدعي ابن أبي العَزَاقر ، وقد اتبعه جماعةٌ من الجهلة من بغداد ، وصدَّقوه في دعواه الربُوبية ، وأن أرواح الأنبياء والصدِّيقين انتقلت إليهم ، وَوُجدَ في منزله كُتُبٌ تدلُّ على ذلك . فلما تحقَّق أنه هالك ادعى أنه شيعي ليحظى عند معز الدولة بن بُوَيه . وقد كان يحبُّ الرَّافضة ، قبَّحه الله . فلما اشتهر [عنه أ[٤] ذلك لم يتمكَّن الوزير منه خوفاً على نفسه [من معز الدولة] وأن تقوم عليه الشِّيعة[٥] ، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ، غير أنه احتاط على شيء من أموالهم ، فكان يسميها أموال الزنادقة .

قال ابن الجوزي . وفي رمضان وقعت فِتْنةٌ عظيمة بسبب المذهب .

---

(١) الفهرست (٣٦٧) طبقات الأمم (٥٣ ـ ٥٤) تاريخ الحكماء (٢٧٧ ـ ٢٨٠) طبقات الأطباء (٦٠٣ ـ ٦٠٩) وفيات الأعيان (٥/ ١٥٣ ـ ١٥٧) العبر (٢/ ٢٥١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤١٦ ـ ٤١٨) الوافي بالوفيات (١/ ١٠٦ ـ ١١٣) مرآة الجنان (٢/ ٣٢٨ ـ ٣٣١) شذرات الذهب (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥٤) .

(٢) الكامل (٨/ ٤٩١) .

(٣) انظر أحداث سنة (٣٢٢هـ)

(٤) ما بين حاصرتين ليس في (ح) ، والمثبت من (ب) .

(٥) في (ح) : خوفاً على نفسه أن يقوم على الشيعة ، والمثبت من (ط) . وما بين حاصرتين منها .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أشهب بن عبد العزيز[١] بن داود بن إبراهيم : أبو عمرو العامري ؛ نسبةً إلى عامر بن لؤي[٢] .

وكان أحد الفقهاء المشهورين من المالكية ، وكانت وفاته في شعبان منها .

أبو الحسن الكَرْخي[٣] عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دَلهم : أبو الحسن الكرخي .

أحد أئمة الحنفية المشهورين ، ولد سنة ستين ومئتين ، وسكن بغداد ، ودَرَسَ بها فِقْه أبي حنيفة ، وانتهت إليه رياسة أصحابه ، وانتشر أصحابه في البلاد[٤] ، وكان متعبِّداً ، كثيرَ الصَّوم والصَّلاة ، صبوراً على الفقر ، عَزُوفاً عمَّا في أيدي النَّاس ، وكان مع ذلك رأساً في الاعتزال .

وقد سَمِعَ الحديثَ من إسماعيل بن إسحاق القاضي ، وروى عنه ابن حَيُّويه ، وابن شاهين .

وأصابه الفالج في آخر عمره ، فاجتمعَ عنده بعضُ أصحابه ، واشتوروا فيما بينهم أن يكتبوا إلى سيف الدولة بن حَمْدان ليساعِده بشيء يستعين به في مرضه ، فلما عَلِمَ بذلك رَفَعَ رأسه إلى السَّماء وقال : اللهم لا تجعلْ رِزْقي إلا من حيثُ عَوَّدتني . فمات عقب ذلك قبل أن يصلَ إليه ما أرسلَ به سيفُ الدولة ، وهو عشرة آلاف دِرْهم . فتُصِدِّق بها بعد وفاته .

وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة عن ثمانين سنة ، وصلَّى عليه أبو تمام الحسن بن محمد الزَّينبي ؛ وكان صاحبه ، ودُفِنَ في دَرْب أبي زيد على نهر الواسطيين .

محمد بن صالح بن زيد[٥] : أبو جعفر الوَرَّاق .

سَمِعَ الكثيرَ ، وكان يَفْهمُ ويحفظ ، وكان ثِقَةً زاهداً لا يأكل إلا من كَسْب يده ، ولا يقطع صلاةَ الليل .

قال بعضُهم : صحبته سنين كثيرة ، فما رأيته فعل ما لا يرضي الله عزَّ وجلَّ ، ولا قال ما يسأل عنه ، وكان يقوم أكثر الليل[٦] .

---

(١) كذا ذكر في المنتظم (٦/ ٣٦٩) وفي الأنساب (٨/ ٣١٩) في وفيات هذه السنة ، وهو خطأ ، والصواب أنه توفي سنة (٢٠٤هـ) كما سلف في وفياتها من هذا الكتاب .

(٢) في الأنساب : منسوب إلى عامر بن صعصعة ؛ وهو الصواب .

(٣) الفهرست (٢٩٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٥٣ ـ ٣٥٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٤٢) الأنساب (٥/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) المنتظم (٦/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) العبر (٢/ ٢٥٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) الجواهر المضية (١/ ٣٣٧) طبقات المعتزلة (١٣٠) لسان الميزان (٤/ ٩٨ ـ ٩٩) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٠٦) شذرات الذهب (٢/ ٢٥٨) .

(٤) في (ح) : واشتهر أصحابه ببغداد ، والمثبت من (ب) .

(٥) المنتظم (٦/ ٣٧٠) .

(٦) المنتظم (٦/ ٣٧٠) .

وفيها كانت وفاة منصور بن قراتِكِين صاحب الجيوش الخُرَاسانية من جهة الأمير نوح السَّاماني ولمرضٍ حصل له ، وقيل : لأنه أدمن شرب الخمر أياماً متتابعة ، فهلك بسبب ذلك ، فأقيم بعده في الجيوش أبو علي بن المحتاج .

الزجَّاجي مصنِّف « الجُمَل »[١] : هو أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسحاق ، النَّحْوي ، البغدادي الأصل ، ثم الدِّمَشْقي ، مصنِّف « الجُمَل »[٢] في النحو ، وهو كتابٌ نافع ، كثير الفائدة ، صنَّفه بمكة ، وكان يطوف بعد كل بابٍ منه ، ويدعو الله أن ينفع به .

وأخذ النحو أولاً عن محمد بن العَبَّاس اليزيدي ، وأبي بكر بن دُرَيد ، وابن الأنباري .

وكانت وفاته في رجب سنةَ سبعٍ ، وقيل : تسع وثلاثين ، وقيل سنة أربعين وثلاثمئة هذه بدمشق ، وقيل : بطبرية[٣] . وقد شُرحت « الجمل » بشروح كثيرةٍ من أحسنها وأجمعها ما وضعه ابنُ عصفور .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وثلاثمئة

فيها ملكت الرُّوم سَرُوج[٤] ، وقتلوا أهلها ، وخرَّبوا مساجدها .

قال ابن الأثير : فيها قصد يوسف بن وجيه صاحب عُمان البصرة ، فمنعه منها المُهَلَّبي كما تقدَّم[٥] .

قال : وفيها نقم معز الدولة على وزيره ، فضربه مئةً وخمسين مقرعة ، ولم يعزله بل رسم عليه[٦] .

وفيها اختصم المصريون والعراقيون بمكة فَخُطبَ لصاحب مِصْر ، ثم غلبهم العراقيون فخطبوا لركن الدولة بن بُوَيه[٧] .

وفيها كانت وفاة :

المنصور الفاطمي[٨] : وهو أبو طاهر ، إسماعيل بن القائم بأمر الله [أبي] القاسم [محمد] بن

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (١٢٩) نزهة الألباء (٢١١) الأنساب (٦/ ٢٥٦) تاريخ ابن عساكر (خ)٩/ ٤٣٢آ ـ ٤٣٢ب) إنباه الرواة (٢/ ١٦٠ ـ ١٦١) وفيات الأعيان (٣/ ١٣٦) العبر (٢/ ٢٥٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦) .

(٢) كتاب مطبوع مشهور ، متداول .

(٣) انظر وفيات الأعيان (٣/ ١٣٦) وفيه أن الأصح في وفاته سنة (٣٣٧هـ) .

(٤) بلدة قريبة من حران . معجم البلدان (٣/ ٢١٦) .

(٥) انظر حوادث سنة (٣٤٠هـ) .

(٦) الكامل (٨/ ٤٩٩) .

(٧) انظر المنتظم (٦/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) .

(٨) الكامل (٨/ ٤٥٥) وما بعدها ، البيان المغرب (١/ ٢١٨) وما بعدها ، وفيات الأعيان (١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦) العبر =

المهدي عبيد الله[١] ؛ صاحب المغرب ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وكانت خلافته سبعَ سنينٍ وستةَ عَشَرَ يوماً .

وكان عاقلاً شجاعاً فاتكاً ، قهر أبا يزيد الخارجي الذي كان لا يطاق شجاعةً وإقداماً وصبراً ، وكان فصيحاً بليغاً ، يرتجل الخطبة على البديهة في السَّاعة الراهنة . وكان سبب موته ضعف الحرارة الغريزية بسببٍ أوْرَده ابنُ الأثير في « كامله »[٢] ، فاختلف عليه الأطباء .

وقد عَهِدَ بالأمر من بعده لولده المعز الفاطمي ؛ وهو باني القاهرة المُعِزِّية كما سيأتي بيان ذلك[٣] واسمه مَعَدّ ، وعمره إذ ذاك أربعٌ وعشرون سنة[٤] ، وكان شُجَاعاً ، عاقلاً أيضاً ، حازم الرأي ، أطاعه من البَرْبَر وأهل تلك الناحية خَلْقٌ كثير ، وبَعَثَ مولاه جَوْهر القائد ، فبنى له القاهرة المتاخمة لِمِصْر ، واتخذ له فيها دار الملك ، وهما القَصْران اللذان هناك[٥] ، وذلك في سنة أربع وستين وثلاثمئة[٦] .

قال أبو جعفر المَرْوزُذي : خرجت معه[٧] لما كَسَرَ أبا يزيد الخارجي ، فبينما أنا وهو نسير إذ سقط رمحه ، فنزلت ، فأخذته ، وناولته إياه وذهبتُ أفاكهه[٨] بقول الشاعر :

فألْقَتْ عصاها واستقرَّ بها النَّوى ... كما قَرَّ عيناً بالإياب المسافِرُ

فقال : هلا قلت كما قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا

= (٢/ ٢٥٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٥٦ ـ ١٥٩) مرآة الجنان (٤/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) تاريخ ابن خلدون (٤/ ٤٣ ـ ٤٥) ايقاظ الحنفا : (١٢٩ ـ ١٣٣) خطط المقريزي (١/ ٣٥١) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٠٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) .

(١) في (ح) و(ب) : هو أبو طاهر ، إسماعيل بن القائم بأمر الله القاسم بن المهدي محمد بن عبيد الله ، وهو وهم ، والمثبت من (ط) .

(٢) انظر الكامل (٨/ ٤٩٨) .

(٣) انظر حوادث سنة (٣٥٨هـ) .

(٤) أي حين ولايته الخلافة ، والأصح أن عمره إذ ذاك ثنتان وعشرون سنة ، وذلك لأن ولادته سنة (٣١٩هـ) ، كما سيرد في ترجمته في وفيات سنة (٣٦٦هـ) .

(٥) في (ط) زيادة : اللذان يقال لهما بين القصرين اليوم .

(٦) كان بعث جوهر إلى مصر سنة (٣٥٨هـ) ، ودخول المعز إليها سنة (٣٦٢هـ) ، كما سيرد في حوادث سنة (٣٥٨هـ) و(٣٦٢هـ) .
في (ح) يأتي عقب هذا ترجمة ابن الأعرابي والصفار ، وفي (ط) ترجمة الصفار ثم ابن الأعرابي ، ثم تعودان إلى تكملة ترجمة المنصور ، وفي (ب) ترد الترجمة كاملة دون هذا الانقطاع ، وهو ما أثبتناه .

(٧) أي مع المنصور .

(٨) في (ح) و(ب) : أذهبت بفأله بقول الشاعر ، والمثبت من (ط) .

يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١١٧ ـ ١١٩] قال : فقلت له : أنت ابن رسول الله ﷺ ، قلت كما علمت ، وأنا قلت بما بلغ إليه علمي .

قال ابن خلِّكان : وهذه كما جرى لعبد الملك بن مروان حين أمر الحجَّاج أن يبنيَ باباً ببيت المقدس ، ويكتب عليه اسمه ، فبنى له باباً آخر ، فوقعت صاعقة على باب عبد الملك ، فأحرقته ، فكتب إليه الحجَّاجُ من العراق يسليه عما أهمَّه من ذلك يقول : يا أمير المؤمنين ، أنا وأنت كما قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ ﴾ [المائدة : ٢٧] الآية .

وكانت وفاة المنصور هذا في هذه السنة ، أصابه بَرْدٌ شديد ، فمات به .

وممن توفي فيها أيضاً من الأعيان :

أحمد بن محمد بن زياد(١) بن بِشْر بن دِرْهم : أبو سعيد [بن](٢) الأعرابي ، البصري .

سكن مكة ، وصار شيخ الحرم ، وصحب الجُنَيد بن محمد ، والنُّوري وغيرهما ، وأسند الحديث ، وصنف كتباً للصُّوفية .

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل(٣) بن صالح : أبو علي ، الصَّفَّار ، النَّحْوي .

لقي المبرِّد ، واشتهر بصحبته ، وكان مولده في سنة سبع وأربعين ومئتين .

سمع الحسن بن عَرَفَة ، وعباساً الدُّوري ، وغيرهما . وروى عنه جماعة منهم الدَّارَقُطْني ، وقال : صام أربعة وثمانين رمضاناً(٤) .

وقد كانت وفاته في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، رحمه الله .

---

(١) طبقات الصوفية (٤٢٧ ـ ٤٣٠) حلية الأولياء (١٠/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) الرسالة القشيرية (٢٨) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٨٦آ ـ ٨٦ب) المنتظم (٦/ ٣٧١) ، تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٥٢ ـ ٨٥٣) العبر (٢/ ٢٥٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٠٧ ـ ٤١١) طبقات الأولياء (٧٧ ـ ٧٨) لسان الميزان (١/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤) نزهة الألباء (١٩٥ ـ ١٩٦) المنتظم (٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) معجم الأدباء (٧/ ٣٣ ـ ٣٦) إنباه الرواة (١/ ٢١١ ـ ٢١٣) العبر (٢/ ٢٥٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) لسان الميزان (١/ ٤٣٢) بغية الوعاة (١٨٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٥٨) .

(٤) المنتظم (٦/ ٣٧١) .

ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وثلاثمئة

فيها دخل سيف الدولة بن حَمْدان ؛ صاحبُ حلب إلى بلادِ الرُّوم ، فقتل منهم خَلْقاً ، وأسر آخرين ، وغَنِمَ أموالاً جزيلة ، ورجع سالماً غانماً .

وفيها اختلف الحجيج بمكة ، ووقعت حَرْبٌ بين أصحاب ابن طُغْج وأصحاب معز الدولة ، فغلبهم العراقيون ، ثم بعد انقضاء الحج اختلفوا[١] ، فغلبهم العراقيون أيضاً .

وجرت حروبٌ كثيرة وخطوبٌ كبيرة بين ركن الدولة والخراسانية والسَّامانية ، تقصَّى ذكرها ابنُ الأثير في « كامله »[٢] .

ومن توفي فيها من الأعيان :

علي بن محمد بن أبي الفَهْم[٣] : أبو القاسم ، التَّنُوخي ، جدُّ القاضي أبي القاسم التَّنُوخي ، شيخِ الخطيب .

ولد بأنطاكية ، وقَدِمَ بغداد ، فتفقَّه بها على مذهب أبي حنيفة ، وكان يعرف[٤] الكلام على طريقة المعتزلة ، ويعرف النجوم ، ويقول الشِّعْر ، وولي القضاء بالأهوازِ وغيرها ، وقد سَمِعَ الحديثَ من البَغَوي وغيره .

وكان فَهِماً ذكياً ، حفظ وهو ابن خمس عشرة سنة قصيدةً لِدِعْبلِ الشَّاعر في ليلة واحدة ؛ وهي ستمئة بيت ، وعَرَضَها على أبيه صبيحتها ، فقام إليه وضمَّه ، وقبَّل بين عينيه وقال : يا بني لا تخبر بهذا أحداً لئلا تصيبك العين[٥] .

---

(١) في (ح) : اتفقوا ، وهو وهم ، والعبارة ساقطة من (ب) ، والمثبت من (ط) .

(٢) انظر الكامل (٨/ ٥٠٠ ـ ٥٠٥) .

(٣) يتيمة الدهر (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٨) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٧ ـ ٧٩) الأنساب (٣/ ٩٣) المنتظم (٦/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣) معجم الأدباء (١٤/ ١٦٢ ـ ١٩١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٦٦ ـ ٣٦٩) العبر (٢/ ٢٦٠) ميزان الاعتدال (٣/ ١٥٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) الجواهر المضية (١/ ٣٧٨) لسان الميزان (٤/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٣١٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤) .

(٤) في (ح) : لا يعرف ، وهو خطأ ، والمثبت من (ب) .

(٥) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٨ ـ ٧٩) وقصيدة دعبل التي حفظها مطلعها :

أفيقي من ملامك يا ظعينا ... كفاكِ اللَّوْمَ مَرُّ الأربعينا

ولم يصلنا منها سوى خمسة وعشرين بيتاً ، انظر « شعر دعبل » (١٩٣ ـ ١٩٧) .

وذكر ابنُ خَلِّكان أنه كان نديماً للوزير المُهلَّبي ، ووفدَ على سيف الدولة بن حَمْدان ، فأكرمه وأحسن إليه . وأورد له من شِعْره أشياءَ حسنةً ، فمن ذلك قوله في الخمر :

وراحٍ مـن الشَّمْـسِ مخلـوقـةٌ ... بَدَتْ لك في قَدَحٍ منْ نهارِ
هـــواءٌ ولكنَّـــهُ جـامِـــدٌ ... ومـــاءٌ ولكنَّـــهُ غيــرُ جـــارِ
كـأنَّ المُـدِيْـرَ لهـا بـاليميـن ... إذا مـالَ للسَّقْـي أو بـاليسـار
تـدرَّعَ ثـوبـاً مـنَ اليـاسميـنِ ... لـهُ فـردُ كُـمٍّ مـنَ الجُلَّنـارِ[١]

محمد بن إبراهيم[٢] بن الحسين بن الحسن بن عبد الخلاق : أبو الفَرَج ، البغدادي ، الفقيه الشَّافعي يعرف بابن سُكَّرة .

سكن مِصْر ، وحدَّث بها ، وسَمِعَ منه أبو الفتح بن مسرور[٣] ، وذكر أن فيه لِيناً[٤] .

محمد بن موسى بن يعقوب[٥] بن المأمون بن الرَّشيد هارون : أبو بكر ، ولي إمرة مكة في سنة ثمانٍ وستين ومئتين ، وقَدِمَ مصر ، فحدَّث بها عن علي بن عبد العزيز البَغَوي بموطأ مالك ، وكان ثقة مأموناً ، توفي بمصر في ذي الحجة من هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمئة

فيها كانت وقعة بين سيف الدولة بن حمدان وبين الدُّمَسْتَق[٦] ، فَقُتل خَلْقٌ من أصحاب الدُّمَسْتق وأُسر جماعةٌ من رؤساء بطارقته ولله الحمد ، وكان في جملة من قتل قسطنطين بن الدُّمَسْتق ، وسبى خلقاً وأسر آخرين ، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة ، ثم جمع الدُّمَسْتَق خلقاً كثيراً ، فالتقوا مع سيف الدولة في شعبان ، فَجَرَتْ بينهم حروب عظيمة وقتال شديد ، فكانت الدائرة للمسلمين ، وخذل الله

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٣٧) .
(٢) تاريخ بغداد (١/ ٤١٢) المنتظم (٦/ ٣٧٤) حسن المحاضرة (١/ ١٨٧) .
(٣) في (ح) و (ب) : سرور ، والمثبت من (ط) وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ، ٥١٦ ـ ٥١٧) .
(٤) في تاريخ بغداد (١/ ٤١٢) : أن أبا الفتح سمع منه سنة (٣٥٥هـ) ، فإذا صحَّ تاريخ هذا السماع تكون وفاة محمد بن ابراهيم بعد هذه السنة أو فيها ، والله أعلم .
قال بشار : ذِكْره في وفيات هذه السنة متابعة منه لابن الجوزي في المنتظم ؛ وابن الجوزي نقل الترجمة من الخطيب ، فلا أدري من أين جاء بهذا التاريخ ، وننظر بلابد تعليقي على تاريخ الخطيب (٢/ ٣١٠ بتحقيقي) .
(٥) المنتظم (٦/ ٣٧٥) .
(٦) الضبط من صبح الأعشى (٥/ ٣٥٨) .

الكافرين ، فقُتِلَ منهم خَلْقٌ كثير ، وأُسر جماعة من الرُّوس ، فكان منهم صهر الدُّمُسْتق وابن ابنته أيضاً .

وفيها حصل للنَّاس أمراض كثيرة وحميات وأوجاع في الحلق .

وفيها ماتَ الأمير الحميد نوح بن نَصْر السَّاماني ؛ صاحب خراسان وما وراء النهر ، وقام بالأمر من بعده ولده عبد الملك .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن أحمد[١] : أبو علي ، الكاتب ، المِصْري .

صَحِبَ أبا علي الرُّوذباري وغيره ، وكان أبو عثمان المَغْربي يعظِّم أمره ويقول : أبو علي الكاتب من السَّالكين .

ومن كلامه الذي حكاه عنه أبو عبد الرحمن السُّلَمي قوله : روائح نسيم المحبة تفوحُ من المُحبِّين وإن كتموها ، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها ، وتبدو عليهم وإن ستروها . وأنشد :

إذا ما استسرَّتْ أنفسُ النَّاسِ ذِكْرَهُ تَبَيَّنْتُــهُ فيهــمْ ولــم يتكلَّمُــوا
تُطَيِّبُهُـمْ أنفـاسُهُـمْ فتـذيعهـا وهل سِرُّ مسكٍ أُودعَ الرِّيحَ يُكْتَمُ[٢]

علي بن محمد [بن محمد][٣] بن عُقْبة بن هَمَّام[٤] : أبو الحسن ، الشَّيْباني الكُوفي .

قدم بغداد ، فحدَّث بها عن جماعة ، وروى عنه الدَّارَقُطْني . وكان ثِقَةً عَدْلاً ، كثيرَ التِّلاوة ، فقيهاً ، مكَثَ يشهد على الحُكَّام ثلاثاً وسبعين سنة ، [مقبولاً عندهم ، وأذَّن في مسجد حمزة الزَّيَّات نيفاً وسبعين سنة][٥] ، وكذلك أبوه من قبله .

محمد بن علي بن أحمد بن العباس[٦] : الكَرْخي ، الأديب .

كان عالماً زاهداً ورعاً ، يختمُ القرآن كل يوم ، ويديم الصَّوم ، وسمع الحديث من عَبْدان وأقرانِهِ .

---

(١) ترجمته في طبقات الصوفية (٣٨٦ ـ ٣٨٨) المنتظم (٦/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) طبقات الأولياء (٥٧ ـ ٥٨) .
(٢) انظر طبقات الصوفية (٣٨٧ ـ ٣٨٨) والبيتان فيه مع اختلاف في اللفظ .
(٣) ما بين حاصرتين من سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٣) .
(٤) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٩ ـ ٨١) المنتظم (٦/ ٣٧٦) العبر (٢/ ٢٦٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤) مرآة الجنان (٢/ ٣٣٥) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) .
(٥) ما بين حاصرتين ساقط من (ح) ، والمثبت من (ب) .
(٦) المنتظم (٦/ ٣٧٦) وفيه : محمد بن علي بن حماد ، أبو العباس الكرخي .

أبو الخير التِّيْنَاتي[١] : العابد الزَّاهد[٢] .

أصله من المَغْرب ، وكان مقيماً بقرية يقال لها تِينات من عمل أنطاكية ، ويعرف بالأقْطع ؛ لأنَّه كان مقطوعَ اليد ، كان قد عاهد الله عهداً ثم نكثه ، فاتفق أن مُسِك في جماعةٍ من اللصوص من الصَّحراء وهو هناك [سائح يتعبد][٣] ، فأُخذ معهم ، فقطعت يده معهم ، وكانت له أحوال وكرامات ، وكان يَنْسُجُ الخُوصَ بيده الواحدة . ودخل عليه بعضهم فشاهد منه ذلك ، فأخذ عليه العهد أن لا يخبر به أحداً ما دام حيّاً ، فوفىٰ له بذلك[٤] .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمئة

قال ابن الجَوْزي : فيها شَمِلَ الناسَ ببغداد وواسط وأصْبَهان والأهواز داءٌ مركَّب من دمٍ وصفراء ووباء ، مات بذلك خَلْقٌ كثير ، بحيث كان يموت في كلِّ يوم قريبٌ من ألف نفس[٥] .

وجاء فيها جَرَادٌ عظيم أكل الخضروات والأشجار والثمار[٦] .

وفي المُحرَّم عقد مُعزُّ الدولة لابنه أبي منصور بختيار الأمر من بعده بأمرة الأمراء[٧] .

وفيها خرج رجل بأذْرَبيجان ادَّعى أنه يعلم الغيب ، وكان يحرِّم اللحم وما يخرج من الحيوانات ، فأضافَه مرَّةً رجلٌ ، فجاءه بطعام كشكية بشحم فأكله ، فقال له الرجل بحضرة منْ معه : إنك تدَّعي أنك تعلم الغيب ، وهذا الطعام فيه شَحْمٌ وأنت تحرِّمُه ، فلم لا علمته ؟ قال : فتفرَّق النَّاس عنه[٨] .

وفيها جَرَتْ حروب كثيرة بين المُعِزِّ الفاطمي وبين صاحب الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموي ، استقصاها ابنُ الأثير[٩] .

---

(١) طبقات الصوفية (٣٧٠ ـ ٣٧٢) حلية الأولياء (١٠/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨) الرسالة القشيرية (٢٦) الأنساب (٣/ ١٢١) المنتظم (٦/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧) صفة الصفوة (٤/ ٢٠٦) معجم البلدان (٢/ ٦٨) اللباب (١/ ٢٣٤) سير اعلام النبلاء (١٦/ ٢٢ ـ ٢٣) طبقات الأولياء (١٩٠ ـ ١٩٥) طبقات الشعراني (١/ ١٢٨) نتائج الأفكار القدسية (١/ ١٩٣) .

(٢) في معجم البلدان (٢/ ٦٨) واسمه عباد بن عبد الله ، وفي السير (١٦/ ٢٢) ويقال اسمه حماد .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) في السير (١٦/ ٢٣) : توفي سنة سبع وأربعين وثلاثمئة ، وقيل : سنة تسع وأربعين .

(٥) المنتظم (٦/ ٣٧٧) .

(٦) المصدر السالف .

(٧) المصدر السالف .

(٨) انظر الكامل (٨/ ٥١٢) .

(٩) الكامل (٨/ ٥١٢ ـ ٥١٣) .

 وممن توفي فيها من الأعيان :

عثمان بن أحمد[١] بن عبد الله بن يزيد : أبو عمرو الدَّقَّاق ، ويُعرف بابن السَّمَّاك .

روى عن حنبل بن إسحاق وغيره ، وعنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان ثِقَةً ثَبْتاً ، كَتَبَ المصنَّفات الكثيرة بخطِّه . توفي في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بمقبرة باب التِّبْن ، وحَضَرَ جنازَتَه خمسون ألفاً .

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد[٢] : أبو جعفر القاضي ، السِّمْناني .

ولد سنة إحدى وستين ومئتين[٣] ، وسكن بغداد ، وحدث بها ، وكان ثِقَةً عالماً سخياً ، حسن الكلام ، عراقي المذهب ، وكانت داره مجمعاً للعلماء ، ثم ولي قضاء المَوْصل ، وكانت وفاته بها في هذه السنة في ربيع الأول منها .

محمد بن أحمد بن بُطَّة بن إسحاق الأصْفهاني[٤] : أبو عبد الله .

سكن نَيسابور ، ثم عاد إلى أصبهان .

وليس هذا بأبي عبد الله بن بَطَّة العُكْبَري[٥] ، هذا متقدِّمٌ على الآخر ، هذا شيخ الطَّبراني ، وابن بَطَّة يروي عن الطَّبراني ، وهذا بضم الباء من بُطَّة ، والفقيه الحَنْبلي بفتحها .

وقد كان جدُّ هذا ، وهو بُطَّة بن إسحاق ، أبو سعيد من المحدِّثين أيضاً . ذكره ابنُ الجَوْزي في « منتظمه »[٦] .

محمد بن محمد بن يوسف بن الحَجَّاج[٧] : أبو النَّضْر ، الفقيه ، الطُّوسي .

كان فقيهاً عالماً ثِقَةً عابداً ، يصومُ النَّهار ويقوم الليل ، ويتصدَّق بالفاضل من قوته ، ويأمر بالمعروف

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) الأنساب (٧/ ١٢٧) المنتظم (٦/ ٣٨٧) العبر (٢/ ٢٦٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٣١) غاية النهاية (١/ ٥٠١) لسان الميزان (٤/ ١٣١ ـ ١٣٢) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) .

(٢) تابع ابنُ كثير ابنَ الجوزي في المنتظم (٦/ ٣٧٨) إذ ذكره في وفيات هذه السنة ، والصواب أن وفاته سنة (٤٤٤هـ) ، وسيترجم له ابن كثير في وفياته متابعاً كذلك ابن الجوزي .

(٣) الصحيح أنه ولد سنة إحدى وستين وثلاثمئة ، انظر تاريخ بغداد (١/ ٣٥٥) .

(٤) المنتظم (٦/ ٣٨٧ ـ ٣٧٩) .

(٥) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٨٧هـ) .

(٦) انظر المنتظم (٦/ ٣٧٩) .

(٧) الأنساب (٨/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) المنتظم (٦/ ٣٧٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٩٣ ـ ٨٩٤) العبر (٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٩٠ ـ ٤٩٢) الوافي بالوفيات (١/ ٢١٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٣٦) النجوم الزاهرة (٣/ ٣١٣ ـ ٣١٤) طبقات الحفاظ (٣٦٥) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٨) .

وينهى عن المنكر ، وقد رحل في طلب الحديث إلى الأقاليم النائية والبلدان المتباينة ، وكان قد جَزَّأ الليل ثلاثة أجزاء : فثلث للنَّوْم ، وثلث للتَّصْنيف ، وثلث للقراءة .

وقد رآه بعضُهم [في النوم][1] بعد وفاته فقال له : وصلت إلى ما طلبتَ ؟ فقال : إي والله ، نحن عند رسول الله ﷺ ، وقد عَرضْتُ مصنَّفاتي في الحديث عليه ، فقبلها .

أبو بكر بن الحدَّاد[2] : الفقيه الشَّافعي ، هو محمد بن أحمد بن محمد ، أبو بكر بن الحدَّاد ، أحد أئمة الشَّافعية .

روى عنه النَّسائي ، وقال : رضيتُ به حُجَّة بيني وبين الله عزَّ وجلَّ .

وقد كان ابنُ الحدَّاد فقيهاً فروعياً ، ومحدِّثاً ونحوياً وفصيحاً في العبارة ، دقيقَ النظر في الفروع ، له كتاب في ذلك غريب الشكل ، وقد ولي القضاء بمصر نيابةً عن أبي عبيد بن حَرْبَويه[3] ، وذكرناه في « طبقات الشَّافعية » .

أبو يعقوب الأذْرَعي[4] إسحاق بن إبراهيم بن هاشم بن يعقوب بن إبراهيم النَّهْدي .

قال ابنُ عساكر : من أهل أذْرِعات ؛ مدينة بالبلقاء ، أحد الثقات من عُبَّاد الله الصالحين ، رحل وحدَّث عن جماعةٍ ، وعنه آخرون . وقال غيره : كان من أجلَّة أهل دمشق وعُبَّادها وعلمائها[5] .

وقد روى عنه ابن عساكر أشياء تدل على صلاحه وخرق العادة له ، فمن ذلك أنه قال : سألتُ الله أن يقبض بصري فعميت ، فلما استضررت بالطهارة سألت الله عوده فردَّه علي[6] . توفي بدمشق في هذه السنة ؛ سنة أربع وأربعين وثلاثمئة ، وصحَّحهُ ابنُ عساكر ، وقد نَيَّفَ على التسعين .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٤) الأنساب (٤/ ٧١ ـ ٧٢) المنتظم (٦/ ٣٧٩) وفيات الأعيان (٤/ ١٩٧ ـ ١٩٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٩٩ ـ ٩٠٠) العبر (٢/ ٢٦٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٤٦ ـ ٤٥١) الوافي بالوفيات (٢/ ٦٩) مرآة الجنان (٢/ ٣٣٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٧٩ ـ ٩٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٣١٣) طبقات الحفاظ (٣٦٧) طبقات ابن هداية الله (٧٠ ـ ٧٢) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) .

(٣) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣١٩هـ) من هذا الجزء .

(٤) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٣٦٩آ ـ ٣٧٠ب) العبر (٢/ ٢٦٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩) الوافي بالوفيات (٨/ ٣٩٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٦٦) .

(٥) تاريخ ابن عساكر (خ) (٢/ ٣٧٠آ) .

(٦) المصدر السالف .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمئة

فيها عصى الروزبهان على مُعِزِّ الدَّولة ، وانحاز إلى الأهواز ، ولحق به عامَّةُ منْ كان مع المُهلَّبي الذي كان يحاربه ، فلما بلغ ذلك معز الدولة لم يصدِّق ؛ لأنه كان قد أحسن إليه ورفع من قدره بعد الضَّعَة والخمول ، [ثم تبيَّن له أن ذلك حق][1] ، ثم ركب إليه لقتاله فاتَّبعه الخليفة المطيع لله خوفاً من ناصر الدَّولة بن حَمْدان ، فإنه قد بلغه أنه قد جهَّز جيشاً مع ولده أبي المرجَّى إلى بغداد ليأخذها حين بلغه أن معز الدولة قد خرج منها . فأرسل معز الدولة حاجبه سُبُكْتكين إلى بغداد ليحفظها ، وصمد معز الدولة إلى روزبهان ، فاقتتلوا قتالاً عظيماً ، فهزمه معز الدولة وفرَّق أصحابه ، وأخذه أسيراً ، ودخل به أسيراً معه إلى بغداد في أبهةٍ عظيمةٍ فسجنه ، ثم أخرجه ليلاً وغرَّقه ؛ لأن الدَّيلم أرادوا إخراجه من السِّجْن قهراً . وانطوى ذكر روزبهان وإخوته ، وكان قد اشتعل اشتعال النَّار ، وحظيت الأتراك عند معز الدولة ، وانحطت رتبة الديلم عنده ، لأنه ظهر له خيانتهم في أمر الروزبهان وإخوته .

وفيها دخل سيف الدولة إلى بلاد الرُّوم ، فقتل وسبى ورجع إلى أذنة ، ثم عاد إلى حلب ، فحميت الرُّوم ، فجمعوا وأقبلوا إلى مَيَّافارقين ، فقتلوا [وسبَوْا وحرقوا ورجعوا لعنهم الله ، وركبوا في البحر إلى طَرَسُوس ، فقتلوا من أهلها ألفاً وثمانمئة][2] ، وسبوا وحرقوا قرى كثيرة .

وفيها زلزلت هَمَذَان زلزالاً عظيماً ؛ انهدمت البيوت ، وانشقَّ قصر شيرين بصاعقة ، ومات تحت الهدم خَلْقٌ كثير لا يحصون كثرةً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ووقعت فِتْنةٌ عظيمة بين أهل أصبهان وأهل قُمّ بسبب سَبِّ الصَّحابة من أهل قُمّ ، فثار عليهم أهلُ أصبهان ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ونهبوا أموال التجار ، فغضب ركنُ الدولة لأهل قُمّ ؛ لأنه كان شيعياً ، فصادر أهلَ أصْبهان بأموالٍ كثيرة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

غلامُ ثَعْلَب[3] محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمر ، الزَّاهد ، غُلام ثعلب .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في (ح) ، والمثبت من (ب) .

(٣) طبقات النحويين واللغويين (٢٣٩) الفهرست (١١٣ ـ ١١٤) تاريخ بغداد (٢/ ٣٥٦ ـ ٣٥٩) طبقات الحنابلة (٢/ ٦٧ ـ ٦٩) نزهة الألباء (١٩٠ ـ ١٩٥) المنتظم (٦/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢) معجم الأدباء (١٨ ـ ٢٢٦ ـ ٢٣٤) انباه الرواة (٣/ ١٧١ ـ ١٧٧) وفيات الأعيان (٤/ ٣٢٩ ـ ٣٣٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٧٣ ـ ٨٧٦) العبر (٢/ ٢٦٨) سير اعلام النبلاء (١٥/ ٥٠٨ ـ ٥١٣) الوافي بالوفيات (٤/ ٧٢ ـ ٧٣) مرآة الجنان (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩) لسان الميزان (٥/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) =

روى عن الكُدَيْمي ، وموسى بن سَهْل الوَشّاء ، وغيرهما ، وروى عنه جماعة ، وآخر من حدَّث عنه أبو علي بن شَاذَان .

وكان كثيرَ العِلْم والزُّهد ، حافظاً مطيقاً ، يملي من حِفْظه شيئاً كثيراً ، ضابطاً لما يحفظه ، ولكثرة إغرابه اتهمه بعضهم ورماه بالكذب ، وقد اتفق له مع القاضي أبي عمر[1] ـ وكان يؤدِّب ولدَه ـ أنه أملى من حفظه ثلاثين مسألة بشواهدها وأدلتها من لغة العرب ، واستشهد على بعضها ببيتين غريبين جداً ، فعرضها القاضي أبو عمر على ابن دُرَيد وابن الأنباري وابن مِقْسم ، فلم يعرفوا منها شيئاً . حتى قال ابن دُرَيد : هذا ما وضعه أبو عمر من عنده . فلما جاء أبو عمر ذكر له القاضي ما قال ابن دريد عنه ، فطلب أبو عمر من القاضي أن يحضر له من كتبه دواوين العرب . فلم يزل [أبو عمر يعمد إلى كل مسألة و][2] يأتيه بشاهد لما ذكره بعد شاهدٍ حتى خرج من الثلاثين مسألة ثم قال : وأما البيتان ، فإنَّ ثعلباً أنشدناهما وأنت حاضر ، فكتبتهما في دفترك . فطلب القاضي دفتره . فإذا هما فيه ، فلما بلغ ذلك ابنَ دُرَيد كفَّ لسانه عن أبي عمر الزَّاهد ، فلم يذكره حتى مات .

وتوفي أبو عمر هذا يوم الأحد ، ودفن يوم الإثنين الثالث عشر من ذي القَعْدة ، ودفن في الصُّفَّة المقابلة لقبر معروف الكَرْخي ببغداد .

محمد بن علي بن [أحمد][3] بن رُسْتم[4] : أبو بكر المادَرَائي ، الكاتب .

كان مولده في سنة سبع وخمسين ومئتين[5] بالعراق ، ثم صار إلى مصر هو وأخوه أحمد مع أبيهما ، وكان على الخَرَاج لِخُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون ، ثم صار هذا الرجل من رؤساء النَّاس وأكابرهم .

وقد سمع الحديث من أحمد بن عبد الجبَّار وطبقته . وقد روى الخطيب عنه أنه قال : كان ببابي شيخٌ كبير من الكُتَّاب قد بَطَلَ عن وظيفته ، فرأيتُ والدي في المنام وهو يقول : يا بني ، أما تتقي الله ؟! أنت مشغولٌ بلذَّاتك ، والنَّاسُ ببابك يهلكون من العُري والجوع ، هذا فلان قد تقطَّع سراويله ولا يقدر على إبداله ، فلا تهمل أمره . فاستيقظتُ مذعوراً وأنا ناوٍ له الإحسان ، فنمت ثم استيقظت وقد أُنسيت المنام ،

= بغية الوعاة (٦٩ ـ ٧٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧١) .

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٢٠هـ) من هذا الجزء .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) تاريخ بغداد (٣/ ٧٩ ـ ٨١) الأنساب (٤٩٩) تاريخ ابن عساكر (١٥/ ٣٤١ب ـ ٣٤٢ب) المنتظم (٦/ ٣٨٣) العبر (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) الوافي بالوفيات (٤/ ١١٥) خطط المقريزي (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٧) شذرات الذهب (٢/ ٣٧١) .

(٥) في (ط) : سنة خمس وخمسين ومئتين ، وهو تحريف .

فبينا أنا أسير إلى دار الملك ، إذا بذلك الشيخ على دابة ضعيفة ، فلما رآني أراد أن يترجَّل ، فبدا لي فخذه ، وليس عليه سراويل وقد لبس الخُفَّ بلا سراويل ، فلما رأيته ذكرتُ المنام ، فاستدعى به عند ذلك وأطلق له ألف دينار وثياباً ، ورتَّب له على وظيفته مئتي دينار كل شهر ، ووعده بخيرٍ في الآجل أيضاً[١] .

أحمد بن محمد بن إسماعيل[٢] بن إبراهيم طَبَاطَبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن [علي][٣] بن أبي طالب ، الشَّريف الحَسَني الرَّسِّي ؛ قبيلة من الأشراف ، أبو القاسم ، المِصْري ، الشَّاعر ، كان نقيب الطالبيين بمصر ، ومن شعره قوله :

قالتْ لطَيْفِ خيالٍ زارني ومضىٰ ... بـالله صِفْـهُ ولا تَنْقُـصْ ولا تَـزِدِ
فقـال أبصـرتُـهُ لـو مـاتَ مـن ظمأٍ ... وقلـتِ قـفْ لا تـردْ للمـاءِ لـم يـردِ
قالتْ صدقتَ وفاءُ الحبِّ عادَتُهُ ... يا بردَ ذاكَ الذي قالتْ على كَبِدِي

قال ابن خَلِّكان : توفي ليلة الثلاثاء لخمسٍ بقين من شعبان من هذه السنة[٤] .

ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلاثمئة

فيها كانت فتنة بين أهل الكَرْخ وأهل السُّنَّة في المذهب بسبب السبِّ ، فقتل من الفريقين خَلْقٌ كثير .

وفيها نقص البحر ثمانين ذراعاً ، ويقال باعاً ، فبدت به جبال وجزائر لم تكن تُرَى قبل ذلك .

وفيها كان بالعراق وبلاد الرَّي والجبل وقُمّ ونحوها زلازل كثيرة مستمرة نحواً من أربعين يوماً ، تسكن ثم تعود ، فتهدَّمت بسبب ذلك أبنية كثيرة وغارت مياه كثيرة ، ومات خلق كثير ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها تجهَّز مُعزُّ الدولة بن بُوَيه لقتال ناصر الدولة بن حمدان الذي بالمَوْصل ، فراسله ناصر الدولة ، والتزم له بأموالٍ يحملها إليه في كلِّ سنة ، [فسكت عنه][٥] ثم إنه منع حمل ما اشترط على نفسه ، فقصده معز الدولة في السَّنة الآتية كما سيأتي .

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٨٠ ـ ٨١) .
(٢) يتيمة الدهر (١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) وفيات الأعيان (١/ ١٢٩ ـ ١٣١) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) انظر وفيات الأعيان (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠) والأبيات فيه مع اختلاف في بعض الألفاظ .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

وفيها وفي تشرين منها كَثُرَتْ في النَّاس أوجاع في الحلق والماشرىٰ ، وكثر موت الفُجَاءة ، حتى إن لصاً نقَّب داراً ليدخلها فمات وهو في النقب ، ولبس القاضي خِلْعة القضاء ليخرج للحكم بين الناس فلبس أحد خُفَّيه ، فمات قبل أن يلبس الأخرى .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن عبد الله بن الحسن[١] : أبو هريرة ، العَدَوي[٢] .

المُسْتملي على المشايخ ، كتب عن أبي مسلم الكَجِّي وغيره ، وكان ثقة ، توفي في ربيع الأول[٣] منها .

الحسن بن خَلَف بن شَاذَان[٤] : أبو علي الواسِطِي .

روى عن إسحاق الأزرق ، ويزيد بن هارون ، وغيرهما ، وروى عنه البخاري في « صحيحه » ، وتوفي في هذه السنة .

هكذا رأيت هذه الترجمة في هذه السَّنة من « المنتظم » لأبي الفرج بن الجَوْزي[٥] .

أبو العَبَّاس الأَصَم[٦] محمد بن يعقوب بن يوسف بن مَعْقِل بن سِنان بن عبد الله ، الأُموي مولاهم ، أبو العباس الأصم .

مولده في سنة سبع وأربعين ومئتين .

رأى الذُّهلي ولم يسمع منه ، ورحل به أبوه إلى أصبهان ومكة ومِصر والشَّام والجزيرة وبغداد وغيرها من البلاد ، فسمع الكثير عن الجَمِّ الغفير ، ثم رجع إلى خُرَاسان وهو ابن ثلاثين سنة ، وقد صار محدِّثاً كبيراً ، ثم طرأ عليه الصَّمم واستحكم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار ، وكان مؤذناً في مسجده سبعين سنة ، وحدَّث ستاً وسبعين سنة ، فألحق الأحفاد بالأجداد ، وكان ثقةً صادقاً ضابطاً لما سمعه ويسمعه ، كُفَّ بصرُه قبل موته بشهر ، وكان يحدِّث من حفظه بأربعة عشر حديثاً ، وسبع حكايات ، ومات وقد بقي له سنة من المئة .

---

(١) الأنساب (٨/ ٤١٢) المنتظم (٦/ ٣٨٤) .

(٢) في (ط) العذري ، وهو تحريف .

(٣) في « الأنساب » و « المنتظم » : ربيع الآخر .

(٤) تابع ابنُ كثير ابنَ الجوزي في إيراد ترجمة الحسن بن خلف في هذه السنة ، ولكن ابن كثير توقف فقال : هكذا رأيت هذه الترجمة في هذه السنة من « المنتظم » . قلت : والصحيح في وفاته أنها كانت سنة (٢٤٦هـ) .

(٥) المنتظم (٦/ ٣٨٥) .

(٦) الأنساب (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٧) تاريخ ابن عساكر (١٦/ ٦٧آ ـ ٦٩ب) المنتظم (٦/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) تذكرة الحفاظ (٣ ـ ٨٦٠ ـ ٨٦٤) العبر (٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٥٢ـ ٤٦٠) الوافي بالوفيات (٥/ ٢٢٣) نكت الهميان (٢٧٩) غاية النهاية (٢/ ٢٨٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٣١٧) طبقات الحفاظ (٣٥٤) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمئة

فيها كانت زلزلة ببغداد في شهر نيسان وفي غيرها من البلاد الشَّرقية ، فمات بسببها خَلْقٌ كثير ، وخَرِبَتْ دور كثيرة ، وظهر في آخر نيسان وشهر أيار جَرَاد عظيم أتلف الغَلاَّت الصَّيفية والثمار .

ودخلت الرُّومُ آمِد ، ومَيَّافارِقِين ، فقتلوا ألفاً وخمسمئة إنسان ، وأخذوا مدينة سُمَيْساط وأخربوها فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي المحرَّم منها ركب معزُّ الدولة إلى المَوْصل ، فأخذها من يد ناصر الدولة ، وهرب منها ناصر الدولة إلى نَصِيبين ، ثم إلى مَيَّافارِقِين ، ثم لحقه معزُّ الدولة ، فصار إلى أخيه سيف الدولة بحلب ، ثم راسل سيفُ الدولة معزَّ الدولة في المصالحة بينه وبين أخيه ناصر الدولة ، فوقع الصُّلح على حمل كل سنة ألفي ألف وتسعمئة ألف [درهم][1] ، ورجع معز الدولة إلى بغداد بعد انعقاد الصلح[2] .

وفيها بعث المُعِزُّ الفاطمي مولاهم أبا الحسن جوهر القائد في جيوشٍ ، ومعه زيري بن مناد الصِّنْهاجي ، ففتحوا بلاداً كثيرة في أقصى المغرب ، حتى انتهوا إلى البحر المحيط ، فأمر جوهر بأن يُصْطاد له منه سمك ، فأرسل به في قلال الماء إلى المعز الفاطمي ، وحظي جوهر عنده ، وعظم شأنه حتى صار بمنزلة الوزير .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الزُّبير بن عبد الواحد[3] بن محمد بن زكريا بن صالح بن إبراهيم : أبو عبد الله ، الأسَدَاباذي[4] .

رحل وسَمِعَ وطوَّف الأقاليم ، سمع الحسنَ بن سفيان وابن خُزَيمة ، وأبا يعلى ، وخَلْقاً ، وكان حافظاً مُتْقناً صدوقاً ، وصنَّف الشيوخ[5] والأبواب .

---

(١) مابين حاصرتين من الكامل (٨/ ٥٢٣) .

(٢) في (ط) : زيادة ، وهي : وقد امتلأت البلاد رفضاً وسباً للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين ، وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقاً وخراسان ، وغير ذلك من البلاد كانوا رفضاً ، وكذلك الحجاز وغيره ، وغالب بلاد المغرب ، فكثر السب والتكفير منهم للصحابة .

(٣) في (ط) : عبد الرحمن ، وهو تحريف . وترجمته في تاريخ بغداد (٨/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣) الأنساب (١/ ٢٢٤) تاريخ ابن عساكر (٦/ ١٧١آ ـ ١٧٢آ) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٠٠ ـ ٩٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٠ ـ ٥٧١) طبقات الحفاظ (٣٦٨) .

(٤) في (ط) : الإسترابادي ، وهو تحريف .

(٥) في (ط) : الشروح ! وهو تحريف .

أبو سعيد بن يونس[١] : صاحب « تاريخ مِصْر » ، هو عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى ، الصَّدَفي[٢] المِصْري المؤرِّخ .

كان حافظاً مكثراً ، خبيراً بأيام النَّاس وتواريخهم ، له تاريخ مفيد [جيد][٣] لأهل مصر ومَنْ وَرَدَ إليها ، وله ولد يقال له أبو الحسن علي[٤] ، كان منجِّماً له زِيْجٌ مفيد يرجع إليه أصحاب هذا الفن ، كما يرجع المحدِّثون إلى أقوال أبيه وما يؤرِّخه وينقله ويحكيه ، وُلِدَ [الصَّدَفي][٥] سنة إحدى وثمانين ومئتين ، وتوفي في هذه السَّنة يوم الإثنين السَّادس والعشرين من جُمَادى الآخرة في القاهرة ، رحمه الله .

ابنُ دَرَسْتَوَيه[٦] النَّحْوي[٧] عبد الله بن جعفر بن دَرَسْتَوَيه بن المَرْزُبان : أبو محمد ، الفارسي ، النَّحْوي .

سكن بغداد ، وسمع عَبَّاساً الدُّوري ، وابن قتيبة ، والمُبَرِّد ، وسمع منه الدَّارَقُطني وغيره من الحُفَّاظ ، وأثنى عليه غيرُ واحد ، منهم أبو عبد الله بن مَنْده ، وكانت وفاته في صفر من هذه السنة .

وذكر له القاضي ابن خَلِّكان مصنفاتٍ كثيرةً مفيدة فيما يتعلَّق باللغة والنحو وغير ذلك[٨] .

محمد بن الحسن[٩] بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارب ، أبو الحسن ، القُرَشي الأموي ، قاضي بغداد .

وكان حسن الأخلاق ، طلاَّبةً للحديث ، ومع هذا كان ينسب إلى أخذ الرِّشوة في الأحكام والولايات ، فالله أعلم .

---

(١) الأنساب (٨/ ٤٥ ـ ٤٦) وفيات الأعيان (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٩٨ ـ ٨٩٩) العبر (٢/ ٣٧٦ ـ ٢٧٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) حسن المحاضرة (١/ ١٩٨) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٥).

(٢) هذه النسبة إلى الصدف ـ بكسر الدال ، وفيه لغة بفتحها ـ وتفتح بالنسب ، وهي قبيلة من حمير نزلت مصر ، انظر « الأنساب : ٨/ ٤٣ » ، و« وفيات الأعيان : ٣/ ١٣٨ » .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في (ح) : والمثبت من (ب) .

(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٩٩هـ) من هذا الجزء .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) ويضبط أيضاً بضم الدال والراء والتاء وسكون الواو وفتح الياء ، انظر وفيات الأعيان (٣/ ٤٤) .

(٧) طبقات النحويين واللغويين (١٢٧) الفهرست (٩٣ ـ ٩٥) تاريخ بغداد (٩/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) نزهة الألباء (١٩٧ ـ ١٩٨) المنتظم (٧/ ٣٨٨) إنباه الرواة (٢/ ١١٣ ـ ١١٤) وفيات الأعيان (٣/ ٤٤ ـ ٤٥) العبر (٢/ ٢٧٦) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٣١ ـ ٥٣٢) لسان الميزان (٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) بغية الوعاة (٢٧٩ ـ ٢٨٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٥) .

(٨) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٤٤ ـ ٤٥) .

(٩) تاريخ بغداد (٢/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) المنتظم (٦/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠) .

محمد بن علي[١] : أبو عبد الله ، الهاشمي ، الخاطب ؛ [الدمشقي . وأظنه الذي تنسب إليه حارة الخاطب من نواحي باب الصغير ، كان][٢] خطيب دمشق في أيام الإخشيذية .

وكان شاباً حسن الوجه ، مليح الشكل ، كامل الخلق ، توفي فجأة في يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وحضر جنازته نائب السلطنة ، وخلق كثير لا يحصون كثرة ، رحمه الله [هكذا أرخه][٢] ابنُ عساكر ، ودفن بباب الصَّغير .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمئة

فيها كانت فتنة بين الرَّافضة وأهل السنة قتل فيها خَلْقٌ كثير ، ووقع حريق بباب الطَّاق ، وغرق بدِجْلة خلق كثير من الحُجَّاج من أهل المَوْصل ؛ نحو من ستِّمئة نفس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها دخلت الرُّوم طَرسُوس والرُّها فقتلوا وسبوا وغنموا . ورجعوا سالمين ، لعنهم الله .

وفيها قلَّت الأمطار وغلَت الأسعار ، واستسقى النَّاس فلم يسقوا ، وظهر جَرَاد عظيم في آذار ، فأكل ما نبت من الخضراوات ، فاشتدَّ الأمر جداً [على الخلق][٢] ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وفيها عاد مُعِزُّ الدولة إلى بغداد من المَوْصل وزوَّج ابنته من ابن أخيه مُؤَيَّد الدولة بن ركن الدولة[٣] ، وسيَّرها معه إلى الرَّي[٤] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن شَيْبَان[٥] : أبو إسحاق ، القِرْمِيْسِيني ، شيخ الصُّوفية بالجَبَل .

صَحِبَ أبا عبد الله المَغْربيَّ . ومن جيد كلامه قوله : إذا سكَنَ الخَوْفُ القَلبَ أحرقَ مواضِعَ الشَّهوات منه ، وطرد عنه الرَّغْبَةَ في الدُّنيا .

---

(١) هذه الترجمة ليست في (ح) ، ومثبتة من (ب) و(ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ح) و(ط) : معز الدولة ، والخبر كله ساقط من (ب) ، والمثبت من الكامل (٨/ ٥٢٧) .
(٤) في (ط) بغداد ، وهو تحريف .
(٥) طبقات الصوفية (٤٠٢ ـ ٤٠٥) حلية الأولياء (١٠/ ٣٦١) الرسالة القشيرية (٢٧) الأنساب (١٠/ ١١٠) تاريخ ابن عساكر (٢/ ٢٢٥آ ـ ٢٢٥ب) المنتظم (٦/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) العبر (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٩٢ ـ ٣٩٤) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٢٥) طبقات الأولياء (٢١ ـ ٢٣) شذرات الذهب (٢/ ٣٣٤) .

أبو بكر النَّجَّاد الفقيه[١] : أحمد بن سَلْمان[٢] بن الحسن بن إسرائيل بن يونس ، أبو بكر ، النَّجَّاد ، الفقيه ؛ أحد أئمة الحنابلة .

ولد سنة ثلاث وخمسين ومئتين .

سمع عبد الله بن أحمد ، وأبا داود ، والباغَنْدي ، وابن أبي الدُّنيا ، وخلقاً كثيراً ، وإنما كان يطلب الحديث ماشياً حافياً ، وقد جمع المُسْند ، وصنَّف في السُّنَن كتاباً كبيراً ، وكانت له بجامع المنصور حلقتان ؛ واحدة للفقه ، وأخرى لإملاء الحديث .

وحدث عنه الدَّارَقُطْني وابن رزقويه ، وابنُ شاهين ، وأبو بكر بن مالك القَطِيعي وغيرهم . وكان يصوم الدهر ويُفْطر كل ليلة على رغيف ، ويعزل منه لقمةً ، فإذا كانت ليلة الجمعة أكل تلك اللُّقَم ، وتصدَّق برغيف ليلة الجمعة ، وكانت وفاته ليلة الجمعة لعشرٍ بقين من ذي الحجَّة عن خمس وتسعين سنة ، ودفن قريباً من قبر بشر بن الحارث الحافي .

جعفر بن محمد بن نُصير بن القاسم[٣] : أبو محمد الخواص المعروف بالخُلْدي .

سمع الكثير ، وحدث كثيراً ، وحج ستين حجة ، وكان ثِقَةً صدوقاً ديِّناً .

محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد[٤] : أبو عمرو ، الزُّجَاجي ، النَّيْسَابوري .

صحب أبا عثمان ، والجُنَيد ، والنُّوري ، والخوَّاص ، وغيرهم ، وأقام بمكة ، وكان شيخ الصُّوفية بها ، وحجَّ ستين حجةً ، ويقال : إنه مكث أربعين سنة لم يتغوَّط ولم يَبُل إلا خارج الحرم بالكلية .

محمد بن جعفر بن محمد بن فَضَالة[٥] بن يزيد بن عبد الملك : أبو بكر الأَدَمي ؛ صاحب الألحان .

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ١٨٩ ـ ١٩٢) طبقات الشيرازي (١٧٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٧ ـ ١٢) الأنساب (٥٥٣آ) المنتظم (٦/ ٣٩٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٦٨ ـ ٨٦٩) العبر (٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٠٢ ـ ٥٠٥) ميزان الاعتدال (١/ ١٠١) الوافي بالوفيات (٦/ ٤٠٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٢) لسان الميزان (١/ ١٨٠) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٦) .

(٢) في (ب) و(ط) : سليمان ، وهو تحريف .

(٣) طبقات الصوفية (٤٣٤ ـ ٤٣٩) حلية الأولياء (١٠/ ٣٨١) تاريخ بغداد (٧/ ٢٢٦ ـ ٢٣١) الرسالة القشيرية (٢٨) الأنساب (٥/ ١٦١ ـ ١٦٢) المنتظم (٦/ ٣٩١) معجم البلدان (٢/ ٣٨٢) العبر (٢/ ٢٧٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٥٨ ـ ٥٦٠) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٢) طبقات الأولياء (١٧٠ ـ ١٧٤) غاية النهاية (١/ ١٩٧ ـ ١٩٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٢) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٨) .

(٤) طبقات الصوفية (٤٣١ ـ ٤٣٣) حلية الأولياء (١٠/ ٣٧٦) الرسالة القشيرية (٣٦) المنتظم (٦/ ٣٩١ ـ ٣٩٢) الوافي بالوفيات (١/ ٣٤٦) طبقات الأولياء (١٥٦ ـ ١٥٧) طبقات الشعراني (١٣٨) .

(٥) تاريخ بغداد (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٩) الأنساب (١/ ١٦٢ ـ ١٦٣) المنتظم (٦/ ٣٩٢ ـ ٣٩٤) .

وكان من أحسن الناس صوتاً بتلاوة القرآن ، وربما سمع أهل كَلْوَاذى[١] صوته من بغداد في الليل ، وحجَّ مرة مع أبي القاسم البَغَوي ، فلما كانوا بالمدينة رأوا شيخاً أعمى يقُصُّ على الناس أخباراً موضوعة فقال البغوي : ينبغي الإنكار عليه . فقال له بعض الجماعة : إنك لست ببغداد يعرفك الناس والجمع كثير هاهنا ، ولكن أرى لك أن تأمر أبا بكر الأَدَمي فيقرأ لنا [هاهنا][٢] ، فاستفتح فقرأ ، فانجفل الناس إليه ، وتركوا الأعمى ، فلم يبق عنده أحد ، فأخذ الأعمى بيد قائده وقال : اذهب بي ، فهكذا تزول النعم[٣] . وكانت وفاته يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثمانٍ وثمانين سنة .

وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته بمدة فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : أوقفني بين يديه ، وقاسيتُ شدائد . فقلت له : فتلك الليالي والمواقف والقراءة ؟ فقال : ما كان شيء أضرَّ عليَّ منها ؛ لأنها كانت للدُّنيا . فقلت : فإلى أي شيء انتهى أمرك ؟ فقال : قال لي الله عزَّ وجلَّ : آليتُ على نفسي أن لا أعذب أبناء الثَّمانين .

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي[٤] بن الحسن بن إبراهيم طَبَاطَبا[٥] بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الهاشمي ، المِصْري ، كان من ساداتها وكرمائها وأجوادها لا تزال الحلواء تُعقد بداره ، ولا يزال رجل يكسِّر اللوز بسببها كل يوم ببابه ، وللنَّاس عليه رواتب الحلواء ، فمنهم من يهدي إليه كل يوم ، ومنهم في الجمعة ، [ومنهم][٦] في الشهر . وكان لكافور الإخشيذي كل يوم عليه جامان ورغيف من الحواري[٧] .

ولما قدم المِعزُّ الفاطمي إلى القاهرة تلقاه وسأله : إلى من ينتسب من أهل البيت ؟ فقال : الجواب إلى [أهل][٨] البلد . فلما دخل القصر جمع الأشراف وسلَّ نصف سيفه وقال : هذا نسبي ، ثم نثر عليهم الذهب فقال : وهذا حسبي . فقالوا : سمعنا وأطعنا .

والصحيح أن القائل للمعز هذا الكلام ابن هذا أو شريف آخر ، والله أعلم ؛ فإن وفاة هذا كانت في

---

(١) ناحية قرب بغداد ، معجم البلدان (٤/ ٤٧٧) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٣) القصة في تاريخ بغداد (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨) وفي (ط) زيادات يضطرب بها سياق القصة ، ولا تفيد معنى جديداً .

(٤) وفيات الأعيان (٣/ ٨١ ـ ٨٣) .

(٥) في (ح) و(ب) و(ط) : إبراهيم بن طباطبا ، وهو وهم ، إذ إن طباطبا لقب إبراهيم ، انظر لقب وفيات الأعيان (١/ ١٣٠) .

(٦) ما بين حاصرتين ليس في (ح) ، والمثبت من (ب) .

(٧) هو الدقيق الأبيض المنقى .

(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

هذا العام عن ثنتين وستين سنة ، وكان قدوم المعز إلى القاهرة سنة اثنتين وستين وثلاثمئة كما سيأتي .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمئة

فيها ظهر رجل بأَذْرَبيجان من أولاد عيسى بن المكتفي بالله ، فتلقب بالمستجير بالله ، ودعا إلى الرِّضا من آل محمد ، وذلك لفساد دولة المَرْزُبان في ذلك الزمان ، فاقتتلوا قتالاً كثيراً ، ثم انهزم أصحابُ المستجير ، وأُخذ أسيراً فمات ، واضمحلَّ أمره ، ولله الحمد .

وفيه دخل سيف الدولة بن حمدان بلادَ الرُّوم ، فقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وفتح حصوناً وأحرق بلاداً كثيرة ، وسبى وغنم وكرَّ راجعاً ، فأخذت الرُّوم عليه الدَّرب ، فمنعوه من الرجوع ، ووضعوا السيف في أصحابه ، فما نجا في ثلاثمئة فارسٍ إلا بعد جهد جهيد .

وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرَّافضة والسُّنَّة قُتل فيها خلق كثير .

وفي آخرها توفي أنوجور[١] بن الإخشيذ صاحب مصر ، وقام بالأمر بعده أخوه [علي][٢] .

وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي الذي كان صاحب الأهواز وواسط .

وفيها رجع حجيج مصر من مكة ، فنزلوا وادياً فجاءهم سَيْلٌ فأخذهم كلّهم ، فألقاهم في البحر عن آخرهم .

وفيها أسلم من الترك مئتا ألف خَرْكاة[٣] ، فسموا تُرْك إيمان ، ثم خفِّف اللفظ بذلك فقيل تركمان .

وممن توفي فيها من الأعيان :

جعفر بن حَرْب الكاتب[٤] : كانت له نعمة وثروة عظيمة تقارب أبهة الوزراء ، فاجتاز يوماً وهو راكب في موكب له عظيم ، فسمع رجلاً يقرأ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] . فصاح : اللهم بلى ، فكرَّرها دفعات ، ثم بكى ، ثم نزل عن دابّته ونزع ثيابه ، ودخل إلى دِجْلة فاستتر بالماء ، ولم يخرج منه حتى فرَّق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه ، وردَّها إلى أهلها ،

---

(١) ولد أنوجور في دمشق سنة (٣١٩هـ) ، ودفن في بيت المقدس عن أبيه ، وأنوجور معناها محمود . وفيات الأعيان (٤/ ٩٩) .

(٢) ما بين حاصرتين من الكامل (٨/ ٥٣٣) .

(٣) خركاة : كلمة فارسية معربة ، تطلق على الخيمة الكبيرة التي يتخذها أمراء الأكراد والأعراب والتركمان سكناً لهم . انظر الألفاظ الفارسية المعربة (٥٣ ـ ٥٤) .

(٤) المنتظم (٦/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦) .

وتصدَّق بالباقي ولم يبق له شيء بالكلية ، فاجتاز به رجل ، فتصدَّق عليه بثوبين ، فلبسهما وخرج ، فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات ، رحمه الله .

أبو علي الحافظ[١] الحسين بن علي بن يزيد بن داود : أبو علي ، الحافظ ، النَّيسابوري .

أحد الأئمة الحُفَّاظ المتقنين المكثرين المصنِّفين ، قال الدَّارَقُطْني : كان إماماً مهذَّباً ، وكان ابنُ عقدة لا يتواضع لأحدٍ كتواضعه له ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن ثنتين وسبعين[٢] سنة ، رحمه الله .

حَسَّان بن محمد بن أحمد[٣] : ابن هارون[٤] ، أبو الوليد ، القُرَشي .

الفقيه الشَّافعي ، إمام أهل الحديث بخراسان في زمانه ، وأزهدهم وأعبدهم ، أخذ الفقه عن ابن سُرَيج ، وسمع الحديث من الحسن بن سُفْيان وغيره ، وله التَّصانيف المفيدة ، وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشافعيين » ، وكانت وفاته ليلة الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثنتين وسبعين سنة .

حَمْدُ بن محمد بن إبراهيم بن الخَطَّاب[٥] : أبو سليمان ، الخَطَّابي .

سمع الكثير ، وصنَّف التصانيف ، منها « المعالم » شرح فيها « سُنَن أبي داود » ، و « الإعلام » شرح فيه البخاري ، و « غريب الحديث » ، وله فهم مليح ، وعلم غزير ، ومعرفة باللغة والمعاني والفقه ، ومن أشعاره قوله :

مـا دُمْـتَ حيـاً فَـدَارِ النَّـاسَ كلَّهُـمُ ... فـإنَّمـا أنـتَ فـي دارِ المُـدَاراةِ
مَنْ يدرِ دارىٰ ومن لم يدرِ سوف يُرى ... عمَّـا قليـلٍ نـديمـاً للنَّـدامـاتِ

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٧١ ـ ٧٢) المنتظم (٦/ ٣٩٦) معجم البلدان (٥/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٠٢ ـ ٩٠٥) العبر (٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥١ ـ ٥٩) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٧٦ ـ ٢٨٠) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٤) طبقات الحفاظ (٣٦٨ ـ ٣٦٩) شذرات الذهب (٢/ ٣٨٠) تهذيب تاريخ ابن عساكر (٤/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : عن اثنين وخمسين سنة ، وهو وهم ، والصواب ما أثبتناه ، فولادته كانت سنة (٢٧٧هـ) ، انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥١) .

(٣) المنتظم (٦/ ٣٩٦) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٩٥ ـ ٨٩٧) العبر (٢/ ٢٨١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٩٢ ـ ٤٩٦) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٢٦ ـ ٢٢٩) طبقات الحفاظ (٣٦٦) شذرات الذهب (٢/ ٣٨٠) .

(٤) في (ط) : مروان ، وهو تحريف .

(٥) هكذا ترجمه ابن الجوزي في « منتظمه » في وفيات هذه السنة ، والصحيح أنه توفي سنة (٣٨٨هـ) ، وسيورد ابن كثير ترجمته في وفياتها .

هكذا ترجمه أبو الفرج بن الجوزي في « منتظمه »[١] حرفاً بحرف .

عبد الواحد بن عمر بن محمد[٢] بن أبي هاشم .

كان من أعلم النَّاس بحروف القرآن ، ووجوه القراءات ، وله في ذلك مصنَّفات ، وكان من الأتقياء[٣] الثِّقات ، روى عن ابن مجاهد ، وأبي بكر بن أبي داود ، وعنه أبو الحسن بن الحَمَّامي ، توفي في شوال منها ، ودفن بمقبرة الخيزران .

أبو أحمد العَسَّال الحافظ[٤] محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد ، أبو أحمد ، العَسَّال ، الأصْبهاني .

أحد أئمة الحفاظ وأكابر العلماء .

سمع الحديث وحدَّث به ، قال ابنُ مَنْده : كتبت عن ألف شيخٍ لم أر فيهم أتقنَ من أبي أحمد العَسَّال ، توفي في رمضانها .

ثم دخلت سنة خمسين وثلاثمئة

في المحرَّم منها مرض معزُّ الدولة بن بويه بانحصار البول ، فقلق من ذلك ، وجمع بين حاجبه سُبُكْتِكين ووزيره المُهَلَّبي ، وأصلح بينهما ، ووصاهما بولده بختيار خيراً ، وثم عوفي من ذلك ، فعزم على الرحيل إلى الأهواز ، واعتقد أن ما أصابه من [هذه العِلَّة بسبب][٥] هواء بغداد ومائها ، فأُشير عليه بالمقام بها ، وأن يبتني بها داراً في أعلاها حيث الهواء أرق والماء أصفى ، فبنى له داراً غَرِمَ عليها ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، فاحتاج لذلك أن يصادر بعضَ أصحابه ، ويقال : أنفق على هذه الدار ألفي ألف دينار ، ومات وهو يبني فيها ، وقد خَرَّبَ أشياء كثيرة من معالم بغداد في بنائها ، وكان مما خرب فيها

---

(١) المنتظم (٦/ ٣٩٧) .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٧ ـ ٨) إنباه الرواة (٢/ ٢١٥) طبقات القراء للذهبي (١/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) العبر (٢/ ٢٨٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٧٥ ـ ٤٧٧) النشر في القراءات العشر (١/ ١٢٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٥) بغية الوعاة (٢/ ١٢١) شذرات الذهب (٢/ ٣٨٠) .

(٣) في (ب) : الأمناء .

(٤) ذكر أخبار أصبهان (٢/ ٢٨٣) تاريخ بغداد (١/ ٢٧٠) الأنساب (٨/ ٤٤٧) المنتظم (٦/ ٣٩٨) اللباب (٢/ ١٣٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٦ ـ ١٥) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٨٦ ـ ٨٨٨) العبر (٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) الوافي بالوفيات (٢/ ٤١) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٥) طبقات الحفاظ (٣٦١ ـ ٣٦٢) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٥١ ـ ٥٣) شذرات الذهب (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

المعشوق من سرَّ من رأى ، وقلع الأبواب الحديد على مدينة المنصور والرُّصافة وقَصرها ، وحوَّلها إلى داره هذه ، لا تمت فرحته بها .

وفيها مات القاضي أبو السَّائب عتبة بن عبد الله(١) ، وقبضت أملاكه ، وولي بعده القضاء أبو [العباس](٢) عبد الله [بن](١) الحسن بن أبي الشَّوارب ، وضمن أن يؤدي في كل سنة إلى معز الدولة مئتي ألف درهم ، وخلع عليه معز الدولة ، وسار ومعه الدبادب والبوقات إلى منزله ، وهو أول من ضمن القضاء . ولم يأذن له الخليفة المطيع لله في الحضور عنده ، ولا في حضور الموكب لأجل ذلك ، ثم ضمَّن معز الدولة الشرطة وضمَّن الحِسْبة أيضاً .

وفيها سار قَفَلٌ من أنطاكية يريدون طَرَسُوس ، وفيهم نائب أنطاكية ، فثار عليهم الروم [فأخذوهم](٣) عَن بَكْرة أبيهم ، فلم يفلت منهم سوى النائب جريحاً في أماكن من بدنه .

وفيها دخل نجا غلام سيف الدولة بلاد الرُّوم فقتل وسبى وغنم ، ورجع سالماً .

وفيها توفي :

الأمير عبد الملك بن نوح السَّاماني صاحب خراسان ، سقط عن فرسه ، فمات ، فقام بالأمر من بعده أخوه منصور بن نوح السَّاماني .

وفيها توفي :

النَّاصر لدين الله عبد الرحمن الأُمَوي(٤) : صاحب الأندلس من بلاد المغرب ، وكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر ، وله من العمر يوم مات ثلاث وسبعون سنة ، وترك أَحدَ عشر ولداً ، كان أبيضَ حسن الوجه عظيمَ الجسم طويل الظهر قصير الساقين ، وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين من أولاد الأمويين الدَّاخلين إلى المغرب ، وذلك حين بلغه ضعف الخلفاء بالعراق ، وتغلُّب الفاطميين ببلاد المغرب ، فتلقب بأمير المؤمنين قبل موته بثلاث وعشرين سنة . ولما توفي قام بالأمر من بعده ولده الحكم وتلقب بالمستنصر ، ومن جملة أولاد الناصر عبد الله ، وكان شافعيَّ المذهب ، ناسكاً شاعراً ، ولا يعرف في

(١) في بعض مصادر ترجمته : عبيد الله ، وهو الأشبه .
(٢) ما بين حاصرتين من « المنتظم » (٧/ ٢) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) ، وهو ساقط في (ح) .
(٤) العقد (٤/ ٤٩٨) جذوة المقتبس (١٣) بغية الملتمس (٢١٧) الكامل (٨/ ٧٣ ـ ٧٤) الحلة السيراء (١/ ١٩٧ ـ ٢٠٠) المغرب في حلى المغرب (١/ ١٧٦ ـ ١٨١) البيان المغرب (٢/ ١٥٦) وما بعدها ، العبر (٢/ ٢٨٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٦٢ ـ ٥٦٤) نفح الطيب (١/ ٣٥٣ ـ ٣٧١) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٣٠) .

الخلفاء أطول مُدَّة من الناصر الأموي ، فإنه مكث خمسين سنة ، سوى المستنصر بن [الظاهر بن][1] الحاكم الفاطمي صاحب مصر ، فإنه مكث ستين سنة ، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو سَهْل بن زياد القَطَّان[2] أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد : أبو سهل ، القَطَّان .

كان ثقة حافظاً ، كثير التلاوة للقرآن ، حسن الانتزاع للمعاني منه ، فمن ذلك أنه استدل على تكفير المعتزلة بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران : ١٥٦] .

إسماعيل بن علي بن إسماعيل[3] بن بَيَان : [أبو محمد][4] ، الخُطَبي .

سمع الحارث بن أبي أسامة ، وعبد الله بن أحمد ، والكُدَيمي ، وغيرهم ، وعنه الدَّارَقُطْني وغيره من الحُفَّاظ ، وكان ثقةً حافظاً فاضلاً نبيلاً ، عارفاً بأيام الناس والخلفاء ، وله تاريخ مرتب على السنين ، وكان أديباً لبيباً عاقلاً صدوقاً ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة ، رحمه الله .

أحمد بن محمد بن سعيد[5] بن عُبيد الله[6] بن أحمد بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، أبو بكر ، القُرَشي ، الوَرَّاق ، ويعرف بابن فُطيس .

وكان حسن الكتابة مشهوراً بها ، وكان يكتب الحديث لابن جَوْصا[7] ، ترجمه ابنُ عساكر ، وأرخ وفاته بثاني شوال من هذه السنة[8] .

---

(١) ما بين حاصرتين من سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٨٦) .
(٢) تاريخ بغداد (٥/ ٤٥ ـ ٤٦) المنتظم (٧/ ٣) العبر (٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) الوافي بالوفيات (٨/ ٣٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٨) شذرات الذهب (٣/ ٢ ـ ٣) .
(٣) تاريخ بغداد (٦/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦) طبقات الحنابلة (٢/ ١١٨ ـ ١١٩) الأنساب (٥/ ١٤٧ ـ ١٤٨) المنتظم (٧/ ٣ ـ ٤) معجم الأدباء (٧/ ١٩ ـ ٢٣) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩) شذرات الذهب (٣/ ٣) .
(٤) ما بين حاصرتين ساقط من (ح) ، والمثبت من (ب) .
(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر (٧/ ٣١٠ ـ ٣١١) (مطبوع) ، مختصره لابن منظور (٣/ ٢٦٢) .
(٦) في (ح) عبد الله ، والمثبت من (ب) .
(٧) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٢٠هـ) .
(٨) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر (٧/ ٣١٠ ـ ٣١١) .

تمام بن محمد[١] بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن [علي][٢] بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو بكر ، الهاشمي ، العَبَّاسي .

حدث عن عبد الله بن أحمد ، وعنه ابن رزقويه ، وتوفي في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة أيضاً ، رحمه الله .

الحسين[٣] بن القاسم[٤] : أبو علي ، الطَّبري ، الفقيه الشَّافعي .

أحد الأئمة ، له « المحرَّر » في الخلاف ، وهو أول مصنَّف فيه ، وله « الإفصاح »[٥] في المذهب ، وكتاب في الجدل ، وفي أصول الفقه ، وغير ذلك من المُصنَّفات ، وقد ذكرنا ترجمته في « الطبقات » .

عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم[٦] بن عيسى بن أبي جعفر[٧] المنصور : أبو جعفر ، الهاشمي ، الإمام ، ويعرف بابن بُرَيْه[٨] .

ولد سنة ثلاث وستين ومئتين ، روى عن ابن أبي الدُّنيا وغيره ، وعنه ابن رزقويه ، وكان خطيباً بجامع المنصور مُدَّة طويلة ، وقد خطب فيه سنة ثلاثين وثلاثمئة ، وقبلها بمئة سنة خطب فيه الواثق في سنة ثلاثين ومئتين ، وهما في النسب إلى المنصور سواء ، توفي في صفر منها .

عُتْبة بن عبد الله[٩] بن موسى بن عبيد الله : أبو السَّائب ، الهَمَذاني ، القاضي الشَّافعي .

كان فاضلاً بارعاً ، وولي القضاء ، وكان فيه تخليط في الأمور ، وقد رآه بعضهم في المنام [بعد

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ١٣٩ ـ ١٤٠) المنتظم (٧/ ٤) .
(٢) ما بين حاصرتين من المنتظم (٧/ ٤) .
(٣) في بعض المصادر : الحسن انظر وفيات الأعيان (٢/ ٧٦) .
(٤) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٥) تاريخ بغداد (٨/ ٨٧) المنتظم (٧/ ٥) وفيات الأعيان (٢/ ٧٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) العبر (٢/ ٢٨٦) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٥) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٨) شذرات الذهب (٣/ ٣) .
(٥) في (ح) و(ب) و(ط) : الإيضاح ، وإخاله وهماً ، والمثبت من « طبقات الفقهاء » للشيرازي (١١٥) وعليه كل المصادر .
(٦) تاريخ بغداد (٩/ ٤١٠ ـ ٤١١) المنتظم (٧/ ٥) العبر (٢/ ٢٨٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٥١ ـ ٥٥٢) شذرات الذهب (٣/ ٣) .
(٧) في (ح) و(ب) و(ط) : ابن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، والمثبت من تاريخ بغداد (٩/ ٤١٠) وهو الصواب ، وعليه كل المصادر .
(٨) في (ح) و(ب) و(ط) : بويه ، وهو تحريف ، والمثبت من توضيح المشتبه (١/ ٤٨١) .
(٩) في بعض المصادر : عبيد الله ، وهو الأشبه . وترجمته في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢٢) المنتظم (٧/ ٥ ـ ٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٧) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٢٩) شذرات الذهب (٣/ ٥) .

موته][١] فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، وأمر بي إلى الجنَّة على ما كان مني من التخليط ، وقال لي : آليتُ ألا أعذِّب أبناء الثمانين .

وهذا الرجل هو أول من ولي قضاء القضاة ببغداد من الشَّافعية .

محمد بن أحمد بن خَنْب[٢] بن أحمد بن راجيان[٣] : أبو بكر الدِّهْقان ، بغداديٌّ ، سكن بُخَارى .

وحدَّث بها عن يحيى بن أبي طالب ، والحسن بن مُكْرم ، وغيرهما ، وتوفي عن سبعٍ وثمانين سنة[٤] .

أبو علي الخازن[٥] : توفي في شعبان من هذه السنة ، فوجد في داره من الدفائن ، وعند الناس من الودائع ما يقارب أربعمئة ألف دينار .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمئة

دخول الروم إلى حلب .

فيها دخل الدُّمَسْتَقُ ملك الرُّوم لعنه الله إلى حلب ، في مئتي ألف مقاتل ، وكان سبب ذلك أنه ورد إليها بغتةً ، فنهض إليه سيف الدولة بنُ حمدان بمن حضر من أصحابه ، فقاتله فلم يقو به لكثرة جنوده ، وقَتَلَ من أصحاب سيف الدولة خلقاً كثيراً ، وكان سيف الدولة قليلَ الصَّبْر ، ففر منهزماً في نفرٍ يسير من أصحابه ، فكان أول ما استفتح به [الدُّمَسْتَق قبَّحه الله][٦] أن استحوذ على دار سيف الدولة ظاهر البلد ، فأخذ منها أموالاً عظيمة وحواصل ، وعُدداً للحرب لا تحصى كثرة ، ثم تدنى ، فحاصر السور ، فقاتل أهل البلد دونه قتالاً عظيماً ، وقتلوا خلقاً كثيراً من الرُّوم ، وثلمت الروم في السور ثلمةً عظيمة ، فوقف فيه الروم ، فحمل المسلمون عليهم ، فأزاحوهم عنها ، فلما جنَّ الليل جدَّ المسلمون في عمارتها ، فما أصبح الصباح إلا وهي كما كانت ، وحفظوا السور حفظاً عظيماً ، ثم بلغ المسلمين أن رجَّالة الشرط قد عاثوا في البلد ينهبون الدُّور ، فرجع الناس إلى منازلهم يمنعونها منهم ، فغلبت الروم على السور فَعَلَوْه ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) ، وانظر « المنتظم » : (٧/ ٦) .

(٢) تاريخ بغداد (١/ ٢٩٦) الإكمال (١/ ١٦٩ ـ ١٧٠) الأنساب (٥/ ١٨٧ ـ ١٨٨) المنتظم (٧/ ٧) العبر (٢/ ٢٨٨) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤) شذرات الذهب (٣/ ٧) .

(٣) في (ح) حيان ، وفي (ب) حبان ، والمثبت من تاريخ بغداد والأنساب .

(٤) الصواب : عن أربع وثمانين سنة ، إذ ولد سنة (٢٦٦هـ) كما في مصادر ترجمته .

(٥) لم أقف على مصادر ترجمته .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

ودخلوا البلد يقتلون من لقوه ، فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً ، وانتهبوا الأموال والأولاد والنِّساء ، وخلَّصوا من كان بأيدي المسلمين من أسارى الروم ، وكانوا ألفاً وأربعمئة ، فأخذوا السيوف فقاتلوا مع قومهم ، وكانو أضرى على المسلمين [من قومهم][1] ، وأسروا نحواً من بضعة عشر ألفاً ما بين صبي وصبيَّة ، ومن النساء شيئاً كثيراً ، ومن الرجال ألفين ، وخربوا المساجد وأحرقوها ، وصبُّوا في حِباب الزيت الماء حتى فاض الزيت على وجه الأرض وهلك ، وكل شيء لا يقدرون على حمله أحرقوه ، وأقاموا في البلد تسعة أيام يفعلون هذه المفاسد العظيمة ، ثم عزم الدُّمَسْتَق على الانصراف خوفاً من رجوع سيف الدولة ، فقال له ابنُ أخيه : أتذهب وتترك القلعة وراءك ؟! فقال له : إنا قد بلغنا فوق ما كُنَّا نؤمله ، وإن بها مقاتلة ورجالاً غُزاةً . فقال : لابد لنا منها . فقال له : اذهب إليها . فَصَمَدَ إليها[2] ليحاصرها ، فرموه بحجر ، فقتلوه في السَّاعة الراهنة من بين الجيش كله ، فغضب الدُّمَسْتَق عند ذلك ، وأمر بإحضار من كان بأيديهم من أسارى المسلمين ، وكانوا قريباً من ألفين ، فَضُربت أعناقهم بين يديه لعنه الله ، ثم كر راجعاً قبحه الله .

وقد دخلوا عين زَرْبة[3] قبل ذلك في المحرَّم من هذه السنة أيضاً ، فاستأمنهم أهلُها ، فأمنهم الملك ، وأمر بأن يدخلوا كلهم إلى المسجد ، ومن بقي في منزله قتل ، فصار أهلها كلهم في المسجد ، ومن تأخر منهم قتل ، ثم قال : لا يبقين أحد منكم اليوم إلا ذهب حيث شاء ، ومن تأخر قتل . فازدحموا في خروجهم من المسجد ، فمات كثيرٌ منهم ، وخرجوا على وجوههم لا يدرون أين يذهبون ، فمات في الطُّرقات منهم خَلْقٌ كثير . ثم هَدَمَ الجامع وكسر المِنْبر ، وقطع من حول البلد أربعين ألف نخلة ، وهدم سور البلد والمنازل المشار إليها منها ، وأقام بها مدة ، وفتح حولها أربعةً وخمسين حِصْناً ، بعضها بالسيف وبعضها بالأمان ، وقتل خلقاً كثيراً ، وأسرتِ الرُّوم أبا فراس بن سعيد بن حمدان نائب مَنْبِج من جهة سيف الدولة ، وكان شاعراً مطبقاً ، له ديوان حسن ، وكان مدة مقامه بعين زَرْبة أحداً وعشرين يوماً ، ثم سار إلى قَيْساريَّة ، فلقيه أربعة آلاف من أهل طَرَسُوس مع نائبها ابن الزَّيَّات ، فَقَتَلَ أكثرهم ، وأدركه صوم النَّصارى ، فاشتغل به حتى فرغ منه ، ثم هجم على حلب بغتة ، فكان من أمره ما ذكرناه آنفاً .

وفي هذه السنة كتبت العامة من الرَّوافض[4] على أبواب المساجد ببغداد لعن معاوية بن أبي سُفْيان رضي الله عنه ، ولعن من غَصَبَ فاطمة فَدَكاً ؛ ـ يعنون أبا بكر رضي الله عنه ـ ومن أخرج العباس من الشُّورى ـ يعنون عمر رضي الله عنه ـ ومن نفى أبا ذرٍّ ـ يعنون عثمان رضي الله عنه ـ ومن منع دفن الحسن

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) أي قصدها . اللسان (صمد) .

(٣) في معجم البلدان (٤/ ١٧٧) : عين زربى ـ بألف مقصورة ـ بلد من نواحي المصيصة .

(٤) في هامش (ح) : كثر الروافض في بغداد بهذه السنة ، وأعلنوا اللعن قاتلهم الله .

عند جده ـ يعنون مروان بن الحكم ـ ولما بلغ ذلك معز الدولة لم ينكره ولم يغيره ، ثم بلغه أن أهل السنة مَحَوْا ذلك ، فأمر أن يكتب : لعن الله الظَّالمين لآل محمد من الأولين والآخرين ، والتصريح باسم معاوية في اللعن . فكتب ذلك . قبح الله معز الدولة وشيعته من الروافض ، وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب ، فيه تشيع وميل إلى الروافض ، ولا جَرَم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء ، ويديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم ، وتقليدهم سادتهم وكبراءهم ، وآباءهم ، وترك متابعتهم أنبياءهم وعلماءهم ، ولهذا لما ملكت الفاطمية بلاد الشام ، استحوذ على سواحلها كلها حتى بيت المقدس الفرنج ، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة ودمشق وبعض أعمالها ، وجميع السواحل مع الفرنج ، والنواقيس النصرانية والقسوس الإنجيلية تَنْعِرُ في الشَّواهق من الحصون والقلاع ، وتكفوا في أماكن المساجد وشريف البقاع[١] .

وفيها وقعت فتنة بين أهل البَصْرة بسبب السبِّ ، فقتل فيها خَلْقٌ كثير وجمٌّ غفير .

وفيها أعاد سيف الدولة بناء عين زَرْبة ، وبعث مولاه نجا ، فدخل بلاد الروم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وسبى جَمّاً غفيراً ، وغَنِمَ وسَلِمَ . وبعث حاجبه مع جيش طَرَسُوس ، فدخلوا بلاد الروم ، فغنموا وسبوا ورجعوا سالمين ، ولله الحمد والمنة .

وفيها فتح المُعزُّ الفاطمي حِصْن طَبَرْمين[٢] من بلاد المغرب ـ وكان من أحصن بلاد الفرنج ـ افتتحه قَسْراً بعد محاصرة سبعة أشهر ونصف شهر ، وقصدت الفرنج جزيرة أقْرِيطش ، فاستنجد أهلها بالمعز ، فَسَيَّر إليهم جيشاً ، فانتصروا على الفرنج ، ولله الحمد .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن محمد بن هارون[٣] : أبو محمد ، المُهلَّبي ، الوزير لمعز الدولة بن بُوَيْه .

مكث في وزارته ثلاث عشرة سنة ، وكان فيه حلم وكرم وأناة ، حكى أبو إسحاق الصَّابي قال : كنت يوماً عنده وقد جيء بدواة قد صُنعتْ له ومرفع قد حليا بحليةٍ كثيرة ، فقال لي أبو محمد الفضل بن

---

(١) في (ط) : زيادة : والناس معهم في حصر عظيم ، وضيق من الدين ، وأهل هذه المدن التي في يد المسلمين في خوفٍ شديد في ليلهم ونهارهم من الفرنج ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب ، وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء .

(٢) هي قلعة بصقِلِية ، « معجم البلدان » ٤/ ١٧ .

(٣) تجارب الأمم (١٢٣) يتيمة الدهر (٢/ ٢٠٢ ـ ٢١٨) الفهرست (١٩٤) المنتظم (٧/ ٩ ـ ١٠) معجم الأدباء (٩/ ١١٨ ـ ١٥٢) وفيات الأعيان (٢/ ١٢٤ ـ ١٢٧) المختصر في أخبار البشر (٢/ ١٠٤) العبر (٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٩٧ ـ ١٩٨) دول الإسلام (١/ ٢١٩) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (١٠٣ ـ ١٠٦) الوافي بالوفيات (١٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٧) فوات الوفيات (١/ ٣٥٣ ـ ٣٥٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٣٣) شذرات الذهب (٣/ ٩ ـ ١١) .

عبد الرحمن الشِّيرازي سراً بيني وبينه : ما كان أحوجني إليها لأبيعها ، وأنتفع بها . قلت : وأي شيء يفعل الوزير ؟ فقال : يدخل في حِرِ أمه . فسمعها الوزير ـ وكان مصغٍ إلينا ولا نشعر ـ فلما أمسى بعث بالدواة إلى أبي محمد الشِّيرازي ومرفعها ، وعشرة ثياب وخمسة آلاف درهم . واصطنع له غيرها ، فاجتمعنا يوماً آخر عنده وهو يوقع من تلك الدواة الجديدة ، فنظر إلينا فقال : هي لمن منكما يريدها مع العفاء من الدخول ، قال : فاستحيينا وعلمنا أنه كان سمع كلامنا يومئذٍ ، وقلنا : بل يمتع الله الوزير بها ، ويبقيه ليهب ألفاً مثلها .

توفي أبو محمد المُهَلَّبي في هذه السنة(١) عن أربع وستين سنة .

دَعْلج بن أحمد بن دَعْلَج بن عبد الرحمن(٢) : أبو محمد ، السِّجستاني ، المعدَّل .

سمع بخراسان وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة ، وكان من ذوي اليسار ، والمشهورين بالبر والأفضال ، وله صدقات جارية ، وأوقاف دارَّة على أهل الحديث ببغداد ومكة وسجستان ، وكانت له دار عظيمة ببغداد ، فكان يقول : ليس في الدُّنيا مثلها ، لأنه ليس في الدنيا مثل بغداد ، ولا في بغداد مثل القطيعة ، ولا في القطيعة مثل درب أبي خلف ، وليس في درب أبي خلف مثل داري .

وصنف الدَّارَقُطني له مسنداً . وكان إذا شك في حديثٍ تركه .

فكان الدَّارَقُطْنيُّ يقول : لم أر في مشايخنا أثبتَ منه .

وقد أنفق في أهل العلم وذوي الحاجات أموالًا جزيلة كثيرة جداً . اقترض منه بعضُ التُّجَّار عشرة آلاف دينار ، فضمن بها ضياعاً ، فربح في مُدَّة ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار ، فعزل منها عشرة آلاف دينار ، وجاءه بها ، فأضافه دَعْلَج ضيافة حسنة ، فلما فرغ من شأنها قال : ما شأنك ؟ قال له : هذه الدنانير التي تفضلت بها قد حضرت . فقال : يا سبحان الله ، إني لم أعطك لتردَّها ، فَحلِّ بها الأهل . فقال : إني قد ربحت بها ثلاثين ألف دينار ، فهذه منها . فقال له دَعْلَج : اذهب بها ، بارك الله لك ، فقال له : كيف يتسع مالك لهذا ؟ ومن أين أفدت هذا المال ؟ فقال : إني كنت في حداثة سني أطلب الحديث ، فجاءني رجل تاجر من أهل البحر ، فدفع إليَّ ألف ألف درهم ، وقال : اتجر في هذه ، فما كان من ربح فبيني وبينك ، وما كان من خسارة فعليَّ دونك ، وعليك عهد الله وميثاقه إن وجدت حاجة أو

---

(١) في بعض المصادر أنه توفي سنة (٣٥٢هـ) وفيات الأعيان (٢/ ١٢٧) .

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٣٨٧ ـ ٣٩٢) المنتظم (٧/ ١٠ ـ ١٤) وفيات الأعيان (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢) سير أعلام النبلاء (١٦ ـ ٣٠/ ٣٥) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٨١ ـ ٨٨٢) العبر (٢/ ٢٩١) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٧) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٣) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٣٣) طبقات الحفاظ (٣٦٠) شذرات الذهب (٣/ ٨) الرسالة المستطرفة (٧٣) .

خلة فسدَّها من مالي هذا . ثم جاءني فقال : إني سأركب في البحر ، فإن هلكتُ فالمال في يدك على ما شرطت عليك . فهو في يدي على ما قال . ثم قال لي : لا تخبر بهذا أحداً مدة حياتي . فلم أخبر به أحداً حتى مات . وقد كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن أربع أو خمس وتسعين سنة ، رحمه الله .

عبد الباقي بن قانع[١] بن مرزوق : أبو الحسن[٢] ، الأُمَوي مولاهم .

سمع الحارث بن أبي أسامة ، وعنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان من أهل الثقة والأمانة والحفظ ، ولكنه تغيَّر في آخر عمره . قال الدَّارَقُطْني[٣] : كان يخطىء ويُصرُّ على الخطأ ، توفي في شوالٍ منها[٤] .

أبو بكر النَّقَّاش المُفَسِّر[٥] محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر ، أبو بكر ، النَّقَّاش ، المفسِّر ، المقرىء .

مولى أبي دُجانة سِمَاك بن خَرَشة ، وأصله من المَوْصل ، وكان عالماً بالتفسير والقراءات ، وسمع الكثير في بلدانٍ شتى عن خلق من المشايخ ، وحدث عنه أبو بكر بن مجاهد ، والخُلْدي ، وابن شاهين ، وابن رزقويه ، وخلق ، وآخر من حدَّث عنه أبو علي بن شاذان ، وتفرَّد بأشياء منكرة ، وقد وقفه الدَّارَقُطني على كثيرٍ من أخطَائه ، فرجع عن ذلك ، وصرَّح بعضهم بتكذيبه ، فالله أعلم .

وله كتاب التفسير الذي سماه « شفاء الصدور » فقال بعضهم : بل هو إشفى[٦] الصُّدور[٧] .

---

(١) سؤالات السهمي (٢٣٦) الفهرست للطوسي (١٢٢) تاريخ بغداد (١١/ ٨٨ ـ ٨٩) الإكمال (٧/ ٩١) المنتظم (٧/ ١٤) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٨٣ ـ ٨٨٤) ميزان الاعتدال (٢/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣) العبر (٢/ ٢٩٢) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٧) الجواهر المضية (١/ ٢٩٣) لسان الميزان (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٣٣) طبقات الحفاظ (٣٦١) شذرات الذهب (٣/ ٨) الرسالة المستطرفة (١٢٧) .

(٢) في مصادر ترجمته ما عدا المنتظم والمرآة : أبو الحسين .

(٣) سؤالات السهمي للدارقطني ، رقم (٣٣٤) .

(٤) في الإكمال (٧/ ٩١) : أن وفاته سنة (٣٥٤هـ) .

(٥) الفهرست (٣٦) تاريخ بغداد (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٥) الأنساب (٥٦٦ب) تاريخ ابن عساكر (خ) (١٥/ ١٢١ب ـ ١٢٤آ) المنتظم (٧/ ١٤ ـ ١٥) معجم الأدباء (١٨/ ١٤٦ ـ ١٤٩) اللباب (٣/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٧٣ ـ ٥٧٦) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٠٨ ـ ٩٠٩) العبر (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٢٠) المغني في الضعفاء (٢/ ٥٧٠) معرفة القراء (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٨) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦) مرآة الجنان (٢/ ٣٤٧) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ٤٨٣) غاية النهاية (٢/ ١١٩ ـ ١٢١) لسان الميزان (٥/ ١٣٢) طبقات الحفاظ (٣٧٠ ـ ٣٧١) طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٣١ ـ ١٣٣) شذرات الذهب (٣/ ٨ ـ ٩) الرسالة المستطرفة (٧٧ ـ ٧٨) .

(٦) الإشفى : المثقب يخرز به ، يستعمله الإسكاف . اللسان (شفي) . وفي نسخة « سقام الصدور » .

(٧) قال الذهبي : الذي وضح لي أن هذا الرجل مع جلالته ونقله متروك ليس بثقة (تاريخ الإسلام ٨/ ٣٧) .

وقد كان رجلاً صالحاً في نفسه ، عابداً ناسكاً ، حكى من حضره أنه يجود بنفسه وهو يدعو بدعاء ثم رفع صوته يقول : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات : ٦١] يردِّدها ثلاث مرات ، ثم خرجت روحه ، رحمه الله . وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء الثاني من شوال من هذه السنة ، ودفن في داره بدار القُطْن .

محمد بن سعيد[١] : أبو بكر الحَرْبي ، الزاهد ، ويعرف بابن الضَّرير .

وكان ثِقَةً عابداً ، ومن كلامه قوله : دافعتُ الشهواتِ حتى صارت شهوتي المُدَافعة .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وثلاثمئة[٢]

في عاشر المُحرَّم من هذه السنة أمر معز الدولة بن بويه أن تغلق الأسواق ، وأن يَلْبسَ الناسُ المسوحَ من الشعر ، وأن يخرج النساء حاسرات عن وجوههن ، ناشرات شعورهن في الأسواق ، يلطمن وجوههن ، ينحن على الحسين بن عليّ ، ففعل ذلك ، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة وكون السلطان معهم .

وفي ثامن عشر ذي الحجة منها أمر معز الدولة بإظهار الزينة ببغداد ، وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد ، وأن تضرب الدبادب والبُوقات ، وأن تشعل النيران بأبواب الأمراء وعند الشرط ، فرحاً بعيد الغدير ، فكان وقتاً عجباً ، ويوماً مشهوداً ، وبدعة ظاهرة منكرة .

وفيها أغارت الروم على الرُّها ، فقتلوا وأسروا ، ورجعوا موفورين لعنهم الله ، وثارت الروم بملكهم فقتلوه ، وولَّوْا غيره .

ومات الدُّمَسْتَق ، ملك الأرمن ، واسمه النقفور ، وهو الذي أخذ حلب ، [وولوا غيره][٣] ، ولتكتب ترجمته في آخر الجزء[٤] .

وفيها عُزِلَ ابنُ أبي الشوارب عن القضاء ، ونقضت سجلاته ، وأبطلت أحكامه مُدَّة أيامه ، وولي

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٣١٠) المنتظم (٧/ ١٥) .
(٢) في هامش (ح) : بلغ مقابلة بأصله المنقول منه .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٤) وردت ترجمة نقفور في المطبوع عقب هذه الجملة ، وجاءت في (ح) و(ب) في آخر حوادث سنة (٣٥٥هـ) ، وهو ما أراده ابن كثير ، وقد زاد هذا الأمر تأكيداً ما ذكره ص٢٦١ من أن القصيدة التي بعث بها نقفور إلى المطيع قد أوردها في آخر الجزء الذي قبل هذا في سنة خمس وخمسين وثلاثمئة ، لذا آثرنا إثباتها كما في نسخنا الخطية ، فلتنظر هناك .

القضاء بدله أبو بِشْر عمر بن أكثم بلا رزق ، ورفع عنه ما كان يحمله ابن أبي الشوارب في كل سنة ، ولله الحمد .

وفي ذي الحجة استسقى الناس لتأخر المطر ، وذلك في كانون الثاني .

وحكى ابن الجوزي في « المنتظم » عن ثابت بن سِنَان المؤرِّخ ، قال : حدَّثني جماعة من أهل المَوْصل ممن أثق به أن بعض بطارق الأرمن أنفذ في سنة ثنتين وخمسين وثلاثمئة إلى ناصر الدولة بن حمدان رجلين من الأرمن ملتصقَيْن ، سِنُّهما خمس وعشرون سنة ، ملتحيين ومعهما أبوهما ، ولهما سُرَّتان وبطنان ومعدتان ، وجوعهما يختلف ، وكان أحدهما يميل إلى النِّساء والآخر يميل إلى الغِلْمان ، وكان يقع بينهما خصومةٌ وتشاجر ، وربما حلف أحدهما لا يكلِّم الآخر ، فيمكث كذلك أياماً ، ثم يصطلحان ، فوهبهما ناصرُ الدولة ألفي درهم ، وخلع عليهما ودعاهما إلى الإسلام ، فيقال إنهما أسلما . وأراد أن يبعثهما إلى بغداد ليراهما الناس ، ثم إنه رجع عن ذلك ، ثم إنهما رجعا إلى بلدهما مع أبيهما ، فاعتلَّ أحدهما ومات ، وأنتنَ ريحه ، وبقي الآخر لا يمكنه التخلُّص منه ، وكان اتصال ما بينهما من الخاصرتين ، وقد كان ناصر الدولة أراد فصل أحدهما من الآخر ، وجمع الأطباء لذلك فلم يمكن ، فلما مات أحدهما حار أبوهما في ذلك ، فاتفق اعتلال الآخر من غمه بنتن رائحة أخيه ، فمات غماً ، فدفنا جميعاً في قبرٍ واحد[١] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عمر بن أكثم[٢] بن أحمد بن حَيَّان[٣] بن بشْر : أبو بشر ، الأسَدي ، الفقيه الشافعي .

ولد سنة أربع وثمانين [ومئتين][٤] ، وولي القضاء في زمن المطيع نيابةً عن أبي السَّائب عتبة بن عبيد الله ، ثم ولي قضاء القضاة ، وهو أول من ولي قضاء القضاة من الشَّافعية سوى أبي السائب ، وكان محمود السيرة في القضاء ، وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة[٥] .

---

(١) انظر المنتظم (٧/ ١٦ ـ ١٧) .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) المنتظم (٧/ ١٧ ـ ١٨) تاريخ الإسلام (٨/ ١١٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١١) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٧٠) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٧٨ ـ ٧٩) .

(٣) في تاريخ بغداد (١١/ ٢٤٩) : حبان ، وهو تصحيف ، وترجمة جد أبيه حيان بن بشر في ذكر أخبار أصبهان (١/ ٣٠١) وتاريخ بغداد (٨/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) تابع ابنُ كثير ابنَ الجوزي في منتظمه (٧/ ١٧ ـ ١٨) في ذكر وفاته في هذه السنة ، والذي في مصادر ترجمته أنه توفي سنة (٣٥٧هـ) ، وهو الصحيح ، وانظر تاريخ بغداد (١١/ ٢٥٠) .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة

في عاشر المُحَرَّم عملت الرَّافضة عن الحسين كما تقدَّم في السنة الماضية ، فاقتتل الروافض وأهل السنة في هذا اليوم قتالاً شديداً ، ونُهبت الأموال .

وفيها عصى نجا غلام سيف الدولة عليه ، وذلك أنه كان في العام الماضي قد صادر أهل حَرَّان ، وأخذ منهم أموالاً كثيرة . فتمرَّد بها ، وذهب إلى بلاد أذربيجان[١] ، فأخذ طائفة منها من يد رجل من الأعراب يقال [له][٢] أبـو الورد ، فقتله ، وأخذ من أمواله شيئاً كثيراً ، وقويت شوكته بسبب ذلك ، فسار إليه سيف الدولة ، فأخذه وأمر بقتله ، فقتل بين يديه ، وألقيت جثته[٣] في الأقذار ومحل الجيف والنتن .

وفيها جاء الدُّمَسْتَق إلى المَصِّيْصة في جيش كثيف ، فحاصرها ، ونقب سورها ، فدافعه أهلها ، فأحرق رستاقها وقتل ممن حولها خمسة عشر ألف إنسان ، وعاثوا [في الأرض][٤] فساداً في بلاد أذنه وطَرَسُوس ، وكرُّوا راجعين إلى بلادهم ، قبحهم الله .

وفيها قصد معز الدولة المَوْصِل وجزيرة ابن عمر ، فأخذها من يد ناصر الدولة بن حمدان ، ثم سار في طلب ناصر الدولة ، فكرَّ ناصر الدولة في جيش قد هيأه ، فاسترجع الملك من يد معز الدولة ، فعاد معز الدولة ، فأخذ الموصل وأقام بها ، فراسله في الصُّلْح ، فاصطلحا على أن يكون الحمل في كل سنة ، وأن يكون أبو تغلب بن ناصر الدولة وليَّ عهد أبيه من بعده ، فأجاب معز الدولة إلى ذلك ، وكرَّ راجعاً إلى بغداد بعدما جرت له خُطُوب طويلة قد استقصاها ابن الأثير في « كامله »[٥] وبسطها .

وفيها ظهر رجلٌ ببلاد الدَّيْلم ، وهو أبو عبد الله[٦] محمد بن الحسين من أولاد الحسن بن علي ، ويعرف بابن الدَّاعي ، فالتفَّ عليه خلق كثير ، ودعا إلى نفسه وتسمَّى بالمَهْدي ، وكان أصله من بغداد ، وانتظم له شأن بتلك البلاد ، وهرب منه ابن النَّاصر العلوي .

وفيها قصد ملك الرُّوم وفي صحبته الدُّمَسْتَق ملك الأرمن بلاد طَرَسُوس فحاصرها مُدَّة ، ثم غلت

---

(١) في الكامل (٨/ ٥٥١) بلاد أرمينية ، وهو الصواب .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) في (ح) : جيفته ، والمثبت من (ب) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) انظر الكامل (٨/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤) .
(٦) في (ح) و(ب) أبو عبيد الله ، والمثبت من (ط) ، والكامل (٨/ ٥٥٥) .

عليهم الأسعار ، وأخذ فيهم الوباء ، فمات كثير منهم ، فكرُّوا راجعين كما قال الله تعالى : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] وكان من عزمهم أنهم يستحوذون على البلاد كلها ، فرجعوا خاسئين .

وفيها كانت وقعة المجاز ببلاد صِقِلّيّة ؛ وذلك أنه أقبل من الروم خلق كثير ، ومن الفرنج ما يقارب المئة ألف ، فبعث أهل صقلية إلى المعز الفاطمي يستنجدونه ، فبعث إليهم بجيوشٍ كثيرة في الأسطول ، فكانت بين المسلمين والمشركين وقعة عظيمة صبر فيها الفريقان من أول النهار إلى العصر ، ثم قُتل أمير الرُّوم منويل ، وفرّت الروم ، وانهزموا هزيمة قبيحة ، فقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً ، وسقط الفرنج في وادٍ عميق ، فهلك أكثرهم ، وركب الباقون في المراكب ، فبعث الأمير أحمد صاحب صِقِلّيّة في آثارهم مراكب أخر ، فقتلوا أكثر المشركين في البحر أيضاً ، وغنم المسلمون في هذه الغزوة شيئاً كثيراً من الأموال والحيوانات والأمتعة والأسلحة ، فكان في جملة ذلك سيف مكتوب عليه : هذا سيف هندي ، زنته مئة وسبعون مثقالاً ، طالما قوتل به بين يدي رسول الله ﷺ ، فبُعث في جملة تحف عظيمة إلى المعز الفاطمي إلى إفريقية .

وفيها قصدت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد ابن الإخشيد صاحب مصر والشّام ، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحاً ، فقلع لهم أبواب الرَّقَّة ـ وكانت من حديد ـ [صامت][1] [وأخذ لهم من حديد الناس][2] حتى أخذ أواقي الباعة ، وأرسل بذلك كله إليهم ، حتى قالوا : اكتفينا .

وفيها طلب معز الدولة من الخليفة المطيع لله أن يأذن له في دخول دار الخلافة ليتفرج فيها ، فبعث خادمه وحاجبه معه ، فطافوا معه فيها وهو يسرع ، وخرج وقد خاف من غائلة ذلك ، وخشي أن يقتل في بعض الدهاليز ، فتصدَّق بعشرة آلاف شكراً لله عزَّ وجلَّ على السلامة ، وازداد حباً للخليفة المطيع لله من يومئذٍ ، وكان في جملة ما رأى من العجائب بها صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جداً ، وحولها أصنام صغار ، وكان قد أُتي به في زمن المقتدر ، فأقيم هناك ليتفرج عليه الجواري والنِّساء ، فهمَّ المعز أن يطلبه من الخليفة ، ثم ارتأى ، فترك ذلك[3] .

وفي ذي الحجَّة من سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة خرج رجل بالكوفة ، فادَّعى أنه علوي ، وكان يتبرقع ، فسمي المبرقع ، وغلظت قضيته وبَعُدَ صيته ، وذلك في غيبة معز الدولة عن بغداد ، واشتغاله

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) انظر الخبر بتفصيل في المنتظم (٧/ ٢٠ ـ ٢١) .

بأمر المَوْصِل وناصر الدولة بن حمدان ، فلما توطأت الأمور وعاد إلى بغداد ، اختفى المبرقع ، وذهب في البلاد فلم يفتح له أمر بعد ذلك .

وممن توفي فيها من الأعيان :

بكَّار بن أحمد[١] بن بكَّار بن بُنان بن بَكَّار بن زياد بن درستويه : أبو عيسى[٢] ، المقرىء .

روى الحديث عن عبد الله بن أحمد ، وعنه أبو الحسن الحمَّامي ، وكان ثقة ، أقرأ القرآن أكثر من ستين سنة رحمه الله ، وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين[٣] ، ودفن بمقبرة الخيزران عند قبر أبي حنيفة ، رحمه الله .

أبو إسحاق الهُجَيمي[٤] : ولد في سنة خمسين ومئتين ، وسمع الحديث ، فكان إذا سئل أن يحدِّث يقسم لا يحدث حتى يجاوز المئة . فأبَرَّ الله قسمه ، وجاوزها ، فأسمع . وكانت وفاته في هذه السنة عن مئة وثلاث سنين ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمئة

في عاشر المُحَرَّم عملت الشيعة المأتم على ما تقدم في السنتين الأولتين ؛ غلقت الأسواق وعلِّقت المسوح ، وخرجت النساء سافرات ناشرات ، ينحن ويلطمن وجوههن في الأزقة والأسواق ، وهذا تكلُّفٌ لا حاجة إليه في الدين ولا في الدنيا ، ولو كان هذا أثراً محموداً لكان صَدْرُ هذه الأمة وخيرتها أولى به ، إذ لو كان خيراً لسبقونا إليه ، وأهل السنة يقتدون ولا يبتدون .

وتسلطت السُّنَّة على الروافض ، فكبسوا مسجد براثا الذي هو عش الرَّوافض ، وقتلوا بعض من كان فيه من القومة .

وفيها في رجب منها جاء ملك الرُّوم بجيوشٍ كثيفة إلى المَصِّيصة ، ففتحها قَسْراً ، وقَتَلَ من أهلها خَلْقاً ، واستاق بقيتهم معه أسارى ، وكانوا قريباً من مئتي ألف إنسان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وجاء إلى طَرَسُوس ، فسأل أهلها منه الأمان فأمنهم ، وأمرهم بالجلاء عنها والانتقال منها ، فاتخذ الجامع اصطبلاً لخيوله ، وحرَّق المنبر ونقل قناديله إلى كنائس بلده ، وتنصَّر بعض أهلها معه لعنه الله ، وكان أهل

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ١٣٤ ـ ١٣٥) معرفة القراء (١/ ٣٠٦) غاية النهاية (١/ ١٧٧) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : ابن عيسى ، والمثبت من تاريخ بغداد (٧/ ١٣٤) وهو ما عليه المصادر كلها .

(٣) ولد سنة (٢٧٥هـ) ، انظر تاريخ بغداد (٧/ ١٣٤) .

(٤) المنتظم (٧/ ٢٣) .

طرسوس والمَصِّيصة قد أصابهم قبل هذا البلاءِ غلاءٌ عظيم ، ووباء شديد ، بحيث كان يموت في اليوم منهم ثلاثمئة نفس ، ثم دهمهم هذا الأمر الشديد ، فانتقلوا من شهادة إلى شهادة أعظم منها . وعزم ملك الروم على المقام بطرسوس ليكون أقرب إلى بلاد المسلمين ، ثم عنّ له ، فسار إلى القُسْطنطينية وفي خدمته الدُّمَسْتَق ملك الأرمن ، لعنهما الله .

وجعل أمر تسفير الحجيج إلى نقيب الطالبيين ، وكتب له منشور بالنقابة والحجيج وهو أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوي[١] ، وهو والد الرضي والمرتضى .

وفيها توفيت أخت معز الدولة ، فركب الخليفة في طيّارة[٢] ، وجاءإليه فعزّاه ، فقبّل معز الدولة الأرض بين يديه ، وشكر له سعيه إليه ، وصدقاته عليه .

وفي ثامن عشر ذي الحجة منها عملت الروافض عيد غدير خم على العادة الجارية التي ذكرناها[٣] .

وفيها تغلب على أنطاكية رجلٌ يقال له رشيق النسيمي بمساعدةِ رجلٍ يقال له ابن الأهوازي : كان يضمن الطَّواحين ، فأعطاه أموالاً وأطمعه في أخذ أنطاكية ، وأخبره أن سيف الدولة قد اشتغل بمَيَّافارِقين ، وعجز عن الرجوع إلى حلب ، فتمَّ لهما ما راماه من أخذ أنطاكية ، ثم ركبا في جيوش منها إلى حلب ، فجرت بينهما وبين نائب سيف الدولة حروبٌ عظيمة ، ثم أخذ البلد ، وتحصَّن النائب بالقلعة ، فجاءت النجدة من سيف الدولة إلى حلب مع غلامٍ له اسمه بشارة ، فانهزم رشيق ، فسقط عن فرسه ، فابتدره بعضُ الأعـراب ، فقتله وأخذ رأسه ، فجـاء به إلى حلب ، واستقلَّ ابنُ الأهوازي سائراً إلى أنطاكية ، فأقام رجلاً من الرُّوم[٤] اسمه وزير فسماه الأمير ، وأقام آخر من العلويين ليجعله خليفه وسماه الأستاذ . فقصده نائب حلب وهو قرغويه ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، فهزمه ابنُ الأهوازي واستقر بأنطاكية ، فلما عاد سيف الدولة إلى حلب لم يبت بها إلا ليلة واحدة حتى سار إلى أنطاكية [فالتقاه ابن الأهوازي][٥] فاقتتلوا قتالاً عظيماً ثم انهزم الوزير وابنُ الأهوازي وأُسرا ، فقتلهما سيف الدولة بن حمدان[٦] .

وفيها ثار رجل من القرامطة اسمه مروان ـ كان يحفظ الطُّرقات لسيف الدولة ـ بحمص ، فملكها وما حولها ، فقصده جيش من حلب مع الأمير بدر ، فاقتتلوا معه ، فرماه بدر بسهم مسموم فأصابه ،

---

(١) في (ح) : الدينوري ، وهو وهم والمثبت من (ب) .
(٢) ضرب من السفن .
(٣) انظر حوادث سنة (٣٥٢هـ) .
(٤) في « الكامل » : (٨/ ٥٦٢) من الديلم .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) انظر الكامل (٨/ ٥٦١ ـ ٥٦٢) .

واتفق أن أسر أصحابُ مروان بدراً ، فقتله مروان بين يديه صبراً ، ومات مروان بعد أيام ، وتفرقت أصحابه ، قبحهم الله .

وفيها عصى أهل سِجِسْتان أميرَهم خلف بن أحمد ، وذلك أنه حجَّ في سنة ثلاث وخمسين ، واستخلف عليهم طاهر بن الحسين ، فطمع في الملك بعده ، واستمال أهل البلد ، فلما رجع من الحجِّ لم يسلمه البلد وعصى عليه ، فذهب إلى بخارى إلى الأمير منصور بن نوح السَّاماني فاستنجده ، فبعث معه جيشاً فاستنقذ البلد من طاهر ، وسلَّمها إلى الأمير خلف بن أحمد ـ وقد كان خلف عالماً محباً للعلماء ـ فذهب طاهر ، فجمع جموعاً ، ثم جاء فحاصر خلفاً وأخذ منه البلد ، فرجع خلف إلى الأمير منصور السَّاماني ، فبعث معه من استرجع له البلد ثانية وسلَّمها إليه ، فلما استقرَّ خلف بها ، وتمكَّن فيها ؛ منع ما كان يحمله من التحف والهدايا والحمل إلى الأمير منصور ببخارى ، فبعث إليه جيشاً ، فتحصَّن خَلَف في حصنٍ يقال له حصن أرك ، فنازله الجيش فيه تسع سنين[١] لم يقدروا عليه ، وذلك لمناعة هذا الحصن وصعوبته وعمق خندقه وارتفاعه هو في نفسه ، وسيأتي ما آل إليه أمره من بعد ذلك .

وفيها قصدت طائفة من الترك بلاد الخَزَر ، فاستنجد الخَزَر بأهل خوارزم فقالوا : لو أسلمتم لنصرناكم . فأسلموا إلا ملكهم ، فقاتلوا معهم الترك ، فأجلوهم عنهم ، ثم أسلم الملك بعد ذلك ، ولله الحمد والمنة .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

المُتَنبِّي الشَّاعر المشهور[٢] ، **أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصَّمد** : أبو الطيب ، الجُعْفي ، الشَّاعر المعروف بالمتنبي .

وكان أبوه يعرف بعِيْدان السَّقَّاء ـ كان يستقي الماء لأهل الكوفة على بعيرٍ له ، وهو شيخٌ كبير . وعِيْدان [هذا][٣] قال ابن ماكُولا والخطيب : هو بكسر العين وبعدها ياء مثناة من تحت ، وقيل بفتح العين لا كسرها[٤] ، فالله أعلم .

كان مولد المتنبي بالكوفة سنة ستٍّ وثلاثمئة[٥] ، ونشأ بالشَّام بالبادية ، وطلب الأدب ، ففاق أهل

---

(١) في الكامل (٨/ ٥٦٤) : سبع سنين .
(٢) مصادر ترجمته أكثر من أن تحصى ، ومن أمتع الدراسات عنه ما خطَّه يراع شيخ العربية محمود محمد شاكر في كتابه « المتنبي » .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٤) انظر الإكمال (٦/ ٩٩) وترجمة المتنبي لابن العديم المنشورة ضمن كتاب « المتنبي » للعلامة محمود محمد شاكر (٦٠٩) وفي بعض المصادر : عبدان ، وهو تصحيف .
(٥) المشهور أنه ولد سنة (٣٠٣هـ) .

زمانه فيه ، ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان ، وامتدحه وحظي عنده ، ثم صار إلى مصر ، فامتدح كافور الإخشيذي ثم هجاه وهرب منه ، وورد بغداد ، فامتدح بعض أهلها ، وسمع عليه ديوانه ، وقدم الكوفة ، وامتدح بعض الأكابر وهو ابن العميد ، فوصله من جهته ثلاثون ألف دينار ، ثم سار إلى فارس فامتدح عضد الدولة بن بُوَيه ، فأطلق له أموالاً جزيلة تقارب مئتي ألف دِرْهم ، وقيل : بل حصل له نحو من ثلاثين ألف دينار ، ثم دَسَّ إليه من يسأله : أيما أحسن ، عطايا عضد الدولة بن بويه أو سيف الدولة بن حمدان ؟ فقال : هذه أجزل ولكن فيها تكلُّف ، وتلك أقل ولكن عن طيب نفس من معطيها ؛ لأنها عن طبيعة وهذه [عن][1] تكلف ، فذكر ذلك لعضد الدولة فتغيظ عليه ، ودسَّ إليه طائفة من الأعراب ، فوقفوا له في أثناء الطريق وهو راجع إلى بغداد ، ويقال : إنه كان قد هجا مقدَّمهم ضَبَّة الأسدي ـ وقد كانوا يقطعون الطريق ـ فلهذا أوعز إليهم عضد الدولة أن يتعرَّضوا له ، فيقتلوه ويأخذوا لهم ما معه من الأموال ، فانتهوا إليه وهم ستون راكباً في يوم الأربعاء وقد بقي من رمضان ثلاثة أيام ، وقيل : بل قتل في يوم الإثنين لخمسٍ بقين من رمضان ، ويقال : بل كان ذلك في شعبان ، وقد نزل عند عينٍ تحت شجرة إنجاص ، وقد وضعت سفرته ليتغدَّى ، ومعه ولده مُحَسَّد[2] وخمسة عشر غلاماً له ، فلما رآهم قال : هلموا يا وجوه العرب . فلما لم يكلِّموه أحسَّ بالشر ، فنهض إلى سلاحه وخيله ، فتواقفوا ساعة ، فقتل ابنه مُحسَّد وبعض غلمانه ، وأراد هو أن ينهزم ، فقال له مولى له : أين تذهب وأنت القائل :

فـالليْـلُ والخَيْـلُ والبَيْـداءُ تَعْـرِفُنـي ... والحَرْبُ والضَّرْبُ والقِرْطاسُ والقَلَمُ[3]

فقال : ويحك قتلتني . ثم كرَّ راجعاً ، فطعن[4] زعيمَ القوم برمح في عنقه فقتله ، فاجتمعوا عليه فسجروه بالرِّماح حتى قتلوه ، وأخذوا جميع ما كان معه من الأموال ، وذلك بالقرب من النُّعْمانية ، وهو آيب إلى بغداد ، ودفن هناك وله من العمر ثمانٍ وأربعون سنة .

وذكر ابنُ عساكر أنه لما نزل في المنزلة التي كانت قبل منزلته هذه ، سأله بعضُ الأعراب أن يعطيهم خمسين دِرْهماً ويخفرونه ، فمنعه الشحُ والكِبْر ودعوى الشجاعة من ذلك . وقد كان المتنبي جُعْفيَّ النسب صليبة منهم ، وقد ادَّعى حين كان مع بني كلب بأرض السَّماوة ؛ قريباً من حمص أنه علوي حسني ، ثم ادَّعى أنه نبيٌّ ، فاتبعه جماعةٌ من جهلتهم وسفلتهم ، وزعم أنه أنزل عليه قرآن فمن ذلك : والنَّجم

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) محسن أينما ورد ، وهو تحريف ، والمثبت من وفيات الأعيان (١/ ١٢٥) .

(٣) كذا ورد البيت في (ح) و(ب) ، وفي « ديوانه » بشرح العكبري (٣/ ٣٦٩) .

فالخيل والليل والبيداء تعرفني ... والضرب والطعن والقرطاس والقلمُ

(٤) في (ب) : فطعنه .

السَّيَّار ، والفلك الدَّوَّار ، والليل والنهار ، إنَّ الكافر لفي أخطار ، امض على سَنَنك[١] ، واقْفُ أثَرَ من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامعٌ بك من ألحد في دينه ، وضلَّ عن سبيله .

وهذا من خِذْلانه وكثرة هَذَيانه في قرآنه ، ولو لزم قافية مدحه والهجاء لكان من أشعر الشعراء ، وأفصح الفصحاء ، ولكن أراد بجهله وقلة عقله أن يتقول ما يشبه كلامَ رَبِّ الأرض والسماء الذي لا يشبهه شيء من الأشياء لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله وأقواله ، تعالى الله خالق الأشياء .

ولما اشتُهر خبره بأرض السَّماوة ، وأنه قد التفَّ عليه جماعةٌ من أهل الغباوة ، خرج إليه نائب حمص من جهة بني الإخشيذ وهو الأمير لؤلؤ ـ بيَّض الله وجهه ـ فقاتله وشرَّد شمله ، [وأسره][٢] وسجنه دهراً طويلاً ، فَمَرِضَ في السِّجْن ، وأشرف على التَّلف ، فاستحضره واستتابه ، وكتب عليه كتاباً اعترف فيه ببطلان ما ادَّعاه ، وأنه قد تاب من ذلك ورجع إلى دين الإسلام ، وأطلق سراحه ، فكان بعد ذلك إذا ذكر بهذا يجحده إن أمكنه جحده ، وإلا اعتذر منه واستحيا من ذلك ، وقد شهره بلفظة[٣] تدلُّ على كذبه فيما كان ادَّعاه من الإفك والبهتان ، وهي لفظة المتنبي ، الدَّالة على الكذب ، ولله الحمد .

وقد قال بعضهم يهجوه :

أيُّ فَضْلٍ لشاعرٍ يطلبُ الفَضْـ ... ـلَ من النَّاسِ بُكْرةً وعَشِيَّا
عاشَ حيناً يبيعُ في الكوفةِ الما ... ءَ وحيناً يبيعُ ماءَ المُحَيَّا

وللمتنبي ديوان مشهور في الشعر ، فيه أشعار رائقة ومعانٍ ليست بمسبوقة ، بل مبتكرة سابقة ، وهو في الشعراء المحدثين كامرىء القيس في الشعراء المتقدمين ، وهو عندي بخط يده فيما ذكر من له خبرة بهذه الأشياء مع تقدُّم أمره .

وقد ذكر أبو الفرج بن الجَوْزي في « منتظمه » قطعاً رائقة استحسنها من ديوانه ، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر شيخ إقليمه وحافظ زمانه ، فما استملحه أستاذ الوعاظ الشيخ أبو الفرج بن الجوزي قول المتنبي :

عزيزُ أسىً منْ داؤه الحَدَقُ النُّجْلُ ... عياءٌ بهِ ماتَ المُحبُّونَ منْ قَبْلُ
فَمَنْ شاء فَلْيَنْظُرْ إليَّ فَمَنْظري ... نذيرٌ إلى من ظنَّ أنَّ الهوى سَهْلُ
جَرَى حبُّها مَجْرَى دمي في مفاصِلي ... فأصبحَ لي عن كُلِّ شُغْلٍ بها شُغْلُ
ومنْ جسدي لم يَتْرُكِ السُّقْمُ شَعْرَةً ... فما فَوْقَها إلا وفيه لهُ فِعْلُ

---

(١) في (ب) : سبيلك . وامض على سننك : أي وجهك وقصدك . اللسان (سنن) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) في (ح) و(ب) بصفة ، والمثبت من (ط) .

كـأنَّ رَقيبـاً منـكِ سَـدَّ مسامعـي عن العَذْلِ حتى ليس يَدْخُلُها العَذْلُ
كـأنَّ سُهـادَ الليـل يَعْشـقُ مُقْلتـي فبينهمـا فـي كـلِّ هَجْرٍ لنا وَصْلُ[١]

ومن ذلك قوله :

كَشَفَتْ ثلاثَ ذوائبٍ من شَعْرِها فـي ليلـةٍ فـأَرَتْ ليـالـيَ أربعـا
واسْتَقْبَلَـتْ قَمَـرَ السَّمـاءِ بـوجهها فَـأَرَتْني القَمَـرَيْـنِ فـي وَقْـتٍ معـاً[٢]

ومن ذلك قوله :

مـا نـالَ أهْـلُ الجـاهليَّـة كُلُّهُـمْ شِعْـري ولا سَمِعَـتْ بِسِحْـري بـابـلُ
وإذا أتَتْـكَ مَـذَمَّتـي مـن نـاقِـصٍ فَهِـيَ الشَّهـادةُ لـي بـأنّـي كـامـلُ[٣]
مـنْ لـي بفَهْـمِ أُهَيْـلِ عَصْـرٍ يَـدَّعـي أن يَحْسُـبَ الهِنْـديَّ منهـم بـاقِـلُ[٤]

وله :

ومنْ نَكَدِ الدُّنيا على الحُرِّ أن يرى عَـدُوّاً لـهُ مـا مـنْ صَـدَاقتـهِ بُـدُّ[٥]

وقوله :

وإذا كـــانَــتِ النُّفُــوسُ كِبــاراً تَعِبَــتْ فــي مُــرَادهــا الأجْسَــامُ[٦]

وقوله :

ومنْ صَحِبَ الدُّنْيا طويلاً تَقَلَّبَتْ على عَيْنِهِ حتى يَرَى صِدْقَها كِذْبا[٧]

وله :

خُـذْ مـا تـراهُ وَدَعْ شيئـاً سَمِعْـتَ بـهِ في طَلْعَةِ الشَّمْسِ ما يُغنيكَ عن زُحَلِ[٨]

وله في مدح بعض الملوك الذين كان يستمنح منهم العطاء :

---

(١) انظر القصيدة بتمامها في ديوانه بشرح العكبري (٣/ ١٨٠ ـ ١٩١) والأبيات ليست في مطبوع المنتظم .
(٢) البيتان في « ديوانه » بشرح العكبري (٢/ ٢٦٠) .
(٣) في (ح) و(ب) : فاضل ، والمثبت من (ط) ، و« الديوان » .
(٤) ديوانه (٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠) .
(٥) الديوان (١/ ٣٧٥) .
(٦) الديوان (٣/ ٣٤٥) .
(٧) الديوان (١/ ٥٧) .
(٨) الديوان (٣/ ٨١) .

تَمْضي المواكبُ[١] والأبصارُ شَاخِصَةٌ منهـا إلـى الملـكِ المَيْمُـونِ طَـائِـرُهُ
قـد حِـزْنَ فـي بَشَـرٍ فـي تـاجـه قمرٌ فـي دِرْعِـهِ أَسَـدٌ تَـدْمَـى أظَـافِـرُهُ
حُلْـوٌ خـلائِقُـهُ شُـوسٌ حَقـائِقُـهُ تُحْصَى الحَصَى قَبْلَ أنْ تُحْصَى مآثِرُهُ[٢]

ومنها قوله :

يـا مـنْ أَلُـوذُ بـه فيمـا أُؤَمِّلُـهُ ومـنْ أعـوذُ بـهِ ممَّـا أُحـاذِرُهُ
لا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْماً أنتَ كاسِرُهُ ولا يَهِيْضونَ عَظْماً أنتَ جابِرُهُ[٣]

وقد بلغني عن شيخنا العلامة أبي العباس ابن تيمية رحمه الله أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة ويقول : إنما يصلح هذا لجناب الله عزَّ وجلَّ .

وأخبرني العلامة شمس الدين بن القيِّم أنه سمع الشيخ يقول : ربما قلت هذين البيتين في السجود .

ومما أورده الحافظ أبو القاسم ابن عساكر من شعر المتنبي في ترجمته قوله :

أبعيـنِ مُفْتَقِـرٍ إليـكَ رأيتنـي فهجـرتنـي وقـذَفْتنـي مـن حَـالـقِ
لسـتَ الملـومَ أنـا الملـومُ لأنَّنـي أنْـزَلْـتُ حـاجـاتي بغيرِ الخَالِقِ[٤]

قال القاضي ابن خَلِّكان : وهذان البيتان ليسا في ديوانه ، وقد رواهما الحافظ الكِنْدي إليه بسندٍ صحيح .

ومن ذلك قوله :

إذا غـامَـرْتَ فـي شَـرَفٍ مَـرُوم فـلا تَقْنَـعْ بمـا دونَ النُّجـوم
فَطَعْـمُ المَـوْتِ فـي أمـرٍ حقيـرٍ[٥] كَطَعْـمِ المـوتِ فـي أمـرٍ عَظِيْـمِ[٦]

قوله :

وما أنا بالبَاغي على الحُبِّ رِشْوَةً قبيحٌ[٧] هَوًى يُرجى[٨] عليه ثَوَابُ

---

(١) في (ح) و(ب) و(ط) : الكواكب ، والمثبت من « الديوان » .
(٢) الديوان (٢/ ١١٩ ـ ١٢٠) .
(٣) الديوان (٢/ ١٢٢) .
(٤) انظر البيتين في وفيات الأعيان (١/ ١٢١) مع اختلاف في بعض الألفاظ .
(٥) في الديوان : صغير .
(٦) الديوان (٤/ ١١٩) .
(٧) في الديوان : ضعيف .
(٨) في الديوان : يبغى .

إذا نِلْتُ منكَ الوُدَّ فالمالُ هَيِّنٌ وكُلُّ الذي فوقَ التُّرابِ تُرَابُ[١]

وقد تقدَّم أنه ولد بالكوفة سنة ست وثلاثمئة ، وأنه قتل في رمضان سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمئة .

قال ابن خَلِّكان : وقد فارق سيفَ الدولة بن حمدان سنة ستٍّ وأربعين لما كان من ابن خالويه [إليه][٢] ما كان من ضربه إياه بمفتاح في وجهه فأدماه ، فصار إلى مصر ، فامتدح كافوراً الإخشيذي ، وأقام عنده أربع سنين ، وكان المتنبي يركب في جماعةٍ من مماليكه فتوهَّم منه كافور ، فجفاه ، فخاف منه المتنبي فهرب منه ، فأرسل في أثره فأعجزه ، فقيل لكافور : ما قيمة هذا حتى تتوهَّم منه ؟ فقال : هذا رجل أراد أن يكون نبياً بعد محمد ﷺ ، أفلا يروم أن يكون ملكاً بديار مصر ؟ ثم سار المتنبي إلى عضد الدولة ، فامتدحه ، فأعطاه كثيراً ، ثم عاد من عنده ، فعرض له فاتك بن أبي الجهل الأسدي ، فقتله وابنه مُحسَّد وغلامه مفلح يوم الأربعاء لستٍّ بقين وقيل : لليلتين بقيتا من رمضان ، وقيل : يوم الإثنين لثمان ، وقيل : لخمس بقين منه ، وذلك بسواد بغداد ، وقد رثاه الشعراء ، وقد شرح ديوانهُ العلماء بالشعر نحواً من ستين شرحاً بين وجيزٍ وبسيط[٣] .

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان أيضاً :

أبو حاتم البُسْتي[٤] ابن حِبَّان : صاحب « الصحيح » .

محمد بن حبَّان بن أحمد بن حِبَّان بن مُعاذ بن مَعْبَد ، أبو حاتم ، البُسْتي صاحب « الأنواع والتَّقاسيم » ، وأحد الحفاظ الكبار المصنِّفين المجتهدين .

رحل إلى البُلْدان ، وسمع الكثير من المشايخ ، ثم ولي قضاء بلده ، ومات بها في هذه السنة . وقد حاول بعضهم الكلام [عليه][٥] من جهة معتقده ونسبة إلى أنَّ النبوة مكتسبة ، وهي نزعة فلسفية ، والله أعلم بصحتها عنه ، وقد ذكرته في « طبقات الشافعية » .

---

(١) الديوان (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .

(٣) انظر وفيات الأعيان (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣) .

(٤) الأنساب (٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) معجم البلدان (١/ ٤١٥ ـ ٤١٩) اللباب (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣) إنباه الرواة (٣/ ١٢٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٢ ـ ١٠٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٢٠ ـ ٩٢٤) العبر (٢/ ٣٠٠) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٠٦ ـ ٥٠٨) الوافي بالوفيات (٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨) مرآة الجنان (٢/ ٣٥٧) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٣١ ـ ١٣٥) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٤١٨ ـ ٤١٩) لسان الميزان (٥/ ١١٢ ـ ١١٥) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣) طبقات الحفاظ (٣٧٤ ـ ٣٧٥) شذرات الذهب (٣/ ١٦) الرسالة المستطرفة (٣٠ ـ ٣١) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .

محمد بن الحسن[١] بن يعقوب[٢] بن الحسن بن الحسين بن مِقْسَم : أبو بكر بن مِقْسم العطَّار المقرىء .

ولد سنة خمس وستين ومئتين ، وسمع الكثير ، وروى عنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان من أعرف النَّاس بالقراءات ، وله كتاب في النحو على طريقة الكوفيين ، سماه « كتاب الأنوار » .

قال ابن الجوزي : ما رأيتُ مثله ، وله تصانيف أُخَر ، ولكن تكلَّم الناسُ فيه بسبب تفرُّده بقراءاتٍ لا تجوز عند الجميع ، وكان يذهب إلى أن كل ما لا يخالف الرَّسْم ويسوغ من حيث المعنى واللفظ يصح القراءة بها كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ﴾ [يوسف : ٨] أي يتناجون . قال : لو قرىء « نُجَباء » من النَّجابة لكان قوياً . وقد ادُّعِيَ عليه ، وكُتِبَ عليه مكتوب أنه قد رجع عن مثل ذلك ، ومع هذا لم ينته عما كان يذهب إليه حتى مات ، قاله ابن الجَوْزي[٣] .

محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عَبْدَويه[٤] بن موسى : أبو بكر ، الشَّافعي .

ولد بِجَبُّل[٥] سنة ستين ومئتين ، وسمع الكثير ، وسكن بغداد ، وكان ثِقَةً ثَبْتاً كثير الرواية ، سمع منه الدَّارَقُطْني وغيره من الحُفَّاظ ، وكان يحدِّث بفضائل الصحابة ـ حين منعت الدَّيلم من ذلك ـ جهرةً في الجامع بمدينة المنصور مخالفةً لهم ، وكذلك في مسجده بباب الشَّام ، وتوفي في هذه السنة عن أربعٍ وتسعين سنة ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمئة

في عاشر المحرَّم عملت الروافض ببغداد بدعتهم الشَّنْعاء ، وفتنتهم الصَّلْعاء .

وفيه أخذت القرامطة الهجريون عُمان .

وفيها قصدت الرُّوم آمِد ، فحاصروها فلم يقدروا عليها ، ولكن قتلوا من أهلها ثلاثمئة ، وأسروا منهم أربعمئة ، ثم ساروا إلى نَصيبين وفيها سيف الدولة ، فهمَّ بالهرب مع العرب ، ثم تأخر مجيء الرُّوم ، فثبت مكانه وقد كادوا يزيلون أركانه .

---

(١) في (ح) الحسين ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) .
(٢) المنتظم (٧/ ٣١) .
(٣) المنتظم (٧/ ٣١) وانظر معجم البلدان (١٨/ ١٥٠) .
(٤) تاريخ بغداد (٥/ ٤٥٦ ـ ٤٥٨) الأنساب (٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) المنتظم (٧/ ٣٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٩ ـ ٤٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٨٠ ـ ٨٨١) العبر (٢/ ٣٠١) الوافي بالوفيات (٣/ ٣٤٧) مرآة الجنان (٢/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) النجوم الزاهرة (٣/ ٣٤٣) طبقات الحفاظ (٣٦٠) شذرات الذهب (٣/ ١٦) .
(٥) بليدة قرب واسط على الجانب الشرقي من دجلة ، انظر معجم البلدان (٢/ ١٠٣) .

وفيها وردت طائفة من جيشِ خُرَاسان ـ في بضعة عشر ألفاً ـ يُظْهرون أنهم يريدون غزو الروم ، فأكرمهم ركنُ الدَّولة بن بُوَيه وأمنوا إليهم ، فنهضوا إليهم ليأخذوا الدَّيْلَم على غِرَّة ، فقاتلهم ركن الدولة فظفر بهم ، لأن البغي مصرعة ، وهرب أكثرهم .

وفيها خرج معز الدولة من بغداد إلى واسط لقتال عمران بن شاهين حتى تفاقم الحال بأمره ، واشتُهر في تلك النواحي صيت ذكره ، فقوي المرض بمعز الدولة ، فاستناب على الحرب ، ورجع إلى بغداد ، فكانت وفاته في السنة الآتية كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفيها قوي أمر أبي عبد الله الدَّاعي ببلاد الدَّيْلم وأظهر النُّسُك والعبادة ، ولبس الصوف ، وكتب إلى الآفاق حتى إلى بغداد يدعو إلى الجهاد .

وفيها تمَّ الفداء بين سيف الدولة وبين الروم ، فاستنقذ منهم أسارى كثيرة ، منهم ابن عمه أبو فراس بن سعيد بن حمدان ، وأبو الهيثم بن حصن القاضي ، وذلك في رجب منها .

وفي جُمادى الآخرة نودي برفع المواريث الحَشْرية[1] وأن تردَّ إلى ذوي الأرحام .

وفيها ابتدأ معز الدولة بن بُوَيه في بناء مارَسْتَان ، وأرصد له أوقافاً جزيلة .

وفيها قطعت بنو سُلَيم السَّابلة[2] على الحجيج من أهل الشَّام ومصر والمغرب ، وأخذوا منهم عشرين ألف بعير بأحمالها ، وكان عليها من الأموال والأمتعة ما لا يقوَّم كثرةً ، وكان لرجلٍ يقال له ابن الخواتيمي قاضي طَرَسُوس مئة ألف دينار وعشرون ألف دينار عيناً ، وذلك أنه أراد التحول من بلاد الشَّام إلى العراق بعد الحج ، وكذلك وقع لكثير من النَّاس ، وحين أخذت الجمال تركوهم على برد الدِّيار لا شيء لهم ، فَقَلَّ منهم من سَلِمَ وما أكثر من عطب ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وحجَّ بالناس في هذه السنة الشريف أبو أحمد نقيب الطالبيِّين من ناحية العراق .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الحسين[3] بن داود[4] بن علي [بن عيسى][5] بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو عبد الله ، العلوي الحسني .

---

(١) الحشري هو الميت الذي خلف مالاً ، وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء أو له وارث ذو فرض ، ولكنه لا يستغرق جميع ماله الذي خلفه ولا عاصب فهذا كان ماله يعود لبيت المال على ما هو مقرر في المذهب الشافعي ، أما الحنابلة فكانوا يورثون ذوي الأرحام . انظر « صبح الأعشى » : ٣/ ٤٦٠ .

(٢) السابلة : الطريق المسلوكة . معجم متن اللغة (٣/ ١٠٠) .

(٣) في (ح) و(ب) و(ط): الحسن ، والمثبت من تاريخ بغداد (٨/ ٤٥) والمنتظم (٧/ ٣٤) ، وتاريخ الإسلام (٨/ ٨١) .

(٤) تاريخ بغداد (٨/ ٤٥) المنتظم (٧/ ٣٤) . تاريخ الإسلام (٨/ ٨١) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .

قال الحاكم أبو عبد الله النَّيسابوري : كان شيخ آل رسول الله ﷺ في عصره بخُراسان ، وسيد العلوية في زمانه ، وكان [من] أكثر الناس صلاة وصدقة ومحبةً للصحابة ، صحبته مدة فما سمعته ذكر عثمان إلا قال : الشهيد ، وبكى ، وما سمعته ذكر عائشة إلا قال : الصدِّيقة بنت الصِّدِّيق ، حبيبة حبيب الله . وبكى . وقد سمع الحديث من ابن خُزيمة وطبقته ، وكان آباؤه بخراسان وفي سائر بلدانهم [سادات][1] نجباء حيث كانوا :

لَهـمْ دانـتْ رِقَـابُ بنـي مَعَـدٍّ ... منَ البيتِ الرَّسُول[2] الله منْهم[3]

محمد بن الحسين بن علي بن الحسن[4] بن يحيى بن حَسَّان بن الوضَّاح ، أبو عبد الله ، الأنْباري ، الشَّاعر المعروف بالوضَّاحي .

كان يذكر أنه سمع الحديث من المَحَاملي ، [وابن مَخْلَد][5] وأبي روق . روى عنه الحاكم أبو عبد الله شيئاً من شعره ، وكان أشعر منْ في وقته ، ومن شعره[6] :

سَقَـى الله بـابَ الكَـرْخِ رَبْعـاًومنـزلاً ... ومنْ حَلَّهُ صَوْبَ السَّحَابِ المُجَلْجِلِ[7]

فلـو أنَّ بـاكـي دِمْنـةِ الـدَّار بـاللِّـوى ... وجـارتهـا أمَّ الـرَّبـابِ بمـأْسَـلِ

رأى عَـرَصَـاتِ الكَـرْخِ أو حـلَّ أرضَهَـا ... لأمسـكَ عـن ذِكْـرِ الـدَّخُـولِ فَحَـوْمَـلِ

أبو بكر بن الجِعابي[8] محمد بن عمر بن محمد بن سَالم بن البراء بن سبرة بن سَيَّار ، أبو بكر بن الجِعابي ، قاضي المَوْصِل .

ولد في صفر سنة أربع وثمانين ومئتين . سمع الكثير ، وتخرَّج بأبي العبَّاس بن عُقْدة ، وأخذ عنه

---

(١) ما بين حاصرتين من « المنتظم » ٧/ ٣٤ .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) في (ط) : من آل بيت رسول الله منهم ، ولا يستقيم الوزن به . و« أل » من « الرسول » اسم موصول بمعنى الذي .
(٤) يتيمة الدهر (٤/ ٣٨٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) المنتظم (٧/ ٣٥ ـ ٣٦) الكامل لابن الأثير (٨/ ٥٧٤) اللباب (٣/ ٣٦٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٧١) الوافي بالوفيات (٣/ ٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .
(٦) يعارض الوضاحي في هذه القصيدة معلقة امرىء القيس .
(٧) المجلجل من السحاب الذي فيه صوت الرعد . اللسان (جلل) .
(٨) ذكر أخبار الأصبهان (٢/ ٢٨٧) رجال النجاشي (٢٨١) الفهرست للطوسي (١٥١) تاريخ بغداد (٣/ ٢٦ ـ ٣١) الأنساب (٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥) المنتظم (٧/ ٣٦ ـ ٣٨) اللباب (١/ ٢٣٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٨٨ ـ ٩٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٢٥ ـ ٩٢٩) العبر (٢/ ٣٠٢) المغني في الضعفاء (٢/ ٦٢٠) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٧٠ ـ ٦٧١) الوافي بالوفيات (٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) لسان الميزان (٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٤) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢) طبقات الحفاظ (٣٧٥ ـ ٣٧٦) شذرات الذهب (٣/ ١٧) أعيان الشيعة (١٠/ ٢٨ ـ ٣٠) .

علم الحديث وشيئاً من التشيع أيضاً ، وكان حافظاً مكثراً مطيقاً ، يقال : إنه كان يحفظ أربعمئة ألف حديث بأسانيدها ومتونها ، ويذاكر بستمئة ألف حديث ، ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والحكايات قريباً من ذلك ، ويحفظ أسماء الرجال وجرحهم وتعديلهم ، وأوقات وَفَياتهم ومذاهبهم ، حتى تقدَّم على أهل زمانه ، وفاق على سائر أقرانه . وكان يجلس للإملاء فيزدحم الناس عند منزله ، وإنما كان يملي من حفظه إسناد الحديث ومتنه محرَّراً جيداً صحيحاً ، وقد نُسبَ إلى التشيع كأستاذه ابن عُقْدة ، وكان يسكن بباب البصرة عندهم ، وقد سئل الدارقطني عنه ، فقال : خلَّط . وقال أبو بكر البَرْقاني : كان صاحب غرائب ، ومذهبه معروف في التشيع ، وقد حكي عنه قلة دين وشرب خمر ، فالله أعلم . ولما احتُضر أوصى أن تحرق كتبه فحرقت ، وحرق معها كتبُ كثيرٍ من الناس كانت عنده ، فبئس ما عمل ، وحين أخرج بجنازته كانت سُكينة ـ نائحة الرافضة ـ تنوح عليه في جنازته .

ترجمة الدُّمَسْتَق[1] ملك الأرمن ، واسمه النقفور

الذي توفي سنة ثنتين [وقيل : خمس][2] ، وقيل : ست وخمسين وثلاثمئة .

كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلباً ، وأشدهم كفراً ، وأقواهم بأساً ، وأحدِّهم شوكةً ، وأكثرهم قتالاً للمسلمين في زمانه ، استحوذ في أيامه ـ لعنه الله ـ على كثيرٍ من السواحل أو أكثرها ، وانتزعها من أيدي المسلمين قسراً ، واستمرت في يده قهراً ، وأضيفت إلى مملكة الروم قدراً ؛ وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان .

وقد ورد حلب في مئتي ألف مقاتل بغتة في سنة إحدى وخمسين ، وجال فيه جولة ، ففرَّ من بين يديه صاحبها سيف الدولة ، ففتحها اللعين عَنْوةً ، وقتل من أهلها من الرجال والنساء ما لا يعلمه إلا الله ، وخرَّب دار سيف الدولة التي كانت ظاهر حلب ، وأخذ أموالها وحواصلها وعُدَدها ، وبدَّد شملها[3] ، وفرَّق عددها ، واستفحل جداً أمر الملعون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وبالغ في الاجتهاد في قتال الإسلام وأهله ، وجدَّ في التشمير ، فالحكم لله العلي الكبير .

وقد كان ـ لعنه الله ـ لا يدخل بلدة إلا قتل المقاتلة وبقية الرِّجال ، وسبى النِّساء والأطفال ، وجعل جامعها اصطبلاً لخيوله ، وكسر منبرها ، وأسكتَ مؤذنيها بخيله ورَجْله وطبوله ، ولم يزل ذلك من دأبه وديدنه حتى سلَّط الله عليه زوجته ، فقتلته بجواريها في وسط مسكنه ، وأراح الله منه الإسلام وأهله ،

---

(١) الضبط من صبح الأعشى (٥/ ٣٥٨) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ح) : وفرَّق ، والمثبت من (ب) .

وأزاح عنهم قَتَام ذلك الغمام ، ومزَّق شمله ، فلله النعمة والإفضال ، والحمد لله على كلِّ حال .

واتفق في سنة وفاته موتُ صاحب القُسْطنطينية ، فتكاملت المسرَّات وحصلت الأمنيَّة ، فالحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات وتذهب السيئات ، وبرحمته تغفر الزَّلَّات .

والمقصود أن هذا اللعين ـ أعني النقفور الملقب بالدُّمَسْتَق ملك الأرمن ـ كان قد أرسل قصيدة إلى الخليفة المطيع لله ، نظمها له بعض كُتَّابه ممن كان الله قد خذله وأذلَّه ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غِشاوة ، وصرفه عن الإسلام وأصله . يفتخر فيها لهذا اللعين ، ويتعرَّض لسبِّ الإسلام والمسلمين ، ويتوعَّد فيها أهل حوزة الإسلام بأنه سيملكها كلها حتى الحرمين الشريفين ، عما قريبٍ من الأعوام ، وهو أقل وأذل وأخسُّ وأضلُّ من الأنعام ، ويزعم أنه ينتصر لدين المسيح عليه السلام ابن البتول . وربما تعرَّض فيها بجناب الرسول عليه من ربه التحية والإكرام ، ودوام الصَّلاة مدى الأيام .

ولم يبلغني عن أحدٍ من أهل ذلك العصر أنه ردَّ عليه جوابه[١] ، وربما أنها لم تشتهر ، أو أنهم رأوا أنه أقل من أن يردُّوا خطابه ، لأنه كالمعاند الجاحد ، ونفس ناظمها تدلُّ على أنه شيطان مارد ، وقد انتخى للجواب عنها فيما بعد ذلك أبو محمد بن حَزْم الظَّاهري ، فأفاد وأجاد ، وأجاب عن كل فصل باطلٍ بالصواب والسَّداد ، فبلَّ الله بالرحمة ثراه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه[٢] .

وها أنا أذكر القصيدة الأرمنية الملعونة المخذولة ، وأتبعها بالفريدة الإسلامية المنصورة الميمونة .

قال المرتد الكافر الأرمني على لسان ملكه لعنهما الله وأهل مِلَّتهم أجمعين أكْتَعين أبصعين ، آمين يا ربَّ العالمين . ومن خطِّ ابنِ عساكر نقلتها ، وقد كتبوها من كتاب « صِلة الصِّلة » للفَرْغاني[٣] :

مِنَ المَلِكِ الطُّهْرِ المسيحيِّ مَأْلُكٌ[٤] ... إلى خَلَفِ الأمْلاكِ من آلِ هاشمِ

إلى الملكِ الفَضْلِ المُطيعِ أخي العُلا ... ومَنْ يُرْتجى للمُعْضلاتِ العَظائمِ

أمَا سَمِعَتْ أُذناك ما أنا صانعٌ ... بلى فعداك الوَهْنُ عنْ فعلِ حازم

فإنْ تكُ عمَّا قد تقلَّدتَ نائماً ... فإنِّي عمَّا هَمَّني غيرُ نائمِ

---

(١) رد عليه الإمام محمد بن علي بن إسماعيل القفال المتوفى سنة (٣٦٥هـ) ، وقد أورد قصيدته السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٣) كما أورد السبكي قصيدة ابن حزم . وقد نشر الدكتور صلاح الدين المنجد القصائد الثلاثة في كتيب صغير نشره سنة (١٩٨٢م) في بيروت .

(٢) القصيدتان ليستا في (ب) .

(٣) لعبد الله بن أحمد الفرغاني ، المتوفى سنة (٣١٢هـ) كتاب في التاريخ هو ذيل لتاريخ الطبري ، ثم ألف بعده ابنه أحمد المتوفى سنة (٣٩٨هـ) تاريخاً وصل به تاريخ أبيه ، انظر معجم الأدباء (٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦ ، ١٨/ ٤٤) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١٢٢ ـ ١٣٣) .

(٤) المألك والمألكة : الرسالة ، انظر اللسان (ألك) .

ثغورُكمُ لم يبقَ فيها لوَهْنكمْ وضَعْفِكُمُ إلَّا رُسُومُ المَعالِمِ
فَتَحْنا الثُّغُورَ الأرمَنِيَّةَ كُلَّها بفتيانِ صِدْقٍ كالُّليوثِ الضَّراغِمِ
ونحنُ جَلَبْنا الخيلَ تَعْلُكُ لُجْمَها ويبلغُ منها قَضْمُها بالشَّكائمِ
إلى كلِّ ثَغْرٍ بالجزيرةِ آهلٍ إلى جُنْدِ قِنَّسْرِيْنِكُمْ فالعَواصمِ
مَلَطْيَةْ مَعَ سُمَيْساطَ من بَعْدِ كَرْكَرٍ وفي البَحْرِ أضعافُ الفتوحِ النَّواجمِ
وبالحَدَث الحمراءِ جالتْ عساكري وكَيْسوم بعد الجَعْفري[1] المعالمِ
وكمْ قد أذلْنا من أعزَّة أهْلِها فصاروا لنا منْ بينِ عَبْدٍ وخادمِ
وسدّ سَرُوجٍ إذ خَرَبْنا بجمعنا لمئذنةٍ تعلو على كلِّ قائمِ[2]
وأهلُ الرُّها لاذوا بنا وتحزَّموا بمنديلِ مولىً جلَّ عن وَصْفِ آدمي
وصَبَّحَ رأسَ العينِ منَّا بطارقٌ[3] ببيضٍ غدَوْناها بضَرْبِ الجماجمِ
ودارا ومَيَّافارقين وأرْزَنا[4] صَبَحْناهُمُ بالخيلِ مِثْلِ الملاغمِ[5]
وإقْريطشٍ جُرَّتْ إليها مراكبي على ظَهْرِ بَحْرٍ مُزْبِدٍ مُتَلاطمِ
فحزْتُهُمُ أسرىً وسِيْقَتْ نساؤهم ذواتِ الشُّعورِ المسْبَلاتِ الفواحمِ
هناكَ فَتَحْنا عينَ زَرْبَةَ عَنْوةً نَعَمْ وأبَدْنا كلَّ طاغٍ وظالمِ
إلى حلبٍ حتى استبَحنا حريمها وهدَّمَ منها سورَها كلُّ هادمِ
أخذنا النِّسا ثُمَّ البناتِ نسوقُهُمْ وصبيانهمْ مِثْلُ المماليكِ خادمٌ[6]
وقد فرَّ عنها سيفُ دَوْلَةِ دينكُمْ وناصِرُها منَّا على رَغْمِ راغِمِ
ومِلْنا على طَرْسوسَ ميلة هائلٍ أذَقْنا لمنْ فيها كحزِّ الحلاقِمِ
فكمْ ذاتِ عزٍّ حُرَّةٍ عَلَويَّةٍ منعَّمَةِ الأطْرافِ رَيَّا المَعاصمِ
سَبَيْنا فسُقْنا خاضعاتٍ حَواسراً بغيرِ مُهورٍ لا ولا حُكْمِ حاكمِ

---

(١) الجعفري قصر بناه المتوكل قرب سامراء ، بموضع يسمى الماحوزة . انظر معجم البلدان(٢/ ١٤٣) .
(٢) هكذا ورد البيت في (ح) ، وفي (ط) :
وسد سروج إذ خربنا بجمعنا لنا رتبة تعلو على كل قائم
(٣) بطارق جمع ، مفردها بطريق : وهو القائد من قواد الروم ، تحت يده عشرة آلاف رجل . « القاموس » (بطرق) .
(٤) أرزن مدينة نواحي أرمينية قرب خلاط . انظر معجم البلدان (١/ ١٥٠) وقد تحرفت في مطبوع طبقات الشافعية إلى « وأردناً » وعلق عليها محققاه ، فقالا : والأردن كورة واسعة منها الغور وطبرية وصدر . فأبعدا ، لأن الأماكن التي تذكر في هذه الأبيات هي في شمالي بلاد الشام ، وهذه في جنوبيها .
(٥) كذا في (ح) ، وفي « طبقات الشافعية » : الضراغم .
(٦) هذا البيت ليس في (ح) وطبقات الشافعية ، والمثبت من (ط) .

وكَمْ مِن قتيلٍ قد تَرَكْنا مُجنْدلاً يَصُبُّ دماً بين اللَّها واللَّهازِمِ[١]
وكَمْ وَقْعةٍ في الدَّرْبِ أفْنَتْ كُماتَكُمْ وسُقْناهُمُ قَسْراً كسَوْقِ البَهائمِ
ومِلْنا على أرتاجِكُمْ وحريمُها مُدوَّخةٌ تحتَ العَجاجِ السَّواهمِ
فَأهْوتْ أعاليها وبُدِّلَ رَسمُها من الأُنْسِ وَحْشاً بعد بيضٍ نواعِمِ
إذا صاحَ فيها البُومُ جاوبَهُ الصَّدى وأتبَعَهُ في الرَّبْعِ نَوْحُ الحمائمِ
وأنْطَاكُ لم تَبْعُدْ عليَّ وإنني سأَفْتَحُها يوماً بِهَتْكِ المَحارِمِ
وَمَسْكنُ آبائي دِمَشْقُ فإنني سأُرْجِعُ فيها مُلْكَنا تحتَ خاتمي
ومِصْرُ سَأَفْتَحها[٢] بسيفيَ عَنْوةً وآخذُ أموالاً بها لبهائمي
وأجْزيَ كافوراً بما يَسْتَحِقُّهُ بِمُشْطٍ ومِقْراضٍ وقصٍّ مَحاجِمِ
ألا شَمِّروا يا أهلَ حَرَّان شمِّروا أتَتْكُمْ جيوشُ الرُّومِ مِثْلَ الغَمائمِ
فإنْ تهربُوا تَنْجُوا كِراماً وتسلموا من الملِكِ الصَّادي بقتلِ المسالمِ
هناك نصيبينَ ومَوْصِلها إلى جزيرة آبائي ومُلْكِ الأقادمِ
سأَفْتَحُ سامَرَّا وكُوثَى وعُكْبَرا وتكريتها مَعْ ماردين العواصِمِ[٣]
وأقتلُ أهليها الرِّجالَ بأَسرِهم وأغنمُ أموالاً بها لكتائِمِ[٤]
ألا شَمِّروا يا أهلَ بغدادَ وَيْلَكُمُ فكلُّكُمُ مُسْتَضْعفٌ غيرُ رائمِ
رَضِيْتُمْ بِحُكْمِ الدَّيْلمي خليفةً فصِرْتُمْ عبيداً للعبيدِ الدَّيالمِ
ويا قاطني الرَّملاتِ وَيْلَكُمُ ارجعوا إلى أرضِ صنعاءِ وأرضِ التهائمِ
وعُودوا إلى أرضِ الحجازِ أذِلَّةً وخلُّوا بلادَ الرُّومِ أهلِ المكارِمِ
سأُلْقي جيوشي نحو بغدادَ سائراً إلى بابِ طاقٍ حيثُ دارُ القُماقمِ
وأُحْرِقُ أعلاها وأَهْدمُ سُورها وأسْبي ذراريها على رَغْمِ راغِمِ
وأُحرزُ أموالاً بها وأسرَّةً وأقتلُ مَنْ فيها بسيفِ النَّقائمِ
وأَسْري بجيشي نحو أهوازَ مُسْرعاً لإحرازِ دِيْباجٍ وخَزِّ السواسمِ
وأُشْعِلُها نَهْباً وأخربُ[٥] قصورَها وأسبي ذراريها كفِعْلِ الأقادِمِ

---

(١) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق ، واللهازم : جمع لهزمة وهي لهزمتان ناتئتان تحت الأذنين . القاموس (لهو ، ولهزم) .
(٢) ضبطناها هكذا ليتزن البيت .
(٣) في (ح) : مع جبل والنظائم ! والمثبت من (ط) .
(٤) في (ط) : وحرائم .
(٥) في (ط) : وأهدم ، وضبطناها هكذا ليتزن البيت .

ومنها إلى شِيْرازَ والرَّيِّ فاعْلَموا ... خُراسانُ قَصْري والجيوشُ بحارمِ
إلى شاسِ بَلْخٍ بعدها وخَواتِها ... وفَرْغانةٍ مغْ مَرْوها والمخارِمِ
فسابورَ أخْرِبْها(١) وأهدمُ حِصْنها ... وأُوردها يوماً كيومِ السَّمائمِ
وكَرْمانَ لا أنسى سِجْستانَ كلّها ... وكابُلَها النَّائي ومَلْكِ الأعاجمِ
من المشرق الأقصى إلى الغرب أنثني ... إلى قيروان الأرض عُزْب الكتائم(٢)
أسيرُ بجُنْدي نحو بَصْرتها التي ... لها بَحْرُ عاجٍ رائعٍ متلاومِ
إلى واسطٍ وَسْطَ العراقِ وكوفةٍ ... بما كان يوماً جدّنا ذو العَزائمِ
وأُسرعُ منها نحوَ مكّةَ سائراً ... أجرُّ جيوشاً كاللَّيالي السَّواجمِ
فأملِكُها دهراً غريداً مُسَلَّماً ... أقيمُ بها للحقِّ كرسيَّ عالمِ
وأحويَ نَجْداً كلَّها وتِهامها ... وسَرْواتها من مَذْحجٍ وقحاطمِ
وأغْزُو يَماناً كلَّها وزَبيدَها ... وصَنْعاءها مَعْ صَعْدَةٍ واللعائمِ
إلى حَضْرَموتٍ سَهْلها وجبالها ... إلى هُجَرٍ أحسائها والتَّهائم(٣)
فأتركها أيضاً يباباً بلاقِعاً ... خلاءً من الأهْلينَ أرضَ نعائمِ
وأحويَ أموالَ اليمانينَ كلَّها ... وما جمعَ القِرْماطُ يوم محارمِ
أعودُ إلى القُدْسِ التي شَرُفَتْ لنا ... بعزٍّ مكينٍ ثابتِ الأصلِ قائمِ
وأعلو سريري للسُّجودِ فتنثني ... ملوكُ بني حوّا بحمل الدَّراهم(٤)
هنالكَ تخلو الأرضُ من كلِّ مُسْلمٍ ... لكلِّ نقيِّ الدِّينِ أغلفَ ناعمِ
نُصِرْنا عليكم حين جارَ وُلاتكُمْ ... وأعْلَنْتُمُ بالمُنْكَراتِ العَظائمِ
قضاتُكُمُ باعوا القَضاء بدينهمْ ... كبيعِ ابن يعقوبٍ ببَخْسِ الدَّراهمِ
عَدُوٌّ لكمْ بالزُّورِ يَشْهدُ كلهم ... وبالبَزِّ والبَرْطيلِ مَعْ كلِّ قائمِ
سَأَفْتَحُ أرْض اللهِ شَرْقاً ومَغْرباً ... وأنشُرُ دينَ الصَّلْب نشر الغمائمِ
فعيسى علا فوقَ السَّمواتِ عَرْشُهُ ... ففازَ الذي والاهُ يومَ الخصائمِ
وصاحبكمْ بالتُّرب أوْدَى بهِ الثَّرى ... فصارَ رُفاتاً بينَ تلكَ الرَّمائمِ

---

(١) ضبطناها هكذا ليتزن البيت .
(٢) هذا البيت ليس في (ط) .
(٣) هذا البيت ليس في (ط) .
(٤) في (ط) :
وأعلو سريري للسجود معظماً ... وتبقى ملوك الأرض مثل الخوادمِ

تنـاوَلْتُـمُ أصحـابَـهُ بعدَ مَـوْتِـهِ بسـبٍّ وقَـذْفٍ وانتهـاكِ محـارِمِ[1]

هذا آخرها لعن الله ناظمها وأسكنه النار ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [غافر : ٥٢] يوم يدعو ناظمها ثبوراً ويصلى سعيراً ويباشر ذلاًّ طويلاً ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩] .

وهذا جوابها لأبي محمد ابن حَزْم الظَّاهري الأندلسي ، قالها ارتجالاً حين بلغته غضباً لله ولرسوله كما شاهدَه من رآه ، فرحمه الله وأكرم مثواه ، وغفر له زلله وخطاياه .

مِـنَ المُخْتمـي لله رَبِّ العَـوَالـمِ وديـنِ رسـولِ الله مـن آل هـاشـمِ
محمـدٍ الهـادي إلـى الله بـالتُّقـى وبـالـرُّشْـدِ والإسـلامِ أفضـلِ قـائـمِ
عليـه مـن الله السَّـلامُ مـرَدَّداً إلى أن يُوافي البعثَ كلُّ العوالِمِ
إلـى قـائـلٍ بـالإفـكِ جَهـلاً وضِلَّـةً عنِ النَّقفُورِ المنتزي[2] في الأعاجمِ
دَعَـوْتَ إمـامـاً ليسَ مـن أمـر آلـه بكفَّيْـهِ إلا كـالـرُّسـومِ الطَّـوَاسِـمِ
دَهَتْـهُ الـدَّوَاهـي فـي خِـلافتِـهِ كمـا دَهَـتْ قَبْلَـهُ الأمـلاكَ دُهْـمُ الـدَّوَاهِـمِ
ولا عَجَـبٌ مـن نَكْبَـةٍ أو مُلِمَّـةٍ تُصيبُ الكريمَ الحرَّ وابنَ الأكارمِ
ولـو أنَّـهُ فـي حـال مـاضـي جُدودِهِ لَجُـرِّعْتُـمُ منـهُ سِمَـامَ الأراقـمِ
عسـى عَطْفَـةٌ لله فـي أهـلِ دينِـهِ تُجـدِّدُ منهـم دارسـاتِ المعـالـمِ
فَخَـرْتُـمْ بمـا لـو أنَّ فيكـم يُـريكـمُ حقـائـقَ حكـمِ الله أحكـمِ حـاكـمِ
إذن لَعَـرَتْكُـمْ خَجْلَـةٌ عنـدَ ذكـرِهِ وأُخْـرِسَ منكـم كـلُّ فـاهٍ مُخَـاصـمِ
سَلَبْنـاكُـمُ كَـرّاً ففُـزْتُـمْ ببـرَّةٍ مـن الكـرِّ أفعـالِ الضِّعـافِ العـزائـمِ
فَطِـرْتُـمْ سُـروراً عنـد ذاك ونَخْـوةً كفِعْـلِ المَهيـنِ النَّـاقصِ المتعـاظـمِ
ومـا ذاك إلاَّ فـي تضـاعيـفِ غَفْلَـةٍ عَرَتْنا وصَرْفُ الدَّهْرِ جمُّ الملاحِمِ
ولمَّـا تَنَـازَعْنـا الأُمـورَ تخـاذُلاً ودانَـتْ لأهـلِ الجهـلِ دولـةُ ظـالـمِ
وقـد شَعَلَـتْ فينـا الخـلائـفُ فِتْنَـةً لعُبْـدانهـم مَـعْ تُـرْكهـمْ والـدَّيـالـمِ
بكُفْـرِ أيـاديهـم وجَحْـدِ حُقُـوقهـم بمـن رفَعُـوهُ مـن حضِيْـضِ البَهـائـمِ

---

(١) القصيدة في طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٩) مع اختلاف في بعض ألفاظها ، وعدد أبياتها ، وثمة كلمات لم أقف على معناها ، أرجو من الله أن يكشف لي سترها ذات يوم .

(٢) في (ط) : المفتري ، وما في (ح) أشبه .

وَثَبْتُمْ على أطرافنا عندَ ذاكُمُ ... وثُوبَ لُصوصٍ عندَ غَفْلَةِ نائمِ
ألم تنتصر منكم على ضَعْفِ حالها ... صِقِلِّيةٌ في بَحْرِها المُتَلاطِمِ
ألم تَنْتَزِعْ منكم بأيدٍ وقُوَّةٍ ... جميعَ بلادِ الشَّامِ ضَرْبةَ لازمِ
ومِصْرَ وأرض القَيْرَوانِ بأسرها ... وأنْدَلُساً قَسْراً بضَرْبِ الجماجِمِ
أحلَّتْ بقسْطنطينةِ كلُّ نكبةٍ ... وسامتكم سوء العذاب الملازِمِ
مشاهدُ تَقْدِيساتِكُمْ وبيوتُها ... لنا وبأيدينا على رَغْمِ راغِمِ
أما بيتُ لَحْمٍ والقُمامةُ بعدَها ... بأيدي رجالِ المسلمينَ الأعاظِمِ
وكُرسيُّكم في أرضِ إسْكَنْدريَّةٍ ... وكُرسيُّكُمْ في القُدْسِ في أورشالِمِ
ضَمَمْناهُمُ قَسْراً بِرَغْمِ أنوفكم ... كما ضَمَّت السَّاقَيْن سُودُ الأداهِمِ
وكُرْسيُّ أنطاكيةٍ كان بُرْهةً ... ودهراً بأيدينا وبذل الملاغمِ
فليس سوى كرسيِّ رومةَ فيكُمُ ... وكرسيِّ قُسْطنطينةٍ في المقادمِ
ولا بُدَّ من عَوْدِ الجميعِ بأسْرِهِ ... إلينا بعزٍّ قاهرٍ مُتعاظِمِ
أليسَ يَزيدٌ حَلَّ وَسْطَ ديارِكُمْ ... على بابِ قُسْطنطينةٍ بالصَّوارمِ
ومَسْلمةٌ قد داسَها بعد ذاكُمُ ... بجيشٍ لَهامٍ كاللُّيوث الضَّراغمِ
وأخْدَمكُمْ بالذُّلِّ مَسْجدنا الذي ... بُني فيكُمُ في عَصْرِهِ المُتَقادِمِ
إلى جَنْبِ قَصْرِ المُلْك من دارِ مُلْككُمْ ... ألا هذه حقّاً صَريمةُ صارِمِ
وأدَّى لهارونَ الرَّشِيْدِ مَلِيْكُكُمْ ... إتاوةَ مَغْلوبٍ وجِزْيَةَ غارِمِ
سَلَبْناكُمُ مَسْرَى شُهُورٍ بقوَّةٍ ... حَبَانا بها الرَّحمنُ أرْحمُ راحمِ
إلى سبتَ[1] يعقوبٍ وأريافِ دُومةٍ ... إلى لُجَّةِ البَحْرِ البعيدِ المَحَارمِ
فَهَلْ سِرْتُمُ في أرضنا قطُّ جُمْعةً ... أبى اللهُ ذاكُمْ يا بقايا الهَزائِمِ
فما لكُمُ إلا الأمانيُّ وحدَها ... بضائعُ نَوْكى تلكَ أحلامُ نائمِ
رُويداً يَعُدْ نحوَ الخلافةِ نورُها ... ويُسْفِرُ مُغْبَرُّ الوجوهِ السَّواهمِ
وحينئذٍ تَدْرُونَ كيفَ فرارُكُمْ ... إذا صَدَمَتْكُمْ خَيْلُ جَيْشٍ مُصادِمِ
على سَالِفِ العاداتِ منَّا ومنكُمُ ... ليالِيَ أنتمْ في عِدادِ الغَنائمِ
سَبَيْتُمْ سبايا يَحصُرُ العَدُّ دونَها ... وسَبْيُكُمُ فينا كقَطْرِ الغمائِمِ
فلو رامَ خَلْقٌ عدَّها رامَ مُعْجِزاً ... وأنَّى بتَعْدادٍ لريشِ الحمائمِ
بأبناءِ حمدانٍ وكافورَ صُلْتُمُ ... أراذلَ أنجاسٍ قِصارِ المعاصمِ

---

(١) في (ط) : بيت ، وفي طبقات الشافعية للسبكي : أرض .

دعـيٌّ وحَجَّـامٌ سَطَـوْتُـمْ عليهمـا ... ومـا قَـدْرُ مَصَّـاصٍ دمـاءَ المَحـاجِـمِ
فهـلا علـى دميـانـةٍ قبـلَ ذاك أو ... علـى ثمـلٍ أو يـا زمـان الضـراغـم[١]
ليـالـيَ قـادوكُـمْ كمـا اقتـادَ جـازِرٌ ... حـلائـبَ أتيـاسٍ لحَـزِّ الحـلاقِـمِ
وساقوا على رِسْلٍ بناتِ مُلُوككم ... سبـايـا كمـا سِيْقَـتْ ظِبـاءُ الصَّـرَائـمِ
ولكنْ سَلُوا عنا هِرَقْلاً ومنْ خلا ... لَكُـمْ مـن ملـوكٍ مُكْـرَمِيـنَ قُمـاقِـمِ
يُخَبِّـرْكُـمُ عنَّـا المُتَـوَّجُ منكُـمُ ... وَقَيْصَـرُكُـم عـن سَبْينـا للكـرائـمِ
وعَمَّـا فَتَحْنـا مـن مَنِيْـعِ بـلادِكُـمْ ... وعَمَّـا أقَمْنـا فيكُـمُ مـن مـآتـمِ
وَدَعْ كُـلَّ نـذلٍ مُنْتَـزٍ لا تَعُـدُّهُ ... إمـامـاً ولا مـن مُحْكمـاتِ الـدعـائـمِ
فَهَيْهـاتَ سـامَـرًا وَتَكْـريـتَ منْكُـمُ ... إلـى جبـلٍ تِلْكُـمْ أمـانـيُّ هـائِـمِ
مُنـىً يَتمنَّـاهـا الضَّعيـفُ ودونَهـا ... تطـايـرُ هـامـاتٍ وحـزُّ الغَـلاصِـمِ
ومـن دون بغـدادٍ سيـوفٌ حَـدِيـدةٌ ... مسيـرةَ شَهْـرٍ للفَنيـقِ القَـوَاصِـمِ
مَحَلَّـةُ أهْـلِ الـزُّهْـدِ والخيـرِ والتُّقى ... ومَنْـزلـةٌ يَحْتَلُّهـا كـلُّ عـالِـمِ
دَعُوا الرَّمْلة المنياء عنكمْ فَدُونها ... من المسلمين الصِّيْدِ كلُّ ضبارمِ[٢]
ودونَ دمشـقٍ جَمْـعُ جيـشٍ كـأنَّـه ... سحـائـبُ طَيْـرٍ تَنْتَحـي بـالقَـوَادِمِ
وضَـرْبٌ يُلَقِّـي الكُفْـرَ كـلَّ مَـذَلَّـةٍ ... كمـا ضَـرَبَ السِّكِّـيُّ بيضَ الـدَّرَاهِـمِ
ومنْ دونِ أكنافِ الحِجاز جَحَافلٌ ... كقَطْرِ الغُيوثِ الهاملاتِ السَّواجمِ
بهـا مـن بنـي عَـدْنـانَ كـلُّ سَمَيْـدعٍ ... ومـن حـيٍّ قَحْطـانٍ كـرامُ العمـائـمِ
[ولو قد لقيتمْ من قُضاعَةَ عُصْبَةً ... لقيتم ضَراماً في يَبيسِ الهشائمِ][٣]
إذا صَبَّحُـوكُـمْ ذكَّـرُوكُـمْ بمـا خـلا ... لهـم معكـم مـن مـأزقٍ مُتْـلاحـمِ
زمـانَ يقـودُونَ الصَّـوائـف نحـوكـمْ ... فجئتـمْ ضمـانـاً أنَّكُـم فـي الغنـائـمِ
ستـأتيكـم منهـمْ قـريبـاً عصـائـبٌ ... تُنَسِّيكـم تَـذْكـارَ أخـذ العَـواصِـمِ
وأمـوالُكُـمْ نُحْـلٌ لهـم ودِمـاؤُكـم ... بهـا يَشْتفـي حَـرُّ النُّفـوس الحـوائـمِ
وأَرْضُكُـمُ حقّـاً سَيَقْتسمُـونهـا ... كمـا فَعَلُـوا دَهْـراً بِعَـدْلِ المُقَـاسِـمِ
ولو طَرَقَتْكُمْ من خُراسانَ عُصْبَةٌ ... وشيـراز والـرَّيِّ القـلاعِ القـوائـمِ
لمـا كـان منْكُـمْ عنـدَ ذلـك غيـرُ مـا ... عَهِـدْنـا لكـم ذلٌّ وعَـضُّ الأبـاهـمِ

---

(١) كذا في (ح) وفي (ط) : على محل أرباض رماة الضراغم ، ولا يتزن البيت .
(٢) الضبارم : الأسد ، والرجل الجريء على الأعداء .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

فقد طالما زارُوكُمُ في ديارِكُمْ مسيرةَ عامٍ بالخيولِ الصَّلادمِ
وأما سِجِسْتانٌ وكَرْمانُ والأُلى بكابُلَ حَلُّوا في بلادِ البَراهمِ
إلى فارسٍ والسُّوسِ جيشٌ عَرَمْرَمٌ وفي أصبهانٍ كلُّ أروعَ عازمِ
فلو قد أتاكم جَمْعُهُمْ لغَدَوْتُمُ فرائسَ كالآسادِ فوقَ البهائمِ
وبالبَصْرةِ الزَّهْراءِ والكُوفةِ التي مثهت ونادي واسطٍ فالكظائمِ[1]
جموعٌ تُسامي الرَّمْلَ جمٌّ عديدُها فما أحدٌ تنويه منها بسالمِ
ومن دونِ بيتِ الله في مكَّةَ التي حَباها بمجدٍ للثُّريَّا مُزاحمِ
مَحَلُّ جميعِ الأرْضِ منها تيقناً مَحَلَّةُ سُفْلِ الخُفِّ من فَصِّ خاتمِ
دِفاعٌ من الرحمنِ عنها بحقِّها فما هوَ عنها كَرَّ طَرْفٍ برائمِ
بها وقعَ الأُحْبُوشُ فيها وقَبْلَهُمْ بِحَصْباءِ طَيْرٍ في ذُرَى الجوِّ حائمِ
وجَمْعٍ كَجَمْعِ البَحْرِ ماضٍ عَرَمْرَمٍ حَمَى سُرَّةَ البَطْحاءِ ذاتِ المحارمِ
ومن دونَ قَبْرِ المُصْطفى وَسْطَ طِيْبَةٍ جموعٌ كمُسْودٍّ من اللَّيْلِ فاحمِ
يقودُهُمُ جَيْشُ الملائكةِ العُلا كِفاحاً ودفعاً عن مُصَلٍّ وصائمِ
فلو قد لقيناكُمْ لعُذْتم رمائماً بمن في أعالي نَجْدنا والتَّهائمِ
وباليَمَنِ المَمْنوعِ فِتْيانُ غارةٍ إذا ما لَقُوكُمْ كُنْتُمُ كالمطاعِمِ
وفي جهلتي أرْضِ اليمامةِ عُصْبةٌ مغاورُ أنجادٍ طِوالُ البَراجمِ
سَتُفْنيكُمُ والقِرْمِطِيِّينَ دولةٌ تعودُ لميمونِ النَّقيبةِ حازمِ
خليفةِ حقٍّ يَنْصُرُ الدِّينَ حُكْمُهُ ولا يَتَّقي في الله لومةَ لائمِ
إلى وَلَدِ العَبَّاسِ تُنْمى جُدُودُهُ بِفَخْرٍ عميمٍ أو لِزُهْرِ العباشمِ
مُلُوكٌ جَرَى بالنَّصْرِ طائرُ سَعْدِهِمْ فأهلاً بماضٍ منهُمُ وبقادِمِ
مَحَلَّتُهُمْ في مَسْجِدِ القُدْسِ أو لدى منازلِ بغدادٍ مَحَلُّ المكارمِ
وإنْ كانَ من عُلْيا عَدِيٍّ وَتَيْمها ومن أسَدٍ أهْلِ الصَّلاحِ الحضَارمِ
فأهْلاً وسَهْلاً ثم نُعْمى ومَرْحباً بهم من خِيارٍ سالفينَ أقادمِ
هُمُ نَصَرُوا الإسلامَ نَصْراً مؤزَّراً وهُمْ فَتَحُوا البُلْدانَ فتحَ المُراغِمِ
رُوَيْداً فوَعدُ الله بالصِّدْقِ وارِدٌ بتَجْريعِ أهْلِ الكُفْرِ طَعْمَ العَلاقِمِ
وصِدْقِ رسالاتِ الذي جاء بالهُدى محمدٍ الآتي بِرَفْعِ المَظالمِ

---

(١) كذا في (ح) ، وفي طبقات الشافعية : سمت وبأدنى واسطٍ فالكظائم .

سَنَفْتَحُ قُسْطنْطينةَ وذَواتِها ... وَنَجْعلكُمْ قُوتَ النُّسورِ القَشَاعمِ
ونملكُ أقْصَى أرْضِكُمْ وبلادِكُمْ ... ونُلْزِمكمْ ذُلَّ الجِزَى والمغارمِ
ونَفْتَحُ أرْضَ الصِّينِ والهِنْدِ عَنْوَةً ... بجَيْشٍ لأرْضِ التُّرْكِ والخَزْرِ حاطِمِ
مواعيدُ للرَّحمنِ فينا صَحِيْحةٌ ... وليست كأمثال العقولِ السَّقائمِ
إلى أنْ تَرَى الإسلامَ قد عَمَّ حُكْمُهُ ... جميعَ البلادِ بالجيوشِ الصَّوارِمِ
أتَقْرِنُ يا مُخْذولُ دينَ مثلَّثٍ ... بعيدٍ عن المعقولِ بادي المآثمِ
تَدِيْنُ لمخلوقٍ يَدِيْنُ عبادَهُ ... فيا لكَ سُحْقاً ليسَ يَخْفى لكاتمِ
أناجِيْلُكُمْ مَصْنوعَةٌ بتكاذبٍ ... كلامُ الأُلى فيها أتَوْا بالعَظائمِ
وعُودُ صَليبٍ ما تزالونَ سُجَّداً ... لهُ يا عُقولَ الهاملاتِ السَّوائمِ
تدينونَ تَضْلالاً بِصَلْبِ إلهكم ... بأيْدي يهودٍ أرْذلينَ ألائمِ
إلى مِلَّةِ الإسلامِ توحيدِ رَبِّنا ... فما دينُ ذي دينٍ لها بِمُقاومِ
وأذْعنتِ الأملاكُ طَوْعاً لدِيْنِهِ ... بِبُرْهانِ صِدْقٍ ظاهِرٍ في المواسمِ
كما دانَ في صَنْعاءَ مالكُ دَوْلةٍ ... وأهْلُ عُمَانٍ حيثُ رَهْطُ الجهاضِمِ
وسائرُ أملاكِ اليمانِيْنَ أسْلَمُوا ... ومن بَلَدِ البَحْرينِ قَوْمُ اللّهازِمِ
أجابُوا لِدِيْنِ الله دونَ مخافةٍ ... ولا رَغْبَةٍ تَحْظى به كفُّ عادِمِ
فحَلُّوا عُرَى التِّيجان طَوْعاً ورَغْبَةً ... بحقٍّ يقينٍ بالبراهينِ ناجمِ
وحاباهُ بالنَّصْرِ المكينِ إلهُهُ ... وصَيَّرَ منْ عاداهُ تحتَ المناسِمِ
فَقِيرٌ وَحِيْدٌ لم تُعِنْهُ عَشِيرَةٌ ... ولا دَفَعُوا عنهُ شَتِيْمَةَ شاتِمِ
ولا عِنْده مالٌ عَتيدٌ لناصِرٍ ... ولا دَفْعِ مَرْهُوبٍ ولا لِمُسَالمِ
ولا وَعَدَ الأنْصارَ مالاً يخصُّهُمْ ... بلى كانَ معصوماً لأقْدَرِ عاصمِ
فلم تَمْتَهِنْهُ قطُّ قُوَّةُ آسرٍ ... ولا مُكِّنَتْ من جِسْمِهِ يدُ لاطِمِ
كما يَفْتَري إفكاً وزُوراً وضِلَّةً ... على وَجْهِ عيسى منكُمْ كلُّ آثمِ(١)
على أنَّه قد قلتُمْ هو رَبُّكمْ ... فيا لضَلالٍ في الحماقة غائمِ
أبى اللهُ أن يُدْعى له ابنٌ وصاحبٌ ... سَتَلْقَى دُعاةُ الكُفْرِ حالةَ نادمِ
ولكنَّهُ عَبْدٌ نبيٌّ مُكَرَّمٌ ... منَ النَّاسِ مَخْلُوقٌ ولا قول زاعمِ
أيُلْطمُ وَجْهُ الرَّبِّ تَباً لنَوْكِكُمْ ... لقد فُقْتُمُ في ظُلْمكُمْ كلَّ ظالمِ

(١) هذا البيت جاء في (ط) بعد البيت الآتي :
إلى ملة الإسلام توحيدِ ربنا ... فما دينُ ذي دينٍ لها بمقاومِ

وكَـمْ آيــةٍ أبْــدى النَّبــيُّ محمــدٌ وكَـمْ عَلَـمٍ أبـداهُ للشِّـرْكِ حـاطِـمِ
تساوَى جميعُ النَّاسِ في نَصْرِ حَقِّهِ فَلِلْكُـلِّ فـي إعظـامـهِ حـالُ خـادم
فعُـرْبٌ وأحْبُـوشٌ وفُـرْسٌ وبَـرْبـرٌ وكُـرْدِيُّهـم قـد فـازَ قِـدْحُ المُـرَاحِـمِ
وقِبْــطٌ وأَنبــاطٌ وخَــزْرٌ ودَيْلــمٌ ورُومٌ رَمَـوْكُـمْ دونَـهُ بـالقَـواصـم
أبَـوْا كُفْـرَ أسْـلافٍ لهـمْ فتحنَّفـوا فـآبـوا بحـظٍّ فـي السَّعـادةِ جـاثـمِ
بـه دَخَلُـوا فـي مِلَّـةِ الحقِّ كُلُّهـمْ ودانُــوا لأحكـامِ الإلــه اللَّــوازِمِ
بـه صَـحَّ تفسيـرُ المنامِ الـذي أتـى بــه دانيــالُ قَبْلَـهُ حتـم حــاتـمِ
وسِنْــدٌ وهِنْــدٌ أسْلَمُــوا وتــديَّنــوا بدينِ الهُدى في رَفْضِ دِيْنِ الأعاجم
وشَــقَّ لنــا بَــدْرَ السَّمــواتِ آيــةً وأشْبَـعَ مـنْ صـاعٍ لـه كـلَّ طـاعِـمِ
وسالَتْ عيونُ الماءِ في وَسْطِ كَفِّه فَـأرْوى بـه جيشـاً كثيـرَ الهمـاهـمِ
وجـاء بمـا تَقْضـي العُقـولُ بصِـدْقِـهِ ولا كَــدَعــاوِ غيــرِ ذاتِ قــوائـمِ
عليــه ســلامُ اللهِ مــا ذرَّ شــارِقٌ تعــاقَبَــهُ ظلمــاءُ أسْحـم قــاتـمِ
بَـراهِيْنُـهُ كـالشَّمْـسِ لا مِثْلُ قَـوْلِكُـمْ وتَخْلِيْطكُـمْ فـي جَـوْهـرٍ وأقـانِـمِ
لنـا كـلُّ عِلْـمٍ مـن قـديـمٍ ومُحْـدثٍ وأنتـم حميــرٌ داميــاتُ المحــازم
أتيتــم بشِعْــرٍ بــاردٍ متخــاذلٍ ضعيف معاني النَّظْمِ جَمّ البلاغم
فــدونكهــا كــالعِقْــد فيــهِ زمــرُّدٌ ودُرٌّ ويــاقــوتٌ بـإحكـام حـاكـمِ[1]

ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلاثمئة

استهلت والخليفة المطيع لله ، والسلطان معز الدولة بن بويه الديلمي ، وعملت الروافض في يوم عاشوراء عزاء الحسين [بن علي] على ما ابتدعوه من النوح .

(١) انظر القصيدة بتمامها في طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢١٤ ـ ٢٢٢) وقد غمضت عليَّ بعض كلماتها ، أرجو أن تسفر لي يوماً عن نفسها .

[وفاة معز الدولة][1]

ولما كان ثالث عشر ربيع الأول[2] من هذه السنة توفي معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه الديلمي بعلة الذرب ، وصار لا يثبت في مَعِدته شيءٌ بالكلية ، ولما أحس بالموت أظهر التوبة ، وأناب إلى الله عزَّ وجلَّ ، ورَدَّ كثيراً من المظالم ، وتصدق بكثير من أمواله ، وأعتق خلقاً كثيراً من مماليكه ، وعَهِدَ إلى ابنه بختيار عز الدولة بن معز الدولة ، وقد اجتمع ببعض العلماء ، فكلمه في السُّنَّة ، وأخبره أنَّ علياً زوَّج ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب ، فقال : ما سمعت والله بهذا قط . ورجع إلى السنة ومتابعتها ، ولما حضر وقتُ الصلاة خرج ذلك الرجل إلى الصلاة فقال له : أما تصلي هاهنا ؟ قال : لا . قال : ولِمَ ؟ قال : لأن دارك مغصوبة . فاستحسن منه ذلك .

وكان معز الدولة حليماً كريماً عاقلاً ، وكانت إحدى يديه مقطوعة ، وهو أول من أحدث السُّعاة بين يدي الملوك ليبعث بأخباره إلى أخيه ركن الدولة إلى شيراز سريعاً ، وحظي عنده أهل هذه الصناعة ، وتعلم أهل بغداد ذلك حتى كان بعضهم يجري في اليوم الواحد نيفاً وأربعين فرسخاً ، وكان في البلد ساعيان ماهران ، وهما فَضل ومرعوش ، يتعصَّب لهذا عوام أهل السنة ، ولهذا عوام الشيعة ، وجرت لهما مناصف ومواقف .

ولما مات معز الدولة ، ودفن بباب التبن ، في مقابر قريش ، وجلس ابنه للعزاء ، وأصاب الناسَ مطر ثلاثة أيام متتابعاً ، فبعث عزُّ الدولة إلى رؤوس الدولة في هذه الأيام بمالٍ جزيل لئلا تجتمع أمراء الدولة على مخالفته قبل استحكام مبايعته ، وهذا من عقله ودهائه .

وكان عمره[3] ثلاثاً وخمسين سنة ، ومدَّة ولايته إحدى وعشرين سنة وأحدَ عشر شهراً ويومين ، وقد كان نادى في أيامه برد المواريث إلى ذوي الأرحام قبل بيت المال ، وقد سمع بعض الناس ليلة توفي معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بُوَيه هاتفاً يقول :

لمَّـــا بَلَغْـــتَ أبـــا الحسيـــ ـــنِ مُراد نَفْسِكَ في الطَّلَبْ
وأمِنْـــتَ مـــن حَـــدَثِ اللَّيـــا لي واحْتَجَبْتَ عن النُّوَبْ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) وترجمة معز الدولة في تجارب الأمم (٦/ ١٤٦) ٢٣١ وغيرها ، المنتظم (٧/ ٣٨ ـ ٣٩) الكامل لابن الأثير (٨/ ٥٧٣ ـ ٥٨٠) وفيات الأعيان (١/ ١٧٤ ـ ١٧٧) المختصر في أخبار البشر (٢/ ١٠٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٨٩ ـ ١٩٠) العبر (٢/ ٣٠٣) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤ ـ ١٥) شذرات الذهب (٣/ ١٨) .

(٢) في الكامل (٨/ ٥٧٥) : ربيع الآخر ، وهو الصحيح .

(٣) أي معز الدولة .

مُـدَّت إليـكَ يـدُ الـرَّدَى وأُخِذْتَ من بيتِ الذَّهَبْ

ولما مات معز الدولة قام بالأمر بعدَه ولده عز الدولة ، فأقبل على اللعب واللهو والاشتغال بأمر النِّساء ، فتفرَّق شمله واختلفت الكلمة عليه ، وطمع الأمير منصور بن نوح السَّاماني صاحب بلاد خراسان في ملك بني بُوَيه ، وأرسل الجيوش الكثيفة صحبة الملك وشمكير ، فلما علم بذلك ركن الدولة بن بويه أرسل إلى ابنه عضد الدولة وابن أخيه عز الدولة يستنجدهما ، فأرسل[1] إليه بجنود كثيرة ، فركب فيها ركن الدولة ، وبعث إليه وشمكير يتهدده ويتوعده ، ويقول : لئن قدرت عليك لأفعلن بك ولأفعلن .

فكتب إليه ركن الدولة : لكني إن قدرت عليك لأحسنن إليك ولأصفحن عنك . فكانت العاقبة لهذا ، فدفع الله عنه شرَّه ؛ وذلك أن وشمكير ركب فرساً صعباً فتصيَّدَ عليها ، فحمل عليه خنزير ، فنفرتِ الفرس ، فألقته على الأرض ، فخرج الدم من أذنيه ، فمات من ساعته وتفرَّقت العساكر . وبعث ابن وشمكير يطلب الأمان من ركن الدولة فأمَّنه ، وأرسل إليه بالمال والرِّجال ، ووفى بما قال ، وصرف الله عنه كيد السَّامانية ، وذلك بصدق النية وحُسن الطوية .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أبو الفرج[2] [الأصبهاني صاحب الأغاني][3] ، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحَكم ، الأموي ، الأصْبهاني ، صاحب كتاب « الأغاني » وكتاب « أيام العرب » ذكر فيه ألفاً وسبعمئة يومٍ من أيامهم ووقائعهم .

وقد كان شاعراً أديباً كاتباً ، عالماً بالأخبار وأيام الناس إلا أنه كان يتشيع .

قال ابن الجَوْزي : ومثله لا يوثقُ به ، فإنه يصرِّح في كتبه بما يوجب تفسيقه ويهوِّن شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمَّل كتاب « الأغاني » رأى كلَّ منكر وقبيح[4] .

وقد روى الحديث عن محمد بن عبد الله مُطَيَّن وخَلْق ، وروى عنه الدَّارَقُطني وغيره . توفي في ذي الحِجَّة من هذه السنة .

---

(١) أي عضد الدولة ، انظر الكامل (٨/ ٥٧٨) .

(٢) يتيمة الدهر (٣/ ١٠٩ ـ ١١٣) ذكر أخبار أصبهان (٢/ ٢٢) الفهرست (١٦٦ ـ ١٦٧) فهرست الطوسي (١٩٢) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠) المنتظم (٧/ ٤٠ ـ ٤١) معجم الأدباء (١٣/ ٩٤ ـ ١٣٦) إنباه الرواة (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٣) الكامل لابن الأثير (٨/ ٥٨١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٠١ ـ ٢٠٣) العبر (٢/ ٣٠٥) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤) النجوم الزاهرة (٤/ ١٥ ـ ١٦) شذرات الذهب (٣/ ١٩ ـ ٢٠) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٤) المنتظم (٧/ ٤٠ ـ ٤١) .

وقال ابن خَلِّكان : وقيل في التي بعدها ، وكان مولده في سنة أربع وثمانين ومئتين ، التي توفي فيها البُحْتري الشَّاعر . وقد ذَكَرَ له مصنَّفاتٍ عديدةً ، منها « الأغاني » و « الديارات » و « أيام العرب » وغير ذلك[١] .

سَيْفُ الدَّولة[٢] [بن حمدان صاحب حلب][٣] ، أبو الحسن ، علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان[٤] بن حمدون ، التَّغْلبي ، الرَّبَعي ، الملقَّب بسيف الدولة .

أحد الأمراء الشجعان ، والملوك الكثيري الإحسان ، على ما كان فيه من تشيُّع ، وقد ملك دمشق في بعض الأوقات ، واتَّفقَ له أشياء غريبة ، منها أن خطيبه كان مصنِّف الخُطب النباتية أحد الفصحاء البلغاء ، وشاعره المتنبي ، ومطربه أبو نَصْر الفارابي ، وكان [كريماً][٥] جواداً ممدَّحاً ، مِعْطاءً للجزيل .

ومن شعره في أخيه ناصر الدولة صاحبِ المَوْصل :

رَضِيتُ لكَ العَلْيَا[٦] وقدْ كُنْتُ أَهْلَها ... وقُلْتُ لهم بيني وبين أخي فَرْقُ ؟
وما كان لي عنها نُكُولٌ وإنَّما ... تجاوزْتُ عن حَقِّي فتمَّ لكَ الحقُّ
أما كُنْتَ تَرْضَى[٧] أنْ أكونَ مُصَلِّياً ... إذا كنتُ أرْضَى أن يكون لك السَّبْقُ[٨]

وله أيضاً :

قدْ جَرَى في دَمْعِهِ دمُهُ ... فإلى كَمْ أنتَ تَظْلِمُهُ
رُدَّ عنهُ الطَّرْفَ منكَ فقد ... جَرَحتْهُ[٩] منكَ أسْهُمُهُ
كيفَ يَسْطيعُ التَّجلُّدَ مَنْ ... خَطَراتُ الوَهْمِ تُؤْلِمُهُ[١٠]

وكان سببُ موته الفالج ، وقيل : عُسْرَ البول ، وتوفي بحلب ، وحمل تابوته إلى مَيَّافارِقين فدفن

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩) .
(٢) يتيمة الدهر (١/ ١٥ ـ ٣٤) المنتظم (٧/ ٤١) الكامل لابن الأثير (٨/ ٣٩٦ ـ ٣٩٩ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٥٤٤ ـ ٥٥٢) وغيرها ، وفيات الأعيان (٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٦) المختصر في أخبار البشر (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٨٧ ـ ١٨٩) النجوم الزاهرة (٦/ ١٦ ـ ١٨) شذرات الذهب (٣/ ٢٠ ـ ٢١) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٤) في (ح) : عبيد الله بن أحمد حمدون ، وهو وهم ، والمثبت من وفيات الأعيان (٣/ ٤٠١ ، ٢/ ١١٤) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٦) في (ب) : الدنيا .
(٧) في (ب) : أرضى .
(٨) الأبيات في يتيمة الدهر (١/ ٢٦) والكامل (٨/ ٥٨٠ ـ ٥٨١) ووفيات الأعيان (٢/ ١١٦) مع اختلاف في اللفظ .
(٩) في وفيات الأعيان : خرقته .
(١٠) الأبيات في يتيمة الدهر (١/ ٢٦) والكامل (٨/ ٥٨١) ووفيات الأعيان (٢/ ١١٦) .

بها ، وعمره ثلاث وخمسون سنة ، وقام بملك حلب من بعده ولده سعد الدولة أبو المعالي شريف ، ثم تغلَّب عليه مولى أبيه قرغويه ، فأخرجه من حلب إلى أمه[١] بميَّافارِقين ، ثم عاد إليها كما سيأتي بيانه[٢] .

وذكر القاضي ابن خَلِّكان شيئاً كثيراً مما قاله سيفُ الدولة ، وقيل فيه ، قال : ولم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشُّعراء ، وقد أجاز لجماعةٍ من الكبار كالمتنبي والخالديَّيْن والسَّري الرَّفاء ، والنامي والببغاء وغيرهم ، وذكر [القاضي][٣] ابن خلِّكان أنه ولد سنة ثلاث ، وقيل : إحدى وثلاثمئة ، وأنه ملك حلب بعد الثلاثين والثلاثمئة ، وكان قبل ذلك يملك واسط ، ثم تنقلت به الأحوال حتى ملك حلب ، انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكِلابي صاحب الأخشيذ[٤] وملك دمشق في وقت .

وقد قال يوماً لندمائه : أيكم يجيز قولي ، وما أظن أحداً يجيزه :

لَــكَ جسمــي تُعِلُّــهْ فَــدَمـي لِـمْ تُحِلُّـهْ ؟

فقال ابن عمه[٥] أبو فراس بديهةً :

قــال إن كنــتُ مــالكـاً فلــيَ الأمــرُ كلُّــهْ[٦]

وفيها توفي[٧] :

كافُور الإخْشيذي[٨] مولى محمد بن طُغْج الإخشيذ : وقد قام بالأمر من بعد مولاه لصغر أولاده ، فملك مِصْر ودمشق ، وناوى[٩] سيفَ الدولة وغيره ، وقد كُتبَ على قبره :

انظـر إلـى غِيَـرِ الأيَّـام مـا صَنَعَـتْ أفْنَتْ أُنـاساً بهـا كـانـوا ومـا فَنِيَـتْ

---

(١) في (ح) : أبيه ، والمثبت من (ب) .
(٢) انظر حوادث سنة (٣٦٧هـ) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٤) تملك حلب سنة (٣٣٣هـ) ، حوادث سنة (٣٣٣هـ) .
(٥) في (ح) و(ب) : أخوه ، وهو وهم .
(٦) انظر يتيمة الدهر (١/ ١٥) ووفيات الأعيان (٣/ ٤٠٣) .
(٧) في بعض المصادر توفي سنة (٣٥٧هـ) ، وسترد ترجمته فيها . وصحح ابن خلكان وفاته في هذه السنة ، انظر وفيات الأعيان (٤/ ١٠٥) وذكر ابن الجوزي وفاته سنة (٣٥٨هـ) فأغرب ، انظر المنتظم (٧/ ٥٠) وأحداث سنة (٣٥٨هـ) .
(٨) المنتظم (٧/ ٥٠ ـ ٥١) الكامل لابن الأثير (٨/ ٤٤٥ ، ٤٥٧ ، ٥٨٠ ـ ٥٨٤) وفيات الأعيان (٤/ ٩٩ ـ ١٠٥) المختصر في أخبار البشر (٢/ ١٠٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٩٠ ـ ١٩٣) العبر (٢/ ٣٠٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١ ـ ١٠) شذرات الذهب (٣/ ٢١ ـ ٢٢) .
(٩) أي ناوأ ، غير مهموز . انظر اللسان (نوأ) .

دُنْيـاهُـمُ ضَحِكَـتْ أَيّـامَ دَوْلَتِهِـمْ حتى إذا فَنِيَتْ نـاحَتْ لهـمْ وبَكَـتْ

أبو علي القالي[١] : [صاحب الأمالي][٢] إسماعيل بن القاسم بن عَيْذُون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سَلْمان[٣] ، أبو علي ، القالي اللُّغوي ، الأُموي مولاهم ؛ لأن سَلْمان هذا كان مولى لعبد الملك بن مروان ، والقالي نسبة إلى قالي قَلا ، ويقال إنها أَرْزن الرُّوم ، فالله أعلم .

وكان مولده بمَنازْجِرْد من أرضِ الجزيرة من ديار بكر ، وسمع الحديث من أبي يعلى المَوْصلي وغيره ، وأخذ النَّحْو واللُّغة من ابن دُرَيد وأبي بكر بن الأنباري ونِفْطَويه وغيرهم ، وصنَّف « الأمالي » وهو مشهور[٤] ، وله كتاب « البارع »[٥] على حروف المعجم في خمسة آلاف ورقة ، وغير ذلك من المُصَنَّفات في اللغة ، ودخل بغداد ، وسمع بها ، ثم ارتحل إلى قُرْطبة ، فدخلها في سنة ثلاثين وثلاثمئة واستوطنها ، وصنَّف كتباً كثيرة فيها إلى أن توفي بها في هذه السنة عن ثمانٍ وستين سنة ، قاله القاضي ابن خلِّكان[٦] .

وفيها توفي أبو علي محمد بن إلياس صاحب بلاد كَرْمان وأرضها ومعاملاتها ، فأخذ عضد الدولة بن ركن الدولة بلاد كرمان من أولاد محمد بن إلياس وهم ثلاثة : اليسع ، [وإلياس][٧] وسليمان .

والملك الكبير وشمكير ، كما قدَّمنا ذكره في هذه السنة .

وممن توفي فيها من الملوك الحسن بن الفيرزان ، ومعز الدولة بن بويه الدَّيْلمي ، وسيف الدولة صاحب حلب كما قدمنا ذكر ذلك[٨] .

قال ابن الأثير : وفيها هلك النقفور ملك الروم[٩] . يعني الدمستق صاحب بلاد الأرمن ، وقد ذكرنا

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (١٣٢ و٢٠٢ ـ ٢٠٥) تاريخ علماء الأندلس (١/ ٦٩) جذوة المقتبس (١٦٤ ـ ١٦٧) الأنساب (١٠/ ٣٣) فهرست ابن خير (ص٣٩٥) بغية الملتمس (٢٣١ ـ ٢٣٤) معجم الأدباء (٧/ ٢٥ ـ ٣٣) معجم البلدان (٤/ ٣٠٠) إنباه الرواة (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٩) اللباب (٣/ ٩) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥ ـ ٤٧) العبر (٢/ ٣٠٤) مرآة الجنان (٢/ ٣٥٩) المزهر (٢/ ٤٢٠) بغية الوعاة (١/ ٤٥٣) نفح الطيب (١/ ٣٦٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩) وغيرها ، شذرات الذهب (٣/ ١٨) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٣) في (ح) : سليمان ، والمثبت من (ب) ، وهو ما عليه أغلب المصادر .

(٤) طبع في دار الكتب المصرية ـ القاهرة سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م .

(٥) في (ح) و(ب) و(ط) : التاريخ ، وهو تحريف ، والمثبت من وفيات الأعيان (١/ ٢٢٦) .

(٦) انظر وفيات الأعيان (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٨) انظر الصفحة السابقة .

(٩) الكامل (٨/ ٥٨٠) .

ترجمته وما ورد عنه من الشعر ، وأوردنا جوابها للإمام العلامة أبي محمد بن حزم الفقيه الظاهري[١] رحمه الله تعالى .

وممن توفي بها كافور الإخشيذي في قول ابن خلكان[٢] .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمئة

فيها شاع الخبر ببغداد وغيرها من البلاد أن رجلاً قد ظهر يقال له محمد بن عبد الله ، ويلقب بالمهدي وزعم أنه الموعود به في الحديث الوارد في المهدي ، وأنه يدعو إلى الخير وينهى عن الشر ، ودعا إليه أُناسٌ ببغداد ، فإن دعوا سنياً قالوا : هو من سلالة العباس ، وإن كان المدعو شيعياً ، قالوا له : هو علوي ، وكان الرجل إذ ذاك مقيماً بمصر عند كافور الإخشيذي قبل أن يموت ، وكان يكرمه ، فكان من جملة المستجيبين له سُبُكْتكين الحاجب ، وكان شيعياً فظنَّه علوياً ، وكتب إليه أن يقدم إلى بغداد ليأخذ له البلاد ، فترحل من مصر ، فلقيه سُبُكْتِكين إلى قريب الأنبار ، فلما رآه عرفه ، وإذا هو محمد بن المُسْتكفي بالله العَبَّاسي ، فلما تحقق أنه عباسيٌّ وليس بعلوي انثنى رأيه عنه ، وتفرَّق شمله وتمزَّق أصحابه كل ممزَّق ، وحمل إلى عز الدولة بن معز الدولة ، فأمنه ، وتسلَّمه المطيع لله ، فجدع أنفه واختفى أمره ، فلم يعرف له خبر بالكلية بعد ذلك .

وفيها وردت طائفة من الرُّوم ـ لعنهم الله ـ إلى بلاد أنطاكية ، فقتلوا خلقاً من حواضرها ، وسبوا اثني عشر ألفاً من أهلها ، ورجعوا إلى بلادهم ، ولم يعرض لهم أحد .

وعملت الرَّوافض في عاشورها المأتم ، وفي يوم غدير خُمّ الهناء والسرور .

وفيها عرض للناس في تشرين داء الماشرى ، فمات به خَلْقٌ كثير فجأة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها مات أكثر جمال الحجيج في الطَّريق من العطش ، ولم يصل منهم إلى مكة إلا القليل ، وفات أكثر منْ وصل منهم الحج عامه ذلك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها اقتتل أبو المعالي شريف بن سيف الدولة هو وخاله وابنُ عم أبيه أبو فراس بن سعيد بن حمدان الشاعر عند قرية يقال لها صَدَد ، فقتل أبو فراس في المعركة . قال ابنُ الأثير : ولقد صدق من قال : إن المُلْك عقيم[٣] .

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٥٥هـ) .

(٢) انظر وفيات الأعيان (٤/ ١٠٥) .

(٣) الكامل (٨/ ٥٨٨) .

وفيها أظهرت الشيعة الحزن الشديد يوم عاشوراء من المحرم ، وعملوا عيد غدير خم في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة ، وأظهروا الفرح والسرور .

ومن توفي فيها أيضاً :

إبراهيم المتقي لله بن جعفر المقتدر ، وكان قد ولي الخلافة ، ثم ألجىء إلى أن خُلع عنها سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة كما ذكرنا[١] ، وألزم بيته ، فمات في هذه السنة ، ودفن بداره عن ستين سنة ، [رحمه الله][٢] .

عمر بن جعفر بن عبد الله[٣] بن أبي السَّري : أبو حفص ، البَصْري الحافظ .

ولد سنة ثمانين ومئتين ، وكان انتخب على المشايخ ، وحدَّث عن أبي خليفة الفَضْل بن الحُباب وغيره ، وقد انتقد عليه مئة موضع ، قال الدَّارَقُطني : فنظرت فيها ، فإذا الصَّواب مع عمر بن جعفر[٤] .

ومحمد بن أحمد بن علي بن مَخْلَد[٥] : أبو عبد الله، الجَوْهري، المُحْتَسِب، ويعرف بابن المُحْرِم[٦] .

وكان أحد أصحاب ابن جرير ، وقد روى عن الكُدَيمي وغيره ، وقد اتفق أنه تزوَّج امرأةً ، فلما أُدخلت[٧] عليه جلس يكتب الحديث ، فجاءت أمها ، فأخذت الدَّواة فرمت بها ، وقالت : هذه أضرُّ على ابنتي من ثلاثمئة ضرَّة . وقد توفي في هذه السنة عن ثلاثٍ وتسعين سنة ، وكان يضعَّف في الحديث .

وكافُور بن عبد الله الإخْشيْدِي[٨] : كان مولى للسُّلطان محمد بن طُغْج الإخشيد . اشتراه من بعض أهل مِصر بثمانية عشر ديناراً ، وقرَّبه وأدناه ، واختصَّه من بين الموالي واصطفاه ، ثم جعله أتابكاً حين ملك ولداه ، ثم استقلَّ بالأمور بعد موتهما في سنة خمسٍ وخمسين ، واستقرَّت المملكة باسمه ، فدعي له على المنابر بالدِّيار المِصْرية والشَّامية وبلاد الحجاز جميعاً ، وكان شَهْماً ذكياً فاتكاً جيد السِّيرة ، مدحه

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٣٣هـ) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٩) المنتظم (٧/ ٤٤ ـ ٤٥) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٣٤ ـ ٩٣٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٧٢ ـ ١٧٣) العبر (٢/ ٣٠٩) ميزان الاعتدال (٣/ ١٨٤) لسان الميزان (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩) طبقات الحفاظ (٣٧٨) شذرات الذهب (٣/ ٢٦) .

(٤) انظر تاريخ بغداد (١١/ ٢٤٤) .

(٥) تاريخ بغداد (١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) المنتظم (٧/ ٤٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٦٠ ـ ٦١) العبر (٢/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٦٢) مشتبه النسبة (٢/ ٥٧٩) لسان الميزان (٥/ ٥١ ـ ٥٢) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠) شذرات الذهب (٣/ ٢٦) .

(٦) انظر تبصير المنتبه (٤/ ١٢٦٨) .

(٧) في (ح) : دخلت ، والمثبت من (ب) .

(٨) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٥٨هـ) .

الشعراء ، ووفد إليه المتنبي حين ذهب مغاضباً لسيف الدولة بن حمدان ، فآوى إلى كافور ، وحصل له منه رِفْد ، ثم تغيَّر عليه ، فأبعده كافور فهجاه ، ورحل عنه إلى عضد الدولة بن بويه ، وكان هناك حتفه كما تقدم بيانه . وأما كافور فإنه لما توفي دفن بتربته المشهورة به ، وقام بالملك بعده أبو الحسن علي بن الإخشيد(١) ، ومنه أخذ الفاطميون الأدعياء بلادَ مِصْر كما سيأتي . وكانت مملكة كافور سنتين وثلاثة أشهر ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمئة

في عاشوراء عملت الرَّوافض بدعتهم ، وفي يوم غدير خُمّ عملوا الفرح المبتدع .

وحصل بالعراق غلاء عظيم حتى كاد يعدم الخبز بالكلية .

وعاثت الروم في البلاد فساداً ، وحرقوا حمص ، وأفسدوا فيها فساداً عظيماً ، وسَبَوْا من المسلمين نحواً من مئة ألف إنسان ، [فإنا لله وإنا إليه راجعون](٢) .

دخول جوهر القائد إلى الديار المصرية

وفيها دخل أبو الحسن جوهر القائد الرُّومي في جيشٍ كثيف من جهة المعز الفاطمي إلى ديار مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان ، فلما كان يوم الجمعة خطب للمعزِّ الفاطمي على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها ، وأمر جوهر المؤذنين بالجامع العتيق وبجامع ابن طولون أن يؤذنوا بحي على خير العمل ، وأن يجهر الأئمة بالبسملة ، وذلك لأنه لما توفي كافور الإخشيدي لم يبق بمصر من تجتمع القلوب عليه ، وأصابهم غلاءٌ شديد أضعفهم ، فلما بلغ ذلك المُعزّ وهو ببلاد إفريقية بعث جوهر القائد الرومي ، مولى أبيه المنصور ـ في جيش كبير إلى الديار المصرية ، فلما بلغ ذلك أصحابَ كافور هربوا منها قبل وصول جوهر القائد إليها ، فدخلها آخذاً لها بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة ، ففعل ما ذكرنا من الأمور ، واستقرَّت أيديهم على تلك البلاد بعد كافور الإخشيدي .

وفي هذه السنة شرع جوهرالقائد في بناء القاهرة المُعزِّية ، وبناء القَصْرين عندها على ما سنذكره ، وهيأ الإقامات لمولاه المعز الفاطمي .

---

(١) كذا في (ح) و(ب) ، والصواب أنهم أقاموا ابنه أبا الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد ، وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، وقد قرَّ في صدر الترجمة هذه أن كافوراً استقل بالأمر سنة (٣٥٥هـ) ، وهي سنة وفاة علي بن الإخشيد ، انظر الولاة والقضاة للكندي (٢٩٧) ووفيات الأعيان (٤/ ١٠٥ و٥/ ٥٩) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

وأرسل جوهر [القائد][١] جعفرَ بنَ فلاح في جيش كثيف إلى الشام ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى الهاشمي ، وكان مطاعاً فيهم ، فحاجف[٢] عن العباسيين مُدَّة طويلة ، ثم آل الأمر إلى أن خطب للمعز بدمشق ، وحمل الشريف أبو القاسم إلى الديار المصرية ، وأسر الحسن بن عبد الله بن طُغْج وجماعة من الأمراء ، [فحملوا إلى الديار المصرية][٣] فحملهم جوهر إلى المعز بإفريقية ، واستقرَّت يد الفاطميين على دمشق في سنة ستين كما سيأتي[٤] ، وأذن حي على خير العمل أكثر من مئة سنة ، وكتبت لعنة الشيخين رضي الله عنهما على أبواب الجوامع ، وأبواب المساجد بدمشق ، [فإنا لله وإنا إليه راجعون][٥] . ولم يزل ذلك كذلك حتى أزالت ذلك دولة الأتراك على ما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى .

وفيها دخلت الرُّوم إلى حمص فوجدوا أكثر أهلها قد جلوا عنها وانتقلوا منها ، فحرقوها ، وأسروا من بقي بها ومن حولها نحواً من ألف إنسان ، [فإنا لله وإنا إليه راجعون][٥] .

وفي ذي الحجَّة نَقَلَ عِزُّ الدولة والدَه معز الدولة بن بُوَيْه من داره إلى تربته بمقابر قريش .

وممن توفي فيها من الأعيان وذكره ابن الجوزي في « منتظمه »[٦] كافور الإخشيدي [وقد تقدم] . قال ابن الجوزي : وقد رأيت مدح المتنبي لكافور يحتمل الذم والمدح ، وكأنه تلعب به ، والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمئة

في عاشر المحَرَّم منها عملت الرَّوافض بدعتهم الشَّنعاء ، فغلقت الأسواق ، وتعطَّلت المعايش ودارت النِّساء سافرات عن وجوههن ينحن على الحسين بن علي ، ويلطمن وجوههن ، والمسوح معلَّقة في الأسواق والتبن مذرور فيها .

وفيها دخلتِ الروم الملاعين أنطاكية ، فنفوا أهلها الشيوخ والعجائز ، وسبوا من النِّساء والأطفال نحواً من عشرين ألفاً ، وذلك كلُّه بتدبير ملك الأرمن النقفور ، لعنه الله .

قال ابن الجَوْزي : وكان قد تجبر وطغا وتمرد ، وقد تزوج مع ذلك بامرأة الملك الذي كان قبله ،

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٢) أي دافع عنهم ، انظر اللسان (حجف) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٤) انظر أحداث سنة (٣٥٩هـ) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٦) انظر المنتظم (٧/ ٥٠ ـ ٥١) .

ولها منه ابنان ، فأراد أن يخصيهما ويجعلهما في الكنيسة لئلا يصلحا بعد ذلك للملك ، فلما فهمت أمهما ذلك عملت عليه وسلَّلت[(١)] عليه الأمراء ، فقتلوه وهو نائم ، وملَّكوا عليهم أكبر ولديها .

وفي ربيع [الأول][(٢)] صُرف عن القضاء أبو بكر أحمد بن سيار ، وأعيد إليه أبو محمد بن معروف .

قال ابنُ الجوزي : وفي هذه السنة نقصت دجلة حتى غارت الآبار . وحجَّ بالناس الشريف أبو أحمد النقيب[(٣)] .

قال : وانقضَّ كوكبٌ في ذي الحجَّة فأضاءت منه الدنيا حتى بقي له شعاعٌ كالشمس ، ثم سُمِع له صوت كالرَّعد[(٤)] .

قال ابنُ الأثير : وفي المحرَّم من هذه السنة خطب للمعز الفاطمي بدمشق عن أمر جعفر بن فلاح الذي سيَّره جوهر القائد من مصر إلى الشام ، فقاتله أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طُغْج بالرَّمْلة ، فغلبه ابنُ فلاح ، وأسر ابن طُغْج وسيَّره إلى جوهر ، فأرسله جوهر إلى المعز وهو بإفريقية واستقرَّت يد الفاطميين على دمشق أيضاً بعد حروب يطول ذكرها ، تطاول أمرها إلى آخر هذه السنة[(٥)] .

وفي هذه السنة وقع بين ناصر الدولة بن حمدان وبين ابنه أبي تغلب ، وسببه أنه لما مات معز الدولة بن بويه عزم أبو تغلب ومنْ وافقه من أهل بيته على الدخول إلى بغداد وأخذ مملكة العراق ، فقال لهم أبوهم : إن معز الدولة[(٦)] قد ترك لابنه أموالاً جزيلة لا تقدرون عليه ما دامت في يده ، ولكن اصبروا حتى ينفقها ، فإنه مبذِّر ، فإذا أفلس فثوروا عليه فإنكم تغلبونه لا محالة ، فحقد عليه ولده أبو تغلب بسبب ذلك ، ولم يزل بأبيه حتى سجنه في القلعة ، فاختلف أولاده بينهم وصاروا أحزاباً ، وضعفوا عن حفظ ما بأيديهم ، حتى بعث أبو تغلب إلى عز الدولة ، فضمن منه بلاد المَوْصل بألف ألف درهم كل سنة يحملها إليه ، واتفق موت أبيه ناصر الدولة في هذه السنة ، واستقرَّ أبو تغلب بالمَوْصِل ملكها ، إلا أنهم فيما بينهم مختلفين متحاربين ، فهلكوا ، ولو اتفقوا لملكوا[(٧)] .

وفي هذه السنة دخل ملك الرُّوم إلى طرابلس ، فأحرق كثيراً منها ، وملك قلعة عرفة ونهبها وسبى أهلها ، وكان في قلعتها صاحب طرابلس كان لجأ إليها حين أخرجه أهل طرابلس لأجل شدَّة ظلمه ،

---

(١) في (ب) و(ط) : وسلطت .
(٢) ما بين حاصرتين من المنتظم (٧/ ٥١) .
(٣) المنتظم (٧/ ٥١ ـ ٥٢) .
(٤) المنتظم (٧/ ٥٢) .
(٥) انظر الكامل (٨/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) .
(٦) في (ح) : عز الدولة ، وهو وهم ، والخبر ساقط من (ب) ، والمثبت من (ط) .
(٧) انظر الكامل (٨/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠ ، ٥٩٣ ـ ٥٩٦) .

فأسرته الروم ، واستحوذوا على جميع حواصله وأمواله ، وكانت كثيرة جداً ، ثم مالوا على السواحل ، فملكوا ثمانية عشر منبراً[(١)] سوى القرى ، وتنصَّر خَلْق كثير على أيديهم [لعنهم الله][(٢)] ، وجاؤوا حمص فحرقوا ونهبوا ، ومكث ملك الرُّوم شهرين ، فأخذ ما شاء من البلاد ، وأسر من قدر عليه من العباد ، وصارت له مهابة عظيمة في قلوب النَّاس ، ثم عاد إلى بلاده ومعه من السَّبي نحو من مئة ألف صبيٍّ وصبية ، وكان سبب عوده إلى بلاده كثرة الأمراض في جيشه ، واشتياقهم إلى أولادهم وأهليهم وأوطانهم ، وبعث سريةً إلى الجزيرة ، فنهبوا وسبوا ، وكان قرغويه غلام سيف الدولة قد استحوذ على حلب ، وأخرج منها ابنَ أستاذه أبا المعالي شريف بن سيف الدولة ، فسار إلى حَرَّان وهي تحت حكمه ، فأبوا أن يدخلوه إليهم ، فذهب إلى أمه بميَّافارِقين ، وهي ابنة سعيد بن حَمْدان ، فمكث عندها حيناً ، ثم سار إلى حماة فملكها ، ثم عاد إلى حلب بعد سنتين كما سنذكره فيما بعد ، ولما عاثتِ الروم في هذه السنة بالشَّام صانعهم قرغويه عن حلب ، وبعث إليهم بأموالٍ وتحف ، ثم عادوا إلى أنطاكية فملكوها وقتلوا خلقاً كثيراً بها ، وسبوا عامة أهلها ، وركبوا إلى حلب وأبو المعالي محاصر غلامه قرغويه ، فخافهم أبو المعالي ، فهرب عنها وحاصرها الرُّوم فأخذوا البلد ، وامتنعت القلعة عليهم ، ثم اصطلحوا مع قرغويه على هدنة مؤبدة ومال يحمله كل سنة ، وسلَّموا إليه البلد ، ورجعوا عنه .

وفي هذه السنة خرج على المعز الفاطمي وهو بإفريقية رجلٌ يقال له أبو خزر ، فنهض إليه المعز بنفسه وجنوده فهرب منه ، فأرسل في طلبه يوسف بُلُكين[(٣)] بن زيري ، فردَّه وطرده ، ثم عاد فاستأمن ، فقبل منه المعز ذلك ، وصفح عنه .

وجاء الرسول من جوهر القائد إلى المعز في هذه السنة يبشِّره بفتح الديار المصرية وإقامة الدعوة لهم فيها ، وطلبه إليه ، ففرح بذلك المعز الفاطمي فرحاً شديداً وامتدحه الشعراء ، فكان ممن امتدحه شاعره محمد بن هانىء في قصيدةٍ أولها :

يقول بنو العَبَّاس هل فُتِحتْ مِصْرُ   فَقُلْ لبني العَبَّاس قد قُضِيَ الأَمْرُ

وذكر ابنُ الأثير أن في هذه السنة توفي النقفور الذي كان دُمَستقاً ثم صار ملك الروم ، وأراد قتل ابني الملك الذي كان قبله ، فغارت أمهما له ، فقتلته غيلة . قال : وقد كان هذا اللعين من أبناء المسلمين ، كان أبوه من أهل طَرَسُوس من خيار المسلمين يعرف بابن الفقَّاس ، فتنصَّر هذا الكلب ، وحظي عند النصارى حتى صار من أمره ما صار ، وكان من أشدِّ الناس على المسلمين ، وقد أخذ بلاداً كثيراً عَنْوة ؛

---

(١) أي بلداً ، لأن المنبر لا يقام إلا في مسجد تقام به صلاة الجمعة .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٣) في (ح) : يوسف بن بلكين بن زيري ، وهو وهم ، والمثبت من (ب) ، وانظر وفيات الأعيان (١/ ٢٨٦ - ٢٨٧) .

من ذلك طرسوس وأَذَنة وعين زَرْبة والمَصِّيصة وغير ذلك من البلاد ، وقتل خلقاً كثيراً لا يعلمهم إلا الله ، وسبى من المسلمين والمسلمات ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم ، وهذا اللعين هو الذي بعث تلك القصيدة إلى المطيع لله . وقد أوردناها في آخر الجزء الذي قبل هذا في سنة خمس وخمسين وثلاثمئة ، ثم انتدب لها بعدئذ الفقيه الإمام ، أبو محمد بن حزم الظاهري ، فأجاب عنها جواباً شافياً كافياً ، فجزاه الله عن الإسلام خيراً[١] .

وفيها رام عِزُّ الدولة صاحب بغداد محاصرة عمران بن شاهين فلم يقدر عليه ، فصالحه ورجع إلى بغداد .

وفيها اصطلح قرغويه وأبو المعالي ، فخطب له قرغويه بحلب ، وخطبا جميعاً في معاملتيها للمعز الفاطمي ، بحلب وحمص ، وخطب بمكة للمطيع لله والقرامطة أيضاً ، وبالمدينة للمعز الفاطمي . وخطب أبو أحمد الموسوي بظاهرها للمطيع ، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن أحمد بن الحسن[٢] بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله ، أبو علي ، ابن الصَّوَّاف .

روى عن عبد الله بن أحمد وطبقته ، وعنه خَلْقٌ منهم الدَّارَقُطْني ، وقال : ما رأت عيناي مثله في تحرُّزه ودينه ، وقد بلغ تسعاً وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

محارب بن محمد بن محارب[٣] : أبو العلاء القاضي الفقيه الشَّافعي من ذُرِّية محارب بن دِثار[٤] .

وكان ثقة عالماً فاضلاً ، روى عن جعفر الفِرْيابي ، وغيره .

أبو الحسين أحمد بن محمد[٥] : المعروف بابن القَطَّان ، أحد أئمة الشافعية .

تفقه بابن سُرَيج ، ثم بالشيخ أبي إسحاق المَرْوزي ، وتفرَّد برياسة المذهب بعد موت أبي القاسم

---

(١) انظر وفيات سنة (٣٥٥هـ) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : الحسين ، وهو تحريف ، والمثبت من تاريخ بغداد (١/ ٢٨٩) ومثله في مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (١/ ٢٨٩) الأنساب (٨/ ٩٩) المنتظم (٧/ ٥٢ ـ ٥٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٨٤ ـ ١٨٦) الوافي بالوفيات (٢/ ٤٤) شذرات الذهب (٣/ ٢٨) .

(٣) المنتظم (٧/ ٥٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٧٧) .

(٤) قاضي الكوفة لخالد بن عبد الله القسري ، المتوفى سنة (١١٦هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٧ ـ ٢١٩) .

(٥) تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٣) وفيات الأعيان (١/ ٧٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٥٩) الوافي بالوفيات (٧/ ٣٢١) طبقات ابن هداية الله (٨٥) شذرات الذهب (٣/ ٢٨) .

الدَّارَكي[١] ، وصنَّف في أُصول الفِقْه وفروعه ، وكانت الرحلة إليه ببغداد ، ودرَّس به ، وكتب شيئاً كثيراً ، وكانت وفاته رحمه الله تعالى ورضي عنه في جمادى الأولى من هذه السنة .

ثم دخلت سنة ستين وثلاثمئة

في عاشر محرَّمها عَمِلَتِ الرَّوافض بِدْعتهم المحرَّمة على عادتهم المتقدِّمة .

وفي ذي القَعْدة منها أخذت القرامطة دمشق ، وقتلوا نائبها جَعْفر بن فَلاح[٢] من جهة المعز الفاطمي ، وكان رئيس القرامطة وأميرهم الحسن[٣] بن أحمد بن بَهْرام ، وقد أمدَّه عِزُّ الدولة من بغداد بسلاحٍ وعُدَدٍ كثيرة ، ثم ساروا إلى الرَّمْلة فأخذوها ، وتحصَّن منْ كان فيها من المغاربة بيافا ، فتركوا عليها من يحصرها ، وساروا نحو الديار المصرية في جَمْع كثير من الأعراب والإخشيدية والكافُورية ، فوصلوا عين شمس ، فاقتتلوا هم وجنود جوهر قتالاً شديداً ، والظفر كان للقرامطة ، وحصروا المغاربة حَصْراً عظيماً . ثم حملت المغاربة في بعض الأيام على ميمنة القرامطة فهزمتها ، ورجعت القرامطة إلى الشَّام ، فجدُّوا في حصار يافا ، فأرسل جوهر إلى أصحابه خمسة عشر مركباً ميرةً لأصحابه ، فأخذتها مراكب القرامطة سوى مركبين أخذتهما الفرنج ، وجَرَتْ خطوبٌ كثيرة .

ومن شعر الحسن بن أحمد بن بَهْرام أمير القرامطة :

زَعَمَتْ رجالُ الغَرْبِ أنّي هِبْتُها[٤] فَـدَمـي إذاً مـا بَيْنهُـمْ مَطْلُـولُ
يا مِصْرُ إن لم أسْقِ أرْضَكِ من دمٍ يَـرْوي ثَـراكِ فـلا سَقـانـي النِّيْـلُ

وفيها تزوَّج أبو تغلب بن حمدان ابنة بَخْتيار عز الدولة وعمرها ثلاث سنين على صَدَاق مئة ألف دينار ، ووقع العَقْد في صفرٍ .

وفيها استوزر مؤيَّد الدولة بن ركن الدولة الصَّاحب أبا القاسم بن عَبَّاد ، فأصلح أموره كلها وساس دولته جيداً .

وفيها أُذِّن بدمشق وسائر الشَّام بحيَّ على خير العمل .

---

(١) ما أدري كيف يصح هذا إذا كانت وفاة أبي القاسم الداركي سنة (٣٧٥هـ) كما سيأتي في ترجمته في وفيات سنة (٣٧٥هـ) .

(٢) مَرَّ أنه دخل دمشق سنة (٣٥٨هـ) ، وانظر ترجمته في وفيات الأعيان (١/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) .

(٣) في (ح) و (ب) و (ط) : الحسين ، وهو تحريف ، والمثبت من مصادر ترجمته التي سترد في وفيات سنة (٣٦٦هـ) .

(٤) في (ح) : هبتهم ، والمثبت من (ب) .

قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة جعفر بن فَلاح نائب دمشق : أول من تأمر بها عن الفاطميين وهو الذي أمر بذلك نيابة عن المعز الفاطمي صاحب القاهرة ، أخبرنا أبو محمد بن الأكْفاني[(١)] قال : قال أبو بكر أحمد بن محمد بن شرام : وفي يوم الخميس لخمسٍ خَلَون من صفر من سنة ستين وثلاثمئة أعلن المؤذنون في الجامع بدمشق وسائر منائر البلد ، ومآذن المساجد بحي على خير العمل بعد حي على الفلاح ، أمرهم بذلك جعفر بن فلاح ، ولم يقدروا على مخالفته ، ولا وجدوا من المسارعة إلى طاعته بداً . وفي يوم الجمعة الثامن من جُمادى الآخرة منه أُمر المؤذنون أن يثنوا الأذان والتكبير في الإقامة مثنى مثنى ، وأن يقولوا في الإقامة حي على خير العمل ، فاستعظمَ النَّاس ذلك ، وصبروا على حكم الله تعالى .

وممن توفي فيها من الأعيان :

السَّري بن أحمد بن السَّري[(٢)] : أبو الحسن ، الكِنْدي ، الرَّفَّاء ، الشَّاعر المَوْصلي ، أرَّخ وفاته ابنُ الأثير في هذه السنة أعني سنة ستين وثلاثمئة ، وكانت وفاته ببغداد[(٣)] .

وذكر ابنُ الجوزي أنه توفي سنة ثنتين وستين وثلاثمئة كما سيأتي[(٤)] .

محمد بن جعفر[(٥)] بن محمد بن الهيثم بن عمران بن يزيد : أبو بكر البُنْدار[(٦)] ، أصله أنباري .

سمع من أحمد بن الخليل البُرْجُلاني ، ومحمد بن [أبي][(٧)] العَوَّام الرِّياحي ، وجعفر بن محمد الصَّائغ ، وأبي إسماعيل التِّرمذي .

قال ابنُ الجوزي : وهو آخر من روى عنهم[(٨)] .

---

(١) هو هبة الله بن أحمد بن محمد ، مفيد الشام ، وأحد أئمة الحديث ، ولد سنة (٤٤٤هـ) ، وتوفي سنة (٥٢٤هـ) ، وهو من شيوخ الحافظ ابن عساكر ، سمع منه الكثير ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٧٦ ـ ٥٧٨) .

(٢) يتيمة الدهر (٢/ ١١٧ ـ ١٨٢) تاريخ بغداد (٩/ ١٩٤) الأنساب (٦/ ١٤١) المنتظم (٧/ ٦٢ ـ ٦٣) معجم الأدباء (١١/ ١٨٢ ـ ١٨٩) الكامل لابن الأثير (٨/ ٦١٧) وفيات الأعيان (٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢١٨) العبر (٢/ ٣٥٧) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٧) شذرات الذهب (٣/ ٧٣ ـ ٧٤) .

(٣) الكامل لابن الأثير (٨/ ٦١٧) .

(٤) المنتظم (٧/ ٦٢ ـ ٦٣) وانظر وفيات سنة (٣٦٢هـ) .

(٥) تاريخ بغداد (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١) المنتظم (٧/ ٥٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٦٣ ـ ٦٤) العبر (٢/ ٣١٦) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٢) شذرات الذهب (٣/ ٣١) .

(٦) البندار : لفظ فارسي معناه التاجر ، ومنه البندر : وهو المرسئ ومقر التجار ، ومنه أيضاً الشاهبندر ، انظر الألفاظ الفارسية المعربة (٢٧ ـ ٢٨) .

(٧) ما بين حاصرتين من السير (١٣/ ٤) .

(٨) انظر المنتظم (٧/ ٥٥) .

قالوا : وكانت أصوله جياداً بخط أبيه ، وسماعه صحيحاً ، وقد انتقى عليه عمر البَصْري ، وكانت وفاته فجأة يوم عاشوراء وقد جاوز التسعين ، رحمه الله[١] .

محمد بن الحسين بن عبد الله[٢] : أبو بكر الآجُرِّي .

سمع جعفر الفِرْيابي ، وأبا شُعيب الحَرَّاني ، وأبا مسلم الكَجِّي ، وخلقاً .

وكان ثِقَةً صدوقاً دَيِّناً ، وله تصانيف كثيرة مفيدة ، منها « الأربعون الآجُرِّية » ، وقد حدَّث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمئة ، ثم انتقل إلى مكة ، فأقام بها حتى مات بعد إقامته بها ثلاثين سنة ، رحمه الله تعالى .

محمد بن جعفر بن محمد بن مَطَر[٣] : أبو عمرو الزَّاهد .

سمع الكثير ، ورحل إلى الآفاق المتنائية ، وسمع منه الحُفَّاظ الكبار ، وكان فقيراً متقلِّلاً ، يضرب اللَّبِنَ لقبور الفقراء ، ويتقوَّت برغيف ، بجزرة أو بصلة ، ويقوم اللَّيل كله ، وكانت وفاته في جُمادى الآخرة من هذه السنة عن خمسٍ وتسعين سنة[٤] .

محمد بن داود ، أبو بكر الصُّوفي[٥] : ويعرف بالدُّقِّي ، أصله من دِينور ، وأقام ببغداد ، ثم انتقل إلى دمشق ، وقد قرأ على ابن مجاهد ، وسمع الحديث من محمد بن جعفر الخرائطي ، وصَحِبَ ابنَ الجَلاَّء ، والدَّقَّاق ، وكانت وفاته في هذه السنة ، وقد جاوز المئة ، رحمه الله تعالى .

محمد بن الفَرُّخان[٦] بن روزبة[٧] : [أبو][٨] الطَّيِّب الذروي[٩] ، دخل بغداد ، وحدَّث بها

---

(١) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٥١) .

(٢) الفهرست (٣٠١ ـ ٣٠٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٢) الأنساب (١/ ٩٤) المنتظم (٧/ ٥٥) معجم البلدان (١/ ٥١) وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣ ـ ١٣٦) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٣٦) العبر (٢/ ٣١٨) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) مرآة الجنان (٢/ ٣٧٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٤٩) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٧٩ ـ ٨٠) العقد الثمين (٢/ ٣ ـ ٥) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٠) طبقات الحفاظ (٣٧٨) شذرات الذهب (٣/ ٣٥) .

(٣) في (ح) و (ب) : مظفر ، وهو تحريف ، ومثله في المنتظم (٧/ ٥٦) والمثبت من اللباب لابن الأثير (٣/ ١٥٠) وترجمته في : المنتظم (٧/ ٥٦) اللباب (٣/ ١٥٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦٢ ـ ١٦٣) العبر (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٢) شذرات الذهب (٣/ ٣١) .

(٤) انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦٣) .

(٥) طبقات الصوفية (٤٤٨ ـ ٤٥٠) تاريخ بغداد : (٥/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) الرسالة القشيرية (٢٨) الأنساب (٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) المنتظم (٧/ ٥٦) اللباب (١/ ٥٠٥) المختصر في أخبار البشر (٢/ ١١١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٨ ـ ١٣٩) الوافي بالوفيات (٣/ ٦٣) طبقات الأولياء (٣٠٦ ـ ٣١٠) طبقات الشعراني (١/ ١٤٠) نتائج الأفكار القدسية (٢/ ٣) .

(٦) تاريخ بغداد (٣/ ١٦٧) الأنساب (٥/ ٣٥٨و ٩/ ٢٦٤) المنتظم (٧/ ٥٦) ميزان الاعتدال (٤/ ٤ ـ ٥) .

(٧) انظر ترجمة أبيه الفرخان بن روزبة مولى المتوكل على الله في تاريخ بغداد (١٢/ ٣٩٩) .

(٨) ما بين حاصرتين مثبت من الأنساب (٩/ ٢٦٤) .

(٩) نسبة إلى دور سُرَّ من رأى ، انظر الأنساب (٥/ ٣٥٨) .

عن أبيه بأحاديث منكرة ، روى عن الجُنيد وابن مسروق[١] .

قال ابن الجوزي : وقد كان فيه ظَرْفٌ ولباقة ، غير أنهم كانوا يتهمونه بوضع الحديث[٢] .

الطَّبَراني سليمان بن أحمد بن أيوب[٣] : أبو القاسم ، الطبراني ، اللَّخْمي ، الحافظ الكبير ، صاحب المعجم الكبير ، والأوسط ، والصغير ، و « كتاب السُّنَّة » وكتاب « مسند الشَّاميين » ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة .

عَمَّر مئة سنة ، وكانت وفاته في هذه السنة بأصبهان ، ودفن على بابها عند قبر حُمَمَة الدَّوسي الصَّحابي رضي الله عنه[٤] ، قاله أبو الفَرَج بن الجَوزي في « المنتظم »[٥] .

وقال ابنُ خَلِّكان : سمع من ألف شيخ ، قال : وكانت وفاته يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القَعْدة في هذه السنة ، وقيل : في شوَّال منها .

أحمد بن محمد بن الفتح[٦] : ويقال : ابن أبي الفتح ، الخاقان ، أبو العباس النَّجَّاد ؛ إمام جامع دمشق .

قال ابن عساكر : كان عابداً صالحاً ، وذكر أن جماعةً جاؤوا لزيارته ، فسمعوه يتأوَّه من وجعٍ كان به ، فأنكروا عليه [ذلك][٧] ، فلما خرج إليهم ، قال لهم : إن آه اسمٌ من أسماء الله يستروح إليه الأعِلاء . قال : فزاد في أعينهم وعَظَّموه[٨] .

قلت : لكن هذا الذي قاله لا يُؤخذ عنه مُسَلَّماً بلا دليل ، بل يحتاج إلى نقل صحيحٍ عن المعصوم ، فإن أسماء الله تعالى توقيفية على الصَّحيح ، والله تعالى أعلم بالصَّواب .

---

(١) في (ح) : ابن مرزوق ، والمثبت من (ب) ، وانظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥) .

(٢) المنتظم (٧/ ٥٦) .

(٣) ذكر أخبار أصبهان (١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٩ ـ ٥١) الأنساب (٨/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) المنتظم (٧/ ٥٤) معجم البلدان (٤/ ١٨ ـ ١٩) اللباب (٢/ ٨٠) وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩ ـ ١٣٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩١٢ ـ ٩١٧) ميزان الاعتدال (٢/ ١٩٥) العبر (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦) مرآة الجنان (٢/ ٣٧٢) غاية النهاية (١/ ٣١١) لسان الميزان (٣/ ٧٣ ـ ٧٥) النجوم الزاهرة (٤/ ٥٩ ـ ٦٠) طبقات الحفاظ (٣٧٢ ـ ٣٧٣) طبقات المفسرين للداودي (١/ ١٩٨ ـ ٢٠١) شذرات الذهب (٣/ ٣٠) .

(٤) انظر ترجمته في أسد الغابة (٢/ ٥٣) والإصابة (٢/ ٣٩) .

(٥) المنتظم (٧/ ٥٤) .

(٦) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣/ ٢٨٠) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٨) انظر تاريخ ابن عساكر مختصره (٣/ ٢٨٠) .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمئة

في عاشرها عَمِلَتِ الرَّوافض ببغداد البدعة التي تقررت من النوح على الحسين بن علي .

وفي المحرَّم منها أغارتِ الرُّوم على الجزيرة وبلاد بكر ، فقتلوا خَلْقاً كثيراً من أهل الرُّها ، وساروا [في البلاد][1] كذلك يقتلون ويأسرون ويغنمون إلى [أن وصلوا][2] نَصِيبين ، وفعلوا كذلك ببلاد بكر ، ولم يُغْنِ عن تلك النواحي [أبو تغلب][3] بن حمدان متوليها شيئاً ، ولم يكن عنده دفاع ولا قوة ، فعند ذلك ذهب أهل الجزيرة إلى بغداد يستنصرون ويستصرخون ، فرثى لهم أهلُ بغداد ، وأرادوا إدخالهم على الخليفة المطيع لله فلم يمكنهم ذلك[4] ، وكان بَخْتيار بن معزّ الدولة مشغولاً بالصَّيد ، فذهبت الرُّسُل وراءه ، فبعث الحاجب سُبُكْتِكين يستنفر الناس ، فتجهَّز خَلْقٌ كثير من العامة ، وكتب إلى أبي تغلب أن يُعدَّ الميرة والإقامات ، فأظهر السُّرور بذلك والفرح والابتهاج ، ولما تجهَّزت العامة للغَزاة وقعت بينهم فتنة شديدة بين الرَّوافض [وأهل][5] السُّنَّة ، فأحرقتِ السُّنَّة دورَ الرَّوافض في الكَرْخ ، وثار[6] العيارون ببغداد يأخذون أموال الناس ، وتنافس النقيب أبو أحمد الموسوي والوزير أبو الفَضْل الشِّيرازي ، وأرسل بَخْتيار بن معز الدولة إلى الخليفة يطلب منه أموالاً يستعين بها في هذه الغَزاة ، فبعث إليه يقول : لو كان الخَراج يجبى إليَّ لدفعت منه ما يحتاج المسلمون إليه ، ولكن أنتَ تصرف منه ما للمسلمين إليه[7] ضرورة ، وأنا فليس عندي شيء أبعث به إليك . فترددت البُرُدُ[8] بينهما ، وأغلظ بختيار للخليفة في ذلك وتهدَّده ، فاحتاجَ الخليفةُ أن يحصِّلَ له شيئاً ، فباع بعض ثياب بدنه ، وشيئاً من أثاثه ، ونقض بعض سقوف دوره ، وحصَّل أربعمئة ألف دِرْهم ، فَصَرَفها بختيار في مصالح نفسه وأبطل تلك الغَزاة ، فتغمَّم[9] الناس للخليفة ، وساءهم ما فعل ابن بويه من أخذه مال الخليفة وتركه الجهاد في سبيل الله ، فلا جزاه الله خيراً عن المسلمين ولا عن إمامهم .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في (ح) و(ب) : لم يمكن ذلك ، والمثبت من (ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ح) : وصارت ، وفي (ب) : سارت ، والمثبت من (ط) .
(٧) في (ح) : به ، والمثبت من (ب) .
(٨) البرد ، مفردها بريد : الرسل ، انظر اللسان (برد) .
(٩) كذا في (ح) و (ب) : فتغم ، وفي (ط) : فنقم ، ولعلها : فاغتمَّ .

وفيها تسلَّم أبو تغلب بن حمدان قلعة ماردين ، فنقل حواصلها وما فيها إلى المَوْصل .

وفيها اصطلح الأمير منصور بن نوح السَّاماني صاحب خراسان هو وركن الدولة بن بُوَيه وابنه عضد الدولة على أن يحملا إليه في كل سنة مئة ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وتزوَّج بابنة ركن الدولة[١] ، فحمل إليه من الهدايا والتُّحَف ما لا يحدُّ ولا يوصف .

وفي شوَّال منها خرج المعزُّ الفاطمي بأهله وحاشيته وجنوده من مدينة المنصورة من بلاد المغرب قاصداً الدِّيار المِصْرية ، بعد ما مهَّد له مولاه جوهر القائد أمرها وبنى له بها القصرين ، واستخلف المعز الفاطمي على بلاد المغرب ونواحيها وصِقِلِّية وأعمالها نواباً من حزبه وأنصاره من أهل تلك البلاد ، واستصحب معه شاعره محمد بن هانىء الأندلسي ، فتوفي في أثناء الطَّريق ، على ما سنذكره[٢] ، وكان قدوم المُعزِّ إلى القاهرة في رمضان من السنة الآتية ، [على ما سيأتي إن شاء الله تعالى][٣] .

وفيها حجَّ بالناس الشريف أبو أحمد الموسوي النقيب على الطَّالبيين كلِّهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصَّواب .

ومن توفي فيها من الأعيان :

سعيد بن أبي سعيد الجَنَّابي[٤] : أبو القاسم ، القِرْمطي الهَجَري ، وقام بالأمر من بعده أخوه أبو يعقوب يوسف[٥] ، ولم يبق من سلالة أبي سعيد سواه .

عثمان بن عمر بن خفيف[٦] : أبو عمرو ، المقرىء ، المعروف بالدَّرَّاج .

روى عن أبي بكر بن [أبي][٧] داود ، وعنه ابن رِزْقويه ، وكان من أهل القرآن والفِقْه [والدِّراية][٨] والديانة والسِّتر ، جميل المذهب ، وكان يُعدُّ من الأبدال .

توفي يوم الجمعة من رمضان هذه السنة ، رحمه الله .

---

(١) في الكامل (٨/ ٦٢٦) : وتزوَّج نوح بابنة عضد الدولة . وما عندنا أشبه بالصَّواب .
(٢) انظر وفيات سنة (٣٦٢هـ) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٤) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٣) .
(٥) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٦٦هـ) .
(٦) تاريخ مدينة السلام ١٣/ ١٩٥ ـ ١٩٦ (بتحقيق الدكتور بشار) تاريخ الإسلام ٨/ ١٩٥ ، وذكرا وفاته في سنة ٣٦١ هذه .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) ، وهو ابن المحدث أبي داود صاحب السنن ؛ انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٠٣ ـ ٢٣٧) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ب) .

وأبو الحسين[١] علي بن إسحاق بن خَلَف[٢] القَطَّان ، الشَّاعر المعروف بالزَّاهي .

ومن شِعْره :

قُمْ نهنىءْ عاشقينِ أصبحا مُصْطَبحين[٣]
جُمعا بَعْدَ فِراقٍ فُجِعا منهُ وبَيْن
ثُمَّ عادا في سُرورٍ من صُدودٍ آمِنين
فهما رُوحٌ ولكنْ رُكِّبَتْ في بَدَنين[٤]

[محمد بن][٥] حُمَيد بن سَهْل[٦] بن شَدَّاد : أبو بكر المُخَرِّمي[٧] .

سمع أبا خليفة ، وجعفر الفِرْيابي ، وابن جرير وغيرهم ، وعنه الدَّارَقُطْني وابن رزْقويه وأبو نُعيم ، وقد ضعَّفه البَرْقاني وابن أبي الفوارس ، [وغيرهما ، والله أعلم][٨] .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وثلاثمئة

عملت الرَّوافض بدعتهم في عاشوراء من النِّياحة وتعليق المسوح وغَلْق الأسواق .

وفيها اجتمع الفقيه أبو بكر الرَّازي الحنفي ، وأبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني ، وابن الدقاق الحنبلي بعز الدولة بَخْتيار بن معز الدولة بن بُوَيه ، وحرَّضوه على غزو الرُّوم ، فبعث جيشاً لقتالهم ، فأظفرهم[٩] الله بهم ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وبعثوا برؤوسهم إلى بغداد ، فسكَنَتْ أنفسُ النَّاس .

---

(١) يتيمة الدهر (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥) تاريخ بغداد (١١/ ٣٥٠) الأنساب (٦/ ٢٣١) المنتظم (٧/ ٥٩) اللباب (٢/ ٥٥ ـ ٥٦) وفيات الأعيان (٣/ ٣٧١ ـ ٣٧٣) تاريخ الإسلام (٨/ ٤٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١١) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٣ ـ ٦٤) .

(٢) في تاريخ بغداد والمنتظم : أبو الحسن ، وفي يتيمة الدهر ووفيات الأعيان : أبو القاسم ، وفيه توفي سنة١٥٢هـ ، وتابعه على ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام والسير .

(٣) في تاريخ بغداد والمنتظم : مصطلحين ، وفي (ب) : مصطحبين .

(٤) في تاريخ بغداد : في جسدين .

(٥) ما بين حاصرتين من مصادر ترجمته وفي (ب) : أحمد بن سهل ، وهو وهم .

(٦) تاريخ بغداد (٣/ ٦٧ ـ ٨٦) (ط ـ الدكتور بشار) ، السمعاني في « المخرمي » من الأنساب ، المنتظم (٧/ ٥٩) تاريخ الإسلام (٨/ ١٩٧) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣١) .

(٧) في (ح) : المخزومي ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٩) في (ح) : فأظفر الله بهم ، والمثبت من (ب) .

وفيها سارتِ الرُّوم مع الدُّمَسْتق ـ لعنه الله ـ إلى حصار آمد ، وعليها مرد غلام أبي الهيجاء بن حَمْدان ، فكتب إلى أبي تغلب يستصرخه ، فبعث إليه أخاه أبا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، فاجتمعا لقتاله ، ولقياه في [يوم من][(١)] رمضان في مكانٍ ضيق لا مجال للخيل فيه ، فاقتتلوا مع الرُّوم قتالًا شديداً ، وعزمت الرُّوم على الفِرار فلم يقدروا ، فاستحرَّ فيهم القتل ، وأُخذ الدُّمَسْتق أسيراً ، فأودع في السجن ، فلم يزل فيه حتى مَرِضَ ، ومات في السنة القابلة ، وقد جمع له أبو تغلب الأطباء فلم ينفعه شيء .

وفيه احترق الكرخ ببغداد ، وكان سببه أن صاحب المعونة ضرب رجلاً من العامة فمات ، فثار به العامة وجماعة من الأتراك ، فهرب منهم ، فدخل داراً ، فأخرجوه مسحوباً وقتلوه وحرقوه ، فركب الوزير أبو الفَضْل الشِّيرازي ـ وكان شديد التعصب للسُّنَّة ـ وبعث حاجبه إلى أهل الكرخ ، فألقى في دورهم النار ، فاحترقت طائفة كثيرة من الدور والأموال ، من ذلك ثلاثمئة دكان وثلاثة وثلاثون مسجداً ، وسبعة عشر ألف إنسان ، فعند ذلك عَزَلَ عز الدولة بختيار بن معز الدولة وزيره هذا عن الوزارة ، وولَّاها محمد بن بقية ، فتعجب النَّاس من ذلك ؛ وذلك أن هذا الرجل كان وضيعاً عند الناس ، لا حرمة له ، كان أبوه فلاحاً بقرية أوَانا ، وكان هو ممن يخدم عز الدولة ، يقدِّم له الطعام ويحمل منديل الزفر على كتفه ، إلى أن ولي الوزارة ، ومع هذا كان أشد ظلماً للرعية من الذي قبله ، وكَثُرَ في زمانه العيّارون ببغداد ، وفسدت الأمور . ووقع [الخلاف][(٢)] بين عز الدولة وبين حاجبه سُبُكْتِكين ، ثم اصطلحا على دَخَن .

وفيها كان دخول المعز الفاطمي إلى الديار المصرية وصحبته توابيت آبائه ، فوصل إلى الإسكندرية في شعبان منها ، وقد تلقاه أعيان مصر إليها ، فخطب الناسَ هنالك خطبةً بليغة ارتجالًا ، ذكر فيها فضلهم وشرفهم ، وقد كذب ، وقال فيها : إن الله أغاث الرعايا بهم وبدولتهم . حكى ذلك عنه قاضي مصر ، وكان جالساً إلى جَنْبه فسأله : هل رأيتَ خليفةً أفضلَ مني ؟ فقال : لم ارَ أحداً من الخلائف سوى أمير المؤمنين . فقال له : أحججت ؟ قال : نعم . قال : وزرت قبر رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : وقبر أبي بكر وعمر ؟ قال : فتحيرت ماذا أقول ، ثم نظرت فإذا ابنه [العزيز قائم][(٣)] مع كبار الأمراء فقلت : شغلني عنهما رسول الله ﷺ كما شغلني أمير المؤمنين عن السلام على ولي العهد . ونهضت إليه ، فسلَّمت عليه ورجعت ، فانفسح المجلس إلى غيري .

ثم سار من الإسكندرية إلى مصر ، فدخلها في الخامس من رمضان هذه السنة ، فنزل بالقصرين ،

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) .

فيقال : إنه أول ما دخل إلى مَحَلِّ ملكه خَرَّ ساجداً [شكراً][١] لله عزَّ وجلَّ ، ثم كان أول حكومةٍ أنهيت إليه أن امرأة كافور الإخشيدي تقدمت إليه ، فذكرت له أنها كانت أودعت رجلاً من اليهود الصواغ قَبَاء من لؤلؤ منسوجٍ بالذهب ، وأنه جَحَد ذلك . فاستحضره وقرره ، فجحد اليهودي ذلك وأنكره ، فأمر عند ذلك المعز بأن تحفر داره ويستخرج ما فيها ، فوجد القَبَاء قد جعله في جَرَّة ودفنها فيها ، فَسَلَّمه المعز إليها [ووفره عليها][٢] ، فقدَّمته إليه ، وعرضته عليه ، فأبى أن يقبله منها ، وردَّه عليها ، فاستحسن منه ذلك الحاضرون . وقد ثبت في الحديث : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »[٣] .

وفيها توفي من الأعيان :

السَّري الرَّفَّاء الشَّاعر بن أحمد بن السَّري[٤] : أبو الحسن ، الكِنْدي ، المَوْصلي ، الشاعر المطبق ، في جملة مُدَّاح سيف الدولة بن حمدان وغيره ، وقد قدم بغداد ، فاتفق موته بها في هذه السنة ، قال ابن خلِّكان : وقيل : في سنةِ أربع وقيل خمس ، وقيل : أربعٍ وأربعين ، قال : وقد كانت بينه وبين محمد وسعيد ابْنَيْ هاشم الخالديين الموصليين معاداة ، وادَّعى عليهما سرقة شعره[٥] ، وكان معتنياً بنسخ ديوان كُشَاجم ، وربما زاد فيه من شعر الخالديين ليكثر حجمه ويزينهما بالكذب ، وكان قد امتدح سيف الدولة ، فأحبى له رزقاً ، فلم يزل به الخالديان حتى قطعا رسمه من عنده ، فدخل بغداد ، وامتدح الوزير المهلبي فدخلا وراءه ، فلم يزالا في ثلبه عنده حتى هجره وقلاه ، فركبه الدين ، ومات في هذه السنة ، وله ديوان شعر كبير جيد ، فمن شعره قوله :

يَلْقى النَّدى برقيقِ وجهٍ مُسْفرٍ ... فإذا التقى الجمعانِ عادَ صفيقا
رَحْبُ المَنَازِلِ ما أقام فإنْ سرَى ... في جَحْفلٍ تركَ الفَضاءَ مَضِيْقا[٦]

وله :

ألبستني نعماً رأيتُ بها الدُّجى ... صُبْحاً وكنتُ أرى الصَّباحَ بهيما
فغدوتُ يحسدني الصديقُ وقبلها ... قد كان يَلْقَاني العدو رحيما[٧]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) الحديث في صحيح البخاري (٢٨٩٧) في الجهاد والسير ، وصحيح مسلم (١١١) في الإيمان .
(٤) سلفت ترجمته ، وذكرت مظانها في وفيات سنة (٣٦٠هـ) .
(٥) وفيات الأعيان (٢/ ٣٦٢) .
(٦) ديوانه (١٨٥) .
(٧) ديوانه (٢٥١) .

وله :

بنفسي مَنْ أجودُ له بنفسي ويَبْخلُ بالتحيَّةِ والسَّلامِ
وحتفي كامنٌ في مُقْلتيه كمُونَ الموتِ في حد الحُسامِ[١]

محمد بن هانىء[٢] : الأندلسي ، الشَّاعر ، كان قد استصحبه المعزُّ الفاطمي من بلاد القيروان حين توجَّه إلى مصر ، فلما كان ببعض الطَّريق ، وجد محمد بن هانىء مقتولاً مجدلاً على حافة البحر ، وذلك في رجب من هذه السنة ، وقد كان شاعراً مطبقاً ، قوي النظم إلا أنه قد كفَّره غير واحد من العلماء في مبالغاته في مدائحه ، فمن ذلك قوله يمدح المعز ، قبحهما الله تعالى :

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحْكُمْ فأنتَ الواحدُ القَهَّارُ

وهذا خطأ كبير ، وكفر كثير .

وقال أيضاً :

ولطالما زاحمت تحـ ـت ركابه جبريلا

ومن ذلك قوله : ـ قال ابن الأثير : ولم أجد ذلك في « ديوانه » :

حَلَّ برَقَّادة[٣] المَسِيْحُ حَلَّ بها آدمٌ ونُوْحُ
حلَّ بها الله ذو المعالي فكلُّ شيءٍ سواهُ ريحُ

قال ابن الأثير : وقد شرع بعض المتعصبين له في الاعتذار عنه ، فالله أعلم[٤] .

قلت : وهذا الشعر إن صح عنه ، فليس عنه اعتذار ، لا في الدار الآخرة ولا في هذه الدار .

ومما توفي بها :

إبراهيم بن محمد[٥] بن سختويه بن عبد الله المُزَكِّي : أحد الحفاظ المبرِّزين ، أنفق على الحديث

(١) ديوانه (٢٦٠) ، وقد طبع له كذلك كتاب « المحب والمحبوب والمشروب والمشموم » وصدر ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الأستاذين مصباح غلاونجي ، وماجد الذهبي .

(٢) جذوة المقبس (٩٦) بغية الملتمس (١٤٠ ـ ١٤١) معجم الأدباء (١٩/ ٩٢ ـ ١٠٥) المطرب من أشعار أهل المغرب (١٩٢) التكملة لابن الأبار (١/ ١٠٣) وفيات الأعيان (٤/ ٤٢١ ـ ٤٢٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣١ ـ ١٣٢) الإحاطة في أخبار غرناطة (٢/ ٢٨٨ ـ ٢٩٣) شذرات الذهب (٣/ ٤١ ـ ٤٤) .

(٣) رقادة : بلدة كانت بإفريقية ، بينها وبين القيروان أربعة أيام ، انظر معجم البلدان (٣/ ٥٥ ـ ٥٦) .

(٤) انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٦٢١ ـ ٦٢٢) .

(٥) تاريخ بغداد (٦/ ١٦٨ ـ ١٦٩) المنتظم (٧/ ٦١ ـ ٦٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦٣) العبر (٢/ ٣٢٧) الوافي بالوفيات (٦/ ١٢٣) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٩) شذرات الذهب (٣/ ٤٠ ـ ٤١) .

وأهله أموالاً جزيلة ، وسمع النَّاس بتخريجه ، وعقد له مجلس الإملاء بنيسابور ، ورحل وسمع من المشايخ شرقاً وغرباً ، ومن مشايخه ابن جرير[(١)] وابن أبي حاتم ، وكان يحضر مجلِسَه خَلْقٌ كثير من كبار المحدِّثين ، منهم أبو العباس الأصَم وأضرابه ، وكانت وفاته في هذه السنة عن سبعٍ وستين سنة .

سعيد[(٢)] بن القاسم بن العلاء بن خالد[(٣)] : أبو عمرو[(٤)] ، البَرْذعي[(٥)] ، أحد الحُفَّاظ ، روى عنه الدَّارَقُطني وغيره .

محمد[(٦)] بن الحسن[(٧)] بن كَوْثَر[(٨)] بن علي[(٩)] : أبو بَحْر ، البَرْبهاري[(١٠)] .

روى عن إبراهيم الحَرْبي ، [وتمتام][(١١)] والباغَنْدي والكُدَيمي [وغيرهم][(١٢)] .

وعنه ابن رِزْقويه وأبو نُعيم ، وانتخب عليه الدَّارَقُطْني ، وقال : اقتصروا على [ما] خرَّجته له ، فقد اختلط صحيح سماعه بفاسده .

وقد تكلَّم فيه غيرُ واحدٍ من حُفَّاظ زمانه بسبب تخليطه وغفلته ، واتهمه بعضُهم بالكذب أيضاً[(١٣)] .

---

(١) لم أر أحداً ذكر سماعه من ابن جرير غير ابن كثير ، فإن صَحَّ يكون قد سمع منه وهو في الخامسة من عمره ، إذ ولد المزكي سنة (٣٠٥هـ) ، وتوفي ابن جرير سنة (٣١٠هـ) .

(٢) في (ح) سعد ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) .

(٣) ذكر أخبار أصبهان (١/ ٣٣٠) تاريخ بغداد (٩/ ١١٠ ـ ١١١) الأنساب (٢/ ١٤٣) المنتظم (٧/ ٦٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٧٢ ـ ٧٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٣٦ ـ ٩٣٧) طبقات الحفاظ (٣٧٨) شذرات الذهب (٣/ ٤١) .

(٤) في المنتظم : أبو عمر ، وهو تصحيف .

(٥) نسبة إلى برذعة ، بلدة أقصى أذربيجان ، ويصحُّ فيها إهمال الدال ، انظر الأنساب (٢/ ١٤٣) .

(٦) ترجمة محمد بن الحسن ساقطة من (ب) .

(٧) في المنتظم (٧/ ٦٣) : بن أبي الحسن ، بزيادة : ابي ، وهو وهم .

(٨) في (ح) : كريز ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ بغداد (٢/ ٢٠٩) وباقي المصادر .

(٩) تاريخ بغداد (٢/ ٢٠٩ ـ ٢١١) الأنساب (٢/ ١٢٥ ـ ١٢٧) المنتظم (٧/ ٦٣ ـ ٦٤) اللباب (١/ ١٣٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤١ ـ ١٤٣) العبر (٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) ميزان الاعتدال (٣/ ٥١٩) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٣٨) لسان الميزان (٥/ ١٣١ ـ ١٣٢) شذرات الذهب (٣/ ٤١) .

(١٠) هذه النسبة إلى بربهار ، وهي الأدوية التي تجلب من الهند ، ومن يجلبها يقال له البربهاري ، انظر الأنساب (٢/ ١٢٥) واللباب (١/ ١٠٧) .

(١١) ما بين حاصرتين من (ط) ، وفيه : تمام ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ بغداد (٢/ ٢٠٩) والمنتظم (٧/ ٦٣) وانظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٩٠/ ٣٩١) .

(١٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(١٣) في (ح) : أقحمت ترجمة القاضي أبي علي المروزي في وفيات هذه السنة ، فقد جاء فيها : القاضي الحسين بن محمد بن أحمد ، أبو علي المَرْوَرُّذي ، أحد مشايخ المذهب في زمانه ، وله « التعليقة » المشهورة .
تفقه بأبي بكر القفال المروزي ، وأخذ عنه جماعة منهم البغوي صاحب « التهذيب » و« التفسير » و« شرح السنة » =

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمئة

فيها [في عاشوراء][1] عُملت البِدْعة الشَّنْعاء على عادة الرَّوافض ، ووقعت فتنةٌ عظيمة ببغداد بين السُّنَّة والرَّوافض ، وكلا الفريقين قليل عقل [أو عديمه][2] بعيد عن السَّداد ؛ وذلك أن جماعةً من السنة أركبوا امرأةً جملاً وسموها عائشة ، وتسمى بعضهم بطلحة ، وبعضهم الزبير ، وقالوا : نقاتل أصحابَ علي بن أبي طالب ، فقتل [بسبب ذلك][3] من الفريقين خَلْقٌ كثير ، وعاث العَيَّارون في البلد بالفساد ، ونهبت الأموال وقتل الرجال ، ثم أُخذ جماعة منهم ، فقتلوا وصلبوا ، فلذلك سكنت الفتنة[4] .

وفيها أخذ عز الدولة بَخْتِيار [بن معز الدولة][5] الموصل ، وزوَّج ابنته[6] من أبي تغلب بن حمدان .

وفيها وقعت الفتنة بالبَصْرة ، بين الدَّيالم والأتراك ، فقويتِ الديلمُ على التُّرك بسبب أن الملك فيهم ، فقتلوا [منهم][7] خلقاً كثيراً ، وحبسوا رؤوسهم ، ونهبوا كثيراً من أموالهم ، وكتب عزُّ الدولة إلى أهله : إني سأكتب إليكم أني قد مُتُّ ، فإذا جاءكم الكتاب ، فأظهروا النوح واجلسوا للعزاء ، فإذا جاء سُبُكْتِكين للتعزية فاقبضوا عليه ، فإنه ركن الأتراك ورأسهم . فلما جاء البريد إلى بغداد بذلك أظهروا [النَّوح والصراخ][8] وجلسوا للعزاء ففهم سُبُكْتكين أن هذه مكيدة ، فلم يقربهم ، وتحقق العداوة بينه وبين عز الدولة ، وركب من فوره في الأتراك ، فحاصروا دار عز الدولة ببغداد يومين ، ثم أنزل أهله منها ، ونهب ما فيها ، وأحدرهم في دِجْلة إلى واسط منفيين ، وكان قد عزم على بعث الخليفة المطيع معهم ، فتوسل الخليفة إليه ، فعفا عنه وأقرَّه بداره ، وقويت شوكة سُبُكتكين والأتراك ببغداد ، ونهبت

= و« المصابيح » ، وغير ذلك .
وقد ذكرته في « الطبقات » بما فيه الكفاية قال ابن خلكان : وإذا قال الإمام الغزالي : قال القاضي ، فهو هذا ، والله أعلم .
قلت : وليس مكان هذه الترجمة في وفيات هذه السنة ، بل صوابها في وفيات سنة (٤٦٢هـ) ، وهي سنة وفاة المترجم .

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في (ب) : فسكنت النفوس .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٦) في (ح) : بابن أبي تغلب ، وهو وهم ، والمثبت من (ب) ، وانظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ب) .

الأتراك دورَ الدَّيْلَم ، وخَلَع سُبُكْتكين على رؤساء العامة ، لأنهم كانوا معهم على الدَّيْلم ، وقويت السنة على الشيعة ، وأحرق الكَرْخ[١] حريقاً ثانياً ، وظهرت السُّنَّة على يدي الأتراك ، وخلع المطيع ، وولي ولده الطائع لله ، على ما سنذكره إن شاء الله سبحانه وتعالى .

خلافة الطَّائع وخلع أبيه المطيع لله

ذكر ابنُ الأثير أنه لما كان [اليوم] الثالث عشر [من] ذي القعدة[٢] ، وقال ابن الجوزي في « منتظمه » : كان ذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة[٣] من هذه السَّنة ، خُلِع المطيع لله ، وذلك لفالجٍ أصابه فَثَقُلَ لسانه ، فسأله سُبُكْتِكين أن يخلع نفسه ، ويولي [من][٤] بعده ولدَه الطَّائع ، فأجاب[٥] ، فعقدت البيعة للطَّائع بدار الخلافة على يدي الحاجب سُبُكْتكين ، وخُلع أبوه المطيع بعد تسع وعشرين سنة كانت له في الخلافة ، ولكن تعوَّض عنها[٦] بولاية ولده . واسم الطائع أبو بكر عبد الكريم[٧] بن المطيع لله أبي القاسم الفضل بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد أبي العباس أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفق المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ، ولم يَلِ الخلافة من اسمه عبد الكريم سواه ، ولا من أبوه حي سواه[٨] ، وسوى أبي بكر الصِّدِّيق[٩] . ولم يل الخلافة من بني العبَّاس أسن منه حال الولاية ، كان عمره ثمانياً وأربعين سنة يوم بويع ، وكانت أمه أم ولد اسمها عُتب ، كانت تعيش أيضاً يوم بويع بالخلافة ، ولما بويع الطائع ركب وعليه البُرْدة ، وبين يديه سُبُكْتكين والجيش ، ثم خَلَعَ من الغد على سُبُكْتِكين خِلَع الملوك ولقَّبه ناصر الدولة ، وعقد له لواء الإمارة . ولما حضر الأضحى ركب الطَّائع وعليه السواد ، فخطب بالناس بعد الصَّلاة خطبة خفيفة حسنة ، وحكى ابن الجوزي في « المنتظم »[١٠] أن المطيع لله كان يُسمَّى بعد خلعه بالشيخ الفاضل ، والله أعلم .

---

(١) في (ط) : لأنه محل الرافضة .
(٢) انظر الكامل (٨/ ٦٣٧) وما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) في مطبوع المنتظم (٧/ ٦٦) : وعقد له الأمر - أي للطائع - في يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٥) في (ط) : فأجاب إلى ذلك .
(٦) في (ح) : منها ، والمثبت من (ب) .
(٧) في (ح) : أبو بكر بن عبد الكريم ، وهو وهم ، والمثبت من (ب) .
(٨) في (ط) زيادة ولا من كنيته أبو بكر سواه .
(٩) في (ط) : رضي الله عنه .
(١٠) انظر المنتظم (٧/ ٦٦ - ٦٧) .

ذكر الحرب بين المُعِز الفاطمي وبين الحسن[١] بن أحمد القِرْمِطِي

لما استقرَّ المعز الفاطمي بالدِّيار المصرية ، وابتنى فيها القاهرة والقَصْرين وتأكَّد ملكه ، سار إليه الحسن بن أحمد القِرْمطي من الأحساء في جمعٍ كثيف من أصحابه ، والتفَّ معه أميرُ العرب ببلاد الشام وهو حَسَّان بن الجَرَّاح الطَّائي في عرب الشَّام بكمالهم ، فلما سمع بهم المعز الفاطمي أُسقط في يديه لكثرتهم ، وكتب إلى القِرْمطي يستميله ويقول له : إنما دعوة آبائك إنما كانت إلى آبائي قديماً ، فدعوتنا واحدة . ويذكر فيه فَضْله وفضل آبائه ، فَرَدَّ [عليه][٢] الجواب : وصل كتابك الذي كَثُرَ تفضيله وقلَّ تحصيله ، ونحن سائرون[٣] على إثره والسَّلام . فلما انتهوا إلى ديار مصر عاثوا فيها قتلاً ونهباً وإفساداً ، وحار المعز ماذا يصنع لكثرة من مع القرمطي ، وضعف جيشه عن مقاومتهم ، فعدل إلى المكيدة والخديعة ، فراسل حَسَّان بن الجَرَّاح أمير العرب ، ووعده بمئة ألف دينار إن هو خذل بين النَّاس ، فأرسل إليه[٤] أن ابعث إليَّ بما التزمت وتعال بمن معك ، فإذا التقينا انهزمتُ بمن معي [فلا يبقى للقِرْمطي قوة ؛ فتأخذه كيف شئتَ][٥] . فأرسل إليه المعز بمئة ألف دينار في أكياسٍ ، ولكن زَغَلَ[٦] أكثرها ؛ ضَرَبَ النُّحاسَ ولبَّسه الذهب ، وجعله في أسفل الأكياس ، ووضع في رؤوس الأكياس الدَّنانير الخالصة ، ولما بعثها إليه ركب في إثرها بجيشه ، فالتقى الناس ، ولما تواجه الفريقان ونشبت الحرب بينهم ، انهزم حسَّان بن جراح بالعرب ، فَضَعُفَ جانب القِرْمطي ، وقوي عليه المعز الفاطمي فكسره ، وانهزمت القرامطة بين يديه فرجعوا إلى أذْرِعات في أذلِّ حالٍ[٧] ، وأرسل المعز في آثارهم القائد أبا المحمود بن إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف فارس ، ليحسم مادَّتهم[٨] .

ملك المعز الفاطمي دمشق وانتزاعه إياها من يد القرامطة

لما انهزم القِرْمطي وأصحابه بعث المعز سريَّة عليهم ظالم بن مرهوب العُقيلي أميراً على دمشق ،

---

(١) انظر أول حوادث سنة (٣٦٠هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ط) : إليك ، وانظر تاريخ أخبار القرامطة (١٠٦) .
(٤) في (ط) : فبعث إليه حسان يقول .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) الزَّغَل ـ محركة ـ الغش . تاج العروس (زغل) .
(٧) في (ط) : في أذل حالٍ وأرذله .
(٨) في (ط) : ويطفىء نارهم عنه .

فتسلَّمها من القرامطة بعد حصارٍ شديد ، واعتقل متوليها أبا الهيجاء[١] القِرْمِطي وابنه ، واعتقل رجلاً يقال له أبو بكر من أهل نابلس[٢] ، كان يتكلَّم في الفاطميين ويقول : لو كان معي عشرة أسهم لرميتُ الرُّوم بسهم ، ورميت المغاربة - يعني الفاطميين - بما بقي . فسلخ[٣] بين يدي [الخليفة][٤] المعز ، وحشي جلده تبناً ، وصُلبَ بعد ذلك .

ولما تفرَّغ أبو محمود القائد من قتال القرامطة أقبل نحو دمشق ، فخرج إليهم ظالم بن مرهوب ، فتلقَّاه إلى ظاهر البلد وأكرمه ، وأنزله ظاهر دمشق ، فأفسد أصحابه في الغوطة والمرج ، ونهبوا الفلاحين ، وقطعوا الطرقات على الناس ، وتحول أهل الغوطة إلى البلد من كثرة النهب ، وجيء بجماعةٍ من القتلى فألقوا في الجامع ، فكثر الضجيج ، وغلقت الأسواق ، واجتمعت العامة للقتال ، والتقوا مع المغاربة ، فقتل من الفريقين جماعةٌ ، وانهزمت العامة غير مَرَّة ، وأحرقت المغاربة ناحية باب الفراديس ، فاحترق شيء كثير من الأموال والدُّور ، ولبثت الحرب بينهم إلى سنة أربع وستين ، وأحرق البلد مرَّة أخرى بعد عزل ظالم بن مرهوب ، وتولية جيش بن صمصامة ابن أخت أبي المحمود ، قبَّحه الله ، وقطعت القنوات وسائر المياه عن البلد ، ومات كثيرٌ من الفقراء في الطُّرقات من كثرة الجوع والعطش ، ولم يزل الحال كذلك حتى ولي عليهم الطَّواشي رَيَّان الخادم من جهة المعز[٥] ، فسكنت الأمور[٦] ، [ولله الحمد][٧] .

[فصل][٨]

ولما قويت الأتراك ببغداد تحَيَّر عز الدولة بختيار [بن معز الدولة][٩] في أمره وما يصنع ، وهو مقيم بالأهواز[١٠] ، فأرسل إلى عمه ركن الدولة يستنجده ، فأرسل إليه بعسكرٍ مع وزيره أبي الفتح بن

---

(١) في إحدى نسخ الكامل (٨/ ٦٤٠) وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي . (٤) أبا المنجا .
(٢) هو محمد بن أحمد بن سهل الرملي ، ويعرف بابن النابلسي ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٨ - ١٥٠) واتعاظ الحنفا (٢١٠ - ٢١١) .
(٣) في (ط) : فأمر به فسلخ .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٥) في (ط) : المعز الفاطمي .
(٦) في (ط) : النفوس .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) ما بين حاصرتين من (ب) .
(١٠) في (ط) زيادة : لا يستطيع الدخول إلى بغداد .

العميد[١] ، وأرسل إلى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة ، فتباطأ عليه ، وأرسل إلى عمران بن شاهين فلم يجبه ، وأرسل إلى أبي تغلب بن حمدان ، فأظهر نصره ، وإنما يريد في الباطن أخْذَ بغداد ، وخرجت الأتراك من بغداد في جَحْفلٍ كثير ، ومعهم الخليفة الطائع وأبوه المطيع ، فلما انتهوا إلى واسط توفي المطيع لله ، وبعد أيام توفي سُبُكْتِكين أيضاً ، فحملا إلى بغداد ، والتفَّ الأتراك على أميرٍ يقال له أفتكين ، واجتمع شملهم والتقوا مع بختيار ، فَضَعُفَ أمره جداً ، وقوي عليه ابنُ عمه عضد الدولة ، فأخذ منه ملك العراق وتمزَّق شمله ، وتفرَّق أمره .

وفيها خطب للمعز الفاطمي بالحرمين مكة والمدينة [النبوية][٢] .

وفيها خرج جمعٌ من بني هلال وطائفة من العرب على الحُجَّاج ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وعَطَّلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام ، فلا جزاهم الله خيراً .

وفي هذا العام انتهى تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قُرَّة ، وأوله من أول دولة المقتدر سنة خمس وتسعين ومئتين .

وفيها كانت زلزلة شديدة بواسط .

وحجّ بالناس في هذه السنة الشريف أبو أحمد الموسوي ، ولم يحصل لأحدٍ حَجٌّ في هذه السنة سوى من كان معه على درب العراق ، وقد أخذ بالناس على طريق المدينة ، فتمَّ حَجُّهم . ولله الحمد والمنة .

وممن توفي فيها من الأعيان :

العَبَّاس بن الحسين[٣] : أبو الفَضْل ، الشيرازي ، الوزير لعِزِّ الدولة بَخْتِيار بن معز الدولة بن بُوَيه ، وكان من المتعصبين للسنة[٤] ، عاكس مخدومَه ، فعزله ، وولى محمد بن بقيَّة البابا[٥] كما تقدَّم[٦] ، وحُبس هذا ، فقتل في محبسه في ربيع الآخر منها عن تسع وخمسين سنة ، وكان فيه ظُلْمٌ وحَيْف ، والله أعلم .

---

(١) هو ابن أبي الفضل بن العميد ، الوزير المشهور ، الذي أدار التوحيدي كتابه « مثالب الوزيرين » عليه ، وقد توفي سنة (٣٦٠هـ) ، فرتب ركن الدين بن بويه ولده أبا الفتح هذا مكانه ، فبقي في الوزارة حتى قتل سنة (٣٦٦هـ) ، انظر معجم الأدباء (١٩١ ـ ٢٤٠) ووفيات الأعيان (٥/ ١١٠ ـ ١١١) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٣) تجارب الأمم (٦/ ٢٦٩ و٣١٣) المنتظم (٧/ ٧٣ ـ ٧٤) الكامل لابن الأثير (٨/ ٥٤٨ ، ٥٧٣) وغيرها ، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢٢ ، ٣٠٩) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٨ ـ ٦٩) .

(٤) في (ط) : وكان من الناصرين للسنة ، المتعصبين لها .

(٥) لم أهتد إلى وجه تلقيبه بالبابا فيما بين يدي من المصادر .

(٦) انظر حوادث سنة (٣٦٢هـ) ، وسيرد خبر مقتله في حوادث سنة (٣٦٧هـ) .

أبو بكر عبد العزيز بن أحمد[١] بن جعفر : الفقيه الحنبلي ، المعروف بغلام الخلاَّل[٢] ، أحد مشاهير الحنابلة الأعيان ، ممن صنف وجمع وناظر ، وسمع الحديث من أبي القاسم البغوي وطبقته ، وكان عمره يوم توفي فوق الثمانين[٣] .

قال ابن الجَوْزي : وله « المقنع » في مئة جزء[٤] ، و « الشَّافي » في ثمانين جزءاً ، و « زاد المسافر » و « الخلاف مع الشَّافعي » و « كتاب القولين » و « مختصر السُّنَّة » ، وغير ذلك في التفسير والأصول[٥] ، رحمه الله .

علي بن محمد[٦] : أبو الفتح البُسْتي ، الشَّاعر المشهور ، له ديوان شعر جيد [قوي][٧] ، وله في المطابقة والمجانسة يد طولى ، ومبتكرات أولى .

وقد ذكر ابن الجوزي له في « المنتظم » من ذلك قطعة كبيرة مرتبة على حروف المعجم ، فمن ذلك قوله :

إذا رضيتُ[٨] بميسورٍ من القُوتِ ... بقيتُ في النَّاسِ حُرّاً غيرَ ممقوتِ
ياقوتَ يومي إذا ما درَّ خِلْفُك[٩] لي ... فلستُ آسى على دُرٍّ وياقوتِ[١٠]

وله :

يا أيها السَّائلُ عن مذهبي ... ليقتدي فيهِ بمنهاجي
مِنْهاجي العَدْلُ وقمعُ الهوى ... فهل لمنهاجيَ من هَاجي

(١) كذا في (ح) و(ب) ، ومثله في المنتظم (٧/ ٧١) والذي في مصادر ترجمته : عبد العزيز بن جعفر بن أحمد ، وهو الصواب وترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٧٢) طبقات الحنابلة (٢/ ١١٩ ـ ١٢٧) المنتظم (٧/ ٧١ ـ ٧٢) تاريخ الإسلام (٨/ ٢١٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٣ ـ ١٤٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٠٥ ـ ١٠٦) طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٨) شذرات الذهب (٣/ ٤٥ ـ ٤٦) .

(٢) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣١١هـ) .

(٣) توفي وله من العمر ثمان وسبعون سنة ، فقد ولد سنة (٢٨٥هـ) كما في مصادر ترجمته .

(٤) في (ح) : ثمانية أجزاء ، والمثبت من (ب) .

(٥) المنتظم (٧/ ٧٢) .

(٦) توفي البستي سنة (٤٠١هـ) ، وسترد ترجمته في وفياتها ، ويتابع ابن كثير في ذكر ترجمته في وفيات هذه السنة ابن الجوزي في المنتظم .

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٨) في (ط) : قنعت .

(٩) الخِلْف : بكسر الخاء : الضرع . اللسان (خلف) .

(١٠) المنتظم (٧/ ٧٢) .

وله :

أَفِدْ طبعكَ المكدودَ بالجدِّ راحةً ... يجمُّ وعلِّلْهُ بشيءٍ من المَزْحِ
ولكن إذا أعطيتَ ذلكَ فليكنْ ... بمقدارِ ما تعطي الطَّعامَ منَ المِلْحِ

وله :

إذا خدمتَ الملوكَ فالبسْ ... من التوقِّي أعزَّ ملبسْ
وادخُلْ عليهم وأنت أعمى ... واخرجْ إذا ما خرجت أخرسْ

وله :

إذا شئتَ أن تلقى عدوَّك راغماً ... وتقتلَه هَمّاً وتحرِقَهُ غَمَّا
فسَامِ العُلا وازدَدْ من الفَضْلِ إنه ... من ازداد فضلاً زاد حاسِدَه غما

وله :

إن أسيافَنا القِصار الدَّوامي ... صيَّرَتْ مُلْكنا طويل الدَّوام
لم نزل نحن في سدَاد ثُغُورٍ ... واصطلام الأعداء من وسْطِ لام
واقتحام الأهوال[١] من وقت حامٍ ... واقتسام الأموال من وقت سام

وله :

يا خادِمَ الجسم كم[٢] تشقى بخدمته ... أتطلب الرِّبح مما فيه خُسرانُ
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنَّفسِ لا بالجسم إنسانُ

أبو فراس بن حمدان[٣] الشَّاعر : له ديوان مشهور[٤] .

استنابه أخوه[٥] سيف الدولة على حَرَّان ومنبج ، فقاتل مرة الرُّوم فأُسرَ ، ثم استنقذه سيفُ الدولة ، واتفق موته في هذه السَّنة عن ثمان وأربعين سنة[٦] ، وله شعر رائق ومعانٍ حسنة .

---

(١) في (ب) الأعداء .

(٢) في (ح) و(ب) : كي ، والمثبت من المنتظم (٧/ ٧٣) .

(٣) هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان ، انظر وفيات الأعيان (٢/ ٥٨) وترجمته في يتيمة الدهر (١/ ٣٥ ـ ٨٨) المنتظم (٧/ ٦٨ ـ ٧١) زبدة الحلب (١/ ١٥٧) وفيات الأعيان (٢/ ٥٨ ـ ٦٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٩٦ ـ ١٩٧) الوافي بالوفيات (١١/ ٢٦١ ـ ٢٦٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٩ ـ ٢٠) شذرات الذهب (٣/ ٢٤ ـ ٢٥) .

(٤) طبع غير مرة ، إحداها صدرت عن دار صادر ، وعليها أحلت في تخريج الأبيات .

(٥) كذا في (ح) و(ب) و(ط) ، والصواب : ابن عمه ، ويتابع ابن كثير في ذلك ابن الساعي كما سيأتي .

(٦) مرَّ في أحداث سنة (٣٥٧هـ) أنه قتل فيها ، وهو الصحيح ، وقد تابع ابنُ كثير هنا ابنَ الجوزي فيما ذهب إليه في المنتظم (٧/ ٦٨ ـ ٧١) ومن ثمَّ يكون عمره يوم قتل سبعاً وثلاثين سنة ، انظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ١٩٧) .

وقد رثاه أخوه سيف الدولة[١] فقال :

المَرْءُ نَصْبُ[٢] مَصَائبٍ لا تنقضي ... حتى يُواري جِسْمُه في رَمْسِه
فَمُؤجَّلٌ يَلْقى الرَّدى في غيره[٣] ... ومُعَجَّلٌ يَلْقى الرَّدى في نَفْسِهِ

واتفق أن كان عند سيف الدولة رجلٌ من العرب ، فقال له : قل في معناهما . فقال :

من يتمنى العُمْرَ فَلْيَتَّخِذْ ... صَبْراً على فَقْدِ أحِبَّائهِ
ومن يُعَمَّرْ يَلْقَ في نَفْسِهِ ... ما يتمنَّاه لأعدائهِ

كذا ذكر ابن السَّاعي[٤] هذين البيتين من شعر سيف الدولة في أخيه أبي فراس ، وإنما ذكرها ابن الجوزي في « المنتظم » من شعر أبي فراس نفسه ، وأن الأعرابي أجازهما بالبيتين المذكورين بعدهما[٥] .

وذكر من شعر أبي فراس أشياء حسنة ، فمن ذلك قوله في قصيدة :

سيفقدني[٦] قومي إذا جَدَّ جدُّهم ... وفي اللَّيلةِ الظَّلْماءِ يُفْتقدُ البَدْرُ
ولو سَدَّ غيري ما سَدَدْتُ اكتفوا به ... وما [كان] يغلو التِّبْرُ لو نَفَقَ الصُّفْرُ[٧]

ومن ذلك قوله من قصيدةٍ :

إلى الله أشكو أننا في منازلٍ ... تحكَّم في آسادِهِنَّ كلابُ
فليتكَ تحلو والحياةُ مَريرةٌ ... وليتكَ ترضى والأنامُ غِضابُ
وليتَ الذي بيني وبينكَ عامرٌ ... وبيني وبين العالمينَ خَرابُ[٨]

---

(١) هذه رواية ابن الساعي كما سيمر ، وفي المنتظم (٧/ ٦٨) ورثاه سيف الدولة . قلت : والمعروف أن سيف الدولة توفي قبله بعام ، يعني سنة (٣٥٦هـ) كما سلف في وفيات ذلك العام ، والعبارة على الصواب : ورثى ابنَ عمه سيف الدولة فقال . . . والبيتان في ديوان أبي فراس (١٧٥) .

(٢) في « الديوان » : رهن .

(٣) في « الديوان » : في أهله .

(٤) تاريخه « الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير » ، كان يقع في خمسة وعشرين مجلداً ، لم يصل إلينا منه سوى المجلد التاسع الذي طبع في بغداد سنة ١٩٣٤ بتحقيق العلامة مصطفى جواد ، وتاريخه من موارد ابن كثير الرئيسة ، ووصفه بأنه لم يكن بالحافظ ولا الضابط المتقن ، انظر ترجمة ابن الساعي في هذا الكتاب في وفيات سنة (٦٧٤هـ) .

(٥) المنتظم (٧/ ٦٨ ـ ٦٩) .

(٦) في الديوان (١٦١) والمنتظم (٧/ ٧٠) : سيذكرني .

(٧) في (ط) : وما فعل النسر الرفيق مع الصقر ، وهو تحريف ، وما بين حاصرتين من « الديوان » و « المنتظم » .

(٨) المنتظم (٧/ ٧١) وديوان (٢٥) .

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمئة

فيها جاء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بُوَيه إلى واسط ، ومعه وزير أبيه أبو الفتح بن العميد ، فهرب منه أفتكين في جماعة الأتراك إلى بغداد ، فسار وراءه إليها ، فنزل في الجانب الشَّرْقي [منها][١] ، وأمر بَخْتيار أن ينزل على الجانب الغَرْبي ، وحصر الترك حصراً شديداً ، وأمر أمراء الأعراب أن يغيروا على الأطراف ، ويقطعوا الميرة الواصلة إلى بغداد ، فَغَلَتِ الأسعار ، وامتنع الناس من المعاش من كثرة العَيَّارين والنهب ، وكبس أفتكين البيوت لطلب الطعام ، واشتدَّ الحال جداً ، ثم التقت الأتراك وعضد الدولة فكسرهم وهربوا إلى تكريت ، واستحوذ عضد الدولة على بغداد وما والاها من البلاد . وكانت الترك قد أخرجوا معهم الخليفة ، فردَّه عضد الدولة وأعاده إلى دار الخلافة مكرماً ، ونزل هو بدار الملك ، وضَعُفَ أمر بختيار عز الدولة جداً ، ولم يبق معه شيء بالكلية ، فأغلق بابه ، وطرد الحَجَبة والكتبة عن بابه ، واستعفى من الإمارة ، [وكان][٢] ذلك بمشورة عضد الدولة ، فاستعطفه عضد الدولة في الظَّاهر ، وقد أشار عليه في الباطن أن لا يقبل ، فلم يقبل . وتردّدت الرسائل[٣] بينهما ، فصمّم بختيار على الامتناع ظاهراً ، فألزمه عضد الدولة بذلك ، وأظهر للنَّاس أنه إنما يفعل هذا عجزاً منه[٤] عن القيام بأعباء الملك ، فأمر بالقبض على بَخْتيار وعلى أهله وإخوته ، ففرح بذلك الخليفة الطائع لله وسرَّ به ، وأظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ما كان دارساً ، وجدَّد دار الخلافة حتى صار كل محل منها آنساً ، وأرسل إلى الخليفة بالأموال الكثيرة والأمتعة الحسنة [العزيزة][٥] ، وقتل جماعةً من المفسدين من مردة الترك وشُطَّار العَيَّارين .

قال ابن الجوزي : وفي هذه السنة عَظُمَ البلاء بالعَيارين ببغداد ، وأحرقوا سوق باب الشعير ، وأخذوا أموالًا كثيرة ، وركبوا الخيول وتلقبوا بالقواد ، وأخذوا الخُفَر[٦] من الأسواق والدُّروب ، وعظمت المحنة بهم جداً ، واستفحل أمرهم كثيراً ، حتى إن رجلاً منهم أسود كان مستضعفاً [نَجَمَ فيهم][٧] فكثر ماله

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) في (ط) : الرسل .
(٤) في (ح) : فصمم بختيار على هذا عجزاً منه ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٦) مفردها : الخفرة ، وهي الذمة والأمانة . معجم متن اللغة (٢/ ٣٠٥) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

حتى اشترى جاريةً بألف دينار ، فلما حصلت عنده حاولها عن نفسها ، فأبت عليه فقال [لها][١] : ماذا تكرهين [مني ؟][٢] قالت : [أكرهك][٣] كلك . فقال : فما تحبين ؟ قالت : تبيعني . فقال : أو خير من ذلك ؟ فحملها إلى القاضي ، فأعتقها ، وأعطاها ألف دينار ، وأطلقها ، فتعجَّب الناس من حلمه وكرمه مع فسقه وتمرده[٤] .

قال : وورد الخبر في المحرَّم بأنه خطب للمعز الفاطمي بمكة والمدينة في الموسم ، ولم يخطب للطائع[٥] .

قال : وفي رجب منها غلت الأسعار ببغداد جداً حتى أبيع [الكر][٦] الدقيق الحواري بمئة ونيف وسبعين ديناراً[٧] .

قال : وفيها اضمحلَّ أمرُ عضد الدولة بن ركن الدولة بن بُوَيه ، وتفرَّق جُنْدُه عنه ، ولم يبق معه سوى بغداد وحدها ، فبعث إلى أبيه يشكو [له][٨] ذلك ، فأرسل يلومه على الغدر بابن عمه عز الدولة ، فلما بلغه ذلك خرج من بغداد إلى فارس بعدما أخرج ابن عمه بختيار من السجن ، وخلع عليه ، وأعاده إلى ما كان عليه ، وشرط عليه أن يكون نائباً له بالعراق يخطب له بها ، وجعل معه أخاه أبا إسحاق أمير الجيوش لاستضعافه عز الدولة عن تدبير الأمور ، واستمرَّ ذاهباً إلى بلاد فارس ، وذلك كله عن أمر أبيه له بذلك ، وغضبه عليه بسبب غدره بابن عمه ، وتكرار مكاتباته له في ذلك[٩] .

ولما سار عضد الدولة ترك بعده وزير أبيه أبا الفتح بن العميد ليلحقه بعد ثلاث ، فتشاغل بالقصف مع عز الدولة واللعب واللهو ، فأوجب ذلك وحشة بين عضد الدولة وبين ابن العميد ، فكان ذلك سبب هلاك ابن العميد .

ولما استقرَّ أمر عز الدولة ببغداد ، ومَلَكَ العراق لم يف لابن عمه عضد الدولة بشيء مما كان عاهده عليه ولا ما كان التزم له به بين يديه ، بل تمادى على ضلاله القديم ، واستمر على سَنَنه[١٠]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) في (ب) و(ط) : قوته ، وانظر المنتظم (٧/ ٧٤ ـ ٧٥) .
(٥) المنتظم (٧/ ٧٥) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) ، وفي (ط) السكر ، وهو تحريف .
(٧) المنتظم (٧/ ٧٥) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) المنتظم (٧/ ٧٥ ـ ٧٦) .
(١٠) في (ب و(ط) : مشيه ، وهو تحريف .

الذي هو غير مستقيم [من الرفض وغيره][١] .

قال : وفي يوم الخميس لعشر خلون من ذي القعدة تزوَّج الخليفة الطائع لله شاه ناز بنت عز الدولة على صَدَاق مئة ألف دينار[٢] .

وفي سَلْخ ذي القعدة عُزل القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن أُم شيبان ، وقلده أبا محمد بن معروف[٣] .

وأقام[٤] الحج في هذه السنة أصحاب المعز الفاطمي ، وخُطب له بالحرمين الشريفين دون الخليفة الطائع[٥] . [والله سبحانه أعلم][٦] .

ذكر أَخْذِ دمشق من أيدي الفاطميين

ذكر ابنُ الأثير في « كامله » أن أفتِكين غلام معز الدولة الذي كان قد خرج عن طاعته كما تقدَّم[٧] ، والتفَّ عليه عساكر وجيوش من الدَّيْلم والتُّرْك والأعراب ، نزل في هذه السنة على دمشق ليأخذها من أيدي الفاطميين ، وكان عليها ريان الخادم من جهة المعز الفاطمي ، فلما نزل بظاهرها خرج إليه كبراؤها وشيوخها وذكروا [له][٨] ما هم فيه من الظُّلم والغَشْم ، ومخالفة الاعتقاد بسبب ملك الفاطميين عليهم ، وسألوه أن يصمِّم على أخذها ليستنقذها منهم ، فعند ذلك صمَّم على البلد ، ولم يزل حتى أخذها وأخرج ريان الخادم منها ، واستقلَّ بأمرها ، وكسر أهل الشر [بها][٩] ورفع أهل الخير ، ووضع العدل فيهم ، وقمع أهل اللعب واللهو ، وكفَّ أيدي الأعراب الذين قد عاثوا في الأرض فساداً ، وأخذوا عامة المرج والغوطة ، ونهبوا أهلها . ولما استقامت الأمور على يديه ، وصَلُحَ أمر أهل الشَّام عليه ، كتب إليه المعز الفاطمي من مصر يشكر سعيه ، ويطلبه إليه ليخلع عليه ،ويجعله نائباً من جهته . فلم يجبه إلى ذلك ، وخاف غائلته ، وقطع خطبته من الشَّام ، وخطب للطائع العباسي ، وقصد صيدا وبها خَلْقٌ من المغاربة عليهم ابن الشيخ ، وفيهم ظالم بن مرهوب العُقَيلي ـ الذي كان نائباً على دمشق للمعز الفاطمي كما

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) المنتظم (٧/ ٧٦) .
(٣) المنتظم (٧/ ٧٦) .
(٤) في (ط) : وأمام ، وهو تصحيف .
(٥) المنتظم (٧/ ٧٦) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٧) انظر حوادث سنة (٣٦٣هـ) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .

تقدَّم[١] ، فأساء بها السيرة ـ فحاصرهم ، ولم يزل حتى أخذ البلد منهم ، وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف [من سراتهم][٢] ، ثم قصد طبرية ، ففعل كذلك ، فعند ذلك عَزَمَ المعز الفاطمي على المسير إليه ، فبينما هو يجمع له ويرتب الجيوش إذ توفي المعز بمصر في سنة خمسٍ وستين كما سيأتي[٣] ، وقام بعده ولده العزيز ، فاطمأن عند ذلك أفتكين بالشام ، واستفحل أمره ، وقويت شوكته ، فتشاور المصريون في أمره ، فاتفق رأيهم على أن يبعثوا القائد جوهراً إليه ، وذلك عن رأي الوزير يعقوب بن كِلِّس[٤] ، فلما تجهَّز جوهر القائد لقصد الشام ، حلَّف أفتكين أهل دمشق على مناصرته ومناصحته ، فحلفوا له بذلك[٥] . وجاء جوهر فحصر دمشق سبعة أشهر حصراً شديداً ، ورأى من شجاعة أفتكين أمراً هائلاً ، وحين طال الحال أشار من أشار من الدماشقة على أفتكين بأن يكتب إلى الحسن[٦] بن أحمد القِرْمِطِي وهو بالأحساء ليجيء إليه ، فلما كتب إليه أقبل لنصره ، فحين سمع جوهر بقدومه لم يمكنه أن يبقى بين عدوين من داخل البلد ومن خارجها ، فانقشع عن دمشق وقصد الرملة ، فتبعه أفتكين والقِرْمطي في نحوٍ من خمسين ألفاً ، فتواقعوا[٧] عند نهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من الرَّمْلة ، وحصروا جوهراً بالرملة ، فضاق حاله جداً من [قلة][٨] الطعام والشراب ، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك [سريعاً][٩] ، فسأل أن يجتمع هو وأفتكين على ظهور الخيل ، [فأجابه إلى ذلك][١٠] ، فلم يزل يترقق[١١] له أن يطلقه ليرجع بمن معه من أصحابه إلى أستاذه شاكراً له ، مثنياً عليه الخير ، ولا يسمع من القِرْمِطِي رأيه فيه ـ وكان جوهر داهية ـ فأجابه إلى ذلك ، فندَّمه القِرْمطي وقال : الرأي أنا كنا نحصرهم حتى يموتوا عن آخرهم ، فإنه الآن يذهب إلى سيده ، فيخبره ، ثم يخرجه إلينا ، ولا طاقة لنا به . فكان الأمر كما قال لما أطلقه ، لم يكن له دأبٌ إلا أنه حثَّ العزيز على الخروج بنفسه وجيوشه ، فأقبل في جحافل أمثال الجبال ، وكثرة من الرِّجال والعُدَد والأثقال والأموال ، وعلى مقدِّمته جوهر القائد . وجمع أفتكين والقِرْمطي

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٦٣هـ) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) انظر وفيات سنة (٣٦٥هـ) .

(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٨١هـ) .

(٥) في (ط) : ثم اتفق أمر المصريين على أن يبعثوا جوهراً القائد لقتاله ، وأخذ الشام من يده ، فعند ذلك حلف أهل الشام لأفتكين أنهم معه على الفاطميين ، وأنهم ناصحون له غير تاركيه .

(٦) انظر حوادث سنة (٣٦٠هـ) .

(٧) في (ح) : فتواقفوا ، والمثبت من (ب) و(ط) .

(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٩) ما بين حاصرتين من (ب) .

(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .

(١١) في (ط) : يترفق .

الجيوش والأعراب وسارا إلى الرَّمْلة ، فالتقوا[١] في محرَّم سنة سبع وستين ، ولما تواجهوا رأى العزيز من شجاعة أفتكِين أمراً عظيماً[٢] ، فأرسل إليه يعرض عليه إن أطاعه ورجع إليه أن يجعله مقدَّم عساكره ، وأن يحسن إليه غاية الإحسان . فترجَّل أفتكين عن فرسه بين الصفين ، وقبَّل الأرض نحو العزيز ، وأرسل [إليه][٣] يقول : لو كان هذا [القول سبق][٤] قبل هذا [الحال][٥] لأمكنني[٦] [وسارعت وأطعت][٧] ، وأما الآن فلا . ثم ركب فرسه ، وحمل على الميسرة ، ففرَّق شَمْلَها وبدَّد خيلها ورَجْلها ، فبرز عند ذلك [العزيز][٨] من القلب ، وأمر الميمنة فحملت حملة صادقة ، فانهزم القِرْمطي ، وتبعه بقية الشَّاميين ، وركبت المغاربة أقفاءهم يقتلون ويأسرون من شاؤوا ، وتحوَّل العزيز ، فنزل خيام الشاميين بمن معه من الجيوش ، وأرسل السرايا وراءهم ، وجعل العزيز لا يؤتى بأسيرٍ إلا خَلَعَ على من جاءه به ، وجعل لمن جاءه بأفتكين مئة ألف دينار ، فاتفق أن أفتكين عَطِش وهو منهزم عطشاً شديداً ، فاجتاز بمفرج بن دغفل ـ وكان صاحبه ـ فاستسقاه ، فسقاه ماء ، وأنزله عنده في بيوته ، وأرسل إلى العزيز يخبره بأن الذي يطلب عنده ، فليحمل إليه الذهب . فأرسل إليه بمئة ألف دينار ، وجاء من يسلمه إليه ، فلما أحيط بأفتكين لم يشك أنه مقتول ، فما هو إلا أن حضر عبد العزيز [حتى][٩] أكرمه غاية الإكرام واحترمه غاية الاحترام ، وَرَدَّ إليه حواصله وأمواله فلم يفقد [منها][١٠] شيئاً ، وجعله من أخَصِّ أصحابه وأمرائه ، وأنزله إلى جانب منزله ، ورجع به إلى الديار المصرية مكرماً معظماً ، وأقطعه هنالك إقطاعات جزيلة .

وأرسل إلى القِرْمطي يعرض عليه أن يقدم عليه ، ويكرمه كما أكرم أفتكين . فامتنع ، وخاف على نفسه ، فأرسل إليه بعشرين ألف دينار ، وجعلها له في كلِّ سنة ، يكف بها شَرَّه بذلك . ولم يزل أفتكين مكرَّماً [عند العزيز][١١] حتى وقع بينه وبين الوزير يعقوب بن كِلِّس ، فعمل عليه حتى سقاه سُماً فمات ، وحين علم الخليفة بذلك غضب على الوزير وحبسه بضعاً وأربعين ليلة ، وأخذمنه خمسمئة ألف دينار ، ثم

---

(١) في (ط) : فاقتتلوا .
(٢) في (ط) : مابهره .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ح) و(ب) : أمكنني والمثبت من (ط) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٩) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .

إنه رأى أنه لا غنى به عن الوزير ، فأخرجه من السجن ، وأعاده إلى الوزارة ، وذهب أفتكين في حال سبيله . وهذا ملخص ما ذكره ابن الأثير[١] .

ومِمن توفي في هذه السنة من الأعيان :

سُبُكْتِكِين الحاجب التُّرْكي : مولى المعز الدَّيْلمي وحاجبه ، وقد ترقَّى في المراتب حتى آل به الحال أن قلَّده الطَّائع الإمارة ، وخلع عليه وأعطاه اللِّواء ، ولقَّبه بنور الدولة[٢] ، فكانت مدة دولته في هذا المقام شهرين وثلاثة عشر يوماً ، ودفن ببغداد ، وداره هي دار الملك ببغداد ، وهي دارٌ عظيمة جداً . وقد اتفق له أنه سقط يوماً عن فرسه ، فانكسر ضلعه[٣] ، فداواه الطبيب حتى استقام ظهره ، وقدر على الصَّلاة إلا أنه لم يستطع الركوع ، فأعطاه شيئاً كثيراً من الأموال ، وكان يقول له : إذا ذكرتُ مرضي ومداواتك لي لا أقدر على مجازاتك ، ولكن إذا تذكرتُ وَضْعَ قدميك على ظهري اشتد[٤] غيظي منك .

وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لسبعٍ بقين من المحرَّم [منها][٥] ، وقد ترك من الأموال شيئاً كثيراً [جداً][٦] ؛ من ذلك ألف ألف دينار وعشرة آلاف ألف دِرْهم ، وصندوقان من جوهر ، وخمسة عشر صندوقاً من البلور ، وخمسة وأربعون صندوقاً من آنية الذهب ، ومئة وثلاثون مركباً من ذهب ، فيها خمسون درجاً في كل واحدٍ ألف دينار ، وستمئة مركب فِضَّة ، وأربعة آلاف ثوب دِيباج ، وعشرة آلاف دبيقي[٧] وَعتَّابي[٨] ، وثلاثمئة عِدْل معكومة من الفُرُش ، وثلاثة آلاف فرس وبغل وألف جمل وثلاثمئة غلام ، وأربعون خادماً ، وذلك غير ما أودع عند أبي بكر البزاز صاحبه . والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمئة

فيها قسم ركن الدولة بن بُوَيه ممالكه بين أولاده عندما كَبِرَتْ سنُّه ، فجعل لولده عضد الدولة بلاد فارس وكرمان وأرْجان ، ولولده مُؤَيَّد الدولة الري وأصبهان ، ولفخر الدولة هَمذان ودِيْنَور ، وجعل ولده أبا العبَّاس في كنف عضد الدولة وأوصاه به .

---

(١) انظر الكامل (٨/ ٦٥٦ ـ ٦٦١) .

(٢) في المنتظم (٧/ ٧٦) : نصر الدولة .

(٣) في (ط) : صلبه .

(٤) في (ح) : يشتد ، والمثبت من (ب) و(ط) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٧) نسبة إلى دبيق، بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر، وتنسب إليها الثياب الدبيقية. معجم البلدان (٢/ ٤٧٨).

(٨) العتابي : نسيج مخطط اشتهر في بغداد . انظر وفيات الأعيان (٤/ ٣٨٩) .

وفيها جلس قاضي قضاة بغداد أبو محمد بن معروف في دار عز الدولة عن أمره له بذلك ، لفصل الحكومات ، وحكم بين الناس بين يديه .

وفيها حجَّ بالناس أمير المصريين من جهة العزيز بن المعز الفاطمي بعدما حُوْصر أهل مكة ، ولقوا شِدَّة عظيمة ، وغَلَت الأسعار عندهم جداً .

وذكر ابن الأثير أن في هذه السنة ذهب يوسف بلِّكين نائب المعز الفاطمي على [بلاد](1) إفريقية إلى سَبْتة ، فأشرف عليها من جبل مطل عليها ، فجعل يتأمل من أين يحاصرها نصف يوم ، فخافه أهلها خوفاً شديداً ، ثم انصرف عنها إلى مدينة هنالك يقال لها بصرة المغرب ، فأمر بهدمها ونهبها ، ثم سار إلى مدينة برغواطة ، وبها رجل يقال له عيسى بن أم الأنصار ، هو ملكها ، وقد اشتدَّت المحنة به لسحره وشعبذته وادَّعى أنه نبيٌّ ، فأطاعوه ، ووضع لهم شريعةً يقتدون به فيها ، فقاتلهم بلِّكين ، فهزمهم وقتل هذا الفاجر ، ونهب أموالهم ، وسبى ذراريهم ، فلم يُرَ سبيٌ أحسن أشكالاً منهم فيما ذكره أهل تلك البلاد في ذلك الزمان(2) .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن جعفر بن [محمد بن](3) سَلْم : أبو بكر الخُتُّلي .

[له](4) مسند كبير ، روى عن عبد الله بن أحمد [بن حنبل](5) وأبي مسلم(6) الكجِّي وخَلْق . [وروى](7) عنه الدَّارَقُطْني وغيره ، وكان ثِقَةً [وقد](8) قارب التسعين .

وثابت بن سنان بن ثابت بن قُرَّة الصَّابىء المؤرِّخ ، فيما ذكره ابن الأثير في « الكامل »(9) .

الحسين بن محمد بن أحمد(10) : أبو علي ، الماسَرْجسي ، الحافظ .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) انظر الكامل (٨/ ٦٦٥ ـ ٦٦٦) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) . وترجمة الخُتُّلي في تاريخ بغداد (٤/ ٧١ ـ ٧٢) المنتظم (٧/ ٨١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٨٢ ـ ٨٣) العبر (٢/ ٣٣٥) غاية النهاية (١/ ٤٤) شذرات الذهب (٣/ ٥٠) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من(ط) .
(٦) في (ط) : أبي محمد ، وهو تحريف .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) الكامل (٨/ ٦٦٨) .
(١٠) المنتظم (٧/ ٨١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩) العبر (٢/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٥٥ ـ ٩٥٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١١١) طبقات الحفاظ (٣٨٣) شذرات الذهب (٣/ ٥٠) الرسالة المستطرفة (٢٩) .

رحل وسمع الكثير ، وصنَّف مسنداً في ألف وثلاثمئة جزء[١] ، بعِلَلِهِ وطُرُقه ، وله « المغازي والقبائل » ، وخَرَّج على « الصحيحين » وغيرهما .

قال ابن الجَوْزي : وفي بيته وسَلَفه تسعة عشر[٢] محدِّثاً ، توفي في رجب من هذه السنة ، رحمه الله[٣] .

الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي[٤] بن عبد الله بن محمد بن أبي أحمد ، الجُرْجاني [الحافظ][٥] الكبير ، المفيد الإمام ، العَلَم ، الجَوَّال ، النَّقَّال ، الرَّحَّال ، وله كتاب « الكامل » في الجرح والتعديل ، لم يسبق إلى مثله ، ولا يلحق في شكله .

قال حمزة عن الدَّارَقُطْني : فيه كفاية ، لا يزاد عليه[٦] .

ولد ابنُ عَدِيّ هذا في سنة سبعٍ وسبعين ومئتين ، وهي السنة التي توفيَ فيها أبو حاتم الرَّازي ، وتوفي [ابن عَدِي][٧] في جمادى الآخرة من هذه السنة .

المُعِزُّ الفاطمي[٨] : باني القاهرة المعزية مَعَدُّ بن إسماعيل بن سعيد بن عبد[٩] الله ، أبو تميم المدَّعي أنه فاطمي ، صاحب الدِّيار المصرية ، وهو أول من ملكها منهم يعني من الفاطميين ، كان ملكه ببلاد

---

(١) الذي بخط الذهبي : « أكثر من ثلاثة آلاف جزء » تاريخ الإسلام (٨/ ٢٤٠) .
(٢) في المنتظم : بضع عشر محدثاً .
(٣) المنتظم (٧/ ٨١) .
(٤) تاريخ جرجان (٢٢٥ ـ ٢٢٧) الأنساب (٣/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) اللباب (١/ ٢٧٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٠ ـ ٩٤٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٥٤ ـ ١٥٦) العبر (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) مرآة الجنان (٢/ ٣٨١) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣١٥ ـ ٣١٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١١١) طبقات الحفاظ (٣٨٠) شذرات الذهب (٣/ ٥١) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٦) تاريخ جرجان (٢٢٦) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٨) المنتظم (٧/ ٨٢ ـ ٨٣) الكامل (٨/ ٤٩٨) وما بعدها ، البيان المغرب (١/ ٢٢١) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٥/ ٢٢٤ ـ ٢٢٨) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٥٩ ـ ١٦٧) العبر (٢/ ٣٣٩) تاريخ ابن خلدون (٤/ ٤٥ ـ ٥١) اتعاظ الحنفا (١/ ١٣٤ ـ ٢٦٥) النجوم الزاهرة (٤/ ٦٩ ـ ١٠٤) شذرات الذهب (٣/ ٥٢ ـ ٥٤) .
(٩) كذا في الأصل و(ب) و(ط) ، والصحيح : معد بن إسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدي ، وقد ورد عند من لا يقر بصحة نسبهم أن اسم المهدي هو سعيد بن أحمد ، وقيل سعيد بن الحسين ، وأن اسم القائم نزار ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل حسن . فكأن المصنف سمى القائم سعيداً ، وسمى أباه عبيد الله المهدي بعبد الله ، ولعله تصحيف له وفي هذا دليل على أن المصنف لا يذهب إلى صحة نسبه كذلك . انظر سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٤١، ١٥٤) .

إفريقية وما والاها من بلاد المغرب ، فلما كان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمئة ، بعث بين يديه جوهراً القائد ، فأخذ له البلاد المصرية من كافور الإخشيدي بعد حروب تقدَّم ذكرها[(١)] ، واستقرَّت يد جوهر القائد عليها ، فبنى القاهرة المُعِزِّية وبنى منزل الملك وهما القصران[(٢)] ، ثم أقيمت الخطبة للمعز في سنة ثنتين وستين وثلاثمئة ، وقدم المعز ـ كما ذكرنا[(٣)] ـ في جحافل عظيمة ، ومعه الأمراء من المغاربة والأكابر والقواد ، وحين نـزل الإسكندرية تلقَّاه وجوه الناس ، فخطبهم فيها خطبة بليغة ، افتخر فيها بنسبه وملكه ، وادَّعى أنه يعدل وينصف المظلوم من ظالمه وأن الله قد رَحِمَ الأمة بهم ، واستنقذهم من أيدي الظلمة إلى عدلهم وإنصافهم ، وهو مع ذلك يدَّعي ظاهر الرِّفْض ، ويبطن ـ كما قال القاضي الباقِلاَّني[(٤)] ـ الكفر المحض ، وكذلك أهل طاعته ومن نصره ووالاه ، واتبعه في مذهبهم ، قبحهم الله تعالى وإياه .

أحضر إلى بين يديه الزاهد العابد [الورع النَّاسك][(٥)] التقي أبا بكر النَّابُلُسي[(٦)] ، فأوقف بين يديه فقال له المعز : بلغني أنك قلت : لو كان معي عشرة أسهم لرميت الرُّوم بسهم ورميت المصريين بتسعة . فقال : ما قلتُ هذا . فَظَنَّ أنه قد رجع [عن قوله][(٧)] فقال : كيف قلت ؟ قال : قلتُ ينبغي أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر . قال : ولم ؟ قال : لأنكم غيَّرْتم [دين][(٨)] الأمة ، وقتلتم الصَّالحين ، وادَّعيتم[(٩)] نور الإلٓهية ، [وادعيتم ما ليس لكم][(١٠)] فأمر بإشهاره في أول يوم ، ثم ضرب بالسياط في اليوم الثاني ضرباً شديداً مبرحاً ، ثم أمر به فسلخ في اليوم الثَّالث ، فجيء بيهودي ، فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن . قال اليهودي : فأخذتني رِقَّة عليه ، فلما بلغتُ تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات ، رحمه الله تعالى ، فقيل له الشهيد ، وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى اليوم ، [ولم تزل فيهم بقايا خير][(١١)] .

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٥٨هـ) .
(٢) في (ح) : ونزل الملك المكان المسمَّىٰ بالقصرين ، وفي (ب) وبنى منزل الملك المكان الذي المسمى بالقصرين ، والمثبت من (ط) .
(٣) انظر حوادث سنة (٣٦٢هـ) .
(٤) وذلك في كتابه « كشف الأسرار الباطنية » وهو من الكتب التي لما تصلنا بعد .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) انظر حاشيتنا على حوادث سنة (٣٦٣هـ) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) في (ط) : وأطفأتم .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .

وقد كان المعز الفاطمي ذا شهامةٍ وقوَّة [حزم][١] وشدَّة عزم ، وله سياسة ، ويظهر أنه يعدل وينصر الحق ، ولكنه مع ذلك كان منجماً يعتمد [على][٢] ما يرصد من حركات النجوم ، قال له منجمه : إن عليك قطعاً[٣] في هذه السنة ، فتوارَ عن وجه الأرض حتى تنقضي هذه المُدَّة . فَعَمِلَ له سِرْداباً ، وأحضر الأُمراء وأوصاهم بولده نزار ولقبه العزيز ، وفوَّض إليه الأمر حتى يعود إليهم ، فبايعوه على ذلك ، ودخل ذلك السِّرْداب ، فتوارى فيه سنة ، فكانت المغاربة إذا رأى الفارس منهم سحاباً ترجَّل عن فرسه وأومأ إليه بالسَّلام ظانين أن المُعزَّ في ذلك الغَمام ، ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾[٤] [الزخرف : ٥٤] ، ثم برز إلى الناس بعد مضي سنة ، وجلس في مقام الملك ، وحكم على عادته ، ولكنه لم تطل مدته بعد ذلك بل عاجله القضاءالمحتوم والحَين المقسوم ، فكانت وفاته في هذه السنة [ولله الحمد والمنة][٥] ، وكانت مدة أيامه في الملك[٦] ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، منها بمصر سنتان وتسعة أشهر[٧] ، وجملة عمره كله خمس وأربعون سنة وستة أشهر ، لأنه ولد بإفريقية حادي عاشر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمئة ، وكانت وفاته بمصر في اليوم السَّابع عشر[٨] من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمئة ، وهي هذه السنة المباركة .

ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمئة

فيها توفي ركن الدولة أبو علي بن بُوَيه[٩] وقد جاوز السبعين[١٠] [سنة][١١] ، وكانت أيامه نيفاً وأربعين سنة ، وقبل موته في السنة الماضية قَسَّم ممالكه [بين أولاده][١٢] كما

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) القطع : هو تأثير الكواكب أو النجوم على الأشخاص . انظر « تكملة المعاجم العربية » لدوزي (٢/ ٣٧٥) .
(٤) في (ط) : زيادة ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٤] .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٦) في (ط) : زيادة : قبل أن يملك مصر وبعدما ملكها .
(٧) في (ط) زيادة : والباقي ببلاد المغرب .
(٨) في (ح) : في سابع عشرين ، والمثبت من (ب) و(ط) ، وهو يوافق ما في الكامل (٨/ ٦٦٣) .
(٩) واسمه الحسين بن بويه .
(١٠) في (ب) و(ط) التسعين ، وكانت ولادة ركن الدولة تقديراً في سنة (٢٨٤هـ) ، فيكون عمره حين توفي نحو ثمانين سنة ، انظر المنتظم (٧/ ٨٥) ووفيات الأعيان (٢/ ١١٩) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٠٣) وانظر ترجمته في وفيات سنة (٣٦٥هـ) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

ذكرنا[١] ، وقد عملت ضيافة في دار ابن العميد بأصفهان حافلة حضرها ركن الدولة وبنوه وأعيان دولته ، فعهد [ركن الدولة][٢] في هذا اليوم إلى ابنه عضد الدولة ، وخلع عضد الدولة على أخويه[٣] وسائر الأمراء الأقبية والأكسية على عادة الدَّيْلم ، وحيوه[٤] بالرَّيحان على عادتهم أيضاً ، وكان يوماً مشهوداً . ثم توفي ركن الدولة بعده[٥] بقليل في هذه السنة ، وقد كان سائساً حليماً ، وقوراً كثير الصَّدَقات ، محباً للعلماء فيه إيثار وكرم[٦] ، وحُسْنُ عشرة ورياسة ، وحنو على أقاربه ودولته ورعيته . وحين تمكَّن ابن عضد الدولة قَصَدَ العراق ليأخذها من ابن عمه عز الدولة بختيار لسوء سيرته ورداءة سريرته ، فالتقوا في هذه السنة بأرض الأهواز ، فهزمه عضد الدولة وأخذ أثقاله وأمواله ، وبعث إلى البصرة فأخذها وأصلح بين أهلها حَيَّيْ ربيعة ومُضْر ، وقد كان بينهم خُلْف متقادم من نحو مئة وعشرين سنة ، وكانت مُضَر تميل إليه وربيعة عليه ، ثم اتفق الحَيَّان واجتمع عليه الفريقان ، وقويت شوكة عضد الدولة وعزل عز الدولة ، وقبض على وزيره ابن بقيَّة لأنه استحوذ على الأمور دونه ، وجبى الأموال إلى خزائنه ، فاستظهر عضد الدولة[٧] بما وجده من الحواصل[٨] لابن بقية ولم يبق له منها بقية . وكذلك أمر عضد الدولة[٩] بالقبض على وزيـر أبيه أبي الفتح بن العميد لموجدة تقدَّمت منه إليه ـ أسلفنا ذكرها[١٠] ـ ولم يبق لبني العميد أيضـاً في الأرض بقية ، وقد كان الأكابر تتقي منهم التقية ، وقد كان [ابن العميد][١١] من الفسوق والعصيان بأوفر مكان ، فخـانته المقادير ، وعاجله[١٢] غضب السلطان ، ونعوذ بالله من غضب الرحمن .

وفي منتصف شوَّال من هذه السنة توفي الأمير منصور بن نوح السَّاماني ، صاحب بلاد خُرَاسان ببخارى ، وكانت ولايته خمس عشرة سنة ، وقام بالأمر [من][١٣] بعده ولده أبو القاسم نوح ، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، ولقب بالمنصور[١٤] .

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٦٥هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) في (ب) و(ط) : إخوته ، وانظر الكامل (٨/ ٦٦٩ ـ ٦٧٠) .
(٤) في (ط) : وحفوه .
(٥) في (ط) : وقد كان ركن الدين قد أسن وكبر ، وتوفي بعد هذه الوليمة .
(٦) في (ط) زيادة : وبر .
(٧) في (ح) و(ب) : عز الدولة ، وهو تحريف ، والمثبت من (ط) .
(٨) في (ط) : بما وجده في الخزائن والحواصل .
(٩) في (ح) و(ب) و(ط) : ركن الدولة ، وهو تحريف ، وانظر الكامل (٨/ ٦٧٥) .
(١٠) انظر حوادث سنة (٣٦٦هـ) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٢) في (ط) : نزل به .
(١٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(١٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٨٧هـ) .

وفيها توفي الحكم ، ولقبه المستنصر بالله بن النَّاصر لدين الله عبد الرحمن الأُموي ، وقد كان هذا من خيار الملوك وعلمائهم ، [وكان][1] عالماً بالفِقْه والخلاف والتَّواريخ ، محباً للعلماء محسناً إليهم . وكانت وفاته وله من العمر ثلاثٌ وستون سنة وسبعة أشهر ، ومدة خلافته منها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ، وقام بالأمر من بعده ولده هشام وله عشر سنين ولقب بالمؤيَّد بالله ، وقد اختلف عليه في أيامه واضطربت الرعايا ، وحبس مُدَّة ، ثم أُخرج وأعيد إلى الخلافة ، وأقام بأعباء أمره حاجبه[2] المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المَعَافِري[3] ، وابناه المُظَفَّر والنَّاصر ، فساس الرعايا جيداً ، وعدل فيهم وغزا الأعداء ، واستمرَّ لهم الحال كذلك نحواً من ستٍّ وعشرين سنة . وقد ساق ابنُ الأثير هنا قطعة من أخبارهم ، وأطال شرحها[4] .

وفيها رجع مُلْكُ حلب إلى أبي المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان ؛ وذلك أنه لما مات أبوه ، وقام من بعده تغلَّب مولاهم قرغويه عليهم ، وأخرجه منها خائفاً يترقَّب ، فسار إلى أمه بميافارقين في سنة سبع وخمسين ، ثم جاء فنزل حماة ، وكانت الروم قد خربت حمص ، فسعى في عمارتها وترميمها وسكنها ، ثم إن قرغويه استخلف على حلب مولى يقال له بكجور ، فتغلب عليه وسجن مولاه قرغويه بقلعتها نحواً من ست سنين ، فكتب أهل حلب إلى أبي المعالي وهو بحمص يسألونه أن يأتي إليهم ، فسار ، فحاصر حلب أربعة أشهر ، ففتحها ، وامتنعت القلعة عليه ، وقد تحصَّن بها بكجور ، ثم اصطلح مع أبي المعالي على أن يؤمنه على نفسه ويستنيبه بحمص ، ففعل ، فتاب له بكجور بحمص ، ثم انتقل في وقت[5] إلى نيابة دمشق ، وإليه تنسب هذه المزرعة ظاهر دمشق من غربيها التي تعرف بالقصر البكجوري والله تعالى أعلم .

إبتداء ملك سُبُكْتِكِين

والد محمود صاحب غَزْنة .

وقد كان سُبُكْتِكِين هذا مولى الأمير أبي إسحاق بن ألبتكين[6] صاحب جيش غَزْنة وأعمالها

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ح) : وصاحبه ، وهو تحريف ، والمثبت من (ب) و(ط) .

(٣) في (ح) : العامري ، وهو تحريف ، والمثبت من (ب) و(ط) . وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٧ ـ ١٦) .

(٤) انظر الكامل (٨/ ٦٧٧ ـ ٦٨٢) .

(٥) انظر أخباره في الكامل (٩/ ٥٨ ، ٨٥ ـ ٨٨) والوافي بالوفيات (١٠/ ٢٠٢) .

(٦) في الأصل و(ب) : السكين ، والمثبت من (ط) ، ومثله في الكامل (٨/ ٦٨٣) ووفيات الأعيان (٥/ ١٧٥) وفي طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ٣١٦) وانظر حاشية المحقق .

للسَّامانية ، وليس هذا بحاجب معز الدولة ، ذاك توفي قبل هذه السنة كما قدَّمناه(١) . وأما هذا فإنه لما مات مولاه لم يترك أحداً يصلح للملك [من](٢) بعده [لا](٣) من ولده ولا من قومه ، فاصطلح الجيش على مبايعة سُبُكْتِكِين هذا خيره(٤) وحُسْنِ سيرته ، وكمال عقله وشجاعته وديانته . فاستقرَّ الملك بيده ، واستمر من بعده في ولده السعيد محمود بن سُبُكْتِكِين .

وقد غزا سُبُكْتِكِين هذا بلاد الهند ، ففتح شيئاً كثيراً من حُصُونهم ، وغَنمَ أشياء كثيرة من أموالهم ، وكسر من أصنامهم وبدودهم(٥) أمراً هائلاً ، وباشر بمن معه من الجيوش حروباً تشيب الولدان [والمَفارق ، وتسر الصديق وتغم المُفَارق](٦) وقد قصده جيبال(٧) ملك الهند [الأعظم](٨) بنفسه وجنوده التي تعمُّ السهول والجبال ، فكسرهم مرتين ، وَرَدَّهم إلى بلادهم في أسوأ حال وأردأ بال .

وذكر ابن الأثير في « كامله » أن سبكتكين لما التقى مع جيبال ملك الهند في بعض الغَزَوات كان بالقُرْب منهم عين في عقبة غورك ، وكان من عاداتهم أنه إذا وضعت فيها نجاسة أو قذَر اكفهرَّت السماء وأرعدت وأبرقت وأمطرت ، ولا تزال كذلك حتى تطهر تلك العين من ذلك الشيء الذي أُلقي فيها ، وأن سُبُكْتِكِين أمر بإلقاء نجاسة في تلك العين عند ذلك ـ وكانت قريباً من العدو ـ فلم يزالوا في رعود وبروقٍ وأمطار وصواعق حتى ألجأهم ذلك الحال إلى الهرب والرجوع إلى بلادهم خائبين هاربين ، وأرسل ملك الهند يطلب من سُبُكتكين الصُلْح ، فأجابه بعد امتناعٍ من ولده محمود على مالٍ جزيل يحمله(٩) إليه ، وبلاد كثيرة يسلمها [إليه](١٠) ، وخمسين فيلاً ورهائن من رؤوس قومه يتركها عنده حتى يقوم بما التزم(١١) له من ذلك .

---

(١) انظر حوادث سنة (٣٦٤هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في (ط) زيادة : لصلاحه فيهم وخيره .
(٥) في (ط) : ونذورهم ، وهو تحريف ، والبُدُّ : بيت فيه أصنام وتصاوير، وهي كلمة فارسية معربة . انظر اللسان (بدد) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٧) في (ح) : خيبال ، والمثبت من (ب) و(ط) ، ومثلهما في « الكامل » لابن الأثير .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٩) في (ح) : فحمله ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١١) في (ح) : التزمه ، والمثبت من (ب) .

وفيها توفي :

أبو يعقوب يوسف بن الحسن الجَنَّابي : صاحب هَجَر ومقدَّم القرامطة ، فقام [بالأمر][1] من بعده ستة من قومه ، وكانوا يسمون بالسَّادة ، وقد اتفقوا على تدبير الأمر من بعده [ولم يختلفوا][2] ، فمشى حالهم[3] .

وفيها كانت وفاة :

الحسن[4] بن أحمد[5] بن أبي سعيد الجَنَّابي : أبو محمد القِرْمطي .

قال ابن عساكر : واسم أبي سعيد الحسن[6] بن بَهْرَام[7] ، ويقال الحسن بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن كودزكار ، يقال : أصلهم من الفرس . قال : ويعرف أبو محمد هذا بالأعصم . قال : وولد بالأحساء في سنة ثمان وسبعين ومئتين .

وقد تغلَّب على دمشق والشَّام في سنة سبع وخمسين وثلاثمئة ، ثم عاد إلى الأحساء بعد سنة ، ثم عاد إلى دمشق في سنة ستين ، وكسر جيش جعفر بن فلاح ، أول من ناب بالشَّام عن المعز الفاطمي وقتله ، ثم توجَّه إلى مِصْر فحصرها في مستهل ربيع الأول سنة إحدى وستين ، واستمر محاصرها شهوراً ، وقد كان استخلف على دمشق ظالم بن مرهوب العُقيلي[8] ثم عاد إلى الأحساء ، ثم رجع إلى الرَّملة ، فتوفي بها في هذه السنة ، وقد قارب التسعين ، وهو يظهر طاعة عبد الكريم الطَّائع بن المطيع الخليفة .

وقد أورد له الحافظ [ابن عساكر][9] أشعاراً حسنة رائقة فائقة ؛ فمن ذلك ما كتب به إلى جعفر بن فلاح قبل الحرب بينهما[10] :

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) في (ح) : الحال ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٤) في (ط) : الحسين ، وانظر حوادث سنة (٣٦٠هـ) .
(٥) تاريخ أخبار القرامطة (٩٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦) العبر (٢/ ٣٤٠) فوات الوفيات (١/ ٣١٨ ـ ٣١٩) الوافي بالوفيات (١١/ ٣٧٣) مرآة الجنان (٢/ ٣٨٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢٨) شذرات الذهب (٣/ ٥٥) .
(٦) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٠١هـ) .
(٧) انظر حوادث سنة (٣٦٠هـ) .
(٨) مَرَّ في حوادث سنة (٣٦٣هـ) أن المُعزَّ أرسله أميراً إلى دمشق سنة (٣٦٣هـ) : وفي سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٢) : أن ظالماً كان نائباً عن القرمطي في دمشق ، ثم استماله المعز .
(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .
(١٠) في (ط) زيادة : وهي من أفحل الشعر .

الكُتْـبُ مُعْـذرةٌ والـرُّسْـلُ مُخْبـرةٌ والحـقُّ مُتَّبـعٌ والخَيْـرُ مـوجـودُ[١]
والحَرْبُ سَاكِنةٌ والخَيْلُ صافِنةٌ[٢] والسِّلْـمُ مُبْتـذلٌ والظِّـلُّ مَمْـدودُ
فـإنْ أنبتـمْ فَمَقْبـولٌ إنـابَتُكـمْ وإن أَبَيْتُـمْ فهـذا الكُـورُ[٣] مشـدودُ
على ظُهور المطايا[٤] أو تَرِدْنَ بنا دمشـقَ والبـابُ مهـدومٌ[٥] ومَـرْدودُ
إني امرؤٌ ليس من شأني ولا أَرَبي طَبْـلٌ يَـرِنُّ ولا نـايٌ ولا عُـودُ
ولا اعتكـافٌ علـى خمرٍ ومجمـرةٍ وذاتِ دَلٍّ لهـا غُنْـجٌ[٦] وتَفْنيـدُ
ولا أبيـتُ بطيـنَ البَطْـنِ مـن شِبَـعٍ ولي رفيقٌ خميصُ البطنِ[٧] مجهودُ
ولا تسـامت بـي الـدُّنيا إلـى طَمَـعٍ يـومـاً ولا غَـرَّني فيها المـواعِيْـدُ[٨]

ومن شعره أيضاً :

يـا سـاكـنَ البَلَـدِ المُنيـفِ تَعَـزُّزاً بقـلاعِـه وحُصُـونـهِ وكُهُـوفـهِ
لا عِــزَّ إلا للعــزيــزِ بنفســهِ وبِخَيْلِـهِ وبِـرَجْلـهِ وسُيُـوفِـهِ
وبِقُبَّـة بيضـاء قـد ضُـربتْ علـى شَـرَفِ الخيـامِ لجـاره وحليفـهِ[٩]
قومٌ إذا اشتدَّ الوغى أردَى العِدَى وشَفَى النُّفُوسَ بِضَرْبِهِ ووقوفهِ[١٠]
لم يَرْضَ[١١] بالشَّرَفِ التليدِ لنفسهِ حتـى أشـادَ[١٢] تلِيْـدُهُ بطـريفِـهِ[١٣]

وفيها تملك قابوس بن وشمكير بلاد جُرْجان وطَبَرِسْتان وتلك النَّواحي .

وفيها دخل الخليفة الطائع لله بشاه ناز بنت عز الدولة بن بُوَيْه ، وكان عرساً حافلاً .

---

(١) في (ط) : محمود ، وإخاله تصحيفاً .
(٢) الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم ، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر ، انظر « اللسان » (صفن) .
(٣) الكور : رحل الناقة بأداته ، وهو كالسرج وآلته للفرس ، اللسان (كور) .
(٤) في (ط) : المنايا ، وهو تحريف .
(٥) في (ط) : مسدود .
(٦) في (ح) : دَلٍّ ، والأبيات ليست في (ب) ، والمثبت من (ط) .
(٧) خميص البطن : جائع ، انظر اللسان (خمص) .
(٨) انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٦) .
(٩) في (ط) : وضيوفه .
(١٠) في (ط) : وزحوفه .
(١١) في (ط) : يجعل الشرف .
(١٢) في (ط) : أفاد .
(١٣) انظر مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٦/ ٣١٢) .

وفي هذه السنة حَجَّت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان في تجمُّلٍ عظيم ، [حتى][1] كان يُضْربُ المثل بحَجِّها ؛ وذلك أنها عَمِلَتْ أربعمئة محمل فلا يُدْرى في أيها هي ، ولما وصلت إلى الكعبة المكرَّمة نَثَرتْ عليها عشرة آلاف دينار[2] ، وكَسَتِ المجاورين بالحرمين كلَّهم ، وأنفقت أموالاً جزيلة في ذهابها وإيابها .

وحجَّ بالناس من العراق الشريف أبو عبد الله أحمد بن أبي الحسين محمد[3] بن عبد الله[4] العلوي ، وكذلك حج بالناس إلى سنة ثمانين وثلاثمئة ، وكانت الخطبة بالحَرَمين في هذه السَّنة للفاطميين أصحاب مصر دون العباسيين .

ومن توفي فيها من الأعيان :

إسماعيل[5] بن نُجَيْد[6] بن أحمد بن يوسف بن سالم : أبو عمرو السُّلَمي .

صحب الجُنيد وغيره ، وروى الحديث ، وكان ثِقَةً ، ومن جيد كلامه قوله : من لم تهذبك رؤيته فليس بمهذَّب .

وقد احتاج شيخه أبو عثمان[7] مرَّةً إلى شيء ، فسأل أصحابه فيه ، فجاءه ابن نُجَيد بكيسٍ فيه ألفا دِرْهم ، فقبضه منه ، وجعل يشكره إلى أصحابه ، فقال له ابن نُجيد[8] : يا سيدي ، إن المال الذي دفعتُه إليك كان من مال أُمي وهي كارهة ، فأحبُّ أن تردَّه إليها . فأعطاه تلك الدَّراهم ، فلما كان الليل جاءه بها ، وقال : أحب أن تصرفها في أمرك من غير أن يعلم بذلك أحد . فكان أبو عثمان يقول : أنا أخشى[9] من هِمَّة أبي عمرو بن نُجيد ، رحمهم الله تعالى .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في (ط) : ولما وصلت إلى الكعبة نثرت عشرة آلاف دينار على الفقراء والمجاورين .
(٣) في (ح) و(ب) : أحمد بن أبي الحسين بن محمد ، والمثبت من المنتظم (٧/ ٨٤) .
(٤) في المنتظم (٧/ ٨٤) : عبيد الله ، وفي الكامل (٩/ ٧٨) : عبد الله .
(٥) هكذا ذكر وفاته في هذه السنة ، والمحفوظ أنه توفي في السنة الفائتة سنة ٣٦٥هـ ، كما في تاريخ الإسلام (٨/ ٢٣٩) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٨) .
(٦) طبقات الصوفية (٤٥٤ ـ ٤٥٧) الرسالة القشيرية (٢٨) المنتظم (٧/ ٨٤ ـ ٨٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٦ ـ ١٤٨) العبر (٢/ ٣٣٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٢٢ ـ ٢٢٤) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢٧) شذرات الذهب (٣/ ٥٠) .
(٧) هو أبو عثمان الحيري سعيد بن إسماعيل ، وسلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٩٨هـ) من هذا الكتاب .
(٨) في (ط) زيادة بين أصحابه .
(٩) في (ط) : أجتني ، وهو تصحيف .

الحسن بن بُوَيْه[١] : أبو علي ، ركن الدولة بن بويه عَرَضَ له قُولنج ، فمات ليلةَ السبت الثَّامن والعشرين من المحرَّم [منها][٢] ، فكانت مُدَّة إمارته أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام ؛ ومدَّة عمره ثمانٍ وسبعون سنة[٣] ، وكان حليماً كريماً .

محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أفلح بن رافع بن إبراهيم بن أفلح بن عبد الرحمن بن عبيد بن رفاعة بن رافع ، أبو الحسن ، الأنصاري الزُّرَقي[٤] ، كان نقيب الأنصار ببغداد ، وقد سمع الحديث من أبي القاسم البغوي وغيره ، وكان ثِقَةً يعرف أيام الأنصار ومناقبهم وأمورهم ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة .

محمد بن الحسن[٥] بن أحمد بن إسماعيل : أبو الحسن السَّرَّاج .

سمع يوسف بن يعقوب القاضي وغيره ، وكان شديد الاجتهاد في العبادة . صلى حتى أُقعد ، وبكى حتى عَمِيَ ، وكانت وفاته يوم عاشوراء من هذه السنة .

القاضي منذر بن سعيد ، أبو الحكم البَلُّوطي[٦] : الظاهري مذهباً ، قاضي قضاة الأندلس ، وكان إماماً فقيهاً عالماً فصيحاً خطيباً شاعراً ديناً ، كثير الفَضْل ، [جامعاً لصنوف من الخير والتقوى والزُّهد][٧] ، وله مصنفات واختيارات ، منها أن الجنة التي أُدخلها آدم وأخرج منها كانت في الأرض ، [وليست بالجنة التي أعدَّها الله لعباده في الآخرة][٧] ، وله في ذلك مصنَّفٌ مفرد ، له وَقْعٌ في النُّفوس [وعليه حلاوة وطلاوة][٧] . وله تفسير القرآن ، وغير ذلك .

دخل يوماً على النَّاصر لدين الله عبد الرحمن الأموي وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء وقصورها ، وقد

---

(١) المنتظم (٧/ ٨٥) وفيات الأعيان (٢/ ١١٨ ـ ١١٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) الوافي بالوفيات (١١/ ٤١١ ـ ٤١٢) مرآة الجنان (٣/ ٩٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢٧) شذرات الذهب (٣/ ٥٥) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) انظر حاشيتنا على حوادث سنة (٣٦٦هـ) .

(٤) هذه النسبة إلى بني زُريق ، بطن من الأنصار من الخزرج ، اللباب (٢/ ٦٥) .

(٥) المنتظم (٧/ ٨٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦١) العبر (٢/ ٣٤٢) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢٨) شذرات الذهب (٣/ ٥٧).

(٦) طبقات النحويين واللغويين (٣١٩ ـ ٣٢٠) تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥) جذوة المقتبس (٣٤٨ ـ ٣٤٩) بغية الملتمس (٤٦٥ ـ ٤٦٦) معجم الأدباء (١٩/ ١٧٤ ـ ١٨٥) معجم البلدان (١/ ٤٩٢) إنباه الرواة (٣/ ٣٢٥) الكامل لابن الأثير (٨/ ٦٧٤ ـ ٦٧٥) اللباب (١/ ١٧٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٧٣ ـ ١٧٨) تاريخ قضاة الأندلس (٦٦ ـ ٧٥) بغية الوعاة (٢/ ٣٠١) نفح الطيب (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٦) شذرات الذهب (٣/ ١٧) وقد تابع ابنُ كثير ابنَ الأثير في ذكره في وفيات هذه السنة ، وقد ذكر الذهبي وفاته سنة (٣٥٥هـ) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

بُني له فيها قصر عظيم منيف ، وزخرف بأنواع الدهانات والستور ، وجلس عنده رؤوس دولته وأمراؤه ، وجاء القاضي ، فجلس إلى جانبه ، وجعل الحاضرون يثنون على هذا البناء [ويمدحونه][1] ، والقاضي ساكتٌ لا يتكلم ، فالتفت إليه الملك وقال : ما تقول [أنت][1] يا أبا الحَكم ؟ فبكى القاضي ، [وانحدرت دموعه على لحيته][1] وقال : ما كنتُ أظن أن الشيطان أخزاه الله تعالى يبلغ منك[2] هذا المبلغ [المفضح المهتك المهلك لصاحبه في الدنيا والآخرة][3] ولاأنك تمكنه من قيادك[4] هذا التمكين مع ما آثرك الله به وفضَّلك [به على كثير من الناس][5] حين أنزلك منازل الكُفَّار ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٣٣ ـ ٣٥] قال : فوَجمَ الملك عند ذلك وبكى وقال : جزَاك الله خيراً ، وأكثر في المسلمين مثلك[6] .

وقد قُحِطَ النَّاسُ في بعض السِّنين ، فأمر الملك القاضي منذر بن سعيد البلُّوطي أن يستسقي بالنَّاس ، فلما جاءته الرِّسالة بذلك ليخرج من الغد قال للرَّسول : كيف تركت الملك ؟ وما حاله ؟ فقال : رأيته أخشع ما يكون وأكثره دعاءً [وتضرُّعاً][7] فقال القاضي : رُحمتم وسُقيتم والله إذا خَشَعَ جَبَّار الأرض رَحِمَ جَبَّارُ السَّماء . ثم قال لغلامه : اخرج بالمِمْطَر معك[8] . فلما خرج النَّاس وجاء القاضي[9] صَعِدَ المنبر والنَّاسُ ينظرون إليه يستمعون لما يقول ، فلما أقبل عليهم كان أول ما خاطبهم به أن قال : ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٤] ثم أعادها [مراراً][10] فأخذ النَّاسُ في النحيب والبكاء [والتوبة][11] والإنابة ، ولم يزالوا كذلك حتى سُقوا ، ورجعوا يخوضون الماء[12] .

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) في (ح) و(ب) : بك ، والمثبت من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) في (ب) فؤادك .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٦٧٤) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) في (ح) : بالمنبر ، وفي (ب) بالمنظر ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الكامل لابن الأثير (٨/ ٦٧٥) والممطر والممطرة : ثوب من الصوف يلبس في المطر يتوقى به منه . اللسان (مطر) .
(٩) في (ط) : ثم قال لغلامه : ناد في الناس الصلاة ، فجاء الناس إلى محل الاستسقاء ، وجاء القاضي .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(١٢) الكامل (٨/ ٦٧٤ ـ ٦٧٥) .

وقد صنَّف الحافظ أبو عمر بن عبد البرّ مصنَّفاً في مناقبه ، رحمه الله تعالى .

أبو الحسن علي بن أحمد[١] بن المَرْزُبان البغدادي الفقيه الشَّافعي : تفقه بأبي الحسين بن القَطَّان ، وأخذ عنه الشيخ أبو حامد الإسْفراييني .

قال ابن خلِّكان : وكان ورعاً زاهداً ليس لأحدٍ عنده مَظْلمة ، وله وجه في المذهب ، وكان له دَرْسٌ ببغداد ، وتوفي في رجب من هذه السنة[٢] .

ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمئة

في هذه السنة دخل عضد الدولة إلى بغداد ، وخرج منها عِزُّ الدولة بَخْتيار بن معز الدولة ، واتبعه عضد الدولة ليقاتله ، وأخذ معه الخليفة الطائع ، فاستعفاه الخليفة من الخروج فأعفاه ، وسار عضد الدولة وراءه ، فأخذه أسيراً ، ثم قتل سريعاً وتصرَّمت دولته . واستقرَّ أمر عضد الدولة ببغداد ، وخلع عليه الخليفة الخِلَع السَّنية والأسْوِرَة في يديه والطوق في عنقه ، وأعطاه لواءين أحدهما فضَّة والآخر من ذهب ، ولم يكن هذا الثاني يصنعه إلا لأولياء العهد ، وأرسل إليه الخليفة بتُحَفٍ سنية ، وبعث عضد الدولة [إلى الخليفة][٣] بأموالٍ جزيلة من الذَّهب والفِضَّة ، واستقرت يده على بغداد وما والاها من البلاد .

وزلزلت الأرض[٤] مراراً في هذه السنة .

وزادت دِجْلة زيادةً كثيرة وانتقضت بيوت كثيرة في البلد ، وغرق خَلْقٌ كثير وجمٌّ غفير .

وقيل لعضد الدولة : إن أهل بغداد قد قَلُّوا كثيراً بسبب الطَّاعون ، وما وقع بينهم من الفِتَن بسبب الرَّفْض والسُّنَّة ، وأصابهم حَريق [عظيم][٥] وغَرَقٌ ، فقال : إنما يهيج [الشر][٥] بين النَّاس في السُّنَّة والرَّفض هؤلاء القُصَّاص والوعاظ . ثم رسم أن أحداً لا يقصُّ ولا يعظ في سائر بغداد ، ولا يسأل سائل باسم أحد من الصَّحابة ، وإنما يقرأ السَّائل القرآن ، فمن أعطاه أخذ منه . فعمل بذلك في البلد ، ثم بلغه

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٣٢٥) وفيات الأعيان (٣/ ٢٨١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٤٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٤٦) شذرات الذهب (٣/ ٥٦) .

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٢٨١) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) في (ط) : بغداد ، وهو تحريف ، وقد ذكر ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ٨٧) زلزلة بسيراف ، وذكر ابن الأثير في الكامل (٨/ ٦٩٣ ـ ٦٩٤) زلزلة في إفريقية .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .

أن أبا الحسين بن سمعون الواعظ[١] ـ وكان من الصَّالحين ـ قد استمرَّ يعظ الناس على عادته ، فأرسل إليه من جاءه به ، فأخذ من مجلسه وقيل له : إذا دخلت على الملك فقبِّل التراب وتواضع في الخطاب والجواب . فلما دخل دارالملك وجد السُّلْطان قد جلس في حجرة وحده لئلا يبدر من ابن سمعون في حَقِّه كلامٌ بحضرة الناس يؤثر عنه[٢] . فدخل الحاجب بين يديه ليستأذن له عليه ، فوجده قد دخل وراءه ، فإذا الملك جالس وحده ، فتنحا ابن سمعون بوجهه نحو دار عز الدولة ثم استفتح القراءة [بسم الله الرحمن الرحيم] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] ثم استدار نحو الملك ، فقال : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس : ١٤] ثم أخذ في مخاطبة الملك وَوَعْظِهِ ، فبكى عضد الدولة بكاء كثيراً ، وجَزَّاه خيراً . فلما خرج من عنده قال للحاجب : اذهب فَخذْ ثلاثة آلاف دِرْهم وعشرة أثواب وادفعها إليه أو لفقراء أهله ، فإن قبلها جِئْني برأسه ، قال الحاجب : فجئته فقلتُ : هذه أثوابٌ أرسل بها إليك الملك لتلبسها . فقال : لا حاجة لي بها ، هذه ثيابي[٣] من عهد أبي منذ أربعين سنة كلما خرجتُ إلى النَّاس لَبِسْتُها ، فإذا رجعت طَوَيْتُها . قلت : وهذه نفقة . فقال : لا حاجة لي فيها ، لي دارٌ آكل من أجرتها تَركَها لي أبي ، فأنا في غُنْية عنها[٤] . فقلت : لفقراء أهلك . فقال : أهله أحق بها من أهلي ، وأفقر إليها منهم . فرجعتُ إلى الملك لأشاوره ، وأخبر بما قال : فسكتَ ساعةً ثم قال : الحمد لله الذي سلَّمنا منه وسلّمه منا .

[ثم إن عضد الدولة أخذ ابن بَقِيَّة الوزير لعز الدولة ، فأمر به ، فوضع بين قوائم الفِيَلة ، فتخبطته بأرجلها حتى هَلَكَ ، ثم صُلِب على رأس الجسر في شوَّال منها ، فرثاه أبو الحسين[٥] بن الأنباري بأبياتٍ يقول فيها :

عُلُـوٌّ فـي الحَيَـاةِ وفـي الممـاتِ ... لحـقٌ أنـتَ إحـدى المُعْجـزاتِ
كـأنَّ النَّـاسَ حَـوْلَـكَ حيـنَ قـامـوا ... وفــودُ نَــدَاكَ أيــامَ الصِّـلاتِ
كـأنَّـك واقـفٌ فيهـم خَطيبـاً ... وكلُّهــمُ وقــوفٌ للصَّـــلاةِ
مـددتَ يـديـكَ نحـوهُـمُ احتفـاءً ... كمــدهمــا إليهــم بــالهِبــاتِ

(١) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٨٧هـ) .
(٢) في (ط) زيادة : وتحول عضد الدولة من مجلسه وجلس وحده لئلا يبدر من ابن سمعون إليه بين الدولة كلام يكرهه .
(٣) في (ح) : هذه ثياب أبي ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٤) في (ط) : زيادة ، فأنا في غنية عما أرسل به الملك .
(٥) في وفيات الأعيان (٥/ ١٢٠) : أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري .

وهي قصيدة طويلة أورد كثيراً منها ابن الأثير في « كامله »[١]] .

صفة مقتل عز الدولة بَخْتيار بن معز الدولة وأخذ عضد الدولة الموصل وأعمالها

لما دخل عضد الدولة بغداد وتسلَّمها من عز الدولة وأخرجه منها ذليلاً طريداً في قُلٍّ من النَّاس ، ومن عزم بختيار أن يمضي إلى الشَّام فيأخذها ، وقد حلفه عضد الدولة أن لا يتعرض لأبي تغلب صاحب الموصل وذلك لمودَّةٍ كانت بينهما وَمراسلات منهما ، فحلف له على ذلك ، وحين خرج من بغداد كان معه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان ، فحسَّن لعز الدولة أخذ بلاد المَوْصل [من أبي تغلب][٢] ، لأنها أطيبُ وأكثر مالاً [من الشام][٢] وأقرب إليه [الآن][٢] . وكان عِزُّ الدولة ضعيفَ العقل قليلَ الدِّين ، فلما بلغ ذلك أبا تغلب أرسل إلى عز الدولة يقول له : لئن بعثت إليَّ بأخي[٣] حمدان بن ناصر الدولة أعنتك بجيشي وبنفسي حتى أردَّك إلى ملك بغداد وأقاتل معك عضد الدولة . فأمسك حمدانَ وأرسله إلى أخيه[٤] أبي تغلب ، فسجنه في بعض القلاع ، وبلغ ذلك عضد الدولة وأنهما قد اجتمعا على حربه ، فركب إليهما بجيشه ، وأراد إخراج الخليفة الطائع معه ، فاستعفاه فأعفاه ، واستمرَّ هو ذاهباً إليهما ، فالتقى معهما ، فكسرهما وهزمهما ، وأخذ عز الدولة أسيراً ، فلما جيء به لم يأذن له بل أرسل إليه من قتله في الحال ، ثم سار من فوره ، فأخذ المَوْصل ومعاملتها ، وكان قد حمل معه ميرة كثيرة ، وتشرَّد أبو تغلب في البلاد ، وبعث وراءه السَّرايا في كلِّ جهة ، وأقام عضد الدولة بالموصل ، وضيَّق على أبي تغلب تلك البلاد ، واستحوذ على أكثر تلك الناحية لصرامته وشجاعته وهمته وعزيمته ، وأقام بالموصل إلى أواخر سنة ثمانٍ [وستين][٥] ، وفتح مَيَّافارقين وآمِد وغيرهما من بلاد بكر وربيعة ، وتسلَّم بلاد مُضَر من أيدي نواب أبي تغلب ، فأخذ منها الرَّحبة ، ورَدَّ بقيتها على صاحب حلب[٦] سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ، وتسلَّط سعد الدولة على بلاد عمه أبي تغلب يتسلمها بلداً ، بلداً ، وحين رجع

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وأثبتنا ما في (ط) لحُسْنِ إيرادها ، انظر الكامل (٨/ ٦٨٩ ـ ٦٩٠) وانظر القصيدة بتمامها في وفيات الأعيان (٥/ ١٢٠ ـ ١٢١) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) في (ط) : ابن أخي ، وهو وهم .

(٤) في (ح) و(ط) : عمه ، وهو تحريف ، انظر صدر الخبر ، والكامل (٨/ ٦٩١) ومعجم الأنساب لزامباور (١/ ٥٠٢) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٦) في (ح) : الموصل ، والمثبت من (ب) و(ط) .

عضد الدولة من الموصل استناب عليها أبا الوفا ، وعاد إلى بغداد ، فتلقّاه الخليفة الطائع لله ورؤوس الناس في ظاهر البلد ، وكان يوماً مشهوداً .

ومما وقع من الحوادث في هذه السنة الوقعة التي كانت بين العزيز بن المعز الفاطمي وبين أفتكين غلام معز الدولة صاحب دمشق ، فهزمه العزيز وأخذه معه إلى الدِّيار المصرية مكرَّماً [معظماً][1] كما تقدم[2] ، وتسلَّم العزيز الفاطمي دمشق وأعمالها ، وقد تقدَّم في [سنة][3] أربع وستين بسط هذه الكائنة بما أغنى عن إعادته[4] .

وفيها خُلع على القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي بقضاء قضاة الرَّي وما تحت حكم مُؤَيَّد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، وله مصنَّفات حسنة ، منها « دلائل النبوة »[5] و « عُمُد الأدِلَّة » وغيرها[6] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة نائب المِصْريين وهو الأمير باديس بن زيري أخو يوسف بلِّكين ، ولما دخل مكة اجتمع إليه اللصوص ، وسألوا منه أن يُضمِّنهم الموسم هذا العام بما شاء من الأموال . فأظهر لهم الإجابة [إلى ما سألوا][7] وقال [لهم][7] : اجتمعوا كلكم حتى أضمِّنكم كلكم . فاجتمع عنده بضع وثلاثون حرامياً ، فقال : هل بقي منكم أحد ؟ فحلفوا له إنه لم يبق منهم أحد . فعند ذلك أمر بقطع أيديهم كلهم ، ونعم ما فعل . وكانت الخطبة في هذه السنة للفاطميين بمكة والمدينة دون العباسيين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

الملك عز الدولة بختيار بن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن[8] بويه الدَّيْلَمي[9] : ملك بعد أبيه

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٢) انظر وفيات سنة (٣٦٤هـ) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٤) انظر حوادث سنة (٣٦٤هـ) .

(٥) طبع باسم « تثبيت دلائل النبوة » وقد حققه الدكتور عبد الكريم عثمان .

(٦) توفي سنة (٤١٥هـ) ، وكان من أبناء التسعين ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) وللدكتور عبد الكريم عثمان كتاب فيه عنوانه « قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد » طبع في بيروت سنة ١٩٦٧ .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٨) في (ح) : بن معز الدولة والحسن بن أحمد بن بويه ، وهو تحريف ، والصواب ما هو مثبت ، انظر المنتظم (٧/ ٨٩) .

(٩) يتيمة الدهر (٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩) المنتظم (٧/ ٨١ ـ ٨٢) الكامل لابن الأثير (٨/ ٥٧٥ ـ ٥٨٠) وغيرها ، وفيات الأعيان (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) الوافي بالوفيات (١٠/ ٨٤ ـ ٨٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٢٩) تاريخ الخلفاء (٦٤٩) شذرات الذهب (٣/ ٥٩) .

وعمره فوق العشرين[١] سنة بقليل ، وكان حَسَن الجسم ، شديد البطش ، قوي القَلْب جداً ، يقال : إنه كان يأخذ بقوائم الثور[٢] الشديد فيلقيه إلى الأرض من غير أعوان ، ويتقصد الأسود في أماكنها في متصيداته . ولكنه كان كثير اللهو واللَّعب والإقبال على اللَّذات ، ولما كسره ابنُ عَمِّه ببلاد الأهواز كان فيما أُخذ من أمواله غلام له كان يحبه حباً شديداً [لا يهنأ بالعيش إلا معه][٣] ، فبعث يترفق لابن عمه فيه حتى يردَّه ، وأرسل إليه بتُحَفٍ عظيمة وأموالٍ جزيلة وجاريتين عوَّادتين لا قيمة لهما[٤] . وبعث نقيب الأشراف في ذلك ، فرُدَّ عليه الغلام المذكور ، فكثُرَ تعنيف الناس لعز الدولة ، وسقط من أعين الملوك ، لأنه كان يقول : ذَهابُ هذا الغلام أشدُّ عليَّ مما جرى من أخذ بغداد وأرض العراق . ثم آل من أمره أنه أسره ابن عمه عضد الدولة كما ذكرنا[٥] ، وأمر بقتله سريعاً ، فكانت مدّة حياته ستاً وثلاثين سنة ، ومدة دولته منها إحدى عشرة[٦] سنة وشهور[٧] .

محمد بن عبد الرحمن[٨] : أبو بكر ، القاضي المعروف بابن قُرَيعة ، ولي قضاءَ السِّنْدية[٩] ، وكان فصيحاً يأتي بالكلام المسجوع من غير تكلُّف ولا تردُّد ، وكان جميلَ المعاشرة ظريف المحاضرة ، ومن شعره :

لـي حِيْلَـةٌ فيمـن يَنُـمُّ (م) وليـسَ فـي الكـذَّابِ حِيْلَـهْ
مَـنْ كـان يَخْلُـقُ مـا يقـو ... لُ فَحِيْلتـي فيـه قَلِيْلَـهْ

وكان يقول للرجل من أصحابه إذا تماشيا[١٠] : إن تقدَّمْتُ [بين يديك][١١] فحاجب ، وإن تأخرتُ فواجب . وكانت وفاته يوم السبت لعشر بقين من جُمادى الآخرة منها ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

---

(١) في (ح) و(ب) : العشر ، والمثبت من (ط) ، وكان عمره نحو الخامسة والعشرين .
(٢) في (ح) : بالفرس ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) أي لا تقدر قيمتها .
(٥) انظر حوادث سنة (٣٦٧هـ) .
(٦) في (ح) و(ط) و(ب) : إحدى وعشرين ، وهو تحريف ، والصواب ما هو مثبت ، إذ وليَ بعد وفاة أبيه سنة(٣٥٦هـ) ، وانظر المنتظم (٧/ ٩٠) .
(٧) في (ط) زيادة : وهو الذي أظهر الرفض في بغداد ، وجرى بسبب ذلك شرور كما تقدم .
(٨) تاريخ بغداد (٢/ ٣١٧ ـ ٣٢٠) الإكمال لابن ماكولا (٧/ ١١٧) المنتظم (٧/ ٩١ ـ ٩٢) وفيات الأعيان (٤/ ٣٨٢ ـ ٣٨٤) العبر (٢/ ٣٤٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٢٦) الوافي بالوفيات (٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩) شذرات الذهب (٣/ ٦٠ ـ ٦٢) .
(٩) السندية : قرية من قرى بغداد ، على نهر عيسى ، بين بغداد وبين الأنبار . معجم البلدان (٣/ ٢٦٨) .
(١٠) في (ح) : وكان يقول لمماشيه ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(١١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وستين وثلاثمئة

في شعبان منها أمر الخليفة الطائع لله أن يُدْعى لعضد الدولة بعد الخليفة على المنابر ببغداد ، وأن تضرب الدبادب على بابه وقت الفجر وبعد المغرب والعِشاء .

قال ابنُ الجَوْزي : وهذا شيء لم يتفق لغيره من بني بُوَيْه ، وقد كان مُعِزُّ الدولة سأل من المطيع لله أن تضرب الدَّبادب على بابه ببغداد ، فلم يأذن له في ذلك[١] .

وقد افتتح عضد الدولة[٢] في هذه السنة وهو مقيم بالمَوْصل أكثر ما كان لأبي تغلب بن حمدان ، كآمِد وميافارقين والرَّحبة وغير ذلك من المدن الكبار والصغار . وحين عزم على العود إلى بغداد استناب على الموصل أبا الوفا الحاجب ، ورجع إلى بغداد ، فدخلها في سَلْخ ذي القعدة من هذه السنة ، وتلقَّاه الخليفة والأعيان في أثناء الطريق ، وكان يوماً مشهوداً ، والله أعلم بالصواب .

ذكر ملك قَسَّام التَّرَّاب لدمشق في هذه السنة

لما اتَّقع[٣] أفتِكين مع العزيز بأرض الرملة ، وانهزم أفتكين والحسن القرمطي معه ، وأسر أفتكين ، فذهب العزيز إلى ديار مصر ، نهض رجلٌ من أهل دمشق يقال له قَسَّام التَّرَّاب ، كان أفتكين يقربه ويدنيه ، ويأتمنه على أسراره ، فاستحوذ على دمشق ، وطاوعه أهلُها ، وقصدته عساكر العزيز من مصر ، فحاصروه بها ، فلم يتمكنوا منه بشيء ، وجاء أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان فحاصره ، فلم يمكنه أن يدخل دمشق ، فانصرف عنه خائباً إلى طبرية ، فوقع بينه وبين بني عقيل وغيرهم من العرب حروبٌ طويلة ، آل به الحال إلى أن قُتل أبو تغلب ، وكانت معه أُخته جميلة وامرأته بنت عمه سيف الدولة ، فرُدَّتا إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بحلب ، فأخذ أخته ، وبعث بجميلة إلى بغداد ، فَحُبِسَتْ في دارٍ ، وأخذ منها أموالٌ جزيلة .

وأما قسَّام وهو الحارثي ، وأصله من بني الحارث بن كعب من اليمن ـ فأقام بالشَّام ، يسُدُّ خللها ، ويقوم بمصالحها مُدَّة سنين عديدة ، وكان مجلِسُه بالجامع ، ويجتمع النَّاس عنده ، فيأمرهم وينهاهم فيمتثلون ما يرسم به .

---

(١) المنتظم (٧/ ٩٢) .
(٢) في (ط) : عز الدولة ، وهو تحريف .
(٣) في (ط) . ذهب .

قال ابنُ عساكر : إن أصله من قرية تَلْفِيتا[١] ، وكان تَرَّاباً .

قلت : والعامة يقولون اسمه قسيم الزبال ، وإنما هو قَسَّام ، ولم يكن زبالاً بل تَرَّاباً من قرية تلفيتا بالقُرْب من قرية مَنِين ، وكان بدؤُ أمره أنه انتمى إلى رجلٍ من أحداث دمشق يقال له أحمد بن الجسطارة[٢] ، فكان من حِزْبه ، ثم استحوذ على الأمور ، وغلب الولاة والأمراء وصارت إليه أَزِمَّة الأحكام إلى أن قدم يَلْتِكين[٣] التُّرْكي من مِصْر في يوم الخميس السَّابع عشر من المحرَّم سنة ستٍّ وسبعين وثلاثمئة ، فأخذها منه ودخلها ، فاختفى قَسَّام مدة ، ثم ظهر ، فأخذه أسيراً ، ثم أرسله [مقيداً][٤] إلى الديار المِصْرية ، فأطلق وأحسن إليه ، وأقام بها أيضاً مكرماً ، والله أعلم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن جعفر بن حمدان[٥] بن مالك بن شبيب بن عبد الله : أبو بكر بن مالك القَطِيعي ـ من قطيعة الدَّقيق ببغداد ـ راوي « مسْند » أحمد عن ابنه عبد الله ، وقد روى عنه غير ذلك من مصنَّفات أحمد ، وحدَّث عن غيره من المشايخ أيضاً ، وكان ثِقَةً كثير الحديث .

وقد حدّث عنه الدَّارَقُطْني وابن شاهين والبَرْقاني وأبو نُعيم والحاكم ، ولم يمتنع أحدٌ من الرواية عنه ولا التفتوا إلى ما شغب به بعضهم من الكلام فيه ، بسبب غرق بعض كتبه حين غرقت القطيعة بالماء الأسود ، فاستحدث بعضها من نسخ أُخَر ، وهذا ليس بشيء ، لأنها قد تكون معارضة على كتبه التي غرقت ، والله أعلم . ويقال : إنه تَغَيَّر في آخر عمره فكان لا يدري ما يقرأ عليه ، وقد جاوز التسعين ، رحمه الله .

تميم بن المعز الفاطمي[٦] : وبه كان يكنى ، وقد كان من أكابر أمراء دولة أبيه وأخيه العزيز ، وفيه

---

(١) من قرى جبال القلمون ، انظر معجم البلدان (٢/ ٤٢ ـ ٤٣) .

(٢) لم تضبط المصادر اسمه : ففي معجم البلدان (٢/ ٤٢) الحطار ، وفي (ط) المسطان ، وفي « سير أعلام النبلاء » : الجصطر ، وفي تاريخ الإسلام : « الجِصطار » مجود بخط الذهبي ، كما بينه الدكتور بشار في التعليق عليه (٨/ ٤٣٠) .

(٣) أوله ياء آخر الحروف ؛ ترجمه الذهبي في حرف الياء من وفيات سنة (٣٧٣هـ) من تاريخ الإسلام (٨/ ٣٩٦) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٥) تاريخ بغداد (٤/ ٧٣ ـ ٧٤) الأنساب (١٠/ ٢٠٣) طبقات الحنابلة (٢/ ٦ ـ ٧) المنتظم (٧/ ٩٢ ـ ٩٣) اللباب (٣/ ٤٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢١٠ ـ ٢١٣) الوافي بالوفيات (٦/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٢) شذرات الذهب (٣/ ٦٥) .

(٦) الحلة السيراء (١/ ٢٩١) وفيات الأعيان (١/ ٣٠١ ـ ٣٠٣) وقد ذكره ابن كثير في وفيات هذه السنة متابعة لابن الجوزي في « منتظمه » ، وفي وفيات الأعيان (١/ ٣٠٣) : وتاريخ الإسلام (٨/ ٣٩٨) وكانت وفاته سنة (٣٧٤هـ) ، ونقل ابن خلكان عن محمد بن عبد الملك الهمذاني أنه توفي سنة (٣٧٥هـ) .

كرم وله فضيلة ، وقد اتفقت له كائنة غريبة ، وهي أنه أرسل إلى بغداد ، فاشتريت له جارية مغنية بمبلغٍ جزيل ، فلما حضرت عنده أضاف أصحابه ثم أمرها فغنت ـ وكانت تحبُّ شخصاً ببغداد ـ :

وبدا له من بعدِ ما اندمل الهَوى ... بَـرْقٌ تـألّـقَ مُـوهِنـاً لمعـانُـهُ

يبـدو كحـاشيـةِ الـرِّداء ودونـه ... صَعْـبُ الـذُّرى مُتَمنِّـعٌ أرْكـانُـهُ

فبـدا لينظـر كيـفَ لاح فلـم يُطِـقْ ... نظـراً إليـه وصـدَّه أشجـانُـهُ

فـالنـارُ مـا اشْتَمَلَت عليـهِ ضلُـوعـهُ ... والمـاء مـا سَمَحـتْ بـهِ أجفـانُـهُ

ثم غنته بأبيات أُخَر ، فاشتدَّ طرب تميم وقال لها : لابد أن تسأليني حاجةً ، فقالت : عافيتك . فقال : ومع هذا . وألحَّ عليها فقالت : تردُّني إلى بغداد حتى أغني بهذه الأبيات . فوجم [لذلك][1] ، ثم لم يجدُ بُداً من الوفاء [لها بما سألتْ][2] ، فأرسلها مع بعض أصحابه ، فأحَجَّها ، ثم سار بها إلى بغداد على طريق العراق ، فلما أمسوا الليلة التي يدخلون من صبيحتها بغداد ذهبت في الليل فلم يدرِ أين ذهبت ، فلما راح الخبر إلى مولاها تألم ألماً شديداً ، وندِمَ ندماً [شديداً][3] حيث لا ينفعه النَّدَم .

[وقد ذكر ابن خلكان أنه لما توفي أدرج في ثمانين ثوباً من ديباج ، وأن قاضيهم هو الذي تولى ذلك منه . قلت : وهذا من الإسراف الذي سببه الجهل بالشرع][4] .

العقيقي[5] : صاحب الحَمَّام والدَّار المنسوبتين إليه بمحلة باب البريد بدمشق أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد العقيقي بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الشريف أبو القاسم الحسيني .

قال ابن عساكر : كان من وجوه أشراف دمشق ، وإليه تنسب الدَّار والحَمَّام [بمحلة باب البريد][6] . وذكر أنه توفي يوم الثلاثاء لأربع خلون من جُمادى الأولى من هذه السنة[7] ، وأنه دفن من الغد ، وأغلق البلد بسبب جنازته ، وحضرها بكجور وأصحابه ـ يعني نائب البلد ـ ودفن خارج باب الصغير .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) وفي (ب) : كثيراً .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٥) تاريخ ابن عساكر (خ) س ، ومختصره لابن منظور (٣/ ٤٦) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٧) توفي على الصحيح سنة (٣٧٨هـ) انظر مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٤٦) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٤٤٧) .

قلت : وقد اشترى الملك الظَّاهر بيبرس داره وبناها مدرسة ودار حديث وتربة وبها قبره[١] ، وذلك في حدود سنة سبعين وستمئة كما سيأتي بيانه .

أبو سعيد السِّيْرَافي[٢] : النحوي ، الحسن بن عبد الله بن المَرْزُبان أبو سعيد القاضي .

سكن بغداد ، وولي القضاء بها نيابةً ، وله « شرح كتاب سيبويه » ، و« طبقات النحاة » .

وروى عن أبي بكر بن دُرَيد وغيره ، وكان أبوه مجوسياً[٣] ، وكان أبو سعيد هذا عالماً باللغة والقراءات والنحو والعَروض والفرائض والحساب وغير ذلك من فنون العلم ، وكان زاهداً لا يأكل إلا من عمل يده ، كان ينسخ كل يوم عشر ورقات بعشرة دراهم ، تكون منها نفقته ، وكان من أعلم النَّاس بنحو البصريين ، وينتحل مذهب أهل العراق في الفقه[٤] ، وقرأ على ابن مجاهد القراءات ، واللغة على ابن دريد ، والنحو على ابن السَّرَّاج والمَبْرَمان[٥] ، ونسبه بعضهم إلى الاعتزال ، وأنكره آخرون ، وكانت وفاته في رجب من هذه السنة عن أربعٍ وثمانين سنة ، ودفن بمقبرة الخيزران .

عبد الله بن إبراهيم بن يوسف[٦] : أبو القاسم الجُرْجاني[٧] ، ويعرف بالآبنْدُوني[٨] .

رحل في طلب العلم والحديث إلى الآفاق ، ورافق ابن عدي في بعض ذلك ، ثم سكن بغداد ، وحدَّث بها عن أبي يعلى ، والحسن بن سفيان وابن خُزَيمة وغيرهم ، وكان ثِقَةً ثبتاً مصنفاً زاهداً .

روى عنه البَرْقاني وأثنى عليه خيراً ، وذكر أن أكثر أكله الخبز المأدوم بمرق الباقِلاء ، وذكر

---

(١) هي المدرسة الظاهرية ، وهي مقر دار الكتب الظاهرية بدمشق .

(٢) طبقات النحويين واللغويين (١٢٩ ـ ١٣٠) تاريخ بغداد (٧/ ٣٤١ ـ ٣٤٢) الأنساب (٧/ ٢١٨ ـ ٢١٩) نزهة الألباء (٣٠٧ ـ ٣٠٨) المنتظم (٧/ ٩٥) معجم الأدباء (٨/ ١٤٥ ـ ٢٣٢) إنباه الرواة (١/ ٣١٣ ـ ٣١٥) اللباب (٢/ ١٦٥) وفيات الأعيان (٢/ ٧٨ ـ ٧٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٤٧ ـ ٢٤٩) الوافي بالوفيات (٢/ ٧٤) بغية الوعاة (١/ ٥٠٧ ـ ٥٠٩) شذرات الذهب (٢/ ٦٥ ـ ٦٦) .

(٣) في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٤٨) : وكان أبوه مجوسياً فأسلم .

(٤) في (ح) : وقراءاتهم ، وكأنها مقحمة ، انظر تاريخ بغداد (٧/ ٣٤١) والمراد بمذهب أهل العراق مذهب أبي حنيفة النعمان ، رحمه الله .

(٥) في (ح) و(ط) و(ب) ابن المرزبان ، وهو تحريف ، والمثبت من تاريخ بغداد (٧/ ٣٤٢) والمنتظم (٧/ ٩٥) والمبرمان هو لقب أبي بكر محمد بن علي بن اسماعيل النحوي العسكري ، أخذ النحو عن المبرد ، وهو الذي لقبه به ، لكثرة ملازمته له وسؤاله إياه ، توفي سنة (٣٢٦هـ) ، انظر ترجمته في إنباه الرواة (٣/ ١٨٩ ـ ١٩٠) .

(٦) تاريخ بغداد (٩/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) الأنساب (١/ ٩١ ـ ٩٢) المنتظم (٧/ ٩٥ ـ ٩٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٦١ ـ ٢٦٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٣) طبقات الحفاظ (٣٨٠ ـ ٣٨١) شذرات الذهب (٣/ ٦٦) .

(٧) في (ح) و(ب) و(ط) : الزنجاني ، وفي (ط) الريحاني ، وكلاهما تحريف ، وفيه متابعة لابن الجوزي في المنتظم (٧/ ٩٥) والمثبت من سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٦١) .

(٨) في (ح) و(ب) و(ط) : الابندري ، وهو تصحيف ، والمثبت من سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٦١) .

أشياء من تقلُّله وزهده وورعه ، توفي عن خمسٍ وتسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

عبد الله بن محمد بن وَرْقاء : الأمير أبو أحمد الشَّيباني ، من أهل البيوتات والحشمة ، بلغ التسعين [سنة][١] روى عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه أنشد في صفة النِّساء :

هي الضِّلَعُ العَوْجاء لستَ تقيمها ... ألا إنَّ تَقْويمَ الضُّلوعِ انكسارُها

أيجمعنَ ضعفاً واقتداراً على الفتى ... أليس عجيباً ضَعْفُها واقتدارُها

قلت : وهذا الشاعر أخذ المعنى من الحديث الصَّحيح : « إن المرأة خلقت من ضِلَع أعوج وإن أعوج شيء في الضِّلع أعلاه ، فإنْ ذَهَبْتَ تقيمه كَسَرْتَهُ ، وإن استمتعتَ بها استمتعت وفيها عِوَج » .

محمد بن عيسى[٢] بن عمرويه ، الجُلُودي[٣] : راوي « صحيح مسلم » عن إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه[٤] عن مسلم بن الحَجَّاج ، وكان من الزُّهَّاد ، يأكل من كَسْب يده من النَّسْخ ، وبلغ ثمانين سنة ، رحمه الله تعالى بمنه وكرمه .

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمئة

في المحرَّم منها توفي الأمير عمر بن شاهين ، صاحب بلاد البطيحة منذ أربعين سنة ، تغلَّب عليها ، وعَجَزَ عنه الأمراء والملوك والخلفاء ، وبعثت إليه الجنود والسَّرايا والجيوش غَيْرَ مرة ، فكل ذلك يغلبها[٥] ويكسرها ، وكل ما له في تمكُّنٍ وقُوَّة ، ومكث كذلك هذه المدة كلها ، ومع هذا كله مات على فراشه [حتف أنفه][٦] ، فلا نامت أعْيُنُ الجبناء . وقام بالأمر من بعده ولده الحسن ، فرام عضد الدولة أن ينتزع الملك من يده ، فأرسل إليه سريةً فيها خلق من الجنود ، فكسرهم الحسن بن عمر بن شاهين ، وردَّهم خائبين ، وكاد أن يتلفَهُمْ بالكلِّية ، حتى أرسل إليه عضد الدولة ، فصالحه على مالٍ يرسله إليه كل سنة وأخذ رهائن من عضد الدولة على ذلك ، وهذا من العجائب الغريبة .

وفي صَفَر منها قبض على الشَّريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي ؛ نقيب الطَّالبيين ، [وقد

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) الأنساب (٣/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥) المنتظم (٧/ ٩٧) اللباب (١/ ٢٨٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠١ ـ ٣٠٣) الوافي بالوفيات (٤/ ٢٩٧) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٣) شذرات الذهب (٣/ ٨٧) .

(٣) بضم الجيم ، وهو الأصح ، ووهم ابن الأثير في « اللباب » حين قال : إنه بفتح الجيم لا بضمها ، انظر حاشية الأنساب (٣/ ٢٨٣) وتبصير المنتبه (١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) .

(٤) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٠٨هـ) .

(٥) في (ب) و(ط) ، يغلها .

(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

كان أمير الحج مدة سنين][1] ، واتهم بأنه يفشي الأسرار ، وأن عِزَّ الدولة أودع عنده عقداً ثميناً ، وأُتي بكتاب أنه خطُّه في إفشاء الأسرار ، فأنكر أنه خَطُّه ، وكان مزوراً عليه ، واعترف بالعقد ، فأخذ منه ، وعزل عن النِّقابة وولي غيره ، وكان مظلوماً في ذلك .

وفي هذا الشهر أيضاً عَزَلَ عضدُ الدولة قاضي القضاة أبا محمد بن معروف ، وولّى غيره .

وفي شعبان ورد البريد من مصر إلى عضد الدولة بمراسلات كثيرة ، فَرَدَّ الجواب بما مضمونه صدق النية وحُسْن الطَّوية .

ثم سأل عضد الدولة من الطَّائع أن يجدد عليه الخِلَع والجوهر ، وأن يزيد في ألقابه تاج الدولة ، فأجابه إلى ذلك كله ، فخلع عليه من أنواع الملابس ما لم يتمكن من تقبيل الأرض من كثرتها[2] ، وفوَّض إليه ما وراء بابه من الأُمور ومصالح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وحضر ذلك الرؤساء والأمراء وأعيان الناس ، وكان يوماً مشهوداً هائلاً .

وأرسل في رمضان إلى الذُّعَّار من الأعراب من بني شيبان وغيرهم ، فعقرهم وكسرهم وقهرهم ، وكان أميرهم ضبَّة[3] بن محمد الأسدي متحصِّناً بعين التمر مدة نيف وثلاثين سنة ، فأخذت ديارهم وأخذت أموالهم ، وحالت أحوالهم .

وفي يوم الثلاثاء لتسعٍ[4] بقين من ذي القعدة تزوَّج الخليفة الطائع لله بنت عضد الدولة الكبرى ، وعقد العقد بحضرة الأعيان والرؤساء ، وكان عقداً هائلاً حافلاً على صَدَاق مبلغه مئة ألف دينار ، ويقال مئتا ألف دينار ، وكان وكيل عضد الدولة الشيخ أبا علي [الحسن بن أحمد] الفارسي النحوي ، صاحب « الإيضاح » و « التكملة »[5] ، وكان الذي خطب خطبة العقد القاضي أبو علي المُحَسِّن[6] بن علي التَّنوخي ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيها كان مقتل أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بالشام قريباً من نوى[7] وأعمالها ، وكانت معه

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) : ما لم يتمكن معه من تقبيل الأرض بين يدي الخليفة .

(٣) في (ط) منية ، وهو تحريف .

(٤) في (ط) : لسبع ، وهو تصحيف ، انظر المنتظم (٧/ ١٠١) .

(٥) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٩٧هـ) ، وما بين حاصرتين من (ب) ، وفي (ط) : الحسين ، وهو تصحيف .

(٦) في (ح) و(ب) و(ط) : الحسن ، وهو تصحيف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١٠١) وهو صاحب كتاب « الفرج بعد الشدة » و « نشوار المحاضرة » والمستجاد من فعلات الأجواد ، وكلها كتب مشهورة متداولة ، توفي سنة (٣٨٤هـ) ، انظر ترجمته في « وفيات الأعيان » (٤/ ١٥٩ ـ ١٦٢) .

(٧) قتله كان في الرملة ، انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٧٠٠) .

أخته جميلة وزوجته بنت عمه سيف الدولة، فردتا إلى ابن عمه سعد الدولة بن سيف الدولة صاحب حلب.

قال ابنُ الأثير: وفي هذه السنة جدَّد عضد الدولة عمارة بغداد ومحاسنها، وجدَّد المساجد والمشاهد، وأجرى على الفقهاء والأئمة الأرزاق والجرايات من الفقهاء والمحدِّثين والأطباء والحُسَّاب وغيرهم، وأطلق الصِّلات لأرباب البيوتات والشرف، وألزم أصحاب الأملاك ببغداد بعمارة بيوتهم ودورهم، ومهَّد الطُّرُقات، وأطلق المكوس، وأصلح طريق الحُجَّاج من بغداد إلى مكَّة، وأرسل الصَّدقات والصِّلات للمجاورين بالحَرَمين. قال: وأَذِنَ لوزيره نَصْر بن هارون - وكان نصرانياً - بعمارة البِيَع والدِّيَرة، وإطلاق الأموال لفقرائهم[١].

وفيها توفي حسنويه بن حسين الكردي، وكان قد استحوذ على نواحي بلاد الدِّيْنور وهَمَذَان ونهاوند مدة خمسين سنة، وكان حَسَنَ السِّيرة، كثير الصدقة بالحرمين وغيرهما، فلما توفي اختلف أولاده من بعده وتمزَّق شملهم، وتمكَّن عضد الدولة من أكثر بلاده، وقويت شوكته في الأرض.

وفي هذه السنة ركب عضد الدولة في جيوش[٢] كثيفة إلى بلاد أخيه فخر الدولة، وذلك لما كان بلغه من ممالأة عز الدولة واتفاقهما عليه، فلما تفرغ من أعدائه ركب فتسلَّم بلاد أخيه فخر الدولة هَمَذان والرَّي وما بينهما من البلاد، وسلَّم ذلك إلى أخيه مؤيد الدولة بُوَيه بن ركن الدولة[٣] ليكون نائبه عليها، ثم سار إلى بلاد حسنويه الكردي، فتسلم بلاده وأخذ حواصله وذخائره، وكانت جليلة كثيرة، وحبس بعض أولاده، وأمَّر بعضهم، وأرسل إلى الأكراد الهكَّارية، فأخذ منهم بعض بلادهم، وعَظُمَ شأن عضد الدولة في البلاد وارتفع صيته وذِكْره، إلا أنه أصابه في هذه السفرة داء الصَّرْع، وقد كان تقدَّم له في الموصل [مثله][٤] فكان يكتمه، ولكنه غلب عليه كثرة النسيان فلا يذكر الشيء إلا بعد جهد جهيد، والدنيا لا تسر بقدر ما تضر.

دارٌ متى[٥] ما أضْحَكَتْ في يَوْمِها ... أبْكَتْ غداً بُعْداً لها مِنْ دارِ

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن عطاء بن أحمد[٦]: أبو عبد الله الرُّوذْبارِي - ابن أُخت أبي علي

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير (٨/ ٧٠٤ - ٧٠٥).

(٢) في (ب) و (ط): جنود.

(٣) سترد ترجمته في وفيات سنة (٣٧٣هـ).

(٤) ما بين حاصرتين من (ط).

(٥) في (ط): دار إذا ما أضحكت.

(٦) طبقات الصوفية (٤٩٧ - ٥٠٠) حلية الأولياء (١٠/ ٣٨٣ - ٣٨٤) تاريخ بغداد (٤/ ٣٣٦ - ٣٣٧) الرسالة القشيرية (٣٠) المنتظم: (٧/ ١٠١) معجم البلدان (٣/ ٧٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢٧ - ٢٢٨) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٥) شذرات الذهب (٣/ ٦٨).

الرُّوذباري[١] ـ أسندَ الحديث ، وكان يتكلَّم على مذهب الصُّوفية ، وكان قد انتقل من بغداد فأقام بصُور ، وتوفي بها في هذه السنة[٢] .

أحمد بن زكريا[٣] أبو الحسين اللُّغوي : صاحب كتاب « المجمل » في اللُّغة وغيره ، ومن شِعْره قبل موته بيومين :

يا ربّ إنَّ ذنوبي قد أَحَطْتَ بها ... عِلْماً وبي وبإعلاني وإسراري

أنا الموحِّدُ لكنِّي المُقِرُّ بها ... فَهَبْ ذنوبي لِتَوْحيدي وإقْراري

ذكر ذلك ابنُ الأثير .

الحسين[٤] بن علي[٥] : أبو عبد الله ، البَصْري ، أحد مشايخ المعتزلة ؛ ويعرف بالجُعَل ، سكن بغداد وانتحل مذهب العراقيين ، وصنَّف للمعتزلة ، وكان اشتغاله في الفروع على أبي الحسن الكَرْخي[٦] ، وعنده دُفِنَ ، وقد قارب الثمانين .

حَسْنويه بن الحسن الكردي : أمير تلك البلاد ، وكان كثير الصَّدَقات كما قدمنا[٧] ، رحمه الله تعالى .

---

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٢٢هـ) .

(٢) في (ط) زيادة : قال : رأيت في المنام كأن قائلاً يقول : أي شيء أصح في الصلاة ؟ فقلت : صحة القصد . فسمعت قائلاً يقول : رؤية المقصود بإسقاط رؤية القصد أتم ، وقال : مجالسة الأضداد ذوبان الروح ، ومجالسة الأشكال تلقيح العقول ، وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة ، ولا كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار ، ولا يؤمن على الأسرار إلا الأمناء فقط .
وقال : الخشوع في الصلاة علامة الفلاح ، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ وترك الخشوع في الصلاة علامة النفاق وخراب القلب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ .

(٣) انظر الكامل (٨/ ٧١١) وقد ذكره ابن كثير كذلك في وفيات هذه السنة متابعة منه لابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٠٣) ووفاته على الصحيح سنة (٣٩٥هـ) ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣٩٥هـ) .

(٤) سقطت ترجمته من (ط) ، وفي (ح) و(ب) : الحسن ، وهو تصحيف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١٠١) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) .

(٥) الإمتاع والمؤانسة (١/ ١٤٠) تاريخ بغداد (٨/ ٧٣ ـ ٧٤) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٤٣) المنتظم (٧/ ١٠١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) لسان الميزان (٢/ ٣٠٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٥) شذرات الذهب (٣/ ٦٨) .

(٦) في (ح) أبي الحسين ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ب) ، وقد سلفت ترجمته وفيات سنة (٣٤٠هـ) .

(٧) انظر حوادث هذه السنة .

عبد الله بن إبراهيم[١] بن أيوب بن ماسي : أبو محمد البزاز ، أسند الكثير ، وبلغ خمساً وتسعين سنة ، وكان ثِقَةً ثَبْتاً ، توفي في رجب من هذه السنة .

محمد بن صالح[٢] بن علي بن يحيى : أبو الحسن ، الهاشمي ، قاضي بغداد ويعرف بابن أُمِّ شيبان .

وكان عالماً فاضلاً ، له تصانيف ، وقد ولي الحكم ببغداد قديماً ، وكان جيِّد السيرة ، توفي في هذه السنة وقد جاوز السبعين ، وقارب الثمانين ، رحمه الله وإيانا بمنِّه .

ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمئة

فيها ورد الصَّاحب بن عَبَّاد من جهة مُؤَيَّد الدولة إلى أخيه عضد الدولة ، فتلقَّاه عضد الدولة إلى ظاهر البلد ، وأكرمه ، وأمر الدولة باحترامه ، وخلع عليه ، زاد في إقطاعه ، ورَدَّ معه هدايا كثيرة جداً .

وفي جمادى الآخرة منها رجع عضد الدولة إلى بغداد ، فتلقاه الخليفة الطائع ، وضُربت له القباب وزينت الأسواق .

وفي هذا الشهر دخل الخليفة بزوجته بنت عضد الدولة ، وحمل معها من الجهاز شيء عظيم .

وفي هذا الشهر [أيضاً][٣] وصلت هدايا من صاحب اليمن إلى عضد الدولة ، وفيها أشياء حسنة وكانت الخطبة بالحرمين في هذه السنة لصاحب مصر ، وهو العزيز بن المعز الفاطمي .

وممن توفي هذه السنة من الأعيان :

أحمد بن علي[٤] : أبو بكر ، الفقيه الحنفي ، الرَّازي ، أحد أئمة أصحاب الرَّأي ، ومن له المصنَّفات المفيدة ، وله كتاب « أحكام القرآن » .

وهو تلميذ أبي الحَسَن الكَرْخي ، وكان عابداً زاهداً ورعاً ، انتهت إليه رياسة الحنفية في وقته ،

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩) المنتظم (٧/ ١٠٢) العبر (٢/ ٣٥١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٧) شذرات الذهب (٣/ ٦٨ ـ ٦٩) .

(٢) الولاة والقضاة (٥٧٤) تاريخ بغداد (٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥) المنتظم (٧/ ١٠٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) الوافي بالوفيات (٣/ ١٥٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٧) شذرات الذهب (٣/ ٧٠) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و (ط) .

(٤) تاريخ بغداد (٤/ ٣١٤ ـ ٣١٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٤٤) المنتظم (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) الوافي بالوفيات (٧/ ٢٤١) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٨) الجواهر المضية (١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٤) شذرات الذهب (٣/ ٧١) الفوائد البهية (٢٧ ـ ٢٨) .

ورحل إليه الطلبة من الآفاق ، وقد سمع الحديث من أبي العباس الأصَم وأبي القاسم الطَّبراني وغيرهما وقد أراده الطَّائع لله[١] على أن يوليه القضاء فلم يقبل .

كانت وفاته في ذي الحجة من هذا العام ، وصلَّى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي[٢] .

محمد بن جعفر بن الحسين[٣] بن محمد بن زكريا : أبو بكر الوَرَّاق[٤] ، ويلقب بغُنْدَر أيضاً[٥] .

وكان جَوَّالًا رحَّالًا ، سمع الحديث الكثير ببلاد فارس وخُرَاسان ، وسمع الباغَنْدي ، وابن صاعد ، وابن دُريد ، وغيرهم ، وعنه الحافظ أبو نُعيم الأصْبهاني ، وكان ثِقَةً حافظاً ، رحمه الله تعالى .

ابن خَالَوَيْه[٦] ، الحسين بن أحمد بن خالويه : أبو عبد الله ، النَّحْوي ، اللُّغوي ، صاحب المصنفات ، أصله من هَمَذَان ، ثم دخل بغداد ، فأدرك [بها][٧] مشايخ هذا الشأن : كأبي بكر بن الأنباري ، وابن دريد وابن مجاهد ، وأبي عمر[٨] الزَّاهد ، واشتغل على أبي سعيد السِّيرافي ، ثم صار إلى حلب ، فكانت له مكانة عند آل حمدان ، وكان سيف الدولة يكرمه وهو أحد جلسائه ، وله مع المتنبي مناظرات . وقد سَرَدَ له ابن خَلِّكان مصنفات كثيرة ، منها كتاب « ليس »[٩] ، لأنه كان يكثر أن يقول فيه ليس في كلام العرب كذا ، وكتاب « الآل » تكلَّم فيه على أقسامه[١٠] ، وترجم الأئمة الاثني عشر ، وأعرب ثلاثين سورة من القرآن ، وشرح « الدُّرَيْدية » وغير ذلك ، وله شِعْرٌ حسن[١١] ، وكان فَرْداً في زمانه ، رحمه الله تعالى .

---

(١) كذا في (ح) و(ب) و(ط) ، وفي تاريخ بغداد (٤/ ٣١٤) أن الخليفة المطيع لله هو الذي أراده على القضاء .

(٢) ستردُ ترجمته في وفيات سنة (٤٠٣هـ) من هذا الكتاب .

(٣) في (ح) و(ب) : الحسن ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ بغداد (٢/ ١٥٢) وثمة ترجمته وأيضاً في المنتظم (٧/ ١٠٧) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٦٠ ـ ٩٦١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢١٤ ـ ٢١٥) الوافي بالوفيات (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٩) طبقات الحفاظ (٣٨٤ ـ ٣٨٥) شذرات الذهب (٣/ ٧٣) .

(٤) في (ح) : الدقاق ، وهو تحريف ، والمثبت من (ب) و(ط) .

(٥) أشهر من أطلق عليه هذا اللقب هو المحدِّث الكبير محمد بن جعفر صاحب شعبة ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (١٩٣هـ) من هذا الكتاب .

(٦) يتيمة الدهر (١/ ١٢٣) نزهة الألباء (٣٨٣) معجم الأدباء (٩/ ٢٠٠) إنباه الرواة (١/ ٣٢٤) وفيات الأعيان (٢/ ١٧٨) العبر (٢/ ٣٥٦) لسان الميزان (٢/ ٢٦٧) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٩) شذرات الذهب (٣/ ٧١) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٨) في (ح) : أبي عمرو ، وهو تصحيف ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٤٥هـ) .

(٩) في (ط) : كتاب « ليس في كلام العرب » بزيادة : في كلام العرب ، وهي زيادة لم ترد في وفيات الأعيان (٢/ ١٧٩) ولا في نسخنا الخطية .

(١٠) في (ح) و(ب) : أنسابه ، والمثبت من (ط) .

(١١) انظر وفيات الأعيان (٢/ ١٧٩) .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة

في ربيع الأول منها وَقَعَ حريقٌ عظيم بالكَرْخ من بغداد .

وفيها سُرِقَ شيءٌ نفيس لعضد الدولة ، فعَجِبَ النَّاس من ذلك مع شِدَّة هيبة عضد الدولةِ ، ثم مع هذا اجتهدوا كل الاجتهاد فلم يُعرف من أخذه ، ويقال : إن صاحب مِصْر بعث من فعل هذا ، [والله أعلم][1] .

وممن توفي فيها من الأعيان :

[الإسماعيلي][2] ، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العبَّاس : أبو بكر ، الإسماعيلي الجُرْجاني ، الحافظُ الكبير الرَّحَّال الجوَّال .

سمع الكثير وحدَّث وخرَّج وصنَّف ، فأفاد وأجاد ، وأحسن الانتقاد والاعتقاد ، صنف كتاباً على « صحيح البخاري » فيه فوائد كثيرة ، وعلوم غزيرة .

قال الدَّارَقُطْني : كنت عزمت غير مرة على الرِّحْلَة إليه فلم أُرْزَق .

وكانت وفاته يوم السبت عاشر[3] رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة ، وهو ابنُ أربعٍ وتسعين[4] سنة ، رحمه الله .

الحسن بن أحمد بن صالح[5] : أبو محمد السَّبيعي .

سمع ابنَ جرير وقاسماً المُطرِّز وغيرهما ، وعنه الدَّارَقُطْني والبَرْقاني ، وكان ثِقَةً حافظاً مكثراً ، وكان عَسِرَ الرِّواية ، رحمه الله .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) . وترجمة الإسماعيلي في تاريخ جرجان (٦٩ ـ ٧٧) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٦) الأنساب (١/ ٢٤٩) المنتظم (٧/ ١٠٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٧ ـ ٩٥١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٢ ـ ٢٩٦) الوافي بالوفيات (٦/ ٢١٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٧ ـ ٨) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٠) شذرات الذهب (٣/ ٧٢ و٧٥) .

(٣) كذا في (ح) و(ب) و(ط) ، وفي تاريخ جرجان للسهمي (ص٦٩) ـ وهو تلميذه . غرة رجب ، ومثله في مصادر ترجمته .

(٤) في (ح) و(ب) و(ط) : وسبعين ، وهو تصحيف ، وكانت ولادة الإسماعيلي سنة (٢٧٧هـ) ، انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٣) .

(٥) تاريخ بغداد (٧/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٥٢ ـ ٩٥٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٦ ـ ٢٩٩) الوافي بالوفيات (١١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٣٩) طبقات الحفاظ (٣٨٢) شذرات الذهب (٣/ ٧١ و٧٦) .

الحسن بن علي بن الحسن بن الهيثم بن طَهْمان : أبو عبد الله الشَّاهد ، المعروف بالبادا .

سمع الحديث وكان ثِقَةً ، عُمِّر سبعاً وتسعين سنة ، منها خمس عشرة سنة مقعداً[١] أعمى ، رحمه الله .

عبد الله بن الحسين[٢] **بن إسماعيل بن محمد** : أبو بكر الضَّبِّي القاضي ، ولي الحكم بعدَّة بلاد كثيرة[٣] ، وكان عفيفاً نَزِهاً صيِّناً ديِّناً ، رحمه الله تعالى .

عبد العزيز بن الحارث[٤] **بن أسد بن اللَّيث** : أبو الحسن التميمي ، الفقيه الحَنْبلي .

له كلام ومصنَّف في الخلاف ، وسمع الحديث ، وروى عن غير واحد ، وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه وضع حديثاً[٥] . وردَّ ذلك أبو الفرج بن الجَوْزي وقال : ما زال هذا دأب الخطيب في أصحاب أحمد بن حنبل . قال : وشيخ الخطيب الذي حكى عنه هذا وهو أبو القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي العُكْبَري[٦] لا يُعْتمدُ على قوله ، فإنه كان معتزلياً وليس من أهل الحديث ، وكان يقول بأنَّ الكُفَّار لا يخلَّدون في النار .

قلت : وهذا غريبٌ ، فإنهم[٧] يقولون بوجوب تخليد أصحاب الكبائر ، فكيف لا يقول هذا بتخليد الكفَّار !

قال : وعنه حكى الكلام في ابنِ بَطَّة أيضاً[٨] .

علي بن إبراهيم[٩] : أبو الحسن الحُصْرِي ، الصُّوفي ، الواعظ ، شيخ الصُّوفية ببغداد ، وأصله من البَصْرة .

---

(١) في (ط) : مقيداً ، وهو تصحيف .

(٢) المنتظم (٧/ ١٠٩) وفيه عبد الله بن الحسن ، وهو تصحيف ، وقد سلفت ترجمة أبيه الحسين بن اسماعيل في وفيات سنة (٣٣٠هـ) .

(٣) في (ط) : ببغداد ، وهو تحريف ، وفي تاريخ بغداد (٩/ ٤٤١) ذكر البلدان التي تولى قضاءها .

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦١ ـ ٤٦٢) المنتظم (٧/ ١١٠) .

(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦١ ـ ٤٦٢) .

(٦) في (ح) و(ط) و(ب) : عبد الواحد العكبري من أسد ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١١٠) والعكبري هو عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي ، اللغوي النحوي ، توفي سنة (٤٥٦هـ) ، وسترد ترجمة في وفياتها ، وانظر (ص ٢١٧ ـ ٢١٨) من هذا الجزء .

(٧) أي المعتزلة .

(٨) انظر وفيات سنة (٣٨٧هـ) .

(٩) المنتظم (٧/ ١١١) .

وكان قد صَحِبَ الشِّبْلي[١] وغيره ، وكان يعظ النَّاس بالجامع ، ثم لما كَبِرَتْ سنُّه بني له الرِّباط المقابل لجامع المنصور ، ثم عُرِفَ بصاحبه الزَّوْزَني[٢] ، وكان لا يخرج إلا من الجمعة إلى الجمعة ، وله كلامٌ جيد في التصوف على طريقتهم .

ومما نقله ابنُ الجوزي عنه أنه قال : ما عليَّ منّي ؟ وأي شيء لي فيَّ حتى أخاف وأرجو ، إنْ رَحمَ رحم ماله ، وإنْ عَذَّب عذب ماله[٣] .

توفي في ذي الحجَّة وقد نيَّف على الثمانين ، ودفن بمقبرة باب حَرْب من بغداد .

علي بن محمد الأحدب المزوِّر[٤] : كان قوي الخطِّ ، له مَلَكة على التزوير لا يشاء يكتب على كتابة أحدٍ إلا فعله ، فلا يَشُكُّ ذلك المزور عليه أنه خَطُّه ، وبُلي النَّاس ببلاءٍ عظيم ، وختم السلطان على يده مراراً فلم يفد ، ثم كانت وفاته في هذه السَّنة[٥] .

الشيخ أبو زيد [المَرْوزي الشَّافعي][٦] : محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي ، شيخ الشَّافعية في زمانه ، وإمام أهل عَصْره في الفِقْه والزُّهْد والعبادة والورع .

سمع الحديث ، ودخل بغداد ، وحدَّث بها ، فسمع منه الدَّارَقُطْني وغيره .

قال أبو بكر البَزَّار : عادَلْتُ[٧] الشيخ أبا زيد في طريق الحج فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة .

وقد ذكرتُ ترجمته بتمامها في « طبقات الشَّافعية » .

قال الشيخ ابن نُعيم[٨] : توفي بمرو يوم الجمعة الثالث عشر من رجب من هذه السنة ، رحمه الله .

---

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٣٤هـ) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : المروزي ، وهو تحريف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١١١) وهو أبو الحسن الزوزني ، تلميذ أبي الحسن الحصري ، وإليه نسب الرباط ، فعرف برباط الزوزني ، انظر الأنساب للسمعاني (٤/ ١٥٢) ودليل خارطة بغداد (٢٥١) .

(٣) المنتظم (٧/ ١١١) .

(٤) المنتظم (٧/ ١١١) الكامل لابن الأثير (٩/ ٨ ـ ٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٢) .

(٥) في الكامل (٩/ ٨) ذكر وفاته في حوادث سنة ٣٧٠هـ ، ومثله في السير (١٦/ ٣٠٢) وقال ابن الأثير : وكان عضد الدولة إذا أراد الإيقاع بين الملوك أمره أن يكتب على خط بعضهم إليه في الموافقة على من يريد إفساد الحال بينهما ، ثم يتوصل المكتوب إليه ، فينفسد الحال .

(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) . وترجمة أبي زيد في تاريخ بغداد (١/ ٣١٤) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٥) المنتظم (٧/ ١١٢) وفيات الأعيان (٤/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٣ ـ ٣١٥) الوافي بالوفيات (٢/ ٧١ ـ ٧٢) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٧١ ـ ٧٧) طبقات الإسنوي (٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) العقد الثمين (١/ ٢٩٧) شذرات الذهب (٣/ ٧٦) .

(٧) أي ركب معه . اللسان (عدل) .

(٨) في (ح) و(ب) و(ط) والمنتظم : أبو نعيم ، والمثبت من تاريخ بغداد (١/ ٣١٤) وهو المشهور بالحاكم بن =

محمد بن خفيف[١] : أبو عبد الله الشِّيرازي ، أحد مشاهير الصُّوفية ، صحب الجَريري وابن عَطَاء وغيرهما .

قال ابن الجوزي : وقد ذكرتُ في كتابي المسمى « تلبيس إبليس » عنه حكايات تدلُّ على أنه كان يذهب مذهب الإباحية[٢] ، والله تعالى أعلم بالصَّواب[٣] .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وثلاثمئة

قال ابن الجوزي : في المحرَّم [منها][٤] جرى الماء الذي ساقه عضدُ الدولة إلى داره وبستانه .

وفي صفر فُتح المارَسْتان الذي أنشأه عضد الدولة في الجانب الغربي من بغداد ، وقد رتَّب فيه الأطباء والخدم ، ونُقل إليه من [الأدوية][٥] والأشربة والعقاقير شيء كثير[٦] .

قال : وفيها توفي عضد الدولة ، فكتم أصحابه موته حتى أحضروا ولده صمصام الدولة ، فولوه الأمر ، وراسلوا الخليفة ، فبعث إليه بالخِلَع والولاية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر شيء من أخبار عضد الدولة

أبو شجاع بن ركن الدولة[٧] أبي علي الحسن[٨] بن بُوَيْه الدَّيْلَمي . صاحبُ العراق وملك بغداد [وغيرها][٩] .

= البيع ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم ، انظر ترجمته في السير (١٧/ ١٦٢ ـ ١٧٧) ومن المعروف أنَّ الخطيب البغدادي كان كثير التدليس .

(١) طبقات الصوفية (٤٦٢ ـ ٤٦٦) حلية الأولياء (١٠/ ٣٨٥ ـ ٣٨٩) الرسالة القشيرية (٢٩) الأنساب (٧/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) المنتظم (٧/ ١١٢) معجم البلدان (٣/ ٣٨١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٧) الوافي بالوفيات (٣/ ٤٢ ـ ٤٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٤٩ ـ ١٦٣) شذرات الذهب (٣/ ٧٦ ـ ٧٧) .

(٢) المنتظم (٧/ ١١٢) وتلبيس إبليس (٣٦٩ ـ ٣٧٠) ط المنيرية .

(٣) ما أورده ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » ربما كان قصة مختلقة ، فقد وصفه الإمام الذهبي بقوله : قد كان هذا الشيخ قد جمع بين العلم والعمل وعلو السند ، والتمسك بالسنن ، ومتع بطول العمر في الطاعة . انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٦) المنتظم (٧/ ١١٢ ـ ١١٣) .

(٧) في (ح) بويه عضد الدولة بن شجاع بن ركن الدولة ، وهو خطأ ، والمثبت من (ب) و(ط) .

(٨) في (ط) : الحسين ، وهو تصحيف .

(٩) ما بين حاصرتين من (ط) .

وهو أول من تسمَّى شاهنشاه، ومعناه ملك الملوك. وقد ثبتَ في الصَّحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوضع اسم ـ وفي روايةٍ أخنع اسم ـ عند الله عزَّ وجلَّ رجل تسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله عزَّ وجلَّ».

وهو أول من ضُرِبَتْ له الدَّبادب ببغداد، وأول من خطب له بها مع الخليفة، وذكر [القاضي][١] ابن خَلِّكان أنه امتدحه الشعراء بمدائح هائلة كالمتنبي وغيره، فمن ذلك قول أبي الحسن محمد بن عبد الله السَّلامي من قصيدة [له][٢]:

إليكَ طَوَى عرضَ البسيطةِ جاعلٌ ... قُصارى المطايا أن يلوحَ لها القَصْرُ
فَكُنْتَ وعَزْمي في الظَّلامِ وصارِمي ... ثلاثةَ أشياءٍ[٣] كما أجْمَعَ النَّسْرُ
وَبَشَّرْتُ آمالي بِمَلْكٍ هو الورَى ... ودارٍ هي الدُّنيا ويومٍ هو الدَّهْرُ

ثم قال ابن خلكان: وهذا هو السحر الحلال، وقد قال المتنبي:

هي الغَرَضُ الأقصى ورُؤْيَتُكَ المُنى ... ومَنْزِلُك الدُّنيا وأنْتَ الخلائقُ

قال ابن خلكان: وليس في الطلاوة كقول السلامي، ولا استوفى المعنى كله، فإنه لم يذكر الدهر.

وقال أبو بكر أحمد الأَرَّجاني القاضي ناصح الدين في قصيدةٍ له بيتاً، ولم يلحق السَّلامي [أيضاً وهو قوله][٤]:

لقيتُه فرأيتُ النَّاسَ في رَجُلٍ ... والدَّهْرَ في ساعةٍ والأرضَ في دارِ[٥]

قال ابن خلكان: وكتب إليه أفتكين مولى أخيه صاحب دمشق[٦]، يستمدُّه بجيشٍ يقاتل به الفاطميين، فكتب إليه عضد الدولة: غَرَّكَ عِزُّك فصار قُصار ذلك ذُلُّك، فاخْشَ فاحشَ فِعْلك، فعلَّك تُهدا بهذا، والسَّلام. وقد أبدع [فيها][٧] كلَّ الإبداع[٨].

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط)، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣٩٢هـ).
(٣) في وفيات الأعيان (٤/ ٥٢ ـ ٤٠٧) أشباه.
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط).
(٥) انظر وفيات الأعيان (٤/ ٥٢ ـ ٥٣) والأرجاني شاعر متأخر، له شعر رائق في نهاية الحسن، وله ديوان مطبوع، سترد ترجمته في وفيات سنة (٥٤٤هـ) من هذا الكتاب.
(٦) انظر حوادث سنة (٣٦٤هـ).
(٧) ما بين حاصرتين من (ط).
(٨) انظر وفيات الأعيان (٤/ ٥٣ ـ ٥٤).

وقد جرى له من التعظيم من الخليفة ما لم يقع لأحدٍ ممن كان قبله ، وقد ذكرنا[١] أنه كان ذا همة وصرامة وعزم ، اجتهد في عمارة بغداد والطُّرقات ، وأجرى النفقات والصدقات على المجاورين بالحرمين ، وأهل البيوتات ، وحفر الأنهار ، وبنى المارَسْتان العَضُدي ، وأدار السُّور على مدينة الرَّسول ﷺ ، وهذا كله في مدة ملكه على العراق ، وكان خمس سنين .

وقد كان عاقلاً فاضلاً ، حَسَنَ السياسة ، شديدَ الهيبة ، بعيد الهِمَّة ، إلا أنه كان يتجاوز في سياسته الأمور الشَّرْعية ، كان يحب جاريةً فألهته عن تدبير المملكة ، فأمر بتغريقها . وبلغه أن غلاماً له أخذ لرجلٍ بطيخة ، فضربه بسيف فقطعه نصفين ، وهذه مبالغة .

كان سبب موته داء الصَّرْع . وحين أخذته عِلَّة موته لم يكن له كلام سوى تلاوة قوله تعالى : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٨ ـ ٢٩] . [فكان هذا هِجِّيراه حتى مات][٢] .

وحكى ابنُ الجوزي في « منتظمه » أنه كان يحبُّ العِلْم والفضيلة ، وكان يقرأ عنده كتاب إقليدس ، وكتاب النحو لأبي علي الفارسي[٣] ، وهو « الإيضاح والتكملة » الذي صنَّفه له ، وغير ذلك ، وذكر أن له شعراً فمنه قوله وقد خرج إلى بستان فَودَّ لو قد جاء المطر ، فنزل المطر ، فأنشأ يقول :

ليس شُرْبُ الرَّاحِ إلا في المَطَرْ	وغِناءٌ مِنْ جَوارٍ في السَّحَرْ
غانياتٍ سالباتٍ للنُّهى	ناغماتٍ في تضاعيفِ الوَتَرْ
راقصاتٍ زاهراتٍ نُجُلٍ	رافلاتٍ في أفانين الحِبَرْ
مطرباتٍ محسناتٍ مُجُنٍ	رافضات الهمِّ إبان الفِكَرْ
مبرزات الكأسِ من معدنها[٤]	مسقيات الخمرِ مَنْ فاق[٥] البَشَرْ
عَضُدَ الدولة وابنَ رُكْنها	مالكَ الأملاكِ غلابَ القَدَرْ
سَهَّلَ الله له بُغْيته[٦]	في ملوكِ الأرضِ ما دار[٧] القَمَرْ

(١) انظر حوادث سنة (٣٦٩هـ) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) انظر وفيات سنة (٣٧٧هـ) .

(٤) في المنتظم (٧/ ١١٦) : مخزنها ، وفي وفيات الأعيان (٤/ ٥٤) : مطلعها .

(٥) في (ح) و(ب) : نار ، والمثبت من (ط) .

(٦) في (ط) : نصره ، وهو تصحيف .

(٧) في (ط) : ما دام ، وهو تصحيف .

وأراهُ الخيـرَ فـي أولادِه ليساسَ[١] الملكَ فيهم بالغُرَرْ[٢]

قال[٣] : فيقال : إنه منذ قال : غلاّب القدر ، لم يُفْلِحْ بعدها[٤] .

وذكر غيره أن هذه الأبيات آخر ما أنشدت فيه بين يديه ، ثم كانت وفاته عقب ذلك ، وكانت وفاته في شَوَّال من هذه السنة عن سبعٍ أو ثمانٍ وأربعين سنة ، وحمل إلى مشهد عليٍّ فَدُفِنَ فيه ، [وكان فيه تشيُّع][٥] ، وقد كتب على قبره في التُّرْبة التي بنيت له عند مشهد علي : هذا قبر عضد الدولة ، وتاج المِلَّة[٦] ، أبي شجاع بن ركن الدولة ، أحبَّ مجاورة هذا الإمام المتقي ؛ لطمعه في الخلاص ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل : ١١١] والحمد لله وصلواته على محمد وعِتْرته الطَّاهرة .

وقد تمثَّل عند موته بهذه الأبيات وهي للقاسم بن عبيد الله[٧] .

قَتَلْتُ صناديدَ الرِّجال فلَمْ أَدَعْ عَدُوّاً ولم أُمهلْ على ظِنَّةٍ خَلْقا

وأخليتُ دار المُلْكِ من كل نازلٍ فَشَرَّدْتُهُمْ غَرْباً وشَرَّدْتُهُمْ شَرْقا

فلمَّا بَلَغْتُ النَّجْمَ[٨] عِزّاً ورِفْعةً وصارتْ رِقابُ الخَلْقِ أجمع لي رِقّا

رماني الرَّدى سَهْماً فأخمدَ جَمْرَتي[٩] فها أنا ذا في حُفْرتي عاجلاً[١٠] مُلْقى

فأَذْهَبْتُ دنياي وديني سَفَاهةً فمنْ ذا الذي منّي بمَصْرَعِهِ أشقى ؟

ثم جعل يكرِّر هذه الآية ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة : ٢٨ ـ ٢٩] إلى أن مات كما

---

(١) في (ط) : ولباس الملك ، وهو تصحيف .
(٢) انظر الأبيات في المنتظم (٧/ ١١٥ ـ ١١٦) ويتيمة الدهر (٢/ ١٩٧) (ط الصاوي) ، وفيات الأعيان (٤/ ٥٤) والكامل لابن الأثير (٩/ ٢٠) .
(٣) في (ط) زيادة : قبحه الله وقبح شعره ، وقبح أولاده ، فإنه قد اجترأ في أبياته هذه ، فلم يفلح بعدها .
(٤) المنتظم (٧/ ١١٦) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٦) في (ط) : المملكة ، وهو تصحيف .
(٧) القاسم بن عبيد الله ، وزير من الكتاب الشعراء ، استوزره المعتضد العباسي بعد أبيه عبيد الله سنة (٢٨٨هـ) . ولما مات المعتضد سنة (٢٨٩هـ) قام القاسم بأعباء الوزارة ، وعقد البيعة للمكتفي ، وهو غائب بالرقة ، وهو الذي دس السم للشاعر ابن الرومي خوفاً من هجوه وفلتات لسانه ، وكان القاسم سفاكاً للدماء . سلفت ترجمته في وفيات سنة (٢٩١هـ) من هذا الكتاب ، وانظر ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ٣٦١ ـ ٣٦٢) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨ ـ ٢٠) .
(٨) في (ح) و(ب) البحر ، وهو تصحيف ، والمثبت من (ط) ، والمنتظم (٧/ ١١٧) .
(٩) في (ب) و(ط) و« المنتظم » : عاطلاً .
(١٠) في (ح) فأخلق جدتي ، والمثبت من (ب) و(ط) والمنتظم .

ذكرنا[١] ، وجلس ابنه صمصام الدولة على الأرض وعليه ثياب السَّواد ، وجاءه الخليفة الطائع معزياً ، وناح النساء عليه في الأسواق [حاسرات عن وجوههن][٢] أياماً كثيرة ، ولما انقضى العزاء ركب صمصامة إلى دار الخلافة ، فخلع عليه الخليفة سَبْعَ خِلَعٍ ، وطوَّقه وسوَّره وألبسه التاج ، ولقبه شمس الدولة ، وولَّاه ما كان يتولاه أبوه ، وكان يوماً مشهوداً .

محمد بن جعفر[٣] بن أحمد بن جعفر بن الحسن بن وَهْب : أبو بكر الحريري[٤] المعروف بزوج الحُرَّة[٥] .

سمع ابن جرير ، والبَغَوي ، وابن أبي داود ، وغيرهم ، وعنه ابن رِزْقويه ، وابنُ شاهين ، والبَرْقاني ، وقال : كان جليلاً ، أحد العدول الثقات[٦] .

قال الخطيب البغدادي وابن الجوزي : سبب تسميته بزوج الحُرَّة أنه كان يدخل إلى مطبخ ابنة بَدْر مولى المعتضد[٧] التي كانت زوجة المقتدر بالله ، فلما توفي المقتدر بقيت هذه المرأة سالمة من النكبات[٨] والمصادرات كثيرة الأموال ، وكان هذا وهو غلامٌ شابٌّ حَدث يحمل شيئاً من حوائج الطعام على رأسه ، فيدخل به إلى المطبخ الذي لها مع جملة الخدم ، وكان شاباً رشيقاً حَرِكاً ، فنفق على القهرمانة ، فقدَّمته حتى جعلته كاتباً على المطبخ ، ثم ترقت به الحال إلى أن صار وكيلاً للست ينظر في الضياع والعقار ، ثم آل به الحال حتى صارت الست تحدِّثه من وراء حجاب ، فَعَلِقَتْ به وأَحَبَّته ، وسألته أن يتزوَّج بها ، فاستصغر نفسه وخاف من غائلة ذلك ، فَشَجَّعته وأعطته مالاً جزيلاً ؛ ليظهر عليه الحشمة والسعادة ما يناسبه ليتأهَّل لذلك ، ثم شرعت تهادي القُضاة والأكابر ، ثم عزمت على تزويجه ، ورضيت به عند حضور القُضاة ، واعترض أولياؤها عليها ، فغلبتهم بالمكارمات والهدايا . ودخلت عليه ، فمكثت معه دهراً طويلاً ، ثم توفيت قبله ، فورث منها نحواً من ثلاثمئة ألف

(١) انظر المنتظم (٧/ ١١٦ ـ ١١٧) وسنة (٣٧٢هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) تاريخ بغداد (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤) الأنساب (٤/ ١٢١) المنتظم (٧/ ١١٩) .
(٤) نسبة إلى الحرير ، وهو نوع من الثياب ، انظر الأنساب (٤/ ١٢١) .
(٥) إنما سميت بالحرة لأجل تزويج المقتدر بها ، وكذا عادة الخلفاء لغلبة المماليك عليهم إذا كانت لهم زوجة ، قيل : الحرة . تاريخ بغداد (٢/ ١٥٤) .
(٦) تاريخ بغداد (٢/ ١٥٣) .
(٧) في (ط) يدخل إلى مطبخ أبيه بدار مولاته . . وهي جملة محرفة ، وقد سلفت أخبار بدر ، وانظر خبر مقتله في حوادث سنة (٢٨٩هـ) من هذا الكتاب .
(٨) في (ط) : الكتاب ، وهو تحريف .

دينار ، وطال عمره بعدها حتى كانت وفاته في هذه السنة ، رحمه الله تعالى وإيانا بمنه وكرمه[١] .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمئة

فيها غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكُرُّ من الطَّعام إلى أربعة آلاف وثمانمئة ، ومات كثيرٌ من النَّاس من الضعف في الطرقات جوعاً[٢] ، ثم تساهل الحال في ذي الحجة منها .

وجاء الخبر بموت مُؤَيَّد الدولة بن ركن الدولة ، وأن أبا القاسم بن عَبَّاد الوزير بعث إلى أخيه فخر الدولة ، فولَّاه الملك مكان أخيه ، فاستوزر ابنَ عباد أيضاً على ما كان عليه ، وخلع عليه وأحسن إليه ، ولما بلغ القرامطة موتُ عضد الدولة قصدوا البصرة ليأخذوها مع الكوفة ، فلم يتمَّ لهم ذلك ، ولكن صولحوا على مالٍ كثير ، فأخذوه وانصرفوا .

ومِمن توفِّي فيها من الأعيان :

بويه مُؤَيَّد الدَّولة بن ركن الدولة .

كان ملكاً على بعض ما كان أبوه يملكه كما تقدَّم[٣] ، وكان الصَّاحب أبو القاسم بن عباد وزيره ، وقد تزوَّج مؤيد الدولة هذا بزبيدة بنت عمه معز الدولة ، فَغَرِمَ على عُرْسه بها سبعمئة ألف دينار ، وهذا سَرَفٌ عظيم .

بُلُكِّين بن زِيْري بن مَناد : الحِمْيَري الصُّنهاجي ، ويسمى أيضاً يوسفَ .

وكان من [أكابر][٤] أمراء المعز [الفاطمي][٥] ، وقد استخلفه على بلاد إفريقية حين سار إلى القاهرة ، وكان حَسَنَ السِّيرة ، له أربعمئة حَظِيَّة ، وقد بُشِّر في ليلةٍ واحدة بسبعةَ عَشَرَ ولداً ، وهذا غريب ، وهو جدُّ باديس المَغْربي[٦] .

سعيد بن سَلَّام[٧] : أبو عثمان المَغْربي ، أصله من بلاد القَيْروان ، ودخل الشَّام ، وصَحِبَ أبا الخير

(١) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤) والمنتظم (٧/ ١١٩) .

(٢) في (ط) زيادة : وجافت الطرقات من الموتى من الجوع .

(٣) انظر حوادث سنة (٣٦٥هـ) ووفيات سنة (٣٦٨هـ) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) في (ح) و(ب) : جد المعز بن باديس ، والصواب ما هو مثبت من (ط) وسترد ترجمة باديس في وفيات سنة (٤٠٦هـ) من هذا الكتاب .

(٧) طبقات الصوفية (٤٧٩ ـ ٤٨٣) تاريخ بغداد (٩/ ١١٢ ـ ١١٣) الرسالة القشيرية (٢٩ ـ ٣٠) المنتظم (٧/ ١٢٢ ـ ١٢٣) العبر (٢/ ٣٦٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) طبقات الأولياء (٢٣٧ ـ ٢٣٨) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٤) شذرات الذهب (٣/ ٨١) .

الأقطع[1] ، وجاور بمكة مدة سنين ، وكان لا يظهر في المواسم ، وكانت له كراماتٌ ، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطَّابي وغيره ، وله أحوال[2] صالحة ، رحمه الله تعالى .

عبد الله بن محمد[3] بن عبد الله بن عُثْمان بن المختار : أبو محمد المُزَني ، الواسطي ، يعرف بابن السَّقَّاء .

سمع عبدان ، وأبا يعلى المَوْصلي ، وابن أبي داود ، والبَغَوي ، وكان فَهِماً حافظاً ، دخل بغداد ، فحدَّث بها مجالس كثيرة من حفظه ، وكان يحضره الدَّارَقُطْني وغيره من الحُفَّاظ ، فلم ينكروا عليه شيئاً ، غير أنه حَدَّث مرة عن أبي يعلى بحديثٍ أنكروه عليه ، ثم وجدوه في أصله بخطِّ الصِّبا[4] كما حدَّث به سواء ، فَبَرِئَ من عُهدته ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم بالصَّواب .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمئة

فيها جرى الصُّلْح بين صمصامة الملقب بشمس الدولة وبين عمه فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، وأرسل الخليفة لفخر الدولة خِلَعاً سنية وتحفاً .

قال ابن الجوزي : وفي رجب منها عمل عرس في درب رباح ، فسقطت الدار على من فيها ، فهلك أكثر النساء ، ونبشن من تحت الهدم ، فكانت المصيبة عامة[5] .

وفيها كانت وفاة :

الحافظ أبي الفتح محمد بن الحسين[6] بن أحمد بن الحسين : الأزدي المَوْصلي ، المصنِّف في الجرح والتعديل .

---

(١) كان أصله من المغرب ، وسكن تينات من أعمال حلب ، وكان كبير الشأن في التصوف ، مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ، انظر طبقات الصوفية (٣٧٠ ـ ٣٧٢) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٢ ـ ٢٣) .

(٢) في (ب) و(ط) : ورؤي له أحوال .

(٣) تاريخ بغداد (١٠ ـ ١٣٠ ـ ١٣٢) سؤالات السِّلفي لخميس الحوزي : (ص٨٧ ـ ٨٩) الأنساب (٧/ ٩٠) المنتظم (٧/ ١٢٣) العبر (٢/ ٣٦٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٥١ ـ ٣٥٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٦٥ ـ ٩٦٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٤ ـ ١٤٥) طبقات الحفاظ (٣٨٥) شذرات الذهب (٣/ ٨١) .

(٤) انظر تاريخ بغداد (١٠/ ١٣١) .

(٥) المنتظم (٧/ ١٢٤) .

(٦) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) الأنساب (١/ ١٩٨ ـ ١٩٩) المنتظم (٧/ ١٢٥ ـ ١٢٦) الكامل لابن الأثير (٩/ ٤٠) العبر (٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٦٧ ـ ٩٦٨) ميزان الأعتدال (٣/ ٥٢٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) طبقات الحفاظ (٣٨٦) شذرات الذهب (٣/ ٨٤) .

وقد سمع الحديث من أبي يعلى وطبقته ، وضعَّفه كثير من حُفَّاظ زمانه ، واتهمه بعضهم بوضع حديث رواه لابن بُوَيه ، حين قدم عليه بغداد ، فساقه بإسناده إلى النبي ﷺ : أن جبريل كان ينزل عليه في مثل صورة ذلك الأمير . فأجازه وأعطاه دراهم كثيرة . والعَجَبُ إن كان هذا صحيحاً كيف راج هذا على أحدٍ ممن له أدنى فهم وعقل .

وقد أرَّخ ابنُ الجَوْزي وفاته في هذه السنة[١] ، وقيل : إنه توفي سنة تسع وستين[٢] .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الخطيب أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد[٣] بن إسماعيل بن نُباتة الحُذاقي ـ بطن من قُضاعة ، وقيل من إياد ـ الفارقي ؛ خطيب حلب في أيام سيف الدولة بن حمدان ، ولهذا أكثر ديوانه الخُطَب الجهادية ، ولم يُسبق إلى مثل ديوانه هذا ، ولا يلحق فيه إلا أن يشاء الله .

كان فصيحاً بليغاً ذكياً دَيِّناً وَرِعاً ، روى الشيخ تاج الدين الكِنْدي عنه أنه خطب يوم جمعةٍ بخطبة المنام ، ثم رأى في ليلة السبت رسول الله ﷺ في جماعةٍ من أصحابه بين المقابر ، فلما أقبل عليه قال له : مَرْحباً بخطيب الخُطَباء ، ثم أومأ إلى القبور فقال لابن نُباتة : كأنَّهم لم يكونوا للعيون قرة ، ولم يعدُّوا في الأحياء مَرَّة ، [أبادهم الذي خلقهم ، وأسكتهم الذي أنطقهم ، وسيجدُّهم كما أخلقهم ، ويجمعهم كما فَرَّقهم][٤] ، فتمم الكلامَ ابنُ نباتة حتى انتهى إلى قوله يومَ تكونون شُهداء على النَّاس ـ وأشار إلى الصحابة ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة : ١٤٣] وأشار إلى رسول الله ﷺ فقال : أحسنتَ أحسنتَ ادْنُه ادْنُه ، فقبَّل رسول الله ﷺ وجهه وتفل في فِيه ـ وقال : وفقك الله . فاستيقظ وبه من السُّرور أمرٌ كبير ، وعلى وجهه نورٌ وبهاء ، ولم يعش بعد ذلك إلا ثمانية عشر يوماً لم يستطعم فيها بطعام ، ويوجد من فيه مثل رائحة المسك حتى مات ، رحمه الله .

قال ابن الأَزْرق الفارِقي : ولد ابن نُباتة في سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثمئة ، وتوفي سنةَ أربعٍ وسبعين وثلاثمئة . حكاه ابنُ خَلِّكان[٥] .

---

(١) المنتظم (٧/ ١٢٥) .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٤) .
(٣) وفيات الأعيان (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٨) سير أعلام النبلاء : (١٦/ ٣٢١ ـ ٣٢٢) العبر (٢/ ٣٦٢) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٦) شذرات الذهب (٣/ ٨٣ ـ ٨) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) انظر وفيات الأعيان (٣/ ١٥٧) ، وقال الذهبي : فعمره تسع وثلاثون سنة ، وتوفي بميافارقين ، وفي ولايته خطابة حلب أيام سيف الدولة نظر ؛ أو قد غلطوا في مولده ، نعم غلطوا في مولده ، فإنه ابتدأ سالف خطبه في سنة إحدى وخمسين وثلاثمئة وهو خطيب . (تاريخ الإسلام ٨/ ٤٠٣) .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمئة

فيها خلع الخليفة على صمصامة الدَّوْلة ، وسَوَّره وطوَّقه وأركبه على فرسٍ بسرج ذهب ، وبين يديه جنيب [مثله][1] .

وفيها ورد الخبر بأن اثنين من سادة القرامطة وهما إسحاق وجعفر ، دخلا الكوفة في جحفلٍ كثير ، فانزعجت النفوس بسبب ذلك ، وذلك لصرامتهم وشهامتهم ؛ ولأن عضد الدولة مع شجاعته كان يصانعهم ، وأقطعهم أراضي من واسط ، وكذلك عز الدولة من قبله أيضاً . فَجُهِّز إليهم جيشٌ من بغداد ، فطردهم عن تلك النَّواحي التي قد أكثروا فيها الفساد ، وبطل ما كان في نفوس الناس منهم ، ولله الحمد .

وفيها عزم صمصامة الدولة على أن يضع مكساً على الثِّياب الإبْرَيْسَمِيَّات[2] ، فاجتمع النَّاس بجامع المنصور ، وهموا بتبطيل الجمعة ، وانزعج الناس ، وكادت الفتنة تقع بينهم ، فأُعفوا من ذلك .

وفي ذي الحِجَّة ورد الخبر بموت ابن مُؤَيَّد الدَّوْلة[3] ، فجلس صمصامة للعزاء ، وجاء إليه الخليفة الطائع في ثياب السواد ، والقراء والأولياء بين يديه ، فقام إليه صمصامة الدولة ، وقبَّل الأرض بين يديه ، وتخاطبا في العزاء بألفاظٍ حسنة ، وانصرف الخليفة راجعاً إلى داره ، وكان وقتاً مشهوداً .

وفيها توفي الشيخ :

أبو علي بن أبي هريرة[4] : واسمه الحسن بن الحسين ، وهو أحد مشايخ الشَّافعية ، وله اختيارات كثيرة غريبة [في المذهب][5] ، وقد ترجمناه في « الطبقات »[6] بما فيه كفاية .

الحسين بن علي بن محمد بن يحيى[7] : أبو أحمد النَّيسابوري المعروف بحُسَيْنَك[8] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٢) الإبْرَيْسَم : الحرير . القاموس المحيط (برسم) .

(٣) في (ط) : بموت مؤيد الدولة ، وهو خطأ ، وقد سلفت وفاته في وفيات سنة (٣٧٣هـ) .

(٤) تاريخ بغداد (٧/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) طبقات الشيرازي (١١٢ ـ ١١٣) وفيات الأعيان (٢/ ٧٥) العبر (٢/ ٢٦٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٣٠) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٥٦ ـ ٢٦٣) شذرات الذهب (٢/ ٣٧٠) . وقد ذكر ابن كثير وفاته في هذه السنة متابعاً ابن الجوزي في منتظمه ، والصواب أن وفاته سنة (٣٤٥هـ) كما في مصادر ترجمته المعتمدة .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) أي طبقات الشافعية للمصنف .

(٧) تاريخ بغداد (٨/ ٧٤ ـ ٧٥) المنتظم (٧/ ١٢٧ ـ ١٢٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٦٨ ـ ٩٦٩) العبر (٢/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٠٧ ـ ٤٠٩) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٤١٩ ـ ٤٢٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٧) طبقات الحفاظ (٣٨٦) شذرات الذهب (٣/ ٨٤) .

(٨) الكاف في الفارسية للتصغير ، فيكون حسينك بمعنى : حسين الصغير .

كان تربيةً عند ابن خُزيمة وتلميذاً له ، وكان يقدِّمه على أولاده ويقرأ له وحده ما لا يقرأه لغيره ، وإذا تخلَّف ابن خزيمة عن مجالس السلطان بعث حسينك مكانه . ولما توفي ابنُ خزيمة كان عمر حُسَيْنَك ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم عمَّر بعده دهراً طويلاً ، فكان من أكثر النَّاس عبادةً وقراءةً [للقرآن][1] ، لا يترك قيام الليل في حضر ولا سفر ، ولا صيف ولا شتاء ، كثير الصدقات والبر والصِّلات ، وكان يحكي وضوء ابن خزيمة وصَلاته ، ولم يُرَ في الأغنياء أحسن صلاة منه ، رحمه الله ، وصلَّى عليه الحافظ أبو أحمد النَّيسَابوري .

أبو القاسم الدَّارَكي[2] ، **عبد العزيز بن عبد الله بن محمد** : أبو القاسم الدَّاركي[3] ، أحد أئمة الشافعية في زمانه .

نزل نيسابور ، ثم سكن بغداد إلى أن مات .

قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني : ما رأيت أفقه منه .

وحكى الخطيب البغدادي عنه أنه كان يُسأل عن الفتوى ، فيجيب بعد تفكُّرٍ طويل ، فربما كانت فتواه مخالفةً لمذهب الشَّافعي وأبي حنيفة ، فيقال له في ذلك فيقول : ويلكم ، روى فلانٌ عن فلان عن رسول الله ﷺ [كذا وكذا][4] ، فالأَخْذُ به أولى من القول بمذهب الشَّافعي وأبي حنيفة ، ومخالفتهما أسهل من مخالفة الحديث ، رضي الله عنه[5] .

وقال ابن خلِّكان : وله في المذْهب وجوه جَيِّدة دالَّةٌ على متانة عِلْمه ، وكان متهماً بالاعتزال ، وقد أخذ الفقه عن الشيخ أبي إسحاق المَرْوزي ، والحديث عن جدِّه لأمه الحسن بن محمد الدَّارَكي ، وهو أحد مشايخ الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وأخذ عنه عامة شيوخ بغداد وغيره من أهل الآفاق[6] .

كانت وفاته في شوَّال ، وقيل في ذي القَعْدة من هذه السنة ، وقد نيَّف على السبعين[7] ، رحمه الله تعالى .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦٣ ـ ٤٦٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١١٧ ـ ١١٨) الأنساب (٥/ ٢٤٩) المنتظم (٧/ ١٢٩ ـ ١٣٠) اللباب (١/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) وفيات الأعيان (٣/ ١٨٨ ـ ١٨٩) العبر (٢/ ٣٧٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٠٤ ـ ٤٠٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣) طبقات الشافعية للإسنوي (٥٠٨) النجوم الزاهرة (٤/ ١٤٨) شذرات الذهب (٣/ ٨٥) .

(٣) نسبة إلى دارَك ، قال السمعاني : وظني أنها قرية من قرى أصبهان . الأنساب (٥/ ٢٩٨) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) انظر تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦٤) وللإمام الذهبي تعليق على هذا الخبر يحسن الرجوع إليه ، انظر السير (١٦/ ٤٠٥) .

(٦) وفيات الأعيان (٣/ ١٨٩) .

(٧) قال ابن أبي الفوارس : « وله بضع وسبعون سنة » ، كما في تاريخ الخطيب وتاريخ الإسلام .

محمد بن أحمد بن محمد بن حَسْنَوَيْه : أبو سَهْل النيْسابوري ، ويعرف بالحَسْنوي ، كان فقيهاً شافعياً أديباً محدِّثاً ، مشتغلاً بنفسه عما لا يعنيه ، رحمه الله تعالى .

محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح[١] : أبو بكر ، الفقيه ، المالكي .

سمع من أبي عَرُوبة[٢] ، والبَاغَنْدي ، وأبي بكر بن أبي داود وغيرهم . وعنه البرقاني .

وله تصانيف في شرح مذهب مالك ، وانتهت إليه رياسة مذهبه ، وعرض عليه القضاء ، فأباه ، وأشار بأبي بكر الرَّازي الحنفي[٣] ، فلم يقبل الآخر أيضاً .

وكانت وفاته في شوَّال منها عن ست وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلاثمئة

قال ابن الجوزي : في المحرم منها كَثُرَتْ الحيات[٤] ببغداد ، فهلك خَلْقٌ كثير .

ولسبع[٥] خلون من ربيع الأول[٦] ـ وكان اليوم العشرون من تموز ـ وَقَعَ مطر كثيرٌ ببرق .

وفي رجب غَلَتِ الأسعار جداً ببغداد وورد الخبر فيه بأنه كانت بالمَوْصل زلزلة عظيمة سقط[٧] منها عمران كثير ، ومات من أهلها أمة عظيمة .

وفيها وقع بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة ، فاقتتلا ، فغلبه شرف الدولة وأسره ، ودخل بغداد ، فتلقاه الخليفة وهنأه بالسلامة ، ثم استدعى شرف الدولة ، بفراش ليكحل صمصام الدولة فاتفق موته[٨] ، فكحل بعد موته ، وهذا من غريب ما وقع .

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٦٧) ترتيب المدارك (٤/ ٤٦٦ ـ ٤٧٣) الأنساب (١/ ١٢٥) المنتظم : (٧/ ١٣١) العبر (٢/ ٣٧١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) الوافي بالوفيات (٣/ ١٠٨) شذرات الذهب (٣/ ٨٥ ـ ٨٦) شجرة النور الزكية (١/ ٩١) .

(٢) في (ح) و(ط) : ابن أبي عروبة ، وهو وهم ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥١٠ ـ ٥١٢) .

(٣) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٧٠هـ) .

(٤) في (ط) و(ب) : الحيات ، وهو تصحيف .

(٥) في المنتظم (٧/ ١٣١) : لتسع .

(٦) في (ب) : الآخر ، وقد سقطت في (ح) ، والمثبت من المنتظم .

(٧) في (ح) سقطت ، والمثبت من (ب) و(ط) .

(٨) أي موت صمصام الدولة ، وذلك سنة (٣٧٩هـ) .

وفي ذي الحِجَّة منها قبل قاضي القضاة أبو محمد بن معروف شهادة الحافظ أبي الحسن الدَّارَقُطْني ، وأبي محمد بن عقبة ، فذكر أنَّ الدارقطني نَدِمَ على ذلك وقال : كان يقبل قولي على رسول الله ﷺ وَحْدي ، فصار لا يقبل قولي على بَقْلي إلا مع غيري . فلا حول ولا قوة[١] إلا بالله العلي العظيم .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمئة

في صفر منها عقد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة وأعيان الدَّوْلة ، وجُدِّدت البيعة بين الطائع لله وبين شرف الدولة بن عضد الدولة ، وكان يوماً مشهوداً .

ثم في ربيع الأول منها ركب شرف الدولة من داره في طيَّار إلى دار الخليفة ، وزينت البلد ، وضربت [البوقات و][٢] الطُّبول والدَّبادب ، فخلع عليه الخليفة وطوَّقه وسوَّره ، وأعطاه لواءين ، وعقد له على ما وراء داره ، واستخلفه على ذلك ، وكان في جملة من قَدِمَ مع شرف الدولة القاضي أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف ، فلما رآه الخليفة قال :

مَـرْحَبـاً بـالأحِبَّـةِ القَـادِمِيْنـا ... أوْ حَشُـونـا وطال مـا آنسُـونـا

فقبَّل الأرض بين يدي الخليفة . ولما قُضِيَت البيعة دخل شرف الدولة إلى عند أخته امرأة الخليفة ، فمكث عندها إلى العصر ، والنَّاس ينتظرونه ، ثم خرج ، وسار إلى داره للتهنئة ، وجاءه الخاصة والعامة يهنونه .

وفي هذه السنة اشتدَّ الغلاء جداً ، ثم لحقه فناء كثير .

وفيها توفيت أم شرف الدولة ـ وكانت تركية أم ولد ـ فجاءه الخليفة فعزَّاه .

وفيها ولد لشرف الدولة ابنان توأمان ، فهني بهما معاً[٣] ، والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن الحسين بن علي : أبو حامد المَرْوزي ، ويعرف بابن الطَّبري .

كان حافظاً للحديث ، مجتهداً في العبادة ، متقناً بصيراً بالأثر ، متفنناً فقيهاً حنفياً ، دَرَس على أبي الحسن الكَرْخِي[٤] ، وصنَّف كتباً في الفِقْه والتَّاريخ ، ووليِّ قضاء القضاة بخراسان ، ثم دخل بغداد وقد عَلَتْ سِنُّه ، فحدَّث بها ، وكتب النَّاس عنه بانتخاب الدَّارَقُطْني .

---

(١) انظر المنتظم (٧/ ١٣١ ـ ١٣٢) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) انظر المنتظم (٧/ ١٣٥ ـ ١٣٦) .
(٤) في (ط) : أبي الحسين ، وهو تصحيف ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٤٠هـ) .

إسحاق بن المقتدر بالله : كانت وفاته ليلةَ الجمعة لسبع عشرة من ذي الحجَّة عن ستين سنة ، وصلى عليه ابنه القادر بالله وهو إذ ذاك أمير ، ودفن في تربة جَدَّته شَغَبَ أُمِّ المقتدر ، وحضر جنازته الأُمراء والأعيان من جهة الخليفة ومن جهة شرف الدولة ، وأرسل شرف الدولة من عَزَّى الخليفة فيه ، واعتذر إليه من عدم الحضور لوجعٍ حصل له .

جعفر بن المكتفي بالله : وكان فاضلاً ، توفي في هذه السنة أيضاً رحمه الله تعالى .

أبو علي الفارسي[١] ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان : أبو علي النحوي ، صاحب المصنفات ، منها « الإيضاح » و« التكملة » .

ولد ببلده ، ثم دخل بغداد وخدم الملوك ، وحظي عند عضد الدولة ، بحيث كان يقول : أنا غلام أبي علي في النَّحْو . وحصلت له الأموال ، وقد اتهمه قومٌ بالاعتزال ، وفضَّله قومٌ من أصحابه على المبرِّد ، وممن أخذ عنه عثمان[٢] بن جنّي وغيره .

وكانت وفاته في هذه السنة عن بضع وتسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

سُتَيْتَة بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المَحَاملي[٣] : وتكنى أَمَةَ الواحد .

قرأت القراءات ، وحفظت الفِقْه والفرائض والحساب والدَّوْر والنحو وغير ذلك ، وكانت من أعلم النَّاس في وقتها بمذهب الشَّافعي ، وكانت تفتي به مع الشيخ أبي علي بن أبي هُريرة ، وكانت فاضلةً في نفسها ، كثيرة الصَّدَقة ، مسارعةً إلى فعل الخيرات ، وقد سمعت الحديث وحدَّثت أيضاً .

وكانت وفاتها في رمضان[٤] عن بضع وتسعين سنة ، رحمها الله تعالى .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (١٣٠) تاريخ بغداد (٧/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) نزهة الألباء (٣١٥ ـ ٣١٧) المنتظم (٧/ ١٣٨) معجم الأدباء (٧/ ٢٣٢ ـ ٢٦١) معجم البلدان (٤/ ٢٦١) إنباه الرواة (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥) وفيات الأعيان (٢/ ٨٠ ـ ٨٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) العبر (٣/ ٤) ميزان الاعتدال (١/ ٤٨٠ ـ ٤٨٦) الوافي بالوفيات (١١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٩) مرآة الجنان (٢/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) غاية النهاية (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) النجوم الزاهرة (٤/ ١٥١) لسان الميزان (٢/ ١٩٥) بغية الوعاة (١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٨) شذرات الذهب (٣/ ٨٨ ـ ٨٩) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : أبو عثمان ، وهو خطأ ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٣٩٢هـ) .

(٣) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٣٠هـ) .

(٤) في (ط) : رجب ، وهو تحريف .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وسبعين وثلاثمئة

في المحرم منها كَثُرَ الغلاء والفناء ببغداد .

وفي شعبان كَثُرت الرِّياح والعواصف ؛ بحيث هدمت شيئاً كثيراً من الأبنية ، وغَرَّقت سُفُناً كثيرة ، واحتملت بعض الزَّوارق ، فألقته بالأرض من ناحية جُوخى ، وهذا أمر هائل [بل وخَطْبٌ شامل][1] .

وفي ذلك الوقت لَحِقَ أهْلَ البَصْرةِ حَرٌّ شديد ، بحيث سقط كثير من النَّاس في الطُّرقات ، وماتوا من شدة الحر .

وفيها توفي من الأعيان :

الحسين[2] بن علي بن ثابت : أبو عبد الله المقرىء الحافظ .

ولد أعمى ، كان يحضر مجلس ابن الأنباري فيحفظ ما يمليه كله ،وكان ظريفاً حسن الزّي ، وقد سبق الشَّاطبيّ إلى قصيدةٍ عملها في القراءات السَّبْع ، وذلك في حياة النَّقَّاش المفسِّر[3] ، وكانت تعجبه وتعجب شيوخ زمانه .

الخليل بن أحمد القاضي[4] : شيخ الحنفية في زمانه ، كان مقدَّماً في الفِقْه والحديث ، سمع ابن خُزيمة والبَغَوي وابن صاعد وغيرهم ، وهذا سَميُّ النَّحْوي المتقدم ، رحمهما الله .

زياد بن محمد بن زياد بن الهيثم[5] : أبو العَبَّاس ، الخَرْخاني[6] ـ بخاءين معجمتين فوق ـ نسبةً إلى قرية من قرى قومس ، ولهم الجُرْجاني بجيمين ، وهم جماعة ، ولهم الخَرْجاني أيضاً بخاء ثم جيم . وقد حرَّر هذه المواضع الشيخ أبو الفَرَج ابن الجوزي في « منتظمه » ، رحمه الله تعالى .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و (ط) .
(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : الحسن ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ بغداد (٨/ ٧٥) والمنتظم (٧/ ١٤٢) .
(٣) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٥١هـ) .
(٤) يتيمة الدهر (٤/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) الأنساب (٧/ ٤٥) معجم الأدباء (١١/ ٧٧ ـ ٨٠) العبر (٣/ ٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٣٧ ـ ٤٣٩) النجوم الزاهرة (٤/ ١٥٣) تاج التراجم (٢٧) الجواهر المضية (١/ ١٧٨ ـ ١٨٠) شذرات الذهب (٣/ ٩١) .
(٥) المنتظم (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣) .
(٦) كذا ضبط هنا ، وضبطه ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٤٢) الخرجاني وهو مجود بالجيم بخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٨/ ٤٥٠) ، وهو الصحيح ، وانظر الأنساب (٥/ ٧٦) وهي نسبة إلى محلة كبيرة بأصبهان .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمئة

فيها كانت وفاة شرف الدولة بن عضد الدولة بن بُوَيْه الدَّيْلمي ، وكان قد انتقل إلى قصر معز الدولة بإشارة الأطباء لصحة الهواء ؛ وذلك [لشدة][1] ما كان يجده من الدَّاء ، فلما كان في جمادى الأولى تزايد به المرض ، ومات في هذا الشهر ، وقد عهد إلى ابنه[2] أبي نصر ، وجاء الخليفة في طيار لتعزية أبي نصر في والده شرف الدولة ، فتلقاه أبو نصر والتُّرْك والدَّيْلَم بين يديه ، فقبّل الأرض بين يدي الخليفة وكذلك بقية العسكر ، والخليفة في الطيار ، هم يقبِّلون الأرض إلى ناحيته . وجاء الرئيس أبو الحسن علي بن عبد العزيز من عند الخليفة إلى أبي نصر ، فبلغه تعزية الخليفة له ، فقبَّل الأرض ثانية ، وعاد الرسول إلى الخليفة ، فبلَّغه شكر أبي نصر ، ثم عاد الرسول من جهة الخليفة لتوديع أبي نصر ، فقبَّل الأرض ثالثاً ، ورجع الخليفة في طيارة إلى داره . فلما كان يوم السبت عاشر هذا الشهر ركب الأمير أبو نصر إلى حضرة الخليفة الطائع لله ومعه الأشراف والأعيان والقضاة والأمراء ، وجلس الخليفة في الرِّواق ، فلما وصل الأمير أبو نصر بن شرف الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه خلع عليه الخليفة سبع خِلَعٍ أعلاهن السواد ، وعمامة سوداء ، وفي عنقه طوقٌ ، وفي يده سواران ، ومشى الحُجَّاب بين يديه بالسيوف والمناطق ، فلما حصل بين يدي الخليفة قبَّل الأرض ثانية ، ووُضِعَ له كرسيٌّ ، فجلس عليه وقرأ الرئيس أبو الحسن علي بن عبد العزيز عهده ، وقدم إلى الطائع لواءه ، فعقده بيده ، ولقبه بهاء الدولة وضياء المِلَّة ، ثم خرج من بين يديه والعسكر معه حتى عاد إلى دار المملكة ، وأقرَّ الوزير أبا منصور بن صالحان[3] على الوزارة ، وخلع عليه .

وفي هذه السنة بني جامع القطيعة ـ قطيعة أم جعفر ـ بالجانب الغربي من بغداد ، وكان أصل بنائه مسجداً أنَّ امرأةً رأت في المنام رسول الله ﷺ في ذلك المكان يصلي ، ووضع يده في جدار هناك ، فلما أصبحت تذكرت ذلك المنام ، فوجدوا أثر الكف في ذلك الموضع ، فبني مسجداً ، ثم توفيت تلك المرأة في ذلك اليوم ، ثم إن الشريف أبا أحمد الموسوي جدَّد هذا المسجد ، فوسعه وجعله جامعاً ، واستأذن الخليفة الطائع لله في عقد جمعه فيه ، فأذن له ، فصلى الناس فيه في هذه السَّنة ، رحمه الله تعالى .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٢) كذا في الأصول الخطية و(ط) ، والمنتظم (٧/ ١٤٨) والصحيح أنه أخوه ، وسترد ترجمته في وفيات سنة ٤٠٣ من هذا الكتاب .

(٣) في (ط) : منصور بن صالح ، وفي (ح) : صلحان ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١٤٩) وسترد ترجمته في وفيات سنة (٤١٦هـ) من هذا الكتاب .

ومِمن توفي في هذه السنة من الأعيان :

شرف الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بُوَيْه الدَّيْلمي .

تملَّك بغداد بعد أبيه ، وكان يحبُّ الخير ويبغض الشر ، وأمر بترك المصادرات . وكان مرضه بالاستسقاء [فتزايد به حتى][1] كانت وفاته ليلة الجمعة الثاني من جُمادى الآخرة عن ثمانٍ وعشرين سنة وخمسة أشهر ، وكانت مدَّة ملكه سنتين وثمانية أشهر ، وحُمل تابوته إلى تربة أبيه بمشهد علي ، وكلهم فيهم تشيُّع .

محمد بن جعفر بن العَبَّاس[2] : أبو بكر ، النَّجَّار ، ويلقب غُنْدَر أيضاً ، روى عن أبي بكر النَّيسابوري وطبقته ، وعنه الناس ، وكان فَهِماً ، يحفظ القرآن [حفظاً حسناً][3] ومن ثِقَات النَّاس .

محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الكريم[4] بن بُدَيل : أبو الفَضْل ، الخُزاعي الجُرْجاني ، قَدِمَ بغداد وحدَّث بها .

قال الخطيب : كانت له عناية بالقراءات ، وصنَّف أسانيدها ، ثم ذُكر لي أنه كان يخلط ولم يكن مأموناً على ما يرويه ، وأنه وضع كتاباً في الحروف ونسبه إلى أبي حنيفة ، فكتب الدَّارَقُطني وجماعةٌ أن هذا الكتاب موضوع لا أَصْلَ له ، فافتضح ، خرج من بغداد إلى الجبل ، فاشتهر أمره هناك وهبطت منزلته ، وقد كان يسمِّي نَفْسَه أولاً كميلاً[5] ، ثم غيَّره إلى محمد[6] .

محمد بن المُظَفَّر[7] بن موسى[8] بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن سلمة بن إياس ، أبو الحسين[9] البزَّاز الحافظ ، ولد في محرَّم [سنة ست وثمانين ومئتين ، وأول سماعه للحديث في محرَّم][10] سنة

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٥٧) شذرات الذهب (٢/ ١٥٠) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) ، وانظر تاريخ بغداد(٢/ ١٥٧) .
(٤) في (ط) عبد الكريم بن عبد الكريم بن بديل ، وهو تحريف .
(٥) في (ط) : جميلاً ، وهو تحريف .
(٦) انظر تاريخ بغداد (٢/ ١٥٨) وقد أورده ابن كثير في وفيات هذه السنة متابعاً في ذلك ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٥١ ـ ١٥٢) ووفاته على الصحيح سنة (٤٠٨هـ) ، انظر معرفة القراء (١/ ٣٨٠) .
(٧) في (ط) : المطرف ، وهو تحريف .
(٨) تاريخ بغداد (٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤) المنتظم (٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٨٠ ـ ٩٨٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤١٨ ـ ٤٢٠) ميزان الاعتدال (٤/ ٤٣) شذرات الذهب (٣/ ٩٦) .
(٩) في (ح) أبو الحسن ، وهو تحريف .
(١٠) ما بين حاصرتين من المنتظم (٧/ ١٥٢) وانظر تاريخ بغداد (٣/ ٢٦٢) .

ثلاثمئة ، ورحل إلى بلاد شتَّى ، وروى عن ابن جرير والبَغَوي وخلق ، وروى عنه جماعة من الحُفَّاظ ـ منهم الدَّارَقُطْني ـ شيئاً كثيراً ، وكان يعظِّمه ويجلُّه ولا يستند بحضرته ، وكان ابن المظفر ثقة ثبتاً ، وكان قديماً ينتقي[1] على المشايخ ، ثم كانت وفاته يوم الجمعة ، ودفن يوم السبت لثلاثٍ خلون من جُمادى الأولى أو الآخرة من هذه السنة .

ثم استهلَّت سنة ثمانين وثلاثمئة

فيها قُلِّد الشريف أبو أحمد الحسين[2] بن موسى الموسوي نقابة الأشراف الطالبيين والنظر في المظالم وإمرة الحجيج ، [وكتب عهده بذلك][3] واستخلف ولداه المرتضى أبو القاسم[4] والرَّضي أبو الحسن[5] على النقابة وخلع عليهما من دار الخلافة .

وفيها تفاقم أمر العيَّارين ببغداد ، وصار الناس أحزاباً ، في كل محلةٍ أمير مقدم ، واقتتل الناس ، وأخذت الأموال واتصلت الكبسات وأحرقت دور الكبار ، ووقع حريق بالنهار في نهر الدجاج ، فاحترق بسببه شيءٌ كثير للناس .

وفيها توفي فيها من الأعيان :

يعقوب بن يوسف[6] : أبو الفتوح بن كِلِّس ، وزير صاحب مصر العزيز بن المعز الفاطمي .

كان شهماً فَهِماً ذا هِمَّة عالية وتدبير جيد وكلمة نافذة عند مخدومه ، وقد فوَّض إليه أموره في سائر مملكته ، ولما مرض عاده العزيز ، فوصَّاه الوزير فيما يتعلق بمملكته ، ولما مات دفنه في قصره ، وتولى دفنه بيده ، وحزن عليه كثيراً ، وأُغلق الدِّيوان أياماً من حزن الملك عليه .

---

(١) في (ط) ينتقد ، وهو تحريف .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) الحسن ، وهو تحريف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١٥٣) وسيرد خبر عزله في حوادث سنة (٣٨٤هـ) . وسترد ترجمته في وفيات سنة (٤٠٠هـ) من هذا الكتاب .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٤٣٦هـ) من هذا الكتاب .

(٥) في (ح) و(ب) و(ط) أبو الحسين ، وهو تحريف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ١٥٣) وسترد ترجمته في وفيات سنة (٤٠٦هـ) من هذا الكتاب .

(٦) المنتظم (٧/ ١٥٥ ـ ١٥٦) وفيات الأعيان (٧/ ٢٧ ـ ٣٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٢ ـ ٤٤٤) مرآة الجنان (٢/ ٢٥٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٥٨) حسن المحاضرة (٢/ ٢٠١) شذرات الذهب (٣/ ٩٧) .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين[(١)] وثلاثمئة

فيها كان القبض على الخليفة الطائع لله ، وخلافة القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله ، وكان ذلك في يوم السبت التاسع عشر من شعبان من هذه السنة ، [وذلك أنه][(٢)] جلس الخليفة على عادته في الرِّواق ، وقعد الملك بهاء الدولة على السرير ، ثم أرسل من اجتذب الخليفة بحمائل سيفه عن السرير ، ولفُّوه في كساء ، وحملوه إلى الخزانة من دار المملكة ، وتشاغل النَّاس بالنهب ، ولم يدر [أكثر][(٣)] النَّاس ما الخطبُ ولا ما الخبر ، حتى إن كثيراً منهم يظن أن الملك بهاء الدولة هو الذي مسك[(٤)] ، فنهبت الخزائن والحواصل وشيء كثير من أثاث دار الخلافة ، حتى أخذت ثياب الأعيان من القضاة[(٥)] والشهود ممن كان بدار الخلافة ، وجرت كائنة عظيمة جداً ، ورجع بهاء الدولة إلى داره ، وكتب على الطائع كتاباً بالخَلْع[(٦)] ، وشهد عليه الأشراف والقضاة[(٧)] أنه قد خلع نفسه عن الخلافة ، وسلَّمها إلى القادر بالله ، ونودي بذلك في الأسواق ، وتشغبت الدَّيْلم والأتراك وطالبوا برسم البيعة ، وراسلوا بهاء الدولة في ذلك ، وتطاول الأمر إلى يوم الجمعة ، فلم يمكنوا من الدُّعاء له على المنبر بصريح اسمه ، بل قيل : اللهم أَصْلِحْ عبدك وخليفتك القادر بالله ، ولم يُسَمَّ ، ثم أُرْضِيَ وجوههم وأكابرهم ، وأخذت البيعة له واتفقت الكلمة ، وأَمَرَ بهاء الدولة بتحويل جميع ما في دار الخلافة من الأواني والفُرُش والأثاث وغير ذلك إلى داره ، وأبيحت للعامة والخاصة ، فقلعوا أبوابها وشبابيكها ، وشعثوا أبنيتها ، ثم بيعوا بعد ذلك ، هذا كله والخليفة القادر بالله في أرض البطيحة قد هرب من الطائع لله حين كان يطلبه .

ولما ركب إلى بغداد منعته الدَّيْلَم من الدخول إليها حتى يعطيهم رسم البيعة ، وجَرَتْ بينهم خطوب كثيرة طويلة ، ثم رضوا [عنه][(٨)] ودخل بغداد ، وكان يوماً مشهوداً ، وكانت مدة هربه بأرض البطيحة

---

(١) في (ط) : وسبعين ، وهو تحريف .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .
(٤) في (ط) : حتى أن كبير المملكة بهاء الدولة ظن الناس أنه هو الذي مسك . والعبارة مضطربة محرفة كما ترى .
(٥) في (ط) والقضاة .
(٦) في (ط) زيادة : من الخلافة .
(٧) في (ط) زيادة : وغيرهم .
(٨) ما بين حاصرتين من (ط) .

[قريباً من][1] ثلاث سنين . وجلس في اليوم الثاني من مقدمه جلوساً عاماً للتهنئة وسماع المدائح والقصائد فيه ، وذلك في العشر الأخير من رمضان .

وفي العشر الأواخر من شوال اجتمع الناس لبيعة بهاء الدولة وتفويض الخليفة إليه ما وراء بابه ، وكان يوماً مشهوداً .

وقد كان الخليفة القادر بالله من الخلفاء الأخيار ، ومن سادات العلماء في أهل زمانه ، كثير الصدقة ، حسن الاعتقاد ، صنَّف عقيدة[2] فيها فضائل الصحابة وغير ذلك ، وكانت تقرأ بحلق أصحاب الحديث في كل جمعة في جامع المهدي ، وتجتمع الناس لسماعها مدَّةَ خلافته ، وكان ينشد هذه الأبيات يترنَّم بها وهي لسابق البَرْبَري[3] .

سَبَقَ القضاءُ بكلِّ ما هو كائنٌ ... واللهُ يا هذا لرِزْقِكَ ضامِنُ
تَعْنى بما تُكْفى وتتركُ ما بهِ ... تُعنى كأنَّك للحَوَادِثِ آمِنُ
أو ما ترى الدُّنيا ومَصْرَع أهلِها ... فَاعْمَلْ ليومِ فِرَاقِها يا خائنُ
واعلمْ بأنَّكَ لا أبا لك في الذي ... أصْبَحْتَ تَجْمَعُهُ لغيرِكَ خازِنُ
يا عامِرَ الدُّنيا أتعْمَرُ مَنْزلاً ... لم يبقَ فيه مع المنيَّةِ ساكِنُ
الموتُ شيءٌ أنْتَ تَعْلَمُ أنَّهُ ... حقٌّ وأنتَ بذكرِهِ متهاوِنُ
إنَّ المنيَّةَ لا تؤامرُ[4] من أتتْ ... في نفسِه يَوْماً ولا تستأذِنُ

وفي اليوم الثَّامن عشر[5] من ذي الحِجة من هذه السنة ـ وهو يوم غدير خُمّ ـ جَرَت فتنة بين الرَّوافض والسُّنَّة واقتتلوا ، فقتل منهم خَلْقٌ كثير ، واستظهر أهل [باب][6] البصرة وحرَّقوا أعلام السلطان ، فقتل جماعة اتهموا بفعل ذلك ، وصلبوا على القنطرة ليرتدع أمثالهم .

وفي هذه السنة ظهر أبو الفتوح الحسن بن جعفر العَلَوي أمير مكة بها ، وادَّعى أنه خليفة ، وسمى

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) ، وفي « المنتظم » ٧/ ١٥٧ : كان مقامه بالبطيحة منذ حصل فيها إلى أن أخرج عنها سنتين وأحد عشر شهراً ، وقيل سنتين وأربعة أشهر وأحد عشر يوماً .

(٢) في (ط) قصيدة ، وهو تحريف .

(٣) هو أبو سعيد ، سابق بن عبد الله البربري ، ليس نسبة إلى البربر ، وإنما هو لقب له ، كان شاعراً من الزهاد ، وهو من موالي بني أمية ، سكن الرقة ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وله معه حكايات لطيفة ، توفي نحو (١٠٠هـ) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران (٦/ ٣٨ ـ ٤٢) وخزانة الأدب للبغدادي (٩/ ٥١٢ ـ ٥٣٣) .

(٤) أي لا تشاور . انظر القاموس المحيط (أمر) .

(٥) في (ب) : الثاني عشر ، وفي (ط) : الثالث عشر ، وكلاهما خطأ ، والمثبت من (ح) .

(٦) ما بين حاصرتين من(ب)و(ط) .

نفسه الرَّاشد بالله ، فمالأه أهلُ مكة ، وحصل له أموال من رجلٍ أوصىٰ له بها ، فانتظم أمره بسببها ، وتقلَّد سيفاً زعم أنه ذو الفقار ، وأخذ في يده قضيباً زعم أنه كان لرسول الله ﷺ ، ثم قصد بلادَ الرَّملة ليستعين بعرب الشَّام ، فتلقوه بالرحب ، وقبَّلوا له الأرض ، وسلَّموا عليه بإمرة المؤمنين ، وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود . ثم إن [الحاكم][1] صاحب مصر ـ وكان قد قام بالأمر من بعد أبيه العزيز في هذه السَّنة[2] ـ بعث إلى عَرَب الشَّام بملطفات ، ووعَدَهم من الذهب بألوف وثياب[3] ، وكذلك إلى عرب الحجاز ، واستناب على مكة أميراً ، وبعث إليه بجارية وخمسين ألف دينار ، فانتظم أمر الحاكم[4] ، وتمزَّق أمر الرَّاشد بالله ، وتسحَّب إلى بلاده كما بدأ منها ، وعاد إليها وكان عوده إليها كما رَحَلَ عنها ، واضمحلَّ حاله وانتقضت حباله ، وتفرَّق عنه رجاله ، والله يفعل ما يشاء ويختار .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن الحسين[5] بن مهران[6] : أبو بكر المقرىء ، كانت وفاته في شوال منها عن ستٍّ وثمانين سنة ، واتفق أن مات يوم موته أبو الحسن العامري الفيلسوف ، فرأى بعضُ الصَّالحين أحمد بن الحسين في المنام فقال له : يا أستاذ أي شيء فعل الله بك ؟ فقال : أقام أبا الحسن العامري إلى جانبي ، وقال : هذا فداؤك من النار .

عبيد الله[7] بن أحمد بن معروف[8] : أبو محمد ، قاضي القضاة ببغداد .

روى عن ابن صاعد ، وعنه الخَلاَّل والأزهري وغيرهما ، وكان من العلماء الثقات الألباء العقلاء الفُطَناء ، حسنَ الشكل ، جميل المَلْبس ، عفيفاً عن الأموال ، [وكان][9] عمره يوم توفي خمساً وسبعين سنة ، وصلَّى عليه أبو أحمد الموسوي ، فكبَّر خمساً ، ثم صلى عليه ابنه بجامع المنصور فكبَّر أربعاً ، ثم دفن في داره ، رحمه الله تعالى .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) في (ح) و(ب) من بعده ابنه العزيز ، والمثبت من (ط) .
(٣) في (ب) و(ط) : ومئات ، والمثبت من (ح) .
(٤) في هامش (ح) حاشية : لم يتقدم ما يدل على هذا الحاكم الفاطمي و كيف وصلت إليه مصر .
(٥) في (ط) : الحسن ، وهو تحريف .
(٦) معجم الأدباء (٣/ ١٢ ـ ١٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) غاية النهاية (١/ ٤٩ ـ ٥٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٠) شذرات الذهب (٣/ ٩٨) .
(٧) في (ط) : عبد الله ، وهو تحريف .
(٨) يتيمة الدهر (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٩) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨) المنتظم (٧/ ١٦٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) ميزان الاعتدال (٣/ ٣) لسان الميزان (٤/ ٩٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦) شذرات الذهب (٣/ ١٠١) .
(٩) ما بين حاصرتين من (ب) .

جوهر بن عبد الله[١] : القائد باني القاهرة المعزية ، وأصله رومي[٢] ويعرف بالكاتب ، أرسله مولاه المعز[٣] بن المنصور بن القائم بن المهدي المدَّعي أنه فاطمي من إفريقية لأخذ مصر عند اضطراب جيشها بعد موت كافور الإخشيدي ، فأقاموا عليهم أحمد بن علي الإخشيدي ، فلم يجتمعوا عليه ، فأرسل بعضهم إلى المعز يستنجد به ، فأرسل مولاه جوهر هذا في ربيع الأول من سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمئة فوصل إلى القاهرة في شعبان منها في مئة ألف مقاتل ، ومعه من الأموال ألف ومئتا صندوق لينفقه في ذلك ، فانزعج الناس ، وأرسلوا يطلبون منه الأمان ، فآمنهم فلم يرض الجيش بذلك ، وبرزوا لقتاله فكسرهم ، وجدَّد الأمان لأهلها ، ودخلها يوم الثلاثاء لثمان عشرة خَلَت من شعبان ، فشق مصر ، ونَزل في مكان القاهرة اليوم ، وأسس من ليلته القصرين ، وخطب يوم الجمعة الآتية ، فقطع خطبة بني العباس ، وعوَّض بمولاه ، وذكر الأئمة الإثني عشر ، وأذن بحي على خير العمل ، وكان يُظْهر الإحسان إلى الناس ، ويجلس كل [يوم][٤] سبت مع الوزير جعفر بن الفرات والقاضي ، واجتهد في تكميل القاهرة ، وفرغ من جامعها سريعاً ، وخطب به في سنة إحدى وستين ، وهو جامع الأزهر .

وأرسل جعفر بن فلاح إلى الشَّام فأخذها للمعز ، ثم قدم مولاه المعز في سنة ثنتين وستين كما تقدَّم[٥] ، ونزل بالقصرين . ولم تزل منزلته عالية عنده ، ثم كانت وفاته في هذه السنة ، وقام في منصبه وعظمته ابنه الحسين الذي كان يقال له قائد القواد ، وهو أكبر أمراء الحاكم بن العزيز بن المعز ، ثم كان قتله على يديه في سنة إحدى وأربعمئة ، وقتل معه صهره زوج أخته القاضي عبد العزيز بن النعمان ، وأظن هذا القاضي هو مصنف البلاغ الأكبر والناموس الأعظم ، الذي فيه من الكفر ما لم يصل إبليس إلى مثله ، وقد ردَّ على هذا الكتاب أبو بكر الباقلاَّني ، رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلاثمئة

في عاشر المحرم منها رسم الوزير أبو الحسن علي بن محمد بن الكوكبي ـ ويعرف بابن المعلم ، وكان قد استحوذ على أمور السلطان ـ لأهل الكرخ وباب الطاق من الرَّافضة بأن لا يفعلوا شيئاً من تلك البدع التي كانوا يتعاطونها في عاشوراء ؛ من تعليق المسوح وتغليق الأسواق ، والنِّياحة على الحسين ،

---

(١) معجم البلدان (٤/ ٣٠١) وفيات الأعيان (١/ ٣٧٥ ـ ٣٨٠) العبر (٣/ ١٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٨) حسن المحاضرة (١/ ٥٩٩ و٢/ ٢٠١) شذرات الذهب (٣/ ٩٨ ـ ١٠٠) .

(٢) في (ط) أرمني ، وهو تحريف .

(٣) في (ط) العزيز ، وهو تحريف .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٥) انظر حوادث سنة (٣٦١هـ) .

فلم يفعلوا شيئاً من ذلك [ولله الحمد والمِنَّة][١] وكان هذا الرجل من أهل السُّنَّة إلا أنه كان طماعاً ، رسم بأن لا يُقبل أحد من الشهود ممن استحدث عدالته بعد ابن معروف ، وكان كثير منهم قد بذل أموالاً جزيلة في ذلك ، فاحتاجوا إلى أن جمعوا له شيئاً ، فوقّع لهم بالاستمرار .

ولما كان في جُمادى الآخرة سَعَتِ الدَّيْلَم والترك على ابن المعلم هذا ، وخرجوا بخيامهم إلى باب الشَّمَّاسية ، وراسلوا بهاء الدولة ليسلمه إليهم ، لسوء معاملته لهم ، فدافع عنه السُّلْطان مدافعة عظيمة مرَّاتٍ متعدِّدة ، ولم يزالوا يراسلونه في أمره حتى خنق أبا الحسن بن المعلم في حبل ، ومات ، ودفن بالمُخرِّم .

وفي رجب [من هذه السنة][٢] سُلِّم الخليفة الطائع لله الذي خُلِعَ إلى أمير المؤمنين خليفة الوقت أبي العباس القادر بالله ، فأمر بوضعه في حجرة من دار الخلافة ، وأن تجري عليه الأرزاق والتُّحَف والألطاف ، مما يستعمله الخليفة القادر من مأكل وملبس وطيب ، ويوكل به من يحفظه ويخدمه ، وكان يتعنّت على القادر في تقلُّله من المأكل والملبس ، فرَتَّب له من يخدمه ويحضر له ما يشتهيه من سائر الأنواع ، ولم يزل كذلك حتى توفي وهو في السجن .

وفي شوال منها ولد للخليفة القادر بالله ولد ذكر ، وهو أبو الفضل [محمد بن][٣] القادر بالله ، وقد ولَّاه العهد من بعده ، وسماه الغالب بالله ، فلم يتمَّ له الأمر .

وفيها غَلَتِ الأسعار ببغداد حتى أبيع رطل الخبز بأربعين درهماً ، والجزرة بدرهم .

وفي ذي القعدة قدم صاحب الأُصيفر الأعرابي ، والتزم بحراسة الحُجَّاج في ذهابهم وإيابهم ، وبشرط أن يخطب للقادر من اليمامة والبحرين إلى الكوفة ، فأجيب إلى ذلك ، وأطلقت له الخِلَع والأموال والألوية[٤] .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن العَبَّاس[٥] بن محمد بن[٦] زكريا بن يحيى بن معاذ : أبو عمر القَزَّاز[٧] المعروف بابن حيوية .

---

(١) ما بين حاصرين من (ب) و(ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) في (ط) : والأواني ، وهو تحريف .
(٥) تاريخ بغداد (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢) المنتظم (٧/ ١٧٠ ـ ١٧١) العبر (٣/ ٢١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) الوافي بالوفيات (٣/ ١٩٩) لسان الميزان (٥/ ٢١٤ ـ ٢١٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٣) شذرات الذهب (٣/ ١٠٤) .
(٦) في(ح) و(ط) و(ب) : ابن .
(٧) في مصادر ترجمته : الخزَّاز .

سمع البغوي والباغَنْدِي وابن صاعد وخَلْقاً كثيراً ، وانتقى[١] عليه الدَّارَقُطْني ، وسمع منه الأعيان ، وكان ثِقَةً دَيِّناً متيقظاً ذا مروءة ، وكتب من الكتب الكبار كثيراً بيده ، توفي في ربيع الآخر وقد قارب التسعين ، رحمه الله .

[أبو أحمد العَسْكري][٢] : الحسن بن عبد الله بن سعيد ، أبو أحمد العسكري ، أحد الأئمة في اللغة والأدبِ والنحو والنَّوادر ، وله في ذلك تصانيف مفيدة ، منها « التصحيف »[٣] وغيره ، وكان الصاحب بن عَبَّاد يودُّ الاجتماع به ، فسافر إلى عسكر مكرم خلفه حتى اجتمع به ، [فأكرمه وراسله بالأشعار][٤] . توفي فيها وله تسعون سنة . كذا أرَّخه ابن خَلِّكان[٥] . وذكره ابن الجوزي فيمن توفي سنةَ سبعٍ وثمانين كما سيأتي ، إن شاء الله تعالى[٦] .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة

فيها أمر القادر بالله بعمارة مسجد الحربية وكسوته ، وأن يجري مجرى الجوامع في الخطبة وغيرها ، وذلك بعد أن استفتى العلماء في جواز ذلك ، فأفتوه بالجواز .

قال الخطيب البغدادي : أدركت الجمعة تقام ببغداد في مسجد المدينة ، ومسجد الرصافة ، ومسجد دارالخلافة ، ومسجد براثا ، ومسجد قطيعة أم جعفر ، ومسجد الحربية . قال : ولم يزل الأمر على هذا إلى سنة إحدى وخمسين وأربعمئة ، فتعطلت في مسجد بَرَاثا[٧] .

وفي جُمادى الأولى فرغ من الجسر الذي بناه بهاء الدولة في مشرعة القطانين ، واجتاز عليه هو بنفسه ، وقد زيَّنوه واحتفلوا به .

---

(١) في (ط) : وانتقد ، وهو تحريف .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) . وترجمة العسكري في ذكر أخبار أصبهان (١/ ٢٧٢) والأنساب (٨/ ٤٥٢) المنتظم (٧/ ١٩١) معجم الأدباء (٨/ ٢٣٣ ـ ٢٥٨) معجم البلدان (٤/ ١٢٤) إنباه الرواة (١/ ٣١٠ ـ ٣١٢) وفيات الأعيان (٢/ ٨٣ ـ ٨٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤١٣ ـ ٤١٥) الوافي بالوفيات (١٢/ ٧٦ ـ ٧٧) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٣و١٩٦) بغية الوعاة (١/ ٥٠٦) شذرات الذهب (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣) .
(٣) طبع في مجمع اللغة العربية بدمشق .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) انظر وفيات الأعيان (٢/ ٨٤) .
(٦) انظر وفيات سنة (٣٨٧هـ) .
(٧) تاريخ بغداد (١/ ١١١) وفيه : ولم تزل على هذا إلى أن خرجت من بغداد سنة إحدى وخمسين وأربعمئة ، ثم تعطلت في مسجد براثا ، فلم تكن تصلّى فيه .

وفي جمادى الآخرة ، شغب الدَّيالم والأتراك لتأخُّرِ العطاء عنهم ، وغلاء الأسعار ، وراسلوا بهاء الدولة ، فأزيحت أعذارهم وعللهم .

وفي يوم الخميس الثاني من ذي القَعْدة من هذه السنة تزوَّج الخليفة سكينة بنت بهاء الدولة على صَداق مئة ألف دينار ، وكان وكيلَ أبيها الشريفُ أبو أحمد الموسوي ، وقد توفيت هذه المرأة قبل دخول الخليفة عليها .

وفي هذه السنة ابتاع الوزير أبو نصر سابور بن أزدشير داراً بالكَرْخ وجدَّد عمارتها ، وبيَّضها ، ونقل إليها كتباً كثيرة ، ووقفها على الفقهاء ، وسماها دار العلم . وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء[١] ، والله أعلم .

وارتفعت الأسعار في أواخر هذه السنة ، وضاق الحال [وجاع العيال ، فلله الحمد والمنَّة على كل حال][٢] .

وفيها توفي من الأعيان :

أحمد بن إبراهيم[٣] بن الحسن بن شاذان بن حَرْب بن مِهْران : أبو بكر البَزَّاز .

سمع الكثير من البَغَوي وابن صاعد وابن دريد وابن أبي داود .

وعنه الدَّارَقُطْني والبَرْقاني والأزهَري وغيرهم ، وكان ثِقَةً ثبتاً صحيحَ السَّماع ، كثير الحديث ، متحرِّياً ورعاً . توفي عن خمسٍ وثمانين سنة [رحمه الله تعالى][٤] .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمئة

فيها عَظُمَ الخَطْبُ بأمر العَيَّارين ، وعاثوا ببغداد للفساد وأخذوا [الأموال و][٤] العملات الثقال ليلاً ونهاراً ، وحرقوا[٥] أماكن كثيرة ، وأخذوا من الأسواق الجبايات ، وتطلبهم الشُّرَط فلم يُفْد ذلك شيئاً ولا فكروا فيهم ، بل استمرُّوا على ما هُمْ عليه من أخذ الأموال ، وقَتْلِ الرجال ، وإرعاب النِّساء

---

(١) في (ط) زيادة : وكانت قبل النظامية بمدة طويلة .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) تاريخ بغداد (٤/ ١٨ ـ ٢٠) المنتظم (٧/ ١٧٢ ـ ١٧٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٤) شذرات الذهب (٣/ ١٠٤) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) في (ح) : وخربوا ، والمثبت من (ب) و(ط) .

والأطفال ، في سائر المحال . فلما تفاقم الحال بهم طلبهم السُّلْطانُ بهاء الدولة ، وألحَّ في طلبهم ، فهربوا من بين يديه ، واستراح الناس من شرِّهم[١] .

وفي ذي القَعْدة عُزل الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي[٢] ، وولداه اللذان كانا وليي عهده من بعده عن نقابة الطَّالبيين .

ورجع ركب العراق في هذه السنة من أثناء الطَّريق بعدما فاتهم وقت الحج ، وذلك أنَّ الأُصيفر الأعرابي الذي كان قد تكفَّل بحراستهم اعترض لهم في أثناء الطريق ، وذكر لهم أن الدَّنانير التي أطلقت له من دار الخلافة كانت دراهم مطلية ، وأنه يريد بدلها من الحجيج وإلا لم يتركهم يجاوزوا هذا الموضع ، فمانعوه وراجعوه ، فحبسهم عن المسير حتى ضاق الوقت ، ولم يبق منه ما يلحقوا الحجَّ فيه ، فرجعوا إلى بلادهم ، ولم يحجَّ منهم أحد ، وكذلك لم يحجَّ من الركب الشَّامي ولا أهل اليمن أحد ، وإنما حجَّ أهل مصر والمغرب خاصةً .

وفي يوم عرفة قُلِّد الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن أبي تمام الزَّينبي نقابة العَبَّاسيين ، وقرىء عهده بين يدي الخليفة بحضرة القُضاة والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو إسحاق إبراهيم بن هلال[٣] بن زَهْرُون بن حَبُّون : الحَرَّاني الكاتب الصابىء صاحب التصانيف والرَّسائل للخليفة ولمعِزِّ الدولة[٤] بن بُويْه ، كان على دين الصَّابئة إلى مماته ، وكان مع هذا يصوم رمضان ويقرأ القرآن [من حفظه ، وكان يحفظه][٥] حفظاً حسناً ، ويستعمل منه في رسائله ، وكانوا يحرصون على أن يُسْلم فلم يفعل ، وله شعر جيد قوي .

كانت وفاته في شوال من هذه السنة وقد جاوز السبعين ، وقد رثاه الشَّريف الرَّضي[٦] وقال : إنما رثيتُ فضائله[٧] .

---

(١) في (ط) زيادة : وأظن هذه الحكايات التي يذكرها بعض الناس عن أحمد الدنف عنهم ، أو كان منهم ، والله أعلم.

(٢) قلد نقابة الأشراف سنة (٣٨٠هـ) ، حوادث سنة (٣٨٠هـ) .

(٣) يتيمة الدهر (٢/ ٢٤١ ـ ٣١١) الفهرست (١٩٣ ـ ١٩٤) معجم الأدباء (٢/ ٢٠ ـ ٩٤) وفيات الأعيان (١/ ٥٢ ـ ٥٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤) الوافي بالوفيات (٦/ ١٥٨ ـ ١٦٣) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٧) شذرات الذهب (٣/ ١٠٦ ـ ١٠٩) .

(٤) في (ط) : لمعز الدولة ، وهو تحريف .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٦) بقصيدة مطلعها :

أعلمت من حملوا على الأعواد   أرأيت كيف خبا ضياء النادي

انظر ديوانه (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٨) .

(٧) في (ط) زيادة : وليس له فضائل ولا هو أهل لها ولا كرامة .

عبيد الله[١] بن محمد بن نافع بن مكرم : أبو العَبَّاس البُسْتي الزَّاهد ، ورث من آبائه أموالاً كثيرة ، فأنفقها كلها في وجوه الخير والقُرُبات ، وكان كثير العبادة ، يقال : إنه مكث سبعين سنة لا يستند إلى حائطٍ ولا إلى شيء ، ولا يتكيء على وسادة ، وحجَّ من نيسابور ماشياً حافياً ، ودخل الشام ، وأقام ببيت المقدس شهوراً ، ثم دخل مِصْر وبلاد المغرب ، وحجَّ من هناك ، ثم رجع إلى بلاده بُسْت ، وكانت له بها بقية [أموال][٢] وأملاك فتصدَّق ببقيتها ، ولما حضرته الوفاة جعل يتألم ويتوجَّع ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : أرى بين يدي أموراً هائلة ، ولا أدري كيف أنجو منها .

وكانت وفاته في المحرَّم من هذه السنة عن خمسٍ وثمانين سنة ، وليلة موته رأت امرأةٌ أمها بعد وفاتها وعليها ثياب حسان وزينة فقالت : يا أمه ، ما هذا ؟ فقالت : نحن في عيد من قدوم عبيد الله الزاهد علينا ، رحمه الله تعالى .

علي بن عيسى بن علي بن عبد الله[٣] : أبو الحسن[٤] ، النَّحْوي ، المعروف بالرُّمَّاني .

روى عن ابن دُريد ، وكانت له يد طُولى في النَّحْو واللُّغة والمنطق والكلام ، وله تفسيرٌ كبير ، وشهد عند ابن معروف فَقَبِله ، وروى عنه التَّنوخي والجَوْهري .

وتوفي عن ثمانٍ وثمانين سنة ، ودفن في الشُّونيزية عند قبر أبي علي [الفارسي][٥] .

قال ابن خلِّكان : والرُّمَّاني نسبة إلى بيع الرُّمَّان أو إلى قصر الرمان بواسط[٦] .

محمد بن العَبَّاس بن أحمد بن محمد بن الفُرَات[٧] : أبو الحسن ، الكاتب ، المحدِّث ، الثِّقة المأمون .

قال الخطيب البغدادي : كان ثِقَةً ، كتب الكثير ، وجمع ما لم يجمعه أحدٌ في وقته ، بلغني أنه كتب

---

(١) في (ب) و(ط) : عبد الله ، وإخالها تصحيفاً .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) في (ط) : عبيد الله ، وهو تصحيف . وترجمته في طبقات النحويين واللغويين (٨٦) الإمتاع والمؤانسة (١/ ١٣٣) تاريخ بغداد (١٢/ ١٦ ـ ١٧) الأنساب (٦/ ١٦٠) نزهة الألباء (٣١٨ ـ ٣١٩) المنتظم (٧/ ١٧٦) معجم الأدباء (١٤/ ٧٣ ـ ٧٨) إنباه الرواة (٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦) وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٨) بغية الوعاة (٢/ ١٨٠ ـ ١٨١) شذرات الذهب (٣/ ١٠٩) .
(٤) في (ح) و(ب) : أبو الحسين ، وهو تحريف .
(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٦) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٩) .
(٧) في (ط) القراز ، وهو تحريف . وترجمته في تاريخ بغداد (٣/ ١٢٢ ـ ١٢٣) اللباب (٢/ ٤١٤ ـ ٤١٥) تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦) الوافي بالوفيات (٣/ ١٩٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٨) طبقات الحفاظ (٤٠٢) شذرات الذهب (٣/ ١١٠) .

مئة تفسير ومئة تاريخ ، وخلَّف ثمانية عشر صندوقاً مملوءة كتباً ، أكثرها بخطه سوى ما سُرِقَ منه ، وكان خطُّه[١] في غاية الصِّحة ، ومع هذا كانت له جارية تعارض معه[٢] ما يكتبه[٣] ، رحمه الله تعالى .

محمد بن عمران بن موسى بن عبيد[٤] : أبو عبيد الله[٥] الكاتب المعروف بابن المَرْزُبان .

روى عن البَغَوي وابن دُريد وغيرهما ، وكان صاحب أخبار[٦] وآداب ، وصنَّف كتباً كثيرة في فنون مستحسنة[٧] ، وكان مشايخه وغيرهم يحضُرون عنده ، ويبيتون في داره في فُرُش وأطعمة وغير ذلك .

وكان عضد الدولة إذا مرَّ بداره لا يجتاز حتى يرسل إليه ليخرج ، فيسلم عليه .

وكان أبو علي الفارسي يقول : هو من محاسن الدُّنيا .

وقال العتيقي[٨] : كان ثِقَةً . وقال الأزهري : ما كان ثقة .

وقال ابنُ الجَوْزي : لم يكن من الكذابين ، وإنما كان فيه تشيع واعتزال ، ويخلط السماع بالإجازة[٩] . بلغ ثمانياً وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمئة

فيها استوزر فخر الدولة بن ركن الدولة بن بُوَيْه أبا العَبَّاس أحمد بن إبراهيم الضَّبِّي ، الملقب بالكافي ، وذلك بعد وفاة الصَّاحب إسماعيل بن عبَّاد ، وكان من مشاهير الوزراء .

---

(١) في (ط) حفظه ، وهو تحريف .

(٢) في (ط) زيادة : أي تقابل .

(٣) تاريخ بغداد (٣/ ١٢٢ ـ ١٢٣) .

(٤) في (ح) و(ب) و(ط) عبيد الله ، وكذلك في المنتظم (٧/ ١٧٧) والمثبت من تاريخ بغداد (٣/ ١٣٥) وهي ما عليه أغلب المصادر . ومظان ترجمته في الفهرست (١٩٠ ـ ١٩٣) تاريخ بغداد (٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦) المنتظم (٧/ ١٧٧) معجم الأدباء (١٨/ ٢٦٨ ـ ٢٧٢) إنباه الرواة (٣/ ١٨٠ـ١٨٤) اللباب (٣/ ١٩٥) وفيات الأعيان (٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٧ ـ ٤٤٩) العبر (٣/ ٢٧) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٧٢ـ ٦٧) الوافي بالوفيات (٤/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧) لسان الميزان (٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٨) شذرات الذهب (٣/ ١١ ـ ١١٢) .

(٥) في (ح) و(ب) و(ط) : أبو عبد الله ، والمثبت من المصدر السابق .

(٦) في (ط) اختيار ، وهو تحريف .

(٧) في (ط) زيادة : وهو مصنف كتاب « تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب » .
قلت : المعروف أن مصنفه هو محمد بن خلف بن المرزبان ، المتوفى سنة (٣٠٩هـ) ، وقد نشر الكتاب بمصر سنة (١٣٤١هـ) بمصر ، وانظر الوافي بالوفيات (٣/ ٤٤ ـ ٤٥) .

(٨) في (ط) العقيقي ، وهو تحريف ، وسترد ترجمته في وفيات سنة (٤٤١هـ) من هذا الكتاب .

(٩) المنتظم (٧/ ١٧٧) .

وفيها قبض بهاء الدولة على القاضي عبد الجبار وصادره بأموالٍ جزيلة ، فكان من جملة ما بيع في المصادرة ألف طَيْلسان وألف ثوب مغربي[١] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة وما قبلها وما بعدها المصريون ، والخطبة في الحَرَمين لهم .

ومِمن توفي فيها من الأعيان :

الصَّاحب بن عَبَّاد[٢] : وهو إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطَّالقَاني ، أبو القاسم ، الوزير الشهير بكافي الكُفاة .

وزر لمؤيَّد الدولة بن ركن الدولة بن بُوَيه ، وقد كان من العِلْم والفضيلة والبراعة والكرم والإحسان إلى العلماء[٣] على جانبٍ عظيمٍ ، كان يبعث في كلِّ سنة إلى بغداد بخمسة آلاف دينار لتفرَّق على أهل العِلْم ، وله اليد الطُّولى في الأدب ، وله مصنفات في فنون من العلم ، واقتنى كتباً كثيرة كانت تحمل على أربعمئة بعير ، ولم يكن في وزراء بني بويه مثله ولا قريب منه في مجموع فضائله ، وقد كانت دولة بني بويه مئة وعشرين سنة ، وكانت وزارته ثمانية عشر سنة وأشهراً ، وفتح خمسين قلعة لمخدومه مُؤَيَّد الدولة ، وابنه فخر الدولة ، بصرامته وشهامته وحسن تدبيره وجودة آرائه .

وكان يحبُّ العلوم الشَّرْعية ، ويبغض الفلسفة وما يشبهها من[٤] الآراء البدعية ، وقد مرض مَرَّةً بالإسهال ، فكان كلما قام عن المطهرة وضع عندها عشرة دنانير لئلا يتبرَّم به الفرَّاشون ، فكانوا يودُّون لو طالت عِلَّته ، ولما عُوفي أنهب داره الفقراء والمساكين ، وكان قيمة ما تحتوي عليه نحواً من خمسين ألف دينار .

وقد سمع الحديث من المشايخ [الجياد][٥] العوالي الإسناد ، وعقد له [في وقت][٥] مجلس للإملاء ، فاحتفل النَّاس بحضوره ، [وحضره وجوه الأمراء][٥] فلما خرج [إليه][٦] لبس زِيَّ الفقهاء ،

---

(١) في (ط) معدني ، وهو تحريف .

(٢) الإمتاع والمؤانسة (١/ ٥٣) يتيمة الدهر (٣/ ١٨٨ ـ ٢٨٦) الفهرست (١٩٤) نزهة الألباء (٣٢٥ ـ ٣٢٧) المنتظم (٧/ ١٧٩ ـ ١٨١) معجم الأدباء (٦/ ١٦٨ ـ ٣١٧) إنباه الرواة (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٣) وفيات الأعيان (١/ ٢٢٨ ـ ٢٣٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥١١ ـ ٥١٤) العبر (٣/ ٢٨) ابن الوردي (١/ ٣١٢) مرآة الجنان (٢/ ٤٢١) لسان الميزان (١/ ٤١٣ ـ ٤١٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٩ ـ ١٧١) بغية الوعاة (١/ ٤٤٩ ـ ٤٥١) شذرات الذهب (٣/ ١١٣ ـ ١١٦) .

(٣) في (ط) زيادة : والفقراء .

(٤) في (ط) زيادة : من علم الكلام والآراء .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

وأشهد على نفسه بالتوبة والإنابة مما يعانيه من أمور السُّلْطان ، وذكر للنَّاس أنه إنما يأكل من حين نشأ وإلى يومه هذا من أموال أبيه وجدِّه[1] ، ولكن كان يخالط السُّلْطان ، وهو تائب مما مارسه من شؤونه . واتخذ بيتاً في داره سمَّاه دار التوبة ، ووضع العلماء خطوطهم بصحة توبته . وحين حدَّث استملى عليه جماعة لكثرة مجلسه ، فكان من جملة من يكتب ذلك اليوم من الطلبة القاضي عبد الجبار الهَمَذاني[2] وأضرابه ومن شابهه من رؤوس الفضلاء ، وسادات المحدثين والفقهاء .

وقد بعث إليه قاضي قَزْوين بهدية كتبٍ سَنيَّة ، وكتب معها :

العَمِيْرِيُّ[3] عبدُ كافي الكُفَاةِ ... وإن اعْتُدَّ[4] في وُجُوهِ القُضاةِ

خَدَمَ المجلسَ الرفيعَ ، بكُتْبٍ ... مُفْعَمَاتٍ من حُسْنِها مُتْرَعاتِ

فلما وصلتْ إليه أخذ منها كتاباً واحداً ، وردَّ باقيها ، وكَتَبَ تحت البيتين :

قد قَبِلْنا من الجميعِ كتاباً ... ورَدَدْنا لِوَقْتِها الباقياتِ

لستُ أستغنمُ الكثيرَ وطبْعي ... قولُ خذْ ، ليس مذهبي قَوْلُ هاتِ

وجلس الوزير ابن عباد مرَّة في مجلس شَرَاب ، فناوله الساقي كأساً ، فلما أراد شربها قال له بعض خُدَّامه : يا سيدي ، إن هذا الذي في يدك مسموم . قال : وما الشاهد على صحة قولك ؟ قال تجرِّبه . قال : فيمن ؟ قال في السَّاقي . قال ويحك لا أستحل ذلك ، قال ففي دجاجةٍ ، قال : إنَّ التمثيل بالحيوان لا يجوز . ثم أمر بصبِّ ما في [ذلك][5] القدح وقال للسَّاقي : لا تدخل داري بعد هذا . ولم يقطع عنه معلومه .

وقد عَمِلَ عليه الوزير أبو الفتح بن ذي الكفايتين حتى عَزَله عن وزارة مُؤَيَّد الدولة [في وقتٍ][6] وباشرها عوضه ، واستمرَّ مُدَّة ، فبينا هو ليلة في بعض أيامه قد اجتمع عنده أصحابه وندماؤه وهو في أتمِّ السُّرور ، قد هيىء له مجلسٌ حافل بأنواع اللَّذَّات من المآكل والمشارب والملابس والتحف ، وقد نَظَمَ أبياتاً والمغنون يلحنونها ، وهو في غاية الطَّرب والسُّرور ، وهي هذه الأبيات :

دعوتُ الهنا ودعوتُ العُلا[7] ... فلما أجابا دَعَوْتُ القَدَحْ

---

(١) في (ط) زيادة : مما ورثه منهم .

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (١١/ ١١٣ ـ ١١٥) وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) .

(٣) هو قاضي قزوين ، انظر المنتظم (٧/ ١٨٠) ومعجم الأدباء (٦/ ٢٥٢) .

(٤) في (ح) و(ب) : اعتل ، وفي (ط) : أعقل ، والمثبت من المنتظم ومعجم الأدباء .

(٥) ما بين حاصرتين من (ط) و(ب) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٧) في إحدى نسخ المنتظم (٧/ ١٧٩) : الظلا .

وقُلْتُ لأيَّامِ شَرْخِ الشَّباب ... إلـيَّ فهـذا أوانُ الفَـرَحْ
إذا بَلَـغَ المَـرْءُ آمـالَـهُ ... فليسَ لـهُ بعـدهـا مُنْتَـزحْ

ثم قال لندمائه : باكروني غداً إلى الصَّبُوح ، ونهض إلى بيت منامه ، فما أصبح حتى قبض عليه مُؤَيَّد الدولة ، وأخذ جميع ما في داره من الحواصل والأموال ، وجعله مُثْلَةً في العباد ، وأعاد إلى وزارته ابنَ عَبَّاد .

وقد ذكر ابنُ الجوزي أن ابن عباد [لما][1] حَضَرَتْه الوفاة جاءه الملك فخرُ الدولة بن مؤيد الدولة يعوده ليوصيه في أموره فقال له : إني موصيك أن تستمرَّ بالأمور على ما تركتها عليه ، ولا تغيرها ، فإنك إن استمريت بها نُسبت إليك من أول الأمر إلى آخره ، وإن غيَّرْتها ، وسلكت غيرَها نسبت هي والخير المتقدِّم إليَّ لا إليك ، وأنا أحبُّ أن تكون نسبةُ الخير إليك ، وإن كنتُ أنا المشير بها عليك . فأعجبه منه ذلك ، واستمرَّ بما أوصاه به من الخير ، وكانت وفاته في عشية يوم الجمعة لستٍّ بقين من صفر[2] .

قال ابنُ خلِّكان : وهو أول من سُمِّيَ من الوزراء بالصَّاحب ، ثم استعمل بعده فيهم ، وإنما سُمي بذلك لكثرة صحبته الوزير أبي الفَضْل بن العميد ، فكان يقال له صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه أيام وزارته . وقال الصَّابىء في كتابه « التاجي » : إنما سمَّاه الصَّاحب مؤيدُ الدولة بن بويه لأنه كان صاحبه من الصِّغر ، فكان يسميه الصَّاحب ، فلما ملك واستوزره سمَّاه الصاحب فاستمر به ، وتسمى به الوزراء بعده[3] .

ثم ذكر ابنُ خلِّكان قطعةً صالحة من مكارمه وفضائله وثناء الناس عليه ، وعدَّد له مصنفات كثيرة ، منها كتابه « المحيط » في اللغة في سبعة مجلدات ، يحتوي على أكثر اللغة ، وأورد من شعره أشياء منها قوله ـ وهو صنيع لطيف ـ :

رَقَّ الـزُّجـاجُ ورَقَّـتِ الخَمْـرُ ... وتشـابهـا فَتَشَـاكَـلَ الأمْـرُ
فكـأنَّمـا خَمْـرٌ ولا قَـدَحٌ ... وكـأنّمـا قَـدَحٌ ولا خَمْـرٌ

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٢) انظر المنتظم (٧/ ١٨١) .
قلت : وحين توفي الصاحب أنفذ فخر الدولة من احتاط على ماله وداره ، ونقل جميع ما فيها إليه ، ثم قبض على أصحاب ابن عباد ، ذكر ذلك كله ابن الأثير في كامله (٩/ ١١٠ ـ ١١١) وقال : فقبح الله خدمة الملوك ، هذا فعلهم مع من نصح لهم ، فكيف مع غيره !
(٣) انظر وفيات الأعيان (١/ ٢٢٩) .

قال ابنُ خلّكان : وكانت وفاته بالرَّي في هذه السَّنة ، وله نحو ستين سنة ، ونُقِلَ إلى أصبهان ، رحمه الله تعالى[١] .

الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد[٢] : أبو محمد الأديب .

كان شاعراً متمولاً[٣] كثير المكارم ، [روى عن علي بن محمد بن سعيد المَوْصلي ، وعنه الصُّوري وكان صدوقاً][٤] . وهو الذي أنزل المتنبي في داره حين قدم بغداد ، وأحسن إليه ، وأجرى عليه النفقات حتى قال له المتنبي : لو كنتُ مادحاً تاجراً لمدحتك .

وقد كان أبو محمد هذا شاعراً ماهراً ، فمن جيد شعره قوله :

شريتُ المعالي غير مُنْتَظر بها كساداً ولا سوقاً تقام لها أُخرى
وما أنا منْ أهْلِ المكاسبِ[٥] كلَّما تَوفَّرَتِ الأثمانُ كُنْتُ لها أشْرَى

ابن شاهين الواعظ[٦] ، عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن أيوب بن زذان[٧] : أبو حَفْص بن شاهين المشهور .

سمع الكثير ، وحدَّث عن الباغَنْدي ، وأبي بكر بن أبي داود ، والبَغَوي ، وابن صاعد ، وخَلْق . وكان ثِقَةً أميناً ، يسكن الجانب الشَّرْقي من بغداد ، وكانت له المصنَّفات العديدة المفيدة . ذُكر عنه أنه صنف ثلاثمئة وثلاثين مصنفاً ، منها « التفسير » في ألف جُزْء ، و « المُسْند » في ألف وخمسمئة جُزْء ، و « التاريخ » في مئة وخمسين جُزءاً ، و « الزهد » في مئة جُزْء . وكانت وفاته في ذي الحجَّة وقد قارب التسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

الحافظ الدَّارَقُطْني[٨] : أبو الحسن ، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله

---

(١) المصدر السابق .
(٢) تاريخ بغداد (٣/ ٣٠٤) المنتظم (٧/ ١٨١ ـ ١٨٢) .
(٣) في (ط) متجولاً ، وهو تحريف .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) ، وانظر المنتظم (٧/ ١٨١) .
(٥) في تاريخ بغداد والمنتظم : المكاس ، لا يتزن البيت به .
(٦) تاريخ بغداد (١١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٨) المنتظم (٧/ ١٨٢ ـ ١٨٣) وتاريخ الإسلام (٨/ ٥٧٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٨٧ ـ ٩٩٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٣١ ـ ٤٣٤) العبر (٣/ ٢٩ ـ ٣٠) مرآة الجنان (٢/ ٤٢٦) غاية النهاية (١/ ٥٨٨) لسان الميزان (٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٧٢) طبقات الحفاظ (٣٩٢) طبقات المفسرين للداودي (٣/ ٢) شذرات الذهب (٣/ ١١٧) .
(٧) في تاريخ بغداد والمنتظم والسير وخط الذهبي في تاريخ الإسلام : « أزداذ » .
(٨) تاريخ بغداد (١٢/ ٣٤ ـ ٢٤٧) المنتظم (٧/ ١٨٣ ـ ١٨٤) معجم البلدان (٢/ ٤٢٢) الأنساب (٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٧) اللباب (١/ ٤٨٣) وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٩١ ـ ٩٩٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٩ ـ ٤٦١)=

الدارقطني الحافظ الكبير ، أستاذ هذه الصِّناعة في زمانه ، وقبلها بمدَّة وبعدها إلى زماننا هذا .

سمع الكثير ، وجمع وصنَّف وألَّف وأجاد وأفاد ، وأحسن النظر والتعليل والانتقاء والانتقاد ، وكان فريد عصره ، ونسيج وَحْدِه ، وإمام أهل دهره في أسماء الرجال ، وصناعة التعليل ، والجرح والتعديل ، وحسن التصنيف والتأليف ، واتِّساع الرِّواية ، والاطلاع التام في الدِّراية ، له كتاب « السنن » الكبير المشهور ، من أحسن المصنفات في بابه ، لم يسبق إلى مثله ولا يلحق في شكله إلا من استمدَّ من بحره وعمل كعمله ، وله كتاب « العلل » بيَّن فيه الصَّواب من الزلل ، والمتصل من المُرْسل والمنقطع والمُعْضل ، وكتاب « الأفراد » الذي لا يفهمه ، فضلاً عن أن ينظمه ، إلا من هو من الحفَّاظ الأفراد ، والأئمة النُّقَّاد ، [والجهابذة الجياد][1] ، وله غير ذلك من المُصنَّفات التي هي كالعقود في الأجياد ، وقد كان الدارقطني من صغره موصوفاً بالحفظ الباهر ، [والذهن الثَّاقب الماهر][2] ، جلس مَرَّة في مجلس إسماعيل الصَّفَّار وهو يملي على النَّاس الأحاديث ، والدَّارقُطني ينسخ في جزء حديث ، فقال له بعض المحدِّثين في أثناء المجلس : إن سماعك لا يصح وأنت تنسخ . فقال الدَّارقُطني : فهمي للإملاء خلاف فهمك ، أتحفظ كم أملى حديثاً ؟ قال : لا . فقال : إنه أملى ثمانية عشر حديثاً إلى الآن ، فالحديث الأول منها عن فلان عن فلان ، ثم ساقها كلها بأسانيدها ، فتعجَّب الناس من ذلك .

وقد قال الحاكم أبو عبد الله النَّيسابوري : لم ير الدَّارَقُطْني مثل نفسه .

وقال ابنُ الجَوزي : وقد اجتمع له مع معرفة الحديث والعلم بالقراءات والنحو والفقه والشِّعْر مع الإمامة والعدالة ، وصحَّة العقيدة ، وقد كانت وفاته يوم الثلاثاء سابع ذي القَعْدة من هذه السنة ، وله من العمر تسع وسبعون سنة ويومان ، ودفن من الغد بمقبرة معروف الكرخي[3] .

قال ابن خلِّكان : وقد رحل إلى الدِّيار المصرية ، فأكرمه الوزير أبو الفَضْل جعفر بن الفضل بن حِنْزَابة[4] وزير كافور الإخشيدي ، وساعده هو والحافظ عبد الغني على إكمال مسنده ، فحصل للدارقطني منه مالٌ جزيل .

قال : والدَّارَقُطْني نسبة إلى دار القُطْن ، وهي مَحلَّة كبيرة ببغداد ، وقال عبد الغني بن سعيد[5] : لم

= طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٦٢ ـ ٤٦٦) طبقات الإسنوي (١/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩) غاية النهاية (١/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) النجوم الزاهرة (٤/ ١٧٢) طبقات الحفاظ (٣٩٣ ـ ٣٩٤) شذرات الذهب (٣/ ١١٦ ـ ١١٧) .

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) وفي (ط) : والفهم الثاقب والبحر الزاخر .

(٣) انظر المنتظم (٧/ ١٨٤) .

(٤) سترد ترجمته في حوادث سنة (٣٩١هـ) .

(٥) وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨) وعبد الغني بن سعيد الأزدي المصري ، حافظ مصر في عصره ، سترد ترجمته في وفيات سنة (٤٠٩هـ) من هذا الجزء .

يتكلَّم على الأحاديث مثل علي بن المَديني في زمانه ، وموسى بن هارون في زمانه ، والدَّارَقُطْني في زمانه . وسُئِلَ الدَّارَقُطني : هل رأى مثل نفسه ؟ قال : أما في فنٍ واحدٍ فربما رأيتُ من هو أفضل مني ، وأما فيما اجتمع فيَّ من الفنون[١] فلا .

وقد روى الخطيب البغدادي عن الأمير أبي نصر هبة الله بن ماكُولا قال : رأيتُ في المنام كأني أسأل عن حال أبي الحسن الدَّارَقُطْني ، وما آل إليه أمره في الآخرة ، فقيل لي : ذاك يُدْعى في الجنَّة الإمام[٢] .

عبَّاد بن عباس بن عباد : أبو الحسن الطَّالقَاني ، والد الوزير [إسماعيل][٣] بن عباد [المتقدم ذكره][٤] .

سمع أبا خليفة الفَضْل بن الحُباب[٥] وغيره من البغداديين والأصفهانيين والرَّازيين [وغيرهم][٦] ، وحدَّث عنه ابنه الوزير أبو القاسم[٧] ، وأبو بكر بن مَرْدُويه . ولعبَّاد هذا كتابٌ في « أحكام القرآن » ، وقد اتفق موته وموت ابنه في هذه السنة ، رحمهما الله .

عقيل بن محمد بن عبد الواحد[٨] : أبو الحسن ، الأحنف العُكْبَري ، الشَّاعر المشهور ، له ديوان مفرد ، ومن مستجاد شعره ما ذكره الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في « المنتظم » :

أقْضَى عليَّ من الأَجَلْ ... عَذْلُ العَذُول إذا عَذَلْ
وأشدُّ من عَذْلِ العَذُو ... لِ صُدُودُ إلفٍ قد وَصَلْ
وأشدُّ مِنْ هذا وذا ... طَلَبُ النَّوَالِ من السَّفَلْ

ومن شعره الجيد قوله أيضاً :

من أرادَ المُلْكَ[٩] والرَّا ... حَةَ مِنْ هَمٍّ طويلِ
فَلْيَكُنْ فَرْداً من النَّا ... سِ وَيَرْضَى بالقَلِيْلِ

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٨) .
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) . وانظر وفيات سنة (٣٨٣هـ) .
(٥) انظر حاشيتنا على وفيات سنة (٣٠٥هـ) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٧) في (ط) : أبو الفضل قاسم ، وهو وهم .
(٨) المنتظم (٧/ ١٨٥ ـ ١٨٦) .
(٩) في (ط) العز ، وهو تحريف .د

ويـــرى أنَّ قليـــلاً	نـافعـاً غيـرُ قليـلِ[١]
ويـرى بـالحَـزْمِ أنَّ الـ	ـحزمَ فـي تَـرْكِ الفُضُـولِ
ويـداوي مَـرَضَ الـوَحْـ	ـدةِ بـالصَّبْـرِ الجَمِيْـلِ
لا يمـاري أحـداً مـا	عـاشَ فـي قـالٍ وقيـلِ
يلـزمُ الصَّمْـتَ فـإنَّ الصَّـ	ـمتَ تَهْـذيْـبُ العُقُـولِ
يَـذَرُ الكِبْـرَ لأهليـ	ـه وَيَـرْضى بـالخُمـولِ[٢]
أيُّ عَيْـشٍ لامـرىءٍ يُصْـ	ـبحُ فـي حـالٍ ذليـلِ
بيـنَ قَصْـدٍ مـنْ عـدُوٍ	ومـداراةِ جَهُـولِ
واعتـلالٍ مـنْ صـديـقٍ	وتَجَـنٍّ مـن مَلُـولِ
واحْتِـراسٍ مـنْ ظُنـونِ السُّـ	ـوءِ مَـعْ عَـذْلِ العَـذُولِ
ومماشـاةِ بغيـضٍ	ومقـاسـاةِ ثقيـلِ[٣]
أُفٍّ مـن مَعْـرِفـةِ النَّـا	سِ علـى كـلِّ سبيـلِ
وتمـامُ الأمـرِ لا تَعْـ	ـرفُ سَمْحاً مـن بخيـلِ
فـإذا أكْمَلْـتَ هـذا	عِشْـتَ فـي مُلْـك جليـلِ[٤]

محمد بن عبد الله بن سُكَّرة[٥] ، أبو الحسن[٦] الهاشمي : من ولد علي بن المهدي .

---

(١) في (ط) :

ويـرى أَنْ سيـرى	كـافيـاً عمـا قليـلِ

(٢) في (ط) :

يـذر الكبـر لأهـل الـ	ـكبر ويرضى بالخمولِ

وهو غير متزن .

(٣) في (ط)

ومقـاسـاة بغيـضٍ	ومـداراة ثقيـل

(٤) في (ط) :

فـإذا أكمـل هـذا	كـان فـي ظلٍّ ظليـلِ

وفي « المنتظم » :

وإذا أكمـل هـذا	كـان فـي مُلْكٍ جليـل

وانظر المنتظم (٧/ ١٨٥ ـ ١٨٦) .

(٥) تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٥) المنتظم (٧/ ١٨٦) وفيات الأعيان (٤/ ٤١٠ ـ ٤١٣) الوافي بالوفيات (٣/ ٣٠٨) العبر للذهبي (٣/ ٣٠) شذرات الذهب (٣/ ١١٧) .

(٦) في (ح) و (ب) و (ط) : أبو الحسين ، وما أثبتناه من مصادر ترجمته .

وكان شاعراً أديباً خليعاً ظريفاً ، وكان ينوب في نقابة الهاشميين ، فترافع إليه رجل اسمه علي وامرأة اسمها عائشة يتحاكمان في جَمَلٍ ، فقال : هذه قضية لا أحكم فيها بشيء لئلا تعود الحال جذعة .

ومن مستجاد شعره ولطيف قوله :

فـي وجـهِ إنسـانـةٍ كَلِفْـتُ بهـا ... أربعـةٌ مـا اجْتَمَعْـنَ فـي أَحَـدِ

الـوجـهُ بَـدْرٌ والصُّـدْغُ غـاليـةٌ[1] ... والـرِّيـق خمـرٌ والثَّغْـرُ مـن بَـرَدِ

ومن مجون شعره وقد دخل حماماً ، فسرق نعلاه ، [فعاد إلى منزله وهو حافٍ][2] فقال :

إليـكَ أذمُّ حمَّـامَ ابـنِ مُـوسـى ... وإن فـاقَ المُنَـى طِيْبـاً وحَـرّا

تَكـاثَـرَتِ اللُّصُـوصُ عليـهِ حتـى ... لَيَحْفَـى مـن يطيـفُ بـه ويَعْـرَى

ولـم أفْقِـدْ بـه ثَـوْبـاً ولكـنْ ... دَخَلْتُ محمداً[3] وخَرَجْتُ بِشْراً[4]

يوسف بن عمر بن مسرور[5] : أبو الفتح ، القَوَّاس .

سمع البغوي وابن أبي داود وابن صاعد وغيرهم ، وعنه الخلال [والعُشاري][6] والتَّنوخي [وغيرهم][7] ، وكان ثقةً نبيلاً ، يُعدُّ من الأبدال . قال الدَّارَقُطني : كنا نتبرك به وهو صغير . وكانت وفاته لثلاثٍ بقين من ربيع الآخر عن خمسٍ وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب ، رحمه الله تعالى .

يوسف بن أبي سعيد[8] السِّيْرَافي : أبو محمد ، النَّحْوي بن النحوي .

وهو الذي تمَّم شرح أبيه لكتاب سيبويه[9] ، وكان يرجع إلى علْمٍ ودين ، كانت وفاته في

---

(١) الغالية : نوع من الطيب .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) يعني نفسه .

(٤) هو بشر الحافي الزاهد المشهور . وقوله : من مجون شعره ، ربما يعني في غير هذه الأبيات من القصيدة .

(٥) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٢٥ ـ ٣٢٧) الأنساب (١٠/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٧٤ ـ ٤٧٦) العبر (٣/ ٣١) شذرات الذهب (٣/ ١١٩) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وسترد ترجمة العشاري في وفيات سنة (٤٥١هـ) من هذا الكتاب ، انظر الأنساب (٨/ ٤٥٩) .

(٧) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٨) سلفت ترجمة أبيه أبي سعيد في وفيات سنة (٣٦٨هـ) وترجمة أبي محمد في المنتظم (٧/ ١٨٧) معجم الأدباء (٢٠/ ٦٠) .

(٩) في معجم الأدباء (٢٠/ ٦٠) أنه تمَّم لأبيه غير كتاب من كتبه ، وقد طبع كتاب « شرح أبيات سيبويه » في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٦م بتحقيق الدكتور محمد علي سلطاني معزواً إلى يوسف هذا ، وقد استفاد ابن كثير هذه الترجمة من ابن الجوزي في المنتظم (٧/ ١٨٧) ومن ثم لم ينفرد ابن كثير في هذه التتمة كما ذهب إلى ذلك الدكتور سلطاني في مقدمته (ص٢٢) .

ربيع الأول منها عن خمسٍ وخمسين سنة . رحمه الله تعالى وإيانا بمنّه وكرمه .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمئة

في المحرم من هذه السنة كشف أهلُ البَصْرة عن قبرٍ عتيق ، إذ هُمْ بميت طَرِي عليه سيفه وثيابه ، فظنُّوه الزُّبير بن العَوَّام ، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه ، واتخذوا عند قبره مسجداً ، ووُقِفَتْ عليه أوقافٌ كثيرة ، وجعل عنده خدام وقُوَّام وفُرُش وتنوير .

وفيها ملك الحاكم العُبيدي بلاد مِصْر بعد أن هلك أبوه العزيز بن المعز الفاطمي ، وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة وستة أشهر ، وقام بتدبير المملكة أرجوان الخادم ، وأمين الدولة الحسن بن عمار شيخ كتامة ، فلما تمكن الحاكم [قتلهما][١] وأقام غيرهما ، وقتل خلقاً حتى استقام له الأمر على ما سنذكره .

[وحجَّ بالنَّاس في هذه السنة المصريون والخطبة لهم][٢] .

توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن إبراهيم[٣] بن محمد بن يحيى بن سختويه : أبو حامد بن أبي إسحاق المُزكِّي النَّيسابوري . سمع الأصم وطبقته ، وكان كثير العبادة من صغره إلى كبره ، وصام من دَهْره سَرْداً تسعاً وعشرين سنة .

قال الحاكم : وعندي أن الملك لم يكتب عليه خطيئة . توفي في شعبان من هذه السنة عن ثلاثٍ وستين سنة .

أبو طالب المَكِّي[٤] : صاحب « قوت القلوب »[٥] . محمد بن علي بن عطية ، الواعظ المذكِّر ، الزَّاهد المتعبد ، الرَّجل الصَّالح . سمع الحديث وروى عن غير واحد .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) تاريخ بغداد (٤/ ٢٠ ـ ٢١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧) .

(٤) تاريخ بغداد (٣/ ٨٩) المنتظم (٧/ ١٨٩ ـ ١٩٠) وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧) العبر (٣/ ٣٣ ـ ٣٤) ميزان الاعتدال (٣/ ٦٥٥) الوافي بالوفيات (٤/ ١١٦) مرآة الجنان (٢/ ٤٣٠) العقد الثمين (٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩) لسان الميزان (٥/ ٣٠٠) النجوم الزاهرة (٤/ ١٧٥) شذرات الذهب (٣/ ١٢٠ ـ ١٢١) .

(٥) الكتاب مشهور متداول ، طبع غير مرة ، وقد كانت طبعته الأولى بمصر سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م .

قال العتيقي : كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة ، وصنَّف كتاباً سماه « قوت القلوب » ، ذكر فيه أحاديث لا أصل لها ، وكان يعظ النَّاس في الجامع ببغداد .

وحكى ابنُ الجوزي أن أصله من الجبل ، وأنه نشأ بمكة ، وأنه دخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم ، فانتمى إلى مقالته ، ودخل بغداد فاجتمع عليه النَّاس ، وعقد له مجلسُ الوعظ ، فغلط في كلامه ، وحُفِظَ عنه أنه قال : ليس على المخلوقين أَضَرَّ من الخالق . فبدَّعه الناس وهجروه ، وامتنع من الكلام على الناس[1] .

وقد كان أبو طالب ممن يبيح السَّماع ، فدخل عليه عبد الصَّمد بن علي ، فعاتبه في ذلك ، فأنشد أبو طالب :

فيا ليلُ كم فيكَ من مُتعةٍ[2] ويا صُبْحُ لَيْتَكَ لم تَقْرُبِ

فخرج عبد الصمد مُغْضَباً .

وقال أبو القاسم بن بشران : دخلت على شيخنا أبي طالب المكي وهو يموت ، فقلتُ : أوص . فقال : إذا ختم لي بخيرٍ ، فانثر على جنازتي لَوْزاً وسُكَّراً . فقلت : كيف أعلم ذلك ؟ فقال : اجلس عندي ويدك في يدي ، فإن قبضتُ على يدك فاعلم أنه قد خُتِمَ لي بخير . قال : فجلست عنده ويدي في يده ، فلما حان فراقه ، قبض على يدي قبضاً شديداً ، فلما رفع على جنازته نثرت اللوز والسُّكَّر على نعشه .

قال ابنُ الجوزي : توفي في جُمادى الآخرة من هذه السنة ، وقبره ظاهر بالقرب من جامع الرّصافة .

العزيز بن المعز الفاطمي صاحب مِصْر[3] : نزار بن المعز مَعَد أبي تميم ، ويكنى نزار هذا بأبي منصور ، ويلقب بالعزيز ، توفي عن ثنتين وأربعين سنة ، منها ولايته بعد أبيه إحدى وعشرون سنة ، وخمسة أشهر وعشرة أيام ، وقام بالأمر من بعده ولده الحاكم ـ قبحه الله ـ والحاكم هو الذي تنسب إليه الفرقة الضَّالَّة المضلة الزنادقة الحاكمية .

أما العزيز هذا فإنه كان قد استوزر رجلاً نَصْرانياً يقال له عيسى بن نسطورس ، وآخر يهودياً اسمه ميشا ، فَعَزَّ بسببهما أهل هاتين المِلَّتين في ذلك الزَّمان على المسلمين ، حتى كتبت إليه امرأةٌ في قصة وقد

---

(١) المنتظم (٧/ ١٨٩) .

(٢) في (ط) : متعب ، وهو تصحيف .

(٣) المنتظم (٧/ ١٩٠) الكامل (٨/ ٣٦٣) وما بعدها ، البيان المغرب (١/ ٢٢٩) وما بعدها ، وفيات الأعيان (٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٦) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٦٧ ـ ١٧٣) العبر (٣/ ٣٤) خطط المقريزي (١/ ٣٥٤) النجوم الزاهرة (٤/ ١١٢ ، ١٢٥) تاريخ ابن إياس (١/ ٤٨ ـ ٥٠) شذرات الذهب (٣/ ١٢١) .

أحيجت في بعض الأمر تقول له[١] : بالذي أَعزَّ النصارى بعيسى بن نسطورس ، واليهود بميشا وأذَلَّ المسلمين بك إلا ما كشفت عن ظُلامتي . فعند ذلك أمر بالقبض على هذين الوزيرين ، وأخذ من النَّصْراني[٢] ثلاث مئة ألف دينار[٣] .

وفيها توفيت بنت عضد الدولة التي كانت زوجة الطائع ، فَحُمِلَتْ تركتها إلى ابن أخيها بهاء الدولة ، وكان فيها جواهر كثيرة وتحف ولطائف ، وغير ذلك .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمئة

فممن توفي فيها من الأعيان :

فخر الدولة أبو الحسن ، علي بن ركن الدولة بن بُوَيه ، ورتِّبَ ولده رُسْتم في الملك بعده وعمره أربع سنين ، وقام خواصُّ أبيه بتدبير الممالك والرعايا .

[وممن توفي فيها][٤] :

أبو أحمد العَسْكري اللُّغوي[٥] : وهو الحسن بن عبد الله بن سعيد .

العلامة في فَنِّه وتصانيفه المفيدة في اللُّغة وغيرها ، يقال إنه كان يميل إلى الاعتزال ، ولما قَدِمَ الصَّاحب بن عَبَّاد هو وفخر الدولة البلدة التي كان فيها أبو أحمد العسكري ـ وكان قد كبر وأسن ـ بعث إليه الصاحب بن عباد برقعة فيها هذه الأبيات :

ولمـــا أَبَيْتُـــمْ أنْ تَـــزُوروا وقُلْتُـــمْ ضَعُفْنا فما نقوى على الوَخَدَانِ[٦]
أتينـاكُـم مـنْ بُعْـدِ أرضٍ نَـزُوْرُكُـمْ فكـم مَنْـزِلٍ بِكْـرٍ لنـا وَعَـوانِ
نناشِـدُكُـمْ هـلْ مـن قِـرىً لِنَـزِيْلِكُـمْ بطـولِ جـوارٍ لا بمِـلْءِ جِفَـانِ

---

(١) في (ب) و (ط) ، : في حاجة لها تقول له .
(٢) في (ط) النصارى ، وهو تحريف .
(٣) انظر المنتظم (٧/ ١٩٠) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و (ط) .
(٥) ذكر أخبار أصبهان (١/ ٢٧٢) الأنساب (٨/ ٤٥٢) المنتظم (٧/ ١٩١) معجم ادباء (٨/ ٢٣٣ ـ ٢٥٨) معجم البلدان (٤/ ١٢٤) إنباه الرواة (١/ ٣١٠ ـ ٣١٢) اللباب (٢/ ٣٤٠) وفيات الأعيان (٢/ ٨٣ ـ ٨٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤١٣ ـ ٤١٥) العبر (٣/ ٢٠) الوافي بالوفيات (١٢/ ٧٦ ـ ٧٧) مرآة الجنان (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦) النجوم الزاهرة (٤/ ١٦٣و١٩٦) بغية الوعاة (١/ ٥٠٦) شذرات الذهب (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣) .
(٦) الوخدان : الإسراع أو سعة الخطو . القاموس (وخد) .

فكتب العسكري الجواب في ظهرها :

أروم نهوضاً ثم يثني عزيمتي ... تعوُّد أعضائي من الرجفان
فضمَّنْتُ بيتَ ابنِ الشَّريد[١] كأنَّما ... تعمَّدَ تشبيهي[٢] به وعَنَاني
أهُمُّ بأمْرِ الحَزْمِ لا أستطيعهُ ... وقد حِيْلَ بين العَيْرِ والنَّزَوانِ

ثم تحامل وركب بغلته وسار إلى الصَّاحب ، فوجده مشغولاً في خيمته بأمر الوِزارة ، فصَعِدَ أكمةً ، ثم نادى بأعلى صوته متمثلاً بقول أبي تمام :

ما لي أرى القُبَّةَ الفَيْحاءَ مُقْفَلَةً ... دوني وقد طالما استفتحتُ مُقْفَلَها
كأنَّها جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مُعْرِضةً ... وليسَ لي عَمَلٌ زاكٍ فأدْخُلَها[٣]

فلما سمع الصاحبُ صوته ناداه : ادخلها يا أبا أحمد ، فلك السابقة الأُولى . فلما صار إليه وقدم عليه أكرمه وعظَّمه وأحسن إليه .

توفي العسكري في يوم التروية من هذه السنة[٤] .

وقال ابن خَلِّكان : ولد سنة ثنتين وتسعين ومئتين ، وتوفي سنة ثنتين وثمانين [وثلاثمئة][٥] .

عبد الله بن محمد بن عبد الله[٦] بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن مهران : أبو القاسم الشَّاهد[٧] ، المعروف بابن الثَّلاَّج ، لأن جدَّه أهدى لبعض الخلفاء ثلجاً ، فوقع منه موقعاً ، فَعُرِف عند الخليفة بالثَّلاَّج .

وقد سمع أبو القاسم هذا من البغوي وابن صاعد وابن أبي داود[٨] ، وحدَّث عنه التنوخي والأزهري والعتيقي[٩] وغيرهم من الحُفَّاظ .

---

(١) في (ح) و(ب) و(ط) والمنتظم : الرشيد ، وهو تحريف ، وابن الشريد هو صخر أخو الخنساء ، والبيت له ، انظر الأغاني (١٥/ ٧٨ ـ ٧٩) .
(٢) في (ح) : تضمن ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٣) انظر ديوان أبي تمام بشرح التبريزي (٣/ ٤٨) .
(٤) انظر المنتظم (٧/ ١٩١ ـ ١٩٢) .
(٥) وفيات الأعيان (٥/ ٨٤) وفيه أنه ولد سنة (٢٩٣هـ) ، وما بين حاصرتين من (ب) ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٨٢هـ) .
(٦) تاريخ بغداد (١٠/ ١٣٥ ـ ١٣٨) المنتظم (٧/ ١٩٢ ـ ١٩٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٦١ ـ ٤٦٢) العبر (٣/ ٣٤) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٩٧) لسان الميزان (٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) شذرات الذهب (٣/ ١٢٢) .
(٧) في (ط) الشاعر ، وهو تحريف .
(٨) في (ط) : أبي داود ، وهو خطأ .
(٩) في (ط) العقيقي ، وهو تصحيف .

قال ابن الجَوْزي : وقد اتهمه المحدِّثون ، منهم الدَّارَقُطْني ونسبوه إلى أنه كان يركب الإسناد ويضع الحديث على الرجال ، فالله أعلم ، كانت وفاته في ربيع الأول فجأة .

ابن زُولاق[١] ، الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خالد[٢] بن راشد بن عبد الله[٣] بن سليمان بن زولاق ، أبو محمد المِصْري الحافظ .

صنف كتاباً في قضاة مصر ذيَّل به على كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكِنْدي ، انتهى الكندي إلى سنة ست وأربعين ومئتين ، وذيل ابن زولاق من القاضي بكار إلى سنة ستٍّ وثمانين وثلاثمئة ، وهي أيام محمد بن النعمان قاضي العبيديين ، وأظنُّه مصنف كتاب البلاغ الذي انتصر للرد عليه القاضي الباقلاني[٤] ، أو هو أخو مصنفه عبد العزيز بن النعمان ، والله أعلم . كانت وفاة ابن زُولاق في أواخر ذي القعدة من هذه السَّنة[٥] عن إحدى وثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

ابن بطَّة عبيد الله بن محمد [بن محمد][٦] بن حمدان[٧] : أبو عبد الله العُكْبَرِي ، المعروف بابن بَطَّة ، أحدُ علماء الحنابلة ، ومن له الكتب والتصانيف الحافلة في فنون من العلوم .

سمع الحديث من البغوي وأبي بكر النَّيْسابوري وابن صاعد وخلق في أقاليم متعدِّدة ، وعنه جماعة من الحُفَّاظ ، منهم أبو الفتح بن أبي الفوارس ، والأَزَجي والبَرْمكي ، وأثنى عليه غير واحد من الأئمة ، وكان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد رأى بعضُهم في المنام رسولَ الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه قد اختلفت علينا المذاهب . فقال : عليك بأبي عبد الله بن بَطَّة . فلما أصبح ذهب إليه ليبشره بالمنام ، فحين رآه ابنُ بطة تبسَّم إليه وقال له ـ قبل أنْ يخاطبه ـ : صدق رسول الله ﷺ ، ثلاث مرات .

وقد تصدَّى الخطيب البغدادي للكلام في ابن بطة والطعن فيه بسبب ادعائه سماع السنن لرجاء بن

(١) معجم الأدباء (٧/ ٢٢٥ ـ ٢٣٠) وفيات الأعيان (٢/ ٩١ ـ ٩٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣) الوافي بالوفيات (١١/ ٣٧٠) لسان الميزان (٢/ ١٩١) حسن المحاضرة (١/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤) .

(٢) في معجم الأدباء (٧/ ٢٢٥) : خلف .

(٣) في (ط) : عبد الله ، وهو تحريف .

(٤) في (ط) : الذي صنف البلاغ الذي انتصب فيه للرد على القاضي الباقلاني ، وهي عبارة محرَّفة .

(٥) ترجمه الذهبي في تاريخه مرتين ، الأولى في وفيات سنة ٣٨٦هـ (٨/ ٥٩١) ، والثانية في وفيات سنة سبع وثمانين هذه (٨/ ٦٠٧) ، وذكر في الترجمتين أنه توفي في ذي القعدة (بشار) .

(٦) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧١) ومظان ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧١ ـ ٣٧٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٧٣) طبقات الحنابلة (٢/ ١١٤ ـ ١٥٣) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩ ـ ٥٣٣) العبر (٣/ ٣٥) ميزان الاعتدال (٣/ ١٥) لسان الميزان (٤/ ١١٢ ـ ١١٥) شذرات الذهب (٣/ ١٢٢ ـ ١٢٤) .

(٧) في (ط) حمران ، وهو تصحيف .

مرجّى ومعجم البغوي ، وأسند بعضَ الجرح إلى شيخه عبد الواحد بن علي الأسدي المعروف بابن برهان اللُّغوي[١] ، فانتدب ابنُ الجوزي للرَّدِّ على الخطيب ، والانتصار لابن بطَّة ، فحكى عن أبي الوفا بن عقيل أن ابن برهان كان يرى مذهب مرجئة المعتزلة ، في أنَّ الكُفَّار لا يخلدون في النار ، وإنما قالوا هذا لأن دوام ذلك ممن لا يتشفى لا معنى له ، هذا وقد وصف نفسه بأنه أرحم الراحمين . ثم شرع ابن عقيل فردَّ عليه .

قال ابن الجوزي : فكيف يُقبل الجَرْح من مثل هذا ؟ . ثم روى ابن الجوزي بسنده عن ابن بطة أنه سمع المعجم من البغوي ، قال : والمثبتُ مقدَّم على النافي[٢] .

قال الخطيب : وحدَّثني عبد الواحد بن برهان قال : قال محمد بن أبي الفوارس : روى ابنُ بطة عن البغوي عن مصعب عن مالك عن الزُّهْري عن أنس . قال : قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم » . قال الخطيب : وهذا باطلٌ من حديث مالك ، والحمل فيه على ابن بطة[٣] .

قال ابن الجوزي : والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما أنه وجد بخط ابن برهان أن ما حكاه عنه الخطيب من القدح في ابن بطة باطل ، وهو شيخي أخذت عنه العلم في البداية ، الثَّاني أن ابن برهان قد تقدَّم القدح فيه بما خالف فيه الإجماع ، فكيف قبلت منه القول في رجلٍ قد حكيت عن المشايخ العلماء أنه مجاب الدعوة رجل صالح ، نعوذ بالله من الهوى[٤] .

علي بن عبد العزيز بن مَرْدَك[٥] : أبو الحسن البَرْذعي ، روى عن ابن أبي حاتم وغيره ، وكان كثير المال ، فترك الدُّنيا وأقبل على الاعتكاف في المسجد ، وكثرة الصَّلاة والعبادة .

فخر الدولة علي بن ركن الدولة بن بُوَيْه الدَّيْلمي .

ملك بلاد الرَّي ونواحيها ، وحين مات أخوه مُؤَيَّد الدولة كتب إليه الصاحب ابن عبَّاد بالإسراع إليه ، فولَّاه الملك بعد أخيه ، واستوزر ابن عَبَّاد على ما كان عليه في أيام أخيه مؤيد الدولة ، وتوفي عن ستٍّ وأربعين سنة ، منها مدة ملكه ثلاثة عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة عشر يوماً ، وترك من الأموال شيئاً كثيراً ، من ذلك من الذهب ما يقارب ثلاثة آلاف ألف دينار ، ومن الجواهر نحواً من خمسة عشر ألف قطعة ، تقارب قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار ، ومن أواني الذهب زنة ألف ألف دينار ، ومن الفِضَّة زِنَة ثلاثة

---

(١) انظر وفيات سنة (٣٧١هـ) .

(٢) المنتظم (٧/ ١٩٥ و٨/ ٢٣٧) .

(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٥) .

(٤) المنتظم (٧/ ١٩٦ ـ ١٩٧) . قال بشار : لكن الحافظ الذهبي ، وهو الذي ينتصر للحنابلة ويذب عنهم ، يضعف ابن بطة ، كما صرح به تاريخ الإسلام (٨/ ٦١٤ و٦١٧) .

(٥) في (ط) مدرك ، وهو تحريف .

آلاف ألف دِرْهم ، ومن الثياب ثلاثة آلاف حمل ، وخزانة السِّلاح ألفا حمل ، ومن الفُرُش ألف وخمسمئة حمل ، ومن الأمتعة ما يليق بالملوك ، ومع هذا ليلة توفي لم يكن لهم وصول إلى شيء من المال ، ولم يحصل له كفنٌ إلا ثوب رجل من المجاورين في المسجد ، واشتغلوا عنه بالملك ، حتى تَمَّ لولده رُسْتُم من بعده ، فأنتن الملك ، ولم يتمكن أحدٌ من الوصول إليه ، فربطوه في حبال ، وجرُّوه على درج القلعة ، فتقطَّع[١] .

ابن سَمْعُون الواعظ[٢] : محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عَنْبس[٣] بن إسماعيل ، أبو الحسين بن سمعون الواعظ ، أحد الصُّلحاء والعلماء ، وكان يقال له النَّاطق بالحكمة .

روى عن أبي بكر بن أبي داود وطبقته ، وكان له يد طُولى في الوعظ والتدقيق في المعاملات ، وكانت له كرامات ومكاشفات ، كان يوماً وهو يعظ على المنبر وتحته أبو الفتح بن القَوَّاس ، وكان من الصَّالحين المشهورين ، فنعس ابن القَوَّاس ، فأمسك ابنُ سمعون عن الوعظ حتى استيقظ ، فحين استيقظ قال ابن سمعون : رأيتَ رسولَ الله ﷺ في منامك هذا ؟ قال نعم! قال : فلهذا أمسكت عن الوعظ حتى لا أزعجك عما كنتَ فيه .

وكان لرجلٍ بنت مريضةٌ مُدْنفة ، فرأى أبوها رسولَ الله ﷺ في المنام وهو يقول له : اذهب إلى ابن سمعون ليأتي منزلك فيدعو لابنتك وهي تبرأ بإذن الله . فلما أصبح ذهب إلى ابن سمعون ليأتي ، فلما رآه نهض ولبس ثيابه وخرج معه ، فظنَّ الرجل أنه يذهب إلى مجلس وعظه ، فقال : أقول له في أثناء الطريق ، فلما مرَّ بدار الرجل دخل إليها الشيخُ فأحضر إليه ابنته ، فدعا لها وانصرف ، فبرأت من ساعتها .

وبعث إليه الخليفة الطائع لله من أحضره إليه وهو مُغْضب ، فخيف على ابن سمعون منه ، فلما جلس بين يدي الخليفة أخذ في الوعظ ، كان أكثر ما أورده من كلام أمير المؤمنين علي بن طالب ، فبكى الخليفة حتى سُمعَ شهيقه ، ثم خرج من بين يديه وهو مكرم ، فقيل للخليفة : رأيناك طلبته وأنت غضبان ، فقال : بلغني أنه ينتقص علياً ، فأردتُ أن أعاقبه ، فلما حضر لم يكن أكثر من ذكره علياً ، فَعَلِمْتُ أنه موفق ؛ قد كُوشفَ بما كان في خاطري عليه .

---

(١) في (ط) زيادة : جروه على درج القلعة من نتن ريحه فتقطع جزاءً وفاقاً .

(٢) تاريخ بغداد (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧) الإكمال لابن ماكولا (٤/ ٣٦٢) طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٥ ـ ١٦٢) تبيين كذب المفتري (٢٠٠ ـ ٢٠٦) المنتظم (٧/ ١٩٨ ـ ٢٠٠) صفة الصفوة (٢/ ٢٦٦) اللباب (٢/ ١٤٠) وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٠٥ ـ ٥١١) الوافي بالوفيات (٢/ ٥١ ـ ٥٢) النجوم الزاهرة (٤/ ١٩٨) شذرات الذهب (٣/ ١٢٤ ـ ١٢٦) .

(٣) في (ح) و(ب) : عثمان ، وهو ساقط من (ط) ، والمثبت من « تاريخ بغداد » و« المنتظم » و« وفيات الأعيان » ، وهو الصحيح ، وفي « طبقات الحنابلة » ٢/ ١٥٥ تصحيف إلى عيسى .

ورأى بعضُهم في المنام رسول الله ﷺ وإلى جانبه عيسى ابن مريم عليه السَّلام ، وهو يقول : أليس من أمتي الأحبار ؟ أليس من أمتي الرهبان ؟ أليس من أمتي أصحاب الصوامع ؟ فبينما هما كذلك إذ دخل ابن سمعون ، فقال له رسول الله ﷺ : أفي أمتك مثل هذا ؟ فسكت عيسى عليه الصَّلاة والسلام .

كان مولد ابن سمعون في سنة ثلاثمئة ، وتوفي يوم الخميس الرابع عشر من ذي القَعْدَة من هذه السنة ، ودفن بداره .

قال ابنُ الجوزي : ثم أخرج بعد سنين[١] إلى مقبرة أحمد ، وأكفانه لم تَبْلَ ، رحمه الله تعالى .

آخر ملوك السَّامانية نوح بن منصور[٢] بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل ، أبو القاسم ، السَّاماني ، ملك خُرَاسان وغَزْنَة وما وراء النهر ، ولي الملك وله ثلاث عشرة سنة[٣] ، واستمرَّ في الملك إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر [وتوفي في رجب هذه السنة ، فولي بعده ابنه أبو الحارث منصور ، فبقي سنة وتسعة أشهر][٤] ، ثم قبض عليه خواصه ، وأجلسوا أخاه عبد الملك مكانه ، فقصدهم محمود بن سُبُكْتكين ، فانتزع الملك من أيديهم ، وقد كان لهم في الملك مئة سنة وسنتين وشهوراً ، فباد ملكهم في هذا العام ، ولله النقض والإبرام .

أبو الطَّيِّب سهل بن محمد[٥] بن سليمان بن محمد بن سليمان : الصُّعْلُوكي ، الفقيه الشَّافعي .

إمام أهل نيسابور ، وشيخ أهل تلك الناحية ، كان يحضر في مجلسه خمسمئة محبرة ، وكانت وفاته في هذه السنة على المشهور[٦] .

---

(١) في (ح) و(ب) سنة ، وفي (ط) سنتين ، والمثبت من المنتظم (٧/ ٢٠٠) وكان نقله سنة (٤٢٦هـ) أي بعد وفاته بتسع وثلاثين سنة .

(٢) الأنساب (٧/ ١٤) المنتظم (٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) اللباب (٢/ ٩٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥) النجوم الزاهرة (٤/ ١٩٨) شذرات الذهب (٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧) .

(٣) انظر حوادث سنة (٣٦٦هـ) .

(٤) ما بين حاصرتين من المنتظم (٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) وانظر الكامل لابن الأثير : (٩/ ١٢٩ ـ ١٣٠ و١٤٥ ، ١٤٨ ـ ١٤٩) .

(٥) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٠) الأنساب (٨/ ٦٤) تبيين كذب المفتري (٢١١ ـ ٢١٤) وفيات الأعيان (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٠٧ ـ ٢٠٩) العبر (٣/ ٨٨) طبقات الشافعية للسبكي : ٤/ ٣٩٣ ـ ٤٠٤ ، طبقات الشافعية للإسنوي (٢/ ١٢٦ ـ ١٢٧) شذرات الذهب (٣/ ١٧٢) .

(٦) أكثر المصادر على أنه توفي سنة (٤٠٤هـ) ماعدا ابن خلكان في « وفياته » وهو الأشبه ، وسيورده ابن كثير في وفيات سنة (٤٠٢هـ) ، ونقل الإسنوي في طبقاته (٢/ ١٢٧) عن الحاكم أنه وضع في مجلسه أكثر من خمسمئة محبرة وقت إملائه عشية الجمعة في ٢٣ محرم سنة ٣٨٧هـ ، وعقب على الخبر بقوله : وكأنه اشتبه عليه (يعني ابن خلكان) تاريخ الإملاء بتاريخ الموت .

وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي في « الإرشاد » : مات في سنة ثنتين[١] وأربعمئة ، فالله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمئة

قال ابنُ الجوزي : في ذي الحجَّة من هذه السنة سقط في بغداد بَرَدٌ شديد ، بحيث جَمَدَ الماءُ في الحمامات ، وبول الدواب في الطرقات .

وفيها جاءت رسل أبي طالب رستم بن فخر الدولة ، فبايعه الخليفة وأقرَّه على معاملته ببلاد الرَّي ، ولقبه مجد الدولة كهف الأمة ، وبعث إليه بالخِلَع والألوية ، وكذلك [فعل][٢] لبدر بن حَسْنويه ، ولقبه ناصر الدين والدولة ، وكان كثير الصَّدقات .

وفيها هرب عبيد الله[٣] بن جعفر المعروف بابن الوَثَّاب ، المنتسب إلى خدمة الطائع[٤] ، من السِّجْن بدار الخلافة إلى البطيحة ، فآواه صاحبها مهذَّب الدولة ، ثم أرسل القادر بالله ، فجيء به مضيَّقاً عليه ، فاعتقله ، ثم هرب من الاعتقال أيضاً فذهب إلى بلاد كيلان ، فادَّعى أنه الطائع ، فصدَّقوه وبايعوه ، وأدوا إليه العشر ، وغير ذلك من الحقوق ، ثم اتفق مجيء بعضهم إلى بغداد فسألوا عن الأمر ، فإذا ليس له صحة ولا حقيقة ، فرجعوا عنه ، واضمحلَّ أمره وفسد حاله ، فانهزم عنهم[٥] .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أمير المصريين ، والخطبة فيها للحاكم العبيدي .

وممن توفي فيها من الأعيان :

[الخَطَّابي][٦] : هو أبو سليمان حَمْدُ ، ويقال : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخَطَّاب الخَطَّابي ، البُسْتي ، أحد المشاهير الأعيان ، والفقهاء المحدثين المكثرين ، له من المصنَّفات « معالم السنن » و « شرح البخاري » ، وغير ذلك من التصانيف النافعة المفيدة . وله شعر حسن ، فمنه قوله :

---

(١) في (ح) ثلاثين ، وفي (ط) ستين ، وكلاهما تحريف ، والمثبت من (ب) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) كذا في (ح) و(ب) ، وفي المنتظم (٧/ ٢٠٢) : عبد الله ، وفي الكامل لابن الأثير (٩/ ١٤٣) : أبو عبد الله ، وهو الموافق لما في (ط) .
(٤) في (ط) جده ، وفي المنتظم (٧/ ٢٠٢) وكان منتسباً إلى الطائع ، وفي الكامل (٩/ ١٤٣) : وكان هذا الرجل يقرب بالنسب من الطائع .
(٥) انظر المنتظم (٧/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٤٩هـ) .

مـا دُمْـتَ حيـاً فَـدارِ النَّـاسَ كلَّهُـمُ ... فـإنّمـا أنـتَ فـي دارِ المُـدَاراةِ
من يدرِ دارَىٰ ومن لم يدرِ سوف يُرى ... عمَّـا قليـلٍ نـديمـاً للنَّـدَامـاتِ

كانت وفاته بمدينة بُسْت في ربيع الأول من هذه السنة ، قاله ابن خَلِّكان[١] .

الحسين بن أحمد بن عبد الله[٢] بن عبد الرحمن بن بُكير[٣] : أبو عبد الله الصَّيرفي ، الحافظ المُطبِّق .

سمع إسماعيل الصَّفَّار ، وابن السَّمَّاك ، والنَّجَّاد ، والخُلْدي ، وأبا بكر الشَّافعي[٤] .

وعنه ابن شاهين والأزْهري والتَّنوخي ، وحكى الأزهري أنه دخل عليه وبين يديه أجزاء كبار ، فجعل إذا ساق إسناداً أورد متنه من حفظه ، وإذا سرد متناً ساق إسناده [من حفظه][٥] قال : وفعلتُ هذا معه مراراً ، كل ذلك يورد الحديث إسناداً ومتناً كما في كتابه .

قال : وكان ثِقَةً ، فحسدوه وتكلَّموا فيه .

وحكى الخطيب أن ابن أبي الفوارس اتهمه بأنه يزيد في سماع الشُّيوخ ، ويلحق رجالاً في الأسانيد ويصل المقاطيع .

توفي في ربيع الأول من هذه السنة عن إحدى وستين[٦] سنة .

صمصام الدَّولة بن عضد الدولة : صاحب بلاد فارس ، خرج عليه ابنُ عمه أبو نصر بن بَخْتيار ، فهرب منه ، ولجأ إلى جماعةٍ من الأكراد ، فلما وغَّلوا به في بلادهم نهبوا ما في خزائنه وحواصله ، ولحقه أصحابُ ابن بختيار فقتلوه ، وحملوا رأسه في طست ، فلما وضع بين يدي ابن بختيار قال : هذه سنةٌ سنَّها أبوك[٧] . وكان ذلك في ذي الحجَّة من هذه السنة ، فكان عمره يوم قُتل خمساً وثلاثين سنة ، ومدة ملكه منها تسع سنين وأشهر .

عبد العزيز بن يوسف الحكار[٨] : أبو القاسم ، كاتب الإنشاء لعضد الدولة ، ثم وزر لابنه

---

(١) انظر وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٦) .
(٢) تاريخ بغداد (٨/ ١٣ ـ ١٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨ ـ ٩) العبر (٣/ ٣٨ ـ ٣٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠١٧) طبقات الحفاظ (٤٠٣) شذرات الذهب (٣/ ١٢٨) .
(٣) في (ح) و(ب) و(ط) : بكر ، وهو تصحيف .
(٤) في (ط) الشاشي ، وهو تحريف .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) في (ح) و(ب) و(ط) : إحدى وسبعين ، وهو تحريف ، وكانت ولادته سنة (٣٢٧هـ) ، وقيل : إنه توفي سنة (٣٨٣هـ) ، وانظر تاريخ بغداد (٨/ ١٤) .
(٧) قال ابن الأثير (٩/ ١٤٣) : يعني ما كان من قتل عضد الدولة بختيار .
(٨) في (ط) : الحطان ، وهو تحريف .

بهـاء الدولة خمسة أشهـر ، وكان يقول شعـراً ، توفي في شعبـان من هذه السنة .

محمد بن أحمد بن إبراهيم : أبو الفرج[١] المعروف بغلام الشَّنَبُوذي ، كان عالماً بالقراءات وتفسيرها ، يقال : إنه كان حفظ خمسين ألف بيت [من الشعر][٢] شواهد للقرآن ، ومع هذا تكلَّموا فيه وفي روايته عن أبي الحسن بن شَنَبُود[٣] ، وأساء الدَّارَقُطْني القول فيه .

توفي في صفر من هذه السنة ، وكان مولده سنة إحدى وثلاثمئة[٤] .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمئة

في هذه السنة قصد محمود بن سُبُكْتِكين بلادَ خُراسان ، فاستلب ملكها من أيدي السَّامانية ، وواقعهم مرات متعددة في هذه السنة وما قبلها ، حتى أزال اسمهم ورسمهم عن البلاد بالكلِّية ، وانقرضت دولتهم على يديه ، ثم صمد لقتال إيلك ملك الترك بما وراء النَّهر ، وذلك بعد موت الخان الكبير الذي يقال له فائق ، وجَرَت له معهم حروبٌ وخطوب .

وفيها استولى بهاء الدولة على بلاد فارس وخوزستان .

وفيها أرادت الشيعة أن تعمل ما كانوا يصنعونه من الزينة يوم غدير خُم ، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجَّة فيما يزعمون ، فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين إلى السُّنَّة ، فادَّعوا أن في مثل هذا اليوم حُصِرَ النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في الغار ، فامتنعوا من ذلك ، وهذا أيضاً جهلٌ من هؤلاء ، فإن هذا إنما كان في أوائل شهر ربيع الأول من أول سني الهجرة ، فإنهما أقاما فيه ثلاثاً ، وحين خرجا منه قصدا المدينة فدخلاها بعد ثمانية أيام أو نحوها ، وكان دخوله عليه السلام المدينةَ في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ، وهذا أمرٌ معلوم مقرر .

ولما كانت الشيعة يصنعون في يوم عاشوراء مأتماً يُظْهرون فيه الحزنَ على الحسين ، قابلتهم طائفةٌ أخرى من جهلة أهل السُّنَّة ، فادعوا أن في اليوم الثامن عشر من المحرَّم قتل مصعب بن الزُّبير ، فعملوا له مأتما كما تعمل الشيعة للحسين ، وزاروا قبره كما يزار قبر الحسين ، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعةٍ مثلها ، ولا يرفع البدعة إلا السُّنَّةُ الصحيحة ، وبالله التوفيق .

---

(١) في (ب) و(ط) : أبو الفتح ، وهو تحريف .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) سلفت ترجمة ابن شنبوذ في وفيات سنة (٣٢٨هـ) ، وإليه نسب لكثرة ملازمته له . غاية النهاية (٢/ ٥٠) .

(٤) في (ط) : إحدى وثلاثين وثلاثمئة ، وهو تحريف . وقيل : إنه توفي سنة (٣٨٧هـ) وولادته سنة (٣٠٠هـ) ، انظر تاريخ بغداد (١/ ٢٧٢) .

وفيها وقع برد شديد مع غيم مطبق ، وريحٍ قوية ، بحيث أتلفت شيئاً كثيراً من النخيل ببغداد ، فلم يتراجع حملها إلى عادتها إلا بعد سنين[(١)] .

وحجَّ بركب العراق الشَّريفان الرضي والمرتضى ، فاعتقلهما أمير الأعراب ابن الجرَّاح ، فافتديا منه بتسعة آلاف دينار من أموالهما حتى أطلقهما .

وممن توفي فيها من الأعيان :

زاهر بن أحمد[(٢)] بن محمد بن عيسى : السَّرْخسي [المقرىء][(٣)] الفقيه المحدِّث ، شيخ عصره بخُراسان .

قرأ على ابن مجاهد ، وتفقَّه بأبي إسحاق المَرْوزي إمام الشَّافعية ، وأخذ علم اللغة والأدب والنحو عن أبي بكر بن الأنباري .

وكانت وفاته في ربيع الآخر عن ستٍّ وتسعين سنة .

عبيد الله[(٤)] بن محمد بن إسحاق[(٥)] : بن سليمان بن مَخْلَد بن إبراهيم بن مروان[(٦)] ، أبو القاسم المعروف بابن حَبَابة .

روى عن أبي القاسم البَغَوي ، وأبي بكر بن أبي داود وطبقتهما ، وكان ثِقَةً مأموناً مسنداً ، ولد ببغداد سنة تسع وتسعين ومئتين ، وكانت وفاته في جُمادى الأولى[(٧)] من هذه السنة عن تسعين سنة ، وصلَّى عليه [الشيخ][(٨)] أبو حامد الإسْفَراييني شيخ الشَّافعية ، ودفن في مقابر جامع المنصور ، رحمه الله تعالى .

---

(١) في (ط) : سنتين ، وهو تصحيف .

(٢) في (ط) : زاهد بن عبد الله بن أحمد ، وهو تحريف . ومظان ترجمته في تبيين كذب المفتري (٢٠٦ ـ ٢٠٧) المنتظم (٧/ ٢٠٦) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٧٦ ـ ٤٧٨) العبر (٣/ ٤٣) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) غاية النهاية (١/ ٢٨٨) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٠) شذرات الذهب (٣/ ١٣١) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٤) في (ط) عبد الله ، وهو تحريف .

(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٧) الإكمال لابن ماكولا (٢/ ٣٧٢) المنتظم (٧/ ٢٠٧) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩) العبر (٣/ ٤٤) شذرات الذهب (٣/ ١٣٢) .

(٦) في (ط) : مروز ، وهو تحريف .

(٧) في تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٧) : لست بقين من شهر ربيع الآخر .

(٨) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمئة

في هذه السنة ظهر بأرض سِجِسْتان معدنٌ من ذهب ، كانوا يحفرون فيه مثل الآبار ، ويخرجون منه ذهباً أحمر .

وفيها قُتل الأمير أبو نصر بن بَخْتيار صاحب بلاد فارس ، واستولى عليها بهاء الدولة .

وفيها قلد القادرُ بالله القضاء بواسط وأعمالها لأبي حازم محمد بن الحسن الوَاسطي ، وقرىء عهده بدار الخلافة ، وكتب له القادر وصيةً حسنةً طويلة ، أوردها بحروفها ابنُ الجوزي في « منتظمه »[١] ، وفيها مواعظ وأوامر ونواهٍ حسنة [جيدة][٢] .

ومن توفي فيها من الأعيان :

أحمد بن محمد[٣] بن أبي موسى : أبو بكر الهاشمي ، الفقيه المالكي ، القاضي بالمدائن وغيرها . وخطب بجامع المنصور ، وسمع الكثير ، وروى عنه الجَمُّ الغفير بانتخاب الدَّارَقُطْني ، وكان عفيفاً نَزِهاً ثِقَةً ديّناً .

توفي في محرم هذه السنة عن خمسٍ وسبعين سنة .

عبيد الله بن عثمان بن يحيى : أبو القاسم الدَّقَّاق ، ويعرف بابن جنيقا[٤] .

قال العلامة القاضي أبو يعلى بن الفَرَّاء ـ وهذا جده[٥] ـ : والصواب جليقا باللام لا بالنون .

وقد سمع الحديث سماعاً صحيحاً ، وروى عنه الأزهري والعتيقي . قال [محمد بن أبي الفوارس][٦] : وكان ثقة مأموناً ، حسنَ الخُلُق ، ما رأينا مِثْلَه في معناه ، رحمه الله تعالى .

الحسين بن محمد بن خلف[٧] بن الفَرَّاء : والد القاضي أبي يعلى ، وكان صالحاً فقيهاً على مذهب أبي حنيفة ، أسند الحديث ، وروى عنه ابنه أبو خازم[٨] محمد بن الحسين .

---

(١) انظر المنتظم (٧/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) المنتظم (٧/ ٢٠٩) .

(٤) انظر تبصير المنتبه (٢/ ٥٢١) وفيه : عبد الله ، وهو تحريف .

(٥) أي جد القاضي أبي يعلى بن الفراء لأمه ، انظر المنتظم (٧/ ٢٠٠) .

(٦) في (ح) و(ب) قال الأزهري ، وهو تحريف ، والمثبت ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٨) .

(٧) هذه الترجمة ساقطة من (ب) .

(٨) في (ح) ابنه وهو أبو حازم، وفي (ط) أبو حازم ـ بالحاء المهملة ـ وهو تصحيف، انظر تبصير المنتبه (١/ ٣٨٦).

عبد الله[١] بن أحمد بن علي بن طالب[٢] البغدادي : نزل مصر وحدَّث بها ، فسمع منه الحافظ عبد الغني بن سعيد المِصْري .

عمر بن إبراهيم[٣] بن أحمد : أبو حفص[٤] ، المعروف بالكتَّاني المقرىء .

ولد سنة ثلاثمئة ، روى عن البغوي وابن مجاهد وابن صاعد ، وعنه الأزهري وغيره ، وكان ثِقَةً صالحاً .

محمد بن عبد الله بن الحسين[٥] بن عبد الله بن هارون : أبو الحسين الدَّقَّاق ، المعروف بابن أخي ميمي .

سمع البغوي وغيره ، وعنه جماعة ، ولم يزل على كبر سنه يكتب الحديث إلى أن توفي وله تسعون سنة[٦] ، وكان ثِقَةً مأموناً ديِّناً فاضلاً حسن الأخلاق .

وكانت وفاته ليلة الجمعة لثمانٍ وعشرين من شعبان من هذه السنة .

محمد بن عمر بن يحيى[٧] : أحمد بن [عمر بن][٨] يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الشريف ، أبو الحسن العلوي ، الكوفي .

ولد سنة خمس عشرة ، وسمع من أبي العبَّاس بن عُقْدة وغيره ، وسكن بغداد ، وكانت له أموالٌ كثيرة وضياع ، [ودخل عظيم][٩] وحشمة وافرة ، وهِمَّةٌ عالية ، وكان مقدَّماً على الطالبيين في وقته ، وقد صادره عضد الدولة في وقتٍ ، واستحوذ على جمهور أمواله وسَجَنه ، ثم أطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة ، ثم صادره بهاء الدولة بألف ألف دينار وأكثر ، ثم سجنه ، ثم أطلقه واستنابه على بغداد . ويقال : إن غلاله كانت تساوى في كل سنة بألفي ألف دينار ، وله وجاهة كبيرة [جداً][٩] ، ورياسة باذخة .

---

(١) تاريخ مدينة السلام (١١/ ٤١ بتحقيق د . بشار) ، تاريخ دمشق (٢٧/ ٣٧ ـ ٣٩) ، تاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٦٦٢) .

(٢) في (ط) : بن أبي طالب ، وهو تحريف ، وما أثبتناه من مصادر ترجمته .

(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٢٦٩) الأنساب : ١٠/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ، المنتظم : ٧/ ٢١١ ، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٨٢ ـ ٤٨٤) ، العبر ٣/ ٤٦ ، غاية النهاية ١/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨ ، شذرات الذهب ٣/ ١٣٤ .

(٤) في (ط) : أبو نصر ، وهو تحريف .

(٥) تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٩) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥) العبر (٣/ ٤٧) شذرات الذهب (٣/ ١٣٤) .

(٦) ولد أبو الحسين الدقاق سنة (٣٠٤هـ) ، انظر تاريخ بغداد (٥/ ٤٦٩) .

(٧) تاريخ بغداد (٥/ ٤٧١) المنتظم (٧/ ٢٠٩) .

(٨) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد والمنتظم .

(٩) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

الأُستاذ أبو الفتوح بَرْجوان[١] : الناظر في الأمور بالدِّيار المصرية في الدَّولة الحاكمية ، وإليه تنسب حارة بَرْجوان بالقاهرة المعزية .

كان أولاً من غِلْمان العزيز بن المعز ، ثم صار عند الحاكم نافذ الأمر ، مطاعاً كبيراً في الدولة ، ثم أمر بقتله في القصر ، فضربه الأمير رَيْدان ـ الذي تنسب إليه الرَّيْدانية خارج باب الفتوح ـ بسكينٍ في بطنه فقتله . وقد ترك شيئاً كثيراً من الأثاث والثياب ، فمن ذلك ألف سراويل [دبيقي] لها ألف تكة من حرير ، قاله ابن خَلِّكان[٢] . وولَّى الحاكم [بعده][٣] في منصبه الأمير حسين بن القائد جوهر .

الجَريري المعروف بابن طَرارا[٤] : اسمه المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود ، أبو الفرج النَّهْرواني القاضي ـ لأنه ناب في الحكم ـ المعروف بابن طَرَارا[٥] الجريري ، لاشتغاله على ابن جرير الطَّبري ، وسلوكه وراءه [في][٦] مذهبه ، [فنسب إليه][٧] .

وسمع [الحديث][٨] من البغوي وابن صاعد وخلق ، وروى عنه جماعةٌ ، وكان ثِقَةً عالماً فاضلاً كثير الآداب ، والتفنُّن في أصناف العلوم ، وله المصنفات الكثيرة ، منها كتابه المسمى « بالجليس والأنيس » ، فيه فوائد جمة كثيرة ، وكان الشيخ أبو محمد البافي[٩] أحد أئمة الشَّافعية يقول : إذا حضر المعافى فقد حضرت العلوم كلُّها ، ولو أوصى رجلٌ بثلث ماله لأعلم النَّاس لوجب أن يصرف إليه .

وقال غيره : اجتمع جماعة من الفضلاء في دار بعض الرؤساء وفيهم المعافى فقالوا : هلمَّ نتذاكر في فنٍ من العلوم ، فقال المعافى لصاحب المنزل ـ وكانت عنده كتبٌ كثيرة في خزانة عظيمة ـ مُرْ غلامك [هذا][١٠] يأتي بكتابٍ من هذه الكتب ، أي كتاب كان ، فنتذاكر فيه . فتعجَّب الحاضرون من هذا التمكن والتبحُّر .

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) .
(٢) انظر وفيات الأعيان (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) وما بين حاصرتين منه .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) الفهرست (٣٢٨ ـ ٣٢٩) تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) طبقات الفقهاء للشيرازي (٩٣) المنتظم (٧/ ٢١٣ ـ ٢١٤) معجم الأدباء (١٩/ ١٥١ ـ ١٥٤) إنباه الرواة (٣/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) وفيات الأعيان (٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠١٠ ـ ١٠١٢) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٤٤ ـ ٥٤٦) العبر (٣/ ٤٧ ـ ٤٨) غاية النهاية (٢/ ٣٠٢) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠١ ـ ٢٠٢) طبقات الحفاظ (٤٠٠ ـ ٤٠١) بغية الوعاة (٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤) شذرات الذهب (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥) .
(٥) في (ط) : طرار ، وهو تصحيف .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٧) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٩) في (ط) : الباقلاني ، وهو تحريف ، وسترد ترجمة البافي في وفيات سنة (٣٩٨هـ) .
(١٠) ما بين حاصرتين من (ب) .

وقال الخطيب البغدادي : أنشدنا الشيخ أبو الطَّيِّب الطَّبَري قال : أنشدنا المعافى بن زكريا لنفسه :

ألا قُلْ لمنْ كان لي حَاسِداً أتدْري على منْ أَسأْتَ الأدَبْ
أَسأْتَ على الله في فِعْلِهِ[١] لأنَّكَ لم ترضَ[٢] لي ما وَهَبْ
فجازاكَ عنِّي بأَنْ زادني وسدَّ عليكَ وجوهَ الطَّلَبْ[٣]

كانت وفاته رحمه الله تعالى في ذي الحجَّة [من هذه السنة][٤] عن خمسٍ وثمانين سنة .

ابن فارس : صاحب « المجمل » ، وقيل إنه توفي سنة خمس وتسعين كما سيأتي[٥] .

أَمَة السَّلام[٦] : بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل بن خَلَف بن شَجَرة[٧] ، أم الفتح .

سمعت من محمد بن إسماعيل البَصْلاني وغيره ، وعنها الأزهري والتَّنُوخي وأبو يَعْلى بن الفَرَّاء وغيرهم ، وأثنى عليها غير واحد في دينها وفضلها وسيادتها ، وكان مولدها في رجب من سنة ثمان وتسعين ، وتوفيت في رجب من هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة ، رحمها الله تعالى وإيانا بكرمه .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثلاثمئة

فيها بايع الخليفة القادر بالله لولده أبي الفضل بولاية العهد من بعده ، وخطب له [على المنابر بعد أبيه][٨] ، ولقِّب الغالب بالله ، وكان عمره حينئذٍ ثماني سنين وشهوراً ، ولم يتمَّ له ذلك ، وكان سبب هذه العجلة أن رجلاً يقال له عبد الله بن عثمان الواثقي[٩] ذهب إلى بعض الأطراف من بلاد التُّرْك ، وادَّعى أن القادر بالله جعله ولي عهد من بعده ، فخطبوا له هناك ، فلما بلغ القادر أمره بعث يتطلَّبه ، فهرب في

---

(١) في (ط) : سبحانه ، وهو خلاف ما في تاريخ بغداد .
(٢) في (ط) : لا ترضى ، وهو خلاف ما في تاريخ بغداد .
(٣) انظر تاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٠) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) انظر وفيات سنة (٣٩٥هـ) ، وقد سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٦٩هـ) ، وهذه الترجمة ليست في (ب) في هذا الموضع .
(٦) في (ط) : أم السلامة ، وهو تحريف . وترجمتها في تاريخ بغداد (١٦/ ٦٣٣ ط . د . بشار) ، وتاريخ الإسلام (٨/ ٦٥٨) .
(٧) في (ط) شنخرة ، وهو تصحيف ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥) .
(٨) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٩) في (ط) الواقفي ، وهو تصحيف ، وهو من ولد الواثق ، انظر المنتظم (٧/ ٢١٥) والكامل (٩/ ١٦٥) .

البلاد وتمزَّق شمله ، ثم أخذه بعضُ الملوك فسجنه في قلعةٍ إلى أن مات ، فلهذا بادر القادر إلى هذه البيعة .

وفي يوم الخميس الثامن عشر من ذي القَعْدة ولد الأمير أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ، وهذا هو الذي صارت إليه الخلافة ، وهو القائم بأمر الله .

وفيها قتل الأمير حسام الدولة المقلَّد بن المسيَّب العُقيلي غِيْلةً ببلاد الأنبار ، وكان قد عَظُمَ شأنه بتلك البلاد ، ورام المملكة ، فجاءه القدر المحتوم ، فقتله بعض غِلْمانه الأتراك ، وقام بالأمر من بعده ولده قِرْوَاش[١] .

وحجَّ بالنَّاس المِصْريون .

وممن توفي فيها من الأعيان :

جعفر بن الفَضْل بن جعفر[٢] بن محمد بن الفُرَات : أبو الفَضْل ، المعروف بابن حِنْزابة الوزير .

ولد سنة ثمانٍ وثلاثمئة ببغداد ، ونزل الدِّيار المصرية ، ووزر بها لأميرها كافور الإخشيدي ، وكان أبوه وزيراً للمقتدر وقد سمع الحديث من محمد بن هارون الحَضْرمي وطبقته من البغداديين ، وكان قد سمع مجلساً من البَغَوي ، ولم يكن عنده ، فكان يقول : من جاءني به أغنيتُه ، وكان له مجلس لإملاء الحديث بديار مصر ، وبسببه رحل الدَّارَقُطْني إلى هناك ، فنزل عنده وخرَّج له مسنداً ، وحصل له منه مالٌ جزيل ، وحدث عنه الدارقطني . وغيره من الأكابر .

ومن مستجاد شعره قوله :

مَنْ أخْمَلَ النَّفْسَ أحياها ورَوَّحها ... ولـم يَبِـتْ طـاويـاً منهـا علـى ضَجَـرِ
إنَّ الـرِّيـاحَ إذا اشتـدَّتْ عـواصِفُهـا ... فليس ترمي سوى العالي من الشَّجَرِ

قال ابن خَلِّكان : كانت وفاته في صَفَر ، وقيل في ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثنتين وثمانين سنة ودفن بالقَرَافة ، وقيل بداره ، وقيل : إنه كان اشترى داراً بالمدينة النبوية فجعلها تربة له ، فلما نقل إليها

---

(١) انظر أخبار هؤلاء العقيليين مجتمعة في وفيات الأعيان (٥/ ٢٦٠ ـ ٢٦٩) .

(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) معجم الأدباء (٧/ ١٦٣ ـ ١٧٧) وفيات الأعيان (١/ ٣٤٦ ـ ٣٥٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٢٢ ـ ١٠٢٤) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٨٤ ـ ٤٨٨) العبر (٣/ ٤٩ ـ ٥٠) فوات الوفيات (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤) الوافي بالوفيات (١١/ ١١٨ ـ ١٢٢) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٣) حسن المحاضرة (١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) طبقات الحفاظ (٤٠٥) شذرات الذهب (٣/ ١٣٥ ـ ١٣٦) .

تلقته الأشراف لإحسانه إليهم ، فحملوه وحجوا به وأوقفوه بعرفات ، ثم أعادوه إلى المدينة ، فدفنوه بتربته[١] .

ابن الحجَّاج الشَّاعر[٢] الحسين بن أحمد بن الحجاج : أبو عبد الله الشَّاعر الماجن ، المقذع في نظمه بألفاظٍ يستنكف اللِّسان عن التلفُّظ بها ، والآذان عن الاستماع لها .

وقد كان أبوه من كبار العُمَّال ، وولي هو حسبة بغداد في أيام عز الدولة بن معز الدولة بن بويه ، فاستخلف عليها نواباً ستة ، وتشاغل هو بالشِّعْر السخيف والرأي الضعيف ، إلا أن شعره جيدٌ من حيث اللفظ ، وفيه قوة جيدة تدلُّ على تمكُّنٍ واقتدار على سبك المعاني القبيحة التي هي في غاية الفضيحة في الألفاظ الفصيحة ، وله غير ذلك من الأشعار المستجادة ، وقد امتدح [مرة][٣] صاحب مصر ، فبعث إليه بألف دينار .

وقول القاضي ابن خلكان : ويقال إنه عزل عن حِسْبة بغداد بأبي سعيد الإصْطَخْرِي[٤] قولٌ ضعيف لا يسامح بمثله القاضي ، فإن أبا سعيد توفي سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمئة ، فكيف يعزل به ابن الحجَّاج عن حِسْبة بغداد ؟ وهو لا يمكن عادة أن يلي الحسبة بعد أبي سعيد الإصطخري ، ولكبر قدر ابن خلِّكان في هذه الصناعة ناقشناه ، فإنه أرخ وفاة هذا بهذه السنة ، والإصْطَخري بما تقدَّم[٥] .

وقد جمع الشريف الرضي ، أشعاره الجيدة على حِدةٍ في ديوان مفرد ، ورثاه حين توفي هو وغيره من الشُّعراء .

عبد العزيز بن أحمد[٦] بن الحسن الخَرَزي[٧] : القاضي بالمُخَرِّم[٨] وحريـم دار الخلافة وغير ذلك من الجهات ، وكان ظاهرياً على مذهب داود ، وكان لطيفاً ظريفاً ، تحاكم إليه وكيلان ، فبكى أحدهما في أثناء الخصومة ، فقال له القاضي : أرني وكالتك ، فناوله فقرأها ، ثم قال له : لم

---

(١) انظر وفيات الأعيان (١/ ٣٤٩) .
(٢) الإمتاع والمؤانسة (١/ ١٣٧ ـ ١٣٩) يتيمة الدهر (٣/ ٣٠ ـ ٩٩) تاريخ بغداد (٨/ ١٤) المنتظم (٧/ ٢١٦ ـ ٢١٨) معجم الأدباء (٩/ ٢٠٦) وفيات الأعيان (٢/ ١٦٨ ـ ١٧٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٩ ـ ٦١) العبر (٣/ ٥٠) الوافي بالوفيات (١٢/ ٣٣١) مرآة الجنان (٢/ ٤٤٤) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥) شذرات الذهب (٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) (ط) .
(٤) انظر وفيات الأعيان (٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩) .
(٥) انظر ترجمة الاصطخري في وفيات سنة (٣٢٨هـ) .
(٦) تاريخ الخطيب (١٢/ ٢٤٠ ط . د . بشار) ، الخرزي من الأنساب ، تاريخ الإسلام (٨/ ٧٠٤) ، التوضيح لابن ناصر الدين (٢/ ٣٢٣) .
(٧) في (ط) الجزري ، وهو تصحيف .
(٨) المخرِّم : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى . معجم البلدان (٥/ ٧١) .

يجعل إليك أن تبكي عنه . فاستضحك الناس ، ونهض الوكيل خَجِلاً . رحمه الله تعالى .

عيسى بن الوزير علي بن عيسى[١] بن داود بن الجَرَّاح : أبو القاسم البغدادي .

وكان أبوه من كبار الوزراء[٢] ، وكتب هو للطَّائع أيضاً ، وسمع الحديث الكثير ، وكان صحيح السَّماع كثير العلوم ، عارفاً بالمنطق وعلم الأوائل ، فرموه بشيءٍ من مذهب الفلاسفة .

ومن جيد شِعْره قوله :

رُبَّ مَيْتٍ قد صارَ بالعِلْم حياً ... ومُبَقَّى قد ماتَ جَهْلاً وغيّا

فاقْتنوا العِلْمَ كي تنالوا خُلُوداً ... لا تعدُّوا الحياةَ في الجَهْلِ شيّا

كان مولده في سنة ثنتين وثلاثمئة ، وتوفي في هذه السنة عن تسعٍ وثمانين سنة ، ودفن في داره ببغداد .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وثلاثمئة

في المحرم منها غزا يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكين بلادَ الهند ، فصمد له ملكها جيبال في جيشٍ عظيم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ففتح الله للمسلمين ، وانهزمت الهنود ، وأُسر ملكهم جيبال ، وأخذ من عُنُقه قِلادة قيمتها ثمانون ألف دينار[٣] ، وغنم المسلمون منهم أموالاً عظيمة ، وفتحوا بلاداً كثيرة ، ثم أطلق محمود ملكَ الهند احتقاراً له واستهانةً به ، ليراه أهل ملكه في لباس المذلة ، فحين وصل جيبال ـ لعنه الله ـ إلى بلاده ألقى نفسه في النار التي يعبدونها من دون الله فاحترق ، لعنه الله تعالى .

وفي ربيع الآخر[٤] منها ثارت العوام على النَّصارى ببغداد ، فنهبوا كنيستهم التي بقطيعة الدَّقيق وأحرقوها ، فسقطت على خَلْقٍ ، فماتوا ، وفيهم جماعة من المسلمين رجال ونساء وصبيان .

وفي رمضان قوي أمر العيَّارين وكثرت العملات والنَّهْب ببغداد ، وانتشرت الفِتْنة .

قال ابن الجَوْزي : وفي ليلة الإثنين ثالث ذي القعدة انقضَّ كوكبٌ أضاء كضوء القمر ليلة التمام ، ومضى الضِّياء وبقي جُرْمه يتموَّج نحو ذراعين في ذراع برأي العين وتشقق بعد ساعة[٥] .

---

(١) الإمتاع والمؤانسة (١/ ٣٦) الفهرست (١٨٦) تاريخ بغداد (١١/ ١٧٩ ـ ١٨٠) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٤٩ ـ ٥٥١) العبر (٣/ ٥٠ ـ ٥١) ميزان الاعتدال (٣/ ٣١٩) لسان الميزان (٤/ ٤٠٢) شذرات الذهب (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨) .

(٢) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٣٥هـ) .

(٣) في الكامل لابن الأثير (٩/ ١٦٩) : قومت بمئتي ألف دينار .

(٤) في (ب) : وفي ربيع الأول أو الآخر .

(٥) المنتظم (٧/ ٢١٩) .

وفي هذا الشهر قدم الحُجَّاج من خراسان إلى بغداد ليسيروا إلى الحج ، فبلغهم عيث الأعراب [في الأرض][١] بالفساد ، وأنه لا قاهر[٢] لهم ولا ناظر ينظر في أمورهم ، فرجعوا إلى بلادهم ، ولم يحجَّ من بلاد المشرق أحدٌ في هذه السنة .

وفي يوم عرفة ولد لبهاء الدولة ابنان توأمان ، فمات أحدهما بعد سبع سنين ، وبقي الآخر حتى قام بالأمر من بعد أبيه ، ولقب شرف الدولة .

وحجَّ المصريون أيضاً في هذه السنة بالناس .

وممن توفي فيها من الأعيان :

ابن جنّي[٣] : أبو الفتح ، عثمان بن جنِّي المَوْصلي ، النَّحوي اللُّغوي ، صاحب التصانيف الفائقة المتداولة في النحو واللغة ، وكان أبوه جني عبداً رومياً مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزْدي المَوْصلي ، ومن شعره في ذلك قوله :

فإنْ أُصْبِحْ بلا نَسَبِ ... فَعِلْمي في الوَرَى نسبي
على أنِّي أؤول إلى ... قُرُومِ سادةٍ نُجُبِ
قياصِرَةٍ إذا نطقُوا ... أرمَّ الدَّهْر في الخُطَبِ[٤]
أولاكَ دعا النبيُّ لهم ... كفى شَرَفاً دعاءُ نبي

وقد أقام ببغداد ، ودرَّس بها العلم إلى أن توفي ليلة الجمعة لليلتين خلتا من صفر منها .

قال القاضي ابن خلِّكان : ويقال إنه كان أعور ، وله في ذلك :

صدودُكَ عنِّي ولا ذَنْبَ لي ... يَدُلُّ على نيَّةٍ فاسِدَه
فقد ـ وحياتِك ـ ممَّا بكيتُ ... خشيتُ على عينيَ الواحدَة
ولولا مخافةُ أن لا أراك ... لما كان في تَرْكها فائِدَة

ويقال : إن هذه الأبيات لغيره .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) : ولا ناصر .

(٣) يتيمة الدهر (١/ ١٠٨) الفهرست (٩٥) تاريخ بغداد (١١/ ٣١١ ـ ٣١٢) دمية القصر (٣/ ١٤٨١ ـ ١٤٨٥) نزهة الألباء (٣٣٢ ـ ٣٣٤) المنتظم (٧/ ٢٢٠ ـ ٢٢١) معجم الأدباء (١٢/ ٨١ ـ ١١٥) إنباه الرواة (٢/ ٣٣٥ ـ ٣٤٠) اللباب (١/ ٢٩٩) وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٧ ـ ١٩) مرآة الجنان (٢/ ٤٤٥) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٥) بغية الوعاة (٢/ ١٣٢) شذرات الذهب (٣/ ١٤٠ ـ ١٤١) .

(٤) يعني سكت ، وفي تاريخ بغداد ووفيات الأعيان : ذو الخطب .

وله في مملوك حسن [الصورة] أعور :

لـه عيـنٌ أصـابـت كـلَّ عيـنٍ   وأخـرى قـد أصـابَتْهـا العيـونُ[١]

أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجُرْجاني[٢] : القاضي بالرَّي .

الشاعر الماهر[٣] . سمع الحديث ، وترقّى في العلوم حتى أقرّ له الناس بالتفرد فيها ، وله أشعار حِسان ، من ذلك قوله :

يقـولـونَ لـي فيـكَ انقبـاضٌ وإنّمـا   رَأَوْا رَجُلاً عن مَوْقِف الذُّلِّ أحْجَما

أرى النَّاسَ من داناهُمُ هانَ عندهمْ   ومـنْ أكـرمتـهُ عِـزَّةُ النَّفْسِ أُكـرمـا

ولم أقضِ حَقَّ العِلْمِ إن كانَ كلَّما   بـدا طَمَـعٌ صَيَّـرْتُـهُ لـي سُلَّمـا

إذا قيـلَ هـذا مَنهلٌ قُلتُ قـد أرى   ولكـنَّ نَفْـسَ الحُـرِّ تحتمـلُ الظَّمـا

ولم أبتذلْ في خِدْمةِ العِلْمِ مُهْجتي   لأَخْـدُمَ مـن لاقيـتُ لكـنْ لأخْـدَمـا

أأشقـى بـه غَـرْسـاً وأجنيـهِ ذلَّـةً   إذاً فابتياعُ[٤] الجَهْلِ قد كانَ أحْزما

ولو أنَّ أهْلَ العِلْمِ صانوهُ صانَهُمْ   ولـو عَظَّمـوهُ فـي النُّفـوس لعَظَّمـا

ولكـن أذلُّـوه فهـان ودَنَّسـوا   مُحيَّـاه بـالأطمـاعِ حتـى تَجَهَّمـا

ومن مستجاد شعره أيضاً قوله :

مـا تَطَعَّمْـتُ لـذَّةَ العَيْـشِ حتـى   صِـرْتُ للبيـتِ والكتـاب جليسـا

ليس شيء عندي ألذُّ[٥] من العِلْـ   ـمِ فمـا أبتغـي سـواهُ أنيسـا

إنمـا الـذلُّ فـي مخـالطـة النـا   سِ فَـدَعْهُـمْ وعِـشْ عَـزيـزاً رئيسـا

ومن شعره أيضاً رحمه الله :

إذا شِئْـتَ أن تستقـرضَ المـالَ مُنْفقـاً   على شَهَواتِ النَّفسِ في زَمنِ العُسْرِ

فَسَلْ نَفْسَكَ الإقراض من كيس صَبْرها   عليـك وإنظـاراً إلـى زمـنِ اليُسْـرِ

---

(١) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧) .

(٢) يتيمة الدهر (٤/ ٣ ـ ٢٦) تاريخ جرجان (٢٧٧) المنتظم (٧/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) معجم الأدباء (١٤/ ١٤) وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٨ ـ ٢٨١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩ ـ ٢١) مرآة الجنان (٢/ ٣٨٦) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٤٥٩) طبقات الإسنوي (١/ ٣٤٨ ـ ٣٥١) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٥) شذرات الذهب (٣/ ٥٦ ـ ٥٧) .

(٣) هو صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » وهو مشهور متداول .

(٤) في بعض المصادر : فاتباع .

(٥) في المنتظم ومعجم الأدباء ووفيات الأعيان : ليس شيء أعزُّ عندي . .

فـإنْ فَعَلَـتْ كنـتَ الغنـيَّ وإنْ أبَـتْ ... فكـلُّ مَنـوعٍ بعـدَهـا واسـعُ العُـذْرِ

[كانت وفاته رحمه الله بالرَّي في هذه السنة ، وحمل تابوته إلى جُرْجان ، فدفن هناك][1] .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة

وفيها كانت وفاة الطائع لله على ما سنذكره .

وفيها منع عميد الجيوش الشيعة من النوح على الحسين في يوم عاشوراء ، ومنع جهلة السُّنَّة بباب البصرة وباب الشعير من النِّياحة على مصعب بن الزُّبير بعد ذلك بثمانية أيام ، فامتنع الفريقان ، [ولله الحمد والمنَّة][2] .

وفي أواخر المحرَّم خلع بهاء الدولة وزيره أبا غالب محمد بن خلف عن الوزارة ، وصادره بمئة ألف دينار قاسانية[3] .

وفي أوائل صفر غَلَتِ الأسعار ببغداد جداً ، وعدمت الحنطة حتى أبيع الكُرُّ منها بمئة وعشرين ديناراً .

وفيها برز عميد الجيوش إلى سُورا[4] ، واستدعى سند الدولة[5] أبا الحسين علي بن مَزْيَد ، وقرر عليه في كل سنة أربعين ألف دينار ، فالتزم بذلك وقرَّره على بلاده .

وفيها هرب أبو العبَّاس الضَّبِّي وزير مجد الدولة بن فخر الدولة من الري إلى بدر بن حسنويه ، فأكرمه ، وولي بعد ذلك وزارة مجد الدولة أبو علي الخطير .

وفيها استناب الحاكم العُبيدي على دمشق وجيوش الشام أبا محمد الأسود ، ثم بلغه أنه عزَّر رجلاً مغربياً على حبه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وطاف به في البلد ، فخاف من معرَّة ذلك ، فبعث [إليه][6] فعزله عن دمشق مكراً وخديعة .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وأرخ الحاكم وفاته فيما نقل عنه ابن خلكان في وفياته (٣/ ٢٨١) في سنة (٣٦٦هـ) بنيسابور ، وقال : ونَقْلُ الحاكم أثبت وأصح .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) في (ب) : السَّامانية ، ولعلها أشبه .

(٤) في (ط) : سر من رأى ، وهو تحريف ، وسورا : موضع بالعراق قريب من الحلة المزيدية ، انظر معجم البلدان (٣/ ٢٧٨) .

(٥) في (ح) و(ب) و(ط) : سيد الدولة ، وهو تصحيف ، والمثبت من المنتظم (٧/ ٢٢٣) وسترد الإشارة إلى وفاته في حوادث سنة (٤٠٨هـ) من هذا الكتاب ، وانظر وفيات الأعيان (٢/ ٤٩١) .

(٦) ما بين حاصرتين من (ط) .

وانقطع الحجُّ في هذه السنة من العراق بسبب الأعراب .

ومن توفي فيها من الأعيان :

إبراهيم بن أحمد بن محمد : أبو إسحاق ، الطَّبري الفقيه ، المالكي ، مقدَّم المعدلين ببغداد ، وشيخ القراءات ، وسمع الكثير من الحديث ، وخرَّج له الدَّارَقُطْني خمسمئة جُزْء حديث ، وكان كريماً مفضلاً على أهل العلم . رحمه الله تعالى .

الطَّائع لله عبد الكريم بن المطيع[1] : تقدم كيف خلعه[2] بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة ، وأنه أُودع في غرفة بدار الخلافة ، وأُجري عليه أرزاق كثيرة ، وألطاف غزيرة إلى أن توفي ليلة عيد الفطر من هذه السنة عن ست وسبعين سنة ، وقد باشر الخلافة سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام ، وصلَّى عليه القادر بالله ، فكبَّر عليه خمساً ، وشهد جنازَتَه الأكابر والأعيان ، ودفن بالرُّصافة .

محمد بن عبد الرحمن بن العبَّاس بن زكريا[3] : أبو طاهر المُخَلِّص ، شيخ كبير كثير الرِّواية ، سمع البغوي وابن صاعد وخلقاً ، وعنه البَرْقاني والأزهري والخلال والتَّنوخي ، وكان ثِقَةً من الصَّالحين . توفي في رمضان من هذه السنة عن ثمانٍ وثمانين سنة ، رحمه الله .

محمد بن عبد الله[4] : أبو الحسن السَّلامي ، الشَّاعر المجيد ، له شِعْر مشهور ، ومدائح في عضد الدولة [وغيره][5] .

ميمونة بنت ساقولة الواعظة : التي هي للقرآن حافظة ، ذَكَرَتْ يوماً في وعظها أنَّ ثوبها الذي عليها ـ وأشارت إليه ـ له في صحبتها تلبسه منذ سبع وأربعين سنة وما تغيَّر ، وأنه كان من غزل أمها . ثم قالت : والثوب إذا لم يعص الله فيه لا يتخرَّق سريعاً .

وقال ابنها عبد الصمد : كان في دارنا حائط يريد أن ينقضَّ ، فقلت لها : ألا نَدعُو البَنَّاء ليصلح هذا الجدار ؟ فأخذَتْ رقعةً فكتبت فيها شيئاً ، ثم أمرتني أن أضعَها في موضعٍ من الجدار ، فوَضعْتُها ، فمكث كذلك عشرين سنة ، فلما توفيت أردتُ أن أستعلم ما كتبت في الرقعة ، فحين أخذتها من الجدار سقطَ ،

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٧٩) المنتظم (٧/ ٦٦ ـ ٦٨ ، ٢٢٤) النبراس (١٢٤ ـ ١٢٧) سير أعلام النبلاء (١٥/ ١١٨ ـ ١٢٧) العبر (٣/ ٥٥ ـ ٥٦) نكت الهميان (١٩٦ ـ ١٩٧) تاريخ الخلفاء (٤٠٥ ـ ٤١١) شذرات الذهب (٣/ ١٤٣) .

(٢) انظر حوادث سنة (٣٨١هـ) .

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) المنتظم (٧/ ٢٢٥) اللباب (٣/ ١٨١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٧٨ ـ ٤٨٠) العبر (٣/ ٥٦) النجوم الزاهرة (٤/ ٢٠٨) شذرات الذهب (٣/ ١٤٤) .

(٤) في تاريخ بغداد (٢/ ٣٣٥) : عبيد الله .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وانظر منتخبات من شعره في يتيمة الدهر (٢/ ٣٦٤ ـ ٣٩٨) . وقد مرت بعض أبياته في عضد الدولة ص١٩٣ ـ ١٩٤ .

وإذا في الرقعة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر : ٤١] بسم الله ممسك السموات والأرض أمسكه .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلاثمئة

وفيها ولّى بهاء الدولة الشَّريف أبا أحمد الحسين بن أحمد بن موسى الموسوي ، قضاء القُضاة والحج والمظالم ، ونقابة الطالبيين ، ولقب بالطاهر الأوحد ، ذي المناقب ، وكان التقليد له بشيراز(١) ، فلما وصل الكتاب إلى بغداد لم يأذن له الخليفة القادر بالله في قضاء القضاة ، فتوقف حاله بسبب ذلك .

وفيها ملك أبو العباس بن واصل بلاد البطيحة ، وأخرج منها مهذب الدولة ، فقصده زعيم الجيوش ليأخذها منه ، فهزمه ابن واصل ، ونهب أمواله وحواصله ، فكان في جملة ما أصاب في خيمةِ الخزانة ثلاثون ألف دينار ، وخمسون ألف درهم .

وفيها خرج الركب العراقي [إلى الحجاز](٢) في جَحْفلٍ كبير وتجمُّل كثير ، فاعترضهم الأصيفر أمير الأعراب ، لينهبهم ، فبعثوا إليه بشابين قارئين مجيدين كانا معهم ، يقال لهما أبو الحسين الرَّفَّاء ، وأبو عبد الله بن الدَّحاجي ، وكانا من أحسن الناس قراءةً ، ليكلماه في شيء يأخذه من الحجيج ، ويطلق سراحهم ليدركوا الحج ، فلما جلسا بين يديه قرأ عليه جميعاً عَشْراً بأصواتٍ هائلة [مطربة](٢) مطبوعة ، فأدهشه ذلك وأعجبه جداً ، فقال لهما : كيف عيشكما ببغداد ؟ فقالا : بخيرٍ لا يزال النَّاس يكرموننا ، ويبعثون إلينا الذهب والدراهم والتُّحف . فقال : هل أطلق لكما أحدٌ منهم ألف(٣) ألف دينار في يوم [واحد](٤) ؟ فقالا : لا ، ولا ألف دينار في يومٍ واحد . قال : فإني أطلق لكما ألف ألف دينار [في هذه اللحظة ، أطلق لكما الحجيج كله ، ولولاكما لما قنعت منهم بألف ألف دينار](٤) فأطلق بسببهما الحجيج ، فلم يعرض لأحدٍ منهم ، وذهب النَّاس وهم سالمون شاكرون لذينك الرجلين المقرئين .

ولما وقف النَّاس بعرفات قرأ هذان الرجلان بأصوات عظيمة على جبل الرحمة ، فضجَّ النَّاس [بالبكاء](٤) من سائر الركوب لقراءتهما ، وقالوا لأهل العراق : ما كان ينبغي لكم أن تخرجوا بهذين الرجلين في سفرة واحدة ، لاحتمال أن يصابا جميعاً ، بل كان ينبغي أن تخرجوا بأحدهما ، فإن أصيب سَلِمَ الآخر .

---

(١) في (ط) : بسيراج ، وهو تصحيف .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) في (ح) : مئة ألف ألف دينار ، والمثبت من (ب) و(ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

وكانت الحجة والخطبة في هذه السنة أيضاً للمصريين كما هي لهم من سنين متقدِّمة .

وقد كان أمير العراقيين عزم على العود سريعاً إلى بغداد على طريقهم التي جاؤوا منها ، وأن لا يسيروا إلى المدينة النبوية خوفاً من الأعراب ، وكثرة الخفارات ، فشقَّ ذلك على النَّاس ، فوقف هذان القارئان على جادة الطَّريق التي منها يعدل إلى المدينة النبوية ، وقرأا ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [التوبة : ١٢٠] الآيات ـ فضجَّ النَّاس بالبكاء وأمالت النوقُ أعناقها نحوهما ، فمال النَّاسُ [بأجمعهم][١] والأمير ميلةً واحدة إلى المدينة النبوية ، فزاروا ، وعادوا سالمين إلى بلادهم ، [ولله الحمد والمِنَّة][٢] .

ولما رجع هذان القارئان رتبهما وليُّ الأمر مع أبي بكر بن البهلول ـ وكان مقرئاً مجيداً أيضاً ـ ليصلُّوا بالناس صلاة التراويح في رمضان ، فكثُرَ الجمع وراءهم لِحُسْن تلاوتهم ، [وكانوا يطيلون الصَّلاة جداً ، ويتناوبون في الإمامة ، يقرؤون في كلِّ ركعة بقدر ثلاثين آية ، والنَّاس لا ينصرفون من التراويح إلا في الثلث الأول من الليل ، أو قريب النصف منه][٣] . وقد قرأ ابن البهلول يوماً في جامع المنصور قوله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] . فنهض إليه رجلٌ صوفي وهو يتمايل فقال : كيف قلت ؟ فأعاد الآية ، فقال الصُّوفي : بلى والله ، وسقط مَيْتاً ، [رحمه الله][٤] .

قال ابن الجوزي : وكذلك وقع لأبي الحسين بن الخَشَّاب شيخ ابن الرَّفَّاء ، وكان تلميذاً لأبي بكر بن الأدمي المتقدِّم ذكره[٥] ، وكان جيد القراءة ، حسنَ الصَّوتِ أيضاً ، قرأ ابنُ الخَشَّاب هذا في جامع الرُّصافة في الإحياء هذه الآية ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] فتواجد رجلٌ صوفي وقال : بلى ، قد آن . وجلس فبكى بكاء طويلاً ، ثم سكت سكتةً ، فحرَّكوه ، فإذا هو مَيْتٌ ، رحمه الله تعالى[٦] .

ومن توفي فيها :

الحسن بن محمد بن إسماعيل : أبو علي الإسكافي ، ويلقب بالموفَّق ، وكان مقدَّماً عند بهاء

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) انظر وفيات سنة (٣٤٨هـ) .
(٦) انظر المنتظم (٧/ ٢٢٨) .

الدولة ، فولّاه بغداد ، فأخذ أموالاً كثيرة من اليهود ، ثم هرب إلى البطيحة ، فأقام بها سنتين ، ثم قدم بغداد ، فولّاه بهاء الدولة الوِزارة ، وكان شهماً منصوراً في الحروب ، ثم عاقبه بعد ذلك ، وقتله في هذه السنة ، عن تسعٍ وأربعين سنة .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمئة

فيها عاد مهذب الدولة إلى البطيحة ولم يمانعه ابن واصل ، وتقرَّر عليه في كل سنةٍ لبهاء الدولة خمسين ألف دينار .

وفيها كان غلاء وفناء عظيم ببلاد إفريقية ، بحيث تعطَّلت المخابز والحمامات ، وذهب خَلْق كثير من الفناء ، وهلك آخرون من شِدَّة الغلاء ، فلله الأمر من قَبْلُ ومن بَعْدُ ، [وهو المسؤول المأمول أن يحسن العاقبة][1] .

وفيها أصاب الحجيج في الطَّريق عَطَشٌ شديد بحيث هلك كثير منهم .

وكانت الخطبة للمصريين كما تقدَّم .

وممن توفي فيها من الأعيان :

محمد بن أحمد بن محمد بن موسى بن جعفر[2] : أبو نصر البُخاري ، المعروف بالمَلاحِمي ، أحد الحُفَّاظ .

قدم بغداد ، وحدَّث بها عن محمود بن إسحاق عن البخاري ، وروى عن الهيثم بن كُليب وغيره ، وحدَّث عنه الدَّارَقُطْني ، وكان من أعيان أصحاب الحديث ، كانت وفاته ببخارى في شعبان من هذه السنة ، وقد جاوز الثَّمانين .

محمد بن أبي إسماعيل[3] **علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم** : أبو الحسن العَلَوي ، ولد بهَمذان ونشأ ببغداد ، وكتب الحديث عن جعفر الخُلْدي وغيره ، وسمع بنيسابور من الأصمِّ وغيره ، ودرس فقه الشَّافعي على [أبي][4] عليّ بن أبي هريرة ، ثم دخل الشَّام فصحب الصُّوفية حتى صار من ساداتهم وكبارهم ، وحجَّ مرات على الوحدة ، وكانت وفاته في محرم هذه السنة[5] .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٢) المنتظم (٧/ ٢٣٠) اللباب (٣/ ٢٧٧) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨٦ ـ ٨٧) العبر (٣/ ٥٩) شذرات الذهب (٣/ ١٤٥) .
(٣) تاريخ بغداد (٣/ ٩٠ ـ ٩١) المنتظم (٧/ ٢٣٠) اللباب (٣/ ٣٦٨) .
(٤) ما بين حاصرتين من المنتظم (٧/ ٢٣٠) وقد سلفت ترجمة أبي علي بن أبي هريرة في وفيات سنة (٣٧٥هـ) .
(٥) ذكر الخطيب تاريخين لوفاته غير هذا التاريخ ، سنة (٣٩٣هـ) وسنة (٣٩٤هـ) ، انظر تاريخ بغداد (٣/ ٩١) .

ابن فارس[١] أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب : اللُّغوي ، الرَّازي ، صاحب « المجمل » في اللُّغة ، وكان مقيماً بهمَذَان ، وله رسائل حسان ، أخذ عنه البديع صاحب المقامات . ومن رائق شِعْره قوله :

مَـرَّت بنـا هَيْفَـاءُ مَجْـدُولـةٌ　　تُـرْكِيَّـةٌ تُنْمـى لِتُـرْكـيٍّ
تـرنـو بطَـرْفٍ فـاتـرٍ فـاتـنٍ　　أضْعَـفَ مـن حُجَّـةِ نَحْـوِيٍّ

ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى :

إذا كُنْتَ في حاجةٍ مُرْسلاً　　وأنــتَ بهــا كَلِـفٌ مُغْـرمُ
فـأرْسِـلْ حكيماً ولا تـوصِـه　　وذاكَ الحكيـمُ هـو الـدِّرْهَـمُ

قال ابنُ خَلِّكان : توفي سنة تسعين وثلاثمئة ، وقيل سنة خمس وتسعين[٢] . والأول أشهر[٣] .

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمئة

قال ابن الجوزي : في ليلة الجمعة مستهل شعبان طلع نَجْمٌ يشبه الزُّهْرة في كبره وضوئه عن يَسْرة القِبْلة يتموَّج ، وله شعاع على الأرض كشعاع القمر ، وثبت إلى النصف من ذي القَعْدة ، ثم غاب .

وفيها ولي أبو محمد بن الأكفاني[٤] قضاء جميع بغداد .

وفيها جلس القادر للأمير قِرْواش بن أبي حسَّان ، وأفرده[٥] في إمارة الكوفة[٦] ، ولقبه معتمد الدولة .

وفيها قُلِّد الشَّريف الرضي نقابة الطالبيين ببغداد ، ولقب بالرضى ذي الحسبين[٧] ، ولُقِّب أخوه المرتضى ذا المجدين .

---

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٩٠هـ) .

(٢) قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء (٤/ ٨٠) بعد أن نقل ما ذكره ابن الجوزي من أن وفاته سنة (٣٦٩هـ) وما ذكره الحميدي من أنه توفي في حدود سنة (٣٦٠هـ) : وكل منهما لا اعتبار به ، لأني وجدت خط كفه على كتاب « الفصيح » تصنيفه ، وقد كتبه في سنة (٣٩١هـ) ، ثم ذكر (٤/ ٩٣) من أن وفاته سنة (٣٩٥هـ) ، ونقل الذهبي في تاريخ الإسلام (٨/ ٧٤٧) عن سعد بن علي الزنجاني أنه توفي في صفر سنة (٣٩٥هـ) ، قال : وكذا أرَّخه عبد الرحمن بن منده وغيره . وقال السيوطي في بغية الوعاة (١/ ١٥٣) : وهو أصح ما قيل في وفاته .

(٣) انظر وفيات الأعيان (١/ ١١٩) وقد تصحف فيه إلى خمس وسبعين .

(٤) سترد ترجمته في وفيات سنة (٤٠٥هـ) من هذا الكتاب .

(٥) في (ط) : وأقره ، وهو تحريف .

(٦) انظر المنتظم (٧/ ٢٣٠) .

(٧) في (ط) : الحسنين ، وهو تصحيف .

وفيها غزا يمين الدولة محمود بن سُبُكْتكين بلاد الهند ، فافتتح مدناً كباراً ، وأخذ أموالاً جزيلة ، وأسر بعض ملوكهم وهو ملك كراشي حين هرب منه لما افتتحها ، وكسر أصنامها ، فألبسه منطقةً وشدَّها على وسطه بعد تَمَنُّعٍ شديد ، وقطع خِنْصره ثم أطلقه إهانةً له ، وإظهاراً لعظمة الإسلام وأهله[١] .

وفيها كانت الخطبة بالحرمين للحاكم العبيدي ، وتجدَّد في حال الخطبة أنه إذا ذكر الخطيبُ الحاكمَ يقوم الناس كلُّهم [إجلالاً له][٢] ، وكذلك [فعلوا][٢] بديار مصر مع زيادة السُّجود [له][٢] ، فكانوا يسجدون عند ذكره ؛ منْ هو في الصَّلاة ومن هو في الأسواق يسجدون لسجودهم ، لعنهم الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

أبو سَعْد [الإسماعيلي][٣] : إسماعيل بن أحمد بن[٤] إبراهيم بن إسماعيل ، الجُرْجاني ، المعروف بالإسماعيلي .

ورد بغداد والدَّارَقُطْني حيٌّ ، فحدَّث عن أبيه أبي بكر الإسماعيلي[٥] والأصَمّ وابن عدي ، وحدَّث عنه الخلال والتنوخي ؛ وكان ثِقَةً فاضلاً فقيهاً ، على مذهب الشَّافعي ، عارفاً بالعربية ، سخياً جواداً على أهل العِلْم ، وله ورع ورياسة إلى اليوم في بلده في أولاده .

قال الخطيب البغدادي : سمعت الشيخ أبا الطيب الطبري يقول : ورد أبو سعد الإسماعيلي بغداد ، فعقد له الفقهاء مجلسين تولى أحدهما الشيخ أبو حامد الإسفراييني ، وتولى الثاني أبو محمد البافي ، فبعث البافي إلى القاضي المعافى بن زكريا الجَريري يستدعيه إلى حضور المجلس ليتجمَّل بحضوره ، وكانت الرِّسالة مع ولده أبي الفضل ، وكتب فيها هذين البيتين :

إذا أكرمَ القاضي الجليلُ وَلِيَّهُ ... وصاحِبَهُ ألفاهُ للشُّكرِ مَوْضِعا

ولي حاجةٌ يأتي بُنَيِّي بِذِكْرِها ... ويسألُه فيها التَّطُولَ أجْمعا

فأجابه الجَرِيْري مع ولد الشيخ :

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير (٩/ ١٨٦ ـ ١٨٧) على خلافٍ في سياق الخبر .

(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وفي (ط) أبو سعيد ، وهو تصحيف . ومظان ترجمة أبي سعد في تاريخ جرجان (١٠٦ ـ ١٠٩) تاريخ بغداد (٦/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٠) المنتظم (٧/ ٢٣١) تبيين كذب المفتري (٢٠٧ ـ ٢١١) سير أعلام النبلاء (١٧ ـ ٨٧ ـ ٨٨) العبر (٣/ ٦٠) مرآة الجنان (٢/ ٤٤٨) طبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٥١ ـ ٥٢) شذرات الذهب (٣/ ١٤٧) .

(٤) اسمه واسم أبيه ساقط من (ط) .

(٥) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٧١هـ) .

دعا الشَّيْخُ مُطْواعاً سميعاً لأمرِه يواتيهِ باعاً حيثُ يَرْسُمُ إصبعا
وهاأنا غادٍ في غدٍ نحوَ دارِه أبادرُ ما قد حدَّهُ ليَ مُسْرِعا

وكانت وفاة أبي سعيد الإسماعيلي فجأة بجُرْجان في ربيع الآخر وهو قائم يصلي في المحراب ، في صلاة المغرب ، فلما قرأ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فاضت نفسه ، فمات رحمه الله تعالى[١] .

محمد بن أحمد[٢] بن محمد بن جعفر بن محمد بن بَحِير[٣] : أبو عمرو المُزَكِّي ، الحافظ النَّيسابوري . ويعرف بالبحيري[٤] ، رحل إلى الآفاق في طلب العلم ، وكان حافظاً جيد المذاكرة ، ثِقَةً ثبتاً ، حدَّث ببغداد وغيرها من البلاد ، وتوفي في شعبان هذه السنة عن ثلاثٍ وستين[٥] سنة .

أبو عبد الله بن مَنْدَه[٦] : الحافظ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْده ، أبو عبد الله الأصْفَهاني الحافظ ، من بيت الحديث والحِفْظ ، رحل إلى البلاد الشاسعة ، وسَمِعَ الكثير وصنَّف التاريخ والشيوخ .

قال أبو العباس جعفر بن محمد الحافظ : ما رأيت أحفظ من أبي عبد الله بن منده ، توفي بأصفهان في صفر من هذه السنة ، رحمه الله تعالى وإيانا برحمته .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمئة

فيها كان خروج أبي ركوة على الحاكم العُبيدي صاحب مصر .

وملخَّص أمر هذا الرجل أنه كان من سلالة هشام بن عبد الملك بن مروان الأُموي ، واسمه الوليد ، وإنما لقب بأبي ركوة لركوةٍ كان يستصحبها في أسفاره على طريقة الصُّوفية ، وقد كان سمع الحديث بالدِّيار المِصرية ، ثم أقام بمكة ثم باليمن ثم دخل الشَّام ، وهو في غضون هذا كله يبايع من انقاد له ، ممن

---

(١) انظر تاريخ بغداد (٦/ ٣١٠) .
(٢) تاريخ جرجان (٥٠٢) الأنساب (٢/ ٩٨) المنتظم (٧/ ٢٣٢) اللباب (١/ ١٢٤) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٩٠) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٨٢) طبقات الحفاظ (٤٢٠) .
(٣) في (ح) و(ط) : بن محمد بن محمد بن بحير ، والمثبت من (ب) ، وهو يوافق ما في بقية المصادر .
(٤) في (ح) و(ب) و(ط) الحيري ، وهو تصحيف .
(٥) في (ط) : وسبعين ، وهو تحريف .
(٦) أخبار أصبهان (٢/ ٣٠٦) طبقات الحنابلة (٢/ ١٦٧) المنتظم (٧/ ٢٣٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨ ـ ٤٣) العبر (٣/ ٥٩) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣١) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٧٩) الوافي بالوفيات (٢/ ١٩٠) غاية النهاية (٢/ ٩٨) لسان الميزان (٥/ ٧٠) النجوم الزاهرة (٤/ ٢١٣) طبقات الحفاظ (٤٠٨) شذرات الذهب (٣/ ١٤٦) .

يرى عنده همة ونهضة للقائم من ولد هشام بن عبد الملك الأموي ، ثم إنه أقام ببعض بلاد مِصر في حِلَّة من حِلال العرب ، يعلِّم الصبيان ويظهر النُّسك والتقشُّفَ والعبادة والورع ، ويخبر بشيء من المغيبات ، حتى خضعوا له وعظَّموه جداً ، ثم دعا إلى نفسه ، وذكر لهم أنه الذي يدعو إليه من الأمويين ، فاستجابوا له وخضعوا وخاطبوه بأمير المؤمنين ، ولقب نفسه بالثائر بأمر الله المنتصر من أعداء الله ، ودخل بَرْقة في جَحْفلٍ [عظيم][1] ، فجمعَ له أهلها نحواً من مئتي ألف دينار ، وأخذ رجلاً من اليهود اتهم بشيء من الودائع ، فأخذ منه مئتي ألف دينار أيضاً ، ونقش الدَّراهم والدَّنانير بألقابه ، وخطب بالناس يوم الجمعة ، ولعن الحاكم في الخطبة ـ ونعما فعل ـ فالتفَّ على أبي ركوة من الجنود نحو من ستة عشر ألفاً ، فلما بلغ الحاكم أمره وما آل إليه حاله بعث بخمسمئة ألف دينار وخمسة آلاف ثَوْبٍ من الحرير إلى مقدَّم جيوش أبي ركوة وهو الفَضْل بن عبد الله[2] يستميله إليه ويثنيه عن أبي ركوة ، فحين وصلته الأموال من الحاكم رجع عن أبي ركوة وقال له : إنا لا طاقة لنا بالحاكم ، وما دمت بين أظهرنا فنحن مطلوبون بسببك ، فاختر لنفسك بلداً تكون فيها . قال : أسأل أن تبعثوا معي فارسين يوصِّلاني إلى النوبة ، فإن بيني وبين ملكها مودة وصحبة ، فأرسله ، ثم بعث وراءه منْ ردَّه إلى الحاكم بمصر ، فلما وصل إليه أركبه جملاً وشَهَّره ، ثم قتله في اليوم الثاني ، وأكرم الحاكمُ الفَضْلَ ، وأقطعه إقطاعات كثيرة ، واتفق مرض الفضل ، فعاده الحاكم مرتين ، فلما عوفي قتله وألحقه بصاحبه أيضاً ، وكافأه مكافأة التمساح .

وفي رمضان عُزل قِرْواش عما كان بيده ، ووليه أبو الحسن علي بن مَزْيَد ، ولقب سند الدَّوْلة .

وفيها هَزَمَ يمينُ الدولة محمود بن سُبُكْتِكين اتلك خان ملك الترك عن بلاد خُراسان ، وقَتَلَ من الأتراك خَلْقاً كثيراً .

وفيها قتل أبو العباس بن واصل وحمل رأسه إلى بهاء الدولة ، فطيف برأسه بخراسان وفارس .

وفيها ثارت بالحجيج وهم بالطَّريق ريحٌ سوداء مظلمة جداً ، واعترضهم ابن الجَرَّاح أمير الأعراب ، فاعتاقهم عن الذهاب ، ففاتهم الحج في هذا العام ورجعوا إلى بغداد ، فدخلوها في يوم التَّرْوية .

وكانت الخطبة [بالحرمين][3] للمصريين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق : أبو القاسم الدِّينوري الواعظ الزَّاهد .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) في المنتظم (٧/ ٢٣٣) والكامل (٩/ ٢٠٠) أن الفضل بن عبد الله هو القائد الذي بعثه الحاكم لمقاتلة أبي ركوة .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

قرأ القرآن ، ودرس مذهب الشّافعي على أبي سعيد الإصْطخري ، وسمع الحديث من أبي بكر أحمد بن سلمان النَّجّاد ، وروى عنه الأزجي والصَّيْمري ، وكان ثِقَةً صالحاً يضرب به المثل في مجاهدة النَّفس ، والصِّدْق المحض[١] ، والتعفُّف والتقشُّف ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحُسْنِ وَعْظه ونفعه في القلوب .

جاءه يوماً رجل بمئة دينار فقال : أنا غنيٌّ عنها . قال : خُذْها ، فَفَرِّقْها على أصحابك هؤلاء . فقال : ضَعْها على الأرض ، [فوضعها][٢] ، ثم قال للجماعة : ليأخذ كلُّ واحدٍ منكم حاجته [منها][٣] . فجعلوا يأخذون بقدر حاجتهم حتى أنفدوها ، وجاءه ولده بعد ذلك فشكا [إليه][٤] حاجتهم فقال : اذهب إلى البَقّال ، فخذ عليَّ ربع رطل تمر .

ورآه رجلٌ وقد اشترى دجاجة وحلواء ، فتعجَّب من ذلك فاتبعه ، فانتهى إلى دارٍ فيه أيتام وأرامل فدفعها إليهم .

وقد كان يدقُّ السُّعْد[٥] للعطَّارين بالأجرة ، ويقتات منه ، ولما حَضَرَتْهُ الوفاة جعل يقول : [سيدي][٦] لهذه السَّاعة خَبَّأتك .

كانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجَّة من هذه السنة ، وصُلِّي عليه بجامع المنصور ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد .

أبو العَبَّاس بن واصل : صاحب سِيراف والبَصْرة وغيرهما من البلاد ، كان أولاً يخدُم بالكَرْخ ، وكان مَبْصُوراً[٧] له أنه سيملك ، فكان أصحابه يهزؤون به ويمجنون عليه ، فيقول أحدهم : إذا ملكتَ فاستخدمني ، ويقول الآخر : اخلع عليَّ ، ويقول الآخر : عاقبني . فقدر له أنه تنقلت به الأحوال إلى أن ملك سيراف ثم البصرة ، وأخذ بلاد البطيحة من مهذَّب الدولة ، وأخرجه منها طريداً ، بحيث احتاج في بعض الطريق إلى أن ركب بقرةً . واستحوذ ابن واصل على ما هناك من الأموال والحواصل ، وقصد الأهواز وهزم بهاء الدولة ، ثم ظفر به بهاءُ الدولة ، فقتله في شعبان من هذه السنة ، وطيف برأسه في البلاد . والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) في المنتظم (٧/ ٢٣٥) : واستعمال الجد المحض .
(٢) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) السُّعْد : طيب ، وفيه منفعة عجيبة في القروح التي عَسُرَ اندمالها . القاموس (سعد) .
(٦) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٧) في (ط) : منصوراً . وهو تصحيف .

ثم دخلت سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمئة

فيها غزا يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكين بلادَ الهند ، ففتح حصوناً كثيرة ، وأخذ أموالاً جزيلة وجواهر نفيسة ، فكان في جملة ما أخذ وهو أن وجد بيتاً طوله ثلاثون ذراعاً ، وعرضه خمسة عشر ذراعاً مملوءاً فضَّة ، ولما رجع إلى غَزْنة بسط هذه الحواصل كلها في صحن داره ، وأذِنَ لرسل الملوك ، فدخلوا عليه ، فرأوا ما بهرهم وهالهم .

وفي يوم الأربعاء الحادي عشر[١] من ربيع الآخر وقع ببغداد ثَلْجٌ عظيم ، بحيث بقي على وجه الأرض ذراعاً ونصفاً ، ومكث أسبوعاً لم يَذُبْ ، وبلغ سقوطه إلى تكريت والكوفة وعَبَّادان والنهروانات[٢] .

وفي هذا الشهر كثرت العملات خفيه وجهرة ، حتى من المساجد والمشاهد ، ثم ظفر أصحاب الشرطة بكثيرٍ منهم ، فقطعوا أيديهم وسمَّروهم[٣] ، فخمدت الفتنة ، ولله الحمد والمنة[٤] .

قصة مُصْحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وتحريقه

عن فُتْيا الشَّيْخ أبي حامد الإسْفَرايِيني مما ذكره ابنُ الجَوْزي في المنتظم .

وفي عاشر رجب جَرَتْ فتنةٌ بين الرافضة والسنة ، سببُها أنَّ بعض الهاشميين قصد أبا عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلِّم ـ وكان فقيه الشيعة ـ في مسجده بدرب رباح ، فعرض له بالسَّبِّ ، فثار أصحابه له ، واستنفر أصحاب الكَرْخ ، وصاروا إلى دار القاضي أبي محمد بن الأكفاني والشيخ أبي حامد الإسْفَرايِيني ، فَجَرت فتنةٌ عظيمة طويلة ، وأحضرت الشيعة مُصْحفاً ذكروا أنه مصحف عبد الله بن مسعود ، وهو يخالف المصاحف كلها ، فَجُمعَ الأشرافُ والقضاة والفقهاء في يوم جمعةٍ لليلة بقيت من رجب ، وعُرِضَ المصحف عليهم ، فأشار الشيخ أبو حامد الإسْفَرايِيني والفقهاء بتحريقه ، ففعل ذلك بمحضرٍ منهم ، فغضبت الشيعة من ذلك غضباً شديداً ، وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبُّونه ، وقصد جماعةٌ من أحداثهم دارَ الشيخ أبي حامد ليؤذوه ، فانتقل منها إلى دار

---

(١) في (ح) و(ب) : الحادي والعشرين ، والمثبت من (ط) ، وهو يوافق ما في المنتظم لابن الجوزي (٧/ ٣٣٧) .

(٢) في المنتظم (٧/ ٣٣٧) : ومهرو بان . مكنا : وهي بلدة صغيرة تقع على ساحل البحر بين عبادان وسيراف . معجم البلدان (٥/ ٢٣٣) والنهروانات ، ثلاثة : الأعلى و الأوسط والأسفل ، وهو كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، وفيها عدة بلاد ، انظر معجم البلدان (٥/ ٣٢٤) وما بعدها .

(٣) في (ب) : وشهروهم ، وفي (ط) : وكحلوهم .

(٤) انظر المنتظم (٧/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) .

القُطْن ، وصاحوا : يا حاكم يا منصور ، وبلغ ذلك الخليفة ، فغضب ، وبعث أعوان لنصرة أهل السُّنَّة ، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة ، وجَرَت خطوبٌ شديدة ، وبعث عميد الجيوش إلى بغداد لينفي عنها ابنَ المعلِّم ، فأخرج ، ثم شفع فيه ، ومنعت القُصَّاص من التعرُّض للفتن والسؤال باسم أحدٍ من الصحابة ، وعاد الشيخ أبو حامد إلى داره على عادته[١] .

وفي شعبان زلزلت الدِّينور زلزالاً شديداً ، سقطت منها دور كثيرة وهلك تحت الهدم ستة عشر ألفاً غير من ساخت به الأرض ، وهلك للنَّاس شيء كثيرٌ من الأثاث والأمتعة ، وهَبَّتْ ريح سوداء شديدة بدقوقاء وتكريت وشيراز ، فقلعت كثيراً من المنازل والنخيل والزيتون ، وقتلت خلقاً كثيراً ، وسقط بعض شيراز ، ووقعت رجفة بشيراز غرق بسببها مراكب كثيرة في البحر . ووقع بواسط بَرَدٌ زِنةُ الواحدة مئة دِرْهم وستة دراهم .

ووقع ببغداد في رمضان ـ [وذلك][٢] في أيَّار ـ مَطَرٌ عظيم سالت منه المزاريب .

تخريب قمامة [في هذه السنة][٣]

وفيها أمر الحاكم العُبيدي بتخريب قُمامة كنيسة البيت المقدَّس ، وأباح للعامة ما كان فيها من الأموال والأمتعة وغير ذلك ؛ وكان سبب ذلك ما أنهي من البهتان الذي يتعاطاه النَّصارى في يوم الفصح من النَّار التي يحتالون لها ، بحيث يتوهم الأغمار من جهلتهم أنها نزلت من السماء ، وإنما هي مصنوعة بدهن البلسان في خيوط رفاع مدهونة بالكبريت وغيره ، بالصنعة اللطيفة التي تروج على الطَّغَام منهم والعوام ، وهم إلى الآن يستعملونها في ذلك المكان بعينه . وكذلك أمر بهدم عِدَّة كنائس في هذه السنة ببلاد مصر ، ونودي في النَّصارى [بمصر][٤] : من أحبَّ الدُّخول في دين الإسلام دخل[٥] ، ومن لا يدخل فليرجع

---

(١) لما رأى عثمان رضي الله عنه حَرْقَ المصاحف ما عدا المصحف الذي بعث بنسخه إلى الآفاق ، ووافقه على ذلك الصحابة امتنع ابن مسعود من تسليم مصحفه ، وقال لأصحابه : غُلوا مصاحفكم . ثم قال على سبيل الإنكار : من هو الذي تأمرونني أن آخذ بقراءته وأترك مصحفي الذي أخذته من في رسول الله ﷺ ؟ وكان هذا رأياً منه انفرد به عن الصحابة ، وخفي عليه الوجه الذي ظهر لهم من المصلحة التي هي أعظم ما حفظ الله به القرآن الكريم من الاختلاف المخل به والتغيير بالزيادة والنقص .
ويبدو أن حادثة الحرق وقعت غير مرة ، فقد ذكر القرطبي في المفهم (خ) ٤/ ٣٩/ ٢) أن مصحف ابن مسعود وجد في خزائن بني عبيد بمصر عند انقراض دولتهم ، فأمر صدر الدين قاضي الجماعة بإحراقه ، وهذا يفسر تعدد النسخ التي أخفيت منه . وانظر شرح مسلم للنووي (٥/ ٣٢٥) .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .

(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٥) في (ح) : ونادى أنه من أحب الدخول في بلاد الإسلام ، فليدخل في دين الإسلام ، والمثبت من (ب) و(ط) .

إلى بلاد الرُّوم آمنا ، ومن أقام منهم على دينه ، فليلتزم بما شرط عليهم من الشُّروط التي زاد فيها على العُمَرية ، من تعليق الصُّلْبان على صدورهم من خشب زِنة الصليب منهم أربعة أرطال ، وعلى اليهود تعليق رأس العِجْل زنة ستة أرطال . وفي الحمام يكون في عنقه قرمية زنة خمسة أرطال ، أجراس ، وأن لا يركبوا خيلاً . ثم بعد هذا كلِّه أمر بإعادة بناء الكنائس التي هدمها ، وأذن لمن أسلم منهم في الارتداد إلى دينه . وقال : ننزه مساجدَنا أن يدخلها من لا نيَّة له ، [ولا يعرف باطنه][1] ، قبحه الله .

وممن توفي فيها من الأعيان :

[أبو محمد البافي][2] : [سبق ذكره[3] ، اسمه][4] عبد الله بن محمد البافي البخاري الخوارزمي ، أحد أئمة الشَّافعية في وقته ، تفقَّه على أبي القاسم الدَّاركي ودرَّس مكانه ، وله معرفة جيدة بالأدب والفصاحة والشِّعْر ، جاء مرةً ليزور بعض أصحابه فلم يجده [في المنزل][5] ، فكتب :

قد حَضَرْنا وليسَ يُقْضى التلاقي نســأَلُ اللهَ خيــرَ هــذا الفِـرَاق
إن نَغِبْ لم تَغِبْ وإنْ لَمْ نَغِبْ غِبْـ ـتَ كـأنَّ افتـراقَنـا بـاتِّفـاقِ[6]

وقد كانت وفاته في محرَّم هذه السنة ، وقد ذكرنا ترجمته في « طبقات الشَّافعية » .

عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسين : أبو القاسم المقرىء المعروف بالصَّيْدلاني ، وهو آخر من حدَّث عن ابن صاعد من الثِّقات ، وروى عنه الأزهري ، وكان ثِقَةً مأموناً صالحاً .

توفي في رجب من هذه السنة وقد جاوز التسعين[7] ، رحمه الله تعالى .

البَبَّغاء [الشَّاعر][8] عبد الواحد بن نصر بن محمد : أبو الفَرَج المخزومي ، الشاعر ، الملقب بالبَبَّغاء .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) الباجي : أينما مَرَّ ، وهو تصحيف ، وما بين حاصرتين من (ب) . وترجمته في يتيمة الدهر (٣/ ١٢٢ ـ ١٢٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٣٩ ـ ١٤٠) طبقات الفقهاء للشيرازي (١٠٢) الأنساب (٢/ ٤٧) المنتظم (٧/ ٢٤٠) معجم البلدان (١/ ٣٢٦) اللباب (١/ ١١٢) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٨ ـ ٦٩) العبر (٣/ ٦٨) طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣١٧) النجوم الزاهرة (٤/ ٢١٩) شذرات الذهب (٣/ ١٥٢) .

(٣) انظر وفيات سنة (٣٩٠هـ) .

(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) .

(٦) في (ب) و(ط) :

إن تغب لم أغب وإن لم تغب غبـ ـتُ كـأنَّ افتـراقنـا بـاتفـاقِ

(٧) في المنتظم (٧/ ٢٤١) ولد سنة (٣٠٩هـ) ، فيكون عمره يوم توفي تسعاً وثمانين سنة .

(٨) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) ، وترجمة الببغاء في يتيمة الدهر (١/ ٢٣٦ ـ ٢٧٠) تاريخ بغداد (١١/ ١١) الأنساب (٢/ ٧٠) المنتظم (٧/ ٢٤١) اللباب (١/ ١١٧) وفيات الأعيان (٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٢) سير أعلام النبلاء =

توفي في شعبان من هذه السنة ، وكان أديباً فاضلاً مترسلاً شاعراً مجيداً ، فمن شعره قوله :

يا من تشابه منه الخَلْقُ والخُلُقُ ... فما تسافرُ إلا نحوهُ الحَدَقُ
توريد دمعيَ من خَدَّيك مُختلسٌ ... وسُقْمُ جسميَ من جَفْنيك مُسْترَقُ
لم يبقَ لي رَمَقٌ أشكو هواكَ بهِ ... وإنَّما يتشكَّى مَنْ بهِ رَمَقُ

محمد بن يحيى : أبو عبد الله الجُرْجاني ، أحد العلماء الزُّهّاد العُبّاد ، المناظرين لأبي بكر الرَّازي ، وكان يدرِّس في قطيعة الربيع ، وقد فُلِج في آخر عُمره ، وحين مات دفن مع أبي حنيفة ، رحمه الله تعالى .

[بديع الزَّمان][1] أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد : أبو الفَضْل ، الهَمَذاني ، الحافظ المعروف ببديع الزَّمان ، صاحب الرَّسائل الرائقة ، والمقامات الفائقة ، وعلى منواله نسج الحَريري ، واقتفى أثره وشكر تقدُّمه ، واعترف بفضله ، وكان قد أخذ عن ابن فارس في اللغة ثم برز ، وكان أحد الفصحاء الفضلاء ، ويذكر أنه سُمَّ وأخذته سكتة ، فدفن سريعاً ، ثم عاش في قبره ، وسُمعَ صراخه ، فنبشوا عنه ، فإذا هو قد مات وهو آخذٌ على لحيته من هَوْل القبر ، وذلك يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، رحمه الله تعالى ، وعفا عنه ، وسامحه وإيانا بمنِّه .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمئة

فيها قُتل أبو علي بن ثمال نائب الرحبة من جهة الحاكم العُبيدي ، قتله عيسى بن خلاط العُقيلي ، وملكها ، فأخرجه منها عَبّاس بن مِرْداس صاحب حلب وملكها .

وفيها صرف أبو عمر[2] بن عبد الواحد عن قضاء البصرة ووليه أبو الحسن بن أبي الشوارب ، فذهب الناس يهنون هذا ويعزُّون هذا ، فقال في ذلك العُصْفُري :

عِنْدي حَديثٌ طَريفٌ ... بمِثْلِهِ يُتَغَنَّى

= (١٧/ ٩١) العبر (٣/ ٦٨ ـ ٦٩) النجوم الزاهرة (٤/ ٢١٩) شذرات الذهب (٣/ ١٥٢ ـ ١٥٣) نزهة الجليس (٢/ ٣١٩) .

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) . وترجمة الهمذاني في يتيمة الدهر (٤/ ٢٥٦ ـ ٣٠١) معجم الأدباء (٢/ ١٦١ ـ ٢٠٢) اللباب (٣/ ٣٩٢) وفيات الأعيان (١/ ١٢٧ ـ ١٢٩) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٧ ـ ٦٨) العبر (٣/ ٦٧) الوافي بالوفيات (٦/ ٣٥٥ ـ ٣٥٨) النجوم الزاهرة (٤/ ٢١٨ ـ ٢١٩) شذرات الذهب (٣/ ١٥٠ ـ ١٥١) .

(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : عمرو بن عبد الواحد ، وهو تحريف ، وسيرد اسمه على الصواب في ترجمة وفيات سنة (٤١٤هـ) من هذا الكتاب .

مـنْ قـاضِيَيْـنِ يُعَـزَّى هــذا وهــذا يُهنَّــا
فـذا يقـولُ اكـرهـونـا وذا يقـولُ اسْتَـرَحْنـا
ويكـذبـانِ جميعـاً[١] ومــن يُصَــدِّقُ مِنَّــا

وفي شعبان من هذه السنة عصَفَتْ ريحٌ شديدة ، فألقت رملاً أحمر في طرقات بغداد .

وفيها هَبَّتْ على الحُجَّاج ريحٌ سوداء مظلمة ، واعترضهم الأعراب ، فصدُّوهم عن السبيل ، واعتاقوهم حتى فاتهم الحج في هذه السنة أيضاً ، فرجعوا ، وأخذت بنو هلال طائفةً من حجيج البَصْرة نحواً من ستمئة ، وأخذوا منهم نحواً من ألف ألف دينار .

والخطبة بالحرمين للمِصْريين .

وممن توفي فيها من الأعيان :

عبد الله بن بكر[٢] بن محمد بن الحسين[٣] : أبو أحمد الطَّبَراني .

سمع ببغداد ومكة وغيرهما من البلاد ، وكان مكثراً ، سمع منه الدَّارَقُطني وعبد الغني بن سعيد ، ثم أقام بالشَّام بالقرب من جبلٍ عند بانياس يعبد الله تعالى هناك إلى أن مات في ربيع الأول من هذه السنة .

محمد بن [أحمد بن] علي بن الحسين[٤] : أبو مسلم ، كاتب الوزير ابن حِنْزَابة[٥] .

روى عن البغوي ، وابن صاعد ، وابن دُريد ، وابن أبي داود ، وابن عَرَفة ، وابن مجاهد ، وغيرهم ، وكان آخر من بقي من أصحاب البغوي ، وكان من أهل العلم والحديث والمعرفة والفهم ، وقد تكلَّم بعضهم في روايته عن البغوي ؛ لأن أصوله كان غالبها مفسوداً . وذكر الصُّوري أنه خلَّط في آخر عمره .

أبو الحسن علي بن أبي سعيد[٦] : عبد الرحمن[٧] بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفي

---

(١) في المنتظم (٧/ ٢٤٤) والكامل (٩/ ٢١١) : ونهذي .

(٢) في تاريخ بغداد (٩/ ١٠٦) ومعجم البلدان (١/ ٢٤١) : ابن أبي بكر . وما هنا موافق لما في تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ١٦٩) وخط الذهبي في تاريخ الإسلام (٨/ ٨٠٠) فالظاهر أن المؤلف نقله من تاريخ دمشق .

(٣) تاريخ بغداد (٩/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤) معجم البلدان (١/ ٢٤١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٦ ـ ١٠٧) .

(٤) تاريخ بغداد (١/ ٣٢٣) والمنتظم (٤/ ٤٥) وما بين حاصرتين منهما .

(٥) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٩١هـ) .

(٦) تاريخ الحكماء (٢٣٠ ـ ٢٣١) الأنساب (٨/ ٤٦) وفيات الأعيان (٣/ ٤٢٩ ـ ٤٣١) سير أعلام النبلاء (١٧/ /١٠٩ ـ ١١٠) ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٢) الوافي بالوفيات (١٢/ ٩٥) مرآة الجنان (٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) لسان الميزان (٤/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣) حسن المحاضرة (١/ ٥٣٩) شذرات الذهب (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٧) .

(٧) في (ط) : عبد الواحد ، وهو تحريف .

المصْري ، صاحب كتاب « الزِّيج الحاكمي » في أربع مجلَّدات ، كان أبوه من كبار المحدِّثين الحُفَّاظ[١] ، أرخ لمصر تاريخاً نافعاً يرجع إليه العلماء .

وأما هذا فإنه اشتغل بعلم النُّجوم ، فنال [من شأوه][٢] منالاً جيداً ، وكان شديد الاعتناء بعلم الرصد ، وكان مع هذا مغفلاً سيىء الحال ، رَثَّ الثياب ، طويلاً يتعمم على طرطور طويل ، ويتطيلس فوقه ، ويركب حماراً ، فمن رآه ضحك منه ، وكان يدخل على الحاكم صاحب مصر فيكرمه ، ويذكر من تغفله ما يدلُّ على عدم اعتنائه بأمر نفسه ، وكان شاهداً معدلاً ، وله شعر جيد ، فمنه قوله فيما ذكره ابن خَلِّكان في « الوفيات » :

أُحمِّلُ نَشْرَ الرِّيح عند هبوبه ... رسالة مشتاقٍ لوجه حبيبه
بنفسيَ من تحيا القلوبُ بقُرْبه ... ومن طابت الدنيا به وبطيبه
وجدَّد وَجْدي طائفٌ منه في الكَرَى ... سَرَى مَوْهناً في خُفْيةٍ من رقيبهِ
لَعَمْري لقد عَطَّلْتُ كأسيَ بَعدَهُ ... وغيَّبْتُها عنِّي لطولِ مغيبهِ[٣]

تعني أم أمير المؤمنين القادر بالله : مولاة عبد الواحد بن المقتدر .

كانت من العابدات الصَّالحات ، ومن أهل الفَضْل والدِّين ، توفيت ليلة الخميس الثاني والعشرين من شعبان من هذه السنة ، وصلَّى عليها ابنها القادر ، وحُملت بعد العِشاء إلى الرُّصافة .

ثم دخلت سنة أربعمئة من الهجرة النَّبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

في ربيع الآخر [منها][٤] نقصت دِجْلة نقصاً كثيراً ، حتى ظهرت جزائر لم تكن تعرف ، وامتنع سير السفن في أماكنها من أَوَانا والرَّاشدية ، فأمر بكري تلك الأماكن ولم تكر قبل ذلك .

وفيها كمل السُّور على المشهد بالحائر[٥] ، وكان الذي بناه أبو محمد بن الفضل بن سهلان عن نذر نذره[٦] .

---

(١) سلفت ترجمته في وفيات سنة (٣٤٧هـ) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) .
(٣) انظر وفيات الأعيان (٣/ ٤٣٠) مع اختلاف في ترتيب البيتين الأخيرين .
(٤) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٥) الحائر : اسم موضع قبر الحسين بن علي رضي الله عنه ، معجم البلدان (٢/ ٢٠٨) .
(٦) في (ط) : وفيها كمل السور على مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي بناه أبو إسحاق الأرجاني ، وذلك أن أبا محمد بن سهلان مرض ، فنذر إن عوفي ليبنينَّه ، فعوفي ، والذي في (ح) و(ب) يوافق ما في المنتظم .

وفي رمضان أرجف النَّاس بالخليفة القادر بالله [بأنه مات][1] ، فجلس للنَّاس يوم جمعة بعد الصَّلاة ، وعليه البُرْدَة وبيده القضيب ، وجاء الشيخ أبو حامد الإسْفَرَاييني ، فَقَبَّل الأرض بين يديه وقرأ ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٠ ـ ٦١] فتباكى الناس ودعوا وانصرفوا [وهم فراحا][2] .

وفي هذه السنة ورد الخبر بأن الحاكم أنفذ إلى دار جعفر بن محمد الصَّادق بالمدينة ، فأخذ منها مُصْحفاً وآلات كانت بها ، وهذه الدار لم تفتح بعد موت صاحبها إلى هذه المدَّة ، وكان مع المُصْحف قَعْبٌ خشب مطوَّق بحديد ودرقة خيزران وحربة وسرير ، حمل ذلك كلَّه جماعةٌ من العلويين إلى الديار المصرية ، فأطلق لهم [الحاكم][3] أنعاماً كثيرة ونفقات زائدة ، ورد السرير وأخذ الباقي ، وقال : أنا أحق به . فردوا وهم ذامُّون له [داعون عليه][4] .

وبنى الحاكم في هذه السنة داراً للعلم وأجلس فيها الفقهاء ، ثم بعد ثلاث سنين هدمها ، وقتل خلقاً كثيراً ممن كان بها من الفقهاء والمحدِّثين وأهل الخير والدِّيانة .

وعمَّر الجامع المنسوب إليه بالديار المصرية وهو جامع الحاكم ، وتأنق في بنائه .

وفي هذه السنة وفي ذي الحجَّة منها أعيد المُؤَيَّد هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الأموي إلى ملكه بعد خلعه وحبسه مدة طويلة .

وكانت الخطبة بالحرمين هذه السنة للحاكم العُبيدي صاحب مصر والشَّام .

ومن توفي فيها من الأعيان :

[أبو أحمد الموسوي النقيب][5] الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر : أبو أحمد الموسوي النقيب ، والد الرَّضي والمرتضى .

ولي نقابة الطالبيين مرَّات ببغداد نحواً من خمس مرات ، يعزل ويعاد ، ثم أقرَّ في آخر عمره ، وتوفي عن سبعٍ وتسعين سنة[6] ، وصلى عليه ابنه المرتضى ، ودفن في مشهد الحسين .

---

(١) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٢) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٣) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٤) ما بين حاصرتين من (ب) و(ط) .
(٥) ما بين حاصرتين من (ط) .
(٦) ذكر ابن خلكان في وفياته (٤/ ٤٢٠) : أنه ولد سنة (٣٠٧هـ) وعلى هذا تكون سِنُّهُ يوم توفي ثلاثاً وتسعين سنة . قال بشار : لكن الذهبي ذكر أنه ولد سنة (٣٠٤هـ) كما هو بخطه في تاريخ الإسلام (٨/ ٨١٤) .

وقد رثاه ابنه المرتضى بقصيدةٍ حسنةٍ قوية المنزع والمطلع ، منها قوله :

سـلامُ الله تنقلُـه الليـالـي ... ويهـديـهِ الغُدُوُّ إلـى الـرَّوَاحِ
عَلَـى جَدَثٍ تَشَبَّثَ[1] مـن لُـؤَيٍّ ... بيَنْبـوعِ العِبـادةِ والصَّـلاحِ
فتـىً لـم يَـرْوَ إلا مـنْ حـلالٍ ... ولـمْ يـكُ زادُهُ غيـرَ[2] المُبـاحِ
ولا دَنِسَـتْ لـه أُزُرٌ بـوِزْرٍ ... ولا عَلِقَـتْ لـه راحٌ بـراحِ
خَفيفُ الظَّهْـرِ مـن ثِقْلِ الخطايا ... وعُـرْيـانُ الجـوارح مـن جُنـاحِ
مسوقٌ[3] فـي الأُمـورِ إلى عُـلاها ... ومَـذْلُـولٌ علـى بـابِ النَّجَـاحِ
مـنَ القـومِ الـذيـنَ لهـم قُلُـوبٌ ... بـذكـرِ الله عـامـرةُ النَّـواحـي
بـأجسـامٍ مـن التَّقـوى مِـراضٍ ... لمبصـرهـا[4] وأديـانٍ صِحَـاحِ[5]

الحَجَّاج بن هرمز ، أبو جعفر : نائب بهاء الدولة على العراق ، وكان ينتدبه لقتال الأعراب والأكراد ، وكان من المقدَّمين على عهد عضد الدولة ، وكانت له خِبْرة تامة بالحرب ، وحرمة شديدة ، وشجاعة وافرة ، وهِمَّة عالية وآراء سديدة .

ولماَّ خرج من بغداد في سنة ثنتين وتسعين[6] وثلاثمئة كَثُرَتْ بها الفتن والشرور ، وكانت وفاته بالأهواز في هذه السنة ، وله من العمر مئة سنة وخمس سنين .

أبو عبد الله القُمِّي المِصْري التَّاجر : كان ذا مال جزيل جداً ، اشتملت تركته على أزيد من ألف ألف دينار من سائر أنواع الأموال ، وكانت وفاته بأرض الحجاز ، ودفن بالمدينة النبوية عند قبر الحسن بن علي ، رضي الله عنه .

أبو الحسين ابن الرَّفَّاء المقرىء : المتقدم ذكره[7] ، كان من أحسن الناس صوتاً وأحلاهم أداءً ،

---

(١) في (ط) : حسيب ، وهو تصحيف .
(٢) في (ح) و(ب) و(ط) : إلا ، والمثبت من المنتظم (٧/ ٢٤٧) وديوانه (١/ ٢٠٢) .
(٣) في (ط) : مشوق وهو تصحيف .
(٤) في (ط) : نصرتها ، وهو تصحيف .
(٥) انظر القصيدة بتمامها مع اختلاف في بعض ألفاظها في ديوانه (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٣) طبعة عيسى البابي الحلبي سنة (١٩٥٨) تحقيق رشيد الصفار .
(٦) في (ط) : وسبعين ، وهو تصحيف .
(٧) انظر حوادث سنة (٣٩٤هـ) .

رحمه الله تعالى ، وقد تقدم ذكره في سنة أربع وتسعين بما أغنى عن إعادته هنا ، والله تعالى أعلم بالصواب[١] .

●●●

(١) وقد كان الفراغ من تحقيقه والتعليق عليه في ظهيرة يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الأولى من عام ألف وأربعمئة وثمانية من هجرة المصطفى ﷺ الموافق للتاسع عشر من شهر كانون الأول من عام ألف وتسعمئة وسبع وثمانين للميلاد ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات .



فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

* * *